مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

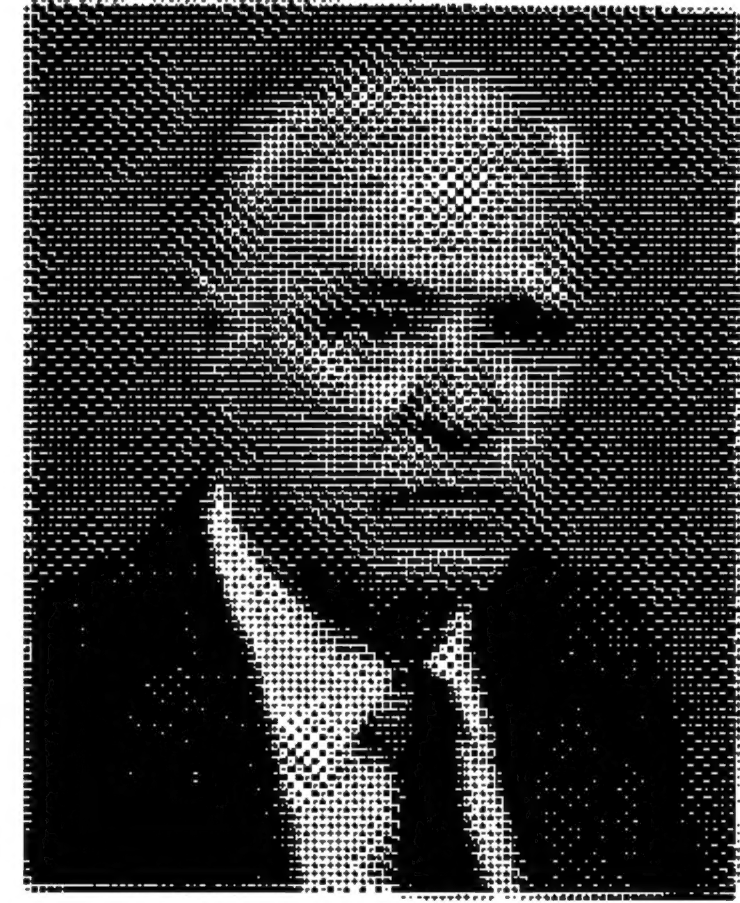
تقديم

عبد الوهاب بنمنصور

الجزء الأول

المطبعة الملكية - الرباط

1404 - 1984



المؤلف

● ولد بمدينة سلا سنة 1930

● تابع دراسته الثانوية بالرباط بمدارس محمد الخامس وثانوية مولاي يوسف ، والعليا بمعهد الدراسات العليا المغربية (ديبلوم اللغة العربية) ثم التحق بالمدرسة الوطنية للادارة العمومية (1957 – 1960) ، وبعد ذلك انتسب الى شعبة العلوم السياسية بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط .

● انخرط في الأسلاك الادارية سنة 1954 ، وهو احد متصرفي وزارة الداخلية ، وتقلد أعباء السلطة باقليمي تازة ووجدة (1961 – 1970)، وصار منذ اواخر 1978 باحثا متفرغا بمديرية الوثائق الملكية بالرباط .

● له اسهامات فكرية : عجَّم حجج المغرب لدى محكمة العدل بلاهاي في قضية الصحراء ، وحقق وعرب بعض المستندات المنشورة في مجلة « الوثائق » ، كما عرب كتاب جان لاكوتور عن « محمد الخامس : عرش وثلاث جمهوريات » (تحت الطبع) .

هذا التأليف

● من أعمال المصنف هذا الكتاب الطويل عن الحماية القنصلية والاستيطان الأجنبي بالمغرب في القرن التاسع عشر .

● وسيكون هذا الجزء الأول منه متبوعاً بثان (وهو تحت الطبع) وبثالث (انتهى رقن صفحاته) وبرابع (هو في طور الاعداد والتنقيح) .

● وبأسلوب شيق ، وبلغة سليمة وفي تصنيف تماسكت حلقاته ، يعرض المؤلف لهذا الموضوع بروح مغربية أصيلة وبرؤية مستجدة ، مستظهراً بالحجج الوفية المستقاة من التراث المنسي ، ومستعيناً بما صنفه مؤلفون مغاربة واجانب .

● ومزية هذا الكتاب انه يرسم معلمة تاريخية ، قوامها الوثيقة المغربية ، للانحلال الاجتماعي والمد الاستعماري اللذين أصابا بلادنا في نهاية القرن الماضي .

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1311 - 1280

1894 - 1863

تقديم

عبد الوهاب بنمنصور

الجزء الأول

المطبعة الملكية - الرباط

1404 - 1984

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم

سورة الرعد ـ الآية 11

ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ... فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة ، وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر .

عبد الرحمان ابن خلدون
في مقدمته

تقديم

عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة
عضو اكاديمية المملكة المغربية

يشعر قارئو كُتُب التاريخ المغربي بالفرق الكبير والبون الشاسع بين ما الف منها باللغة العربية وبين ما الفه الأجانب منها بلغاتهم ، ولا يقتصر الفرق على الاسلوب الانشائي الذي كتبت به تلك المؤلفات ، بل يشمل ايضاً المنهاجية التي عولجت بها محتوياتُها .

فالأسلوبُ الذي كتبت به كتب التاريخ المغربي باللغة العربية اسلوب عتيق يمت الى اساليب العصر الوسيط بأكثر من سبب ، يُعتنَى فيه كثيراً بالجانب اللغوي والأدبي عناية كبيرة ، وتشينه في غالب الأحيان استطرادات قد تطول وقد تقصر من غير ان تكون لها علاقة بالموضوع ، اما المنهاجية العلمية فتكاد تنعدم بالمرة لعدم التقيد بوحدة الموضوع ، فتجد شؤون السياسة ممزوجة بشؤون الأدب ، وامور الاقتصاد مخلوطة بقضايا الاجتماع ، وتتخلل كل ذلك مسائل من اللغة او الفقه والتفسير والحديث ، حتى ليتساءل قارىء تلك الكتب – وقد اضناه التعب وارهقه الملل – اهو يقرأ كتاباً تاريخياً في موضوع معين ام هو امامَ « كشكول » حوى جميع اصناف المعارف والمعلومات ، و « مستظرف » فيه من كل فن طرف ، ونظرة عجلى او متأنية يلقيها المرء على كتب مثل « المسند الصحيح الحسن » و « المنتقى المقصور » و « الدر المنتخب المستحسن » و « الحلل البهية » كافية لتبديد شكّ المتشكك في صحة ما اقول .

اما الكتب المؤلفة من طرف الأجانب فهي على علاتها ومغامزها تختلف عن سابقتها كل الاختلاف ، تكتب بأسلوب سلس مفهوم لا يخلو احياناً من اناقة ، وتراعى فيها وحدة الموضوع ، وتلتزم فيها الدقة والتحري فيما يخص الأسماء والأرقام اعتماداً على ما بين ايدي كاتبيها من وثائق ومستندات ، او ما رأوه رأي العين او سمعوه من شهود العيان .

وحتى لا يكونَ هذا الحكم عاماً ومنطبقاً على كل الأزمنة نستثني مما ذكر الكتب والرسائل والأطروحات التي كتبها في السنين المتأخرة ويكتبها الآن عدد من رجالنا وشبابنا الذين تلقوا تعليمهم العالي في الجامعات العصرية او تأثروا بالمنهاجية الحديثة في الكتابة وان لم يلجوا ابواب الكليات والمعاهد العليا ، فهؤلاء يكتبون بأسلوب مطابق لروح العصر مقبول من القراء ، يجتهدون فيه في التوفيق بين سلاسة الأسلوب ووحدة الموضوع ، ويسعون فى طرق جميع الأوجه والجوانب المتعلقة بالموضوع الذي يتناولونه دون ما خروج عنه ولا استطراد الى غيره ، ويعتمدون مثل الأجانب على مختلف المستندات القومية والأجنبية التي تثبت حكماً او تنفي رأياً .

وكتاب «الحماية والاستيطان الأجنبي بالمغرب في القرن التاسع عشر» الذي الفه الأستاذ مصطفى ابو شعراء هو من هذه الكتب الحديثة التي لا تتعب مطالعا ولا تمل مراجعاً ، فقد كتبه بأسلوب عصري سهل على قارئه وتناول فيه موضوعاً خطيراً من مواضيع تاريخ المغرب كتب عنه الأجانب كثيراً ولم يكتب عنه المغاربة الا نبذاً هي على يُسرها متدامجة مع العديد من مواضيعه الأخرى .

واذا ذكر الانسان مشكل الحماية والاستيطان الأجنبيين انطبعت في ذهنه صورة الباب الواسع الذي دلفت منه كل الشرور الى المغرب ، فبعد ما ظهر هذا المشكل في بداية الأمر صغيراً ضئيلا لا يلفت نظراً ولا يشكل خطراً تطور تطوراً سريعاً مدهشاً بعد هزيمة المغرب في معركة وادي يسلي امام الجيش الفرنسي سنة 1844 وهزيمته في حرب تطوان امام الجيش الاسباني سنة 1860 حتى انقلب الى « نظام » مؤسس على اتفاقيات ، ومقرر حسب

نصوص معاهدات ، ثم نما حجم هذا « النظـام » وعظم امره بانفتاح ابـواب المغرب على مصاريعها امام التجارة الخارجية ومجيء ألوف من رعايا الدول الأوربية والامريكية اليه للاستقرار بموانئه والارتباط بعلائق ـ اكثرها مريب ـ مع جماعة من رعاياه القاطنين بالمدن والقرى الداخلية ، حتى اصبح يكـون دولة داخل دولة ، وصارت قضاياه تستأثر بجل اهتمامات الحكومة المغربية وتعوقها عن العمل لتنمية الوطن وترقية الشعب ، وفغر فاه حتى افرغ بيت المال بمطالبه ودعاويه ، واكل لحم المغاربة واستفّ منهم اللحم وتعـــرق العظم ، وتفاجر وتفاحش فعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من فسوق اوربــــا وفجورها ونقل الى اجسامهم القوية ما لم تكن تعهده من الاوبئة والأمراض ، ثم انتهى بالبلد واهله الى نهاية محتومة : الحَجْر الأجنبي والوصاية الدولية التي قيدت سيادتهم ورهنت حريتهم بعد الف ومئتي سنة من السيادة التامة والحرية الكاملة .

انه اذن موضوع جدير بالعناية خليق بالاهتمام ، حري بأن يجعل طلاب الكليات والمعاهد العليا من جوانبه الكثيرة وقضاياه المتعددة مواضيع لأطروحاتهم ورسائلهم التي يختمون بها دراساتهم العالية ، وحري بالأساتذة ان يلفتوا اليه انظار الطلاب ويحببوا اليهم الكتابة فيه والبحث في المكتبات الخصوصية والعمومية بالداخل والخارج عن المراجع والمستندات المتعلقة به ، لما سيكشفه البحثُ عنه والكتابةُ فيه من مجاهيل ويطبــع في الأذهان من صور الحيل والمكائد التي تذرع بها الأجانب لايقـاع المغرب في فخاخ الاحتلال وحبُالات الاستعمار .

واذا اشرتُ الى الوثائق والمستندات وكررتُ الاشارة اليها فلأني أعرف تمام المعرفة ان الكتابة في موضوع الحماية والاستيطان لا يمكن ان تكون وافية بالغرض كشافة لمجاهيله سابرة لأغواره الا بالرجوع اليهـــا وقراءتها قراءة المتيقظ الناقد ، ومقارنة ما عند هذه الدولة بما عند الدولة الاخرى منها ، ثم مقارنة ما عند الدول جميعاً بما هو موجود منها بالمغرب ، اذ بالاطلاع على ذلك كله يمكن للكتابة ان تصيب كبدَ الحقيقة او تصيب ما يقرب من كبدها ، ولا تترك القاريء ضالا في متاهات الفروض والاحتمالات ،

ومن حسن الحظ ان مؤلف هذا الكتاب استطاع ان يطلع على العديد مما هو محفوظ من الوثائق بمديرية الوثائق الملكيـة والخزانـة الحسنية والمكتبة العامة بالرباط ومكتبتي° آل الصبيحي وآل ابن سعيد بسلا ، كما تمكن بحكم ثقافته المزدوجة المتينة ان يستفيد من الكتب التي صدرت في اوربا وامريكا منذ منتصف القرن الماضي وطرقت موضوع الاستيطـان والحماية خاصـة وباب التدخل الاجنبي في المغرب على العموم واعتمد مؤلفوها على ما هو محفوظ ببلدانهم من وثائق ومستندات ، وما نشره وزراؤهم وسفراؤهم من تقارير ومذكرات .

واذا عدنا الى كتاب الأستاذ مصطفى بوشعراء لنلقي نظرة فاحصة عليه فاننا نجده قد قتل موضوعه المعنون به بحثاً واستوفاه تفصيلا ، لقد تناوله من جميع جوانبه قريبها والبعيد ، بدءاً من التعريف بالمغرب وسكانه لا من الناحية اللغوية والجغرافية البحتة ، ولكن من حيث المفهوم السياسي للكلمة كما تفيده نصوص المعاهدات ايضاً ، وتدرجاً الى عناصر السكان وحياتهم الاجتماعية وما يرتزقون به من صنوف الحرف وانواع المهن ، غير ناس ولا غافل عن ادواتهم الحضارية ومصطلحاتهم في التعامل ، حتى يفضي به المسار الى بداية الاختلاط بالأجانب اما برحيل المغاربة الى بلدانهم واما بمجيء الأجانب الى المغرب واختلاطهم بأهله ، الشيء الذي عقّد العلائق وازمها واربكها حتى ادى الأمر الى تدخل الدول الأجنبية في شؤون المغرب بدعوى حماية رعاياها والدفاع عن مصالح تجارتها ، وافضى بها الى ان تفرض على المغـرب ما تريد وتملي عليه ما تشاء بحكم ضعفه وقوتها وتخلفه وتقدمها ، وافتـراق كلمة المسلمين واجتماع كلمتها هي على الكيد للمسلمين وتربص دوائر السوء بهم والسعي الجاد الحثيث لاستعباد رقابهم وامتلاك اوطانهم واستغـلال خيراتهم وثرواتهم التي لا تُعد ولا تحصى ، سواء كانوا يسكنون في المشرق أو يسكنون في المغرب .

والشيء الجديد في هذا الكتاب هو هذه الاحصاءات عن السكان والأرض والغلال والتجارات ، تلك التي كانت الكتب العربية خالية منها والتي امتلأت

بها الكتب التي الفها الأوربيون في القرن الماضي وفي هذا القرن العشرين مثل كتاب الدكتور جان لوي مييج J. L. Miège الذي عنوانه « المغرب واوربا في القرن التاسع عشر » ، ومع ان الارقام الواردة في الكتب الاوربية غير مقطوع بصحتها لما يشوبها احياناً من اغراض ويتخللها من اهواء فانها خليقة ان يستأنس بها ويركن الى حد ما اليها ، اما الأرقام التي ضمنها الأستاذ بوشعراء كتابه فهي اقرب الى الصواب قطعاً لأنه استند فيها الى المستندات التي اعتمد عليها الأوربيون تلك التي لم تكن تتجاوز تقاريرَ السفراء والقناصل، وتعداها الى المستندات المغربية التي لم يكن للأجانب بها اتصال ولا لهم عليها اطلاع .

وكتابة الأستاذ مصطفى بوشعراء في هذا الكتاب تتأرجح بين العتاقة والحداثة ، فهو بحكم ثقافته العصرية متأثر بمنهاج الأوربيين في البحث وطريقتهم في الدرس ، ولكنه بحكم البيئة التي فتح عينيه عليها والتربية التي تلقاها في البيت والكتاب وسط مدينة متحضرة كسلا رجل اصيل ويمثل كأكثرية الجيل المخضرم من اهل سلا الأصالة المغربية القحة ، اذ» لا يجهل شيئاً من اعراف المغاربة وعاداتهم وطبائعهم وتقلباتهم في معاشهم وان شئت فقل في حلهم وترحالهم ، كما لا يعزب عنه شيء من اللغة التي كانوا يتخاطبون بها قبل ان يبتلوا بداء الاستعمار وما كانوا يجرون بها من حكم ويضربون من امثال ويروون من قصص وحكايات ، ولهذا لا ينبغي للقاريء ان يفزع او يألم اذا اصطدم ببعض الكلمات « البالية » التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات الكتاب ، كما لا ينبغي له ان يفزع او يألم من بعض الكلمات او المصطلحات « المستوردة » التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاته ايضاً كتقديم الضمير على المُضمر ، فان الذي دفع الى استعمال النوع الأول الثقافة الأصيلة المكينة ، كما ان الذي ساق الى النوع الثاني الثقافة العصرية الحديثة ، والأستاذ بوشعراء رجل مخضرم ادرك ما عاش عليه آباؤنا من قديم ، وعاش ويعيش فيما يشهده العالم من تطور مدهش وتطلع عليه شمس كل يوم من مستظرف حديث ، فلا عجب ان كان في كتابته ما يدل على الشكلين ويشير الى الطورين .

اني اهنيء الأستاذ مصطفى بوشعراء على كتابه القيم الذي سيستفيد منه ـ بكل تأكيد ـ اساتذتنا وطلابنا وباحثونا والمولعون بالمطالعة منا ، والذي جاء ليسد فراغاً كبيراً في خزانتنا التاريخية ، وآمل ان تصدر اجزاؤه الباقية المليئة بالمعلومات العامرة بالفوائد حتى تعظم الاستفادة منه ، ويمكن للناقد ان يصدر بشأنه حكماً وافياً .

الرباط ـ الجمعة { 18 محرم 1405 هـ
14 اكتوبر 1984 م }

عبد الوهاب ابن منصور

فهرس مواد الجزء الأول (الكتاب الأول)

* * *

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

أزجي شكري الجزيل وامتناني العميق الى جميع الذين مدوا لي يد المساعدة لانجاز هذا البحث التاريخي عن الحماية القنصلية والاستيطان الأجنبي بالمغرب من سنة 1863 الى وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894 م ، واعني بالأخص الأساتذة والدكاترة السادة :

– عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة الذي اذن لي بتصفح المستندات والمخطوطات بمديرية الوثائق الملكية .

– ومحمد حجي العميد السابق لكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط ، ومدير المعهد المولوي .

– ومحمد زنيبر الأستاذ بنفس الكلية .

– ومحمد المنوني المحاضر بنفس الكلية .

فكلهم تصفحوا او طالعوا هذا الكتاب واستحسنوا هذا الموضوع المستجد وشجعوني على مواصلة العمل فيه وقدموا لي ملاحظاتهم القيمة الوجيهة التي سعيت جهد الطاقة للعمل بها .

– والحاج عبد الله الصبيحي الذي جعل رهن اشارتي ما بخزانته العلمية من كتب ومخطوطات .

وجميع البحاثة والمؤلفين المغاربة والأجانب الذين طرقوا جوانب من هذا التصنيف بلغة عربية او عجمية ، وكافة الزملاء والمساعدين بمديرية الوثائق الملكية بالرباط .

فلولا هم جميعاً لما تيسر لي اعداد هذا المصنف الذي راجعت من اجله مئات المصادر وآلاف المخطوطات مستشهداً بنحو 600 وثيقة غميسة يترجم جلها وجهة نظر المخزن الرسمية .

المؤلف

تمهيد

هذا تأليف عن تاريخ المغرب في فترة من العصر العلوي الثالث الذي يطابق القرن الثالث عشر الهجري او القرن التاسع عشر الميلادي سعيت فيه الى الكشف عن خبايا الاستيطان الأجنبي وما تبع ذلك من الحماية القنصلية. وهو بمثابة شذرات ولمحات وأقباس من التراث الوطني تميط اللثام عما اندثر منه وتبرز مظاهر جليلة من الحضارة المغربية الاسلامية وتوضح مكامن قيمة من أصالتنا .

وقد أودعت هذا الكتاب كل ما التقطته من الفرائد ودونت فيه جميع ما وقفت عليه من الشوارد ، فما من حكم أتيت به الا وله في التاريخ جذر مكين ، أو فائدة أثبتها الا ولها من الواقع سند متين . وسلكت طوال هذا التصنيف المنهجية الحديثة في بحث المراجع المطبوعة وتعقب المستندات المخطوطة .

I ـ المنهجية المتبعة :

لما كنت حريصاً على نشدان الحقيقة التاريخية صغت الوقائع تارة صياغة التأكيد متى رايت ان الكلام عنها لا يستدعي نقضاً لقيامه على اساس ثابت أو رويتها تارة اخرى بعبارات الاحتمال او بأدواته (ربما ، لعل ، قد التقليلية) متى ظهر ان الأمر محتاج الى تعمق واستبطان وأن العناصر الضرورية مفقودة الحلقات . وقد ربأت بنفسي وقلمي ـ الذي ليس منزهاً عن السبق والفلتات ـ ان اقع في موطن الزلل ، وبذلت أقصى الجهد في وصل المنفصل ورد الفروع الى الأصول وتعليل المتناقض وتدعيم المتلاشي وقياس الأشباه بالنظائر دون إطناب ممل ولا ايجاز مخل . واستهجنت الكلام

المجاني وأضربت عن الأحكام الجزافية فلم أحفل الا قليلا بالمقولات المنطلقة من فيض الشعور المصطبغة بفيض الحماسة ، ولكني عنيت كل العناية بالدراسات المنهجية العقلانية المستندة الى النصوص والمراجع حتى ولو كانت مخطئة في رأيـي بعض الشيء تاركـاً العهدة على صاحبها . وألجمت عقلي بلجام الحقيقة التاريخية المجردة . ولكني استفدت مما كتبه ـ عفواً ـ قدامى المؤلفين عن تقديس الأشخاص و « كراماتهم » وعن شمهروش والشياطين والمشعوذين ، وما إخال الذين يعلمون ذلك منكرين علي منه شيئاً .

ولكي لا اقطعَ حبل التفكير على المطالع والمراجع اتيت في اسفل كل صفحة بما يناسبها من هوامش وتعاليق حتى تتصل سلسلة الرواية والسنـد اتصالا وثيقاً ، سداً لثغرات ـ وما أكثرها ! ـ في تاريخ المغرب .

والحق أني حدت قليلا ـ بعدياً او قبلياً ـ عن هذه الفترة من القرن الماضي ، فلم أتقيد بها تقيداً مطلقاً . وإشفاقاً مني على ان تضيع شوارد ما حصلت عليها ـ علم الله ! ـ إلا بجهد وعناء ، أثبتها لارتباطها بأغراض الكتاب .

على أني أوليت اهتماماً خاصاً في هاته المونوغرافية ـ المستخلصة مما عندي من جذاذات مرتبة زمانياً ومكانياً وموضوعياً ـ لما يسمى أدبيات التراجم والتاريخ الذي نعلم انه من صنع البشر : فمتى وقفنا على ما فعلـه الانسان عرفنا الاتجاه الذي سلكه .

تلك هي منهجيتي وهذه هي سبيلي : تمحور حول النص ثم اعتماد على التحليل والتركيب ، حتى يكون للدراسة طابع مركز موضوعي سليم وتنتفي منها عوامل الزلق . وكان بودي أن آتي بخرائط وصور ورسوم بيانية لا تخفى على احد جدواها لكني عجزت عن تحقيق ذلك في تصنيف فردي أنجزته بشق الأنفس .

ولئن كنت لا أقصد الى الشمول الذي هو من خصائص الموسوعات فقد دأبت على الاستقراء والاستقصاء في بطون الكتب العربية والعجمية ، الوطنية والأجنبية ما استطعت الى ذلك سبيلا تنقيباً عن الوقائع والأحداث ،

ولم أكتف في ذلك بما هو مطبوع بل طلبته أيضاً في رفوف مديرية الوثائق الملكية فراجعت عشرات الملفات والآلاف من الوثائق الغميسة ما بين أصلي ومنسوخ ومصور ، واستشهدت بما في الجميع من إفادات انطرپولوجية تعرف بطبائع الانسان وعاداته ؛ أو سوسيولوجية وبسيكولوجية تتناول احوال الهيأة الاجتماعية ووضعية الأفراد والجماعات ونظرة الكل الى شؤون الحياة ؛ او اقتصادية تبين الطرائق التي اتخذها الانسان لكسب الرزق فأحسن اختيارها او اساء انتهاجها ؛ او ادارية وسياسية تصف مسلك اولي الحل والعقد في رتق ما انفتق او توجيه الأحداث ؛ او ديبلوماسية توضح الى اي مدى بلغت المفاوضة او المجابهة بين سلطة داخلية ودول خارجية لتغيير مجرى الوقائع او البحث عن الوئام والتعايش وصون الكرامة الوطنية ، واقتطفت منها كل ما له صلة أكيدة بالتاريخ والحضارة صيانة للمقومات والمعتقدات ، مستعيناً في هذا الأسلوب بقواعد انطولوجية تقدم المتن وتأخذ منه وجه الشاهد وتركن الى شيء من التمحيص والتقليب لمعرفة مميزات الوثيقة القديمة . فما هو إذن اسلوبها ؟

2 ـ الترسل المخزني وخصائصه

اذا كانت الطباعة قد يسرت للكتاب سبيل الانتشار والذيوع فالمخطوطات لا تزال قيد السجن بالخزائن والمكتبات الخاصة . وقليلة هي الربائد التي طبعت فقرئت فعلمت فاستفيد منها ، ولاسيما تلك الرسائل المخزنية التي تبودلت بين السلطة المركزية والادارات المحلية او بين المخزن والهيأة الديبلوماسية .

ولئن كان من اصعب ما في المكاتيب المخزنية هو حسن استيعابها ، فقد وجب منذ الساعة العمل على تحريرها من الأصفاد ، علماً بأن اسلوب الترسل القديم بعيد عما هو معهود الآن وبأن له خصائص متنوعة : فقد ألف القدماء طرق مواضيع متعددة في رسالة واحدة ، كما تعودوا ان ياتوا احياناً في صدر الرسائل ـ متى كانت جوابا ـ بملخص للمكاتيب الواردة عليهم . وتلك مزية تاريخية حفظت التراث بحكاية رسالة الرد ـ حكاية كادت تكون حرفية ـ

نص الكتاب الوارد للتنفيذ او للأعلام . فهذه الطريقة على علاتها مفيدة أيما إفادة .

ومن مميزات الرسالة العربية عامة والمخزنية خاصة خلوها من حروف الهجاء الأجنبية كالپاء الفارسية المشددة P والڤاء الألمانية البسطية V والمركبة W وحروف الأمالة الفرنسية المضمومة U والمكسورة E ومشتقاتها . وليس ذلك بعيب في العربية بقدر ما ليس نقصاً في بعض اللغات الأوربية عند ما افتقد منها حرفا الحلق (الحاء والعين) وحرف اللثة (القاف) وحرف الشجر (الضاد) .

واعتباراً لذلك اعتاد التراجمة من يهود وغيرهم إملاء رسائل المفوضيات والقنصليات على « طلبة » مغاربة مسلمين يجهلون اللغات الأجنبية على قدر ما لا يفقه الأولون اللغة العربية . يهملون حيث يتعين الأعجام ويعجمون حيث يتأكد الاهمال ، لا يمدون الأصوات ويقتصرون على شكل الحروف بالحركات . فالطلبة يلتقطون الكلام من لسان الثغ بأذن تكاد تكون صماء . ومن ثمة ينطق التراجمة بالأعلام والكلمات كما يعرفون ، ليكتبها الكتاب كما يسمعون ، وهكذا يسلم التحريف الى تحريف آخر وتضيع الحقيقة ويفسد الأسلوب ويحدث الغموض .

ولذلك عمدت الى تعريب ما هو معجم وكتبت بالأحرف اللاتينية الأسماء الأجنبية دفعاً لسوء الفهم ورفعاً للغموض والالتباس .

ومن خصائص الترسل المخزني ايضاً ان المكاتيب الصادرة من المخزن والواردة عليه تبدأ بالحمدلة والتصلية إن بعثت الى سلطة مغربية أو بالحمدلة فقط إن كانت في حالة تبييض أو موجهة الى الأجانب وبالبسملة والحوقلة اذا كانت الى رؤساء الدول .

وبعد ذلك يأتي ذكر المخاطب مع تمجيده وتعظيمه إن كان الباعث أقل رتبة من الأول ، اما السلطان فكان يخاطب الوزراء والولاة بالخديم والوصيف والطالب ويعبر لهم عن رضاه ، ثم يدخل في صلب الموضوع ، ويختمه بالتاريخ والسلام .

ومن تلك الخصائص كذلك ورود تعابير فيها أصبحت في هذا الوقت بالية واصطلاحات صارت اليوم مغلقة ، هذا اضافة الى تضمين الرسالـة المخزنية للمحسنات البديعية والأبيات الشعرية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال الحكمية والقواعد الفقهية .

ومن مميزات الترسل في الأخير ان الكتب مدبجـة كلها بخطـوط مغربية ، باستثنـاء مكاتيب النادر من التراجمة المشارقـة في المفوضيات والقنصليات المعروفين بالخط الرقعي والنسخي .

هذ، ، وتنم اشكال الخط العربي بعض الشيء عن هيـأة صاحبهـا ونفسيته وتتخالف في هندستها وجمالها وتنقيط حروفها (القاف لـه نقطة واحدة من أعلى بالمغرب ، وله نقطتان من الأعلى بالمشرق ، والسين والشين لا تظهر قرونهما جلية ، ولكنها واضحة في الكتابة المغربية وهلم جرا) .

وتنقسم الخطوط المغربية الأندلسية الى ثلاثة اقسام اساسية قد تتشابه فيما بينها ومنها :

- الخط المبسوط : وهو ما يرى في مصاحف المغرب .

- وخط الزمام (أو الخط المسند) : وهو خاص بالعدول والموثقين والفقهـاء .

- والخط المجوهر : وهو الأجمل اطلاقاً ونشاهده في جدران المساجد الى جانب الخط الكوفي ، وتكتب به الرسائل السلطانية لروعته وبهجته وغالباً ما يكون حسن التسطير والتشجير والتعريق وقد يتفق له ان يكون مرونقاً مجدولا مدموجا .

ومن هنا انتقل الى الكلام عن مضمون هذا التأليف ، فما هو ؟

3 — موضوع التأليف

أنوي في هذا التصنيف برمته طرق شؤون شتى لها علاقة بالاستيطان والحماية في الفترة المقصودة ، وقد جزأتها أبواباً وفصولا ، وجعلتها من حيث المادة التاريخية أربعة أجزاء ، ومن حيث الموضوع ثلاثة كتب ، أولها هذا الكتاب التمهيدي الذي هو الجزء الأول ، وهو مدخل لادراك الوقائع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفيه ثلاث أبواب :

الباب الأول : المغرب وأهله ، وفيه كلام عن الأيالة المغربية (الفصل الأول) وربوعها وسكانها (ف 2) والمغاربة في الخارج (ف 3) والأجانب في المغرب (ف 4) والجوائح والقواصم ، أي المجاعات والأوبئة التي اصابت المغرب في القرن التاسع عشر (ف 5) .

الباب الثاني : المعطيات والمبادلات الاقتصادية ، ويحتوي على لمح عن المواصلات والتجهيز (ف I) والمفاهيم في الوزن والكيل والمعايرة (ف 2) والتغيرات النقدية والمالية والجمركية (ف 3) والنظام الحرفي بما فيه من أنساب مهنية ووظائف الأمين والمحتسب (ف 4) والصناعة والمعادن (ف 5) والتجارة المغربية (ف 6) والفلاحة والتملك العقاري (ف 7) .

الباب الثالث : جوانب من العلاقات الخارجية ، وللحديث صلة بالسفارات والأزمات (ف I) وبدار النيابة السلطانية (ف 2) وبالموظفين بها (ف 3) .

هذا كل ما أنوي معالجته في هذا الجزء ، ويبقى علي بعد ذلك أن أتناول بالتفصيل — إن شاء الله — مونوغرافيات محلية لمختلف الثغور والعواصم منل طنجة وتطوان ، وأصيلة ، والعرائش ، والقصر الكبير ، وسلا ، والرباط ، والدار البيضاء وأزمور ، والجديدة ، وآسفي ، والصويرة ، ومراكش ، وفاس ومكناس ، بمعدل باب عن كل مدينة أو مجموعة من

الحواضر ، وذلك في كتابين : واحد عن الحماية والاستيطان معاً ، وآخر عن الاستيطان وحده .

وسأثبت في الفصول الأولى منها أسماء السلطات المحلية ، وسأجلب بعض العناصر الديموغرافية والعمرانية ، ثم أقدم في الفصول التي بعدها ثبتاً لأعضاء السلك القنصلي للدول التي أبرمت معاهدة مدريد ، وفي الأخير سنتعقب أسماء المستوطنين الأجانب والمحميين والسماسرة ، مع الاتيان بما كتبته الوثائق عن النوازل النوعية لكبار المحتمين والمستوطنين .

على انني سأتولى ، بعون الله ، تحرير أبواب أساسية اخرى : واحد عن الهداية والتنصير ، وثان عن الرحالة والمؤلفين ، وثالث عن المغامرين والجواسيس ، ورابع عن العلوج والبعثات العسكرية الأجنبية ، وغير ذلك مما له علاقة بالموضوع . وسآتي بالمصادر في نهاية هذا التأليف .

* * *

وختاماً أعوذ بالله من الآراء المسبقة ، واستلهمه تعالى العون على اتمام هذا العمل الذي يدل في مجمله على ما بذله المغرب في عهد الأسـرة العلوية من جهد لصيانة الوحدة الترابية ودرء أخطار النفوذ الأجنبي ، في هاته الحقبة الحاسمة من تاريخ البلاد التي لقيت من ضروب الأهوال والكروب وانواع المسخ والاستلاب ما سنرى نتفاً منه بارزة في هذا الكتاب ، الذي ليس الا دلواً بين الدلاء التي تزجي المعارف ـ متنها وسندها ـ الى كل من له ولوع بالتاريخ الوطني .

الكتاب الأول :

مدخـل

الـى الأحداث السياسية والديبلومـاسية والاجتماعيـة والاقتصادية في مغرب القرن التاسع عشر

الباب الأول

المغرب
ربوعه واهله



موضوع هذا الباب الحديث عن المغرب في القرن التاسع عشر من حيث حدود الدولة والتقسيم الاجتماعي والاداري ومن حيث السكان المغاربة وأعدادهم وانتشارهم الجغرافي في العالم وتدفق أفواج من الأجانب على المغرب ووصف بعض مظاهر المجاعات والطواعين .

ولذلك جزأت الكلام في ذلك على خمسة فصول ، هي :

1 - الأيالة المغربية

2 - الربوع والسكان

3 - المغتربون او المغاربة في الخارج

4 - المستوطنون او الأجانب في المغرب

5 - الجوائح والقواصم وهي الأمراض والمساغب

1 : الايالة المغربية

استهل الكلام بمناقشة التعاريف :

1 — ما هـو المصطلح الذي كان الأجـانب يطلقونه على الدولة المغربية وعلى المغاربة في القرن التاسع عشر وقبله ؟

2 — وما هي اللفظة التي كانت الدولة تعبر بها عن نفسها والمغاربة عن أنفسهم داخل البلاد وخارجها في ذلك العهد ؟

3 — وما هو موقف الدولة والرعية من « السيبة » وما مدلولها ؟

4 — وما معنى تعدد ذكر الممالك في معاهدات المغرب مع الخارج ؟

تلك مباحث دقيقة في السؤال والجواب ، لذلك لا مندوحة لنا في دراستها عن الرجوع الى ما قبل القرن التاسع عشر بقليل او بكثير .

* * *

1 — المفهوم الخارجي :

علينا أن نقسم الأجانب الى اوربيين ومشارقة .

أ . اولى كتب التاريخ العربية في المشرق تتحدث عن المغرب وافـريقيـة .

أما افريقية فهي تونس في كلام المؤلفين ، بقي علينا ان نعرف ما هو المغرب جغرافياً ؟ هو في نظرهم البلاد الواقعة غرب افريقية في معناها التونسي. وقد تطرق مؤرخون آخرون الى شمال افريقيا الغربي الحالي فقسموه الى مغرب أدنى ومغرب أوسط ومغرب أقصى او الى دول مختلفة كالأدارسة والمرابطين

حتى العلويين في المغرب ثم الى أغالبة وحفصيين وعبد الواديين وحماديين في المغربين الآخرين .

وكان لفظ « الدولة » يدل على البقعة الجغرافية وعلى سكانها معا ، وظل مفهوم « المغاربة » يشمل سكان المغرب في شمـال افريقيـا . كما ان المشارقة كانوا يعطون للفظة « المغرب » معنى جغرافياً (وجوده بافريقيا) وفلكيـاً (اليه تغرب الشمس) ولغوياً منطقيـاً (المغرب من حيث أنـه عكس المشرق ، مثل الليل خلاف النهار والطول مقابل للعرض) .

حتى اذا بسط العثمانيون نفوذهم على الجزائر وتونس وتبعهم الفرنسيون بعد ذلك ، وجب التمييز بين التوانسة (أهل تونس) واهل الواسطة (الجزائريين) والمغاربة (سكان المغرب الأقصى) . ثم استعملت في النهاية كلمة « مراكش » في المشرق العربي للدلالة على بلادنا وحدها يوم ولدت في الخارج فكرة القوميات الضيقة .

ب . لمعرفة الاسم الذي كان الأروبيون يطلقونه على المغرب الأقصى ، وجب الركون الى عدة مصادر . وافضلها في نظري الأوفاق والمعاهدات الثنائية والدولية التي هي في الواقع التزامات قانونية وديبلوماسية تفتـرض شروطاً وفصولا واصطلاحات وتعابير لتحديد الألفاظ ومعناها وما ينبغي لها من دقة وتخصيص لما نعهده من حرية ومساواة بين الأطراف في التعاقد لحمل التبعات ونشوء الحقوق والمطالبة بها عند اللزوم .

تراسل محمد الثالث مع بعض ملوك اوربا وابرم اوفاقاً مع عدد كبير من الدول وردت فيها اسماء الدولة المغربية ورعاياها كما يلي :

ب 1 — **بريطانيا العظمى** (28 يوليوز 1760) سمى العاهل في الفصل الأول منها « سلطان مراكش وفاس » والمغاربة في الفصل الرابع « جميع رعايا سلطان فاس ومراكش مسلمين كانوا ام يهودا .... » (1) .

---

1. جاك كايي : « الأوفاق الدولية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله : 1757 — 1790 » ص 158 .

ب 2 — **السويد** (16 ماي 1763) في الفصل الأول « إيالة سلطان مراكش » وفي الفصل الثالث « كل مسلم » ومعناها مغربي مسلم وفي الفصل 21 « الضباط المغاربة » و « رعية مغربي ... » (2) ثم « اذا كانت الجناية من مسلم ... » والمقصود بالمسلم هو المغربي في النص الفرنسي (3) .

ب 3 — **جمهورية البندقية** (15 يونيو 1765) في الفصل الأول « سلطان مراكش » (4) .

ب 4 — **فرنسا** (10 اكتوبر 1765) في الديباجة والنسخة الفرنسية « امبراطور مراكش وملك فاس وسوس » (5) . اما النص العربي ففيه « سلطان مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافيلالت وغيرها ... » . وفي فصول مختلفة ترد عبارة « الأيالة المولوية » وفي الفصول 5 و 11 و 15 و 20 « إيالة سيدنا » و « اهل سواحله » وفي الفصلين 16 و 17 « مراسي سيدنا » (6) .

ب 5 — **اسبانيا** (28 ماي 1767) نجد في الاستهلال « امبراطور مراكش سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ملك فاس ومكناس والغرب وتافيلالت ودرعة » (7) .

ب 6 — **فرنسا** (نفس التاريخ) في الديباجة امبراطور او سلطان « مراكش وفاس وسوس وتافيلالت وغيرها » وفي الفصل 12 لفظة مور : maure المشتقة من موريطانيا القديمة التي يراد بها المسلم في النص العربي بالمقابلة مع المتن الفرنسي (8) .

---

2 . المصدر السابق ص 168 و 169

3 . « الوثائق » 4 ص 126 ثم 128

4 . جاك كايي « الأوفاق ... » ص 176

5 . المصدر السابق ص 182

6 . « الوثائق » : 1 ص 433 وما بعدها .

7 . جاك كايي « الأوفاق ... » ص 184

8 . المصدر السابق ص 188 و ص 191 و « الوثائق » 4 ص 132 و « الوثائق » 1 ص 433 » والاتحاف » : 3 ص 271 .

ب 7 — **الدانمارك** (25 يوليوز 1767) في صدر المعاهدة « سلطان مراكش وفاس وتافيلالت وسوس وغير ذلك من الأقاليم المغربية » (النص العربي) او « ملك وامبراطور ممالك فاس ومراكش وتافيلالت وجميع الغرب ومقاطعاته » (في النص الفرنسي) . وكلمة مـور الواردة في الشرط الرابع عشر تقابلهـا كلمة مسلم (9) .

ب 8 — **البرتغال** (27 نونبر 1773) لفظة مسلم مترجمة بماروكان اي مغربي (10) .

ب 9 — **هولاندا** (29 يونيو 1777) لتجديد معاهدة 21 نونبر 1752 المبرمة في عهد مولاي اسماعيل نقرأ في الفصل الأول « امبراطور مراكش وملك فاس وتافيلالت والغرب بافريقيا » (11) .

ب 10 — **مملكة الصقليتين** (18 اكتوبر 1782) ورد في الديباجة « امبراطور مراكش وسلا وفاس وتافيلالت ودرعة وسوس » (12) .

ب 11 **النمسا** (17 ابريل 1783) نقرأ في الديباجة « محمد بن عبد الله سلطان مملكة مراكش وفاس وسوس ودرعة وتافيلالت وسلطان المغرب » (13) وسنعود الى هاته النقطة وشيكا للتعقيب عليها .

ب 12 — **الولايات المتحدة الأمريكية** (23 — 28 يونيو 1786) نجد في الفصل السادس ان مور معناها مسلم وليس لها معنى المغربي (14) .

---

9 . جاك كايي : « الاوفاق » ص 195 و « الوثائق » 4 ص 133 و 135 وابن زيدان: « الاتحاف » 3 ص 383 و 387 .

10 . « الوثائق » 4 ص 138

11 . جاك كايي : « الأوفاق » ص 208

12 . المصدر السابق ص 242

13 . المصدر السابق ص 246

14 . المصدر السابق ص 261

ب 13 – **رسالة من نفس السلطان** (اوائل محرم 1181/ماي 1767) الى ملك اسبانيا كارلوس الثالث تسميه « امير المسلمين سلطان مراكش وفاس ومكناس ودرعة وسوس وتافيلالت وغير ذلك من الأقاليم المغربية » (15) .

وبعد وفاة محمد الثالث عقدت معاهدات اخرى مع بعض هاته الدول أذكر منها :

ب 14 – **اسبانيا** (1 مارس 1799) في مستهلها « مولاي سليمان ملك المغرب وفاس ومكناس وسوس الخ » (16) .

ب 15 – **بريطانيا العظمى** (اواخر محرم 1216/يوليوز 1801) جاء في مقدمتها ان مولاي سليمان بن محمد بن عبد الله هو « سلطان البلاد الغربية مراكش وغيرها من بلاد المسلمين » (17) .

ب 16 – **فرنسا** (10 شتنبر 1822/2 شعبان 1260) في الديباجة « سلطان مراكش وسوس وفاس » وفي الفصول 1 – 2 – 3 – 4 – 6 : « سلطان المغرب » (18) .

ب 17 – **رسالة** الى لوي فليب من مولاي عبد الرحمان « امير المومنين بالمغرب الأقصا » (19) مؤرخة في 19 قعدة 1255/24 يناير 1840 .

ب 18 – **فرنسا** (10 شتنبر 1844) نقرأ في مستهل النص العربي ان مولاي عبد الرحمان بن هشام هو « سلطان مراكش وسوس وفاس » وفي ديباجة النسخة الفرنسية « امبراطور المغرب وملك فاس وسوس » وفي الشرط

---

15 . صورتها بملف المغرب لدى محكمة لاهاي الدولية (الوثيقة 33 «أ»)

16 . رشيد الأزرق : « النزاع » ص 391

17 . مخطوط بمديرية الوثائق الملكية

18 . ابن زيدان : « الأتحاف » ج 5 ص 162 وما بعدها

19 . نفس المصدر ص 161

الخامس « ... الحدود التي بين المغرب وإيالة الجزائر » (20) . ثم ان التعدد الوارد في الديباجة أتى في اتفاقية اخرى بين البلدين في 18 مارس 1845 (21) .

ب 19 — **كما نجد في رسالة سلطانية الى الملك لوي فليب** (17 شوال 1261/19 اكتوبر 1845) ان المولى عبد الرحمان هو « أمير المؤمنين بالمغرب الأقصا » (22) .

ب 20 — **بريطانيا العظمى** (9 دجنبر 1856) في الفصل الثاني « إيالة جانب سلطان مراكش وفاس » ثم اختصر هذا التعبير في النص العربي الى سلطان مراكش فقط . ومثل ذلك في النص الانجليزي (23) .

ب 21 — **اسبانيا** (24 غشت 1859) في الديباجة « مولاي عبد الرحمان ملك المغرب » (22) .

ب 22 — **اسبانيا** (26 ابريل 1860) في الفصل الثاني « سلطان مراكش » بالعربية و « ملك مراكش » (أو المغرب) بالأسبانية (25) .

ب 23 — **وفي اتفاقية 20 نونبر 1861** وردت في الفصل الثاني عبارة « إيالة المغرب » في النص العربي و « إيالة ملك المغرب » في النص الاسباني (26) .

ب 24 — **اتفاقية راس سبارتيل** (31 ماي 1865) في ديباجتها « سلطان مراكش وفاس » وهي اتفاقية دولية .

---

20 . « الوثائق » ج 1 ص 468 و 471

21 . « الوثائق » : 1 ص 475 و 480

22 . « الوثائق » : 2 ص 88 وابن زيدان « الأتحاف » ج 5 ص 176

23 . « الأتحاف » ج 5 ص 187 « والوثائق » : 4 ص 139 و 145

24 . رشيد الازرق « النزاع » ص 396

25 . « الوثائق » : 4 ص 151 و 157

26 . « الوثائق » : 4 ص 161 و 174

ب 25 — **رسالة** ملكة اسبانيا الى السلطان محمد الرابع (18 غشت 1865) تسميه سلطان مراكش وفاس وسوس ومكناسة بينما تعدد أسماء الأمصار الاسبانية (27) . وسأعود اليها ايضا .

ب 26 — **معاهدة مدريد** (3 يوليوز 1880) تنص على المغرب ودولته وتضع اولى قواعد الجنسية المغربية (الفصل 15) وهي ايضا دولية .

هذا استقراء لأهم المصادر القانونية والديبلوماسية عبر فترات طويلة من تاريخ المغرب . وهو ما لا يفيد تعدداً ولا انخراما في وحدة صف الأمة ، بل يجوز ان نقول ان كثرة الأسماء دليل على اتساع رقعة الأيالة وعلى مكانتها بين الدول .

* * *

1 — 2 — المفهوم الداخلي

الجواب عن السؤال الثاني هو معرفة اسم المغرب من وجهة نظر المخزن الرسمي والرجل الشعبي والمؤلف الأجنبي او المغربي .

أ — من الوجهة الرسمية لا شك انه كان بالاسم او بالأسماء التي بسطت اعلاه في الأوفاق والرسائل الرسمية ، وليس عندي الآن مزيد تعقيب .

* * *

ب — ومن الوجهة الشعبية كان المغربي لا يعنيه كيف يسمى في الخارج ، فهو مسلم او يهودي وكفى ، عليه طاعة السلطان واولي الأمر وعار عليه ان يرتد عن دينه .

المغربي المسلم له شعور بأنه داخل في زمرة المسلمين خارج عن طائفة الكفار ينتمي الى امة اسلامية ويتحدث عن المسلمين في بلاده وخارجها

---

27. محمد داود « تاريخ تطوان » ج 6 ص 143 — 144

لا يريد هضماً لحقوقهم ولا لحوق غزو اجنبي نصراني بهم . ولا ضير عليه بعد ذلك ان سماه الأجانب بما يحلو لهم من اسماء القومية او الوطنية التي كانت فكرة حديثة بأروبا نفسها كما هو معلوم .

واليهودي المغربي ظل وفياً لدينه وتقاليده كالمسلم .

ومع ذلك كان عامة الناس يفرقون بين المغربي والتونسي والجزائري والشامي والحجازي والمصري والعراقي ولا يجعلونهم في سلة واحدة كما يقال ، ويسمونهم عامة المسلمين او المشارقة ، اما النصراني او الرومي فكانوا يسمعون عن الفرانصيصي والنجليزي والصبليوني ويتعاملون معهم ، ولكنهم كانوا يأبون لأنفسهم ان يوصفوا بالمجوسي والكريكي ، ولا يلفظون مثل هاته الكلمات الا في مجال الغضب او الاحتجاج وقت الاهانة ، او ينعتون الآخرين بهاته الألفاظ عند ما يتصرفون معهم تصرفاً مخلا بالمروءة والأخلاق ، هذا في الخارج . اما في الداخل فكانوا يعرفون الفاسي والتطواني والمراكشي من سكان المدن ، والسوسي والدكالي والصحراوي والشاوي من السكان البدويين . كانوا مسقطيين (يحنون الى مساقط رؤوسهم) اكثر من وطنيين .

والى هذا وذاك كانوا لا يرضون باحتلال ولو كان من العثمانيين . لقد قاوموا البرتغال (وادي المخازن) وفرنسا (يسلي) واسبانيا (تطوان) ، وتأسفوا على سقوط الجزائر في القبضة الفرنسية وتمنوا ان يردها الله دار إسلام . كافحوا من اجل الاسلام في عهود القوة والبأس بقيادة السلاطين ، او في فترات الضعف والانحلال على يد اهل الربط والامارات السياسية (بودميعة والعياشي والدلائيون) والدينية (الصوفيون والطرقيون) . هو تضامن اسلامي وطني ضد النصارى ، وهو تآزر اسلامي مغربي فيما بينهم ضد الأتراك المسلمين ، وبعبارة اوضح هو شعور بالقومية او بالوطنية قبل بروزها وذيوع نظريتها الحديثة . انهم مسلمون ولا زيادة ، ورعايا السلطان لا يهمهم كيف ينعتهم الأجانب ، وكثير منهم كان لا يريد ان يذهب الى الخارج الا لأداء فريضة الحج ويدعو الله ان يمن عليه بـ « رزق العتبة » اي ان يجعل سكناه اقرب ما تكون الى مكان عمله .

ت ـ بقي علينا ان نعرف راي المؤلفين . جرمان عياش في بحثه عن « الشعور الوطني في مغرب القرن التاسع عشر » ساق اقوال اندري لبلان André Le Blanc في اطروحته سنة 1906 عن « السياسة الأروبية بالمغرب في العصر الحاضر » مفادها ان « المجتمع المغربي ما هو الا خليط مضطرب من القبائل ... تنعدم لديها فكرة الوطنية بقدر ما تنعدم الطاعة لرئيس مشترك ... » لكن لبلان ختم مشيراً الى ان « الديانة الاسلامية هي الرابطة الاجتماعية لأهل البلد » (28) .

اما عبد الله العروي فروى في كتابه عن اصول الوطنية المغربية ونقلا عن مؤلفين اجانب عاشوا بالمغرب في القرن التاسع عشر ان الأنجليزي أرثور بروك A. Brooke قال ان المغاربة كانوا يسمون فيما بينهم مسلمين كما ذكر ان الضابط المستعرب جول إيركمان J. Erckman الفرنسي الذي عاش بالمغرب في اواخر القرن الماضي قال سنة 1885 : « لا يظهر ان المغاربة يشكون في انتمائهم الى ايالة مغربية ، وليس لهم اسم يطلقونه على امتهم » (29)

لكن مؤلفاً آخر في بداية القرن العشرين هو جوزيف كنال J. Canal سفه رأيهما قائلا : « يعتقد كثير من الجغرافيين ان المغاربة لا يطلقون اسما على بلادهم . وهذا خطأ » وهو ما وافقه عليه العروي (30) .

وبينما كان ابو القاسم الزياني الوزير والسفير في عهد محمد الثالث ومولاي سليمان يميز بين المغارب : الأدنى والأوسط والأقصى تمييزاً واضحاً في كلامه اذا باكنسوس يتمنى ـ بعد استيلاء فرنسا على الجزائر ـ استرداد مجموع المملكة المغربية ، مشيراً الى بيعة اهل تلمسان للسلطان . وتحدث السفير الكردودي عن « اهل مغربنا » ، وخصص احمد الناصري السلاوي كتابه

28 . جرمان عياش في ملحق « العلم » 12 يبراير 1982

29 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 57 نقلا عن كتاب بروك عن المغرب واسبانيا ج 2 ص 19 وعن كتاب ايركمان « المغرب الحديث » ص 11 .

30 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 59

للمغرب الأقصى الحالي وحده (31) . وعبارة « اهل المغرب » و « أقطار المغرب » وردت اكثر من مرة في كتاب اكنسوس المتوفى سنة 1877 (32) ، واستعمل التمنارتي قاضي تارودانت في القرن الحادي عشر الهجري عبارة «مغربنا» (33) ولا شك ان غير هؤلاء كثيرون (34) .

* * *

1 — 3 — ظاهرة « السيبة »

واخيراً نصل الى السؤال الثالث وهو موقف الدولة والرعية من « السيبة » والفوضى لتحديد مداها ومعرفة مدلولها الاجتماعي على وجه تقريبي ومبسط في نظري .

رأينا في المبحث الأول وعلى ضوء المعاهدات ان السلطان « امير للمؤمنين والمسلمين بالمغرب الأقصى ، الأيالة السعيدة المولوية ، وإيالة سيدنا ، سلطان المغرب ومراكش (او مراكشة) وملك فاس ومكناس (أو مكناسة) وسلا وسوس ودرعة وتافيلالت والغرب وغيرها من المقاطعات والأقاليم المغربية » . فهل نستشف من هذا أن هاته المملكة كانت ممزقة الصف تعيش في الفوضى لا ادارة بها ولا جيش ولا نظام ؟ كلا ، لم يقل بذلك احد ولم يجادل فيه حتى ليوطي لأن جميع اركان الدولة كانت متوفرة فيها :

أ — حيز جغرافي محدود بالطبيعة وبالواقع وبالقانون الدولي .

ب — يعيش فيه سكان آمنون يعتنقون ديانة سماوية كانت هي الجامع المشترك .

---

31 . المصدر السابق ص 59 ايضا

32 . محمد اكنسوس « الجيش ... » ج 2 ص 62 و 67 و 76 مثلا

33 . محمد المختار السوسي : «ايليغ ... » ص 147

34 . ثمة بحث عن « الأمة وفكرة القومية المغربية » بقلم جاك كاني J. CAGNE نشره في ص 5 و 7 من مجلة « جمعية تاريخ المغرب » العدد الاول 1958 وهو دراسة جد مقتضبة في هذا المعنى حسب بعض المؤرخين والمؤلفين .

يسري عليهم حكم المخزن بالولاة سياسيا واداريا ، والقضاة دينيا وشرعيا ، والجيش عسكريا ، والسفراء ديبلوماسياً ، وتنالهم سلطة المخزن شرعاً ووضعاً ، هذا ان قصرنا انفسنا على الاستظهار بالمقومات الأساسيـــة وحـــدها .

« كلمة السلطان » (أي تأثيره) كانت نافذة على الرعايا حتى في احلك الأوقات (واقعة مولاي سليمان مع قبيلة زيان و « حركات » الحسن الأول).

كان المغاربة يساهمون في الخدمة العسكرية اثناء « الحركة » التي كانت تركيزاً للنفوذ السياسي والديني وردعاً للعصاة في البوادي والحواضر .

غير ان الحملات التأديبية لا تنطلق ابداً عند ما يكون مرد الأمر الى دوافع مجلية لا تعني في حد ذاتها شق عصا الطاعة . ونأخذ دليلا على هذا تمرد اهل الرباط سنة 1844 بتحريض الزبدي على الحاج محمد السويسي لمـــا سئموا مَلَكِيَّته ومرضوا في طاعته (35) . ولنا مثالان آخران : في سنة 1872 نبذ اهل مراكش طاعة ابن داود لما سامهم به من خسف وانتهاك للحرمات ، وشاء الله ان يكون زعيم هاته الحركة احد الصناع . وفي سنة 1873 تـــذمـــر الدباغون من سياسة الحاج محمد بنيس ومن المكوس لأنها غير شرعية ولأن بنيس كان امين الأمناء (36) اليه يؤول دخل الضرائب التي لم يأمر بها الاسلام ، يعتقدون انه الموحي بها واخيراً لأن الأحوال الاقتصادية لم تكن في صالح هاته الطبقة من الحرفيين .

كان المسلمون يؤدون الزكاة ، فاذا امتنعوا عنها كان السلطان بجيشه ومخزنه يتابع المتخلفين والعصاة معاً ، لأن الدولة في حاجة اليها ، ولأن غض الطرف عن ذلك دليل على انفصام السلطة ، ولأن الزكاة ركن من اركان الدين وهي كما قال السلطان الحسن الأول « من حقوق الله وجاحدها لم يدخل ربقة

---

35 . احمد الناصري « الاستقصا » : 9 ص 54 — 55

36 . « الوثائق » ج 3 من ص 280 الى 378 وقد افرد عبد الوهاب ابن منصور فصلا لعيطة ابن المدني بنيس واتى بمستندات لبعض جوانبها السياسية .

الاسلام وشعار المسلمين » (37) . وبعد ألم يقاتل عنها ابو بكر الصديق ويقتل المرتدين ؟ صحيح ان « الحركة » كانت مصحوبة بزجر وتدمير وعسف وانتساف لكننا نتحدث عن القرن التاسع عشر وعن فتن بعيدة المدى ومؤامرات مهلكة ثم بوجه خاص عن أمر إلهي .

وكانت بركة السلطان مترجاة من الجميع والدعوات له بالنصر والتأييد دائمة عقب الصلوات وفوق المنابر لأنها من كمال الايمان حتى في بلاد السيبة فضلا عن بلاد المخزن (38) .

اما عبارة مثل هم كالطيور لا تنالهم الأحكام او جملة « هؤلاء العرب لاقرار لهم وإنما يذهبون بخيمتهم حيث شاءوا فلا تنالهم احكام » (39) فذلك تعبير عن واقع سياسي واجتماعي عاش فيه اهل الجبال والصحاري عند ما ترك لهم الحبل على الغارب . ومثل هاته الألفاظ تكرر غير ما مرة لتحذير الأجانب من المغامرة بأرواحهم وممتلكاتهم بداخل البلاد حيث كانت السيبة وحيث كان قطاع الطريق وكذلك لمنع الغرباء من الاطلاع على العورات وزرع الفتن .

وقد نستنتج من تلك الكلمات ايضاً ان اهل الجبال والصحاري لم يحل بينهم وبين تقاليدهم وحريتهم لأن فيهم أصلاء وكرماء مثلما ابقى الفاتحون المسلمون في البلاد المختلفة لسكانها ـ طوعاً او على مضض حسب اقتضاء الظروف ـ أعرافهم بل واختياراتهم الدينية وحقهم في ممارسة الشعائر . فكيف بمن أسلم ودخل في دين الله ؟ وذلك ما قد نسميه اليوم ـ تجاوزا ـ اللامركزية الفعلية اي التي فرضتها الظروف .

---

37 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 404

38 . جون ووطربوري : « امير المؤمنين ... » ص 47 مع شيء من التصرف ، وفي الكتاب ايضاحات اخرى .

39 . رسالة السلطان محمد الثالث الى ملك اسبانيا كارلوس الثالث متقدمة الذكر (محرم 1181/1763) .

كاد البرابرة ان يساهموا وحدهم في فتح الأندلس مع طارق ابن زياد . وقد تمسكوا بالاسلام ولما خُمِّسوا واعتبرت بلادهم فيئا للعرب التجأ بعضهم لمذهب الخوارج ولم يرتد .

ومع ان المغرب كان معرضاً للهزات فلم أقف على ما يفيد ان اتحاداً قبلياً سائباً استنجد جهاراً بدولة اجنبية فطلب منها سلاحا للتحرر من نفوذ السلطان لأن في ذلك اتهاماً بالكفر والردة ولأن السلطان لم تنقطع بينه وبين رعيته شعرة معاوية : اذا أمسكوا أرسل واذا أرسلوا امسك على مقتضى الأحوال . وكثير من النزاعات كان لأسباب قبلية داخلية ينتظر فاعلوها تزكية سلطانية .

في بلاد المخزن والسيبة كانت تقع الثورات . ومن أخطرها ما كان يأتي في اعقاب واقعة حربية في القرن التاسع عشر كفتنة الحاج عبد القادر الجزائري سنة 1847 ، وزعير وعامر بأحواز الرباط سنة 1848 ، وابراهيم يسمور سنة 1854 ، والجيلالي الروكي بالغرب والرحامنة بمراكش سنة 1861 ، والهبري سنة 1874 ، واية ومالو سنة 1888 (40) . وسأنفرد في الباب الرابع من هذا الكتاب باخبار فتنة عبد السلام الحمام الأنجري في اواخر العهد الحسني .

وكانت لهاته القلاقل اسباب شتى : سياسية او عصبية (ولاية الأجنبي على قبيلة ليس منتمياً سلالياً اليها او خلاف داخلي بين زعماء البطون والعشائر) او تظلمية (طغيان الولاة) او اقتصادية (حرفيو مراكش وفاس كما حدث في « عيطة » ابن المدني بنيس) او دينية : فقد كان بعض رؤساء الزوايا يَحْطِبُون في حبل السلطان وحبل الأجانب وحبل القبائل جميعا .

كان منهم من يخوضون بالربوع السائبة لتأجيج نار الاضطرابات وللمساومة مع المخزن متى شعروا ان تدبيراً سلطانياً اتخذ لغير مصلحتهم او

---

40 . احمد الناصري في « الاستقصا » ج 9 ص 56 و 59 و 67 و 108 و 110 و 142 اتى في كتابه ببيانات مقتضبة لا تستوفي الموضوع نقلا عن مصادر رسمية .

لحرمانهم من حقوق اكتسبوها . وعلى العكس كانوا عوناً للسلطان في اطفاء نيران الفتن مقابل تحريرهم من الوظائف والأنعام عليهم بجزء من مال الدولة وبظهائر التوقير والاحترام .

* * *

وزبدة القول مما تقدم ان العاهل لم يؤمن قط بمقولة « السيبة » وبسلامتها وان الشعب المغربي في المناطق الدانية والنائية لم يصدق انهـــا كانت تمهيداً لتأسيس دولة انفصالية ، وانما كانت حالة من الواقع السياسي شيد عليها « الاختصاصيون » في الشؤون المغربية اطروحاتهم الاستعماريــة المغرضة المسمومة ورددوا تلك « الاسطوانة » تخديراً للعقول ومغالطة للرأي العام الدولي . ولن يلبث اثر ذلك ان يظهر جلياً قُبَيْل انتصاب الحماية الأجنبية (كفتنة أبي حمارة) وبعدها (قضية الظهير البربري مثلا) .

I — 4 — اتساع أطراف المغرب ونظام الخلفاء السلطانيين

آخر ما أتناوله في هذه العجالة مناقشة اولية لفكرة التعددية في ذكر الربوع والأمصار . ليس التعدد فريداً في التاريخ . ففي البرتغال كـان الملك يدعى ملك البرتغال والغرب وهذا الاقليم ما هو الا جزء من هاته البلاد وذلك مذكور في النص الفرنسي من معاهدة مدريد مثلا .

وانجلترا كانت ولا تزال تسمى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمـــى وايرلاندا وهاته الأخيرة قريبة من الجزر البريطانية .

والملكة إيسابيلا الثانية ذكرت 36 مدينة وولاية كانت تحت حكـــم اسبانيا في القرن التاسع عشر كما تقدم ، اكثرها بداخل الجزيرة الايبيرية .

اما النمسا فكانت امبراطورية مترامية الأطراف خليطاً من الشعوب والأجناس في القرن الثامن عشر ، وكان عاهلها جوزيف الثاني يغدق على نفسه ألقاباً طويلة منها انه ملك روما وجرمانيا والقدس وهنغاريا وبوهيميا ودالماسيا

وكرواسيا وسلوفينيا الخ (41) في معاهدته مع المغرب في 17 ابريل 1783 . ومثل هذا التعدد ذكره السلطان محمد الثالث لمسايرة العصر او للمناظرة ، ولكنه لم يكن يعني مملكة فيديرالية او دولة منحلة وانما كانت الأيالة وحدوية مركزية بخلاف النمسا التي تفككت وحدتها ثم تألفت من امبراطورية حتى انحلت في القرن العشرين للتنافر الاجتماعي والتوازن السياسي .

طبعاً لم يكن بالمغرب مملكة بفاس واخرى بمراكش وثالثة بسوس ورابعة بتافيلالت وهلم جرا ، بل كان بها إيالة واحدة عاصمتها هي حيث شاء السلطان او حيث حل ركابه او حيث بلغت حركته ومحلته ونزل عن صهوة جواده (الحسن الأول) . ومنذ القرن التاسع عشر اخذت وطأة ذكر الأمصار تخف ليحل محلها لقب سلطان المغرب وحده (معاهدة مدريد 1880) . وما مات رحمه الله حتى كانت الأمة موحدة والبلاد هادئة نسبياً منهكة اقتصادياً وحتى طرد الاسبان والانجليز من الصحراء .

فعلى ما ذا يدل هذا التعدد ايضاً ؟ الجواب الملحق بما سبق هو انه كانت للسلطان العلوي ـ مثل سلاطين الأسر الملكية المغربية البائدة ـ خلفاء في مراكش وفاس وتافيلالت (سجلماسة) وسوس ودرعة (تزنيت) والدار البيضاء والرباط (منتصف القرن التاسع عشر) وتطوان (بعد انتصاب الحماية الاسبانية) . وقد اقتضت التقاليد الموروثة ان يكونوا جميعا من اعضاء الأسرة الملكية ، وكان لهم من السلطان تفويض ضيق او عريض لا نعرف مداه ، وكان يشمل الشؤون العسكرية والسياسية والمدنية ، وكان للخليفة الحق في حمل بعض شارات السلطنة من طابع وديوان مصغر يتألف من وزير وحاجب وكتاب ومخازنية ، وكان ذلك تعبيراً عن واقع مغربي ودولي ايضاً وعن تقسيم المغرب الى 7 عمالات كما سيأتي .

غير ان الصلاحيات لم تكن مطلقة بالطبع احترازا من التناقض في حمل المسؤولية من جهة ودرءاً للانتقاض الذي كان يرومه احيانا بعض هؤلاء الأمراء عند وفاة السلطان من جهة اخرى حسبما هو معروف في التاريخ ،

41 - جاك كايي « الأوفاق ... » ص 246

وقد يكون في هاته العمالات المغربية جواب عن التعددية .

* * *

هل كانت لهذه الأيالة حدود مع الخارج ؟ وما معنى الحدود التاريخية ؟ وكيف كانت البلاد تصنف إدارياً وايطنوغرافياً وانطروپولوجياً ؟ ومن هم سكان المغـــرب ؟

هذا موضوع الفصل الموالي .

2 : الربوع والسكان

حدود المغرب طبيعية في الشمال والغرب ، اصطناعية في الجنوب والشرق ، لمكانه في ملتقى طرق حساس ، بين بحرين يصلان بين قارات ويمزجان بين حضارات ، تفاعلت جميعا فوق اديمه ، فصاغت الأجناس التي منها تفتقت خاصيات أهله ، تفاعلا وصياغة لم يعف أثرهما في شخصية الشعب المغربي المسلم .

الحديث التالي سيكون عن ربوع المغرب ثم عن سكانه .

1 ـ الربوع المغربية

وضعت لها خرائط وألفت تصانيف عن الحدود والتقسيم الاداري والاجتماعي .

1.1 ـ الحدود

لما سئل الحسن الأول عن حدود إيالته فقال ان « حدها حيث الكرسي المستقل ، وهو مصر من ناحية ، والسودان من ناحية ، ومغنية من ناحية » (1) ، كان يقصد بمصر الصحراء الممتدة جنوب الجزائر وتونس وطرابلس

1 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 رمضان 1303/6 يونيو 1886 مكتبة تطوان مح 179/4 . وقد قدمت هاته الوثيقة الى محكمة العدل بلاهاي تحت رقم 9 وصورتها في كتاب « السيادة ... » لمحمد ابن عزوز حكيم ص 135

وبالسودان مالي والنيجر والسينغال (2) ، كما كان يرد بذلك على سؤال ممثل اسبانيا وغيرها من الدول التي بدأت تحتل أقاصي المملكة المغربية قبل انصرام الثلثين الأخيرين من القرن التاسع عشر .

ولا ينبغي ان يفهم من ذلك انه كانت للسلطان منازع توسعية بالرغم من ظاهر كلامه ، فقد كان يتحدث عن الحدود التاريخية في عهود المغرب السابقة إبان مجاورة العثمانيين على الشرق .

كان السلطان يشترط بيعة الرعية بيعة شرعية لا غبار عليها ، وسنرى ذلك من خلال رسائل مخزنية .

من ذلك رسالة رسمية الى قائد هشتوكة الحسين الدليمي تتعلق بطائفتين من اهل الصحراء الجنوبية احداهما تسمى أمكوس والأخرى مديون كانتا تريدان سنة 1890 الانضمام الى قيادة هذا العامل والانضواء تحت لوائه وبالتالي الانتماء الى إيالة المغرب الأقصى الحالي بدعوى انهم « فوضى ليسوا الى نظر أحد » . وكان جواب السلطان ان امر قواد الناحية بالتحري في الأمر (3) .

وأفصح من ذلك وأوضح الكتابان الوزيريان الى أعيان تمبوكتو وعلى راسهم يحيى ابن الكاهية والى البشير بن محمد بن عبد الرحمان التلموذي الجزولي ، اللذين اخبرا السلطان سنة 1894 باستيلاء الجيوش الفرنسية على هاته المدينة وبمحاولة اهلها الاستغاثة به . فقد جاء فيهما ان السلطان حاول قبل ذلك « الكلام مع الفرنصيص في شأن كفه عنكم ، ورفع يده على التغلب عليكم ، الواقع بلا قاعدة ، فاقتضت السيرة الاصطلاحية التوقف على الحجة

---

2 . لفهم هذا التحديد يستحسن مراجعة الخريطة المجعولة في ص 63 من كتاب عبد الله العروي « الأصول ... » وهي خريطة مقلوبة الاتجاه : الغرب في الأعلى والشرق في الأسفل والشمال (الجوف) في اليمين والجنوب (القبلة) في اليسار وهو خلاف الاصطلاح الحالي .

3 . الرسالة محفوظة بالسجل 639 بالصدارة العظمى ومؤرخة في 14 ربيع الثاني 1308/27 نونبر 1890 .

بكونكم تحت إيالتنا السنية ، ومن جملة مملكتنا المرعية ... وعليه فان كانت لديكم مكاتبات من أسلافنا الكرام ، المقدسين في دار السلام ، او ظهائر شريفة قديمة او اثارة يقينية ، فوجهوا الينا ما تحصل به الحجة في ذلك لنُحـّاجّه به ويسلم انكم تحت إيالتنا السعيدة ولا يكون تقصير ولا غفلة بحول الله عنكم » (4)

وهناك رسالة اخرى غير الكتب السابقة ، وهي موجهة من المخـزن الى المرابط عروة بن احمد بن الحسين الذي هو من ذرية احمد أكاد دفين مركز أروان الواقع على بعد 320 كلمتراً من شمال مدينة تمبوكتو . فمنها يفهم ان سكان تلك النواحي ارادوا بيعة السلطان الحسن الأول والانضمام الى المغرب سنة 1894 بعد أن استولت الجيوش الفرنسية على تلك النواحي ، فأجيبوا فيها بأن عليهم ان يكتبوا بيعتهم « التي التجأتم اليها ، وانطوت عقيدتكم عليهـا ، وتكون متوفرة الشروط الشرعية من اتفاقكم فيها على التزام السمع والطاعة في المنشط والمكره كما جاء في الحديث الشريف على قاعدة البيعة الشرعية ... ووجهوا كتابها مشهوداً بأشكال عدولكم وفقهائكـم وقضاتكـم صحبة من توجهونه من وفودكم لأعتابنا الشريفة ... » (5)

ولئن كان السلطان يشترط البيعة الشرعية اشتراطاً من جهة فلم يكن يخفى عليه ان العصر عصر مد استعماري خانق من جهة اخرى وانه مع ذلك كان يريد المحافظة على ما سلم من طمع الطامعين واضعاً في حسبانه قدرة المغرب وحالة اهله آنذاك ، مستنكفا من كل مغامرة بمصير البلاد .

ومما لا شك فيه ان هذه الاستنجادات جاءت على إثر رحلتي الحسن الأول الى سوس سنة 1882 و 1886 (6) فكانت لها اصـداء بعيدة في تلك الأصقاع .

---

4 . اخذت نص الرسالتين من سجل الصدارة عدد 694 بتاريخ منتصف رمضان 1311/22 مارس 1894 . صورة هاته الرسالة الى البشير في كتاب محمد ابن عزوز : « السيادة ... » ص 160 الذي ذكر ان سنتها هي 1310 وذلك غلط يتضح من الوثيقة نفسها.

5 . نص الرسالة محفوظ بسجل الصدارة عدد 694 بتاريخ 20 رمضان 1311/27 مارس 1894 .

6 . احمد الناصري في « الاستقصا » ج 9 ص 175 و 180 تحدث عنهما .

وقد اصبحت نية الدول الأروبية مبيتة في اواخر القرن التاسع عشر على اقتطاع أجزاء من تراب المغرب بالشرق والجنوب الغربي والاستيلاء على اطراف من افريقيا . فقد غزا الفرنسيون ورغلة سنة 1872 والقليعة سنة 1873 والعين الصفراء سنة 1881 وتونس في نفس السنة وجنين بوررزق سنة 1885 وقاموا بعمليات عسكرية ضد سكان توات وكورارة وتيديكلت سنة 1890 واستولوا على تمبوكتو سنة 1894 .و نشأت بمليلية سنة 1893 احداث لتصد بها اسبانيا المغرب عن المطالبة بحقه (7) .

هذا عن الحدود مع الخارج فكيف كانت في الداخل ؟ ذلك ما يجرنا الى الحديث عن التقسيم الترابي والتنظيم الاداري .

1 ـ 2 ـ التنظيم الاداري المحلي

كان النظام الاداري المغربي عتيقاً يستند الى إيالات قروية وحضرية . فالباشا او العامل يشرف على شؤون المدينة والقائد يتولى شؤون البادية . وكان الولاة يختارون من ذوي الجاه او النباهة او الغنى او كل ذلك جميعاً ، ليصبحوا عمالا على اخوانهم او بلدييهم .

غالباً ما يكون عامل الحاضرة من سراة القوم او التجار او الأمناء او الضباط ، وكثيراً ما يكون قائد القبيلة من الشجعان او الأشراف او الأعيان او الأغنياء او من ذلك كله .

ويظل الوالي عاملا ما بقي على ولائه للعرش وعلى التزامه جانب العدل والنزاهة ، فاذا زاغ عن ذلك فالغالب ان السلطان كان يوزع إيالته على الولاة المجاورين ولا يترك له الا فخدة او فخدتين بل كان يعزله مباشرة او يسجنه وينكبه ويستصفي أمواله ان كان من العصاة او من الظلمة الذين تسلطوا على ابشار الناس واشعارهم .

---

7 ـ محمد المعزوزي « الجزائر ومراحل اقتطاع التراب المغربي المتعاقبة » ص 158 ـ 160

التقسيم كان قبلياً سلالياً ، فيولّى العامل على إخوانه ، كان لأهل الصحراء عمالهم ، وللبربر قوادهم ، وللأعراب ولاتهم ، وللحضريين باشاواتهم . وكان للخلفاء السلطانيين احياناً على بعض المتولين من الحضريين نوع من الاشراف صمتت عن مداه كتب التاريخ الرسمي .

وتنبغي الاشارة هنا الى ظاهرتين : توسيع رقعة الأيالات تارة وتضييقها تارة اخرى ثم إسناد العمالات الحضرية الى بعض الأمناء .

ففي العهد الحسني جزئت قبيلة دكالة الى 18 قيادة لم تكن قبل الا خمسا . الشياظمة كان لها قائد واحد فصار يحكمهما اربعة . اما عبدة فبعد ان كان يتولى امرها ثلاثة قواد صارت ذات ستة (8) وما لبثت القيادة في اواخر القرن أن أسندت الى قائد واحد (9) .

أما تكليف الأمناء بتسيير الشؤون المالية والادارية معاً فكان مجرد تدبير استثنائي مؤقت . لأن السلطان كان يسعى في الواقع الى فصل المنصبين ما وسعه ذلك . وفي هذا المعنى كان الحاج العربي الطريس امينا وعاملا في الصويرة اواسط القرن ، ومحمد بن العربي برادة والحاج عبد المجيد بن علال التازي عاملين وامينين بالجديدة في اواخره .

وفوق هذا وذاك كان الولاة القرويون والحضريون يؤازرون امناء المستفاد والمرسى والخرص في جمع متحصل الزكاة والأعشار والمكوس ويسهرون على تنفيذ الكلف والهدايا في الأعياد وتجنيد السكان للحركات التأديبية ويصاحبون العاهل فيها . وكان منهم من يضمن من ماله الخاص أداء الرعايا لتلك الحقوق وقد يحمله المخزن تبعة ذلك مما ادى ببعضهم الى الأثراء وأكل الأموال والتعسف وغمط الحقوق .

---

8 . جان لوي مييج « الحسن الأول » في سلسلة « الأفارقة » المجلد الثالث ص 242 .

9 . اعطى أوجين أوبان في « مغرب اليوم » ص 26 و 31 مثالا عن الطاهر بن البشير المويسي الذي عزل عن القيادة ولم يعد الا شيخا تحت امرة عيسى بن عمر العبدي.

هاته نبذة عن التنظيم الاداري المحلي واختصاصات الولاة . فما هو التوزيع الترابي الجغرافي للأيالة المغربية ؟

I — 3 — التقسيم الترابي

كتب المؤرخين المغاربة لم تشر الى هاته النقطة بشيء يشفي الغليل مما يدل على انها لم تكن تحظى بعناية خاصة . وكل ما عندي هنا هو تجزئة المغرب الى اقاليم ومناطق بأقلام اجنبية والتذكير بما كان يسمى النواحـــي التاريخية .

I — 3 — I — العمالات السبع

روي المؤرخ الفرنسي الكونط ده كاستر de Castries ان المغرب كان مقسماً قبل الحماية ومنذ العهد السعدي الى 7 عمالات هي :

I — **الشرق**

2 — **الغرب** مع حاضرة مكناس

3 — **الشمال** ومركزه فاس

4 — **الجبل** من وجدة الى تلاوة وحاحة مروراً بتازة

5 — **الحوز** وحاضرته مراكش ويدخل فيه آسفي والصويرة

6 — **تامسنا** بأسواقها البدوية ومراكزها الحضرية مثل أنفا وأزمور والجديدة وأبي الجعد وشرقي تادلة .

7 — **الجنوب** بأدناه واقصاه وتدخل فيه الصحراء التي كان خليفة السلطان يشرف عليها من سوس (IO) .

IO • عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية — معلمة الصحراء » الملحق I ص 154 (نقلا عن ده كاستر ج I — ق 2 — فرنسا ص 4IO) .

ويبدو لي ان هذا التقسيم يطابق اصقاع الخلافات السلطانية ويتحدث عن بداية القرن التاسع عشر حيث انتهى المؤلف في كتاباته .

I — 3 — 2 — المناطق المغربية

لم يذهب أوجين فومي E. Fumey أحد تراجمة المفوضية الفرنسية في اواخر القرن الماضي مذهب سلفه عند ما ذكر ان المغرب كان منظماً إدارياً داخل I2 منطقة هي :

I — **الشرق** : وهو وجدة ونواحي وهران سابقاً .

2 — **الريف** : وهو ما بين الحدود الجزائرية والبحر الأبيض المتوسط وبين بلاد غمارة وجبالة والشرق .

3 — **جبالة** : من البحر الأبيض المتوسط الى شرق طنجة غرباً وممر تازة شرقاً .

4 — **الغرب الأيسر** : ما بين المحيط وجبالة وسبو ، ابتداء من نهر ورغة ويدخل في ذلك مدينة طنجة والقصر والعرائش وأصيلة .

5 — **الغرب الأيمن** : فاس ومكناس والمهدية وسلا وزرهون وقبائل زمور وبني حسن .

6 — **الظهرا** : كل البلاد المسقية بملوية السفلى مع روافدها حتى جبال فجيج .

7 — **الصحراء** : فجيج وتافيلالت وكل المناطق الواقعة جنوب هاته الناحية .

8 — **البرابرة** : قبائل آية ومالو وآية يدراسن وآية يافلمان .

9 — **الحوز** : المنطقة الممتدة من الرباط الى وادي تنسيفت وتشمل مدن الرباط والدار البيضاء وأزمور والجديدة وآسفي ومراكش وقبائل الشاوية ودكالة وعبدة والرحامنة والشياظمة ...

10 - **الدير** : المناطق الواقعة شمـال الأطلس الكبيـر من وادي العبيد الى الصويرة .

11 - **سوس** : من رأس غير الى مصب نهر درعة .

12 - **درعة** : أعلى وادي درعة (11)

1 - 3 - 3 - النواحي التاريخية

وما دمت أتحدث عن التقسيم الاداري حسب العرف الأجنبي فلا بأس من الالمام بما كان يراه المخزن من تحديد المغرب آنذاك بنواحيه التاريخية وهو ما قاله عبد الله العروي من ان عددها كان 15 وهي :

1 - الصحراء الغربية

2 - الصحراء الشرقية

3 - **الظهرا** (اي ما بين وجدة وفجيج ونهر ملوية)

4 - سوس (الأطلس الصغير ووادي سوس ووادي نون)

5 - الأطلس الكبير الغربي (او جبال درن كما كانت تدعى قديماً)

6 - الأطلس الكبير الأوسط (وضمنه الأطلس المتوسط او بلاد فازاز حسب تعبير الجغرافيين المغاربة) .

7 - حاحة والدير (وهو جنوب الحوز)

8 - الحوز (مراكش ونواحيها)

9 - تـادلـة

---

11 . أوجين فومي : « المختار من الرسائل المغربية » ج 1 ص 161

10 ـ أزغار (ناحية سيدي قاسم)

11 ـ بلاد زناتة (من فاس الى وجدة)

12 ـ الريف

13 ـ الشاوية ودكالة وعبدة (اي من الرباط الى شمال الصويرة)

14 ـ الغرب (وهو مثلث رؤوسه بالعرائش وسلا وفاس)

15 ـ جبالة وهي ناحية على شكل مثلث من تطوان فطنجة فأصيلة فالقصر الكبير فوزان (12)

وشتان ما بين منطق وطني ومنطق استعماري ، لا يعطي للمغرب حتى ما تبقى له في منتصف القرن العشرين ، في حين يرى في ذلك بعض زعماء المغرب في القرن العشرين ان ما استرجع بعد الاستقلال سنة 1956 لا يمثل الخمس من المغرب التاريخي (13)

ولم يسع انصار الاستعمار الا وضع « خرائط » زيادة على « تقسيمات ادارية » لا تزيد على تكريس نظريات السيطرة والاستحواذ . ولئن كانت التخوم في الشرق مضبوطة بمعاهدة مغنية (14) على طول يناهز 150 كلمترا من الشمال اي وادي كيس الى ثنية الساسي ثم منها في بعض التأرجح الى واحة فجيج ، فان غير ذلك لم يتحدد بمعاهدة ثنائية او دولية صحيحة في الشرق والجنوب . اما حدود سبتة ومليلية وما اليهما فكان رسمها اقرب الى الواقع الاستعماري والصليبي منه الى المنطق القانوني والقرائن الجغرافية .

* * *

12 . عبد الله العروي « الأصول ... » ص 22

13 . المصدر السابق ص 11 و 60 (نقلا عن « الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي » لعلال الفاسي) .

14 . نص المعاهدة منشورة بمجلة « الوثائق » ج 1 ص 475

2 ـ أهل المغرب

بعد تقسيم الأيالة المغربية الى عمالات ومناطق ونواح ، آن لنا ان نعرف من هم سكان المغرب الأصليون وذلك لتصنيفهم تصانيف مختلفة : من الوجهة الاطنوغرافية (السلالية) والوجهة الانطروبولوجية الاجتماعية مع الاقتصار على العوائد في الاحتباء والاحتذاء ، ومن الوجهة الديموغرافية لابراز ديناميكية السكان بدوا وحضرا ، وكل ذلك ـ طبعاً ـ في كثير من الاقتضاب .

2 ـ 1 تصنيف إيطنوغرافي

امتزج العرب الواردون من الجزيرة بالبربر القادمين قبلهم منها وحملوا اليهم الاسلام وبه صاروا امة على يد ادريس الأول . ثم تعاقبت على المغرب الأسر المرابطية والموحدية والمرينية التي اسلمت زمام امورها الى السعديين والعلويين ، تشييداً لصرح الحضارة المغربية .

وزاد في سماكة هذا البنيان نزوح قبائل عربية بعد ذلك مثل بني هلال وبني سليم والمعقل الى المغرب وإقامتهم ثم ترحيلهم الى مناطق مختلفة منذ منذ عهد الموحدين (15) ثم التجاء الأندلسيين من مسلمين ويهود الى الأقطار المغربية هرباً من الاضطهاد وخوفاً على العقيدة من الفتنة . وما كادت تمر بضعة عقود حتى ساكن العرب البربر فتبربروا وساكن البربر العرب فاستعربوا واسلمت بعض الأسر اليهودية وحسن إسلامها وورث سكان بعض المدن الحضارة الأندلسية المغربية في المأكل والمشرب والملبس والمسمع والمنطق. وجاءت بعد ذلك طوعاً او كرهاً افواج من زنوج افريقيا وحراطينها تحمل معها ما جبلت عليه ربوع ما وراء الصحراء من حرارة في العمل او كسل في الطباع .

---

15 . ينظر عن نزوحهم كتاب عبد الوهاب ابن منصور : « قبائل المغرب » ج 1 ص 417 و 424 و 428 .

2 ـ 2 ـ تصنيف انطرپولوجي اجتماعي

ليس من شأن هذا الكتاب التطرق الى كافة ابواب الانطرپولوجيا وذكر جميع طبائع البشر واحوال معيشته وفنونه وادواته ومستنبطاته واعتقاداته . ولكني سأحاول من الوجهة الانطروپولوجية الاجتماعية ابراز ما كان للانسان المغربي في القرن الماضي ـ الذي هو ظل نفسه في العهد الذي قبله وصورة ذاته في العصر الحالي ـ من خاصية في احتبائه (اي لباسه واعتمامه) وفي انتعاله او حفائه .

وقد تطور اللباس المغربي بين القرنين 16 و 19 تطورا ملحوظاً فوصف الرحالة گابريال شارم G. Charmes اللباس الفاسي ولا سيما حنطوز النساء وصفاً دقيقاً (16) .

وقبل بسط الحديث عن آداب الاحتباء للرأس والجسد والانتعال للقدمين لا بأس من معرفة ما دُعيَ الميادين الثلاثة .

2 ـ 2 ـ الميادين الثلاثة

نظر علماء الاجتماع الى المغاربة فقسموا بذلك المغرب الى ثلاثة ميادين هي :

1 ـ ميدان السلهام والحايك اللذين كانا غالباً يتخذان من صوف بيضاء في السهول الاطلنطيقية او سوداء في ناحية الصويرة مثلا .

2 ـ ميدان الخنيف وهو برنوس قصير يصنع من وبر المعز يرتديه سكان الجبال ومناطق الصحراء الشرقية .

3 ـ ميدان الخنت وهو من القطن الأزرق ابتداء من الصحراء الجنوبية .

---

16 . نقله عنه روجي له طورنو في كتابه « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » ص 192 و 194 .

وذلك هو ما لاحظه الراهب شارل ده فوكو عند ما زار المغرب سنة 1883 وجاب خلاله وساح في أطراف المدن الداخلية والمناطق الصحراوية (17).

كان لباس السلاطين والوزراء واعضاء المخزن هو « الكسا » المجعول فوقه السلهام . وكانت الطبقات الشعبية ترتدي البرنوس او « الجلابة » . وفلاحو السهول الغربية كانوا يلتحفون بالحائك ، كما كان «الجابادور» المطروز المتألف في الغالب من صدرية حمراء وسروال ازرق هو الزي العسكري ، (بل كان احيانا بغير تلك الألوان) زيادة على طربوش احمر وشاشية حمراء . اما الضباط فكان لهم قميص واسع الأكمام وقفطان وفرجية وبرنس خفيف .

وفي المدن كان في المنظر دليل المَخْبَر بحيث يختلف لباس الناس كلما تباعدت اوضاعهم الاجتماعية . اما البوادي فلم يكن لأزيائها شكل موحد . وكان يقال ان المرء يستطيع معرفة البدوي والدراوي والبربري من خلال هندام كل واحد منهم (18) .

هذا بعض ما يتدثر به الجسد والأطراف . أما الرأس والقدمان فلم يكن مغاربة القرن التاسع عشر يغطون رؤوسهم بشكل منسجم : كانت العمامة والرزة سائدتين في الحواضر في حين كانت رؤوس البدويين عارية وحليقة دائما . لأن الشعور المستطيلة المسدولة أو « الوفرة » لم تكن معتادة إلا في الصحاري . ولم يكن الطربوش — الذي اتخذ للجيش في البداية — سارياً لدى بعض الطبقات الحضرية الا في نهاية القرن .

وعلى العكس من ذلك كان للمغاربة حذاؤهم الخاص الذي هو «البلغة» في البوادي والحواضر معا .

وقد روى ده فوكو ان هذا الاحتذاء لا يتغير الا بالنعال التي يتخذها خاصة الفقراء في الصحراء والنواحي الجبلية .

---

17 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 31 وما بعدها .

18 . المصدر السابق (نقلا عن بودجيت ميكين في كتابه « المغاربة ») وعبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر الحضارة المغربية » القسم الثاني ص 43

على ان التمايز بين مغاربة الشمال (الحائك والبلغة والراس المحلوق) ومغاربة الجنوب (الخنت والنعال والوفرة) ليس له مدلول مهم في حد ذاته ... لكن الأهم من هذا كله هو ان المغاربة النازحين عن اوطانهم كانوا متشبثين بأزيائهم ومعروفين ببلاغيهم في الجزائر وتونس وطرابلس (19) .

هذا ما قاله بتصرف بعض المؤلفين ، بينما تطرق ابن زيدان الى اللباس الرسمي المخزني .

أما العمامة التي هي « تاج العرب » حسبما كان يقال فقد وضعت عنها بعض التآليف . وآخرها ما كتبه عنها وعن القلنسوة احد الباحثين التونسيين : ابو بكر عبد الكافي (20) وذلك في مقالين عامين عن العرب وتونس والأندلس لم استطع ان اقتبس منهما الا جزءاً طفيفاً لتباعد ما اثبته فيهما زماناً ومكاناً . فلزمتني الاستعانة بالذاكرة والمطالعات الشخصية فيما سأطرقه في بقية هذا المبحث لتزداد آداب اللباس بياناً ووضوحا حتى ولو كان في ذلك شذوذ مني عن وحدة الزمن التي التزمتها .

وسأبدأ بغطاء الجسد فالرأس فالقدمين .

---

19 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 51 — 71

20 . ابو بكر عبد الكافي خصص في مجلة « الفكر » التونسية مقالين بعنوان « القلنسوة وتقاليد لبسها عند العرب » (ابريل 1980 — ص 75 وما بعدها) و « العمامة وتقاليد لبسها عند العرب » (يوليوز 1980 ص 38 وما بعدها) . وتوجد ايضا في كتاب « المجتمع المغربي كما عرفته من خلال خمسين سنة 1350 — 1400 » ص 309 لمحمد بن احمد شماعو ، اشارات الى الأزياء وتعريف بالحنطوز والسبنية والتكليسة والتغنبيرة وطقطيقة السروال والزلاكية وكل ذلك خاص بالنساء في بداية هذا القرن الذي هو امتداد للذي قبله من بعض الوجوه .

واخيرا تناول عبد الرحمان ابن زيدان في « الاتحاف » ج 2 ص 531 وما بعدها آداب اللباس والاعتمام المخزني للوزراء والكتاب والأمناء والقواد والحاجب والمخازنية واصحاب الأروي والمحفة والحمارة وغيرهم من خدام القصر السلطاني .

ومن الذين تحدثوا عن الفنون والعادات ولا سيما في اللباس اوديت دو بويكودو Odette du Puigaudeau في مجلة « اسبيريس تمودا » ابتداء من المجلد الثامن (1967) . والبحث يتناول ذلك في الصحراء الجنوبية .

2 ـ 2 ـ 2 : الاحتباء والانتعال

أ ـ الجســـد

المرُوط المغربية انواع : الكساء والحايك والعمامة ، ولهذا فهـــي كلها من النوع المحيط . « الكسا » نوع مخصوص من اللباس العريض وهو أشبه ما يكون بالشملة ، وكان ـ كما تقدم ـ من ازياء المخزن والعدول والفقهاء وخطباء المساجد . ولم يكن فوقه جلباب بل سلهام . وكان مجرد ارتدائه دليلا على حالة لابسه ووظيفته الاجتماعية ، وظل معمولا به حتى في نهاية النصف الأول من القرن العشرين .

اما المخيطات فكثيرة الأنواع منها الفوقي اي الدثـار والتحتي اي الشعار ، ومنها الداخلي ومنها الخارجي ، ومنها ما كان للذكور ومنها ما كان للاناث وللصبيان وللأطفال وللخادمات وللرقيق وللتجار وللصناع وللفلاحين . وقد صور بعض المؤلفين لباس اهل فاس واهل توات وزرزاية تصويراً مطابقا (21) .

الجلابة او الجلباب هي ذلك « القميص الطويل بدون حزام » (22) القرطاجني الذي اتخذه المغاربة الأولون لباساً وطنياً واستمر موجوداً حتى الآن .

« جلابة بونداف » من صوف غليظة يلبسها الفلاحون واشباههم (23) .

« خَنَيْدوس » جلابة جبلية من الصوف الغليظة السوداء ومثلها « الخنيف » كما تقدم ولكن لونه يتغير . أما ظهره فيلَوّن ويُزَوّق بالأحمر . وهو خاص بنواحي الأطلس .

الجلاَّبة هيَ على كل حال فضفاضة وقبها مثلها واسع ، يجعل لوقاية الراس من الحر والقر كما سيأتي . على أن قب الجلابة الذي هو أوسع مـن

---

21 . روجي له طورنو : « الحياة ... » من ص 192 الى 195

22 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 11

23 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 251

قب القلنسوة قد يتخذه الشعبيون سَفَطاً أو ظرفا لبعض المشتريات الخفيفة كحبوب الشاي او بعض الفواكه ، مثلما قد يجعلون الطاقية وحاشية الطربوش الداخلية « جيبا » أو وعاء يحفظون فيه بعض الأوراق النقدية وغيرها .

ومما تشتمل عليه الجلابة انها ذات كمين قصيرين ايسر وايمن . ولا يلبس فوقها الا السلهام لانها كساء فوقي وخارجي وغير منزلي ، ولا ينكس لبس الجلابة (اي اظهار باطنها واخفاء ظاهرها) الا في صلاة الاستسقاء . وحتى الثلث الأول من القرن العشرين كانت فتحة طوقها عريضة لكي يستطيع المتدينون مثلا استشارة منجاناتهم من « الشون » لمعرفة وقت الصلاة .

ومن اللباس التحتي انواع مختلفة للنساء وللأطفال وللرجال :

— « التشامير » وهو السربال الطويل المحاذي لجسم الذكور وله فتحة جانبية تقع فوق الترقُوَّة اليسرى في الغالب . وله ايضاً أنشوطة تدعى « سَرِّيفة » من القيطان .

— السروال وهو للنساء وللرجال معا . ومنه سروال قَنْدريسة الفضفاض للرجال .

— القفطان ويكون نسيجه أغلظ وربما أثمن من الفرجية او المنصورية ، وهو مفتوح حتى القَصّ للرجال وحتى الأسفل للنساء .

— الفرَجية (نسبة للقائد فرجي مملوك السلطان احمد المنصور السعدي) وهي لباس المخازنية والعوام .

— المنصورية (نسبة للسلطان احمد المنصور السعدي) وهي للشخصيات والخواص . وهي والفرَجية معاً من نسيج خفيف .

— الدرّاعية والجبّة والكندورة كلها دون أكام . وكلها ايضا — اضافة إلى الفوقية بالأكمام — ألبسة داخلية تجعل — مفردة فوق الفرجية والتشامير والسروال — للراحة وللنوم .

ـ القشابة وكانت فضفاضة ، اتساعها كان كناية عن رحابة الصدر ومن ذلك اشتقت لفظة التقشاب (التي تعني التندر والتفكه مـن شخـص ليس سريع الغضب أو لين العريكة) .

ـ كسوة المحصور لباس مزدوج يتألف من صدرية أو بدعية قصيرة بكمين ، وسروال طويل ويزدان به في الأعياد والمناسبات . اما شـد الوسـط والتمنطق فكان اما بالكُـرْزِية الصوفية او القطنية للكبـار وللخواص واما بالسمطة الجلدية للآخرين . والجلابة والبرنوس والكسا والسلهام ألبسة فوقية تغطي الجميع . ولربما جعلت جلابة فوق جلابة أو كما يقال « وَنْدية فوق وندية ».

هذه أزياء الذكور . وأما الاناث فكان للحضرية الحرة الحائك محل الجلابة و « الدفينة » مكان الفرجية والتحتية بدل التشامير و « المضمة » عوض الكرزية . وكان لها مجدول تشمر به لجمع أطرافها . وقد تستر وجهها ببرقع او نقاب او لثام تحت الحائك .

وكانت النساء في تطوان ـ وغير تطوان ـ يصنعن لثمهن من قماش أبيض يتراوح طوله بين 60ر1م و 50ر1م وعرضه 50ر0م ويطرزن طرفيه بأنواع من طرز الأبرة وبألوان من الحرير الهندي الجميل (24) . وكانت « الجَبْليات » يغطين رؤوسهن بقبعات من دوم .

الحائك كان يرتدى في الحواضر على طريقة خاصة تستر به المرأة كافة جسمها ان كانت بالشارع ولا تدع الا فتحة مثلثة او مستديرة امام عينها للنظر تدعى « العوينة » . والحائك كما تقدم من المروط بخلاف الجلابة التي هي من المخيطات .

ولئن كانت المرأة في المدن محتجبة ، فالمملوكة والقروية ليستا سافرتين تماما . كان لهما الأزار الذي هو ايضا من المروط التي بها « عَزْفة » (وهي خياطة جانبية من جهة الطول كيلا تنسل اللحمة من السدى) ولكنها

---

24 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 320 (1)

كانت تخفي ملامحها ورأسها بمنديل . وعند لقاء الأجنبي كانت تشيح عنه وجهها أو تستره بذيل أو بطرف من ردائها . وكان ذلك مجرد دثار من حياء . (25) وكان طول الازار 8 امتار للنساء ولا سيما في ناحية فجيج (26) .

الحضرية أشد أناقة في زيها من القروية التي كانت ظهيراً لزوجها في شؤون الحياة .

اللباس المهني كاد يتلخص في الفريول (تحريف ـ فيما اعتقد ـ لاسم التاجر الفرنسي فريوه Ferrieu) . وهو من نوع « البلوزة » وقد يجعل فوقه جلباب . والفريول ملون يلبس للوقاية من الأوساخ والأقذار الحرفية كالصباغة والدباغة .

اليهود المغاربة كان لهم لباس خاص شبيه بلباس المسلمين .

وقد ظل الزي المغربي على حاله ولم يبدأ في التغير إلا بالتدريج ولا سيما عند ما بدأت البضائع والمنسوجات الأجنبية تغزو الأسواق بأثمان زهيدة . وشوهدت في آخر القرن 19 ـ حسب مييج كما سيرد في مكان آخر ـ أعداد كثيرة من البدويين يرتدون قمصانا من صوف وقطن صنعت بالخارج .

* * *

ب ـ الرأس

كان تارة عاريا وتارة مكسوا . وكان « قب » الجلابة او البرنس سترا ـ قبل كل شيء ـ لمن لا ستر له من الرجال ، وكانت انواع أخرى للنساء ، كالشال والحناكة والمنديل والسبنية ، دثارا لهن ، يضفن اليها في الغالب عصابة تستر الجبهة وتحيط بالدثار كله او بعضه . وفي فجيج كانت للنساء ايضا عمامة تدعى الشمبير وهي من اصل فاسي .

---

25 • عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 138
26 • مارك بونفوس : « منخلة فجيج » ص 62 .

اما الرجال في هاته الواحة فكان لهم الغنور وهو عبارة عن 5 أو 6 من الشواشي المدمّج بعضها في بعض تلتف حولها خيوط طولها يتراوح بين 10 و 30 مترا وتزن نحو 3 كيلوات (27) . على ان الغطاء المعهود في غير هاته النواحي كآن للرجال اما العمامة واما الطربوش واما الطاقية او الشاشية على انفراد غالباً او اجتماع نادرا .

« الرزة » اي العمامة كانت مفضلة وشريفة لأنها سنة و « حاجز بين المسلمين والمشركين » حسب الحديث النبوي . ولذلك كان الفقهاء واعضاء المخزن لا يبغون بها بديلا . كانت بيضاء في الحاضرة والبادية وقد يجعلها اهل الصحراء والبوادي ملونة ويتخذون لها عذبة او عذبتين مسدلتين خلف الكتفين .

العمامة شقة نسيج قد تـلاث' مباشرة فوق الرأس بعد طيها علـــى قدر معين او تبرم مثل الحبل . ومن العادة لفها فوق القلنسوة او الشاشية او الطاقية . وكل دور من العمامة يدعى الكور . ويحكي ابو بكر عبد الكافي ان الحلاق التونسي كان يتعاون مع غلامه في برم « الكشطة » او طيها .

والحقيقة ان الحلاق التونسي لم ينفرد بذلك ، فقد كان الحلاق المغربي ايضاً متخصصاً في « ضربــ»ــها . ومع ذلك لم يكن الأمر وقفاً على الحلاق وحده ، بل كان بعض الناس يحسنون قولبتها اي برمها بمعونة اهلهم علـــى قالب معين وخصوصا يوم الجمعة بعد الاغتسال والوضوء وقبل التعطر ببخور العود القماري وارتداء الثياب النظيفة لحضور الصلاة على احسن هيــــأة وافضل بزة متأبطين اللبدة الصوفية او السجادة الدومية .

أبعاد العمامة مختلفة لكن طولها الكامل لم يكن يعدو 5 امتار وعرضها 40 سنتمترا في تونس ومثل ذلك في المغرب على الراجح .

الطربوش طرابيش : الفاسي والطاسة والمخزني والمشقوق .

---

27 . مارك بونفوس : « منخلة فجيج » نفس الصفحة المشار اليها سابقا .

الطربوش الفاسي أشبه ما يكون بالتركي الأسطواني القديم وكـــان يتخذ من صوف أحمر داكن أو قان . وكانت له في مؤخرته « شوشة » اي شرّابة هي عبارة عن ضمة تتألف من ذنب تتدلى منه خيوط . وربما كان في تأخيـــر الطربوش عن الجبهة أو تحريفه جانبياً دلالة ما ، عند ما كان بعض المتأنقين المعتصرنين « يعنكّرون » طربوشهم إظهاراً للظرف أو لأبراز ارتباطهم بدنيا العلم والأدب .

طربوش الطاسة (وسمي بها للمماثلة بينهما في الشكل) كان دون شرابة ولكن له ذيل ، وهو اشبه ما يكون بالتونسي المقعر المستدير الخالي من الذيل والشرابة معا ، ولو ان الطربوش التونسي كان منه نوع له شرابـــة طويلة . لون الطاسة أحمر مثل الفاسي وكان ـ لخفته ـ اعتمام الصغار من الصناع والتجار وبعض الطبقات الشعبية .

الطربوش او الشاشية المخزنية كان للجيش والأعوان وهو هرمي مستطيل وليس بالأسطواني كالفاسي . لونه احمر قان او داكن وله شرّابـــة وذيل . وهو مثيل القلنسوة الشامية وما يزال الى الآن من ازياء المخازنية بالقصور الملكية .

ولم أقف على ما يدل على وجود الطربوش المشقوق الشبيه بالعراقي الحالي بالمغرب وثبوت الاعتمام به هنا في القرن الماضي .

التحلل من الرسميات كان بالطاقية داخل البيوت وحتى خارجها لرشاقتها وخفتها وبساطتها . الطاقية محبوبة عند اهل مراكش والحوز وسوس ومفضلة ايضا عند غيرهم من صناع وتجار وعوام يؤثرونها على غيرها من الاعتمامات . وهي تارة صوفية وتارة قطنية وهي مقعرة كالشاشية ونظيـــرة العرقية الشرقية التي تنشف الشعر من العرق ، وشاشية اليهود المغاربة وطاقية الاخفاء الخرافية في « ألف ليلة وليلة » . وكان اهل الجنوب يضيفون اليها تحريف الشكارة (الحقيبة الجلدية لحفظ النقود و « الكواغط ») مـــن جانب ، و « والكميّة » (خنجر صغير بمجدوله) من جانب آخر .

على ان الشاشية هي ــ قطعا ــ غير الطاقية لأنها ليست مقعرة وغير القلنسوة المخروطة الشرقية التي لا يظهر انها كانت موجودة في المغرب في القرن التاسع عشر ، ولكنها كانت مستعملة في الأندلس والمشرق .

* * *

ت ــ القدمان :

والآن نقفز من قمة الراس الى اخمص القدمين لنرى شيوع حذاء مغربي أثيل أصيل على نطاق واسع : البَلْغة للرجال والرّيحية (او المشاية) للانتعال العادي النسوي . على ان الشربيل كان اجود من الريحية لأنه مطروز وهو بذلك ذو ثمن غال .

البلغة كانت في الأغلب صفراء للمسلمين وسوداء لليهود ، وكانت هي الغالبة ، كما لمحت الى ذلك ، لا يستبدل بها المغاربة في الخارج غيرها وكانوا يستوردونها ، بينما كانت النعال كما تقدم سائدة في الصحاري والجبال .

كانت للبلغة في اقصى الجنوب قطعة جلد مخيطة تجعل وراء العقبين لتثبيت الرجلين في الحذاء .

الصندل أو النعل اتخذ في الجنوب كذلك من جلد البقر . وكان مربوطا بخيوط من المصران (28) .

وثمة نعال داخلية من جلد خفيف او من خشب : الخف كان حذاء الخاصة يقوم مقام الطرابيق فيما مضى او مكان الجوارب الآن . ويجوز الدخول به للمساجد والأضرحة وصدر البيوت لأن البلغة كانت تحته تحفظه من الأوساخ والأقذار . ولذلك كانت الصلاة صحيحة به . اما للوضوء وللطهارة فكانت « القباقب » مفضلة لأنها سهلة التنظيف .

* * *

28 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 429 ــ 430

هذا بعض ما تيسر لي من القول عن آداب اللباس والاعتمام والانتعال باصطلاحات سكان الحواضر الساحلية والداخلية وبعض المناطق القروية والصحراوية حسبما أتذكره وادركه بصواب او خطأ . ولا بأس من اضافة ان الصحراويين كانوا متلثمين ، وان المرأة ـ عروسا كانت او نَصَفاً ـ كانت تحلي معصميها واذنيها وجبينها واصابعها وخصرها وقدميها بالجواهر والذهب والفضة وترتدي اثواب الحرير النفيسة . وكانت للنساء « تقشيطات » ممتازة للمناسبات لمن لهن سبيل الى ذلك .

وقد حرص الرجال على تطويق اللحية (ولا يطيلها منهم في الغالب الا المُعمَّرون والا الطرقيون ذوو السبحات الغليظة الخَرَزات او رقيقتها) وعلى قص الشارب كما جاء في الحديث المشهور . واظن ان اهل المغرب الشرقي كانوا يطيلون « العصافير » اقتداءاً بأتراك الجزائر ويبرمون شواربهم الى اعلى بينما كانت للأطفال « قطاية » اي ذؤابة من شعر ، وسط الراس الحليق ترسل وتمشط كظفيرة النساء والبنات . ولا ينبغي ان ننسى انه كان لبعض الشخصيات والأشراف ـ ولا سيما من العلويين ـ « نواظير » اي عارضان من شعر الراس يُبرمان فوق الصدغين تمييزا لهم عن غيرهم .

وأود أن اذيل بالكلام على أن تغيير اللباس كان علامة على الردة (29) سيما وان النبي صلى الله عليه وسلم جعل العمامة حاجزا وجنة من الكفر كما اوصى بالعفو عن اللحية وقص الشارب .

كانت السراويل الفضفاضة عائقة عن الحركة وخصوصا من تلزمهم حرفتهم النشاط والخفة . ولذلك نصح جون هي المخزن ـ على وجه التلميح ـ بتضييق لباس الجنود والفرسان (30) .

---

29 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 31 (نقلا عن « اختصار الابتسام » لمحمد بن الحسن الحجوي) .

30 . المصدر الأول السابق ص 30

ومع ذلك كانت عادات المغاربة في احتْبائهم وشكل ازيائهم ولونها ونوعها ومادة صنعها ولهجتهم واصطلاحاتهم وادوات عملهم ناطقة بليغة للتعبير عن الدور الذي يضطلعون به واستكناه البوتقة التي صيغوا فيها والتنبؤ بالمحيط الذي يعيشون فيه وجواز معرفة مسقط الراس والمحتد والأرومة وحتى الدرجة التي وصلت اليها العقول من تطور او جمود .

* * *

2 — 3 : تصنيف ديموغرافي

يدور الكلام هنا عن سكان المغرب عامة ثم عن سكان الحواضـــر .

2 — 3 — 1 : أعداد سكان البلاد

ليس بين ايدينا عناصر احصاء المغاربة من مسلمين ويهود في القرن التاسع عشر . ولم اقف على اهرام اعمارهم ولا على تفصيل ذكورهم واناثهم ولا على تمييز صغارهم من كبارهم او على معرفة النشيطين منهم القادرين على العمل ، لأن فهم هاته المعطيات الديموغرافية لم يرد الا بِأخَرَة : تخصص في دراسته مهرة العلوم الاجتماعية والاقتصادية .

وكل ما عندنا تقديرات مضطربة ومتباعدة ، تجعل الركون اليها لأول وهلة امراً صعباً ، اذ بينما يقدرهم جيـمس ݣري جـاكسون J. Grey Jackson بــ 14.800.000 نسمة في بداية القرن اذا بمعاصره قنصل السويد والنرويج يعقــوب ݣرابــرغ آف هيمســو : Jacob Graberg af Hemso يجعلهم 8.500.000 اما ادولف ده كارامان A. de Caraman فلا يعدو بهم عن 5 أو 6 ملايين (31) وكل هؤلاء كانوا بالمغرب في بداية القرن . غير أن هناك من المؤلفين الأجانب مثل موليراس وده لامارتنيير من وصلوا بسكان المغرب

31 . جاك كايي : « مهمة القبطان بوريل بالمغرب سنة 1808 » ص 106 (1)

في نهاية القرن الى 25 مليونا (32) او الرحالة الأنجليزي الدكتور ليرد الذي قدرهم سنة 1872 بين 4 و 15 مليونا بحسب الروايات المتضاربة (33) .

ويجوز على كل حال ان تكون ارقام كارامان اقرب الى التصديق في النصف الأول من القرن التاسع عشر لأن جون دروموند هي الذي عرف المغرب اكثر من غيره كان يعتبر سكان البلاد حوالي 1880 يتراوحون بين 7 و 8 ملايين منهم مئات الآلاف من اليهود المغاربة اي ما بين 200 الف (34) و 500 الف .

ولئن كان اعتمادي ارقام بضعة الملايين اعتمادا ثابتا فما ذلك الا لأن هاته الأعداد كادت ان تكون صحيحة كنظرية نقبلها مضطرين لانعدام سواها ، مع التذكير — كما قلت سابقا — بانه لم يقع احصاء علمي سديد بموافقة المخزن على اجرائه او على التفويض في ذلك لنصارى اجانب ، كان من مشاغلهم كشف العوارت والاطلاع على الخبايا ، ومن اجل ذلك كان يحصرهم بالثغور ولا يسمح لهم بالتغلغل الى داخل البلاد الا باذن خاص .

هاته هي حصيلة سكان البلاد . وما دمت لا أنوي الآن الحديث عن اهل المغرب عبر جميع العصور ، فلا اقل من تناول الكلام عنهم في بعض فترات القرن التاسع عشر سواء على الصعيد العام او على صعيد الحواضر فقط .

وفي هذا الصدد ، سأسرد اعداد سكان المدن من مسلمين ويهود مغاربة متخذا في ذلك مثلا وسطا هو منتصف القرن ، مع الاشارة الى أني سأورد سكان جميع المدن عند الحديث عنها على حدة ، خلال فترات متعاقبة من القرن المذكور .

---

32 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 40 (46)

33 . عبد المجيد بنجلون : « جولة ... 1872 » ص 119

34 . « المراسلات ... » الانجليزية ص 4 — 8 . جلسة يبراير 1879

2 ـ 3 ـ 2 سكان الحواضر

يرى بعض المؤلفين ان السكان المغاربة بالمدن الشاطئية كان عددهم سنة 1856 م يبلغ 87.000 نسمة ، منهم 22.000 من اليهود هكذا (35) :

المدينة :	المسلمون :	اليهود :	الجميع :
تطوان	14.000	8.000	22.000
طنجة	9.750	250	10.000
الرباط	18.000	7.000	25.000
الدار البيضاء	1.900	100	2.000
الجديدة	2.850	150	3.000
آسفي	7.500	2.500	10.000
الصويرة	11.000	4.000	15.000
المجموع	65.000	22.000	87.000

اما المدن الداخلية كفاس ومكناس ومراكش فتتضارب الروايات في تحديد عدد القاطنين بها . ولا بأس ان اذكر بعض الأرقام عنها حتى ولو كانت مشوشة متنافرة :

فاس : 88.000 نسمة سنة 1859 او 100.000 سنة 1866

مكناس : 50.000 في آخر القرن الماضي

مراكش : 30.000 نسمة سنة 1877 او 100.000 سنة 1862 (36) .

---

35 . مييج « المغرب واوربا » ج 3 ص 273

36 . نفس المصدر ج 3 ص 24 (4) .

وسنرى ان هناك من يجعل لمراكش 300.000 نسمة ويشق على الباحث تصديق ذلك دون تمحيص . وهاته الأعداد قليلة بالنسبة لأهل البوادي والصحراء والجبال . وينبغي ان يضاف الى السكان الأصليين اولئك العلوج الذين كانت تتراوح أعدادهم بين 250 شخصا في رواية و 4.000 حسب مصادر اسبانية غير مضبوطة كانوا يعيشون بالبلاد في منتصف القرن التاسع عشر في رواية اخرى . وبعد هذا التاريخ تضخمت الهجرة فارتفع عدد المستوطنين الأجانب إلى عشرة آلاف شخص في آخر القرن .

* * *

وسيأتي في الفصل القادم حديث عن المغاربة في الخارج ، وفي الفصل الذي بعده كلام عن الأجانب الطارئين على المغرب ، وسنرى من خلال ذلك اعدادهم ونشاطهم المهني والسياسي وطرفا من اسمائهم .

وهكذا اطلقت على المهاجرين المغاربة اسم « المغتربين » وهم الذين عاشوا في المهجر عدة سنوات ، واستثنيت منهم السفراء الذين زاروا البلدان الأجنبية لمدة محدودة والذين سيأتي الكلام عنهم في مكان آخر .

كما سميت الأجانب الوافدين على بلادنا « المستوطنين » لأن منهم من ولد بالمغرب وفيه نشأ وفيه ترعرع وفيه مات وفيه خلف ذرية لعبت دوراً مهما في حياة البلاد .

3 : المغتربون

مواد هذا البحث :

- تـمـهـيـد
- التمثيل القنصلي بالخارج
- المغاربة في الاقطار النصرانية والاسلامية
- خـاتـمـة

* * *

1 ـ تمهيد

من الشاق العسير الوقوف على أسماء جميع المغاربة الذين عاشوا بالخارج فترة وفيرة او يسيرة . فليس ثمة احصاء تام لهم في شتى البلدان الأجنبية . والجالية الوحيدة التي استطعت معرفة بعض افرادها كانت هي التي عاشت بالقاهرة سنة 1888 كما سيرد ، وبلغ عددها نحو 200 شخص ، ضمن احصاء جزئي وعفوي فقط لم نكن لنطلع عليه لولا تلك الفلتة النادرة من فلتات التاريخ .

ومع ذلك التقطت من بطون الكتب وسطور الوثائق عدداً لا بأس به من المواطنين المستقرين بالأقطار الخارجية . وإذ احاول الآن ان أجمع في هذا التأليف ما تفرق في غيره ، لم أجد بدأ من ان احيد قليلا ـ تأخيراً أو تقديماً ـ عن الاطار التاريخي الذي التزمته .

ويشق على الباحث في هذا المضمار ان يدلي بمزيد من الايضاح عن مهن هؤلاء المغتربين بالخارج وان يستوعب استيعاباً كاملا النشاط الذي كانوا يمارسونه . وكل ما تيسر جمعه لا يغني في هذا الباب الا يسيراً ، مثلما هو مدون عرَضاً في هذا الفصل او في غيره من هـذا الكتاب او مما قد يقـع العثور عليه استقبالا . وعلى كل حال فالأمر عسير ان حاولنا استخلاصه من التراث المغربي العتيق او من تقارير القناصل ومراسلاتهم الموجود طرف منها بالخارج على ما هو مرجح . ومن المشكوك فيه ان يكون ذلك لا يزال محفوظاً ببلدنا حتى الآن لدى الأسر التي كانت تتعاطى التجارة مع الخارج او بالمهجر ، ما عدا القليل (كآل فرج بالرباط او آل التازي وغيرهم) لنستطيع معرفة حجم المبادلات وادراك الاطار القانوني الذي كانت تسير عليه المعاملات بين المغاربة والأجانب في أراضي الغربة . وحتى لو فرضنا وجود مراسلات وحسابات ودفاتر وعقود للتدليل على الرصيد العملي وعلى الموازنة بين الوطنيين والأجانب ، فان تحليل كل ذلك ودراسة ما فيه من عناصر ايجابية من اصعب الأمور لترجمة الواقع وابراز الحقيقة الاجتماعية والاقتصادية في القرن الماضي .

2 ـ التمثيل القنصلي بالخارج

أن التمثيل المغربي بالخارج كان محدوداً نطاقه . إذ عين مولاي سليمان ومن بعده من السلاطين قناصل او وكلاء في المدن الواقعة في طريق الحجاز في كل من جبل طارق وتونس ومالطة والقاهرة والأسكندرية للاهتمام بالجاليات المغربية وبالتجارة الوطنية معا .

أما بالبلدان الغربية فقد كانت بايطاليا قنصلية مغربية لدى بلاط طورينو مع الاقامة بجنوة ولكن سرعان ما طمست معالم هاته الوكالة (1) . ولئن لم يرد اسم الوكيل في بعض المصادر فان نسبه هو مودنة الذي كان قنصلا بجنوة عند ما كان ابن عليل قنصلا بجبل طارق (2) . وهكذا كان للمغرب قنصليتان بأروبا : واحدة بجنوة ما لبث ان افل نجمها ، واخرى بجبل طارق استمرت في نشاطها نحو القرن من الزمان ، للصداقة التي كانت تربط المغرب ببريطانيا التي كانت بالرغم من ذلك قد اعترضت في صدر القرن التاسع عشر على تعيين قنصل بلندن (3) .

ومثلها في ذلك فرنسا التي مانعت في توطين وكيل مغربي بمرسيليا سنة 1828 كان هو هارون اسرائيل الذي كان تاجراً هناك . ثم تجددت المحاولة سنة 1838 لكي يُصبح اليهودي المغربي كوهين صولال ـ الذي استوطن هاته المدينة قبل تلك السنة ـ قنصلا ثمة . وكانت له بذلك رغبة ليتحلل من أداء الديون التي عليه قِبَل الناس . وظلت فرنسا على رفضها الشديد آنذاك وبعده سنة 1856 عندما طلب يهودي من حلب من اسرة الاطراس Alatras نيل هذا التعيين لنفسه (4) .

---

1 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 29
2 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 125
3 . روجرز : « تاريخ العلاقات الأنجليزية المغربية حتى 1900 » ص 184
4 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 89 (4) و 95 (4)

وفي سنة 1865 كان من اغراض سفارة بنسعيد والشركي الى باريس الحصول من فرنسا على تأييدها لتعيين سفير مقيم بالعاصمة الفرنسية حسبما سيأتي خبر ذلك في موطنه .

ومما لا ريب فيه ان المانيا واسبانيا وغيرهما من الدول لم تكن لتقبل عرض المغرب ـ ان كان فعلا قد قدم طلباً بذلك ـ لأن التجارة معها لم تكن نشيطة ولأن المخزن كان يتجنب تمثيله فيها ولاسيما اذا كان على يد العنصر اليهودي .

* * *

هذا عن اوربا ، اما بالبلدان الاسلامية فلم يكن لهذا التمثيل من وجود رسمي ما عدا بالقطرين المصري والتونسي ، في حين كان للسلطان ممثلون شخصيون باسطنبول .

وقد بذلت الدولة العثمانية مساعي لربط الاتصال بنصب مفوضية بطنجة ، لكنها لم تكن ذات جدوى كما سيأتي .

ويغلب على الظن انه كان للسلاطين المغاربة وكلاء او عملاء لدى ولاة طرابلس في القرن الثامن عشر . ومثل ذلك بالجزائر في العهد العثماني . لكن الاحتلال الفرنسي كان حائلا دون استمرار ذلك . اذ كان لداي الجزائر وكيل بتطوان سنة 1817 هو عبد الكريم ابن الطالب ، ولا شك ان بعض التجار المغاربة بالجزائر كانوا يقومون بنفس المهمة قبل الوجود الفرنسي او بصفة شخصية او رسمية .

وعند حلول مواسم الحج كان السلطان يعين أمير الركب لمساعدة الحجاج . اما اعمال البر فكان يوفد لها امناء او يكلف بها اشخاصاً رسميين مثل ما فعله سنة 1274/1858 عند ما عين مولاي عبد الرحمان وكيله بمصر الحاج محمد الرزيني لشراء عقار وتحبيسه على مؤذني الحرمين .

وعلى الرغم من وجود احباس بالقدس فلم اعثر على من كان مكلفاً بها ، ويُفْتَرض أن بعض المغاربة كانوا يتولون ذلك . اما بالبلدان الأخرى من عربية وافريقية حيث كانت تقيم جاليات مغربية فلم اقف على اسماء وكــلاء سلطانيين .

* * *

3 ـ المغاربة في الخارج

فعلى هذا اذن عاش طائفة من المغاربة خارج بلدهم امداً طويلا للتجارة ، او لها وللاستيطان ايضاً . او لطلب العلم ، او قضوا شهوراً معدودة لأداء فريضة الحج او للمجاورة والعمرة .

ولن اتحدث الا عرضا عن الفقهاء والطلبة وعن افواج الحجيج ، لأن تناول الكلام عن هذين النوعين من المهاجرين ليس من اختصاص هذا التأليف ولا من مقاصده ، فقد تكفل باحصاء اعضاء البعثات الطلابية الى الخارج قليل من المؤلفين المحدثين والقدامى مثل عبد الرحمان ابن زيدان ومحمد المنوني ، وفصلوا بعض القول عنهم حسبما لديهم من وثائق ومراجع .

أما الحجاج فلا علاقة لهم بمسائل الحماية ولو أن النواب كانوا يتدخلون لفرض الحجر الصحي بالصويرة وطنجة عليهم عند رجوعهم مــن الديار الحجازية ، ولو أن من أسباب تعيين قناصل المغرب بجبل طارق والشمال الافريقي كان ايضا العناية بشؤون الحجاج الذين كانت اعدادهم في اواخر القرن تتراوح فيما بين 1000 و 2000 في المعدل (5) ، إثر انخفاض أثمــان النقل البحري بعد ان كانوا لا يتجاوزون 100 حاج سنة 1826 و 250 سنة 1842 بينما غرق سنة 1838 منهم 73 حاجا (6) دون ان يعلم العدد الكامل للحجاج في هاته السنة الأخيرة .

---

5 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 212

6 . مييج : « المغرب واروبا » : 2 ص . 155 (2)

كان اول الناس نزوحا الى الخارج عنصر اليهود الذين ربطوا اتصالات وثيقة مع بلدان اروبا فمثلوهم تارة بوصفهم قناصل ، ومع تجارهم فكانوا تارة اخرى وكلاء لهم قبل منتصف القرن التاسع عشر في عدد من الثغور المغربية . ولما ظهر لهم ان في تلك التجارة ربحاً وفيراً بالخارج هاجروا — في الغالب بايعاز من المنظمات اليهودية العالمية — الى الأقطار الغربية فاستوطنوها وكانوا في ذلك يرمون الى الاثراء والى اجتناب ضغط الحكام المغاربة عليهم والأمان على انفسهم وأموالهم بالتجنس والاحتماء .

ولم يقتصر الأمر على اليهود المغاربة فسرعان ما تفطن لذلك مغاربة مسلمون من فاسيين وتطوانيين ورباطيين فنزحوا منازح مختلفة .

وكان بعض التجار لا يعودون الى مساقط رؤوسهم الا متى أثـــروا وكان منهم من يقضي بين 20 و 25 سنة بالمهجر ، على ان كثيراً ممن عادوا بين 1885 و 1890 احتلوا مناصب مخزنية مختلفة (7) .

وهكذا لم تخل مدينة تجارية مهمة في القارات الثلاث من تجـــار مغاربة اغنياء نشيطين استطاعوا بمواهبهم ان يبزوا الأوروبيين (8) . ومن تلك المدن منتشيسطر وليفربول وهامبورغ وجبل طارق والجزائر وليفورْنو وتونس والقاهرة وبيروت ودكار وتمبوكتو (9) .

وحوالي 1860 سافر نحو 3 آلاف مغربي الى الخارج ، منهم 400 او 500 الى اروبا والباقي الى المشرق (10) بعد ان كان المخزن يمنـــع النزوح الى الخارج . اذ في بداية القرن التاسع عشر كان السلطان مـــولاي

---

7 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 214

8 . عبد الله العروي « الأصول ... » ص 105 (نقلا عن « تقـــويـــم المؤيـــد » 1906/1324) .

9 . المصدر السابق ص 107

10 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 1 ص 82 (نقلا عن كتاب « وصف المغرب وتاريخه » الذي الفه الراهب ليون كودار L. Godard فـــي جزائين سنة 1860) .

سليمان يحول بين المغاربة وسفرهم الى الأقطار الأجنبية . الا انه تساهل مع اليهود . « واما المسلمون فمنعهم من التجارة بأرض العدو لئلا يؤدي ذلك الى تعشير ما بأيديهم او المشاجرة مع الأجناس » (11) .

ولكن خلفه مولاي عبد الرحمان لم ينهج نفس السياسة فسرح السفر لذوي المروءة منهم ، وهذا ما قاله في رسالته سنة 1824 الىمحمد أشعاش عن ركوب البحر : « وقد كان في عهد سيدنا الكبير لا يركبه الا فلان ممن له دنيا ودين ، فصار اليوم مَلْعَبَةً . فليكن عملك على تسريح اهل المروءة والدين والمال دون غيرهم » (12) .

وكان لموسري التجار المغاربة بالجزائر وجبل طارق قليل من الاحترام لدى الأوساط الشعبية بالرغم من تسميتهم تجار السلطان . فالصوفي محمد الحراق التطواني المتوفى سنة 1854 التفت الى رجل يتجر في جبل طارق منذ عشر سنين ولا يأتي لتطوان الا قليلا فقال : يافلان ، هل ضاقت عليك الأرض فلم تجد متجراً الا في بلد الكفر وسهل عليك معاشرتهم تاركا الجُمُعات والجماعات والغنى بيد الله ؟ (13) ولا شك انه كان يخشى عليه ــ بمعاشرة النصارى ــ الارتداد عن دينه كما سيرد بانجلترا . وهذا حكم قاس عنيف متطرف .

فكلامي اذن سينحصر فقط في الذين استوطنوا البلدان الأجنبية للتجارة والمكوث الطويل منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريبا . وسيكون علي ان اميز بين من ذهبوا للبلدان الغربية النصرانية وبين من رحلوا الى الأقطار المشرقية والافريقية الاسلامية .

* * *

---

11 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 8 ص 169 وعبد الله العروي : « الأصول ... » ص 320 و « تاريخ المغرب » لجماعة من المؤلفين ص 285

12 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 91

13 . المصدر الأخير ج 6 ص 394 وكذلك عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 321 (نقلا عن ص 413 من مخطوط « اختصار الابتسام » لمحمد بن الحسن الحجوي) .

3 . 1 : المهاجرون الى الأقطار المسيحية :

نزح المغاربة في أعداد قليلـة طبعا الى الولايات المتحدة وانجلترا والمانيا واسبانيا وفرنسا وايطاليا وجبل طارق والبرازيل والأرجنتين والشيلي والبيرو وڤنزويلا كما سيذكر فيما بعد .

ولئن كنت سأقصر بحثي على المسلمين فقط بحيث لا أتطرق للحديث عن اليهود الا نادراً ، فما ذلك الا لأني لم استطع التمييز بين يهود المغرب ويهود غيره . وغالب كلامي اذن سيكون خاصا بالمسلمين من تجار ومغتربين .

* * *

أ ـ الولايات المتحدة الأمريكية :

1 ـ **الحسن السوسي** : هاته التسمية ناقصة فلا تكفي لمعرفة هـذا التاجر الذي كان يقيم بأمريكا التي لعلها الولايات المتحدة ، من غير ان تذكر الوثائق الناحية التي كان مستقرأ بها . فقد ورد عنه أنه لما عاد الى المغرب حظِي بمقابلة السلطان الحسن الأول الذي « أكرمه بفرس عتيق بسرجه مذهباً وسرح له وسقه لأمريكا دون كراء يلزمه » (14) وذلك قبل 1892 .

2 ـ **الحاج عبد الله بن التهامي البقالي** : كان مقيماً حوالي 1892 أيضاً بالولايات المتحدة دون توضيح المدينة التي كان يقطن بها . وكان له وكيـــل بالجديدة في شخص أخيه الحاج محمد . وقد ورد عنهما ان « القائد عمـــر الشتوكي قد استولى على ماله » أي ما كان يملكه الحاج محمد « من البلادات والسواني ببلاد شتوكة . وكان الحاج عبد الله يوجه للقبيلة اوراق المخالطة على يد أخيه الحاج محمد بقصد اشترائها وصار يخوض بقبيلة شتوكة

---

14 . رسالة غريط الى الطريس في 8 رجب 1309/7 ببراير 1892 ـ محفظة الطريس 22 .

ويستدعي الناس للحماية والمخالطة » (15) . ولما كان الحاج محمد يريد مغادرة المغرب للالتحاق بشقيقه منعه الكولونيل ماثيوز من ذلك (16) .

3 — **ليون غْزِيّل** : كان يقيم بمدينة نيويورك للتجارة سنة 1888 . وكان له سماسرة بالمغرب وخاصة بالقصر الكبير كما سنرى ذلك في محله .

4 — **إلياس ابن الطويل** : وكان مستوطنا باحدى مدن الولايات المتحدة قبل ان يعود سنة 1889 الى المغرب (17) ويقيم بمدينة العرائش بوصفه نائبا قنصليا كما سيرد خبر ذلك .

* * *

ب — **إنجلترا** :

لا مراء في أن التجارة بانجلترا كانت تستهوي أفئدة عدد من المغاربة على اختلاف مشاربهم وديانتهم . ففي سنة 1886 تضخم أفراد الجالية الفاسية بمنشيسطر بعد ان كان أعضاؤها قليلين سنة 1860 . وفي سنة 1892 وصل عدد المسلمين بهاته المدينة الى 40 شخصاً ارتد منهم اربعة عن الديانة الاسلامية واعتنقوا البروتستانتية (18) .

ولم يكن المغاربة يذهبون لأنجلترا للتجارة فقط بل توجه ايضا حوالي 1876 ستة من الصناع للمشاركة في معرض للصناعة التقليدية حسبما يبدو من توصية صدرت في شأنهم لكي ينفذ « لعيال المعلمين الستة ، الذين توجهوا للوندريز من النجار والفخار والحداد ومن معهم ، نصف ما قبضوه من الصلة والزرع عند سفرهم إعانة لهم » (19) .

---

15 . من رسالة موجهة الى باشدور المركان في 23 ربيع الثاني 1310/13 نونبر 1892 — محفظة المغرب امريكا .

16 . رسالة الى فليكس ماثيوز في 26 جمادى الأولى 1310/16 دجنبر 1892 — نفس المحفظة .

17 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 577

18 . مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406 (3)

19 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الأتحاف » ج 4 ص 373

وحوالي 1874 كان بمدينة مانشيسطر وحدها حوالي 12 شركة مغربية لشراء المنسوجات القطنية (20) .

وبعد ان يثروا في بلاد تجارتها تعتمد على التوسط في بيع الانتاج الأجنبي والانتاج البريطاني معاً يعودون الى المغرب . وكثيرون هم الذين يرجعون مثل ذلك الشيخ الرباطي « الذي قضى بانجلترا 16 سنة ويتحدث الأنجليزية بذلاقة » المذكور في كتاب الرحالة إدموند هولت (21) .

ومن التجار والشركات التي كانت ترتبط بمعاملات وتبادل ، اذكر وليام كراهام : W. Graham الذي استمرت داره على علاقة مع المغرب طيلة 50 سنة . أما شوستر : Shuster وكلاسفورد : Glasford وشركة طوطل وبرودهارست ولي LEE, Tootal, Broadhurst وشركة بيتي التجيلد : Betty Altgeld فقد كانت لهم مبادلات (22) اما مباشرة واما عن طريق متاجر جبل طارق واما بواسطة تجار مستقرين بأغلب الثغور والمدن المغربية .

ولم يكن بانجلترا فاسيون فقط ، بل كان بها ايضا حوالي سنة 1840 من اهل سوس « 30 مشعوذاً باشروا ألعابهم في مدينة لندن وتزوج احدهم بفتاة انجليزية اولدها ابنا اسماه عليا » (23) حسبما ذكره الرحالة الأنجليزي الدكتور أرثور ليرد A. Leared الذي لما وصل الى مرسى الصويرة خاطبه بحري بلغة انجليزية جيدة ، فكان ذلك سبباً في استفساره عن حياته فعلم انه ولد بانجلترا ثم عاد الى المغرب قبل ذلك التاريخ .

ويبدو ان عليا المذكور هو المدعو علي ورصاص الذي كان بحريا يعمل في السفينة الأنجليزية « مكناس » التي أخرج منها بمرسى الصويرة سنة

20 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406 وآوجين أوبان « مغرب اليوم » ص 298

21 . سلسلة « جولات في مغرب أمس : 1911 » لعبد المجيد بنجلون الذي تطرق الى تعريب الرحلة ببعض التصرف ص 52 .

22 . جان لوي مييج « المغرب واروبا » ج 2 ص 510

23 . سلسلة « جولات في مغرب أمس : 1872 » ص 45 لعبد المجيد بنجلون الذي لخص رحلة الدكتور أرثور ليرد الى المغرب .

1889 أسلحة « بلدية اخذت منه كطربنضوا » (24) . ثم لا يستبعد ان يكون علي هو المدعو علي أدولفوس قاسم الذي كان احد الرعايا المغاربة المولودين بانجلترا وكان بَحّاراً وكان عمره سنة 1871 يبلغ 24 سنة . وقد ورد اسمه بعد اسم امرأة تدعى ميري آن بن قاسم Mary Ann المولودة بانجلترا وعمرها 60 سنة (25) . ولا شك انها امه . وهكذا فان الشخصين علي ورصاص وعلي أدولفوس قاسم ما هما الا شخص واحد على الراجح الأغلب .

أما باقي المستوطنين والتجار بانجلترا فهم :

1 — **الحاج الطالب بن الحاج حمادي الأزرق** الذي كان تاجرا قبل 1886 بمدينة منشيسطر ولمدة طويلة . وكان اخوه الحاج محمد شريكا له بفاس . ولما عاد الحاج الطالب الى المغرب صار وكيلا عن الشركة الأنجليزية كودينكطون (؟) Coddington (26) ثم وكيلا للتاجر (أو للتاجرين) طوماس ث . وِرْسْ Thomas Th. Worth (27) .

2 — **محمد بناني** : كان يقيم بمنشيسطر ايضا حوالي 1891 ، ولكن كانت له كذلك محلات تجارية بمصر . على انه كان له نائب بفاس هو اخوه الذي كان يتوصل بالسلع من شقيقه محمد ليبيعها بالمغرب ويصدر لمصر أيضا بضائع مغربية مثل الأحذية التقليدية (البلاغي) . وقد ورد عنه اتخاذه الجنسية البريطانية (28) . كما ان عائلة بناني كانت تقيم بهاته المدينة مدة تزيد عن 40 سنة (29) أي منذ 1867 .

---

24 . رسالة الأمينين احمد التازي وعبد السلام غرسية الى السلطان في 28 جمادى الثانية 1306/28 يبراير 1889 — محفظة الصويرة 4 .

25 . مييج « المغرب واروبا » ج 5 ص 160 .

26 . رسالة كربي كرين الى الطريس في 11 نونبر 1886/14 صفر 1304 — محفظة المغرب بريطانيا .

27 . رسالة كربي كرين الى الطريس في 30 شتنبر 1887 — نفس المحفظة .

28 . رسالة هربيرت وايط الى الطريس في 12 ماي 1891/3 شوال 1308 نفس المحفظة .

29 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80 (نقلا عن « تقويم المؤيد » 1906/1324) .

3 — **الحاج الطالب الحلو** : كان مقيما مدة تزيد — قبل 1871 — على العشرين سنة . وقد اكتسب الجنسية البريطانية (30) ولم يعرف نوع نشاطه الذي قد يكون هو التجارة .

4 — **الحاج أحمد جسوس** : استوطن الحاج أحمد هذا مدينة منتشيسطر واتخذ الجنسية البريطانية . وكان يتجر بها ، ومن جملة تجارته استيراد الجلود التي ثقفها امناء المكس بفاس على اخيه وشريكه الحـــاج أبي بكر سنة 1886 حتى يؤدي عنها الواجب في ذلك (31) .

لكن ذكرت مصادر اخرى ان اسرة جسوس دون تحديد كانت تعيش حوالي 1907 بلندن (32) وأن آل جسوس كانوا موزعين بين هاتين المدينتين وجبل طارق وغيرها ايضا .

5 — **الحاج المهدي ميكو** : كان مقيماً ايضا بمنشيسطر حوالي 1887 . وكان من جملة شركائه في التجارة عبد الواحد الحلوي والحاج عبد الكريم بنيس الذي كان أمينا للمكس بطنجة . وفي تلك السنة قدم ميكو الى المغرب لاستخلاص أمواله بمراكش والدار البيضاء والجديدة وفاس . وعن زيارته صدرت توصيات عليه لدى السلطات (33) .

ويبدو أن احد التجار البريطانيين كان شريكاً له وهو وليام فري (؟) W. Furrey (؟) الذي قدم سنة 1888 ليتابع شخصياً أو لفائدة الحاج المهدي نفس التجار (34) مما يدل على ان رحلة الحاج المهدي الأولى لملاحقة زبنائه امام القضاء لم تثمر شيئا .

---

30 . رسالة بوشتى ابن البغدادي الى الطريس في 22 رجب 1308/3 مارس 1891 — محفظة الطريس 20 .

31 . رسالة جون هي الى الطريس في 20 ماي 1886/12 شعبان 1303 — محفظة المغرب بريطانيا .

32 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80

33 . رسالة كربي كرين الى الطريس في 3 اكتوبر 1887/14 محرم 1305 — محفظة المغرب بريطانيا .

34 . رسالة كربي كرين الى الطريس في 7 نونبر 1888 — نفس المحفظة .

6 — **اسرة بنيس** : لم يعرف من اسرة بنيس من كان تاجرا بمدينة ليفربول في نهاية القرن التاسع عشر او بداية القرن العشرين ، لكن هذا التاجر كان موجوداً بتلك المدينة في ذلك الوقت (35) .

7 — **عزوز ابن كيران** : كان يعيش للتجارة بمنشيسطر سنة 1863 وكان يستثمر قسطا من امواله بالمغرب كما كان من الذين بقوا هناك حتى سنة 1893 او بعدها (36) .

8 — **الحاج الطالب ابن جلون الفاسي** : الذي اكتسب من تجارته بانجلترا منذ 1865 ارباحا طائلة اقتنى ببعضها ملكية بأحواز الدار البيضاء سنة 1870 (37) وكان قبل 1883 متجنساً بالجنسية الأنجليزية (38) وهو غير سميه الحاج الطالب ابن جلول (بلام ثالثة) المتوفى سنة 1846 والذي سيأتي خبره بجبل طارق .

9 — **أبو عمرو الأحرش السلاوي** : اتجر بلندن قبل 1886 . ولعله كان من مصدري الصوف المغربي بعد عودته للمغرب . وقد وقع له إفلاس فيه فاعتقل في تلك السنة على يد عامل مدينة سلا (39) . وكان مدينا للتاجر : لِيتِلْدَل والتاجر: رَغْ . على أنه كان له شركاء آخرون في التجارة احدهما شقيقه الحاج محمد الاحرش والآخر كان هو أبو مسْلَك (40) . ولعل التاجر الأول هو : لي طوطل Lee/Tootal والثاني هو : راج ROGG او RUGG

---

35 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80

36 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 32 و ج 4 ص 406

37 . المصدر الأخير

38 . رسالة بركاش الى السلطان في 12 قعدة 1300/14 شتنبر 1883 — محفظة المغرب بريطانيا .

39 . رسالة الحاج محمد بنسعيد الى السلطان في 24 ربيع الثاني 1303/30 يناير 1886 — محفظة الحاج محمد بنسعيد .

40 . رسالة جون هي الى الطريس في 26 جمادى الأولى 1303/2 مارس 1886 — محفظة المغرب بريطانيا .

10 ـ **بنعاشر العوفير الرباطي** : كان تاجرا بمنتشيسطر قبل سنة 1887 وكانت عليه ديون من قبل لتلدل ورغ سابقي الذكر مع الأحرش . وبعد رجوعه الى المغرب التمس نيل الحماية البرتغالية حسبما سيرد ذكره مع البرتغال بالجديدة .

11 ـ **الحاج عبد الكريم بريشة** : كان يتجر بالمغرب ومنشيسطر وبلدان المشرق العربي حسبما هو مذكور في ترجمته مع موظفي النيابة السلطانية بطنجة ومع السفراء .

12 ـ **مَحمد بن عبد الرحمان بركّاش** : قضى وزير الخارجية شبابه بجبل طارق وبلندن مشتغلا بالتجارة (41) حسبما ذكرْ في ترجمته .

18 ـ **هارون أفرياط** : وقد استقر بمدينة منتشيسطر (42) مبكرا ولعل من أقاربه يعيش ويوسف أفرياط واردي الذكر اللذين كانا بلندن في اواخر القرن .

14 ـ **محمد بنعزوز الفاسي** : كان تاجرا بلندن وكانت قد ترتبت عليه ديون من قِبَل تجار إنجليزيين سنة 1880 (43) . ولعله هو ابن عبد الرحمان بن محمد ابن عزوز الذي كان يتجر بلندن قبل 1903 فتوسل أبوه عبد الرحمان الى الله لكي يسهل رجوعه الى المغرب فعاد فعلا في هذه السنة الأخيرة (44) .

ويذكرني هذا الابتهال الى الله بتضرع مقارب له . فقد كان لبعض أصحاب محمد بن عمر الدباغ الادريسي « أب يتاجر في بلاد الروم . وكان خائفاً عليه ان يموت هناك » . ففاتح ابنُ التاجر في ذلك محمد بن عمر الدباغ فطمأنه ـ حسب رواية صاحب « الأعلام » ـ قائلا : « عليَّ بالحرام لا يموت

---

41 . هنري ده لامارتينيير « ذكريات عن المغرب » ص 29

42 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 510 (9)

43 . عبد الرحمان ابن زيدان : الأتحاف » ج 2 ص 379 ـ 380

44 . العباس بن ابراهيم : الأعلام ... » ج 8 ص 151

والدك الا في بلاد الاسلام ! قال : فكان كذلك » (45) . ولعل في الرواية خلطاً مع ان المسألة واحدة .

15 — **موسي المسيئح** : وهو من يهود المغرب وكان تاجرا بالرباط والدار البيضاء قبل 1865 وهي السنة التي هاجر فيها الى لندن للتجارة وقضى هناك ثلاث سنوات . ولما عاد الى المغرب سنة 1868 اختار المقام بالصويرة (46) .

16 — **مَناحيم أفلالو** : كان تاجرا للسلطان ، ولكنه كان متْتأنْجلزا ومن اصل صويري . وكان سنتي 1878 و 1879 كاتبا للجنة إسعاف ضحايا المجاعة والأوبئة ومراسلا لعدة صحف بطنجة وانجلترا . وبعد وفاته سار ابنه على منواله (47) .

17 — **عبد الرحمان بناني سميرس** : كان محميا فرنسيا ومن كبار الرحالة . وكان له مركزان تجاريان بمنتشيسطر في نهاية القرن الماضي (48) .

18 — **عبد الوهاب التازي** : محمي إنجليزي ، فتح مركزا تجاريا بمنتشيسطر (49) ولست ادري متى كان ذلك وسيأتي الكلام عنه وعن سابقه وعن غيرهما في مكان آخر .

19 — **الحاج محمد الأزرق** : هو من الذين اتجروا بمقاطعة لانكشير ، اي ليفربول ومنشيسطر بين 1887 و 1893 . وقد اسس ايضاً داراً تجارية

---

45 . العباس بن ابراهيم : « الأعلام » ج 6 ص321

46 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 574 (13) ولائحة سماسرة تجار انجلترا سنة 1879 .

47 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 56

48 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال : فاس في القرن التاسع عشر » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » ع 8 سنة 1980 ص 123

49 . نفس المصدر والصفحة

بالقاهرة وتجول بأروبا وكان محميا انجليزيا (50) . وقد تقدم في بداية هذا الفصل انه كان تاجرا بفاس وشريكا لشقيقه الحاج الطالب .

20 ـ **المكي بنعبد الله** : فتح مركزا تجاريا بلندن سنة 1890 (51) . وكان قبل ذلك شريكا لتاجر بجبل طارق يدعى بوطالب وقد صدرت عليه الوصاية قبل سنة 1880 لدى السلطات المغربية (52) .

21 ـ **الحاج عبد السلام بن الحاج محمد التازي الربـاطي الملقب موخا** : كان امين الأمناء سنة 1890 وكان « اول امره يتعاطى التجارة بأروبا ثم ببلده ... وجاب كثيرا أقطار اروبا وتوفي في 26 صفر 1325 » (53) أي 10 أبريل 1907 . وهكذا كان تاجرا ببريطانيا وبالأخص بمنشيسطر ، وفي سنة 1887 أسس فرعاً تجارياً بجبل طارق . اما نشاطه فكان ببريطانيا يدور حول القطن (54) .

22 ـ **الشيخ التازي** : من كبار تجار فاس . استوطن مدينـــة منشيسطر للتجارة في المنسوجات القطنية . ولما عاد الى المغرب عين امينا بمرسى آسفي ثم صار امين الشكارة بفاس . وعند وفاة الحاج عبد السلام التازي سنة 1907 حل محله في منصب امين الأمناء (55) .

23 ـ **الحاج المدني التازي** : غادر المغرب حوالي 1870 للاستقرار بالجزائر اولاً ثم بمدينة منشيسطر ثانياً . وقد رجع الى المغرب بعد الأثراء (56) .

---

50 . نفس المصدر ص 122 وجان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406

51 . ادريس بنعلي : « مثال ... » ص 123

52 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 311

53 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 363 و 370

54 . عبد الهادي التازي : « رسائل مخزنية » ج 1 ص 53 و 62 ـ والدكتور فيسجيربير : « على عتبة المغرب الحديث » ص 67

55 . اوجين اوبان « مغرب اليوم » ص 217

56 . نفس المصدر ص 338

24 ـ **ابن يعقوب بَرِينطي** هو من مدينة طنجة حيث كان ابوه قاطنا بها حوالي 1842 . أما الابن ، الذي لم اقف على اسمه التام ، فقد رحل الى لندن للتجارة هناك وهرباً من المتابعات القضائية ، لأنه كان متهما بأكل اموال الناس تحايلا ونصبا (57) .

25 ـ **مايير بن مَقْنين** . من مدينة الصويرة حيث كان يتولى الوكالة القنصلية عن فرنسا . وكان رجل اعمال بمرسيليا حيث قضت عليه محكمة تجارية بأداء دين قِبَل تجار من هاته المدينة قدره 25 الف قرش سنة 1823 .

وزيادة على ذلك ، كلفه مولاي عبد الرحمان بمهمات رسمية لدى بعض الدول الأروبية ولاسيما انجلترا . وقد عينه أمينا بمرسى الجديدة . وفي سنة 1823 أمضى مير بضمانة القنصل سورود Sourdeau العقدة المعروفة بكنطردة أوڤرار Ouvrard لتموين الجيش الفرنسي المرابط باسبانيا . وكان حاضرا في التوقيع عامل طنجة محمد وميمون الكَرواني . وتعلق الاتفاق المبرم بتصدير 4000 راس من الثيران و 300 الف قنطار من الشعير ولو ان ذلك لم يُنفَّذ في الحين ولم يوسق الا 731 ثورا و 893 قنطارا بسبب المجاعة التي تلت هاته المدة .

وقد استقر ابن مقنين سنة 1828 بلندن (58) .

26 ـ **الحزان يوسف المليح الصويري** كان من كبار الأغنياء وتوفي بلندن سنة 1886 . ولما كان بالصويرة اسندت اليه النيابة القنصلية عن الأمبراطورية النمساوية الهنغارية (59) . ومما لا شك فيه انه كان تاجرا بالبلاد الأنجليزية .

---

57 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 400 .

58 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 156 و 159 حيث صورة العقد ، ومييج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 9 و ج 2 ص 40 (1) .

59 . المصدر الأخير ج 2 ص 441 (3) .

27 ــ **موشي لاريدو** في سنة 1891 رحل الى لندن للتجارة هناك (60) ولعله من يهود طنجة .

28 ــ **أحمد بن محمد بنعبد الله**

29 ــ **ومحمد بن المفضل الكوهن** اللذان كانا سنة 1320/1902 تاجرين بمدينة منشيسطر (61) .

30 و 31 ــ **يعيش ويوسف أفرياط** . قطنا بمدينة لندن سنة 1893 (62) .

32 ــ **الاخوة ليبي** أو الليوي يولي ، المولود بعضهم بانجلترا ، وكانوا سنة 1871 من الرعايا البريطانيين المقيمين بالصويرة واتخذوا لهم سماسرة في قائمتي سنة 1884 و 1889 الأنجليزيتين . واغلب الظن انهم مغاربة .

هؤلاء هم بعض المستوطنين ببلاد الأنجليز . وستأتي اسماء اخرى في غير هذا المكان .

* * *

ت ــ فرنسا

مرسيليا كانت تقريبا هي المدينة الفرنسية الوحيدة التي كان يؤمها التجار المغاربة من يهود ومسلمين ، لأنها كانت باب فرنسا الجنوبي واحد المراسي الكبرى بالبحر الأبيض المتوسط .

لم يلاحظ السفير المغربي ادريس ابن ادريس أثراً لمواطنين هناك سنة 1860 ولكنه وجد تجارا مسلمين (63) هم في الغالب من الشرق وافريقيا

---

60 . رسالة وايط الى الطريس في 5 يونيو 1891 ــ محفظة المغرب بريطانيا .

61 رسالة محمد بن محمد مزور الى امين الأمناء محمد التازي في 20 جمادى الأولى 1320/25 غشت 1902 ــ محفظة المغرب انلجترا .

62 . رسالة ريدجوي الى الطريس في 5 يوليوز 1893 ــ بنفس المحفظة .

63 . مبارك زكي : « من ادب الرحلات ... » في العدد 31 من مجلة « البحث العلمي » اكتوبر 1980 ص 82 .

الشمالية . لكن كان ثمة مغاربة مسلمون بعد ذلك الوقت او قبله مثل محمد الخطيب ومصطفى الدكالي .

اما الباقون فكان منهم :

1 — **ابن زكري** : لم يرد ايضاح اسمه ، لكن كان أخوه هو الحاج الخياط ابن زكري التاجر بفاس . كان ابن زكري يعيش بمرسيليا للتجارة وفيها توفي سنة 1882 (64) .

2 — **الحاج علي بن الحاج** : من أرومة تطوانية . وكان أمينا للداخل (65) قبل مغادرته المغرب . ولكنه بعد الرجوع اليه صار أمينا وعاملا فى نفس الوقت لمدينة الصويرة حوالي1896 وبها توفي بعد سنتين (66) . وبين هاتين المدتين قضى أزيد من 25 سنة بأوروبا تاجرا أي منذ حوالي 1870 فاستقر بمدينة مرسيليا كما اتجر بجبل طارق وجنوة (67) .

3 — **الحاج عبد الكريم بنجلون** : كان تاجرا بمرسيليا قبل 1840. وكان يوجه سلعه الى جبل طارق مرورا بمرسى برشلونة . ولما حجزتها السلطات الاسبانية آنذاك قدم المغرب احتجاجاً على ذلك (68) . وسيأتي أنه كان سفيراً الى انجلترا سنة 1860 .

4 — **الحاج محمد الحلو** الفاسي المتوفى فى نهاية القرن التاسع عشر . وكان شريكا لدار تجارية فرنسية بمدينة مرسيليا التى استوطنها مدة معينة . وهو شقيق الحاج المهدي الحلو أمين الشكارة فى العهد العزيزي . وبهاته المدينة عاش افراد آخرون من آل الحلو بقصد التجارة (69) .

---

64 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 405

65 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 515

66 . محمد بن سعيد الصديقي « ايقاظ السريرة لتاريخ الصويرة » ص 133

67 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406

68 . المصدر السابق : 2 ص 141 (2) .

69 . محمد المنوني « مظاهر ... » ص 80 وأوجين أوبان « مغرب اليوم » ص 214 .

5 ـ **آل مَزّور** : كان تاجر من هاته الأسرة يعيش بمدينة مرسيليا سنة 1872 ، ومنها كان يوجه السلع لأخيه محمد مزور بفاس ولعمر مزور بالدار البيضاء (70) . ولم يرد بيان عن اسم هذا التاجر .

6 ـ **محمد بن العياشي بناني** : كان تاجرا بمرسيليا سنة 1863 . وكان يستثمر جزءا من أمواله بالمغرب (71) ويصدر بضائع من فرنسا سنة 1871 ومنها الكبريت (72) ولا تعرف علاقته بمحمد بناني الذي نزح الى مرسيليا للتجارة سنة 1847 . فهل كان سميه ؟

7 ـ **الحاج محمد القباج** : وقد حضر عددا من الحفلات والمهرجانات كالمعارض . وكان في وقت ما ، تاجرا هناك ، ولذلك كان يسمى الفرنساوي تمييزاً له عن غيره . ولكنه عاد الى المغرب وعاش بفاس آخر القرن .

8 و 9 ـ **ولدا المعطي** : وهما اليهوديان إيلي ورفائيل . وكانا يتجران في المجوهرات وكانت لهما علائق بالسلطات المخزنية (73) .

10 ـ **محمد بن عبد القادر بنيس** : كان محميا فرنسيا وسافر الى الخارج وكانت له تجارة نشيطة مع مدينة ليون (74) .

11 ـ **محمد بن أحمد بنيس** : كانت له دار للمنسوجات بليون (75) .

12 ـ **المفضل بنجلون** : كان أمينا بمختلف المراسي لكنه كان تاجرا بمدينة مرسيليا مدة سبع سنوات قبل انتصاب الحماية الفرنسية بأعوام كثيرة (76) .

* * *

70 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 406
71 . المصدر السابق ج 3 ص 32
72 . رسالة امناء العرائش الى محمد بن المدني بنيس في جمادى الأولى 1288 / منتصف سنة 1871 ـ محفظة العرائش 1 .
73 . محفظة الحاج عبد الكريم بريشة .
74 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 124
75 . المصدر السابق
76 . أ . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 6

ث — **المانيــا :**

1 — **محمد عيّوش** : كانت له دار تجارية بهامبورغ سنة 1907 . وفى سنة 1914 فتح داراً اخرى بمدينة روما الايطالية (77) .

2 — **أسرة القباج** : كان أحد أعضاء هاته الأسرة يعيش بمدينــــة هامبورغ فى نهاية القرن التاسع عشر (78) بقصد التجارة على ما يظهر .

ولم أقف على أسماء أخرى .

* * *

ج — **ايطــاليــا :**

1 — **عبد السلام بن محمد بن الفقيه الشريف السلوي** : أذن لــــه السلطان مولاي عبد الرحمان « بالسفر بقصد التجارة في مركبنا السعيد » (79) بشرط أن يحافظ على الصلوات الخمس وألا يحمل الخمر والخنزير . ولم يرد انــه ذهب للتجارة بجنوة . لكن قد يكون المركب الذي هو « اصيلــة » قــد سافر الى ايطاليا وغيرها سنة 1825 .

2 — **الحاج بناصر مرسيل** : سمح السلطان له بالتجارة فى المركب « ميمونة » وبالمرور بجنوة وجزيرة ماديرا المستعمرة البرتغالية بالمحيــط الأطلسي (80) وذلك سنة 1829 .

3 — **أسرة بوهلال** : لم يرد ذكر اسم هذا الرجل من اسرة بوهلال . فهل كان التاجر هو عبد المجيد أم الحاج أحمد أم غيرهما ؟ وعلى كل حال

---

77 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 124

78 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80

79 . ظهير السلطان الى عبد السلام في 14 ربيع الأول 27/1241 اكتوبر 1825 في كتاب « الأتحاف » 5 ص 152 .

80 . ابن زيدان : « الأتحاف » ج 5 ص 152 — 153

كان بوهلال تاجرا بجنوة بايطاليا (81) كما كان تاجرا هو أو غيره بجبل طارق للاستيراد وبالصويرة للتصدير (82) .

4 — **الحاج علي بن الحاج** : التطواني وقد سبق ذكره تاجرا بفرنسا .

5 — **الحاج ادريس بنونة** : كان تاجرا بجنوة وكان يقدم خدمات للمخزن حوالي 1892 وخاصة عندما طلب منه الأمناء توجيه 25 ألف « فرنك » طلياني ففعل (83) .

6 — **تاجر آخر** : كان بايطاليا وهو من أصل فاسي لم يرد ذكر اسمه . وكان يملك كلا أو بعضا من السفينة التى أوصلت ابن طوير الجنة الى الحجاز فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر .

أما المدينة التى كان يقطن بها هذا الفاسي فالغالب أنها كانت ليڤورنو التى كان يعيش بها كذلك جماعة من أهل فاس (84) لم يرد لأسمائهم أيضا ذكر فى كتاب الرحلة .

7 — **الحاج محمد بنسعيد** : كان تاجرا قبل توليه باشوية سلا حسبما سيأتي فى غير هذا المكان .

* * *

81 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 80 .

82 . مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 32 .

83 . رسالة أميني مرسي آسفي محمد بن الطاهر التازي والحاج محمد حصار الى الطريس في 8 ربيع الأول 1310/30 شتنبر 1892 ثم رسالة الحاج ادريس بنونة الى الطريس في 21 ربيع الأول 1310/12 اكتوبر 1892 — محفظة الطريس 22 .

84 . عبد القادر زمامة : « رحلة من القرن 13 هـ / 19 م : رحلة المنى والمنة ، لجامعها ومنشئها الطالب احمد المصطفى ابن طوير الجنة » في مجلة « البحث العلمي » عدد 28 (يوليوز / دجنبر 1978) ص 299 .

وقد تفطن زمامة الى اغفال الرحالة ذكر اسماء المغاربة الذين لقيهم خلال رحلته ولكنه لم يتنبه الى تحقيق اسم الحاضرة التي دعيت مرة اولى « قرن » ومرة ثانية « غرنة » ومرة ثالثة « فرن » . ولذلك رجحت ان اسمها هو ليفورنو ، لاسيما وابن طوير الجنة يصفها بأنها « مدينة عظيمة من مدن النصارى على شمال البحر في جانب العدوة التي فيها الأندلس على نصف المسافة بين العرائش والأسكندرية » .

ج — اسبانيـــا :

1 — **عمر بن ادريس برادة** : أقام طويلا بمدينة اشبيلية وهاجر ابنه سالفادور الى البرازيل (85) .

2 — **محمد برادة** : هو حسب رسالة محمد الطريس الى الوزير محمد ابن العربي بن المختار « قديم الاستيطان باشبيلية حتى صار رعية صبنيولية وله دعاو ، طلب شد عضده على ما له من الحقوق في رسوم ديونية وارثية وأبى أن يطلب ذلك من عامل فاس الا من جنابكم ، محتجا بما لا فائدة من الاطناب فيه » (86) . ومعنى الرسوم الديونية انه كان تاجرا قبل ذلك التاريخ أي حوالي ما قبل 1875 ومحميا اسبانيا آنذاك (87) فجاء لاستخلاص ديونه .

3 — ولا شك أنه كان هناك تجار آخرون مثل التاجر التطواني الذي كان يقيم بمدينة قادس وتوفي سنة 1828 (88) .

4 — والغالب أن هذا الأخير كان تاجرا للسلطان فى بيع حبوب الأعشار والزكوات . فلما مات عين مولاي عبد الرحمان بعده الحاج أحمد أحرضان سنة 1830 ليقيم بهاته المدينة ويقوم بنفس الغرض . وقال السلطان لمحمد أشعاش : « وقد شرح الله صدرنا لوسقها على يدنا بقصد البيع ببر النصارى لنستجلب الناضّ . فقد بلغنا ارتفاع ثمن الأقوات عندهم . وكلفنا بهذا الأمر خديمنا الحاج احمد احرضان لصرامته ونفوذه وعلمه بأحوال البيع والشراء ومعرفة اللسان ... » . وكانت له علاقة باسحاق اسرائيل الصويري التاجر بمرسيليا وبأنطونيو ده ماطوس A. de Mattos من مدينة لشبونة (89) .

* * *

85 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 304 (9)

86 . رسالة الطريس الى ابن المختار في 4 رمضان 1301/28 يونيو 1884

87 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 310

88 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 187

89 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 43 و 44 ومحمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 208

خ ـ جبل طارق خاصة ، وبلدان أوربية مختلفة :

قرب هاته المستعمرة الانجليزية من المغرب حدا ببعض المغتربين من مسلمين ويهود الى ربط معاملات اقتصادية هناك مع تجار هاته المدينة بل دفع ببعضهم الى الاستقرار بها نهائيا .

وعلى كل حال يبدو أن أكبر جالية مغربية بأوربا عددا هي المستقرة بجبل طارق ، وكان في ضمنها مَحمد بركّاش الذي ذكرت أنه كان تاجـرا بانجلترا أيضا ومَحمد الخطيب الذي أقام بجبل طارق 17 عاما وأكثر من التنقل عبر أقطار أوربا ، وهما نائبان سلطانيان اتجرا بالصخرة قبل تعيينهما . وأضيف اليهما شخصا مغربيا وأحد الأغنياء المترفين وهو محمد مصطفى الدكالي الرباطي الذى كان تاجرا بها ايضا وبمرسيليا وباريس ولندن ومنشيسطر وساح فى العديد من الأقطار الأوربية . وكان صديقا لمَحمد الخطيب ولـه حظوة عند السلطان مولاي عبد الرحمان . وكان يتكلم الانجليزية والاسبانية بطلاقة (90) . ولا أنسى ذكر العربي الحقي (او اللحكّي أو الحقيقي) ، ولا عمر بَجّة ولا أخاه أحمد الذي سيكون أول قنصل بجبل طارق ولا أسـرة بريطل وخصوصا الهاشمي والمكي ولا آل الرزيني وآل القباج وخصوصا محمد النسب وآل جسوس وآل قرقوز ويعقوب برينطي ومَسَّان اسرائيـل التطواني والشريقي وابن عليل وآل بيرجل .

تعاطوا التجارة حتى ربح من ربح وخسر من خسر ، بل ومنهم من سجن كالمكي بريطل الذي كان سنة 1871 شبه محبوس بمدينة مراكش (91) ، ولعل ذلك بسبب افلاس أو دعاوٍ عليه ، مثلما وقع لغيره المذكورين خارج هذا المكان .

---

90 • عبد اللطيف الخطيب : « شارل ياجرشميد وعلاقات المغرب بفرنسـا واسبانيا » في مجلة « تطوان » عدد 7 (1962) ص 49 و 52

91 • عبد الرحمان ابن زيدان » : « العز والصولة » ج 2 ص 126

وهناك تجار آخرون عاشوا بالخارج وجابوا مختلف الأصقاع ، دون تحديد ، للتجارة والغنى والتكسب . وقد فضلت جمعهم هنا فى ختام الكلام عنهم فى بلدان الغرب المسيحي ومنهم :

ــ محمد التازي الرباطي المدعو مُوخنّا صنو الحاج عبد السلام المذكور آنفا بانجلترا . وقد كان غنيا شهما أريحيا قضى بالمهجر عشرين سنة فاكتسب أموالا وفيرة . ولما عاد الى المغرب عينه السلطان أمينا للأمناء وبقي فى منصبه حتى توفي سنة 1890 وحينذاك سمي أخوه عبد السلام سالف الاشارة مكانه (92) .

ــ الحاج محمد بن المدني بنيس أمين الأمناء .

ــ عبد الخالق فرج محتسب الرباط حسبما سيأتي .

ــ محمد بن المعطي التازي الذي قام بأسفار متعددة الى الأقطار الخارجية .

ــ والحسن الكتاني الذي تأرجح بين الحماية الانجليزية والحماية الفرنسية وساح فى الخارج مرات عديدة .

ــ والمكي بنشقرون الذي جاب أوربا والسنغال والشرق الأوسط ونصب أبناء عمومته بمدينة جنوة ومدينة ليون .

ــ وعبد السلام المراكشي الذي تطوف بالخارج أكثر من مرة (93) .

ــ والحاج الطالب بن جلول التلمساني الأصل الذى كان قائما على ساق فى الشيطنة والوسوسة يدس الدسائس لايقاد نار الفتنة بين الوداية (94) والسلطان مولاي عبد الرحمان . ومع ذلك كان سنة 1825 أميرا للحج أو للركب النبوي (95) .

---

92 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 107

93 . ادريس بنعلي في « مثال الانتقال ... » ذكر هذا التاجر والثلاثة الذين قبله في ص 122 و 125 و 126

94 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 25

95 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 156 (2)

على أنه كان أحد تجار المغرب المشهورين ومن خلصاء نفس السلطان يستثمر له أمواله (96) .

والى ذلك أُضيف ما قاله عنه أكنسوس من أنه « كان ركنا من أركان الدولة ، وكانت له أموال لا تحصى وتجارات منتشرة فى آفاق الدنيا برا وبحرا في السودان » ولعله يقصد به السنغال « ومصر والشام وبلاد أجناس النصارى. في كل بلد واقليم له شركاء وعمال ، وتوفي بداء السكتة شر ميتة ونهب عبيده أمواله . وكان يملك نصف أملاك فاس من رباع وعقار . وجل ذلك حـــازه السلطان » ويعني به مولاي عبد الرحمان « فى مقابلة مـا فى ذمته من متاع المخزن لأنه كان يخوض فى مال السلطان طولا وعرضا » (97) . وكانت وفاته حوالي 1263 هـ ـ 1846 م (98) .

ـ والمهدي بن الطيب بنشقرون المولود بفاس سنة 1862 . وقد قام برحلات الى أقطار أوربية وحل بمدن عديدة كباريس ومنشيسطير ، وأقام باسبانيا وايطاليا (99) ولربما كان عضوا فى السفارات التى وجهها السلطان الحسن الأول الى هاته البلدان . ولعله شقيق المكي المذكور سالفا .

ـ وجعفر الصقلي المولود بفــاس والذي زار أقطاراً أروبية وبــلاد السودان (100) . وسترد فى فصل التجارة أسماء تجار آخرين من نفـــــس الأسرة الصقلية .

ـ والحسين بن محمد بن ثابت المولود بفاس سنة 1876 . وقد بدأ حياته تاجرا بأروبا ، حيث أقام سنوات طويلة (101) .

---

96 . المصدر السابق ص 161 ومحمد اكنسوس : « الجيش ... » ج 2 ص 31

97 . المصدر السابق ونفس الصفحة

98 . لا ينبغي خلطه مع سميه الحاج الطالب بنجلون (بنون ثانية) المذكور مع انجلترا سابقا ولو ان صاحب « الاستقصا » كتب المسن منهما بنونين .

99 . أ . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 109

100 . نفس المصدر ص 86

101 . كذلك ص 64

- والمهدي بن المكي بَلّوط المولود بمكناس سنة 1879 والذي سافر الى الخارج لأجل التجارة (102) .

وقد تفطن هؤلاء جميعا الى أنهم بدلا من أن يكونوا سماسرة ووكلاء لغيرهم صاروا يتولون تدبير شؤونهم تصديرا وتوريدا (103) .

ومهما يكن فلا سبيل لبسط أنواع التجارة ، فقد ذكرت أمثلة منها في مقامها . على أنه لابد من ايراد أسماء الوكلاء المغاربة بجبل طارق :

1 - **احمد بن عمر بَجّة التطواني** : كان قبل 1817 وكيلا للمغرب (104) حتى توفي سنة 1821 . وكان من أكبر الأغنياء ، بيد أنه ، اذ لم يترك وارثا ولا وصية ، رامت الدولة أن تجعل - طبق قواعد الشرع الاسلامي - أملاكه جزءا من بيت المال ، وذلك ما لم ترده الحكومة البريطانية ، فظلت القضية معلقة الحل أكثر من 35 سنة الى أن سنويت نهائيا سنة 1856 باتفاق عقد بين البلدين (105) .

2 - **يهودا ابن عليل** : لما توفي بجة عين ابن عليل مكانه قنصلا . وكان هو أيضا من أكبر الأغنياء ، له اتصالات قوية بالمصالح الفرنسية والانجليزية والايطالية ، وأصله من يهود الرباط (106) . ولكن ما لبث السلطان مولاي عبد الرحمان أن غضب عليه فعزله ووقعت له صدمة نفسية حتى توفي سنة 1838 في حين كان سبريك Sprague قنصل أمريكا بجبل طارق يتلهف شوقا لنيل هذا التعيين لنفسه بعد عزل ابن عليل ، وهو شيء لم يقبله السلطان المذكور (107) .

---

102 . ايضا ص 65

103 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 101 و 247 .

104 . المصدر السابق ج 2 ص 29

105 . روجرز : « تاريخ ... » ص 265

106 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى القائد العربي السعيدي في 21 حجة 1250/15 ابريل 1835 .

107 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 322

3 — **الحاج حدو جسوس** : بعد عزل ابن عليل بمدة معينة عين السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1841 « التاجر الحاج حدو جسوس قنصوا بجبل طارق للأخذ بأيدي تجار المسلمين وغيرهم من ايالتنا » (108) .

4 — **الحاج محمد الرزيني** : كان قنصلا للمغرب سنة 1856 ، ومن كبار التجار أهل الامتيازات . وكان خوفه من ضياعها سببا فى تعثر المفاوضات بين جون هي ومحمد الخطيب عدة سنوات (109) لعقد معاهدة تجارية

5 — **الحاج سعيد بن احمد جسوس** : كان بعد 1857 قنصلا (110) . وظل كذلك الى ان توفي بجبل طارق سنة 1890 في ليلة واحدة هو واحمد زوزو . وكان من اصحابه التاجر والأمين الحاج الطاهر ابن المليح (111) بناني ، والتاجر العربي ابن كيران . ولعل الحاج سعيد هذا ولد الحاج حدو القنصل السابق لأن حدو ترخيم احمد على الطريقة البربرية .

6 — **الحاج محمد بنونة** : وهو الذي عين بعد وفاة الحاج سعيد على راس القنصلية سنة 1890 (112) .

ويغلب على الظن ان مغاربة آخرين كانوا مقيمين بأروبا في اعداد قليلة ولاسيما بروسيا القيصرية . غير اني لم اعثر على اي شيء عنهم في هذه الفترة ، مثلما لم يرد توضيح عن المغتربين بجزيرة مالطة مع وجود وكيل سلطاني هناك في بعض الأوقات .

* * *

108 . رسالة السلطان الى بوسلهام بن علي في 13 محرم 1257/22 ماي 1241 محفظة بوسلهام بن علي : 1 ، ومحمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 340

109 . روجرز : « تاريخ ... » ص 218

110 . تقييد مختصر لما صيره الأمين الحاج عبد الحفيظ برادة بطنجة في عام 1283/1866 — محفظة طنجة 1 ، وابن زيدان : « الأتحاف » ج 3 ص 378

111 . رسالة الطريس الى السلطان في 19 شوال 1307/8 يونيو 1890 — محفظة الطريس : 18 .

112 . رسالة طوماس هاينس الى الحاج محمد بنونة في 15 يونيو 1892 — محفظة الطريس 22 ورسالة اخرى بمحفظة المغرب بريطانيا في 15 يناير 1892 .

د — البرازيل

لم اقف على اسماء جميع المغاربة المستوطنين بالبرازيل خلال هاته الفترة التي أؤرخ لها ، ولو اني اعلم ان بعض اليهود كانوا قد رحلوا في ذلك العهد او بعده بقليل الى تلك البلاد الأمريكية للتجارة والاقامة او الاحتماء والتجنس ، وان فاسيا هو سالفادور بن عمر برادة هاجر الى البرازيل كما تقدم ذكر ذلك .

ومن الذين عثرت عليهم في لوائح المحميين البرازيليين :

1 — **إسحاق الصراف** : الذي رحل من الصويرة الى مدينة من مدن البرازيل لم تتيسر معرفتها . وقد ورد اسمه في لائحة المحميين سنة 1900 .

2 — **إسحاق بنجيو** : من مدينة طنجة ، كان تاجرا بالبرازيل ومحميا او متجنسا حوالي 1868 ومات هناك وبقي اولاده بطنجة حسب لائحة 1880 الخاصة بالمحميين .

3 — **إلياس الباز** : وكان يدعى البرازيلي في لوائح المحميين سنة 1900 . ولست ادري هل يعني « البرازيلي » انه كان يعيش بالبرازيل ام انه كان يدعى كذلك للتمييز بينه وبين سَمِيٍّ آخر ، ام ان سبب ذلك كونه من المحميين البرازيليين . وعلى كل حال فقد كان متأصلا من مدينة الصويرة .

4 — **مناحم أفلالو** : ويطلق عليه البرازيلي ايضا في لائحة المحميين سنة 1900 . ولعل سبب تسميته هكذا التمييز بينه وبين سميه المحمي الأنجليزي المذكور سابقا . وكلا الرجلين من مدينة الصويرة .

5 — **حاييم بنشالوم** : وقد اقام بولاية پارا مدة طويلة وعاد سنة 1857 الى الدار البيضاء (113) .

* * *

113 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 577

ذ ـ دول امريكية اخرى

استقر بعض التجار من يهود المغرب بمدينة بوينوس أيريس بالأرجنتين . وكان لهم بضعة مخازن مبثوثة في أهم مراكز البلاد . وكانوا في الغالب يعودون الى المغرب بعد قضاء 7 او 8 سنوات .

وكانت جماعة اخرى من اليهود المغاربة مقيمة للتجارة بالپيرو والشيلي ، وڤنيزويلا ، لكني لم اقف على اسمائهم .

* * *

3 . 2 : المهاجرون الى البلدان الاسلامية .

مكثت بالبلدان الاسلامية طوائف مختلفة من اليهود المغاربة في أقلهم ومن المسلمين في اكثرهم ، فاستوطنوا السينغال والجزائر وتونس ومصر والسودان والحجاز والأردن وفلسطين والشام وتركيا . وكان في بعض هاته الأقطار وكلاء للعناية بالحجاج والمنقطعين . وكان ايضا منهم من زاولوا نشاطا تجاريا ملحوظا ومن كانوا لاجئين سياسيين في اقلهم وخصوصا ممن كانــوا يسبحون في الفلك التركي الألماني .

* * *

أ ـ السينغال ومالي :

استوطن المغاربة السودان منذ عهد بعيد قبل الفتوحات السعدية . ويستفاد من اوصاف المؤرخين السودانيين ان تنبكتوا كانت موطناً لكثير من الأجناس أيام المنصور السعدي حيث كان يقطن بهاته المدينة كثير من اهل فاس ومراكش وتوات ودرعة . وازدهرت الزراعة على يد الأندلسيين وادخلوا القمح وبعض انواع الخضر والكروم والتين وقصب السكر قرب هاته المدينة المالية (114) .

---

114 . محمد الغربي « الحكم المغربي في السودان الغربي : نشاته وآثاره » اطروحة مرقونة ص 492 و 516

ومن الأسر الكبيرة بتنبكتو ودجيني وردت اسماء حسو وابن مبارك وابن رحون وابن القائد والاجناسي وابن سعدون والزعري والفرجي والشتوكي وأونظام وبويوقف والكحيل وهم من مراكش والعلج وابن حسون وابن علي وابن سعيد وابن الشيخ والقصري والحيوني والجرواسي وابن جلون وابن منصور والمنبهي والغرناطي والرامي والعمراني وهم من فاس وعشر أسر من شراكة وسبع من درعة (115) . وفيما بين 1865 و 1868 كان عدد التجـــار التواتيين المستقرين بتنبكتو يقدر بنحو 600 شخص . اما الفاسيون فكانوا بين 20 و25 تاجرا (116) .

ومما يذكر ان الحاج سعيد الرسموكي من سوس كان يتعاطى التجارة بالسودان ، ولما عاد الى وطنه سنة 1766 بقي اولاده هناك يشتغلون بالتجارة الكبيرة بين المغرب والسودان (117) .

وثمة تقرير عن التجارة مع تنبكتو يفيد انه انشئت اول شركة مغربية من تجار فاسيين لتشجيع المبادلات بين القطرين سنة 1670 منذ حملة مولاي الرشيد وانه أحدث معمل بهاته المدينة التي انتقل اليها شخص اسمه علي للاستقرار بها فراراً من السلطان العلوي ، وعاد الى المغرب بعد وفاة العاهل . وكان قبل ذلك تزوج هناك بسودانيات (118) .

وقد اجرى شارل مونطي إحصاءأ مدققا لسكان ضواحي مدينة دييني (او دجيني) فوجد ان عددهم يقارب 83 الفا منهم الفان من المغاربة ، وان العرب القادمين من تافيلالت امتازوا عن غيرهم من السكان بالسعة في الرزق والثقافة

---

115 . المصدر الأخير ص 516

116 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 149 (1)

117 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 75 (نقلا عن محمد المختار السوسي: « المعسول » ج 19 ص 242) .

118 . عبد الهادي التازي : « تقرير الكولونيل ماثيوز عن التجارة مع تنبكتو في مجلة « البحث العلمي » العدد 31 ص 104 .

والعادات الحضرية (119) . واصبح المغاربة في القرن التاسع عشر حسب أوسكار لنز الرحال الألماني يؤلفون احسن عناصر السكان واهمهم (120) .

وفي سنة 1890 بلغ عدد التجار المغاربة بالسينغال نحو مئة شخص . وكان مجمل نشاطهم بيع انتاج الصناعة التقليدية المغربية كالمنسوجات والعطور ، ولربما كان منه ايضا تصدير الرقيق . ولم اقف الا على اسماء قليلة لهؤلاء المغتربين .

على ان اشارات وردت عن التاجرين الشقيقين الفاسيين المتوفين قبل سنة 1880 هناك . ولعل اول فاسي استوطن السينغال في القرن الماضي قد وفد عليه حوالي سنة 1874 ، حسب المصادر الأروبية (121) .

وكان للفاسيين ازيد من 30 مركزا بالسينغال بمدينة دكار وطوال الخط الحديدي الذاهب الى أندر . وقد اضطروا الى التماس الجنسية الفرنسية لمباشرة تجارتهم (122) .

واضيف الى ذلك عن الهجرة محاولات ماون Mahon قنصل فرنسا بالصويرة الذي كان يريد استخدام 500 او 600 مغربي بالسينغال سنة 1881 ومساعي الترجمان أنجيلي Angeli سنة 1886 لتوظيف عمال مغاربة في اشغال مد خطوط السكة الحديدية بالسينغال الأعلا بين دكار ومدينة أندر ، حسبما سيرد في اماكن اخرى من هذا التأليف ، وانتقال ازيد من الف عامل مغربى قبل 1886 لهذا الغرض (123) .

---

119 . محمد الغربي « الحكم ... » ص 498 (نقلا عن شارل مونطي في كتابه المرسوم « من سان لوي الى طرابلس عبر بحيرة التشاد » ص 85 و 88 و 208)

120 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 516 (نقلا عن أوسكار لنز في رحلته ج 2 ص 152 ، في الترجمة الفرنسية سنة 1886)

121 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 371 و « تاريخ المغرب » ص 311 .

122 . المصدر الأخير نفس الصفحة

123 . عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة ... معلمة الصحراء » ملحق 1 ص 200

اما التجار الذين وقفت على اسمائهم فهم :

1 و 2 **ادريس بنجلون وابنه الهادي** : بدأ الأب نشاطه بالسينغال سنة 1890 وسافر الى السودان والشرق الأوسط ثم سار ابنه الهادي على نهجه (124)

3 ـ **أحمد بوزكري** : وهو فاسي استقر بأندر (سان لوي) حوالي 1874 ، وكان مراسلا لأبيه الذي بقي تاجرا بالمغرب (125) . ولعله هو المذكور آنفا من كونه تاجرا بفرنسا او اول مستوطن فاسي للتجارة بالسينغال حوالي 1874 كما سلف..

4 ـ **الحاج عبد القادر بنجلون** : كان تاجرا بمدينة أندر قبل ان يولد ابنه عبد العزيز سنة 1888 بهاته المدينة (126) .

5 ـ **عبد القادر بن محمد العراقي** : وقد ذهب الى السينغال في بداية القرن العشرين وظل هناك نحوا من اثنتي عشرة سنة (127) .

6 ـ **الحاج ابراهيم السوسي** وكان من اهم تجار مدينة فاس . استوطن أندر واكتسب الجنسية الفرنسية . وقد عاد الى المغرب في نهاية القرن التاسع عشر (128) .

7 ـ **مولاي علي بن عمر الكثيري** : المولود بفاس سنة 1857 والذي رحل الى انجلترا وايطاليا واسبانيا وفرنسا وآسيا واستوطن السينغال مدة 6 سنوات ابتداءاً من سنة 1880 وطلب نيل الجنسية الفرنسية سنة 1883 . وكان مراسلا لمحمد بنكيران بطنجة (129) .

---

124 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 127

125 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 369

126 . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 2

127 . نفس المصدر ص 3

128 . أوجين أوبان : « مغرب اليوم » ص 130

129 . المصدر السابق ص 133 ومييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 369

وكان مولاي علي هذا يبيع الكتب والمصنوعات الجلدية والمنسوجات (130) .

على انه عاد الى المغرب قبل نهاية القرن التاسع عشر . وفي منزله نظمت مناظرة بين المستعرب الفرنسي مولييراس وعالمين فاسيين في ابريل 1900 حول الدين والعلم والحياة . وهذان العالمان هما ابو بكر بناني ومولاي احمد البلغيثي (131) .

8 — **هارون بن حسّان** : استوطن سنة 1883 جزيرة ݣوري امام دكار (132) .

9 — **الحاج ابراهيم بن الحاج علي** : سكن بمدينة أندر سنة 1887 وكان شريكا للحاج محمد القباج والحاج المدني الحبابي التاجرين بفاس . وقد نال الجنسية الفرنسية (133) من اجل تجارته .

10 — **أحمد القُرِّي** : أو (القوري) من اصل مراكشي . كان تاجرا حتى توفي سنة 1899 بمدينة نيورو (134) بمالي الحالية .

11 — **الحاج العربي برادة** : كان يتجر بالسينغال دون توضيح ، يعمل لنفسه ولشقيقه ولغيره من المغاربة وكذلك لعامل الجديدة ابنه محمد بن العربي برادة حتى توفي سنة 1895 هناك (135) .

12 — **مردوخي أبي سرور** : المولود حوالي 1830 بقرية أقّا ، وكان قد حج الى فلسطين ، ثم عاد الى مسقط رأسه حوالي 1855 ، وصار فيما بعد محمياً فرنسياً وعونا لبوميي قنصل فرنسا بالصويرة ، وهو أول يهودي مغربي استقراراً بتنبكتو (135 مكرر) .

---

130 . « تاريخ المغرب » لجماعة من المؤلفين ص 311

131 . عبد الهادي التازي : « جامع القريين » ج 3 ص 737 — 740

132 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 369

133 . المصدر السابق

134 . المصدر السابق ايضا

135 . نفس المصدر وكذلك ج 3 ص 271 (2)

135 مكرر . نفس المصدر ج 3 ص 94 (4)

وكان قد رافق شارل ده فوكو في تجواله بالمغرب سنة 1883 .

ومن غير التجار كان هنالك :

13 و 13 ـ **احمد القباج** المدعو «بابا» الذي ذهب هو وشقيقه **الحاج الطاهر** الى تنبكتو في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بقصد اخذ الطريقة المختارية القادرية . والاخوان من مدينة آزمور (136) .

15 ـ **أحمد بن محمد بن مَحمد الكاملي** الضرير الدرعي المولود سنة 1255/1838 . وهو رحالة « استقر بأرض غَب" بين سانيكان وتبوكتو » . وقد استوطن الصحراء مدة 10 سنوات ثم تيندوف من 1299 الى 1309 . وكانت له صلة بالحاج عمر الفوتي وبالطريقة التجانية وجمع اموالا كثيرة . كما انه زار المشرق وما ترك بلدة من المعمور الا دخلها براً وبحرا وكتب عدة رحلات وكان يقيم في كل بلدة . وقد مكث سنة في دمشق ، وتوفي سنة 1315/1897 ودفن بمراكش (137) ولم يرد بيان عن رحلاته .

* * *

ب ـ الجزائر

هي اقرب قطر اسلامي الى المغرب كانت له معه اتصالات تجارية وثيقة سواء في العهد التركي أو قبله أو بعد الاحتلال الفرنسي .

ولم تنقطع تماما هاته الاتصالات عبر العصور ولا حركات الهجرة القوية بين منطقة وهران والريف ولا بين فاس وتلمسان طردا وعكسا حسبما هو مذكور في كتب التاريخ .

---

136 . ادوار ميشو ـ بيلير : « ناحية دكالة » الجزء الأول ص 123 في مجلة « ليزارشيف ماروكين » المجلد العاشر من سلسلة « مدن المغرب وقبائله »

137 . العباس ابن ابراهيم في كتابه « الاعلام ... » ج 2 ص 429 ـ 433 جعل ارض غب بين السينغال ومالي فافترضت لأول وهلة انها غامبيا الواقعة بينهما ، غير اني بعد تمحيص وروية راجعت افتراضي الأول فرجحت ان غب ما هي الا غ(ا) ب(ون) اي الغابون ، علما بأن الاقدمين اعتادوا في كتاباتهم شكل الكلمات بالحركات فحذفوا الالف الممدودة بين الغين والباء للاستعاضة بحركات التنوين عن حروفه . وحيث ان الكاملي كان جوابا ورحالة وصل حتى الى الهند ، فلا يستبعد ان يكون قد استقر بالكابون على الرغم من جهل المؤلف بالجغرافية او على الاقل من سبق قلمه . لأن هاته البلاد بعيدة عن جنوب السينغال وتمبوكتو بعشرات المئات من الكيلومترات .

وهكذا بعد الحرب الاسبانية المغربية هاجر سنة 1860 ما بين 1200 و 1500 من يهود تطوان الى الجزائر . وفي سنة 1868 رحل حوالي 880 من يهود نفس المدينة الى هذا القطر التماسا للجنسية الفرنسية (138) .

وسنرى ان اعداداً وفيرة من المغاربة تدفقت إبان المساغب والأوبئة على الجزائر لعلها بلغت ما بين 1878 و 1882 نحو 64 الفاً (139) . كما ان اهل الشيخ احمد وموسى كانوا منتشرين بالجزائر منذ عهد قديم (140) . وللأسف لم اقف الا على اسماء قليلة لهؤلاء المهاجرين الذين كان منهم عمال موسميون وكان منهم تجار مقيمون اقامة مستديمة . وذلك لا يمنع من إيراد هوية من عثرت عليهم من هؤلاء التجار والمستوطنين الكثيرين الذين كانوا يعدون بعشرات الآلاف والذين كانوا لا يعتبرون انفسهم غرباء عن اوطانهم ، للتشابه المكين بين المغاربة والجزائريين في اللغة والدين والعادات والجغرافية ، والتجاور في الفلاحة وتربية المواشي في اراض ظلت مشتركة للرعي بين اولاد العمومة والخؤولة واهل المصاهرة والقرابة .

وقد ذكرت كتب التاريخ ان مدنا جزائرية في غرب البلاد كانت موطنا لعدد من التجار والعمال المغاربة . ومنها تلمسان التي كانت تأوي عدداً من تجار فاس حتى قيل ان تلك المدينة بنت فاس (141) . ومنها ايضا وهران التي مات بها تاجران مغربيان من مدينتي فاس وتطوان لما احتلت فرنسا الجزائر حسب صاحب « اللسان المُعْرِب » . وقد تقدم ان عمالا من الريف والمغرب الشرقي كانوا يقصدون هاته البلاد بالآلاف للأعمال في اشغال الفلاحة والحصاد.

وكان من المستوطنين الدائمين :

1 ــ **محمد بن مَحمد السليماني** المدعو ابن الأعرج . كان يزاول التجارة بمدينة تلمسان التي كان يقيم بها عدد لايستهان به من التجار

---

138 · جان لوي ميبج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 578 (2)

139 · عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 55

140 · محمد المختار السوسي : « ايليغ ... » ص 25

141 · عبد الكريم غلاب : « المجتمع التقليدي ... » في مجلة «المناهل» ع 12 ص 92

من مدينة فاس (142) . ولئن كان من اصل جزائري فقد ولد هو بمدينة فاس سنة 1858 او 1864 وبها مات سنة 1926 . وله تأليف في التاريخ . والجدير بالذكر ان السليماني هذا كان شاعرا ومن دعاة الاصلاح . وكان الى ذلك يباشر خطة العدالة وعاش على الكفاف . وقد قام برحلة الى المشرق (143) .

2 — **مَحمد السليماني** « ابن الأعرج » : هو والد السابق وكان ايضا تاجرا بتلك المدينة (144) .

3 — **محمد مكوار** : وقد ولد بفاس ولكنه كان يعيش بتلمسان للتجارة بها وبجبل طارق ايضا . وكان من معيني عبد القادر بن محيي الدين وزار مدنا ايطالية مثل جنوة وليفورنو (145) .

4 و 5 و 6 محمد الهواري والحسين بنونة والحاج العباس التجموعتي : وكان هؤلاء الثلاثة تجارا بوهران ومن اصل فاسي ، غير ان ازمة 1878 ادت بهم الى الافلاس (146) .

7 — **الحاج عبد الكريم بن الحاج احمد الرزيني** كان تاجرا سنة 1830 بوهران (147) .

8 — **الحاج محمد بن احمد الرقيوق** الخمسي الشفشاوني المولود سنة 1853/1270 . وقد قضى عدة سنوات بوهران ولكنه دخل مصر والحجاز وتوفي بشفشاون عن 90 سنة من عمره . وكان من العلماء (148) .

* * *

142 . محمد السليماني : « اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب » مقدمة الكتاب ص « ب » .

143 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 257 وخير الدين الزركلي : « الاعلام ... » ج 7 ص 23 وابراهيم السولامي : « الشعر الوطني ... » ص 240

144 . محمد السليماني « اللسان ... » ص ب

145 . جان لوي مييج « المغرب واروبا » ج 2 ص 161

146 . المصدر السابق ج 3 ص 73

147 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 42

148 . جريدة « الأنباء » ع 24/23 مارس 1980 .

ت ـ تـــونـــس

علاقة المغاربة مع هذا القطر جد عتيقة ، واهمها ما كان في المجال الثقافي . وكان بتونس وكلاء للسلطان كما كان بها علماء وتجار نزلوا بهـا ومنهم من هو دفين ارضها .

ومن الذين عثرت على اسمائهم قبل القرن التاسع عشر او اثناءه :

1 ـ **عبد الله الهاروشي** : وهو عبد الله بن محمد الخياط . وكان من فقهاء المالكية وأصله من فاس ثم انتقل الى تونس حيث توفي سنة 1175 هـ ـ 1761 م . وله تاليف منها : « كنوز الأسرار ... » و « الفتح المبين » (149)

2 ـ **عبد القادر بن عبد الرحمان السلوي الأندلسي ثم الفاسي** . كان من الفقهاء وقد لخص كتاب « مطالع السعود وفتح الودود على تفسير الامام أبي السعود » الذي ألفه محمد بن عبد الله زيتونة التونسي . وكان هذا العمل التلخيصي في عهد علي باشا بن محمد ابن علي تركي من الأسرة الحسينية المتوفى في القرن الثامن عشر . ولما عاد عبد القادر الى المغرب استخدمه السلطان محمد بن عبد الله حوالي 1180 (1766) في قصره (150) .

3 ـ **محمد الفاسي** : المكنى ابا عبد الله . وهو من افراد البيت الفاسي « الشهير بحاضرة فاس بالعلم والفضل . ساقته المقادير الى تونس قبل طاعون عام 1199 وسنه بين الثلاثين والعشرين ، كان عالماً محصلا ، وتوفي سنة 1232 /1817 » بتونس (151) .

---

149 . خير الدين الزركلي : « الأعلام ... » ج 4 ص 274

150 . محمد المنوني : « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الثاني » في مجلة « دعوة الحق » عدد مارس 1973 ص 85 ـ 86 .

151 . محمد بن محمد مخلوف : « شجرة النور الزكية في طبقات المالكية » ص 380 وعبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 808 وعبد الكريم التواتي : « اهمية علاقات الدولة العلوية بتونس في بناء وحدة المغرب العربي » في مجلـــة « دعوة الحق » ع 4 س 10 (يبراير ـ مارس 1967) ص 162 .

4 — **حسنونة القصري** الرباطي أصلا . كان تاجراً بتونس في عهد الباشا علي باي وكان يدرس ويرفض اخذ اجرة عن هذا التدريس (152) .

هذا ولم أقف الا على أسماء ثلاثة من الوكلاء الذين كانوا بتونس وهم :

1 — **الحاج محمد الحريشي الفاسي** الذي كان وكيل المغاربة فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر . « وقد أصابه ضيم هناك وخشي أن تلحقه مذلة وهوان» من باشاها حسب رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى نائب قنصل فرنسا بطنجة سنة 1837 . « وما اختار الفرار والايواء الا لقونص' جنسكم هناك .. .. وقد رأينا تكليفك بذلك أولى .. .. ليسعى قونصو جنسكم الذي بتونس فى استخلاصه ويوجهه هو وعياله وماله ... » (153) .

2 — **الحاج محمد الشرقي** المتوفى سنة 1866 بعد أن كان وكيلا بتونس (154) آخر حياته .

3 — **عمر السنوسي** وكان وكيلا للمغرب فى نهاية القرن التاسع عشر (155) حوالي 1893 .

* * *

ث — **مصر**

قيام نهضة مبكرة فى هذا القطر ووجوده فى طريق الحجاج والمعتمرين كانا من العوامل التى شدت الأنظار الى بلاد الكنانة .

ومن المستحسن تناول الموضوع استجلاءاً لجوانب من تلك الروابط الثقافية والدينية والشعبية والسياسية والاقتصادية ، مع استعراض ما أمكن

---

152 . المصدر الأخير ص 162 .

153 . رسالة السلطان الى نائب قنصل فرنسا في 24 رمضان 1252/2 يناير 1837 (صورتها عند أوجين فومي في كتابه « المختار من الرسائل المغربية » اللوحة 15 ص 135) وجان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 29 .

154 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 54

155 . محفظة الطريس 25 .

الوقوف عليه من أسمـــاء المغاربة المتمصِّرين وغير المتمصرين والوكـــلاء السلطانيين مع تذييل الكلام بوثيقة احصائية هي عريضة الحاج عبد الواحد ابن محمد التازي .

ث ۱ ـ العلاقات بين البلدين

روابط المغرب السياسية بمصر لم تكن نشيطة بالرغم من تبـــادل المراسلات بين السلطان والخديوي ، ولكن كانت مكثفة روحيا وثقافيا اذ كان العلماء والطلبة المغاربة يستوطنون مصر عند ارادتهم الاغتراف من حيـاض العلوم الدينية المشهورة آنذاك ، كما كان الحجاج يتوقفون بها برا أو بحرا عند ذهابهم أو أيابهم .

وفى هذا المعنى يحسن التذكير بأن بعض المصريين كانوا يتولـون نقل الحجاج بحرا ، ولاسيما سنة 1865 عند ما منع مركب اسماعيل باشا من انزالهم بمرسى طنجة لتفشي وباء الكوليرا ، وظلوا يتقاذفون بالبحر ، ولم يرد أحد ردهم لبلادهم (156) .

وكان يعيش بمصر تجار مغاربة اتخذ منهم السلاطين العلويون وكـلاء للبرور بالحجاج وبالمنقطعين . وفى أواخر القرن التاسع عشر كان عدد المغاربة المقيمين ثمة يتراوح بين 1200 و 1500 نسمة (157) .

أما قبل ذلك بعهد بعيد فقد استوطنت بالبلاد المصرية جاليات مـن البلدان المغربية ولاسيما من المغرب الأقصى « بل لوحظ فرار تجار من أغنياء فاس الى الخارج وخصوصا الى الشرق الأوسط . ان البيانات التى أعطاهـا أندري ريمون عن الصناع والتجار فى القرن الثامن عشر ولاسيما بالقاهرة فى القرن السابع عشر بليغة بما فيه الكفاية فى هذا المعنى . لأنه أبان أن أهل

---

156 . « الوثائق » ج 4 ص 331 — 335

157 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات ... » ج 1 ص 93 (1)

المغارب أو المغربيين (158) كانوا حتى نهاية القرنين المذكورين يملكون 7ر8 ٪ من مجموع ثروة القاهرة الاجمالية ، وأضاف أنهم كانوا أغنى من غيرهم ، فكان للمغاربة 15ر20 ٪ مقابل 12ر10 ٪ لأغنياء الأتراك فى القرن الثامن عشر .

« وتدل الايضاحات التى استقيت من كنانيش المحكمة (محكمة القاهرة ؟) على أن المراكشيين كانوا أوفر عددا داخل أهل المغارب . فمن مجموع 99 من هؤلاء ، كان ثمة 53 مراكشيا يكاد يكون أصل 48 منهم من مدينة فاس بينما كان 3 من مراكش . ولهذا كان كثيرا ما يطلق على أهل المغارب وصف الفاسيين » (159) .

كانوا تجارا ومستوطنين عاشوا حلو مصر ومرها واختلطوا بأهلها . وأعظم تعاون بين الشعبين ظهرت بوادره فى أواخر القرن الثامن عشر لما غزا نابوليون البلاد المصرية فى حملته الشهيرة : « ولذلك تأثر المغاربة أيما تأثر ، وقصد كثير من المجاهدين الديار المصرية للمشاركة فى قتال أصحاب تلك الحروب الصليبية » (160) وكان من المتطوعين شخص يدعى ابن الأحرش الذي انضم الى الجيش المصري (161) .

أما المجاهد الذي اشتهر هناك فكان هو محمد بن احمد بن المختار السباعي المعروف بالجيلالي . وسنتحدث قليلا عنه ، على الرغم من وقوع الأحداث فى نهاية القرن الثامن عشر .

---

158 . اقصد بهذا التعبير هنا مغاربة الشمال الافريقي ، تعريبا للفظة Maghrébins الواردة في دراسة بنعلي في حين اطلق اطلاقا استثنائيا لفظة « المراكشيين » على اهل المغرب الاقصى ، رفعا لكل التباس .

159 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » عدد 8 ص 107 (16) سنة 1980 ، (نقلا عن اطروحة أ . ريمون : A. Raymond « الصناع والتجار في القرن التاسع عشر » ص 471 ، المناقشة بباريس سنة 1972) .

160 . محمد الفاسي : « مشاركة المغرب في الجهاد المصري للحملة الفرنسية » في مجلة « دعوة الحق » العدد المثنى 4 — 5 ص 157 السنة 16 (مارس 1974)

161 . عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة ... » ج 1 ص 37

ويعجب المرء لمدى اهمال المؤرخين والاخباريين المغاربة للـدور الفعال الذي قام به السباعي فى اذكاء الحماس الشعبي والغيرة الاسلامية والغالب أنهم لم يكونوا يعرفون الكثير عن ذلك لبعد الشقة وصعوبة الاتصال .

العباس ابن ابراهيم المشهور باتجاهاته الصوفية لم يذكر الا نزرا يسيرا عن هذا الرجل الفدائي ، فوصفه بأنه كان « فقيها صادقا فى جميع أحواله ، مخلصا لله تعالى فى أقواله وأفعاله . . . وصوفيا زاهدا ومرابطا مجاهدا . . . ولا يبعد ان يكون هو المجدد على رأس هاته المئة . . . وكان حافظا ناظما شاعرا ... ينقم عن السلطان مولاي سليمان توليته العمال الظالمين .

« ومات رحمه الله فى توجهه للغزو ببلد الصعيد . فالتقى مع النصارى ، وتقاتل معهم اشد القتال ، ثم اعتل ومرض فمات بقرب مرضه ودفن هناك بقرية يقال لها أحكاز . . . . » .

ولم يزد المراكشي شيئاً في هذا الباب ، ولم يذكر لنا تاريخ ولادة السباعي ولا مكانها ، ولم يُفِض في ذكر هاته الواقعة ولو أنه أسهب كثيرا فى غير هاته النقطة التى لم تكن تأخذ منه كل مأخذ كما هي عادته فى تأليفه . أما المشارقة فقد أشادوا بذكره ، ولو انهم حرفوا اسمه ونسبه قليلا فسموه محمد الجيلاني الهاشمي المغربي .

ويستفاد من وثيقة مخطوطة بقلم معاصر لتلك الحرب هو لطف الله ابن أحمد حـَجـّاف أحد فقهاء اليمن ومؤرخيها فى القرن التاسع عشر ، أن هذا المناضل المغربي كان مقيما بالمدينة المنورة والطائف ومكة ، وكان « يقوم فى البلدة الحرام بوظيفة الدعاء الى اقامة شعار سنام الاسلام . ولما ورد عليه الأعلام ، بما صنعه الكفار اللئام ، من أجل الهجوم على ساحات مصر تصدر بالحرم الشريف فالتفت عليه خلائق ، واستمعوا الى ارشاده الى أنهج الطرائق . وفعل دعاؤه فى القلوب ما فعل وتسامع الناس بأخباره فوردوا

اليه ، وبذلوا نفوسهم وأموالهم بين يديه ، وكانت النساء تأتي فتستمع الى ما يمليه من أحاديث الحض على الجهاد فيلقين الى الحلقة فتخاتهن (خواتمهن) وعقودهن وملبوسهن ويقلن : « ذلك الذى علينا » . فاجتمعت عنده أموال واسعة ، ووردت عليه المتطوعة من البلاد الشاسعة ، فسار بهم لمناجزة أعداء الله الفرانسة . . .

« كان محمد الجيلاني قد دعا العباد بالحرمين الى الجهاد . فممن أعانه بالحرمين محمد باصلاح الحضرمي ، فانه تصدق فى سبيل الله بخمسمائة بندق صفار مغربية ومائتي حربة من حراب الشام ومائتي سيف وأربع مائة كيس من البرز وألفي نعل ينتعلها فقراء المجاهدين .

« ومنهم الشيخ عبد الرحمان العسيري بمهمات ، جهز بها ثلاث سواعي (سفن صغيرة) يركبها المجاهدون وملأها لهم ميرة .

« ومنهم الشيخ أحمد (ال)ـفاسي ، جهز داوين فى سبيل الله .

« ومنهم الشريف غالب بن مساعد ، جهز خمس سواعي فى سبيل الله (شاحنة) .

« ومن أهل يَنْبُع محمد أبو العسل ، جهز داوا من داواته وثلاث سواع أخرى من أهل ينبع .

« فسير السيد محمد الجيلاني جماعة متطوعة من جدة وتلك الداوات فكانوا نحوا من أربعة آلاف مقاتل . ثم سار ناحيا نحو المدينة المنورة فمر بأهل رابغ والخليص ... فدعاهم فأجابوه وبذلوا أموالا واسعة ، وسار الى بدر فأنالوه وخرج منهم جماعة متطوعة . وكان له وكلاء يجمعون الأموال معه . ثم نزل بالصفرا (جهة من جهات المدينة المنورة) . . . ودعا الى الجهاد فجاؤوه بأموال واسعة . . . وسار الى المدينة فتسلم من أهلها أموالا جزيلة وخرج منهم 300 متطوع فنزل بالجميع الى ينبع .

«وجاء الخبر بأن المتطوعة من ديار مكة قد مرت مراكبهم ، فحمد الله وسار بمن معه ... »

ثم يسرد حجاف أنباء المعارك التى دارت بين متطوعة الحجاز وبين الفرنسيين فى صعيد مصر ... وكيف أنهم — برغم استبسالهم — لم يكن لهم قِبَل ازاء الفرنسيين المتفوقين عسكريا . وهكذا « انفصم ... عقد نظام المتطوعة وذهب الناس أرسالا لا أمير لهم ، منهم الذاهب الى مصر والذاهب الى الشام والعائد الى الحرمين » ولاسيما بعد أن استشهد الجيلاني وتفرقت قواته (162) .

ومما لا شك فيه أن أصداء الغزو الفرنسي بلغت المسامع بالمغرب ولاسيما على لسان الحجاج مثلا حتى ألف شاعر من كبار رجال الملحون بفاس قصيدة « الماصرية » فى هذا الموضوع ، ويكاد يجمع كبار الأشياخ أن قائلها كان هو محمد بن علي العمراني الشريف المكنى ولد ارزين الفيلالي المولود سنة 1145 — 1742 . وقد ضاعت هاته القصيدة (163) .

ولئن كان المتطوعون المغاربة قد ساهموا فى الدفاع عن أرض مصر والوطن الاسلامي من الهجوم الاستعماري والصليبي قبل القرن التاسع عشر ، فقد قامت محاولة مصرية بعد ذلك لأعانة المغرب من الوجهة العسكرية والاقتصادية لم يكتب لها النجاح ، وذلك لما أرسلت الحكومة المصرية أحد مدربي الجيش الى المغرب . فلما وصل فى بداية عهد مولاي الحسن صدر الأمر بالاستغناء عنه . ولعل ذلك كان بايعاز من المستشارين الأجانب (164) .

ولئن أبعد الحراب المصري عن المغرب فقد وجه السلطان محمد الرابع بعثات تعليمية الى مصر فى عهد سعيد باشا وجلب اختصاصيين لمباشرة

---

162 . احمد عبد الرحيم مصطفى : « عندما هب العرب لصد الفرنسيين عن مصر » في مجلة « العربي » العدد 250 ص 38 وص 39 (شتنبر 1979) . مخطوط لطف الله ابن احمد حجاف يحمل عنوان « درر الحور العين ، بسيرة الامام المنصور علي واعلام دولته الميامين » . وقد اكتشفه سيد مصطفى سالم ونشر مقتطفات منه بالقاهرة سنة 1975 بعنوان « نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر » ونقلها عنه احمد عبد الرحيم مصطفى في مقاله المعنون اعلاه .

وقد تحدث عنه كذلك العباس ابن براهيم في « الاعلام ... » ج 6 ص 147 — 155

163 . محمد الفاسي : « مشاركة ... » ص 57 وكذلك عباس الجراري « القصيدة » ص 622 .

164 . عبد الوهاب ابن منصور : « الوثائق » ج 3 ص 411

تصفية السكر في مصنع أكدال بمراكش (165) ثم وفد الطباع المصري محمد ابراهيم القياني لانشاء مطبعة بتارودانت سنة 1865 لفائدة قاضي المدينـــة محمد الطيب التملي (166) .

* * *

ث ـ 2 : **المغاربة في مصر** :

وفضلا عن ذلك كان بعض التجار المغاربة يصدرون أنواع الانتاج المغربي الى البلاد المصرية التى عاش فيها أيضا مغاربة كانوا اما وكلاء واما طلبة ، أو تجاراً ، أو زوارا عابرين ، أو مستوطنين دائمين .

ومن هؤلاء أذكر :

1 ـ **الحاج عبد الكريم بريشة** وقد سبقت الاشارة اليه .

2 ـ **عبد السلام بناني** : ولد بفرنسا . أمه فرنسية هي بوفيي Bouvier وأبوه مولود بفاس سنة 1824 ، ولكنه استقر بمدينة مرسيليا سنة 1863 . ولعله هو محمد ابن العياشي بناني المذكور سابقا بفرنسا من كونه استوطن هاته المدينة الفرنسية في نفس التاريخ .

أما عبد السلام فقد انخرط في الجيش البريطاني برتبة ضابط حسب بعض الروايات من 1884 الى 1888 . وكان يتحدث الفرنسية والانجليزية ويراسل جريدة « ريفي دو ماروك » الفرنسية بطنجة وجريدة : « له ماروك فرانسي » عند ما كان مستخدما بقنصلية فرنسا بالعرائش سنة 1904 .

وكانت له علائق وطيدة مع الوزير محمد المفضل غريط (167) .

---

165 . ابن زيدان : « اتحاف ... » ج 3 ص 556 وعبـد العزيز بنعبـد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 32 ومحمد المنوني « مظاهر ... » بمجلة « تطوان » العدد الثاني ص 44 .

166 . المصدر الأخير ص 201 و « الوثائق » : 2 ص 417 .

167 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 272 و ج 1 ص 72 .

3 — **عبد القادر بن عبد الكريم الورديغي** : وهو من قبيلة بني خيران ولكنه كان قبل ذلك يقطن بمدينة شفشاون حيث كان أبوه قاضيا . وقد درس العلم بفاس ومنها رحل الى مصر حيث سكن باحدى مدنها مدة طويلة حتى توفي فى الغربة سنة 1313/1895 . وقد جاور الأزهر ، وهو من النحويين والفقهاء المالكيين . وله تأليف فى الفقه والتصوف . وكان أحد الطلاب الذين وجههم السلطان محمد الرابع الى مصر سنة 1866 للتخصص فى فن الطباعة (168) .

4 — **حسين بن علي قويدر** : كان شاعرا واديبا وله تآليف ترجم بعضها الى اللغة الايطالية . ومولده ووفاته كانا فى القاهرة (1204/1262 هـ — 1787/1846 م) . ولكنه كان يحترف التجارة كأبيه ، وأصله من المغرب (169) الذي لعله الأقصى .

5 — **مَحمد الأبيض** : هو مَحمد بن محمد بن قدور المراكشي الاسكندراني الدار المكنى الأبيض . كان أحد الفقهاء بالأسكندرية لقيه أحمد ابن حسون وذكره فى رحلته التى ألفها عام 1207 — 1790 وتوفي قبل 1853 (170)

6 — **عبد السلام بن محمد العلمي** : هو طبيب من أهل فاس ومن الموفدين الى مصر لتعلم الطب ، قرأه على أطباء فرنسيين واسبانيين ، وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب أثناء ثورة أحمد عُرابي سنة 1882 وشاهد العمليات الجراحية بمستشفى مصر . ولما عاد الى المغرب اختص به السلطان مولا ي الحسن ، فجعله طبيبا لنفسه ولعياله . كما أنه فتح دكانا لعلاج المرضى بفاس . وكان يجلب لمصر كتبا غريبة المنحى فى العلوم العقلية والطبيعية والجغرافية لم تكن معروفة . وله من التآليف « ضياء النبراس فى حل مفردات

---

168 . محمد بن الحسن الحجوي : « الفكر السامي ... » ج 4 ص 140 ومحمد مخلوف : « شجرة ... » ص 431 وعبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 4 ص 348 وعبد العزيز بنعبد الله : « مصر والمغرب الأقصى عبر التاريخ » العدد 229 من « دعوة الحق » ماي 1983 ص 19 وخير الدين الزركلي : الاعلام ... » ج 4 ص 165 .

169 . المصدر الأخير ج 2 ص 224 .

170 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 6 ص 290 .

الأنطاكي بلغة فاس » و « البدر المنير في علاج البواسير » ، وتوفي سنة 1906/1323 (171) .

7 ـ **احمد شهبون** : كان مثل سابقه من أعضاء البعثة التعليمية الى مصر خلال 1859/1276 ، أي أثناء فترة حكم الخديوي محمد سعيد المتوفى سنة 1280 هـ . وقد وضع تأليفا سماه « كتاب الجغرافية المغربية » وأتم تخطيطه بفاس سنة 1898/1315 . وهو من العلماء الجغرافيين المغاربة ، ولـــه خرائط (172) .

8 ـ **الحبيب البلغيثي الحسني** : وهو عم القاضي أحمد بن المامون البلغيثي . قضى 40 سنة في قاهرة مصر للمتاجرة . وكانت وفاته بفاس سنة 1323 ـ 1905 . وقد ساهم في طبع أجزاء «الاستقصا ، لأخبار دول المغرب الأقصى» (173) ، وكان تاجرا . ومن ذلك أنه وجه سنة 1888 من الأسكندرية زرابي الى المخزن على ما يظهر ، فطالب بثمنها الحاج محمد الزكاري نـائـب الطريس (174) .

وقد يكون الحبيب من جملة التجار المغاربة بالقاهرة الذين كانوا يطبعون الكتب الضرورية لطلبة القرويين ويرسلونها الى المغرب (175) مـــع الحجاج أو غيرهم .

9 و 10 ـ **حسن المراكشي وابنه عبد الكريم** : وهما معا مـــن مدينة مراكش . وكان الأب تاجرا بالقاهرة ، أما ابنه عبد الكريم فقد ولـد بمدينة أسيوط . وكان حسن هذا تاجرا مكث هنالك للتجارة وكان لا يزال حيا في تاريخ كتابة العباس ابن ابراهيم لمؤلفه « الاعلام » (176) .

---

171 . نفس المصدر ج 8 ص 491 .
172 . عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 2 ص 161 ـ 162 .
173 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 248 وعبد الله العروي : « الأصول ... » ص 214
174 . رسالته الى الزكاري في 13 رجب 26/1305 مارس 1888 ـ محفظة الطريس 12 .
175 . عبد الله العروي « الأصول ... » ص 204
176 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 8 ص 181

11 — **أحمد بن الحاج الركراكي الرباطي** : الذي كان يشتغل باحدى مطابع القاهرة أكثر من عشرة سنوات ، ولما عاد الى المغرب حوالي 1914 وظف في مناصب مخزنية . وهو من الأدباء وله تأليف عن مدينة الصويرة (177) هو « الشموس المنيرة فى أخبار مدينة الصويرة » .

12 —**الحاج أبو بكر برادة** : وقد رحل الى مصر قبل سنة 1847 فاستوطن مدينة الاسكندرية (178) . ولعله كان تاجرا بهاته المدينة .

13 — **الحاج علي بن أحمد زنيبر** : ولد بمدينة سلا حيث تلقى دراسته الأولى ، ثم تعاطى التجارة بها وانتقل بعد ذلك الى مدينة فاس لنفس الغرض . ولما توسع نطاق حركته ، أخذ يتعامل مع البلاد المصرية ويرسل اليها البضائع التقليدية كالبلغة ، الى أن كانت سنة 1298 — 1881 ، فرحل الى هناك وأخذ يستورد الانتاج المغربي ويصدر الى بلاده سلعا شرقية ، كالتوابل والبخور والعود القماري والحرير (179) .

ويقال ان الحاج علي أفلس فى تجارته بفاس بأموال الناس ، فاضطر الى مغادرة المغرب . لكن هذا القول بالافلاس محتاج الى تحقيق ، ولو صح فانه قد لا ينطبق — على ما يظهر — إلا على فترة معينة من حياته . فقد تحسنت حالته المادية فى الغربة بعد ذلك ، لما أدى من ماله الخاص أو من الأموال العمومية أجرة رجوع حجاج مغاربة فقراء منقطعين . ويستفاد من موجب أنه فى أوائل جمادى الأولى 1311 (منتصف نونبر 1893) توسط المترجم بين طائفة من الحجاج المغاربة وبين الحاج علي الميلادي وكيل بابورات فرانسيسكو الباش بالأسكندرية ، لكي ينقل الى طنجة نحو 500 حاج ، مقابل 700 لويز ذهبي. فوقع الاتفاق بين الأطراف ، ثم دفع الحاج علي زنيبر « من ماله الخاص » 150 ريالا لحمل 75 من الفقراء . وبعد ذهاب زنيبر أخذ الميلادي يماطل الركاب ، وانتهى به الحال الى الزامهم الغاء وكالة زنيبر عنهم وقدم لهم ورقة

177 . عبد الله الجراري : « من اعلام ... » ج 2 ص 9

178 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 32 (5) .

179 . محفظة التراجم بمديرية الوثائق الملكية .

بيضاء للتوقيع عليها ففعلوا . غير انهم بعد ذلك ندموا واحتجوا بأن « الورقة المأخوذة علينا أخذت منا جبرا وكرها لا برضانا . وعليه فلا يعول عليهـا مطلقا » (180) .

ومهما يكن فقد قضى الوكيل زنيبر نحوا من 23 سنة بالديار المصرية . ولما عاد الى وطنه حوالي سنة 1904 استقر بطنجة ، وسكن لوقت ما بأحد أبراج المدينة . وفي سنة 1906 انتقل الى فاس ثم أكثر من التردد على هاتين المدينتين وعلى تطوان وسلا حتى توفي سنة 1332 ـ 1915 . وبمسقط رأسه دفن (181) .

كان المترجم من الدعاة الأولين لحفظ استقلال المغرب . وكان على اتصال بزعماء مصر ورجالات فكرها . وفي سنة 1903 استقبل بمدينة بـور سعيد الشيخ محمد الكتاني مبعوث السلطان عبد العزيز الى الشرق . وقد وصفه بأنه « ممثل سفير المغرب الحاج محمد الحلو الفاسي » . وذكر أنه كان يعيش هناك جماعة من المغاربة أشهرهم علي زنيبر «الأستاذ الشاعر وصاحب القصائـد الوطنية المتنوعـة وذو الفكـر النيـر والوطنيـة الصادقة » (182) .

ورجع الحاج علي الى المغرب وأخذ يبذل نشاطا سياسيا دائبا ويتصل بالدوائر المخزنية العليا بفاس وطنجة . وعن مؤتمر الجزيرة الخضراء وضع تأليفا صغيرا عنوانه « حفظ الاستقلال ، ولفظ سيطرة الاحتلال » ضمنه اقتراحا يشتمل على 31 نقطة لاصلاح الأحوال السياسية . كما احتوى التصنيف على

---

180 . الموجب المذكور منتسخ عن اصله ، وعليه خطاب قاضي طنجة في 17 شعبان 1322/27 اكتوبر 1904 . وتاريخ الموجب الأصلي هو اوائل رجب 1311/ اوائل يناير 1894 . الأشهاد تلقي عن 61 حاجا منهم 15 من الرباط و 11 من فاس و 7 من سلا . اصل النسخة المخاطب عليها من لدن قاضي طنجة موجود بمكتبة الصبيحي بسـلا .

181 . محفظة التراجم ثم محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 249

182 . المصدر الأخير وكذلك محمد الباقر الكتاني : « ترجمة الشيخ محمـد الكتاني الشهيد » ص 94 .

منظومة رائية متوسطة القيمة عنوانها « مصباح الفلاح لمراجعة الاصـــلاح » .
وهذا مطلعها :

عزيزي ومن البحـث يسـري بمـا آسـري
ويجتـاز فى الاصـلاح قيـــد ذوي أسـر

الى ان قال :

وقل ما تـــرى فالحـق مرمـى ذوي الهدى
وراية أهـل الحـي فى الطـي والنشـر
ولا تخـش الا الله فى كـــل مـا تــرى
فان ابتهاج العبــد ترضيــة الحـر (183)

وعلى الرغم من هاته القصيدة يعتقد البعض أن نصيبه من العلم كان ضئيلا لا يرقى به الى قرض الشعر ، وأن صاحبنا هذا كان غريب الأطوار شاذ التفكير . إذ يُؤْثَر عنه أنه رفض العودة من مهجره ، ما لم تُمَد بالمغرب السكة الحديدية .

رسائل الحاج علي لا تكاد تقرأ لرداءة كتابته بخط الزمام (لا بخط الرقعة لأنه لم يتمصر بالرغم من طول عيشه بالمهجر) . ثم انها لا تفهم الا اذا عرفت الظروف التى كانت محيطة به .

كان منتسبا للطائفة الدرقاوية المتشددة . ولذلك كان معجبا بشيخها حسب مقولة زنيبر المشهورة فى الأوساط السلاوية .

فقد ذكر أنه لا يرتاح فى الدنيا الا الى ثلاثة أشخاص . أولهم مولاي العربي الدرقاوي الذي اختار لفقرائه ــ حسب الحاج علي ــ وِرْداً قصيرا سهلا (بخلاف غيره الذين وضعوا أورادا طويلة حتى لا يكاد يتمها المريد) ، وثانيهم الانجليزي فى سياسته (؟) . وثالثهم صياد السمك فى صبره ومكابدته

---

183 . التاليف مخطوط بمكتبة الصبيحي تحت رقم 557 مع مجموعة من الرسائل التي كان يتبادلها مع باشا سلا الحاج الطيب الصبيحي .

حتى يظفر بصيده (السمك المقصود هنا هــو الشَّفْشَف المدعـو عندنا « القـُرب » ، تلك اللفظة المشتقة أو المشتق منها كلمة كوربينـــا corvina الاسبانية أي أومبرين ombrine الفرنسية) .

* * *

وختاما لا يستطيع أحد أن يغمط الحاج علي الدور الطلائعـي الذي اضطلع به خلال حياته المضطربة والنشيطة معا داخل المغرب وخارجـــه . ويكاد شذوذه يدل على قوة شخصيته وعلو كعبه . وقد سار أحفاده الصبيحيون على منهجه في النصف الأول من القرن العشرين .

* * *

14 ـ **احمد الغربي** : كان تاجرا مقيما بالاسكندرية حوالي 1830 . ولما زار ابن طوير الجنة هاته المدينة خلال رحلته الى الحجاز استضافــه الغربي وأكرم مثواه (184) .

15 ـ **محمد بن علي بن محمد العدلونـي الدمناتي** المولـود سنة 1230 ـ 1813 والمتوفى سنة 1889 . رحل الى مصر في طلب العلوم الشرعية وأقام هناك ثمانية أعوام (185) .

16 ـ **حسن بن محمد بن محمود العطار** المغربي الأصـل الذي تولى مشيخة الأزهر سنة 1246 ـ 1830 وقبلها (186) .

* * *

هذا عن التجار والعلماء ، أما الصناع فكانوا بلا ريب عديدين ومنهم بعض عمال الطباعة حسبما تقدم . ولم أقف الا على اسم صانعين وهما :

---

184 . عبد القادر زمامة : « رحلة من القرن 13 هـ ... » في مجلة « البحث العلمي » العدد 28 ص 301 .

185 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام » ج 7 ص 66 .

186 . عبد العزيز بنعبد الله : « مصر ... » في « دعوة الحق » العدد 229 ص 28

17 — **الحاج محمد بن الهاشمي بنسعيد** : وهو من مدينة سلا . وقد عاش في أواخر القرن الماضي بمدينة الاسكندرية حيث تعلم النجارة وخرط الأعواد ، ونقل عن صناع هاته المدينة طرائق تزيين البيوت الأجنبية . ولما عاد الى المغرب ، أنشأ معملا بحي بوقرون بالرباط . وكان يسافر الى جبل طارق وطنجة في شؤون مهنته ، يأخذ « التوصيات » من الأسر الأجنبية لصنع ما هو مطلوب منه بطريقة التصوير و « الكاطلوغ » .

وقد توفي في العشرة الثانية من القرن العشرين ، وتتلمذ له أزيد من أربعين صانعا . ومنهم من أهل سلا : الحسن الطرابلسي والعربي حصار والعربي التازي ومحمد الرحماني وأبو عمرو شقرون وأبوعمرو الحارثي ومحمد بنسعيد . وقد اشتهروا بالنجارة الرقيقة (187) .

18 — **عبد الكريم الزريع الفاسي** : قامت على أكتافه نهضة متواضعة في صناعة الخزف بمصر في القرن الثاني عشر الهجري ، وقد صنع الـــواح القشاني لتغطية جدران العمائر .وتوجد الآن نماذج من ذلك في دار الآثار العربية بمصر . وكان من المصورين على الألواح المذكورة ورسم على قطعة منها اسمه وتاريخ 1171 هجرية (188) فهو اذن من رجال القرن الثامن عشر.

* * *

ث — 3 **الـــوكـــلاء** :

أما التمثيل القنصلي فقد تولاه الأشخاص الآتية أسماؤهم :

19 — **مولاي محمد بن المهدي** وكان من امراء الأسرة العلوية (189) .

ولم أقف على تاريخ تعيينه ، ولكنه على كل حال قبل الذي بعده .

20 — **الحاج محمد بن الطيب برادة** المتوفى قبل غشت 1845 . وكان وكيلا أيضا (190) بعد السابق مباشرة حسبما يلوح .

---

187 . الافادة من عند الحاج احمد معنينو السلاوي .

188 . عبد العزيز بنعبد الله : « علماؤنا ... » في « دعوة الحق » دجنبر 1960 ص 31 ومحمد المنوني : « مشاهد ... » في نفس المجلة ، يوليوز 1972 ص 115

21 — **الحاج محمد بن الحاج احمد الرزيني** : التطواني وكان سنة 1848 يتولى الوكالة قبل أن يصبح قنصلا بجبل طارق . وفى سنة 1858 كلفه السلطان بشراء عقار وتحبيسه على مؤذني مكة والمدينة (191) .

22 — **الحاج محمد افروخ التطواني** كان سنة 1866 وكيلا (192) وأحد تجار المغرب بمصر دون تحديد المدينة التى قد تكون هي القاهرة .

23 — **الحاج محمد الحبابي** وتولى ذلك سنة 1286 — 1870 أيضا (193).

24 — **الحاج عبد الغني بن الطيب التازي** : المتوفى بمصر سنة 1294 — 1878 . وكان قنصلا فى عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان والحسن الأول (194) .

25 — **الحاج عبد الواحد بن محمد التازي** : وهو من فرقة المزعلك التي كان طرف منها يقيم بمصر (195) ، كما أنه ابن أخي السابق الذي قبله (196) . وقد ظل قنصلا للمغرب سنوات طويلة ، عينه السلطان هناك وكيلا بعد وفاة عمه الحاج عبد الغني (197) . ويبدو أنه كان إما سيِّىءَ التصرف ، وإما أنه كان له منافسون فى الدوائر المخزنية العليا . ولذلك عثرت على عريضة يشهد موقعوها أن الحاج عبد الواحد وكيل المغاربة مستقيم السيرة ، وهي بامضاء مغاربة جلهم فاسيون ، ولأغلبيتهم العظمى طوابع صغيرة ومستديرة

---

189 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 46

190 . رسالة محمد بن ادريس الى بوسلهام بن علي في 7 شعبان 1261/11 غشت 1845 محفظة بوسلهام 4 .

191 . رسالة العربي بن المختار الى قنصل فرنسا في 28 جمادى الأولى 1264/2 ماي 1848 (صورتها عند أوجين فومي في « المختار ... » ص 47 اللوحة 21) واحمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 74 وابن زيدان « الأتحاف » ج 5 ص 127 .

192 . عبد الوهاب ابن منصور : « الوثائق » : 2 ص 420 (3)

193 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 46

194 . المصدر السابق

195 . عبد الهادي التازي : « رسائل مخزنية » ج 1 ص 22 و 23

196 . محمد المنوني : « مظاهر ... » ص 46

197 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 293

(1,5 سنتمتر × 1,5 سنتمتر) تحمل اسم صاحبها بشكله ودعائه (198) . وسيأتي كلام خاص عنها .

26 — **الحاج محمد بن قاسم الحلو** : وهو الذي خلف الحاج عبد الواحد التازي عند وفاته حوالي 1311 — 1893 (199) .

27 — **الحاج محمد بن العباس بنشقرون** : وهو من أصل فاسي . وقيل أنه كان وكيلا سنة 1898 ، وكان يخفظ تركات المغاربة القاطنين بعاصمة الكنانة (200) . ولكن يبدو أنه لم يكن الا نائبا عن الوكيل وأنه كان لا يزال سنة 1903 فى منصبه النيابي . ولي عودة الى مسألة حفظ التركات .

* * *

ث — 4 عريضة الوكيل التازي :

الفقرات الموالية هي آخر ما اتحدث به عن المغتربين فى مصر . وتتعلق بعريضة قدمها 185 مغربيا يزكون بها سيرة القنصل الحاج عبد الواحد التازي . وهي مؤرخة فى 10 جماد ى الأولى 1305 — 23 يبراير 1888 .

وأسوق فيما يلي للفائدة التاريخية سوقا كاملا نص التزكية أولا ، ثم أسماء مؤيدي الوكيل . وقد وضعت لدراستها — بعد ذلك — أرقاما تبتدىء من اليمين الى اليسار ومن الأعلى الى الأسفل ، وأثبتت الأسماء حسبما كتبت بخطئها أو بصوابها ، مشيرا الى من له طابع والى ما جعل داخل الختم ، من اسم متغرب أو متمصر ، والى التاريخ الهجري المكتوب فيه بالأرقام الهندية . وبعد ذلك أو أثناءه أعقب على مجموع الوثيقة حسبما علمته .

---

198 . صورتها بمحفظة الطريس 12 ، واصلها بمكتبة تطوان يحمل رقذ مـح ومقياسها هو 60 س × 27 س .

199 . رسالة الطريس الى احمد بن موسى في 4 محرم 1311/18 يوليوز 1893 — محفظة الطريس 25 و ص 46 من كتاب « مظاهر ... » لمحمد المنوني

200 . عبد العزيز بنعبد الله « معطيات ... » ج 1 ص 93 (1) وكذلك : « الموسوعة ... » ج 2 ص 20 ثم محمد المنوني في مقاله : « مظاهر ... » بمجلة « تطوان » العدد الثاني 1957 ص 46 .

ث — 4 — 1 النص (وهو بخط الرقعة)

« الحمد لله »

« يشهد الواضعون أسماءهم وأختامهم فيه أدناه (أنهم) يعـرفون الحاج عبد الواحد التازي خادم سيدنا أيده الله بمصر معرفة تامة كافية اسما ونسبا ، بها ومعها يشهدون بأن خادم سيدنا فى غاية الاستقامة فى شؤون ما هو مكلف به من الحضرة العالية بالله ، ولا رأينا منه ما يخل من تعديات ولا أكل تركات ولا ضياع حقوق أحد . وأحواله مستقيمة منذ تولى خدمة سيدنا المؤيد بالله ، وأننا قابلين توليته علينا برضانا جميعا حيث لم يصدر منـه مخالفة فيما هو مأمور به من اتباع الشرع فى جميع ما يقف عليه من أمور التركات .

« وكذا شهدنا بذلك لمندوب حضر عندنا لسوق الفحامين من طـرف الحكومة المصرية يسألنا واحدا بعد واحد من المغاربة تجار وفقراء بما شهدنا أعلاه . وكذا نشهد بما ذكرنا لدى حاكم مصر وغيره . ومن يشهد فيه بخلاف ذلك فهو زور محض وحسد فيه يريد له بذلك الضرر وايقاد نار الفتن ، وذلك ينتج منه الاذاية .

« وعلى موجب ما رقم وسطر وضعنا أسماءنا وأختامنا أدناه . والله خير الشاهدين .

« فى 10 جمادى الثانية 1305 » .

* * *

ث ـ 2 ـ **أسماء المؤيدين** (201)

1 ـ يشهد بها رشد أبو النصر العلوي بمصر حرسها الله ـ بد
2 ـ سيدي طهر أجان ـ بد (أي الطاهر أجانا)
3 ـ كاتبه محمد عبد الواحد الطوبي ـ ق
4 ـ السيد محمد بن عبد الكبير الحكيم ـ (ويستفاد من الطابع ان اسم جده هو عمر)
5 ـ الحاج محمد بن محمد التازي ـ ز
6 ـ محمد يزرور وفقه الله بمنه ـ ز (1291)
7 ـ الحاج محمد بن الطاهر بن جلون ـ ز
8 ـ محمد بن عبد الواحد الأزرق ـ ز
9 ـ محمد بن عبد الخالق بن شقرون ـ ز
10 ـ الحاج التهامي الرايس ـ ز
11 ـ السيد محمد الجنوني وفقه الله ـ ز (المغربي : 1302)
12 ـ أحمد محمد برادة ـ ق
13 ـ الحاج عبد الرحمان ابن ابو زيان ـ ق
14 ـ الحاج محمد بن عبد السلام بنونة ـ ز
15 ـ محمد بن أحمد الحلوا لطف الله به ـ ق (1302 ؟)
16 ـ الحاج محمد الحريشي ـ ق ـ (1302)
17 ـ الحاج الخياط مَحمد برادة ـ ق ـ (حاج خياط بن محمد برادة)
18 ـ مولاي الحاج المفضل البقالي ـ ق (ملي مفضل بقل : 1295)
19 ـ يشهد بدليك كاتبه الحاج ادريس التازي ـ ز
20 ـ الحاج أحمد المراكشي ـ ز ـ (1292)

201 . رغبة في الاختصار سأجعل رموزا بالحروف للدلالة على انواع الخطوط المكتوبة بها شروح الأختام والتوقيعات الواردة في هذا النص : ج = مجوهر ، بس = مبسوط ، ز = زمام ، بد = بدوي او بدائي ، ق = رقعي . وما جعل بين هلالين يفيد ما هو مفهوم من بعض ما نقش داخل الطابع زيادة في التوضيح ، او ما قد يستخلص من الكتابة المحرفة .

21 — محمد احمد برادة — ق

22 — يشهد بذلك كاتبه محمد ابن يحيى — ق

23 — الحاج الحسين ابن يحيا — ز

24 — كاتبه الفقيه بن حَ احمد بن شقرون لطف الله به — ز

25 — كاتبه محمد بن عبد النبي مزور — ز

26 — الحاج ابو بكر التازي — ز (1292)

27 — شهد بذلك كاتبه محمد بن محمد العدلاني — بد

28 — الحاج قاسم برقوق — ق

29 — الحاج محمد بن محمد عديل — ق ، ولم اتبين التاريخ داخل الطابـــع

30 — شهد بذلك كاتبه ابراهيم الطوبي — ق

31 — الحاج عبد القادر بن محمد بن جلون — ق

32 — الحاج أحمد بن حمد — بد (ابن احميدة : 1300 ؟)

33 — شهد بذلك كاتيبه اج العربي بنونة — بد

34 — الحاج عبد السلام بن محمد الحبابي — ق . ولم أتبين التاريخ فى الطابع

35 — الحاج عبد السلام محمد التطاوني — ق (1292)

36 — الحاج العربي السقاط — ق — (1298 ؟)

37 — محمد بن غانم — ق

38 — محمد حرازم التازي — بد

39 — عبد القادر الابار — ز

40 — السيد اطهر البقالي — بد (طاهر محمد البقلي)

41 — سيدي أحمد البقالي — بد (أحمد طاهر البقالي : 1303)

42 — الحاج محمد الشاوي — ز (1299)

43 — محمد عبد السلام بناني — ق (محمد بن عبد السلام : 1302)

44 — الحاج أبو بكر ابن ابراهيم — ق ، وبداخل الطابع رقما 12 ولم يظهر ما بعدهما من العشرات والآحاد

45 ـ الحاج محمد الريفي ـ ق (1302 ؟)

46 ـ الحاج عبد السلام العرائشي ـ ق ، والتاريخ غير واضح

47 ـ الحاج فضول المكناسي ـ ق (1298)

48 ـ الحاج محمد ابن ابراهيم ـ ق (محمد ابراهيم 1300)

49 ـ الحاج عبد الرحمان الغرابلي ـ ق

50 ـ الحاج سعود البناني ـ ق (202)

51 ـ الحاج عبد القادر بن احمد الشركي ـ بد (عبد القادر احمد المغربي 1287)

52 ـ الحاج الطيب ابن العيساوي برادة ـ ق (الطيب بن عيسى برادة)

53 ـ الحاج البشير التازي ـ ق (ابن محمد)

54 ـ الشريف السيد محمد السليماني ـ ق (السيد محمد الشريف السليماني)

55 ـ السيد محمد بن مولاي أحمد بن الكبير العلوي ـ ق (1298)

56 ـ الحاج التهامي ابن جلون ـ ق

57 ـ الحاج محمد بن سلكة ـ ق

58 ـ (داخل الطابع : « محمد بناني » ، وليس في الوثيقة كتابة)

59 ـ الحاج عبد الرحمن العسال ـ ق (والتاريخ غير واضح ، ولعل نسبه هو الغسال)

60 ـ الحاج بلال علي برادة ـ ز (بلال ... 1298)

61 ـ السيد المداني الحداد ـ ز ـ التاريخ غير بين بالطابع

62 ـ قصم بن أحمد الشركي ـ بد (قاسم أحمد) . أما التاريخ فهو ... 12 دون وضوح العشرات والآحاد

63 ـ الحاج عبد الوهاب بن محمد التازي ـ ق

---

202 . البناني هذا مغربي وهناك غيره بالحجاز . لكن خير الدين الزركلي (« الاعلام ... » ج 4 ص 73) ذهب الى ان البناني نسبة الى بنانة التي هي من قرى منستير بافريقية (تونس) وذلك في معرض الكلام عن عبد الرحمان بن جاد الله البناني المغربي المتوفى بمصر سنة 1198/1784 والذي هو فقيه مغربي جاور الأزهر .

64 ـ خليل مَحمد الأوديي ـ ق (خليل محمد الوديي)
65 ـ الحاج محمد العساوي الغسال ـ ز (1302)
66 ـ عبد ربه السيد محمد ابن ادريس الويلاني لطف الله به ـ ز
67 ـ الحاج محمد بن عبد الله المكناسي ـ ق (الحاج محمد عبد الله 1302)
68 ـ محمد الجيلاني بن عبد الله المكناسي ـ ق (محمد جلالـي : 1302)
69 ـ الشريف بن ابو عبد الله ـ ق (الشريف ابو عبد الله)
70 ـ أحمد اليحياوي ـ ق (المغربي)
71 ـ الحاج عبد القادر الغريسي ـ ز
72 ـ الحاج علال برادة ـ بد
73 ـ السيد محمد المنجرة ـ ز
74 ـ الحاج محمد بن محمد بن جلون ـ ز
75 ـ ح العباس برادة ـ ز (بن محمد)
76 ـ محمود بن عبد الرحمان ـ بد (محمد عبد الرحمن)
77 ـ الحاج أحمد الأزرق ـ بد (1292)
78 ـ الحاج سعيد السوسي ـ بد (الحاج سعيد حسن المغربي)
79 ـ ملاي برهم بن الطالب ـ بد (السيد ابراهيم ابن الطالب)
80 ـ سيد محمد بن العباس لقدميري ـ بد
81 ـ الحاج محمد الزموري ـ ز
82 ـ ادريس بن سليمان الزرهوني ـ بد
83 ـ سيد محمد بن دريس ابوزبع ـ بد (ابو زوبع)
84 ـ امحمد علي الدسولي ـ بد (محمد علي : 1305)
85 ـ محمد حسين السلاوي ـ ز (حمزة حسين 1299) . وهنا خلاف بين المطبوع والمكتوب .
86 ـ الحاج محمد بن أحمد بن جلون ـ ز
87 ـ الحاج الجلالي الشرقاوي ـ ز (جلالي شرقاوي)
88 ـ الحاج صالح ادراوي ـ بد (صالح محمد)

89 ـ الحاج محمد بن العباس الكوهن ـ ز (محمد عباس 1305)

90 ـ سيد قصم بن محمد الشرقاوي ـ بد (قاسم بن محمد : 1305)

91 ـ محمد بن محمد الشرقاوي ـ ز (محمد بن محمد 1301)

92 ـ عبد الرحمن أحمد التدلاوي ـ ز (الحاج عبد الرحمان بن أحمد المغربي)

93 ـ الحاج الزموري بن العربي الدكالي ـ ز

94 ـ الحاج محمد بن أحمد المراكشي ـ ز (محمد بن أحمد : 1301)

95 ـ الحاج العربي بن كيران ـ ز (1292)

96 ـ الحاج عمر امحمد الشاوني ـ ز (1301)

97 ـ السيد عبد السلام المكاوي ـ ز (1300)

98 ـ الحاج صالح بن محمد الزمراني ـ ز

99 ـ عبد الرحمان زرناط ـ بد . ولم أميز النسب الذي قد يكون أرناط أو أرنيط

100 ـ السيد أبو بكر بن الطيب المنجرة ـ ق

101 ـ الحاج عبد السلام ابن محمد التازي ـ ق (1300 ؟)

102 ـ الحاج أحمد برقوق ـ ز

103 ـ الحاج أحمد بن كيران ـ ق (1301)

104 ـ عبد العزيز التازي ـ ز . التاريخ غير واضح فى الطابع

105 ـ الحاج محمد الجامعي ـ ز

106 ـ الحاج عمر الريفي ـ ز (عمر بن عبد الله)

107 ـ حسن قاسم الطنجاوي ـ ق (حسن قاسم)

108 ـ الحاج موسى الزموري ـ ز (1290)

109 ـ الحاج قاسم العطار ـ ق (1292)

110 ـ الحاج علي بن عبد الكريم المجدولي ـ ز

111 ـ كاتبه الحاج محمد بن سليمان ـ ز (احمد بن سليمان) وهناك كما نرى معارضة بين المكتوب والمطبوع ، ولعل اسمه مَحمد (بالفتح)

112 ـ الحاج محمد المكودي ـ ز

113 — الحاج أبوبكر المرخاوي ق — (الحاج أبوبكر المرخاوي) . خط الرقعة هنا غير واضح ، ويحتمل أن يكون النسب هو المرغادي أو المركادي أو الحرشاوي أيضا .

114 — السيد علي ابوبكر المنجرة — ز (علي ابوبكر : 1304) .

115 — الحاج أحمد الندلسي — ق

116 — الحاج العربي اليازعي — ق (1301)

117 — الحاج محمد بن الحسن بن بوزيان — ق

118 — السيد عبد الرحمان بن الفضيل العلوي — ق

119 — الحاج عيسى بن مَحمد الكنسوسي — ق (1299)

120 — كاتبه السيد أحمد الشريف الوزاني — بد

121 — السيد أحمد بن محمد البقالي — ق (أحمد محمد البقالي 1305)

122 — محمد محمد المراكشي — ق

123 — كاتبه عبد الحي محمد لزرق ، لطف الله به — ق

124 — عبد السلام عبد الخالق كمان — ق (محمود محمد) . فهناك خلاف بين المكتوب والمطبوع على ما يبدو .

125 — الحاج علال فنجيرو — ز (علال العمراني : 1301)

126 — احمد بن علال بنونة — ق (1305)

127 — الحاج علال بن محمد بنونة — ق (1305)

128 — كاتبه عبد المالك بقصوا ، لطف الله به ، — بد ، ولعل كلمة «بقصوا» هي ابن قَصْو .

129 — حسن أحمد البقالي — ز (حسن احمد : 1304)

130 — أحمد ابن ادريس ابن موسى — ز (1292)

131 — محمد عبد الخلق — بد (محمد بن عبد الخالق)

132 — أشهد بما سطر أعلاه عبد ربه الفقيه الحاج محمد الزموري لطف الله به آمين — بد .

133 — محمد بن محمد السفريوي — ز (محمد بن محمد : 1300)

134 — الحاج قاسم التراب — ز (الحاج قاسم بن علي : 1300)

135 ـ الحاج عبد الواحد الغرناطي ـ ز (عبد الواحد الغالساني : 1301)

136 ـ الحاج حسان محمد السوسي ـ بد (الحاج حسن محمد : 1300)

137 ـ عمر الدراوي ـ ز (1299)

138 ـ عبد القادر بن سعيد ـ ز

139 ـ يشهد بين يدي الله شيخ محمد سنقيط أن الحاج عبد الواحد أنه رجل صالح ـ بد

140 ـ عبد السلام بن ادريس بنونة ـ ز

141 ـ محمد بن علال بنونة ـ ز

142 ـ الحاج ادريس عيوش ـ ز (1305)

143 ـ محمد عبد السلام الفلالي ـ ق (طالب محمد عبد السلام 1300)

144 ـ الحاج محمد بن ادريس البناني ـ ز

145 ـ محمد بن ادريس بنونة ـ ز (محمد بنونة المغربي 1305)

146 ـ الحاج احمد بن محمد بنونة ـ ز

147 ـ الحاج عبد السلام الطنجاوي ـ ز (1305)

148 ـ السيد عثمان الزبادي ـ ز ، وقد يكون النسب هو الزيادي

149 ـ الحاج عبد القادر بن محمد بناني ـ ز (عبد العلي بن محمد بناني) والخلاف هنا واضح .

150 ـ الحاج محمد الأزرق ـ ز (1305)

151 ـ ادريس بن عبد الوهاب التازي ـ ز (1305)

152 ـ الحاج الجيلالي الرباطي ـ ز (جيلالي سكيرج : 1300)

153 ـ احمد ابو النصر ابن جلون ـ ق (احمد ابو النصر 1303)

154 ـ محمد القندوسي ـ ق

155 ـ كاتبه محمد بن محمد بناني ـ ق (البناني · 1305)

156 ـ الحاج عبد المجيد ابن محمد الصفريوي ـ ق (1300)

157 ـ الحاج محمد الرزيني ـ ق

158 ـ وهبة عزوز البردعي ـ ق (1285)

159 ـ الحاج محمد بن قاسم الكوهن ـ ق

160 ـ محمد عبد النبي عمور ـ ق

161 ـ السيد المهدي ابن الحسن ـ ق (السيد مهدي حسن)

162 ـ السيد محمد بن المعلم محمد السفريـوي ـ ز (محمد بـن عبد السلام الصفريوي 1292)

163 ـ امحمد برادة ـ ز

164 ـ الحاج محمد بن علي السحراوي ـ ز

165 ـ عبد الغني الحبابي ـ ز

166 ـ عبد النبي محمد عمور ـ ز

167 ـ الحاج عبد السلام بناني ـ ز

168 ـ احسين عمر المراكشي ـ ز (1300)

169 ـ الحاج أحمد الشاوي ـ ق

170 ـ الحاج محمد أحمد الابار ـ ق

171 ـ محمد العياشي الحريشي ـ ق

172 ـ احمد بن ادريس الصبان ـ ز

173 ـ محمد الاودي ـ ق

174 ـ محمد المدني برادة ـ ق

175 ـ عبد الرحمن برادة ـ ق

176 ـ سيدي محمد بن المداني السبتي ـ بد

177 ـ الحاج احمد بن سمعون المكناسي ـ بد

178 ـ الحاج جمع الوزان ـ (1300 : جمعة شادي) أو شاوني

179 ـ عبد الرحمان بن أحمد لعرائس ـ بد (1305) . ولم يتضح ما نقش داخل الختم . ولعل النسب هو العرائشي أو هراش

180 ـ الحاج احمد السوسي ـ بد (حاج حمد حسن : 1302)

181 ـ الحاج محمد بن مبرك البعمراني ـ بد (الواثق بالله تعالى محمد حاج مبارك) . وطابعه أوسع من الطوابع الأخرى : 3 سنتمترات × 2 ، بدلا من سنتمتر واحد ونصف في مثله .

182 ـ الحاج عبد الرحمان بن محمد السوسي ـ بد

183 — السيد محمد ابو هلل المكناسي — بد ، وصوابه أبو هلال .
184 — الحاج عبد المالك التاواتي — بد (....... بن علي ....)
185 — الحاج جلال اليازغي — بد ، وصوابه الجيلالي اليازغي

* * *

لهاته الوثيقة الخريدة الفريدة أكثر من معنى . وقبل تمحيصها في الفقرات الموالية في قليل أو كثير من الاصابة أو الخطأ ، بودي أن أذكر أن من جملة النقص فيها أنها لا تفيدنا بشيء عن نشاط المتمصرين المهني الذين كان منهم «تجار» (وهي كلمة قد تعني في العرف العامي : الأغنياء) وكان منهم «فقراء» ولعلهم صناع .

الحديث هنا سيسلمنا الى النظر في مَحْتِـد المغتربين المتمصرين ، من حيث مخارج الحروف عندهم واصطلاحاتهم المحلية في التعبير ، بادئا بالفاسيين وخاتما بغيرهم ، والي بحث الشكايـة والعريضة ، والى التأمل في اتخـاذ الأختام الشخصية .

* * *

ث — 4 — 3 — المغتربون من اهـل فـاس

سنرى أن 82 من مجموع 185 يمتون — أو يمت أجدادهم في الواقع — الى فاس بصلة وثيقة ، وأن نسبة المؤيِّدين — بمناصرة مُنصفة أو بتواطؤ أثيم — تبلغ نحو 45 في المئة منهم ، بينما الباقون ينتمون الى سائر المدن والنواحي المغربية .

لكن من أين لنا بأن نميز الفاسي من غيره ؟ هل سنركن إلى شجرة الأنساب ؟ لا يصح ذلك ، ما دام الفاسي رحّالا جوّابا يُصهِر الى عديد من الأسر ويرتبط بغيره بوشائج مختلفة ، فلم يعد اليوم موجودا في العالم جنس صاف ولا دم صرف كما هو معلوم .

ثم هل ثمة معايير أخرى كسَحْنة الجسد ولَوث اللسان ولُثْغته من الوجهة البيئوية الوراثية ؟ الواقع أن معايب يأياة الراء وتأفيف القاف ولون الوجه والأطراف ليست بالضرورة وَقْفاً على الفاسي وحده ، فله في ذلك شـــركـــاء .

أما لسان السوسي القديم فيذكر المؤنث ويؤنث المذكر ويبتلع الهمزة متى نطق بلغة الضاد ، مثلما يعجز لسان الرباطي القديم تقريبا عن الجهر بالشين والجيم ، مستعيضا عنهما بالسين المهملة والزاي الأَسَلي ، مثله مثل المكناسي الذي يرقق ـ إضافة إلى ذلك ـ الامالة المضمومة .

وهل الطنجي و «الجَبْلي» هو من يمد المكسور أو المفتوح قبل سكون ، عندما يتحدث عن بلاده « الماغرب » أو عن رقم « العيشرين » ، أو هو من يسمى الأطفال « لَعْوَاوَل » ؟

وهل الصحراوي الشرقي هل كل من ينون اللام ؟

وهل المراكشي هو من يفخم الراء ويتداول في قاموسه ألفاظا مثل « دروك » ويذهل لسانه عن الغين في النكتة المعروفة : « اللي بيتي بيتو .....» ؟

الواقع أن الاستدلال بطريقة النطق واستعمال اللهجات والاصطلاحات البلدية لا يشفي الغليل ولا يكفي بالتالي لتحديد الأصل ، ما دام الآفاقيون يكتسبون عوائد البلديين بالمرْبَى .

ويبقى علينا أن نقول على سبيل المداعبة البريئة إن المراكشي الأصيل هو «ولد البهجة» ، وأن الفاسي «الأُحَ» هو المتأصل من «ءاع فاس» ، وأنه «ولد مدينة مولاي ادريس» ، وأنه «عَبَّا» بركته . لكننا نؤكد من باب الجد أنه ينتمي لبيوتات اشتهرت منذ عصور قديمة بالتدين والعلم والنخوة والاسترادة . ولئن كانت هاته الصفات الوراثية في انحراف اللسان قد آلت إلى زوال في العهد الحاضر لما تقدم ذكره ، فان المصاهرات والزواج بملك اليمين من الأماء ، وتطورات البيئة ، ونزوح الفاسي عن مسقط رأسه ، قد قلبت الأوضاع دون العصف بالروح العصبية الفاسية الكامنة الدفينة في النفس .

والحاصل أن الفاسي ذكي ونشيط ونسيج وَحْدِه ، يتمتع بحاسة سادسة : إذ كثيرا ما يَجْنَح إلى الفَيْش والمفاخرة ، والى تصدّر الأحداث والاعتصام بالسلطة السياسية ، وإلى الأخذ بزمام المبادرات ، فينصب نفسه وذويه في مراكز القوة الاقتصادية. هو ـ كغيره ـ يسعى دوماً وراء الربح ، كضالّة ينشدها متى كانت وأينما وجدت وفي أي بلد من بلدان المعمور ، بخلاف السوسي الحريص أيضا على الكسب والمغامرة ، التواق ـ طوعا أو كرها ـ إلى الهجرة ، لكنه في باقي الصفات لا يكاد على ما أظن يجاري الفاسي في حبه لطيبات الحياة الدنيا وبهجتها .

إذن لم يبق لي ـ للاستظهار بالأرومة ـ إلا اللجوء الى طائفة من أسماء البيوتات الشهيرة في شتى المدن كمراكش وفاس ، حتى ولو قد انقطعت أسبابهم ـ بل علاقات أسلافهم ـ بالسكن الطويل ، والعيش المستديم بالمدينة منذ عهود وأحقاب .

وفي هذا المعنى سأُصنف المغاربة بمصر في القرن الماضي انطلاقا من أسماء أُسر ذائعة الصيت في فاس وغيرها ، ولا داعي الى تكرارها ، مقتصرا على الأرقام في العريضة .

وأبدأ بأهل فاس وعددهم 82 من أصلاء ومنحاشين :

ـ 8 **من آل بنونة** (14 ـ 33 ـ 126 ـ 127 ـ 140 ـ 141 ـ 145 ـ 146).

ـ **من أسرة بناني والبناني** (43 ـ 50 ـ 58 ـ 144 ـ 149 ـ 155 ـ 167)

ـ 10 **من أهل برادة** (12 ـ 17 ـ 21 ـ 52 ـ 60 ـ 72 ـ 75 ـ 75 ـ 163 ـ 174 ـ 175) .

ـ 9 **من التوازة** (5 ـ 19 ـ 26 ـ 38 ـ 53 ـ 63 ـ 101 ـ 104 ـ 151).

ـ 6 **من عشيرة بنجلون** (7 ـ 31 ـ 56 ـ 74 ـ 86 ـ 153)

– 42 من الفاسيين وأشباههم (8 – 9 – 15 – 16 – 24 – 25 – 29 – 34 – 36 – 49 – 51 – 62 – 73 – 77 – 83 – 84 – 85 – 89 – 95 – 100 – 103 – 105 – 109 – 114 – 116 – 123 – 133 – 142 – 145 – 146 – 150 – 154 – 156 – 158 – 159 – 160 – 162 – 165 – 166 – 171 – 176 – 185) وذلك حسبما أعتقد .

ث – 4 . 4 . **باقي المغتربين :**

– 7 من مكناس (2 – 47 – 67 – 68 – 134 – 177 – 183)

– 9 من سوس (32 – 78 – 82 – 119 – 136 – 138 – 180 – 181 – 182)

– 3 من طنجة (59 – 107 – 147)

– 2 من سلا (3 – 30)

– 4 من تطوان (35 – 39 – 157 – 170)

– 5 من مراكش (20 – 94 – 122 – 168 – 172)

– 2 من الرباط (125 – 152)

– 11 من الشمال (18 – 40 – 41 – 45 – 46 – 96 – 106 – 120 – 121 – 129 – 178)

– 10 من الصحراء (1 – 55 – 71 – 88 – 118 – 137 – 143 – 165 – 184 – 139 ، الذي هو من شنقيط) .

– 9 من الوسط (81 – 87 – 90 – 91 – 92 – 93 – 98 – 108 – 169)

أما البقية فليس من سبيل الى معرفة مساقط رؤوسهم سوى التخمين.

ولعل عدد المتمصرين حسب التسمي المهجري يبلغ 37 شخصا (محمد أحمد مثلا في مصر بدلا من محمد بن أحمد بالمغرب) . وأرقامهم هي :

3 — 12 — 21 — 35 — 41 — 48 — 51 — 60 — 62 — 64 — 67 — 68 — 76 — 78 —
84 — 85 — 87 — 88 — 89 — 96 — 107 — 114 — 121 — 122 — 123 — 124 — 129
— 131 — 136 — 143 — 152 — 161 — 168 — 170 — 178 — 180 — 181 —

ث : 4 — 5 — أصل الشكايـة

ومن أسَفٍ ألا نعثر على أسماء المغاربة الآخرين بمصر ، النُزَلاء الحقيقيين في كل من الأسكندرية والقاهرة وبور سعيد ، والمحتملين بطنطا ودمنهور والصعيد ، ممن كانوا يعادون الوكيل أو يحسدونه ، حسب تعبير العريضة ، أو ممن كانوا قـد التزموا الحيـاد ، أو ممن كانوا لا يعلمون عن الخلاف والنزاع شيئاً قليلا أو كثيرا . فقد سلف القول إن عددهم يقارب 1500 شخص في أواخر القرن التاسع عشر . وإذا أضفنا أسماء المؤيدين الى أسماء المناهضين وأهالي الجميع وذويهم فقد نصل الى الرقم المذكور .

ثم علام انطوت الشكوى ؟ وهل هاته التزكية كانت حقا قائمة على أساس صالح ؟ ذلك ممكن ، لكن يقال « لا نار بدون دخان » : فتبرئة الحاج عبد الواحد من أكل تركات المنقطعين وعابري السبيل سنة 1888 ، ثم التأكيد المتكرر بعد عشر سنوات أن « الحاج عبد السلام بنشقرون كان يحفظ تركات المغاربة بالقاهرة سنة 1898 » ، برهان على وجود التهمة بها في وقت ما ، وعلى أن هذا السطو على الأموال كان سكة جارية لا في مصر فقط بل حتى في غيرها ، ولذلك قد لا تكون هناك عبرة بشهادة البسطاء أو المغفلين الذين ربما انضموا بِأَخَرَةٍ إلى صفوف المؤيدين رَغَبا أو رَهَبا أو عصبية (82 من أهل فاس) . العريضة كانت على ما يظهر مدحا بما يشبه الذم . وفوق ذلك الله أعلم ما إذا كان الغير طامعاً في هذا المنصب القنصلي . وحينئذ قد تكون هاته التبرئة (كما قد لا تكون) شهادة بحسن سلوك القنصل فعلا .

ث : 4 ـ 6 ـ ظاهرة الطوابـع

نلاحظ أن أغلبية المُشَايِعين يملكون أختاما ، ما عدا 12 فقط هم ذوو الأرقام : 1 ـ 3 ـ 19 ـ 22 ـ 27 ـ 30 ـ 33 ـ 50 ـ 66 ـ 110 ـ 123 ـ 132 ، ويستوي في ذلك الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، من طلبة وأميين ، فهل كانت الطوابع سترا لمركب نقص ، أم إظهاراً لمركب عظمة ، أم « موضة » عصرية للتشبه بالكبراء والذوات ؟

وهل كان الطابع يخفى الأمية ويغني عن التوقيع ؟

لا جواب هنا ، وإن كان الراجح أن الاختام كانت عند خصوم الوكيل التازي وعند شيعته على السواء ، فانتشار الطباعة في مصر قبل المغرب كان من عوامل التحلي بها .

ومهما يكن من أمر ، فيمكن أن نقول إن اتخاذهم للطوابع كان مكتسياً صبغـة الفيش والمباهـاة أولاً ، وأن ذلك كان ابتداعـاً جديدا ثانيـا ، لم يألفه التجار المغاربة بداخل المغرب على ما يظهر ، ولو أن بعض الولاة المدنيين والقرويين عندنا صاروا ، في هذا الوقت وحتى قبله ، يبعثون الى المخزن بمكاتيبهم ممهورة ومحلاة بدعوات الاستلطاف الألهي ، والاستئمان الرباني ، مع العلم أن المستعرب شارل فيرو وزير فرنسا بطنجة ، وأوكوست بوميي قنصلها بالصويرة كانت لهما طوابع بلسان عربي ، تستلطف وتستأمن هي كذلك .

ومن جهة أخيرة كان داخل بعض الطوابع تاريخ هجري بأرقام هندية كما تقدم ، ونتساءل هل كانت هاته الأختام تعني تاريخ التمصر ، أم دالة على رخصة الاقامة ، أم أنها كانت مفروضة عليهم فرضا ، نتيجة مضايقات محتملة عليهم ؟

كتب التاريخ ووثائقه قد تكون عندها أجوبة صحيحة على ما قـد يكتنف العريضة من غموض وتساؤل .

* * *

ج ـ السـودان

وأعني به السودان المصري سابقا أو السودان الشرقي ، حيث كان يعيش منذ قرون قرب النيل الأزرق جنوبي الخرطوم ، طائفة من المغاربة . وهم قبائل متعددة لا تختلف عن السودانيين في العادات وما تنتجه الأرض من فلاحة وتربية سوائم وتجارة ، إلا أنها تحتفظ في قلب السودان بطابعها المغربي كبياض البشرة ونعومة الشعر وخواص اللهجة المغربية الفصيحة التي هي لهجة الأعراب في موريطانيا وباقي الصحراء (203)

* * *

ح ـ الشـام (سوريـا ولبنـان)

استوطن المغاربة سوريـا الحالية ، والذين اشتهروا منهم هم آل البيباني ، نسبة لقرية بيبان المصرية التي انتقل إليها من المغرب أحد اسلافهم الأولين ، فولد له فيها يوسف بن عبد الرحمان آتي الذكر حالاً :

1 ـ **يوسف المغربي** أبوه هو عبد الرحمان بن عبد الوهاب المغربي البيباني المراكشي السبتي الحسني .

ولد بقرية بيبان المصرية ، ولما شب رحل الى تونس لطلب العلم في جامع الزيتونة . وعندما أتم دراسته اختار المقام بدمشق . وكان محدثا ومن فقهاء الشافعية ، وله رحلات الى مختلف الأقطار . وكانت وفاته سنة 1279/1862 بمدينة دمشق (204) .

2 ـ **بدر الدين الحسني** هو ابن يوسف سالف الذكر . ولد بدمشق أيضا سنة 1267/1851 ، وتوفي سنة 1354/1935 . كان صَوّاما وَرِعا ، بعيدا عن الدنيا ، ارتفعت مكانته عند أهل دمشق ، حيث اشتد بغي الأتراك في الحرب العامة الأولى ، وعرضوا عليه البيعة بالخلافة فزجرهم وزاد في انزوائه . ولما

---

203 . عبد العزيز بنعبد الله : « معلمة الصحراء » ملحق 1 ص 200 .

204 . خير الدين الزركلي : « اعلام ... » ج 9 ص 313 و ج 8 ص 33

قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي ، كان الشيخ يطوف بالمدن السورية . حاثا على الجهاد ، بحيث كان أباً روحيا للثورة (205) .

وإلى ذلك كله ، كان محدّثا وحُجة في العلوم الدينية والدنيوية ، وله تآليف . انقطع للتدريس ، وكان يقرأ البخاري يوم الجمعة في المسجد الأموي بدمشق ، وله حجرة في دار الحديث ، وعينت له الدولة راتباً شهريا قدره 1200 قرش صاغ (206) .

3 — **تاج الدين الحسني** هو محمد بن بدر الدين سابق الاشارة . ولد بدمشق سنة 1307/1890 وتوفي بها سنة 1362/1943 . وكان سنة 1941 أول رئيس للجمهورية السورية تعييناً ، في عهد الاحتلال الفرنسي (207).

أما بلبنان ، فقد عاش ثمة مغاربة آخرون كان بعضهم يحترف التجارة . غير أن المراجع لم تفدنا بأسمائهم .

* * *

خ — الحجــاز

الحج فريضة والعمرة سنة والمجاورة توبة ، هذا ما كان يطمح إليه كافة المسلمين . ولست بصدد إحصاء جميع من حلوا بالحجاز عبر العصور ، ولكني سأذكر طائفة ممن جاوروا بعد الحج والعمرة طبعا . وقليل منهم من تعاطى التجارة كالحاج عبد الكريـم بريشة التطواني حسبما هو وارد في ترجمته . أما الذين تمنوا أن يختم الله أنفاسهم هناك ، أو كانـوا يتعاطون للتدريس فكان منهم :

1 — **محمد الدقاق الدغمي** وهو من أهل سلا . وقد طالت مجاورته للمسجد الحرام أكثر من عشر سنين . وكانت له وجاهة وحرمة عند الناس ،

---

205 · المصدر الأخير ·

206 · المصدر الأخير ايضا ، وكذلك عبد العزيز بنعبد الله : « الموسوعة ... » ج 2 ص 154 (نقلا عن عبد الرزاق البيطار : « حلية البشر ، في تاريخ القرن الثالث عشر » ج1 ص 375) ·

207 · خير الدين الزركلي : « اعلام ... » ج 7 ص 305 ·

وتعظيم عند ملوك تلك الآفاق وخصوصا العثمانيين . وقد توفي سنة 1741 بالمدينة المنورة (208) .

2 ـ **ادريس بن الطيب ابن اليماني بوعشرين** الوزير الصدر في عهد سيدي محمد ومولاي الحسن . وقد ولد بمكناس عام 1260 ، ولما توفي أبوه الوزير الصدر عام 1286 ، عين مكانه ، ولكنه استقال ورحل الى المشرق وأقام طويلا بالمدينة المنورة (209) ، حتى توفي عام 1888/1305 .

3 ـ **محمد الحبيب بن عبد القادر الفلالي** : كان مدرسا في مدرسة تازروالت بسوس ثم استوطن المدينة المنورة ، حيث كان بها في مفتتح عام 1827/1243 . وله تاليف في اللغة (210) .

4 ـ **محمد البناني** : هو محمد بن محمد بن محمد العربي بن عبد السلام البناني النفزي المكي ، مفتي المالكية ، أصله من فاس ، سكن مكة ، وفي عام 1829/1245 توفي بهاته المدينة (211) .

5 ـ **مسعود الدباغ** هو مسعود بن الطيب بن الحسن الدباغ الادريسي. كان يسكن بمراكش ثم هاجر الى المدينة المنورة ، وقبل ذلك كان بمكة في حدود 1853/1270 ، وتوفي بها سنة 1894/1311 .

وخلف أولاداً بالحجاز منهم محمد الطاهر وصالح ، ومن أبناء أخيه ، كان محمد البحري يسكن بمكة ، وآخر يسكن بجدة (212) .

---

208 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 6 ص 61

209 . عبد الوهاب بن منصور : « الوثائق » ج 3 ص 99(1)

210 . محمد المنوني : « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » ، في مجلة دعوة الحق يبراير 1968 ص 55 (نقلا عن محمد المختار السوسي : « المعسول » ج 8 ص 206) .

211 . خير الدين الزركلي : « اعلام ... » ج 7 ص 299 . والبناني مغربي اذن خلاف ما تقدم .

212 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 7 ص 207

6 ـ **أبو القاسم بن مسعود الدباغ** : وهو عالم صوفي من فاس ، استقر بالمدينة المنورة ، ولكنه توفي سنة 1940 بمراكش (213) . ولست أدري هل له علاقة بمسعود سالف الذكر المتأصل من مدينة مراكش .

7 ـ **عبد الله القباج** ولد بمكة ودخل الى المغرب سنة 1898 ، بعد أن تمكن من آصرة الشعر بالحجاز ، وتوفي بمدينة سلا سنة 1945 . وكان من شعراء المناسبات (214) .

8 ـ **الحاج عبد المالك الأمراني** : المولود بمكناس سنة 1886 . وقد استقر أولا للتجارة بالمدينة المنورة في بداية القرن العشرين ، وبعد انتهاء الحرب العظمى ، انتقل الى سوريا لنفس الغرض (215) .

* * *

د ـ الأردن

أحمد بن مسعود بن الطيب الدباغ . كان يقيم بالأردن ، وقد تقدم ذكر أبيه بالحجاز (216) .

* * *

ذ ـ فلسطين

أحمد الهواري الذي زار القدس سنة 1353/1934 وجد أن المغاربة كان عددهم 54 ، بهاته المدينة في ذلك الوقت (217) . وذكر أنهم كانت لهم بالقدس أوقاف وحي خاص أتت معاول الهدم الصهيوني على 138 بناية منه سنة 1967 .

---

213 . عبد الوهاب بن منصور : « اعلام المغرب العربي » ج 2 ص 174

214 . ابراهيم السولامي : « الشعر الوطني ... » ص 256

215 . أ . برولتي : « الكتاب الذهبي ... » ص 130

216 . العباس ابن ابراهيم « الاعلام ... » ج 7 ص 268

217 . محمد ابراهيم الكتاني : « القدس الشريف ... » في « دعوة الحق » غشت 1981 ص 7

وكان من المغاربة الفاسي والسباعي والدكالي والمراكشي والفيلالي والدراوي والسرغيني والتازي والمديوني والحلفاوي (218) .

وبمدينة عكا كان يقيم الشيخ البشير التازي « وهو من التوازة الذين عرفوا بميلهم للتجارة والسعي في طلب الرزق هنا وهناك » (219) . كما كانت هاته البلاد تهوي اليها أفئدة اليهود المغاربة ، فبعد حرب تطوان وما تبعها من قلاقل ، غادرت عشرات الأسر اليهودية هاته المدينة الى فلسطين ، ومنها ابن الوليد وخلفون ومامان ولاريدو وبنشيمول وجشويل واللاوي والكوهن وبنايم وبنزاكين ، واستقر أغلبهم بمدينة حيفا .

وكان صغار اليهود يتلقون دراسة بفلسطين أو خارج فلسطين ، وبعد ذلك يهاجرون الى دول أمريكا الجنوبية مثل البرازيل والبيرو وفنزويلا والأرجنتين والشيلي ، ولا يعود بعضهم الى المغرب إلا متى استكمل ثروته ، بينما يظل الآخرون بالبلاد الأمريكية (220) .

على أنه قبل ذلك سنة 1846 « آكثر أهل اليسار من اليهود السفر بأولادهم لبيت المقدس بنية أن لا يرجعوا ، وفي ذلك ضرر على الاسلام من جهتين : من جهة تضعيف الجزية ومن جهة أن يكونوا عيونا يدلون على عورات المسلمين » حسب رسالة مولاي عبد الرحمان الى بوسلهام ، التي ختمها بقوله : « فبوصول كتابنا هذا اليك ، امنعهم من الركوب من ثغري العرائش وطنجة منعا كليا ، حسماً لمادة دائهم » (221) .

* * *

218 . عبد الهادي التازي : « المغاربة والقدس » في المجلة الاخيرة ص 134 .

219 . عبد الهادي التازي : « رسائل مخزنية » ج 1 ص 23

220 . اسحاق عبو : « المسلمون الاندلسيون واليهود الاسبانيون » ص 404 .

221 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى بوسلهام بن علي في 23 جمادى الاولى 1262/17 ماي 1846 — محفظة بوسلهام : 5

ر ـ تركيــا

محاولات الباب العالي لربط الاتصال مع الدولة العلوية كانت محط مراقبة دقيقة من لدن الممثلين الديبلوماسيين الأجانب ، وخصوصاً الفرنسيين الذين احتلوا أطرافا من الأمبراطورية العثمانية في بداية القرن التاسع عشر وأواخره . ولعل حكومة باريس كانت تخشى ، نوعاً ما ، عودتهم الى الجزائر أو إلى تونس ، وترقب ببالغ الحيطة التحركات الديبلوماسية التركية ، من خلال المبادرات الألمانية تحت تأثير الوزير الألماني بطنجة تيستا : Ch. TESTA

وهكذا كان شارل فيرو وزير فرنسا بطنجة يحذر الحسن الأول من الأخطار التي تتعرض لها إيالته من المطامع العثمانية (222) . وحتى السلطان نفسه كان يتوجس خيفة من الدسائس التي كان يدبرهـا السفير تيستا ، ســواء بطنجة أو بالأستانة حيث كان يتصل ببعض المغاربـة المستوطنين هناك ، أو بالأصح باللاجئين المعارضين ، وكان ذلك يقع تحت ستار حركة الاصلاح الاسلامي التي تزعمها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أو الحركة الطرقية بقيادة آل السنوسي بليبيا .

وإذا أضفنا الى ذلك أنه كان يوجد لدى تجــار تطوان تيار لدعـم الوحدة الاسلامية سنة 1888 ، تحت دوافع سياسية (223) وأن أعيان الرباط حمّلوا ــ على ما قيل ــ رسالة لأحد علمائهم ، وهو ابراهيم بن محمد التادلي الذي كان قبل ذلك نزل ضيفا مكرما على السلطان عبد الحميد وكتب له كتابا توجيهيا ، والذي كان من دعاة تقوية العلائق الاسلامية والروابط الدينية (224)، جازلنا أن نعتقد أن الحسن الأول كان يريد تأخير الحديث في هذا الموضوع .

---

222 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 176

223 . المصدر السابق ج 4 ص 175 وهنري دهلامارتينير : « ذكريات ... » ص138

224 . عبد الوهاب بن منصور : « اعلام المغرب العربي » ج 1 ص 172 — 173
وعبد الصمد بلكبير : « اربعة دروس عن الحركه السلفية » في مجلة « الثقافة الجديدة » ، العدد 22 السنة 1981 ص 107 .

وأشير الى قدوم موفد سنة 1873 « سمى نفسه الحسن بيه وذكر أنه ورد سفيرا من السلطان عبد العزيز ، سلطان اصطنبول ، ومعه مكاتب لسيدنا نصره الله أمر بدفعها له بفاس . . . ومعه ترجمان وكرجي فقط . . . » (225)

ولو بحثنا الواقع لوجدنا أن الحكومة العثمانية لم يكن لها بالمغرب مصالح تجارية ، ولم يكن يسكن به أيضا رعايا أتراك ، سوى قليل من اليهود الذين كان بعضهم من أصل مشرقي غير تركي وكانوا يقطنون بالصويرة وآسفي ، بعد أن وردوا إليهما لاجئين على ما يبدو .

وكيفما كان الحال ، فكانت تركيا تخول اللاجئين حق الاقامة ببلادها ، مع العلم أن بعضهم من البيت العلوي ، كان يتشوف الى السلطة أكثر مما يطمح الى توحيد صف المسلمين إزاء التوسع الأروبي والتغلغل النصراني . ولذلك « كان يخشى أن يكون في فتح تمثيل تركي بطنجة ، وتمثيل مغربي بالأستانة ، ذريعة لخلق مزيد من الاضطرابات بمساعدة ألمانيا » (226) ، حسبما سيأتي في ملحق قادم .

وتكتمل اللوحة إذا علمنا أن جماعة من أسرة الحاج عبد القادر الجزائري كانت تدعو الى الوحدة الاسلامية وأن زعيمها كان هو الحاج علي بوطالب الحشمي المتقلب الأطوار ، فنال الجنسية التركية ، وأنه كان مرشحاً لتمثيل الدولة العثمانية بطنجة ، لكن دون جدوى . كما كان ثمة مرشح آخر هو ابراهيم السنوسي نزيل الأسكندرية الذي هو

---

225 . رسالة الحاج محمد بنسعيد الى الحاج محمد بنيس في 10 رمضان 1290/ فاتح نونبر 1873 في « الوثائق » ج 3 ص 311 .

226 . رسالة الملحق العسكري الفرنسي دد بروي الى وزير فرنسا بطنجة في 10 ابريل 1887 في كتاب مييج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 183 . وسنقف على تعريبها في آخر هذا الفصل .

أحد الطنجيين أو الفاسيين ، ونُعت بأنه عَلاَّمة مشهور . وفعلا سلم السنوسي للحاجب احمد بن موسى سنة 1877 طلبا في الموضوع (227) .

وحتى الوفادات ، التي كان يوجهها السلطان سرأ لأغراض خاصة إلى تركيا ، كانت تقلق بال أعضاء البعثات الديبلوماسية الأجنبية ، فيراقبون الحاج العربي بريشة رقابة تامة ليعرفوا ما عنده ، ولو أن الغاية من ذلك كانت اقتناء بعض الاماء للقصر الملكي (228) .

وهكذا لم تربط علاقة ديبلوماسية بين المغرب وتركيا ، وإنما كلف مولاي الحسن بعض الأشخاص بتمثيله بصفة غير رسمية . ومن هؤلاء إبراهيم السملالي الذي كان ممثلا شخصيا سنة 1881 ، غير أنه كان يعمل بالتعاون مع سفير فرنسا باسطنبول (229) . ومنهم أيضا الحاج محمد الوزاني الذي كان عينا له بتركيا ، فأنعم عليه السلطان المغربي سنة 1893 بـ 300 ريال ، دفعت له من وفر طنجة (230) . ولم تتعد الاتصالات على ما أعلم هذا الطور من الاستخبار والاتصال البعيد في نطاق إسلامي غامض .

أما الذين كانوا يعيشون بتركيا زيادة على السملالي والوزاني المذكورين آنفا فكانوا هم :

1 — **أحمد بن السلطان مولاي عبد الرحمان** الذي كان خليفة سلطانيا بالرباط أول الأمر ، ثم وجه لنواحي وجدة وقام بدور في حرب تطوان ، ولم يلبث بعد ذلك أن هاجر إلى اسطنبول بعد عزله (231) .

---

227 . مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 177 (8) ، وعبد الله الجراري « من اعلام الفكر ... » ج 2 ص 265 وعبد الله العروي : « الاصول ... » ص 208 ومحمد المنوني : « مظاهر ... » في مجلة « تطوان » العدد الثاني ص 47

228 . هنري ده لامارتينير : « ذكريات ... » ص 139

229 . مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 178 (10)

230 . رسالة السلطان الى الطريس في 17 حجة 1310/2 يوليوز 1893 محفظة الطريس 24 .

231 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 240

وقد نجا بنفسه بعد حرب تطوان ، وصاهر أحد ملوك بني عثمان ، ولم يزل بتلك الديار إلى أن ختمت أنفاسه بدمشق (232) .

2 — **عبد الرحمان التلموذي الجزولي** : الذي كان تاجرا بتمبوكتو ثم بمراكش ، وأخيرا استوطن الأستانة ، وصار ضمن المعارضين للسلطان الحسن الأول . وقد تصاهر مع المدني ظافر الطرابلسي مستشار السلطان عبد الحميد (233) .

3 — **الحاج المهدي بن محمد احدادو** : وهو من أعيان تطوان المستقرين قديما بآسفي . وقد توجه الى تركيا للتجارة وخصوصا بمدينة إزمير حيث كان له نشاط مهني بتلك المدينة بعد رحيله عن المغرب ، وترك أولاده بآسفي . وقد توفي سنة 1865 بتركيا (234) . ولعل له ضلعا في قيام حزب موال لتركيا لدى أهل تطوان ، مثلما كانت لأعيان الرباط يد في مناصرة العثمانيين حسبما مر بنا .

4 — **عمر السنوسي** : كان حتى سنة 1903 لا يزال مقيما بمدينة إسطنبول . وقد كلف بأداء أغراض خاصة للسلطان لمح إليها في رسالتين ، أولاهما تبدأ : « . . . وغير خاف على علم الحضرة العلية أننا ، منذ مدة مديدة ، وأشهر عديدة ، مقيمون بالقسطنطينية ، مركز المملكة العثمانية ، لأشغال مهمة خصوصية ، يعرض بعضها ، إجمالا على المسامع الشريفة . . . الأمين الأرضى الحاج محمد بن عبد السلام المقري ، الذي حضر في هذه الأيام لهنا . . . » (235) . وثانيتهما تتم : « . . . بقصد قضاء ما كلف به من الأغراض الشريفة . . . فأما الأغراض الشريفة النهارية فقد تم والحمد لله قضاؤها على

232 . نفس المصدر ص 415

233 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 176 (5)

234 . محمد الكانوني : « آسفي ... » ص 126 و « جواهر الكمال في تراجم الرجال » ص 23 .

235 . رسالة عمر السنوسي الى السلطان عبد العزيز في 14 جمادى الاولى 1321/8 غشت 1903 — محفظة المغرب تركيا .

أفضل المراد . . . وأما الأغراض الليلية فمع بذل العناية التامة من الأمين المذكـور في شأنها قبل أن يصل لهنا . . . لا زال لم يتيسر أمـرها لغايـة الآن . . . » (236) .

5 — **محمد محمود التركزي الشنقيطي** المتوفى سنة 1322/1904 .

كان شاعراً فصيحاً ، ينحو منحى الجاهليين في ألفاظه وأخيلته . وأقام بتركيا ، كما دخل مصر والحجاز ، ورحل مرة الى اسبانيا للبحث عن المخطوطات والآثار العربية الاسلامية ، بتكليف من السلطان عبد الحميد العثماني الذي اوفده مرة أخرى إلى مدينة ستوكهولم سنة 1889 ، لحضور مؤتمر المستشرقين الذي انعقد ببلاد السويد .

وظهرت شاعريته لما أنشد قصيدة في مدح الملك أوسكار الثاني رئيس المؤتمر . وعن رحلته هاته إلى السويد ، ألف كتاباً عنوانه : « الحماسة السنية ، الكاملة المزية ، في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية » . وقد طبع هذا التصنيف بالقاهرة عام 1319/1902 .

ولم ينس قط جنسيته المغربية ، ولو كان يعيش بالبلاد التركية ، وذلك لما قال في ميميته التي بلغت 230 بيتاً :

«أنـا المغربي ، المشرقي حميـة

أذب على القطرين بالسيف والسهم» (237)

وهناك مغاربة آخرون مثل مولاي أحمد الوزاني وعمر الوزاني (أو الورزازي) ، ممن كانوا يخدمون السياسة الألمانية التركية (238) أو السياسة

236 . رسالة عمر السنوسي الى عبد الكريم بنسليمان في 24 جمادى الأولى 1321/18 غشت 1903 — نفس المحفظة .

237 . محمد الفاسي : « تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الاقصى » ، في مجلة « دعوة الحق » ، عدد يوليوز 1960 ، ص 40 ، وكذلك عثمان بن خضراء : « دور الصحراء المغربية في ازدهار العلوم والآداب » ، نفس المجلة ، عدد دجنبر 1977 ، ص 53 وما بعدها (نقلا عن « الوسيط ، في تراجم ادباء شنقيط » لاحمد الامين الشنقيطي)

238 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 178 و 179 (4) .

التركية الاسلامية . وقد ثبت في مختلف المصادر أن آل عثمان كانوا يكرمون العلماء والفقهاء المغاربة ، من شنقيط الى تطوان ، مروراً بمراكش والرباط وسلا وفاس . وكانوا يعتنون بالأدباء أيضاً منذ ما قبل القرن التاسع عشر ، كما هو وارد في شتى المصنفات .

* * *

ز ـ المشرق

وأقصد به بلدانا مختلفة أو غير معيّنة بالشرق الاسلامي ، استوطنها المغاربة بصفة متقطعة ، مما لم يسمح بالحاقهم ببلد خاص . وكان منهم :

1 ـ **الحاج عبد القادر بن الحاج علال ابن الحاج محمد القليعي** : كان مهندسا له معرفة بالعلوم الرياضية . رحل من مسقط رأسه آسفي الى الشرق ، في منتصف القرن التاسع عشر ، فلم يعثر له على أثر بعد ذلك (239) . ولم يرد إيضاح آخر عنه .

2 ـ **ابراهيم التادلي الرباطي** : أقام بمصر والحجاز وفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا والعراق وبعض دول أروبا . وكان له بعض إلمام باللغات الأروبية الحية كالانجليزية والفرنسية والاسبانية التي تعلمها بجبل طارق ، وباللغات الأسيوية كالفارسية والتركية والهندية التي تلقاها عن أهل بغداد (240) .

وبالشرق التقى برجال العلم ، وهو القائل لمحمد عبده : « ليس العلم بكثرة التأليف ، وإنما بالمدارسة والمثافنة » أي المجالسة والمذاكرة ، وكان ذلك بلبنان سنة 1886 .

---

239 . محمد بن احمد الكانوني « أسفي ... » ص 130

240 . محمد المنوني « مظاهر ... » ص 251 ـ 252

وقد تقدم الحديث عن نشاطه . وتوفي سنة 1311/1894 عن الثامنة والستين من عمره (241) .

3 — **سعيد بن عبد الله الخليفي المحمدي الدكالي** : وقد ولد بالجديدة ورحل للمشرق ومكث في رحلته نحو 20 سنة قرأ فيها العلم . وكان « من نبهاء دهره » دخل الجزائر واستوطن الزاب ودخل مصر وغيرها من الديار المشرقية.

وعن مشاهداته ، ألف بمصر سنة 1304/1887 كتابا تحت عنوان « وردة الناشق وروضة العاشق » وقدمه للسلطان الحسن الأول وتوفي بآسفي في العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري (242) .

4 — **مولاي مسلمة بن السلطان محمد بن عبد الله** الذي بعد أن طالب بالملك ولم يفلح ، طارده السلطان مولاي سليمان ، فسافر إلى الجزائر ومنها إلى المشرق ، وأقام بمصر مدة ، ثم توجه الى مكة فنزل عند سلطانها وتصاهر معه ثم عاد من مكة الى مصر وتقابل مع نابوليون . ولكن ساءت حاله في هذه المدة فرجع الى تونس وتصاهر مع الشيخ القصري وطلب من باشا تونس حمّودة الشفاعة لدى أخيه مولاي سليمان ، الذي قَبِل الوساطة ، بشرط أن يرجع الى سجلماسة ، فلم يرض بذلك وعاد الى المشرق مرة أخرى . ولم يزل يتردد كذلك حتى وافته منيته في جمادى الثانية 1250 ، بعد أن اعتراه شبه اختلال (243) .

5 — **أحمد الميسوري** : هو أحمد بن ادريس الادريسي الحسني . أصله من ميسور ارتحل من فاس سنة 1213 الى الأقطار المصرية ، ومكث 14 سنة بمكة ثم رجع لمصر وقضى بالصعيد 5 سنوات ، ثم أقام 12 سنة

---

241 . مصطفى الغربي « دعوة الحق » ، دجنبر 1967 ص 97 وما بعدها .

242 . محمد المنوني : « مظاهر يقظة المغرب الحديث » بمجلة « تطوان » العدد السادس 1961 ص 76

243 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 8 ص 92 ، وابن زيدان : « الاتحاف » ج 4 ص 347 — 355 وخير الدين الزركلي : « الأعلام ... ج 8 ص 122 .

بمكة ، ثم ذهب الى اليمن حيث استوطنه 9 سنوات ، الى أن توفي في صبيا شمال موخا سنة 1253 . وكان من العلماء (244) ، كما كانت لذريته إمارة في عسير (245) .

6 — **عبد الله السوسي** : كان أديبا شاعرا . أقام بتونس وفاق أقرانه ثم توجه الى المشرق وخاصة الحجاز واستفاد من علمائه . ثم عاد الى افريقية حيث نقله الأمير علي الى تونس (246) .

7 — **الحاج الطيب بن احمد عواد** المولود بسلا سنة 1860 والمدفون بها سنة 1918 . اشترى سلعا مغربية بأموال الحاج علي عواد ، وسافر الى بلدان المشرق بقصد التجارة ودخل الجزائر وتونس وطرابلس وإزمير وإسطنبول واليونان ، وربح من تجارته أموالا كثيرة ، بعد أن كان فقيرا .

ولما عاد الى المغرب تولى خطة العدالة بمرسى العرائش والعدوتين والدار البيضاء . وكان الى جانب ذلك فقيها وشاعرا ، حلاه البعض بأديب سلا ، لما كان له من قصائد (247) .

8 — **عبد السلام بن الغالي الشرعي** وهو من أهل فاس . سافر الى تونس في أوائل العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر الهجري ، فحصلت له حظوة وكان يقرىء بها . ثم سافر الى الأسكندرية عام 1877/1294 ، وذهب بعد ذلك الى الحج وعاد الى مراكش عام 1881/1298 . وفي عام 1917/1334 ادركته منيته بالمدينة الأخيرة . وكان قاضيا بآسفي وبمراكش (248) .

---

244 . محمد مخلوف « شجرة النور ... » ص 396 الجزء الأول

245 . عبد الهادي التازي : « جامع القريين » ج 3 ص 809

246 . عبد العزيز بنعبد الله : « الرحلات ... » في « دعوة الحق » ماي 1978 ص 28 (نقلا عن « عنوان الأريب ، عمن نشأ بالمملكة التونسية من عالم واديب » للشيخ محمد النيفر ج 2 ص 20) .

247 . بلقاسم عشاش « تاريخ عائلات سلا » (مخطوط) وابن زيدان « الاتحاف » ج 5 ص 431 و ص 437 وعبد الله الجراري : «من اعلام العدوتين» ج 2 ص313

248 . العباس ابن ابراهيم : « الأعلام » ج 8 ص 504

9 - **أحمد المصطفى بن طوير الجنة** الحميري التشيتي الواداني الشنقيطي ، المولود بوادان سنة 1202/1787 والمتوفى عام 1265/1849 . كان من العلماء السلفيين ، ولكن كانت له زاوية بمراكش . وقد حل بهاته المدينة عام 1245/1828 ، والتقى بالسلطان مولاي عبد الرحمان وبايعه . ثم أركبه العاهل الى الحجاز بحراً ، عبر العرائش . ودامت رحلته خمس سنوات من سنة 1829 الى سنة 1834 . ومر في سفره بجبل طارق وليفورنو وتونس والجزائر وطرابلس ومصر . ولما عاد الى المغرب ، نزل بميناء طنجة .

وله تأليفان أولهما « فيض المنان ، في الرد على مبتدعة هذا الزمان » . وقد قدمه الى السلطان مولاي عبد الرحمان . أما التأليف الثاني فعنوانه « رحلة المنى والمنة » . وهو كتاب قيم ، ترجمه مؤخراً الى اللغة الأنجليزية **هـ. ت.** نوريس H. T. NORRIS (249) .

10 - **الحاج ادريس الحنش** وهو ادريس بن علي بن الغالي السناني . أديب وشاعر في الفصيح وفي الملحون . كان يحترف الخرازة ، ورحل الى مصر والشام والحجاز (250) . وهو من رجال القرن الماضي إذ توفي سنة 1319/1902 .

11 - **الحاج قدور الواني** المكناسي الذي « جال البلاد شرقاً وغرباً وسودانا وبراً وبحراً » . وكان « إخباريا صادقاً في كل ما يحدث به » (251) . وهو ممن عاشوا في العهد السليماني .

---

249 . محمد المنصور كلخة « رحلة احمد بن طوير الجنة » في مجلة « المناهل » العدد 17 ص 392 وما بعدها .

250 . عبد العزيز بنعبد الله : « مصر ... » في « دعوة الحق » العدد 229 ص 19 وعباس الجراري : « القصيدة » ص 657

251 . العباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 10 ص 257 (نقلا عن محمد اكنسوس في : « الجيش ... ») والصواب هو الواقي . وقد تفضل الآستاذ محمد المنوني بتصويب هذا النسب فذكر ان هاته الأسرة كانت موجودة بمكناس .

وثمة آخرون ممن سكنوا بالأقطار المشرقية ، فورد ذكرهم ضمن من جاوروا بالحرمين الشريفين في القرن التاسع عشر وقبله . ولعل في هذا القدر من المغتربين بعض الكفاية ، ولو اني خرجت احياناً عن نطاق القرن التاسع عشر ، وبالتالي عن شرطي (252) .

4 : خـاتـمـة

ومما تقدم يبدو في بعض الجلاء أن مغاربة كانوا يعيشون في المهجر ممن وقفت على أسمائهم أو ممن لم أعثر على خبر لهم . وكانوا يقطنون ـ على قلتهم ـ بأطراف القارات الأربع : استقروا في أغلبهم للتجارة وحدها ، وفي أقلهم للتجارة وللسياسة معاً ، بل منهم من انسلخ عن جنسيته ومرق من دينه ، ورام عدد منهم الدخول في الحماية الأجنبية ، حفظاً لمصالحهم .

ولئن كان المخزن يحسن وفادة الأجانب من تجار وقناصل ، ولا يفرض عليهم قيودا فوق طاقتهم ، ويخاف عليهم أن يصابوا بأذى وهم ضيوفه أو عيون لأعدائه ، فما ذلك إلا لأن آداب اللياقة كانت تقتضي منه المعاملة بالحسنى . وأكثر ما كان الأجانب ممنوعين منه هو المخاطرة بأنفسهم داخل البلاد حتى لا يتعرضوا لمكروه في أرواحهم أو لنهب في متاعهم ، من لدن جماعات لا تنالها الأحكام . ولذلك أُلزم التجار بالمكوث في الموانيء المفتوحة ، في حين كان المخزن يسعفهم بتعيين سماسرة للتجار ومستخدمين للقنصليات .

---

252 . واذ اعترف بهذا ، اشهد أيضا بالتقصير في ترتيب المهاجرين ترتيبا معجميا وزمانيا . والعذر في ذلك ما اقتضته طبيعة البحث والاستقراء من جهة اولى ، وما لقيته من عناء في التنقيح المستمر في هذا الفصل الذي شرعت في تحريره منـــذ منتصف سنة 1979 من جهة أخرى .

وما فتئت الحاجة مسيسة الى استجلاء احوال المغتربين واستقصائهم ، لا في هذا العصر وحده ولكن فيما قبله وبعده .

هذا ونشرت « المجلة التاريخية » التونسية في اعدادها المتأخرة ابحاثا عن المغاربة في الخارج ، كما الف عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم كتاب « المغاربة في مصر في العهد العثماني : 1517 — 1798 » . وللعباس بن ابراهيم اشارات مختلفة في مؤلفة « الأعلام ... » . اما المخطوطات فأذكر ان عبد الكبير بن هاشم الكتاني الف « زهر الآس في بيوتات فاس » ، متحدثا عن التجار الفاسيين بالمهجر .

وإزاء هاته السياسة ، سياسة التفتح على الخارج وإفادة خزينة الدولة من الحركة التجارية والدخل المالي ، يبدو طابع التعسف في الحماية جليا واضحا : لم يكن للتجار المغاربة في الخارج سبيل الى جعل سماسرة لتجارتهم ، وخصوصا بأقطار الحكومات الأروبية الغربية . وهذا في الحقيقة يبين إلى أي حد بلغ الحيف منتهاه ، وإلى أي مدى انهارت قوة « الرجل المريض » في الغرب حسب التعبير الاستعماري ، مقابل « الرجـل المريض » في الشرق (الدولة العثمانية) . ولهذا لم يتمتع التجار المغاربة في مهجرهم بالضمانات الممنوحة للأجانب في المغرب (253) .

وقليلة هي الدول التي سمحت للتجار المغاربة في المهجر باتخاذ الشركاء . وأكاد أميل الى اعتقاد أن القسمة ـ بين التجار الأجانب في بلادهم والتجار المغاربة في الخارج ـ كانت ضيزى . والدولة التي كان فيها للمغاربة شركاء هي إنجلترا على ما يظهر . ومع ذلك كانت عناصر المماثلة في التعامل مفقودة . حقيقة أن المغرب لم يكن مصدرا ومنافسا للانتاج الصناعي الأروبي ، وأن ما يحتاج اليه اقتصاد أروبا هو المواد الخام أو بعض المواد الفلاحية والمعدنية ، وأن الانتاج الصناعي الاستهلاكي المغربي لم يكن ضخما ولا مزاحما لغيره . ونتساءل : ماذا سيكون الأمر لو كان المغرب بلدا صناعيا ؟

هذا في البلدان المرتبطة مع المغرب بمعاهدة مدريد وبمعاهدات ثنائية خاصة . أما في غيرها من بلدان افريقيا وآسيا فلم يكن لتجارها بالمغرب وجود وليس لها به قناصل ولا تمثيل ديبلوماسي . فلم تكن بأحسن حالاً من المغرب ، لتفاقم أوضاعها الداخلية من جراء الأطماع التوسعية ومقتضيات الثورة الصناعية الأروبية في منتصف القرن التاسع عشر من جهة ، وما كان يتسم به الفكر من جهل بالأمور وغفلة وتواكل من جهة أخرى .

* * *

253 ـ جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 32 .

ملحق

ونذيل بهاته الرسالة التي بعث بها رئيس البعثة العسكرية الفرنسية الكومندان ڤيكتور ده بروي ، الى شارل فيرو وزير فرنسا المقيم بطنجة ، حول مساعي دولته ، للحيلولة دون إقامة مفوضية تركية بالمغرب سنة 1887 ، وهي تعبر عن رأي حكومة صاحبها .

وقد عربتها فيما يلي نقلا عن كتاب جان لوي مييج « وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن التاسع عشر » . وهي الوثيقة رقم 42 التي توجد بالصفحات 183 الى 185 ، والتي هي من الوثائق العامة للحماية A.G.P.C 7 وها هو نصها الكامل بعد التعريب :

دسائس ألمانيا بالمغرب

مراكش ، في 10 أبريل 1887

من رئيس فصيلة المشاة ده بروي ، رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب .

إلى السيد وزير فرنسا بطنجة

سيدي الوزير ،

أتشرف باعلامكم بوصول رسالتكم السرية المؤرخة في 17 مارس الأخير التي سلمها إليّ السيد الدكتور ليناريس عند وصوله يوم 27 من نفس الشهر .

ومنذ غداة ذلك اليوم ، توجهت إلى السيد الفَضُول (1) لأسلم إليه الظرف العربي الذي كان يحتوي على رسالتكم ولأطلعه على فحواها . وعند ما

1 . اي محمد المفضل غريط الملقب فضول ، وزير الخارجية ، وما سيأتي بين هلالين هو من زيادة المعرب .

قمت بتبليغ ذلك إليه طبق تعاليمكم ، ألححت بالخصوص على العواقب السيئة التي قد تنجم للحكومة المغربية عن وجود نائب معتمد للباب (العالي) بطنجة ، ولا سيما أن الحكومة العثمانية ليس لها بالمغرب أية رعية ، ولا أية مصلحة تجارية ، ولا يرتبط المخزن بها بأية علاقة سياسية .

وحينئذ أفهمته أن هاته المحاولة التي تبذل برعاية الحكومة الألمانية وبدعمها السافر ، لا تجوز أن تكون إلا نتيجة دسائس من بعض اللاجئين المغاربة بالأستانة ، الذين هم أيضا أعداء الحكومة الشريفة ، وأن من الخطر أن يسمح المخزن بأن يتسرب الى البلاد عنصر التشويش الذي ستستغله ألمانيا ، بدون شك ، لمصلحة شخصية .

على أني إذ ركنت الى الاعتبارات المبينة اعلاه ، اي الى ان الباب (العالي) ليست له بالمغرب أية رعية ولا أيـة مصلحة ، سياسية كانت أم تجارية ، كان من الهيِّن على السلطان أن يرد بالنفي على الطلب المقدم إليه ، وأن يتمادى ، بهذا النحو ، على قراراته السابقة التي ترفض اقامة علاقات جديدة مع القسطنطينية .

كما لم يفتني أن أُفهِمه أن هاته المساعي كانت صادرة بالأخص من السيد (شارل) تيستا الذي عـزل مؤخرا ، وأن النائب عنه ڤون سالديرن Von Saldern اقتصر فقط على أن يبلغ وثائق تركها له سلفه ، دون أن يعيرها غاية الاهتمام .

فأصغى السيد الفَضـُّول بكثير من العناية الى جميع الايضاحات التي أدليت له بها في هذا الموضوع ، ووعدني بأن يرفعها في نفس المعنى الى علم ص ج ش ، وشفعت ذلك برجائي أن يُطلعني استقبالاً على الجواب الذي سيرد به السلطان على ألمانيا ، دون أن يخامرني شك في أنه سيكون مطابقا لقراراته التي اتخذها سابقا ، ولرغباتنا وللنصائح التي تفضل بأن التمسها منا في هذا الموضوع الشائك .

بل وظننت أن من واجبي أن أطلب منه موافاتي بنسخة مطابقة للجواب الذي سيرسل لأبعث به اليكم ، ولكنني لم ألح عليه إلحاحا شديدا ، مخافة أن أحرض مخاطبي على الحذر ، فقدمت له هذا الملتمس على أنه مجرد طلب جد طبيعي ، لأن ذلك كان هو أشد الأساليب إقناعا للحكومة الشريفة ، لكي نرى أنها تتبع النصائح المسداة اليها بطلب صريح منها . ولم يجد السيد الفضول أدنى صعوبة لكي يعدني بهاته الوثيقة ، وليؤكد لي أن هاته المسألة ستدرس وسينتهي أمرها قريبا وبدون تأخير .

ورجعت بعد بضعة أيام الى السيد الفضول ، سائلا الجواب الذي وعدني به . فقال لي حينئذ إنه أنهى هاته المسألة الى علم ص ج ش ، طبق المعنى الذي أوضحت له ، لكن جلالته كان يريد أن يفكر جيدا قبل إجابته الحكومة الألمانية . وحيث أني علمت في هاته الأثناء أن مكاتيب قد وجهت الى السي الطريس برقاص خاص ، ظننت أن السلطان بعث برسالة الى هذا الموظف لكي يجس نبض نائب ألمانيا بطنجة ، فيعرف بهاته الطريقة صدى رفض هذا الطلب المقدم ، قبل أن يجيب عنه نهائيا .

فاضطررت إذن الى التربص ، ورأيت من الأفضل أن لا أزيد في الوقت الحاضر إلحافاً في هاته القضية التي صورتها له على أنها تعني الحكومة المغربية وحدها .

غير أني يوم 5 أبريل ، وبما أني كنت على وشك توجيه بريد عن طريق الشاطىء ، عدت كرة أخرى الى الكلام . فرجا منى السيد الفضول ـ على حسب عادته ـ أن أتريث بضعة أيام . وأخيراً وفي نهار أمس ، ذهبت إليه وأفهمته بأني لا أملك أن أؤخر توجيه بريدي أكثر مما فعلت ، وبأني ألتمس جوابا لأبلغه إليكم . وأضفت من جهة أخرى أنه اذا كانت لديه موانع لتسليمي نسخة من الجواب الى الحكومة الألمانية ، حسب وعده السابق ، فيكفيه أن يؤكد لي أن الرد مطابق لنصائحكم ولرغباتنا .

فأجابني بالاثبات ، وأعلمني أن هذا الجواب سيسلمه السي الطريس بنفسه إلى نائب ألمانيا بطنجة . ووعدني فوق ذلك بأن يمكنني صباح الغد من النسخة المطلوبة .

وفعلا أوصل الي ظرفين مختومين ، واحد منهما مرفوع اليكم ، وعند ما سلموهما إلي ، أبلغني أنها « الرسالة المطلوبة » أمس ، فقدرت أن إحداهما تحتوي على الوثيقة المرجوة .

وأتشرف بأن أبعث بهما إليكم ، طي هذا الظرف . ويبقى الآن أن نتأكد ـ وهذا ليس من اختصاصي ـ من أن الجواب الذي وجه الى الحكومة الألمانية والى الباب (العالي) مطابق للنسخة طيه ، ومن أن لا يكون مشتملا بالخصوص على تلك العبارات الغامضة التي كثيرا ما يستعملها المخزن ـ للأسف ـ في الأحوال المحرجة .

وأتمنى في هاته المرة أن لا يكون الأمر كذلك ، واننا سنحصل على النتيجة التي كنا نتوخاها .

وتفضلوا ، سيدي الوزير ، بقبول . . . .

ده بـروي

de BREUILLE

4 : المستوطنون



أبرم المغرب جملة من المعاهدات مع العديد من الدول الأجنبية ، في مختلف العهود ، ولا سيما في القرن الثامن عشر . ومن هاته الأوفاق ما كان يتعلق باستيطان الأجانب من قناصل ووكلاء وتجار ، وذلك بالثغور الأطلانطيقية ، دون المدن الداخلية . وكان الاستيطان سهلاً ، كما كان المغرب مهيب الجانب مخطوب الود .

ومن الحكومات المتعاقدة ، السويد (16 ماي 1763) ، وفرنسا (28 ماي 1767) ، والدانمارك (25 يوليوز 1767) ، والبرتغال (27 نونبر 1773) . وذلك في القرن الثامن عشر . اما في القرن الذي بعده ، فنجد بريطانيا العظمى (9 دجنبر 1856) وإسبانيا (20 نونبر 1861) ، بقطع النظر عن غيرهما (1) ولا سيما معاهدة مدريد الدولية المبرمة سنة 1880 ، حين تغيرت الأحوال الداخلية والخارجية .

وفي هذا الفصل سنتعرض في البداية لطريقة الاستيطان ثم نسوق أرقام الوافدين على المغرب من مختلف الجنسيات ، متتبعين تطور الهجرة الأجنبية الى بلادنا تطوراً محسوساً .

1 . نشرت نصوص هاته المعاهدات في مراجع مختلفة ، كما صدرت مقتطفات منها في « الوثائق » ، المجموعة الرابعة في ص 125 و 129 و 133 و 137 و 139 و 151 على التتابع .

I : طريقة الاستيطان وحوافزه

توفد الدول الأجنبية قناصلها وسفراءها ومعهم موظفون . وما يكادون يطأون ارض المغرب حتى يوجهوا رسائل الأشواق الى اقاربهم وذويهم واصدقائهم للتنويه بهذه « الأيالة السعيدة » والاشادة بما حباها الله من جمال في الطبيعة وخيرات زراعية وثروات معدنية وشمس دافئة . ويصفون ذلك وصفا تؤكده اخبار الرحالة من علماء وجواسيس ، ومقالات الصحافيين الخاطئة او المصيبة .

واذا تذكرنا ان القرن التاسع عشر بأوربا كان عصر توسع استعماري وثورة صناعية جاءت بعد ازدهار فكري وحضاري ، جاز لنا ان نتصور اسلوب الهجرة الى حيث الثراء ، والى حيث السيطرة لا على المغرب وحده ، بل على جميع اطراف المعمور .

وهكذا لا يعدم الراغب في الهجرة من تاجر و رجل اعمال مَن يمده ببعض المال لترويج بضائعه ، لِقاء ربح معلوم . فيكون ذلك مُغرِياً من أجنبي عاش في بلاده تحت وطأة القهر او الحرب . حتى اذا وصل الى المغرب او الى طنجة خاصة ، لمزيد من الاستخبار والاطلاع على الأحوال ، يجد من يضيفه ويقدم له المساعدة او بعض الدعم المعنوي . وقد يكون المهاجر من اصحاب الأموال فيرحل بنفسه ليقيم بالمغرب زمنا ، لتوظيفها والاشراف شخصياً على شؤونه . ثم ها هو قد استقر بالمغرب في مدينة ما ، فيطلب اتخاذ مواطن مغربي شريكا له ، أو سمسارا لتجارته المستوردة او المصدرة ، وذلك شيء لا يبخل به عليه القنصل ، الذي يحيل الأمر على السفير الذي يعرض القضية على وزارة الخارجية المغربية بطنجة . ولا يبقى بعد ذلك إلا سؤال العامل عن السمسار والمحمي ، واستفهام الأمين عن التاجر المستوطن .

يُبحث القائد عن المحمي ، فيكون جوابه تارة القبول ، وتارة الرفض لأنه « متبوع للمخزن » ، او « تقعّد على مال له بال » ، او لأنه شيخ او جندي .

اما أمين المرسى فيستفسر عن التاجر وهل له تجارة في « الداخل او الخارج » (الاستيراد والتصدير) . كما يستفهم النقيب ان كان المعني من ذرية الأشراف .

فاذا اجاز الأمين والنقيب والقائد ، زكى المخزن تسمية السمسار الذي يظل اسمه مسجلا ، في لائحة رسمية سنوية ، طيلة اعوام مديدة .

وهكذا لا يستطيع المخزن رفضا لأمر واقع ، ولا يقدر المغرب على خرق معاهدة ثنائية او دولية صادق عليها طوعا او كرها ، ولا مواجهة وتهديداً بالأسطول ، ولا إكثاراً من الشنئان .

ومن الجائز ان تكون موافقة القائد والأمين تعطى في مقابل أجر معلوم او مجهول ، وان تكون شهادة التاجر او القنصل بحمايته لمواطن مغربي بضاعة تباع دون خجل بالأسواق وتحت الخيام . لكن في تعميم هذا الحكم على الجميع مسخا للحقيقة وظلما للشاهدين الذين كان منهم الأتقياء النظفاء على قلتهم النسبية ، حسبما سيرد في باب آخر من هذا التأليف . والتجار الأجانب ايضا كان منهم النزهاء ، مثل پيير فيريوه P. Ferrieu ، التاجر الفرنسي بالدار البيضاء الذي أُثِر عنه انه كان سنة 1866 « ضد الذين يقولون للمغربي : « اشهد لي ، امام عدلين ، بملكيتي لأغنامك وابقارك وخيولك الخ ... وسنكون شريكيْن في ربح راس المال هذا . وتحت مظهر امتلاكي انا ــ الذي سكيون في الواقع امتلاكك انت ــ ستكون محميا » (2) لي ، اي سمساري .

ومتى اتسع الرزق ، اتخذ المستوطن الأجنبي خلطاء ايضا في الفلاحة ، اضافة الى التجارة المحللة ، وحتى المحرمة من نِخاسة وحماية وتزوير وربا . هذا، مع العلم ان بعض التجار كانوا يدعون النهب الحقيقي او الوهمي فيطالبون بتعويضات مشتطة يجعلونها ، هم او وكلاؤهم ، رأسمالا لهم ، كما قال السلطان الحسن الأول عن عزوز الكتاني ، حسبما سيرد خبر ذلك بفاس ، إن شاء الله .

---

2 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 555 (2)

هذه في نظري هي الطريقة التي يستوطن بها التاجر الأروبي المغرب وغير المغرب ، سنوات او عقودا طويلة للتجارة ، بين ربح وخسارة ، او للالتجاء اليه ، بين أمن وخوف . ومن غير شك ان هاته الوسيلة مُجنَّحة بشيء من الخيال ، لأن الأمر في الواقع اشد تعقداً من هاته الصورة المبسطة .

فكم كان عدد الوافدين ؟

2 : أعداد المستوطنين

قفز عددهم في ظرف 70 سنة من 200 او 250 نسمة الى 000 9 او 10 الاف شخص ، اي ان نسبتهم تضاعفت خمسين مرة في ثلثي قرن . وها هو تفصيل ذلك :

200	أو 250 نسمة سنة	1832
700	نسمة	» 1858
1360	»	» 1864
1650	»	» 1872
3000	»	» 1880/1877
6000	»	» 1890
9000	أو 10 آلاف	» 1894

ومن الأسبانيين كان يتألف ، في اواخر القرن التاسع عشر 90٪ من المهاجرين (اي 8100) . وكان 20٪ من سكان طنجة اسبانيين ، ومن المُدقعين والفقراء . كان كثير منهم يعيش خاصة بالصويرة والدار البيضاء وطنجة . وكان الاسبانيون والطارقيون معربدين ومشاكسين واصحاب حانات وممن افلسوا في تجارتهم . وكان جميع الأروبيين يحترفون مهنا مختلفة ، ونشأت عن ذلك نزاعات بين فقرائهم وبعض المغاربة . على ان المُمْلِقين منهم كانوا يسكنون بـ« النوايل » او في ارض خالية ، ويختلطون بالمغاربة ، ثم لا يجدون في ذلك حَرَجاً (3) . بل كان منهم من يسكن بالكهوف والمغاور بأحواز طنجة والصويرة

3 . المصدر السابق ج 5 ص 272 و ج 4 ص 289 و ج 3 ص 481 ، و « تاريخ المغرب » ص 293 .

والدار البيضاء ، كمجرد حراس للبساتين او مهربين ينتهزون الغفلة ـ كما سنرى في الوثائق المخزنية بهاته المدن ـ لادخال البضائع او اخراجها ، تملصاً من الأداء ، او تحريضاً على الفتنة .

ولئن كنت قد أوردت أرقام الهجرة ، فانما أتيت بها استئناسا . على ان هناك من المؤلفين المتأخرين عن القرن التاسع عشر من رد هاته الأعداد الى نصفها فقط . اي 5000 اوربي ، ثلاثة ارباعهم بطنجة . وكان الربع الباقي مقسما على مدن ومراس مختلفة ، بنحو العشرات او المئات ، وكان بالقصر الكبير ومراكش وفاس نحو 30 اوربيا يرتدون في الغالب اللباس البلدي لئلا يلفتوا اليهم الأنظار .

« وكان المغاربة يصنفون الأوربيين ثلاثة اصناف :

« الباشدور الذي كان يعيش في البذخ بطنجة ، وكان يحق له الاستنجاد بفرقاطة ذات مدافع عديدة ، لتأييد مطالب رعايا بلاده .

«والقُنْصُ في المدن الأخرى ، وهو رئيس نصارى «قبيلته» ، وموزع بطائق الحماية .

« والتاجر بالجملة ، مُستورداً او مصدراً ، الحامي المحتمَل من ظلم القواد . وكانوا كلهم متمتعين بسلطات ، يتمنى المسلم لو حولها لصالحه » (4) ، حسب تعبير الدكتور فسجير بير ، الذي وصل الى المغرب في نهاية القرن الماضي .

وبديهي انه لا يمكن الاطمئنان الى وجود 5000 فقط من المستوطنين وان ضعفهم وهو 10 000 تواترت عليه الروايات ، ويبدو ان مؤلف « على عتبة المغرب الحديث » يتحدث فقط عن القرن العشرين ، ويُستغرَب جداً ان يكون عدد المقيمين قد تقهقر الى النصف .

---

4 . الدكتور فيسجيربير : « على عتبة المغرب الحديث » ص 24 و 26

وأيا كان الأمر ، فلم يكن هناك احصاء شامل للوافدين على المغرب ، ولا يصح الاعتماد على المسجلين منهم لدى القنصليات إلا جزئيا . وخلاصة الكلام ان ذلك كان تقديرات لا تبعد عن الحقيقة بعداً كبيرا .

ولْنَرَ الآن تفصيل هؤلاء المهاجرين بحسب الجنسيات ، قبل سنة 1885 وبعدها .

3 : **تفصيلهم : بلداً بلداً**

ينتمي هؤلاء الى عدد من الدول مثل اسبانيا وانجلترا وفرنسا وايطاليا والبرتغال والمانيا . اما باقي الدول فلم يكن لمواطنيها وجود يذكر . وقد اضطررت الى التمييز بين من هاجروا قبل سنة 1885 ، وبين من نزحوا بزُمرٍ ضخمة بعد هذا التاريخ الذي يأتي عقب معاهدة مدريد سنة 1880 .

* * *

3 . 1 : **قبل 1885**

3 . 1 . 1 : **اسبانيا**

بدأ الأروبيون يهاجرون الى ارض المغرب للاستيطان به . وكان اول الأفواج الوافدة يتكون سنة 1868 من الاسبانيين ، بعد الاضطرابات التي حدثت بقادس وبجنوب اسبانيا ، تلك الأحداث التي حفزتهم الى الرحيل الى جبل طارق اولاً ، ومنه يؤمون طنجة ، بحيث وصل منهم الى هذه المدينة في اكتوبر 1869 وحده حوالي 300 لاجيء . ثم تعاظمت الهجرة الى المغرب بعد 1872 ، بحيث اصبحت نسبة الأروبيين بطنجة 60٪ في تلك السنة ، و 40٪ في الدار البيضاء سنة 1873 و 52٪ سنة 1885 . وكذلك الأمر بالعرائش والجديدة (5) .

5 . مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 258

3 . 1 . 2 : انجلترا

كان لها ثاني جالية اروبية بالمغرب ، واصلها في الغالب من جبل طارق ومالطة في بداية الأمر ، واغلبهم استوطن الصويرة ، حيث اسرة راطو Ratto ، او الدار البيضاء حيث بدل لاپينيا Juan Lapenâ اسمه باسم جون لاپين John Lapeen . اما الأنجليزيون أصالة ، فكان منهم خاصة من يسكن بطنجة ، او يُسيِّر بعثات التنصير البروتستانتية ابتداءاً من سنة 1885 .

ينحدر هؤلاء الأنجليزيون الطارقيون من اسر اسبانية او ايطالية ، سرعان ما تمنح لهم الجنسية الأنجليزية منحاً (6) . وجلهم من اليهود ، جاءوا الى المغرب لانشاء مستوطنات ، بايعاز من الجمعيات الصهيونية العالمية ، في بعض الأحوال .

والى جانب هؤلاء الطارقيين ، وفد على المغرب رعايا عثمانيون من يهود ومسلمين قدموا من اروبا الوسطى كيوغوسلافيا الحالية ورومانيا واليونان وبلدان الشام ومصر وطرابلس . ومن المسلمين المهاجرين : محمد بن عبد الرحمان البغدادي الذي قدم من بغداد سنة 1886 الى مراكش ومعه ابنه الصغير عبد العزيز (3 سنوات) . وفي سنة 1891 قدم عبد الله بن مصطفى من بغداد الى مراكش والجديدة ، وصالح عبد الله من الأستانة الى طنجة ، وعبد الرحمان ابن محمد من مدينة جدة ، وكلهم رعايا عثمانيون (7) . ومن غير شك ان آخرين جاءوا قبلهم او بعدهم ، لم نعرف عنهم شيئا .

---

6 . مييج « المغرب واروبا » 3 ص 475

7 . من وثائق وزارة الخارجية البريطانية : ف. و/ ب. و 3/635 و 3/653 F.O. - Public Record Office . وأدين بالفضل في تقديمها لي ، هي ووثيقة اخرى لسماسرة التجار الانجليزيين بالصويرة ، الى صديقي المستعربين : دانييل شروتر Daniel Schroeter من جامعة مانتشيشطر بانجلترا ، وتاد بارك Tad Park الأستاذ بجامعة فسكونسين بالولايات المتحدة ، الذي قدم لي وثائق اخرى عن التجار بعدد من المدن المغربية في مطلع القرن العشرين . وسأستعين استقبالا بهاته الوثائق .

3 . 1. 3 : **فرنسا**

ورد بعض المسلمين واليهود والفرنسيين من الجزائر ومن تونس ، وكذلك من مدينتي مرسيلية وليون .

وكانت الجالية الفرنسية أقل عدداً من الجالية الأنجليزية سنة 1866 ، وخصوصاً بطنجة ، فلم يكن بالدار البيضاء سنة 1872 الا 31 تاجرا ثم تقهقر عددهم الى 27 شخصا سنة 1885 ، بما فيهم اعضاء البعثة العسكرية . اما بطنجة فلم يتجاوز عددهم 77 من البالغين سنة 1886 ، وبالصويرة وآسفي لم يكن يعيش بهما إلا أسر تشتمل على 30 شخصا ، منهم اثنان بآسفي سنة 1883 ، وكان مجموع الفرنسيين بالمغرب لا يتعدى 166 شخصا سنة 1886 . وقد اختلط بعضهم باسبانيين بأنكحة او بمعاملات ، بل ان منهم من حمل الجنسية الأنجليزية في حين تفرنس بعض اليهود المغاربة ، زيادة على الجزائريين ، بحيث كان ثلاثة ارباع 92 فرنسيا بالجنوب مغاربة متجنسين (8) سنة 1879 .

3 . 1 . 4 : **ايطاليا**

بين 1873 و 1883 ، كان عدد الايطاليين قليلا لا يتعدى 10 اسر ، منهم اربع بطنجة ، وست بغيرها كالجديدة والصويرة . وقد اندمجوا في السواد الاسباني ، وكان منهم يهود ومسلمون مغاربة متجنسون ارتبطوا بعلائق تجارية مع مدينتي ليڤورنو وجنوة (9) .

3 . 1 . 5 : **البرتغال**

كانوا أقل عدداً من الايطاليين ، وهم كالاسبانيين كانوا من أفقر الناس واشدهم إملاقا ، فمنهم من استقر بالرباط مثل اسرة داكراسا ، او بآسفي ، او استوطن العرائش او طنجة ، ولم يتعد عددهم خلال هاته الفترة نحو المئة في مجموع المغرب (10) .

---

8 . مييج : « المغرب واوروبا » 3 ص 476 — 477

9 . المصدر السابق ص 477

10 . المصدر السابق ص 478

3 . 1 . 6 : ألمانــيـا

لم يكن عدد الألمانيين المقيمين بالمغرب سنة 1878 الا 18 شخصا ، بما فيهم النساء والأطفال . ومن الذين وصلوا مبكرين فرانز نيومان (1876) وكارل وهنريك فيكه (1877) بالدار البيضاء ، وهيسنير (1876) ويواخمسون (1878) بطنجة . ولكن عددهم اخذ يرتفع بعد مؤتمر مدريد وقبيل عقد المعاهدة التجارية مع المغرب سنة 1890 (11) .

* * *

3 . 2 : بعد 1885

تعاظم عدد الأوربيين المهاجرين : 8000 اسباني و 1000 انجليزي و 500 فرنسي ونحو 100 ايطالي و 100 برتغالي و 200 من باقي الدول .

اذ بعد التغلب على الأزمة الاقتصادية وعلى مصاعب المجاعة واخطار الأوبئة ، عاد الاستيطان الأوربي يتقوى ابتداءا من سنة 1885 ، وتزايد العدد خاصة بين 1888 و 1892 ، وأعان على ذلك إنشاء خطوط بحرية رخيصة الثمن للنقل بين المغرب والخارج .

3 . 2 . 1 : اسبانــيـا

كان عددهم 3700 سنة 1887 منهم 3000 بطنجة وحدها ، ثم بلغ 6000 سنــة 1891 أي حوالي 600 في السنــة من المهاجرين المحصيين دون الوافدين خفية . وكانت الحكومة الاسبانية تشجع هجرتهم لسوء الأحوال الداخلية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، حتى بلغ عددهم سنة 1897 ، 8000 نسمة (12). وكان جلهم مقيماً بطنجة ، وأقلهم بالدار البيضاء وتطوان .

وسيرد في الوثائق المغربية طرف من اخبارهم ونشاطهم . وكان تكاثر عددهم دالاً على نية مبيتة لاقامة مستوطنات بطنجة وتطوان والدار البيضاء والجديدة ، على غرار ما هو عليه الحال بسبتة ومليلية .

11 . المصدر السابق ص 479

12 . المصدر السابق : 4 من ص 280 الى 293 حيث هناك تفاصيل مدققة .

3 . 2 . 2 : انجلـتـرا

كان عدد الانجليزيين والمنجلزين قوياً سنة 1892 : 600 بطنجة و 12 بالصويرة و 93 بالجديدة و 38 بالدار البيضاء ، في حين لم يكن بباقي المدن الشاطئية الأخرى الا عدد قليل كالرباط : 7 أشخاص ، وآسفي : 27 ، والعرائش : 8 . وكانوا في مجملهم من الطبقات الغنية او المتوسطة . امـــا المسافرون السائحون الذين وقفت البواخر بهم بمرسى طنجة عبر السنوات بين 1887 و 1894 ، فكانوا كما يلي :

6901	سنة	1887
10530	سنة	1888
11001	سنة	1889
14000	سنة	1890
17403	سنة	1891
14820	سنة	1892
15407	سنة	1893
14873	سنة	1894

وأغلب هؤلاء السياح من المتقاعدين ، او من هواة الصيد والرياضة ، جاءوا على متن المراكب المفتوحة خطوطها بين طنجة وباقي اجزاء العالم .

هذا ولم تكن للمستوطنين الأنجليز مشاكل عويصة مع السلطات في حجم المعضلات التي كان يطرحها توافد الاسبانيين القادمين للعمل أو للاسترزاق (13) .

3 . 2 . 3 : فرنسا

كان عدد الفرنسيين ضئيلاً لا يمثـل الا 7٪ من مجموع الأروبيـين . ولذلك كانت اهميتهم ضعيفة ، واكثرهم كان بالدار البيضاء وطنجة . وفي سنة

---

13 . المصدر السابق : 4 ص 293 — 295

1895 لم يكن بالصويرة الا 37 شخصا . وبغيرها من المراسي ، لم يتعد العشرة كالرباط والجديدة والعرائش وآسفي (14) .

3 . 2 . 4 : **باقي الدول**

باستثناء اسبانيا وانجلترا وفرنسا ، لم تكن للدول الأخرى سنة 1894 الا جاليات ضَحْلة : اسرة ايطالية قديمة ، واخرى برتغالية بكل من العرائش والرباط والجديدة ، واسرتان سويديتان بطنجة ، واربع اسر امريكية بطنجة والدار البيضاء ، وبلجيكي واحد في مجموع المغرب (العرائش). اما المانيا فقد بدأ عدد رعاياها يتكاثر نسبيا من 17 سنة 1879 ، الى 80 سنة 1895 ، ثم الى 147 سنة 1901 (15) .

* * *

لو أمعنا النظر جيدا في دراسة هاته العشرة آلاف من المهاجرين في اواخر القرن التاسع عشر لكان علينا ان نستثني نحو 9000 من الاسبانيين والبرتغاليين والطارقيين والآفاقيين المملقين ، الذين لم يزيدوا على ان يُضيّقوا سبل المعيشة على المغاربة ، ويُضيفوا للسلطة مشاكل الى مشاكلها الاعتيادية .

والألف الباقي ينبغي ان نستخلص منه فقط القسط النشيط . ولا ندخل في الحساب العجزة والأطفال والنساء .

وفي هذا المعنى ، لن نجد مثلا بين ايدينا الا نحو 100 او 200 من التجار والصناع والفلاحين الاجانب الذين كانوا يتداولون بينهم استغلال ثروات المغرب ، ويُجهِزون ، قصداً او عفواً ، على البقية الباقية من جاه البلاد ، بتواطؤ ــ احيانا ــ مع جماعة من الفاسدين والمارقين .

وستأتي في الأبواب القادمة اسماء المستوطنين ، مع ذكر نبذة عن نشاطهم ، وإشارة الى شيء من ثرواتهم .

---

14 . المصدر السابق : 4 ص 296

15 . المصدر السابق : 4 ص 298

وسنرى في الفصول الآتية كيف ان الحالة في اواخر القرن التاسع عشر قد ضاق المغاربة بها ذرعاً .

ولعل احمد الناصري لم يبالغ لما وصفها في كتابه : « باينت احوال هذا الجيل الذي نحن فيه ، احوال الجيل الذي قبله غاية التباين ، وانعكست عوائد الناس فيه غاية الانعكاس ، وانقلبت اطوار اهل التجارة وغيرها من الحرف في جميع متصرفاتهم لا في سككهم ولا في اسعارهم ولا في سائر نفقاتهم ...

« والسبب الأعظم في ذلك ملابسة الفرنج وغيرهم من اهل الأربا للناس وكثرة مخالطتهم وانتشارهم في الآفاق الاسلامية » (16)

* * *

بعد الحديث عن المغرب وحالة اهله من مغتربين ومن مستوطنين ، آن لنا الدخول الى فصل نهائي في هذا الباب ، يتعلق بالفواجع والكوارث . واليه انتقل تَوّاً ، لنشاهد ما اصطلح على بلادنا من بلايا اثناء القرن التاسع عشر ، من خلال المصادر العربية والعجمية معاً ، تمثلت في استغلال تردي الأحوال ، لبسط الحماية الفردية ولمحاولة تنصير السكان .

---

16 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 207 و 208

5 : الجوائح والقواصم

ما أكثر ما نكب المغرب في القــرن الماضي ، فرزىء أهله في مالهم ومتاعهم ! وما أعظم ما أُصيب في تجارته واقتصاده ، بتسلط الطغيان الأجنبي على سيادته !

وأريد في هذا الفصل أن أتحدث عن البلايا والخطوب التي نزلت ببلادنا : مجاعات وطواعين ومصائب ، كانت أحيانا تتلاحق وتتصل فتهلك الانسان والحيوان والأرض جميعا ، خصوصا بعد منتصف القرن ، حيث كانت الأمراض متفشية في أجزاء متعددة من العالم .

ولئن كان الجفاف والجراد اللذان حلا بهاته الديار بلايا فوق طاقة البشر ، فان الأوبئة المدمرة كانت في الغالب تنطلق من إنسان خارج المغرب إلى إنسان داخله أو تصدر أحياناً عن الأحوال المحيطة به .

كان الدخول الى البلاد والخروج منها للتجارة أو لغير التجارة سببا في إصابة السكان بهاته الأوبئة من كوليرا وحمى وجذري وتيفوس وتيفوئيد ، ومَطِيـَّة الى الذين وصلتهم عدواها المهلكة . وربما كان اغتراب الأجانب وعودة الحجاج هما السببان المتصلان ـ العفويان طبعا ـ في نقل جراثيم هذه الأمراض المبيدة ، بالرغم من وجود محجرين صحيين بطنجة والصويرة آنذاك . وقد لعبت الهجرة دوراً ـ إن لم يكن حاسما ، فقد كان ـ مباشراً ـ لأن المغاربة كانوا لا يغتربون بكثرة كاثرة ، بخلاف ذيوع الأجانب خارج بلادهم ، وهاته إحدى انعكاسات الاستيطان .

وهذا ما يدعوني الى معالجة هاته المحن من زاويتين :

الأولى : الأوبئة والمجاعات

الثانية : الاسعافات والوقاية

* * *

أولاً : الأوبئة والمجاعات :

لحقت كافة سكان المغرب بواديه وحواضره ، مواطنيه ومستوطنيه خطوب وبلايا خلال القرن التاسع عشر ، تحدثت عنها المصنفات المغربية في شيء من الاقتضاب والكتب الأجنبية ببعض الاسهاب . ومن ذلك جميعه أقتطف ما أرى فيه فائدة تاريخية .

في بداية القرن المذكور ظهرت طواعين مختلفة وعم الجوع وغزا الجراد المغرب من 1810 الى 1816 ، طيلة ست سنوات (1) .

وفي سنة 1819/1236 كان الغلاء الكبير والجوع المفرط ، وكان أكثره بقبائل الحوز من بني مسكين وعبدة ودكالة وغيرهم ، فأهرعت هاته القبائل الى بلاد الغرب والفحص ، وأكلت الجيف والميتة والنبات . وصار يعرف عند أهل البادية بعام الخبيزى وعام يَرْني ، وكان الرجل يأكل ولا يشبع ، وإذا أمعن في الأكل وتضلع شبعا لم تمض إلا هنيئة حتى تضطرم أحشاؤه جوعا . وبلغ المد بسلا ثمانية عشر مثقالا ، فجعله العامة تاريخا يقولون كان ذلك عام ثمانية عشر مثقالا (2) .

أما في تادلة فقد أهلك وباء سنة 1818 ربع سكانها . وفي طنجة مات 2000 شخص بالطاعون ، زيادة على 566 بالعرائش و 1560 بالرباط و 7000

---

1 . جان لوي ميج : « المغرب واوروبا » ج 2 ص 22 (4)

2 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 61

بفاس وآلاف بتطوان . وأعقب ذلك جفاف سنة 1822 . غير أن مسغبة سنة 1825 كانت كبيرة الى حد أن ذكّرت بعام يَرْني ، وحطمت قبائل المغرب وأجبرتها على طاعة المخزن (3) .

ولئن امتازت سنة 1824 بمجاعة (4) قاسية ، فان المؤرخين لم يتحدثوا عن حلول الكوارث بالمغرب إلا بعد ذلك ، أي سنة 1850 .

فعن الحالة بوسط المغرب سنة 1850 ، وقع جدب ومسغبة عظيمة للناس ، فاهلكوا بالجوع وارتحلوا من بلادهم الى وادي درعة . ووصل الشعير في سوق دمنات الى سبعة مثاقيل للخروبة ، والقمح كان بعشرة مثاقيل . ومات عدد كثير من الناس في جميع البلاد ، بل وقع الغلاء في عامين قبله (5) .

ومن 1854 الى 1857 حل وباء الكوليرا وأهلك سكان شمال المغرب . وكان مصدره ـ على ما قيل ـ الحجاج المسلمون لدى عودتهم . ومات بملاح فاس وحده من اليهود 5000 شخص (6) .

ووصف الناصري الكوليرا التي أناخت بكلكلها سنة 1854 فقال بأنها « إسهال مفرط يعتري الشخص ، ويصحبه وجع في البطن والساقين ، ويعقبه تشنج وبرودة واسوداد لون . فاذا تمادى بالشخص حتى جاوز أربعاً وعشرين ساعة ، فالغالب هو السلامة ، وإلا فهو الحتف . . . ومات به في سلا في منتصف قعدة 1271 (أوائل غشت 1855) مائة وعشرون نفسا . . . » (7) .

---

3 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 204 (نقلا عن كتاب الدكتور رينو : « وباء 1818 ») وجان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 2 ص 22

4 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 122

5 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 204

6 . اسحاق عبو : « المسلمون الاندلسيون واليهود الاسبانيون » ص 323

7 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 69

أما صاحب « إيقاظ السريرة » فذكر عن بلايا تلك السنة بنواحي الصويرة من أنه « مات من المسلمين كثير ، ومن الاسرائيليين أكثر ، وعم ذلك المغرب كله . . . » ، ومن أن « بركانا انفجر ببلاد حاحة ببني زلطن » ومن أن « جبلين التقيا ببني محمود من بلاد حاحة ، بسبب خسف بمن فيه من المداشر ومات خلق كثير (8) في السنة الموالية .

ولا شك أن الكوليرا قبل 1860 كانت فتاكة مهلكة ، ولكنها لم تصب أقاليم الشمال ولم تتجاوز نهر أم الربيع (9) في الجنوب .

وبعد ذلك بسنوات قليلة ، لحق حجـاج المغرب طاعون الكوليرا سنة 1865 ، إذ مات منهم ألف من مجموع 1800 كانوا على متن سفينة مصرية (10)

وفي سنة 1283/1866 « كان بالمغرب جراد سد الأفق ، وذلك في ربيع الأول الموافق لشهر مارس العجمي (11) فأكل النجم والشجر ، ثم أعقبه فرخه المعروف بثامرد ، فأكل كل خضراء على وجه الأرض ، واستلب الأعواد من أوراقها ، وقشرها من لحائها ، وفاض في الأمصار ، حتى دخل على الناس في بيوتهم » (12) ، بعد أن كانت صابة 1865 استثنائية غزيرة الأنتاج (13) .

وفي السنة الموالية 1284/1867 « كان الغلاء المفرط بالمغرب الذي لم يتقدم مثله بلغ فيه الرُبَيِّع وهو ربع ثمن المد بسلا ورباط الفتح ستين أوقية ، وباع الناس أثاثهم وحليهم بالبخس ، وكان الأمر شديدا على الفقراء ...

---

8 . محمد بن سعيد الصديقي : « ايقاظ السريرة ، لتاريخ الصويرة » ص 76 و 78

9 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 147 (3)

10 . « الوثائق » ج 2 ص 445

11 . مطابقة الشهرين فاسدة عند المؤلف اذ ربيع الأول 1283 يعادل يوليوز – غشت 1866 اما مارس 1867 فهو ذو القعدة 1283 .

12 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 119 .

13 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 72

« وفي سنة خمس وثمانين ومائتين وألف ، كان الوباء بالمغرب بالقيء والأسهال المفرطين على نحو ما وصفناه في السنين الماضية » (14) .

وعندنا عن سنة 1865 وما بعدها إشارات طفيفة الى مبلغ الضحايا والرزايا ، أورد مييج عنها ما مجمله : ابتلي المغرب من سنة 1865 الى سنة 1879 ، وبكيفية كادت أن تكون مسترسلة ومتقاربة ، بأوبئة الجذري والكوليرا والتفوئيد التي تضاف إليها المسغبة ، مما أهلك سكانه وقلص حجم المبادلات الخارجية ودهور التجارة الداخلية وأسفر القحط عن موت عشرات الآلاف من المغاربة والأجانب جوعا .

وفي سنة 1868 فقدت الدار البيضاء ـ التي كان عدد سكانها يتراوح بين 2.000 و 3.000 ولا يتجاوز قطعا 4.000 ـ خلال خمسين يوما ربع سكانها ، كان هناك في البداية ميتان أو ثلاثة كل يوم ، ثم ارتفع العدد الى 12 و 15 حتى صار 42 هالكا في اليوم الواحد . وكان السكان يعجلون بدفن الموتى ، مع أن بعضهم كان لا يزال بقيد الحياة منهم اثنان آبا من قبرهما . ولئن مات أحدهما لسوء العلاج فقد كان الآخر لا يزال حيا يرزق .

وبالجديدة كان الهلع شديدا الى حد التجاء نصف الأروبيين الى مراكب البحر للسكن بها بعيداً عن الوباء .

وبالرباط مات ثلاثة من الأروبيين منهم فرنسي واحد .

وحلت الكوليرا بمراكش ذات 300.000 نسمة (هكذا)

وابتليت فاس بالكوليرا والتيفوس ، وفاض نهر فاس فانهارت 50 دارا و 30 دكاناً (15) حسب مقالة صحفية في غشت 1868 .

---

14 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 9 ص 119 و 120

15 . عن مقال بجريدة « سيمافور مرسيليا » في كتاب مييج « المغرب واروبا » ج 5 من ص 109 الى 116 .

وحصد الموت ما بين 250 و 300 شخص في اليوم سنة 1868 بفاس ، ومات في يوم واحد 33 من أعيان المدينة الـ 136 . ومن الجيش هلك في يوم واحد 345 جنديا ، ومات قنصلا انجلترا بالعرائش والرباط . ومع تقهقر الأوبئة لم تخف وطأة الوفيات بالمسغبة . فكانت كل يوم تفنى المئات بالمدن الشاطئية والشمالية وبمراكش . أما بطنجة ، فلم يكن الموت مستفحلاً : 10 في كل أسبوع (16) . وفي نفس السنة 1284/1868 « اشتد الحال بتطوان من كثرة الغلاء ووقع الهيف في الناس ومات عدد كثير من البرد والجوع ، وخصوصا من أهل الريف الذين فروا من بلادهم من غلاء الأسعار وعدم نزول الأمطار » (17) ، ومن القبائل المنكوبة دكالة التي رزئت في 30 بالمئة من أغنامها في نفس الوقت (18) .

ولم تمر إلا أعوام قليلة حتى جاءت سنتا 1878 و 1879 بطامتهما الكبرى ، فكانت الخسائر جسيمة . فقد ذكر لوكلير ، نقلا عن غيره ، أن الكوليرا والتيفوس — اللذين استفحلا بالمغرب — أسفرا آنذاك عن هلاك ثلاثة ملايين من المغاربة (19) . وعن سنة 1295/1878 قال المؤرخ الناصري :

« في هاته السنة ، تعددت المصائب والكروب ، وتلونت النوائب والخطوب . . . » مثل « انحباس المطر . . . وأجيحت الناس وهلكت الدواب والأنعام ، وعقب ذلك الجوع ثم الوباء على ثلاثة أصناف : كان أولاً بالاسهال والقيء في أوساط الناس بادية وحاضرة ، ثم كان بالموت بالجوع في أهل البادية خاصة ، هلك منهم الجم الغفير . . . وبعد ذلك حدث الوباء بالحمى في أعيان الناس وأماثلهم ، فهلك منهم عدد كثير . . . وفي هاته المسغبة مد النصارى أيديهم الى الرقيق فاشتروه . وكانوا يعاملون ضعفاء المسلمين بالصدقات والارفاقات ، ثم تجاوزوا ذلك الى شراء الرقيق منهم .

---

16 . مييج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 392 والناصري : «الاستقصا» ج9ص165

17 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 107

18 . مييج : « المغرب واوروبا » ج 5 ص 132

19 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب والأطباء بالمغرب » ص 80

« ثم دخلت سنة 1296 فكان في أوائلها موت الناس بالحمى » (20) .

وعندنا توضيحات غير ما ذكره الناصري من أنه « في يوليوز 1878 ظهرت الكوليرا بفاس ومكناس وآسفي والصويرة ، حيث هلك في هاته المدينة الأخيرة وحدها ، في ظرف أربعة أشهر ، أزيد من 2.000 شخص (21). ثم انتشرت أمراض أخرى كالجذري والحمى فعظمت أعداد الموتى سنة 1878 بالجديدة وبالدار البيضاء التي هلك فيها بين 17 شتنبر و 16 أكتوبر 987 شخصا » (22) .

ومات في هاته السنة الحاجب موسى بن أحمد البخاري (23) . ومن الذين ماتوا بالصويرة في هاتين السنتين ، 16 شخصية من علماء تلك المدينة وفقهائها (24) وآخرون ذكرهم المؤرخ الناصري في كتابه .

ويرى الكولونيل ماثيوز ممثل الولايات المتحدة ، وستيفانو سكوڤاصو ممثل إيطاليا ، أن ربع سكان المغرب قد هلكوا سنة 1879 . وذكر قنصل اسبانيا بالعرائش أن ثلث أهالي منطقة الغرب ماتوا بطاعوني 1878 و 1879 . أما جون دروموند هي فيعتقد أن ثلث قبائل حاحة وسوس ماتوا جوعا .

ومن حيث الماشية ، روت المصادر أن نصف رؤوسها قضى بالمسغبة ، بل قيل إن بعض الأقاليم نكبت بهلاك ثلاثة أربـاع أنعامها بسبب الجفاف سنة 1879 والجراد في السنة التي قبلها . وتقدم أن لوكلير روى موت 3 ملايين من المغاربة بالكوليرا والتيفوس في سنة 1878 (25) ، وهي أرقام لا شك في أنها صحيحة ، لأنها أقرب ما تكون من رواية ممثلي إيطاليا وأمريكا حسبما مر بنا أعلاه .

---

20 . « الاستقصا » : 9 ص 164 — 165

21 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 392

22 . نفس المرجع ايضا .

23 . « الوثائق » : 3 ص 482 و « الاستقصا » : 9 ص 165

24 . محمد بن سعيد الصديقي : « ايقاظ السريرة ... » ص 110

25 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب والأطباء بالمغرب » ص 80 (الرواية هي للدكتور رينو نقلا عن لوكلير) .

وكان الخطب عظيما بوباء سنة 1879 ، فكان يموت بمراكش كل يوم 300 شخص وفقدت دمنات ربع سكانها على الأقل (26) .

وحاصله أن أخطر الأزمات وأطولها هي التي بدأت سنة 1867 ثم سنة 1878 ، آخرها دامت 5 سنوات . وكان الخصاص الغذائي أثناءها شديدا . وقد صور عواقبها القبطان إركمان رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بفاس بقوله : « من الجائز أن يكون الرخاء ساد إقليما والمجاعة عمت إقليما آخر ، ومن ثمة نتج رحيل هائل للسكان ونقصان في العمران »

وقد استخلص العروي من ذلك كله هاته النتيجة :

« وبذلك بدأ تحطيم الهياكل التقليدية ، واستمر طيلة خمسين سنة حتى بسطت الحماية الفرنسية على المغرب . ويبدو أنه خلال أزمة 1878 — 1882، رحل الى الجزائر حوالي 54.000 شخص . وقدمت الاسعافات لنحو 12 حتى 15 % من سكان المدن . وتبرعت اللجنة الصحية باكتتابات لكي يعود القرويون الى مناطق جبال الريف ، التي كانت ترسل كل سنة الفائض من سكانها الى نواحي وهران ، قدره موليبيراس بعشرين ألفا من العمال كل سنة » (27) .

وفي مسغبة 1882 هلك بالرباط ، وحده في دجنبر 250 شخصا ، وبمراكش ومكناس مات 300 شخص في اليوم (28) .

أما سنة 1888 فقد فتك الجذري بـ 6.000 شخص بمراكش (29) ، وتلاحقت الفواجع أيضا سنة 1894 وما بعدها باسراب الجراد التي اتت على الحقول والمزارع ، حسبما جاء في صحف البعثات التنصيرية .

* * *

---

26 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 205

27 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 55

28 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 397

29 . المصدر السابق ج 4 ص 393

هذه هي الرزايا التي وقفت عليها من خلال هاته المصنفات . فقد كانت ــ كما رأينا ــ دورية تأتي بين الحين والحين ، وكانت تعقبها فترات من الرخاء والعافية أطول من أوقات الحرج والشدة ، ازدهرت فيها التجارة نوعا ما ، واستقامت الأحوال السياسية بالداخل أمدا طويلا . لكن تواتر هاته الكروب كان يحمل السلطة على التفكير في إسعاف المنكوبين بالبلايا والحتوف وإغاثة الملهوفين .

فكيف كان ينظم الاسعاف ومن هم المسعفون من سلطة وأطباء وقناصل ؟

* * *

ثانياً : الوقايـة والاسعافـات

الأرقام التي قدمتها لا تعطي إلا فكرة مقتضبة عن مبلغ الرزايا والبلايا التي انتابت المغرب في القـرن الماضي ما بين الفتـرة الطويلة أو البُرْهة القصيرة ، والتي كانت ذات انعكاسات وخيمة على الطبقات الدنيا والوسطى ، مثل الفلاحين وصغار التجار والصناع الذين أفقروا بالغلاء وهلكوا بالموت الزُؤام ، ومرقت طائفة بالاحتماء والخلطة مع الأجانب ، وبالجملة « أُجيحت الناس » كما قال الناصري عن بعض السنين ، ولكن ذلك لم يكن متصلا طوال القرن لحسن الحظ .

ومثل هاته الأحوال لم تكن لتخفى على المخزن ولا على الولاة المحليين والقناصل . وليس تحت يدنا الآن ما نعلم به شيئا كثيرا عن مواقف السلاطين ، سوى أنهم كانوا ــ عند حلول المجاعات ــ يأمرون بفتح مخازن الحبوب لتباع للناس أو لتوزع مجانا على المنكوبين الملهوفين .

كان المخزن يقاوم الجراد بوسائل تقليدية ، فيدعو السكان الى جمع بيضه ليشتريه منهم بثلاث ريالات للقنطار ثم يقذف في البحر . وكان الفلاحون يحفرون حول حقولهم خنادق لصد هجوم الجنادب ، وكان آخرون يحيطون هاته الخنادق بصفائح من القصدير يتخذونها حاجزا وقائيا من هذه الغارات (30) .

30 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 64

أما العلاجات والوقاية والاسعافات فكانت بلا ريب فوق طاقة الحكومة لانعدام الأطباء المغاربة . كان الناس يعمدون الى اتخاذ الرقى والتمائم ، أو الى التداوي بالأعشاب وأنواع العلاج التقليدي ، عند حدوث الطواعين كما سيأتـي .

أما لدى احتباس المطر ، فكانت صلوات الاستسقاء تقام في كل مكان ، يهرع أثناءها المؤمنون الى الله ، حاسرين حافين تائبين ضارعين إليه أن يخفف ما نزل . وكان من العلماء ـ مثل محمد بن جعفر الكتاني ـ من يؤمن بأن هاته الدواهي ما جاءت إلا لأن المسلمين قد تنكبوا عن الطريق المستقيم وضلوا عن السنة المحمدية (31) ، بينما كان جون هي يرى في هاته الكوارث عدلا إلهيا ، حسب رسالة منه الى السلطان في 25 ابريل 1880 .

وفيما عدا هذا وذاك ، لا نعرف عن المساعدات المنظمة إلا نتفا قليلة ، وخصوصا عما كان يقع على يد بعض الأطباء الأروبيين ممن أبلوا البلاء الحسن في علاج الأجانب والمواطنين على السواء في الثلث الأخير من القرن . وأما أسماء الأدوية وأنواعها ومصدرها فذلك ما لم أقف له على أثر .

وإذن لم يكن للسلطان مناص عن الأمر بفتح أمراس الحبوب وبيعها بأبخس الأثمان للمصابين بالجراد والمسغبة (32) . وكانت المطامير ـ التي هي علامة الثروة ـ تمكث فيها القموح المدخرة آمادا طويلة ، تتراوح بين 10 و 15 سنة ، حتى تفسد أحيانا ، ويظل الناس يقتاتون بالبقولة (33) مثلما رأينا قبل ذلك عام الخبيزة أي سنة 1819 عند ما أصيبوا بمثل هاته القواصم المهلكة .

---

31 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 331 (نقلا عن « نصيحة اهـل الاسلام » لمحمد بن جعفر الكتاني ص 92)

32 . جان مييج : «المغرب واروبا» ج 3 ص 392 واحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 165 .

33 . مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 220 (11)

ويجدر بنا الاشارة الى شيء من الجهود التي بذلها الأجانب هيئات وأفراداً والى إلمامات أخرى عن الأطباء والعشابين المغاربة .

2 — 1 : التطبيب الأجنبـي ومجلس العافيـة

نظمت الوقاية والعلاج الطبي بالثغور وجردت حملات الاسعاف على يد «مجلس العافية لصيانة البرية» الذي كان يعبىء أطباء القنصليات والبعثات ، أو يستحث الدكاترة الأحرار القليلين ، لمقاومة هاته الجوائح الشديدة . ولم يستطع الجميع إلا حد الداء مؤقتا ، دون اللجوء الى الوقاية بالتلقيح والتطهير ، لا لأن الأدوية الناجعة لم تكن موجودة فقط ، ولا لأن هاته الطواعين كانت مستشرية ببلدان أخرى من العالم أيضا ، ولكن كذلك لأن المخزن والسكان كانوا يرون في المجلس الصحي وخصوصا ، في منتصف القرن ، هيئة فضولية تتدخل فيما لا يعنيها ، لا سيما عند ما كانت تقترح على الحكومة عزل الأصحاء عن المرضى ، أو حصر أهل المدن الداخلية والبوادي بعيداً عن الثغر والمرسى.

وذلك أن هذا المجلس الذي كان يسمى السنيدة أيضاً Sanidad استغل التفويض الذي ناله من المخزن لينصب نفسه هيأة بلدية . وكان تحت إشرافه المحجر الصحي بطنجة وكذلك محجر الصويرة الذي كان من مهماته مراقبة الوافدين على المغرب ولا سيما الحجـاج . فقبل سنة 1866 ، كـان العائدون من الديار المقدسة يخضعون للكرنطينة ، التي كانت تدوم اسابيع وأياماً ، بجزيرة مالطة أو بمدينة ماعون الاسبانية . غير أنه بعد انعقاد المؤتمر الصحي بالبندقية سنة 1892 ، صار هؤلاء المسافرون ملزمين بعد أداء الفريضة بالتطهير وبالتعقيم ببلدة طور سيناء .

* * *

وبعد هذا العرض الوجيز ، سنرى الحالة بالمغرب في القرن التاسع عشـر :

الحق أن أطباءاً من مختلف الجنسيات هلكوا أثناء العلاج ، متأثرين بالعدوى بدورهم على الرغم من قلة أعدادهم ولتفانيهم المحمود في أداء رسالتهم الانسانيــة .

ولا بأس ـ بهاته المناسبة ـ من سوق أسماء الأطباء الذين عثرت عليهم خلال النصف الثاني من القرن بشتى المدن ، ومن الاشارة الى نشاط بعضهم .

كان بالصويرة الطبيب الفرنسي أوليف Ollive والدكتور الانجليزي ريتشاردسون طومبسون Richardson Thompson المتوفى بالكوليرا هو نفسه ، كما هلك ابنه قبله سنة 1878 ، مثلما مات الطبيب الفرنسي لوران تيڤنان Laurent Thévenin بنفس الداء سنة 1879 ، بعد أن بذل جهودا جبارة في معالجة المرضى به ، سواء سنة 1868 أو 1878 . وكان الأخير من أطباء السلطان وأعضاء المخزن . وكان بالصويرة أيضا طبيب عسكري إسباني اسمه گيبارا Guevara عين بها سنة 1889 . وفي سنــة 1883 كــان الطبيب الفرنسي تيري ـ مييك Thery-Mieg يعالج المرضى بهاته المدينة .

وبمدينة الرباط كان يسكن بضعة أطباء مثل الفرنسي گيان Guien الذي استوطنها لمدة سنتين اثنتين ابتداءاً من 1856 ، والدكتور الاسباني مانويل طوماس رودريگيث M.T. Rodriguez الذي كان قاطنا ابتداءاً من سنة 1861 بهاته المدينة وأيضاً بسلا والدار البيضاء ومراكش ، وكثير التنقل بين هاته المدن الأخيرة لأغراض صحية وسياسية لفائدة قنصلية إسبانيا حتى مات بالدار البيضاء سنة 1877 .

وفي سنة 1863 استوطن الرباط طبيب إنجليزي على الراجح ، وهو ثيودور لوكاس گوديت Th. Lucas Godet وأقام بالمدينة عامين اثنين (34) . وأضيف إليه طبيبا ثانيا : ل روبيرت كير L.R. Kerr وهو منصر بروتستانتي إنجليزي حل بالمدينة سنة 1883 وكان يعالج المرضى . كما أقام بها من 1880 الى 1883 الضابط الفرنسي الدكتور ف. ليناريس F. Linarés الذي كان

---

34 · المصدر السابق ص 470 و ج 5 ص 70

يريد سنة 1882 تعميم التلقيح في بعض الأوساط عند ذيوع الجذري تلك السنة . وفعلا استطاع أن يلقح عدة اطفال من أسرة مَحمد بركاش (35) .

ولم يسلم هذا الوزير من لوم الناقدين ، فانهالت عليه من المخزن رسالة تقريع حول هؤلاء النواب الذين « جعلوا الكرنطينة بقرب طنجة لمن يَرِد من فاس ومكناس ، توقيا من الوباء الذي ظهر في تلك النواحي ، ومساعدتك لهم في ذلك . . . وتعجبنا من قبولك منهم ذلك الكلام وسماعه ، فضلا عن العمل به ، مع أنه مخالف لشريعتنا المطهرة ، فان المُعْتَمَد في ديننا أن لا عَدْوَى ولا طِيرَة . . . » (36) .

وكان بالرباط أيضا سنة 1889 طبيب إيطالي لم تذكر الوثائق المغربية اسمه واكتفت بالقول بأنه من مواليد تونس (37) .

أما الجديدة فكان بها سنة 1859 الطبيب الايطالي ل كَراسينو L. Garrassino (38) . وفي نهاية القرن ، كان بها طبيبان : واحد إسباني وآخر سويسري (39) . ولم يرد لاسمهما ذكر . وهناك أيضا الطبيب الفرنسي جوزيف آلار الذي حل بالمدينة سنة 1878 ولكنه رحل الى آسفي فاستوطنها من سنة 1879 الى سنة 1890 ، وكان تاجر حماية أكثر منه طبيباً .

وبالثغر الطنجي عاش أطباء من شتى الجنسيات مثل سطراوس Strauss الذي كان يباشر علاج المرضى ، ثم خلفه الدكتور رولانجي Rolinger الفرنسي الذي أشرف على المستشفى وبذل جهودا حسنة في مكافحة كوليرا 1855 ، حتى مات هو بدوره بهذا الوباء في السنة الموالية .

---

35 . المصدر السابق ج 4 ص 393

36 . رسالة السلطان الى بركاش في 12 رمضان 1295/9 شتنبر 1878 (صورتها عند محمد نهليل في « رسائل شريفة » اللوحة 39)

37 . رسالة محمد السويسي الى السلطان في 9 جمادى الاولى 1306/11 يناير 1889 محفظة المغرب ايطاليا .

38 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 3 ص 147

39 . أوجين أوبان : « مغرب اليوم » ص 77

وبعدهما كان حكماء آخرون ، نذكر منهم الدكتور كاسطيكس Castex الذي داوى السكان من الكوليرا ، وبلغ عدد المعالجين عنده في ظرف 6 سنوات أزيد من 12 ألف مريض . ويحكى عن هذا الطبيب أنه عجز عن إرجاع رحم امرأة — انقلب — إلى مكانه ، فاستعان بأحد المتطببين المغاربة الذي علق المرأة من رجلها وجعل رأسها الى أسفل ، فعاد الرحم الى محله (40) . وكان بالمدينة آخرون مثل الطبيب الاسباني خواكين كورطيس J. Cortés الذي كان ملحقا صحيا سنة 1891 . وأضيف الى هؤلاء : الدكتور وود Wood الأمريكي ، الذي كان له خلطاء بهاته المدينة وبالدار البيضاء كذلك (41) ، ولم يعرف هل كان يزاول الطب فعلا ، والطبيب العسكري الاسباني فليبي أوبيلو إي كناليس Felipe Ovilo y Canalis الذي كلفه السلطان ، سنة 1891 ، بتدريب ممرضين عسكريين وبعلاج المحلة التي كانت تقمع تمرد عبد السلام الحمام الأنجري ، وكان يجمع بين الطب والتجسس والصحافة (42) ، والطبيب سينارو Severo Cenarro الذي كان ملحقا طبيا بالمستشفى الاسباني سنة 1883 ورئيسا للجنة الصحية حتى توفي سنة 1898 (43) . ثم هناك طبيبان إنجليزيان أحدهما يدعى مغيرس Migers (؟) ، ورد الى المدينة سنة 1871 « والناس يصفونه بالمهارة في علم الطب ، وهو طبيب مختص واسمه مغيرس ، وهو من جبل طارق » (44) . والآخر يدعى ميكولاص (ولعل صوابه نيكولاص ، لكن نسبه لم يرد في الوثائق) . وكان سنة 1887 يحترف العلاج (45) .

---

40 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب والأطباء بالمغرب » ص 92

41 . لوائح المخالطين والمحميين الامريكيين وهي غفل ، ونقدرها بسنة 1892

42 . جان لوي مييج : « المغرب واوروبا » ج 4 ص 219 (4)

43 . المصدر السابق ص 354 (3)

44 . رسالة بركاش الى الوزير محمد بنيس في 28 حجة 1287/21 مارس 1871 — محفظة المغرب بريطانيا .

45 . رسالة للطريس في 26 ربيع الاول 1305/12 دجنبر 1887 — محفظة الطريس 11 .

وبتطوان استقر سنة 1858 الطبيب النمساوي الهنغاري ماكسيميليان شميدل M. Schmeidl الى أن عين قنصلا لبلاده سنة 1868 ، حسبما سيأتي خبر ذلك مع القناصل بطنجة .

وبنفس المدينة سكن طبيب فرنسي اسمه موررير Maurer ، وكان في منتصف القرن التاسع عشر يزاول الطب والصيدلة معاً (46) .

وبالعرائش والقصر أقام طبيبان إسبانيان ، أولهما خوسي خيمينيث Jose Giminez الذي مات سنة 1893 مقتولا بالقصر (47) ، والآخر كان بالعرائش سنة 1889 ، لكن غفلت عن اسمه الرسائل المخزنية (48) ، ولعله كيتا . وهناك طبيب ثالث كان سنة 1881 بالقصر يدعى رودريكيث كراكوف R. Krakof (49) وهو روسي ، وقد تردد اسم الحكيم الموسكوي في الوثائق المغربية ولا سيما بفاس .

وبمراكش حل الطبيب الألماني كراكي KRAKE الذي لما خرج منها ووصل الى قصبة أولاد سعيد بالشاوية نهبت أمتعته (50) . وقد يكون مجرد سائح أو مستكشف غير طبيب .

الدار البيضاء أوت عدداً من الأطباء الأجانب : الفرنسي كيول GUIOL الذي وصل اليها سنة 1868 لمكافحة عدوى الكوليرا وعلاج الجالية الفرنسية ، ولعله هو ذلك الطبيب الشاب المتخرج من كلية باريس (51) ، والاسباني

---

46 . جان لوي مييج : « المغرب واوروبا » ج 2 ص 471 (1)

47 . رسالة الباشا احمد بن التهامي الى الطريس في 21 ج 1311/2/30 دجنبر 1893 .

48 . رسالة الطريس الى السلطان في 1 شعبان 1306/2 ابريل 1889 ، محفظة الطريس 15 .

49 . مييج : « المغرب واوروبا » ج 3 ص 353 (10)

50 . رسالة غريط الى الطريس في 15 محرم 1306/21 شتنبر 1888

51 . عن جميع الأطباء السابقين ينظر كتاب «المغرب واوربا» ج 1 ص 93 و ج 2 ص 147 وص 391 (8) وص 469 و ج 5 ص 110 و 114

خـــوردان Jordan الذي عين سنة 1889 ملحقا صحيا عسكريا (52) . وفي سنــة 1873 قــدم فـريـزار Frezard ومكث بالمدينة ثلاث سنوات ، وفي سنــة 1881 حــل مونـكــادا Moncada وكامير Gamir وإيسبري Esbry وبعـدهـم استــوطــن المدينــة بيتــي Betti وبينيتيث Benitez وطوطيي Totier ودوبير Dobbert الــذي قضى بهــا 25 سنــة حتى أصبــح عميــدا للسلك الطبي (53) . وإليهم يضاف الدكتور هاري نوط H. Nott المنصر الانجليزي .

أما فاس فكان بها أطباء أجانب ، مثل الاسباني خاكوبو كيتا J. GUITTA الذي كان أول أمره بالقصر الكبير سنة 1887 ، ثم رحل الى فاس وسكن بملاح المدينة (54) ، وكذلك الطبيب الاسباني روميرو روبليدو R. Robledo الذي كان قاطناً بفاس ، وقيل إنه كان من أطباء السلطان مولاي الحسن . كما أنه كان حوالي سنة 1896 مكلفاً بالمحجر الصحي بالصويرة (55) ، وله عن مراقبة عودة الحجاج من البقاع المقدسة بعض التقارير .

ومن المعالجين بفاس الدكتور فندل Vendel (؟) الألماني الذي كان سنة 1885 ساكناً بهاته المدينة (56) . الا أن الراجح أنه إنما كان بيطرياً .

---

52 . « المغرب واروبا » ج 4 ص 220 (11)

53 . مييج وهوج : « الأروبيون بالدار البيضاء » ص 92 (4)

54 . مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 220 (11)

55 . احمد معنينو في ترجمة عبد الكريم بريشة في « دعوة الحق » عدد ابريل 1971 حرف اسمه الى رابيلا Rapela

اما محمد امين البزاز فقد اورد فقرات من تقاريره ، في بحثه المنشور سنة 1982 بعنوان : « الحوليات الفاضحة للحج المغربي الى مكة في القرن التاسع عشر » في مجلة « اسبيريس تمودا » المجلد الحادي والاربعين ص 325 وما بعدها .

ويستفاد من هاته الدارسة ان عدد الحجاج كان من سنة 1853 الى 1858 يتراوح بين 2500 و 3000 وان نحوا من عشرة آلاف توجهوا الى الحج حوالي 1893 (ص 321 و 330 من الدراسة المذكورة) . فليضف هذا الى ما ذكر في الصفحتين 60 و 160 اعلاه .

ولهذا البحث القيم علاقة بأحوال الحجيج وبظروف تسفيرهم وحملهم وبالمعاملات المهينة التي كانوا يتعرضون لها في المراكب والمحاجر الصحية الأجنبية والمغربية ، نقلا عن بعض الرحلات الحجازية الوطنية .

56 . رسالة السلطان الى الطريس في 15 ربيع الاول 1303/22 دجنبر 1885 ، محفظة الطريس 6 .

ومنهم المنصر الانجليزي تشرتشر D.T. CHURCHER ، وسيأتي ذكـره ، والطبيب مكماش (ولعل صوابه ساموييل ماك ماث S. Mac Math) الأنجليزي الذي يظهر أنه كان سائحا . وسيرد الكلام عنه بفاس في قضية الفيل.

وأختم بذكـر الدكتـور كَـريف GRIEVE المنصر الأنجليزي بالدار البيضاء الذي كان يتخذ العلاج مطية لصد المسلمين عن دينهم (57) حسبما سيأتي خبر ذلك في محله ، كما اذيل بأن أطباء مثل : س هـ روبيرطز S.H. Roberts وطيري Terry والمنصرة بريز Breeze (وكلهم من هيأة نورث افريكا ميسيون) عالجوا السكان ابتداءاً من سنة 1887 بهاته المدينة .

ويستفاد من المصادر المختلفة أن عدد الاستشارات الطبية التي جرت في شتى المحطات البروتيسانتية بلغت 2300 في طنجة وحدها سنة 1886 ، كما بلغت بها وبغيرها كالرباط والدار البيضاء ومراكش وفاس 17.000 سنة 1890 و 30 الفاً سنة 1892 ثم تضاعفت بعد ذلك حتى وصلت الى 70 الفاً في مجموع المحطات . على أنه منذ إنشاء هاته الأخيرة الى سنة 1900 قدرت الاستشارات الطبية في كل منها كما يلي : 50 الفاً بتطوان و 70 الفاً بفاس و 80 الفا بمراكش و 60 الفا بطنجة و 50 الفا بالرباط (58) .

ولا يخفى أن الممسحين بذلوا جهــوداً في مواساة المصابين (59) ، بالرغم من تخلف العقول وتواكلها ونفورها من العلاج على يد كل طبيب أجنبي ، ومن التداوي بغيرما اصطلح عليه الأقدمون ، كما تقدم في تأنيب برّكاش ولومه على التلقيح ، لأنه لا مفر من قضاء الله وحكمه .

---

57 . « المغرب واروبا » ج 4 ص 320 (5)

58 . جان لوي مييج : « البعثات البروتستانية بالمغرب : 1875 — 1905 » في مجلة « تمودا » المجلد 4: ص 173 و 176 .

59 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 210

وعن هاته الفواجع والقواصم (60) ألفت كتب أجنبية مختلفة (61) . وقد ذكرت آنفا أن من الأطباء من قدم نفسه لخدمة سكان المغرب من وطنيين وأجانب على السواء حتى مات فداءاً للواجب . ولكن عليّ أن أبرز أن القناصل والتجار والأطباء كانوا يرومون في بعض الأحيان استغلال هاته النكبات لمصلحتهم ولخدمة أطماع بلدانهم الظاهرة والباطنة . فما كانوا يقصدون بذلك وجه الله خالصا ، وإنما كانوا ـ أحيانا ـ يرمون الى هدف سياسي ، ولا سيما عند ما كانت بعض السفارات والقنصليات توزع حساءات يومية وتفرق صلات وصدقات إحسانية على الجائعين والمنكوبين ، حسب جان لوي مييج الذي ذكر أيضا أن ماثيوز كان سنة 1879 يوزع 500 كيلو من الخبز بطنجة كل يوم (62) .

وقد أسلفت أن المخزن كان يَشْمَئِزُّ من مبادرات مجلس العافية ، ولكن لم تكن له سياسة في ميدان الوقاية . ولم يؤسس السلطان الحسن الأول ـ الذي كانت له مشاغل صحية ـ مدرسة للمتطببين بطنجة إلا في أواخر عهده .

* * *

ومن هنا نخلص الى جوانب من العلاج التقليدي .

2 ـ 2 : التطبيب المغربي

لم يحفظ لنا التاريخ إلا اليسير من أسماء الأطباء والمتطببين المغاربة المسلمين الذين كانوا يتعاطون علاج الأمراض المزمنة والحادة ومداواة الأوبئة

---

60 . هذا هو ما يدعى « القيشان » الذي أظنه تحريف القصم (بضم وفتح) اي من يحطم كل ما يلقاه ، او القصم (بفتحتين) ، ومعناه بيض الجراد ، او القشم (بضم القاف) وهو ما يبقى على المائدة مما لا خير فيه . ولا شك ان « جاءهم القيشان » او « ضربتهم الجايحة » او « قاسهم بوكليب » الذي هو الكوليرا في الاصطلاح المغربي ، امثال مأخوذة من هذا المعنى .

61 . من الذين ألفوا عن هاته الكوارث حسب جان لوي مييج الجزء الأول من « المغرب واروبا » الدكتور فيرنان ليناريس عن كوليرا 1878 ، وبوميي BEAUMIER: عن كوليرا المغرب والصحراء والسينغال سنة 1868 ، ورنان RENAND عن طاعون 1818 ، وشارل بوا Ch. BOIS عن سنوات الرخاء والمجاعة والأمطار ، وبريفول PREFOL عن مجاعة 1895 ، وسيكور ـ دوبيرون SEGUR - DUPEYRON عن الأوبئة التي لحقت المغرب من سنة 1700 الى 1839 .

62 . « المغرب واروبا » ج 3 ص 391 (8) وص 392 وص 469 .

مثل التي سبق ذكرها . وكاد العشابون والعطارون يقومون مَقام الصيدليين في العهد الحاضر . وكان أشخاص آخرون يحترفون العلاج النفساني بما يقدمونه لمرضاهم من رُقىً وتعاويذ .

وقد ظل الأطباء والمعالجون التقليديون المغاربة يتداولون كتب الطب العربية ، المشرقية منها والأندلسية ، ويشرحونها ويعلقون عليها ويجترّونها اجترارا لا يبغون بها بديلا ويعتبرون ما عداها باطلا .

والجدير بالاشارة أن طلب العلم كان يرمي في المقدمة الى اكتساب العلوم الدينية والأدبية قبل غيرها . وكان الطب والتاريخ يأتيان في المؤخرة . ومن العلماء من كانوا مشاركين في العلوم . ولم يُعرف تخصص في الدواء والوقاية الا لطائفة جد قليلة ، منهم من خلط العلاج الجسماني بالعلاج الروحاني.

وهكذا دونت مبادىء في علم الطب ووصفت طرائق شتى لعلاج المرضى لا تزال محفوظة بالمكتبات والخزائن .

وهناك طبعاً ما لم يدون في كتاب أو مخطوط وإنما حفظ في الصدور ، متسلسلا أباً عن جد ، لأن المعتقد أن جماعة من المتطببين كانوا أُميين لا يقدرون على كتابة ، ولا طاقة لهم بتأليف ، ومنهم العشابون والعطارون وأشباههم ممن كانت لهم ــ أو ظنوا أن لهم ــ مسكة من التجربة أو الممارسة .

ومهما يكن من أمر ، فيحسن الالمام بزمرة من المصنفين ومصنفاتهم ابتداءاً من القرن السابع عشر الميلادي ، لأن التطبيب ظل ــ كما سنرى ــ خاضعا في تفاصيله وأُصوله للأطباء الأقدمين ، فلم يكد يدخله تَطوّر ولا تطوير .

وقبل الحديث عن الحكماء ومؤلفاتهم وشيء من ترجمتهم ، لا بأس من الاشارة الى أن كتابين وضعهما مصنفان غير مغربيين كانا يسترعيان الانتباه ، وهما كتاب الرحمة وكتاب التذكرة .

« كتاب الرحمة ، في الطب والحكمة » هو من تأليف المهدي بن علي ابن ابراهيم الصـَّنـْبـُري المتوفى عام 815/1412 باليمن .

« وتذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » صنفه داود بن عمر الأنطاكي الضرير المتوفى عام 1596/1005 .

وكان الاقبال عليهما شديدا ، بحيث انتسخا عدة مرات . وبالمغرب 11 نسخة من الأول و 23 نسخة من الثاني في العصر الحاضر على الأقل (63) .

هذان الكتابان وغيرهما مما « هو خليط من التنجيم والطلاسم والرقى وما شابه ذلك » (64) اقتبس منهما بدون شك المؤلفون والأطباء المغاربة في أوصافهم وتصانيفهم التي سنعرض لبعضها في الفقرات الموالية ، وبعدها الى أساليب العلاج ، ولا سيما منذ القرن السابع عشر .

* * *

أ — الأطبـاء والمـؤلفـون

1 — **علي بن ابراهيم المراكشي الأندلسي** : كان طبيبا ، وله تأليف ومنظومة وضعها للوليد ابن زيدان السعدي المتوفى عام 1636/1045 . وهو والد الطبيبين آتيي الذكر . وله أرجوزة في خصائص الفواكه الصيفية وأخرى في وصف تركيب معجون يعرف باسم « الأيارج » (65) .

2 — **عبد المالك بن القائد علي بن ابراهيم وشقيقه** :

3 — **ابراهيم بن علي بن ابراهيم** الذي كان طبيبا للسلطان مولاي اسماعيل . وكان له في البداية حانوت بمكناس لمداواة الناس ، ولكنه انتقل

---

63 . محمد العربي الخطابي : « فهارس الخزانة الملكية . المجلد الثاني : الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات » ص 110 و 57

64 . المصدر السابق ص 110

65 . المصدر السابق ايضا ص 206 وحليمة فرحات : « قائمة المخطوطات العربية ... » في « مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية » ، العدد السابع ص 242 ، وكذلك العباس ابن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 2 ص 222

بعد ذلك الى تونس وسمى بالأندلسي وتعاطى لنفس الغرض ، حسبما أخبر به تلميذه ابن شقرون (66) .

4 — **وأحمد بن عبد الحميد المُريد** المراكشي ، وكان ماهرا في علم الطب ، وتوفي عام 1639/1048 (67) .

5 — **وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي** المتوفى عام 1626/1036 . ولعل له « تفسير أسماء الأعشاب والعقاقير الشائعة » إذا كان هو الذي اشتهر بلقب العارف (68) .

6 — **وابو القاسم أحمد بن محمد بن عيسى الفشتالي الملقب الغول** ، والمتوفى عام 1650/1059 . وهو صاحب أرجوزة تحتوي على 740 بيتا (69) ، وله منظومة ذات 1410 من الأبيات عنوانها « حافظ المزاج ولاقط الامشاج بالعلاج » ، زيادة على رسالة في الطواعين (70) .

7 **محمد أدراق** الطبيب الماهر المتوفى في 7 قعدة 1679/1090 بمدينة فاس (71) .

8 — **أحمد بن محمد الدراق السوسي** . كان طبيبا ذا ذوق سليم اتخذه السلطان محمد الثالث حكيما لنفسه (72) .

---

66 . المصدر السابق ج 1 ص 188 وعبد الرحمان ابن زيدان : « **الاتحاف** » ج 5 ص 324

67 . العباس ابن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 2 ص 316

68 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 80 وعبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 795 .

69 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 209 وعبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 795 .

70 . عبد الوهاب ابن منصور : « أعلام المغرب العربي » ج 2 ص 152 وحليمة فرحات : « قائمة المخطوطات ... » ص 249

71 . محمد بن الطيب القادري : « نشر المثاني ... » ج 2 ص 253

72 . احمد الناصري : « الاستقصا » ج 8 ص 43 والعباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 5 ص 304 وما بعدها

9 - **محمد بن سعيد المرغيثي** السوسي المولود عام 1007/ 1598 بمدينة مراكش والمتوفى بها أيضا عام 1089/1678 . كانت له مشاركة في الطب الذي أخذه عن أحمد الغول . وتصدر للعلاج مدة ثم تركه (73) . ولم يخلف تأليفا فيه ، وإنما في غيره من العلوم ، لأنه كان من المشاركين .

10 - **وأحمد بن ابراهيم العطار** الأندلسي المتوفى عام 1105/1693 . وكان عارفا بالطب ، خبيراً برَجَز ابن سينا (74) .

11 - **محمد بن علي البعقيلي** . وهو من أهل القرن الحادي عشر الهجري . ألف « مجموع المنافع في علم الطب النافع » (75) .

هذا عن القرن السابع عشر . أما في الذي بعده فقد ظهر مؤلفون وأطباء آخرون أذكر منهم :

12 - **محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي** المتوفى عام 1120/1708 (76)

13 - **وأحمد بن محمد العباسي** السملالي الجزولي الذي كان عارفا بالطب . وتوفي عام 1152/1739 (77) .

14 - **وأحمد بن صالح الدرعي الكتاوي** المتوفى عام 1147/1734 . وله تأليفان أحدهما « الهدية المقبولة ، في حلل الطب مشمولة » والآخر « الدرر المحمولة ، على الهدية المقبولة » (78) .

15 - **وعبد الوهاب بن أحمد بن محمد الدراق** المكناسي المتوفى بفاس في صفر 1159/1746 . وكان طبيبا للسلطان مولاي اسماعيل ولابنه مولاي

---

73 . المصدر الأخير ج 2 ص 326
74 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب ... » ص 84
75 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 138
76 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب ... » ص 84
77 . نفس المصدر وكذلك العباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 2 ص 377
78 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 100

عبد الله . وهو طبيب ابن طبيب حفيد طبيب . ولا شك أن له صلة بعبد الرحمان بن محمد الدراق الذي كانت له حانوت أعشاب وعطور بمكناس . له تآليف كثيرة أغنت الدراسات الطبية بالمغرب ، ولا سيما أرجوزتـه في مـرض « النـوّار » (79) ، وأرجوزة أخرى في 173 بيتا . وله قصيدتان في النعناع (80).

وكما اشتهر بالمهارة في الطب عرف أيضا بالشعبذة . فكان له حانوت بفاس يأتيه الناس هناك . وله تأليف عنوانه « هز السَّمْهَري ، فيمن نفى عيب الجذري » (81) .

16 _ **وعبد المجيد الزبادي الفاسي** المتوفى عام 1749/1163 (82) .

17 _ **وعبد الله بن أحمد الكضاضي** التنزاضي المتوفى بعد 1757/1181.
له « نبذة من الفوائد الطبية » وله أيضا « عنوان الشفا ، مع صدق الطب والوفا » وهو مختصر كتاب « الهدية المقبولة » لأحمد بن صالح الدرعي (83) . ولعله هو المسمى السكتاني الووكّدمتي نزيل مراكش ودفينها ، والذي « تبرك به الناس حيا وميتا » . وقد تلقى تعليمه عن أحمد بن ابراهيم العطار ، وكان من تلامذته أحمد بن محمد العباسي سالف الذكر (84) .

18 _ **وعبد القادر بن العربي المنبهي المدغري المعروف بابن شقرون** المكناسي المتوفى بعد 1728/1140 . درس بفاس وأخذ الطب عن أحمد أدراق ورحل الى المشرق ودخل الحجاز والأسكندرية ومصر والتقى بالطبيب أحمد الزيداني . وكان شاعرا وطبيبا وصيدليا جميعاً ، واشتهر بمنظومته الشقرونية التي هي أرجوزة في الأغذية والأشربة والأدوية . وله تأليف عنوانه « النفحة

---

79 . عبد الهادي التازي : «جامع القرويين» ج 3 ص 802 وابن زيدان «الأتحاف» ج 4 ص 480 .

80 . حليمة فرحات « قائمة المخطوطات ... » ص 243 و 262

81 . العباس بن ابراهيم « الأعلام ... » ج 8 ص 541

82 . عبد العزيز بنعبد الله « الطب ... » ص 84

83 . محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ج 8 ص 311

84 . العباس بن ابراهيم : « الأعلام ... » ج 8 ص 311

المسكية ، في العشبة الهندية » (85) ، وأرجوزة في معجون « الايارج » تحتوي على 32 بيتا (86) .

19 — **عبد الله بن عزوز القرشي** السوسي المراكشي المشهور بسيدي بَلّة ابن عزوز ، وهو المتوفى عام 1204/1789 بمراكش . وكان خرازا .

ولـه تأليف عنوانه « ذهـاب الكسوف ونفي الظلمة ، في علم الطب والطبائع والحكمة » (87) .

أما القرن التاسع عشر فكان به أطباء ومؤلفون منهم :

20 — **محمد بن ابراهيم النظيفي** السوسي الحسني الذي كان حيا سنة 1266/1849 ، وتوفي في العشرة التاسعة من القرن الثالث عشر الهجري . وله « مشارق الأنوار في رياض الأزهار » ، وهو شرح وتتميم لمنظومة « الهدية المقبولة » لأحمد بن صالح الدرعي (88) .

21 — **ومحمد بن الهادي غريط** وهو « من أهل المشاركة في العلوم ... ماهر في علم الطب وخواص النبات ... وانتقاه مولاي عبد الرحمان بن هشام لنفسه وحرمه ، وجعله الطبيب الخاص به » . وله رجز في التصوف والمواعظ عنوانه « رياض الأنس والفكر والقلب » . وكان تلميذا لعبد القادر العلمي صاحب الأزجال . وتوفي عام 1271/1854 بمدينة مراكش (89) .

---

85 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 5 ص 323 و 324 ومحمد العربي الخطابي « فهارس ... » ص 163 و 207

86 . حليمة فرحات : « قائمة المخطوطات ... » ص 242

87 . العباس بن ابراهيم « الأعلام ... » ج 8 ص 317 ، ومحمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 106 ، وحليمة فرحات : « قائمة ... » ص 238 . وقد ترجمه الدكتور لكلير حسبما جاء في كتابه « تاريخ الطب العربي » الجزء الثاني ص 307

ولا تعرف علاقة سيدي بلة هذا مع بلة ابن عزوز المراكشي الرحماني المترجم في « الأعلام » ج 3 ص 74 والمتزامن مع الشيخ الحضيكي الجزولي صاحب « المناقب » المترجم ايضا في « الأعلام » ج 6 ص 81 والذي كان يرد على ضلالة الرحماني المذكور .

88 . محمد العربي الخطابي : «فهارس ...» ص 156 و «الأعلام» ج 6 ص 330

89 . عبد الرحمان بن زيدان : « الاتحاف » 4 ص 264 و 5 ص 337

22 — **وأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج السُّلَمي** المرداس الفاسي المولود سنة 1819/1235 ، والمتوفى بفاس سنة 1898/1316 . وكان نموذجا للطب العربي ، وله تأليف قدمه للسلطان الحسن الأول بعنوان « الدرر الطبية ، المهداة للحضرة الحسنية » . كما كان مشاركا في العلوم الأخرى (90) .

23 — **ومحمد بن ابراهيم الروداني** المتوفى بعد 1878/1295 . ألف « كنز المحتاج في علم الطب والعلاج » (91) .

24 — **الحاج محمد بن الحاج محمد الكحاك الفاسي** . كان سنة 1831/1248 يتعاطى للطب ، وله شهادة سلمها لأحد مرضاه في تلك السنة (92).

25 — **والعربي بن عبد القادر المشرفي** المعسكري الغريسي المتوفى عام 1895/1313 ، عن نحو 90 سنة . لم يكن طبيبا ، ولكن له تأليف عنوانه « أقوال المُطاعين . في الطعن والطواعين » عرض فيه لذكر أنواع الأوبئة التي اجتاحت بعض جهات المغرب ، ولا سيما وباء عام 1854/1271 (93) .

26 — **عبد السلام بن محمد العلمي** الذي كان طبيبا تلقى تعليمه بمصر ، حسبما تقدم الكلام عنه مع المغتربين . وله تأليفان في الطب .

27 — **مَحمد المكي الحكيم** المدعو المكاوي أيضا لأنه أتى من مكة ، وتوفي بمراكش في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري . وكان يداوي أهل القصر السلطاني وأعضاء المخزن مثل الوزير الحاج ادريس بن ادريس العمراوي (94) .

---

90 • محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 98 وعبد العزيز بنعبد الله: « الطب ... » ص 84 والعباس بن ابراهيم : « الأعلام » ج 2 ص 435

91 • محمد العربي الخطابي : « فهارس ... » ص 129

92 • محمد المنوني : « معطيات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق عبر سبع سنوات » في « دعوة الحق » نونبر 1975 ص 118

93 • محمد العربي الخطابي : «فهارس...» ص 40 وكذلك العباس ابن ابراهيم. « الأعلام ... » 9 ص 27 .

94 • المصدر الأخير ج 7 ص 46

28 — **الحاج أحمد التونسي** كان بائع كتب ومعالجا بمراكش في أوائل القرن الرابع عشر الهجري (95) .

29 — **عبد الله بن عبد السلام الوزاني** : كان عارفا بالطب ، أخذ عن أخيه الحكيم سيدي ابراهيم . كما كان عارفا بخصائص النباتات وأعيانها وتركيب المعاجين واستخراج الزيوت من المعادن والحيوانات . وهو آخر معلم في دهن الآجر بالمغرب .

وتوفي عام 1318/1901 بدكالة وبها دفن . ومن تلامذته طبيبان هما العربي بنيس الفاسي ومحمد بن الهاشمي الادريسي (96) .

30 — **علال بن عبد الله الفاسي** : المتوفى سنة 1314/1896 . كان طبيباً ماهرا ، وله في ذلك تآليف منها : « تجريد المفردات الطبية » (97) .

هؤلاء هم بعض الأطباء والمؤلفين الذين خلفوا تصانيف مختلفة في هذا الميدان . ومما لا جدال فيه أنه كان ثمة آخرون من عشابين وعطارين ومعالجين وصفوا لغيرهم مقادير من النباتات والمعادن والأحجار ورفات الحشرات والحيوانات ، يتخذونها للعلاج ، سواء صحت جسمانيا أو نفسانيا أو لم تصح علميا .

فكيف كانت طرق التطبيب ؟ وما هي الأدواء التي كانت منتشرة ؟

ب — أساليب العلاج

الأمراض الشائعة في القرن التاسع عشر تحدثت عنها الطبيبة الانجليزية فرانسيس ماك ناب F. Mac Nab في كتاب رحلتها الى المغرب سنة 1901 ، فذكرت أنها ورم العيون ومختلف انواع الرمد ، ومرض الجذام ، والأمراض السرية التناسلية التي جلبها منذ قرنين الوافدون على المغرب من اليهود

95 . نفس المصدر ج 7 ص 149

96 . نفس المصدر ج 8 ص 343 و 344

97 . محمد الفاسي : « تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى » في « دعوة الحق » عدد يوليوز 1960 ص 40

والنساء الساقطات من الاسبانيات بطنجة . وكذلك داء الفيل (98) المدعـو عندنا « سْلاَّط » والمتميز بورم الأعضاء .

أما الأوبئة فمعروفة سلف الكلام عنها . إلا أن الجائز أن امراض العيون كانت اكثر انتشاراً بالبوادي منها بالحواضر على ما هو مرجح . ولربما كانت ثمة امراض أخرى لم تشر إليها الطبيبة التي كانت تستقي الأخبار من الأجانب بطنجة وغيرها .

أنواع العلاج المستعملة في العهد العلوي أتى ذكرها في بعض الكتب على سبيل الرواية والاقتضاب (99) أو على طريق الاسهاب في المصنفات المشار إليها أعلاه .

وفيما يرجع للأدوية ، يجب أن نقول انه كانت هناك مصطلحات لأسماء الأدويـة وردت في مختلف الكتب مثل الأشربـة والمعجونات والجوارشات والذبيدات والأدهـان والسفوفات والمراهم والأكحـال والمربيات والمنعشات واللطوخات والبخور . ثم إن الدواء كان أنواعا شتى .

قام تشخيص المرض على جس النبض ودرجة الحرارة وإدراك بعض العوارض والعلامات من خلال التنفس وسحنة الوجه وحالة العين مثلا .

الصوم والحمية كانا مما ينصح به الأطباء البعض من مرضاهم . وقد اعتمد الطب الوقائي على عملية التعشاب . كانت « العشبة » نوعين : الكبيرة والصغيرة . الأولى كانت لأمراض خطيرة مثل « النَوَّار » او الزهري ، وكانت العملية تدوم أسبوعا أو أسبوعين يمكث المريض أثناءها في البيت ويلتزم بحمية معينة (الامتناع من أكل لحم البقر والتوابل القارصة مثل الفلفل) . وعلى أهله ألا يعرضوه لما يثير القلق والغضب . والأخرى كانت لأمراض مثل وجع المفاصل .

---

98 . عبد المجيد بنجلون : « جولات ... 1901 » ص 48 و 49

99 . عبد العزيز بنعبد الله : « الطب ... » ص 68

التحليل ولا سيما للبول كان معروفا منذ قديم .

الاستشفاء بالمياه المعدنية شربا أو استحماما كان القصد به التبرك أكثر من العلاج بالخواص الطبية الكامنة فيها .

ومن علماء النباتات الأوربيين من جاؤا الى المغرب في القرن التاسع عشر للبحث عن خواص الأعشاب والنباتات المغربية ، مثل هوكر وماو وبول الانجليزيين وبلانسا الفرنسي ، وذلك لترتيبها ودراسة فاعليتها العلمية .

والمعروف أن الخل كان مادة معقمة ، وأن الثلج والماء البارد كانا لوقف الحمى والرعاف والنزيف . وكان للكوليرا تِرْيَاق" خاص لم تورد المصنفات صيغته الكيماوية .

الملح والقطران كان لهما خواص غيبية لطرد الشيطان والجان في الأعراف الشعبية ، مثلهما في ذلك تراب الأضرحة والرُقَى والجداول التي كان يكتبها الفقهاء أو ذرية بعض الصالحين للعلاج النفساني خاصة . أما الوقاية من العين السوداء أو عين الحسود فكانت بهاته التعاويذ أو بصورة الكف وأصابع اليد أو بحذوة الجواد أو بالبخور .

العامة كانوا يعتقدون أن الجنون « واللَقْوَة » (التي هي شلل جزئي) من عمل الشيطان أو لطمة من المخلوقات الغيبية أو بسبب « توكال » أي تسميم حقود .

الخواص والعوام معا كانوا يبحثون عن أدوية لتقوية البَاهِ أي تنشيط الغدد التناسلية . وقد أُفْرِدت لذلك مصنفات ، وقدم العشابون المتجولون أدوية في شأنها .

أما العلاج الطبي والجراحي فكانا موجودين بشكل مبسط . فالجراحة كان بعضها بالتبنيج ، وبعضها كان يحتاج الى حذق كقلع الأضراس و إعذار الأطفال . أما البتر فكان عملية خطيرة تؤدي الى متاعب لوقف النزيف المتولد عنها وتستلزم مهارة وكفاءة ودواءا .

وعلى كل حال ، كانت ثمة ممارسات ومعالجات مثل القِبالة للنساء ، والكِحالة كانت لأمراض العين ، وكانت الفِصادةُ بالقارورة لعلاج الضغط الدموي . وكان الدلك للمفاصل . والدّوادة كانت لأخراج الدود من الأذن . والتبخير كان للتطهير . وكان التسخين لاخراج الرطوبة بالقدرة ، وكانت العَوادة لازالة التسمم . وجبر الكسور والعظام كان بالمَلْزم والجبيرة واللصقة التي كانت أيضا للقرح والدمل . والحدُّ بالقطران وغيره كان لبعض الأمراض الجلدية .

أما الكي فكان لعلاج بوصفّير وبوزَكْوم . وقديما كان بالمِحْو ر . وقد أوردت المصادر بيتا من الشعر قاله محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج الصنهاجي المكناسي الذي كان فقيها ومحدثا وأديبا ونابغة في الطب قبل القرن الخامس عشر الميلادي . وقد عرَّض فيه بطبيب يدعى ابن سالم كان قد كوى صديقا له من آل أبي العافية بواسطة المحور فمات . قال راثيا صديقه وهاجيا الطبيب :

ولقد كـوى قلبي فِراقُك كـيـةً كادت تكون كما كواك المِحْو ر (100)

وكما شُهِدَ بالغباوة لأطباء اعترف بالمهارة لآخرين ، كعبد الوهاب الدراق . فقد حاول شخصان الاستهزاء به ، وحمل أحدهما لـه بول كبش سمين ، وحمل الآخر قطرات من ماء سقف متداع ، وقدما له ذلك على أنهما بولان ، وجعلاهما في قارورة .

فلما فحص الأبوال تـرك قاروتيهما على انفراد ، ثم قـال لصاحب الكبش : هذا غلب عليه الشحم إن لم تذبحه مات عن قرب . وقال لصاحب ماء السقف : هذا محتاج الى حريرة وإلا سقط . وأراد أن يذهب بهما الى الحاكم ، ولكنه عفا عنهما (101) .

* * *

100 . عبد الرحمان بن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 598

101 . المصدر السابق ج 5 ص 400

الباب الثاني

المعطيات والمبادلات الاقتصادية

مؤشراتها وضوابطها وأدواتها وأحجامها

بعد أن ألممنا في الباب الأول بربوع المغرب وحدوده وسكانه بالداخل والخارج واطلعنا على النكبات التي حاقت بهم ، بودي أن أدخل الى باب ثان هو المعاملات والمعطيات الاقتصادية . ولن يُنتظَر مني إطناب ، بل انتخاب ، فالعصر طويل ، والتعامل متنوع ، والزبناء مختلفون ، والمصادر غميسة ، ولا سيما المغربية منها .

ومن أجل هذا سأسعى لوضع اليد على شيء من الافادات وطائفة من الأرقام وثلة من الأسماء . وقد رتبت الكلام في ذلك على سبعة فصول هي :

1 . المواصلات والتجهيز

2 . المفاهيم القياسية في الوزن والاكتيال والمعايرة

3 . التطورات النقدية والمالية والجمركية

4 . النظام الحرفي

5 . الصناعة والمعادن

6 . التجارة المغربية

7 . الفلاحة وتملك العقار

وسأنتقل بعد قليل الى الحديث عن حالة المواصلات والتجهيز .

1 : المواصلات والتجهيز

في هذا الفصل أتطرق الى ما كانت عليه المواصلات وما قدمه المخزن من تجهيزات لتسهيلها أو عرقلتها ، إزاء التسرب الأجنبي التجاري منه والسياسي .

وسأتحدث عن المواصلات البرية والمسافية كالتلغراف والبريد وتجهيز الموانيء والطرق البرية التجارية ، وأختم بالكلام عن المراحل والمحطات ، بحسب أهم المنطلقات من مدينة معينة الى مدن أخرى . واعترف – كما فعلت في مناسبات شتى – بأن تناوله على الوجه الشافي الكافي صعب المنال . وذلك لا يمنع من الالمام – ولو على وجه الاستئناس – ببعض الجوانب المرتبطة بالصميم من المادة .

1 . المواصلات البحرية

كان الشروع في فتح قناة السويس سنة 1859 قد تم على يد المهندس الفرنسي الفيكونت فيردنان ده ليسيبس : F. de Lesseps

ولما دشنت سنة 1869 صارت إنجلترا سنة 1875 أهم مساهم في شركة القنال ، وكان من نتائج ذلك اختزال في طريق البواخر التجارية بين البلدان الأسيوية وأروبا بنسبة كادت تقارب النصف . وهكذا اختصرت المسافة بين مدينة بومباي الهندية ومدينة لندن البريطانية بنسبة 44 %

وعلى هذا كان في فتحها ازدهار للملاحة البخارية وللنشاط التجاري البحري ، فغيَّر ذلك من معطيات الاقتصاد العالمي ، إذ أخذت الحبوب الأمريكية وصوف أوستراليا والأرجنتين وجلود الهند تتراكم في الأسواق الأروبية بمقادير كبيرة وبأثمان منخفضة زاحمت المغرب الذي لم يعد المصدر الوحيد للحبوب والصوف (1) .

وقبل تدشين هذا الخط ، كانت السفن تتعرض للغرق احياناً في المحيط الأطلانطيقي ، وللتلف احيانا أخرى . ولهذا اقترحت عدة دول على المغرب إنشاء منارة لانقاذ المراكب الضالة . طلبت فرنسا ذلك سنة 1852 . ثم تجددت المحاولـة على يد جون هي ، وأخيـراً نصت المعاهدة المغربية الأسبانية المبرمة في 20 نونبر 1861 في فصلها الثالث والأربعين ، على بناء منار أشقار (2) .

وهو الشيء الذي وافق عليه السلطان ، فوقعت معاهدة تشييد منارة أشقار أو رأس سپارطيل بشواطيء طنجة في 31 مايو 1865 .

وكان الذي وقع هاته الاتفاقية المتألفة من 7 فصول : باسم المغرب مَحمد برگاش ، وباسم فرنسا أوگوست لوي ڤيكتور إيمي داكان ، وباسم إنجلترا والمملكة النمساوية الهنغارية وهولاندا جون هي ، وباسم بلجيكا إيرنيست دالوان ، وباسم اسبانيـا فرانسيسكو ميري اي كلـوم ، وباسم الولايات المتحدة جيس ماك ماث ، وباسم ايطاليا الكسندر ڤيردينوا ، وباسم البرتغال جوزي دانيل كولاصو ، وباسم السويد والنرويج سليم ديهرانهوف . وفي سنة 1878 انضمت الى هاته الدول ألمانيا ثم روسيا سنة 1899 .

ينص الفصل الأول على إنشاء المنارة على نفقة الحكومة المغربية ، لكن ادارتها أسندت الى الـدول المتعاقدة ، دون أن يكون في ذلك مساس بحقوق المغرب .

---

1 . « تاريخ المغرب » ص 292

2 . « الوثائق » ج 4 ص 170 ، وروجرز : « تاريخ ... » ص 231

وفي الفصل الثاني تتحمل الدول الأجنبية نفقات التسيير والصيانة .

وفي الفصل الثالث جعلت حراسة المنارة على كاهل المغرب .

الفصل الرابع يتعلق بحياد المنارة عند نشوب الحروب .

الفصل الخامس ينص على توقيع الاتفاقية لمدة عشر سنوات تجدد تلقائيا كل سنة .

أما الفصلان الأخيران فيشيران الى إجراءات المصادقة (3) .

وكان الذي أشرف على بنائها مهندس القناطر والطرق البلجيكي أو الفرنسي ليون جاكي L. Jacquet ، وفي بداية 1865 دشنت المنارة (4) . وعن هاته المنارة وتسييرها قال أكنسوس :

« ومن ذلك أيضا برج الفنار الذي بناه مولانا على ساحل البحر ، في المسافة البعيدة ، وذكروا أنه يوقد فيه من الزيت كل ليلة شيء كثير . قيل انه كان في الزمن القديم ، وأحياه مولانا نصره الله وأنفق عليه آلافا مؤلفة من الريال » (5) ، فات المؤلف أن يذكر مبلغها بكامل الدقة .

وهكذا أقيمت شبكة من الأساطيل البحرية وبني الفنار المذكور لخدمة الاقتصاد المغربي والأجنبي تصديرا واستيرادا . أما في المغرب فبعد إلغائه — طوعا أو كرها — لجهاز القرصنة وأساليبها في بداية القرن التاسع عشر ، أخذ أسطوله البحري يتقلص شيئا فشيئا ، ولم يعد يحمل البضائع الى الخارج ولا ينقلها الى الداخل وسقا وجلبا ، ولم يصبح لرياس البحر ذلك النفوذ السابق ولا سيما بعد النصف الثاني من نفس القرن ، وأصيب

---

3 · محمد التهامي الوكيلي : « صفحات من تاريخ العلاقات المغربية الأمريكية 1776 — 1956 » ص 450 ، وكذلك المصدر السابق .

4 · جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 116 (8) ، وهنري ده لامارتيينير : ذكريات عن المغرب » ص 22

5 · محمد أكنسوس : « الجيش العرمرم ... » ج 2 ص 81

الاقتصـــاد المغربي بشلل في الصميم لأسباب مختلفة لا مجــال لبسطها هنا خشية التكرار .

2 . **تجهيز الموانـيء**

وقد بنيت أرصفة في بعض الموانيء الكبرى كطنجة — حسبما سنرى في مكان آخر — لاستقبال السفن والمراكب الكبيرة والصغيرة الناقلة للبضائع والمسافرين ، غير أن وجود صخور ناتئة وامتلاء الضفاف بالرمال كانا عائقين ، وذلك لِو'شُول ماء البحر وضعف حجمه لبلوغ الشاطيء أو الرصيف في أمان ، ولم يكن مناص في حمل البضائع وتعدية المسافرين الى البر من اللجوء الى ظهور العمال عند عدم وجود فلوكات أو مُعَدّيات حتى تصل الى المرسى المقصود وخصوصا بالرباط حيث لم يكن تجهيز كامل لتلطيف حدة الأمواج وتفادي « تحريث » السفن واجتناب لحوق الأضرار بها .

أما عن الرافعات فلم يؤثر عن المخزن أنه حبذ استعمال الميكانيك . ومن حيث الأهراء كان الأ'مناء يشرفون على بنائها لادخار البضائع في الوسق والجلب ، وكان التجار يهرعون الى اكترائها منهم مستعينين في ذلك بتوسط القناصل وتدخل السلطات .

3 . **الطريــق البريــة**

الطرق التجارية المغربية الافريقية التي كانت تذرعها القوافل ذهابا وإيابا ، كانت تتشعب الى محاور من الشمال الى الجنوب ، حاملة في الاتجاهين بضائع السودان وتجارة المغرب . كانت القوافل القاصدة الى السودان أو الراجعة منه تبلغ 5000 جمل حسب الدكتور لانس الذي زار تمبوكتو في أواخر القرن التاسع عشر .

ومن القرن العاشر الميلادي الى القرن الرابع عشر منه أي من عهد الأدارسة حتى نهايـة المرينيين ، كان المغرب ممرا لهاتـه القوافل حسب الخطوط الثمانية الآتي ذكرها :

1 . خط طنجة ـ فاس ـ تازة ـ مليلية

2 . خط زرهون ـ الرباط

3 . خط فاس ـ زرهون ـ مراكش ـ تارودانت

4 . خط فاس ـ قلعة مهدي ـ سجلماسة

5 . خط سجلماسة ـ فجيج

6 . خط سجلماسة ـ أدرار ـ حتى تمبوكتو

7 . خط سجلماسة ـ تلمسان حتى الجزائر

8 . خط سجلماسة ـ تاوديني حتى تمبوكتو (8)

ولذا كانت سجلماسة مفتاح الجزائر وافريقيا حسب الخطوط الأربعة الأخيرة . أما الخطوط الأولى فكانت داخلية ، ولكنها كانت تتصل بمحور سجلماسة التي كانت قبل انقراضها محطة للنخاسة وتجارة الذهب والفضة والعاج والابْنُوس والجلود .

وقد توسع السعديون لفترة ما في الجنوب حتى نهر النيجر ، وكان للعلويين اهتمام مغاير ، ولكن كانت لهم اتصالات مع الجنوب ، خافتة تارة أو قوية تارة أخرى عبر العصور .

اضمحلال مدينة سجلماسة الصحراوية الفيلالية كان عاملا من عوامل تقلص التجارة ، ولكن فاس وأقبًا ـ وبالأخص مراكش ـ خلفتها في تجارة الجنوب ، ولما أنشىء مرسى الصويرة في القرن الثامن عشر أصبح هو المنفذ الجنوبي لهاته المبادلات بين افريقيا والخارج مرورا بالمغرب . وقد أنزل استيلاء الفرنسيين والاسبانيين على الجنوب ضربة قاضية بتجارة سوس ومراكش والصويرة في تصدير الرقيق وريش النعام والمعادن .

---

8 . «المنجد في اللغة والأعلام» ، الخريطة الثانية الطبعة 21 سنة 1976 بيروت

كانت قوافل الجمال ترحل سالكة المَهَامِه والبيد ، تصاب تارة بالعطش ، وتتعرض تارة أخرى للنهب ولعواصف الرمال ، وكانت بطيئة في الحل والترحال ، بُطْءَ الحمَّارة والبَغَّالة ، كما كانت غالية الثمن بحيث أضحى الانتقال من طنجة الى الرباط بحراً آمنَ على النفس والبضاعة منه براً . أضف الى ذلك أن ثمن الحمل من الصويرة الى مراكش كان ضعفه الى مرسيليا في أواخر القرن التاسع عشر .

وإذا نظرنا الى المغرب وحده في هذا القرن وجدنا أن « الطرق بمعناها الأوروبي كانت منعدمة ، ولو أن الرحالة الأوروبيين ذكروا أنها كانت تعبد في بعض الجهات عند قدوم السلطان الحسن الأول إليها . فهي اذن لم تكن مخططة تخطيطاً هندسيا صحيحا ، وكانت تختلف بين السبيل والمِهْيَع . وكانت هناك طريق السلطان وطريق الحمَّارة » (7)

أما وسائل الربط بين المدن الداخلية بعضها بعضا فكانت أقوى وأمتن من وسائل الارتباط بينها وبين المـدن الشاطئية . وكان التجـار والجنود والموظفون يُؤْثِرون سلوك طريق البحر على سلوك سبيل البر ، وذلك ما كان يفعله بركَّاش مثلاً عند الرحيل الى الرباط ، أو مغادرته الى طنجة مقر عمله . ولما أهدت الحكومة البريطانية للحسن الأول الفيل ستوك كان تسفيره من طنجة الى فـاس عبر الرباط من أصعب الأسفـار ، لأن الجسور التي كانت موجودة بالداخل كانت منعدمة بضواحي المدن الساحلية (8) .

والحاصل كما تقدم أن العناية بتجهيز البلاد بطرق جديدة وقناطـر متينة لأخراج المغرب من عزلته لم تكن قط في مقدمة الأمور ولا من آكَدِها لدى المخزن ، لأن الحمل كان على البغال والجمال ، وذلك شأن النقالين فلهم أن يفعلوا ما يشاءون أو ما لا يشاءون بطرق البغال . ولم يكن يخطر بالبال أن الطريق ذات منافع اقتصادية وستراتيجية . ولكن ـ حتى ولو أرادوا ـ أين

7 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 42

8 . المصدر السابق

هم المهندسون وأين هي الأموال ؟ على أن الطرق والقناطر القليلة التي شيدت في الماضي انما كانت تعبّد لزيارة السلطان أو تحدث بأمره على يد الأسارى من النصارى أو بعض الأوروبيين المسلمين كعبد الرحمان العلج الذي تمتع لدى السلطات المخزنية بحظوة كبيرة حتى توفي سنة 1879 .

أما العجلة فكانت لا تعرف الا لجر المدافع السلطانية أثناء الحركات العسكرية ، وكان الأوروبيون يستخدمون بعض الكراريس والأكداش بطنجة في آخر القرن ــ كما سيرد خبر ذلك في الوثائق المغربية ــ إما للنزهة ، واما لحمل البضائع . ولأمان القوافل التجارية أحدثت النزالات بجوار الطرق بضمانة الجند والسكان مقابل تأدية أتاوة معلومة . وكانت القوافل مجهزة بزَطّاطين أي حراس ، إما للحماية من نهب الناهبين أو للارشاد في الطريق .

ولم تمد سكك حديدية بالرغم من العروض الأجنبية ، لأن المخزن كان يرى في تشييدها أداة للتغلغل الأجنبي ، مع العلم أن الفرنسيين بدأوا يمدونها في شرق المغرب في أواخر القرن ، بعد أن كانوا ألحوا على السلطان سنة 1880 في نصب خطوطها ثم عدلوا عن ذلك أمام رفضه .

4 . المواصلات

4 . 1 . التلغراف

أولى الدول إنشاء للتلغراف كانت هي انجلترا التي ربطت الاتصال بين طنجة ومستعمرة جبل طارق ، وتلتها في ذلك اسبانيا التي وصلت بين سبتة والجزيرة الخضراء . وكان ذلك بعد تردد السلطان ثم موافقته في النهاية . وسيرد في مواطن أخرى ما كتبته الوثائق المخزنية عن موضوع التلغراف أو السلك .

التلغراف كان إذن وسيلة لربط التجار والهيأة الديبلوماسية بالخارج ، لم يستفد منه المخزن شيئا على ما يظهر . والعمل كان بلا ريب لا يزال جاريا بالحمام الزاجل . إذ لعل المقصود من عبارة « فطيّر لنا الأخبار بذلك » الواردة

في بعض رسائل التراث هو إرسالها بواسطة الحمام الذي لم يرد في المصادر المخزنية ذكر لأوكاره وأبراجه وتماريده . وقد يكون التطبيق بواسطة التلغراف فعلا ، لكن يستبعد جدا أن يكون المخزن قد نصب أعمدته وأسلاكه (باستثناء احتمال وجوده قبل 1866 لتعليق رؤوس قاطعي أسلاكه على أخشابه حسبما سيأتي في مكان آخر) إلا اذا كان المراد بذلك الاستعانة بالبرقيات الأجنبية في مطلع القرن العشرين أو بالرقاصة المسرعين المُخَبِّين .

4 . 2 : **البريـــد**

قال السلطان لبركاش سنة 1879 : « بلغنا أن بعض التجار أحدثوا البوسطة في بعض مدن الكوشطة . . . وغير خاف أن هذا ، إن صح ، لم يتقدم مثله في هذه الايالة ، واختراع لم تتضمنه شروط ولا قوانين ، وأن جعله بغير إذن افتيات كبير وتجرؤ عظيم . . .

« وعليه فنأمرك أن تبحث في ذلك . . . ولا تتركه أصلا » (9) . ولم تمر على ذلك الا سنوات قليلة حتى أنشأ السلطان سنة 1892 بريدا بين مراكش والجديدة بقصد التجربة . وبعد ذلك عمم استعماله في الغرب وفي الحوز ، وعين له بفاس أمينا دعي أمين الشكّارة أو البوسطة . وكان الى نظره رجال سموا الرقاصـة الذين كانـوا يربطون الاتصال بين المدينة والثغـور مرتين في الأسبوع (10) مثلما كان للبريد الأجنبي سُعَاته . ولبساطة البريد ، اتخذه المخزن بعد ذلك وسيلة لمهماته السياسية والادارية وجعل له ثمانية خطوط .

الأجانب اعتمدوه في أغراضهم السياسية والتجارية . وكانت اولى الدول إنشاءا له هي انجلترا (ابريل 1857) وفرنسا (1858) واسبانيا (1861) ، وبعد ذلك أسس مكتب بريدي مستقل عن القنصليات ، وفي أواخر القرن أُحدث

9 . « الوثائق » : 4 ص 459

10 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 45

بالدار البيضاء بريد ألماني وآخر اسباني ، وكان لِكُلٍّ دمغته وطابعه ورقاصوه (11) الذين أصبحوا أحد أصناف المحميين .

وتجدر الاشارة الى أن الرقاصين كانوا يحملون الطرود والأموال والمكاتيب من بلد الى بلد ، أما داخل المدينة فلم يكن ثمة شبكة توزيع أو سعاة بريديون ، وإنما كانت المخاطبات تظل بالمكتب حتى يقدم اليها صاحبها ، فاذا أبطأ عنها كلف المسؤول من يبحثون عنه ليأتي لحيازتها (12) .

وكانت طريقة المراسلة في العهد السعدي أنها كانت توجه ضمن جعاب من النحاس يدور بها اللّحام من الجهتين لكيلا يفتحها الا صاحبها ، وكانت بعض المكاتيب تحرر بطريق الشفرة ، ولعل هاته الكيفية في التراسل استمرت بعد ذلك على هذا المنهاج أو على ما يشبهه (13) .

4 . 3 : **المسافات**

ومع ذلك كان سير الرقاصين بطيئا اما لوعورة الطريق واما لسوء الأحوال ، ولا سيما الطقس ، غير أن السعاة إذا كوفئوا مكافأة جيدة كانوا يخبون سيرهم ويقطعون المراحل في أقصر الأوقات ، ويحفظ لنا التاريخ أمثلة من أقصاب السبق . من ذلك أن ماك لين بعث رقاصا من الرباط الى فاس سنة 1894 لحمل نعي السلطان فوصل في أقصر مدة حسبما سيرد خبر ذلك مع هذا الضابط ، وهناك مثال آخر وهو أن رسولا وصل من فاس الى طنجة خلال سفارة إيوان سميث في ظرف يومين ونصف بدل 6 أيام .

11 . هنري كروز : «ذكريات ...» ص 44 ومييج : «المغرب واوربا» ج 4 ص 304

12 . روجي له طورنو : « الحياة ... » ص 133

13 . عن تنظيم البريد المغربي ينظر مقال محمد المنوني : « مظاهر ... » في مجلة تطوان » ع 2 ص 72 (سنة 1957) ، وعبد الله العروي : « الأصول ... » ص 44 ، ومحمد بنسعيد : « نظرات حول تاريخ البريد بالمغرب » في مجلة « الباحث » المغربية المجلد الثالث السنة الثالثة (1974) ص 113 وما بعدها .

وهناك مثال ثالث : حدث في العهد السعدي أن القائد جؤذر حمّل رقاصا رسالة منه الى مراكش وألزمه برد الجواب الى السودان في ظرف أربعين يوما ، مع أن المسافة كانت تقتضي أكثر من ثلاثة أشهر ذهابا وإيابا (14) ، ففعل . وكان لعامل السرعة دور كبير على الأحداث السياسية والعسكرية .

كان الرسل يقطعون في المعدل 6 كلم في الساعة أو ما بين 50 و 60 كلم في اليوم ، فكيف كانت المسافات بين بعض المدن بعضها مع بعض ؟ لم أقف في هذا الباب الا على ما ذكره عبد الله العروي نقلا عن كتب الرحالة الأجانب ، فقد أتى بأهم المسافات من خلال ثلاثة منطلقات هي فاس ومراكش والصويرة ، وحسبَها بالأيـام (ي) :

مُنْطَلق فـاس :

يوم 1 (ي) منه الى مكناس

2 ي « » تازة

3،5 ي « » العرائش والرباط ووزان

6 ي « » طنجة وتطوان

12 ي « » فجيج

منطلق مراكش :

4 ي منه الى : بني ملال وأبي الجعد وأزمور والجديدة

8 ي « » الصويرة

10 ي « » تزناخت وتيكريت

---

14 . محمد الغربي : « الحكم ... » ص 352 (نقلا عن « تاريخ السودان » لعبد الرحمان السعدي ص142) .

منطلق الصويرة :

4ر5 منه' الى أكادير

7 ي « » تارودانت

14 ي « » تزنيت (15) ولا شك أن بعض هاته المنطلقات كان مربوطاً ببعضها الآخر .

* * *

لا بد إذن من قطع هاته المسافات لبلوغ المدن المغربية وللاطلاع على المقاييس في الأوزان والمكاييل ثم في العملة والجبايات وضوابط التشريع الجمركي .

15 . عبد الله العروي : «الاصول ...» ص 45 .

2 : المفاهيم القياسية

كانت المعايير والموازين والمكاييل في القرن التاسع عشر معطيات حضارة المغرب ومقاييس بيئته ، وهي تختلف كثيرا أو قليلا عما كان متداولا في ذلك العصر في الشرق والغرب ، وكان لا بد من الركون اليها لضبط المعاملة ، وكذلك لئلا يقع المجتمع الاسلامي في محظور التطفيف في الكيل والمعايرة ، وحتى لا يلزم أعضاءه عقاب المحتسب أو القاضي ، وقد دفعت الظروف الدولية المغرب دفعا الى الأخذ ببعضها في علاقته مع الخارج ، سواء في تجارة المواد الفلاحية والبضائع اليدوية المصنعة أو في ارتباطه مع التجار الوطنيين أو بقية الزبناء والمستهلكين والوسطاء .

وعلى هذا إذن كانت هناك وحدات هندسية لقياس الطول والعرض والمساحة ، وأخرى كَتّافية لضبط الوزن والسعة ، زيادة على أصناف متباينة كالعيارات الميكانيكية (السرعة والعمل والقوة) ، أما الأقسام الباقية فكانت إما للعملة بصحة أعدادها وكسورها وأشكالها ونسبها الى بعضها بعضا زِنةً أو حسابا حتى يكون البيع والتأجير جائزين ، واما وحدات للزمان الطويل والوقت القصير لبداية العمل ونهايته ، أو معرفة أوقات دخول الصلاة وأداء الشعائر الدينية .

وسأحاول الاقتراب من الحقيقة في المفاهيم ــ ولو أنها صعبة ــ سواء منها التي اصطُلح عليها دوليا ، أو التي اتفق عليها جزافا ومحليا فقط ، في القرن الماضي أو بداية القرن الحالي دون تمييز .

I . الوحـدات المُقَنَّنَـة

الظاهرة البارزة فيها أنها ليست موحدة ولا تامـة الضبط ، وأنهـا مختلفة من ناحية لأخرى ، حتى ولو كانت متقاربة فيما بينها كمدينتي فاس ومكناس ، وهي ترجع في أصلها الى أربع مجموعات : السعة والحجم والوزن . فالمساحات والأبعاد ، ثم العيار الدقيق وأخيرا حساب الوقت .

I . I : الوزن والسعة والحجم

المُـد : 20 لترا أو 20 كيلو بفاس أو 50 لترا أو كيلو بتازة ، وكان مد مكناس يساوي I6 لترا ، وفي جهة أخرى كان يعادل 24 لترا . أما في البلاد المشرقية فكان يماثل I8 لترا إفرنجيا على وجه التقريب .

وكان مد زيد ابن ثابت يساوي في عهد الرسول ثلاثة أرباع اللتر الحـالـي .

الرُّبْعَة : 33ر8 لترات ، وكانت 3 ربعات تساوي في المواد الصلبة صاعا واحدا (دمنات) .

الصـاع : 4 أمداد = نصف عبرة = 80 كيلو (فاس) . وفي المواد الصلبة كان يعادل ديكاليترين ونصفا (25 لترا) أو 3 ربعات ، أما ببلدان المشرق فان الصاع المُلْجَم (أي المَسطَّح) كان يساوي صاعين ونصفا أي I0 أمداد .

الفَـنيكة (أو الفِـنيقة) fanega : مثل صاع فاس (80 كيلو) ، لكنها كانت في الجنوب لا تساوي إلا 975ر50 لترا أي مدين ونصفا ، وكانت كذلك تعادل في جهات أخرى 50ر55 لترا تارة ، أو 54 كيلو أي القنطار تارة أخرى .

العَـبْرة : 8 أمداد = صاعان = I60 لترا أو كيلو بفاس . أما بالجنوب فهي إما I00 كيلو ، واما 33ر107 كيلو . وللمواد الصلبة ، كانت العبرة تماثل صاعا وثُلُثاً .

الخَرُوبة : قريبة من عبرة الجنوب . وهناك من يجعلها 104 كيلو . وثمة أيضا من يساويها بثمانية أمداد فاس أي 160 كيلو ، وهي للمواد الصلبة تعادل 8 أصواع بدمنات ، وكانت الخروبة في عهد الحسن الأول تماثل 6ر5 أمداد مكناس أي 8 أمداد فاس ، والخروبة كانت كذلك لحساب الزمن .

الصّحْفة : 60 مدا = 1200 كيلو بحساب فاس

الوَسْق : 60 صاعا = 240 مدا (فاس) = 1800 كيلو

القنطـار : 100 رطل أي 54 كيلو وهو قريب من فنيكة الجنوب

القُرْدِية أو القَرْدة : 5 لترات أو 5 كيلو ، للسوائل والجوامد معا

الكَيْـل : لتران ، وكان يسع 3 لترات ، ولكنه ترِك ولم يبق فيه الا لتر واحد بمكناس

العـدل : 10 أمداد شعير ، وهو حمل البغلة

الرطـل : جزء من مائة من القنطار ، ولكنه أثقل من الرطل الأنجليزي الذي لا يزن الا 453 غراما ، وهو في بلدان المشرق يماثل 12 أوقية ، وبالمغرب كان يساوي 16 أُوقية كبيرة أو 32 أُوقية صغيرة ، بحسب الغرض منه .

والرطل أرطال متنوعة ، بالنظر لنوع المادة المكتالة ، ويتراوح بين 500 و 1250 غراما :

— 500 غ في الشمال وهو الرطل العطاري

— 540 غ في الجنوب

— 625 — 650 غ للصوف المغزولة واللحم والخضر ويسمى الخضّاري ، الذي قد يبلغ 1025 غراما بمكناس و 1000 غ في غير هاته المدينة

- 800 غ وهو رطل القاعة
- 820 غ للصوف الملفوفة وهو أيضا الرطل القشاشي بمكناس
- 1000 غ وهو الرطل الدرّازي أي للنساجين
- 1250 غ وهو رطل آخر

القُلَّـة : وهي للسوائل ، وتماثل 16ر4 كلغ بمكناس ، أو 20 رطلا قشاشيا تارة أو 18 لترا تارة أخرى ، أما بطنجة فتساوي 13ر5 كلغ ، وربما كانت تعادل 10ر55 لترات بل كانت بدمنات (اينولتان) تساوي 32 لترا .

وقلة القطران نصف القلة السابقة

القضيب : 5 قلل

الثُّمُن : لتر واحد بدمنات

والقلة والثمن معا للسوائل ونصف السوائل كالسمن .

I . 2 : **الأبعاد والمساحات**

الخـدّام : آر واحد أو 100 متر مربع

حرث الأزواج : الأزواج صغيرة ومتوسطة وكبيرة لما يسع بذر مساحة معينة من الهكتارات بأنواع من الحبوب أو القطاني .

وسنحدد مساحتها بالهكتارات (هـ) :

زوجة الحمير وهي الصغيرة (2ر5 هـ) : ما يسع حرث 15 مدا من القمح أو 24 مدا من الشعير أو 45 مداً من الفول .

زوجة الثيران وهي المتوسطة (5 هـ) وضعف الصغيرة : 30 مدا من القمح أو 48 مدا من الشعير أو 90 مدا من الفول .

زوجة البغال أو الجمال وهي الكبيرة (10 هـ) : 50 مدا من القمح أو 80 مدا من الشعير أو 150 مدا من الفول .

على أن حرث الزوجة كان في بداية القرن العشرين يتراوح بين 8 و 10 و 11 و 12 هكتارا بحسب موقع الأرض ، علوا أو انحدارا أو انحرافا أو انبساطاً.

الفَــرْض : نصف وحدات الأزواج السابقة .

الفرسخ : للأطوال ، وقد يتخذ كذلك للزمان ، وهو يماثل بالمشرق 3 أميال هاشمية = 12 ألف ذراع = 8 كيلومترات تقريبا .

الميل الهاشمي : 1000 باع = 4000 ذراع أو منتهى حد البصر .

الفتر أو فم الكلب : ما بين السبابة والابهام = 18 سنتمترا

الشبر : 27ر5 سنتمترا

القامــة : 1ر65 م

القــدم : 32 سنتمترا وهو ما بين إبهام الرجل وطرف العَقِب

الـذراع : تارة 55 سنتمترا وأخرى 57 س وثالثة 45 س ، وقد بطل العمل به في آخر القرن ، أما في المشرق فيتراوح بين 50 و 70 س .

القالة : وهي تماثل إجمالا ذراعا واصبعا ، أما قياسها الدقيق فكانت للنسيج تتراوح بين 51 سنتمترا (قالة الطراز) وبين 55 سنتمترا (قالة الملف والبز والحرير بمكناس) ، وكانت لها كسور كالنصف والثلث والربع .

1 . 3 : **العيار الدقيق**

المثقال : 4 غرامات ، وهو أيضا للعملة لأنها كانت توزن .

الأوقية : نصف ثُمُن الرطل = 1 من 16 منه = 28ر349 غ حسب الأحوال . ولما اتخذ الكيلو مقياسا بعد ذلك ، أُحدثت الأوقية الكبيرة التي

كانت ضعف الصغيرة . وكانت الأوقية تقسم الى أثمان . وهذا المعيار كان للعملة أيضاً كما سيأتي .

القيراط : هو إما 1 من 24 أو 2 من 20 حسب الحاجة منه ، والأوقية والقيراط كانا للوزن الصغير من البضائع النفيسة كالجواهر والذهب والفضة والعود القُماري والمصطكى والمسك والزعفران والطيب والعطور .

النّواية : 1٫82 غ للجواهر أو 0٫22 غ للمعادن الثمينة

الثّمن : وهو جزء واحد من 8 من الأوقية

1 . 4 : **الـوقــت** :

الساعة المكانية والنصف والثلث (20 د) والربع (15 د) والقسم (5 د) كل ذلك كان لحساب الزمن .

وكان هناك **الدرج** ، ويقسم الى ثوان وثوالث وروابع .

وفي البوادي كان **امتداد الظل** مقياسا لمرور الزمن في النهار .

وثمة وحدة **زمان بسيكولوجية** ودينية وهي مدة استغراق تلاوة سورة الاخلاص . فترتيلها ترتيلا وسطا بالبسملة والاشباع يستغرق نحوا من 12 ثانية أو أقل من ذلك بحسب حالة القارىء النفسية .

والى جانب ذلك كان من وحدات الاستغراق الزمني :

الفرضية : التي كانت توقيتا فلاحيا بمراكش والحوز مثلا وهي عبارة عن استغلال الساقية المائية مدة 12 ساعة زمانية .

والشكال : وهو ثلث لتر من الماء في الثانية .

والخروبة : مقدار المياه الخارجة من العين مدة 45 دقيقة .

* * *

تلك هي الوحدات المتفق عليها في الهندسة والكثافة . ومنها تظهر صورة لأعضاء الجسم ، ومنها أيضا تشتم رائحة الديانة الاسلامية كتحري المد النبوي لزكاة الفطر أو اجتناب التطفيف لحرمته أو طابع الدولة (تحديد قدر المكوس والزكوات) . كما تلوح منها مخايل التأثير الأجنبي كالفرنسي والأنجليزي ، لما يحتاج إليه المتعاملون من دقة في المبادلات .

2 . الوحدات الاجتزافية

والى جانب ذلك كانت المقاييس التخمينية تقسم الى كسور كالأنصاف والأرباع والأثمان مثلما تقسم المعايير المقننة . ويمكن أن تتجزأ مثلا الى رُبَيِّع (أي ربع صغير) . وكلا الوحدات تستخدم في نفس الغرض كاملة أو مكسرة ، مضعفة أو مضاعفة ، شفعية أو وتْرية . وهي محدودة بالعرف أو بالشرع مثل القد والسهم والحصة في الشركة وغيرها وذلك للمائلة ، وهي كذلك معلومة بحجمها أو بشبع النظر منها ، على قدر مخصوص بين أهل الحرف أو المشترين ، وربما كانت بالكطعة أو بالكرجة الصغيرة أو الكبيرة :

— الرؤوس والقطعان والعصى لعد الدواب ، والقرجومة للذبائح، والكرعة للأنصبة من اللحوم أو الخضر .

— والكربة للسوائل كالماء ، ومثلها الطونة والقرعة والرضومة والقارورة والشكوة (للبن والمخض) .

— والخطوة أو الخلفة والأصبع والباع (قدر امتداد اليدين) والأنملة وكلها للطول والعرض .

— والمضرب والكركور والدرجة ، للأبعاد والحدود .

— والفدان والعزيب والعرصة والجنان والغرسة والسانية والبحيرة والكطعة (لمساحة الأراضي الزراعية) ، والحوض (لبيع البقول والخضر) .

— والطارة أو الطرحة : مقابل وزن الظرف الموزون فيه .

— والقلّوشة (وهي أصغر من القلة) : للسمن والعسل .

— والكمشة والقبضة والحفنة للحبوب (في الزكاة والصدقات) ، والغرارة لحمل الجمل من الزروع مثلا ، والشواري والتليس والخنشة والكيس للحبوب ، والبوطة والبرميل للزيت وحتى للسكر ، والفرضة والفطرة نصاب زكاة العيد .

— والرأس والحزمة والربطة والسلة والعرام للخضر والبقول والفواكه. والكافّة : حزمة الدوم المفتول .

— والرزمة والبالة والباكيط والصندوق للملفوفات والطرود .

— والشبكة للتبن ، والجزة للصوف ، والحمل للحطب أو للحبوب .

— والبيسة والخرقة للمنسوجات ، والكبة والعمارة والقنّوط والمدزّة للخيوط المفتولة أو المرسلة .

— القب والكاميلة والسطل للاكتيال ، والكرصة والشدق والكسرة لأجزاء الخبزة ، والفرتوتة ورأس الأصبع أو الظفر للمواد الثمينة ذات الحجم الضعيف .

— والزكيبة للبضائع النفيسة (كالزعفران) وحتى للعادية (كالحبوب)

أما العد الشفعي ، فثمة الزّوجة (اثنان) والزّينة (أو الدّزّينة أو الطّزّينة) للعدد 12 كالبيض ، والبِيعَة لثلث الزينة وهو 4 ، وذلك للمخيطات. والعصى هي : 200 رأس من الغنم .

— والطرحة لمجموع وحدات الأحذية كالبلغة والمشاية والشربيل والصفائح .

— والفردة ضد الزوجة ، والحبة للبيض والفواكه ، والتفصيلة للمنسوجات قبل خياطتها كالقفطان والجلابة ، والتقشيطة مجموع ملابس المرأة .

ـ والكَرجة والقطعة لما لا يوزن ولا يعد كالشراء بالجملة .

وهناك العد بالعشرات والمئات والآلاف .

ـ وعن الزمن ثمة الطَرّيحَة (أجر عمل بالوحدة الزمانية) . وللتعبير عن انصرام الوقت الطويل تستعمل كلمات الليلة والنهار والجمعة (أي الأسبوع) والشهر والعام . ولتحديد الوقت : الصباح والضحى والظهر والأولي والسَّاهَل (أي العصر) والشفع (وهو الهزيع الأخير من الليل) والنَبَتوري للصباح الباكر . والفرسخ يعني أيضا الزمان الطويل .

ولمعرفة أوقات الصلاة دخولها ، ولتحديد بدء الشهور القمرية بزوغ أهلتها . وفي العالم القروي توقيت خاص لمعرفة المنازل والفصول والمواسم حسب التقويم الفلاحي .

وسيأتي الحديث عما تبقى من الوحدات القياسية كالعملة .

تلك هي المعايير التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر والتي لا يزال بعضها ساريا الى الآن . وكان عنصر الحجم والسعة أرجح من عامل الوزن والثقل ، وبعبارة أخرى كان امتلاء العين منها أضبط من قبضة اليد . وقد تعمدت الاستغناء عن بعض الوحدات وأتيت مثلا بالبيسَّة وهي عيار صغير عند البزاز ولو أن المنسوجات كانت تباع بالقالة أو المتر فيما بعد ، ولم آت بالحصيرة أو الزربية لأنها بضاعة لا تتجزأ وإنما تباع باعتبار ما يشبه مساحتها. على أنني قد استندت في تحديد أقدارها الى تصانيف بعض المؤلفين .

ولئن كانت تحمل مَيْسَماً إسلامياً ، أو تُبرز كما رأينا جوارح الانسان أو طاقته فذلك دليل على أن المرء لم يجد ميزانا أفضل من ميزان حواسه . وهي في مجملها وليدة الحاجة وبنت العرف ، ولم يستطع القانون أن يمحو أثر التعامل بما هو تخميني وغير مضبوط . ولا تزال بعض النواحي المغربية تتعامل في اكتيال الحبوب مثلا بالعبرة والكاميلة ، لصعوبة هضم الأهالي للفهوم الحديثة ، مفضلين ذلك على الكيل بالقنطار أو الكيلو دون اللجوء الى المقايضة التي يغلب على الظن أنها أضحت في خبر كان ، على الأقل في الحواضر والمدن .

هذا ، ويفترض أنه كانت لهاته الفروق في المعيار نتائج وخيمة على الاقتصاد الوطني ، ولربما استفاد التجار عامة من تمايز الموازين عند البيع والشراء والتصدير والاستيراد . فلعلهم اشتروا بمد تازة (50 كيلو) وتبايعوا بمد فاس (20 كيلو) . ولم أطلع على محاولة لتوحيد المكاييل إلا على تلك التي سويت بها فنيكة الصويرة بمد تازة (50 كيلو) فيما يرجع للتجارة الخارجية في أواخر القرن التاسع عشر .

ومن المفروض أن يكون لبعض المحتسبين الذين كانوا قضاة تجاريين ومهنيين ، مكاييلهم وموازينهم كما سيأتي في الحديث عنهم . والراجح أن عمل فاس كان ساري المفعول بهاته المدينة العاصمة الدينية وبباقي المدن الأخرى (1) .

وبالرغم من هاته الاضطرابات في تحديد الحجم أو الوزن أو المدى أو المدة ، فلا يظهر أن ذلك كان يضع مشكلات عويصة . فلكل مدينة أو مجموعة من

---

1 . عن بعض ما تقدم تنظر المراجع :
- عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 50 — 51
- جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 146
- ريمون شارل : « الروح الاسلامية » ص72
- بروسبير ريكار : « المغرب — سلسلة الادلاء الزرق » ص 70 — 71
- احمد التجاني : « القاموس العربي الفرنسي » صفحات مختلفة
- عمر الخالدي : « نموذج من الاقطاع الجهوي » في مجلة « دراسات عربية » عدد 8 (يونيو 1980) ص 67 وما بعدها .
- احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 215 — 297 — 298
- محمد المنوني : « اربع وثائق ... » في « دعوة الحق » (يبراير — مارس 1971) ص 56 (13)
- عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 2 ص 64 — 67 — 69
- بول باسكون : « حوز مراكش » ج 2 ص 636
- جوزيف لوسيوني : « الاحباس بالمغرب ، من نشأتها الى 1956 » ص 113
- كودفروا دمبين ولوي ميرسيي « موجز العامية المغربية » ص 214
- مارك بونفوس : « » منخلة فجيج » ص 72

المدن والنواحي مفاهيمها واصطلاحاتها . ولكل بضاعة مقاييسها الخاصة ، جامدة كانت او سائلة ، ضيقة كانت او واسعة ، طويلة كانت او عريضة ، تافهة كانت او نفيسة ، خفيفة كانت او ثقيلة ، فلاحية كانت او صناعية ، حضرية كانت او قروية . وكانت بجانب ذلك رقابة المستهلكين والحرفيين معا وعلى رأسهم الأمين أو العريف أو الشيخ ثم تحكيم المحتسب القاضي المهني وجولاته في الأسواق .

* * *

هاته الاختلالات كان لها نظير ، ولكنه خطير على الاقتصاد ، من حيث التغيرات المالية والأوضاع النقدية . وذلك ما سيأتي في الفصل التابع .

3 : التغيرات النقدية والمالية والجمركية

سنتناولها على التتابع بشيء من الاقتضاب .

أولا : التطور النقدي

حفظت العملة المغربية قيمتها الذاتية طالما ظلت البلاد لا علاقة لها بالخارج ، والعكس بالعكس صحيح . وهكذا كلما ربط المخزن صلات مع اوربا ازداد الخطر على الاقتصاد الوطني .

وكان نظام العملة في القرن التاسع عشر هو المنهاج الساري في القرن الذي قبله ، في عهد محمد الثالث ذي الاتفاقيات الدولية المتعددة . وكان المثقال يزن 29 غراما ثم عوض في القرن الماضي بالريال الاسباني والفرنك الفرنسي اللذين صارا لا يساويان في الوزن الا 25 غراما فقط .

والى جانب عملة الذهب ، كانت تروج في بداية القرن التاسع عشر ايضا سكة الفضة والنحاس معا . لكن الذهب اخذ يتوارى عن الأنظار شيئا فشيئا حتى اختفى نهائيا عند الدفعة الأولى من الغرامة الحربية في اوائل الستينيات .

ولمقارنة وزن العملة في القرنين الماضيين أسوق هذا الجدول :

وزن العملتين الفضية والنحاسية

سنة 1766		سنة 1863	
الفضة	النحاس	الفضة	النحاس
الريـال	4 اواق		32,5 أوقية
المثقال = 29 غراما	الأوقـيـة = 9,2غ = 26 فلسا	الريال = 25غ = 5 فرنـكـات = 10 مثاقيـل	
الدرهم الشرعي أو الكبير = 9,2غ = عشر المثقال	96 فلسا = الأوقية	الريـال الصغير = 7,2 غ	100 أوقية
		الـدرهم الكـبير = 9,2 غ = خمسـا الريال الصغير	40 أوقية
الموزونة أو الدرهم الصغير = 0,72غ = ربع الدرهم الشرعي	24 فلسا	الدرهم الصغيـر = 0,072 غ = عشـر الدرهم الصغير	10 أواق = أوقيـة واحـدة = 0,72غ = المثقال = عشر الريال الصغير
		الموزونة =	ربع الأوقية

ومن السكة النحاسية كان الفلس او القيراط يساوي في عهد الحسن الأول 12 زَلاغي او زوالغ ، وكان كل زَلاغِي ينقسم الى 12 حبة ، بمعنى ان الفلس كان يساوي 12 × 12 = 144 حبة . الريال كان يسمى الدورو ، والقرش كان يدعى البَلْيُون . والأوقية ايضا ماثلث 4 وجوه ، والوجه كان يـــزن 105 ، 0 غ من الذهب الخالص في وقت سابق .

وكانت بالمغرب قطعة ذهبيــة تدعى « ثيكييس » وهي تعــادل 38,75 بليونا ودفعت في الغرامة الحربية لاسبانيا سنة 1860 . وقبيل منتصف القرن

التاسع عشر . راجت نقود ذهبية كالضبلون الاسباني (32 أوقية من الريال) واللويز الفرنسي والليبرة الأنجليزية(1). اما البندقي الايطالي او الدوكة ducat فهو عملة ذهبية قديمة جدا ضربت بمدينة البندقية منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، وكانت تعادل 40 اوقية من الذهب ، ولكنها في بداية القرن العشرين كانت تماثل 12 فرنكا . وقد يكون البندقي من الفضة ، ويُسمى حينئذ دوكاتون ducaton (2).

كانت تماثل 12 فرنكا . وقد يكون البندقي من الفضة ، ويُسمى حينئذ دوكاتون

وابتداءا من سنة 1840 ، بدأت العملة المغربية تنهار ، وضرب السلطان مولاي عبد الرحمان سكة من الفضة والنحاس دون الذهب ، غير ان انخفاض سعرها كان من العوامل السلبية ، فأصبحت الأوقية النحاسية سنة 1852 لا تعادل الا نصف قيمتها سنة 1766 . ولما اتخذ السلطان نفسه تدابير وقائية لصون العملة وتحديد قدر الصاكة انهارت الدخول الى 50٪ (3) .

وعند ما ولي محمد الرابع ، وجد امامه هاته الحالة المزرية التي صاحبتها ويلات الأوبئة والمجاعات . وكان سعر العملة الرسمي سنة 1870 هو 32ر50 أوقية لكل فرنك فرنسي ، بينما كان سعرها التجاري يفوق ذلك بكثير اي 50 أوقية للفرنك . وفي سنة 1877 بلغ سعر الصرف بمراكش 100 وبالصويرة 65 وبالدار البيضاء 60 وبالرباط 56 وبطنجة 49 . وكلما اتجهت الى الجنوب (حيث كانت مصانع الضرب السرية مبثوثة كما سيرد) ارتفع السعر حتى بلغ حده الأقصى سنة 1894 عند وفاة السلطان (4) .

---

1 . « تاريخ المغرب » لطائفة من المؤلفين ص 309 وعبد الله العروي : «الأصول» ص 45 — 47 وعبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 394 و ج 2 ص 66 وجرمان عياش : « جوانب ... » ص 28 و 29 و 33 ومحمد الصديقي : « ايقاظ ... » ص 71 ومحمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 19 وبول باسكون : « حوز مراكش » ص641 من الجزء الثاني .

2 . محمد المختار السوسي : « ايليغ » ص 70 (207) تحقيق محمد بن عبد الله الروداني .

3 . « تاريخ المغرب » ص 309

4 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 432.

ومنذ 1868 ظهرت بأوربا والجزائر وسوس نقود مزورة ومقلدة للسكة المغربية ، ومنها سكة نحاسية كانت تدعى « تَحَسْحاسَت » ، ونودي سنة 1285/1868 بوقف التعامل بها وبابدالها بسكة اخرى كانت تسمى القواريط (5).

وتلافيا لمثل هاته الأحوال المضرة ، قرر الحسن الأول ضرب سكة بأوربا سنتي 1881و1884 موافقة لأحكام الشريعة الاسلامية . وهكذا تعاقد المخزن مع دار سيير : Seillière الفرنسية لصنع 20 مليونا من الريال الحسني ، كما ابرم سنة 1891 عقدة اخرى مع الفرنسي كَيف Gaiffe عميل سيير لضرب هاته العملة التي كانت مقسمة هكذا مع كسورها :

- **الريال** = 29ر216 غ ، منها 29ر26 من الفضة الخالصة ، وهو 4 أو 5 بسيطات حسنية حسب الأحوال .

- **نصف الريال** = 1 : 2 ريـال = نصف ريـال = قـريب من بسيطتين حسنيتين .

- **ربع الريال** = 1 : 4 ريال = ربع ريال = قريب من بسيطة حسنيــة .

- **زوج بليون** = 1 : 10 ريال = عشر الريال = حسني = قرشان

- **بليون** = 1 : 20 ريال = نصف عشر الريال = قرش = نصف حسنــي .

ولذلك ارتبطت العملة الجديدة التي كانت تسمى الريال او الـدورو الحسني ارتباطا مصيريا وحسابيا بالريال الاسباني (25 غراما ، منها 5ر22 غ من الفضة الخالصة) . وهذا يـدل ، شيئا مـا على صحـة النقـد المغربي مقارَناً بالعملة الاسبانية ، ويفسر ، الى حد ما ، تهافت المضاربين والصيارفة على الريال الحسني الجيد متى وجدوه .

---

5 . المصدر السابق ج5 ص 127 ومحمد الصديقي : « ايقاظ ... » ص 71

ولما لم تكن عمليات السك سليمة في بعض الأحيان ، فقد كانت ترجع الى الضاربين العملة الفاسدة أو الناقص وزنهـا . وأود ان اوضح هنـا ان الاعتماد في الأداء كان على وزن العملة لا على عدها ، فلم يكن المخزن يعطي كذا وكذا ريالا بل كذا وكذا غراما او رطلا ، على الأقل في المعاملات الرسمية ، اجتنابا لكل غش وابتزاز .

على ان السلطان الحسن الأول كان قد قرر سنة 1888 الاستغناء مؤقتا عن الضرب بأوربا الذي لم يكن منخفض التكلفة ، فقد بيعت في بعض السنوات حبوب الزكوات والأعشار الى التاجر الفرنسي پاكي N. Paquet لتسديد نفقات الصياغة والسك . وأمر السلطان باشتراء آلة من بلجيكا لضرب النقد ، ولكن دواليبها لم يكتب لها الدوران ، ثم امر ببناء المكينة بفاس لصياغة العملـة النحاسية التي لم تكن تضرب بل كانت تذاب ثم تصاغ دون نقش . وكانت حتى 1891 لم تخرج هي الأخرى نقودا . فلم يسع السلطان الا اتخاذ تدابير احتياطية للدفاع عن العملة ، وسحب الفلوس النحاسية الرديئة من الأسواق ، لعجز المخزن عن التحكم في التجارة الخارجية التي كانت السبب المباشر فـي تدهورها .

وقد اصبحت الحالة النقدية في آخر 1883 من الخطورة بحيث صار الذهب والفضة الفرنسيان مفقودين بطنجة نفسها ، وغدا سعر صرف البليون المغربي رديئا حتى كان عده مضيعة للوقت ... وراجت بالأسواق عـدد مـن القطع النقديـة المثقوبة الممحوة المزورة . ويحكى ده فوكو ان ادنى اداء بالعملة في البوادي سنة 1883 كان يستلزم احيانا وقتا طويلا من اجل «تقليب» النقد وعرضه على الغير من المسلمين وحتى من اليهود ان وجدوا هناك (6) ، لما لهم من معرفة بذلك . وفي سنة 1884 مثلا بلغ معدل الصرف بطنجة 100 أوقية وبالجديدة 110 وبالصويرة 125 في رواية (7) بل 175 في رواية اخرى(8).

6 . روجي له طورنو : « الحياة ... » ص 119

7 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 436

8 . « تاريخ المغرب »ص 309

كان هذا الانهيار المتوالي دليلا على فشل الاصلاحات النقدية ، وكانت العملة الاسبانية التي ارتبطت بها العملة المغربية منذ 1889 مصـــدر متاعب كبرى للاقتصاد المغربي . ولأن العملة الحسنية كانت أقوم وأثمن من مُرافقتها ، فقد كانت تصدر الى الخارج ويؤتى بعملة اسبانية ، منها ريال فونصو (أو الفونصو) لتحل محلها في المعاملات على يد مضاربين مشهورين يجنون من فائض القيمة أرباحاً طائلة .

ظهرت بالأسواق المغربية سنة 1892 و 1893 السكة الفليبية والسكة الايصابيلية او ريال زابيل التي لم تكن رائجة باسبانيا نفسها بل وممنوعة فيها . ولما بلغ خبرها الى السلطان منع دورانها على الأمناء والعدول وأمرهم بعدم قبولها في أداء الرسوم. وكان اول من ادخلها اسبانيو سبتة او مليلية لأداء اجور عمال الريف ، تدليسا وتطفيفا (9) ، فلم تكن تزدرد الريال الحسني فقط بل كان الاسبانيون لا يقبلونها بالمرة من المغرب في المعاملات ، الى ان ألـزِمـوا بذلك بشق الأنفس ، نزولا عند الحق والمنطق . وكان التجار الأوربيون وموظفو مكاتب البريد والتلغراف يرفضونها ايضاً .

والى جانب هذا التسرب النقدي ، كان هناك تدليس آخر هو نَـفـاق سوق الضرب والطبع كما اشرت لذلك انفا . واضيف الى ذلك ايضا المضاربات التي كان ينشط فيها المرابون عند عد النقود عوضا عن وزنها ثم في تبديلها بغيرها او في استيرادها بالملايين مثلما فعله جون باتيستي انصادو J.B. Ansado الطارقي الايطالي الانجليزي قنصل المانيا بالجديدة وأحـــد عملاء بنوك طنجة . فقد جلب سنة 1894 من العملة الايصابيلية والفليبية نحو المليونين ، وفعل مثله بعض يهود طنجة المتجنسين او المحميين مثـل ميير وكوهن وشركتهما : كانوا يشترون تلك العملة من برشلونة باقل من قيمتهـا الأسمية بـ 20٪ ثم يروجونها بما تحمل من سعر ، ولا بد من الاشارة الى ان بعض الأمناء في المراسي كانوا بلا ريب يتساهلون في قبضها ، بل ويتواطأون مع بعض رؤساء المراكب في انزالها خفية ، عصيانا للأوامر المخزنية .

---

9 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 431 (3)

وعن حركة النقود بين المغرب والخارج لم أقف على افادة كاملة عبر السنوات ، وذلك لا يمنع من اعطاء مثال جزئي في هذا الجدول :

حركة النقود بين المغرب ومرسيليا

(1887 — 1893)

السنـة	المستوردات من المغرب		المصدرات الى المغرب	
1887	1.611.000	فرنك	506.000	فرنك
1888	2.293.000	»	664.000	»
1889	2.725.000	»	1.150.000	»
1890	710.000	»	942.000	»
1891	2.697.000	»	1.212.300	»
1892	2.854.831	»	1.951.200	»
1893	3.085.979	»	1.677.000	»

ولو زدت الى ذلك ان مقدار العجز عن هاته المدة كان يبلغ 5.950.000 فرنك ذهبي (10) لاتضح الخصاص .

10 . المصدر السابق ج 4 ص 369

ولا شك أن الأمور ستنجلي أكثر من ذلك إذا علمنا أن حركة النقود بين المغرب ومرسيليا كانت أنشط مما ذكر أعلاه ، أي ما بين 1882 و 1884 وبيان ذلك أنه :

في سنة 1882 : أخرج من المغرب 8 ملايين فرنك ودخل إليه مليون واحد.

وفي سنة 1883 : « « « 10 « « « « 6ر8 ملايين

وفي سنة 1884 : « « « 10ر4 « « « « 4ر8 « (11)

* * *

ثانيا : التطور الجبائي

أسفرت هاته الصعوبات النقدية عن صعوبات مالية كبيرة كاد بيت المال من أجلها أن يغدو فارغا . لم يعد المغاربة الأغنياء يؤدون الضرائب تقليدا للمحميين والمتجنسين والأجانب ، وعظمت المناورات للتملص من الوفاء بها . ولم يكتب التنفيذ لتسوية 30 مارس 1881 لحمل المحميين والسماسرة على تسديد الزكوات والأعشار والرسوم ، طبقا للفصل الثاني عشر من معاهدة مدريد سنة 1880 .

ولئن كان مولاي سليمان ألغى الضرائب التي سنها سيدي محمد بن عبد الله على المنسوجات والجلود والكبريت والموازين والأسواق ، مكتفيا بالزكوات والأعشار والرسوم الجمركية ، فان السلطان مولاي عبد الرحمان أسس سنة 1850 ضريبة على الجلود وأخرى على المواشي المباعة بالأسواق .

وبينما كانت مصاريف الدولة في القرن الثامن عشر تبلغ 500.000 مثقال أي 3 ملايين فرنك ذهبي ، وهو قدر كان كافيا لنفقات الادارة والجيش (12) ،

---

11 . المصدر السابق ج 5 ص 295

12 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 293

إذا بها تصير — للتضخم النقدي وتطور الأسعار وتقلبات العملة — تتراوح بين 6 و 7 ملايين فرنك سنة 1882 . ثم بلغت 20 مليوناً سنة 1893 وارتقت الى 40 مليونا سنة 1900 . وقد دفع أكثر من نصفها لتسديد التعويضات واشتراء السلاح وبعض الانتاج الصناعي الأروبي ، باضافة العجز السنوي المقدر بـ 14 مليونا . وباتت المداخيل الجمركية قارة ولكن لا رقابة عليها ، لأنها كانت تُغْني بالأحرى أمناء المراسي (13) .

ولم يحجم المخزن عن اتخاذ قوانين للزيادة في موارد الميزانية كالحافر المفروض على دخول البضائع الى المدينة ، بالرغم من حركات الاحتجاج الشعبي كفتنة الدباغين بفاس سنة 1873 للتملص من أداء المكوس ، وكتمرد القبائل عن أداء الزكوات . ولما ألغى السلطان الحافر سنة 1885 عوضه بضريبة أخرى فرضت على خروج البضائع من المرسى الى المدن الداخلية ، واضطر الحسن الأول ، كما تقدم ، الى بيع الحبوب على يد تجار أجانب للزيادة في قدرة المغرب على تحمل الأعباء الثقيلة عليه ، بل فكر في الاستدانة والاقتراض من الخارج . غير أن انتهاء أداء الغرامة الحربية الى اسبانيا سنة 1884 ، أفرج عنه الأزمة مؤقتا (14) .

وإذا كان المؤرخون المغاربة يُقَوِّمون عمل كل سلطان بقدرته على رفع المظالم — وهو حق — وإزالة المكوس — وفيه نظر لأن التكاليف كانت ثقيلة — فلم يكونوا على صواب الا في الشطر الأول . لأن الدسائس الاستعمارية ودعاوي

---

13 . نفس المصدر ص 341 . ويحكى عن خيانة بعض « الأمناء » انهم كانوا يجيبون السلطات المخزنية ، اذا سألتهم عن وفر المراسي ، بالنادرة الشهيرة ان المركب الفلاني « دخل فارغا وخرج فارغا » ! وقد يكون ذلك عن غفلة منهم ، وهو شيء نادر فلكل سفينة « منفشطوتها » او بيان سلعها المحمولة وقد يكون تواطؤا منهم مع التجار او قائد السفينة لكي ينهبوا ويسرقوا وهو متواتر . وهكذا لا تخلو جعبتهم من سهام وحيل.

وكثير منهم اثروا من اشغالهم اثراء فاحشا ، بل منهم من كان يروم الاستقالة من الولاية ليتولى « الأمانة » حسبما سنرى في مكان آخر . زد على ذلك ان احدهم وهو الحاج احمد بناني أصابه خبال في عقله ، وصار سنة 1886 يدور ويصيح بأعلى صوته بميناء طنجة انه ربح مئة الف ريال من خدمته بالمرسى مثلما سنرى مع انجلترا بهاته المدينة . فعلام يدل هذا ؟

14 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 437

الدول لأجل رعاياها كان فيها من الشطط والتجني ما يفضح تلك المناورات المـبـيَّـتـة ، ويضع على كاهل الأمة ـ والمخزن ممثلها ـ الوفاء بتلك المطالب من أموال عمومية .

وهكذا كان تقهقر ريع المراسي والمستفادات عاملا في ركود التجار وتقلص المبادلات بين الفينة والفينة . وكان فساد الوضع النقدي حافزا على الاستهتار بحقوق الدولة وهيبتها . ولم يكن الأروبيون وحدهم ـ والحق يقال ـ هم أسباب هذا التدهور ، فكان « الى جانبهم عـدد محدود من المغاربة من مسلمين ويهود كانوا مستفيدين من هذا الوضع » (15) .

ولا غرو أن تستفحل الحالة استفحالا خطيرا سنة 1895 ، يدل عليه ما وقع آنذاك وقبل ذلك بسنوات ، من غلاء مفرط ، وفروق شاسعة بين الأسعار والأجور وإخناء المعاملات الربوية بكلكلها على الطبقات الشعبية ، وسَوْق المدينين ضحايا الوضع الى السجون ، والتماس المتهافتين مخرجا من ذلك بالخلطة والاحتماء والتجنس والمسخ والمروق .

وهكذا انقلبت الوضعية رأسا على عقب منذ سنة 1840 ، إذ صار على المغرب منذ ذلك الوقت أن يؤدي للدول الأروبية ـ بكيفية تكاد تكون مقنعة ـ جزية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان (16) .

وأعظم جزية فرضت عليه قهرا وعدوانا هي الغرامة الحربية سنة 1860 تلتها بعد سنوات في آخر العهد الحسني المناوشات قرب مليلية المغربية التي أسفرت عن غرامة أخرى طلب عنها في البداية 25 مليونا من البسيطات . ولولا الصفعة التي نزلت على خد السفير الحاج عبد الكريم بريشة بأحد شوارع مدريد سنة 1895 على يـد أحد غلاة الاستعمار المجانين الضابط المتقاعد ميكيل دي فونتيس M. de Fuentes لما خفض قدرها الى 20 مليونا (17) وهي

15 . « تاريخ المغرب » ص 309

16 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 123

17 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 1 ص 379

لطمة تشبه تلك التي تعرض لها خد السفير عبد الله ابن عـدِيّل امام الملأ بأحد شوارع لندن سنة 1762 أو 1764 على يد أحد الرعاع (18) .

* * *

وبعد هذا سنرى ما كان التشريع الجمركي المغربي يبيحه ويحرمه في ميدان المبادلات الاقتصادية . وذلك هو الموضوع الموالي .

* * *

ثالثـا : التشريع الجمركـي

الرسوم الجمركية كانت سلاحا امتلكه المغرب ، فـدرَّ عليه دخولاً هامة ساعدته على سد بعض الثغرات ، ودرء عدد من الأخطار ، والوفاء بطائفة من الالتزامات .

ولأجل استخلاصها عما كان يصدر ويستورد ، عين السلاطين أمناء في الثغور والمراسي وخصصوا لهم أجورا وشرعوا لهم مقاييس . وكان إحداث هذا السلك من أولى التدابير الايجابية في تجديد الهياكل المخزنية استجابة لمتطلبات العصر ، وتسديدا للغرامة الحربية المفروضة ، وتطبيقا للمعاهدة المغربية الانجليزية المبرمـة سنة 1856 والتي كانت ذات أبعـاد سياسية واقتصادية خطيرة .

الوثائق القليلة التي تيسر الاطلاع عليها لا تفيد ـ على ما هي عليه ـ شيئا كثيرا . فما دامت مبعثرة لم تدون ، فكل مقارنة أو دراسة استيعابية ستكون عسيرة لمعرفة الحصيلة الاقتصادية العامة . وليست هاته الوثائق في الواقع إلا بمثابة رسائل سلطانية دورية تفتح الباب ثم توصده ، تبعا للظروف .

---

18 . عبد الهادي التازي : « الثغور ... » في « البحث العلمي » بالعدد الخامس والعشرين يناير ـ يونيو 1976 ص 22 (2)

في حين أن من المصادر الأروبية المستخلصة من تقارير القناصل آنذاك والحسابات التجارية ما عُنِيَتْ بهذا الموضوع ابتداءاً من صدر القرن (19) . وليس يهمنا منها الا ما يتعلق بالفترة الممتدة من سنة 1860 الى 1894 . ومن ذلك يستفاد أن المخزن كان يمنع التصدير والاستيراد لبعض المواد ، ثم يعود ليرفع الحَظْر كلا أو بعضا ، ثم يرجع الى التحريم ، ابتغاء مواصلة الاحتكار أو تلبية للرغبات الشعبية المستمدة من حالة الأوضاع المغربية . وبصفة عامة فقد استطاع التجار الأروبيون أن ينزعوا من السلطان حرية تصدير الصوف سنة 1861 ووسق الحبوب ابتداءاً من 1875 (حسب سنوات الشدة والرخاء ثم أكدت هاته الحرية سنوات أطول سنة 1886) وإخراج رؤوس البقر حتى 6000 في السنة ، اعتبارا من سنة 1873 ، وتصدير المعادن ابتداءاً من 1892 (20) .

أما من حيث التسلسل التاريخي فكانت كما يلي :

نونبر 1860 : رفع الحَظر عن تصدير الصوف والجلود ، وفرض احتكار تجارة الشمع الخام ، ومنع خروج الحبوب ، وتسريح تصدير القطاني والبقر الذي ضوعف إخراج رؤوسه الى جبل طارق من 3.000 الى 6.000 وبيع حبوب الزكوات والأعشار في المزايدة .

سنة 1861 : عقد معاهدة تجارية مغربية إسبانية ومواصلة تسريح تصدير الأصواف .

سنة 1862 : السماح للكبريت بالدخول لمدة سنة مقابل أداء 10% من قيمته ، وللصوف والجلود بالخروج لمدة سنتين واحتكار التبغ .

سنة 1863 : إذن بتصدير القطن لسنة واحدة مع منع السماسرة من اشترائه بداخل البلاد وتصدير 6.000 رأس من البقر الى سبتة .

---

19 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 5 من ص 255 الى 266

20 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 252

سنة 1864 : السماح باشتراء الصوف من الداخل وتجديد رخصة تصدير القطن مقابل 10 فرنكات للقنطار .

سنة 1865 : منع استيراد الكبريت وملح البارود .

سنة 1866 : الترخيص بتصدير الحبوب .

سنة 1867 : العودة الى منع تصدير الحبوب .

سنة 1868 : مواصلة منع تصديرها أيضا

سنة 1869 : حرية تصدير القطاني ولِحَاء الشجر (الفَرْشي) .

سنة 1870 : منع تصدير الحبوب .

سنة 1871 : الاذن بخروج القطاني واللحاء مع أداء نصف قرش للفنيكة .

سنة 1873 : استمرار حرية تصدير القطاني والترخيص بوسق 6.000 رأس من البقر الى الجزائر .

سنة 1874 : منع تصدير الحبوب

سنة 1875 : الترخيص بتصديرها وبوسق المصارين

سنة 1876 : تسريح تصدير القطاني مع تحريم تصدير الحبوب

سنة 1877 : مواصلة تسريح القطاني

سنة 1878 : منع تصديرها مع الترخيص بتصدير العظام

سنة 1880 : السماح لألمانيا باستيراد 6.000 رأس من البقر

سنة 1882 : تخفيض رسوم استيراد الحبوب الى النصف بسبب المسغبة (21) .

---

21 · جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 5 الصفحات المذكورة اعلاه

سنــة 1883 : « أنعم على دولة الماركان بتسريح وسق 6000 رأس من الثيران في كل سنة لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم » (22)

سنــة 1888 : تسريح تصدير الزيوت دون حبوب الزيتون

سنــة 1890 : عقد معاهدة تجارية بين المغرب وألمانيا (10 نونبر) والترخيص بتصدير الحبوب لمدة سنة .

سنــة 1892 : إبــرام معاهدة تجارية فرنسية مغربية (24 أكتوبر) والترخيص بتصدير الفرشي .

سنــة 1893 : منع تصدير الحبوب

سنــة 1894 : مواصلة هذا المنع (23)

ولئن كانت هاته البيانات عاجزة عن إعطائنا فكرة عن حجم التصدير والاستيراد والاحتكار ، وعن إمدادنا بمجموع الدخل الجمركي ومدى استفادة الاقتصاد الوطني وبيت المال منه ، فلا بد أن آتي هنا بمختصر لبعض أرقام الدخل في المراسي كالجديدة والصويرة والعرائش حيث كانت تقتطع الغرامة الحربيــة .

. **الجديدة** : 1.754.949 بسيطة سنة 1873 و 940.279 بسيطة سنة 1875 و 646.766 بسيطة سنة 1878 و 366.035 بسيطة سنة 1882 .

. **الصويرة** : 945.862 فرنكا سنة 1870 و 1.055.590 فرنكا سنة 1871 و 814.910 فرنكا سنة 1875 و 896.994 فرنكا سنة 1876 و 960.300 فرنك سنة 1877 (24) .

---

22 . ظهير في 4 جمادى الثانية 12/1300 ابريل 1883 في « الاتحاف » ج 2 ص 388 .

23 . مييج : « المغرب واوربا » ج 5 من ص 255 الى 266

24 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 437 (2)

. **العرائش** : كان واجب إسبانيا بالبسيطات ما يلي على وجه التقريب :
100 ألف سنة 1862 و 50 ألفا سنة 1868 و 160 ألفا سنة 1871 و 30 ألفا سنة 1872 و 420 ألفا سنة 1873 و 160 ألفا سنة 1874 و 300 ألف سنة 1876 و 60 ألفا سنة 1880 و 190 ألفا سنة 1884 (25)

أما مجموع الدخل بنفس المرسى عن سنوات أخرى فكان بالفرنكات كما يأتي : 421.523 سنة 1873 و 105.946 سنة 1878 و 94.034 سنة 1879 و 54.800 سنة 1880 و 69.368 سنة 1881 و 74.169 سنة 1882 (26) . ويبدو أن في هذين المجموعين من الأرقام تناقضا واضحا ، بين واجب اسبانيا وهو النصف في دخل التصدير لا في مجموع التجارة ، وبين كافة دخل المرسى . ولئن كان أمين الأمناء يصدر — باذن المخزن طبعا — التعليمات لكي لا يطلع الاسبانيون اطلاعا تاما على كافة الدخول ، لأسباب خاصة أو وجيهة ، فقد اهتبلها النهابون من أمناء مغاربة ومراقبين إسبانيين وتجار لاقتطاع أموال لأنفسهم ، الشيء الذي استنكره جون هي سنة 1877 ووصفه بالغش المعمم (27).

ويستفاد من صعود الأرقام وهبوطها بيان لحالة المغرب آنذاك من ازدهار وركود ، ولما اعتراه من بلايا وخطوب .

وأيا كان الأمر ، فقد كانت التعريفات الجمركية ضعيفة منذ 1856 وهي 10% من قيمة البضاعة (28) يحددها السلطان بين الفينة والأخرى عند الحاجة أو تبينها المعاهدات كالتي وقعت مع إنجلترا في السنة المذكورة آنفا (29) .

ولئن كان السلطان يُمْهِل بعض التجار أحيانا في أداء واجب الجمارك ولا يضيق عليهم ، فقد كان في تصرفات طائفة منهم مـا يسيء الى سمعتهم ويزيد في سخط المخزن وعامة الشعب عليهم .

---

25 . المصدر السابق ج 5 ص 285 حسب الخط البياني المنشور هناك
26 . المصدر السابق ج 3 ص 437 (2)
27 . المصدر السابق
28 . المصدر السابق ص 420 و « **تاريخ المغرب** » ص 306
29 . ينظر نصها بمجلة « الوثائق » ج 2 ص 201 (النص العربي) وص 215 (النص الانجليزي) .

ومن ذلك ما روته الوثائق المخزنية من أن بعض المستوردين بالمراسي كانوا يحتجون على ارتفاع هاته الرسوم ، ويدعون أنها مشتطة فلا يريدون أداء الصاكة نقدا للأمناء وإنما يلجأون الى الحيلة ، فيطلبون مثلا من الأمناء أخذ الأعشار منها عينا وما كان لهم من سبيل غيره ، فيخزنونها لكي تباع بعد ذلك ، فاذا عزموا على البيع تقدم نفس التاجر أو شريكه متواطئين على اشترائها بثمن زهيد (30) يُغْبَن فيه بيت المال حقه وتنهب به ثروات المغرب ، الذي لم يرفع جدارا عاليا للحماية الجمركية ، حتى غزت أسواقه منتوجات الصناعة الحديثة الرخيصة ، وشلت حركة الاقتصاد الوطني ولا سيما الصناعة اليدوية .

* * *

كان الأمناء هم أعوان تنفيذ هاته السياسة المالية : أمناء المستفاد والجبايات والخَرْص وأمناء السكة وأمناء الموانيء ، فقد كانت أساليبهم خاصة في التدوين والتسجيل والتحصيل (31) . وأرجىء الحديث عن كافة هؤلاء الموظفين سواء كانوا بالمدن أو بالمراسي ، لأتناوله عن النظام الحرفي في التجارة والصناعة .

---

30 . بمحافظ الصويرة وغيرها امثلة من هذا النوع .

31 . كتابات الأمناء غير معهودة في الوقت الحاضر . ولايضاح بعضها اورد امثلة مع شرحها بهذا الجدول التحويلي القياسي :

العدد =	الموزونة	الأوقية	المثقال
10732 =	0	2	1.073
ررر 5 104576 =	3	5	104.576
رر 1 84632 =	2	1	84.632
	ر = موزونة		

4 : النظام الحرفي

خضع هذا النظام لعدة قواعد ، وامتاز أهله بآداب أصيلة في تصريف الانتاج وبالتزام سلوك معين في الأسعار والاستخدام وفي التضامن والفصل في النزاعات بينهم وبين غيرهم .

وقد صنفت هاته الحناطي أنواعا مختلفة ، باعتبار طبيعة نشاط أهلها . وسأشير بشيء من الاقتضاب الى الأثر الأجنبي في ازدهارها وإنعاشها والى توزع النشاط الاقتصادي وتمركز البضائع والصناع والخدمات .

ثم سنلم في شيء من الأسهاب بأنساب المحترفين من صناع وتجار وأجَراء وأهــل الخبرة مع ما تضمن ذلك من أنــواع وضروب ، وبعد ذلك سنطلع على خطة الحسبة ودورها في تقويم الأوضاع . فقد كان للنظام الحرفي أثر وحساسية في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، لأنه يرتبط بمآل السكان العاملين النشيطين من الطبقات الفقيرة والمتوسطة ويتصل أوثق اتصال بأعمالهم وهمومهم ومصارفاتهم .

وكنت أنوي أن أُفرد له من الوثائق المغربية ما يفى بالقصد ، ولكن النية لم تكف وحدها لبلوغ المُبْتَغى . أما المراجع المغربية والأجنبية القديمة والحديثة فقد ألفيت فيها بعض الكفاية وشيئا من الغناء ، فاقتصرت على طائفة منها لنيل المرام ولو أنها لا تنظر الى المسألة نظرة شمولية .

على أن من المستغرب والمؤسف أن المطلب المتعلق بأحوال اهل الحرف ونظامهم الداخلي لم يُحْظَ بأدنى اهتمام في التآليف المغربية القديمة . أما المصنفون من الأروبيين فقد أولَوْه شيئاً من العناية . ومما كتبوه وحققوه ، جلبت طائفة من الافادات الجليلة .

ومع الاعتراف بالتقصير ، فاني أرى أن إيراد شيء مما احتوت عليه لمما يصح الاعتماد عليه ، على الأكثر ، أو مما يجوز الاستئناس به على الأقل .

ولذلك عمدت الى هذا الفصل فصُغْتُه صياغة حرة لم أكد أتقيد فيها تقيدا مطلقا باثبات الهوامش في أسفل كل صفحة وإنما في نهاية البحث .

* * *

المطلب الأول : نظـام الحناطـي

الحنطة كانت خلية اجتماعية للانتاج والتجارة وتقديم الخدمات للزبناء والوسطاء ، ظلت خلال قرون طويلة أُسساً بِنْيَوية في البيئة المغربية ، فوصفها بعض المؤلفين بالنقابات العمالية . وقد اتسم النظام الحرفي في جميع العصور بطابع الحرية التي ظل المخزن يحترم مبدأها الذي كان موجوداً قبل العهد الموحدي . وكان على رأس الحناطي أمناء كانوا يسمون آنذاك المشرفين .

ويعسر تصنيف هذه النشاطات حسب اصطلاح خبراء الاقتصاد المعاصرين الى قطاع أول (الفلاحة والصناعة الاستخراجية والغابة والصيد) والى قطاع ثان (تحويل المواد الأولية الى بضائع مصنوعة أو مستهلكة) والى قطاع ثالث (التجارة والخدمات) . ذلك أن الحرفي المغربي كان في الغالب منتجا (القطاع الأول أو الثاني حسب الحاجة) وتاجرا معا (القطاع الثالث) .

* * *

I : تصريف الانتـاج

كان الحرفي إذن يبيع انتاجه بالجملة وبالتقسيط معا ، وكان الى ذلك يُسوِّق مصنوعاته بالمزاد أو في مكان إنتاجه ويشتري بضائع غيره بنفس الطريقة . وكان للزبون أن يشتريه منه أو من التاجر أو من الدلال أيضا ، حسب قانون العرض والطلب .

وسواء اشترى الزبون من المنتج في معمله أو من التاجر من دكانه ، فقد كان لا بد له في بعض المدن من المهاودة في الأثمان . و « المتاوية » عادة متأصلة في التجارة والصناعة والخدمات ، يجد بعض المستهلكين لذة كبرى في نهجها . بل كانت على ما أعتقد إحدى المُرَغِّبات في المعاملة التي قد لا تحلو بدونها لبعض الناس .

وإذا استثنينا بعض المدن كوجدة من سلوك أهلها مسلك المهاودة ، فقد كانت معروفة في كثير من المدن كفاس حيث اشتهر التاجر بمضاعفة أثمان البضائع مضاعفة شديدة ، مادحاً سلعته تارة مدحاً لا مزيد عليه حتى ولو كانت سيئة الصنع ، ومستعينا تارة أخرى بأغلظ الايمان لاقناع الزبون أو التمويه عليه . وقد يتفق له أن يبيع سلعته بأقل من السعر الذي أقسم له على أنه هو الحد النهائي . وغالباً ما يدرك التاجر أن المساوم الذي أمام دكانه لن يشتري منه شيئاً ، وأنه إنما سيتعبه في تقديم كثير من ضروب البضاعة التي عنده ، ولكنه اذا كان ماهرا يعرف كيف يجعله زبونا بالكلمة الطيبة والاشارة النابهة والملاحظة النافذة والتزلف المفيد . والغريب أن روجي له طورنو في كتابه « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » لم يُشر الى ظاهرة المتاوية ــ التي كانت من خصائص «الحوانتية» أكثر مما كانت من طبائع التجار ــ بقليل أو بكثير بالرغم من شدة حرصه على وصف المجتمع الفاسي . فهل دخلت الى آداب التجارة والصناعة بِأَخَرة ، أي في بداية القرن الحالي ؟

وكان للتاجر الميزان إن كانت سلعته مما يوزن أو يكال ، والقالة ان كانت مما يباع ويشترى بالطول والعرض .

* * *

2 : آداب المهن وأدواتها

بداية العمل كانت في الصباح الباكر ونهايته كانت في العصر ، مع توقف يسير عند أذان الظهر ، حيث كان يهرع بعض المتدينين لأداء الصلاة قبل الغذاء . وكانت الأسر تبعث لأهلها بما تيسر لها من طعام . أما «المـْعـَلـَّم» فكان يذهب لمنزله بعد الأذان الثاني ، بخلاف التاجر الذي كان يغلق دكانه عند الأذان الأول .

وكانت لكل حنطة تقاليدها وأدواتها الخاصة في الانتاج والعمل ، ولها اصطلاحاتها في أسماء القطع المفككة قبل تركيبها أو بعد تأليفها ، لا يكاد يفقهها غير الحرفيين أنفسهم .

على أن الدين كان يصبغ الحرفة بصبغته عند الابتداء أو الانتهاء من « المرَمَّة » أو « الطَّريحَة » أو العمل ، وعند معالجة الأثقال وتناولها جماعيا لحملهـا .

أما البراح فكانت عباراته معهودة في تبليغ الأوامر الرسمية أو إطلاق النداء أو فتح السوق والبيع .

وإذا كانت الأبرة مشتركة بين الخياط والخراز ، والمقص مستعملا لديهما ولدى الدراز والحصار أيضا ، فلا الابرة ولا المقص كانا من صنف واحد . لكن المطرقة كانت للحداد والنجار ، بينما المنشار وحده كان للخشب وللحديـد .

بمثل هاته الآلات كانت الأشغال المختلفة تنجز . كان ثمة « شغل الوصية » وهو ما اتفق مُقَدَّما على نوعه وأبعاده ولونه وشكله وربما على أجل تسليمه ، ولذلك كان غالي الثمن لأنه يكون متقنا ويدفع عنه عربون في الغالب . وهو بهذا له زبون معلوم ، بخلاف « الشغل السواقي » الذي يعرض للبيع والاستهلاك ويشتريه زبون مجهول .

كانت هناك حرف رفيعة يزاولها أهل المدينة ، وأخرى وضيعة يحترفها آفاقيون طرأوا على الحواضر دون تكوين مهني صحيح ، أو دون إلمام حِرَفِيٍّ بالمرة . وربما كان في الابن ميل فطري واضح لأن يحذو في المهنة حذو أبيه وجده ، وصار لذلك يجري مثل « صنعة بوك لا (= لئلا) يغلبوك » أو مثل «الصنعة : إيلا ما غْنَتَ تَسْتَرَ ، وقِيلَ اتزيد ف العْمَر» . على أنه كان ثمة تحريض أو ترغيب في مخالطة بعض الحرفيين دون بعض ، بهذا البيت الشعري الحكمي :

فمن خالط العطـار فـاز بطيبـه ومن خالط الحداد نال السوائـدا

* * *

3 : قواعــد الحناطــي :

الانخراط في الحرف والخروج منها كانا مقننين . يسمى المبتدىء في الصنعة «بالمتعلم» الذي كان دون أجرة ، أو كان «المعلم» يتولى تعليمه وتغذيته أو « يخدم على كرشه » . ومع ذلك كان من الزبناء من لا يضن عليه بـ «الحلاوة» أو «السخرة» ، وفي الأعياد كان المعلم ينفحه بصلة أو بكسوة أو بحذاء . الكلفة قد ترفع بين « المعلم » وأهل مصنعه . كانوا يعرفون مبلغ ربحه ، لأنه كان معهم يشاركهم العمل صباح مساء ، مثلما كانوا يعلمون أسراره كعدد أولاده واسم زوجته ، وكان احيانا لا يبخل عليهم باقامة نزهة في حديقة أو في الهواء الطلق ، فيقضون وقتا بين أكل وشرب تارة وتفكه وغناء تارة أخرى ، وبِئْسَ الزبون العَجول ! كما قال له طورنو .

ومتى قضى « المتعلم » مدة في المهنة فظهرت نجابته ، ارتقى الى رتبة « الصانع » الذي كان اما شريكا لرب المعمل في الأرباح ، واما أجيرا يتقاضى أجرته يوميا أو أسبوعيا عشية الخميس .

ومن الصناع من كانت تتهيأ لهم الأسباب ليصبحوا ــ بعد اكتمال تجربَتهم وبروز حنكتهم ــ « معلمين » ينتجون ويبيعون ويشترون ويخزنون المواد الأولية الضرورية لهم .

الحرفيون وأطفال الكتاتيب والمعامل كانوا يعطلون في « العواشير » أي الأسبوع الموالي لعيد الفطر والأضحى والمولد . واعتاد الحجام أن يعطل يوم الأربعاء مثلما ألف الفرارنيون أن لا يطهوا خبز السوق يومي السبت والثلاثاء بفاس على وجه المثال . وبصفة عامة كان الحرفيون يقفلون أماكنهم عشية الخميس وطيلة الجمعة ، لكن دخول السلطان الى أية مدينة كان يوم راحة معلومة .

ويُرْوى أن الصانع الفاسي كان غالبا ما يعمل مدة ست ساعات في اليوم أي نحو 200 يوم في العام . وكان هو وغيره لا يعرفان التوتر العصبي ولا يبذلان المجهود المتواصل الذي يخضع له العامل العصري اليوم .

والى جانب هذا كله كانت المهن ــ على الأغلب وحتى الآن في بعض الأحوال ــ تسير وفق أربعة مبادىء هي : اجتناب المنافسة المهلكة في الانتاج ، وتسعير أجرة اليد العاملة ، والتضامن ، والاحتكام .

3 . 1 : **تحـدد الأسعـار** بطريقة محكمة ، أي باعتبار أثمان شراء المواد الأولية وتقدير التكاليف ، ويكون ذلك في الغالب على يد لجنة تتألف من كبار المعلمين تحت رئاسة الأمين . وكان الزيغ عن هذا المبدإ سببا في العقوبات والذعائر التي تنفذ أيضا على التجار المحتكرين ، إبان الرخاء ، انتظارا لأيام الشدة .

3 . 2 : **تسعير أجرة العمال** كان قاعدة متبعة ، بحيث كان محظورا على المعلم الغني تسريح عماله بسبب الغلاء أو استمالة مستخدمي الحرفي المنافس له الى الخدمة معه .

وكان تحديد الأجرة مختلفاً من حرفتــه لحرفة ، وخاضعاً لعــدد من الاعتبارات والظروف والأعراف .

3 . 3 : **التضامن** كان بالتعاون وبالمساعدة المتبادلة . مثلا كان الخبازون بمكناس إذا عجز أحدهم أو توفي ، يتولى خباز منهم تسيير الفران ويعطي دخله الصافي للأيتام حتى يبلغوا سن الرشد . وكانوا يطهون الخبز مجانا للحجَّامة والصحّافة والخيّاطة والطبَّالة والرّحَويين الذين كانوا يعدون من الفقراء . وبهاته المناسبة ، أذكر أنه الى عهد قريب كانت أجرة الطهي هي « القرصة » الصغيرة أو « الكسرة » من الخبز . وكان يشتريها من الفران البقالة من أهل سوس والآفاقيون والغرباء الذين لا يستطيعون عجن الخبز وإرساله للفران .

وبفاس ، كان القزدارة والبقالون من أهل سوس قد اعتادوا المساهمة في أداء ديون المُعْسِرين منهم . ولذلك كان الافلاس ، على ما قيل ، نادرا فيهم.

وصورة أخـرى من هذا التضامن : أن أمين الحنطة كان يبحث عـن العمل للمتعلمين والصناع البَطّالين (أي العاطلين) ، وأن الحرفي إذا احتاج الى مال لاشتراء المواد الأولية من الدلالة ، يضمنه أمينه أو يؤدي عنه فعلاً ، حتى يوسع الله عليه في رزقه .

3 . 4 : **الاحتكـام** : كانت الغاية منه فض النزاعات وإصدار أحكام الزجر والتأديب النابعة من قواعد المهنة ونواميس الشرع الاسلامي وتقاليد الأعراف الوطنية ، فيما يخص الغش والمماطلة والتلوي . تارة يكون الناطق بهذه التدابير هو المحتسب ، وتارة أُخرى يكون ذلك ، في نطاق أدنى ، من اختصاص الأمين . وفي بعض الأوقات يتولى الحرفيون العقاب بأنفسهم .

« القُرْمة » كانت شبيهة « الفَلَقَة » في الكتاتيب ، وكانت تتخذ للعقاب ، لكن كانت هناك تعزيرات معنوية لينة ، وأخرى مادية قاسية .

ومن العقوبات المعنوية ما حُكِيَ بفاس عن ذلك الحمّال الذي تقاضى أجرته مرتين . ولمـا اشتكى الزبـون بذلك لدى أمين زرزايـة المدينة ، عمد الى عقوبة طريفة ، فاستدعى صاحب الحمّال وعشرين من أهل المهنة الى مأدبة فاخرة أكلوا فيها وشربوا على نفقة الحمال الغشاش . ومع ذلك لم يرض المشتكي فأسَرَّ اليه الأمين : لو عرضتَ القضية على المحتسب لحكم لك باسترجاع فُلَيْسَات ، ولكننا هنا فرضنا على الزرزاي « النَّصاف » الذي هو أغلى وأفضل من تلك الدّوانق .

أما العقاب المهني فكان قاسيا مثل العقوبة المسماة « الحاج ميلود » بمكناس . كان الحاج ميلود هذا دباغا ، ولما ارتكب ذات يوم سرقة ، ألحق العار بمهنته . فجاء الدباغون وحملوه على أكتافهم وطوّفوه في السوق ، ثم أهملوه ببابه . ومعنى هذا الوضع أنه طـرد من المهنة وأن عليه ألا يعـود لمزاولتها ، وأن يده «ترفع» عنها فلا يظهر مرة أخرى . وسيأتي ما فعله أهل فاس من حرفيين وفقهاء لمعاقبة الغشاشين في منتصف القرن الثامن عشر .

إلا أن هناك معاملات لا تقع تحت طائلة الزجر متى كان فيها تواطؤ . مثلا الدلال كان في بعض الأوقات والأسواق البلدية شريكا للتاجر المحتكر في رفع الأثمان وتضخيمها حتى لا يقتحم المستهلك ميداناً للمنافسة ، وحتى يصبح للتاجر إبقاء سيطرته على السوق ، مقابل رشوة تدفع للدلال المتآمر .

ولكن لا أرى بأسا من ضرب أمثلة تكاد تكون واقعية : للظرفاء نكتة عن ذلك النجار «السَّفْساوي» الذي ماطل زبوناً طيلة ربع قرن في صنع مهد . وصورتها أن أحدهم استصنع مهداً لابنه فلم يفعل النجار ، حتى إذا كبر الصبي وشب وتزوج ورزق طفلا ذهب لنفس الصانع عن نفس الغرض وحثه على الاسراع في إنجاز المهد (للحفيد هذه المرة) . فما كان من النجار الا أن خاطبه : « ما تكونشي زَرْبانْ بْحَال ابَّاك » .

مثال آخر عن المماطلة رواه الأخوان طارو في كتابهما عن فاس في شأن الخراز المسوف . وكان هذا الأمر يحط في أعين الناس من شأن المهنة ويضر بأهلها بالغ الاضرار .

الحكم في الدرجة الأُولى كان من اختصاص الأمين الذي كان يفصل بين المتعلمين والمعلمين من جهة أولى ، وبين التجار والمعلمين والمستخدمين من جهة ثانية ، وبينهم وبين الزبناء من جهة أخيرة . الأمين كان إذن رئيسا لكافة الحرفة ، ساهرا على حفظ كرامتها . ولذلك كان عليه أن يتوسط ويتدخل ، فاذا عظم الأمر عليه ، أحاله على المحتسب الذي قد يرده الى حكم الباشا لمقاضاة المخالف أو الغشاش .

وبذلك كان حَكَماً ، وكان قضاؤه الشفوي المعجل نافذا ومُسمَّطا في الغالب لسهولته ، لا يكاد يستنكف منه أحد ، إلا اذا خرج عن دائرة الانصاف وحاد عن قواعد الحرفة وما تفرضه تقاليدها الموروثة .

كانت وظيفة الأمين مجانية ، وكان ماهرا في شؤون الحنطة يعرف البضائع المغشوشة والمعاملة المحرمة . وكان متصفا بمروءة وأخلاق طيبة وذا بسطة في الرزق تمكنه من مزاولة التحكيم ومن مباشرة نشاطه المهني معاً .

ولذلك كان يتولى أيضا « شياخة المخزن » التي كانت تخول له ـ ضمانة وتأييدا ـ حق الحصول على بعض الخدمات الادارية والحبُسية كالبناء والنجارة والحصارة بمشاركة غيره عند حدوث السمسرات .

* * *

4 : **الولاء السياسي والديني** : وفي كل عيد ، كان الحرفيون من كل مدينة يوجهون أعيانهم وهداياهم الى السلطان ، تعبيرا عن ولائهم وطاعتهم السياسية والدينية .

وثمة أعراف وتقاليد كان لا بد من مراعاتها . كان لكل حنطة سيدها أو وليها الروحي . مثلاً بمكناس كان اللبّانون كل سنة يدينون بالولاء لسيدي أبي زكري فيقدمون مجانا للحاضرين كؤوسا دِهَاقاً من الحليب . وفي عيد الأضحى ، كان الجزارون يشتركون في شراء ستة رؤوس من الغنم ويغسلون ظهورها ويخضبون صوفها بالحناء ويهدون كبشاً منها للامام خطيب العيد ، والخمسة الباقية كانت توجه لدار المخزن ، وذلك احتفالا من هاته الحنطة بموسم سيدي عبد الرحمان المجذوب . الدرازون كانوا يسهرون ليلة سيدي علي الشريف الوافي بجامع الزيتونة . ومثلهم في ذلك أصحاب الأفران تكريما لمولاي عبد الله بن حَمَد ، والرحويون تعظيما لمولاي يوسف . ومثل ذلك كان ولا شك بمدن ونواح أخرى .

وبكافة المدن ، كان السفاجون يتصدقون بأول اسفنجة مقلوة لأول قادم عليهم صباحا ، وتسمى تلك الهدية : « العبّاسية » إهداءاً الى الولي أبي العباس السبتي دفين مراكش . وكان لكل حرفة علَمها وشِعارها ووليّها على وجه التقريب .

* * *

5 : **تصنيف الحناطي** : وإذا نظرنا الى ترتيب أهل الصنائع اليدويين أو الآليين ، وجدنا أن الخراز كان يوضع في المقدمة ولعل ذلك لنظافته . ويأتي بعده البناءون والنجارون الذين يقضون العمل في الهواء الطلق تحت وهج

الشمس والغبار والأتربة . أما الصباغ والدباغ فكانا في وسط السلم . وكان ذلك في الغالب بسبب مشاق المهنة وطبيعتها . وفي الدرجة الدنيا يقع السمسار ، بينما كان الحداد في الدرك الأسفل حتى كانت شهادته أمام العدول مرفوضة ولا سيما بنواحي الريف .

لكن كيف يصنف غيرهم ؟ الحجام كان صديق الأسرة في قضاء بعض الخدمات الخصوصية بفاس وبغير فاس .

والقراب ؟ أليس متسولا يستجدي المارة ، ولو أنه كان يسقيهم من مائه الذي مَتَحَه وجعله في قربته ؟ أليس يستعان به في إخماد الحرائق مثلا ؟

والزرزاي ؟ كان ينقل البضائع كما كان يحمل البشر : العاقل الى حيث يريد والمجنون الى حيث لا يريد كالمارسْتان ، وكان أيضا يعين على جلد العبد الآبق أو العاصي .

حنطة الحمالين والجمالين كان يدور في فلكها آخرون كالرزامين والزطاطين والرقاصين .

كان الرصاصون والرحويون من فقراء سوس ، حيث تعلموا صناعة المعادن وإتقانها . أما القزدارون فكانوا بمراكش وفاس والرباط من يهودها الذين كانوا يعرفون أيضا صياغة الذهب والفضة والتمويه بهما . وكانت منزلة اليهود في المهنة منحطة عند المسلمين ، لما هو موروث ومعروف .

والجدير بالاشارة أيضا أن الآفاقيين ، أي النازحين من البوادي ، كانوا يمتهنون حرفا متواضعة لا تحتاج إلا الى شيء من المعرفة البسيطة كالحَمَّاسين والرواسين والكفايْتين والكوايْحيين ، أو إلا الى قوة العضل كالحمالين والنقالين والشطابين والحفارين .

على أن هناك حرفاً لا بد فيها من المام - ولو بسيط - بالقراءة والكتابة ، كالنقاشين والنساخ والخطاطين . وثمة مهن قروية كالفلاحة وتربية

المواشي ، ومدنية كالتزويق وصنع المجاديل والطرابيش ، ومختلطة كالسمارة وصنع الاسفنج . وكانت بالمغرب فنون هي آية في الروعة والجمال : الحفر والنقش ، والتخريم والتزويق ، والتسطير والتوريق ، سواء كانت على الجدران والسواري والأرض والسقف ، أو على الأثاث المنزلي كالصناديق والموائد ذات الصناعة المنبتة المرصّعة بأغصان الليمون والأصداف البراقة مثلا .

ومن حيث المهارة كان الصناع أنواعا : المعلم «الرقايْقي» أو «الصنايْعي» أي البارع ، والمعلم الشغايلي أي العادي أو من لا يحتاج في مهنته الى خبرة كبرى أو من كان مكملا لصناعة غيره .

وغالبا ما كانت الحرف عَمودية (أي إنتاج نوع واحد) . ويمكن أن نقول ان بعضها كان ، نوعاً ما ، أفُقيا ينتج بضائع مختلفة ، أو كان يُستعان فيها بصناع آخرين . فمقاول البناء كان مفتقرا الى معونة النجار والحداد والصباغ والجيار وأحيانا الى الجباص والزلايجي . وكان يعد من الموسرين ، يتعدد ربحه بتعدد الخدمات والتوسط في إنجازها .

ولربما عدت بعض المهن مُربِحة وغنية ، كالبِزازة والنِجارة والبِناء والصِّياغة ، وأخرى كانت تعتبر فقيرة كالحِصارة والشّراطة .

وأكثر الحرفيين كان منتجا وتاجرا ، لكن كان منهم من لا ينتجون وإنما يبيعون ويشترون (الخضار والبزاز والبقال) .

ومن الحرف ما كان خاصا بالنساء كالقابلة والماشطة والعريفة ومنها ما كان لا يسمح به إلا للرجال كالنجارة والبناء . ومن المهن ما كان يمارسه الرجل والمرأة على اجتماع أو على افتراق ، كالخياطة والنسج .

ومن أهل الخدمات من كان وسيطا كالسمسار والسواق والتاجر أي البيّاع الشرّاي ، ومنهم من كان يُكري صوته وخطواته (البراح والدلال) ، أو ظهره (الزرزاي) ، أو دابته ونفسه معا (الحمار) .

ولئن كان للمهن الصناعية والتجارية « أميناتها » أي رؤساء حرفها ، فمثل ذلك لم يكن ــ على ما أعلم ــ للوظائف المأجورة والمهن القروية كالفلاحة إلا ما كان من شيوخها وعرفائها ، والا ما كان يجب على الحماليـن أن يجعلوا ضامنا وأمينا ، مثلما يتخذ الرقاصون ضامنا عن الأموال التي ينقلون ، خشية ضياعها أو سطو اللصوص عليها . وكان على الخياطين المبتدئين قبل ممارسة المهنة أن يعينوا ضامنا لهم عن الأثواب التي كانت تسلم إليهم ، مخافة السرقة أو فساد الصنع .

* * *

6 : **التأثير الأجنبي** : كان عدد من فروع النشاط الاقتصادي يباشر على يد مستوطنين أجانب كالاسبانيين (البناء والنجارة أو التجارة والفلاحة) . وقد أفضت مزاحماتهم للمغاربة ، في الداخل والخارج ، إلى تكبيدهم خسائر جسيمة ، لكنهم استفادوا من معرفتهم وخبرتهم .

احتفظ النجار بأسماء ماعونه أو دوزانه الاسبانية ، واستجلبت ناعورة نسج الحرير من إيطاليا ، ورابوز الحداد أو كيره استقدم من الشرق أو من السودان . أما معاصر الزيوت وبعض الملابس والحمامات فهي ذكريات العهد الروماني أو القرطاجني ، زد على ذلك أن التطريز منقول في بعضه عن الخارج : في أزمور كانت له رموز إيطالية واسبانية يرجع عهدها الى القرن السادس عشر . أما الطرز الفاسي فمستمد من سوريا وتركيا ، والطرز السلاوي من أصل فارسي أو شامي ، والطرز التطواني من أصل بلقاني .

* * *

7 : **النشاط الاقتصادي جغرافيا** : وعن توزع الصناعات والحرف بالمدن ، فقد كانت أوربا ــ قبل ظهور البخار والكهرباء بها ــ تنتج نفس البضائع على طريقة كادت أن تكون موحدة أو متقاربة .

وقد يكون لكل حاضرة مغربية اختصاص . فاس اشتهرت مثلاً بنسج الصوف والحرير والطرز به ، ونقش الخشب وخرطه وصبغه ، وتجليد الأثاث وتسفير الكتب وتذهيبها وصنع الأدوات الفخارية البيضاء أو المزوقة .

وامتازت مكناس بالطرز الملون وصياغة الحلي وتزويق الخشب .

أما الرباط فعرفت بزرابيها وبطرزها الجميل المنقول عن العدوة الأخرى : سلا التي تميزت بحصرها وبطانياتها الصوفية والنجارة المزوقة بأغصان الليمون وخزفها المزخرف .

على أن مراكش كانت متخصصة في صنع الأسلحة المذهبة والمفضضة والعاجية ، واشتهرت بجلودها الممقوصة والمطروزة وسروجها الفخيمة المزينة.

وعرف عن آسفي إتقانها لصناعة أواني الفخار المصبوغ بالألوان . والصويرة اشتهرت بنجارتها وخشبها وعرعارها المنقوش وحليها .

وهكذا كانت لكل مدينة خاصية منفردة أو صناعة مشتركة كتطوان التي ورثت — هي وسلا وفاس — عن بلاد الأندلس نشاطا فلاحيا رفيعا كالزراعة السقوية وإنتاج الخضر والغلال ، ولكن أهلها كانوا ينافسون مراكش ويصنعون مكاحل مزخرفة بالذهب والفضة ويقدمونها هدايا للسلطان في الأعياد.

وعن البوادي ، كانت أشغالها متقطعة تنتظر نزول الغيث للبدء فيها ، أو اشتداد الحرارة للانتهاء منها ، تشترك في ذلك المرأة والرجل على السواء . وكانت المرأة القروية تنقش أيضا الأواني الخزفية وتنسج كذلك الزرابي والحنابل والملابس ، تطبخ الطعام وتحمل الحطب ، كانت تلك الصناعة معروفة بجفافها ، أو بقلة ألوانها ، أو بطابعها الفطري الموروث . فقبائل الريف والتسول وزرهون كانت تصنع الفخار الأحمر والأسود دون طبخه في الفرن ودون تبييضه بالمينا . وكانت نواحي صفرو تصنع حصر الحلفاء ، مصبوغة كانت أو طبيعية . وقبيلتا زمّور وكَروان امتازتا بمنسوجاتهما الصوفية . أما نواحي تادلة وزَيّان وبنو مطير وبنو مكَيلد وبنو وراين وكَيكو وكَلاوة وشيشاوة فاشتهرت بالزرابي المعقودة بأفضل أنواع الصوف .

كما عرفت مدينتا وزان وبزو بجلاليبهما وأنسجتهما الرفيعة .

* * *

8 : **تمركز البضائع والخدمات** : أما أين تطلب المصنوعات والخدمات وتختزن البضائع والأقوات ، فكاد السوق أن يكون عاما لجميع أنواع الصناعات أو خاصا بنوع البضاعة المقصودة ، ومثل ذلك الفندق والدار والحانوت .

ومن المناسب إحصاء هاته المراكز ، مرتبة ترتيباً متجانساً فيما بينها .

الصناعة : دار الصابون : مصنعه ، ودار الخَدْمة : ورش البناء وشبهه ، ودار الدباغ : المدبغة ، ودار فخّارة : للآجر والخزف ، ودار كَبْرَاتة : لتنظيف الثياب وتليينها ، ودار الصنعة : مصنع السلاح ، والطاحونة : للحبوب والقطاني ، والدراز : للحصر والنسيج ، والمرسى : للشحن والافراغ .

الخزن والبيع : القاعة : للبيض والدهنيات والمصبرات ، ورحبة الزرع : للحبوب والقطاني ، والرّوَا : للصوف ، ودار السلعة والخزين والهري والفندق : للبضائع ، والقيسارية : للمنسوجات .

التجارة : الجوطية : سوق البضائع البالية ، والبلاصة : السوق البلدي ، والحانوت والسوق والفندق ويختص كل واحد بمنتوجات معينة (حانوت العطار ، سوق السباط ، فندق الشماعين مثلا) . ودار الرهاين : للاقتراض والرهن .

انتاج الحيوان والأرض : دار الراعي : للعلف ، ودار الشوا : لشي الخرفان ، والسانية : للبقول والخضر ، والزّرِيبَة : للبقر والأنعام ، والكُرْنَة : للحيوانات الذبيحة ، والنادر : مجمع التبن .

الراحة والعمل وشؤون البيت : التّرِبْيعَة : منتدى الصناع والتجار ، والقهوة : مكان احتساء نقيع البن والشاي ، والموقَفْ : سوق اليد العاملة ، والكُلْسَة : محطة الحمالين ، والفُنْدَة : المطعم ، والفرّان : للخبز ، والفرنق أو الفرْناطْشي : لتسخين ماء الحمام وإنضاج القدور وشي الأكاريع ، والحمام : للاغتسال .

الخدمات الادارية والقضائية : بساط العدول : شارع دكاكينهم ، ودار القاضي : محكمته ودار القايـد : محكمته ، ودار المخزن والبْنيقَة : مكتب اعضاء المخزن ، ودار عديَّل : بيت المال (فاس) والمنجرة الصغرى : مكتب المحتسب ، والمنجرة الكبرى : مكتب ناظر الأحباس .

التعليم : المسيد : لتعليم الأطفال ، ودار المعلمة أو دار الفقيرة : لتعليم البنات المهن البيتية .

والكثير من هاته المصطلحات مغربية صرفة ، قد تكون في معانيها مختلفة عما هو معروف في بلدان عربية أخرى .

هاته جملة من المعطيات والمؤشرات التي صبغت المجتمع المغربي قبل القرن التاسع عشر وظل بعضها ساريا حتى الآن في كثير من الحناطي (1) . فمن هم أهلها ؟ وما هي أنسابهم ؟

ذلك هو ما سيرد في هذا المعجم الصغير .

* * *

المطلب الثاني : دليل الأنساب المهنية

سأتحدث عن المحترفين من صناع وتجار معاً أو تجار فقط وأهل الخبرة منهم وطبقات المأجورين في الحرف والفلاحة والادارة وفي أوقات الراحة والأفـراح . وبالكـلام عنهم سأحصي في الواقع انواع النشاط الاقتصادي والاجتماعي والاداري .

وهكذا سعيت الى استقصائهم ، دون ان آتي بالمصدر كالنساجة وعوضته مثلا بالدَرّاز لأن نسبَه المهني كان تدرّازْت . وسبب هذا أن صوغ المصادر كان عندنا في اللسان الدراج مغربيا مُبَرْبراً مثل تَقَهواجيت ، ولهذا أوردت النسب الحرفي وحده ، على خلاف في التسمية بين مدينة ومدينة ،

1 . استلهمت هاته الافادات عن النظام الحرفي مما تلقيته شفاها من فضلاء مدينة سلا في اعرافهم وتقاليدهم ، ومما لا يزال عالقا بالذهن من اقوال الأسلاف المرحومين في مصنوعاتهم واصطلاحاتهم وآدابهم ، ومما مارسته في الصغر من تجارة صغيرة ونجر الأخشاب (1942 — 1946)

وناحية وأخرى ، مرتبة حسب حرف متشابهة أو أعمال متقاربة ، تتجاوز 320 نوعا ، دون اعتبار المتكرر والمترادف .

وقبل إيـراد هاتـه الأنساب المهنية ، أود أن أنبه الى أن هاتـه الأنطولوجيات لا تكاد تخلو — في نظري — من فائدة تاريخية لاستكناه شبكة العلاقات الاجتماعية التي كانت خاضعة لضوابط قِيَمية وعُرفية وفكرية ، وللاطلاع على مدى تقسيم العمل داخل بنية المجتمع التقليدي المغربي ، مما لا يصح أن يغفل عنه علمـاء الانطربولوجيا والاجتماع والتاريخ وغيرهم في تحليلاتهم . فقد كانت الحرفة — طبعا — إحدى القنوات التي تربط الأفراد داخل هذا الهيكل الاجتماعي الاقتصادي وتستقطب القسط الأوفر من السكان النشيطين .

غير أني التزمت بسوق كل نسب مهني ببلادنا — على ما في ذلك من طول — دون التعرض لغيره ، مما ذكره عز الدين ابن الأثير في كتابه « اللباب في تهذيب الأنسـاب » المصنف في القرن الثالث عشر الميلادي بالمشـرق العربي ، والذي وصل بها الى 4.151 نسبا ، منها 483 انتماءاً مهنيا ، بحسب دراسة معن خليل عمر .

ولا يجوز الاقتباس من هاته المؤلفات ، لبعدها زمانيا عن القرن التاسع عشر ، ومكانيا عن المغرب ، ثم لاختلاف المدلول اللفظي هنا وهناك ، مثل القمّاح الذي هو البرْغاز أو الحنّاط بالمغرب والفاخراني الذي هو الفخّار عندنا ، ولو أن هناك تطابقا في تسميات أخرى كالخشاب والزيات والقطان والصواف والعسال والقزاز واللباد والنخاس والحداد والسراج ..

لكن للأبحاث التي قام بها الأستاذان عبد القادر زمامة والمرحوم عبد السلام بن سودة فائدةً كبرى في هذا المجال . وعليها اعتمدت في الأساس لوضع هذا المعجم .

وقد التجأت الى الذاكرة والسؤال فيما لم أقف عليه في المصادر . وإن ما سيأتي سيصدق على الحواضر والبوادي بوسط المغرب ، مع احتمال وجود اختلاف يسير في التسمية ، دون ادعاء أن ما سأرويه منها « جامع مانع » كما يقال ، أو الزعم أن جمع المهن كانت مستقلة عن بعضها بعضاً ، لوجود حرف

ثانوية ترتبط ارتباطا وثيقا بنشاطات أساسية (خراط بالنسبة للنجار ، وجيار وقطاب بالقياس الى البناء) ، علما بأن من الخدمات ما كان موسميا غير دائم (حصاد ولقاط بالنسبة الى الفلاحة) ، وما كان يتوقف لسوء أحـوال الجو (بناء مثلا) ، وما كان مستمرا (دراز وتاجر) .

وآن لنا أن نعرف أهل الحناطي مرتبين في 16 مجموعة متجانسة وهي :

1 : إنتــاج الحيوان وبيعه

1 ـ بكّار وعلاف (معلف المواشي للذبح وللبيع وحتى للحلب)
2 ـ جمّال (مربي الجمال أو ذابحها أو بائع لحومها قديدا)
3 ـ كساب (مربي الغنم والمعز للنتاج)
4 ـ حلاب ولبان (بائع الحليب ومشتقاته)
5 ـ دجايجي (مربي الدجاج وشبهه من ذوات الريش وبائعها)
6 ـ حمامجي (مربي الحمام وبائعه) وقد يقال له حمايمي مثل صاحب مكان الاستحمام
7 ـ براطلي وطوايري (الطيور)
8 ـ بياض (بائع البيض وجامعه)
9 ـ صياد وحوات (صائد السمك وبائعه)
10 ـ بَغّاز (بائع السمك بالجملة بأزمور)
11 ـ شراح (مجفف السمك بأزمور ومملح النون بمرجات الغرب)
12 ـ ذباح وجزار وسلاخ
13 ـ كفايتي ودقاق (بائع الكفتة المشوية)
14 ـ كوايْحي (من يشوي الأكواح ، وهي قطع الشحم والكبد)
15 ـ خلاع (صانع الخليع وبائعه)
16 ـ سقايطي (جزار يبيع الأكاريع وما سقط من الكَرْنة)
17 ـ ابّاشوطي ، وأكّار ، وشوطة وحمّاس (طابخ الأكاريع وبائعها)
18 ـ روّاس (بائع رؤوس الغنم المشوية)

19 ـ شحام (بائع الشحم)

20 ـ دهان وسمان (بائع السمن ومصفيه وخازنه)

21 ـ عسال (بائع العسل)

22 ـ مشاط (صانع المشط)

23 ـ لباط (من يجز الصوف وشعور المعز)

24 ـ هيادْري (مشتري الهيدورة)

25 ـ خمال (بائع ريش النعام)

26 ـ شواط وحجّار وشواي (من يشوي الخرفان والأكاريع والرؤوس)

2 : إنتــاج الفلاحــة والغابــة وبيعــه

1 ـ فلاح وحراث (الخضر والحبوب)

2 ـ سوايني (إنتاج الخضر والبقول بالسانية بمدينة سلا مثلاً)

3 ـ غلايلي وخضار (بائع الخضر والفواكه)

4 ـ حناط وبرغاز (بائع الحبوب والقطاني)

5 ـ زيات (بائع الزيت وعاصرها)

6 ـ معصري وعصار (عاصر الزيت أو بائعها)

7 ـ بونَخّال (بائع النخالة ومشتريها)

8 ـ أرّاز (بائع الأرز)

9 ـ دقاق (بائع الدقيق)

10 ـ تبّان (بائع التبن)

11 ـ حمامصي وحماص (بائع الحبوب والقطاني المقلوة)

12 ـ فوال (بائع الفول المقلو أو المبخر)

13 ـ خمار (بائع الخميرة أو مقطر الخمور)

14 — قهواجي وقهاوجي (صانع نقيع البن والشاي ومقدمه للزبائن)

15 — حرايري (بائع الحريرة)

16 — خباز وفرارني وفرني (للخبز)

17 — سَفْناج وسفاج (صانع السفنج والحلوى المعسلة)

18 — طاحوني (من له مطحنة مدارة بحيوان)

19 — رحوي أو رحاوي (من له رحى مائية)

20 — نعانعي وإيقايْمي (بائع « الاقامة » أي النعنع ، والقزبر الخ ...)

21 — ابا حَلْوي وحلوي وعبَّادي (صانع الحلوى وبائعها)

22 — حطاب (قاطع الأعواد وجامعها وبائعها)

23 — بياض وفحام (بائع الفحم وحتى صانعه)

24 — كحَّاك وكحَّاكة (صنع الكعك)

25 — ثرادة (محترفة صنع الثريد وبائعته وربما صانعة أوراق البَسْطِيلة والمحَنَّشة والرغائف والمَلْوِية)

26 — فتَّالة (للكسكس والمحمصة)

27 — دوّادة (فاتلة الدويدة أي « الشَّعْرية » ، وهي غير المعالجة)

28 — عجان وعجانة (للخبز والسفنج والبَغْرير)

29 — زياتني ورقاد (بائع المرقدات كالزيتون الأبيض والأسود المملح والمرقد الحامض والقارص والمخلل ، والخل الطبيعي والفلفل الحار المطحون السائل أو الكامل و « الريوجة » التي هي مشروب مخلل وحار بالفلفل والباذنجان والجزَر والخيَار وغير ذلك) .

30 — لقَّاط (جامع الأعشاب والثمار البرية والحشرات مثل النبق و « بوخَنْتُو » و « كرينْبُوس » والخروب والسَّلْق والبقْولة والرّجْلة وبوشنيخة والسعتر و « فَلْيُو » والشيح والبلوط والتّرْفاس و « غلالة » (الحلزون) والسرّمْبَق (البحرار) الخ . . .) .

3 : الغزل والنسج والاكتساء والتمنطق :

1 ـ حرار وقزاز (غازل الخيوط والأنسجة الحريرية وبائعها)

2 ـ براوْلي (غازل الخيوط الصوفية الغليظة التي هي البَرْوال)

3 ـ صواف (بائع الصوف وخازنه)

4 ـ قرادشي وقراشلي وحلاج (من يقرشل الصوف)

5 ـ قرداش وصباغ (للخيوط والصوف والمنسوجات)

6 ـ خياط وخياطة

7 ـ قياطني (صانع القياطين)

8 ـ طـرازة

9 ـ بزاز وقيساري (بائع القماش)

10 ـ زرادخي (بائع قماش الزردخان)

11 ـ دراز (للنسيج والزربية والحنبل والأغطيات)

12 ـ حصار (صانع الحصر) ومنه شرايطي وخيايطي أي صانع الحصر ذات سدى الشريط المفتول (الدوم) أو ذات سدى الخيط (القنب) ولحمتها جميعاً من سمار .

13 ـ شراط وقنانبي (صانع شريط الدوم والقنب)

14 ـ طرابقي (صانع الطرابيق)

15 ـ شرايبي (صانع الشَرْبِيَة وهي الخمار)

16 ـ طرابشي (صانع الطرابيش)

17 ـ بطان ولباد (صانع اللبد والعمائم والشواشي)

18 ـ قطان (صانع المنسوجات القطنية)

19 ـ نيار (صانع النير ، أي نَوْل المناسج للحرارة والدرازة)

20 ـ مجادلي (صانع المجاديل الحريرية وشبهها)

21 ـ مشامري (فاتل المشامير وهي مجاديل من حرير ومن خيوط مذهبة)

22 ـ مضايمي (صانع مضمّات الرجال والنساء)

23 ـ حزايمي وكراز (صانع الكُرْزِية وهي منطقة صوفية للرجال)

24 ـ بزايمي (صانع الابزيم)

25 ـ شرواط وشراوطي واباشرويط (تاجر الأسمال والأشياء البالية)

4 : **الجلد والانتعال والفراش :**

1 ـ خراز (صانع البلاغي للرجال)

2 ـ شرابلي (صانع شربيل النساء)

3 ـ روايحي (صانع الريحية والمشاية للنساء)

4 ـ سبابطي (صانع السباط) ، والأربعة كلهم من الخرازة .

5 ـ شكايري (صانع الشكائر)

6 ـ براطمي (صانع البراطيم)

7 ـ سطارمي (صانع السّطْرمْبِيات والأرائك)

8 ـ فراش وصناع وسدار (من يحشو الفراش بالصوف وغيره)

9 ـ دباغ

5 : **الانشاء والابتناء :**

1 ـ زواق وجباص (زخرفة الجدران والسقوف أو تزويق هياكل شموع المولد النبوي بسلا)

2 ـ وراق ونقاش (على الخشب والمعادن)

3 ـ حجار (ناحت الحجر أو مقطعه)

4 ـ زلايجي (محترف التزليج)

5 ـ رخّام ورخايمي (صانع الرخام وواضعه) ويسمى أيضا نقاشا

6 ـ بَنَّـاي

7 ـ رَكّاز وسقاف (راكز الخشب في الجدران ومسقف البيوت)

8 ـ لواح (محترف البنـاء بطابية التي هي مـلاط نصفه من الجير المصفى والنصف الآخر من الرمل)

9 ـ رمال (بائع الرمال ومستخرجها)

10 ـ لْواجْرِي (صانع الآجُر)

11 ـ صباغ وجيار (الطالي بالجير والصباغة)

12 ـ جيار (صانع الجير أو بائعه وبائع «تادُوقَّة» أي الطين الأصفر المسمى «الصَنْصَال» لصنع «النوافخ» الطينية أو إصلاحها)

13 ـ نجار ، وهو أنواع منها السبع الوارد ذكرها :

14 ـ بلالطي (صانع القوارب من شجر البلوط بمدينة سلا)

15 ـ خشاب (بائع الخشب وجالبه من الغابة)

16 ـ نشار (ناشر الأخشاب الكبيرة)

17 ـ خراط (خرط الأعواد الصغيرة)

18 ـ عـواد (صانع أدوات العود)

19 ـ قواقبي (صانع القواقيب وهي أحذية من خشب للوضوء والغسل)

20 ـ كوافري (صانع الصندوق المدعو الكوفري)

21 ـ بـلاج (صانع المغاليق)

22 ـ مسامري (صانع المسامير وغيرها وبائعها)

23 ـ خرايصي (بائع الخرص والأقفال وغيرها وصانعها)

24 ـ جوالقي وقزادري وفنايري (صانع أدوات القصدير والفنار أي المصبـاح)

25 ـ حـــداد

26 ـ كيار (صانع الكير للنفخ في نار الحداد والسمار)

27 ـ زجّاج (بائع الزجاج ومقطعه)

28 ـ زفات (صانع الزفت والطالي به) ومثله الجلفاط أو الكلفاط الذي يصلح السفينة ويطلي حزوزها بالزفت والقطران

29 ـ قطارني (صانع القطران وبائعه)

30 ـ مقاول ، مباشر

6 : **التأثيث المنزلـي :**

1 ـ مهارزي ونقايشي وصفار (صانع أدوات الصُّفر وهو النحاس الأصفر ومذيبه)

2 ـ طناجري (صانع الطناجير من النحاس)

3 ـ صوايني (صانع الصواني)

4 ـ كدّار (صانع القدور)

5 ـ فخّار وكواش (صانع الأواني الخزفية وطابخها في كوشته)

6 ـ شماع (صانع الشمع أو بائعه او مزخرفه)

7 ـ دلاي (صانع الدلو)

8 ـ سفاط وسلال (صانع الأسفاط التي هي السلال)

9 ـ قصاب وقلالمي (صانع الأدوات القصبية من سلال أو أقلام)

10 ـ براملي (صانع البراميل)

11 ـ كفاف (صانع القفاف)

12 ـ قباب (صانع القباب الخشبية للحمام وغيره)

13 ـ قفاص وقفاز (صانع الأقفاص)

14 ـ غرابلي وتيّال (صانع الغرابيل وبائعها)

15 ـ روابزي (من يصنع الرابوز للنفخ في النار المنزلية)

7 : **النظافـة والصيانـة :**

1 ـ غواسلي (بائع الغاسول ـ مراكش)

2 ـ صوابني (محترف صناعة الصابون) ويسمى أيضا صابونجيا

3 ـ صبانـة

4 ـ حمايمي (صاحب مكان الاستحمام) وقد يقال له حمامجي مثل بائـع الطيـور

5 ـ ݣلاس الحمام وݣلاسته (حراسة الثياب في الحمام)

6 ـ غسال وغسالة (للأموات)

7 ـ كسال وكباس وكياس وطيابة (دلك الأطراف وتقديم الماء في الحـمـام)

8 ـ فَرْناتْشي (مسخن مياه الحمام)

9 ـ صقال (من يصقل الأواني المعدنية)

10 ـ كَبْرات وقصّار (منظف الثياب من الأوساخ ، ومطهرها بالكبريت والدلك والغسل والتليين)

11 ـ شيات (من يستعمل الفرشاة للتطهير)

12 ـ شطاطبي (صانع الشطاطيب وبائعها)

13 ـ شطاب وبكّار وزبال (كناس)

14 ـ بيار وغطاس وعوام (متعهد الآبار والمطافي بالحفر والاصلاح)

15 ـ قناقني وقنوي وقوادسي وشيخ الماء الحلو (مصلح الميـاه ومتعهد المجاري)

16 ـ كناف وخمال وشيخ الماء المضاف ومول بوخرارب (متعهد المياه القذرة والأوساخ)

17 ـ مول الواد (مراقب المجاري)

18 ـ ݣصاص (من يجصص السطوح)

19 ــ طحان وطراب وسماط (من يحد الأمواس والشواقير وأدوات القطع).

20 ــ ذواب وقزدار وكواي (مصلح الأدوات والأواني)

21 ــ مواكني (مصلح الساعة التي هي المكانة)

22 ــ سفار (للكتب والجلد)

23 ــ ملاخ وطراف (مرقع الأحذية)

24 ــ ابّاعدّي وَبَعَدّي (إسكافي بدوي ، بمراكش)

25 خجام وحلاق وحفاف (لحلق الشعر وضرب الرزة على القالب) . وليس كل حلاق حجاما ، فلهذا الأخير اختصاصات أخرى ترد في الفقرة الموالية .

8 : **العــلاج** :

1 ــ حجام (تجبير العظام المكسورة ودلك المفاصيل الزائغة وردها وقلع الأضراس وإعذار الأطفال والفصادة وخدمة المدعوين في الحفلات) . وقد يطلق على خاتن الأطفال بمدينة سلا لفظ «الفقير»

2 ــ بيطار (معالج الحيوانات بالكي والجرح)

3 ــ صفاح وصفائحي وسمار (معالج حوافر البهائم وقد انتقلت اليه أعمال البيطار)

4 ــ طبيب وجــراح

5 ــ كحال (معالج أمراض العيون)

6 ــ قابلة (مولدة وغاسلة للأطفال الموتى)

7 ــ عشاب (بائع الأعشاب والعقاقير والحيوانات المصبرة)

8 ــ ضراب الكيسان وضرابتــه (معالجة بعض الأمــراض بالقارورة لامتصاص البرودة من الجسم)

9 ــ دوّاد ودوّادة (إخراج الدود من الأذن)

10 ــ عوّاد وعوّادة (إخراج «التّوكّال» أي التسمم من المعدة)

11 ــ كواي (من يكوي لعـلاج بوزّلوم (داء المفاصل) وبوصفّير (اليرقان) وغيرهما).

12 ــ حداد (من يحد الأمراض الجلدية مثل «النار الفارسية»)

13 ــ تفّال (من يبخ بريقه في الفم أو غيره لاستجلاب «الشفاء»)

14 ــ سبّاب وفقيه وطالب : كاتب الرّقـى والتمائم والحروز «والهَنْدة»

15 ــ يقاش (جامع الحروز وبائعها)

16 ــ عزام وسحار وحكيم (وله معنى السحر والشعوذة وطرد الجن)

17 ــ شواف وشوافة وضاربة الخط الزناتي والفال وكّزان وكّزانة (لاستطلاع الغيب)

18 ــ جبار (من يجبر الكسر)

9 : **النقـــل** :

1 ــ حمّار (ناقل بالحمار داخل المدينة)

2 ــ جمّال (ناقل بالجمال من بلد الى بلد)

3 ــ صحّاف (ناقل الأموات وخدور العرائس)

4 ــ حمال ومكاري ومعاش وطالب معاشو وزرزاي (حامل على الظهر أو على الدابة)

5 ــ رقاص (حامل البريد راجلا أو راكبا من مدينة لأخرى)

6 ــ كّراب ولامين (ناقل الماء في كّربته وبائعه)

7 ــ نقال (حامل ما في القاعة من دهنيات وعسل وخليع على الدابة أو على الظهر الى المنازل والدكاكين)

8 ــ براوطي وكرارسي (حمال عند اتخاذ الكراريس والبراويط)

9 ــ رفاد وطراح (ناقل الخبز الى الفرن أو مدخله في بيت النار)

10 ـ قطاب (سائق حمير تحمل مواد البناء)

11 ـ فلايكي (بحري ينقل الركاب من ضفة الى ضفة) ، ومثله غَرَّاب

12 ـ حنَّاش وشكَّام وكُوساس وجاسوس (ناقل الأخبار)

10 ـ الركـوب والسـلاح :

1 ـ سراج وسرايجي وسقاط (صانع السروج وبائعها)

2 ـ سناح وسلاح وزنايدي (صانع الأسلحة وبائعها)

3 ـ سرايري وسرّار (صانع عكاز البنادق)

4 ـ جعايْبي (صانع جعاب المكاحل)

5 ـ برادعي (صانع البرادع)

6 ـ غماد وجواي (صانع غشاء السكاكين والسيوف)

7 ـ وَشّاي (محترف نقش ركاب الخيل)

8 ـ رماح (صانع العصي والرماح)

9 ـ كماخ (من يتولى «تكميخ» عظام السروج وصقلها وتليينها)

10 ـ شكايمي وشكام (صانع الشكائم)

11 ـ الأفـراح والزينـة :

1 ـ آلي ورباب وعواد وكمنجي وطرار وغياط وغناي وطبال وكَنابري وشطاح ورايس (للطرب والرقص)

2 ـ شيخة وطبالة وشطاحة ورايسة وزفنية (للغناء والرقص)

3 ـ دقاق رمضان ونفار (موقظ الصائمين للسحور)

4 ـ منشد ومسمّع وذكار ومادح

5 ـ حضّارة وفقيرة (منشدة الأذكار والصلوات وقارئة القرآن)

6 ـ بواق (صانع البوق والغيطة والنفير)

7 ـ طرايري (صانع الطر)

8 ـ قصايدي وكرايحي وقوال وشيخ الكلام (حافظ الشعر الملحون أو ناظمـه)

9 ـ شيخ الرماة (مدرب الشبان على الرماية)

10 ـ كناوي (من يرقص ويغني مثل كناوة)

11 ـ ولد سيدي احماد وموس (بهلواني معروف)

12 ـ قراد (مدرب القرود ومروضها)

13 ـ خراف وفداوي وحلايقي وعجايبي ومداح (من يحكي الأزَلية أو يعقد «الحَلْقَة» في الأسواق والساحات)

14 ـ ملاعبي ومساقري (مسايف)

15 ـ بواردي وباردي (اللاعب بالبارود)

16 ـ خطابة (خاطبة العروس)

17 ـ ماشطة وعراضة ونكافة (مزينة العروس)

18 ـ حناية ورشامة (من تخضب بالحناء وترسم بها نقوشا على اليد والرجل . وقد تكون أيضا طرازة وثقابة آذان البنات الصغيرات)

19 ـ زغرادة وجراية وجلاسة العروس (تابعة للنكافة وتتوسط بين العريس والعروس)

20 ـ سكاك وتكَمْوتي وصائغ وجواهري ودكاك وذهايبي وشلال وفضاض ونقايري ونقار (من يتولى التذهيب والتفضيض والاصلاح والصياغة والتذويب والنقش على المعادن الثمينة والأحجار الكريمة)

21 ـ قطار (من يتولى تقطير ماء الورد والزهر)

22 ـ نوايري (بائع الأزهار وجامعها)

23 ـ طيابة وتراسة ومعاونة (لأعداد الشراب والطعام في المناسبات)

12 : **التجـارة** :

1 ـ كغاط وكفاد (بائع الكاغد وربما صانعه أيضا) ومثله الورّاق

2 ـ كُتْبي (بائع الكتب)

3 ـ سقاط (من يبيع بالتقسيط)

4 ـ جمّال (من يتجر بالجملة ، وهو ضد السقاط ، وغير الناقل بالجمـال)

5 ـ جلاب (من يجلب البضائع من الأسواق البعيدة للبيع)

6 ـ حوانتي (صاحب الدكان)

7 ـ سمسار (الوسيط في بيع العقار والبز وغيرهما)

8 ـ شريك ومخالط ووكيل ونائب (ويدعى أيضا «أخِينْطي» أي عميل)

9 ـ مُول قْلَبْ شَقْلب ومتسبب وسبايبي (من يتولى شراء الأشياء البالية وبيعها)

10 ـ ملاك (من له الأملاك أو من يشتري المتهدم من المباني ويتولى بيعها بعد إصلاحها)

11 ـ معمَّر عليه ، وموّال (من له مال يستثمره أو يقرضه)

12 ـ سواق (من يشتري ويبيع في الأسواق)

13 ـ مزايدي (من يزايد في السمسرات والبيوع)

14 ـ وســاق (مصــدر)

15 ـ ضامن (في الأداء أو في الخدمة)

16 ـ بياع شراي ، تاجر

17 ـ غيّار وصرّاف وصرارفي (مبدل العملة)

18 ـ نخاس (متجر في الرقيق)

19 ـ حناط (بائع الحنوط والأعشاب) وهو غير البرغاز

20 ـ عطار (بائع التوابل والعطور والعقيق والصابون وأدوات الكتابة والخياطــة)

21 ـ بقال (بائع الأدم وغيره)

22 ـ قشاش (بائع القشوع أي القشاوش وهي الأدوات المعدنية والزجاجية واللعَب)

23 ـ دخاخني (من يبيع التبغ والدخان)

24 ـ ملالحي وملاح (صانع الملح وبائعه)

25 ـ قراد ومحنّاط (بائع متجول ببضاعته دون حانوت له)

26 ـ فلاس (من يبحث في مياه الوديان والقمامة عما سقط من قطع وأدوات معدنية لبيعها)

27 ـ عواج (بائع المصنوعات العاجية)

13 : وظائف دينيـة وقضائيـة :

1 ـ إمام (في المسجد والمجزرة)

2 ـ خطيب (يوم الجمعة والعيد)

3 ـ مؤنس الغرباء (مؤذن ذو صوت ندي لتأنيس الغرباء والمرضى) وقريب منه شفاع وهلائل ومؤذن .

4 ـ مشفع وحزاب (قارىء أحزاب القرآن في المساجد)

5 ـ مؤقت وميقاتي

6 ـ عالم وفقيه ومحدث ومفتي

7 ـ قاضـي

8 ـ سجان وحباس (من يسهر على تنفيذ العقوبات)

9 ـ ناظر (ساهر على مصالح الأوقاف والمارستانات)

10 ـ وكيل الغياب (للسهر على حقوق الغائبين عن الميراث)

11 ـ بوموارث (لحفظ الاراثة المنقطعة)

12 ـ عون (بمحكمة القاضي)

13 ـ عدل (من يتلقى الشهادات ويوثق العقود بالمرسى والنظارة ومحكمة القاضي)

14 ـ واعظ ومورق وسارد الحديث

15 — درار ومُدَرِّر وفقيه (مؤدب الصبيان في المدن)

16 — مشارط (معلم الصبيان في البوادي)

17 — طَالَب (من له معرفة بالقراءة والكتابة) ويطلق أيضا على المشارط وعلى الكاتب المخزني

18 — حزان (عالم اليهود وإمامهم)

19 — خطاط وناسخ ونساخ (من ينسخ الكتب والرسائل)

20 — وكيل ووكايلي (نائب الخصوم لدى القضاء)

21 — شيخ الطريقة ومقدم الزاوية (للطوائف الدينية)

14 : وظائف إدارية وعسكرية :

1 — قائد وباشا وعامل وحاكم ووالي وخليفة وشيخ ومقدم وجاري وأمغار ومزوار

2 — محتسب

3 — كاتب

4 — خوجة وكتاتبي (دون الكاتب)

5 — ترجمان أو طرجمان (في القنصليات)

6 — مخزني (عون السلطة المحلية والمخزن)

7 — عريفة (شرطية لشؤون النساء)

8 — عسكري (جندي وله معنى الشاوش والشرطي أيضا)

9 — شاوش ومشاوري (من يستأذن للدخول على الحكام)

10 — أمين (للخرص والمرسى والمستفاد والحساب)

11 — نكاس ومكاس وعشار (جابي الجمارك وقابض المكوس)

12 — آغا وحراب وقائد المحلة وقائد الرحي (1000 جندي) وقائد المائة (100 جندي) وقائد الطابور وعلاّم وموان وخزان وعلاف (وظائف مخزنية وعسكرية)

13 ــ خيــال (فــارس)

14 ــ طبجي (مدفعي)

15 ــ رجلي (من المشاة)

16 ــ بحــري ومــلاح

15 : **خدمـات ماجـورة :**

1 ــ براح ، منادي (للاشهار)

2 ــ دلال ودلالة (للتوسط في البيع)

3 ــ قابض (للأكرية والغلات)

4 ــ وقاف (من يسهر على سير الأشغال وأداء الأجور للعمال)

5 ــ مطبعي وطباع ومصفف الحروف ومصحح الأغلاط (بعد دخول الطباعة الحجرية)

6 ــ وزان وعبار وكيال

7 ــ عيــار (للمعادن الثمينة)

8 ــ زبار (مقلم الأشجار)

9 ــ لقام (مطعم الشجر)

10 ــ سفاد (مكتشف الماء بواسطة غصن زيتون مثلا)

11 ــ خطاطري (حفار الخَطّارات)

12 ــ صرايفي (موزع المياه بالواحات مثلا)

13 ــ زراب (صانع الزريبة والحوش)

14 ــ حصاد ، دراس ، عزاب ، جنان ، جنايني ، بحار ، بحايري ، رباع ، خماس ، سارح ، خباز ، راع ، شوال ، رحال ، عدار (أشغال فلاحية وقرويــة)

15 ــ حياح (تقريب الصيد البري الى الصيادين)

16 — تراب وحفار (للقبور وغيرها)

17 — سقاط (للغلال والزيتون)

18 — كواد (للمكفوفين وللدلالة على الطريق ولقيادة الأنعام)

19 — سواق (للأبقار والأغنام)

20 — بيات وعساس

21 — بـــواب

22 — كلاس (متصرف في المقاهي والمطاعم وغير ذلك)

23 — رواي وطواع وسياس (سائس الخيول أو مروض الحيوان)

24 — زطاط وكشاف وشواف (حامي القوافل ودليلها في السفر)

25 — صانع (وهو دون «المعلم» وفوق «المتعلم»)

26 — مزوار (حارس حدائق السلطان)

27 — خدام وخدامة وخادم ومتعلم ومتعلمة وصاحب ومسخر ومسخرة وتراس ومعاون وعوين وتواز و «مكال قراب» (وظائف ثانوية)

28 — عريف المسيد (مراقب الأطفال بالمسيد)

16 : **أهــل الخبــرة :**

1 — لامين (رئيس الحنطة وحكمها) ، والجمع لامينات

2 — رايس (رئيس البحارة والفلايكية)

3 — عريف (أمين الجزارين)

4 — قبال (من يرتضي الخدمات المقدمة في التصدير والاستيراد ، وهو مرادف طرانزيطير)

5 — ابا مهاود (حكم للمهاودة بين الناس)

6 — خراص (مقوم الانتاج الفلاحي والزكاة والعشور)

7 — هنداز ومهندس ومقوم وخبير

8 — شيخ الفلاحة (خبير في شؤون الفلاحة لدى القضاء والمخزن)

9 — نقيب ومزوار ونساب (تقويم الأنساب) والمزوار أيضا كبير القوم وكبير الطلبة

10 — شيخ النّظَر أو البَصر وعارف (من يتولى معاينة العيوب والأضرار وتقديرها ومسح العقارات والأملاك وتقويمها)

11 — صنايعي وحرايفي (من يتقن صنعته)

12 — مول الشي وعزّي وعلاّم ومعلم (رب المعمل) . ويضاف إليه وصف صنعته (معلم نجار ، معلم بناي الخ) . كما يزيد «المتعلم» له نعتا آخر تأدبا معه ، مثل عزّي (اختصار عزيزي) فلان (عزي أحمد ، عزي عبد الله الخ) ، أو عمي الحاج أو عم الحاج ، إن كان من الحجاج المسلمين .

13 — قلاب (وهو الخبير ربما في الشؤون العقارية وحدها)

* * *

ومن هاته الحرف ما استمر حتى الآن ، ومنها ما انقرض أمره ، ومنها ما ظهر بعد ذلك بقليل أو بكثير . ومن الحق أن أؤكد أن هذا التعداد ليس تاما ، وقد يكون فيه خلط أو نسيان . لكن المقصود هو الالمام ببعض ما استحضرته منها ، وهو على كل حال خير من إغفاله .

هاته الحرف كانت كلها معروفة في القرون الماضية وطرف من القرن الحالي . وهذا إحصاء لها . ويفهم من سرد متعاطي هاته الحناطي وهاته الوظائف والخدمات المأجورة أنها كانت تخضع لرقابة ذاتية تضاف إليها رقابة الدولة في شخص المحتسب .

والآن لم يبق لي الا الحديث عن خطة الحسبة .

* * *

المطلب الثالث : خطـة الحسبـة

نظـام الحسبة الاسلامية مؤسسة اجتماعية لا يسوغ إغفال طابعها الأصيل وما تركته من آثار لضبط قواعد المعايشة في البيئة وصيانة المجتمع من التفسخ والتهتك . وهكذا كان للمحتسب اختصاصات تختلف باختلاف البلدان وتداول العصور ، وهي فوق ذلك تمتـاز بما لها من أصالة . وقـد دخل فقه الحسبة في فقه المعاملات ابتداء من القرن الثالث الهجري بالمغرب والأندلس معاً حتى قيل إن القضاء باب من أبواب الحسبة التي ظلت قائمة الذات منذ ذلك الوقت ، ولم يأفل نجمها إلا في بداية القرن العشرين الميلادي .

وبخلاف المطلبين السابقين ، صنفت كتب في شرق البلدان الاسلامية وغربها عن خطة الحسبة ، كما وضعت تآليف أخرى عنها بالمغرب لا تزال حتى الآن مخطوطة . ولعل في طبعها ما يفتح مجـالاً للبحث ، ويكشف النقـاب عما هو مندثر وغميس . وأغلب الظن أن العناية بالحسبة ترجع الى صبغتها الدينية والى ما أمر به الاسلام من صيانة الحقوق ورعاية المصالح ودرء المفاسد وجلب المنافع .

كانت سلطة المحتسب متنوعة : دينية وأخلاقية ، وأمنية ونظافية ، وقضائية وحرفية . والى ذلك كله سأعرض بايجاز من خلال بعض العصور . وسأذيل باعطاء نماذج من أعمال المحتسب المغربي .

* * *

1 : الاختصاصات الدينية والأخلاقية

كان المحتسب آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، حريصا على أداء الصلوات في أوقاتها ، وحضور المؤمنين صلاة الجمعة بالمسجد ، وإقامة الأذان ، والرقابة على الامام والمؤذن في بعض الأوقات ، ولومهما ان أساءا القيام بالشعائر الدينية . وكان يُلزم السادة الرفق بالعبيد ، ويمنع الاشتغال بالسحر والكهانة ، ويسهر أيضا على اتخاذ المآزر في الحمامات التي كان يدخلها

في زيارات مباغتة . وكان أحيانا يقيم الحدود على شاربي الخمر والزناة ، ويمنع قيام الملاهي ، ويحول دون سفور النساء وتبرجهن .

كان يحظر على المارة الترصد للنساء في الطريق والوقوف بالشوارع بدون موجب . وإذا أراد بَنَّاء" أو جيار الصعود الى السطوح للاصلاح أو للبناء كان لا يجوز له ذلك الا اذا أعلم الجيران بوجوب تستر نسائهم ، لئلا يطلع الغرباء على المحارم وعورات المنازل ، والا رفعت الدعوى الى المحتسب بذلك.

هذا القاضي كان يحظر التسول على القادرين على العمل ، ويحرم على كتاب الشوارع كتابة رسائل الهجو والسب والبغض ، ويمنع إقامة المنادب والنياحة .

* * *

2 : اختصاصات الأمن والوقاية

وفي عهود الاسلام الأولى كان يُعْنى بالتعطر بالمسك وقص الشارب ونتف شعر الأبط وحلق شعر العانة وتقليم الأظافر وتقصير الثياب . ويحكى أن شخصا التمس من أمير تعيينه في منصب الحسبة وكان طويل الثياب وذا شوارب مرسلة ، فرد طلبه لأنه كان عليه أن يكون محتسب نفسه قبل أن يكون محتسب غيره .

كان يرد الصبيان الضالين الى منازلهم ويرفق بالحيوان الأليف ، يخفف عنه الأثقال ويحبس الحيوانات الضارية مثل الكلاب ، ويجبر أصحاب المراكب على عدم حمل ما لا يستطاع من البضائع . وكان يسهر على نظافة الأسواق ، ويأمر أهل الحرف بتشطيبها .

كما كان حريصا على نظافة المدينة ، ومتطوفا بها لئلا توضع الأزبال في الأزقة والشوارع أو تهرق المياه القذرة وتطرح جيف الحيوانات بها . كما كان يسهر على حفظ الصحة أثناء ذيوع الأوبئة ، ويراقب السقائين لأجل نظافة القِرَب .

وكان يحول دون شغل الطريق العام بما يعوق حركة المرور ، وإذا تداعى جدار للانهيار أمر بهدمه حتى لا يصاب السكان أو المارة بأذى .

الحمامات كان يسهر على نظافتها ، ويأمر الكياسين بجعل المحاك في الماء والملح كل ليلة .

* * *

3 : الاختصاصات القضائية والحرفية

المحتسب كان حريصا على سلامة الأموال وصحة المعاملات ، مانعا لروجان العملة الفاسدة ، مراقبا للمطاعم والفنادق والأغذية ، متذوقاً للطعام للتأكد من حسن إعداده .

من مهماته الأولى كل ما يتعلق ببخس وتطفيف في كيل ووزن وما يرتبط بمطل وتأخير في أجر ودين والضرب على ايدي المخالفين .

وكانت له حسبة على الأطباء والعشابين أيضا ، وكان هذا يقتضي منه معرفة بأصول التطبيب والعلاج .

وفي ميدان الأجور والأسعار (2) والعمل واحتكار البضائع ، كانت للمحتسب أحيانا سلطة عريضة على التجار والصناع ، يحدد أوقات الخدمة للعمال ، ويفصل في النزاعات القائمة بينهم وبين الحرفيين ، أو بين هؤلاء بعضهم بعضا ، أو بينهم وبين الزبناء إذا ما تداعوا لديه مباشرة أو لدى الأمين قبله من أجل غش أو تدليس .

كان عقابه رهينا بالنوازل المعروضة ، فاما التعزير والتنبيه الذكي وكسر البضاعة الفاسدة ، وإما العقاب والجلد على رؤوس الملأ أو في محكمته ، وإما الذعيرة والاستصفاء والطرد من الحنطة أو حتى من البلد (في الأندلس مثلا)

---

2 . احمد التوفيق في « اينولتان » ج1 ص 333 وما بعدها اتى بمعدل للأسعار والأجور بدمنات خاصة في منتصف القرن التاسع عشر .

اذا تكررت المخالفة . وكان ثمة عقاب طريف وهو أن يجعل الغشاش في بيع في قفة كبيرة ، وترفع رجلاه الى السماء ، ويضرب على قيعانهما ويطوّف في أسواق المدينة .

وفي بعض الحالات الاستثنائية كان المحتسب يولى مناصب أخرى كالشرطة ونظارة الأحباس ونظارة المارستانات في عهد الموحدين ، أو يجمع الى الحسبة منصب وكيل الغياب أو ابي المواريث . وذلك ما يفيد أنه كان عالما بالفقه والبيوع ، مطلعا على أسرار المهن والمعاملات .

كانت الحسبة إذن وظيفة دينية ودنيوية معا ، فقد كان المحتسب يدعى رئيس الأمناء في العهد الوطاسي ، وكانت الخطة تدعى ولاية السوق ، أو أحكام السوق أو خطة السوق وصاحبها يدعى صاحب الحسبة .

وكانت تأتي في الدرجة الثالثة في نظام الولايات الاسلامية وتختلط في مزاولتها بخطة الشرطة .

وتذكر المصادر أن المحتسب كان له شأو بارز في العصر العلوي . كان السلطان محمد بن عبد الله هو الذي يصدر التعليمات والتوجيهات في ميدان الحسبة ، ومثله في ذلك محمد الرابع . أما الحسن الأول فقد تحدث عن الحسبة في وصية القرن الشهيرة .

4 : صور من أعمال المحتسب المغربي

الاختصاصات التي قدمت لا تنطبق حتما على المحتسب المغربي بل على المحتسب الاسلامي في الأندلس والشرق والغرب من المغرب الى بلاد فارس . وبودي أن أضرب أمثلة مختلفة عن المحتسب المغربي من خلال مزاولته لمهنته وأجرته ، وتعدد نشاطه ، وحزمه وغفلته ، وصلابته وصراحته .

وعلي أن أوضح قبل ذلك أن المحتسب كان موظفا لا يختاره المخزن من الأغنياء ، بل من أهل المروءة والخبرة والنزاهة والتعفف عما في أيدي الناس.

4 . 1 : أجـرة المحتسب

لم ترد في المصادر تفاصيل مستفيضة عن نوع الأجرة التي كانت تصرف للمحتسبين ، ولا سيما في العهد الرحماني . إلا أننا نعلم أن هذا القاضي المهني كان يتوصل بالانعامات السلطانية المبذولة اعتيادياً في شتى المناسبات لأعضاء المخزن ورجال القضاء والعلم . وكانت صدقة اكثر مما كانت أجراً .

وفي العهد المحمدي ، كان محتسب تطوان الحاج عبد العزيز الفَتَّاي يتقاضى من صندوق الأمناء 140 أوقية في الشهر . أما في عهد مولاي الحسن فارتفعت تلك الأجرة الى 40 مثقالاً أي 400 أوقية ، أديت من مال الأحباس لبعض المحتسبين في المدن الكبرى على الراجح .

وبديهي أن هذا كله لا يسمى أجرة ، لضئالة القدر الممنوح ، إذا علمنا أن باشا طنجة كان يقبض 50 ريالاً في الشهر أي 500 مثقال أو 5000 أوقية. وإذا عرفنا أن أجرة التراجمة والكتاب في القنصليات كانت المئات من الريالات بين سنة 1881 و 1884 ، وأن قنصل فرنسا بالصويرة كان يتقاضى بين 12 و 13 فرنك سنة 1880 مثلا ، حسبما ذكره مييج في «المغرب وأروبا» ، اتضحت لنا تفاهة راتبه الشهري .

ولهذا كله لم يكن تأجير المحتسب إلا جد زهيد . ولأجله كان أهل الحرف يجمعون له نسبة معلومة من مبيعات البضائع . كما كان الجزارون يدفعون له 25 سنتيماً عن كل كبش ذبيح ، فضلا عن رطلين من اللحم كل يوم ، وكان كل رحوي يؤدي له 6 فرنكات في الشهر . وطبعاً لم يسلم رجال الحسبة من تقاضي الرشوة ومن الانحراف .

وعن الحسبة ورشوة أصحابها قال ابن زيدان : «ولما فتحت أبواب الرشا والتهاون بأمور الاسلام والمسلمين على مصاريعها ، دخلت على هاته الخطة عوامل الاختلال والانحلال ، المؤديين الى الخراب والاضمحلال» .

4 . 2 : تنـوع نشاطـه

ينبغي التنبيه بادىء الأمـر الى أن المصنفات المغربية في التاريـخ والتراجم ضنينة علينا باسماء المحتسبين الذين تولوا هاته الخطة في القرن

التاسع عشر ، والى أن ما وصلنا عنهم إنما جاء عَرَضاً ، لا بطريق التدوين المنهجي المتلاحق .

ولهذا فلسنا مستطيعين أن نعرفهم بكاملهم ، ونطلع على أحوالهم وسلوكهم ، وندرك بالتالي الأثر الذي خلفوه في المجتمع الذي عاشوا بين أحضانـه .

ومهما يكن فلا بأس أن نسوق بعض ما تبعثر في التآليف من الحقائق وحتى من النوادر التي تبرز ـ من جهة أولى ـ جانباً من تأقلمهم مع البيئة ومن تطابق نشاطهم مع الشريعة الاسلامية والمقتضيات الاداريـة ، والتي تصدق من جهة أخرى على كل محتسب في أية حاضرة مغربية .

من ذلك أن المحتسب بسلا كان يلزم السفاج بالنظافة والاختضاب بالحناء ، خشية العقاب أو المنع من تعاطي الحرفة .

واشتهر بالرباط في نهاية القرن الثامن عشر المحتسب العباس مورينو الذي ـ بعد مقتله ـ تولى الرايس فلوريش الحسبة مكانه حتى عزل وخلفه الجيلالي العدلاني حسبما سيرد .

وكان المحتسب الأخير يتجول كل يوم ببغلته في الأسواق ، ويدخل الى الدكاكين ويتذوق طعم السمن والعسل والخبز والأسفنج . وكان يمشي أمامه عونان واحد يحمل العصى والآخر يحمل أزْفَل (السوط) . فاذا ألفى غشاً ، قبض على الغشاش ، وأمر بتمغيطه على الأرض وجلده جهاراً .

وبآسفي كان المحتسب يأمر بتطويف الغشاش الأثيم على المدينة ويجعل الحبل في عنقه ويقوده مخزنيان يعلنان عن نوع الغش المرتكب ويتوقفان بين الفينة والأُخرى لجلده وعقابه .

وبمراكش كان من محتسبيها في القرن التاسع عشر مولاي عبد الله ابن ابراهيم البوكيلي الملقب «السَّوَّارت» . وكان السلطان مولاي عبد الرحمان

عهد إليه بأشغال أخرى زيادة على الحسبة . فقد كلفه باسعاف المنكوبين بعد هجوم الأسطول الفرنسي على الصويرة سنة 1844 ، كما أمره بالوقوف على إصلاح جامع الكتبيين بمراكش ، وظل في منصبه مدة أربع وعشرين سنة حتى توفي سنة 1313 (1896) ، وخلفه ابنه مولاي ابراهيم طيلة ست سنوات .

وعند دخول الطباعة الحجرية عهد العاهل لمحتسب فاس بالرقابة على إصدار الكتب مثلما عهد بذلك الى القاضي ، وأسند الى محتسب مكناس بيع المواد الخطيرة كالبارود وملحه والكبريت .

ومن مهام المحتسب أنه كان مكلفا بتعقب اخبار الغرباء واحوال الجواسيس مثلما وقع بفاس في نهاية العهد الحسني .

وقد كلف محتسب الرباط بالاشراف على تعليم الاماء فنون الطبخ والتدبير المنزلي .

وبمكناس كان أحيانا يقوم مقام العدل في كتابة العقود ، وتحرير الرسوم .

والى جانب هاته الوظيفة الأساسية ، كان بعض المحتسبين من الحزم والدراية والعلم بحيث أهلوا لشغل مناصب ثانوية لسد رمقهم وقوت عيالهم .

4 . 3 : **حزمه وغفلته**

بفاس اتفق أن دخل أحد الحمالين الى فندق لتناول طعامه ، تاركا بغلته مربوطة بالخارج ومثقلة بالبضائع . ولما مر المحتسب وجدها على تلك الحالة فأمر بفكها ، وباخراج الحمال الذي وضعت على ظهره البضاعة التي كانت على ظهر الدابة ، فأعطى لها علفَها وحقَّها من الشعير .

وكادت غفلة المحتسب أن تفضي الى إفساد علاقة المغرب مع غيره من الدول . ونسوق ما حدث بفاس في منتصف القرن الثامن عشر . وصورة ذلك أن فتنة حدثت عندما كان المحتسب هو الطيب الريحاني (1168/1751) كادت أن تكون ديبلوماسية بين والي طرابلس وسلطان المغرب . ذلك أن

الحجاج كانوا قد اعتادوا في ذلك الحين أن يصحبوا معهم نقودا وبضائع كالحياك ليبيعوها لأهل المشرق ، استعانة بثمنها على السفر ومصاريف الحج . غير أن الحياك كانت مدخولة ، والنقود كانت مغشوشة ، لأن القائم على الضرب وهو القائد قاسم ابن الأشهب زيف دينار الذهب وبالغ في تنحيس الموزونات ، ولأن حالة مناسج الطرازين كانت سيئة في عهد المحتسب المذكور الذي كان قد غفل عن مراقبتها وبحثها .

ولما وصلت رسالة الوالي قرئت على العموم بفاس ، فاجتمع فقهاء المدينة وأمروا بتغيير المنكر ، وعقاب الغشاشين ، وتحطيم الطرازات الفاسدة ، وتعقب المكلف بضرب السكة .

4 . 4 : صلابته وصراحته

كان المحتسب واليا وقاضيا وشرطيا وفقيها معاً ، وكانت الصلاحيات التي سقتها لا تنطبق تماماً على المحتسب المغربي . ولا يجوز له أن يمارسها هكذا في الزمان ولا في المكان ، وخصوصا منها تلك التي تدعو الى مزيد من التيقظ والحرص على تطبيق الشريعة الاسلامية كما هي في عصور الاسلام الأولى .

وتروي المصادر التاريخية عن صلابة المحتسبين وصراحتهم للأمراء أن طُغتكين بن عبد الله مملوك السلطان تَتَش السلجوقي بدمشق في القرن الثاني عشر الميلادي طلب لمدينته محتسبا ، فذُكِر له رجل من أهل العلم ، فأمر باحضاره ، ولما بَصُر به قال له : ــ حسب مؤلف «نهاية الرتبة ، في طلب الحسبة» جلال الدين عبد الرحمان بن نصر الشيرازي ــ «إني وليتك أمر الحسبة على الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فقال : «إن كان الأمر كذلك فقم عن هاته الطرّاحة وارفع هذا المسند فانهما من حرير ، واخلع هذا الخاتم فانه من ذهب» . فنهض السلطان عن طراحته ، وأمر برفع مسنده ، وخلع الخاتم من إصبعه ثم قال : «قد ضممت لك النظر في أمر الشرطة»

وبديهي أن مزاولتها على تلك الكيفية كانت مما يعصف به و بمنصبه ، ولا يكاد يقبلها أحد لما فيها من تشدد . إذ لا يسوغ أن يعزب عن البال

أنه كان موظفا يلتزم السمع والطاعة . وعليه أن يتعاون مع الباشا لتحقيق الغرض من وظيفته ، وبالتالي يشق عليه تحدي السلطة المحلية . فاذا تعارضت الوظيفتان كان الرجحان ـ على ما أعتقد ـ للباشا لدى المخزن .

وبينما كان لمدينة فاس في العهد الحسني ثلاثة عمال ، لم يكن بها إلا محتسب واحد كان لازما عليه أن يستنجد بهم وبأعوانهم للاضطلاع بأعباء منصبه . ولم يكن مسموحا له أن يتخذ هيئة عسكرية ، كالرايس المعطي بالرباط ، وإنما كان له مخازنية كغيره من الولاة .

كان الرايس المعطي فلوريش محتسبا وأمينا ورئيسا للبحرية في عهد مولاي سليمان وبداية عهد مولاي عبد الرحمان ، وكان له نظام شبه عسكري في سلاحه وتداريبه ورؤسائه ، حتى كان مضايقا للباشا ، ولذلك لم تطل ولايته كثيراً ، لما ظهر عليه من انحراف وتشدد .

وقد اغتاظ السلطان من الرايس المعطي لشدة تصلبه ، وأعد محلة لتأديبه . ولما وصلت وعلى رأسها مولاي عبد الرحمان أغلقت الأبواب ، فأمر العاهل بفتح ثغرة في سورها ليرى ما بداخل المدينة ، فوجد رجال المعطي على أهبة القتال . وبعد المفاوضة ، دخلت المحلة السلطانية من الثغرة ثم سويت المسألة . وتولى بعده الجيلالي العدلاني الذي كان لا يزال محتسباً في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (3) .

* * *

وخلاصة القول أن الحرفي لم يكن يرى في الأمين والمحتسب جهاز حكم ظالم ، وأن المستهلك ـ الذي كان يتوق الى الصدق في المعاملة والى إلغاء الاحتكار ـ كان يجد في الحسبة حماية له من التدليس ، وأن الجميع

---

3 ـ عن الأنساب المهنية ينظر :

ـ عبد القادر زمامة : « اسماء الحرف المعروفة بمدينة فاس » في مجلة « اللسان العربي » مج 7 ج 1 (يناير 1970) ص 312 وما بعدها ، ثم نفس المجلة العدد الرابع ، غشت 1966 ص 207 ـ 210 ، ثم « القيسرية واخواتها » في « دعوة الحق» ماي 1968 ص 131 وما بعدها

كان ينظر إليها نِظْرَ‌ته لمؤسسة تحكيم وتعزير ، في أكنافها تعضيد وتضامن وسلامـة .

لكن نظام الحسبة ضعف وخف وزنه بعد عقد الحماية سنة 1912 ، وصارت اختصاصات صاحبه مهنية فقط . وقـد دخله الخَوَر عندما بـدأت البضائع الأجنبية تكتسح المغرب ، فلم تعد للمحتسب سلطة لزجـر الغش والتدليس ، لجهله بأسبابه ولعجزه — هو والمخزن والولاة جميعا — عن الحد من آثاره . ومع الأيام صار المحتسب مجرد مستشار اقتصادي .

ولو عرف المغرب كيف يستفيد من هذا النظـام الاسلامي ويطـور أساليبه ، ويسدي له الدعم الضروري ، لانتعش اقتصادنا وتقومت أخلاقنا من

— عبد السلام ابن سودة : « حول اسماء الحرف المعروفة بمدينة فـاس » في مجلة « دعوة الحق » يونيو 1971 وابريل 1972 ص 130 وما بعدها .

— احمد التيجاني : « القاموس العربي الفرنسي »

— معن خليل عمر: « « لباب الأنساب لابن الأثير ، ومعطياته الاجتماعية » في ص 353 وما بعدها من مجلة « المناهل » العدد 21

— محمد بن احمد شماعو : « المجتمع المغربي كما عرفته من خلال خمسين سنة : 1350 — 1400 » صفحات مختلفة .

وعن النظام الحرفي باللغة العربية :

— احمد التوفيق « مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر : اينولتان 1850 — 1912 » ج 1 ص 333 وما بعدها .

— عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 87

وهاته هي المراجع باللغة الفرنسية عن هذا النظام :

— لوي برونو : « على عتبة المغرب الحديث » ص 34 — 36

— بروسبير ريكار : « المغرب : الدليل الأزرق » ص 31 — 32

— ب. لوي ريفيير : « ما كانت عليه الحناطي بالمغرب » ص 129 — 145 في مجلة « دراسات مغربية »

— موريس كردفروا — دمومبين : « المؤسسات الاسلامية » ص 167

— ريمون شارل : « الروح الاسلامية » ص 207

— مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 124 و 441 (5)

— روجي له طورنو : « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » ص 45 و 62 و 68 و 76 و 80 و 94 و 105 و 117 و 132 و 135 و 230

هذا الوازع ، ولظللنا نرى أولئك الصناع المهرة ، حافظي التراث وحاملي المشعل ، يجيدون أعمالهم إجادة أجدادهم الذين كانوا يبدعون . وكان البارعون منهم يصنعون ، ونصب أعينهم مصحف كريم يستمدون منه نور الله .

وعن خطة الحسبة :

ـ عبد الوهاب ابن منصور « الحسبة » صفحات مختلفة

وقد ذكر المؤلف في الصفحة 39 ان الفقهاء المغاربة صنفوا في العهود المتأخرة كتبا لا تزال مخطوطة ، ومنها « الارتفاق ، في مسائل الاستحقاق » و «كشف القناع ، في تضمين الصناع » و « رفع الالتباس ، في شركة الخماس » و « نظم العمل الفاسي » و « التيسير ،في احكام التسعير » و « تحرير الصاع النبوي » و « الأقنوم ، في جميع العلوم » .

ـ عبد الله كنون : « خطة الحسبة » في « مجلة كلية الشريعة » عدد مـاي 1978 ص 9 .

ـ احمد الناصري : « الاستقصا » ج 6 ص 86 و ج 8 ص 91 و ص 132

ـ عبد الرحمان الفاسي : « خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين » بمجلة « المناهل » العدد 18 و 20 و 21 و 23 .

ـ محمد اكنسوس : « الجيش ... » ج 2 ص 30 و 54

ـ محمد المنتصر الريسوني : « الحسبة في الاسلام » في « دعوة الحق » يوليوز 1975 ص 119 وما بعدها .

ـ محمد المنوني : « خطة الحسبة » في « المناهل » العدد 14 ص 228

ـ عبد الرحمان ابن زيدان : « العز والصولة ... » ج 1 ص 394 و ج 2 ص 64 حتى ص 70 ، و « الاتحاف » ج 3 ص 571 و ج 4 ص 402 و 460

ـ محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 69 و 84

ـ محمد عيسى صالحية : « المحتسب وقانون الدفاع الاجتماعي » في مجلة « العربي » عدد يناير 1983 ص 160

ـ زهير طحان : « عند ما كان المحتسب مسؤول النظافة » نفس المجلة عـدد يبراير 1978 ص 48 وما بعدها

5 : الصناعة والمعادن



المعادن مواد خام تعالجها يد الصانع معالجته لغيرها لتستخدم في أغراض شتى . أما الصناعة فكانت طريقة تحويل ووسيلة ابتكار ، سواء في ذلك الوطنية منها والأجنبية .

1 : الصناعـة الوطنيـة

سبق لي الحديث عن الحناطي فأعطيت طائفة من الافادات الاقتصادية والاجتماعية العامة . وأعود الآن لتقديم جوانب أخرى من هذا الموضوع .

من المؤسف أن يكون التاريخ قد نسي أن يدون لنا أسماء المهرة من الصناع في الحواضر والبوادي ، فيتحدث لنا عن نشاطهم كماً وكيفاً في مختلف العصور . فقد استخدمت الصناعة التقليدية الجزء الأوفر من سكان المدن ، ولكننا لا نعرف أعداد المصانع المنبثة بالمغرب خلال القرن التاسع عشر ، وإن كنا نعلم أنه كان في بدايـة القرن العشرين (1919) بفاس 230 حنطة ، وبآسفي 111 ، وبسلا 109 ، وبمراكش 97 ، وبالدار البيضاء 51 ، وبأزمور 19 ، وبالصويرة 15 . أما قبل ذلك فسنورد أرقاماً أخرى من خلال هذا المبحث .

وقد أسس السلاطين مصانع وطنية للسكر والسلاح والنسيج خلال القرن التاسع عشر بمراكش وفاس (1) . ولكن العدوتين الرباط وسلا كانتا مدينتين صناعيتين تحتلان في عهد مولاي عبد الرحمان الدرجة الثالثة من حيث ضخامة الانتاج الذي قدر بخمسة ملايين فرنك وقتئذ .

---

1 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر الحضارة المغربية » الجزء الثاني ص 32 (نقلا عن كتاب كايي : « تاريخ الرباط » ص 193 ــ 196)

وكان بهما سنة 1855 أيضا 12 درازا للزرابي ، أنتجت 840 زربية ، بيع نصفها داخل المغرب ، وصدر الثلث إلى الخارج ، وصرف الباقي في عين المكـان .

أما درازات الحايك فكان عددها 5 ، وكان طـول الحائك 6 أمتار ، وعرضه متراً ونصفاً . وقد نسج في تلك السنة 63.200 حائك ، يضاف إليها 400 جلابة من الصوف ، طول كل واحدة منها 5 أمتار ، وثمنها 10 فرنكات للوحدة.

وصنع بالمدينتين كذلك 460.800 سبْنِيَّة من القطن المغزول بجبل طارق ، قيمتها 345.600 فرنك .

أما باقي الصناعات ، فقد احتوت العدوتان على 40 داراً للدبغ و 10 دور للصباغة تعالج كل سنة أزيد من 110.000 كيلو من الصوف و 1500 كيلو من الحرير ، و 150 معملا للبلغة و 30 دار فخارة تصنع 600.000 إناء في العام ، قيمتها 180.000 فرنك .

ودائما في نفس السنة وفي نفس المدينتين ، كان ثمة ثلاث دور لضرب سكة البليون تحتوي على 12 مصهرة يعمل فيها 36 من صناع ومتعلمين . وكانت تذيب تسعة قناطير من المواد الأولية كالنحاس والرصاص والقصدير والكبريت (2) .

وبعد ذلك بسنوات أي حوالي 1880 ، كان بالرباط 350 دكانا لصنع البلغة و 50 درازا للزربية ، حسب لودفيك ده كامبو الذي قال أيضا : إن المغرب كان يصدر الى السنغال البلاغي ، والى الجزائر حياك فاس وزرابي الدار البيضاء وزرابي الرباط المشهورة بديمومة أصباغها . وقد أُنتج من زرابي هاته المدينة في نفس السنة 4.000 وحدة صُدّرت ثلاثة أرباعها (3) .

---

2 . المصدر السابق ص 80

3 . عبد العزيز بنعبد الله : « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 70 (1) نقلا عن ده كامبو : « ايالة تنهار » .

وبفاس كان 520 درازا للنسيج تستخـدم 20.000 عامل ، و 360 طاحونـة لم يبق منها سنة 1904 إلا 160 يعمل فيها نفس العدد من العمـال والحمالين . أما دور التصبين فكان عددها خمسين ، زيادة على مائة أخرى كانت موجودة قرب بوجلود (4) .

وعن الصناعات بالعدوتين أيضا ورد أن الطرازات من القطن والكتان «كانت تكاد أن لاتُحصى كثرةً . ولما تقهقر أمرها في أيام مولانا سليمان وما بعدها من أيام مولانا عبد الرحمن ، قدس الله روحهما في النعيم ، كانت الطرازات التي بقيت بسلا فقط دون الرباط ست مائة معمل .

«وأما صناعة الحصر هي الآن خاصة بسلا في الاتقان والجودة وحسن المنظر وعجيب الرقم . ولا زالت هذه الصنعة لها روجان في سائر بلاد الغرب وأمصاره ، وتحمل حتى الى بلاد الأفرنج . . . » حسب محمد بن علي الدكالي الذي أضاف أن صناعة الفخار ما زالت من أعظم الحرف بالعدوتين ، إلا أنها نقلت جميع معاملها الى الرباط ، ولم يبق من دور فخارة بسلا إلا داران فقط (5).

وفيما يرجع لعدد المحترفين بالرباط وسلا وفاس ومراكش ومكناس والدار البيضاء وتارودانت ، فقد كانوا يبلغون نصف سكان هاته المدن في القرن العشرين (6) .

وبدمنات كان عدد الصناع من الدباغين في عهد الحسن الأول يزيد عن 370 ، كان منهم حوالي 200 بدار الدبغ الكبيرة ، و 70 بدار دباغ السوق ، ونحو من 100 بدار دباغ الملاح (7) .

---

4 . المصدران السابقان : « مظاهر ... » ص 87 و « معطيات ... » ص 71

5 . محمد بن علي الدكالي السلاوي : « الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتيـن لمولانا عبد العزيز » مخطوط رقم 850 د بمكتبة الصبيحي من القطع الصغير ص 29

6 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر الحضارة المغربية » ج 2 ص 80 و 85 . وفيه استند الى لوي ماسينيون الذي اجرى تحقيقا سنة 1924 بعنوان « الحناطي الاسلامية »

7 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 259

لكن هاته الصناعة الوطنية أخذت في التدهور ، فقد كان تطور الرأسمال التجاري وإدماجه في السوق العالمي أحد الأسباب الحاسمة في افلاس الصناعة التقليدية ، وذلك بالأخص عند استيراد بضائع منافسة للانتاج المحلي (8) .

وهذا ما يشرح ـ إلى حد كبير ـ تمرد الصناع المتتابع أواخر القرن التاسع عشر حسبما سلفت الاشارة إليه : ثار الحرفيون في غشت 1872 على عامل مراكش أحمد بن داود ، وفي نونبر 1873 قاموا بفاس على أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس .

فمن أي شيء تذمروا ؟ لقد استاءوا خاصة من المكوس التي فرضت على المواد الأولية وعلى المعاملات ، والتي صارت لازمة باعتبار الاصلاحات السلطانية ، فقد كانت تعتبر مجحفة وغير شرعية .

وإذا اعتقدنا أنهم كانوا يتألمون منها ، وجب علينا ألا نغفل أن التجار الأغنياء كانوا يشترون منافعها ويستفيدون منها أيما استفادة . ولم يكن الأمر ولاشك تمرد بورجوازيين على الملكية المستبدة ولكنه كان استياء صغار الصناع والتجار المنضوين تحت لواء حنطتهم والذين كانوا عند الحاجة ينادون بالتضامن المهني (9) .

لكني لم أقف ـ لسوء الحظ ـ على بيانات شافية عبر السنوات عن نشاط كل مدينة في ميدان الصناعة الأهلية التي لحقتها أضرار من المزاحمة الأجنبية ، بتسرب جواسيس الاقتصاد الى البلاد لتقليد الانتاج الوطني ، مثلما فعلته معامل سطراكونيتز Strakonitz ببوهميا (تشيكوسلوڤاكيا) عندما قلدت طرابيش فاس في الصنع ، ومثلما كانت تباع بأسواق مدينة ليون ومدينة نيم بفرنسا وأسواق إنجلترا مصنوعات مقلدة كالمخدات والطنافس والحصر ، القصد منها تخريب الاقتصاد المغربي والصناعة اليدوية (10) .

---

8 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ... » ص 114 في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد الثامن

9 . المصدر الأخير واحمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 201

10 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 391

وقد تهافت بعض الأوروبيين واليهود ، وخصوصا أبناء ناهون بطنجة ، على شراء دور الدباغة وصهاريجها ، وتعاطي الأجانب لنفس الصناعات التي كان يمارسها المغاربة .

ولم يطرأ على أساليب الانتاج تطوير ملحوظ ، فبقيت الصناعة متوارثة لا يقصد بها تصدير في حد ذاته الى الخارج ، ولم يأخذ الصناع بعين الاعتبار ما يلزم من تجديد ، ولم يكن لهم من تفتق الذهن ما يسمح لها بالازدهار . وأخذت البضائع والمنتوجات الأجنبية تكتسح الأسواق بأثمان زهيدة ومدمرة معا (11) . ومما زاد الطين بلة كثرة المماطلات وانتشار الغش فأصيبت الصناعة الأهلية بأضرار فادحة .

ومن الحق أن أشير الى طروء تغيير وتجديد في الاقتصاد الأسروي عندما استوردت لأول مرة سنة 1885 آلات الخياطة المعروفة سنجير Singer فقد أصبحت ملائمة للوضع التقليدي ، وغدت تمد المرأة بمصدر جديد للرزق (12) سريع في الانجاز وعصري في الانتاج ، استعاضت به بعض النساء أحياناً عن الخياطة البطيئة بالابرة والكبّان .

* * *

2 : « الصناعة » الأجنبية

كانت صناعة تحويل واستهلاك ، بسيطة في تجهيزها وبطيئة في حركتها لا يقصد منها تصدير على ما يعتقد .

تأسست بمختلف المدن مطاحن بخارية للدقيق ، ومناشر للخشب ، ومعامل للآجر وللتصبير ، ولصنع المشروبات والماء الغازي ، والصابون وتصفية الشموع ، ومعاصر للزيوت . ففي سنة 1885 كان عدد المطاحن البخارية بمجموع المغرب ثماني وحدات منها 3 بطنجة : واحدة في ملك المخزن

---

11 . « تاريخ المغرب » لجماعة من المؤلفين ص 305

12 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 345

والأخريان كانتا في ملك بودجيت ميكين : Budget Maekin ولوتشهيد ريڤـي Lochhead Revie وبينتو Pinto

وفي السنوات الموالية شيدت مطاحن أخرى : بالعرائش سنة 1885 ، وبالربــاط سنة 1886 و 1887 ، واحــدة في ملك سيفيراك J. L. Sévérac الفرنسي وأخرى لجورج فرنو G. Fernau الانجليزي .

وفي سنة 1888 أسست شركة لپرانطان Le Printemps مطحنة بطنجة ، وفي السنة الموالية بنى دابيد أزولاي بنفس المدينة مطحنة أخرى . وفي سنة 1890 شيدت شركة ماسنونة Masnona مطحنة كبيرة بالمدينة يمكنها معالجة 20 قنطارا في الساعة .

وبمدينة القصر بنيت مطحنة سنة 1890 . وبالصويرة بنيت المطحنة البخارية الثالثة بالمدينة على يد بروم Broome سنة 1892 ، وبلغ عدد المطاحن المشيدة سنة 1894 حوالي 15 وحدة في ملك أوروبيين أو يهود متجنسين أو محميين (13) صارت تزاحم الأرحية المائية البطيئة التي كانت مثلا بالرباط في ملك أهل سوس .

ومما لاشك فيه أن الأرحي والطواحين كانت لاتزال موجــودة بعدد من المدن الى جانب المطاحن اليدوية بالبوادي ولم تتأثر بهاته المنافسة على ما يبــدو .

وبمراكش أسس الفرنسي لانييل Lagnel معصرة للزيت سنة 1892 ثم عدل عنها بعد سنتين .

وبفاس أسس الاخوان روبيك Robic الفرنسيون أو الفرنسيان معملا لصنع المشروبات سنة 1894 حطمه اللصوص على ما يظهر .

وبطنجة تكاثرت معامل ومؤسسات أخرى ابتداءاً من 1885 . وقبل ذلك سنة 1876 أنشأ طايلور F. Taylor معملا للماء الغازي كان يصدر جل

---

13 . المصدر السابق ص 330 — 339

إنتاجه لجبل طـارق . وفي سنة 1887 أنشـأ سوندت Sundt وتوسـان Toussaint معملا بخاريا لنشر الخشب ، سرعان ما صـار في ملك جالوزو Jaluzot الفرنسي الذي بنى في السنة الموالية معملا للآجر لم يضايق بـه الايطالي أكيلي بيطري A. Petri . وفي سنة 1891 جهزت الشركة الاسبانية اطرانساطلانتيكا مولداً كهربائيا صغيرا . وفي نفس السنة كذلك بني معملان للتبغ ، يدير أحدهما صنانيص وابن الصايغ ، ويشرف على الآخر سيرويا Serruya وبيطري Petri ، ثـم بني معمـل ثالث للتبغ كـان في ملك خ. سيربيرا J. Cervira

ثم صارت الصويرة ثاني مدينة مغربية بعد طنجة تحتوي على صناعات صغرى : مطاحن بخارية ومعمل للماء الغازي أحدثه سنة 1886 إرڤين Irvine وشركاؤه ، ومعمل للتصبير يمثله أندري André وكيسادة Quissada ومعصرة للزيت في ملك جاكطي الفرنسي ، وأخرى في ملك جوسار Jaussard باعها فيما بعد الى كازنوف Cazeneuve ليؤسس نزلاً بالصويرة سنة 1895 .

وبتطوان أنشأ الاسباني بيسينتي مندوثا V. Mendoza سنة 1891 معملا لصمامات القناني يستخدم 20 عاملا .

بالدار البيضاء أنشىء بين 1890 و 1896 مصنع للصابون البلدي وآخر للماء الغازي ومنشرة خشب ميكانيكية . وبها ايضاً استوطن المنصر الانجليزي أرمور Armour لكي يصبح من صناعها .

وبالجديدة أحدث مورتيو Morteo الايطالي عدة معامل : واحد لصنع المعكرونة أو الماقارونية ومقطرة لتصفية الشموع ومنشرة للخشب .

هاته المعامل كلها لم تتطلب أموالا كثيرة ، ولا يداً عاملة متخصصة ، ولا تسمى صناعة ، وإنما كانت مضايقة للصناعة التقليدية ، وليست تكفي لقيام سياسة تصنيع (14) .

* * *

14 . المصدر السابق ص 336

3 : القطـاع المعدنـي

ظل هذا الميدان خارجا عن نطاق استغلال الأجانب ، لما كان المخزن يبديه من تصلب ، خصوصا أن المناجم كائنة بداخل البلاد وواقعة بنواح نائية منعزلة . وكان التنقيب عن المعادن بدأ في الثلث الأول من القرن الماضي .

عثر على الفحم بأنجرة وطنجة ، والاثمد بالريف وقرب سبتة ، والرصاص والنحاس بالجنوب وبسوس ، والحديد بجبل الحديد قرب الصويرة ، وعثر على البترول سنة 1888 بجبل سلفات . وقد باءت مساعي عدد من الشركات والأفراد بالفشل عندما طلبـوا رخصة استغلال معادن الشمـال والجنوب وخصوصا سوس التي كانت تزخر بالكثير منها ، بحيث أن «الدولة الأوربية التي ستمتلك المغرب يوما ما — على حد قول أحد الخبراء الفرنسيين بيانكوني Bianconi سنة 1891 — ستجد في استغلال المناجم وحده تعويضا كافيا عن نفقات الاحتلال» (15) .

وقد حاولت شركة «شط الورد» وهو تحريف عامي لاسم شاطلوورث Shuttelworth نيل الامتيـاز سنة 1882 ، وعينت لذلك المهندس إيوينغ Eweing (16) .

وسعى أجـانب آخـرون لنيل الرخص مثل الكـونط ده شاڤانياك الفرنسي سنة 1883 ومونطانارو من أجل التنقيب عن معادن الريف . ولما جمع القبطان الانجليزي وارن F. Warren أموالا لاستغلال منجمي نال رخصة به قبل ذلك ، منعه المخزن منه مقابل تعويض أُدي له سنة 1886 ، وقدره 600 جنيه ، وكان ذلك ترضية له (17) . وكان هذا المنجم يقع بقبيلة أنجرة (18) . ولم يرفض السلطان الحسن الأول للقبطان وارن المذكور هذا الامتياز فقط

---

15 . نفس المصدر ص 335 (9) و « تاريخ المغرب » ص 317

16 . مييج « المغرب واوربا » ج 4 ص 49 (7)

17 . المصدر السابق ص 336 .

18 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 461

بل لم يخولـه سنة 1885 الحق في إدخال المـاء لطنجة حفاظـا على حنطـة القرابين (19) .

والجدير بالذكر أن وارن زار المغرب مرات عديدة ، ودخل فـاس ومراكش وأقام بطنجة . وكان له اهتمام بالأشغال العمومية وبالمعادن التي كان يقوم بحملة واسعة للتعريف بخيرات المغرب الباطنية . وفوق ذلك كان من الغلاة ، إذ كان ينادي بلاده بالعدول عن جبل طارق وباحتلالها لمدينة سبتة بدلآ منها (20) .

ومن الذين بحثـوا عن المعادن سنة 1883 الألمانـي ياكوب شودت Schaudt (21) والمهندس سيلبا Silva الانجليزي في نواحي مراكش (22) . وفي غشت 1881 نقب المهندس الايطالي پيطروسيلڤا Pietro Silva على المعادن .

أما المهندس البلجيكي ديگـان Desguins فقد ورد على المغرب سنـة 1868 للتنقيب عـن المعـادن والثـروات الباطنية ودراسة إمكانيـات صناعية (23) .

وقبل منتصف القـرن التاسع عشر نقب المهندس الانجليزي ريلي Rilley بأحواز أنجرة والمهندس الفرنسي هيلينوس Helenus بأرباض تطوان عن النحاس الذي بدأ استغلاله آنذاك ، وكذلك عن الاثمد والمنغنيز . والمهندس لودفيك ڤيل L. Ville بحث أيضا بأحواز طنجة . وقد خلف دكاز Decazes مذكرات عن وجود ثروات واستغلالات معدنية في النواحي الممتدة من فاس الى مكناس (24) وذلك سنة 1839 .

19 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 353 (1)
20 . نفس المرجع ج 1 ص 174
21 . المصدر السابق ج 4 ص 24 (4)
22 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 461
23 . بيير كيين : « المانيا ... » ص 17 (1)
24 . مييج : « المغرب واوربا » ج 2 ص 486 (6)

وكان مولاي عبد الرحمان يخول الأذن للمغاربة والأجانب مثل مصطفى الدكالي الذي كان يستغل بعض المناجم بأنجرة . وكان أحمد بوضربة الجزائري ــ الذي كان له سنة 1846 اتصال بمصالح يهودية بمرسيليا ــ يستغل مناجم النحاس بأحواز تطوان ، وربح من ذلك أموالا طائلة (25) .

أما السلطان الحسن الأول فكان يحترز كثيرا كما تقدم ولا يأذن للأجانب ولا لغيرهم في التنقيب فضلا عن الاستغلال . ولما عثر على معدن الأثمد بأنجرة قبل سنة 1885 رفض المساعي الأجنبية وأمر باجراء سمسرة عمومية لاستخراجه ووضع شروطاً ، سادسها يخرج العمال من الحماية الأجنبية . وهاهي هاته البنود السبعة :

«أولا : أن يكون استخدام ذلك بالخيل أو بالبغال لا بطريق الحديد (أي بالسكة الحديدية) .

«ثانيا : أن لا يستخرج أقل من ألفين طوناً في السنة» ، والطونة هي البرميل في الاصطلاحات القديمة .

«ثالثا : أن يكون الوسق من إحدى المراسي المعلومة للوسق والوضع.

«رابعا : أن دولة السلطان لا يلزمها أداء شيء من الصائر ولا مما عسى أن يدعى به من الخطية أو غيرها . واذا أُحدث بذلك المحل بناء للانتفاع به ولنزول الآلات واستقرار المستخدمين ، فبعد فراغ الخدمة أو تغير المعدن يكون ذلك البناء لجانب المخزن من غير مطالبة بشيء .

«خامسا : الذي تجعل معه كنطردة ذلك يكون عليه صائر الأُمناء وجميع ما يلزم لذلك من المخازنية لحفظ الرقاب والأمتعة .

«سادسا : أن جميع رعية السلطان الذين يكونون في خدمة صاحب الكنطردة يكونون تحت حكم ولاة السلطان ولا يقع التعرض عليهم بوجه .

---

25 . المصدر الأخير ج 2 ص 208 ــ 209

«سابعا : كل من يزيد في ذلك يجعل قدرا من الدراهم على قدر ما يستطيع ، يقدمه لجانب المخزن أمارة على صدقه ، ويكون ذلك من ثمن آخر ما يوسق . . . »

وقد وجهت هاته الشروط ضمن منشور الى كافة نواب الدول بطنجة مطويا على «ابلان . . . ليقع إشهار ذلك ، وليعلمه جميع تجار رعيتكم في داخل خمسة أشهر من تاريخه ، وعند انصرامها لا تبقى حجة لأحد . . . » (26)

ومنذ 1892 بدأ المغرب يصدر انتاجه المعدني ، طبق هاته الشروط .

26 . منشور بركاش الى ممثل فرنسا ورديغة في 20 ربيع الأول 1302/7 يناير 1885 (صورته عند اوجين فومي في « المختار من المراسلات المغربية » ج 1 ص 33 وترجمته الفرنسية عند مييج ج 5 ص 177 — 178 من « المغرب واوربا »)

6 : التجارة المغربية

كانت التجارة أساسا لاتخاذ الأجانب سماسرة ووكلاء وعملاء في شتى المراسي المغربية ، وكانت أيضا بداية لانتقاص السيادة الوطنية ، وأضحت ــ هي والحماية ــ أهم عناصر النفوذ الأجنبي . وهذا أمر كثيراً ما اشرت إليه في مواطن مختلفة .

تنقسم هاته التجارة الى تصدير واستيراد واحتكار : تصدير الانتاج الفلاحي والحيواني والصناعي ، واستيراد المواد الغذائية والاستهلاكية والصناعية ، واحتكار منتوجات ستراتيجية أو خصوصية .

ولئن كان المخزن يبيح للأشخاص المعنويين والذاتيين توظيف السماسرة والعملاء ، فلم يكن يجيز ذلك إلا في التجارة الحلال ، دون التجارة المحظورة ، وذلك لاعتبارات دينية وأخلاقية وصحية وأمنية .

ومرادي في هذا الفصل أن أتناول بعض الكلام عن هاته التجارة الممنوعة (بيع الرقيق والسلاح ، وتهريب العملة وتزييفها ، وتجارة الأعشاب المرقدة ، وبيع بطائق الحماية) والمباحة (تصدير الصوف وجلود المعز ، واستيراد السكر والشاي) . وسأبين حجم المبادلات الاقتصادية مع بعض الدول قبل استخلاص أولى النتائج الاجتماعية لدى التجار المغاربة والأجانب .

وقبل الحديث عن التجارة المباحة ، لابد من الالمام ــ ولو في شيء من الاقتضاب ــ بالتجارة المحظورة .

* * *

أولاً : **التجـارة المحظـورة**

I : I :**النخاسـة**

زعمت مصادر المنصرين أن النخاسة وما تبعها من فقدان الحرية قد شجعت نشاط المنصرين ، بدعوى أن بعض المضطهدين كانوا يلتجئون أحيانا الى مراكزهم — حسبما سيأتي في باب خاص — هربا من الاهانة والعدوان . زد على ذلك أن هذه التجـارة قـد ألقت في الأذهـان شبهات حول الاسلام هو في الحقيقة بريء منها ، وعزت الفضل في تحرير الرقيق الى النصرانية أو الى بعض رؤساء الدول والمنظّرين . وسنرى فيما بعد أن المسألة خلاف الـواقـع .

ومن المناسب تناول هاتـه القضية في شيء من الاقتضـاب ، وذلك بالاتيان بنبذة تاريخية ، وتصوير حالة العبيد ، وإيراد رأي الاسلام في تحرير الرقيق ، وسوق بعض ما بذله ملوك المغرب لافتكاك أسارى الحرب ، قبل إعطاء أرقام عن بيع الرقيق في أواخر القرن الماضي .

أ : **نبـذة تاريخية**

شهد القرن التاسع عشر حملة قوية ونبيلة في أغراضها لفك الآسار خاصة عن الزنوج الذين كانوا يقنصون كما تقنص الحيوانات ، ثم يصدّرون الى الخارج للعمل في مناخ شبيه بالبيئة الافريقية حسبما هو معروف في كتب الأجانب .

«وماكان تحرير الزنوج في افريقيا هدفا لذاته ، وإنما كان وسيلة لادماجهم في بوتقة المسيحية حتى يكونوا في خدمة الانسان الغربي وأهدافه . وهل من حاجة الى إثبات أن مغامرة ولفنجستون في مجاهل افريقيا انما كانت بالذات لهذه الغاية ؟ » (I)

وكانت هاته الحملة الأروبية من أجل إلغـاء الرق تتزعمها جمعيات متنوعة للدعوة الى ذلك في جميع البلدان المعروفة ومنها المغرب ، حيث جاءت

I . ابراهيم حركات : « تحريف التاريخ : اهم مظاهره وأساليبه » ، في « دعوة الحق » ماي 1977 ص 43

بعثة وحاولت الاتصال بالسلطان مولاي عبد الرحمان لتقترح عليه العدول عن الاسترقاق . وقد يكون مقصود البعثة بالأرقـاء أُولئك العلوج أو الأسارى النصارى الذين كانوا يعملون بالمغرب في القرون الماضية ، وقدموا خدمات مهمة في العمران والجيش والتعليم . لكن ليس هناك ما يدل على أنهم كانوا يسامون التنكيل ولاسيما في القرن التاسع عشر .

ولئن لم يستقبل السلطان هذا الوفـد ، ورماه بالفضول (2) ، فان الحسن الأول في وصية القرن سنة 1883/1301 كان ذا فكر تحرري دعاه إليه شدة تمسكه بالدين الاسلامي ، فأرسلها صيحة مدوية : «ومن المُنكَر الذي لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره هذا الخطب الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي . . . » (3)

ب : **حالة العبيد في القرن الماضي**

ويستفاد من أقوال أجانب عاشوا بالمغرب خلال القرن التاسع عشر أن حال العبيد هنا لم تكن بالمقلقة ولا بالخطيرة .

ففي سنة 1886 روى جون هي عنهم أنهم كانوا «ينعمون بحالة من السعادة والرضى ، وأنهم يفضلون — ولو بعد تحريرهم — البقاء مع الأسَر التي عاشوا معها» ، وأن «الامَاء أقل فجورا من الفتيات بأُروبا ، اللائي يبعن أنفسهن ويسقطن الى أسفل مهاوي الرذيلة . . . » ، وأن «من يستحق اهتمام أهل الخير والعالم المتحضر هو الفلاح المغربي لا العبد . . . » (4) .

والرحالة الانجليزي ليرد قال سنة 1872 إن العبيد كانوا «يعاملون معاملة حسنة في هذه البلاد» . وهو يرى — حسب تجربته الخاصة — أنه يصعب العثور على طبقة أسعد من طبقة العبيد بالمغرب (5) . ولعل ذلك هو ما دعا

2 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 420

3 . عبد الرحمان ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 229

4 . رسالة جون هي الى اللورد روزبري في 13 ماي 1886 في كتاب روجرز : « تاريخ ... » ص 268

5 . عبد المجيد بنجلون : « جولات ... 1872 » ص 124

السلطان مولاي عبد الرحمان ، قبل ذلك ، الى عدم المبالاة بأعضاء البعثة المنادية بالغاء الاسترقاق ، لأن القضية وطنية ودينية لا دخل لأحد من الأجانب فيها . وأهل البلد يحلون مشاكلهم بمفردهم ، عن طريق العرف والاحسان تارة ، وبوازع إسلامي تارة أخرى .

ومع ذلك لا ينبغي أن نبيض وجه بعض المغاربة ، بادعاء نبذهم لاقتناء العبيد والاماء . فقد كان امتلاك الرقيق علامة من علامات الثروة والجاه ، ودليلا على حالة البيئة وأخلاقها . يزكي ذلك ما كان في الماضي من شرط «خادم لا تموت» الذي كانت بعض المخطوبات الغنيات تضعه دوما على كاهل الخاطب ، من التزامه جعل خادمة رهن إشارتها على الدوام . فان ماتت أو بيعت ، وجب عليه أن يشتري لمَهيرته أمَة أخرى لكي تظل محتفظة بجمالها الذي كان البعض يتصوره اكتنازا للشحم واللحم ، ولكي تخدم «لَلاّ َتْها» ومولاتها . كانت تلك الخادمة تدعى «دَادَة» متى أسنَّت ، وكانت تتولى أيضاً تربية الأطفال . أما إذا كانت صغيرة فكانت تقوم بأدوار شتى . وكانت من أملاك الزوجة سواء ترملت أو طلقت . فقد كان الرقيق يستبدل برقيق غيره ، كما تعوض اليوم سيارة بسيارة أفخم منها ، وعقار بعقار أجمل منه .

وليس معنى هذا كله إطلاق هذا الحكم على جميع أفـراد المجتمع المغربي . فلم تكن فيه عنصرية مقيتة كتلك التي كانت معروفـة في بلدان العالم . فاذا كان فيه ميز ، فهو هـَيِّن ضعيف لاتشوبه فضائح ، ولذلك كان العبد ينعم حسب أقوال المعاصرين الأجانب ـ مقارنة بما كان ببلدانهم ـ بعيشة راضية ، وكانوا طبقة لا تسام خسفا إلا نادرا (6) . ثم ليس في تعزير العبد الآبق ، وتأديب الامَة العاصية ما يشبه التعذيب في ذلك الوقت بالذات .

ت : الاسلام وتحرير الرقيق

كان المغاربة متدينين يبغون ثواب الله بعتق الرقاب ، إما تحللا من يمين ، أو كفارة عن ذنب ، أو وفاء بنذر ، وإما تطوعا وبرا . ولئن كان تحرير

---

6 . عن حالة الرقيق بفاس في بداية القرن العشرين ينظر كتاب الأخوين جيروم وجان طارو : « فاس او بورجوازيو الاسلام » ، من ص 25 الى 43 ، ففيه اشارات مفيدة في هذا الباب .

الأمة أم الولد يأتي تلقائياً ، فان المكاتبة كانت إجراءاً استثنائيا وشرعياً ، ولكنها كانت ملزمة للسيد : «والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم» ، حسبما جاء في الآية 33 من سورة النــور .

والمكاتبة حسب قواعد الشريعة الاسلامية هي «منح الحرية للرقيق متى طلبها ، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق . والعتق هنا إجباري لا يملك السيد رفضه ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه ، والا تدخلت الدولة (القاضي أو الحاكم) لتنفيذ العتق بالقوة .

«ومثل ذلك حدث في أروبا في القرن الرابع عشر – أي بعد تقريــر الاسلام له بسبعة قرون – مع فارق كبير لم يوجد في غير الاسلام ، وهو كفالة الدولة للارقاء المكاتبين . . . . » (7) . بل إن الدولة كانت تعين المكاتب بمال الامة : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب» (التوبة ، الآية 60) .

ث : سلاطين المغــرب وتحريــر الأســارى

افتكاك أسارى الحرب والقرصنة كانت تعقد له سفارات بين سلاطين المغرب وملوك أروبا ، ولم يكن منع الاسترقاق صادقــا على هذا النوع من الناس ، لأن تحريرهم من جانب واحد كان لا يلزم الجانب الآخر بسلوك نفس السبيل . ومما يكتب بمداد الفخر لملوك المغرب ولاسيما السلطان سيدي محمد بن عبد الله في القرن الثامن عشر ويسجل في صحيفتهم ، تلكم الأموال الضخمة التي بذلت بسخاء في القرون الماضية لانقاذ الأسارى المسلمين كائنة ما كانت جنسيتهم لأنهم من الأمة الاسلامية (8) ، حتى «ذكر المؤرخون

---

7 . محمد قطب : « شبهات حول الاسلام » ص 45

8 . ينظر « الاتحاف » لابــن زيدان ج 3 ص 266 عن تــلك السفــارات التي اوفدها محمد الثالث الى اسبانيا ومالطة والسويد وفرنسا ونابولي لافتداء الأســارى

أن عدد من افتدي منهم بلغ خمسين ألفاً . . . كان فيهم من أهل الجزائر وتونس وطرابلس ومصر عدد كبير . . . » (9) .

على أن الاسلام أباح للسيد أن تكون عنده عدد من الجواري من سبي الحرب . . . ويخرج من دائرة الاسلام كل ما كان يأتي عن طريق الاختطاف من بلاد إسلامية ، ويباع ويشترى في أسواق النخاسة (10) .

وأحمد الناصري شاهد تجار الرقيق فقال عن «الذين يجلبونهم أو يتجرون فيهم إنما هم ممن لا خَلاق لهم ولا دين» (11) ، وذلك في معرض الحديث عن فتح السعديين للسودان وبيع المسلم لأخيه المسلم .

كانت النخاسة في القرون الماضية تعتمد على الغصب والاختطافات التي من الحق أن يقال إنها كانت بالفعل موجودة . وكم من أطفال وبنات خطفوا من ديارهم بشرق المغرب وجنوبه ، ولا يزال البعض منهم على قيد الحياة !

ج : النخاسة بالأرقام

تولى هاته «التجارة» المقيتة طائفة من أعيان سوس والساقية الحمراء ووادي الذهب . وكانت تربطهم صلات بأوساط أجنبية ومغربية ، يربحون من البيع أموالا ، ويصدرون الرقيق أو يبيعونه في الأسواق .

فلننظر الآن الى النخاسة ببعض الأرقام وفي مختلف المدن في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر .

فبين سنتيي 1861 و 1865 كان تصدير الرقيق الى الخارج يساوي 20 % من تجارة الصويرة مثلا ، وذلك ما يعادل مليونا ونصفا من الفرنكات .

---

9 . عبد الوهاب ابن منصور : « الحض على طلب العلم وتبليغه » ص 295 من « الدروس الحسنية » المجلد الثاني ، وكذلك العباس ابن ابراهيم : « الأعلام » ج 6 ص 129 .

10 . محمد قطب : « شبهات حول الاسلام » ص 60

11 . « الاستقصا » ج 5 ص 132 و 133

فبالمدن الشاطئية بيع سنة 1883 — التي هي سنة وصية القرن كما تقدم — لخدمة الأسر الموسرة أعداد كثيرة بشتى المراسي والمدن . وقد أحصاها قناصل الدول ولاسيما إنجلترا كما يلي :

— تطوان :	20 رقبة	
— طنجة :	40 »	
— العرائش :	10 — 12 »	
— القصر الكبير :	100 »	
— الرباط :	600 — 800 »	
— الدار البيضاء :	100 — 120 »	
— الجديدة :	250 — 300 »	
— آسفي :	200 — 3000 »	(هكذا في المصادر)
— الصويرة :	40 — 60 »	

وبالمدن الداخلية حيث لم يكن قناصل ، لم يرد إحصاء . الا أن مراكش كانت محتشد هاته «البضاعة» لقربها من السودان وموريطانيا نسبيا . وعن فاس ذكرت المنصرة إيما هيردمان أن سوق النخاسة كان فارغا سنة 1888 لتفوق الطلب على العرض (12) . ونلاحظ أن السنة كانت سنة رخاء وخيرات ، وأن المنصرين كانوا يقومون بدور القناصل وأشباههم في اشتمام الأخبار .

أما أثمان البيع ، فكانت تختلف باختلاف الظروف والجنس والسن : فللأطفال ما بين 100 و 300 فرنك ، وللرجال ما بين 125 و 600 فرنك ، وللنساء ما بين 300 و 750 فرنكا ، بل كانت الأسعار تنزل بين 1876 و 1888 الى 40 فرنكا . وفي بداية القرن العشرين تغيرت الأثمان ، فكان ثمن العبد يتراوح بين 50 و 500 فرنك ، وثمن الاماء الشابات بين 500 و 2500 وذلك سنة 1904 بفاس (13) .

---

12 . جان لوي مييج « المغرب واوربا » ج 3 ص 364 (1)

13 . روجي له طورنو : « الحياة ... » ص 34 ، وجان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 365

وتـروي المصادر أن الأمنـاء كانوا يتقاضون صاكـة 5% من ثمن الرقيق (14) وأن المخزن كان يتعقب النخاسين ويشدد النكير على التجار الأجانب حسبما ورد ذلك في الوثائق المغربية ، ولو ان هاته التجارة ظلت قائمة الذات .

* * *

1 . 2 : **السـلاح**

احتكر المخزن استيراده وبيعه لأسباب أمنية وسياسية وعسكرية ، ولذلك منع تداوله في الأسواق بين الأشخاص والجماعات ، ومثل ذلك ملح البارود والكبريت والمتفجرات .

ومع تحريم هاته التجارة الحربية نظريا ، فقد كان لبعض الأجانب من تفتق الحيلة ما يبطلون به هذا المنع ، وذلك عندما يتعاقدون مع الحكومة على استيراده لمصلحة الجيش . فكانوا في بعض الأحيان ـ وخصوصا في أواخر عهد الحسن الأول ـ يقترحون عتادا وأسلحة بثمن رخيص ، فتوضع معهم عقدة على المعروف في ذلك . وعند ما تصل الشحنات الى المراسي ، يطالبون بثمن أعلى من الثمن المقترح ، مدعين ـ أحيانا ، وحسب خطة قد تكون مبيتة ـ أنهم أخطأوا في تقدير الثمن ، أو أن الأسعار قد ارتفعت أثناء ذلك في مكان الانتـاج .

وحينئذ يكون المخزن بين نارين : إما أخذه بالثمن المطلوب ، واما فسخ العقدة . فاذا كان الفسخ هو الذي تقرر ، فان تجار الحرب يبيعونه تارة في عين المكان (15) سرا ، بل جهارا تارة أخرى ودون حياء ، مثلما يباع السكر والشاي والشمع بالأسواق حسبما سيرد .

ومن الذين تخصصوا في هاته التجارة ، «القائد» ماك لين الحـراب الانجليزي وبعض أعضاء أسرته . فقد قام هو وأخوه آلن سنة 1894 بهذا النوع من المناورة والتدليس . وكان لديهما من الاهتمام ببيع السلاح والاستغناء

---

14 . المصدر الأخير ايضا
15 . المصدر السابق ج 4 ص 106 (4)

السريع أكثر مما لهما من العناية بتدريب الجيش . ولقد اغتاظ الحسن الأول عند ما وجد بقبيلة بني مطير عددا وفيرا من مكاحل ونتشيستر Winchester التي كان الأخوان يبيعانها آنذاك (16) .

* * *

1 . 3 : تهريب العملـة وتزييفهـا

كان الأجانب يهربون العملة المغربية الذهبية والفضية ويضربون سكة نحاسية مزيفة ويستوردون عملة أجنبية لا سند لها ، حسبما ورد الكلام عنه في فصل سابق .

* * *

1 . 4 : بيع الخمـور

كثيرة هي الرسائل المخزنية التي تستنكر على الأجانب بيعهم الخمور للمسلمين في الحانات والمقاهي والحوانيت ، واستيرادهم لها ، وكاد يتخصص في هاته التجارة المستوطنون البرتغاليون والاسبانيون (17) .

كان لهؤلاء على وجه التعيين 57 مقهى بطنجة وحدها سنة 1884 ، منها 34 بالمدينة و 23 خارجها . وكان الاسبانيون يمتهنون هاته الحرفة كما كانوا «مزيفين للعملة ومهربين وأصحاب حانات يديرونها دون رقابة ولا تحديد . وكانت طنجة سنة 1876 ـ حسب وثائق وزارة الخارجية الاسبانية ـ نوعا من الأرض الموعودة للفقراء والمضطهدين» (18) الذين كانوا يريدون بذلك جعلها مستعمرة كجزر الخالدات وغيرها .

أما اليهود المغاربة فكانوا يتاجرون في الخمور على استحياء أو خوف ، بملاحهم وغير ملاحهم الذي كان منتدى لعصاة المسلمين المدمنين على شرب «ماحيا» خاصة ، مما كان سببا في تذمر الأوساط الورعة منهم ونقل مساكنهم من حي الى حي (سلا في بداية القرن التاسع عشر مثلا) .

16 . المصدر السابق (6)
17 . مجلة « الوثائق » ج 4 رسائل مختلفة
18 . مييج « المغرب واوربا » ج 3 ص 261

وأغلب الظن أن منهم من عدلوا عن بيع المسكرات جهارا ، وانصرفوا الى نشاط آخر لم يحدث ضجة غير ضجة الاحتماء بالدخيل والمجاهرة بالولاء للدول الخارجية حسبما تردد صداه في الرسائل المغربية والمصادر الأجنبية .

* * *

I . 5 . : **باقي التجارات المحظـورة**

أ . **كانت تجارة الكيف والتبغ** محتكرة ، وكان المخزن يبيع امتياز «الطرقة» أو تابغة لبعض التجار . وكان السلطان يأمر في بعض السنوات باحراق هاته الأعشاب المرقدة تلبية لفتوى علماء فاس .

على أنه ليس لدينا توضيحات عن قيمة هاته البضاعة من الوجهة النقدية وحجمها وأماكن زراعتها ، ولو أن المظنون أن مناطق استغلالها كانت بالريف وسوس .

ب . **كان الربا** أو «الطـّالـَع» محظورا شرعا ووضعا ، حرمته النصرانية والاسلام : «أحل الله البيع وحرم الربا» ، لكن الديانة الموسوية حللته . وقد تراوحت نسبة فائدة الاقراض بـه بين 50 و 60 في المئة أحيانا في الزمـن العادي ، وطفرت الى 200 في المئة في أوقات الحرج والشدة (19) . وقد تخصص

---

19 . المصدر السابق ص 450 . وعن ممارسة الربا ، يحكي روجي طورنو في كتابه « الحياة اليومية بفاس سنة 1900 » ص 147 — 149 قصة طريفة لا يجوز القياس عليها اطلاقا ، عاشها ميشو بيلير بهاته المدينة سنة 1896 .

وصورتها باختصار ان هذا الأخير زار احد تجار فاس بفندقه ، فوجده منهمكا في عد نقوده ، ولما انتهى منها ، جعلها في خزنة انجليزية ، واقبل على الزائر مرحبا ، وما هي الا برهة وجيزة ، حتى وقف بالباب تاجر آخر من معارف الزائر ، سائلا ان يقرضه قدرا من المال لبضعة اشهر ، مقابل رهنه دارا قريبة من فندق التاجر . فاقسم له هـذا الأخير باغلظ الأيمان انه لا يملك ساعته المال المطلوب . وكلما الحف الطالب في السؤال حلف له صاحب المتجر باليمين الغموس .

واخيرا اهتديا الى حل ، فقال له : « ليس عندي مال ولكني اقرضك سكرا تبيعه فيما بعد ، وبثمنه تقضي حاجتك » . فأجابه : « سكر ؟ اقبله » . وصار الرجلان يحسبان كم يستغرق المقدار المالي من خناشي السكر . وبينما كان العدل منه يساوي 37 بسيطة

فيه طائفة من المحميين ومن غير المحميين المغاربة من مسلمين ويهود وجماعة من التجار كالطارقيين .

ث . **بيع بطائق الحماية والخلطة** : سرى هذا النوع من المعاملات المذمومة بين المغاربـة والأجانب . ومن الصعب تحديد أعـداد المحميين والسماسرة أو بيان أسعار هاته «التجارة» . وهذا الصنف ـ والذي قبله كما تقدم ـ كان محور الخلافات والشنئان والمؤامرات والدسائس والمؤتمرات واللقاءات والسفارات التي تمت في هذا العهد ، والحديث سيأتي مستفيضا عنه من خلال هذا التأليف . وكان السلاطين يعاقبون العدول والولاة والأمنـاء والقضاة إذا ما شهدوا لأحد بالربا أو بالحماية والخلطة أو مالوا الى التساهل . وبقي الأمر كذلك حتى أواخر العهد الحسني .

* * *

وهكذا وبالجملة كانت هاته التجارة بأنواعها مما يستقبحه الاسلام ويرى فيها استغلالا مقيتا ، وإنهاكا اقتصاديا أو صحيا ، وحطا من قيمة الشخص كانسان صالح عامل . وكان المخزن (في ظهائره وضوابطه) يندد به ، ويدعو المسلمين الى اتباع ما جاء في القرآن والحديث . أما الاسترقاق فلا داعي لمزيد

حسنية ، فقد عده له بـ 70 بسيطة ليؤدي القرض بعد ثلاثة اشهر ، بمعنى ان الفائدة كانت 400 في المائة .

وبعد ان اشهد التاجر على القرض امام عدلين ، وحاز رسم الرهن ، سلم له بطاقة ليأخذ السلعة من عند شخص معين . وبعد ان انصرف الطالب ، نادى التاجر خادمه وقال لـه ان سكـرا سيباع بالفندق الفلاني ، وعليـه ان يشتريه لـه بشـرط ان لا يتجاوز 5ر32 بسيطة لكل عدل ثم يوجهه للشخص المعين اعلاه .

وانصرمت سنة ، فعاد ميشو بيلير الى فاس ، فوجد ان دار المقترض قـد صارت فندقا للمقرض فقال له : « كنت في ضيق في الفندق الآخر . وقد الح علي صديقي ان اشتري منه هاته الدار ، ففعلت ارضاءا لخاطره . ولا بد من تبادل المساعدة بين الأصدقاء والمسلمين » .

وعلق بيلير على هذا الكلام : « لكن نسي صديقي الكريم ان يقول لي ان الدار التي كانت تساوي نحو 20 الف فرنك ، قد حازها بنحو مائة عدل من السكر ، اي 5.000 فرنك » . ذلك ان المقترض لما لم يف بالأداء ، امهله المقرض مرة ثانية ، وبعدها استولى على الدار وصيرها فندقا لسلعته .

الكلام عنه ، لأنه أخذ يضمحل في أواخر القرن ولا سيما عند ما انهارت التجارة مع تمبوكتو والسودان باستيلاء الفرنسيين عليهما ، وحينما تعاظمت في العالم موجات الاستهجان .

* * *

ثانياً : **التجارة المباحة**

أبرم المغرب معاهدات تجارية مع عدد من الدول مثل إنجلترا (1856) وإسبانيا (1861) والمانيا (1890) وفرنسا (1892) . وقد حددت تلك الاتفاقيات المواد المصدرة من المغرب والمستوردة اليه ، وبينت نوعها ومقدار الرسوم المستخلصة عنها ، كما أنبأت عن المواد والبضائع المحتكرة . وإلقاء نظرة على التشريع الجمركي المغربي قد يكفي للالمام بذلك .

كان إمضاء تلك الاتفاقيات سببا مباشرا في فتح القنصليات بالمراسي والثغور ، للعناية بشؤون التجارة والتجار الذين اتخذوا سماسرة وخلطاء . أما القناصل فقد استخدموا مغاربة أسبغوا عليهم حماية بلادهم ونزعوا عنهم سلطة القضاءين الاداري والشرعي ، خشية طغيان العمال والقواد عليهم ، وهو أمر صحيح الى حد ما .

تنقسم التجارة الى تصدير واستيراد واحتكار : فأما الاحتكار فقد تقدم الحديث عنه . وأما التصدير والاستيراد فكانا تارة مزدهرين نسبيا ، وتارة راكدين ، يتخبطان في مشاكل خارجية وداخلية :

أزمات سنوات 1856 حتى 1859 أدت الى نقص في التصدير بنسبة 106% وفي الاستيراد بنسبة 80% .

وأزمات سنوات 1874 الى 1884 أفضت الى نقص 45% في التصدير ، وآخر في الاستيراد قدره 28% .

وابتداء من سنة 1878 بدأت حصيلة التصدير من الاستيراد تتقلص ، حتى صارت صفرا سنة 1892 .

وكان من شأن فرض رسم جمركي ضعيف ، وانخفاض أثمان البضائع الأجنبية ، وهبوط تكاليف نقلها الى المغرب ، تشجيع الاستيراد وعرقلة ازدهار التجارة الخارجية المغربية في التصدير ، فأصبح المغرب ـ تبعا لذلك ـ مصدّرا للمواد الأولية وسوقا للبضائع الأجنبية (20) ، وصار اقتصاده مكملا لغيره .

أما الموانيء فقد ضعف شأن بعضها ، وازدهر شأو مراسٍ أُخرى على حساب غيرها : تقلص نشاط ميناء الرباط وتطوان والعرائش بتقدم النقل البحري ، فورثت طنجة دور تطوان ، وحلت الدار البيضاء محل الرباط ، بعد أن كانت المدينة الأُولى ، في وقت ما من النصف الأول من القرن التاسع عشر ، جزءا من إيالة الثانية ، بل صارت الدار البيضاء تخلف كلا من الجديدة والصويرة وطنجة ، وأكثر من ذلك تبوأت مكان جبل طارق في خزن البضائع ضمن التجارة الدولية . وبعد أن كانت مساهمتها في التجارة المغربية الخارجية تبلغ 5% سنة 1844 صارت سنة 1890 تستقطب نحو 25% منها (21) .

* * *

2 . 1 : المواد المصدرة

مجملها مواد فلاحية وحيوانية وإنتاج صناعي أهلي . ومن الممل والعسير الاتيان بها كلها ، بأثمانها وأحجامها ، وذكر البلدان التي كانت تستوردها خلال هاته الفترة . ولكننا سنشير الى ذلك في شيء من الايجاز .

فالى أروبا صدرت المواد الفلاحية كالحبوب والقطاني ، والى هامبورغ وسبتة وجبل طارق ووهران والمراكب الأمريكية صدرت الثيران التي بلغت في بعض السنوات 6.000 رأس لكل واحدة من الجهات المعنية ، وإليها والى غيرها أُرسلت الأصواف وجلود المعز والعجول وريش النعام (من الجنوب) والصمغ واللوز والقطن والعظام والعلق ولحاء الشجر والأخشاب وبعض الأعشاب والشمع الخام (22) وما الى ذلك .

20 . « تاريخ المغرب » ص 306

21 . نفس المصدر ص 308

22 . يراجع ركن التشريع الجمركي اعلاه ص 224 وما بعدها

ومن البضائـع المصدرة كذلك المصنوعـات الأهلية كالمطروزات والزرابي وماء الورد المقطر والمصنوعات الجلدية كالأحذية .

وكان بعض هاته البضائع يمنع تارة للغلاء وما يتبعه من فاقة تدعو الى الاحتجاج ، أو لضعف الانتاج تارة أخرى ، حتى كان السلطان يستشير الفقهاء والأمناء والتجار في الاباحة والمنع ، لأن المعاملة مع الكفار كانت بمثابة إعانة لهم على المسلمين مثلما ذكر صاحب «الاستقصا» . وكان ذلك مصدر بعض الهلع الذي كان يصيب تجار أوروبا المستوردين والمصدرين .

ولم تسر هاته المصدرات على وتيرة واحدة ، فتارة يضعف حجمها ويقل الربح المأمول منها داخليا ، وتارة أخرى تزداد كميتها وتتضاعف منها العائـدات .

ولابد في الختام من ذكر مادتين كانتا تصدران وهما الصوف والجلود ، وذلك لاعطاء نظرة جزئية ، لتقييم هاته الحالة .

2 . 1 . 1 : **تصدير الصوف** (من 1857 الى 1890)

كانت الصوف توسق من كافة الموانىء ، من طنجة حتى الصويرة . وأمام ازدحام الأرقام ، اكتفي بذكر النسب المئوية لبعض هاته المراسي في التصدير العام : أقل نسبة كانت للصويرة 7% سنة 1857 و 5% سنة 1883 ثم 7% أيضا سنة 1888 .

وأعلاها في ذلك كانت لميناء الدار البيضاء : 25% سنة 1857 و 28% سنة 1861 و 40% سنة 1866 و 44% سنة 1868 و 32% سنة 1870 و 50% سنة 1872 و 80% سنة 1880 و 46% سنة 1882 و 65% سنة 1886 و 66% سنة 1888 وايضاً سنة 1894 و 38% سنة 1896 (23) .

أمـا من حيث مجمل التصدير ، فقد سقطت مبالغ أثمان الأوصاف الموسوقة من 3,500 ملايين فرنك سنة 1876 الى مليون و 200 ألف سنة 1881 ،

23 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج ص 274

لانهيار الأسعار نظرا لمزاحمة صوف أستراليا . ولكن المقادير ارتفعت سنة 1890 الى 3٫700 ملايين (24) .

2 . 1 . 2 : تصدير الجلود

وأخص بها فقط جلود المعز ، دون جلود البقر التي كانت توسق بكميات طفيفة ، مكتفيا بمثال عن تجارة جلود المعز بين المغرب ومرسيليا . فبينما كانت نسبة المغرب في بيع الجلود بهاته المدينة الفرنسية 56٫10% سنوات 1871 حتى 1873 (مجموع ما بيع بمرسيليا كان 55.437 بالة ، حظ المغرب منها 31.132 فقط) ، إذا بتلك النسبة تنزل الى 45٫30% من سنة 1874 الى سنة 1876 ، ثم تزداد تدهورا سنة 1885 الى أن تصل الى 36٫10% فحسب (25) .

وكانت لا تصدر الى أوروبا وحدها ولكن الى الولايات المتحدة أيضا بعد سنة 1880 على الأخص .

* * *

2 . 2 : المواد المستوردة

هي بالأخص — زيادة على السلاح المحتكر — السكر والشاي والبن والمنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية وشموع الانارة والغاز والملابس

كان الشاي سنة 1890 ثالث بضاعة مجلوبة من الخارج تساوي مليونين من الفرنكات أو 5% من مجموع الاستيراد (26) .

وكان السكر يمثل في تلك السنة أيضا 20% من الاستيراد أو 8 ملايين من الفرنك . ولكنه صار سنة 1894 يساوي 25% من السلع المجلوبة . وكان

---

24 . المصدر السابق ج 4 ص 264

25 . المصدر السابق 399

26 . المصدر السابق ص 387

وسيلةً لبيع غيره من المواد عند البقّالة . وإذا كان سكر مرسيلية هو الغالب على غيره (27) ، فقد كان سكر بلجيكا يباع في قوالب مختلفة تزن ما بين 3,250 كلغ و 10 كيلوات (28) . وبعد فتح قناة السويس ، صار السكر والشاي يغزوان المغرب بأثمان رخيصة سنة 1873 . وكان الشاي يستورد من صنفين : صنف جيد للاستهلاك بالشمال والوسط ، ونوع هيستون Hyston المتوسط («الصويري» ؟) وهو أخضر بالجنوب . ولما كانا مادتين شعبيتين ، استحسنت إعطاء أمثلة عن تجارتهما التي تضاعفت من 10% سنة 1830 الى 33% من مجموع المستوردات في آخر القرن (29) .

2 . 2 . 1 : استيراد السكـر (1871 — 1877)

1871 :	1.895.144	كيلـو	=	1.980.720	بالفرنـك
1872 :	2.331.669	«	=	2.463.375	«
1873 :	2.400.189	«	=	2.421.442	«
1874 :	2.692.958	«	=	2.753.074	«
1875 :	3.112.008	«	=	2.979.496	«
1876 :	2.458.088	«	=	2.764.540	«
1877 :	3.273.702	«	=	3.490.779	«

2 . 2 . 2 : استيراد الشـاي (1870 — 1877)

1870 :	644.525 (بالفرنك)	=	3.437	(بالصندوق)
1871 :	708.700 «			
1872 :	940.275 «	=	3.779	(بالصندوق)

---

27 . المصدر السابق ص 389

28 . المصدر السابق ج 5 ص 139

29 . « تاريخ المغرب » ص 306

1873 :	744.430	«	4.820 =	
1874 :	755.600	«		
1875 :	1.060.000	«	4.629 =	(بالصندوق)
1876 :	1.084.463	«	5.802 =	
1877 :	844.650	«	5.571 =	« (30)

ومع أن السكر كان لا يساوي إلا نحو فرنك للكيلو ، فقد كانت هناك مواد أُخرى تستورد وتكلف الخزينة غاليا . كانت تجارة المنسوجات الخارجية تمثل 50٪ من مجموع الاستيراد ، وانتشر لبس المنسوجات القطنية المصنوعة بمدينة منشيسطر في المدن والقرى على السواء . وانتقلت الشموع الألمانية والانجليزية والفرنسية من الحاضرة الى البادية بأثمان زهيدة حتى تضاعف استجلابها 3 مرات من سنة 1870 الى 1890 . وفي نهاية العهد الحسني قُدِّر ما استورد منها بمليون ونصف من الكيلوات . واستورد من البترول ما قيمته 35.000 فرنك سنة 1870 وأكثر من 100 ألف فرنك سنة 1885 ، حتى كاد المغاربة أن يستغنوا عن الشموع سنة 1892 . وفي سنة 1895 جلب من الغاز 800 ألف لتر واستعملت الكهرباء سنة 1902 . كما استقدمت السكاكين الثمينة وأدوات البناء ، من أسمنت وجبص وقناطر حديد (31) .

نجم عن الزيادة في الاستهلاك ضعف في الادخار وخصاص في الميزان التجاري ، في الوقت الذي عرفت فيه المصدرات المغربية منافسة كبرى في الأسواق وانهياراً شديداً في الأثمان . وليس للمغرب آنذاك إلا تكبد عجز في العملة ، وخصوصا بعد سنة 1891 ، بلغ قدره 20 مليونا من الفرنكات .

كان لهذا الخلل التجاري ، الذي هو غلبة الاستيراد على التصدير ، عواقب وخيمة لا على الموازنة وحدها ، بل على قيمة صرف الريال . وأوخم

---

30 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 247 و 249

31 . المصدر السابق ج 4 ص 391 .

النتائج تكبدها الادخار النقدي وتكوين رأس المال الثابت لما أخذت العملة الصالحة في النزيف .

* * *

ثالثاً : **حجم المبادلات التجارية**

محاولة الحديث عن حجم المبادلات التجارية بين المغرب والدول الأجنبية لن تفيد كثيرا . الأرقام مبعثرة وجزئية تختلف من مصدر لمصدر ، بين مرسى ومرسى ، ومن سنة الى سنة ، وبين نوع ونوع ، وبين وسق وجلب . والكلام عن كل ذلك ، وبالأخص من مصدر مغربي صرف ـ هذا إن كان لا يزال مصونا من العبث ـ سيكون ضرباً من الاطناب الممل .

وكل ما أُريد قوله هنا هو أن الدول الأجنبية على لسان نوابها كانت تطالب بعقد معاهدات تجارية وتخفيض الرسوم الجمركية ونهج سياسة متحررة في الميدان التجاري .

ومع ذلك لا أرى بأْسا من النظر الى مرسى الصويرة وحركته التجارية ، خلال فترة محددة لضرب أمثلة صغيرة بهاته المدينة :

بلغت التجارة الانجليزية بالصويرة 15 مليونا من الفرنكات سنة 1865 ثم سقطت الى 5 ملايين سنة 1894 .

تجارة بلجيكا وصلت سنة 1868 الى 400 ألف فرنك ثم تردت الى الصفر سنتي 1872 و 1873 بها أيضا .

البرتغال لم يتعد حجم المبادلات معه 240 ألف فرنك سنة 1874 .

ومع فرنسا بهذا الثغر الجنوبي كانت قيمة التجارة الفرنسية تبلغ أكثر من 6 ملايين فرنك سنة 1871 ، فسقطت سنة 1884 الى مليون و 800 الف فرنك وتقلصت تجارة ريش النعام وتصديره من هاته المدينة لما احتلت فرنسا مالي سنة 1894 . كانت تبلغ 1,200 مليون سنة 1863 ثم انحدرت الى 280 ألفا سنة

1883 ، فالى 85 ألفا سنة 1893 ، حتى صارت صفرا سنة 1895 . وهكذا كله عن الصويــرة.

أما مجموع تجارة المغرب مع فرنسا ، فقد كان لا يتعدى سنة 1890 قبل توقيع معاهدة 1892 المؤشـّر 7 ، الذي ارتفع بفضلها الى 20 ، ثم رجع هذا الرقم متدهورا الى المؤشر الأول 7 .

وعن إسبانيا ظلت التجارة راكدة سنة 1851 ، اذ لم تتعد آنذاك 540 ألفاً ثم نزلت نزولا فظيعا ، بالرغم من أنها عقدت مع المغرب في تلك السنة معاهدة كانت «عظيمة في الظاهر هزيلة في الباطن» (32) .

ومن حيث الحركة العامة للملاحة التجارية الأجنبية بالمراسي ، فبعد أن كانت لا تتعدى المؤشر 300 سنة 1875 ، قفزت الى 450 سنة 1885 ، والى 600 سنة 1886 ، ونزلت الى 500 سنة 1887 ، ثم صعدت الى 750 سنة 1889 ، والى 850 سنة 1890 ، ثم الى 1000 سنة 1891 ، وانتهت الى 1300 سنة 1894 ، وتردّت في السنة الموالية الى 850 ، وبلغت سنة 1904 المؤشر 1500 الذي كان هو القمة (33) . وتدل هاته المؤشرات على قوة غزو المغرب بالبضائع ، وشدة إنهاكه اقتصاديــاً .

على أنه لم يرد تفصيل مستفيض عن دخول المراكب الى الثغــور المغربية ، حسب الجنسيات وعبر السنوات ، سوى أنه في سنة 1873 وصل الى هاته المراسي 837 مركبا ، منهــا 484 لانجلترا ، و 131 لفرنسا ، و 89 لاسبانيا و 68 للبرتغال ، و 50 للدانمارك ، و 15 لألمانيا (34) .

---

32 . « تاريخ المغرب » ص 306 وجان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 5 ص 275 وما بعدها . والاستشهاد هنا عن المعاهدة مأخوذ من « تاريخ تطوان » ج 5 ص 313 لمحمد داود .

33 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 5 ص 288

34 . بيير كيين : « المانيا والمغرب من 1870 الى 1905 » ص 25 (4)

هذا بعض ما جاء في المصادر الأجنبية . وغير ذلك كثير في المؤسسات وغرف التجارة في الخارج .

أما حركة الموانىء وأشغالها من استيراد وتصدير من الوجهة المخزنية ، فلا تزال تقاييد الأمناء وتقاريرهم وحساباتهم ومنفشطوات السفن زاخرة بأرقام وأعلام ، لم يكتب لها الى الآن دراسة ولا تمحيص . وطرف من ذلك موجود بوثائق أسر ، كأسرة الحاج محمد بن المدني بنيس وآل التازي ممن كانت تصلهم البيانات الدقيقة ، بعضها محفوظ بمديرية الوثائق الملكية .

وعلى الجملة ، ارتفعت المبادلات الاقتصادية بنسبة 40% في العهد الحسني ، على الرغم من انخفاض الأثمان عموماً :

ـ معدل سنوات 1873 ـ 76 كان 56 مليونا من الفرنكات

ـ « « 1890 ـ 94 كان 78 « « « (35) .

* * *

رابعاً : **الانعكاسات الاجتماعية والسياسية**

هاته التجارة كانت لها ملابسات مختلفة ، لدى المغاربة والأجانب على السواء : منها ارتقاء طبقات جديدة الى الثروة ، وإفقار طبقات أخرى ، بل إفلاس بعض التجار . وأعظم من ذلك انتحار عدد منهم . وقد انعكست مضاعفاتها على المجتمع المغربي الذي أخذت تتقوض أركانه ، وعلى بيت المال الذي كان ينضب معينه ، وعلى السكان الذين بدأت أحوالهم في التغير ، أجانب كانوا أو مغاربـة .

* * *

4 . 1 : **على المغـاربـة**

كان هؤلاء التجار المثرون «أهم المسلمين المحميين من لدن الدول الأوروبية ، وهم الذين قبلوا ، بصدر رحب ، معاهدة الحماية الفرنسية للمغرب

35 . جان لوي مييج : « الحسن الأول » في سلسلة « الأفارقة » ج 3 ص 244

التي كانوا يتوقعون حدوثها الى حدّ ما . وكان كل شيء في القرن التاسع عشر مفيدا لهم : انخفاض الانتاج ، والتدخل الأوروبي ، والأزمات المالية ، وانهيار العملة ، والمجاعات ، والاصلاحات العسكرية والجبائية ، والتنظيم الاداري» (36) .

ومن الذين تولوا التجارة في الداخل أولاً أهل فاس وأهل سوس . الأولون كادوا يتخصصون في بيع المنسوجات الأوروبية التي كانت تمثل أحيانا 50% من الاستيراد ، والآخرون برزوا في تجارة المواد الغذائية من سكر وشاي وبن وشموع . وكانت هاتان الفئتان من الذين هاجروا الى الخارج بعد اليهود المغاربة بقليل ، أو وجهوا إليه أولادهم كما سلف ذكره ، ولا سيما عند ما كانت المعاملات مُرْبحة ، والتجارة المغربية ناهضة ، ووصل الحال بهم الى الاحتماء واضطروا الى التجنس أحياناً ، حفظا لأموالهم وأنفسهم (37) كما تقدم ، أو صيانة للملكية الفردية حسبما سيأتي .

وكان منهم من ظل بالمغرب تحت الحماية ، يتعاطى الربا الفاحش والمضاربات العقارية والوكالة والسمسرة للأجانب ، وينادي بربط مزيد من الاتصال بالخارج ، لمزيد من الربح في تصدير القطاني مثلا ، ونشأ خلاف بين سكان الثغور (كالرباط والدار البيضاء) وأهل الداخل (كفاس ومراكش) ، حول توسيع نطاق هاته التجارة أو تقليص ظلها ، وعرض السلطان الحسن الأول ذلك على استفتاء العلماء ، كما رأينا ذلك من قبلُ . ولم يسلم التجار والوكلاء من الافلاس حسبما سيرد .

وقد صدرت مؤخرا دراسات مفيدة (38) عن علاقة بعض المغاربة بالتجارة الخارجية في القرنين الحالي والماضي ، الذي مثّل تحولا تاريخيا حاسما

---

36 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 104 و 107

37 . « تاريخ المغرب » ص 311

38 . ادريس بنعلي : مثال الانتقال ... » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد الثامن (1980) ابتداءا من ص 97

أدى الى تفكك أوصال الجماعات القبلية والقروية تفككا بطيئاً ، لكنه كان متواصلا بتسرب الاقتصاد النقدي والتجاري .

وهناك أسباب ثلاثة تدعو الى هذا التأكيد :

1 . بدأ العصر بتحولات عميقة .

2 . وامتازت الحقبة باحلال دورة مكان دورة ، من خلال تحطيم الهياكل الاقتصادية الموجودة أو تعويضها بغيرها .

3 . وكان عصر انفتاح المغرب على التجارة الأوربية وإدماجه في نطاق توزيع العمل دوليا .

ذلك أن القرن التاسع عشر المغربي امتاز بأزمة مُعَمَّمة ، هزت أركان المجتمع ، ودمرت الطبقات في قاعدتها الاجتماعية ، وجرّت الى أزمة في السلطة السياسية . كان المخزن طوال هذا القرن بحاجة الى الخروج من المأزق . فهو — من جهة — مفتقر الى أموال لزجر التمرد الداخلي وصد العدو الخارجي ، ولكنه — من جهة أخرى — لم يستطع الظفر بذلك إلا بتقويض أسس أسلوبه : فلكي يستخلص الدخول الكافية ، وجب عليه تشجيع التجارة والصناعة . وكان ذلك يشق عليه ، لأن الريع الجمركي كان بيد الأجانب . وفضلا عن ذلك ، لزم عليه أن يأتي بنظام جبائي ناجع ، وأن يقضي على أساليب رجال السلطة (الباشوات والقواد والشيوخ والخلفاء الخ . . .) الذين كانوا يستحوذون على الأموال التي يجبيها المخزن من رعاياه (39) .

والى جانب سلوك الموظفين المخزنيين ، كانت طبقات من التجار المغاربة تستفيد من المبادلات مع الخارج ، جلبا ووسقا .

فقبل سنة 1856 كان عدد من التجار المغاربة يتمتعون بحماية السلطان المتمثلة في ظهائر التوقير والاحترام . وبواسطتهم ، كان السلطان يحتكر

39 . المصدر السابق ص 100 — 101

التجارة الخارجية احتكـارا كاد أن يكون كاملا ، وكانوا يضطلعون بـدور الوسطاء ، لأنهم كانوا يخضعون له ماديا ومعنويا .

لكن الأحوال أخذت في التبدل بعد هذا التاريخ ، فصار بعضهم يحمل لقب «تاجر السلطان» ، وبدأت تخول لهم امتيازات ومنافع ، أهمها إسقاط أداء الحقوق عن بعضهم ، أو التوسعة عليهم في دفع واجبات المكوس والجمرك بأقساط شهريـة .

كان الاحتكـار من أشهر تلك الفوائـد : فالعلق كان يباع بثمن وصـل الى 100 ألف فـرنك في السنـة . وبيع مستفـاد الدبـغ بـ 240 ألف فرنك سنويا . وخول تصدير الفرشي الى مصطفى الدكالي واحتكار الحناء ليهودا لاوي . . . (40)

وشيئا فشيئا ، صار بعض تجار فاس أعظم وكلاء التصدير الى أوربا وأهم مستوردي الانتاج الأجنبي . وكانوا يوزعونه في أرجاء البلاد بوسائلهم الخاصة ، بعد أن يُضْفُوا عليه طابعهم ونبرتهم ، مقلدين من سبقهم من التجار اليهود . وقد اقتفى أثرَ الفاسيين تجـارٌ مغاربة آخرون ، سالكين في ذلك طرائق كادت أن تكون متشابهة في الوكالة والسمسرة والتبعية .

وآل الأمر في ذلك الى استحواذ كبار الوسطاء على معاملات وقضايا كانت تَدِرُّ عليهم الملايين «المُمَلْيَنَة» من الأرباح ، وصاروا أحد عوامل التسرب الأجنبي . وبفضلهم استطاع الأوربيون اجتثاث أصـول الاقتصاد المغربي ، ونَصْبَ أجهزة التبعية التي يَسَّرت لهم تحويل ذلك لمصلحتهم ، بأُسلوب ذي سفسطة ونجاعة ، ألا وهو الحماية التي حررت طاقات كانت قَبْلُ هامدة ، فقدمت لهاته البورجوازية التجارية ما كانت عاجزة عنه بوسائلها الخاصة ، ألا وهو ضمانة احترام الملكية (41) حسبما أشرت الى ذلك سابقا .

---

40 . المصدر السابق ص 112 ـ 113 (نقلا عن دراسـة التبـاع : « التسرب التجاري والمالي بالمغرب : 1850 ـ 1912 » ص 154 ـ سنة 1976) .

41 . ادريس بنعلي « مثال الانتقال ... » ص 115 ـ 116

ويستفاد من بحث أجراه رني لكلير أن هاته التبعية كانت مفيدة لهؤلاء الوسطاء . وقد ذكر عن حالة 60 من تجار فاس سنة 1904 أنهم أثروا إثــراء فاحشا قـَدَّره هكذا :

– 7 منهم كانوا يملكون أكثر من مليونين من البسيطة الحسنية

– 5 « « ما بين مليون ومليونين « «

– 7 « « « « « ونصف مليون « «

– 27 « « « 100 ألف و 500 ألف من البسيطة الحسنية

– 14 « « « 50 ألفا و 100 ألف من البسيطة الحسنية (42).

كما يتجلى من دراسة أخرى عن 44 من تجار فاس في أواخر القرن الماضي وصَدْرِ من الحالي أن 28 منهم كانوا محميين بدول مختلفة : إنجلترا (13) وفرنسا (8) وألمانيا (5) . وتذبذب واحد منهم بين الحمايتين الفرنسية والانجليزية ، وتأرجح آخر بين ثلاث حمايات : فرنسية وألمانية وإيطالية (43) ، بينما لم يرد عن الـ 17 الباقين حماية ظاهرة . وستأتي أسماء هؤلاء جميعا .

والى سنة 1890 ، كان كبار تجــار فاس يعتمدون على أبنــاك جبل طارق لاجراء بعض العمليات النادرة . ولم يتمكن الموسرون من اليهود من إنشاء بعض المشروعات المصرفية الا في نهاية عهد السلطان الراحل مولاي الحسن . وقد فضل الأولون التعامل مع مصارف طنجة التي أنشأ يهود فاس فروعا لها في مدينتهم (44) .

---

42 . المصدر السابق ص 116 – 117 (نقلا عن لكلير R. Leclerc فــي تأليفه : « التجارة والصناعة بفاس » سنة 1905) .

43 . المصدر السابق ص 118 (نقلا عن محمد كنبيب : « الهياكل التقليديــة والحماية الديبلوماسية » ص 18 في مناظرة فانسين ، دجنبر 1976)

44 . احمد شكري السباعي : « فكرة عن تطور التجارة والقانون التجاري في العالم والمغرب » ص 32 في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد السابع (1980) .

ولضرب أمثلة على تلك المعاملة ، أقول إن الوكلاء الصيرفيين ، مثلا اذا صدروا الى إنجلترا بضائع لحسابهم الخاص ، كانوا يسحبون من بنك إنجليزي حوالة مالية بثلث قيمة الشحنة المصدرة ، ثم يبيعون تلك الحوالة للتجار المغاربة ليستوردوا في مقابلها البضائع الانجليزية ، ويعود الوكلاء الى شراء المنتوجات المغربية لتصديرها بما أخذوا من نقد مغربي في مقابل تلك الحوالات التي باعوها للتجار المغاربة . وهي طريقة فريدة من نوعها للتغلب على مشكلة عدم وجود مصارف مالية بالمغرب ، وان كانت بدائية وأقرب الى المقايضة منها الى أنظمة التجارة المتبعة في ذلك الحين ، على أن من شأنها أن تضبط ميزان التبادل التجاري بين البلدين (45) .

من هاته الحركة التجارية ، وهاته النوافذ على الخارج ، وهاته الاقامات المستديمة في المهاجر ، نشأت «طبقة بورجوازية متوسطة . وتظهر بورجوازيتها في نوعية العمل الذي كانت تقوم به وهو التجارة أو الفلاحة في غالب الأحيان ، كما تظهر في المنزل الذي تسكنه والذي يتميز من داخله لا من خارجه» (46) .

* * *

4 . I . I : إثراء المغاربة بالتجارة في الخارج

وآن لنا أن ننظر الى الآثار التي خلفتها التجارة في الأوساط المغربية. وللأسف ليست لنا دراسات عن جميع التجار في مختلف المدن سوى فاس . ولذلك سأسوق بعض ما وقفت عليه .

لم تكن فاس باب التجارة المغربية ، وإنما كانت خزينا لها ، وبالأخص للمبادلات مع الخارج ، لما اشتملت عليه من الوسائط والفنادق والخزائن والأهراء ودور السلع من جهة أولى ، ولما حُبي به البعض من أهلها من حب

---

45 . عبد المجيد بنجلون : « جولات ... 1901 » ص 70

46 . عبد الكريم غلاب : « المجتمع التقليدي بفاس في مواجهة تحديات العصر » في مجلة « المناهل » العدد 12 (يوليوز 1978) ص 89 وما بعدها .

للمـال وللربح من جهة ثانية ، ولأنها كانت عاصمة للبـلاد من جهة ثالثة . ولموقعها الجغرافي من جهة رابعة .

والتآليف عنها كثيرة ، أجنبية كانت أو وطنية . وقد اهتم المصنفون والرحالة الأوروبيون بها وبأهلها ، محاولين هتك أسرارها واستجلاء أخبارها .

أما في الحاضر فالدراسات الوطنية عنها غزيرة ، ولا تخلو من فائدة محققة وآخرها كتاب «فاس ، كشاف المراجع البيبليوغرافية للتراث الثقافي» الذي أصدرته وزارة الثقافة بالرباط سنة 1981 .

وقد اشتمل على 677 مرجعا باللغات الأجنبية و 514 باللغة العربية ولو أن ذكر بعضها مكرر . وقد هيىء هذا الكشف الذي ليس جامعا مانعا ، بمناسبة الحملة الدولية لانقاذ مدينة فاس وتراثها وحضارتها العريقة .

ومن آخر ما صدر فيما نحن بصدده دراسة قـيِّمة عن التطورات التي حدثت في نهاية القرن الماضي وبعده بقليل ، وعن حالة أهلها ، من حيث تكدس ثروات 44 منهم بعامل التجارة والتوسط في بيع الانتاج الأجنبي مما أشرت إليه سابقا . وها هي أسماؤهم وثرواتهم التي كانت في بعضها وليدة القرن التاسع عشر :

1 ـ **ادريس التازي** : محمي إنجليزي ، احترف التجارة وأحدث نوع القطن المسمى «الحاج التازي» . أودع ماركته لدى هنري Henri **الصانـع** بمدينة منشيسطر سنة 1907 . بلغت ثروته 20 مليونا من الفرنكات سنة 1907.

2 ـ **المدني التازي** : شقيق السابق ومحمي إنجليزي أيضا (كان له 50 مليونا سنة 1909) .

3 ـ **ابو بكر التازي** : محمي إنجليزي أيضا ، كانت له 4 دور تجارية بمدينة منشيسطر (أزيد من 600 مليون سنة 1928) .

4 ـ **محمد بن المدني التازي** : محمي فرنسي ، كانت له اربع دور للتصدير والاستيراد وكان ربحه السنوي بين مليون واحد ومليونين (أزيد من 500 مليون فرنك سنة 1930) .

وبينما كانت ثروة آل التازي بضعة الملايين سنة 1898 ، إذا بأموال مؤسسها ادريس كانت تفوق المليار سنة 1930 .

5 ـ **محمد بن زيد برادة** : محمي فرنسي وزبون كبير لمدينة جنوة الايطالية حيث انتقل إليها سنة 1906 (أكثر من 60 مليونـا من الفرنكـات سنة 1914) .

6 ـ **علي بن الطيب بناني** : محمي فرنسي . كان تاجرا بفاس ، وكانت له ستة مفاتيح وعدة شركاء ، واحد منهم بالسنغال و 3 بالدار البيضاء و 2 بطنجة (ثروته : 350 مليونا سنة 1930) .

7 ـ **الزبير بناني** : كان وسيطا لأخيه بين فاس والقاهرة . وكان يتجر بالقيسارية وكان له خمسة شركاء (150 مليونا سنة 1925) .

8 ـ **محمد بنيس** (أزيد من 200 مليون سنة 1918) .

9 ـ **العربي بنيس** : محمي فرنسي وابن عم السابق . كان تاجراً ومستورداً للمنسوجات (نصف مليون من الفرنكات سنة 1901) .

10 ـ **عبد الحي برادة** (أزيد من 250 مليون فرنك سنة 1927) .

11 ـ **الطيب بناني** : محمي فرنسي وتاجر بالقيسارية ، وكان له 8 مفاتيح بفاس (70 مليون فرنك سنة 1910) .

12 ـ **عبد السلام بن زيد برادة** : محمي إنجليزي . وكان أيضا تاجراً ، ومن كبار مستوردي المنسوجات ، وكانت له نحو عشرة من المفاتيح (أكثر من 300 مليون فرنك سنة 1930) .

13 ـ **محمد بنونة** : محمي فرنسي وتاجـر بالقيسارية ومن كبـار مستوردي النسيج ، وكان لـه 7 شركاء . وثروتـه فاقت 200 مليون فرنك سنة 1927 .

14 ـ **الطاهر مكوار** : محمي إنجليزي كان يشرف على دار للتصدير

والاستيراد بمنشيسطر ، وكان من كبار التجار بفاس ، وكان له 18 شريكا ، منهم اثنان بالسنغال (أكثر من 650 مليون فرنك سنة 1928) .

15 ــ **محمد جسوس** : محمي إنجليزي . تاجر بالقيسارية سنة 1895 وكانت له دار تجارية ومصنع للنسيج بمنشيسطر ، و 22 شريكا (أكثر من 600 مليون فرنك سنة 1930) .

16 ــ **أحمد الصقلي** : كان تاجرا بفاس وأقـام عدة مرات ببلدان خارجية وكان له 10 شركاء (300 مليون فرنك سنة 1922) .

17 ــ **ادريس الحلو** : محمي إنجليزي ، كانت له دار للتوريد والتصدير بلندن من سنة 1897 الى 1902 ومضاربات على النقل بالسيارات و 10 شركاء (اكثر من 280 مليونا سنة 1927) .

18 ــ **محمد الشرايبي** : محمي ألماني ومن كبار التجار ، كانت له علاقــة بالسنغال و 9 شركــاء (350 ألف بسيطة سنة 1904 و 350 مليونا من الفرنكات سنة 1930) .

19 ــ **محمد بنكيران** : من كبار تجار فاس وكان له 9 شركاء (أزيد من 200 مليون فرنك سنة 1925) .

20 ــ **محمد الأزرق** : محمي إنجليزي (وتقدم لي الحديث عنه أو عن سَميّه مع المستوطنين بمصر حيث كانت له دار تجارية بالقاهرة) . تجول بالمغرب وأوربا ، وكان مستوردا للسكر والشاي أثناء الحرب العظمى وبعدها ، كما كان يجلب الحرير والأحذية من اليابان ، وأحدث شركات للبقالة بفاس حيث كانت له 10 مفاتيح (أزيد من 15 مليونا من الفرنكات سنة 1900 ومليار سنة 1930) .

21 ــ **محمد بن المعطي التازي** : كان مستوردا للمنسوجات ، وقام برحلات الى الخارج ، وكانت له 10 مفاتيح و 3 أرحية (30 مليون فرنك سنة 1913 قبل مغادرته فاس الى الدار البيضاء) .

22 ـ **حميد التازي** : ابن السابق . كان مستوردا للمنسوجات ومصدرا الى السنغال (160 مليون فرنك بين 1913 و 1930) .

23 ـ **عبد الوهاب التازي** : محمي إنجليزي ومن كبار مستوردي المنسوجات ، فتح مركزا بمنشيسطر ، وكان مضاربا في المنسوجات والسكر ، وكان له 30 مفتاحا و 10 أرحية و 36 شريكا بالمغرب و غيره (أزيد من مليار ونصف من الفرنكات سنة 1930) .

24 ـ **محمد بن العباس القباج** : من الأسر التجارية الكبرى . كان يستورد السكر والشاي خلال الحرب العظمى ، ويصدر الحياك الى الجزائر ، والبلاغي الى السنغال ، وكانت له 8 مفاتيح و 11 شريكا (أزيد من 600 مليون فرنك سنة 1918) .

25 ـ **عبد الرحمان بناني سميرس** : محمي فرنسي ومن كبار الرحالة ، كان له مركزان تجاريان بمدينة منشيسطر ، وكان يستورد السكر والشاي وكان يملك 20 مفتاحا بفاس وكان له 11 شريكا في غيرها (أزيد من 6 ملايين فرنك سنة 1900 وحوالي مليار سنة 1930 وعقارات بفاس ومكناس والدار البيضاء) .

26 ـ **المكي بنعبد الله** : فتح مركزا بلندن سنة 1890 وهو من كبار المصدرين الى السنغال ، ومن اعظم المضاربين على العقارات الحضرية والقروية ، كان له 11 شريكا في المنسوجات والمواد الغذائية (أزيد من مليون بسيطة سنة 1904 وأكثر من 400 مليون فرنك سنة 1925) .

27 ـ **بناصر بنجلون** : كانت له علاقة مع الجزائر ومصر ، و 20 شريكا (أزيد من نصف مليون بسيطة سنة 1905 ، وأكثر من 180 مليونا من الفرنك سنة 1926) .

28 ـ **عبد السلام الصقلي** : محمي إنجليزي . ملاك عقاري كانت له 10 مفاتيح و 9 شركاء في كل من فاس ومكناس والدار البيضاء (50 ألف بسيطة سنة 1900 وأزيد من 450 مليونا من الفرنك سنة 1930) .

29 ـ **بناصر الحلو** : محمي ألماني ومن كبار زبناء جنوة ثم مدينة ليون . كان عنده 25 شريكا بالدار البيضاء وفاس ومكناس (أزيد من 250 ألف بسيطة سنة 1904 وأكثر من 300 مليون فرنك سنة 1930) .

30 ـ **محمد بن عبد القادر بنيس** : محمي فرنسي ، سافر الى الخارج وكانت له تجارة نشيطة مع مدينة ليون و 13 شريكا (أزيد من نصف مليون بسيطة سنة 1904 وأكثر من 250 مليون فرنك سنة 1928) .

31 ـ **محمد بن العربي برادة** : محمي ألماني ، وكان له شركاء بهامبورغ وافريقيا الشمالية والشرق الأوسط والسنغال والقاهرة (له ما بين 100 و 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 250 مليونا من الفرنكات سنة 1930) .

32 ـ **بناصر الصقلي** : محمي إنجليزي وكانت له دار تجارية بهامبورغ وشركاء بالسنغال ومصر و 11 شريكا بالمغرب (300 مليون فرنك سنة 1930) .

33 ـ **حمزة الصقلي** : (في الأصل خمسة الصقلي) محمي ألماني بخلاف شقيقه بناصر المحمي الانجليزي سالف الذكر (25 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 250 مليونا من الفرنك سنة 1930) .

34 ـ **محمد بن أحمد بنيس** : كان له شركاء سنة 1907 بالسنغال وإيران والقاهرة وطنجة وأسس دارا تجارية للمنسوجات بمدينة ليون . وبعد الحرب صار له 15 شريكا بالمغرب (أزيد من 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأكثر من 300 مليون فرنك سنة 1930) .

35 ـ **محمد عيوش** : محمي ألماني . فتح دارا لتجارة المنسوجات بهامبورغ سنة 1907 وأخرى برومة سنة 1914 ، وكان من مستوردي المنسوجات الحريرية من كل مكان وحتى من اليابان . كان لـه 30 شريكـا بطنجة و 6 بالدار البيضاء (50 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 280 مليونا من الفرنك سنة 1930) .

36 ـ **محمد الزمراني** : من كبار الملاكين العقاريين وكان له 6 شركاء : بفاس (3) ومكناس (2) والقاهرة (1) ، ومعصرة زيت ميكانيكية بباب الساكمة (بين 100 و 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 200 مليون فرنك بعد ذلك) .

37 ـ **الحسين الكتاني** : محمي إنجليزي ثم فرنسي . قام بأسفار متعددة الى الخارج (50 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 30 مليونا من الفرنكات سنة 1911) .

38 ـ **الغالي الكتاني** : ابن عم السابق ، وهو من المستوردين والمصدرين ومن كبار التجار ، وله 10 شركاء : 4 بفاس و 6 بالدار البيضاء (أكثر من 350 مليونا من الفرنكات سنة 1930) .

39 ـ **المكي بنشقرون** : كانت له رحلات الى أوربا والسنغال والشرق الأوسط ، ونصب أبناء عمومته بمدينتي جنوة وليون وكان له شركاء : 5 بفاس و 7 بالدر البيضاء (100 ألف بسيطة سنة 1904 وأزيد من 250 مليون من الفرنكات سنة 1930) .

40 ـ **عبد السلام المراكشي** : رحل مرات عديدة الى الخارج وكان له 13 شريكا بالمغرب والسنغال والقاهرة كما كان من كبار المستوردين ، وكان يصدر الى مصر ثم الى اليابان الحرير والأحذية (100 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 200 مليون فرنك سنة 1930) .

41 و 42 ـ **ادريس بنجلون وابنه الهادي** : بدأ الأب تجارته بالسنغال سنة 1890 وسافر الى السودان والشرق الأوسط . وبعد الحرب العظمى قام برحلات الى الخارج ، وتصرف في دار تجارية بهامبورغ ، وكان له 7 شركاء (من 100 الى 500 ألف بسيطة سنة 1905 وأزيد من 150 مليون فرنك سنة 1930).

43 ـ **الطاهر ابن الأمين** : محمي إنجليزي . كان له سنة 1906 شريكان بمرسيلية وثالث بالقاهرة ، واستورد المنسوجات الحريرية والسكر والشاي خلال الحرب العظمى . وفي سنة 1920 نصب ابنه بالدار البيضاء وكان له 6 شركاء (150 ألف بسيطة سنة 1905 و 100 مليون فرنك سنة 1920) .

44 — **محمد بن المكي التــازي** : محمي انجليــزي . كانت لــه دار للمنسوجات القطنية بمنشيسطر و 20 مفتاحاً بفاس و 2 بالقصر الكبير و 2 بمكناس (30 مليوناً من الفرنك قبل سنة 1910 وأزيد من 700 مليون فرنك سنة 1930 ، فضلا عن 20 داراً بفاس) .

وقد نزح أغلب هؤلاء التجار الفاسيين الى الدار البيضاء في مطلع هذا القــرن (47) .

ومن الأنصاف للحقيقة والتاريخ أن يذكر هنا بأنه انبثقت بالذات من أحضان هاته البورجوازية الوطنية — المـُمـَالِـئة تارة ، المـُسـَالمة تارة أخرى — شخصيات أخرى واعية قامت سداً في وجه النفوذ الأجنبي ، وبعثت الوعي القومي في الأوساط الشعبية . أما الملابسات التي صاحبت هذه الصحوة ، والدوافع التي حملت عليها ، والطرائق التي اتخذت في سبيلها فذلك محتاج الى بسط في الفروق الدقيقة ، وهو ما يحيد بنا عن نطاق هذا البحث .

* * *

4 . 1 . 2 : **بعض الماركات التجارية (المنسوجات)**

هاته المدينة كان لها دور عظيم في التصدير والاستيراد ، وتوافد عليها تجار من الداخل ومن الخارج مما سيذكر في غير هذا المكان وفي محله .

لكن مدينة فاس كانت تستقطب التجارة الخارجية استقطابا شديداً وتروجها بالداخل ترويجاً كبيراً . وسنقتصر في ذلك على الأثواب والماركات التجــاريــة .

---

47 . ادريس بنعلي : « مثال الانتقال ، فاس في القرن التاسع عشر » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد » العدد 8 (النصف الثاني من 1980) ص 119—126

ولدى عرض هذا التأليف على صديق من اساتذة الجامعة ، استغرب شديــد الاستغراب من هاته الارقام ، فوجد فيها مبالغة ، ذاكرا لي ان حميدو بناني الرباطي لما توفي قبيل نشوب الحرب الاخيرة خلف ثروة لا تحصى ، قدرها 10 ملايين فرنك ، وكانت في ذلك الوقت من الضخامة بمكان ، فكيف يكون لعبد الوهاب التازي (رقم 23 اعلاه) ثروة تزيد على المليار والنصف من الفرنكات سنة 1930 ؟ وعلى كل ، فالمؤلف بنعلي في حل ، لأنه استقى ما استقاه من المصادر التي احال عليها في نهاية بحثه .

ومن المناسب أن يقال إن الموضة في الأزياء والأثواب كانت لا تصدر إلا عن هاته العاصمة ومن قيساريتها على وجه التحديد ، وأن تجار هاتــه الحاضرة كانوا في الغالب يُولون للبضائع المستوردة نَبْرتهم الشخصية ، الى حد أن تحامل عليهم في ذلك بعض المؤلفين من الأجانب (48) وغيرهم : إذ كان هؤلاء الوسطاء يعرّبون ثم يُمَغْرِبون كل سلعة أجنبية ، ابتداءاً من «تفييسها» ويمدونها بما تفتقر إليه من الاشهار والرواج والأسماء ، وبما يداعب الوجدان بألفاظ إيحائية أو غزلية أو تفاؤلية ، نراهــا واضحة في العلامــات التجارية التي سنستعرض شيئاً منها .

فمن المُروط وقماشات التناميط والقفاطين والأُزُر وغيرها اشتهرت حتى الآن بعض الأصناف ، منهــا القديــم كالزردخان والمَطَيَّب والملْف والمؤبَّر والكَمْخة ، ومنها الحديث نسبيا وهو يحمل أسماء أشخاص أو أماكن كالبندقي (إيطاليا) ، وكَرْبَل (أي كارڤير Carver الانجليزي) ، وشال كاشمير (الهند) ، والسوسْدي (Shuster ? الانجليزي) ، ومَرْزَاية (مرسيليا ؟ Marseille) ، وسَلْويش(مدينة سان لوي Saint-Louis الفرنسية)، والكوزمير (Cosme) ، والنمسا (Niemetz) ، والشيت (مدينة سيت Sète الفرنسية) ، والتــوبيت (Le Touvet ?) ، ومركــان أو americanos وبْرَنْشيك Braunschvig .

القفاطين كانت لها علامات منها «الدنيا جات» و «الخريبة» و «الطيسان» و «بيطراشة» و «القلب». وعرفت ماركات للملبوسات الفوقية كَفَرَجيات الرجال ودفائن النساء ، مثل «المطبوع» و «مَنْ قَدّ عْليه» و «الديمي» و «الكمانجة» و «المسَوَّس» و «فلَّة المعدنوس» و «فلَّة التوريق» و «الثنيجة» و «جوهرة» و «هَالاجا» و «بُهْتَان الحرير» و «فاكية القرن» و «القَرْيصة» و «مشموم

48 . الاخوان طارو : « فاس اوبورجوازيو الاسلام » ص 52 . هذا الكتاب كان قد اثار عند صدوره ضجة لدى بعض اهل فاس لما نسبه اليهم من حق او من باطل . وذلك ما سجله مؤلفان فرنسيان روجي كواندرو وشارل بينز في كتابهما « اراضي المغرب القاصية » ص 11 ، مضيفين ان هذا التحامل لا مبرر له وان احد الاخوين لم يدخل فاس قط وانهما كانا ملهمين من لدن مصالح الاقامة العامة الفرنسية آنذاك .

العزري» و «الطَّرَّن» (أي القطار) و «حبيبة مسيكة» و «لالاحْلوَّة» و «اشرَبْ وْطُل» و «فَرْعُون» و «فُوشْ» و «مشموم السلطان» .

ومن المُروط ايضا «البايْتة» و «حَياتي» و الجيم و «المزوَّق» و «طَرْوال» و مكْرانة» .

ومن الماركات التجارية أذكر «لانكي» و «السحل» و «الكميمة» و «برڭاضو» abrocado و «كورزيانو» و «ألْطُو» alto

ومن أنسجة الخمر والسباني كانت ثمة سباني «القلوب» و «الشوكة» و «باسطو» و «القطبان» و «الطيفور» .

على أن قوامج الحلو كانت شهيرة لدى النساء . وكن يرتدينها ملاصقة للجسم ، وكانت لضيقها تقوم مقام مدعم النهدين .

وكان من هاته المروط والشقق و «البيسَّات» الصوفية والحريرية والقطنية والكتانية ما تصعب الاحاطة به (49) ، مما كان داخلا في أعراف اللباس.

وقديماً قيل : «كُلْ بَشهوتك ، والبس بشهوة الناس» .

فالموضة — إذ تنسجم مع بعض الرغبات — ليست الا عقدة نفسية ، وترجمة لذوق الغير ، والنزول عند حكمه ، ومحاولة تقليده . ويكاد بعض الناس يذهبون الى القول إن للتجار المغتربين ولشركائهم في الداخل دورا ما في انتقاء هاته العبارات وألفاظ النسيج ، المتملقة للخيال ، المزدلفة للشعور ، لتزداد البضاعة نَفاقا ، ولتُضْفِيَ عليها «ذوقا» .

هاته التسميات إنما هي داخلية مغربية . فالأنواع المصدرة من الخارج الى بلدان أخرى كانت بلا ريب تحمل أسماء غير هاته الأسماء المغربية .

49 - بعض الانواع من الانسجة ورد في « العز والصولة » لابن زيدان الجزء الثاني ص 99 وما بعدها ، وفي الجزء الثامن من « تاريخ تطوان » ص 126 و 127 و 145 و 325 لمحمد داود ، والباقي تلقيته من افواه المسنين من التجار والسيدات من اهل مدينة سلا .

وحاصله أن هاته الأنسجة قبل أن تخاط أو تطرز أو تلبس كانت تداعب خيال المرأة وتناشد عواطفها ، ولا تخاطب عقل الرجل إلا على مَضَض ، وإلا لأنه صاحب المال الذي يبتاع به لنفسه أو لزوجته ماشاءت من حرير وديباج وقماش .

لكن المشتري ، إذ يُرضي نفسه وزوجه ، كان يقتني أحيانا «الشهرة» أو الواجهة التجارية . فلرب تاجر سبر أغوار النفس واستبطن أذواق المستهلك ليوقعه في حبائله بواسطة التزيين (إذ طريقة «زَيَّن بَاشْ تْبِيع» معروفة منذ القديم) ، وحسن العرض ، وطنين الأسماء ، وبريق العناوين ، مثلما يفعله تاجر عصرنا الحاضر عندما يقحم في ثمن البضاعة نسبة من تكلفة التجميل والزجاجة الأمامية ، ليؤدي الزبون الفاتورة كاملة من حيث يشعر ، أو من حيث لا يشعر . وكأي من سلعة معينة بيعت في مكان بارز على يد تاجر مشهور ، بثمن أغلى من سعرها الحقيقي في متجر مغمور يتصرف فيه تاجر خامل.

الحرفيون على اختلاف أنواعهم من صناع وتجار كانوا يمارسون «المتاوية» أو ما سماه ابن خلدون المكايسة والمماحكة . وكان تاجر القيسارية خاصة «يعلّي ، باش يْصيب ما يْخَلّي» ولاسيما بفاس كما تقدم (50) .

تاجر فاس عُرف بذكائه ومواهبه اللَّدْنِية (ومثله في هذا المعنى كل تاجر مغربي له وصف الفاسي في المعاملة) . كما امتاز بأنه «فَشّار» أي فَيّاش ، شغوف بابراز ثروته . ولا أدل على ذلك عندما يشتري منزلا جميلا . ومتى اقتناه تطلعت نفسه الى امتلاك المنزل المجاور أو المقابل ليمد إليه قَنْطيرة وليتزوج بامرأة أخرى (51) متى استغنى وعاش في يُسْر ورَغَد .

هاذه البحبوحة ما كانت لتبرز لولا تكدس الثروات ، ولولا تعدد «المفاتيح» التي تعني اليوم ملكية الأصول التجارية ، ولاسيما انطلاقا من

50 . نضيف الى ما سبق في ص 231 ان احمد الصفريوي تخيل في الصفحة 84 من كتابه « صندوق التحف » حوارا دار بين تاجر بز وبين امراة تريد شراء بدعية لابنها . وقد صور في اسلوب ساحر وساخر معا كيف ان الثمن المطلوب كان خمس ريالات فصار ريالين ونصفا .

51 . الاخوان طارو : « فاس او بورجوازيو الاسلام » ص 21 ، ويقصدان بالقنيطرة « الصابة » وهي ماخوذة من كلمة الساباط الفارسية اي الممر المسقف بين دار ودار ، والمعروف في المدن المغربية العتيقة .

التجارة التي هي ـ من حيث كنهها ـ وساطة ، وليست إنتاجا بالمعنى المادي المعروف الذي هو خلق محسوس من محسوس ، وإنما هي مسعى فردي أو جماعي وتجهيز مادي ومجهود عقلي ومعنوي لخلق فائض القيمة .

على أن فقدان هاته الحاسة الخاصة كان من العوامل التي تُسْلِم الى الاعسار والخسارة والسجن ، أو تترك صاحبها في شبه فقر أو توسط حال . ولا ينبغي أن نفهم من التجارة أنها مجرد ربح : فاحتمال الغُرْم وافتراض الغُنْم متلازمان وَسِيَّان . فكم من مواجب إملاق وشهادات عُدْم وحجج إفلاس وضعت ! وكم من غرماء حبسوا ! اما للتغرير بهم في مجال ليسوا من أهله ، وإما لتصريفهم شؤونهم على النمط التقليدي العتيق ، في وقت تبدلت الأرض وقيمها ، وإما لجهلهم بقواعد التجارة ، واما لأنهم لاقوا مضايقات شتى أو مصاعب مختلفة ، أو تجردوا من حسن النية ، أو خلت عقولهم مما هي في حاجة اليه من مضاء وحنكة ومثابرة وخيال .

وعلى كل حال ، كان للبضائع الأجنبية ـ منسوجة كانت أو معدنية ـ عشاقها وباعتها ومتعهدو استيرادهـا وتسويقها وتوزيعها من المرسى الى القيسارية ، ومنها الى الدكاكين والأسواق الحضرية والقروية .

* * *

4 . 2 : **على الأجـانـب** (بين الربح والخسارة)

أما المستوطنون الأُروبيون فقد كانوا الواسطة في الثغور بين التجار المغاربة في الداخل والشركات الأجنبية في الخارج . ولا ريب أن يكونوا قد انتفعوا من هاته المبادلات : استفادوا وانتكسوا معا ، ولكنهم فتكوا قصداً أو عرَضاً بالبِنْيَات والهياكل الاجتماعية العتيقة. وكانت التجارة المِعْول الهدّام الذي صدّع الواجهة الوطنية ، واستل منها بعض عناصر المقاومة ، فاتخذ هذا التدمير أبعادا شتى تمثلت في بروز أنماط جديدة من الحياة الحديثة أخلّت بالموازنات الداخلية ، وبدأت البيئة تعيش في دوامـة لا قرار لها ، حسبما ألمعت الى ذلك مرارا وتكرارا .

ولئن كنا لا نعلم شيئا عن مدى الأرباح الأجنبية من صوف المغرب وحبوبه ، وجلود أنعامه وسائر إنتاجه ومصنوعاته ، فقد أوردت ـ بعكس ذلك ـ كتب التاريخ أسماء المفلسين وأشباههم من أشخاص ذاتيين ومعنويين ، كسالومون بَرْجَل وساموبل وبِنْحاس طوليدانو ويهودة الصايغ ، وكلهم من طنجة ، والترجمان بالصويرة سنة 1879 ، وكالأنجليزيين بالصويرة پينير Pennyer وبروم Broome ، وموسي لاريدو بطنجة ، وداسوي Dassoy وديگولي Degoulet سنة 1882 . وتتابع الافلاس حتى سنة 1885 ، وعاد جزائريون الى بلدانهم يحملون إفلاسهم على كواهلهم ، والتجأ المختَرِبُون من اليهود الى الأضرحة كزاوية درقاوة بالصويرة ، هربا من المتابعة .

أما المؤسسات الكبرى فقد أصابها ما أصاب التجار مثل ڤاليري Valery ، واليهوديين دابيد ليون كوهين وبنسيمحون من مرسيلية ، وروسي Roussy ، وپاريزو Parisot ، وشركة كارڤير داربيشير C. Darbishire ومپير ، وهما من مدينة منشيسطر ، وكل ذلك كان سنة 1883 .

وبعد الافلاس جاء الموت : انتحر الفرنسيان شارل دومون Dumont وفرانسوا كوركورال Corcoral بالدار البيضاء سنة 1880 ، والاسباني سانتياگو پاردو S. Pardo سنة 1882 بنفس المدينة (52) .

وماكادت تمر هاته السنوات العِجاف حتى عاد بعض الازدهار إلى التجارة المغربية ، بعد حصول انتعاش خارجي وتنحية الضعاف وحلول الأقوياء محلهم بحسب قواعد الاحتشاد أو التكتل الاقتصادي الأفقي أو العمودي . بينما انتعش المغاربة من تجار وغيرهم ، واستطاع بعضهم إنقاذ نفسه من التردي في الهاوية ، وعادوا الى اقتناء العقارات واشتراء القيان والعبيد ، والهجرة الى الخارج .

وظهرت بعد مؤتمر مدريد وسائل جديدة لتسهيل التجارة كالصحافة والتلغراف والبريد وانخفاض أثمان النقل البحري . كان للتلغراف دور حاسم

52 • جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 447 — 490

في توجيه الأسعار وتكوين الادخار والاحتكار والتحكم في الأسواق ، وصارت تصل للوكلاء بالمغرب تعليمات مدققة .

وربما كان ربح الوكيل التجاري الأجنبي بالمغرب أعظم من غُنْم صاحب المال بالخارج ، فكان له نصيب ثابت (6%) يخصمه عند الحسابات . أما السمسار المغربي فغالباً ماكان ربحه أقل من غُنْم الوكيل والتاجر الأجنبي.

وعن وسائل النقل المغربية ، لم يدخل عليها تجديد فظلت باهظة الثمن لعدم تعبيد الطرق ولأخطارها ، وصار الحمالون بالجنوب والشمال ممن كانوا يملكون دواب الكُراع والظّهْر ، من جمال وبغال وخيل وحمير ، يشترطون أثمانا مرتفعة ، لحمل البضائع المغربية الى المراسي للتصدير .

وبالمقابل دخلت على الملاحة ثورة كبيرة ، فامتدت الخطوط العالمية التجارية ، واتسع نطاقها لا الى المغرب وحده بل الى سائر جهات المعمور ، وهو شيء وَطّأ أكناف الهجرة الأجنبية ، ومكّن التجار الأوروبيين من تصريف سلعهم .

ولكي يفرضوا أنفسهم عمدوا الى عدد من الحيل : منها إغراق الأسواق بسلع ناقصة الجودة ، ولكنها رخيصة النقل والتكلفة ، ومنها البيع الانتحاري وهو ما يعبر عنه بالدومبينج dumping ، ومنها أيضاً تقليد الانتاج الوطني وتزوير الماركات وتلفيف البضائع أو تزيينها تملقا للذوق المغربي (53) .

ولم يكن تقليد الانتاج وليد هاته الفترة ، فقد منع السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بيع «السباني» (الخُمُر) التي كتبت عليها آيات قرآنية محرفة ، بدافع من يهود إنجلترا (54) ، وذلك تزلفا منهم لاكتساب الأسواق المغربية .

تغلغلت السلع الأجنبية الى المغرب بواديه وحواضره ، وهرع عدد من صغار الباعة والوسطاء الى دور التجارة ، يستحثون أصحابها على تسليمهم

53 . « تاريخ المغرب » ص 296 و 306

54 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 8 ص 343

البضائع لتباع بسرعة بالمراسي ان كانت مما يصدر ، أو ببطء بالمدن الداخلية ان كانت مما يستورد ، وأصبح دور البقال السوسي والبزاز الفاسي عظيما في تسويق المنتوجات الأجنبية (55) .

وكان أنسبُ الأوقات في المعاملات أنسبَها في المواسم الفلاحية : من سقوط أمطار أو احتباسها ، وانقطاع طرق أو انفتاحها ، وغزارة في الانتاج أو ندرته . فاذا ساء الطقس ساءت الأحوال ، فيبدأ الاحتكار المتبوع بالغلاء .

بعد فترات الرخاء تنافست الدول على استغلال السوق المغربي ، فقد كانت فرنسا وإسبانيا وانجلترا زبائن المغرب التقليديين حتى مؤتمر مدريد ، وأخذت ألمانيا تحتل مكانة مرموقة ، ولاسيما بعد سنة 1890 ، إثـر توقيع المعاهدة التجارية مع المغرب . وظهرت آثـار ذلك في التهافت الأوروبي ، ولاسيما الفرنسي والألماني ، في العقد الأخير من القرن الماضي وبداية القرن العشرين ، بعد أن كانت فرنسا سادرة عن هـذا الخطر بتأمين «حدودهـا» واكتساح تونس والسنغال والسودان ، بعد توطيد اركانها بالجزائر .

أما انجلترا ، فكانت تخشى من ظهور المنافسة الألمانية على السوق المغربي فاستقدمت طائفة من الطارقيين والمالطيين والشرقيين الى كل من الصويرة والدار البيضاء وطنجة ، ممهدة بذلك لعقد معاهدة تجارية تخلف اتفاقية سنة 1856 البالية . وكانت على الاطلاق أقوى الدول في عدد السماسرة والوكلاء

* * *

4 . 3 : **الآثـار الاجتماعية** (مثال السكر والشـاي)

وقد تركت التجارة الأوروبية بصمات متنوعة في اللسان المغربي وعوائد المغاربة . كان كَرْبَل — كما مر بنا — نوعا من الثياب يلبسه الجند وغير الجند . وكان الفريول نوعا من اللباس يرتديه العملة والصناع ، ولعله مأخوذ

---

55 · مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 344

من فيريوه الفرنسي كما تقدم . ولكن الأكثر من ذلك ظل راسخاً في العادات الغذائية الشعبية .

وكانت أواني الريد لشرب الشاي تسمى كذلك ، لأن تاجرا من مدينة منتشيسطر كان يصنع أواني الشاي الفضية وهو ريتشارد رايت (أو ريد) : R. Reade أو Wright . والأصل في ذلك حسب بعض الروايات أن حرب القرم أدت سنة 1854 الى إغلاق منفذ بحر البلطيق ، فحالت دون وصول سفن الشاي الأنجليزية الى أسواقها المعتادة . فألزم أصحاب البضاعة بتفريغها في ميناء طنجة والصويرة ، ريثما يدبرون أمرها ، ثم بدا لهم أن المغرب هو البديل لسوقهم التقليدية ..

وكان المغاربة قبل ذلك ، حسب نفس المصدر ، لا يشربون الشاي ، وإنما كانوا يحتسون نقيع النعنع أو الشيبة ، معطراً بورق الورد أو ماء زهر البرتقال والليمون (56) .

وتختلف الروايات في تاريخ دخول الشاي الى عادات المغاربة . ويحتمل ان «نشبوة» احتسائه ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر . ولذلك نجد أن قنصل فرنسا بالرباط كان يوزع قوالب السكر وعلب الشاي على بعض رياس البحر في العدوتين بنسبة قالبين ورطل واحد لكل رايس ، وذلك على إثر توقيع معاهدة 28 ماي 1767 بين بلاده وبين سيدي محمد بن عبد الله (57) .

وفي رواية أخرى ، كانت إنجلترا سنة 1820 هي التي قدمت حبوب الشاي هدية الى السلطان مولاي سليمان (58) فصار شربه عادة غذائية لا محيد عنها .

---

56 . ليلى بوزيد : « نحن والانجليز ونقط الالتقاء » في « دعوة الحق » نونبر 1980 ، ص 73 — 74 (نقلا عن كتاب اندري لونوي : A. Launoy ، المغرب » ص 57) .

57 . روجي كواندرو : « قراصنة سلا » ص 65

58 . ريمون شارل : « الروح الاسلامية » ص 271

لكن يبدو أن الشاي أدخل الى المغرب قبل منتصف القرن الثامن عشر ، إذ ذكر هـ ج رينو : J. H. Renaud أن ممثل انجلترا لدى سفارته بمكناس سنة 1727 أهدى للسلطان 18 رطلا من الشاي (59) .

* * *

كان في الامكان أن يكون اتصال المغرب بالخارج سببا في تشجيع بوادر النهضة التي بدأها محمد الرابع والحسن الأول . لكن التعسفات الأجنبية وظلم الولاة أعادت المغرب الى القمقم الذي كان يعيش فيه مُخَيَّرا أو مُسَيَّرا.

وليس لدينا ما يسمح باستخلاص ربح المغرب من هاته التجارة : مذكرات القناصل وكتب الرحالة تعطي نظرة جزئية عابـرة عن الحالة من حرب تطوان الى موت الحسن الأول ، أقل منها في ذلك دفاتر حسابات المراسي والأمناء . وقد يكون من الخَيِّر أن تقابل مع تقارير القناصل ، لينظر الى ذلك من زاوية التاريخ المغربي . لكن عملا من هذا القبيل أظنه عسيرا ، وقد يكون لا طائل تحته ، لانعدام المقاييس واختلاف المفاهيم .

---

59 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا ، ج 2 ص 72 (2)

7 : الفلاحة وامتلاك العقار



الزراعة قطاع كبير وميدان خطير في النشاط الاقتصادي ، وهو لخطورته مس 80% أي السواد الأعظم من سكان المغرب ، ومع ذلك لم يلق كامـل العناية في المؤلفات والمخطوطات ، مما يجعل طرقه على الوجه المطلوب أمرا مستعصيا لا ينقع غلة الصادي .

ولما كان ما لا يدرك كله لا يترك جله ، رأيت اقتحام الميدان واجبا ، فسقت جملة من المعلومات والافـادات تناولت الجانب الـزراعي والجانب العقاري ، ولو بخروج طفيف عن القرن التاسع عشر .

* * *

المطلب الأول : الفـلاحـة

لبثت الزراعة المغربية ، من حرث وغرس وضرع ، متخلفة طوال القرن التاسع عشر ، سواء من حيث هياكل العقار أو صنوف النباتات والأغراس أو طرائق الاستثمار والتصرف في الانتاج ، أو من باب تربية السوائم .

كانت الزراعة وما فتئت الشغل الشاغل لسكـان البوادي ، منهـا يقتاتون ، وفيها يقضون جل أوقاتهم .

I . I : الـــزرع

سننظر هنا الى الهياكل العقارية وطرائق الاستغلال وأنواع الانتاج الزراعـي .

I . I . I : الهياكل العقاريــة

امتلاك الأراضي كان ولا يزال راجعا للخواص وللدولة وللأحباس ، يثبت شرعيا بالرسوم والحيازة وبمقتضى الأعراف ، من شراء وإرث ومعاوضة وهبة . ولئن تنوعت الأملاك العمومية تنوعا مختلفا (أراضي «الجموع» و«الكيش» والدولة) ، فقد كان للأملاك الفلاحية الحبسية نظام خاص ، تدبره المصلحة العمومية المسماة بالأوقاف .

أ ــ **أراضي «الجموع»** وتسمى أيضا الأراضي الجماعية أو العرشية . الدولة تملكها ، و «العرش» أو العشيرة تستغلها . القبيلة بفخداتها وبطونها تقسم بين الفترة والفترة حرثها على الذكور المتزوجين البالغين من القرويين المحليين . وربما كان للأجانب من البدويين الحق في الانتفاع بها ، شريطة المقام بتراب الفخدة المستغلة مدة من السنوات .

هاته العقارات لا تفوَّت ولا تُحْجَز . وما زالت لحد الساعة تسير وفق مقتضيات ظهير 26 رجب 1337 (27 أبريل 1919) ، بعد أن كانت الأعراف والتقاليد هي التي تضبط شؤونها .

وتنقسم أراضي الجموع الى زراعية ورعوية .

الزراعية منها تنقسم الى مغروس ومسقي في أقلها ، والى مراع ومحروث في أكثرهــا .

المراعي تسرح فيها الأنعام بالتناوب ، وبالمراضاة بين العشائر . وكانت تقــوم من أجلها نزاعــات بين الكسابين من أهل الجبال والمرتفعات والصحاري والسهول ، القريبي السكن منها .

أما مساحتها الكاملة في العهود الماضية فصعبة التقدير ، ويرجح أنها كانت أوسع مما هي عليه الآن ، فلا يستبعد أن يكون قد وقع عليها سطو في الجبال والسهول وضفاف الأودية ، على يد الولاة والوجهاء وأهل البوادي (I) مــثــلا .

I ـ البير كيوم : « الملكية الجماعية بالمغرب » ص 15 ـ 17

وبقطع النظر عن الأراضي الصحراوية الجافة بجنوب المغرب وشرقه ، فقد كان مجموع العقارات الجماعية متجاوزاً ستة ملايين هكتار ، لم يُحَدَّد ولم يُحَفَّظْ منها الا نحو النصف في العقد الثاني من هذا القرن العشرين . وتفصيله كما يلي :

– أكثر من مليون هكتار بنواحي مراكش

– ونحو مليون هكتار بنواحي وجدة وتازة

– والباقي بنواح مختلفة بالشرق وبالجنوب وبالوسط (2) .

وسترد أرقام أخرى عن المساحات الفلاحية النافعة منها في الوقت الحاضر .

ب – **أراضي الكيش** . الملكية صافية للدولة التي لها ، مثل النوع السابق ذكره ، الحق العيْني فيها . لكن الحق الشخصي (أي حق الانتفاع) يعود الى قبائل كانت في العهد الماضي مشهورة بصفاتها الحربية وبولائها للسلطان ، في مقابل أداء الخدمة العسكرية .

كان للبواخر (أي عبيد البخاري) استفادة منها في العهد الاسماعيلي . وبعدهم صارت قبائل معينة ، مثل الشراردة والوداية وشراكة القاطنة بنواحي الرباط وفاس ومراكش وأزغار (سيدي قاسم) وتازة ووجدة وغيرها ، هي التي تستغلها .

بطون أخرى من نفس القبائل المخزنية انتفعت بهاته الأراضي في شتى نواحي المغرب ، أذكر منها أولاد دليم والمنابهة ودخيسة والمغافرة وأولاد جامع وتكنة والرحامنة والشبانات وذوي منيع وذوي بلال والشجع وزرارة .

وفي نواحي مراكش في بداية القرن كانت عشائر أُخرى مستخدمة في الحامية العسكرية من أهل سوس والحوز كالغنانمة وحربيل وأهل تسلطانت

---

2 . المصدر الاخير ص 36

وتزكورت وعين دادة وتانشاشت وبوعكاز والغواضم وأولاد نصير وأولاد يحيى وآية يمور (3) وغيرهم . وكانوا يستغلون العقارات المذكورة ، على ما هو مرجح.

هاته الأراضي يستحيل الوقوف على سعتها في الماضي ، لكن المساحات الفلاحية النافعة منها في العهد الحاضر تبلغ نحو 320 ألف هكتار ، ولا ريب أنها كانت أوسع من ذلك .

ت — **أراضي الدولة** المدعوة «الأملاك المخزنية» . هي من ممتلكات الحكومة ، والملكية هنا خاصة وخالصة ، يتصرف صاحبها فيها تصرفَ ذي الحق في حقه ، ببيع وهبة ومعاوضة واستغلال ، الدولة لها فيها الحق العيني والشخصي معا بخلاف الصنفين الماضيين .

منها الزراعية البورية ومنها السقوية ومنها المغروسة ، ولو أن معرفة مساحتها الفعلية في الماضي لم تتيسر .

ومنها الغابوية التي تكسو الآن أزيد من 8 ملايين هكتار (منها أكثر من ثلاثة ملايين بالحلفاء) . ولاجدال في أن مساحتها كانت أضخم من ذلك بكثير في القرن المنصرم ، لما يُعْلَم من أن رقعة المغرب كانت مكسوة بغابات شاسعة . ولربما لم تكن الدولة في الماضي تستصوب تملك الغابة الطبيعية ، ولم تكن أيضاً الأعراف تقرها على ذلك .

ث — **أراضي الأحباس** (أو بلاد الجامع) . للمصلحة العمومية الأخيرة حق النظارة وتنفيذ إرادة المحبس .

نظار الأحباس بالمدن ، ونوابهم بالبوادي ملزمون بتنفيذ وصية المُحَبِّس ، من بر وإحسان وعبادة . والأملاك لا تُفَوَّت ولا تحجز الا بنص القانون .

---

3 . رسالة الامير مولاي عبد الحفيظ بن الحسن الى محمد المفضل غريط في متم جمادى الاولى 1322/ منتصف غشت 1904 وكذلك « المختار من المراسلات المغربية » لأوجين فومي ص 150 وايضا عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 82 و 533

الأوقاف لها ممتلكات فلاحية تستغلها بالاكـراء ، وتبرم عقودا مـع المزارعين للمغارسة والمساقاة والمزارعة المعروفة في الفقه الاسلامي والمذهب المـالكـي .

وعرف عن عقارات الأحباس انها كانت دائماً مستقلة عن أملاك الدولة الخصوصية والعمومية معا ، ولو أن من المتعذر معرفة مساحاتها في القرن الفائت على الأقل ، ولو أن من المحتمل أيضا أن يكون بعض الأشخاص قد سطوا أيضاً على طرف منها بأنواع التحايل ، مثل الاكراء الطويل الأمد أو بالتواطؤ والسكوت .

وحتى سنة 1929 كانت قيمة الأملاك الزراعية تصل الى 258 مليون من الفرنكات ممثلة في 28.260 قطعة (4) ومنبثة في شتى نواحي المغرب .

ج ــ **اراضي الخواص** لا سبيل لمعرفتها وتبيان مساحتها وتحديد أحجامها ومداها . ويجوز أن نقول إنها البقية الباقية من الأراضي النافعة (5) كما سيأتي وأنها كانت تتجاوز الملايين من الهكتارات .

وكما كانت الملكية جماعية ، كانت أيضا فردية . وكانت تتمايز في مساحتها . متوسط الضيعات الفلاحية الفردية لا يمكن تقديره على وجه الدقة ،

---

4 . جوزيف لوسيوني : « الأحباس بالمغرب » ص 213 . اما سنة 1963 فبلغت القطع 130 الفا والمساحة 90 الف هكتار ، بين سقوية وبورية وغابوية . تنظر عن ذلك « دعوة الحق » عدد يناير 1966 ، ص 34

5 . يرى عبد اللطيف بنشريفة في « الحيازات الفلاحية بالمغرب : بنيتهـا وخصائصها » (ص 6 و 7 من « مجلة جغرافية المغرب » العدد الخامس السلسلـة الجديدة 1981) ان مساحة مجموع الاراضي الفلاحية النافعة في الثلث الاخير مـن القرن العشرين تبلغ بالهكتارات وبالنسب المئوية ما يلي :

1 . اراضي الملك الخـاص	:	5.373.600 هـ	او 74،30 ٪
2 . اراضـي الـدولـة	:	445.000 هـ	او 6،15 ٪
3 . اراضـي الجيـش	:	319.200 هـ	او 4،41 ٪
4 . اراضـي الاحبـاس	:	83.700 هـ	او 1،15 ٪
5 . الاراضي الجماعيـة	:	1.009.900 هـ	او 13،96 ٪
الجميع	:	7 231 400 هـ	

لا سيما في العصور الخالية . فالأملاك كانت تتضخم ، كما كانت تتفتت . ومتى تضخمت ، كان لصاحبها وزن اجتماعي يدفعه الى الحفاظ عليه بوزن سياسي أو بجاه مخزني ، أي بزلفى وتزلف تارة ، أو بعصبية وتعصب تارة أخرى .

لكنها متى تفتتت وتجزأت بتعاقب الاراثة عبر الأجيال (وكل توارث يزيد الأملاك تمزيقا ، ويضاعف عدد اصحاب الحقوق فيها) أفضت بأهل الأرياف الى الهجرة الى المدن والحواضر ، طلبا للرزق أو فرارا من العدوان أو نجاة من الأوبئة .

ولئن كان من العسير معرفة معدل الملكية الفردية في مجموع البلاد ، فان متوسطها بأحواز طنجة سنة 1867 كان مثلا يبلغ 50 هكتارا (6) . وهذا رقم لا قياس عليه ، لأنه محط نقاش .

* * *

I . I . 2 : مدى الأملاك العقارية وصيانتها

ولما كان الترامي على العقارات محتملا (لأن الرسوم كانت تعتورها عيوب في الشكل أو في الأصل ، أو يلحق المعاملات غَبْنٌ ، أو يفسدها غش ، كتعدد البيوع لنفس القطعة أو الضيعة ، في وقت واحد لأشخاص مختلفين) ، صار نظام التحفيظ العقاري أفضل ضمانة للحيلولة دون ذلك ، ولكنه لم يحدث إلا في بداية القرن العشرين .

وقبل ذلك ، كان المسح الطوبوغرافي للعقارات أمرا يستحيل معه تثبيت الملكية ، ولو أن الفلاحين كانوا يعرفون حدود عقاراتهم — صغرت مساحتها ، أو كبرت — معرفةَ يقين ، بل كانوا يدركون بالذكرى والحدس مكان إقلاعهم لشوكة أو لغرسة بكامل الدقة ، ولو بعد مرور سنين . الغالب أن كل واحد كان يعلم حقه ، حتى ولو تجاهله أمام الغير .

الاراضي الاخيرة تفوق 10 ملايين هكتار ، تسعة اعشارها مخصصة للرعي . لكن بول باسكون يذهب الى ان مساحة الاراضي الجماعية تبلغ 5 ملايين هكتار للجميع حسبما جاء في « شركة عقارية رعوية » بمجلة « البحث العلمي » ، وبالعدد الرابع والعشرين (يناير ابريل 1975) ، ص 142 ، تعريب زبيدة بورجل .

6 . « تاريخ المغرب » ص 304 .

ضم الأراضي كـان بالشفعة والارث والشراء مثلا . لكن التقنيـات الحديثة أبانت عن فائدته الاقتصادية القصوى ، لا سيما اذا كانت الأرض ستصبح مسقية . ولئن تولدت عن ري الحقول منافع كاحداث فائض القيمة وتقنين الانتاج وبرمجته ضمن طرائق التناوب الزراعي ، فقد خلق السقي أرتفاقات أُخرى لصالح الجوار (إحداث طرق ، ومد قنوات السقي الخ) .

الري والغرس كانا ولا يزالان لمزيد من المردودية الاقتصادية ، حتى لا تترك الأرض مهملة .

* * *

I . I . 3 : الاستغلال وطرائقـه

للانتفاع بانتاج الأرض وسائل مادية وأساليب فنية : فالوسائل هي التربة والماء والبذور والأدوات ، والأساليب هي الاجارة والعمل الشخصي .

أ . التربـة والمـاء

الزوابع تنقل رمال الصحراء التي ليست أرضا فلاحية وهي لا تعنينا هنا . أما الأنواء الأُخرى ولا سيما الأمطـار ، فكانت ولا تـزال في النواحي الشمالية تجرف التربة الصالحة في المنحدرات والمرتفعات . وعـن الريف الغربي الكثير الأمطار ، لاحظ الخبراء أن الانجراف الحالي يقضي على القشرة العليا من الأرض ويدفع بها الى بعيد بنسبة 2% كل سنة . ولا ريب أن هاته الآفات كانت متفاحشة في العهود الماضية . الانجراف والتآكل يحدثان من المخاطر ما لا يطاق : فيضان أودية كسبو ويناون ، وضياع محصولات وأشجار.

وكلما ذهبنا من الشمال الى الجنوب ، ومن الغرب الى الشرق ، تناقصت كميات الغيث السنوية ، وقلت الزراعات ، وكثرت السوائم والأنعام التي منها المعز التي تتسلق الأشجار وتأكل ثمارها واوراقها وتحطم اغصانها . أو ترعى في الحقول فتقلع النبتة بجذرها وبتربتها التي تجرفها السيول وتذروها الريـاح .

اختلفت الأتربة في قابلياتها الزراعية ، ومردها بصفة عامة الى 5 أنواع :

تيرس بهضاب شمال مضيق تازة وجنوبه وسهول مكناس وفاس وضفاف سهل الغرب والجزء الجنوبي من بلاد زمور وزعير ونجود الشاوية ، باستثناء المنطقة الساحلية .

الحَمْري بالمغرب الشرقي ومكناس وطوال المحيط الأطلسي ، غير بعيد عن البحر ولا سيما بنواحي دكالة .

الدَّهْس على ضفاف الأنهار التي تصب في المحيط مثل يَنْتَاون وورغة وسَبو والرَّدَم وبَهْت .

الحرْوشة والرمل بالغرب والواجهة المحيطية (7) .

ب - **باقي الوسائــل**

بالبذور والسماد والأدوات المعدنية والخشبية كان الاستغلال جائزا . ولا يظهر أن البذور كانت منتقاة ، لكن يحتمل جـداً أن الفلاحين المَهَرَة كانوا يعرفون ما يصلح لتربة دون تربة ، ويدركون أوقات الأشغال القروية ، ولهم خبرة بمطالع الفصول وتوقيت لمعرفة المنازل : فصلا الخريف والشتاء للحبوب ، وفصل الربيع للقطاني التي كانت أيضا تزرع في الأراضي «**الجامَّـة**» .

التسميد كان في الأراضي المجاورة للغابة باحراق أوراق الأشجار وجمع رمادها وبذره (8) كما كان بروث البهائم و «الغَبَّار» ، سواء في ذلك الأراضي البورية والمروية .

الأدوات كانت تتمثل خاصة في المحراث الخشبي والمنجل الحديدي والمقص لتشذيب الأشجار والمقدة لقطع الأخشاب .

---

7 . البير كيوم : « التطور الاقتصادي للمجتمع القروي المغربي » ص 16 - 18

8 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 215

أما في غير الأراضي «البَعْلِيَّة» والمشجَّرة ، فقد كانت الناعورة مسخرة لجلب مياه الآبار بولجة سلا وبأحواز فاس ومكناس حيث النواعير والسواني ، وبنواحي الصحراء حيث الخَطَّارات المملوءة بفيض الأمطار العاصفة، ولكنها كانت أيضا بغيرها كضفاف ورغة وسبو ، وتذكرنا بالعهد الروماني (9).

أخذ شيء من التجديد يدخل على الأدوات . فقد جلب محمد الرابع لما كان وليا للعهد آلة ذات أربعة أفراس لدرس الزرع (10) .

الحيوانات مقرونةً الى مثيلاتها أو الى غير مثيلاتها كانت تتولى الأعمال الشاقة من حمل وحرث وقلب وعَزْق ، أو منفردة لجلب المياه من الآبار ولسقي أحواض الخضر والبقول بالسواني والحدائق والحقول . لكن العناية بها كانت قليلة وخاصة في علفها .

ت ـ أساليب العمل والاستغلال

ربما كان الغرض الأساسي منها حصول الاكتفاء الذاتي . وكان الاستثمار مباشرا وغير مباشر .

الأول كان عاما ، كلما كانت مساحة القطعة الأرضية صغيرة أو متوسطة ، يعمل فيها الفلاح بنفسه وأهله ، ويستعين أحيانا بغيره من العمال لأجراء ما هو واجب من عزق وقلب وحرث واستصلاح وتنقية وحصد ودرس ونقل .

والثاني كان موجودا ، متى عظمت المساحة أو كان الملاك حَضَرِيا أو كثير العقارات . فكان يكريها للغير أو يعقدها له بالخُبْزَة أو بالنصيب ، أو كان يعمد الى اتخاذ نظام الخِماسة في الأراضي البعلية ، أو نظام الرُّبَاعة

---

9 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 36

10 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 32

في الملكيات المسقية . ولا يزال الخمّاسون والربّاعون يشتغلون حسب هاته الطريقة القديمة منذ قرون سحيقة .

والى جانب ذلك كانت «السُّخْرة» وكانت «التويزة» : الأولى كانت قسرية والأخرى كانت ، في كثير من مظاهرها ، تعاضدية . والمراد بهاته الأخيرة التعاون في إنجاز الأشغال القروية في الأراضي الفسيحة الأرجاء كالعزائب التي كانت في ملك أهل الزوايا ورجال المخزن والولاة والاشراف ، ولكنها ما لبثت أن صارت سخرة قسرية على الفلاح ورجل البوادي .

هاته الأيدي العاملة سهرت على تنفيذ عدد من العمليات النافعة والمضرة : تنقية الأرض من الدوم والأشواك والعُنّاب والأحجار . وفي منطقة الغرب مثلا استصلحت العقارات وجففت المرجات من الماء ، ولو أن هاته العملية لم تُجْرَ على نطاق واسع إلا في النصف الأول من القرن العشرين ، حينما نزل المعمرون بهاته الناحية .

بعض الفلاحين من اهل الجبال حرثوا المنحدرات فانجرفت التربة ، أو ترامو على الغابة فقلعوا أشجارها . ولم تكن المدرّجات معروفة في ذلك الوقت على الراجح ، كما لم يكن الانحتات معالجا بالطرق العصرية المعهودة في وقتنا ، مثل الطريقة البيولوجية (كالغرس) او الميكانيكية (كالتدعيم بأسوار من الأحجار) .

هاته الأساليب المختلفة في الاستغلال صاحبتها طرائق أخرى في العقود . إكراء الأراضي للغير كان مضرا بها . فالمكتري ، الذي يعلم أن العقار الذي سيستغله صائر الى غيره لا محالة ، لم يكن يُعْنى بمستقبل الأرض ، همه – كهم الملاك – أن يستخرج منها أقصى ما يجوز من ربح ، أو أوفر ما يمكن من إنتاج ، بأقل جهد وأدنى تكلفة .

الفلاح الملاك المستغل كان يعرف أنواعا من الأساليب الزراعية منذ عهود قديمة . كان يترك قسطا من أرضه مستريحا طيلة موسم فلاحي أو يزرعه

بالقطاني تقوية لعناصر الحياة فيه . كان الاجمام معهودا رجاء «الصابة» الوفيرة أو توخيا لتحسين الانتاج وظروفه .

* * *

I . I . 4 : الانتاج الزراعي

شُغِلت الأرض بأنواع الفلاحة البعلية والمروية ، وغطيت بأشجار الفاكهة والغابة في السهل والجبل معا . أما واحات الشرق والجنوب ، فقد أنبت فيها النخل خاصة . الأراضي في النواحي الجافة كسيت بالحَلْفَة والنباتات البرية .

أما الجل الأكبر من مساحة المغرب فكان فيه كثير من الأرض المَوَات قد تصلح للاستغلال وقد لا تصلح .

وقبل أن ندخل للكلام عن الأنواع الزراعية القُوتِية ، يحسن بنا أن نستعرض كافة الأراضي ، لنرى ما كان مهملا وما كان مستصلحا أو صالحا للنشاط الفلاحي والحيواني .

أ . الأراضي المهملة والمستصلحة

لم يرد في المصادر القديمة بيان عن مساحات الأراضي المستصلحة والمهملة . فالمؤلفون والرحالة الأُوروبيون الذين زاروا في القرن التاسع عشر منطقة الغرب التي كانت بابا للمغرب الشمالي تضاربت أقوالهم في ذلك . بعضهم ذهب الى أن المُهْمَل منها كان الثلثين ، وآخرون قالوا إنه النصف ، وثالثون بالغوا فزعموا أن 99% من ناحية الغرب كانت مهملة ، ولاسيما في سنوات القحط . وبديهي أن الغرب منطقة فقط ، ولا يصح القياس عليها ولا التعميم في الحكم تبعا لذلك .

أما رأي ده فوكو فيحتمل النقاش ، إذ يروي أن النواحي المهملة كانت بتازة وتادلة وسايس في السنة التي تجول فيها ببعض أنحاء المغرب (1883) ، بعد سني الجذب الذي استمر سبع سنوات بالجنوب وخمسة فيما عداه .

لكنه مالبث أن ذكر عن النواحي الأخرى أن «المغاربـة لم يكونـوا يدّعون حرث أي مكان صالح بناحية شفشاون ، وأن أحواز فاس لم تكن تحتوي على مكان مهمل الحرث ، وأن قبيلة زمور تقطن ببلاد غنية ومحروثة ، وأن سوس بلاد الزراعات المزدهرة . . . » (11) .

وتعوزنا إفادات عن أحوال الأراضي في القرن الماضي للمقارنة . وحتى منتصف القرن الحالي كانت المساحات القروية الاجمالية في المنطقة الوسطى من المغرب (دون باقي النواحي الشمالية والجنوبية) تبلغ مستويات مختلفة من الاهمال والغرس والحرث والنبات . فكانت :

- 52٫00 % من الأراضي : مَوَاتا
- 9٫20 % « « : محروثة
- 6٫80 % « « : مستريحة
- 9٫10 % « « : غابوية
- 4٫60 % « « : عامرة بالحَلْفة
- 17٫00 % « « : مراعـي
- 12٫00 % « « : حدائق وجنات (12) ، وذلك هـو مجموع 99٫90 % .

على أن مساحة المراعي كانت تبلغ حتى منتصف القرن العشرين أو بعده بقليل حوالي 15 مليونا من الهكتارات (13) من مختلف أصناف الملكيات .

ب ـ **الزراعات البوريـة** : أهمها الحبوب والقطاني التي كانت ولا تزال هي المزروعات البَعْلِية السنوية التقليدية . مساحاتها لم تأت مفصلة عن جميع النواحي ولا مضبوطة في المصادر خلال القرن التاسع عشر .

---

11 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 34 و 35

12 . البير كيوم : « الملكية الجماعية بالمغرب » ص 66

13 . بول باسكون : « شركة عقارية رعوية » مصدر سابق

الأرقام التي عندنا في حاجة الى تمحيص : مثلا كان ثمة نحو 200 ألف هكتار محروثة بالقطاني والدوالي والبواكر سنة 1870 . وقبل ذلك في أحواز طنجة سنة 1867 حرث بالشعير 5 آلاف هكتار وبالحنطة 4 آلاف وبالقمح 3 آلاف (14) . وهاته الأعداد الصغيرة لا تفيدنا الا قليلا .

أما بعد ذلك فلم أقف على شيء حتى بداية القرن العشرين . المصنفون من الأجانب رووا أرقاما جزئية عن طنجة التي ليست مجموع المغرب طبعا . فلنحاول أن نقترب من العهد بأرقام : إذ يستفاد من احصاءات الترتيب سنتي 1915 و 1930 أن المساحات تكاثرت :

الأصناف :		1915 :	1930 :
ـ القمح الصلب	:	563.074 هـ	944.931 هـ
ـ القمح الطري	:	لا شيء	251.590 هـ
ـ الشعير	:	698.504 هـ	1.297.792 هـ
ـ المؤدون للترتيب	:	250.000 فلاح	784.000 فلاح (15)

أرقام أخرى عن سنة 1918 دلت على ازدياد المساحات المحروثة التي بلغت في المجموع مليونا و 861 ألف هكتار . وها هو تفصيلها :

ـ الشعير	882 ألف هـ
ـ القمح الصلب	640 » »
ـ الذرة	264 » »
ـ الفول	38 » »
ـ الحمص	21 » »

14 . « تاريخ المغرب » ص 314

15 . ليون مارشال : « مختصر التشريع المالي المغربي » ص 97 .

— الذرة البيضاء والزوان 9 » »
— الكتـــان 3 » » (16)

وهنا ينبغي أن أشير الى أن هاته البيانات لا تخص الا المنطقة التي كانت تدعى السلطانية ، دون باقي المناطق ، والى أنهـا لا تعني مجمـوع المساحات الخاضعة للضريبة المذكورة .

ومما لا شك فيه أن بعضا من الفلاحين كان لا يصرح بما عنده ، لسبب من الأسباب ، فلا تدخل مساحته ضمن المجموع .

ونلاحظ هنا أن القمح الطري لم يكن معروفا ، وحتى سنة 1918 لم يرد له ذكر ، وهو مما جلبه الأجانب الى المغرب . بينما كان الشعير محروثاً بالنواحي الجنوبية ، خاصة وأنه لايتطلب الكثير من المياه وينسجم مع أحوال الطـقـس .

وايا كان الأمر ، فقد كانت الأراضي مشغولة في جزء منها بالحروث التقليدية التي لا يعرف مدى عطائها السنوي في الوحدة . بيد أن معدل الانتاج السنوي في الهكتار كان لا يتجاوز في الغالب 700 كيلو (17) ، حسب سنوات الرخاء ، أو أقل من ذلك أو منعدماً في سنوات الجذب .

ت — **الزراعات المسقية** : الماء هو العمدة فيها . وفي شأنه كانت تنشب نزاعات بين الفلاحين في السهول والجبال والصحراء . وفي نواحـي الحوز اشتدت الخصومات والفتن عليه .

وفي فجيج سنة 1877 تواطأت قبيلة الوداغير وقبيلة زناكة على قصر من القصور القريبة لتنتزع منهم الماء . فتربص المعتدون حتى دخل أهل هذا

---

16 . البير كيوم : « الملكية الجماعية بالمغرب » ص 66 . وعلى سبيـل المؤانسة نشير الى ان التصميم الثلاثي 1978 — 1980 قدر المساحات المحروثـة بالقمح الصلب والطري في 000 753 1 هكتار ، والمساحات المبذورة بالشعير والخرطال والقطاني في 000 215 3 هـ

17 . احمد التوفيق : « اينولتان » ج 1 ص 215

الدوار الى المسجد ، ووضعوا ناسفة تحته ، فهلك جميع من فيه ــ على ما قيل ــ من جراء الانفجار ، فتحول المــاء الى ناحية زناكــة وصارت غنية بالمــاء المغتصب (18) .

كانت المزروعات تحتوي على الخضر والبقول والفواكه والدوالي وبعض المشجرات . أما المساحات المسقية فغير مذكورة في المصنفات والمخطوطات ، ولكنها حتى منتصف القرن العشرين لم تكن تتعدى 50 ألف هكتار ، (وهي مساحة تضاعفت اليوم 14 مرة) .

اشتهر أهل درعة بالمهارة في الزراعة المسقية ، وأهل الغرب بتربية المواشي ، وأهل الريف بغراسة الأشجار (19) والكروم .

وقد مر بنا أن سكان بعض المدن كفاس وسلا وأهل ضفاف ورغــة وسوس كانوا يحسنون الزراعة السقوية .

أهل سوس ومراكش كانوا في القديم يستخرجون السكر من القصب ، لكن هاته الزراعة مالبثت أن خَبَتْ ، الى أن حاول محمد الرابع إحياءهــا على ما يظهر .

فقد اعتنى بزراعــة القصب السكري ، واستقدم لذلك اختصاصيين لتصفيته في مصنع أكدال بمراكش ، وجدد حفر قنوات السقي ، وحاول حفر آبار على الطريقة العصرية .

كما أنه اتخذ مبادرات لزراعة القطن ، وشجعت إنجلترا حكومة المغرب على حراثته بنواحي دكالة والجديدة سنة 1865 ، فبلغ إنتاجه آنذاك 400 قنطار (20) . سلا وأحوازها كانت تحرث القطن في نفس الفترة لمدة من الزمان .

---

18 . مارك بونفوس : « منخلة فجيج » ص 71

19 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 37

20 . عبد العزيز بنعبد الله : « مظاهر ... » ج 2 ص 32 و 68

وما عتمت تلك الزراعة أن انهارت لأسباب دولية وظرفية ، ولما يتطلب حرث القطن من عناية وعناء .

ولئن لم يكن الأرز على ما يعتقد معروفا في زراعته في ذلك العصر ، فقد بدأ إنتاج البطاطيس يصدره أ'روبيو الدار البيضاء حوالي 1880 في نسب ضعيفـة .

وعلى كل حال ، كانت الأرض المغربية تنبت ما يكفي لتغذية 5 أو 7 ملايين من السكان ، وكان شيء من الانتاج الفلاحي والحيواني والغابوي يصدر الى الخارج كالحبوب والقطاني والجلود والصوف والفرشي ، على يد المخزن ولاسيما حبوب الزكوات والأعشار .

أما الباقي منه فكان يدخر في المطامير والأكاديرات ، أو يباع في الأسواق ، كما كان التبن يجمع بالنوادر بالأكوام لعلف البهائم .

ث ــ المغروســات

اشتملت على أشجار الفواكه في المرتفعات والسهول معا : مثل الكروم ومثل أشجار الزيتون واللوز والتين والمشمش والحمضيات والتفاح والرمان والبرقوق . كما كانت أنواع من الأشجار كالنخيل تغرس ني الصحراء ، بينما كانت أشجار الفرشي والعرعر والأرز والصنوبر والبلوط تنمو في الجبال وحتى في السهول ، حيث الأرض فقيرة التربة .

وبناحية الصويرة اشتهرت غابات أَرْكَان ، التي لا توجد في أي بلاد غير المغرب ، ويُعصر منها زيت لذيذ ، سال له لعــاب بعض المستوطنين الفرنسيين بهاته المدينة في أواخر القرن الماضي .



هذا بعض ما يتعلق بالأرض وهيكلها ووسائل استغلالها وإنتاجها البوري والمروي والمشجر ، لما فيه من مصلحة للانسان وللحيوان . وقد أتيت سابقا بطائفة من الأرقام والبيانات على وجه التقريب والاستئناس ، لأن

بداية القرن العشرين تتماثل في بعض من أوجهها مع نهاية القرن الذي قبله ، حسبما أشرت اليه غير ما مرة في مواطن مختلفة . ومن هنا نخلص الى دواب الكُراع والظهر والضرْع .

* * *

المطلب الثاني : السوائـــم

اختلفت في أعمالها وتعددت رؤوسها

2 . I : دور المواشي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كانت مصدرا أساسيا وثانويا معا من مصادر أهل الو برَ . فبينما يتخذها الرحالون موردا جوهريا ويسيمون دوابهم في المراعي ، جعلها المقيمون دخلا مكملا لما لهم من عقار أو شجر ، حتى قيل عنها إنها «كنز الفقير» يدخر فيها توفيره .

ذوات الكراع تعينهم بِرَوْثها وجهدها ونتاجها في أعمال الحرث الشاقة (البغال والحمير والجمال والثيران). وكان منها ما يتخذ للظهر أي الركوب والسفر . وأفضلها الجمال في الصحراء ، والأفراس في البوادي . الخيل كانت للأفراح والزينة والحرب والمفاخرة ، لما اشتهرت به من سرعة وخفة ورشاقة في رياضة «التبوريد» . ولا ريب أن الحصان كان سفينة البيداء ، مثلما كان الجمل سفينة الصحراء ، ولاشك أن من أهل القرى من كان يُعْنَى بتربيتها منذ عهود قديمة ، على الرغم من انتقادات جون هي واستهزائه ، لما قارنها بغيرها من الخيول الأجنبية في إحدى رسائله .

المؤاخذات هاتـه لا تنصرف فقط الى الخيول ، ولكن الى مجموع السوائم . فكانت تصاب بأوبئة وبأمراض ، وتعالج على يد البيطار التقليدي الذي ورث عنه السمار بعض أعماله .

حيوان الكُراع والضرْع كان يعيش كيفما اتفق : تارة يطلق في المراعي الطبيعية او «المكَدلة» ، (أي المحاطة بأحواش وأسلاك ، منعاً للمواشي

من دخولها . ولاسيما عند أهل الجبال) وتارة أخرى في الحقول المحصودة . ومرة ثالثة بالغابة يلتقط ما يكفيه أوما لايكفيه لاسترداد الجهد الذي بذل، طول النهار ، او المنتظر منه من إنتاج غذائي كاللبن ومشتقاته واللحم والادام والصوف والجلود أو من نتاج وتوالد .

وكان من هاته الدواب ما كان قَنوعا ولوداً ، كالمعز الذي تلد أنثاه بِهْمَيْن أو ثلاثة كل خمسة أشهر ، والذي يَجْتَثُ النبتة من أصلها وبتربتها في المرتفعات ، ويلحق أضرارا بالأرض والشجر حسبما تقدم وصفه .

ومنها ما هو أكُول" ومِعْطاء كالبقر . كان ادخار العلف يأتي في المرتبة الأخيرة من اهتمام مالكها . فاذا احتاج الى مال يقضي به حاجة عرضت لـه كالحصاد ، باعها في السوق ، ولربما نحر خروفا إقراءاً لضيفه الطارىء ، أو ذبح شاة استئلافاً لقلب زوجته الناشزة ، أو «عَرْقَب» على قومه ، أي سفك دم حيوان ، حقنا لدماء أهل قبيلته .

وأشد الأوقات حرجا لها كان هو فصل الخريف وبداية فصل الشتاء .

اتخذ الكساب لها رعاة بالأجرة أو بالنصيب . واذا كان الفلاح يفخر بعدد زوجات حرثه الكبرى أو الصغرى ، فقد كان المربي يَعْتَدُّ بأرقام عِصِيّه وقطعانه و «دولة» أنعامه .

* * *

2 . 2 : أعـداد الأنعـام

رؤوس المواشي اختلفت أرقامها عبر السنوات ، فقد تزايدت في أيام الرخاء وتناقصت في أيام الشدة خلال القرن الماضي .

ده فوكو رأى بنجد ولماس قطعانا كثيرة من الأنعام ، وببلاد تادلة أعدادا كثيرة من الجمال والأغنام ، وشاهد بسوس أبقارا جميلة ووفيرة ، مثلما رأى ببلاد زيان وطنجة وأوروبا (21) .

---

21 . عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 35

مؤلفات الأجانب لا تشير بشيء الى بقية المناطق كالغرب والشاوية والظهرا والصحراء ، حيث تعددت الأنعام .

وأيا كانت رواية الراهب ، فقد تضاربت الأقوال في عدد السوائم في العهد الرحماني حيث كان المغرب يملك 40 مليوناً من الغنم وما بين 10 و 12 مليونا من المعز ومن 5 الى 6 ملايين من البقر و 5 ملايين من الجمال والأفراس والبغال والحمير ، نقلا عن راهب آخر هو ليون كودار ، بينما يرى مصدر إضافي أن ثروة المغرب من الحيوانات كانت 48 مليونا من الغنم و 6 ملايين من البقر (22) سنة 1859 .

وكانت سنوات الشـدة التي جـاءت بعد ذلك مهلكة . في سنة 1868 ضاعت 30% من أغنام دكالة ، دون بقية النواحي . وفي سنة 1879 ماتت نصف رؤوس المواشي في بعض الأقاليم وثلاثة أرباعها في مناطق أخرى كما تقدمت الاشارة اليها في «الجوائح والقواصم» .

وصُدّرت الى الخارج أصواف كانت سنة 1877 تزن 3 ملايين من الكيلوات ، وهو ما يفيد جَزَّ حوالي مليونين من الغنم (23) أو تزيد بكثير . كما صدرت الثيران ، لكن ببضعة الآلاف كل سنة تقريبا ، لدول مختلفة .

وعلى سبيل التقريب والمؤانسة أذكر أنه كان في المنطقة الوسطى وحدها في منتصف القرن العشرين 23 مليونا من الأغنام و 7 ملايين من المعز و 2 م من الأبقار و 700 ألف من الحمير و 350 ألفا من البغال والأفراس و200 ألف من الجمال (24) .

ونرى مما سلف أن أعداد المواشي تناقصت خلال قرن تناقصاً واضحاً.

* * *

22 . عبد العزيز بنعبد الله : «مظاهر ...» ج 2 ص 30 و «معطيات ...» ج2ص63

23 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 3 ص 240

24 . البير كيوم : « التطور ... » ص 19

والى جانب هاته المواشي كانت الدواجن . ذوات الريش مثل ذوات الضرع كانت لسد الرمق ، كما كانت تباع في الأسواق التي يحمل اليها بيض وزيت وسمن وحبوب وقطان وصوف وعسل . ومما لاشك فيه أن «جباح» النحل أي قفائزه كانت موردا إضافيا للفلاح .

* * *

مجمل ما تقدم كان عن الحيوان والأرض والانسان (25) وأغلبه ورد في تآليف أجنبية . أما وثائقنا وكتب تراثنا فلم تفتح بعد ليقارن ما فيها بما في غيرها . ولو كتب الاطلاع على ما هو مغمور أو مفقود من ربائد الأسر وكنانيش الخراصين وحوالات الأحباس لانفتح باب المناقشة واسعا ، ولظهر تحول مفيد في كتابة التاريخ الاقتصادي خاصة .

وعلى كل حال ، بدأ التطور بارزا في الفلاحة ونموها لما دخل العنصر الأروبي وأغنياء الحضر الى الميدان بشراء العقار وخلطة الفلاحين .

فكيف كان بعض ذلك ؟

* * *

المطلب الثالث : الخلطة وتملك العقـار

3 . I : الخلطـة

قبل النصف الأول من القرن التاسع عشر لم يكن نظام الخلطة أو الاشتراك مع الأجنبي في الانتاج الفلاحي والحيواني معروفا . حتى اذا تقدم

---

25 . الكتب المغربية القديمة لم تمدنا بشيء عن احوال الفلاحة في الماضي لذلك لماجد مناصا لتكميل النقص من الرجوع الى بعض التآليف عن الجغرافية والزراعة الحديثة ، ومن اللجوء الى اولى سنوات النشاط الاداري (1961 – 1978) ، فتصححت الآن عندي شيء من الفهوم وطائفة من التصورات ، لاسيما بعد تقلد اعباء السلطة والانتداب لدى مكتب التسويق والتصدير ، والعمل بمشروع تنمية الريـف الغربـي « الديرو » . ولكل من ذلك علاقة بالمعالم القروي .

واود في الختام ان اقدم جزيل الشكر الى المهندس الزراعي السيد احمد النجاعي وزير الفلاحة سابقا ، على العناية التي قدمها لي اثناء مراجعته لهذا المطلب عن الزراعة والاشغال القروية .

الزمن وتساكن الأوروبيون مع المغاربة وأبرمت معاهدة مدريد بدأت الخلطة تظهر ، وصارت عاملا جديدا من عوامل تكوين الثروة ومصادر الرزق ، وغدت عادة مستحدثة في الاقتصاد الفلاحي ، فأصبح نظام الخليط أشبه بنظام الخماس.

وحينئذ طفقت هاتـه المعاملات تبـرم بين الفلاحين والأوروبيين ، واقتدى بهم أغنياء الحضريين الذين كانوا قبل ذلك بلا ريب يعمدون الى عقود عرفية أو شرعية من هذا النوع مع أهل البوادي (26) .

كان نظام الخليط شبيها بوضعية الخماس . وقد فعلت الخطوب فعلها في المغاربة وتعاظم البحث عن الخلطة التي كانت سهلة المنال .

ولئن كان السمسار والمحمي متمتعين بحصانة في الرقاب والمتاع ، فالخليط لم يكن له من ذلك شيء ، سوى الحماية المفروضة على الأموال التي كانت ملكا للأجانب .

وكان من الأوروبيين من يبيع الخلطة كما يبيع الحماية والسمسرة ، فلم يقتصر على الستة من الخلطاء المقررين في معاهدة مدريد ، بل تجاوزهم الى العشرات .

مثلا بآسفي كانت الخلطة الفلاحية أفيد من الانتاج الفلاحي نفسه ، ولا سيما عند الدكتور آلار Allard نائب قنصل فرنسا ، الذي وصل الى المدينة دون وسائل مادية كافية ، ثم اتخذ لنفسه خلطاء كثيرين خلقوا له من المشاكل ما سيأتي شرحه في مدينة آسفي بحول الله .

وفي منتصف القرن التاسع عشر استطاع ستة تجـار فرنسيين أن يصيروا ملاكين لـ 16.000 رأس من الماشية في قبيلة واحدة هي أولاد حريز . وقد وضعت تحت حراسة 81 راعيا مغربيا . وتألفت تقريبا ـ حسبما جاء في

26 . احيانا كان بعض الخلطاء لا يوفون بعهودهم ، ومثال ذلك انهم كانوا يزعمون لشركائهم هلاك رؤوس من المواشي المجعولة تحت رعايتهم ، او يحتجفـون قسطا من المحاصيل الزراعية ، او يحاولون ـ عند المحاسبة ـ ان « يخرجوا الما فـ الما » مع الملاكين ، وهذا هو اصل النكتة الجناسية السارية على ألسنة الحضريين من ان اصحابهم ليسوا « عروبية » ، وانما هم من اهل « عبروا بيا » (اي بتسكين الباء الاولى) . وقريب من هذا قولهم ايضا : « اذا اراد الله ذهاب المالية ، ابتلاك بخلطة اهل البادية » .

كناشة ابن اليماني ـ من رؤوس الغنم (27) ، وذلك في الوقت الذي كان الصوف المغربي يباع في الخارج بأثمان مربحة .

وبالدار البيضاء اتخذ قنصل إنجلترا جـون لابين وقنصل أمريكـا جون كوب العديد من الخلطاء . ومثلهما في ذلك الحاج عبد السلام الشاوش بالقصر الكبير وهاري ماك لين الأنجليزي بنواحي فاس وغيرها . وكان هذا الضابط قد أثرى إثراء فاحشا من منصبه فوظف معه أعدادا ضخمة من الرعاة المغاربة المسلمين .

هذا ، ولا شك أن رعاة الحلاليف لم يكونوا كلهم من المسلمين لتحريم الخنزير ، ومن المحتمل أنهم كانوا من الاسبانيين والبرتغاليين المملقين . وقد ترددت أصداء رعي الحلوف في أحواز المدن كتطوان والجديدة في رسائل الولاة المغاربـة ، واستنكار السكان للعيث والأقـذار التي كانت ملتصقة بهاتـه الحيوانات (28) .

كان للمحميين دخل في الفلاحة والماشية ، مثلما كان لأعضاء المخزن والولاة والأغنياء من الحضريين وأهل الزوايا . ولم يكن لهاته الخلطة نفس المفعول القانوني الدولي : فالحماية لا تَـنْـجَرّ على متاعهم وأرزاقهم بنفس الصفة أمام المحاكم القنصلية أو المغربية كما اومأت الى ذلك آنفا .

ويكاد المؤلفون والرحالة الأوروبيون يجمعون على أن حالـة العبد والأمَة كانت أفضل من حالة الفلاح المغربي . فقد أخذ فقراء البوادي يرحلون الى المدن هرباً من ظلم الولاة أو فراراً من الجندية أو بحثا عن العمل (29) ، ثم تعاظم النفـوذ الأوروبي وأناخت المجاعات والطواعين بكلكلها عليهم وعلى الصناع اليدويين ، فصار التسارع الى الحمايـة والخلطة سبيلا الى تنكب الأهوال والأزمة التجارية سنة 1880 ، حتى باع أحد الفلاحين هكتارا من الأرض قبل ذلك لأحد تجار مدينة القصر اسمه المراكشي خلال مسغبة 1878 بما يعادل كيسا واحدا من القمح (30) .

---

27 . جيرمان عياش : « جوانب ... » ص 11
28 . عبد الوهاب بنمنصور : « الوثائق » ج 4 ص 239 و 257 و 387
29 . « تاريخ المغرب » ص 311
30 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 457 (8) وص 339 — 343

ومثل هذا الاستغلال البشع كان يرتكبه أجانب ومغاربة آخرون محميون أو شبه محميين . كانوا يشترون الانتاج الفلاحي في حالة اخضراره أو قبل حرثه ، ويقتنون الصوف أحيانا على ظهور أمهاتها ، فاستغنوا استغناء مفضوحا واختزنوا واحتكروا للبيع عند الأزمات والطوارىء (31) . وقد دل هذا البيع بالسلَم (ولو أنه مباح في الشريعة الاسلامية) على حالة الاضطرار الأبدي الذي كان يعاني منه أهل البوادي .

ولو كان هذا التسلط مقتصرا على الانتاج لهان الأمر ، ولكنه امتد الى السطو على الأرض نفسها . وهو ما سنرى شيئاً منه في تملك العقار .

* * *

3 . 2 : التملك العقاري

قبل سنة 1856 لم يكن للأجانب الحق في تملك العقار ، لكن ابتداءاً من سنة 1878 صار التسابق الى استعمار الأراضي بالبوادي أمرا ممكنا بوسائل ملتوية ، بالرغم من تحذير السلطان ومن التدابير التي كانت تتخذها السلطات الادارية والقضائية لدى التسليم والاشهاد العدلي .

ونصت معاهدة مدريد على حق الأجانب من الأوروبيين وغيرهم في اقتناء الملكيات العقارية حضرية كانت أو قروية ، بشرط موافقة المخزن . وتعاظم الخطب ابتداءاً من سنة 1889 ، فاشترى الأجانب مساحات وقطعا بالثغور والأرباض ، وبعد ذلك أنشئت شركات فلاحية كان همها الوحيد العقار والاستعمار .

وكان التراجمة من يهود وغيرهم يملكون ضيعات شاسعة : حاييم بنشيمول كان له 300 هكتار بالغرب ، ومنصور مَلْحَمَة السوري وشريكه ابراهام سَكْسُو كان لهما 140 هكتارا بنواحي طنجة اشترى بعضها

---

31 . « تاريخ المغرب » ص 311

تيودور فورْت Th. Furth الألماني الأصل الفرنسي الجنسية الذي استقر بطنجة سنة 1892 ، وكانت وراءه مصالح بنكية فرنسية .

ومن أهم الملاكين بطنجة الفرنسي جالوزو ، والنمساوي الدكتور شميدل ، والايطالي أكيلي بيطري ، والأمريكي أيون بيرديكاريس ، والسفير جـون هـي .

ومثل ذلك يقال بمدن أخرى في نهاية عهد الحسن الأول . بالجديدة امتلك مورطيو الايطالي عقارات ، وبالصويرة كان لجاكطي الفرنسي أملاك فلاحية . وبالعرائش اشترى ده لاروش الفرنسي أملاكا وعقارات .

وبالدار البيضاء كان لنيومان الألماني ضيعة بالأحواز حوالي 1880 . وامتلك الاخوة لامب عقارات بها وبالجديدة وآسفي ، على الرغم من اشتغالهم بالتجارة . وكانت لفيريوه الفرنسي ولجورج فيرنو الانجليزي أراض زراعية بأحواز المدن .

ونعود الى آسفي لنلاحظ أن مساحة الضيعات بالأحواز بلغت 300 هكتار، وامتلكها أجانب من مختلف الجنسيات مثل الانجليزي بوطلر والفرنسي آلار والنمساوي فريدريك كيلينر F. Kellener الذي كان لـه من الأملاك ما لا يستطيع حرثه ، والذي ظلت ذريته مقيمة هناك حتى منتصف القرن العشرين .

هاته الحالة من الهيمنة على العقار الفلاحي ، ولو أنها ضعيفة المساحة ، مهدت لاستعمار الأرض وللاستيطان الأجنبي . وكان المفروض أن يكون التملك وفق قواعد الشرع الاسلامي وبعد نيل رخصة السلطات . ولكن سريان الرشوة والفساد في الأوساط المخزنية هيأ لذلك أسبابا كثيرة .

ومن ذلك أن قائد الدارالبيضاء سنة 1889 باع للأوروبيين أملاك الدولة نفسها ، وسمح لانجليزيين وإسبانيين بشراء عقارات مختلفة .

ولما استدان قائد مديونة للتاجر الفرنسي بروسبير فيريوه بستين ألف فرنك ، سمح له باقتناء الأرض بقبيلته (32) .

وفي ابريل 1890 شهد المنصر سومرز أن أملاكاً عقارية زراعية كانت بيد أوروبيين بين الدار البيضاء وبرشيد (33) بقيادة أولاد حريز .

وهكذا كان الأمـر عن غير المسلمين . أما الجزائريون فقد كانوا يشترون أملاكا ثم يبيعونها للفرنسيين . وكان القاضي يجيز المعاملة بين المسلمين المغاربة والجزائريين ، ولكنه لم يكن يتفطن الى تلك الحيلة في العقد والتفويت والالتزام .

ودخل اليهـود ـ المحميون وغير المحميين ـ الى ميدان العقـار الحضري ، وامتلكوا ثلاثة أربـاع طنجة ، وأثْرَوْا بالمضاربـات والبيع ، وأصبحوا بذلك من أصحاب الملايين (34) .

على أن البورجوازية التجارية اهتمت فيما بعد بالميدان الفلاحي ، باقتناء الأطيان الزراعية التي يصعب تقدير عددها ، لكن فرز رسوم الملكيات فرزا منهجيا يمكن في يوم من الأيام من معرفة مداها . وأغلب الأملاك الخاضعة للتحفيظ العقاري قبل الحماية الفرنسية كانت حتى سنة 1960 في حيازة أُسـر مغربية كان منها من تعاطت التجارة في القرن التاسع عشر . ومن هؤلاء التجار مغاربة كانوا يملكون أكثر من 7.200 هكتار بأحواز فاس وها هي أنسابهم :

بناني : 1557 هـ ـ التازي : 1130 هـ ـ بنيس : 894 هـ ـ بنشقرون : 868 هـ ـ الحلو : 801 هـ ـ برادة : 663 هـ ـ بنكيران : 357 هـ ـ بنسليمان :

---

32 · جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 339 — 343

33 · نفس المصدر ص 491

34 · ايضا ج 4 ص 402 (3)

356 هـ ـ بنيخلف : 145 هـ ـ بنجلون : 145 هـ ـ جسوس : 123 هـ ـ الكوهن : 110 هـ ـ بنونة : 58 هكتاراً (35) .

* * *

هذا ما تيسر قوله عن المعطيات والمبادلات الاقتصادية . ومن هنا سأشرع في شيء من الحديث عن الشؤون الديبلوماسية .

* * *

35 . ادريس بنعلي « مثال الانتقال ... » ص 110 ـ 113 في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد العدد 8 (نقلا عن تاليف جيورجيو لازاريف G. Lazarev بعنوان « مظاهر الراسمالية الفلاحية بالمغرب » ص 17)

البـــاب الــثـــالــث

جوانب من العلاقات الخارجية

الآن وصلنا الى مبحث آخر يرتبط به باقي الأبواب والفصول والمباحث والمقاطع في هذا الجزء وما سيليه من هذا الكتاب : وهو الشؤون الديبلوماسية والقنصلية من خلال المراجع المطبوعة ، ولا سيما من الوثائق المغربية الغميسة.

إلا أنه يجب الادلاء هنا بتوضيح ، وهو أني لم أطلع على كافة المصادر المخطوطة والمطبوعة التي تتصل بموضوعنا هذا ، وإنما تصفحت منها مـا بلغه الجهد ، وبصرت به العين ، وامتدت اليه اليد ، ولربما لست في حاجة الى مزيد من مثل هذا البيان والتعليل ، لأن هذا الكلام صادق على كل ما تقدم ، وعلى كل ما سيأتي .

ثم إني رأيت أن أرفع التباسا آخر ، وهو أن القول هنا في هذا الباب لن يكون مستفيضا عن العلاقات والالتزامات الخارجية التي كانت لحكومات المغرب البائدة ، ولكنه سيرمي الى الالمام ببعض الجوانب ، لا بغرض الموازنة والحكم ولا بدافع الرغبة وحدها في مراقبة الأحداث من الوجهة التاريخية ، إلا ما أتى من ذلك عرضا أو بما اسعفت به المراجع ، عن هاته الوقائع التي كان تأثيرها مصيريا ، وكانت ابعادها خطيرة ظهرت جلية اكثر ما يكون الجلاء في مطلع القرن العشرين .

وليس في النية إذن الاستقصاء التام ، ولكن مجرد استعراض بعض الوقائع والأزمـات والمشاكل . وإلاّ فأين هي المصـادر الكافية النزيهة الموضوعية ؟ استقراء ذلك من صلب المراسلات الرسمية العتيقة صعب المنال ،

واستنطاق الوثائق المخزنية رهين بادراك اللغة أسلوبا ولفظا ونحوا . فالتراث المغربي لم يحلل ولم يدرس بعد ، لأنه لا يفتأ غيباً من الغيوب . وكل ما ظهر منه وبعث لا يزال في طور الكشف والتخمين . فاذا كان عندنا الفرع ، فأين هو الأصل ؟ واذا وجدنا الخطاب فأين هو الرد ؟

حقاً في تآليف الأجانب وتقارير الديبلوماسيين والقناصل ورجال الارساليات الدينية النصرانية استطرادات مفيدة ، ولربما دراسات قيّمة ، ومؤشرات دقيقة عن الأحداث الديبلوماسية . لكن الى أي حد يجوز اعتبار محتواها ثَبْتاً صحيحا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ مثلا جان لوي مييج وبيير كَيين ألفا عن العلاقات بين المغرب والدول الأجنبية وعن تاريخ المغرب تصانيف جيدة ، لكنهما عجزا عن استكناه مكنون الوثيقة المغربية في أصلها ، ولو أن بعضها مترجم الى لغات الغير .

وهذا يجرنا الى التساؤل — وحالة مصادرنا على ما هي عليه — عن مدى تبعيتنا في ثقافتنا وتفكيرنا للخارج : هل سنظل عالة في كتابة تاريخنا على الأجنبي الذي كانت سياسة بلاده تنطلق من دوافع مختلفة ، وتسير وفق برامج مخططة ، أو تابعة للظروف والملابسات واللقاءات والمواطئات والترضيات والتَنَطّعات والمؤامرات والتحديات والتعسفات ؟ ولهذا يجوز أن نفترض أن في بعض ما جاء في مصنفات عجمية عديدة افتياتاً وتدليساً ، وأنه ليس إلا نظرة أجنبية فيها ذكاء وفيها خبث معا ، وأن مراعاة الجانب المغربي الموضوعي لم تؤخذ بعين الرضا والاعتبار ، فاعتمدت على قلب الحقائق وتشويهها لحاجة في النفس دفينة .

وبعد ، فسيكون عليَّ في هذا الباب أن أمزج ، من المراجع الأجنبية والوثائق المغربية ، ما أعتقد أن فيه فائدة وخدمة لشيء من جوانب الموضوع ، وذلك من منظار خاص — صوابه أو خطأه شيء آخر لا يعني هنا — يسعى لتقريب البعيد من الفهوم ، ولشرح شيء من الوقائع الغامضة ، ولمعرفة سيرة

اسلافنا ، في سلبياتهم وايجابياتهم في شبه صورة طبق الأصل ، لا يشوبها تحريف ولا يعتورها تزيد .

ولئن كان ذلك من أشق الأمور ـ وهذا هو عين الحقيقة ، فالكمال لله ! ـ فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بما يمس بعض هذه الشؤون المنعلقة . ولأجل بسطها ، سُقْتُ الوثائق تارة عن طريق الاقتباس الجزئي ، وتارة أُخرى بواسطة النص الكامل لغميسها ، بعد تسهيل قراءته ما وَسِعَنى التسهيل .

هذا عن الدول التي ارتبطت مع المغرب بعهود وعقود . أما الحكومات الأُخرى (مصر وتركيا) فقد قدمت شيئاً عن ذلك في فصل المغتربين . وما إخال الا أن فيه غُنْيةً وبُلْغَةَ .



وجُماع القول ، ما هي بعض المشاكل المزمنة بين بلادنا والدول الأُوروبية ؟ وكيف كانت تعالج من الجانب المخزني ؟ ومن هم الذين تولوا أمر ذلك ؟ تلك هي رؤوس الفصول التي ستتطرق الى ذلك كما يلي :

ـ الفصل الأول : الأزمات والسفارات المغربية

ـ الفصل الثاني : دار النيابة (نبذة عن حياة الخطيب وبركاش والطريس) .

ـ الفصل الثالث : أعضاء دار النيابة وطرف من نشاطهم .

1 : الازمات و السفارات

يشتمل هذا الفصل على ثلاثة مطالب : الأزمات والسفارات ووفادة الطريس على البابا سنة 1888 .

المطلب الأول : الأزمـــات

دارت علاقات المغرب مع الدول الأجنبية عموما والدول الأوروبية خصوصا قبل سنة 1830 على محور القرصنة : تصفية الغنائم والأسلاب التي غنمها المغـرب على يـد القراصنة المجاهدين ، ثم تسريح الأســارى من الجانبين ، والعمل من أجل احترام الراية الوطنية .

غير أن احتلال فرنسا للجزائر وضع هاته الدولة في موقف آخر لقربها من المغرب . كانت فرنسا تريد نهج سياسة الأُبُهَـة وحفظ السمعة : فلابد أن تُحتَرم الراية الفرنسية بالمغرب لكي تُحْترم تلك الراية أيضا بالجزائر . فلئن كان على المغرب أن يظل مستقلا ، فلفرنسا الحق في تبوء المكانة الأولى فيه ، أما إذا كان محكوما عليه بالانقراض والزوال ، فلفرنسا حق «الشفعة» فيه ، حسبما ذهب إليه عبد الله العروي الذي يضيف :

ولذلك قامت حرب يسلي بين فرنسا والمغرب سنة 1844 ، ثم قامت بعد ذلك بـ 15 سنة حرب تطوان بين المغرب وإسبانيا (1) .

---

1 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 240 — 241

ولا أرى كبير فائدة في بسط الكلام عن هذه الحرب (2) . وبين هذين الحدثين ، وقع توتر بين المغرب وإنجلترا أدى بالأخيرة في منتصف القرن التاسع عشر الى قصف شواطيء الريف ، مثل فرنسا التي قصفت مدينتي طنجة والصويرة سنة 1844 ، فضلاً على قصف مدينة سلا بعد ذلك .

وكان احتلال اسبانيا مدينة تطوان أبعد أثرا من معركة يسلي التي يرى البعض أن المغرب لم يَخُضْها ، وأنه لم ينهزم إلا عرَضاً في موقعة عابرة لم تدم سوى 7 ساعات ، عمل فيها الارجاف بموت ولي العهد (قائد الجيش) كل عمله البسيكولوجي ، فاندحرت المحلات الأميرية دون اقتحام ولا انضباط . أما إسبانيا فقد احتلت المدينة مدة طويلة ، ولم تجلُ عنها الا بعد نيل تعويضات حربية هامة ، بقي المغرب يسددها سنوات طويلة من وفر مراسيه .

وكانت سياسة إسبانيا متصلبة : فمتى أبدى السلطان مرونة وليونة ، كانت تغالي في التعنت الذي أدى بها الى المطالبة بعزل مَحمد الخطيب نائب السلطان بطنجة ، وذلك ما وقع فعلا .

ولا داعي للخوض في تفاصيل النزاعات المغربية مع الدول الأجنبية : ولكن يستحسن التذكير بها :

كانت أعظم المشاكل المعلقة مع إنجلترا هي تخفيض الرسوم الجمركية وحرية التصدير سنة 1856 .

ومع فرنسا : مشاكل الحدود وحمايتها لشريف وزان .

ومع إسبانيا التعويض الحربي ، وتحديد مكان مرسى الصيد منذ نهاية حرب تطوان الى سنة 1883 .

---

2 . عن هاته الحرب تراجع مجلة « الوثائق » المجموع الثاني من ص 234 الى 336 ، حيث رسائل عربية ومعربة ، و « تاريخ تطوان » الجزء الرابع لمحمد داود ، وكتاب « الاتحاف » الجزء الثاني لعبد الرحمان ابن زيدان .

ومع مختلف الدول : حق التملك العقاري منذ سنة 1880 ، وفتح قنصليات بالمدن الداخلية .

وكانت السرقات والاعتداءات على الأجانب تتكاثر ، وتُجْعَل ذريعَة للمطالبة المستمرة بأموال باهظة : (3) ففي منتصف القرن ، كان سعر الدية هو 25 ألف فرنك ، فطالبت إسبانيا بـ 100 ألف سنة 1880 ، ونالته فعلا ألمانيا سنة 1895 ، بعد أن كانت قد طالبت بـ 410 آلاف فرنك عن مقتل فرانز نيومان ، أحد المعمرين بالدار البيضاء .

وهكذا كان لابد للمغرب من 20 سنة لتسديد التعويضات الحربية لاسبانيا (100 مليون فرنك) ، وأداء القرض الانجليزي الذي تلاه . أما سنة 1893 فقد أدى المغرب عن حوادث مليلية لاسبانيا 20 مليونا ، وهو قدر كان يساوي صوائر الدولة لمدة سنتين (4) .

وكانت هاته الأزمات والأحداث بمثابة تحديات لكسر شوكة المغرب والاجهاز عليه ، وهو شيء لم تصل اليه سياسة الدول الأوروبية طالما لم يمت الحسن الأول . فقد كان من الدهاء الشديد ومن قوة الايمان ، بحيث دفع المكايد ما وسعه الدفاع . وكان الى جانبه طائفة من الموظفين وأهل المخزن الأكفاء (على الرغم مما قيل فيهم) ممن ساعدوه على الصمود . لكن الأمر سيتغير كثيراً بوفاته .

كان بعض الديبلوماسيين والرحالة الأجانب يعتبرون المغرب بلد أخلاق غريبة متوحشة ، يجب فتحه على مصراعيه للنشاط الأوروبي ، بضمان حرية المعاملات ، والتكافؤ في الفرص ، والأمان على الأنفس والأموال ، تحت ظل حكومة عادلة نزيهة . فما دامت هاته الشروط لم تتوفر . . . فلا يمكن أن يعامَل معاملةَ البلدان «المتحضرة» بعضها بعضا .

---

3 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 245

4 . المصدر السابق ص 248

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان المخزن يعيش تحت وطأة التهديد بالأزمات مع هاته الدول أو مع غيرها : مع فرنسا ، وعرضا مع اسبانيا سنة 1839 و 1845 ، ومع فرنسا أيضا من سنة 1849 الى سنة 1851 ، ومع اسبانيا سنتي 1859 و 1860 ، ومع ايطاليا سنة 1880 ، ثم مع فرنسا سنة 1884 وبعد ذلك من سنة 1887 الى سنة 1889 ، ثم مع انجلترا سنة 1892 ، ومع اسبانيا مرة أخرى سنة 1893 . . .

وإذا تأملنا هاته الأزمات ، وجدنا أنها كانت تختلق اختلاقا للظفر بمنافع معينة ظلت ، حتى ذلك الحين ، مرفوضة . وقد جرت العادة أن يعقب التوتر جو من التعاون المتين ، ولأجل ذلك كانت العلاقات المغربية الفرنسية جيدة بعد سنتي 1851 و 1884 ، ولهذا أيضا تحسنت العلاقات بين المغرب وإسبانيا سنة 1861 تحسناً ملحوظاً (5) .

وهكذا ، نرى أن تعقد المشاكل من جراء التسرب الأجنبي أدى بالسلطانين محمد الرابع والحسن الأول الى النظر فيها بجد وتمعن ، أكثر من مولاي عبد الرحمان الذي كان أعضاء الهيئة الديبلوماسية «حتى سنة 1842 يكاتبونه مباشرة . ولما كثرت المطالب الزمهم بمكاتبته عن طريق وزير الواسطة» (6) .

وحتى أساليب المكاتبة تغيرت ، فلم يعد ملوك أوروبا ورؤساؤها يلقبون بالطاغية ، وصار القنصل العام أو الوزير المفوض يدعى «الكبلير» أي الفارس وهو لقب تشريف كما نرى ، أو يسمى «المعتبر فلان ، نائب الدولة الفلانية الفخيمة» ، أو كانوا يطلقون عليه اسم الباشدور الذي يعني السفير ، وهي كلمة كانت مخصصة الاطلاق على غير المسلمين (7) ، وان كان بعض الولاة يطلقون لقب الباشدور على محمد بركاش في بعض الأحيان .

---

5 . المصدر السابق ص 244 . تراجع ايضا « ديبلوماسية الدولة العلوية » لابراهيم حركات في « دعوة الحق » ، مارس 1970 ص 134 ، وص 87 من « الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي » لعلال الفاسي .

6 . ر. ج. فريش « المغرب » ص 249

7 . أوجين فومي : « المختار من المراسلات المغربية » الجزء الأول ص 122

ومع ذلك لم يَكْفِ وزير الواسطة ولا وزير الخارجية ولا وزير البحر ولا النائب السلطاني لحل هاته الأزمات . فكان لابد من إيفاد سفارات الى الخارج . وذلك ما سأتناوله بعد حين .

بيد أنه يستحسن ، قبل ذلك ، تصوير سياسة المغرب إزاء أوروبا في القرن التاسع عشر . ولعل عناوين الجزء الثاني والثالث والرابع من كتاب «المغرب وأوروبا» لجان لوي مييج تلخص المراحل المتعاقبة التي مرت بها العلاقات بين المخزن والدول الأجنبية . فبعد «الانفتاح» المختوم بالمعاهدة التجارية المغربية البريطانية سنة 1856 ، بدأت تلوح في الآفاق «المصاعب» ، لا فقط من حيث تطبيق هذا التفتح ، ولكن أيضا من حيث ما لابسه من أطماع وتعسفات ، فانزلق «نحو الأزمة» التي أفضت الى خاتمتها سنة 1912 .

* * *

المطلب الثاني : السفارات المغربيـة

لم يكن بامكان سيدي محمد بن عبد الرحمان ومولاي الحسن تعيين سفراء مقيمين ، ولو أن السلطان الأخير كان ينوي تسميتهم في كل من مدريد وروما وباريس وبرلين ولندن ، ولكنه افتقر الى الوسائل (8) . وإنما اكتفيا بايفاد سفارات تدوم أسابيع أو شهوراً ، إما لطلب تأييد مواقف المخزن ، أو للاقتراض ، أو للتهنئة ، أو لحل بعض المشاكل الظرفية . والغالب أن موضوع السفارة يبقى سريا (9) ، وحتى تاريخ السفر وموانىء الاقلاع . ولا يظـل مضمون السفارة مكتوما إلا لبعض الوقت ، وذلك تفادياً للملابسات والمضاعفات الدولية ، ولو أن بعض السفراء أو كتابهم نشروا مدوناتهم عما رأوه وشاهدوه ، لا عما تطرق اليه المُوفَدون من شؤون .

وإذا نظرنا الى أشخاص السفراء ، وجدناهم ينتمون الى طبقات شتى من المجتمع : فمنهم الوزراء والولاة والعمال والكتاب ، ومنهم الخواص والتجار .

8 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 131

9 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 215

زارت هاتــه السفارات في فترات مختلفة ألمانيا وإنجلترا واسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا وفرنسا (وكلها وقعت معاهدة مدريد) زيادة على حاضرة الفاتيكان .

ولم يُكْتَب للسفارة التي كان الحسن الأول ينوي إرسالها الى رئيس الولايات المتحدة أن تتوجه لأمريكا سنة 1880 ، لرفض ماثيوز اعتمادها لدى حكومة بلاده (10) الموقعة أيضا على معاهدة مدريد .

ولم أعلم بسفارات وجهت الى البرازيل أو الى هولاندا أو الى البلدان السكندينافية أو الى الأنبيريال (أي الامبراطورية النمساوية الهنغارية) ، وكلها أبرمت وفق مدريد مع المغرب ، ولعل ذلك لقلة مصالحها بالمغرب ، أو لِخِفَّة وزنها على الصعيد الدولي .

وما من شك في أن هاته الوفادات كانت تكلل ببعض التوفيق ، أو تمنى بالفشل المُقَنَّع بالكلام المعسول . فالى أين اتجه السفراء ؟ ومتى حلوا ضيوفا ؟ وما كان من نتائج أعمالهم ؟ وماذا حملوه في جعابهم ؟ أسئلة لا نجد لها الآن جوابا شافيا ، وإن كان لازما ايراد أسماء المبعوثين وتاريخ رحلاتهم .

وعلي أن أُشير الى أن جان لوي مييج الذي درس هاته الحقبة وما قبلها بقليل لم يتحدث إلا عن سفارات سلطانية سنة 1885 الى باريس ومدريد ولندن وروما ، وسنة 1888 الى الفاتيكان واسبانيا ، وسنة 1889 الى فرنسا وألمانيا ، وسنة 1890 الى ايطاليا (11) ، دون أن يوضِّح مغزى السفارات ، أو يَعْرِض لها بقليل أو بكثير من التفصيل .

وقليلة هي المصادر الأُخرى — بين عربية وعجمية — التي تطرقت الى هذا الموضوع بما يشفي الغليل .

---

10 . جان هيس : « القضية المغربية » ص 274

11 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 131 (5)

وسأتحدث على التوالي عن سفارات موجهة الى ألمانيا وانجلترا واسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا والڤاتيكان وتركيا وفرنسا .

* * *

أ . **ألمانيا**

1 . سفارة **الطيب ابن هيمة** عامل آسفي كانت لدى الملك غليوم الأول الذي استقبله يوم 23 ماي 1878 ، فطلب مساندة هاته الحكومة للمغرب في حقوقه بالجنوب ، وقد فشلت السفارة لأن ألمانيا كانت تريد بدورها ميناءً على الشاطيء الأطلسي أو بشمال المغرب (12) .

2 . السفارة الثانية هي التي قام بها **الحاج مُحمد بركاش** ابن وزير الخارجية . فقد ذهب سنة 1884 الى برلين ، حاملا رسالة سلطانية الى ملك ألمانيا ، ورافق البعثة الطلابية الحربية الى هناك . وكانت الرسالة مؤرخة في 24 محرم 13/1302 نونبر 1884 (13) .

3 . توجهت سفارة الى برلين في بداية 1889 برئاسة قائد أولاد حريز **عبد السلام بن رشيد** ، الذي قيل إنه كان على علاقة بالمصالح الألمانية (14) . وكان مصحوبا بالحاج مُحمد بركاش ، لاشتراء تجهيزات حربية ، وخصوصا مدافع كروب لتقوية الثغور (15) ولا سيما الرباط وطنجة . وسنرى عند الحديث بطنجة عن ألمانيا ما قالته الوثائق المخزنية عنها . وقد عاد في سفارة أخرى الى ألمانيا سنة 1892 قبل وفادته على ايطاليا كما سيأتي .

4 . وهناك سفارة بعدها قادها عامل المزامزة **المعطي بن الكبير** . وكانت سنة 1890 ، وسنجد صداها بطنجة مع ألمانيا أيضا .

---

12 . عبد الهادي التازي : « الثغور ... » في مجلة « البحث العلمي » العدد 27 ص 16 (يناير — يوليوز 1977) وابن زيدان : « الأتحاف » ج 2 ص 469 .

13 . المصدر الاخير ص 468

14 . مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 131 (5)

15 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 357 ، ومارت وادمون كوفيون « كتاب اعيان المغرب الأقصى » ص 286 .

5 . وقد أوفد السلطان الحسن الأول **الحاج العربي بريشة** في مهمة سرية الى ألمانيا (16) . وبطبيعة الحال لم يعرف شيء عنها ولا عن تاريخها الذي كان بالضرورة قبل سنة 1894 .

6 . ومثلما قيل عن الحاج العربي ، يقال عن أخيه **الحاج عبد الكريم بريشة** الذي عين سفيرا الى ألمانيا (17) . فلم أستطع أن أقف على فحوى السفارة ولا تحديد تاريخها .

* * *

ب . إنجلتـرا

1 . بعد حرب تطوان ، فرضت اسبانيا غرامة حربية على المغرب ، فاضطر المخزن لاستسلاف قدر باهظ من الأموال . ولهذا وجه السلطان محمد الرابع كاتبه **الحاج عبد الرحمان العاجي** للمفاوضة في ذلك مع الحكومة البريطانية (18) . وكان ذلك سنة 1861 ، وصحبه الأمين محمد الشامي .

2 . وكان التمهيد لهذه المفاوضة قد وقع في يونيو 1860 بسفارة الحاج **عبد الكريم بن جلون** الذي تقدم أنه كان تاجرا بفرنسا سنة 1840 والذي كان مصحوبا بأحد تجار انجلترا ريتشارد ݣلوڤر R. Glover من أجل اقتراض 20 مليون ريال (19) .

3 . وكانت السفارة الثالثة هي التي قام بها لأوروبا الغربية الحاج **محمد الزبدي** ، الذي وصل لانجلترا في يوليوز 1876 ، وقدم للملكة خطابـا

---

16 . هنري ده لا مارتينير : « ذكريات ... » ص 139

17 . عبد الكبير الفاسي : « ديبلوماسية المغرب » في « رسالة المغرب » نونبر 1947 ص 163 .

18 . ابن زيدان : « الأتحاف » ج 3 ص 570 ، وجان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 5 ص 57 وما بعدها ، حيث نشرت ترجمة العقـد المبرم آنـذاك سنة 1861 (الوثائق 13 و 14 و 15 و 16) .

19 . روجرز : « تاريخ ... » ص 226

سلطانيا . وكان موضوع السفارة طلب معونة إنجلترا في تأييد وجهة النظر المغربية حول قضية الحماية التعسفية (20) .

4 . وكانت سفارة **الحاج عبد الكريم بريشة** خاصة بمسائل تجارية . ولم يعرف لهاته الوفادة من تاريخ .

5 . والسفارة الخامسة هي التي أسندت الى **عبد الرحمان بن محمد الشرفي** الذي كان كاتبا للسلطان مولاي عبد الرحمان وفقيها مشاركا ووزيرا للخليفة السلطاني بمراكش . وقد عينه محمد الرابع سفيرا «حتى تقررت الأمور ، وتمهدت على الوجه المعروف ، وتيسرت الأسباب في البر والبحر» (21) . ولم تكف هاته الفقرة لاستكناه مضمون السفارة ، ولا لتحديد تاريخها ماعدا وجودها في فترة ما (22) . والراجح أن موضوعها كان هو التمهيد للمعاهدة التجارية والبحرية ، ومعاهدة السلم والصداقة المبرمتين بين البلدين في 9 دجنبر 1856 ، وهو ما قد تفيده عبارة «تيسرت الأسباب في البر والبحر» السابقة (23) . وقد تعمدت ذكر هاته السفارة بالرغم من وقوعها ، على ما أعتقد ، قبل حرب تطوان ، وما ذلك إلا لما كان للعلاقات التجارية ولتدعيم الصداقة من أهمية بين البلدين ، ولخطورة هاته المعاهدة على الاقتصاد المغربي .

6 . وقد تكون **لمَحمد بن عبد الرحمان بركاش** وزير الخارجية سفارة الى انجلترا رافقه فيها محمد المكي البطاوري ، كما سيشار اليه في ترجمة هذا الأخير . ولم أقف لها على تاريخ .

* * *

20 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 سفارة الزبدي من ص 279 الى ص 311 وكذلك « الوثائق » ج 5 ص 16 وما بعدها .

21 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 8 ص 149 (نقلا عن « الجيش »)

22 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 580

23 . الحديث عن المعاهدتين ورد في « الوثائق » : 2 من ص 153 الى ص 229

ت . **إسبانـــا**

1 . الأمير **مولاي العباس بن السلطان مولاي عبد الرحمان** توجه سفيرا لمدريد ، فعقد مع الحكومة الاسبانية المعاهدة التجارية في اكتوبر 1861 ، كما قابل ملكة اسبانيا (24) . ولعله حصل على تأجيل أداء القسطين الأولين من مبلغ الغرامة (25) .

2 . ثاني سفير كان هو **الحاج ادريس بن ادريس** ، نجل الوزير محمد ابن ادريس العمراوي في شأن قضية مليلية . وكان ذلك حوالي 1862 (26) . ولعله كان سنة 1859 سفيرا الى إسبانيا مرة أخرى ، (27) . ولم يعرف شيء عن المقصود من هاته الوفادة الأخيرة .

3 . وبعده جاءت سفارة **محمد بن عبد الله بن أحمد البخاري** . ولم يوفد إلا لتحية ملك اسبانيا عام 1294/1877 عند نزوله بسبتة (28) .

4 . وفي نفس السنة (1294/1877) ، عين الحسن الأول باشا الرباط **عبد السلام السويسي** سفيرا الى اسبانيا «رداً لزيارة باشادورها الموفد على الحضرة السلطانية» (29) دون إيضاح آخر . لكن المقصود كان محاولة لاقناع اسبانيا بالتخلي عن طلبها قطعة سانطاكروث دي ماربيكينيا أو الشبيكة .

5 . أما **الحاج عبد الكريم بريشة** فكانت له سفارات متعددة الى اسبانيا وغيرها حسبما سيأتي في ترجمته . فكان عضوا في الوفد المتوجه لحضور مؤتمر

---

24 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 417

25 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 152

26 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 213

27 . عبد الهادي التازي : « جامع القرويين » ج 3 ص 813

28 . ابن زيدان : «الاتحاف » ج 2 ص 326

29 . المرجع السابق ص 330

مدريد ، ووجه مرات أخرى الى اسبانيا في مسائل الجنوب المغربي ومسائل مليلية . كما قصد فرنسا وألمانيا في مهمات رسمية .

6 . محمد بركاش الذي ترأس وفد المغرب في مؤتمر مدريد اقتبله ملك اسبانيا ، ثم سلم له السفير رسالة الحسن الأول ، وذلك يوم 31 يونيو 1880 في الساعة الثانية عشرة والنصف .

وعن ذلك وجه تقريرا ها هي مبيضته (30) :

« الحمد لله وحده

«ينهي لكريم علم سيدنا أعزه الله أننا لما كنا نلاقينا مع سلطان صبانيا عند وصولنا لمدريد ، ودفعنا له كتاب سيدنا أعزه الله ، شرحنا له محبة سيدنا أعزه الله لهم ولدولتهم وما يناسب ذلك . فأجاب بمثل ذلك ، ووضح أن له ولدولتهم المحبة التامة في جانب سيدنا (أعزه الله) العالي بالله .

«ولما تممنا الأشغال التي كنا بصددها ، وعزمنا على التوجه ، وجب علينا أن نودعه ، فتوجهنا لذلك نحن وخديم سيدنا ، الحاج عبد الكريم بريشة ، فتلاقينا معه ، فجدد الكلام في تأسيس المحبة وتأكيدها ، وأعلن أن مراده اتباع سيرة الأسلاف ، من تمام المحبة واتصالها الى أن تبلغ الى حد أكثر مما كانت عليه .

«وأوصانا بتبليغ ذلك لحضرة سيدنا أعزه الله ، كما حمل بعض ذلك خديم سيدنا المذكور ، ولم يقصر هنا معنا في البرور أولاً وثانياً ، وذلك كله مقصود لجانب سيدنا أعزه الله .

---

30 . مبيضة تقرير بتاريخ 16 شعبان 1297/26 يوليوز 1880 ، محفظة الحماية القنصلية ، ورسالة وزير الدولة الاسباني الى بركاش في 30 يونيو 1880 ، نفس المحفظة

«إلا أنه لم يدفع لنا في تلك الساعة جواب الكتاب الشريف ، والآن بعد حلولنا بطنجة ، (قد) ورد الجواب المذكور على يد باشدورهم ، فيها هو يصل حضرة مولانا مع ترجمته طي هذا . طالبا من مولانا رضاه . والسلام» (31).

7 . وفي سنة 1883 أوفد **بوشتى ابن البغدادي** الى اسبانيا للبحث في قضية سواحل سوس من أكادير الى طرفاية (32) .

8 . سفارة أخرى أسندت سنة 1889 الى **محمد بن أحمد بن المؤذن** السرغيني (33) خلال رحلته الى بلجيكا والبرتغال . ولم يرد عنها تفصيل .

9 . **عبد الحميد الرحماني** وجه سفيرا لدى الحكومة الاسبانية سنة 1891 . وكان موضوع رحلته تقديم جواب الحكومة المغربية عن مطالب إسبانيا ، وكذلك دعوة هاته الدولة الى سحب بعثتها العسكرية من المغرب (34) .

* * *

ث . **ايطاليـــا**

1 . **الحاج محمد الزبدي** كان سفيرا لدى دول أوروبا الغربية فحل بايطاليا في غشت سنة 1876 ، وتقابل مع ملكها ومع أعضاء الحكومة حول قضايا الحماية الأجنبية .

2 . **بوشتى ابن البغدادي** كلف في منتصف 1885 بسفارة لدى حكومة ايطاليا (35) . ولم يعرف عنها شيء .

---

31 . ما بين هلالين كان مكتوبا بالمبيضة ، ثم شطب عليه في الاصل .

32 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 331 .

33 . رسالة السلطان الى الطريس في 3 ربيع الاول 1307/28 اكتوبر 1889 محفظة الطريس 17 .

34 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 337 و 494 .

35 . ابن زيدان « الاتحاف » 2 ص 352

3 . وثالث سفير كان هو القائد **الكبير بن المدني الشاوي** في اكتوبر 1889 (36) .

4 . والسفير الرابع كان هو **عبد السلام برشيد** قائد أولاد حريز ، الذي زار هاته البلاد سنة 1892 قبل الالتحاق بألمانيا . وقد تفقد أحوال البعثة الطلابية بايطاليا (37) .

* * *

ج . البرتغــال

1 . **الطيب ابن هيمة** توجـه سفيرا للبرتغال في تاريخ لم أستطـع تحديده ، ولا معرفة الداعي للسفارة . وقد يكون ذلك سنة 1878 عند سفارته لدى ملك ألمانيا .

2 . وهناك سفير آخر هو **محمد بن أحمد بن المؤذن السرغيني** . وقد كلف أثناء رحلته الى اسبانيا وبلجيكا بالتعزية في وفاة ملك البرتغال سنة 1889 ، وتهنئة الملك الجديد بتوليه (38) .

* * *

ح . بلجيكـــا

1 . كانت من جملة البلدان التي زارها **الحاج محمد الزبدي** خلال رحلته الشهيرة في منتصف 1876 في موضوع الحماية القنصلية ، وقد تقابل مـع ملكهـا .

* * *

---

36 . المصدر السابق

37 . احمد معنينو : « مذكرة طالب » ، في « دعوة الحق » ، العدد الأول ، السنة 12 ص 145 .

38 . ابن زيدان « الاتحاف » ج 2 ص 365

2 . **محمد بن أحمد بن المؤذن السرغيني** قصد هاتـه البـلاد سنة 1889 (39) . ولم أعثر على أي شيء عن هاته الوفادة .

* * *

خ . الفاتيكـــان

بعث السلطان الحسن الأول نائبه بطنجة **الحاج محمد الطريس** سنة 1888 سفيرا لدى البابا ليون الثالث عشر ، في موضوع وساطته لدى الدول الأوروبية للحد من الحماية التعسفية . وقد أتيت بأخبارها مفصلة شيئا ما في نهاية هذا الفصل .

* * *

د . تركـيـــا

أما سفارة **الحاج العربي بريشة** الى اسطنبول فقد جمعت بين الأغراض السرية والأهداف السلطانية ، ولم أستطع تحديد تاريخها (40) .

* * *

ذ . فرنســا

1 . سفارة **الحاج ادريس بن الوزيـر محمد بـن ادريس العمراوي الزموري** كانت في السنة الأولى من العهد المحمدي . وقد وصل في منتصف 1860 الى باريس (41) ، وقابل الملك ناپوليون الثالث (42) . وكان مصحوبا في

---

39 . رسالة السلطان الى الطريس سالفة الذكر (28 اكتوبر 1889)

40 . عبد الكبير الفاسي : « ديبلوماسية المغرب » في مجلة « رسالة المغرب » نونبر 1947 ص 162 . وقد جعل هنري ده لامارتنيير تاريخها في منتصف القرن التاسع عشر في كتابه « ذكريات عن المغرب » ص 139 . ولكنه اخطأ عندما قال ان السلطـان الحسن الاول هو الذي كلفه بتلك المهمة ، لانه كان اذذاك خليفة لا سلطانا .

41 . مبارك زكي : « من ادب الرحلات ... » مجلة « البحث العلمي » اكتوبر 1980 ، العدد 31 ص 67 وما بعدها .

42 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 524 و 570

رحلته بصحافي لبناني هو رشيد الدحداح الذي كان يطبع بسوريا جريدة لتأييد الامبراطور الفرنسي في سياسته بالمشرق (43) . وهو من نصارى لبنان ، كان كاتبا لأسرار الأمير بشير الشهابي ، ولما خلع الأمير المذكور رحل الى مرسيلية وتعاطى التجارة حتى توفي بفرنسا (44) . كما كان يرافق السفير ترجمان يدعى الصويري الذي كان في نفس الوقت سمسارا والقنصل المتدرب بيليسيي (45) . وقد يكون هذا الأخير هو الذي كان «قنصوا بالرباط هذه مدة ، يعرف العربية ، ويأخذ بيدهم فيما يحتاجون إليه» (46) .

ولم يعرف عن هاته السفارة سوى أن السفير تحدث مع المسؤولين في «هاته القضية وفي غيرها من شؤون المملكة التي تقتضيها السياسة والعادة المقررة بين الدول» (47) .

وحتى السفير ابن ادريس لم يفدنا في كتابه «تحفة الملك العزيز ، بمملكة باريز» بشيء ، سوى وصف مشاهداته واقتراحاته المتواضعة ، الأمر الذي يحمل على التساؤل عما إذا كانت هناك تقارير مدققة تسلم الى السلطان عن مثل هاته الرحلات (48) .

ويحتمل أن يكون الموضوع اما قضايا الحدود المغربية الجزائرية ، واما الحصول على وساطة فرنسا لتخفض اسبانيا الغرامة المفروضة على إثر حرب تطوان ، لأن المغرب التزم بدفع 150 مليون فرنك ذهبي من أجل الجلاء (49) .

---

43 · عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 215 ، ومبارك زكي : من أدب الرحلات ... » ص 73 .

44 · خير الدين الزركلي : « الاعلام ... » ج 3 ص 50

45 · مبارك زكي : « من ادب الرحلات ... » ص 73

46 · محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 112

47 · العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » ج 3 ص 34 (نقلا عن « الجيش .. »)

48 · عبد الله العروي : « الاصول ... » ص 215

49 · مبارك زكي : « من ادب الرحلات ... » ص 73

وأيا كان الأمر فقد تقابل مع وزير خارجية فرنسا آنذاك وهو توفينيل Thouvenil (50) .

2 . **الحاج عبد الرحمان العاجي** كان سفيرا سنة 1865 لدى حكومة فرنسا في قضية أولاد سيدي الشيخ والحدود المغربية الجزائرية (51) .

3 . وكانت سفارة **محمد بن عبد الكريم الشركي** ، أحد قواد الجيش السلطاني ، **والحاج محمد بنسعيد** عامل سلا ، من أهم السفارات لا من حيث المواضيع المطروحة فقط ، ولكن أيضاً من حيث طول مكث السفيرين بفرنسا ، حيث زارا خلالها عددا من المآثر .

ويستفاد من كتاب محمد أكنسوس أن الغرض منها كان في شأن ولد حمزة ولد الشيخ بوسماحة (52) ، أي قدور ولد حمزة البوشيخي ، فتكون إذن امتداداً لسفارة العاجي سالفة الذكر . رسالة اعتماد السفيرين المؤرخة في 15 غشت 1865 لا تشير كالعادة الى هاته النقطة بالذات (53) .

وكانت مدة الوفادة كفيلة باجراء اتصالات واسعة مع بعض الأوساط الفرنسية ، ولا سيما مع الشركة التي كانت تريد نصب تلغراف بالمغرب (54) .

وقبل أن أوضح مغزى السفارة ، أود أن ألمح الى أن السفيرين كانا مصحوبين ، وخصوصا في يناير 1866 ، ببعض موظفي المفوضية الفرنسية مثل

---

50 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 2 ص 403 (4)

51 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 530 و 534

52 . محمد اكنسوس : « الجيش ... » ج 2 ص 93

53 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 318 و ج 3 ص 570 . وقد نقل احمد الناصري نصها في كتابه : « الاستقصا » : 9 ص 117 . اما صورتها فتوجد بخزانة حفيده الحاج العربي بنسعيد بسلا . وتاريخها هو 22 ربيع الاول 15/1282 غشت 1865

54 . رسالة السلطان الى الحاج محمد بنسعيد في 23 رجب 25/1306 مارس 1889 ، اصلها بخزانة الحاج العربي بنسعيد .

الترجمان شيفر Schefer ، وبوميي الذي كان قنصلا لفرنسا بالربـــاط والصويرة ، وديطري Destrée الكاتب بطنجة (55) .

أما كاتب السفارة فقد كان هو الحاج محمد السدراتي الذي أصبح فيما بعد قاضيا لمدينة سلا ، وسنرى أنه يضع أيدِينا على الهدف الحقيقي من هاته المهمة ، أفضل مما قاله الناصري الذي ذكر أن الكلام دار مع ملك فرنسا «في شأن هؤلاء النواب الذين يبعثهم الى المغرب ، وأن يكون ينتخبهم من بيوت الأعيان ، وممن يتصف بالتأني وحسن السيرة ، والوقوف عندما حُدّ لهم» (56) ، حسب التصريح الذي تلقاه من عامل سلا ، المتأثر مثلا بسيرة نائب قنصل فرنسا بالرباط أنطوان دوكور ، حسبما سيأتي في محله إن شاء الله بمدينة الرباط .

ومهما يكن ، فقد دارت المحادثة مع وزير خارجية فرنسا دروان ده لوي Drouyen de Lhuys ، حول تسوية 19 غشت 1863، وحول شرور الحماية وإلزام الأجانب أداء الأعشار الفلاحية . وقد أيد هاته السفارة البارون إيمي داكان وزير فرنسا بطنجة وبوميي قنصلها بالصويرة . فوعد وزير الخارجية بارسال التعليمات الضرورية الى ممثل فرنسا بطنجة لتأييد وجهة النظر المغربية ، وذلك مثلا في الوقت الذي كان فيه نائب إسبانيا بطنجة ميري اي كلوم يعترض على أداء الأوروبيين لهاته الرسوم . وقد تكللت المفاوضات بالنجاح ، لأن مَحمد بركاش وقع على اتفاق مع ممثل فرنسا في يبراير 1866 يتعلق بهذا الموضوع (57) .

وبعد فما هو المقصود من سفارة الشركي وبنسعيد ؟ بين يدي مسودة رسالة السفيرين الى وزير الخارجية . وهي غير مؤرخة ، وبخط كاتب السفارة

---

55 . رسالة وزارة الخارجية الفرنسية الى الحاج محمد بنسعيد في 23 يناير 1866 . صورتها بالفرنسية بخزانة الحاج العربي بنسعيد .

56 . « الاستقصا » ج 9 ص 116

57 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 2 ص 551 و ج 3 ص 135 (5)

السدراتي ، وبها تصويبات بقلم الحاج محمد بنسعيد . وها هو فحواها الكامل المشتمل على 8 نقط :

«الحمد لله وحده ،

«السلام التام يخص حضرة **وزير الأمور البرانية** (58) مُوسْيُ دروان دا الويس ، من السفيرين القائد محمد الشرقي والقائد الحاج محمد بن سعيد السلوي ، الواردين من حضرة الامام الأعدل ، الرفيع المقام ، سلطان مراكشة وفاس وأقطار المغرب الأقصا الشريف ، العظيم القدر المنيف ، أمير المؤمنين سيدي محمد ، أرسلهما الى سلطان افرانسة لتجديد المحبة بين الدولتين ، والسعي فيما يزيدها اتصالا بين الايالتين .

«ولننه لشريف **علمك** (59) أن سلطاننا أمرنا أن نعرض على **سعادة حضرة العاهل المعظم ، الملك الأفخم ، نابليون الثالث بونابارطي ، دام عزه (60)** مطالب كلها في المحافظة على المحبة وإشهارها . فالمرجو من سيادتكم أن **ينظرها** (61) بعين الرضى والقبول .

«**أولها** : أن الحماية تكون محصورة فيما هو مُبَيَّن في الشرط الحادي عشر ، مع ما وقع عليه التوافق بين النائبين المفوضين بطنجة ، في ثالث ربيع الأول سنة ألف ومايتان وثمانين ، الموافق للتاسع عشر من غشت سنة ألف وثمانمائة وثلاثة وستين (62) .

---

58 ـ الجملة المغلظة كتبت بخط الحاج محمد بنسعيد ، وقد عوضت هاته العبارة عبارة اخرى شطب فوقها ونصها : « الجناب المعظم المحترم ، عاهل افرانسة نابوليون الثالث بونابارطي ، ووزيره على الامور البرانية » .

59 ـ في الاصل : « علم سلطان افرانسة »

60 ـ الجملة من انشاء الحاج محمد بنسعيد

61 ـ في الاصل : « تنظروها »

62 ـ القصد هنا الى المعاهدة المغربية الفرنسية المبرمة يوم 28 ماي 1767 ، ونصها العربي منشور بمجلة « الوثائق » ج 1 ص 437 . ويتعلق هذا الشرط الحادي عشر بالتسهيلات التي يقدمها المغرب للتجار والقناصل الفرنسيين ولرجال الدين وباتخاذ السماسرة والمحميين ، وتحريرهم من الوظائف

«**الثاني** : أن ما في الشرط الثاني من الشروط المنعقدة بين الدولتين من أن لرعيني الدولتين (أن) يذهبـ (ـوا) حيث شاءو (ا) بتجارتهم ، ءامنين لا يتعدى أحد عليهم ، ولا يمنعون من ذلك (63) :

«هذا الشرط يُقَيَّد بالمحل الذي تكون فيه الأحكام جارية ، وليس فيه **خوف** .

«**الثالث** : أننا — لخوف الضرر على من يريد من إيالة الفرانسيس السكنى في المدن البعيدة من الساحل التي ليس فيها قنصوات ، وجيرانها برابر لا يعرفون صَرْف النصارى — نحب إذنهم بالسكنى بالمدن ، القريبة من الساحل ، التي فيها القونصوات .

«**الرابع** : أن من كان ببلد في إيالة مراكش وأراد السفر منها — وهو من إيالة الفرانسيس — في البر ، فانه يتبع قانون أهل البلد في سفرهم . من كونه يخبر حاكم البلد على يد القونصوا أو نائبه .

«**الخامس** : أن من كان من إيالة الفرانسيس عنده حرث أو ماشية أو غيرهما في إيالة مراكش ، فانه يلزمه مثل ما يلزم أهل ايالة (مراكش) من إعطاء الزكاة والأعشار .

«**السادس** : أن الشكايات التي تصدر بين رعيتي الايالتين : فان كان المشتكي من ايالة الفرانسيس والمشتكى به من ايالة مراكش ، فان الشكوى ترفع لعامل البلد عن يد القونصوا أو نائبه .

«وإن كان المشتكي من ايالة مراكش والمشتكى بـه من ايـالـة الفرانصيص ، فان الشكوى ترفع للقونصوا أو نائبه على يد حاكم البلد .

---

63 . هاته الجملة مقتبسة من الشرط الثاني من نفس معاهدة 1767 ، ونصها بالحرف هو : « ان لرعيتي الدولتين ان يذهبوا حيث شاءوا بتجارتهم ومراكبهم برا وبحرا في أمن وأمان ، بحيث لا يتعدى احدهما على الآخر ولا يمنعهم احد من ذلك » .

«**السابع** : أن الدعاوي الكبار التي يكثر النزاع فيها بين النواب . ترفع لسلطان الايالة التي يتعين الدعوى من طرفه ، ليحكم فيها بمقتضى ما هو جار في الشرع أو القانـون ، وذلك كالقتل . فان كان القاتل من إيالـة افرانسة والمقتول من ايالة مراكش ، فان سلطان افرانسة يحكم في الدعوى . وان كان القاتل من ايالة مراكش والمقتول من ايالة افرانسة ، فان سلطان مراكش يحكم في الدعوى .

«**الثامن** : نخبر جنابكم وأنـ (ـنا) نريد جعل نائب بحضرتكم بباريز ، ليكون واسطة في زيادة المحبة بين الدولتين . كما نحب من كمال سيادتكم وجميل سيرتكم أن تزيدوا توصوا نوابكم ، الذين توجهونهم للخدمة بايالتنا ، بترحيب الصدر ، وحسن الخلق ، والصبر والتأني في الأمور . وان بلغتهم دعوة من الدعاوي ، يبحثون على حقيقتها ، ولا يقبلون فيها إلا شهادة الناس المعروف حالهم ، ولا يقبلون شهادة الصاحب لصاحبه ، ولا العدو لعدوه ، وان كان مثل هذا إنما يقع من أمثال الخليفة الذي كان بالعرائش (64) . وقد أخرتموه عن الخدمة . هـ» (65) .

* * *

4 . سفارة أخرى كانت **لمحمد بن عبد الكريم الشركي** سنة 1868 . وقد حضر فيها معرض باريس (66) ولم أقف على بيان عنها .

5 . وفي سنة 1867 كلف السلطان محمد الرابع وزيره في الشؤون الخارجية **محمد بركاش** بتسليم رسالة الى نابوليون لتهنئته (67) . ولم يرد تفصيل عن هاته السفارة سوى وقوعها في 24 يوليوز 1867 .

---

64 . لم اقف على اسم هذا النائب القنصلي المعزول . فهل كان هو كامي ده لاروش C. de Laroche ؟ ام كان هو الاطرش Alatras اليهودي الحلبي المتفرنس المتوفى سنة 1866 ؟

65 . اصل هاته المسودة موجود بخزانة الحاج العربي بنسعيد . اما اصل الرسالة فلا شك انه دفع لوزير الخارجية ده لوي . والمبيضة كما نرى غفل من التاريخ . وقد اتممت ما ظهر لي من نقص وجعلته بين هلالين

66 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 3 ص 534

67 . المصدر السابق ص 535 ، وتوجد صورة رسالة اعتماد السفير عند محمد نهليل في كتابه « رسائل شريفة » ، اللوحة 23

6 . وكانت **لبركاش** أيضا سفارة أخرى الى باريس سنة 1884 لمعالجة قضية احتماء الحاج عبد السلام الوزاني بحكومة فرنسا على يد لاديلاس ورديكة ، وذلك لما خلفته من أصداء في الداخل والخارج وسيأتي طرف من أخبارها في ترجمة الوزير .

7 . وقبل هاتين السفارتين كانت لـه سفارة سرية الى وهران في منتصف 1865 ، صحبة وزير فرنسا إيمي داكان وقنصل فرنسا بالصويرة بوميي ، وذلك لتحية الأمبراطور ناپوليون (68) .

8 . وكانت رحلة **الحاج محمد الزبدي** قد بدأت بفرنسا سنة 1876 ، وتقابل مع رئيس الجمهورية ماك ماوون ووزير الخارجية كذلك , ودارت كما تقدم حول مشاكل الحماية القنصلية .

9 . **الحاج عبد الكريم بريشة** قام بسفارة لفرنسا سنة 1878 في مسائل التبادل التجاري ، حسبما هو سيشار اليه في ترجمته .

10 . أما وزير الشكايات **علي بن محمد المسفيوي** فكانت سفارته في بداية سنة 1880 تخص الحماية التعسفية من جهة أولى ، ومحاولة اكتساب تأييد فرنسا لرأي المغرب في نزاعه مع اسبانيا من جهة ثانية ، وحول عزم المخزن إشتراء مصادة سانطا كروث دي مار پيكينيا من جهة أخيرة ، وقد وعدت الحكومة الفرنسية السفير المغربي بالتوسط لدى اسبانيا (69) .

11 . سفارة **عبد المالك بن علي السعيدي** أحد عمال المغرب الشرقي كانت في يناير 1885 لدى الرئيس جول ݣريفي «لربط أسباب الخير مع عظماء الدول سيما مع الجوار» (70) . ومعنى هذا أن عبد المالك كان أدرى الناس بمشاكل الحدود التي تطرق إليها في سفارته .

---

68 . مييج « المغرب واوربا » ج 5 ص 72

69 . عبد الوهاب بنمنصور : « مشكلة الحماية القنصلية » ومجلة « الوثائق » ج 4 ص 80 (1) . وقد نشر مييج في الجزء الخامس من كتاب « المغرب واوربا » ص 169 ترجمة مذكرة السفير المسفيوي الى الفرنسية .

70 . ابن زيدان : « الاتحاف » 2 ص 315

12 . وآخر سفارة مغربية الى فرنسا في هذه الفترة أسندت في منتصف 1889 الى القائد **الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي** ، لدى الرئيس سادي كارنو بفرنسا (71) .

وكان المقصود من هاته السفارة سريا ، وظاهرها «رد السلام وتجديد المحبة» . وقد عين الحاج المعطي «لذكائه ونباهته وكونه من ذوي القدم الراسخ في خدمتنا الشريفة خلفا عن سلف» (72) وعُزز في رحلته بالأمين الحاج محمد بن المدني بنيس وبكاتب السلطان أحمد الكردودي وبالترجمان الأول بمفوضية فرنسا بطنجة ڤياط : ؟ Viat (73) .

13 . ثم أوفده بعد ذلك الى الجزائر فوصل الى وهران لتحية كارنو ، رئيس الجمهورية الفرنسية ، وقابله «الولاة الفرنسيون بغاية المبرة» (74) .

* * *

هاته هي السفارات المغربية التي وقفت عليها . وما من شك في أن السفراء كانوا على اتصال بالسلطان والمخزن ومن أقرب المقربين إليهما . وكانوا – على ما أعلم – من النباهة والاخلاص بما لا يجوز أن يتطرق اليه الشك . ولم يكونوا كبعض الجبناء الذين أوفدوا الى الخارج بعد وفاة الحسن الأول ، مثل مَحمد بن موسى بن أحمد «المختل الشعور ، الذي لما رأى الأسد كاشرا أنيابه بباريس ظن أنه يريد افتراسه» ووقع له ما وقع (75) .

71 . المصدر السابق ص 317

72 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 قعدة 18/1306 يوليوز 1889 – محفظة الطريس 16 .

73 . جاك كايي : « السفارات والبعثات المغربية الى فرنسا حتى الحماية » بمجلة «تطوان» ، العدد السادس 1961 ص 187 وما بعدها ، وكذلك «الاتحاف» ج 3 ص 359

74 . رسالة الطريس الى غريط في 15 محرم 11/1307 شتنبر 1889 – محفظة الطريس 17 .

75 . العباس بن ابراهيم : « الاعلام ... » : 7 ص 129 و 130 ، مع تعليق الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور على هاته الحادثة البئيسة ، حيث تغوط السفير ويال في سراويله !

ومنذ عهد بعيد كان الشرط في السفير أن يكون «على غاية من مكارم الأخلاق ، ومن الحزم والنجدة ، وعلو الهمة ، واستحضار مفيد الأجوبة ، ومتانة الدين» (76) وان يكون «من ذوي العقل والمروءة والدين والمعرفة بقوانين الأجناس . ولابد من عالم يقيم أمر الدين من صلاة وقراءة» (77) .

ومع ذلك كاد أغلب المبعوثين أن يكونوا أميين (78) ، فافتقر بعضهم الى تراجمة وكتاب وأعوان .

ولئن كان السفراء من علية الناس وأصلحهم في عهد السلطانين من جهة أولى ، فلنا أن نتساءل من جهة أخرى عن مدى معرفتهم بملابسات السياسة الدولية وبالثقافة العصرية واللغات الحية ليستطيعوا أداء رسالتهم على الوجه الذي يرتضيه السلطان مُعْتَمِدُهم . وباستثناء الحاج عبد الكريم بريشة الذي كان له إلمام بالاسبانية والفرنسية والانجليزية ، فالآخرون كانوا محتاجين الى تراجمة هم في أغلبهم من موظفي المفوضيات بطنجة . وهنا نتساءل مرة أخرى : هل بلغ السفراء أم هل حرف التراجمة ؟ مثل پيليسيي Pélisser مع ابن ادريس في رحلته الى فرنسا ، وجول مونج Jules Monge مع الزبدي بفرنسا ، وروبيرط نجل جون هي معه بانجلترا ، وبوزيو Bosio معه أيضا الى ايطاليا ، والراهب خوسي ليرتشوندي مع الطريس الى حاضرة الفاتيكان ، أو غيرهم ممن لم أقف على أخبارهم .

أما بقية أعضاء السفارات كالكتاب والأمناء والعديد من المخازنية فكان دورهم بروتوكوليا أو إداريا لا يغني شيئا في نجاح المهمة أو فشلها ، مثلما قد لا تفيد في ذلك الألفاظ المختارة والعبارات المنمقة والخطوط

---

76 . رسالة محمد بن ادريس الى بوسلهام بن علي في 28 رجب 1261 — 2 غشت 1945 في « الوثائق » ج 2 ص 51

77 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى الحاج عبد القادر اشعاش في 4 رمضان 1261/6 شتنبر 1845 في « الوثائق » 2 ص 76

78 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 215

المزخرفة التى يدبج أعضاءُ المخزن وكتّابه ظهائر السلطان الاعتمادية الى اولئك الرؤساء المضيفين ، تلك المكاتيب التي لا يفهمها حتى الراسخون في العلم ، لطولها النسبي ، ولما احتوت عليه من جناس وطباق وتورية ، ولما تخللها من وزن وسجع .

ولو عمدنا الى دراسة نصوصها لما وجدنا فيها غير وصاية السلطان ، فى رسالة عننية مُخَاطَبهُ لكي يُصدّق السفير فيما سيناجيه به فى جلسة سرية ، اذ غالبا ما يُستقبل السفير على انفراد ، ويدلي للرئيس أو للملك بما كلفه به السلطان تكليفا شخصيا ، غير ما هو مثبت فى نص ظهير الاعتماد الرسمي . وهذا ما يدل على سرية المهمة .

ومن جهة أخرى ، كان بعض السفراء من الولاة الذين كانوا بحكم مناصبهم على اتصال مباشر بالقناصل والأجانب الذين كانوا يسعون لديهم لحل المشاكل المعلقة . وذلك لا يكاد يكفي لجواز جهلهم بأحوال الحياة المعاصرة لهم ، على ما هو راجح . كما كان البعض الآخر من بين التجار الذين كانت معرفتهم بالسياسة الدولية أوسع وأفضل . وهناك صنف ثالث من السفراء اختيروا من العلماء أو الفقهاء أو الكتاب .

وفي الوقت الذي كانت بعض الدول تختار سفراءها وقناصلها العامين من المستعربين والمستشرقين وحتى من المغامرين وشذاذي الآفاق ، ليكونوا عيونا لها ، كان المغرب لايكاد يوفد أندادا لهم ، لابلاغ صوته والذوذ عن حوزته بالقدر المطلوب . وهذا من دلائل الضعف الكمي والكيفي الذي كان المغرب يعاني منه ، إزاء سياسة أجنبية كانت أحيانا مخططة ومبيتة ، هدفها التوسع والسيطرة . ولولا مدافعة السلطان ، وصموده ودهاؤه ، وضربه سفارة بسفارة ، وتغليبه طائفة على طائفة ، وتقريبه سفير أمة ، وغضه من شأن سفير أمة أخرى ، وسلوكه سياسة المماطلة المقصودة تارة ، العفوية تارة أخرى ، لفرضت الدول على المغرب حجرا نهائيا قبل سنة 1912 .

وعلى كل حال ، كان عدد السفارات قليلا في ثلث قرن من الزمان ، ولم تكن كافية ولا بعيدة الأثر ، فمنها السفارات الأحادية أي التى وجهت الى قطر واحد ، ومنها الثنائية أو المتعددة كسفارة الزبدي أو سفارات الحاج عبد الكريم بريشة .

* * *

المطلب الثالث : **سفارة الطريس الى الفاتيكان**

قدمت في المقاطع السابقة نبذة مختصرة عن السفارات المغربية الى مختلف الدول ، في العهدين المحمدي والحسني . ولئن لم يرد كبير تفصيل عنها ، فقد حاولت استجلاء بعض غوامضها .

ونيتي معقودة الآن على أفرد بعض الكلام لسفارة واحدة ، هي تلك التي قام بها الحاج محمد بن العربي الطريس سنة 1888 الى حاضرة الفاتيكان ، مساهمة مع المسهمين في تقديمها أو دراستها (79) ، لأنها أولا من صميم الموضوع الذي أنا بصدده وهو الحماية القنصلية ، ولأنها ثانيا تحتوي على وثائق غميسة .

وسأبدأ بعرض مقتضب لظروف هاته الوفادة ، وأختم بايراد أربعة نصوص ، أولها عربته ، وثانيها حاولت رده الى أصله العربي ، والثالث والرابع لم يسبق نشرهما ، وهما عبارة عن تقرير سري من السفير الى السلطان .

* * *

---

79 . من الذين عنوا بهاته السفارة :

– عبد الوهاب بنمنصور في كتابه « مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان » ، وفيه قدم 20 وثيقة في الموضوع .

– خوسي اكليرا بليغيثويلو في بحثه : « وثائق تتعلق بالسفارة المغربية الى البابا ليون الثالث عشر » ، المعرب بمجلة « تطوان » العدد الثاني ص 155 وما بعدها . وقد اثبت فيه 6 من نفس الوثائق المنشورة في المصدر السابق .

– جاك كايي في مطلبه : « حول علاقات المغرب مع الكرسي المقدس » ، المنشور بمجلة « اسبريس تمودا » المجلد العاشر من ص 71 الى 94 وقد نشر بمفرده خطاب الطريس امام البابا ، ورد هذا الاخير عليه .

– عبد الرحمان ابن زيدان « الاتحاف » الجزء الثاني ص 366

3 . 1 : ظـروف السفـارة

احتفل البابا ليون الثالث عشر (1810 – 1903) بيوبيله الكهنوني ، أي قضائه مدة خمسين سنة في منصبٍ ديني . ودامت الاحتفالات من 31 دجنبر 1887 الى 15 يناير الموالي . ولهاته المناسبة أوفد ملوك أوروبا النصارى ، من كاثوليك وبروتستانت ، وبعض الملوك المسلمين (شاه إيران والسلطان العثماني وخديوي مصر) وميكادو اليابان ، سفراء لتقديم التهاني والهدايا .

وما كان للسلطان الحسن الأول أن يشذ عن هؤلاء جميعا . فقد أجرى وزير إسبانيا المقيم ، خوسي ديوسدادو ، محادثات مطولة مع السلطان ، دارت حول المحاولات المبذولة لتغيير معاهدة مدريد ، والحد من شطط الحماة والقناصل والتجار من جهة اولى ، وحول توجيه سفارة لدى البابا لتهنئته ودعوته الى التوسط والتدخل لدى الدول الأوروبية المعنية من جهة ثانية . وأثناء تلك المقابلة بين السلطـان والوزير ، عبر هذا عن نية حكومتـه في تخصيص مركب اسباني لنقل أعضاء السفارة .

على أن العاهل المغربي كان يحرص على إيفاد مبعوث على وجه السر ، فرشح لهاته الغاية باشا طنجة عبد الصادق بن أحمد الريفي (80) ، ابتداءاً من نهاية سنة 1887 ، حسب رسالـة السلطان الى الطريس بتاريخه . غير أن مرض هذا الأخير أو تمارضه على الأصح (لأنه ربما كان يَتَأثَّم من سفارة لدى رئيس النصارى ، مثلما كان الرأي العام في مختلف طبقاته يستهجنها) ، ثم قبول السلطان لعذره ، أخرا موعد انطلاق السفير الى بداية شهر يبراير الموالي ، وأدى الى تعيين المبعوث الجديد الذي كان هو الحاج محمد الطريس.

ففى العاشر من ذلك الشهر حلت بطنجة المدرعة الاسبانية كاستيا Castilla . وبعد يومين استقلها الطريس صحبة الحاج محمد بن الباشا

---

80 . وليس هو عبد الرزاق الريفي كما توهم ذلك جاك كايي ، وكرر اسمه عدة مرات في معرض بحثه . ورسالة السلطان تحمل تاريخ 4 ربيع الثاني 1305/20 دجنبر 1887 ، نصها بمجلة « تطوان » العدد الثاني ص 156 ؛ وبكتاب عبد الوهاب بمنصور ص 102

عبد الصادق الريفي المعتذر آنفا ، وأحمد الكردودي ، والقائدين الحاج أحمد تايتاي ومحمد بن عبد الخالق والكاتبين محمد البخاري والحاج محمد الكردودي، وثلاثة من المساعدين المغاربة . كما كان في رفقة الطريس الراهب خوسي ليرتشوندي J. Lerchundi للقيام بالترجمة ، مثلما فعل ذلك في سفارات مغربية أخرى الى اسبانيا ، والراهب دومينكو گارسيا D. Garcia

وفي 17 يبراير وصلت المدرعة الى ميناء ناپولي . وللغد امتطى الوفد متن القطار الى روما ، ثم تحدد موعد المقابلة مع البابا في زوال يوم 25 من نفس الشهر . وحينئذ ألقى السفير رسالته بالعربية (الوثيقة 1) وبعد ترجمة ليرتشوندي ، وتقديم الطريس اليه كتاب الحسن الأول الاعتمادي (81) والهدايا السلطانية (82) ، رد عليه ليـون الثالث عشر بخطـاب باللغـة الايطالية ، (الوثيقة 2) ترجمه' الراهب خوسي المذكور الى العربية .

وانصرف الوفد وقضى الأيام الموالية في زيارة آثار المدينة ، والطواف بالمعرض الڤاتيكاني المفتوح منذ 6 يناير الماضي .

وقبل العودة الى المغرب ، استقبل البابا الطريس استقبالا سريا مرتين ، إحداهما كانت يوم 8 مارس ، وجرت بينهما مذاكرات على انفراد ، ثم غادر ايطاليا الى طنجة التي رجع اليها يوم 19 مارس . وفي نهاية الشهر ، خرج الطريس من طنجة الى مكناس ، حيث حل ركاب السلطان ، ليطلعه على فحوى مهمته (الوثيقتان 3 و 4) .

فماذا كان الغرض من السفارة ؟ ظاهرها كان هو استعداد السلطان لأن يضمن لأهل الكتاب ممارسة شعائرهم الدينية بالمغرب ، ولكنها في الواقع

---

81 . لم نطلع على نصها الاصلي ، لكي ينبغي استبدال اسم عبد الصادق باسم الطريس لادراك شكلها البروتوكولي . وقد نشر عبد الوهاب بنمنصور في كتابه ص 105 وبليغيثويلو في بحثه ص 160 متن رسالة اعتماد عبد الصادق (20 ربيـــع الثاني او 12 منه)

82 . عددها وفصلها جاك كاييي في بحثه ص 87

كانت تتعلق «بمشكلة امتيازات الحماية التي أصبحت في ذلك العصر مرضا مزمنا بالنسبة الى المغرب» (83) .

ويبدو ، من خلال الوثائق المتصلة بالموضوع ، أن السلطان كان ينوي تقسيم هاته الوفادة الى شطرين : تهنئة البابا بواسطة عبد الصادق ، وإرسال الطريس الى مدريد حيث كانت النية متجهة لعقد مؤتمر جديد ابتداءاً من 19 أبريل ، بعد المشاورات التي كان قد أجراها وزير الدولة الاسباني **موريت** Moret ، صديق خوسي ليرتشوندي ، مع باقي الدول .

غير أن سقوط الحكومة وتَوَلّي ماطِيوس ساكاسطا M. Sagasta رئاسة الوزارة الجديدة أديا الى التفكير في تأجيل المؤتمر الى الخريف ، ثم الى العدول نهائيا عن عقده ، ولا سيما على يد وزير الخارجية الجديد لابيكًا دي أرميخو La Vega de Armijo الذي كان يساير فرنسا لالغائه نتيجة الخلافات الأوروبية (84) .

وهكذا لم تنجح السفارة ولم ينعقد المؤتمر ، ولم يحد الحماة من غلوائهم . فانفتح باب التشوف والأطماع على مصراعيه ، وصدقت فراسة السلطان عند ما قال قبل ذلك لبركاش سنة 1880 عن مؤتمر مدريد انه « لن يكون منه شيء » (85) .

* * *

3 . 2 : وثائق السفارة

هي عديدة ولكني اخترت أربعاً فقط .

أ . خطاب الطريس أمام البابا

(تعريب توفيقي)

83. خوسي اكليرا بليغيتويلو : « وثائق . . . » ص 171

84 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 163

85 . عبد الوهاب بن منصور «الوثائق» ج 5 ص 379

الحمد لله ،

أيها الحبر الأعظم ،

وجهني سيدنا المؤيد بالله ، سلطان المغرب المعظم ، سفيرا لدى مقامكم العالي ، وأمرني أن أخاطبكم نيابة عنه ، وأهنئكم بما **منّ الله ، القادر، عليكم** (86) ، من بلوغ فقاهتكم الى خمسين سنة ، اقتداءً بما فعله شعوب آسيا وأمريكا وعظماء الدنيا .

وقد اقتضى شريف نظر مولانا ، أمد الله في عمره وسعادته ، أن يقرر لكم محبته ، على أساس متين ، ويريد حفظه الله أن ترتبط معكم هاته المودة ، وتترسخ هاته الصحبة ، وتستمر على الدوام ، لأنه ، أعزه الله ، يعلم أنكم اتخذتم الحق منزلا ، وأنكم تسعون للخير والهناء لجميع المخلوقات في العالم . كما أن مولانا نصره الله راغب في أن تتجدد وتتقوى وتتوطد الصحبة التي كانت بين الرهبان البابليون رؤساء الرهبنة الفرنسيسكانية وبين أسلافه المقدسين.

ونتمنى أن لا تنقطع هاته المودة بين مقامكم العالي وجلالة مولانا الشريفة ، وأن تستمر دائما ، لا يلحقها خلل ولا مناقضة . ولهذا بعثني سيدنا حفظه الله وأمرني أن أوثق معكم علاقات المودة ، حتى تفرحوا لما فيه فرحنا ، وتحزنوا لما فيه حزننا .

وإن سيدنا دام علاه كتب لكم مسطوره الشريف ، تصديقا لما ذكرناه ، وأمرني أن أدفعه لجنابكم السامي (87) .

---

86 . هاته العبارة المغلظة كان لها وقع خاص بالمغرب آنذاك ، حسبما ذكره الأستاذ عبد الوهاب بن منصور في كتابه ص 104 (I)

87 . حاولت هنا – بطريقة التلفيق أو التلبيق – تعريب هاته الوثيقة (نقلا عن الفرنسية ونقلا عن العربية الأصلية) ، مستعينا بأسلوب الطريس ، بقصد التوفيق بينها وبين المراسلات المخزنية المتصلة بالموضوع . هذا النص اقتبسه جاك كايي من جريدة «مونيطور روما» في عددها الصادر يوم 23 يبراير 1888 ونشره في بحثه ص 86 .

ب : **جواب البابا** (تعريب)

تلقينا بأسمى الاعتبار الرسالة التي دفعتموها لنا ، نحن السيد الكريم الرفيع ، من لدن جلالة عاهلكم ، واستقبلنا بمزيد الغبطة ما قدمه من دلائل المجاملة والمراعاة ، بايفاده أشخاصا مرموقين ، ليقدموا لنا التهانىء والتحف ، بمناسبة يوبيلنا الكهنوني .

وإننا لراغبون ، بوصفنا الرئيس الأعلى للديانة الالهية ، التي تضم مؤمنين في جميع أطراف المعمور ، أن نُشْرِك معنا الملوكَ ـ الذين يسوسون الشعوب ـ لما فيه مصلحة الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا فنحن جد ممنونين لجلالته الشريفة التي عبرتْ بواسطتكم عن عزمها ـ المتطابق مع رغبتنا ـ على إقامة علاقات المودة ، على أساس مكين ودائم . كما نشعر بصادق الاطمئنان عند ما نرى الى جنابكم ابناً عظيما ، دعا ـ منذ عهد مؤسس هاته الطائفة الفرانسيسكانية ـ الى مبراته ـ التي هي ميدان لجلائل الأعمال ـ إفريقيا عامة ، والمغرب خاصة .

ولقد سررنا لسماع كلمات الثناء على رجال الدين هؤلاء ، ولنا اليقين أنهم سيكونون أهلا للرعاية التي سَيُضْفيها عليهم جلالته .

وليست هاته أول مرة تتبادل فيها السفارات وكلمات المودة بين الأحبار الرومانيين وملوك إفريقيا . واننا لنسعد غاية السعادة لأن تتجدد الآن هاته العلاقات الحبية ، وسنسعى سعيا حثيثا للعناية بها وتوطيد أركانها .

ولهذا نريد ـ يحذونا الامتنان الذي نشعر به لجلالته الشريفة ـ أن نجدد نفس متمنيات الرفاهية والمجد التي عبر بها كريغوريوس السابع العظيم ، أحد أسلافنا المكرمين إزاء أصير (88) ملك موريطانيا ، الذي شرفه

---

88 . أصر Azir (تحريف A (nna) zir الناصر بعد حذف النون وحركتها) هو الناصر بن علناس الحمادي المتوفى سنة 1088 . فقد كان طلب من كريغوريوس السابع سنة 1076 ارسال قس الى مدينة عنابة للعناية بالنصارى الاسارى ، فوافق البابا على طلبه . والتصحيح في اسم الناصر من افادة جاك كايي .

بخطب وده . وفي نفس الوقت نضرع الى الله أن يزيد السعادة والرفاهية للمغرب وملكه المبجل الذي يسهر على مصيره (89) .

* * *

ت : تقرير الطريس عن سفارته (90)

ت . 1 : نص محادثته مع البابا

(الشطر الأيمن)

الحمد لله ،

لا يخفى على جميع الدول ، ورؤساء الملل ، أن سيدنا السلطان ، الشريف المعظم ، سلطان المغرب ، المؤيد بالله ، المنصور بعناية الله ، له العناية العظيمة في إقامة الحق ، والسلوك على طريقته ، وكف التعدي في جميع إيالته . كما أنكم لا ترضون أن يعتدي أحد على أحد ، ولا توافقون على الخروج عن طريق الحق والرشد.

فكما أن الحرية في بلادات الأوروبا شاملة لأقطارها ، سائغة عند جميع الدول في ممالكها ، فكذلك يجب أن تكون أرضنا ومملكتنا ، لا يلحقها شيء من التعدي ، ولا ما يكون موجبا للترك،

ت . 2 : استفسار البابا

(الشطر الأيسر)

لما لقينا البابا الملاقاة السرية الثانية وذكرنا له ماتضمنه التقييد يمنته ، أجاب عنه بقوله :

الله يقول الحق ، وأمرنا باتباعه ، ولا خروج لنا عنه ، وحكم بلادكم كحكم سائر بلاد أروبا في حريتها ، وعدم الخروج عن مقتضى الحق فيها .

وإننا نفرح لما اقتضته المحبة من الجانبين ، ونساعد عليها من غير واسطة ولا تحجير على غير يد مخزن الأجناس ، إن شئتم على يد الپادري خوسي أو على يد غيره ، ونتقيف ونتوسط في قضاء أغراضكم ونفرح الفرح الكثير .

---

89 . عربت هاته الوثيقة نقلا عن جاك كايي في بحثه ص 86 ـ 87

90 . هاته الربيدة بشطريها نميسة ، فقد عثرت عليها سنة 1975 عندما كنت عضوا في لجنة اعداد ملف المغرب لدى محكمة العدل بلاهاي في شان قضية الصحراء المغربية ، وكنت قد ترجمتها الى الفرنسية ضمن وثائق عديدة . وقد غاب عني الآن رقمها . والراجح أن أصلها محفوظ باحدى الخزائن الملكية .

ولا للخروج فيها عن مقتضى الحق بما ينافيه ، وتكون الكتابة من الجانبين شاهدة بموجبات المحبة ، وتكررهـا دليلا على تمام الصحبة .

ومن أجل ذلك يريد سيدنا ــ أيده الله ــ أن يكون يكتب لكم بما يظهر لجنابه ــ العالي بالله ــ أدام الله علاه . ويحب ، أيده الله ، وقوفكم فيما هو حق لنا ، ودفاعكم ما فيه مضرة علينا وعلى بلادنا ، حتى تكون الأمور جارية على مقتضى الحق لا يلحقها خلل ولا مناقضة مع غيرها من الدول . وأنتم كذلك : في الكَتْبِ لجانب سيدنا ــ العالي بالله ــ بما يتجدد من أموركم ، وتحبون أن تَعْلَموا به من أحوالكم ، وتوجه إليكم مكاتيب سيدنا الشريفة فيما شاء ، على يد من يشاء ، من غير واسطة ولا تحجير .

وهـل النصارى بطنجة يخرجون عن الحق ومقتضى الشروط ؟

فقلنا له : نعم إن بعضهم يصدر منه ذلك .

فأجاب بأنـه لا ينبغي أن يصدر منهم ذلك في بلاد الناس ، وإن صدر من أحدهم شيء مما ذكر ، يكتب لنا به عن غير يد المخزن ، ونتكلم في أمرهم وما يصدر عنهم ، حتى يجـري على طريق الحـق .

وسألنا عن الجمع بمدريد : متى يكـون ؟

فأجبناه بـأن الوقت الذي يكون فيه لا زال لم يتعَيَّن . وإن عُيِّن ، فلا نكره إعانتكم لنا فيه لما هو حق لنا.

فقال إنه يقف ويعين ولا يقصِّر .

2 : النواب السلطانيون

أشرف على النيابة منذ 1851 : مَحمد الخطيب ومَحمد بركَاش ومحمد الطريس . وها هي نبذة عن تراجمهم وملامح من شخصيتهم .

• • •

1 : الحاج مَحمد بن عبد الله الخطيب

هو من أصل تطواني ، وكان أحد تجـار المغرب الأغنياء . عـاش بجبل طارق للتجارة فيها مدة 17 سنة ، وأقام طويلا بمدينة مرسيليا ثم بمدينة جنوة حيث تعلم اللغة الايطالية .

عين أولاً أمينا بديوانة طنجة ، وفي ماي 1851 أصبح باشا للمدينة ثم نائبا سلطانيا ، بعد وفاة بوسلهام بن علي . وكان ذا عقل متفتح لاتصاله بالتجار ، ولمهارته في المعاملات . وبقي في منصبه حتى عزل سنة 1862 بعد مطالبة إسبانيا باعفائه منه ، لكن السلطان كان يعتبر أنه «أريح من العمل لكبر سنه» (1) ، بخلاف رأي المتحمسين للحرب مع إسبانيا فيه ، «فقد كانوا يتهمونه بالضعف . وبأنه كان على نَفَس النصارى ، ويعلم الله أنه لم يكن كما يزعمون ، وإنما كان أبعد منهم نظراً ، وأسد رأياً» (2) .

كان صديقا لجون هي ، وهذا ما دعا الراهب كَودار ، المناهض لانجلترا ، ليصفه بأنه كان «يجيد السباحة في مياه السياسة الانجليزية» . وذلك لأنه كان ميالاً لرأيه في الميدانين التجاري والسياسي . وقد فاوض ممثلَ إنجلترا طيلة ثلاث سنوات لابرام معاهدة 9 دجنبر 1856 التجارية والبحرية .

---

1 . رسالة السلطان الى اشعاش في 8 قعدة 1278/7 ماي 1862 في «تاريخ تطوان» لمحمد داود ج 6 ص 20

2 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 222

الخطيب كان عفيفا ومتواضعا . ذكـر مرة لأحـد موظفي القنصلية الفرنسية بأنه طلب من السلطان أن يعفيه من منصبه الذي لم يُخلَق لـه ولا يقـدر عليه ، وأن يدعه بجلابـة بسيطة من صوف ، يقتات من أعشـاب الحقـول (3) .

وكان يخشى عقاب السلطان ومصادرة أملاكه ، ولا يألـو جهدا في مرضاتـه (4) .

ولما أُعفي رحل الى تطوان ، وقضى بقية عمره في العبادة حتى توفي في 24 شوال 1288/6 يناير 1872 (5) . لكن ذمته كانت مليئة بديون المخزن ، فثقفت أملاك ورثته حتى يؤدوا ما كان مُدْرَكا على أبيهم ، لتبرأ من حقوق الدولـة (6) .

* * *

2 : مَحمد بن عبد الرحمان بركـاش

ولد مَحمد بركاش بالرباط سنة 1225/1808 ، وهو ينتمي الى أسرة أندلسية عملت بعد هجرتها في أسطول الجهاد . اشتغل منذ صغره بالتجارة في مدينة جبل طارق . وكان يتجر معه فيها الحاج محمد بن المدني بنيس الذي صار فيما بعد أمينا للأمناء (وزير المالية) وعبد الخالق فرج محتسب الرباط . ثم عين عاملا لمدينة الدار البيضاء . ولما أُعفي مَحمد الخطيب من منصب نائب السلطان في الشؤون الخارجية ، بعد حرب تطوان ، عينه السلطان محمد الرابع في ذلك المنصب بطنجة حوالي 1862 . فصار صلة الوصل بين الهيأة الديبلوماسية المستقرة بهاته المدينة وبين السلطان الذي كان ينتقل باستمرار في أطراف مملكته .

---

3 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 279 و 280 ، وعبد اللطيف الخطيب : «شارل ياجرشميد وعلاقات المغرب بفرنسا واسبانيا» في مجلة «تطوان» ، العدد الثاني 1962 ص 51

4 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 279

5 . عبد الرحمان ابن زيدان «العز والصولة» ج 1 ص 323 ومحمد داود : «مختصر تاريخ تطوان» ص 311

6 . رسالة السلطان محمد الرابع الى الحاج محمد بنيس في 7 ربيع الثاني 3/1290 يونيو 1873 .

وطيلة المدة التي قضاها بركاش على رأس الشؤون الخارجية ، والتي تقرب من ثلاثين سنة ، كان مثال النزاهة والاستقامة والسعي الجاد الحثيث في سبيل مصلحة وطنه . لكنه لم يكن يوَفَّق دائما في مساعيه ، لتواطؤ الأجانب على المغرب ، وضعف الحكومة المركزية ، وتخلف الأفكار ، وقلة الولي والنصير . وهو الذي مثل المغرب في المؤتمر الدولي الذي اجتمع بمدريد سنة 1880 للنظر في قضية الحمايات القنصلية . كما ضربت على يده السكة المغربية في الخارج ، واشتُرِيَ ، بواسطته وواسطة ابنه الحاج مُحمد ، السلاح الحديث للجيش المغربي . وما زال في منصبه حتى ساءت حالته الصحية ، وضعف بصره ، فسافر الى أوروبا للتداوي ، وبدأ ينوب عنه في غيبته الحاج محمد بن العربي الطريس ، الى أن مات سنة 1303/1886 ودفن بمقبرة العلو بالرباط (7) .

استهل إذن عمله مع المخزن بوصفه أمينا . وكان من الذين عينوا آنذاك أمناءَ مأجورين : الحاج بوجنان البارودي والحاج عبد السلام أحرضان والحاج محمد بنشقرون بوشوكة (8) . فكان اختيار السلطان إياه اختيارا في محله . لأن الأمناء كانوا أدرى الناس بأخلاق القناصل ورغبات المستوطنين ، دراية تفوق دراية مطلق الناس بهم . ومنذ سنة 1864 ، وهو يخاطَب بوزير «الأمور البرانيين» (9) على نقيض سلفه الخطيب وخلفه الطريس . وبهاته الصفة أو بغيرها فوض اليه السلطان محمد الرابع منذ سنة 1865 الفصلَ في الدعاوي التي تنشأ بين «المسلمين والنصارى» (10) ، ولاسيما في قضايا الحماية والمحميين التي كانت له فيها جولات مع نواب الدول مثل القنصل

---

7 . عبد الوهاب بن منصور : «الوثائق» ج 4 ص 20 وهامش «العز والصولة» 1 ص 387 .

8 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى هؤلاء الأمناء في 7 قعدة 1278 / 6 ماي 1862 ـ محفظة بركاش .

9 . رسالة أوغوست بوميي الى بركاش في 17 شعبان 1280/28 يناير 1864 ـ محفظة بركاش .

10 . ظهير في 25 قعدة 1281/20 أبريل 1865 في «الوثائق» 4 ص 324

العام الأمريكي الكولونيل ماثيوز ووزير إيطاليا بطنجة ستيفانو سكوڤاصو ، حسبما هو مذكور في غير هذا المكان .

قام ببعض السفارات الى الخارج مثل سفارته لدى الملك نابوليون الثالث في 24 يوليوز 1867 (11) . ومثّل المغرب ، كما ذكرنا ، في مؤتمر مدريد سنة 1880 حيث كانت تدرس مشاكل الحماية القنصلية ، بما يتبعها ويسبقها من ملابسات . وفيها كان خصمه هو الأميرال جوريس سفير فرنسا بمدريد وممثلها في المؤتمر ، الذي كان يتشدد في تطبيق تسوية 19 غشت 1863 ، لصالح محميي فرنسا ، والحصول على استثناء في مبدإ الحماية الوراثية (ابن شيمول) ، واختيار السماسرة من سكان البوادي . وهو الشيء الذي لم تقبله الحكومة ، لأن في ذلك امتدادا للنفوذ الأجنبي . وتوقفت الجلسات ، وكاد المؤتمر أن يَنْفَضّ ، لولا تدخلات من هنا وهناك ، وقبول المخزن لأخف الضررين ، كما هي عادته في مثل هاته الأمور المشتبكة المعقدة ، ذات الأبعاد الاستعمارية التوسعية .

وقبل خوضه غمرات مؤتمر مدريد ، كان قد أجرى مذاكرات تمهيدية متعددة بطنجة مع ممثلي الدول ، وكانت خلاصة هاته المحادثات بمثابة وثيقة العمل لـدى المؤتمر . وكان مستشاره في الشؤون الخارجية هو جون هي دروموند هي ، الذي كان يوجه اليه رسائل سرية وعلنية ، لتنبيهه لبعض المزالق ، وخصوصا أن الديبلوماسية المغربية كانت مفتقرة الى وسائل شتى للاطلاع على خبيث الدسائس وطيب النوايا . وكان بركّاش يُحْبِط مناورات جميع الاوروبيين وحتى الانجليزيين (12) .

والى ذلك كان طيب المعاشرة لدى المغاربة ولدى الأجانب أيضا . ولذلك أنعمت إسبانيا عليه سنة 1870 بوسام ايصابيلا الكاثوليكية (13) . كما

---

11 . ابن زيدان : «الاتحاف» 3 ص 536

12 . هنري ده لامارتينيير : «ذكريات عن المغرب» ص 29

13 . رسالة وزير خارجية اسبانيا سـكاسطة الى بركاش في 22 ماي 1870 — محفظة المغرب اسبانيا .

كان أثيرا عند السلطان ، يأخذ برأيه ، ومحبوبا لدى معينيه وأصدقائه . قال عنه الحاج محمد الزبدي في رسالة منه الى الحسن الأول ما نصه : « هذا الرجل عند مولانا بهذا الثغر ركن من الأركان ، ما دامت «كَلْمة» سيدنا فيه ، اذ هي القوة التي يدافع بها . . . وَوَاللهِ لوكان رءا سيدنا أعزه الله ما هو فيه هذا الرجل من المشاق وحمل الأثقال العظيمة على سائر الأيام لدعى له سيدنا بالبركة في عمره . وقد حصل له ضعف في بصره ، بحيث لا يقرأ اليوم المكاتيب، وإنما يسردون عليه . وقال انما حصل له ذلك من تاريخ شكْو دُرّة الطاليان . وهو الآن مخصوص بمُعين ، وبزيادة الكُتّاب . وقد صرح لي بهذا مرارا ، لأن أشغاله اليوم متعذرة بكاتب واحد . . » (14) . ويعني به محمد المكي البطاوري صهره . كما يعني بشكودرة الطاليان تهديد ستيفانو سكوڤاصو باستجلابه من حكومة بلاده أسطولها الحربي لاستخلاص الديون ، وتحقيق المطالب التي قدمها لفائدة المحميين ، وذلك ما بين مـاي 1882 وأواسط سنة 1885 .

ولم تكن لتخفى على السلطان هاته الأمور ، ولا لتعزُب عن باله المشاق التي تحملها بركاش لمصلحة المغرب ، والمدافعة عن حقوق اخوانه . وهذا ما رد به الحسن الأول على رسالة الزبدي :

«. . . وأما ما وصفته به من الصدق والنصح فهو المعهود منه والمعروف فيه ، وكيف لا وهو وكيل المسلمين ونائبهم ، سدده الله وأعانه ! وأما تحمله المشاق فطوبى له بذلك ! لأنه في سبيل رب العالمين وفي مصالح المسلمين ، أفاض الله عليه بركته دنيا وأخرى ! وأجزل له ثوابا وأجرا ! وأما إعانته ، فقد كنا أذنا له فيها بولده الحاج محمد أصلحه الله ! وأما الضعف فالله يزيد من قواه في ضعفه ! وأما زيادة الكتاب له فسنرى فيها» (15) .

---

14 . رسالة الحاج محمد الزبدي الى السلطان في فاتح ربيع الثاني 1301 — 30 يناير 1884 — محفظة بركاش

15 . رسالة السلطان الى الحاج محمد الزبدي في 7 ربيع الثاني 1301/5 يبراير 1884 — محفظة بركاش .

وهاته شهادة سلطانية بفضل هذا الرجل المفارق لأهله ، المضحي بماله الذي كان يؤديه من جيبه ويستحيي أن يطالب به .

على أنه لم يفتأ قبل ذلك بسنوات يطرح قضية المعونة بالموظفين . ويستخلص من مسودة رسالة منه الى الحاجب عن تأخير الأجوبة عن القضايا المستعجلة مثل احتماء السعيدي غريط باسبانيا أن «سبب تأخير بعض الأجوبة هو كون الوقت كله نستغرقه في الملاقات مع الترجمانات والنواب وغيرهم . . . والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص إلا قليلا . . . » . ثم يضيف :

«ولو وجدتُ الفراغ الى الاعلام بها قَبْلُ ، لقدمت الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور ، لأجْل الاعانة » (16) على ما كان بصدده .

لابد لمن بلغ السادسة والسبعين من العمر أن تضعف قواه ويكل بصره . ولهذا استأذن السلطان فى الذهاب الى الخارج للعلاج ، فوافق الحسن الأول بشرط تعيين من ينوب عنه ، وذلك ما أجابه عنه بركاش : (بهاته الرسالة التى نقدمها بديباجتها مثالا عن مكاتيبه) :

« أدام الله العز والنصر والتمكين ، والظفر والتأييد والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين . وبعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب لمولانا من الاجلال والتشريف :

«ينهى لكريم سيدنا — أعزه الله ونصره — أنه وصلنا كتابه الشريف — أسماه الله — جوابا عما طلبناه من سيادة مولانا الشريفة ، من الأذن لنا فى التوجه لمرسيلية ،بقصد مداواة ما اعترانا ، حسبما قدمنا لمولانا — أعزه الله — ، فأذن لنا سيدنا — أيده الله — فى ذلك ، ودعا لنا — نصره الله — بما نرجو من الله تعالى قبوله ، وأنعم علينا مولانا — أدام الله علاه — بألف ريال ، اعانة على ذلك ... » .

16 . مسودة جواب بركاش الى موسى بن أحمد في 20 حجة 1293/6 يناير 1876 ، بنفس المحفظة .

«وما أمرنا به سيدنا ــ أعزه الله ــ من تعيين نائب عنا ، فقد تأملنا هنا بطنجة ، فوجدنا الطالب عبد السلام أحرضان ، وان كان ممن يختار لذلك لصدقه ومروءته ، الا أنه ضيق الصدر جداً ، لا يطيق مكابدة أمر هذه الخدمة ، وتخوف مما عسى أن ينشأ من ذلك . وظهر لنا ــ ان اقتضاه نظر سيدنا أعزه الله ــ واحد من ثلاثة : الحاج محمد الطريس والحاج محمد اللبادي والحاج عبد الكريم بريشة . لسيدنا ــ أعزه الله ــ النظر فى أحدهم ، لأن مولانا ــ أيده الله ــ يعرفهم كلهم . فان اقتضى نظر سيدنا ــ أسماه الله ــ واحدا منهم ، فيصدر ــأعزه الله ــ أمره الشريف بوروده لهنا عاجلا ، لنبصره فيما يدور الآن بين اليد من الأمور ، ليكون على بال منها وينوب عنا الى أوبتنا بالسلامة ... » (17) .

وغادر المغرب بعد شهر تقريبا ، فوصل إلى مرسيلية صحبة كاتبه محمد المكي البطاوري فى 8 ابريل 1884 ، وعرض نفسه على أربعة من الأطباء . وبدل أن يخلد الى الراحة والنقاهة تلاحقت عليه الأمور ، ولاسيما قضية حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني ، فبدا للسلطان أن يوجه بوشتى ابن البغدادي الى باريس لحلها مع أعضاء حكومة فرنسا ، ولكنه عدل عن ذلك ، وكتب الى بركاش يشخصه الى العاصمة الفرنسية . وفى ذلك قال الوزير للسلطان ، جوابا عن رسالته :

« ... ينهي لكريم علم سيدنا ــ أعزه الله ونصره ــ انه لما وصل باشدور الفرنصيص لباريز ، وكثر الهرج بافرانصة ، وتزايد الكلام القبيح فى الجوازيط ، وساءنا ذلك مع ما وصلنا بالأمس من النائب الحاج محمد الطريس ، مما دار من الكلام فى نازلة وزان وغيرها ، تعين علينا تعجيل النهوض لباريز ، وان كنا لازلنا نتم الدواء هنا بمرسيلية ، بعد ما ظهر لنا الخير ، والحمد لله . وها نحن على أهبة السفر غدا ان شاء الله .. » (18) .

---

17 . رسالة بركاش الى السلطان في 26 ربيع الثاني 24/1301 يبراير 1884 ــ محفظة بركاش .

18 . رسالة بركاش الى السلطان في 11 رجب 7/1301 ماي 1884 ــ محفظة بركاش

ولم تكلل مساعيه السياسية بالنجاح ، لتواطؤ مصالح اقتصادية واستعمارية وراء الحاج عبد السلام الوزاني ، بينما استطاع الأطباء حصر الداء مؤقتا ، ونصحوه بالرجوع الى مرسيلية متى لاحت بعض الأعراض . وبعد عشرين شهراً استأذن السلطانَ فى ذلك قائلا : « وقد ظهر لي الآن أنه وصل وقت ذلك لظهور العلامات التى كانوا ذكروها لنا . فنطلب من سيدنا — أعزه الله — أن يتفضل علينا باذنه الشريف فى التوجه للدواء ... » (19) .

فرخص له السلطان فى الذهاب ، وأنعم عليه بألف ريال أيضاً (20) . ولكنه فى النهاية لم يسافر ، لتفشي عدوى الكوليرا فى أوربا ، ولفرض حجر صحي بمرسيليا آنذاك ، ثم ان حالته الصحية ازدادت سوءاً ، حتى ألجأه الأمر الى استشارة طبيب من الدار البيضاء .

ولعله منذ ذلك الوقت انقطع عن العمل بطنجة ، ولزم بيته بالرباط . فى حين صار الحاج محمد الطريس يتخبط فى المشاكل ، ويراجع بركاش فى الأمور العويصة ، فلا يبخل عليه بالنصح ما استطاع . ولما لم يستطع فوض الأمر للنائب قائلا : « الحاضر يرى ما لا يرى الغائب » .

ولم يلبث أن رزىء بفقد ولده الحاج العباس الذى كان أمينا (21) . ثم مرت شهور قليلة فمرض ابنه الحاج محمد مرضاً أودى بحياته بعد أسبوع (22) ، وذلك لتفاحش الوباء . وما كاد يطل شهر أكتوبر 1885 حتى لحق بربه « الأبر المرحوم السيد مَحمد بارقش ، برد الله ثراه ورحمه » (23).

---

19 . رسالة بركاش الى السلطان فى 9 محرم 18/1303 أكتوبر 1885 — محفظة بركاش .

20 . رسالة بركاش الى السلطان فى 26 محرم 4/1303 نونبر 1885 — نفس المحفظة .

21 . رسالة تعزية الحاج محمد بنسعيد الى بركاش في 9 ربيع الأول 11/1303 دجنبر 1885 ، وتعزية جون هي له في 2 يناير 1886 .

22 . رسالة تعزية من عبد السلام أحرضان الى بركاش في 22 قعدة 12/1303 شتنبر 1886 .

23 . لم يرد تاريخ وفاته مضبوطا . وأول من وجدته يتحدث عنه هو المكي بن عبد السلام في رسالته الى الطريس في 19 محرم 18/1304 أكتوبر 1886 — محفظة الطريس 9 . بينما قال المؤلفان كوفيون في «كتاب أعيان المغرب الأقصى» ص 283 انه مات في 3 محرم 2/1304 أكتوبر 1886 ، ذاكرين أن الوفاة كانت بطنجة .

3 : الحاج محمد بن العربي الطريس

هو من مواليد تطوان سنة 1825/1242 . أخذ قسطا من العلـــوم الدينية بمسقط رأسه ، ثم ارتحل الى الصويرة حيث كان والده مقيمـاً ، فأخذ عن علمائها علوما مختلفة .

لكنه مع ذلك قد يكون من الذين تلقوا طرفا من التعليـم الحـديث سنة 1863 ، لما فتح الاتحاد الاسرائيلي أول مدرسة بتطوان فدخلها هــو ورفيقه عبد القادر الرزيني (24) . واذا صح ذلك ، فقد اختلف الى المدرسة فى سن الثامنة والثلاثين . وهذا مستبعد نوعا ما .

كان أمينا بوادي مرتيل بادىء الأمر ، ثم عين أمينا للمستفاد بالدار البيضاء سنة 1875 وبأجرة بلغت آنذاك 215 مثقالا أي 2150 أوقية (25) .

وكان أمين الأمناء محمد التازي موخا يعتمد عليه ، فقدم له هاته النصيحة الثمينة التي رعاها فى سلوكه طوال حياته :

قـــد رشحـــوك لأمـــر لو فَطِنت لـــه
فار°بأ° بنفسك أن ترعـى مـع الهَمَل (26)

ولم تكد تنقضي شهور معدودة ، حتى طلب إراحته من الخدمة (نونبر 1875) ، وتلك عادة اتخذها طيلة حياته ، سواء بطنجة أو بالدار البيضاء . وبعد أن عين السلطان فى البداية عوضاً عنه الحاج محمد هارون أمينـــا للمستفاد ، عدل عن ذلك وكلفه مرة أخرى (أكتوبر 1877) ، الى أن أعفي نهائياً من أمانة المستفادات فى غشت 1878 ، بتعيين أحمد بن محمـــد الدلَّيرو للقيام بها (27) .

---

24 . مييج : «المغرب وأوروبا» : 2 ص 570 (2)

25 . ظهير تعيينه في 21 قعدة 1292/19 دجنبر 1875 ـ محفظة الطريس 1

26 . عبد الهادي التازي : «رسائل مخزنية» ج 1 ص 35 . والبيت للطغرائي في لاميته ، التي مطلعها : «أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى العطل» .

27 . رسائل كثيرة في هذا الموضوع بمحفظة الطريس 1

ولئن أقيل من الأمانة ، فقد كلفه السلطان بباشوية مدينة الدار البيضاء (28) . وفي هاته المرة ، ظل عاملا على المدينة من يونيو 1879 الى أواخر سنة 1882 . وبعد قضاء ثلاث سنوات ونصف بالعمالة ، اشتكى للسلطان بعجزه وضعف قوته وضيق صدره، والتمس منه الاعفاء ، فقبل عذره بتعيين الحاج العربي بريشة مكانه (29) . ولما ذكر له فراغ اليد وعزمه على تزويج ابنيه ، أنعم عليه بـ 500 ريال ، اعانة على العرس ، وأتحف العروسين والعريسين بهدايا مختلفة (30) .

والتحق الطريس بطنجة (31) وصار ينوب عن بركاش أثناء غيبته ويقبض ريالين في اليوم ، أي 60 ريالا في الشهر . ولكن أجرته صارت فيما بعد 75 ريالا شهرياً (32) . وعند وفاة وزير الخارجية ، خول السلطان للطريس حق الانتفاع بالدارين اللتين كانتا بيد بركاش ، وبالرياض وعرصة السواني وبلاد المنزه ، وأعطى لكاتبه الذي هو عبد الرحمان الزودي دارا لسكناه ، « والكل على وجه الانتفاع والاستغلال لا غير » (33) . كما نفذت له فيما بعد دار كانت تدعى دار البوطيقة (34) . وهكذا ورث الانتفاع بالسكنى ، دون أن يرث صفة وزير الخارجية التي كانت لمحمد بركاش ، ثم أسندت الى محمد المفضل غريط .

---

28 . ظهير في 18 جمادى الأولى 9/1296 يونيو 1879 ـ محفظة الطريس 1

29 . رسالة السلطان الى الطريس في 26 صفر 6/1300 يناير 1883 ـ محفظة الطريس 2

30 . رسالة السلطان الى الطريس في 21 جمادى الأولى 30/1300 مارس 1883 ـ محفظة الطريس 3 .

31 . ذكر العباس ابن ابراهيم في « الاعلام » ج 7 ص 151 ـ 152 أنه ناب بطنجة في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان لكن هذا وهم منه ، واذا صح ذلك فقد كان مجرد موظف ، ولم يكن نائبا سلطانيا

32 . رسالة السلطان الى الطريس في 23 جمادى الاولى 1301 / 21 مارس 1884 ، محفظة الطريس 3 ، وكذلك مييج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 124 (4)

33 . ظهير في 24 محرم 1304 / 23 اكتوبر 1886 ، محفظة الطريس 9 .

34 . رسالة السلطان الى الطريس في 25 شوال 1305 / 5 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 .

ولعل كثرة تبرم الطريس من العمل وخشية السلطان عليه من مكايد الأجانب ومتطلبات الهيأة الديبلوماسية هما اللذان كانا مانعين دون تعيينه فى منصب الوزير . زد على ذلك أن سياسة الدول الأجنبية بدأت نواياهـا تفتضح بعد عقد معاهدة مدريد ، وصار ممثلوها يرومون التعسف فى تأويل النصوص والمعاهدات ، فكان لا بد من التوقي منهم ، بترك الأمور بيـد نائب ، واسناد الوزارة لشخص آخر تحتم عليه ظروف عمله أن يتنقل حيث يتنقل السلطان . ولم أطلع فى الوثائق التى بين يدي علي عيب يسيء الى سمعة الطريس سوى ما ذكرته من كثرة التبرم وشدة الشكوى .

لم يكن تاجرا ولا غنيا كبركاش ، وانما كان « طالبا » ذا مستوى ثقافي بسيط هو على كل حال أعلى من مستوى سلفه ، وقد يكون على شـيء من الالمام باللغات الأجنبية .

وبينما كانت كتابة بركاش كتابة تاجر ، وخطه خط « طالب » ، تلقى مبادىء القراءة والحساب ، ثم انتقل الى التجارة ، حسبما يدل عليه أسلوبه وخطه البسيط ، واستعانته بكاتبه وصهره محمد المكي البطـاوري ، كان اسلوب الطريس رصينا ، وخطه متوسطا ، لا يرقى مع ذلك لخـط البطاوري وكتابته .

وفوق هذا كله كان الطريس فى البداية قليل الخبرة على ما يبدو بالشؤون الديبلوماسية ، ونفسيات الأجانب وخفايا التجارة ، ولكنه كان يعلم بأن في مماطلات السلطات المغربية في تصفية الدعاوي والمطالب ما يجعل مهمته عسيرة ، وخصوصا بعد أن اصبحت قضية الحماية قائمة على ركيزة هـي معاهدة مدريد . وكان يبلغ للمخزن الصعوبات التى يلقاها فى عمله .

ولم يكن الأوربيون وحدهم هم الذين يؤزمون الأوضاع ، بل كان الولاة والعمال بسوء طوياتهم يزيدون النار اشتعالا . قال الطريس فى ذلك لغريط محتجا :

« فانه لا يخفى عليك أن المكاتيب الشريفة تصدر للعمال بفصال دعاويهم» (أي دعاوي النواب) «فيتلَوَّنون ويتلَوَّوْن ولا يقع منهم تنفيذ . وليس في طرقي اجراء الأحكام عليهم أو الزامهم الفصال . وغاية ما أدركه في أمرها هو إبلاغها والكتب بما نومر بكتابته فى شأنها ... وأطلب من الحضرة الشريفة الزامهم بفصل الدعاوي الثابتة الصحيحة ، أو تأخري عن مباشرة أمور النواب لأبقى فى حل ولا أكون منديلا . . . » (35) .

ولما مرض فى اكتوبر 1888 طلب الاعفاء من الخدمة ، لعجزه عنها ، فوعده السلطان بأنه « سيكون له تاويل خير » (36) . وكرر طلبه مرة أخرى ، ورشح غيره ليقوم مقامه . فقال السلطان مجيبا : « وصل كتابك شارحا فيه حالك وضعف قوتك ، وطلبت اعفاءك من الخدمة ، وتعيين الخديم الحاج عبد الكريم بريشة لها ، أو الخديم الحاج مَحمد اللبادي . وصار بالبال ، وسنرى في ذلك (37) وفي نفس الوقت كتب الطريس مستصرخاً : «وسيدنا يراقب فينا الله بالعذر من هذه الخدمة ، لا أقدر عليها من الألم الذي أصابني » (38) .

ولا شك أن السلطان راقب الله ، ولم يجد من معين نزيه ، كما سنرى ، الا الطريس . كان الحسن الأول مفتقرا الى من يساعده ، وكان الطريس ذا عيال ومحتاجاً الى ما يقيم به أوَدَه . وقد أعانه السلطان فسرح له تصدير 12.500 فنيكة من القطاني بدون صاكة (أي رسوم جمركية) من الجديدة ، وكلف بذلك نائبه الحاج محمد الصفار (39) . كما وسع عليه قبل ذلك وعلى رفيقه وهو فى الغالب عبد الرحمان الزودي « لما لحقهما من

---

35 . رسالة الطريس الى غريط فى 3 حجة 1305/11 غشت 1888 ـ محفظة الطريس 13

36 . رسالة السلطان الى الطريس فى 11 ربيع الاول 1307 / 5 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

37 . رسالة السلطان الى الطريس فى 19 جمادى الثانية 1307 / 10 يبراير 1890 ـ محفظة الطريس 17 .

38 . رسالة الطريس الى غريط المذكورة فى الهامشة 35 أعلاه

39 . رسالة محمد التازي ومحمد حصار الى الامين محمد بن العربي برادة ومحمد بن عبد الله والى الحاج محمد الصفار فى 12 رجب 1310 / 29 يناير 1893 ، محفظة الطريس 21 .

ضيق الوقت والاضطرار » ، وأنعم عليه وعلى رفيقه أيضا بـ 25 الف ريال تنفذ من أعشار الحبوب (40) .

ولن أفيَ الطريس حقه ان غفلت عن الاقتباس من رسالة وجهها الى السلطان سنة 1887 تدل على مدى ورعه وتمسكه بالرزق الطيب . قال :

« قدم علينا أولادنا ، وسلموا علينا ، وطلبوا معتاد ما يسرهم . فأعطيناهم الأنعام الذي أنعم به علينا مولانا ، وظهر لنا منهم التشـــوف . فصادقناهم وقلنا لهم : هذا أصل الحلال ، اقنعوا به . والحياء من مولانـــا غلب علينا ، فسكتوا ، وقد تكسرت خواطرهم ، حيث جالت فى ذلك الألسنة . وأشد ما لقيناه ــ من ذلك ــ التأثير فى انحطاط الخدمة الشريفة » (41) .

وأي كلام أبلغ من هذا ؟ ان « الحاج محمد الطريس ضربت بنزاهته الأمثال ، لقد شاخ قبل الأوان ، ولذلك كان يمشي متوكئاً على عصاه (42) فى آخر حياته .

ولا أعلم أن الطريس غادر المغرب الا ثلاث مرات : الأولى كانـــت لأدائه فريضة الحج قبل النيابة بطنجة ، والثانية سفارته لدى البابا سنة 1888 ، والثالثة لرئاسة الوفد المغربي فى مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 حيث بذل جهداً كبيراً لصون استقلال المغرب وذلك بحنكته وخبرتـــــه الطويلـــة .

وتتضارب الآراء فى مهارته وسياسته . وعن ذلك قال هنـــري ده لامارتينيير الفرنسي : « لم يكن أحد يشك فى نزاهة الطريس التى كانـــت

---

40 . رسالة الطريس الى السلطان فى 1 محرم 1310 / 26 غشت 1892 ، ورسالته التذكيرية فى 9 ربيع الاول 1310 / 1 اكتوبر 1892 ، ورسالة غريط الى الطريس فى 16 ربيع الثاني 1310 / 7 نونبر 1892 . محفظة الطريس 23 .

41 . رسالة الطريس الى السلطان فى 23 حجة 1304 / 12 شتنبر 1887 ، محفظة الطـــريـــس 10 .

42 . جاك كايبي « النوادر المغربية » ص 185 .

مضرب الأمثال . ولكن مؤهلاته المهنية كانت ضعيفة ، اذ كان محافظا وقليل الخبرة . . . ويعاب عليه أنه كان يطلب من المحميين أن يحموا غير المحميين . لضرب محمي بلد بمحمي بلد آخر ، ظانا أن فى ذلك نفعا » (43) وكان هـذا المؤلف معاصراً له .

اما جورج ادموند هولت الذي كان موظفاً بالقنصلية الأمريكية بطنجة فقد ذكر عنه :

« كان الطريس فريدا من نوعه بين الديبلوماسيين المغاربة ، كما كان يبز الأجانب . ولو امتد به العمر لما تمكنت فرنسا من فرض سيطرتها العملية على المغرب ،فلو حاولت ذلك لأثارت حربا فى أوربا .

«كان رجلا طيب المعشر ، متمتعاً بحكمة ديبلوماسية غير عادية . وهو القائل : (ان كذبة واحدة تكفي لأن تشغل أروبا سنة ، وعندنا خزينـــة ملأى بالأكاذيب) ، كان رجلا شريفا ، ولذلك فانه مات فقيرا وتلك كبـرى مميزاته » (44) .

كانت طيبوبة نفسه بادية عليه ، سواء خلال تقلده ولاية الـــدار البيضاء حيث انعمت عليه الولايات المتحدة وانجلترا بوسام رفيع لعمله على انقاذ مركبين وبحارتهما ، أو أثناء سفارته لدى البابا الذي أكرمه سنة 1888 بوشاح شرفي .

ويحكى عنه أن شخصا لقيه فى أيام ضيقه ، فسأله هدية يستعين بها ، فلما لم يجد شيئاً طلب منه المصاحبة لداره ، ودخل ثم توارى عـــن نظره ، وانسلخ من ملبوسه ، وناوله اياه ليبيعه ويقضي به مآربه . كمـــا ذكر أن أحد الضعفاء استعار منه صينية كبيرة ، وبعد قضاء وطره منهـــا جعلها بيد سمسار ليبيعها . ولما وجدها بيد هذا السمسار ، نكّب الطريق

---

43 . هنري ده لامارتنيير : « ذكريات عن المغرب » ص 29

44 . عبد المجيد بنجلون : « جولات فى مغرب امس : قبيل الحماية » ص 92 — 93 ، تلخيص كتاب جورج ادموند هولت .

واسرع حتى لا يراه بائعها ويستحيي . ونادرة أخرى وقعت له وهو أن بعض الناس طلب منه يوم عاشوراء وهو فى منصب النيابة أن يدفع له من زكاة أمواله شيئا ، فأجابه والله لا فرق بيني وبينــك فى هاتــه الساعــة الا بالصبر (45) .

وأذيل بما وصفه به العباس ابن ابراهيم :

كان محمد بن العربي الطريس « خيرا ديِّنا فاضلا نبيها حازمــا ضابطا عفيفا نزيها ، محافظا على ديانته ، ملازما للصلوات وأداء الزكوات ، عفيفا عن أخذ الرشوة ، عاقلا وقورا حسن السَّمْت ، لم يثبت عنه أنه ارتشى فى قضية ... وفى أيامه تكاثرت عليه تهافتات الوزراء فى القضايا وتنطعاتهم ، وصار يقول : « ان دام هذا عامين يفلس المغرب » ، فكان الأمر كذلك ...

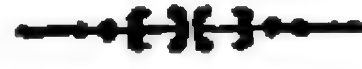
توفي رحمه الله (46) ليلة 16 شعبان 1326/12 شتنبر 1908 ، بمدينة طنجة (47) .

45 . نقلت هاته النبذة ونبذا أخرى قبلها من تقييد فى ترجمة الطريس بعد وفاته التدوين هذا مبتور من آخره ، ولم أقرأ منه الا الصفحات الاربع الاولى مما لم يسمح لي بمعرفة كاتبه . وتوجد صورة منه بخزانة الحاج العربي بنسعيد . وعنوانه : « نبذة يسيرة من ترجمة المرحوم محمد بن العربي الطريس » .

46 . العباس ابن ابراهيم : « الاعلام . . . » ج 7 ص 151 .

47 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 328 .

3 : اعضاء دار النيابة



ستكون المقاطع الموالية عناصر ترجمية لموظفي النيابة ، مستقاة في جلها من الوثائق المخزنية ، كما أنها ستتناول وصفا لنشاطهم وأشغالهم وتصنيفاً للمحميين .

* * *

المطلب الأول : تراجم الموظفين

1 . **العربي بوشنتوف** هو من أهل سلا ، وكان كاتبا مع محمد بركاش ، وناب عنه ايضا حوالي 1864 . العربي من أقدم الكتاب بدار النيابة ، ولعله انخرط في الاسلاك المخزنية قبل توظفه بطنجة . وسبب تعيينه في عهد المولى عبد الرحمان كان لجودة خطه ، لأن « أهل سلا هم أولى بهذه الخطة من غيرهم » (1) حسبما جاء في رسالة السلطان أثناء معرض الكلام عن إجادة السلويين للخطوط .

وقد استمر في عمله زمنا طويلا ،حتى عجز أو توفي فيما يعتقد قبل سنة 1880 ، فاتخذ بركاش صهره البطاوري كاتبا بدلا منه .

2 . محمد المكي البطاوري

عالم شهير من علماء الرباط ، أصله من مدينة شرشال بالجزائر ، هاجرت اسرته الى المغرب الأقصى فاستقرت بالرباط . ولد في ربيع الأول عام 1274/أكتوبر 1857 ، وتلقى العلم عن جماعة من علماء وقته . وبدأ حياته الادارية عام 1297/1880 عندما عين سكرتيرا بدار النيابة بطنجة . وبهذه الصفة رافق بركاش الى مؤتمر مدريد ، كما صاحبه عام 1301/1884 الى اسبانيا

---

1 . محمد بن علي الدكالي : « اتحاف الملا ... » ، و 32

وفرنسا وانجلترا ، واستفاد من هذين السفرين علوماً جمة ، واطلع عن النهضة الأوربية فأفاده ذلك كثيرا ، وتقلد بعد ذلك وظائف مخزنية مختلفة . آخرها منصب القضاء الذي تولاه عام 1905/1323 بمدينة الرباط (2) .

ولما توجه الى الأصقاع الحجازية لأداء فريضة الحج عام 1304 / 1886 اتصل بعلماء الحَرَمَيْن ومصر واستفاد منهم . وقد اختاره السلطان الحسن الأول مؤدبا لبعض أبنائه وعين بمرسى الرباط ثم بديوانة طنجة (3) .

كان شاعرا مُجيدا وكاتبا مُتقنا ، وله مؤلفات تزيد على الستين ، وتوفي فى 25 مارس 1936 / 2 محرم 1335 ، حيث دفن بالرباط .

كان صهرا للوزير مَحمد بركاش ، وكان خطه رائقا ، وأسلوبه جميلا بليغا . ولما توفي الوزير كان يعين آلـه' فى بعض مراسلاتهم .

3 . الحاج محمد بن الطاهر الزبدي

الحاج محمد الزبدي ، أو الزبيدي أيضا كما كان يسمى ، من أصل رباطي حيث كان عاملا للرباط مدة قصيرة فى العهد الرحماني ، وكان أحد أمناء الدولة وسفرائها من عهد محمد الرابع الى عهد الحسن الأول ، وقد كلفه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بمهمة التفاوض مع اسبانيا فى قضية الحرب الاسبانية المغربية سنة 1859 ، بِمَعية النائب محمد الخطيب (4) . وظل الزبدي أمينا بمرسى طنجة وبالنيابة السلطانية سنوات طويلة .

وفى سنة 1876 وجهه السلطان سفيراً الى فرنسا وبلجيكا وانجلترا وايطاليا ، للمذاكرة مع رؤسائها وحكوماتها فى قضايا الحماية القنصلية ،

---

2 . عبد الوهاب بنمصور : « الوثائق » ج 4 ص 93

3 . عبد الله الجراري : من أعلام . . . » ج 2 ص 214 وما بعدها ، وكذلك مصطفى الغربي : « أبو حامد المكي البيطاوري وأثره فى ميدان العلم والأدب » فى « دعوة الحق » مارس 1965 ص 79 .

4 . « الوثائق » : 2 ص 270 و 284 و 286 و 287

ودعوتها لتأييد وجهة النظر المغربية . وخلال هاته الرحلة التى دامت اكثر من ثلاثة أشهر (من ماي الى شتنبر 1876) قدم عددا من الهدايا لرجالات هاته الدول ، وصلات لمبراتها الاحسانية (5) .

ويرى بعض المؤرخين أن مهمته لم تكن عقيمة ، لأن الدوق دهكاز قبل مبدأ مراجعة حق الحماية ، لكن مع التحفظ فى حق التجار الفرنسيين ، واستشارة الدول الأخرى المعنية (6) ، ومثل ذلك قالته له الحكومة البريطانية .

4 . الحاج عبد الكريم بن محمد بريشة الحميدي

ولد الحاج عبد الكريم بتطوان سنة 1246 / 1830 ، وتوفي بها فى 10 محرم 1315 / 17 يوليوز 1897 . سافر الى مصر سنة 1269 / 1852 ، واتجر بجدة 3 سنوات ، وعاد الى المغرب سنة 1279 / 1855 ، فعين فى السنة الموالية أمينا بمرسى الدار البيضاء لمدة سنة ، ثم سافر الى فاس ومنشيستر للتجارة . وعاد الى تطوان بعد 3 سنوات حيث صار أمينا . وفي عام 1875/1292 عين أمينا لمداخيل الدولة ومصاريفها لمدة 3 سنوات أيضا . وفى سنة 1295 / 1878 ، وجه سفيرا الى اسبانيا للمذاكرة فى قضية مصادة سانطا كروث ، ثم ارسل سفيرا الى كل من اسبانيا وفرنسا وانجلترا لجس نبضها فى مسائل التبادل التجاري .

وقد شارك محمد بركاش فى مؤتمر مدريد سنة 1880 كما تقدم ، وعينه السلطان عضواً بالوفد الرسمي لمساعدة بركاش « لكونه رجلا كيّساً فَطِناً ، حنكته التجارب ، ومن بيت الخدمة (7) » .

---

5 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 2 ص 279 وما بعدها

6 . مييج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 268 (2 و 5)

7 . رسالة السلطان الى بركاش فى 20 جمادى الأولى 1297 / 2 مارس 1880 — محفظة الحماية القنصلية

وفى سنة 1889 سافر لحضور معرض باريس ، وفى سنة 1891 ذهب ايضا الى اسبانيا للمذاكرة فى قضية طرفاية .

ثم عين كذلك سفيرا الى اسبانيا فى يناير 1895 للمذاكرة فى قضية مليلية . وبمدريد لطمه أحد الجنرالات المتقاعدين ميكل دي فوينطيس على ملأ من الناس بالشارع ، فحكم على المعتدي «بالبقاء مُحَجَّرا بالمارستان» (8) أي مستشفى الأمراض العقلية ، وقدمت الحكومة الاسبانية اعتذارا رسميا عن هاته الاهانة (9) .

كانت حياة الحاج عبد الكريم حافلة ومضطربة ، وكان تاجرا كما كان أمينا ، له معرفة باللغة الفرنسية والاسبانية والانجليزية ، ومن أسرته كان للمخزن موظفون مقتدرون مثل أخيه الحاج العربي الذي كان عاملا على الدار البيضاء وأمينا بها ، وكان يقوم بأشغال خاصة للسلطان وللمخزن الذي كان يكلفه بمهام دقيقة ، وكان محل تقدير من لدن المخزن ومن لدن حكومات أخرى لطول باعه ، فَوُشِّح بأوسمة مختلفة من اسبانيا وفرنسا ، وكان من المرشحين لتولي النيابة السلطانية وقتا ما .

هاته الحياة الصاخبة لم تلبث ان ضعفت مع الأيام . وعنها قال للوزير غريط : « ... وأنا اذا خرجت يوم واحد للزنقة ، لزمت عليه الفراش ستة أيام ، ولا يخفاك أخي حال الكبار والمرض فى الغربة ، والطبيب ملازم لي بالدواء وَلك العافية . . . » (10) .

5 . بناصر بن أحمد غَنَّام

ولد بالرباط سنة 1262 / 1845 ، وبها توفي سنة 1915 ودفن .

---

8 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 1 ص 378

9 . له ترجمة بقلم أحمد معنينو ، « دعوة الحق » عدد أبريل 1971 ، ص 166 . وعند محمد داود «مختصر تاريخ تطوان » ص 321

10 . رسالة بريشة الى غريط فى 7 شعبان 1307 / 29 مارس 1890 . محفظة المغرب ايطاليـــا .

انخرط مبكرا فى سلك الموظفين المخزنيين ، وعينه السلطان عضوا بالسفارة التى قادها الحاج محمد الزبدي الى أروبا الغربية سنة 1876 ، ثم صار أمينا للمال ،فشارك فى عملية ضرب الريال المغربي بالخارج . وفى سنة 1305 / 1888 رقي الى رتبة أمين الاختبار التى تعني مفتش المالية ، فكان يقوم بتفتيش الأمناء بالموانيء والمدن . وفى سنة 1315 / 1898 عين أميناً بطنجة ، وبقي بدار النيابة يعمل الى جانب الحاج محمد الطريس . وتولى بعد ذلك مناصب أخرى فى الداخل والخارج ، الى أن استراح من عمله سنة 1912 ، وجمع من خدمته الطويلة مع المخزن ثروة كبيرة (11) .

6 . الحاج عبد السلام أحَرْضان

هو طنجي ومن أقدم الأمناء والموظفين ، اذ عين ـ كماسبق ـ منذ 1862 وكان ينوب عن بركاش ، ولكنه كان عصبي المزاج « ضيق الصدر لا يستطيع مكابدة أمر هاته الخدمة » ، حسبما قال بركاش للسلطان .

ولما تولى النيابة الحاج محمد الطريس ، اعتذر عن العمل معه (12) ، وبقي أمينا بمرسى طنجة ، الى أن رقي الى درجة أمين الاختبار بالمرسى سنة 1888 ، مثله في ذلك مثل بناصر غنام (13) ، وكان لا يزال موظفا فى مطلع القرن العشرين بطنجة (14) . ولم أقف على تاريخي مولده ووفاته .

7 . الحاج محمد الغسَّال

كان منذ سنة 1864 أمينا بطنجة (15) ، وبعد ذلك انتقل الى الأمانة بمرسى الجديدة ،سنة 1872 . وعند تولي الطريس أمر النيابة ، صار معينا له

---

11 . عبد الوهاب بنمنصور : « أعلام المغرب العربي » ، ج 1 ص 217 ـ 220

12 . محفظة الطريس 6

13 . رسالة السلطان الى الطريس فى 23 جمادى الثانية 1305 / 7 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

14 . ابن زيدان « العز والصولة » ج 1 ص 308

15 . رسالة الغسال الى الوزير محمد بنيس فى 4 صفر 1283 / 18 يونيو 1866 ، محفظة طنجة ؛ ، وكذلك محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 6 ص 132

حوالي 1884 ، حتى توفي في 15 ربيع الثاني 1305 / 31 دجنبر 1887 بطنجة (16) .

8 . الحاج محمد الزبدي

كان يقوم كذلك بالنيابة عن الطريس الذي وصفه بأنه « من أحب الناس لينا ، ومن أخيار الناس همة ودينا » (17) ، ولذلك رافق عبد السلام برشيد في سفارته الى المانيا سنة 1889 ، ولم أقف على ترجمة مفصلة لحياته .

9 . الزبير سكيرج

هو أحد طلبة مدرسة تشاتهام الملكية للمهندسين بلندن ، حيث درس خمس سنوات ، وتعلم اللغات الحية ، وتخرج سنة 1880 هو ومحمد الجباص الذى ترقى فيما بعد الى مناصب وزارية ، وادريس بن عبد الواحد بن بوعزة ، وكلهم من أصل فاسي كانوا من أعضاء البعثة التعليمية . وكان مهندسا ، كما كان ترجمانا بدار النيابة بطنجة ، حتى ما بعد سنة 1887 ، ورافق بركاش لمؤتمر مدريد ليقوم بنفس العمل ، وقد أسندت اليه مهمة مراقبة الثغور المغربية ، وشارك فى بعض السفارات وتقلد مناصب ادارية بعد ذلك . آخرها منصب وزير فى حكومة الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن اسماعيل العلوي بمنطقة الحماية الاسبانية بشمال المملكة .

كانت ولادته سنة 1270 / 1854 بفاس ، ووفاته سنة 1351 / 1935 بتطوان (18) ، وله اختراع وتأليف صغير (19) .

---

16 . رسالة الطريس الى السلطان فى فاتح محرم 1307 / 17 غشت 1890 ، محفظة الطريس 14 وكذلك عبد العزيز التمسماني خلوق : « ارتسامات حاج ... » فى ملحق العلم » ، 17 نونبر 1981

17 . رسالة الطريس الى غريط فى 4 ربيع الثاني 1306 / 8 دجنبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

18 . « الوثائق » : 3 ص 494 ، وابن زيدان : « العز والصولة ... » ج 2 ص 150 ، ومييج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 222 (7) ، و « المراسلات ... » الانجليزية ص 90 المراسلة 93) ، أما المدرسة فهي : Royal Engeneers of Chatham

19 . محمد المنوني : «مظاهر ... » ص 192

10 . عبد الرحمان الزَّوْدي

كان سنة 1888 كاتبا للنائب الطريس (20) ، ونفذ له السلطـــان الدويـــرة التى لجانب المخزن بقـوس بِسبِيْنطِي المجـــاورة لمستشفى الفرنسيس بطنجة ، على وجه الانتفاع بدون كراء ، وقطعة أرض حراثيـــة بالمَنزه كانت بيد مَحمد برگاش ، على وجه الانتفاع بحرثها كذلك (21) .

كما كان السلطان ينفحه بصلة بين الحين والحين ، مثلما سبق عند الحديث عن الطريس ورفيقه الذي أظنه هو عبد الرحمان نفسه والذي لم يرد توضيح آخر عن حياته .

11 . الحاج محمد الصفار

كان يقوم بالنيابة عن الطريس ، بعد أن كان كاتبا لدى المخـــزن المركزي ، وأمينا بالجديدة . وفى سنة 1891 « اقتضى نظرنا الشريف اعانتك فيما أنت مطوق به من هاتيك الخطة بالخديم الحاج محمد الصفار بَلَديِّك ، نحو العامين ، ويبدل بغيره معينا آخر لك ، حيث كررتَ طلب الاعفاء ... وقد أوصيناه بأن يكون عند اشارتك ... وبعد تصفيته أموره بثغر الجديـــدة يوافيك فى الأثَر » (22) .

وخليفة النائب هذا من أصل تطواني ، وقد نفذت له دار الطريس ليسكنها ، بينما تحول النائب الى الدار التي كان يحتلها محمد برگاش (23) .

وظل يعمل معه مدة تقرب من سنتين ، حتى انتقل ، حسب ارادة السلطان باستبداله الى مرسى الجديدة بوصفه خليفة للطريس (24) ، وكانت

---

20 . رسالته الى الطريس فى 19 رجب 1305 / فاتح ابريل 1887 ، محفظة الطريس 12

21 . ظهير فى 8 صفر 1309 / 13 شتنبر 1891 ، محفظة الطريس 21

22 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 رجب 1308/9 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

23 . رسالة السلطان الى الطريس فى 8 شعبان 1308 / 19 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

24 . رسالة محمد حصار الى محمد بن عبد الله فى 1 رجب 1310 / 19 يناير 1893 ، محفظـــة الطريس 24

وفاته بتطوان فى شهر ابريل 1894 ، ونفـذ السلطان لورثتـه مائـة ريال . صلة من وفر مرسى تطوان (25) .

12 . الحسن بن محمد الغسّال

ولد بطنجة عام 1283 / 1866 ، وكانت وفاته يوم 4 غشت 1939 بمراكش ، وهو ابن الحاج محمد الغسال (26) المذكور سابقاً . وقد تابع دراسته بفاس ، ثم التحق بدار النيابة ليعمل بها موظفاً (27) . ولعله هـو الكاتب الجديد المضاف الى موظفي النيابة ، والذي أشار اليه ابن زيدان : « ولم يكن مع هؤلاء النواب غير كاتب واحد من مبرّزي العدول ، وجـرى العمل على ذلك الى عام 1308 . وفى عام 1309 زيد كاتب آخر . . . » (28) ، وبعد ذلك تولى مناصب مخزنية أخرى .

كان الحسن كثير السفر ، فله أربع رحلات ، وصنف 17 تأليفا . كما كان كاتبا لسفارة وجهت سنة 1902 الى لندن لحضور تتويج الملك ادوارد السابع ، وألف عنها كتابا بعنوان « الرحلة الى بلاد الانجليز » ، ترجم الى اللغـة الفرنسية سنة 1908 ، ونشرت ترجمته فى « مجلة العالم الاسلامي » قديما ، وصدر نصه العربي حديثا (29) .

---

25 . رسالة السلطان الى أمناء مرسى تطوان فى 13 شعبان 1311 / 19 ابريل 1894 . محفظـة تطـوان : 5

26 . عبد العزيز التمسماني خلوق : « ارتسامات حاج ... » ملحق « العلم » 27 نونبر 1981 ، وكذلك « مخطوطات الفقيه الحسن الغسال » لنفس المؤلف فى « مجلة دار النيابة » العدد الأول ، يناير 1984 ، ص 68

27 . رسالة محمد الصفار الى الطريس فى 22 رجب 1310 / 9 فبراير 1893 . محفظـة طنجـة 24

28 . ابن زيدان : « العز والصولة » ج 1 ص 308

29 . عبد الله العروي : « الأصول ... » ص 218 وعبد الهادي التازي : « سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز الى لندن » فى مجلة « البحث العلمي » العدد المثنى 29 ـ 30 من ص 191 الى ص 208

13 . محمد بوعسل

كان سنة 1888 كاتبا بدار النيابة (30) .

14 . الحاج احمد تايتاي

كان يعمل سنة 1891 بأجرة 3 بلايين فى اليوم ، أي 4 ريالات ونصف شهريا ، وهو قدر زهيد ، لذلك طلب الطريس من غريط أن يزيد له ولغيره فى مرتبه الشهري ، لأنه ذو عيال وفاقة (31) . وقد رافق الطريس الى حاضرة الفاتيكان سنة 1888 بوصفه قائدا كما تقدم .

15 . عبد السلام أ'سعيد

كان عونا كذلك من عهد بركاش ، حتى توفي فى أواخر سنة 1890 ، وكانت بيده دار مخزنية طلب الطريس أن تخول لعبد السلام بوزيان (32) .

16 . العربي بن دحمان

هو من أصل سلاوي (33) ، أما أشغاله بدار النيابة فكان بعضها يتعلق بالترجمة ، على ما يظهر ، ولكنه كان من العدول ايضا .

17 . عبد السلام بوزيان

تولى من سنة 1899 الى 1906 القيام بشؤون القنصلية المغربية العامة بجبل طارق (34) ، وكان قبل ذلك من أعوان الحاج محمد الطريس يتردد

---

30 . وثائق بمحفظة الطريس 12

31 . رسالة الطريس الى غريط فى 17 ربيع الثاني 1309 / 20 دجنبر 1891 ، محفظة الطريس 21

32 . رسالة الطريس الى غريط فى 9 محرم 15/1309 غشت 1891 ، محفظة الطريس 20

33 . من وثائق الحاج العربي بنسعيد

34 . محمد المنوني : « مظاهر ... » فى مجلة « تطوان » العدد 2 ص 35 ، وعبد الهادي التازي : « سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز الى لندن » فى مجلة « البحث العلمي » العدد المثنى 29 — 30 ، ص 192 — 194

عليه بين الفينة والأخرى ، طلبا للعمل ، فكان يكلفه فعلا ببعض الأشغال المخزنية أو الخاصة ، ومنها قبض دخل المون الذى بناه المهندس النمساوي موزبوركر كما سيرد ، كما كانت لعبد السلام حانوت يتجر بها . ولما توفي عبد السلام أسعيد سالف الذكر سنة 1890 ، التمس له الطريس من المخزن الانعام عليه بالانتفاع بسكنى هذا العون الهالك .

18 . محمد بن سليمان

وقد سماه صاحب « الاعلام » محمد الكبير بن محمد بن سليمان الغرناطي المراكشي ، كان كاتبا منذ أيام الطيب بوعشرين ،ثم عين كاتبا لسفارة محمد بن موسى بن أحمد الى باريز ، ثم استكتب بدار النيابة بطنجة ، وهو شقيق وزير الخارجية (فيما بعد) عبد الكريم بن سليمان (35) . وكان الخليفة مولاي اسماعيل قد جعله كاتبا له ، كما استكتبه الوزير أحمد بن موسى .

وقد حلاه صاحب « فواصل الجمان » بأنه « امام المتمظرفين . رونق مجالس المتلطفين ، كاتب منصف ، ليس بوان ولا متعسف ، ذو قلم سيال ، وكلام ميال ، وخط قويم ... » (36) .

كان ابن سليمان هذا صاحب نكتة ، خفيف الروح ، ومنشئا مترسلا ، اكتسب من فصال الدعاوي ومباشرتها دقة في الحس ، وضبطا في التفكير واحكاما فى الكتابة ، ورونقا فى الخط ، وهو من القلائل الذين كانوا يقسمون مكاتيبهم الى فقرات ، خلاف كتاب المخزن معاصريه الذين كانوا لا يستطيعون التفريق بين رسالة ادارية مقتضبة بليغة ، ورسم عدلي قانوني لا بد من توثيقه ، فبينما كان هو يحرر الفقرة ثم يعود الى السطر ، كانوا يكتبون من بداية الورقة الى نهايتها ، فاذا فضل الكلام عكسوا الورقة .

---

35 . العباس بن ابراهيم « الاعلام ... » ج 7 ص 129

36 . محمد غريط : « فواصل الجمان ... » ص 200

وبدأوا يكتبون فى طرتها اليمنى حتى يصلوا برسالتهم الى الاستدارة حول المكتوب الأول ، فان لم يكف ذلك كتبوا بالمُحنول (37) .

كان محمد بن سليمان من المكلفين بتصفية الدعاوي ، فقد عهد اليه سنة 1887 بفصال ديون السويد (38) وسنة 1884 / 1885 بتصفية مطالب المحميين الأمريكيين بصفرو وفاس (39) ، وسنة 1892 بمباشرة دعاوي المحميين والمستوطنين الفرنسيين (40) . وكان هو ممن استخدموا بالنيابة السلطانية بطنجة شهورا طويلة ، سواء سنة 1892 أو قبلها ، وقد اعترف بالحيف الكبير فى الزام المدينين بأداء ديون قد تكون وهمية أو منفوخة بالربا ، ويحكي للطريس فى احدى رسائله اليه أن باشا فاس الجديد ، العربي ولد أبا محمد الشركي قبض على مَدين برىء ، صرح مراراً للعامل أن لديه الابراء من الديْن ، فلم يصدقه ومكث بالسجن مدة طويلة ، ولما خرج منه أتاه برسم الابراء ، وما ذلك الا لأن العربي هذا كان يتعلل بأنه فعل ذلك « وقوفا مع التشديد المترادف علينا من الجناب الشريف » (41) .

ولم أقف على ترجمة كاملة له .

19 . الحاج مَحمد اللبّادي

عمل بدار النيابة وسلك الأمانة سنة 1862 . وتقدم أن بركاش كان يرشحه للنيابة عنه ،قبل تعيين الطريس الذي كان قد أشار على السلطان بتعيينه لما كان يطلب الاعفاء ، ولم أقف على غير ذلك عنه . ولا شك أنه كان ذا حنكة ودراية .

هؤلاء هم بعض الموظفين ، وسترد أسماء آخرين .

• • •

37 . محافظ الطريس تحفل بطرف من مراسلاته

38 . رسالته الى غريط فى 1 شعبان 1304 / 25 ابريل 1887 ، محفظة السويد المغرب

39 . محفظة الطريس 6

40 . محفظة الطريس 24

41 . رسالة محمد بن سليمان الى الطريس فى 4 صفر 1304 / 2 نونبر 1886 ، محفظة الطريس 9

المطلب الثاني : أشغال دار النيابة

كانت مطالب السلك الديبلوماسي وشكاوي التجار والمستوطنين تستأثر بحصة الأسد فى ملفات النيابة السلطانية منذ تأسيسها بطنجة .

وفى عهد الخطيب وبركاش والطريس ، كثرت الدعاوي بالنهب والمطالبات بالديون ، وخصوصا سنتي 1884 ، 1885 حتى أدى الحال ببعض النواب الى استصدار أمر من حكوماتهم بارسال الأسطول البحري لتقاضي الديون ، فاستغاث الطريس بالسلطان الذي كلف كُتّابا وأمناء ومعهم فقهاء وعدول لتصفح رسوم الديون وتمييز باطلها من صحيحها لالزام المدينين بالوفاء ، أو ايداعهم السجن .

وتحفل محفظة الطريس سنتي 1302 و 1303 بمواجب عُدْم وفاقة واملاق ، من الذين كانوا يتعاملون مع التجار ، ثم يتلوّوْن عليهم أو يعجزون عن الأداء ، سواء فى ذلك السماسرة والخلطاء ، بالرغم من تحذير المخزن للتجار من « التعامل مع المفاليس والاقتصار على الأمْلِياء » . كما ألح السلطان على الرفق بالمعسرين « وان كان ذو عسرة ، فنظرة الى ميسرة » ، حسبما جاء فى الآية 280 من سورة البقرة .

كان هؤلاء الكتاب والأعوان قليلي العدد بالنسبة لنيابة اتسع نطاق عملها بتكاثر الدعاوي وتشعب القضايا وتهافت المتهافتين من أجانب وغيرهم . وهذا العدد لايكفي الآن لتسيير قنصلية صغيرة ، فكيف بالطريس النائب السلطاني الذي اقتضت الظروف تركه بهذه المدينة ، يكتب الرسائل ويتصفح الرسوم ويتقبل الشاكين ويداري الهيأة الديبلوماسية والقنصلية ويحاول حل مشاكلها الصحيحة منها والباطلة ؟

وقد أوردت عند الحديث عن الطريس أنه كان يطلب الاقالة من العمل . ولا شك أن قلة المعين كانت من أسباب ذلك .

الحق أن ميزانية الدولة لم تكن عاجزة عجزاً مطلقا حسبما هو معروف عن دفع الأجور وتوظيف الأعوان . ولم يكن للنائب الحرية والصلاحية في التوظيف ، وحتى لو اتخذ قرارا باستخدام عون او كاتب ، لا يَرد الجواب بقبوله أو رفضه الا متأخرا ، كما حدث له عند « ما استجلب كاتبا من تطوان بأهله بقصد الاعانة لكون الأشغال لا يكفي فيها الكاتب ولا الاثنان » وقدّر له مشاهرة 25 ريالا في الشهر سنة 1892 ، ولم يرد له جواب بالقبول حتى ذلك الحين (42) .

على أن المخزن عامة ، والسلطان خاصة ، كانا يدركان ثقل الأشغال المنوطة به ، فكان الحسن الأول يوفد اليه بعض الكتاب مثل محمد بن سليمان سابق الذكر ، وعبد السلام أزطوط والحاج قاسم جسوس وأحمد الكردودي ومحمد التلمساني والمعطي بن عبد الله الغربي وابراهيم بن محمد بن الكناوي ومولاي أحمد البلغيثي ، أو يكلفهم باعانته من بعيد أو من قريب ، زيادة على مده بالعدول والفقهاء ، وتكليف القضاة والسلطات المحلية بشد أزره .

وكان الطلبة والعدول والقضاة مسؤولين ، نوعا ما ، عن العراقيل التى تعترض حل المشاكل : فاذا كتبوا اشهادا لا يدققون فى التحرير ، ولا يحققون في النسب ، فمتى صرح لهم الشهود والمتقاضون أنهم يسمـــون بوشعيب الدكالي أو بوسلهام السفياني كتبوه أحيانا كما هو ، والحال أن دكالة مليئة باسم بوشعيب ، وقبيلة سفيان زاخرة باسم بوسلهام . فهم لا يبحثون عن لقب مميز ، أو كنية خاصة ، لرفع الالتباس وضبط العقود .

وفى هذا المعنى « عثر على غلط كبير فى أحد الكناشين المتضمنين لرسوم ديون التجار ... وصُحّف بعضُها لمقاربة حروفها من المخــرج كالحريزي مع الخزاري ، والهراوي مع الهواري والرويسي مع الرويمي ونحو ذلك ... وعليه فعرفْ بذلك الطلبة المباشرين لتنفيذ ذلك ، وحذّرهم من

---

42 . رسالة الطريس الى غريط فى 23 جمادى الثانية 1309 / 24 يناير 1892 ، مفحظـــة الطريـس 21

التساهل فيه . فان أصل وجود الغلط محظور فى مثل هـــذا ، فأحـــرى تفاحشه » (43) .

وقد سممت قضايا القواد المدينين من سنة 1869 الى سنة 1873 العلاقات بين نواب الدول والمخزن (44) . وكانت مشكلة الجمع بين القوَد والتعويض المادي من أصعبها حلا .

ومن القضايا ذات الأصداء دعاوي عبد السلام الحلو المحمي الأمريكي مع غيره من المغاربة ، ودعوى الحاج محمد شلال الفاسي المحمي الأمريكـي أيضا سمسار پيرديكاريس ، ودعوى عبد الرحمان اليعقوبي ودعاوي النهـب والديون والسرقة التى كان السفراء والنواب يكاتبون المخزن فيها ثم يذكرون برسائلهم . فاذا لم يثمر ذلك شيئاً تحملوا مشاق الرحلة الى حيث السلطان فيقدمون له عرائضهم . وكانت مطالبهم تحسم اما كلها وذلك نادر ، أو يحل بعضها فقط ، وذلك ما يستلزم تعيين لجان تصفح الرسوم وقراءتها وعرضها على الشرع الاداري تارة ، والشرع القضائي تارة أخرى .

* * *

3. 3 : انـــواع المحميـــين

كانوا خمسة أصناف : المجنسون والمحميون القنصليون والمحميون الاستثنائيون والسماسرة والخلطاء وكان مولاي الحسن يدعو بعضهم «المتنصرة» ، اذا هم تنكروا لوطنهم .

1. **المجنسون** : وهم فى الأصل مغاربة اكتسبوا جنسية اجنبية ، حفظا لمصالحهم المادية ، بالولادة أو بالزواج بالخارج . ولم يكن المخزن يعترف لهم بذلك . فاذا عادوا الى الوطن فهم مغاربة كاملو الحقوق . وأغلب هؤلاء كانوا من اليهود .

---

43 . رسالة السلطان الى الطريس فى 13 شعبان 1301 / 8 يونيو 1884 ، محفظة الطـريـــس 4 .

44 . مييج : « المغرب واوربا » 3 ص 35 (6) و 215 (8)

2. **المحميون القنصليـون** : كانـوا مستخدمـين بالمفـوضيـات أو بالقنصليات كالكتاب والتراجمة والأعوان ، وكان عددهم محصورا من حيث المبدأ .

3. **المحميون الاستثنائيون : أو** التعسفيون ، وهم مجرد تجـار ، وكانوا في الغالب من اليهود المغاربة ، لا علاقة لهم بالعمل مع الوزراء والقناصل ، وكان المفروض أن لا يتجاوز عدهم 12 محميا لكل دولة . وكانوا يدعون كبار المحميين واكثرهم كانوا من اليهود .

4. **السماسرة** : وهم مغاربة بين مسلمين ويهود ، وكانوا يتجرون أو يشترون من الأسواق لمصلحة التجار الأجانب . وكان المخزن مُصـرا على أن لا يتخذوا الا من سكان المدن دون البوادي . ومن أجل ذلك تعطلت أعمال مؤتمر مدريد لفترة ما ، وكاد الجمع أن ينفض كما تقدم بسبب تصلب ممثل فرنسا فيه ، وانتهى الأمر بالاتفاق على أن عدد السماسرة لكل تاجـر لا يجب أن يتجاوز الاثنين لمن له تجارة كبيرة .

كان هؤلاء الأصناف الأربعة محميين فى بدنهم وذرياتهم وفى الأموال التي هي ملك للتجار . وكانت لا تجوز محاكمتهم الا بحضور القنصل أو نائبـه لدى القضاء .

5. **الخلطاء** : وهم شركاء فى الفلاحة وتربية الماشية ، وليسـت الحماية منطبقة على شخصهم ، وانما على الأموال التى بين أيديهم لغيرهم ، أما عددهم فكان المفروض أن لا يتعدى الستة لكل تاجر .

على أن الخلطة لم تكن تستلزم الا أموالا ضئيلة مصحوبة أحيانـا بعقد مكتوب ، بينما لم تكن السمسرة تقتضي ذلك .

وقد انضافت الى هاته الأصناف بالعرف لا بالقانون أنواع أخـرى وخصوصا عند احتماء الوزاني بفرنسا ، فتولد عن ذلك نوع آخر هو المتعلقون بالوزاني أو بالشاوش أو بغيرهما : من أصحاب وعزابة وخدامين وأصهار وخماسين .

وقد فرض مؤتمر مدريد على ممثلي الدول موافاة السلطات المغربية سنويا بقوائم المحميين ، دون لوائح الخلطاء التى كان المخزن يرفضها رفضا باتا حتى سنة 1305 هـ / 1888 م أو بعدها بقليل ، وذلك لكي يعرف المحمي من غيره عند الضرورة (45) . ولما أعياه الأمر ، اضطر الى قبولها مفصولة عن لوائح المحميين ، ومع ذلك فى سنة 1894 وقبلها أيضا ، « تقاعد نواب الدول بطنجة عن دفع زمام السماسرة والمخالطين كل سنة وفق الشروط ، فيجب أن تكلمهم فى ذلك ، وتوجه لنا نسخا منها » (46) .

واذا كان السماسرة ملزمين بأداء الزكاة والأعشار فقط ، فان على المخالطين أداءهما زيادة على الكلف المخزنية ومآرب الحرب وسط اخوانهم ، ومنهم من كان قادرا على حمل السلاح ، أو على اعارة دابته للحركات السلطانية ، فلا يقوم بشيء من ذلك ، بل يحرض غيره على التمرد والعصيان ، ويتحدى السلطة ويحل عرى الأحكام .

ومن ذلك امتناع المخالطين سنة 1888 من الحركة مع السلطان الى بلاد البربر . ولما كلم نواب الدول فى حيازة أموالهم من شركائهم ، قبِل ممثلو فرنسا وايطاليا والنمسا ، واستمهل ريد لويس أربعة أشهر لحيازتها ، بينما رأى سفير انجلترا كربي گرين أن فى هذا الاجراء تضييقا على الخلطاء وتعسيرا للمخالطة (47) .

أما فى سنة 1894 فكانت الحالة هي ما وصفها الحسن الأول فى رسالته الى الطريس ، وهي بمثابة جسر نعبر به من هذا الكتاب الأول الى الكتاب الثاني. قال العاهل رحمه الله ، لسبع وثلاثين ليلة بقين من حياته :

---

45 . وثائق مختلفة بمحفظة الطريس 13

46 . رسالة السلطان الى الطريس فى 15 رمضان 1311 / 22 مارس 1894 ، محفظة الطريس 26

47 . رسالة السلطان الى الطريس فى 19 صفر 1306 / 25 اكتوبر 1888 ، محفظة الطريس 14

« ... التجار لم يتمشوا فى اتخاذهم السماسرة من الرعية على مقتضى الشروط ، الذي هو اتخاذ من كان منهم ذا تجارة متسعة سمسارين ، ومتوسطة سمسارا واحدا ، وصار كل واحد يتخذ ثمانية فأكثر ... وكل سمسار تنحاش لخيمته العشرون خيمة من اخوانهم فأكثر ... وصار الواحد منهم يتخذ الخمسين أو الستين مخالطا ، وكل مخالط ينحاش اليه العدد الكثير من اخوانه ، فيتعرض عليهم للعامل ، ويغريهم على عدم اعطاء الواجب ، والقيام بالكلف ، وعلى عدم اعطاء حقوق الناس ...

« ومن جملة القبائل التى وقع فيها هذا الخرق الفظيع ... قبيلة مديونة ، فقد كادت أن تكون كلها سماسرة أو مخالطين ، بدون شرط ولا قانون حسبما تقف عليه ، وملخصه' اثنان وستون 62 سمسارا ، ومائتا مخالط ومخالطان 202 ،واحدى عشرة مائة وستة وخمسون 1156 خيمة منحاشة لأولئك السماسرة والمخالطين ...

« وعليه فنامرك أن تكلم النواب بما يتعين فى ذلك ، وتقف فى رتق هذا الخرق » (48) .

أما بعد وفاة السلطان سنة 1894 فحدث عن ذلك ولا حرج ، فقد كان المحميون بدكالة والشاوية على رأس المتمردين فى العهد العزيزي .

---

48 . رسالة السلطان الى الطريس فى 24 شوال 1311 / 30 ابريل 1894 ، محفظة الطريس 26

انتهى الجزء الأول ، ويليه

الجزء الثانـي ، أوله مدينـة طنجـة

كان الفراغ من طبعه يوم الجمعة

25 ذي الحجـــة 1404

21 شتنبـــر 1984

تصويب واستدراك

نقتصر هنا على الأخطاء البينة دون الأغلاط الهينة :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
6	4	الألمانية	الأوروبية
	5	٧ ، والمركبة	٧ ، والألمانية المركبة
65	6	إدموند هولت	ماك ناب
	23	1911	1901
75	11	8 و 9 ... وكانا	8 و 9. إيلي ورفائيل ، ولعلهما كانا شريكين لأولاد المعطي ، وكانا
109	19	رقد مح	رقم مح 109/4
138	6 ـ 7	وتونس والجزائر وطرابلس	وتونس وطرابلس
196	2	التطبيق	التطيير
197	15 ـ 16	أن ماك لين ... 1894	أن شقيق الكولونيل ماك لين بعث رقاصاً من الدار البيضاء حيث كان قنصلا الى الرباط سنة 1894
214	16 ـ 17	0,72 غ ... الصغير	0,72 غ
	18	ربع الأوقية	ربع الأوقية = 24 فلساً
319	11	والكمخة ، ومنها	والكمخة والمحلب والكيرية والسحل والباز والطلس وساركة ، ومنها
	17	برنشيك	برنتيك أو برنشيك (؟)
	19	وبيطراشة والقلب	وبيطراشة وشمس العشي والقلب
320	5	لانكي والسحل والكميمة	لانكي والكميمة

شكر وتقدير

★ للأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، مؤرخ المملكة ، الذي تحمل ـ على الرغم من وفرة أشغاله ـ عناء في مراجعة هذا الجزء ، وتنقيحه بعلمه الغزير ، سواء في المعنى أو في المبنى · فهـو ـ لله دره ـ صاحب مدرسة فذة في الضبـط والتحري ، افتخر بالتتلمذ اليها في تقويم اللسان والبنان ، وتأصيل البرهان والبيان · وهو ايضا ـ أمد الله في عمره ـ لم يفتأ مشجعا اياي لاتمام هذا التأليف بكامل اجزائه ، ولم يزل مغدقا علي طيب كلماته ·

★ لهيأة المطبعة السعيدة ، ادارة وتقنيين وعمالا ، فلهم الفضل الكبير في ابـراز هاته الباكورة التاريخيـة في حلتها القشيبة ·

فاليهم جميعا اقدم بالغ الشكر وجزيل الامتنان ·

المؤلـف

* * *

Table de Matières du Tome I

(Livre 1er)

Sans leur concours, ne serait pas réalisé ce livre pour lequel j'ai dû consulter des centaines d'ouvrages et des milliers de manuscrits, en reproduisant (soit partiellement ou intégralement) plusieurs centaines de documents, dont une grande partie traduit le point de vue officiel du Makhzen.

Cet ouvrage comporte 4 tomes, mais il sera divisé en 3 livres :

1 - Introduction

2 - Immigrations et protections

3 - Immigrations sans protections

L'AUTEUR.



BISMILLAH



Mes vifs remerciements et ma profonde gratitude vont à ceux qui m'ont aidé à la réalisation du présent essai historique sur la protection consulaire (ses complications et ses interférences) à la fin du XIX^{eme} siècle. Il s'agit notamment des professeurs et docteurs :

— Abdelwahab BENMANSOUR, Historiographe du Royaume qui m'a autorisé à consulter les documents et les fonds de la Direction des Archives Royales,

— Mohamed HAJJI, ex Doyen de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Rabat et directeur du Collège Royal,

— Mohamed ZNIBER, Professeur à la dite Faculté,

— Mohamed EL MAMOUNI, Conférencier à la même faculté,

Ils ont lu ou feuilleté cet ouvrage et en ont apprécié le thème innové, tout en m'encourageant à poursuivre ce travail et en me présentant leurs remarques combien pertinentes, dont j'ai tenu, dans la mesure du possible, à m'y conformer.

— EL HAJ Abdellah Es-Sbihi qui a mis à ma disposition les livres et les manuscrits de sa Bibliothèque,

— Tous les chercheurs et auteurs, marocains et étrangers, qui ont traité, en langue arabe ou en d'autres langues, certains aspects du schéma général de cet ouvrage.

— Tous les collègues et amis de la D.A.R. et de l'Imprimerie Royale.

TRANSCRIPTION DU TITRE D'ORIGINE :

« Al-istytān w-al himāyah

bi-l' Maghrib »

1863 - 1894

Tome I



N° du dépôt légal 507/1984



Les fonds de dossiers mentionnés ici appartiennent à la Direction des Archives Royales - Rabat

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome 1

Imprimerie Royale — RABAT
1984

TRANSCRIPTION DU TITRE D'ORIGINE :

« Al-istytan w-al himaya bi-l' Maghrib »

1863-1894

Tome I



Les fonds de dossiers mentionnés ici appartiennent à la Direction des Archives Royales - Rabat



N° du dépôt légal : 1984/507 : رقـم الايداع القانوني

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1311 - 1280

1894 - 1863

الجزء الثاني

1. مدن الشمال

المطبعة الملكية - الرباط

1407 — 1987

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثاني

1. مدن الشمال

المطبعة الملكية - الرباط

1987 — 1407

ورأيت ــ أيها الأخ ــ تساقط المسلمين اليوم على أهل الحمايات ،ونسبة جميع أموالهم اليهم ، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك ، ولا حد له ولا حصر ، بل تعطلت الأوامر المخزنية راسا ، والأمر الآن في غاية الازدياد ··· وكادت كذلك ان تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم

من رسالة مَحمد الجراري
الى مَحمد بركّاش
في 15 ربيع الثاني 1282
9 شتنبر 1866

* * *

اما علِمنا ان من ورائنا عدوا يشتهي مواطيء اقدامنا وتنكيس اعلامنا ؟

من رسالة علماء فاس في منتصف رمضان 1290
6 نونبر 1873
(« الاستقصا » ج 9 ص 133)

رقم الايداع القانوني : 1984/507

فهـــرس المـــواد

تــنـبـيــهــات اولــيــة

يلزم ابداء جملة من الملاحظات الأساسية :

1 . **التأليــف** : بينما كان الجزء الأول (أو الكتاب التمهيدي) مدخلا لادراك الأحداث العامة التى شهدها المغرب فى القرن التاسع عشر (فكان بهذا كتابا قائم الذات) ، يصدر اليوم الكتاب الثاني : «الاستيطان والحماية بالمغرب : 1863 ـ 1894» ليتطرق الى جذور كل من الحماية القنصلية ومن استيطان الأجانب الذى كان سببا من أسباب التحولات المجتمعية البعيدة المــدى والذي تطــور الى أن حلت حمايــة' الدولة للدولة محــلَّ حمايــة الأشخاص للأشخاص (معاهدة 30 مارس 1912) ، ولو أن التأليف يقف عند وفاة السلطان مولاي الحسن الأول رحمه الله سنة 1894 .

وهذا الكتاب الثاني سيتناول هاته الظاهرة فى شيء غير قليل من الشمولية اعتمادا على حفريات وأسبارٍ من بعض مصادر التراث الوطني الغميس ، وسيستغرق ـ بحسب غزارة المادة ـ كامل صفحات مجلدين :

● أحدهما ينطلق من طنجة ويقف بالدار البيضاء (فهو اذن القسم الأول من الكتاب الثاني ، وبعبارة أخرى هو الجزء الثاني من حيث الترتيب) .

● والآخر سيبدأ بالجديدة وسينتهي بالعواصم الداخلية (فسيكون هو القسم الثاني من الكتاب الثاني ، أي الجزء الثالث فى الترتيب) .

وأراني مضطرا فى كل ذلك الى سَلْسَلَة أرقام الصفحات حتى تسهل الفهرسة والتبويب .

2 . **الأسلوب** : من الوثائق ما هو مُدَبّج بلغة عربية سليمة ، ومنها ما هو مكتوب أحيانا بخط سيء ولغة رديئة أو مصور تصويرا مُعَتّما بحيث تصعب دراستــه ، وقــد أمكن تذليل هاته العقبة بالاستقــراء والنقد ثــم

بالاستشهاد بالنصوص دون تحريرها من أخطائها النحوية والاملائية ، رعياً لمصداقيتها .

3 . ومنها ما يحمل **تاريخا** ومنها ما هو عار منه ، ومع ذلك تيسر ضبط زمنها التقريبي ، اما بدراسة الخط ، واما بالمقارنة مع حدث معين يوحي به ، مثلا : تاريخ وفاة محمي أو تاريخ تجريده من الحماية .

4 . بينما **عناوين** المحميين واضحة ، اذا بعناوين السماسرة تثير اشكالا : فالوثائق الأجنبية تورد عناوين التجار والمستوطنين فقط ، والمصادر المغربية تنص على عناوين السماسرة وحدهم ، وقد سعيت جهد الطاقة الى رفع هذا الالتباس بـرد السمسار الى موطنه ، ولا سيما من الرباط الى الدار البيضاء ، ان كان من قبائل الشاوية .

5 . **الاحالـة** على نصوص التراث ميسورة فى هذا الكتاب ، لأنها مقتبسة أصلا أو تصويرا من محافظ مديرية الوثائق الملكية التى تحتوي أيضا على مستندات من خارجها . ونحمد الله على أن ما صُوِّر من مكتبة تطوان أو من الخزانة العامة ممهور بأرقام أُشير اليها قدر الامكان .

6 . **المصداقية** : هي نسبية فيما يتعلق بالحدث المروي . ومطلقة فيما يرجـع لصحة النص المكتوب ، ولأجلـه أدرجت فى خاتمة هـذا التأليف استدراكات وتصويبات **لا تمس لحسن الحظ** بجوهر المسألة مساً مخلا ولا فظيعا . وقد حملني على هذا ما تنبهت له في النهاية من وجود اختلال حدث أثناء عملية المطابقة بين التاريخين الهجري والميلادي أو من تحريف لفظي بسيط وقع خلال مرور الكتاب من عملية النسخ اليدوي الى عملية الرقن الآلي ، ثم منهما الى عملية الطبع والتصحيح . وقد رأيتني ملزماً بمراجعة جميع ما عندي من النصوص المصورة ومن الجذاذات الشخصية حتى تكون مصداقية النص المكتوب كاملة في الجزأين معـاً ، وخصوصـاً أن هاتــه المستندات العتيقة هي في الواقع «جديدة» تصدر لأول مرة ، مساهمة في كتابة التاريخ من منابعه الأصلية ، وحرصاً على تلطيف المثل المعروف : « الأحسن عدو الحسَن » .

الكتــاب الثانــي

الاستيطان و الحماية

بسم الله الرحمن الرحيم

ستكون الرسالة السلطانية ، التي قدمناها عن مديونة ، خير قنطرة الى كتابنا الثاني هذا الذي يدور محوره حول الحماية القنصلية مقرونة بالاستيطان الأجنبي .

ولا اخال أن فيما أسلفنا من أبواب وفصول ومطالب في الكتاب الأول الا تمهيدا وأضواءً مسلطة على مادة تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر .

وستكون الفرصة مواتية لقراءة جديدة لتراثنا ، يتأتى بعدها التأويل والاستنباط ، وهكذا سنشخص الواقع ونقرره ونقدمه لادراك ماهيته ومداه .

فلئن كان القصد هو التقريب والاستشهاد من واقع التراث المغربي ، فلا عجب أن طغى على هذا التأليف عنصر التدوين ، وقل فيه ـ الى حد ما ـ جانب التحليل .

ثم إنه لا محيد لمن يكتبون كتابة ملتزمة أن يفعلوا ذلك بالقلب والقالب ، أي انطلاقاً من ينابيع الشعور الصادق ومن جذور الأصالة القويمة ، مع التحلي بما يلزم من التحري الرصين الذي يُخضع الحدث لمقاييس التمحيص اخضاع العالِم المادةَ لموازين الفحص .

وليس عازباً عن البال أن وثائقنا مصدقة في الأصل حتى يظهر النقيض ، وأن الرسائل المخزنية جديرة بالتصديق الى أن يُستبان ما عسى أن يعتريها من تحريف أو تأويل .

وهي على كل حال تمت الى نصف الحقيقة أو قل الى جلها بسبب متين ، بينما النصف الآخر يجب أن نتلمسه خارجها بعد النقد والدرس .

وغرضنا الحقيقي هو قول الحقيقة العلمية كاملة ومجردة من كل تحريف ، والاعراض عن كل كلام مجاني أو تأكيد رخيص ، غير مقتصرين على العمومبات التي مللناها والتي لا نطيب بها نفسا ، ولا نقر بها عينا .

وسنقف في كتابنا هذا مستمتعين بتلك « السعادة البينة الواضحة في تجسس ما فضل من غبار القرون» * الدوارس . وستكون مسيرتنا طويلة ، متنقلين أولاً من مدينة الى أخرى من حواضر المحيط الأطلسي ، حيث كثر الحماة والمحميون ، ثم متوغلين الى القواعد الكبرى حيث قلوا . ولكننا سنحط رحالنا بطنجة ، لنعرف إواليات (ميكانيزمات) الحماية ونشأتها وتطورها وملابساتها بهذا الثغر الشمالي .

---

* هذا التعبير نشر في مجلة « ليكسبريس » ، عدد 27 يوليوز 1984 ، ص 18 ، وهو للمؤرخ الفرنسي جورج دوبي Duby

الباب الرابع

طنجة

يوشك هذا الباب أن يكون مقتبسا في أكثره من المخطوطات الغميسة والوثائق المخزنية ، وفي أقله من المصنفات والمقالات المغربية والأجنبية ، حديثة كانت أو قديمة ، عربية كانت أو عجمية .

وسيدور الكلام فيه حول تسعة فصول : أولها عن ولاة هذا الثغر وسكانه وعمرانه ، والباقية عن الشؤون المتعلقة بالدول التى أبرمت مع المغرب معاهدات الاستيطان ، ولاسيما وفق مدريد لسنة 1880 .

وسنحصي كافة المحميين الاداريين والسياسيين والتجاريين ، وسنكشف عن أسماء طائفة من المستوطنين الأجانب ، وسنميط اللثام عن أحوال أعضاء السلك الديبلوماسي والقنصلي .

1 : الولاة والعمران

1 : الولاة والسكان والعمران

أ ـ الـــولاة

1. بعد عزل العربي السعيدي عن ولاية طنجة ، أسندها السلطـــان الى محمد وميمون الكرواني الى أن أخره سنة 1837/1243 عنها (1) .

2 . وفى سنة 1837 ولي على المدينة وعلى غيرها عبد السلام السلاوي المكناسي ، حتى توفي حوالي عام 1257 / 1840 ، وكان له اشـراف على النيابة السلطانية

3 . وفى السنة الأخيرة ، عين بوسلهام بن علي أزطوط عاملا على طنجة وعلى غيرها ومكلفا بالنيابة السلطانية الى يبراير 1851 وهو تاريخ وفاته (2) .

4 . وخلفه مَحمد الخطيب فى الولاية ، حتى فصلت عن النيابـــة السلطانية التى انفرد بها ابتداءاً من سنة 1854 .

5 . فعهد بالباشوية فى هاته السنة الى محمد بن عبو ابن عبد المالك الريفي الذي تقلب فى وظائف سامية بالجيش قبل ذلك .

وظل فى منصبه حتى عزل سنة 1858 ، وتوفي فى 21 أكتوبر من نفس السنة بفاس ، وكان مولده بطنجة سنة 1798 وقد وصفه بعض المؤلفين

---

1 . محمد اكنسوس : « الجيش العرمرم ... » الجزء الثاني ص 8

2 . عبد الوهاب بن منصور : « أعلام المغرب العربي » الجزء الثاني ص 190 وكذلك ظهير تولية عبد السلام فى 18 ربيع الأول 1253 / 22 يونيو 1837 محفظة طنجة 1 ، وكذلك « الاتحاف » لابن زيدان ج 2 ص 179 و « تاريخ تطوان » ج 8 ص 337 لمحمد داود

بأنه كان نشيطا للغاية وذا طبع مستقل وصراحة بالغة ، وأنه أعطى دلائل واضحة على ميله للأوربيين ، وأن منزله كان مؤثثا على شاكلتهم (3) .

6 . وفي سنة 1861 كان محمد بن عبد الكريم الجبوري واليا على المدينة وأحوازها (4) وبقي في الولاية حتى منتصف 1863 .

7 . ولعل العباس المقشد هو الذي تولى المنصب بعده ، لأنه كان سنة 1865 باشا للمدينة (5) . وكان العباس هذا من معيني الأمير العباس أثناء حرب تطوان ، كما كان يقوم أثناء غياب محمد بركاش بالنيابة عنه في تمثيل السلطان لدى أعضاء السلك الديبلوماسي (6) ، وبقي مباشرا أعماله بطنجة حتى توفي في غشت 1875 .

8 . وقد اسندت الباشوية أياما إلى علي المسفيوي الذي سيصير فيما بعد وزيرا للشكايات ، ولكنه ما لبث أن أعفي منها (7) . وأثناء ولايته كلفه السلطان الحسن الأول في مارس 1875 بتقوية حامية طنجة وبأن يجمع « 300 من العسكر من خدامنا أهل ثغر طنجة وأهل الفحص والغربية » (8) ، والغالب على الظن أنه كان نائبا فقط .

---

3 . ميبج : « المغرب وأوربا » ج 2 ص 279 (2)

4 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 174 و « تاريخ تطوان » ج 6 ص 123 ، وابن زيدان : « الاتحاف » ج 1 ص 122

5 . مسودة بتاريخ 2 محرم 1282 / 18 ماي 1865 ، محفظة طنجة : 1

6 . ميبج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 184 (6)

7 . ابن زيدان : « الاتحاف » ج 5 ص 182

8 . « الوثائق » ج 3 ص 421

9 . ثم عين الجيلالي بن حمّو المنَجّم الحمزاوي البخاري (9) الذي تقلب فى الوظائف المخزنية العليا مدة تنيف على الخمسين سنة (10) .

10 . عبد الصادق بن أحمد الريفي ، الذي كان خليفة للجيلالـــي ، أسندت اليه شؤون المدينة سنة 1878 عند وفاة سلفه (11) .

كان للجيلالي مشاكل مع السلطة القنصلية ، وخاصة قنصل فرنسا الذي أقام الحد على سارق وعلى قاطع طريق ، فطالب القنصل بالافراج عنهما والاعتذار له عما فعله (12) .

أما عبد الصادق فكانت له نزاعات مع قناصل آخرين ، اتهموه بالتسلط والاختلاس ومنهم ممثل هولاندا الذي قال عنه سنة 1884 : « عبد الصادق مشتغل الآن بعمارة خناشيه بدراهم حركة أنجزة ، ولم يَرِدْ باله لغَرَضَات الناس الذين لم يجلبون له رشوة من المال أو من الماشية » (13) .

وفى سنة 1889 اشتكى منه كلاصو ممثل البرتغال ، لأنه استولى على أموال الزَيْزُون المستخدم بالمفوضية البرتغالية بطنجة (14) ويظهر أن هذا العامل عبد الصادق قد توفي سنة 1891 (15) ، بينما كان عبد الرحمان بـن

---

9 . رسالة السلطان الى الجيلالي فى 23 رجب 1292 / 25 غشت 1875 ، محفظة الجيلالي بن حمو

10 . عبد الرحمان ابن زيدان : « الاتحاف ... » 2 ص 111

11 . مسودة بمحول رسالة بركاش الى السلطان فى 27 شعبان 1295 / 21 غشت 1878 ، محفظة طنجة 2

12 . « الوثائق » : 4 ص 430 وما بعدها

13 . رسالة نائب الفلامنك الى الطريس فى 25 شتنبر 1884 / 4 حجـــة 1301 ، محفظة الطريس 1

14 . رسالة كلاصو الى الطريس فى 27 يناير 1889 / 22 جمادى الأولى 1306 ، محفظة المغرب البرتغال

15 . موجب عدلي فى 11 قعدة 1308 / 18 يونيو 1891 ، محفظة الطريس 20

عبد الصادق قبل سنة 1885 خليفة له (16) وبعد وفاة عبد الصادق ، عيـــن السلطان عاملا آخر فقامت طنجة على عاملها ، وحدثت روعة كبيرة أدت بالدول الى ارسال سفن لحمل رعاياها . فكتب الطريس الى السلطان رسائل عديدة أولها فى 6 جمادى الأولى 1309 . فأوفد العاهل القائد محمد الشاوي فى 200 من الخيل لحراسة البلد ، وعزل العامل الذي لم يذكر اسمه ، وعين عبد الرحمان بن محمد بن عبد الصادق سنة 1892 عاملا على المدينة (17) .

ويغلب على الظن أن بعض أهل طنجة لم يكونوا يحبون آل ابن عبد الصادق ، وقد تزايد تذمرهم منهم ، عند ما وقعت فتنة عبد السلام الأنجـــري أثناء مد اسبانيا لأسلاك التلغراف بنواحي أنجرة ، وعمت الاضطرابات نواحي المدينة ، حتى استاء من ذلك النواب والقناصل والأجانب وخافوا على أنفسهم وأموالهم من تلك الفتنة .

ولم يكن السكان والأجانب وحدهم مستائين ، بل حتى الجيش ، وعن ذلك قال السلطان للطريس سنة 1892 : بلغ الى « علمنا الشريف أن الخديم القائد عبد الرحمان بن عبد الصادق أضر بالجيش الريفي هناك ، وقبـــض منهم سبعمائة ريال ، ثم فرض عليهم اثني عشر مائة ريال ، وحاز نصفها من راتبهم بالمرسى ... وعليه ، فلا بد ، تقص البحث فى ذلك . » (18) ، ولم يطل ذلك ، اذ توفي العامل بعد ذلك بقليل ، وتولى أخوه عبد العزيز بن عبد الصادق الباشوية ، فى حين كان أخوهما الثالث الحاج محمد بن عبد الصادق أمينا بالمرسى ، وله دعاوي مع التاجر المحمي الايطالي ميمون بن الدهان (19) .

* * *

---

16 . رسالة شميدل قنصل النمسا الى الطريس فى 20 جمادى الثانية 1302 / 6 أبريل 1885 ، محفظة المغرب النمسا

17 . رسالة السلطان الى الطريس فى 16 جمادى الثانية 1309 / 17 يناير 1892 ، محفظة الطريس 21

18 . رسالة السلطان الى الطريس فى 21 ربيع الثاني 1310 / 12 نونبر 1892 ، محفظة الطريس 23

19 . رسالة كانطاغيللي الى الطريس فى 17 أبريل 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

ب : السكان والعمران

بلغ أهل طنجة فى شتى الفترات أعدادا مختلفة يقدرها بعض المؤلفين كما يلي : 7500 سنة 1834 و 10.000 سنة 1855 و 12.000 سنة 1866 (20) و 15.000 سنة 1874 و 21.000 سنة 1884 (21) و 36.000 سنة 1892 و 45.000 سنة 1900 (22) ، ومثل ذلك قاله الطبيب الانجليزي ليرد عن سنة 1872 ، اذ كان مجموع السكان 14.600 نسمة ، منهم 9.000 مسلم و 5.000 يهودي و 600 نصراني (23) . لكن لا عبرة بما جاء في بعض الروايات من أن أعداد الأروبيين بلغت 6000 شخص بعد مؤتمر مدريد (24) ، فذلك من المزاعم التي لا تستند إلى أساس معقول .

وكان أغلب سكان طنجة من جبالة والريف ، زيادة على طوائف مهمة من اليهود .

أما الأجانب فكان جلهم مهاجرين اسبانيين فروا من بلادهم للظروف التى كانت تمر بها فى آماد متعاقبة ، ويليهم فى الرتبة الانجليزيون وغالبيتهم طارقيون . وكانت قلة من المهاجرين لا يجدون سكنا ، فكانوا يتخذون فى البداية المغاور والكهوف منازل لهم .

أما التجار الطارئون فكانوا أيضا يتخبطون فى مشاكل السكنى ، لعدم ترخيص المخزن لهم بالبناء ولا بالتملك ، ثم انه كان يخشى منهم التماطل أو الامتناع من أداء الواجبات ، فكان يرفض ، وخصوصا سنة 1886 ، البناء لهم بطنجة أو بغيرها من المدن ، ولذلك جاء فى رسالة بهذا التاريخ : « لم يكن المخزن يبني شيئا بالثغر الطنجي بحساب ستة في المئة ، لأن القناصل الذين يتجرون يمتنعون من أداء واجب الكراء ، مثلما فعل قنصل اسبانيـــا

---

20 . مييج : « المغرب وأوربا » ج 3 ص 14

21 . المصدر السابق ص 461

22 . مييج « المغرب وأوربا » 4 ص 397

23 . عبد المجيد بن جلون : « جولات ... 1872 » ص 19

24 . مييج : «الصحف والصحافيون بطنجة في القرن التاسع عشر» في مجلة «اسبيريس» ، عدد يبراير 1951 ، ص 193 .

بالجديدة التي بنى له مكاناً هناك ، وصُيِّر في بنائه ما يزيد على 20.000 ريال ولما طولب بالكراء امتنع منه» (25) .

وليس معنى هذا ان التجار لم يشتروا العقارات ولم يبنوا الدور والمخازن سرا أوعلنا . بل انهم كانوا يمتلكون المصانع والدور التجارية ومنازل السكنى . لأن الشرط في الامتلاك ، حسب معاهدة مدريد ، كان هو الحصول على اذن السلطة التى كانت فى الغالب ترخص لهم فى ذلك ، وسنجد فى غير هذا المكان آثارا لذلك وخصوصا اشتراءهم لها بواسطة المحميين ثم بيعها لهم بعقود خاصة غير عدلية .

وليس من سبيل الى الأطناب في مسائل العمران بهاته المدينة التي كان يعيش فيها القسط الأوفر من الأجانب على اختلاف ديانتهم وجنسياتهم . وكانوا قد فرضوا – أو كادوا يفرضون – على المخزن وعلى السلطة نفوذهم ، ولاسيما بمجلس العافية أو بمختلف اللجان المحلية (26) . وسيأتي شيء من هذا القبيل فى مواطن شتى من التأليف .

* * *

هاته هي طنجة : عمرانا وولاة ، ولئن كانت بها سلطات ادارية ومالية فقد كانت أيضا عاصمة ديبلوماسية تتولى فيها النيابة السلطانية تدبير الشؤون الخارجية .

كان هذا الثغر مقرا للمفوضين والقناصل الذين كانوا يتعاملون مع المصالح النيابية والمحلية بما يقتضيه القانون الدولي تارة ، وبما يُسْتَهْجَن من تعسفات وانتهاك للحرمات تارة أخرى .

وأهم جناية ارتكبها غلاتهم هي اسباغهم حماية دولهم – أو بالأصح حمايتهم الشخصية – على طائفة من الرعايا المغاربة من يهود ومسلمين معا .

---

25 . رسالة السلطان الى الطريس فى 6 شوال 1303 / 8 يوليوز 1886 ، محفظة الطريس 6

26 . صدرت مؤخرا بمجلة دار النيابة (العدد الأول ، 1984) دراسات ونصوص عن العمران بطنجة . ويستحسن الاطلاع عليها لمعرفة بعض الجوانب الغامضة

وعَيْنُ ما أريد طرقه فى الفصول المقبلة هو القاء بصيص من النور على الظروف والملابسات التى حاقت بهاته الحمايات الصغرى ، استعدادا وتمهيدا للحماية الكبرى ، وللهيمنة الأوربية على مستقبل البلاد .

وسأتناول القول هنا بالأخص لأحصي بهاته المدينة كافة المحميين ، والكشف الذي قمت به لم يتقدم له نظير فى أي كتاب عربي مغربي مطبوع ، الا ما ورد نادرا وعفويا عند ابن زيدان . وقد اقتبست ذلك من المصادر الأجنبية والعربية ، ومن التراث المخزني المنسي ، احياء له ، وخدمة للتاريخ ، وتعريفا برأي الدولة المغربية فى هاته المشاكل المصيرية .

ولن يتم لي هذا الأمر ، ويستقيم هذا الجرد ، ما لم أسلط ما استطعته من أضواء على ما خَفِيَ من حياة أعضاء السلك الديبلوماسي والقنصلي وأفراد الجالية الأجنبية والمصالح الاقتصادية ، فقد اسلفت الكلام غير ما مرة أن التجارة (مع نصب القنصليات واستيطان الأجانب ببلادنا) كانت من المباشرة فى اتخاذ المحميين والسماسرة والخلطاء والعملاء ، وفى التحولات المجتمعية الخطيرة .

ومن خلال هاته الحمايات الفردية ، بدأ المغاربة ــ محميين كانوا أو شبه محميين ــ ينتقلون من طور الى طور ، وصارت الهياكل التقليدية تَتَدمَّر وتتخَرَّب ، لتحل محلها صُوَر" أخرى من الحياة الجديدة المدسوسة ، فتعصف بما كان بمغرب القرن التاسع عشر من أصالة ومن مقومات ، عصفا شديدا مُنْكَراً ، وغدت عيون المغاربة مشدودة الى الخارج .

* * *

وختاما أشير الى أن هاته الحمايات الفردية تلبس بها بطنجة وبأحوازها 363 شخصا ما بين سنتي 1863 و 1900 ، على وجه الاجمال لا الحصر والضبط ، لانعدام الوثائق المنتظمة فى هذا المضمار .

وفيما يلي جدولان تلخيصيان لهؤلاء الأشخاص باعتبار المكررين والمتقلبين في الحمايات ، احدهما يحتوي على 319 محميا ، كان عدد المسلمين 190 منهم وعدد اليهود 129 ، والآخر يشتمل على 46 سمسارا منهم 28 يهوديا و 18 مسلما ، وستأتي أسماؤهم تباعا فى الفصول القادمة :

ج. 1. المحميــــون

(1863 ـ 1900)

الـدول	اليهـود	المسلمون	الجميـع
ألمانيـــا	5	15	20
الولايات المتحدة	31	20	51
بريطانيا العظمى	9	44	53
اسبـانيـــا	—	19	19
ايطـالـيـا	27	10	37
الانبـريـــال	5	5	10
فـرنسـا	16	36	52
البـرتغـال	8	22	30
البرازيــــل	21	—	21
بلجيكـــا	3	11	14
السويد والنرويـــج	3	5	8
الـدانمـارك	1	1	2
هــولانـدة	—	2	2
المجمــــوع	129	190	319

ج. 2. السمـاســـرة

(1863 ـ 1900)

ألمانيـــا	4	—	4
الولايات المتحدة	7	1	8
بريطانيا العظمى	6	4	10
ايطـالـيـا	3	—	3
الانبـريـــال	—	1	1
فـرنسـا	7	10	17
البـرتغـال	1	2	3
المجمــــوع	28	18	46

2 : المـانيـا



تصميم هذا الفصـــل :

1. السلك الديبلوماسي
2. العلاقات المغربية الألمانية
3. موظفـو السفـارة
4. المحميون والمستوطنون والسماسرة

* * *

المطلب الأول : السلك الديبلوماسي

كانت ألمانيا تدعى فى الوثائق المخزنية البْروس أو البْروسيــة أو البْروص Preussen, Prusse وكانت المدن الهَنْسِية : بريمن وهامبـــورغ ولوبيك تتعامل مع المغرب ، وترتبط به بعلاقات اقتصادية ،تحت اشراف جون هي . لكن انتصار ألمانيا على فرنسا سنة 1870 ثم ظهور هاته الدولة موحدة الأجزاء تحت رعاية الملك غليوم لفتا اليها الأنظار ، وقد اختلط تاريخ ألمانيا بتاريخ بروسيا حتى سقطت الملكية فى نونبر 1918 .

وفيما يلي أسماء الوزراء المفوضين :

1. قررت حكومة الأمير فون أوطو بيسمارك ، الذى كان وزيرا أول فى الحكومة الملكية منذ سنة 1862 ، اقامة علاقات ديبلوماسية مع المغرب ، وعينت لذلك وزراء مفوضين كان أولهم **فون كوليخ :** Von Gulich

وكان مجرد مبعوث ، عين في بداية سنة 1873 ، فسافر الى جبل طارق. غير أن حكومته أمرته بعد وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان بالتريث بهاته المدينة ، وعدم الدخول الى طنجة ،ولكنه ما لبث أن حل بها دون بروتوكول.، فوصل على ظهر باخرة متواضعة ، بينما كانت العادة أن يفد المفوضون على متن السفن الحربية .

عين كوليخ قنصلا عاما ، ولم يصبح وزيرا مقيما الا في مارس 1874 . وقد وجه رسائل اعتماده من الملك غليوم الى الحسن الأول ، وسلم له بركاش رسالة من السلطان الى العاهل الألماني في نفس السنة ايضا .

وكان وصوله ، على متن سفينة تجارية لنقل الحيوانات ، مما يؤخذ عليه اذن . ويضاف الى ذلك ايثاره معاشرة اليهود ، مما أسقطه في أعين المغاربة المسلمين ، فأشاعت الأوساط الاستعمارية بالجزائر أنه يهودي أسلم ، لأنها كانت ترتاب في سلوك ألمانيا .

كان كوليخ قاسيا في أحكامه على المغرب وعلى الأوساط الديبلوماسية وعلى الجاليات الأجنبية التي لاكته بألسنتها ، كان يرى أن المفوضيات منهمكة في الاتجار بالحماية وفي الاثراء من عمليات تتفاوت درجات الشُبْهة فيها ، وعنده أن سفير انجلترا لا يهتم الا بتجارة اللحوم مع جبل طارق ، وان له نصيبا في ربحها ، وهو يصف تيسو بأنه كان يوزع وقته بين القَنَص والأبحاث التاريخية ، كما يذهب الى أن ميري اي كلوم لم يقبل وظيفته بطنجة الا لأن له مصالح بجبل طارق ، ووصفه بأنه كان يتلهى بالقنص والصيد .

وهكذا كان يكيل لهم التهم أو يصفهم كما هم عليه ، ويرى أنهم محافظون في سياستهم ، لا رغبة لهم الا في امضاء الوقت وعقد الصفقات المربحة .

أما عن نفسه فقد ذكر أنه منفي في « بلاد الهمَج » وأن المغرب بلد فقير لا مستقبل له « ما دام حكم القرآن نافذا فيه » .

الحقيقة أن كوليخ الذي قضى سنواته الأولى باسبانيا وأمريكا الجنوبية لا يعرف شيئا عن بلدان الاسلام ، فلم يمكث بالمغرب الا أقل من سنتين حتى أعفي من منصبه فى أواخر سنة 1874 ، ورحل عن طنجة فى بداية 1875 الى مقره الجديد بالأسكندرية (1) .

2. وكان الذي خلفه هو **تيودور ڤيبير** Th. Weber قنصل ألمانيا ببيروت سابقا ، وقد عين وزيرا مفوضا ، ووصل الى طنجة فى أكتوبر 1875 ، وكان مستعربا ممتازا ، قضى بالشرق سنين طويلة أتقن خلالها النطق والكتابة باللغة العربية .

وقد استطاع أثناء مقامه نشر نفوذ دولته الاقتصادي والسياسي بعد أن كان ضعيفا (2) ، وعاش بالمغرب نحوا من 10 سنوات ، الى أن أحيل على التقاعد في منتصف 1885 . وكان سنة 1878 قد رافق الطيب ابن هيمة في سفارته الى المانيا .

3. ثم خلفه فى أكتوبر الموالي **شارل تيستا** Ch. Testa الترجمان الأول بسفارة ألمانيا بتركيا ، الذي كان خبيرا بشؤون الشرق ونشيطا وطموحا ولبقا (3) . لكن مُقامه لم يطل بالمغرب ، فاستعفى في 18 مارس 1887 لمرض أصابه « فأعفته دولته لما ألمّ به » (4) ، وكان فى آخر أيامه بطنجة يسمى نفسه « مِنِيسْطِرْ رِزِدَيْنْط » أي وزيرا مقيما « لملك الألمان وسلطان البروس ونائب دولة التّنبريال» أي الامبراطورية النمساوية

---

1 . كيلن : « ألمانيا والمغرب من 1870 الى 1905 » ص 29 — 35

2 . عبد الوهاب بنمنصور : « الوثائق » ج 4 ص 100 ، وجان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 19

3 . المرجع الأخير : ج 4 ص 169

4 . رسالة السلطان الى الطريس فى 19 شعبان 1304 / 13 ماي 1887 ، محفظة الطريس 10

الهنغارية ، (5) ومن طنجة عاد الى الأستانة ليشغل فيها المنصب الأول الذي كان يتولاه قبل ذلك (6) .

4. وأتى بعده من شتنبر 1887 الى ماي 1888 **طـرافـراس** Travers الذي كان قنصلا عاما باستراليا ، ولعله عين سفيرا رسميا بدلا من تيستا (7) ، ولكن يظهر من وثيقة أخرى أن تسميته لم تؤكدها الحكومة الألمانية ، وانما تركته نائبا عن السفير (8) ،وذلك ما يدل على السبب فى استعفائه وسفره « بقصد جلب الراحة مما ألمّ به » (9) .

5. وفى سنة 1888 قررت الحكومة الألمانية تسمية سفير رسمـــي هو **الكونت طاطنباخ :** Von Graaf Tatenbach الـذي كـان الكاتــب الأول بسفارة ألمانيا بمدريد (10) .

6. وقد خلفه البارون **فون شنك** Von Schenck حوالي 1896 ، فى حين سمي طاطنباخ ببيرن ثم بلشبونة ، ولكنه هو الذي مثل بلاده فى مؤتمر الجزيرة الخضراء (11) .

* * *

---

5 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 جمادى الثانية 1303 / 3 ابريل 1887 ، محفظة المغرب المانيا

6 . جان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 169

7 . رسالة فون سالديرن الى الحاج محمد الغسال بتاريخ 3 غشت 1887 / 12 قعدة 1304 ، محفظة المانيا المغرب ، ثم كتاب طرافرس الى الطريس بتاريخ 19 أكتوبر 1887 ، نفس المحفظـــة

8 . رسالة بيسمارك الى وزير الخارجية ، المحررة ببرلين فى 29 يناير 1887 ، نفس المحفظة وجان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 177 (10)

9 . رسالة الطريس الى السلطان فى 15 رجب 1306 / 17 يبراير 1889 ، محفظـــة الطريس 15

10 رسالة فون فالدهاوزن الى الطريس فى 16 يونيو 1888 ، محفظة المغرب المانيا

11 . جان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 177 (10)

وكان من الذين يقومون مقام السفير ، البارون كيطلر G. de Kettler وفون سالدين Von Saldern ، الذي كان مستشارا بسفارة ألمانيا بمدريد ، وفون ڤالدهاوزن Waldthausen ثم الكونت هنكل Henckell .

وحتى سنة 1885 ، لم يكن لألمانيا اشعاع كبير بالمغرب ، فلم يكن لها قناصل الا في الصويرة والجديدة والرباط والعرائش ، أما بالدار البيضاء ، فكان لها نائب أجنبي عنها في ذلك التاريخ (12) .

* * *

المطلب الثاني : العلاقات المغربية الألمانية

كان الوزراء المفوضون يقفون موقفا حسنا من القضايا المغربية ما لم تمس المصالح الألمانية العامة ، وكانت سياسة ڤيبير ومن تلاه من السفراء تقوم على هذا المبدإ ، ولم يسجل له خلال هاته الفترة الا المواقف المعتدلة . وقد كانت تلك الصلات على قدر ما حُبِيَ به هذا السفير من حذق ومؤهلات شخصية : فقد كان يتقن العربية ، مما سهل اتصاله بالوزير مَحمد بركاش والنائب الحاج محمد الطريس ومعاونيهما ، بعد أن قضى مدة طويلة بالمغرب .

وأهم ما تميزت به علاقة المغرب بألمانيا هو عقد معاهدة تجارية بين البلدين واستقبال بعثات طلابية ، وتوجيه سفارات مغربية الى ألمانيا ذكرت نتفا عنها في غير هذا المكان ، وأورد هنا اثنتين فقط من خلال الوثائق المخزنية وبعدهما خبر المعاهدة التجارية .

2 1 : سفارتا عبد السلام ابن رشيد

كلف السلطان قائد أولاد حريز عبد السلام ابن رشيد بالسفارة الى ألمانيا ، وعيَّن معه أمينا وكاتبا و 10 مخازنية (13) ، وحُدد سفره في ربيع

12 . رسالة ڤيبير الى الوزير محمد بن العربي الجامعي في 22 ماي 1885 ، محفظة المانيا المغرب

13 . رسالة السلطان الى الطريس في متم صفر 1306 / 4 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14

الثاني 1306 (دجنبر 1888) . وكان معه أيضا فى هاته السفارة الحاج محمد الزكاري ، نائب الطريس بطنجة ، ولا سيما أثناء مقابلته مع ملك ألمانيا .

وقد سافر بالفعل بحرا الى ألمانيا فى 21 ربيع الثاني 1306 (25 دجنبر 1888) . وبعد أن أدى مهمته ، خرج من برلين عائدا الى المغرب فى 16 جمادى الأخرى 1306 / 17 يبراير 1887 .

ولا تتحدث الوثائق عن أثر هاته السفارة ومدى تكللها بالنجاح أو بالفشل ، ولا عن الغرض منها ، ولعل وفاة الملك غليوم سنة 1888 كانت من الأسباب التي حالت دون نجاحها .

وكانت له وفادة أخرى سنة 1892 .

2. 2 : سفارة الحاج المعطي بن عبد الكبير

وجه السلطان سفارة أخرى الى ألمانيا برئاسة الحاج المعطي بن عبد الكبير قائد المزامزة بالشاوية ، ولم تتحدث عنه الوثائق الا قليلا ، ومن ذلك أن الحاج المعطي « جلب من ألمانيا مدفعا للمغرب وأنزل في مرسى العرائش » (14) .

2. 3 : المعاهدة التجارية

والمعتقد أن موضوع سفارة ابن رشيد الأولى كان قضايا اشتراء السلاح وكسب تأييد ألمانيا للمغرب في قضية طرفاية ، التى كانت انجلترا تريد أن تستولي عليها ، والتمهيد لعقد معاهدة تجارية بين البلدين .

لكن يظهر من وثائق مخزنية أن المهمة فشلت وتعثرت ، لأن المخزن كان يريد اعطاء الأسبقية لرفع أضرار الحماية على حرية التجارة التى كانت ألمانيا تنادي بها وتقدمها على غيرها وترمي الى عقد معاهدة 1890 .

---

14 . رسالة أمناء طنجة : محمد بن المفضل بن جلون وعبد الرحمان بن المكي العيمي ومحمد الخمال الى السلطان فى فاتح رمضان 1307 / 21 أبريل 1890 ، محفظة طنجة 3

وهكذا قال السلطان للطريس في رسالة جوابية : « المخزن مستعد لكل خير ، وللتسهيل في أمر التجارة بعد حسم الواقع في ذلك ، وقبول الدولة لعذر المخزن وتسليمها له ... » (15) ، بعد أن كان الطريس اقترح قبل ذلك على الحسن الأول اما « ابقاء الحال على ما هو عليه » ، واما « التأهب لرفع أضرار الحماية واثبات الحرية . ومن الحرية اذا ثبتت يقع التسهيل في التجارة ، بما فيه النفع والمصلحة للمخزن والرعية ، وعدم الاجحاف بحقوقهم» (16) . وقد وافقه السلطان في نفس الرسالة على أن «لا يقدم التسهيل في التجارة على رفع أضرار الحماية واثبات الحرية لما في تقديمه من الدسائس».

هاته التحفظات كانت في اللفظ أيضا ، وخصوصا في الفصل الرابع من مشروع المعاهدة المذكورة حيث ترك بياض داخل مسودتها لتغيير عبارة « رعية الألمان لهم الحرية أن يَسَقوا من جميع مراسي المغرب في جميع المراكب ... » ، وللتنصيص على « المراسي المفتوحة للتجارة ، أي فيها ديوانة ... » (17) . وكان المقصود بها تطوان (مرتيل) وطنجة والعرائش والعدوتان والدار البيضاء والجديدة وآسفي والصويرة .

والحقيقة أن ألمانيا قد انصاعت لرأى المخزن ، فعبرت له عن « عزمها على الغاء مبدإ الحماية ليتسع نطاق تجارتها » (18) .

وأُبْرِمت فعلا بين المغرب وألمانيا ، ووجه السلطان نسخة منها الى الطريس مطبوعا عليها بطابعه (19) في فاتح رمضان 1308 (10 أبريل 1891) ، بعد انتهاء المفاوضات التي أشرت اليها أعلاه .

غير أن ممثلي باقي الدول ، ومنهم إيوان ـ سميث الانجليزي ، رأوا أن في ذلك انحرافا من المخزن عن مبدإ المساواة بين الدول في المعاملة ،

---

15 . من السلطان الى الطريس في 20 قعدة 1306 / 20 ماي 1889 ، محفظة الطريس 16

16 نفس المصدر السابق

17 . رسالة الطريس الى السلطان في 25 محرم 1309 / 31 غشت 1891

18 . جان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 191 (2)

19 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 رمضان 1308 / 19 أبريل 1891 ، محفظة الطريس 20

ولا سيما وان انجلترا التى كانت فى شخص جون هي تكن كامل المحبـة للمغرب ولأهله ، لم تظفر بمثل ذلك منذ ابرام المعاهدة التجارية سنة 1856 .

وقد كان عقد اتفاقية تجارية هو الذي حمل تشارليز إيوان ـ سميث على القيام برحلة الى فاس سنة 1892 ، واسبانيا على حرب سنة 1893 ، وفرنسا على اثارة قضية توات ، وأفضى ذلك كله الى انتزاع امتيازات : فرنسا سنتي 1892 و 1902 واسبانيا سنة 1896 وانجلترا سنة 1901 ، ولم يبق الا العثور على اطار دولي جديد لهذه الامتيازات ، وذلك كان هو السبب فى عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 (20) .

* * *

المطلب الثالث : موظفو السفارة

1. منصور ملحمة

أما معينو السفارة غير المغاربة فأخص بالذكر منهم منصور مَلْحَمَة الذي يبدو من خلال خطه الرقعي ، ومن أسلوب كتابته أنه من أصل مشرقي شامي (لبنان) تعَرَّف عليه هناك ڤيبير ، حين كان يعمل بالشرق العربي ، فاستصحبه معه ، وكان أحيانا ينوب عنه وعن غيره من السفراء الذين أتوا للمغرب بعد ذلك .

كان منصور الترجمان الأول للمفوضية ، وقد اكتسب بعض الشهرة لدى الأوساط المخزنية والشعبية حتى كان يسمى منصور بَنْ حَامَـي (تحريف ملحمة) .

وقد ولد منصور ببيروت سنة 1836 ، ومات بالقاهرة سنة 1904 ، وكان أيضا قنصلا بطنجة (21) .

---

20 . عبد الله العروي : « الأصـول ... » ص 251

21 . جان لوي مييج : « المغرب وأوربا» ج 4 ص 170

الا أنه كان كبعض موظفي القنصليات والمفوضيات يتعاطى للمضاربات : فقد اشترى باشتراك مع ابراهيم سكْسو ، ترجمان مفوضية بلجيكا 140 هكتاراً بأنجرة ، وكان المخزن يرتاب فيه « لكي لا يُدخل لها الكُنْطر َبَنديس وجعل عليها عسة » (22) ، وكانت تلك الملكية تقع بقَنْقُوس وفي مَلا َباطـا .

ولذلك لم تشأ السلطات الترخيص له ببيع أرضه بقنقوس ، وكان قد « طلب من اجلها 36 ألف ريال وعول على أن يبيعها للمخزن بـ 26 ألفا » (23) ، بعد أن كان يريد تفويتها لبعض الاسبانيين (24) .

كما حاول أيضا هو وشريكه ابراهيم سكسو بيع تلك الأرض أو غيرها لشركة فرنسية من وهران ، على يد حَيِّم بَنْشيمول ترجمان المفوضية الفرنسية بضنجة ، لكن باشا المدينة لم يأذن للعدول بكتابة رسم البيع (25) .

وكان جواب عبد الصادق بن أحمد الريفي الى النائب الطريس هو أن « عندنا مرسوم من سيدنا ألا نعطوا الأذن فى البيع الا من هو داخل عن الوادي والكائن بالسواني ، ومن خارج الوادي فلا نعطوا فيه اذنا لأحد ، ولا سيما البلاد المذكورة للترجمانين المذكورين هي بقبيلة أنجرة ، وليس لنا عليهم ولا على أرضهم تصريف » (26) .

على أن المسؤولين المغاربة نبهوا عليه : « نحبك تكون على بال من منصور ومن جَنْطيلي ، لأنهما قطعة سم » (27) . وكان الأخير منها ترجمانا بالمفوضية الايطالية .

---

22 رسالة السلطان الى الطريس فى 11 ربيع الأول 1305 / 27 نونبر 1887 ، محفظة الطريس 11

23 رسالة السلطان الى الطريس فى 17 قعدة 1308 / 24 يونيو 1891 ، محفظة الطريس 20 .

24 رسالة السلطان الى الطريس فى 4 رجب 1307 / 24 يبراير 1890 ، محفظة الطريس 18

25 . كتاب ملحمة وسكسو الى الطريس فى 5 محرم 1308 / 22 غشت 1890 ، محفظة الطريس 19

26 . رسالة عبد الصادق الى الطريس فى 8 محرم 1308 / 25 غشت 1890 ، محفظة الطريس 19

27 . رسالة العربي أبارودي الى محمد المفضل غريط فى 4 شوال 1305 / 14 يونيو 1888 ، محفظة فرنسا المغرب

ولم يخلُ ملحمة من مخالط ، فقد كان محمد بن عبد الله بن مالـــك المصمودي « الذي هو من خدام المخزن » أحد هؤلاء (28) . وسيأتي عنـــه حديث بمدينة القصر الكبير حيث كان قد اعتقل فوقعت ضجة بسببه .

2 . موظفون آخرون

وفضلا عن ملحمة كان ثمة ترجمان مساعـد هـو : ده لـوديـريتـز de Luderitz الذي ألف كتابا عن الأمثال الشعبية المغربية وكاتب بالمفوضية يدعى ڤيزنبيرغ (29) : Wesenberg

* * *

المطلب الرابع : المحميون والسماسرة والمستوطنون

وفيما يرجع للمحميين المغاربة والتجار الألمانيين بطنجة ، فقد أتى ذكرهم فى عدة مصادر مخزنية . وكانت المفوضية توجه للسلطات المسؤولة لوائحهم السنوية بصفة تكاد تكون متواصلة ، ابتداء من سنة 1880 .

وهم ينقسمون الى مستخدمين بالمفوضية وسماسرة للتجار .

4. 1 : المحميون القنصليون

وردت اسماؤهم فى مختلف القوائم السنوية (30) ، ويستثنى منهم أولهم وهو :

---

28 . رسالة السلطان الى الطريس فى 13 محرم 1306 / 19 شتنبر 1888 ، محفظة الطريس 14

29 . مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 178 (3)

30 . سنرتبهم بحسب تاريخ حمايتهم استنادا الى القوائم الالمانية العامة الممتدة من 1880 الى 1904 ، وسنجعل بين هلالين تاريخا يفيد أنهم كانوا لا يزالون مذكورين فى السنـــة المعنيـــة

— 1 **محمد بنونة** التطواني الذي كان سنة 1875 كاتبا بالمفوضية (31) ، وها هو بيان المحميين الباقين :

— 2 **اسحاق سكسو** ترجمان منذ سنة 1873 ، ولم يرد له ذكر فى قائمة 1883 .

— 3 منذ 1874 : **عبد السلام النوينو** : عون (1890) .

— 4 — 6 منذ 1876 : **العربي بن عبد القادر** عون (1897) **ومحمد جردان** ، طباخ (1885) **ومسعودة بنت الدهان** مستخدمة (1881) .

— 7 — 9 ، منذ 1878 : **قدور بن عمر بن قاسم** مستخدم (1881) **والحسين بن محمد** ، مثله (1882) **والتهامي المجدوبي** مثله (1885) .

— 10 ، منذ 1879 : **محمد بن أحمد الكحلون الملتوسي** مستخدم (1885) .

— 11 ، منذ 1880 : **عياد بن محمد السعيدي** ، رباع (1892) .

— 12 — 14 ، منذ 1882 : **سلطانة بنت الزرايهن** (1884) **وحنينة بنت الزرابهن** (1885) وكلتاهما مستخدمة ، **والحاج أحمد بن الجلالي الدكالي** كاتب (1890) ، وكان من الملاكين بالدار البيضاء ، وله عقارات مشتركة بينه وبين الحكومة بنسبة الثلثين له والباقي لها (32) .

— 15 ، **عبد الله العسيري** رباع من سنة 1887 الى سنة 1892 .

— 16 — 18 ، منذ 1890 **أحمد السيار** عون **وريكا** عون **والمختار بن عبد الله** عون (1892) .

---

31 . رسالة بركاش الى الجيلالي بن حمو فى 24 جمادى الثانية 1292 / 28 يونيو 1875 ، محفظة بركاش

32 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 15 صفر 1308 / 30 شتنبر 1890

– 19 – 20 ، **الجيلالي العسيري والعياشي بن الهاشمي بن عبد الله** عونان من سنة 1895 الى سنة 1897 .

4. 2 : المستوطنون

يلزم الحديث عن التجار والدور التجارية .

1 و 2 : **ادوارد هيسنير و يواخمسون** E. Haessner/Joachimshon

كانا شريكين ويعملان فى ميادين مختلفة ، وتاجرين بالعمولة ، سواء من المغرب أو من ألمانيا ، كما كان لهما ممثلون فى بعض جهات المغرب .

ومن جملة ما كانا يحترفانه المتاجرة فى استيراد السلع المدنية والعسكرية ، فقد وقعا مع المخزن عقدة بضمانة المفوضية الألمانية لجلب 5 ملايين من القرطوس ، نصفها لمكاحل مارتيني Martini والاخرى لمكاحل **الكونبلي** Comblain ، بحساب 22 ريال للألف (33) ، وكانا يستوردان ذلك مقسطا على سنوات ، وكانت لهما علاقة مع روب ، ثم سلومان الابـــن Rob. M. Slomann من مدينة هامبورغ (34) ، ولم تُغْنِ المخزن ضمانة السفارة لهما ، اذ كان بعض القرطوس « فاسد الصنع » عند تسليمه (35) .

على أن استيرادهما للسلاح من أجل المخزن أخذ يثير الشكوك حول نشاطهما ، فقد اتهمهما أمينا مرسى الرباط (36) بأنهما كانا يبيعان المكاحل

---

33 . رسالة عن السلطان الى الطريس فى 12 شوال 1307 / فاتح يونيو 1890 ، محفظة الطريس 18.

34 . محفظة الطريس 21 و 23

35 . رسالة الطريس الى غريط فى 22 شعبان 1308 / ثاني ابريل 1891 ، محفظة الطريس 20

36 . رسالتهما سترد عند الكلام عن أمريكا ، وهي مؤرخة فى 4 محرم 1307/22 يوليوز 1890

بطنجة وخصوصا هيسنير الذي كانت له أيضا ارتباطات مع صانع السلاح كروپ .

وزيادة على الاتجار في السلاح ، كانا مكلفين بالنقل البحري من هامبورغ الى ساحل أمريكا الغربي والجزر الخالدات وماديرة ، كما كانت شركتهما عميلة لخطوط ڤورمان : Woermann (37) .

ولم يعرف لهما في طنجة الا سمسار واحد أصله من يهود المدينة ، وهو بينحاس طوليدانو (38) اتى اسمه في القوائم السنوية من 1886 الى 1897 ، وكان لهما خليطان وسماسرة في بعض نواحي المغرب سيرد ذكرهم في محلهم .

وأشير في الختام الى أن يواخمسون من أصل پولوني من مدينة فروكلاف Wroclaw ، وأن هيسنير ألماني من مدينة برلين ، ظل يقيم بطنجة حتى اغتيل بها سنة 1896 (39) ، على يد أحد الاسبانيين ، وقد حلا معا بنفس المدينة سنة 1877 .

3. ريشارد دانبيرغ R. Dannenberg

المعتقد أن هذا الشخص كان يقيم لوقت ما بطنجة ، وفي سنة 1890 باع البارود للمخزن، وفي شأنه كتب السلطان الى الطريس : « حامله التاجر دننبرك الألماني عرض على حضرتنا مشتراة من البرود المصنوع بفبركتهم . فنأمرك أن تعقد معه كنطردة على شراء ألف قنطار منه » ، وكان سنة 1882 ممثلا لمصانع النسيج الألمانية وعميلا للمفوضية (40) . ولا ينبغي أن يختلط اسمه مع إ. ج. دانبيرغ

---

37 . جريدة « المغرب الاقصى » 15 يوليوز 1899 ، العدد 860

38 . رسالة تيستا الى الطريس في 14 شتنبر 1886 / 15 حجة 1303 ، محفظة المغرب المانيا

39 . مييج : « المغرب وأوربا » ج 4 ص 24 (4)

40 . رسالة السلطان في 28 جمادى الثانية 1307 / 19 يبراير 1890 ، محفظة الطريس 17 وجان لوي مييج « المغرب وأوربا » ج 4 ص 191 (3)

4. اوطو ڤينطـزل Otto Wentzel

ڤينطزل ولد بألمانيا ، وعمل مهندسا بانجلترا ثم انتقل الى الجزائر ، ولما أسره بنو يزناسن استطاع الفرار ، فوصل الى طنجة سنة 1865 ، وتوظف فى حراسة منار أشقار حتى 1878 ، وبعد ذلك رحل الى الدار البيضاء ليعمل مع شركة تجارية ، وكان خلال مقامه يختلط بالأوساط الشعبية فسمـــوه « سيدي بَنْزَل » (41) . وربما تعلم اللغة العربية عند ما كان مستخدما بالجزائر وطنجة .

5. ڭومبيـرت J. P. Gumbert

وقد خلف ڤينطـزل فى حراسة المنارة ، وهو من أوائل الألمانيـين الذين نزحوا الى المغرب الذي لم يكن به سنة 1877 الا هذان الحارسان ، وألماني آخر هو براور الذي كان مقيما بالصويرة ، وألماني رابع كان بطنجـــة يمتهن النجارة ، وقد حل ڭومبرت بطنجة سنة 1852 وتزوج بها وبقي فى منصبه حتى 1897 (42) .

6. يوسف سعادة

طلب له سفير ألمانيا طاطنباخ سنة 1890 دارا لسكناه بطنجة على هواء حوانيت الأحباس (43) ، وكان أصله من الشام ، ولا تعرف علاقتـــه بالسفارة الألمانية .

4. 3 : السماسرة

كان عددهم أربعة أشخاص وكلهم من يهود طنجة . وسلف الحديث عن بنحاس طوليدانو ، اما الباقون فهم :

---

41 . جان لوي مييج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 19 (5) وبيير كيين : «المانيا ...» ص 26

42 مييج « المغرب وأوربا » ج 4 ص 19 (5)

43 . رسالة السلطان الى الطريس فى 16 رمضان 1307 / 6 ماي 1890 محفظة الطريس 18

— **بنجيو الطنجي** الذي كان سنة 1894 نائبا عن الدار التجارية الألمانية يوإن شوباخ J. Schubach من مدينة هامبورغ (44) .

— **يعقوب واسحاق لاريدو** ، وكانا من 1895 الى 1897 وكيلين لشركة الملاحة الألمانية « أطلس » كما كانا وكيلين للبريد الألماني وممثلين لدار يوسف هينتز فان لاندريك J. Heintz van Landeryck من مدينة اللوكسامبورغ (45) .

---

44 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 21 يبراير 1894 ، محفظة المغرب ألمانيا

45 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 19 غشت 1890 / 3 محرم 1308 ، نفس المحفظة وكذلك رسالة انياس كاسيل الى الطريس فى 14 يناير 1891 ، محفظة المغرب هولاندة

3 : الولايات المتحدة الامريكية

مواد هذا الفصل هي :

1 ـ السلك الديبلوماسي والقنصلي

2 ـ المحميون والسماسرة والمستوطنون

3 ـ نبذة عن حياة بعض القناصل العامين

وسنختمه بملحقين عن نازلتين : قضية القيسي وقضية الحلو

* * *

المطلب الأول : السلك الديبلوماسي والقنصلي

لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية وزير مفوض ، ولكن كان لهـــا بطنجة قناصل عامون ، تعاقبوا على تدبير الشؤون الديبلوماسية من سنة 1856 الى مطلع القرن العشرين وهم : (1)

1. **جورج براون** من 1856 الى 1861

2. **جيمس ده لونك** من 1861 الى 1862

3. **جيس ماك ماث** وذلك من سنة 1862 الى 1869

1 . وماهي كتابة اسمائهم بالحروف اللاتينية :

1. G. V. Brown - 2. James de Long - 3. Jess Mac Math
4. J. T. Robeson - 5. Felix A. Mathews - 6. W. Reed Lewis
7. J. Judson Barclay - 8. D. N. Burke - 9. F. C. Partridge
10. S. Rene Gummeré .

4. **جون ت. روبْسن** من 1869 الى 1870

5. **فليكس أ. ماثيوز** الذي تولى القنصلية المحلية والعامة ثلاث مرات متقطعة . ففي سنة 1869 كان قنصلا عاما بالنيابة ، بعد روبسن ، ثم صار قنصلا عاما رسميا طيلة 17 سنة متواصلة ، أي من 1870 الى 1887 ، حتى عزل فى السنة الأخيرة على اثر فضيحة عبد السلام الحلو ، ثم عاد الى المغرب أواسط سنة 1890 ، وبقي فى منصبه حتى سنة 1893 .

6. **وليام ريد ليويس** من بداية 1877 الى نهاية 1889

7. **جون جودسن باركلي** من 1893 الى 1896

8. **ديڤيد ن. بورك** سنة 1897

9. **فرانك س. پارطريدج** سنتي 1897 و 1898

10. **ساموئيل ر. ڭوميري** من 1898 الى 1905

ولم يرد فى الوثائق المخزنية عن الثلاثة الأولين ما يعنينا ، سوى أن المغرب كان ينوي استسلاف مبلغ الغرامة الحربيـــة حتى من الولايـــات المتحدة (2) ، وسوى أن السلطان نوه بأعمال جيس ماك ماث الذي ما قصر «مدة مقامه فى نيابته فى القيام على ساق الجد فى تجديد العهد ، وما قـــط رأينا منه الا الخير التام ، فمثله من يكون نائبا عن الدول فى احياء ما أسسه الأسلاف » (3) ، وذلك عند ما انتهت مأموريته .

أمامعينو هؤلاء القناصل العامين فكان منهم طائفة من اليهود المغاربة وعدد قليل من الأمريكيين منهم جسبار ماثيوز ابن القنصل العام .

---

2 . محمد داود : « تاريخ تطوان » ج 5 ص 131

3 . رسالة محمد الرابع الى الرئيس كرانط فى 23 ربيع الثاني 1286 / 2 غشت 1869 . وتوجد صورتها عند محمد نهليل فى كتابه « رسائل شريفة » اللوحة 37

أما موظفو القنصلية الأمريكية ، فكان من الذين تولوا أمرها :

ـ **و. پ. سكوت** W. P. Scott حوالي 1871 وهو انجليزي ، وسيأتي خبره فيما بعد .

ـ **ادوارد كيلبورن فوت** : E. Kilbourne Foote سنة 1887 ، وقد كان أيضا نائبا عن ريد لويس ، وقد طرد جميع من كانوا يعملون بالقنصلية (4) .

ـ **فريدريك جيمس مان** : F. James Mann الذي كان مكلفا بالقنصلية الأمريكية العامة بطنجة سنة 1887 أيضا (5) .

ـ **روبيرط سطوكر** : Robert Stalker الذي كان ينوب عن القنصل العام لويس ، وخصوصا عند عزله فى بداية 1890 . وكانت له مخالطات ببعض المغاربة اثنان من قبيلة سفيان وواحد من دكالة .

ـ **محمد المصري** : وهو نسب ناقص . وكان سنة 1888 ترجمانا بالقنصلية العامة (6) . وقد عرف بخطه المشرقي فى مختلف المراسلات .

* * *

المطلب الثاني : المحميون والسماسرة والمستوطنون

كان للولايات المتحدة محميون قنصليون واستثنائيون لأدارتها وسياسة رجالها أو بالأصح لمحمييها . وذلك هو ما سأتطرق اليه بادئا بالمحميين.

---

4 . رسالة ريد لويس الى الطريس فى 14 مارس 1887 ، محفظة امريكا المغرب

5 . رسالة ريد لويس الى الحاج محمد الغسال فى 30 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

6 . رسالة السلطان الى الطريس فى 4 محرم 1306 / 10 شتنبر 1888 محفظة الطريس 14

أولا : المحميون القنصليون والاستثنائيون

1 ـ **مسعود بن قسيس** : كان ترجمانا للقنصل العام جيس ماك ماث قبل سنة 1863 ونائبا عنه ، كما كان شريكا لمحمد بركاش عند ما كان تاجرا (7) . وقد صار أبناؤه محميين مثله حسبما سيأتي .

2 ـ **موسى بَرينطي** : كان ترجمانا أيضا (8) سنة 1865 ثم صار ترجمانا بالقنصلية النمساوية .

3 ـ **رامون الزوكي** : كان ترجمانا مثلهما ، وتولى سنة 1887 النيابة بالقنصلية (9) .

4 ـ **الحاج محمد بن عمرو العوامي** : كان كاتبا للقنصلية العامة ، ولما توفي صار ابنه عبد السلام في خدمة ماثيوز (10) سنة 1891 .

5 ـ **ساسون أزنكوط** كان محميا استثنائيا بمقتضى الفصل 15 من معاهدة مدريد (11) ، وذلك في سنة 1887 ، وقد جعله النائب في خدمته .

6 ـ 7 ـ **شلومو ناهون و راشيل أبي قاسيس** : مثل السابق

---

7 . رسالة محمد بن المدني بنيس الى بركاش في 14 رجب 1280 / 24 دجنبر 1863 ، محفظة بركاش

8 . رسالته الى بركاش في 9 جمادى الأولى 1283 / 18 شتنبر 1866 ، محفظة بركاش

9 . رسالة في 15 ربيع الأول 1305 / 1 دجنبر 1887 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة

10 . رسالة ماثيوز الى الوزير غريط في 3 ربيع الثاني 1309 / 6 نونبر 1891 ، نفس المحفظة

11 . هذا والاثنان بعده عدهم القنصل العام ريد لويس محميين استثنائيين بمقتضى رسالته المؤرخة في 7 شتنبر 1887 ، نفس المحفظة

8 ـ **ابراهيم لاريدو** : لم أقف على تاريخ منحه الحماية ، ولكنه ورد مع المحميين سنة 1888 . ولا يستبعد أن يكون نالها قبل ذلك (12) .

9 ـ 17 ـ **موسى بيلو** (أو مسعود بيلو في وثائق أخرى) و **مسعود بوزاكلو والصديق بن علي الملياني و مناحيم ج. بن قاسيس واسحاق بن زرقين** (وكان ترجمانا) **وعلي الفتوح** (صار محميا نمساويا ثم اسبانيا) **وعبد الكريم التوزاني ويعقوب بن حيون وقاسم بن محمد العرائشي** : وكلهم محميون استثنائيون .

18 ـ **محمد بن احميدو الشوطي أو الدكالي** : كان محميا (13) ، حتى نزع من الحماية في 25 ابريل 1888 . وسترد قصته مع الدكتور شميدل القنصل العام النمساوي .

19 ـ **أحمد البشاري** : وعزل منها في نفس التاريخ مع السابق . وكان راعياً لبقر ريد لويس (14) .

20 ـ 22 ـ **محمد بن الحسن أكزناي** : (15) و **الحاج أحمد بن موسى** و **أحمد الشواطي** وكانو جميعا مستخدمين بالقنصلية منذ 1887 .

23 ـ **الحاج عبد السلام بن محمد بن عمرو العوامي** : مثل السابقين الثلاثة ، وكان مستخدما قبل وفاة أبيه ، الكاتب المذكور سابقا (16) .

---

12 . هذا المحمي والذين بعده وردت أسماء بعضهم في 4 لوائح كلها غير مؤرخة ، واحدة منها خاصة بمحميي طنجة والثلاث الباقية عامة ، تشمل عددا من المدن . وسنرى أن تاريخ اللائحة الخاصة بطنجة كان فيما قبل 25 أبريل 1888 ، وذلك عندما نزع ريد لويس من الحماية اثنين من المغاربة هما أحمد البشاري ومحمد بن حميدو الشواطي ، برسالة منه الى الحاج محمد الزكاري بنفس التاريخ ، محفظة المغرب الولايات المتحدة

وعليه فيكون ابراهيم لاريدو محميا سنة 1888 كما قد يكون قبلها وبعدها

13 . ريد لويس الى الحاج محمد الغسال في 21 يونيو 1887 ، نفس المحفظة

14 . رسالة ريد لويس الى الغسال في 26 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

15 . رسالة ريد لويس في 21 يونيو السابقة الذكر

16 . المصدر السابق ورسالة مانيوز الى غريط في 6 نونبر 1891 المذكورة أعلاه

24 ـ **عبد السلام بن الحسين أكعبون أكْزنَّاي** : كان مستخدما حتى نزع من الحماية سنة 1887 (17) .

25 ـ **عبد الرحمان بن أحمد السانية** : كان مستخدما سنة 1888 (18)

26 ـ **عبد السلام بن العربي أزام** : كان عونا سنة 1888 (19) .

27 ـ 50 : **عبد السلام بن عيسى (20) و محمد بن عمرو الريفي و الحاج مسعود العمارني و الحاج علي السوسي و يودة ناهون و ابراهيم يودة أزنكوط و سِنْطْ اكويهن و يعقوب كويهن الشاوني و ادريس بن محمد بن ادريس و ابراهيم بن هَرْوش و اشلومو بن ديان و عمران قَزيز و بَنْتَحِيم كويهن وشلومو فَراشِي و هليل ناهون و دافيد السرفاطي وإسحاق بن مسعود بن قسيس و يعقوب بن مسعود بن قسيس و يوسف بن قسيس و اسحاق بن موسى بن قسيس و يودة ابن يوسف بن قسيس و يعقوب الزوكي و إسحاق قُورْياط و الباز مريم ابن الطويل** : وكل هؤلاء كانوا محميين استثنائيين .

51 ـ **عبد السلام بن الحاج محمد عمور** : محمي سنة 1887 . وقد سماه الطريس بالشيطان الفاسي (21) .

ثانيا : السماسرة

1 ـ **مناحيم بن مسعود بن قسيس** : هو ابن الترجمان مسعود بن قَسيس ، وكان سمسارا لتاجرين بمدينة فيلاديلفيا الأمريكية اسمهما

---

17 . رسالة ريد لويس الى الطريس فى 12 شتنبر 1887

18 . رسالة ريد لويس الى الطريس فى 4 شتنبر 1888

19 . رسالة ريد ليويس الى الطريس في 8 يناير 1888

20 . هذا الرجل والذين بعده وردوا فى لوائح غير مؤرخة ، ولعلهم كانوا محميين قبل سنة 1891

21 . رسالة الطريس الى غريط فى 18 ربيع الأول 1305 / 4 دجنبر 1887 ، محفظة الطريس 11

كيــن سطيرلينك و كــوتــس Keen Sterling و Coates (22) اللذين كان لهما سماسرة سيرد ذكرهم بمدن أخرى . وكانت هاته الشركة تستورد الجلود من طنجة الى جبل طارق ثم الى لندن ، ومن ثمة الى مرسى فيلاديلفيا ولم يكن نشاطها مقتصرا على المغرب وحده ، بل كانت تشتري « البطانة » من الجزائر وتونس وغيرهما . وقد بلغت قيمة مشترياتها من المغرب سنة 1307/1890 مائة وخمسين ألف ريال (23) .

2 ــ 8 ــ **يودا اشلومو قُرْياط و ابراهام بِمينْطَة و ابراهام سلامة و عيوش سلامة و يوسف طريدانو و ابراهام طريدانو و الحاج محمد بــن العربي السوسي التملي** : ولم يعرف لمن كانوا سماسرة (24) ويحتمل أنهم كانوا فى خدمة بعض المحميين الاستثنائيين .

ثالثا : المستوطنون

1 **أيْثون هـ. پيرْديكاريس** : Ion H. Perdicaris

وهو من أصل يوناني ، ولد بأثينا حيث كان أبوه قنصلا أمريكيا ، ثم تجنس بالجنسية الأمريكية (25) وأقام بطنجة سنوات طوالا حتى بداية القرن العشرين ، حين أسره أحمد الريسوني هو وصهره كروموبل ڤارلــي Cromwell Varlay سنة 1904 ، وطلب لتخليصه فدية مالية .

وكانت سكنى أيْثون بالمعادي . ولما أراد اشتراء جنان الكْراوي ، طلب أن يؤذن للعدول بكتابة رسم البيع والاشهاد له ، ولكن باشا طنجة رد

---

22 رسالة ريد لويس الى الطريس فى 15 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة

23 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 10 رجب 1308 / 19 يبراير 1891 ، نفس المحفظة

24 . وردت أسماء هؤلاء فى قوائم غفل ، نرجح أن تاريخها هو حوالي 1891

25 . جريدة « طايمز اوف مروكو » الانجليزية ، عدد 19 يونيو 1886

عليه أن تلك الأرض مغروسة ، ولذلك فهي أرض للمخزن (26) . وذلك هو ما بلّغه الطريس لنائب أمريكا يعلمه بالمنع من الشراء والاشهاد (27) .

وقد كان فعلا « قد اشترى ثلاث قطع أخرى من الأرض بطريـــق السواني ، تجاور أجنة الانجليز وغيره من الأجناس ، وطلب من العامل تنفيذ العدول للاشهاد » . ولكن السلطان أمر في النهاية بعرض الرسوم على الشرع ، فان ألفاها مسلّمة ، يأذن للعدول بالاشهاد (28) .

ومما يذكر عن بيرديكاريس أنه اشتهر بشهامته وأريحيته وثرائه ، وأنه لم يكن على أحسن حال مع فليكس ماثيوز ، فكان يندد بسياسته وبتصرفات المسؤولين الأمريكيين في تجارة الحماية . وعن ذلك ألف كتابين طبعهمـــا سنتي 1886 و 1887 بمدينة لنـدن (29) . وكان لـه ولـوع بالفنون الجميلـة ورسم بريشته لوحات زيتية لا تزال حتى الساعة قائمة الذات بالمتحـــف الأمريكي بطنجة .

وقد وقفت له على سمسار واحد بالقصر الكبير وهو عبد الرحمان بن أحمد اليعقوبي ، صهر الحاج عبد السلام الشاوش الجزائري ولكن ذلك لـــم يدم طويلا ، اذ عزل عن السمسرة له قبل 15 مارس 1886 . وكان له سمساران آخران بفاس هما الحاج محمد شلاّل وأحمد القندوسي .

2. أدامـس : Adams

لم يعرف من اسمه الا هذا الجزء . وكان قد استقر بطنجة واشتــرى « داراً كبيرة بساحل البحر ، قرب ديوانة مرسى طنجة ، بقصد جعلها محــلا

---

26 . رسالة عبد الرحمان بن عبد الصادق الى الطريس في 1 قعدة 1310 / 17 ماي 1893 ، محفظة الطريس 24

27 . رسالة الطريس الى القنصل العام في 2 قعدة 1310 / 18 ماي 1893 ، محفظة الطريـــس 24

28 . رسالة السلطان الى الطريس في 27 حجة 12/1310 يوليوز 1893 ، نفس المحفظة .

29 . جان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 1 ص 153 و ج 4 ص 154 (2)

للقمار يأتي اليه المولعون من كل ناحية من مسلمين ونصارى ويهود ... وهذه الدار كانت قَبْلُ مُعَدَّة لنزول الأفاقيين من الأجانب ، ولازالت على هذه الحالة» (30) .

ولم يعرف عنه أنه جعلها فعلا بعد ذلك داراً للقمار ، ولا أنه اتخذ سماسرة .

3. هــاري كارلطــن H. Carlton

ورد ذكره مع خلطاء التجار الأمريكيين في القوائم الغفل من التاريخ ، وكان يعيش بطنجة حيث كان له في هاته المدينة خليط واحد ، وفي غيرها أيضا آخرون .

وكان يقوم بأدوار مختلفة سواء لدى المخزن أو لدى غيره ، فهو من الذين رافقوا بعثة تعليمية مغربية الى الخارج للتدرب بمعامل وينتشيسطر (31) كما أنه كان يعمل لصالح الولايات المتحدة التي اتخذ جنسيتها ، ولو أنه من أصل انجليزي .

الا أنه قبل الحرب العالمية الأولى كان عميلاً لشركة مانيسمـــان الألمانية (32) .

4. الدكتور واد : Wood

جاء اسمه في نفس قوائم الخلطاء . فقد كان له شركاء عددهـــم 11 بالغرب بقبيلة سفيان وقبيلة بني مالك .

والمظنون انه كان من المنصرين وانه كان طبيبا ، ولو لم نطلع عــلى نشاطـــه .

---

30 . رسالة الطريس الى السلطـان في 23 حجـة 1306 / 23 يوليوز 1889 ، محفظة الطريس 16

31 . جان لوي مييج : « المغرب وأوروبا » ج 4 ص 96

32 من تقرير مينار قنصل فرنسا بطنجة بتاريخ 15 دجنبر 1916

5. جاسبـــار ماثيـــوز : Jaspar Mathews

كان يعيش بالمغرب مع أبيه فليكس ماثيوز وقد تزوج بنت سفـــير البرتغال جوزيف دانيل كولاصو سنة 1886 وكان يخلف أباه وينوب عنه .

أقام زمناً بطنجة واتهم مثل أبيه بالاتجار فى الحماية (33) وبعد عـزل والده ظـل مقيما بالعرائش وبالغرب وخاصة بايالة سفيان ، حيث كان يتدخل ليفاصل الدعاوي بين الناس وخاصة بين خوان Juan الصبنيولي ومحمد بن علي السفياني الحارثي (34) ، وكان لـه من الخلطـاء نحو 11 شخصا من ايالة سفيان ومن شتوكة ومن مديونة والجديدة ودكالة ومكناس وبني مالك وذلك حوالي سنة 1891 .

كما كان له زرب جنان انتزعته المحلة عند دخولها لطنجة عـــام 1889/1307 ، ولما اشتكى من هذا الضرر أمر السلطان له بتعويض قدره 5050 ريالا ، دفعت من دخل مرسى طنجة (35) .

المطلب الثالث : القناصل العامون

سأتحدث عـن ثلاثـة منهم : جيس ماك ماث ثـم ويليام ريد ليويس واخيرا فلكس ماثيوز .

1. جيس ماك ماث

قدمت الكلام على أن هذا القنصل العام قضى بالمغرب 7 سنوات من 1862 الى 1869 ، وأن محمداً الرابع قـد وجه رسالة الثناء عليه عند نهايـة مهمته ، مثلما تقضي بذلك الأعراف الديبلوماسية .

---

33 . رسالة من السلطان الى الطريس فى 26 جمادى الثانية 1301 / 24 ابريل 1884 ، محفظة الطريس 3

34 . رسالة المكي بن بوسلهام السفياني الى الطريس فى 16 شوال 1305 / 26 يونيو 1888 ، محفظـة الطريـس 13

35 . رسالة السلطان الى الطريس فى 27 صفر 1307 / 23 اكتوبر 1889 ، محفظة الطريس 21

إلا أن هناك جوانب خفية من حياة هذا القنصل العام لابد من ابرازها عن السلك القنصلي الأمريكي .

ففي سنة 1865 ، رُوعت طنجة بطلقات نارية استمرت عدة ساعات ، وذلك أن ماك ماث كان يطوف بأرجاء المدينة صحبة راهب انجليزي ، طاردا الكلاب يشبعها قتلا وابادة ، وقد خول لنفسه هتك حرمة المنازل ، لتعقب تلك الحيوانات ، فصرع كلبا كان الى جانب امرأة نفساء .

فما كان من الباشا الا أن احتج ودعا ممثلي الدول الى منع رعاياها من تلك التسليات البشعة فلم يلق ماك ماث بالاً لذلك التحذير ، وتمادى فى عمله صحبة رفيقه فى اليوم الموالي ، لكن خارج اسوار المدينة ، فقام الرأي العام ضده واصفا إياه في مُلصقات بجدران المدينة بأنه جلاد .

ولما أعفي ماك ماث من منصبه سنة 1869 ، أطلق قبل ذلك إشاعات سيئة فى حق خلفه ماثيوز فنعته بأنه ينتمي لأسرة جد متواضعة لأن أحد أقاربه كان يملك قارب صيد بطنجة ووصمه في نسبه ، زاعما أن فليكس ليس الا ابن سفاح (36) وذلك ما قصده بلا شك بركاش عند ما سيقول عنه انه ليس من المنزلة التي يستحق بها أن يكون نائبا عن أحد الأجناس الفخيمة كجنسكم ... لأن ولاية رجل مثل هذا فيه نقصان للعز لأيالتكم وايالتنا وفيه نقصان في أعين الناس ، حسبما سيأتي الكلام عن ماثيوز .

وسأتحدث عن ريد ليويس وهو الذي كان معاً خلفاً وسلفا لفيليكس ماثيوز .

2. وليام ريد ليويس

بعد عزل ماثيوز في المرة الأولى عُين وليام ريد ليويس قنصلاً عاما للولايات المتحدة سنة 1887 ، لكنه لم يلبث أن تمادى على إعطاء الحماية حتى

---

36 . جاك كايي : « النوادر المغربية » ص 56 و 57

إنسى في ذلك سلفه ، ولم يكن ذلك ليخفى على الولاة ولا على الطريس الذي اكد ذلك للسلطان الذي أجابه :

«وصـل كتابك شارحا فيه ما هـو عليه نائب المركان من خـرق القوانين والشروط ، وذكرت أنه ان اقتضى نظرنا الشريف جعل الحجـة عليه بما يصدر منه من ذلك ، ويقبّح سيرته ، وإنهاء ذلك لدولته أو تقريره بجمع مدريد ، فَعَلْتَ وصار بالبال ، فنعم اجعلها عليه بذلك وانهها لدولته » (37) .

أما النزاعات التي كانت له مع السلطات فترجع بالأساس ومن جهة أولى ، الى الشطط فى الحماية ، والى قضية مال الفابور Favor التى حدثت لـه مع وزيـر الخارجية محمد المفضل غريط مـن جهة ثانية ، والى شجاره مع سلطـات المرسى في حيازة السلاح مـن جهة أخيرة ، وهي التي كانت سببا مباشرا فى عزله .

2. 1 ـ التهديد والشطط

كان ريد ليويس قبل ذلك بشهرين قد وجه لوائح المحميين ، ورفع عددهم الى 54 ، دون بيان موجب حمايتهم ، فلما ردتها اليه نيابة طنجة أعادها اليها كما هي ، فأرجعت اليه ثانية ولكنه ردها اليها مضيفاً فيها 6 أشخاص «دخلوا في حمايته حديثا ، وأخبر في كتابه أن جملة أولئك الناس 60 مستخدمون له خاصة ، يَحْسَب أنـه حيث نسبهم لخصوص خدمته لايطالب ببيانهم ، واستند فى ذلك الى الفصل الثاني من وفق مدريد ... وحدّدنا فى كتابـه المشار اليه بأننا اذا لم نوجه اليه ، غَدَ تاريخ كتابه قبل غروب الشمس ، بالمكاتب الى العمال ليكونوا على بال من حماياتهم المقيدة ، أنزل سنجق

---

37 . رسالة السلطان الى الطريس فى 5 جمادى الثانية 1305 / 18 يبراير 1888 ، محفظـة الطريس 12

بلاده ولا يرفعه الا بعد وصول القوة البحرية القادمة بأمر دولته ، فتجبرنا على الخضوع لمطالبه ، وأجبناه على ذلك بما اقتضاه تأمل الشروط ...» (38) .

ولكن تهديده باستجلاب القوة البحرية ، وتلويحه بقطع العلاقات ، لم يكونا ليرهبا المخزن ، وكل مـا آلتا اليه أنها جعلته مسخرة أمام النواب كما سنرى :

«قدمنـا ما دار بينك وبين قونصو المركان في قضية زمـام أهـل حمايتهم وغيرها ، وكنا أعلمنا مولانا بأنه هدد باتيان القوة البحرية ، وأعلمنا مجادتكم بتواتر خبر ورود مركبين حربيين من دولته يوم 12 شهر التاريخ ، والى الآن لم يصلا ، والى الآن لم نتحقق هل كان ذلك منه مجرد سَفسطـة أم لم تساعده دولته ... وكل النواب استخفوه فيما صدر منه واستغفلوه في تلك المطالب ...» (39) . السلطان أيضا لم يأبه لذلك عند ما قال :

«وأما المركبان ، فاذا وردا فبيِّنْ لكبيرها عُجْرَه وبُجْرَه ، وامض معه على ما ذكرت » (40) .

وبعد ذلك بأسابيع حل مركب حربي ببعض المراسي ، وكان المخزن على حذر منه ، وكان يكتب للعمال والأمناء بالانتباه الى الفرگاطة الأمريكية ، وفعلا وردت « لمرسى الجديدة وأقامت بها 3 أيام ، وأظهرت علامة العيب بعدم تسليمها على البلاد على العادة ، وبطلوع البنديرة بسنجقها سوداء » وتوجهت « لنواحي مرسى العدوتين والدار البيضاء وأمرَنا مولانا أن نكون

38 . رسالة محمد الزكاري الى السلطان فى 9 جمادى الثانية 1305 / 22 يبراير 1888 ، محفظة الحماية القنصلية

39 . رسالة الزكاري الى غريط فى 16 جمادى الثانية 1305 / 29 يبراير 1888 ، محفظة الطـريـــس 12

40 . رسالة السلطان الى الزكـاري فى 22 جمادى الثانية 1305 / 6 مـارس 1888 ، محفظة الطريس 12

منها على بال اذا وردت للمرسى والأخذ بالحذر وأن لا نغتر ، فان الحاضر بصير » (41) .

واشتد الخلاف بين لويس وبين المخزن فى قضايا الستين محميا كالمنشور الذي وجهه عامل طنجة لنواب الدول يقدح فيه فى سيرة ريد لويس ، ومثل ثلاث دعاو أخرى هي : دعوى الحاج محمد شلاّل بفاس ودعوى العباس العوفير المسجون على يد الشرع بالرباط ، ودعوى ابن الجيلالي المسجون على يد عامله بالدار البيضاء (42) .

أما فى قضية الستين محميا ، فكان المخزن يريد معرفة « مراتب خدمتهم » مع ريد لويس ، وآل الأمر الى لجنة تحكيم ، فاختار المغرب ألمانيا للنيابة عنه فيها ، واختار القنصل العام سفير إنجلترا أولاً ، ثم سفير فرنسا أخيرا (43) .

لكن فيما يتعلق بالدعاوي الأخرى ، عين السلطان عدة مندوبين لفصلها بما يقتضيه القانون وكان منهم العربي المنيعي والحاج محمد القباج المكنى الفرنصوي والحاج عبد الكريم الغُنمية ، وقد أمرهم (44) العاهل — بعد أن يتصفح عدلان بطنجة الرسوم — ألا يقبلوا إلا من كان محميا قبل عام 1875/1292 وأن يستبطنوا مواجب هاته الحماية التعسفية الستين (45) .

---

41 . رسالة السلطان الى محمد الجراري ، وجواب الاخير فى 16 و 17 شعبان / 28 و 29 أبريل نفس المحفظة

42 . مسودة محضر اجتماع الزكاري ولويس فى 28 شعبان / 5 ماي ، محفظة الطريس 13

43 . رسالة الى سفير ألمانيا فى 4 رجب 1305 / 17 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

44 . رسالة السلطان الى الطريس فى 13 رجب 1305 / 30 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

45 . رسالة غريط الى الزكاري فى 23 جمادى الثانية 1305 / 7 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

2 . 2 ـ قضية مال الفابور

وأغرب ما في أمر ممثل دولة كبرى أنه كان يفضّل أن تفصل دعاويه ومطالبه الشخصية قبل مطالب دولته ، وقبل دعاوي المحميين وقضايـــا تجار بــلاده القليلين ، وكان من تلك الدعاوي الشخصية طلبه قبض 15 ألف ريال بيده من يـد الوزيـر محمد المفضل غريط ، قبل مغادرة مكناس حيث كان فى وقت ما (46) وذلك فى قضية سميت قضية مال الفابور التي لم يرد عنها تفصيل مستفيض .

على أنـه كان له معينون آخرون مثل تراجمته اليهود الثلاثة : ابـن زرقين وابن زكار والرامون الزوكي وترجمانه المشرقي محمد المصري ، وكان اولهم «أقبح من القونص' ، وأشد طمعا من أشعب» ، وكان المخزن لا يثق بترجمته (47) .

ولما عظم شططه فكر السلطان فى توجيه سفير الى الولايات المتحدة لاطلاع رئيسها على « حال هذا النائب وما يحاوله من خرق القوانين » (48)

ولما بلغ ذلك الى علم الحكومة الأمريكية أوفدت الكاتب الأول لسفارتها بمدريد للبحث عن حال قنصلها العام ، ولا سيما فى قضية مال الفابور آنفة الذكر ، وكان الكاتب مصحوبا بالترجمان ابن زرقين ، لكن المخزن ، وعلى الأخص وزيـر الخارجية ، كان يعلـم « أن لا غرض لهم في البحث عن حـال المذكور وانما الغرض عندهم هو الطمع واقتراح الأمور الخارقة » (49) .

46 . من موجب عدلي بتاريخ 27 رمضان 1305 / 8 يونيه 1888 . محفظة الطريس 13

47 . رسالة غريط الى الطريس فى 22 رجب 1306 / 24 مارس 1889 ، محفظة الطريس 15

48 . رسالة السلطان الى الطريس فى 13 رجب 1305 / 26 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

49 . رسالة غريط فى 22 رجب سالفة الذكر

وكذلك الشأن فى بقية أعوان القنصل العام الذين كانوا ـ أو كان بعضهم على الأقل ـ « يسبون الاسلام وأهله السب الفادح الذي لا يقدر أحد أن يتفوه به » . وما كان لأمر خطير كهذا ـ ان صح كلــه أو بعضه ـ الا أن يهز المشاعر المؤمنة هزا ، فوُضعت بذلك المواجب العدلية . ويصور القضيةَ أحدُها بأن هؤلاء الأربعة أتوا الى دار الوزير غريط بمكناس ، وصاروا يدقون بابه دقا عنيفا ، ولما فتح لهم صاروا يقولون : « ... والله لَيَهْدَنَّ هذا الغربَ دولةُ مَركان بالمدافع والكور هدا ! وردوا الهدية التي أنعم بها عليهم مولانا نصره الله » (50) ، وكان من جملة الشهود هاري ماك لين ، حسب موجب آخــر (51) .

2. 3 ـ حيازة السلاح قسرا

وقد زكمت الأنوف من سوء سيرة لويس لا فى المغرب وامريكـــا فحسب ، بــل حتى في فرنسا ، حيث كــان السفير الأمريكي بباريس يعترف بأن قنصل أمريكا العام بطنجة رجل ظالم (52) .

وكان ختام أمره والسبب المباشر المحتمل لعزله هفوة من جملــة هفواته : اذ ارسل أحد الأمريكيين الى مرسى طنجة لحيازة صندوق ، فيه 10 مكاحل و 6 كوابيس ، شاهرا بيده بطاقة الحيازة الممضاة من لدن القنصــل العام (53) . ولما منع الأمناء هذا الشخص من حيازة السلاح أظهر لهم كتاب القنصل فأخذوا منه البطاقة وعرضوها على الطريس ، وفى نفس الوقت بلغ

---

50 . من الموجب العدلي الأول الموضوع بمكناس بتاريخ 21 رمضان 1305 / 3 ماي 1888 ، محفظة الطريس 13

51 هذا الموجب مؤرخ فى 27 رمضان 1305 / 9 ماي 1888 ، محفظة الطريس 13

52 . رسالــة العربي أبارودي الى غريط فى 4 شوال 1305 / 14 يونيو 1888 ، محفظة فرنسا المغرب

53 . رسالتا أمناء مرسى طنجة عبد الرحمان بن المكي العيمي ومحمد بن المفضل بن جلون ومحمد العربي الخمال فى 18 و 23 ربيع الثاني 1307 / 12 و 17 دجنبر 1889 ، محفظة طنجــة 3

الخبر الى القنصل الأمريكي فاستشاط غيظا وذهب بنفسه الى المرسى ليأخذ صندوق السلاح قهرا .

فاستغل الطريس غلطة من كان يدعوه «المتهوّر» ، وأعلم المخزن بالحادثة ثم أبرق الى وزير خارجية أمريكا بالاسترعاء على افتيات قنصلها العام وسوء سيرته ، طالبا إقالته . وبعد مدة قصيرة نشرت الصحف نبأ عزله نهائيا (54) ، وصار روبيرت ستوكر ينوب عنه الى أن رجع ماثيوز الرجوع الثاني فى يوليوز 1890 .

وأختم بالاشارة الى أن ريد لويس من مواليد مدينة فيلاديفيا سنة 1860 ، وانه كان شابا فى الثامنة والعشرين من عمره ، قليل الدراية بالعوائد المحلية . وفي ماي 1888 قرر الذهاب الى قصر السلطان بمكناس في مهمة ، ولكنه سافر راجلا ، ذهابا وايابا ، الى طنجة . ذلك أنه لما لم يكن قادرا على ركوب الفرس ، حُمل فى محفة على ظهر بغلين ، فأصابه الدُّوّار . وللغد حاول امتطاء ظهر حمار ، فلم يفلح ، فأخذ يمشي راجلا . وكان دخوله لمكناس ، بلباس مدني وعلى الأقدام ، مثار تعاليق شتى فى الأوساط المخزنية والشعبية التي قالت إنه جاء راجلا يطلب صفح السلطان عما صدر منه بعد الأحداث التي وقعت بينه وبين المخزن (55) والتي سبق الكلام عنها .

وكان تاجرا فى الحماية ، سلم لترجمانه عددا من البطائق البيضاء الموقعة ، حسبما سنرى أمثلة ذلك في الدار البيضاء .

وأخيراً كان لريد لويس بعض المعرفة باللغة العربية على ما يبدو . ومع ذلك كان يبعث برسائله الى المخزن بالانجليزية فقط ولكنه فى الأخير بدأ يوجهها بالانجليزية وبالعربية بخط ترجمانه محمد المدعو المصري .

* * *

54 . رسالة الطريس الى السلطان فى 19 جمادى الثانية 1307 / 10 يبراير 1890 ، محفظة الطريس 17

55 . جان لوي مييج : « المغرب وأوروبا » ج 4 ص 356 (4) وجاك كايي « النوادر المغربية » ص 59

3. فليكس ماثيوز

ولـد بمدينة طنجة سنة 1834 ، وبها مـات سنة 1899 ، وأصله من كاليفورنيا . كان بحارا من سنة 1852 الى سنة 1857 ، كما كان استاذا ومنقبا بكاليفورنيا من 1858 الى 1869 . وفى أبريل من السنة الأخيرة عين قنصـلا لبلاده بطنجة ثم قنصلا عاما (56) .

وكان نشيطا في توزيع المناشير الصهيونية المكتوبة باللغة العبرية لدى الأوساط اليهودية المغربية ، وقد تعاون تعاونا وثيقا مع ليفي كوهـين صاحب جريـدة «ريفي دو ماروك» وممثل الجمعية الأنجليزيـة اليهوديـة Anglo-Jewish Association بانجلترا ، ومع مجلس المندوبين الأمريكيين العبريين بالولايات المتحدة : Board of delegation of American Hebrews

وقـد نُعت ماثيوز بأنه كان أكثر الديبلوماسيين فسادا في القرن الماضي (57) . وقد جمع من منصبه أموالا وملك عقارات وأراضي فلاحية . بقي فليكس ماثيوز يمثل الولايات المتحدة الأمريكية بوصفه قنصلا عاما مدة عشرين سنة فى فترات متقطعة من 1869 الى 1893 أطولها من 1870 الى 1887 . كان ضابطا برتبة عقيد ، وكان من الذين شاركوا فى الحرب الانفصالية التي دارت رحاها بين شمال الولايات المتحدة وجنوبها (1861 ـ 1865) ، ولعله اصبح جنرالا حوالي 1890 مثلما كانت تدعـوه بعض الوثائق المخزنيـة والديبلوماسية ، ولو أنه مثل ريد لويس كان كثير السفسطة يهدد باستجلاب الأسطول الحربي ولاسيما سنة 1884 لما قال : « فان كان الفرنصيص عنده الفورسة ، فحتى أنا كذلك أو أكثر منه » (58) ، وذلك لما ألزم احد المحميين

---

56 . مييج : المغرب وأوربا » ج 1 ص 140 وهنري ده لامارتينيير « ذكريات » ص 135

57 . عبد الحميد لطفي : « العلاقات المغربية الأمريكية فى القرن التاسع عشر » بملحق الوبينيون المغربية فى 27 دجنبر 1981 فى تعليق له على اطروحة دينيس فليبس عن « الوجود الأمريكي بالمغرب من 1880 الى 1904 » التى نوقشت بجامعة ويسكونسين سنة 1972
Dennis Philips : «The American Presence in Morocco : 1880 - 1904»

58 . رسالة ماثيوز الى بركاش فى 24 ربيع الثاني 1301 / 22 يبراير 1884 ، محفظة بـركـاش

الأمريكيين بأداء حقوق الأبواب ، في حين أعفي من ذلك أحد المحميين الفرنسيين بتطـوان .

وقد بـدأ عمله بالمغرب وهو لا يـزال صغير السن مع جيس ماك ماث ، وكان مولعا بالقنص وذلك ما قاله فى رسالة للسلطان : « لما قدمت من بلادي صغير لثغر طنجة ، لاتخفاكم ولاعتى بالصيادة » (59) .

ولما عزم ماك ماث على الرحيل نهائيا من المغرب ، رشحه ليخلفه ، فرد عليه بركاش الذي كان بدون شك يعرفه برسالة « على وجه السر » : « إن هذا الرجل مَطيـُوس هو خُلق" وتربية" بطنجة ، وهو من بعض الناس القاطنين الذين ليسوا مـن المنزلـة التي يستحق لها حتى يكون نائبا عـن أحد الأجناس الفخيمة كجنسكم ... لأن ولاية رجل مثل هذا فيه نقصان للعز لأيالتكم وإيالتنا ، وفيه نقصان فى أعين الناس » (60) .

وهكذا يبدو أن المخزن لم يكن راضيا عنه لأسباب وجيهة لاشـك أنها فقدان المروءة والأخلاق الحميدة . ولذلك قررت الحكومة الأمريكيـة استدعاءه ، وكتب السلطان في شأنـه الى الجنـرال أوليوسيس سمسن كرانط (61) رئيس الولايات المتحدة يخبره بأن ماثيوز « قد قام بما رشحتموه له وكلفتموه به ... » (62) .

ولكنه ما عتم أن أصبح بعد ذلك قنصلاً عاما لبلاده وصدقت فراسـة بركاش فى سوء سيرته واتجاره فى الحماية . وفى ذلك قال السلطان فى رسالته الى بركاش :

---

59 . رسالته فى متم جمادى الثانية 1310 / 18 يناير 1893 ، محفظة المغرب أمريكا

60 . رسالة بركاش الى جيس ماك ماث فى 22 جمادى الثانية 1286 / 29 شتنبر 1869 محفظة المغرب أمريكا

61 . كان كـرانط U. S. Grant رئيسـا من سنة 1868 الى 1876 ، وكـان زعيم الشماليين وقد ولد سنة 1822 فى بوينت بليزانت ومات سنة 1885

62 . رسالة السلطان الى الرئيس كرانت فى 22 شوال 1286 / 25 يناير 1870

« قونصو الماركان الذي بطنجة لا زال على اعطائه الحماية للناس من غير قانون ... فبوصول كتابنا اليك ، افرغ جهدك للتلطف فى كفه عن ذلك وحصره ، حتى تحوز منه تقييد المحميين عنده ليقع البحث فيهم ... » (63) .

ولا شك أن بركاش تلطف أكثر من اللازم مع ماثيوز الذي لم يكن يكترث لذلك ، عندما أسبغ حماية دولته على أكثر من مائة شخص ، ولما كلمه فى ذلك قال انه مجرد وشايات كاذبة :

« ... بعض الناس ذكر أن لي فى الحماية أكثر من مائة رجل وكلهم تجار ... وأنا حسب ما هو فى الورقة من 30 الى 40 ، داخل فى ذلك الخلائف وخدامهم وخدام الدار وخدام العراصي ... وأنت تعرفني ، لا نقدر نعمل أمرا خارجا على القانون ، لأنه أنا دائما وأبدا عندي الشرطات فى يدي » (64) . وكان المخزن يرد له بعض المطالب الطفيفة أو المهمة ، مثل ما وقع له فى 7 نونبر 1891 عند ما كان يريد حيازة « صهاريج كانت بدار الدباغ بطنجة ليجعلها اصطبلا لدوابه » .

وكان بركاش والطريس يرفضان له فى الغالب الأسماء التى كان يقترحها ، وخصوصا اذا كانت الحماية غير مصحوبة بموجبات منحها ، ولكنه كان يصر على التمسك برأيه ، فيركن الى الفصل السادس عشر من معاهدة مدريد الذي يجيز للدولة المتعاقدة تخويل حمايتها لمن قدموا لها خدمة استثنائية ، ولم يكن للخدمات الاستثنائية مدلول محدد ، وذلك كان هو الباب الذي تسرب منه هو وغيره ، ومع ذلك لم يكن فى سنة 1884 عدد المحميين يتجاوز 37 شخصا حسب رسالة السلطان الى الطريس :

---

63 . رسالة السلطان الى بركاش فى 29 جمادى الثانية 1293 / 22 يوليوز 1876

64 . فى « الوثائق » ج 4 ص 439 رسالة ماثيوز الى بركاش فى 18 صفر 1295 / 21 يبراير 1878

« وصل كتابك بتوجيه نائب المركان لك تقييد أهل حمايتهم محصورين فى أهل المدن والثغور وجميعهم سبعة وثلاثون ، وسفره هو وولده لبلادهم بقصد التصييف بها ... » (65) .

وبقي على حاله ، وقامت عليه قائمة المخزن و « كثر فيه الطعن لدى دولته ، ووصلها من سوء سيرته ما حرك غضبها عليه ، ولم ترض بسماعه . وقد وجهت نائبها ببلاد قالص من اسبانيا بقصد البحث فى أمره ، وقد حضر لدينا وحقق عندنا ما يمكن تحقيقه ، كما أحلناه على الأمناء فى تحقيقهم له ما يمكنهم ، فيما يشاع عنه لدى دولته من اشتغاله بالنكطربَنْض بمرسى طنجة ، فاجتمع بهم وحقق عنهم ذلك ، وتلقى من نصارى وغيرهم فى قضايا ليست بخافية ... » (66) . وقد أوفدت الحكومة الأمريكية القنصل د. هـ. إنكراهام : D. H. Ingrarham ليبحث في عين المكان التهم التي وجهها اليه الأمريكي بيرديكاريس (67) وعابها عليه المخزن . وكأنَّ مجيء القنصل من قادس الى المغرب للتحقيق فيما اتهم به من تهريب ومضاربة قد أثَّر عليه فكتب الى الطريس يشكره على حسن شهادته فيه أمام القنصل . ومع أن ماثيوز كان يعلم أن المدح الذي كاله إياه انما كان على سبيل المجاملة ، فقد طلب منه أن يوجه اليه هذا المديح كتابة تزكية له :

« وبعد فغير خاف عن سيادتك أن أحداً تكلم فى جانبي أني نتعرض على الحق ، وسيرتي غير حسنة الخ ما تكلم به . وقد كنت عندك مع القونصول الوارد من قالص ، فى شأن ذلك وشافهناك ، وما قصرت فى جانبنا ، جزاك الله خيرا وأطال عمرك ! ولا يخفاك ، أيها المحب ، أن ذلك نستحقه كتابة ، فالمطلوب من سيادتك أن تجيبنا بذلك جواب خصوص الأحبة ... » (68) .

65 . رسالة السلطان الى الطريس فى 10 رجب 1301 / 5 ماي 1884 ، محفظة الطريس 4

66 . رسالة الطريس الى السلطان فى 27 ربيع الثاني 1303 / 2 يبراير 1886 ، محفظة المغرب أمريكا

67 . جان لوي مييج : « المغرب وأوربا » ج 4ص 154 (4)

68 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 14 جمادى الأولى 1303/18 يبراير 1886 — محفظة المغرب أمريكا .

ولا شك أن هاته القضية وغيرها كانت من الأسباب التي حملت أمريكا على عزله . وقد بدا رضا السلطان وارتياح الحكومة الأمريكية من اقالته ، لأن المقصود من العلاقات المغربية الأمريكية « هو دوام الصداقة ورسوخهـا كيفما كانت سيرة الواسطة » . وذلك هـو عين ما أكده العاهل في رسالته الجوابية الى الرئيس كليفْلَنْد :

«... وافى حضرتنا الشريفة مسطوركم بأنكم أمرتم فليكس مطيوس قونصوكم بايالتنا السعيدة بالرجوع لأرضه ، وأنكم كنتم أمرتموه بالسعـي في الخير وفيما تزداد به المحبة بين الجانبين . وإعلام جانبنا العالي بالله بأن المرجو منكم هو ثبوت المحبة ودوامها بين الايالتين ، فذلك هو المعتقد فيكم ، والمعروف منكم ، ومن حسن سيرتكم قديما وحديثا ، سواء بلغـه الواسطة وعمل بمقتضاه أم لا ... » (69) .

وهكذا ما لبث الرئيس الأمريكي أن أقاله من القنصلية العامة ، وعين مكانه ريد لويس الذي سار في الواقع مثل سيرته ، حتى عزل بعد ثلاث سنوات ثم اسندت الى روبرت ستوكر شؤون القنصلية العامة بطنجة لمدة قصيرة : وما كادت ولاية رئيس الولايات المتحدة تنتهي ، حتى عاد ماثيوز مرة أخرى « الى المغرب بعد أن عينته دولته » (70) في منتصف 1890 ، الى أن أعفي في أواخر سنة 1893 ، وأعلن الطريس « أن دولته زادته في مرتبته وأنه كان يريد التوجه للأعتاب الشريفة وأناب عنه ولده هشبر في ذلك » (71) .

---

69 . رسالة السلطان الى الرئيس كليفلند في 11 شعبان 1304 / 23 أبريل 1888 ، نفس المحفظة ، وقد تولى ستيفن كروفر كليفلند S. G. Cleveland رئاسة الولايات المتحدة من سنة 1885 الى 1889 ثم من سنة 1893 الى 1897 ، وهو من مواليد 1809 وتوفي سنة 1908 .

70 . رسالة الطريس الى السلطان في 21 شوال 10/1307 يوليوز 1890 ـ محفظة الطريس 18 وربما كانت الزيادة في المرتبة هي الترقية الى رتبة جنرال .

71 . رسالة الطريس الى السلطان في 1 حجة 16/1310 يوليوز 1893 ـ محفظة الطريس 24 . وكانت آخر رسالة عثرت عليها منه الى السلطات المغربية مؤرخة بفاتح ربيع الثاني 12/1311 اكتوبر 1893 ، وأول رسالـة من خلفه باركلي الى المخـزن كانت بتاريخ 16 رجـب 24/1311 يناير 1894 .

وختاما أشير الى أن ماثيوز ، لما عاد عودته الثانية فى أبريل 1890 ، أتى بأشياء جديدة . فقد وجه للسلطان رسالة يخبره بأنه قد مرت أربعة قرون على اكتشاف القارة الأمريكية ، وفى رسالة أخرى طلب مشاركة المغرب في أحد المعارض بالولايات المتحدة بتقديم المصنوعات المغربية فيه ، مقترحا أن يكون موريس پيليسيي مندوبا لجناح المغرب ، ولكن المخزن رفض تلك العروض ، سيما وأن الممثل المقترح كان من اليهود .

وكان القنصل العام يتعرض لحملات انتقادية عنيفة فى صحافة الخارج وصحافة طنجة مثل « التايمس أوف مروكو » و « المغرب الأقصى » كما تحدث عن نشاطه معاصروه مثل الفرنسي هنري ده لامارطينيير (72) .

ومن تلك الحملات ما كتبه الصحافي الفرنسي كيرديك ده شيني عنه وعن الولايات المتحدة اذ قال فى رسالة منه الى المخزن : « اجعلوا امريكا فى جيبكم وفوقها منديل . سيقدم الكولونيل ماثيوز أوراق اعتماده المزعومة ، لقد فكر فى ذلك منذ أمد بعيد ، لكي يكسب المال فى قضايا « باء » وغيرهم الذين هم أرذال ، قبل أن يطالبه الرئيس كـ ... الذي هو رجل نزيه بتقديم الحساب عن تصرفاته .

« ان ماثيوز يرتعد فرقا ، وليس قويا فى منصبه . ابنه الذي يرتدي بفاس لباس أبيه (يالها من مهزلة !) سيحاول ان يفزعكم لكي تسددوا له الحساب عن الديون الدميمة .

« كونوا حازمين ولا تعملوا شيئا بالأقوال ، الكل بالكتابة ، واذا حدثت فضيحة ما ، فوجهوا لي على عجل بالمعلومات لكي أنشرها بالجريدة التي بقيت لي بطنجة وفى جرائد باريس ولندن :

---

72 . «ذكريات عن المغرب» ص 135 وما بعدها

«من الذي يعمل من أجلكم بقلبه

«وعقله ومعاركه ، والذي يحبكم» : (73)

أ. ده كيرديك شيني A. de Kerdic Cheny

عاد ماثيوز الى المغرب كما ذكرت ليواصل سلوك نفس التصرفات ، لا مع المغاربة فحسب بل حتى مع الأجانب . فقد حمى شخصا من جنسية فرنسية صدرت عليه أحكام في بلاده بتهمة النصب والاحتيال ، وادعى ماثيوز أن ذلك الشخص أمريكي وليس فرنسيا فمكنه ماثيوز من الهرب من المغرب بالرغم من احتجاج باطنوطر وزير فرنسا وغضبه (74) .

كما أنه حمى عبد الرحمان اليعقوبي من مدينة القصر ، بدعوى أنه سمسار للأمريكي أيون برديكاريس الذي أنكر معرفته به ، وكان اليعقوبي متهما بقتل شخص عمدا حسبما ستأتي أخبار ذلك في محلها .

وينبغي أن يضاف الى هاته الحماية مافعله مع أشخاص متابعين أمام القضاء ، وهم أبناء الحاج العربي بوتنيطير الحريزي الذين قتلوا خمس إماء تركها لهم أبوهم بعد وفاته ، بعد أن ظهر أن أحدهم اشترى صك الحماية من قنصل أمريكا بالدار البيضاء جون كوب بمبلغ 400 ريال ، كما سترد حكاية ذلك بهاته المدينة .

ولما انتهت مأموريته في أواخر 1893 لبث مقيما بطنجة حتى توفي بعد ذلك بخمس سنوات ، وظل على حاله ، فزعم سنة 1896 ان مغربيا سطا له في منزله على رسوم عقارية ، فطالب المخزن بتعويض يساوي مبلغه مبلغ الملكية نفسها ، فماكان من السلطات المغربية إلا أن أجابته متهكمة ، وبالرفض طبعا بقولها : « الحمد لله على أن العقار نفسه مازال في محله لم يتلف مثلما تلفت الكواغد والرسوم » ووقفت المسالة عند هذا الحد (75) .

---

73 . جان لوي مييج : « وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن التاسع عشر » ص 205 . ويبدو أن هاته الرسالة النفل كتبت في النصف الأول من سنة 1890 . فأما الرئيس «ك» فهو كليفلند ، وأما قضايا بـ « B » فلم أقف على مدلولها ، وصاحب الرسالة صحافي فرنسي غريب الأطوار ، عاش بالمغرب في أوخر القرن التاسع عشر .

74 . جاك كاييي : « النوادر المغربية » ص 58

75 . نفس المرجع ص 59

ملحقان

ونهي الكلام عن الولايات المتحدة وقنصلها العام ماثيوز بملحقين هما قضية القيسي وقضية عبد السلام الحلو .

الملحق الأول ـ قضية القيسي :

وهي عبارة عن طائفة من المراسلات تتعلق بهـا وضمنها مساجلات كلامية بين ماثيوز وبين الوزير مَحمد بركَاش ، تبين من جهة قوة عارضة الجانبين فى الخصام ، ومن جهة أخرى تلقي بعض الأضواء الكاشفة على حياة القنصل العام ماثيوز وسيرته .

I . قال فى رسالة الى بركَاش : « ... وبعدُ فظهر لي من اليوم الأول الذي نزلت فى هذه البلاد وعدم السعد يجري عليّ فيها . فأول مرة أظهروا عليّ الباطل واحتجت كلفة عليه ورجعت الى مركة وبقيت فيها ستة أشهر . . . وبعد ذلك......أتيت لهنا بالفُورْسَة فى يدي من عند المخزن متاعي .....» .

وبعد أن عدد السرقات التي نكب بها سواء فى أملاكه وأمتعته وأمواله ، أو فى أدوات عمله (الطوابع) ، قال إنه لم يستطع أن يقنع الحكام بالقبض على الذين « سرقوا لي من داري ما كان عندي مجموع فيها ...... فى خدمتي مدة من ثلاثين سنة ، وذلك يُقَوَّم عندي بمال كثير ، جمعته من جميع البلدان ، حيث كنت خداما فَسْياناً فى أحد فَراكِط دولتنا السعيدة ، وما جمعته فى هذه البلاد مدة من أربعة عشر سنة ...... » .

أما الذين يتهمهم فهم المسمون العربي الذي « اعترف بأنه سرق هو وبوكَوابَس والقيسي .... من الفَسِّينة عدد كبير من السكة القديمة ، وسكة هذا الوقت ، ذهبا وفضة وعددا من المال .... وطابعَ المخزن

متاعي طبعوا به عددا من الكواغيد زورا .... » أما عن « القيسي الذي باع لأخيه كاغيد الحماية من الكواغد التي طبع بالطابع المزور ثمنها خمسمائة ريال» فقد قال إن عبد السلام السربوت ، خليفة باشا العرائش لم يقتصر على رفض شكايته فقط بل سرح المتهم من سجنه .

وختم بقوله « والآن رأيت المخزن غض عني الطرف وكان من حقه أن يقوم لي متاعي ، ويشد العضد في دعوتي ، كما هو اللازم عليه ... فاني هاته المرة لا نقدر أن نسامح في متاعي أصلا متصلا لأنه كل شيء له حد . وإذا لم يقوم لي في متاعي ، نحتاج نكتب لمخزن دولتنا السعيدة ، ونعلمه بالواقعة من أولها الى آخرها ، ونطلب منه أن يوجه لنا قرسانا متاع الكرئة ، ويبقى هنا حتى تتفاصل دعوتي .... » (76) .

2 . وقد رد بركاش على رسالته هاته وعلى أخرى قبلها مؤرخة في 8 ربيع الأول بجواب طويل ومنه نقتطف ما يلي :

« .... فأما إشارتك .... أن الفاعلين الذين بالسجن وهم بوكوابس والعربي والقيسي كانوا خدامين عندك .... ذكرت أن الأمر بخلافه ، وأن الذي كان خداما هو بوكوابس .... والى الآن لم يثبت عليه شيء . وإنما دفعته للمخزن لأن الباشا طلبك به واسترعى عليك ....

« فأما كونهم كانوا خدامين عندك أم لا ، فالناس من أهل البلد يعرفون من كان خداما من غيره . لاكن يدلنا على أنهم كانوا خدامين عندك ما كنت شافهتنا به من أن هاته السرقة وقعت في مدة ثلاثة أشهر منذ غيبتك للفيرية بالخزيرة .

« وأما قولك إن بوكوابس لم يثبت عليه شيء الى آخره فغير خاف عنكم انه مقيد عندكم في زمام الحماية .... فما موجب دفعه للعامل ؟

---

76 . من مانيوز الى بركاش في 7 ذي الحجة 1299/20 نونبر 1881 — محفظة بركاش .

وسجنه ؟ فهل اذا ادعى بدعوى على أحد عندك فى زمام الحماية ولم تكن تلك الدعوى ثابتة عندك وطلب منك العامل واسترعى : تدفعه ؟ لا ، ويجعل فى السجن مع عدم ثبوت الدعوى ؟ لا . . .

« وأما قولك على القيسي إنك لا تعرفه ...... ولا هو من حمايتكم ، فقد تعجبنا من ذلك ...... سألنا ولدك والخليفة الترجمان ابن زرقين ...... فأخبرنا خليفتكم بالعرائش بأنه كان كتب له بأنه أراد جعله كاتبا عنده ......

«وأما قولك إنه لو كان في الحماية لم يسرق الطابع ...... فالذي ذكرت في كتابك تاريخ 7 ذي الحجة أنه إنما طبع الكواغيد المزورة ليبيعها للغير لا ليحتمي بها هو ...

« وأما قولك إن المخزن هو المقلَّد بكل ما تحت يد المخزني كما هي العادة .... فالمرجو منك أن تبين لنا ما هو مرادك ...... لأن جعلك التقليد على المخزن ومدافعتك على السراق مخالفة لما ذكرتَ وثبَت عندك ، يلجئنا الى هذا السؤال ... .

« وأما قولك إنك تعرفني : عندي من نتشاور معه ويعطيني الرأي الجميل ، فالحق ظاهر واضح ، فلا نحتاج الى الجواب عن ذلك لأنك جرحتنا به ...

« وعليه ، نطلب منكم أنه غدا في ساعة 12 من النهار ، تحضر أو تبعث عندنا من ينوب عنك ، ليحضر في سؤالنا للقيسي بمحضر اثنين من العدول . ولما تقع الشهادة يضع الحاضر من قبلك خط يده معهم .

« وأما قولك على الدعاوي الماضية التي انقطعت مادتها ...... منذ الزمان ...... فما من أمر يكون لك الحق فيه إلا ويقع الوقوف فيه ..... وحيث ذكرت أنك تبحث على ذلك في المحل الذي تعطى فيه الحقوق فذلك شَهِيّتُنا ، لأن فى موضع الحق كل أحد عنده ما يقول . وأما ما ذكرت من أنه كان بيني وبينك عهد وشروط ، فبين لنا هذا العهد وهذه الشروط ما هي ؟ فان كان

عهد المحبة كوزير للأمور البرانية لحضرة السلطان مع نائب دولة الماركان فنعم ، وذلك واجب .... وما كنا نظن أننا نبلغ الى هذا المبلغ فى هاتــه القضية ، حتى تصير تذكر لنا الكلام الذي يُغَيِّر ......

«وقبل أن نتمم هذا الكتاب ، يجب علينا أن نبين لكم استغرابنا أنك تكتب لنـا بالعَجَمِية والعربية وتُنْزل خط يدك فى المكتوب : بالعجمي ، مخالفة للأصول الجارية التي تبعتها دائما الى الآن ، فنحن لا نلتفت إلا للمكتوب العربي » (77) .

3 . أما جون هي دروموند هي سفير بريطانيا العظمى ، فله رأيه أيضا فى ماثيوز وفى قضية القيسي ومن معه . فقد كان ذكر قبل ذلك فى رسالة سرية الى مَحمد برݣاش سنة 1880 ما يلي :

«...... فواحد من هؤلاء المحميين اسمه القيسي ، هو معروف سارق للبقر ، مشتهر بذلك . وحيث هو فى حماية المركان ، الظاهر لنا أن القائد عبد الصادق لم يزْعَم بقبضه .

«ووقت جوازنا على الشرارضة ، فواحــد من أهلها أسمه بُوجَمْع طلب منا الاعانة ، حيث ذكر أنــه خلّص على الحَمِيَّت لقونس' المرِكان بواسطة صاحبه أبي كوابس 50 ريال على الحَمِيَّة . وبعد ذلك ، فعامله لم يقبل تلك الحمية ...

«هذا أبو كوابس ـ كما غير خــاف عليكم ـ إنه فى خدمة المركان ، بقصد الوقوف على بلادات الحرث التي له فى بعض المواضع من هذه الايالة .

«والظاهر لنا ، اذا يصدر البحث فى هذا ، يوجــد أن نائب المركان يدخل ويتوسط فيمن لم يكن تحت حمايته قبل ، ويحمى كل أحد ممن هو من هذه الرعية الذين هــم فى خدمته وفى خدمة خــدام تَقْو'نصُو'ات فى أمــر

77 . رسالة برݣاش الى ماثيوز فى 28 ربيع الأول 6/1300 يبراير 1883 — محفظة برݣاش

الفلاحة . فالظاهر لنا أن هذا الأمر يحتاج الى البحث فيه : حيث اذا تُتْرَكُ الحمية وهذا الدخول ـ على وجه الحيلة ـ فى حكم الولاة يدوم ويفعله الغير من دول الأجناس بكثرة ، كما يفعل نائب المركان ، فهذه قضية الحمية لا يكون فيها دواء » (78) .

4 . ومثل ذلك قاله عنه لاديسلاس أورديكة ممثل فرنسا فهو يرى أن ماثيوز لم يكن يرمي الا الى الاثراء بالمغرب ، فيدخل اليه سلعا ثمينة لا يؤدي عنها حقوق الجمرك . وكان فى ذلك ضرر على بيت المال ومصالح التجار .

وعن التهديد بالأسطول لارضاء المطالب الشخصية ، ولا سيما فى قضية القيسي قال ممثل فرنسا المذكور ان مبلغ السرقة المزعومة لم يكن يتعدى 3،000 أو 4،000 فرنك ، فى حين أنه ألزم أداء 150 ألف فرنك ثم تنازل الى 1000 ألف فقط كما سنرى .

على أن أحد الديبلوماسيين قال بعد ذلك بثلاث سنوات إن هذه المطالب مجرد اختلاق وافتيات لا ينطوي على أصل من الحقيقة . وقد جَنى من ذلك أرباحا طائلة ، وانتشرت أخبار الفضيحة . وكان الجميع ينتظر عزله لولا أن الرئيس كَرانط أنقذه لأنه كان تحت إمرته خلال حرب الانشقاق (79) .

5 . وثمة رسالة من السلطان الى مَحمد بركَاش ، ولها علاقة بسرقة دار النائب الأمريكي وقد جاء فيها بالحرف :

«وبعد وصلنا كتابك الثاني فى شأن سرقة نائب المركان والنسخ الثلاث من كتابيه لك فيها ومن جوابك له عنهما وتَصفّحْنا ، فاذا بالتي له منها والواصلة على يدك قبلها هِيَ هِيَ لم تخل مما تضمنته الأولى من التلوي والتلون والرَوغان والعدول عن الحق وعدم الانصاف والاذعان ...

---

78 . رسالة جون هي الى محمد بركاش فى 31 ماي 1880 ، محفظة المغرب بريطانيا

79 . جاك كايي : « النوادر المغربية » ص 56

«نعم يتعين عليك الكلام في ذلك مع الدولة بواسطة من ظهر لك من النواب ..... وشرح حقيقة القضية لها قبل أن يقلبها الخصم ويخلط ويلبّس ويشعّب الدعوى ليتمكن منها مما يريده فيها ...... فان مثلك لا يخفى عليه من أين توكل الكتف .....» (80) .

وقد وصلته هاته الرسالة بواسطة رسالة أخرى بعثها الوزير الصدر تنحو نفس المنحى وهي مؤرخة قبلها بيومين (27 ربيع الثاني) .

6 . وكانت قضية سرقة داره وما نتج عنها من التهديد بطلب إرسال «القرْسَان متاع الكِرّة» أو ماكان يسمى «الشكْوَدْرَة» (الأسطول الحربي) قد أرعبت بركاش فكتب رسالة الى السلطان يذكر فيها أن «ذلك حقيقة ، لما تَخَبَّرْتُ به من الشكودرة التي تجتمع بقصد المرور بطنجة ، وأعلَمْنا سيدنا ــ أيده الله ــ أننا لا زلنا نَسْتخير الله في هذا الأمر ، وأن المخايل لا تُعْجِبُ ، وأننا في حيرة عظيمة حيث جعل للجواب ثلاثة أيام .... ولتمام الفصال واحداً وعشرين يوما ...... وتحقق عندنا مساعدة دولته له ، وتخوفنا من حدوث ما تلزمنا بسببه الملامة» .

وأضاف بركاش أن ماثيوز قد طلب «ترضية قدرها خمسة وعشرين ألف ريال مع فائدتها ، من يوم أشهدتها على القيسي ، أحد السراق ، وجميع المصاريف التي صرف على هذه الدعوى هنا وبالمركة : خمسة آلاف ريال . فلم نَزلْ نلاطفه ...... فاستحيى» (81) . ثم اتفقا على أداء 25 ألف ريال ، دفع منها 16000 ، وبقي 9000 يؤجل الى ستة أشهر (82) .

* * *

80 . رسالة السلطان الى بركاش في 29 ربيع الثاني 9/1300 مارس 1883 ــ محفظة بركاش

81 . رسالة بركاش الى السلطان في 22 رجب 24/1300 ماي 1883 ــ محفظة بركاش .

82 . وذلك ما مجموعه مائة الف فرنك المذكورة سابقا أي ما يعادل 25 الف ريال

الملحق الثاني ـ قضية عبد السلام الحلـو .

هاته النازلة كانت من أسباب عزل فليكس ماثيوز عن القنصلية العامة ، تبودلت فيها رسائل بينه وبين الحاج محمد الطريس ، تشبه في جملتها ما كان بينه وبين بركاش .

فقد فضح الحلو القنصل الأمريكي بتقاضي بالرشوة وتلقي الهدايا ، كما تعرض فيها لولاة فاس واتهمهم بنفس التهمة ، وسنرى فيها من الافادات الكثيرة عن سياسة ماثيوز وسلوكه .

كان عبد السلام بن محمد الحلو محميا لأمريكا بفاس ، ثم لما جرد من الحماية التجأ الى مفوضية إيطاليا ، طالبا ضمانتها أو حمايتها . وعنه وردت عدد من الرسائل سنتقطف شيئا منها حسب التدرج التاريخي ، أولا بأول :

قال الطريس لفليكس ماثيوز :

1 . «محميكم عبد السلام الحلو عليه دعوى لولد من فاس ، كان وصيا عليه ، وأكل له ماله وجميع ما خلف له أبوه . فنطلب منكم إما أن تلزموه باعمال الشرع معه في ذلك ، وإما اخراجه من الحماية . . . » (83)

فأجابه ماثيوز :

2 . «كنت أخبرتنا بذلك في الماضي ، وكتبنا للمدعى عليه ليتوجه للشريعة ، وهو جاء لطنجة ولم يمتثل . وقد كثرت عليه الشكايات لدينا كما ذكرت ، ووجهنا عليه مخزني من الـدار ليقابل من يشتكي به ، فلم يجده ، ويظهر أنه خفّى نفسه من الحكـم . فنطلب منكم البحث عنه ، وإخراجه أين ما كان ، وتوجيه كتاب لعامل فاس بالقبض عليه إن حل بفاس ... » (84)

---

83 . رسـالـة الطريس الى ماثيوز في 12 قعدة 1303/12 غشت 1886 ـ محفظة المغرب الولايات المتحدة .

84 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 12 قعدة أيضا

فقد كان عبد السلام بالفعل منذ 10 غشت بدار المفوضية الايطالية بطنجة ، كما سنرى من رسالته التي سيرد نصها في آخر هذا الفصل . ولذلك لم يعثر عليه المخزني . فطالب الطريس ماثيوزَ بنزعه من الحماية وبتسليمه في رسالته اليه في اليوم الموالي وهو 13 غشت فرد عليه ماثيوز في نفس اليوم :

3 . «وصلنا كتابك المؤرخ في 13 من الجاري ، طالبا إسقاطه من لِسْطَة حمايتنا الخ ...... اعلم أننا لا حاجة عندنا بالمذكور ، سوى قبض حقوق الناس المدعيين عليه بالفسينة . واذا سلّم في الحماية ، لا تَعرُّضَ لنا في ذلك . لكن جميع الدعاوي الواقعة عليه في الحماية لا بد من فصالها في الفسينة حسب شروط مدريد بالفصل الخامس منها ......» (85)

ثم أضاف في رسالة أخرى :

4 . «هذا الرجل كثرت به الشكايات بهذه الفسينة ، وكثير منها بُدِئَتْ : من جملتها دعوة الرجل الذي وجهتَ لنا ...... ولا يخطر ببال أن رجلا محميا ، عليه دعاوي بدأت ، وقبل تمام الحكم فيها يَنْزِع نفسه . ألا ترى أن رجلا من رعية السلطان — نصره الله — عليه دعاوي ، وقبل تمام الحكم فيها طلب الحماية : هل تسلم أنت حمايته أم لا ؟ وهذا هو المقرر في شروط مدريد .

«وما ذكرتَ بأن هذا الرجل إن كان عندنا نُمكّنُك منه : لم نفهم له معنى . لأني كتبتُ لك أولاً وثانيا ، وذكرت لك بأنك تأمر الولات بالبحث على هذا الرجل وقبضه وتوجيهه لهذه الفسينة ، حتى يُتِمَّ دعاويه . وان ظهر لك بأن لا بد من الدولة المراكشية أن تباشر دعاويه إن سلّم في الحماية فوجه معه أحد عن جانبك يحضر معه في الحكم ، ويكون تنفيذ دعاويه على يدك .

85 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 13 قعدة

«وإن أردت إحداث قانون جديد ، خارج على ما هو مرسوم بشروط مدريد ، فلك النظـر . إني لا قـدرة لي على منعك فى احداثـه راجيا منك الجـواب » (86) .

واستمرت هذه المجادلة الفقهية فى تفسير القانون بين الرجلين ، فقال الطريس :

5 . «راجعنا الفصل المذكور من شروط مدريد مطالعة تامة ونصه : **«والمحميون الذين تنحوا من الحماية ، وعليهم دعوى مبدية قبل خروجهم من الحماية ، فدعواهم يكون الحكم فيها فى المجلس الذي بدئت فيه»** . وعليه ، فنلح ونجدد على أن عبد السلام المذكور لم يبق عليه تصرف لأحـد سوى السلطان ــ نصره الله ــ وولاته قطعا . نعم الدعوى المبدوءة عليه قبل تاريخ عزل نفسه ، وهو يوم الجمعة 11 قعدة ، تتم بفسينتكم ، على أن نوجهه لها إن قبض عليه على يدنا ، ونوجه معه أحد أعواننا ليحضر معه بالفسّينة » (87) .

وكان جدال ماثيوز ينحو منحى الشريعة عندما أجاب النائب السلطاني عن الرسالة السابقة بقوله :

6 . «ظهر لنا من كتابك أنه لما كان الحلو المذكور أخبرك بعزل نفسه من الحماية كان قـدّم تاريخ كتابه . لأن الكتاب الذي أخبرتنا بعزل نفسه مؤرخ فى 17 من الجاري . ولو كان عندك الخبر بعزل نفسه قبل ذلك التاريخ لأعلمتنا كما هي عادتك . وفى تاريخ 15 من الجاري ، تفاصل فى دعوى كانت له بالفسينة . والمقصود عندنا من هذا كله أنه رجل متعدي ، ويسمع كلام من لا خلاق لـه ، وغايـة نشطنا أنـه يحضر أحـد من جانبك وقت الحكـم بالفسينة . . . » (88) .

86 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 17 قعدة

87 . مسودة جواب الطريس الى ماثيوز فى 23 قعدة

88 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 25 قعدة

وقد سلم ماثيوز عبد السلام الحلو الى المخزن بعد ذلك ، وعنه قال القنصل العام :

7 . «دفعنا لك عبد السلام الحلو ، وتراه كتب كتابا لسائر النواب ، وذكر لهم أنه دفع لنا عشرة آلاف ريال ، وبيده مكاتب منا بالفِرْمَة والطابع . وقد توجه عليها رقاصا ، وأتى له بمائتي كتاب وتسعة عشر كتاب ، حسبما عَدَّها بيده العدلان . وعليه ، فالمطلوب منك أن تُحْضِر الرجل بين يديك ، وتأمره باخراج المكاتب المذكورة ، ليظهر منها ما زعمه . إني لا نريد الحضور معه ، ربما يقع له بعض الحياء . نعم وقت حضوره تعلمنا لنوجه أحدا من جانبنا الذي نثيق به أنا وأنت ويحضر معه لديك . . . » (89)

كانت التهم التي ألصقها عبد السلام الحلو بالقنصل الأمريكي جد خطيرة . ومع أن التاجر الفاسي طلب اللجوء الى دار المفوضية الايطالية ولدى سكوڤاصو ، لكن هذا الأخير ، وهو عميد السلك الديبلوماسي ، شجع ماثيوز على متابعة الحلو أمام القضاء غير أن الكولونيل رفض ذلك . وبعد شهور قليلة جاء نبأ عزله (90) .

ولا شك أن الحكومة الأمريكية كانت على علم ببعض تلك الاتهامات ، فجاء قائد الأسطول الأمريكي الى طنجة لاستطلاع الخبر . فقال فى ذلك ماثيوز مخاطباً الطريس :

8 . «حيث وردت الفركاطة أخبرت الكَمْنَدانْطِ بالواقع فى دعوة عبد السلام الحلو ، وبما نسبه لنا ، وقَيَّد جميع ذلك ، بقصد اخبار الدولة . ولكن حيث كانت عنده الأشغال بجبل طارق سافر [من] هنا ، وطلبني نرسل له هناك ما تحصَّل من الدعوة ...... والمقصود من ذلك ، عنده وعندنا ، أن نوجه له جوابك بالنفي أو الاثبات لما نسبه لنا بنفسنا ......» (91)

89 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 5 حجة 1303/4 شتنبر 1886

90 . جاك كايي : «النوادر المغربية» ص 59

91 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 9 حجة 1303/8 شتنبر 1886

وكان المخزن قد قرر عرض الحجج التي ادعى بها الحلو على لجنة لتصفحها ، وحاول القنصل العام معرفة النتيجة ، فكاتب الطريس فى شأن ذلك برسالتين واحدة فى 26 محرم والأخرى فى تاريخ فاتح ربيع الثاني 1304 وعن ذلك أجابه الطريس ، حسبما يبدو من هاته المسودة المضطربة :

9 . «ورد كتابكم تاريخ 1 ربيع الثاني ، سائلا عن المواجب التي دفع لنا الحلو : هل فيها حجة عليك أنت نفسك أم لا ، فأعلم أن تلك المكاتب التي دفعها لنا الحلو تصفحناها **ولم يوجد فيها خط يدك بتعمير الذمة بشيء** (92) مما ادعاه ...... **عدا** (93) وجد فيها كتابكم بِفِرْمَتِكُمْ أحدهما ...... ورقة الحماية له ولأخيه ، والثاني الاعلام بشركائه ، وهم أناس ثمانية ، وباقي المكاتب **بفرمة جنابكم** (94) وبعضها بفرمة خليفتكم فى المكاتبة التي كانت دائرة بينهم وبينه فى التجارة . وسنتصفحها ويُفَصَّل أمرُها على وجه الحق ..» (95) . وتحرّق القنصل العام شوقاً لمعرفة نتيجة التحقيق لما قال :

10 . «فى يوم التاريخ ورد علينا كتاب من دولتنا الفخيمة وبطيّه عدد من نسخ المكاتب التي ذكر للدولة أنها منسوخة من المواجب التي تحت يدك .... وطلبت أن نبحث فى القضية ونخبرها عن النسخ المذكورة هل هي حقيقة أو فيها بعض الزيادة والنقصان .

«وعليه فالمطلوب من سيادتك أن تعين لنا وقتا لمقابلة ذلك النسخ مع الأصل الذي تحت سيادتك لنجاوب الدولة ......» (96) .

---

92 . هاته العبارات المغلظة وردت فى المسودة أولا ثم شطب فوقها وكتبت عبارة « فيها لخط يدكم » عوضا عنها .

93 . شطب فوق هاته الكلمة وعوضت بلفظة « نعم »

94 . شطب فوق هاتين الكلمتين

95 . مسودة جواب الطريس الى ماثيوز فى 9 حجة 1303/8 شتنبر 1886

96 . من ماثيوز الى الطريس فى 5 ربيع الثاني 1304/1 يناير 1887

وكانت دعوى عبد السلام الحلو كما نرى سببا في عزل ماثيوز فى شهر يناير 1887 ولما عين ريد لويس فى شهر مارس الموالي ، وجه حولـه الرسالة الآتية :

II . «بلغني أنه مسجون لديكم بمكناس رجل يدعى عبد السلام الحلو من فاس ، ومن رعايا حضرة الامام الشريفة ، وأن سجنه كان على يد القنصل الأمريكاني هاهنا منذ بضع شهور . وكوني بحثت عن أمره بدفاتر وأزْمِمـَة القُونصولاتو ، ولم وجدت عليه علـة يستوجب عليها الابقاء فى السجن ، فاقتضى النظـر أن أسأل الحضرة الشريفة إطـلاق سبيله حيث يعود لطنجة متعهدا للحضرة السنيّة بأني لا أجعل للمذكور حماية . . . » (97) .

وقبل أن أورد رسالة عبد السلام الحلو الى وزير ايطاليا بطنجة ، أود أن أُشير الى أن الحلو كان طلب من الطريس أن يعمل على إسقاطه من حماية أمريكا (98) ، وأن عبد السلام كان لـه نزاع مع منحيم بن قسيس المحمي الأمريكي بطنجة ، وأن الحلو لما كان ملتجئاً الى دار يون برديكاريس الذي كان يكن عداء لماثيوز ، جاء المخازنية لاعتقاله بمنزله (99) يوم 3 شتنبر 1886 .

أما لجنة تصفح مواجب الحلو ضد ماثيوز التي كانت حاضرة عند استنطاقه أمام الطريس ، فكان من أعضائها نيابة عن أمريكا :

— محمد بن عمرو العوامي كاتب القنصلية

— وإدموند تشارلطن Edmond Charleton

— والقبطان تشارليز جون روليسطن Ch. J. Rolleston الذي كان ترجمانا بالقنصلية البريطانية (100) .

97 . من ريد لويس الى غريط فى 24 جمادى الثانية 20/1304 مارس 1887

98 . رسالة عبد السلام الى الطريس فى 14 قعدة 14/1303 غشت 1886 — محفظة الطريس 8

99 . رسالة يون بيرديكاريس الى الطريس فى 3 شتنبر 1886

100 . من رسالة بالفرنسية فى 9 شتنبر 10/1886 ذى الحجة 1303 — محفظة الطريس 8

12 . محمد بن سليمــان كان مكلفــا بتصفية الدعــاوي وخصوصــا الأمريكية ، فقال معقباً بعد ذلك على اعتقال الحلو ، وفـرح الناس بذلك إن « المدعين يترادفون على تقييد دعاويهم على الحلو . ولا تسألْ عن فرح الناس خاصة وعامة بهذا البلد ······ ونحن في غاية الانتظار لدخول هـذا الفاجر لهذا البلد في كَبْله ، وهذا ما يمكن شرحه لكم من غرائب هذا الظالم أخذه الله ······» (101)

وكان الحلو «قد وجه في كبله من طنجة الى مكناس» (102) .

ولم أقف على نهاية هاته القضية (103) ولم أعلم كم لبث عبد السلام في السجن ، وسأورد رسالته على أغلاطها وعلى ما فيها من حق أو باطل ، وبها أختم هاته القضية التي شغلت المخـزن زمنا طويلا وعصفت بممثل إحـدى الدول الكبرى لكن الى حين .

قال عبد السلام الحلو مشتكيا من ماثيوز ومن السلطة المحلية بفاس أيضا لدى سكوڤاصو :

13 . « أنا عبد السلام الحلو الفاسي ······ وقع لـه وقيع كبير . واليوم كَنْطَلْب من المخزن الطليان يقف معي لكوني كنت أمين بفاس وعملي (عمل لي) الحيلة الباشا متاع فاس (104) وقبضني في السجن وقبض مني سبعة وعشرين مائة ريال ظلما وعدوا وتعديا ، وبعد ذالك أيضا قبضني في السجن وقبض مني أربعة وعشرين مائة ريالا .

---

101 . رسالة محمد بن سليمان الى الطريس في 16 حجة 15/1303 شتنبر 1886 ـ محفظة الطريس 8 .

102 . رسالة السلطان الى الطريس في 24 ربيع الأول 21/1304 دجنبر 1886 ـ محفظة الطريس 8 .

103 . هناك رسالة بمحفظة الطريس 13 بتاريخ 3 شوال 13/1305 يونيو 1888 تتحدث عن وفاة الأمين الحاج عبد السلام الحلو فجأة ، لكن لا ندري هل هذا الميت هو نفس المحمي المذكور.

104 . الباشا في ذلك الوقت كان هو عبد الله بن احمد البخاري المتوفى سنة 1887

«وحين رأيت هـذا الظلم ، قدمت لعند الباشا وطلبت منه يسقطني لكوني قلت له : عِنْدِ رسوم على الناس من قبال البيع والشراء ، وطلبت منه يكتب لي لعمال البادية يقفو معي حتى نتخلص فدفعت للباشا مائتين ريال ، ولكاتبه ثمانون ريالا على تلك المكاتب ، وقدمت لطنجة وتلاقيت مع قنصول المركان فليسْ مَطِيوُس ودفعت له أربع مائة ريال مع شرابيل بسقصلي (بالصقلي) عدد 16 ، مع قطعة وأربعة حياك حرير وعشر بلاغي عمل فاس ، وعطاني ورقة وأني سمسار واحد من الفسّينة . وبعد ذلك بأيام صار يوجه لي على أُمور وسرْتُ نَقْدم برجلي ونعطي ونوجه مع الحمّارة وغيره ، حتى خرج من يدي عددا من المال ، قدره عشرة ألف ريال فأكثر . وعندي تَحْتِ مكاتب من الفسينة بخـط اليد القُنْصُول والبشادور ، منهـم المطبـــوع والفيرْمَة : والآن كَنْخاف على نفسي ، إلاَ نْزَوَّلْ الحمية يعمل لي المركان فليسْ شي حيلة حتى ندخل للسجن ونَكْولْ العَصّ ، مثل ما وقع لولد القيْصي ، الذي كان يطلب الحمية . مهمى جَدَّدْ فى طلبها قالوا له : سرق فَسّينة القنصول المرِكَان .

«والآن اليوم كنخافْ على نفسي ومتاعي . ومن هـذا الأمر وغيره كنطلب من المخزن الطليان يقف معي ، وكنطلب منه يكتب لسلطان الغرب نصره الله يْسامحني على تلك الحمية التي قبضت من المركان ، وكنطلب منه أيضا يحميني ويتهلاَّ فينا .

«ومثل هذا الكتاب كتبته لجميع جنْنُوس الروم » (105)

في 10 قعدة 1303 هـ

الامضاء : عبد السلام بن محمد الحلو

105 . الرسالة يطابق تاريخها 10 غشت 1886 ، وهي مكتوبة بمقر المفوضية الايطالية وخطها قريب من خط جنطيلي ترجمان السفارة

4 : انجلتـرا

تصميم هذا الفصل يتكون من أربعة مطالب هي :

1 . السلك الديبلوماسي

2 . الموظفون والقناصل

3 . المحميون والسماسرة والمستوطنون

4 . السفراء : جون هي وكربي كرين وايوان سميث

* * *

المطلب الأول : السلك الديبلوماسي

تولى تدبير شؤون هاته الدولة قناصل ووزراء كان أولهم ابتداء من 1830 :

1 . إدوارد ويليام أريول دروموند هي
E. W. Auriol DRUMMOND HAY

الذي خلف الميجور جيمس دوكلاس J. DOUGLAS في القنصلية العامة بطنجة ، من سنة 1929 حتى وفاته سنة 1845 . وكان لادوارد هذا خمسة من الأبناء هم : طوماس الذي كان ينوب عنه أحيانا في بداية الأمر ، وفرانك الذي كان لفترة ما قنصلا لبلاده بتطوان ، وروبرت الذي كان نائب كاتب الدولة البريطانية في المستعمرات بلندن ، وجيمس دي ڤيم وكان قنصلا بتطوان (1857) ، وبالرباط (1866) ، وجون الذي خلف سنة 1845 أباه دفين جبل طارق (1) .

---

1 . جان لوي مييج : «المغرب وأوربا» ج 2 ص 24 وج 1 ص 120

2 . **جون هي** : وظل يمثل بلاده بوصفه قنصلا عاما ، ثم وزيرا مقيما من سنة 1845 الى 1886 .

3 . **وليـام كربي كـرين**

وهو الذي خلف جـون المُحال على التقاعـد ، وذلك سنة 1886 الى وفاتـه بالمغرب سنة 1891 .

4 . **تشارليز إيوان سميث**

ولم يطل مقامه بالمغرب الا حوالي سنتين .

وسيأتي كلام خاص عن هؤلاء السفراء الثلاثة الأخيرين .

5 . **ويسْت ريدْجْوَيْ** West RIDGEWAY

وكان «مبعوثا خاصا في مهمة مؤقتة» ، وهي أن يربط مـع الحكومة المغربية العلاقات الودية التي كانت من قبلُ قائمة بين البلدين . وكان السير ريدجوي نائبا لكاتب الدولة فى شؤون إيرلاندة ، كما كان من سنة 1860 الى 1889 ضابطا بالجيش (2) .

وكان أيضا أحد أعضاء مجلس الملكة الخاص . وقد نجح فى إبادة السحب التي خيمت على العلاقات المغربية البريطانية ، بسبب تصرف إيوان سميث ، وتبادل الهدايا والتحف مـع السلطات المغربية . وهكذا أهـدى للطريس مِرْآة ، عند ما بعث اليه فى منتصف 1893 رسالة التوديع (3) ، بعد أن مكث بالمغرب حوالي ستة أشهر .

---

2 . المصدر السابق ج 4 ص 277

3 . رسالة التوديع تحمل تاريخ 24 يوليوز 1893/10 محرم 1311 ، وأول رسالة له كانت في 25 رجب 1310/13 يبراير 1893 — محفظة المغرب بريطانيا

6 . **إيرنست ماسَن ساطَوْ** Ernest MASON SATOW

الذي كان وزيرا مقيما بمونطيبييدو ، بالأرغواي (4) ، قبل أن يصل الى المغرب في شتنبر 1893 .

* * *

المطلب الثاني : القناصل والموظفون

أما المساعدون لهؤلاء السفراء فكان منهم :

1 . **فريدريك كارسْتَنْسَن** F. CARSTENSEN الذي كان موظفا بالمفوضية بطنجة سنة 1855 ، ثم نائبا قنصليا بها سنة 1857 ، ثم بآسفي والصويرة سنة 1855 ، حتى مات سنة 1873 بهاته المدينة (5)

2 . **ه. ل دوبويس** H. L. DUPUIS

وهو ابن تاجر بريطاني استقر بالمغرب سنة 1840 . وكان كاتبا للقنصلية بطنجة ، واقتُرح ليكون وكيلا قنصليا بمراكش (1866) ، ولكنه عين نائبا بتطوان ، وفي سنة 1869 عين بالدار البيضاء (6) .

3 . **جيمس ده ڤيم هي** J. de Vismes Hay

شقيق جون هـي ، وكان كاتبا خاصا لـه مدة خمس سنوات وقنصلا ببعض المدن ، كما تقدم ، وكان يعرف اللغة العربية والفرنسية والاسبانية والايطالية والألمانية .

4 . **طوماس پيلاوز ريد** Thomas PELLOWES READE

ناب عن السفير منذ سنة 1859 ، وقام بأشغال القنصلية بطنجة .

---

4 . مييج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 278

5 . المصدر السابق ج 1 ص 84

6 . المصدر السابق ج 1 ص 103

وفي سنة 1864 عين قنصلا بالقاهرة ثم بقادس ، وبعد ذلك بازمير وتونس ، وكانت وفاته في سنة 1885 (7) .

5 . **هوراس وايط** Horace WHITE

وكان قنصلا ونائبا عن جون هي ، بعد أن دبر قنصلية بلاده بايطاليا وبيروت وقبرص ، وأحيل على المعاش فى آكتوبر 1885 . وكان يشرف على شؤون بلجيكا ثم على قضايا النرويج والسويد . وهو من مواليد أكسفورد سنة 1823 ، وكانت وفاته فى أبريل 1901 بمدينة طنجة (8)

6 . **هربيرت إدموند وايط** Herbert Ed. WHITE

ابن هوراس سابق الذكر . وقد خلف أباه فى القنصلية ، ولكن الأب كان ينوب أحيانا عن ابنه (9) . وظل يعمل سنوات طويلة منذ سنة 1882 ، حتى استقال فى أكتوبر 1921 (10) .

7 . **س ن إيليوط** C. N. ELIOT

كان مساعدا لايوان سميث . وقد أمر السلطان بمعاملته «بما تقتضيه المحبة والمودة الخاصة الموروثة خلفا عن سلف» (11) .

---

7 . «الوثائق» : ج 4 ص 202 ، ومييج «المغرب واوروبا» ج 1 ص 158 و ج 2 ص 384 (4)

8 . المصدر الأخير ج 3 ص 207 (2) و ج 1 ص 176

9 . رسالة جون هي الى الطريس فى 13 محرم 22/1303 اكتوبر 1885 ـ محفظة المغرب بريطانيـا .

10 . ابراهيم شحاتة حسن : «صدى الشرق فى تاريخ المغرب عام 1921 : لوحة تاريخية من الوثائق البريطانية» ، فى مجلة «المناهل» العدد الخامس ، 1976 ص 323 .

11 . رسالة السلطان الى الطريس فى 20 جمادى الثانية 10/1310 دجنبر 1892 ، محفظة الطـريس 23

8 . **جيمس ده ڤيم ده پونطيـوه** J. de Vismes de Ponthieu

كان سنة 1890 ترجمانا ونائبا قنصليا (12) . ولكن أعضاء السلك الديبلوماسي كانوا يعتبرونه موظفا خاملا ومغفلا (13) .

9 . **مانويل نوبيـلا** M. NOVELLA

منذ سنة 1869 كـان ترجمانا وكاتبا بالقنصلية بطنجة (14) . ويظهر أنه من أصل طارقي ، الا أنه كان يتعاطى التجارة فكان له سماسرة وشركاء من المغاربة ، وأخيرا كان من مصدري الثيران الى جبل طارق .

هاتــه إلمامة قصيرة بهــؤلاء الموظفين ليس فيها حصر ، لكن كان بالمدينة موظفون مغاربة منهم المحميون الاستثنائيون والقنصليون .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والسماسرة والمستوطنون

كانت سفــارة إنجلترا تتكلف بشؤون بلادها زيــادة على مصالــح الأمبراطوريــة النمساوية الهنغاريــة وهولاندة والدانمارك وأحيانا السويــد والنرويج .

ومن أجل ذلك اختلطت فى الوثائق المخزنية أسماء محميي هاتــه الدول فى بعض الفترات ولا سيما حوالي 1880 ، فلم يتيسر التمييز فى الانتماء الى هاته البلدان ، الا أن ابن زيدان أورد فى تقييده الأول فى «العز والصولة» أسماءهم مفصلة ، أسوقها نقلا عنه واقتباسا من وثائق أخرى .

---

12 . رسالة ده بونطيوه الى الطريس فى 17 ماي 1890 ، محفظة المغرب بريطانيا

13 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 278

14 . رسالة جون هي الى الطريس فى 31 دجنبر 1884/13 ربيع الاول 1302 ، محفظة المغرب بريطانيا .

وقبل ذلك ، أشير الى أن بريطانيا العظمى كان لها سنة 1863 بمدينة طنجة 30 محميا ، منهم ترجمان واحد وكاتب واحد ومخزنيان و 26 مستخدما . منهم 10 للقنصل المحلي ، بينما لم يكن للقناصل بمختلف الثغور الا ترجمان واحد وثلاثة مستخدمين (15) .

أولاً : المحميون القنصليون والاستثنائيون

أ ــ من التقييد الأول لابن زيدان (1880)

1 ــ 20 : **حاييم كسكاس** (ترجمان) ، **ومحمد بن يحيى** (كاتب) ، **وعبد السلام بن داود ، وعبد السلام حجوط ، وأحمد الهنية ، وحمان ادريس ، ومحمد ولد خليفة ، وأحمد بن الشعاير ، ومحمد بن عزايز ، وعائشة الدرقاوية ، وفريحة كويهن ، وأحمد المرابط ، وعبد السلام بن الحاج سعيد ، وعبد السلام ولد الحمياني ، ومحمد الريفي ، وعزوز الريفي السعيدي ، وعبد القادر الريفي ، ومحمد ولد المهدي ، والحاج أحمد العمارتي ، وبوجمعة** . . . (دون نسب) ، وكانوا أعوانا ومستخدمين .

ب . من التقييد ومن الزمام الانجليزي معا :

وهناك آخرون وردت أسماؤهم فى التقييد الزيداني وكذلك فى وثيقة بريطانية ليست مؤرخة (16) أدعوها الزمام . وسأقارن بينهما :

21 ــ 29 : **الحاج علي العمارتي** ، **ادريس السعيدي** (فى الزمام : اجواو) ، **عبد الرحمان بفط** (فى الزمام : الحبيّط) ، **أحمد بن علي** (فى الزمام : بوعلي ، من جامع المقرّع) ، **عبد السلام** (لم يرد نسبه ، ولعله هو عبد السلام

15 . رسالة جون هي الى الحاج ادريس بن ادريس فى 17 أبريل 1863/17 شوال 1279 نصها عند محمد داود فى «تاريخ تطوان» ج 6 ص 122 .

16 . هاته القائمة غفل من التاريخ ، غير أن خط كاتبها يفيد أنها وضعت يوم حررت قائمة سماسرة سنة 1889 ، وقد جعلت لها ، من أجل ذلك ، هذا التاريخ على وجه التقريب ، واسمها الكامل «زمام الناس الذين هم فى حماية الانجليز من رعية مراكشة بطنجة»

بوربكة المذكور فى الزمام) ، **محمد أقلعي** (فى الزمام : الحاج أحمد أقلعي) ، **أحمد ولد عبد الله** ، كاتب (فى الزمام : أحمد الفتوح ، كاتب) ، **العربي الفردي** (فى الزمام : الحاج العربي) ، **شالوم كويهن** ساعي بريد (فى الزمام : كاتب)

ت : **من الزمام المذكـور (1889)**

قبل أن أتمم لائحـة المحميين ، أود أن أشير الى هـذا الخلـط والاضطراب فى الوثائق زيادة على إغفال ذكر النسب المميز والاقتصار أحياناً على الاسم القبلي كالعمارتي والريفي والدكالي الذي لا يفيد شيئا لعموميته وغموضه ، وأسماء المحميين التي سيأتي ذكرها قد تكون مكررة ، ولكني أوردها حفظا للأمانة التاريخية وعددهم 12 ، زيادة على من سبق ذكرهم :

30 ــ 41 : **عبد الرحمان بوجمعة** ، **والحاج عبد الله العمارتي وعبد السلام الدكالي** ، **وقـدور الوهراني** ، **وأحمد ولـد الحاج محمد الشركي** ، **وعبد الرحمان بن حادر** ، **وأحمد الجبلي** ، **ومحمد الأنجري** ، **ومحمد بن سعود** ، **وسلام بن الديلال** ، **وأحميدو بن العربي** ، **ومحمد العمارتي** ، وكلهم كانـوا أعوانا ومستخدمين .

ث ــ **من غيرهمـا** :

42 ــ **دابيد سكسو** : كان سنة 1864 ترجمانا (17)

43 ــ **هارون أبَنْسُـور** : كان سنة 1881 ترجمانا للسفارة (18)

44 . **ابراهيم يعقوب لاريـدو** : كان تاجـرا محميا ، وكان يدعـى «الأنجليزي» تمييزا لـه عن ابراهيم لاريدو الرباطي ، وقد يكون أولهما هو صاحب التقاييد بالعربية عن التنجيم والفلك (19) .

---

17 . رسالـة العربي بوشنتوف الى بركاش فى 15 شـوال 24/1280 مارس 1864 ، محفظة بركـاش .

18 . ابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 447

19 . محفظة الطريس 68

45 و 46 . **يوسف العسري وشلومو ابن عبو** : وهما أيضا تاجران محميان ، اتخذا سماسرة في بعض المدن كما سيأتي ذلك في موطنه .

وإضافة الى المحميين السابقين كان هناك آخرون سنة 1880 صدرت الوصاية عليهم من جهات شتى الى السلطات المغربية ، هذا الاستيصاء شبيه بالحماية ، كما قال جون هي عند ما تحدث عن فليكس ماثيوز وعن وصايته على الأشخاص ، حسبما تقدم ، وهؤلاء هم (20) :

47 . **محمد دادون** : نائب في التجارة عن 3 تجار من النجليز

48 و 49 **ومحمد الكوهن ومحمد الأزرق كذلك**

50 . **والحاج المكي بن عبد الله** نائب بوطالب الـذي بجبل طـارق ، وبيده مال تجار الانجليز (21)

51 . **ومحمد بن عبد القادر بناني** ، بالتأكيد على الوقـوف معه في تنضيض نقش الزليج المكلف به من قبل باشدور النجليز .

52 . **والحاج عبد الخالق بن شقرون** ، الذي كانت له شركة مع قنصل النجليز بالرباط (22) .

53 . **والذمّي مخلوف الدرعي** ، هو نائب في التجـارة عن تاجـر إنجليزي

ثانيـا : السماسـرة

1 ـ 3 . **شلومو بَرينْطِي و موسيس ليبي وإسحاق كوهن** : ورد ذكرهم في زمام 1889 ، ولم يعرف لمن كانوا سماسرة .

---

20 . وعددهم سبعة أشخاص كما هو عند ابن زيدان في «العز والصولة» ج 1 ص 310.

21 . ولا أدري هل الحاج المكي بنعبد الله والمكي بنعبد الله المذكور في ص 71 و 315 أعلاه شخص واحد

22 . وهو جون فروسط : J. Frost

4 . **رفائيل بيمنطة** : كان سمسارا لموسي لاريدو القاطن بلندن سنة 1891 (23).

5 . **الحسن بن ابراهيم السوسي** : سمسار لورثة اليهودي ليڤي كويهن بطنجة (24) سنة 1889 .

6 . **الحاج الحسن العمارتي** : سمسار جون مكينطوش :
J. Mackintosh القاطن بطنجة سنة 1889 ، وهو من تجار جبل طارق .

7 . **محمد بن الحاج محمد الفكاك السليماني** : سمسار أوخينيو إمليانو E. Emiliano بطنجة سنة 1889 ، ولعل الأخير من جبل طارق أيضا .

8 . **يوسف سكسكو**

9 . **ومحمد أمقشد** ، وكانا سمسارين بطنجة سنة 1863 لهنري مطيوس القاطن بالرباط (25) .

10 . **إسحاق ناهون** : كان نائبا لشركة اكراهام GRAHAM من مدينة منشيسطر في استيراد السكر الى طنجة ، وقد ورد أن الأمين الحاج أحمد بناني منعه من انزاله بالمرسى ، بعد أن كان قد أصابه خلل فى عقله ، فصار يدور فى المدينة وبيده كابوس ، ويصيح أنه ربح مائة ألف ريال من خدمته بالمرسى (26)

---

23 . رسالة هربرت وايط الى الطريس فى 5 يونيو 1891/26 شوال 1308 — محفظة المغرب بريطانيا .

24 . من لائحة المحميين العامة لسنة 1889 ، وقد ورد هو فيها مع الاثنين اللذين بعده .

25 . رسالة جون هي فى 5 نونبر 1863 — محفظة الحماية القنصلية .

26 . رسالة هي الى غريط فى 24 مارس 1886/17 جمادى الثانية 1303 — محفظة المغرب بريطانيا ، ينظر عن هذا الأمين الصفحة 221 أعلاه .

ثالثـا : المستوطنون

أصلهم من إنجلترا وجبل طارق وحتى من مالطة ، وقد سقت اسماء قليل منهم وازيد عليهم آخرين ، لكن دون الاحاطة بهم جميعا .

1 . ريكاردو الباريس Ricardo ALVAREZ

الغالب أنه طارقي اكتسب الجنسية الانجليزية ، وكان موظفا باللجنة الصحية ، وقد اقترح كربي كرين أن يوكل اليه اصـلاح المركب «بَرْكُو الحياة» (أي سفينة الانقاذ) التي كانت الحكومة البريطانية أهدتها الى سلطات طنجة سنة 1884 «لتخليص الأرواح فى ساعة الخطر» (27) ، بعد أن كان قد أسيء استعمالها وقيادتها .

2 . منويل الباريس Manuel ALVAREZ

كان متهما بمقتل الشريف مروان العلمي ، وكانت السلطات القنصلية قد اعتقلته ، وكلف هربـرت وايط بالتحري فى القضية (28) ، بعد مطالبـة السلطات المغربية بالاقتصاص منه .

3 . نيكولاص داســوي N. DASSOY

كان يقيم بطنجة ، ولعله إنما كان يشتغل بالفلاحة حوالي 1894 ، وكان يريد اشتراء أرض حراثية ، فامتنع عدول طنجة من كتابة رسم البيع ، على عادتهم من عدم السماح للأجانب بامتلاك العقارات ، لكن السفير إيرنست سطاو تدخل فى قضيته قائلا :

«كان اشميــدل وابراهيم سكسو وابـن شمول وبيسان وزنكوط وبرديكاريس وباشدور البرطقيز وقنصل الماركان السابق جنرال ماطيوس وغيرهــم من رعايا أجناس شتى ، باعــوا واشتروا أرضا حراثية بناحيــة

27 . رسالة كرين الى الطريس فى 22 يناير 1889 — محفظة المغرب بريطانيا

28 . رسالة وايط الى الطريس فى 26 شتنبر 1893/14 ربيع الأول 1311 — نفس المحفظة.

طنجة» (29) . ونوضح أن الأول هو قنصل النمسا ، والثاني ترجمان المفوضية البلجيكية والثالث هو حاييم بن شيمول والرابع وهو ڤانسان داڤان D. Vincin وسيأتي عن الاثنين الأخيرين حديث مع فرنسا .

4 . ميرانـدو Mirando (?)

«ميراندو النجليزي كان خرج من ثغر طنجة وسكن بالفحص وترامى على أراضي السكان وأكثر الأضرار بهم» (30) وكان ذلك سنة 1888 .

5 . **كابيا إي موليناريس** Cavilla y Molinaris

طارقي دون شك وكان له شريك يدعى هنري . وقد أراد أن يبني معملا للآجر وفرنا لصنع الجير بناحية طنجة ، ولما طلب الرخصة لم تخوله السلطـة المحلية إياها وأعطتهـا لشخص يدعى ﭙيطـري (31) ، وكـان ذلك سنة 1886 .

وكان كابيا هذا من جملة المحكَّمين فى دعوى الحاج أحمد الدكالي الطنجي ، شريك المعلم الحسن السوسي (32) .

ولم اقف لهؤلاء جميعا على خلطاء ولا على سماسرة .

6 . **ڭريڭـور هـي** Gregor/Gregory Hay

كان يقطن بطنجة سنة 1893 ، وكان له خلطـاء بقبيلة مصمودة مـن أحواز تطوان (33) . والمعتقد أنه ابن السفير جون هي .

29 . رسالة سطاو الى الطريس فى 19 يبراير 1894/12 شعبان 1311 — نفس المحفظة .

30 . رسالة السلطان الى الطريس فى 18 صفر 1306/24 اكتوبر 1888 — محفظة الطريس 14

31 . رسالة هنري الى جون هي فى 30 أبريل 1886/26 رجب 1303 — محفظة الطريس 7

32 . رسالة فى 27 يناير 1886/21 ربيع الأول 1303 — نفس المحفظة

33 . اشهاد عدلي فى 23 حجة 1310/8 يوليوز 1893 ، وآخر فى فاتح شوال 1311/7 ابريل 1894 ، محفظة الطريس 16 ، والعبارة المكتوبة فيهما هي «ابن البشدور جان كيغر» وحبذا لو كتب «كيغر ، ابن الباشدور جان» لاستقامت المعنى ، والراجح أنه ليس الا ك (ـر) يغـ (ـو) ر الذي هو ترخيم كريكوري بعد حـذف الكاتب للـراء والمد الـواو وربما المد الياثي ان كـان اسمه كريكوري .

7 . خوان طوليدانو ترينيداد J. Toledano Trinidad

طارقي مجنس عاش بطنجة حتى اغتيل فى دجنبر 1892 بأحواز المدينة وقد نشأ عن مصرعه خلاف بين السفارة البريطانية والسلطات المخزنية ، أوردت أصداءه بعض الوثائق المغربية .

فبينما ترى السلطات المحلية أن خوان عربيد كان يتعاطى المسكرات جهارا ثم تشاجر مع العسة فأردتـه قتيلا ، اذا بالنائب البريطاني يرى أن الشرطة هي التي قتلته عمدا ، فطالب سميث بالقبض على ثلاثة من الحراس ودفع دية القتيل لأهله وقدرها خمسة الآف ريال مهددا باحضار «مراكب حربية لاجراء ما هو واجب» (34) .

ولما رأى السلطان أن السفارة متشددة ، أمر بالقاء القبض على ثلاثة من الحراس لأن «المصلحة اقتضت ترجيح ما ادعاه النجليز من كون العسة هي التي قتلت خوان النجليزي دون مرجح لذلك» (35) .

ومع ذلك تفطن العاهل لخبايا القضية مع سفير كانت علاقته بالمخزن جد متوترة حسبما سيأتي شرح بعض جوانبها ، فنبه الطريس الى الحرص على أن لا يكون فى ذلك مطالبة بقتلهم جميعا ولا سيما ابن المرابط المتهم الرئيسي ، غير أن النائب الانجليزي رأى أن لا مانع عنده فى تسريح اثنين منهم ، فلم يأمر السلطان بالافراج عنهم ، تاركا اياهم رهن الاعتقال ، ومشيرا على الطريس : «استشر الشرع فى تسريحهم أو عدمه» (36) .

وأخيرا طلبت النيابة البريطانية من ممثلي الدول الأخرى تأييدها في مطلبها ، وطلب الطريس وساطة سفير ألمانيا الذي بقي على الحياد .

---

34 . رسالة اليوط الى غريط فى 31 دجنبر 1892/11 جمادى الثانية 1310 محفظة المغرب بريطانيا .

35 . رسالة السلطان الى الطريس فى 19 جمادى الثانية 1310/8 يناير 1892 نفس المحفظة

36 . رسالة السلطان الى الطريس فى 15 شعبان 1310/4 مارس 1893 ــ نفس المحفظة أيضا ، ينظر عن هاتـه القضية روجـرز : «تاريخ العلاقات ...» ص 290 ، وكذلك بيير كيين «ألمانيا والمغرب ...» ص 276 (1)

وننتقل الآن الى حياة سفراء الدولة الأنجليزية لنزيد توسعا في عوامل التوتر وفى بحث تطور العلاقات المغربية البريطانية .

* * *

المطلب الرابع : السفراء

أعود هنا لأفصل بعض القول عن حياة ثلاثة من السفراء الانجليزيين بطنجة مثلوا بلادهم من سنة 1845 الى سنة 1893 ، وهم على التوالي : جون هي ووليام كربي كرين وتشارليز إيوان سميث .

أولاً : جون دروموند هي J. H. Drummond Hay

1 . نبذة من حياته

ولد السيرجون هي يوم فاتح يونيو 1816 بمدينة ڤلانسيان بفرنسا ، وتوفي فى 27 نونبر 1893 وعاش فى المغرب ممثلا لبريطانيا العظمى مدة تقرب من نصف قرن ، وكانت له عواطف طيبة نحو المغرب وصداقة متينة مع سلاطينه ، وكان يعرقل بتدخلاته لدى حكومته أطماع الدول الاستعمارية فيه ، فكان زملاؤه الديبلوماسيون يتضايقون منه وينعتونه فى تقاريرهم بالعربي ، أو بالعربي المنافق ، وهو الذي اقترح على حكومته وعلى المغرب عقد مؤتمر دولي خارج المغرب ، للنظر فى مشكلة الحماية القنصلية بعد ما ظهر له أن النظر فيها من طرف سفراء الدول وقناصلها لا يؤدي الى نتيجة (37) .

وكان يدعى «وكيل المسلمين» لدفاعه عن المغرب والمغاربة فى تقاريره ورسائله الى السلطات الديبلوماسية البريطانية (38) .

---

37 . عبد الوهاب بنمنصور : «مشكلة الحماية القنصلية» ص 19 ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 272 .

38 . ر. ج. فريش : «المغرب» ص 285

وهو الذي خلف أباه إدوارد هي في القنصلية العامة لبلاده ، بعد أن كان أخوه طوماس ينوب عن أبيهما خلال غيابه (39) . كما كان جون هي حاضرا بطنجة أثناء قصف الأسطول البحري الفرنسي لها (40) في شتنبر 1844 .

بدأ حياته موظفا بسفارة بلاده بتركيا سنة 1840 ، ثم انتقل الى المغرب سنة 1844 ، وعين في سن الثامنة والعشرين قنصلا عاما بطنجة (41) . ولم يرق الى رتبة وزير مطلق الصلاحية الا سنة 1872 ، (42) بعد أن كان فقط وزيرا مفوضا منذ ماي 1860 .

وأسرة هي قديمة الاستيطان بالمغرب قبل سنة 1822 ، وقد وقع الانعام على إدوارد هي ابان ولاية بوسلهام أزطوط ببلاد حرائية بشرف العقاب تسع حرث ثلاثة أزواج ، وكان جون قبل رحيله يريد أن يترك الأرض والعرصة بيد صهره المستقر بطنجة ، وبيد الحاج أحمد العمارتي صاحبه ، لكن الانعام هذا لم يكن تمليكا ، ولذلك طلب المخزن من جون أن يوجه اليه الظهائر والرسوم ليتعرف منها على حدودها (43) .

وكان يملك أيضا عقارات وأراضي كثيرة وخاصة بأحواز طنجة (44) . وقد أنعم السلطان مولاي سليمان على سفارة إنجلترا ببلاد قريبة من السواني ليبني بها أبوه إدوارد دار النائب (45) . وكان هذا العقار يدعى عرصة بركال

---

39 . رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان الى بوسلهام بن علي أزطوط ، في متم ربيع الأول 22/1257 ماي 1841 ، محفظة بوسلهام بن علي : 1

40 . ر. ج فريش «المغرب» ص 267

41 . «الوثائق» ج 2 ص 113 ، ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 272

42 . روجرز : «تاريخ ...» ص 236 ومييج : «المغرب واوروبا» ج 2 ص 454

43 . رسالة الطريس الى جون هي في 22 رمضان 24/1303 يونيو 1886 ـ محفظة الطريس 8

44 . مييج : «المغرب واوروبا» ج 3 ص 452 (4)

45 . رسالة الطريس الى جون هي في 22 رمضان 24/1303 يوليوز 1886 ـ محفظة الطريس 8

التي يبدو أنها هي التي اشتراها السلطــان مولاي عبد الحفيظ للاقامة فيهــا بطنجة ، وأنها هي التي كانت تسمى راڤنسروك (46) Ravensrock

أقام بهاته المدينة قبل الولاية وبعدها سنوات طويلة ، تعرف خلالها على المغرب ومشاكله ، وكان ينوب في بعض الفترات ، وخصوصا قبل سنة 1880 ، عن عدد كبير من الدول كالامبراطورية النمساوية الهنغارية وهولاندة وكذلك عن دولــة الدانمــارك التي تــزوج سنة 1845 ابنــة قنصلها العــام كارستنسن (47) . كما كان ممثلا لعدد من المدن التجارية الألمانية المدعوة «المدن الهنسية» (48) وكان بالتالي عميدا للسلك الديبلوماسي .

وكان يتحــدث بعدة لغــات كالفرنسية والاسبانية ، وكذلك باللغــة العربية دون أن يحسن النطق بها (49) وكان أحيانا يوقــع رسائله الخاصة الموجهة للسلطات المغربية بعبارة «جان هي دروموند هي» باللغة العربية التي تعلمها عن أبيه . وقد أُصيب طيلة عدة سنوات بمرض في عينيه ، منعه من الكتابة ، فاقتصر على إملاء رسائله (50) .

ومما حققه لبلاده أنه عقد معاهدة تجارية وبحرية مع النائب مَحمد الخطيب ، ثم معاهدة صلح ومهادنة ، وكلاهما أبرم في 9 دجنبر 1856/10 ربيع الثاني 1273 ، ثم صادق عليهما كل من السلطان مولاي عبد الرحمان والملكة ڤكتوريا ، ولم يكن عقدهما من السهولة بمكان ، فقد استغرقت المحادثات من

---

46 . وولتر هاريس : «المغرب البائد» ص 138

47 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 273

48 . الهنس la hanse معناه التحالف التجاري الواسع بين عدة مدن المانية حرة مثل بريمن Bremen وهامبورغ Hamburg و لوبيك Lubeck وكانت المدينة الأخيرة زعيمة الهنس من سنة 1230 الى 1535 ، ولم تفقد صفة المدينة الحرة الا سنة 1937 عند صعود النازية الى الحكم .

49 . هنرى ده لامارتنيير : «ذكريات عن المغرب» ص 76 و 78

50 . عبد الله العمراني : «سير جون ه. د. هاي وجهوده الديبلوماسية في الحرب الستينية بين المغرب واسبانيا» ، في مجلة «البينة» ، العدد السابع ، نونبر 1962 ، ص 87

أجلهما سنين طويلة . وكان يرى في التجارة عاملا أساسيا لازدهار البلاد . وحتى قبيل انتهاء عملــه بطنجة كان يريد من المغرب أن يشارك في معرض أديلايدا بأستراليا سنة 1886 بانتاجه الصناعي والفلاحي (51) .

وسأتطرق ، فيما يلي ، لرأيه في الاصلاحات ، ولقضية قبطان المركب «ويزارد» ، وأختم بالعلاقات بينه وبين أعضاء المخزن .

2 : جــون هــي والاصلاحــات

لم تكن المسائل التجارية هي التي تشغل باله ، بل كانت مشاكل الحماية والقضايا الدولية لبلاده تأخذ منه مأخذاً كبيرا .

كان يعلم أن التعسف في استعمال حق الحماية يؤدي الى كثرة عدد المحميين ، وأن الممثلين الديبلوماسيين كانوا — على ما يظهر — يوجهــون لوائحهم الى حكوماتهم ، بعد أن يختصروها ، لكيلا يُستَبان فيها وجــه التعسف (52) .

أما عن علاقاته بالحكومة المغربية فقد استفاد من اتصالاته بأعضائها ، وكان حكمه قاسيا عليهم في الغالب . وكان يرى في المخزن مصدر تعفّن لابد من تطهيره . وقد كتب سنة 1845 : «إهمال في كل مكان . . . وهاته نتيجة إدارة لا تقوم بحفظ الأمتعة والرقاب» . وفي سنة 1864 قال : «هاته الحكومة أسوأ حكومة في العالم . . . فباستثناء السلطان نفسه الذي هو نزيه وضعيف ، والحاجب واثنين آخرين ، فان الجميع فاسد» . وفي سنة 1880 قال : «يشبه المخزن اصطبلات أجيّاس ، وانه لعار أن يسمح لهاته الحكومة الملعونة أن تدوم . لا بد أن يُلزَم السلطان بادخال الاصلاحات . . .» (53) . وذكر أيضا

51 . رسالة في 23 يونيو 1886/20 رمضان 1303 — محفظة المغرب بريطانيا

52 . رسالة جون هي الى ماركيز سولزبوري في 29 مارس 1880 ، وهي الوثيقة 78 في كتاب «المراسلات ...» الانجليزي .

53 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 255 ، أما أوجياس Augias فهو ملك خرافي في الأساطير اليونانية ، كانت له اسطبلات فسيحة يحتاج في تنظيفها من أقذارها الى اطلاق نهر كبير عليها .

أن الموظفين من الصدر الى المخزني كانوا يعتمدون فى حياتهم على الرشوة والابتزاز والاختلاس ، لعدم منح أي راتب لهم (54) .

وعندما كان هي أعظـم صديق للمخزن ، استطـاع أن يقترح عليه برنامجه الاصلاحي فى عدة مناسبات : عرضه على محمد الرابع سنة 1864 و 1868 و 1873 ، ثم قدمه الى الحسن الأول سنة 1874 و 1881 .وكان أكمل برنامج له هو الذي قدمه فى دجنبر 1868 ، خلال مقابلة على انفراد مع السلطان بفاس . فقد أشار عليه بتخفيض الضرائب ، وتسديد الأجور للموظفين للقضاء على الرشوة ، والنقص من عدد الجنود ، وإلغاء الامتيازات الضريبية ، والعدول عن بيع مستفادات المكوس ، وتعيين جباة لمدة سنة واحدة فقط ، وحذف الهدايا الى السلطان فى الأعياد ، وإلزام المحتسبين بايداع الضمانات .

كما سبق له أن قدم برنامجا مماثلا فى مارس 1873 بمراكش ، مع إلحاحه على الاقتداء بالدانمارك وهولاندة ، البلدين الصغيرين اللذين أصبحا ـ كما قال ـ غنيين لوجود ادارة نزيهة بهما .

وقد نال جون هي بعض الحظوة لدى محمد الرابع الذي أسس سلكا للأمناء سنة 1861 ، وعين لهم أجورهم لتطبيق معاهدة 1856 التجارية أحسن تطبيق ، ووعد بتجريب الاقتراحات الأخرى بأحد أقاليم الجنوب . لكنه مات بعد قليل ، وكان خلفه الحسن الأول ذا طبيعة جد محافظة . وحينئذ غيّر هي خطته ، وأقنع ممثلي الدول بفرض الاصلاحات على السلطان بشكل تضامني . وفشل ذلك كله ،لاخفاق مؤتمر مدريد فى الحد من أضرار الحماية التعسفية التي كانت فى نظر السلطان العائق الأكبر أمام كل اصلاح (55) .

وكان من أول الأمناء المأجورين تعيينا بمرسى طنجة ، الحاج بوجنان البارودي والحاج عبد الكريم أحرضان الطنجي «ونفذنا للأول منهما تسعين

---

54 . روجرز : «تاريخ ...» ص 254

55 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 255

ريالا ، وللثاني ستين ريالا فى كل شهر ، ولكل واحد من العدلين اللذين أمرنا القاضي بتعيينهما عشرين ريالا عن كل شهر ، فى مقابلة خدمتهما» (56).

أما آراؤه فى السياسة الخارجية لبلاده ، فقد كانت إنجلترا تريد المحافظة فقط على مواقعها التجارية والسياسية المكتسبة . ولهذا كان لممثلها نظرات أوسع من نظرات زملائه . وكان يفهم تظلّمات المخزن ، ويحتل مكانة مرموقة فى بلاط السلطانين المذكورين ، وكان مستشارَهما فى الشؤون الخارجية ، وفى حصر حق الحماية ، حتى مؤتمر مدريد الذي أدى فشله الى وضع حد لنفوذها ولنفوذه أيضاً .

وقد ظل ممثل انجلترا خلال أزيد من ثلاثين سنة بطل سيادة السلطان ، والوحدة الترابية ، والاصلاحات الواجب إجراؤها لفائدة جميع الدول وبرضاها . ولهذا كانت مصلحة انجلترا مطابقة لمصلحة السلطان (57).

وقبل ذلك ، كان قد اضطلع بأدوار مهمة للحد من آثار هزيمة المغرب فى حرب تطوان ، وحمل اسبانيا على الجلاء عن هاته المدينة مقابل تعويض حربي فرض على المغرب فرضا .

3 . قضية قبطان «الويزارد» : Wizard

ولم تخلُ علاقاته مع السلطات المغربية من بعض الحدة . فقد حدث خلاف بين المغرب وانجلترا سنة 1849 بعد حرب المغرب مع فرنسا سنة 1844 وقبل حرب تطوان سنة 1859 . كان يستعين بقوات انجلترا بجبل طارق على سلوك سياسة حكومة بلاده ويسيطر على طنجة ـ حسب ممثل ايطاليا سنة 1866 ـ بوصفه نائبا ملكيا (58) . كما سبق للمركب الحربي الانجليزي

---

56 . رسالة السلطان الى بركاش فى متم رمضان 1278/31 مارس 1862 ، عند عبد الرحمان ابن زيدان فى «الاتحاف» ج 3 ص 380 .

57 . عبد الله العروي : الأصول ...» ص 243

58 . جان لوي ميبج : «المغرب واروبا» ج 5 ص 88

«جانوس» أن قصف سنة 1851 مركـز القرصنة بالريف ، وقتل عـددا من الريفيين ، ودمر مدافعهم (59) .

وكان ممثلو انجلترا سنة 1870 لا يرعون للسلطات المغربية ذماما ، ولاسيما فى حادثة رئيس المركب الحربي الانجليزي عند زيارته لطنجة فى يناير 1870 ومحاولته إهانة السلطة .

كانت هاته الباخرة الحربية الويزارد قد زارت الشواطيء المغربية ، ولما وصل رئيسها الى طنجة قـدم لزيارة عامل المدينة . وحينئذ لم يقف الحراس المصطفون أمام داره احتراما له . فما كان منه الا أن «طلب جلد جندي مغربي ، لأنه عند دخوله لساحة داره لم يقف إجلالا له . وكان العامل ، الذي لم يأمر قط جنوده بتحية قائد المركب ، قد وعده بعقابهم على هذا الاهمال . لكن الضابط شك فى صحة تنفيذ الوعد ، فاشترط أن يقع هذا الجلد فى الحال ، واختير جندي واحد من بينهم للعقاب عن ذنب وهمي . هذا هو العدل ، وإلا فلا ! ويُجَابُ الذين يستنكرون هذه الأساليب أن ذلك أمر لازم لتأكيد الأُبَّهَة الأروبية . ورأيي المتواضع أن هاته الأُبَّهة ـ ان كانت هناك أبهة ـ أولى لها أن تكون طيبة ، لو جُلِد القائدُ المسؤول الوحيد فى هاته القضية ، بدلا من إهانة جندي صغير بريء ، لكن الذئاب لم تَعْتَد أن يأكل بعضها بعضا . فليذهب بعد هذا من شـاء ليَتَبجَّح لدى المغاربة بحضارتنا ، أو للاستغراب من الكراهية التي يضمرونها لكل ما يصدر عن النصارى» (60) .

ولم اقفْ على بيان لرأي جون هي في هاته الحادثة السيئة بين الرعايا الانجليزيين والسلطات المغربية ، وان لم يكن فيها ما يشين فى نظر من كانوا يُشيدون بلغة القوة والتلسط .

---

59 . روجرز : «تاريخ ...» ص 214

60 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 154 ، نقلا عن مقال بجريدة سيمافور مرسيليا .

4 . جـون يعتـزل عملـه

ومع ذلك ، ما انفك جون مرموقا عند السلطان ولدى بركَاش ، حتى فاتح يوليوز 1886 حين أحيلَ على المعاش (61) . وظل متردداً على المغرب حتى آخر حياتــه . وكان يتدخل حبيا لفصال بعض الدعاوي مثل ما قالــه السلطان للطريس : «ادفع لجان الذي كان باشادور النجليز قبلُ ، على يد نائبهم ، هناك ألف ريال من قبل مفاصلة دعوى عـمَّـار القصري ومامان» (62) . بل انه كان يقيم بطنجة ولا تدري السلطة بوجوده ، مثل هذا السؤال الذي القاه الوزير غريط على الطريس سنة 1888 : «هل كان جان هي درومونده‍ي مازال ساكنا بطنجة ؟» (63) . فقد كان فعلا يسكن بطنجة فى فصل الشتاء ، ويقيم فيها مع أهله .

لكن هــذا التساؤل لم يكن تجاهلا ، اذ كان المخزن يقدِّر أعمالــه ومساعيه . وعند انقضاء مهمته بعث برسالة الى محمد غريط أجابه عنها بأخرى مطولة ، هاته مقتطفات منها :

«وصل كتابك بأن مدة خدمتك كَملت وعما قريب تسافر ، وأن عدم إمكان ملاقاتك مع الجناب العالي بالله بقصد الوداع مع شريف سيادته . . . أثَّر فيك ، وأنك هذه مـدة من أربعين سنة وأنت فى الخدمة بهذه الايالــة السعيدة ، وكان سيدُنا ومولانا ، جد سيدنا ومولانا المنصور بالله ، وسيدُنا ومولانا والده قدسهما الله ، يحملانك على الثقة والمحبة والصدق ، وكذلك سيدُنا ومولانا نصره الله يحملك على ذلك ، وأنك . . . إن أطال الله عمرك ترجع لهنا بعد مضي سنة ، وتقيم إبان الشتاء . . .

---

61 . رسالة الى الطريس فى 26 يونيو 1886/23 رمضان 1303 ـ محفظة المغرب بريطانيا

62 . رسالة السلطان الى الطريس فى 20 رمضــان 1308/29 ابريل 1891 ـ محفظــة الطريس 20 .

63 . رسالة غريط الى الطريس فى 26 حجة 1305/3 شتنبر 1888

«وأطلَعْتَ بكتابك شريفَ علم مولانا . . . وأمرني .... أن نجيبك عنه بأن بُعْدَك عن هذه الايالة السعيدة أثّر في الخواطر ، ووقع منها موقعا ، لأنك أحد عقلاء وحكماء دولة فخيمة . . . لأن الانسان يُسْتَدَلُّ على عقله وحاله بأحد أشياء ثلاثة : رسولهِ أو كتابهِ أو هديتهِ ، وبأن ما ذكرتَه ، من أنك لاتعجز في الوقوف في خير جنابه الشريف وخير رعيته ، هو الظن بك والمعتقَد فيك . . . وقد نُبِّئْتُ عنك في وداع من سميتَهم من وزراء وكبراء خدام الأعتاب الشريفة ، فاعترف الكل بمحبتك . . . وأنشد قول من مضى وغـبـر :

«وما ضرنا نأْيُ الجسوم وقد دنَتْ قلوبٌ طويناها على خالص الـود

«وأما ما ذكرته من أنه ان أطال الله عمرك ، واقتضى النظر الشريف قدومك للحضرة العالية بالله . . . فأمرني مولانا أعزه الله أن نجيبك بأن عمرك يطول بحول الله . . فمرحبا بك ....» (64)

ولا أظن أن الشعر والمحسنات البديعية كانت عبثاً في حق هذا العميد وكانت تكريما من المغرب ، مثلما أنعمت عليه دولته بلقب السير ، جزاء عمله .

ولم يكن المخزن وحده هو الذي أحسن توديعه ، فقد أُقيمت حفلة فاخرة على شرفه بطنجة في 14 يوليوز 1886 . وكان في توديعه أعضاء الجالية الانجليزية والحـاج محمد الطريس وعامـل المدينة وكافـة الديبلوماسيين الأجانب . وقد تولى ثمانية من أعضاء تلك الجالية التجديف في القارب الذي حمله الى السفينة التي كانت تنتظره في الخليج ، لتنقله الى إنجلترا .

وهكذا تم الخروج الرسمي للسيرجون هي من مسرح الحياة المغربية ، بعد واحد وأربعين عاما من تكريسه نفسه لخدمة بلاده أو لخدمة البلاد التي

64 . رسالة محمد المفضل غريط الى جون هي في أواخر رمضان 1303/فاتح يوليوز 1886 محفظة المغرب بريطانيا ، ثم روجرز : « تاريخ ... » ص 270

كان يمثلها لديها . ولقد احتل مكانته المتقدمة . . . بسبب أمانته وصراحته وإخلاصه لبلاده وحبه للمغرب وفهمه له (65) .

وسنرى من سلوك خلَفه ، وخلَف خلَفه أن سياستهما كانت جَبْ لخطة رشيدة ، حرص جون كل الحرص على أن تكون سائرة فى نفس النهج . فرشح لها من كان يعرف المغرب ولغته وعوائده ، ومن كان معينا له مدة عشر سنوات وهو كربي كرين .

* * *

ثانيـا : وليـام كربي كـريـن W. Kirby Green

1 . نبـذة من حياتـه

ولد بمدينة نابولي بايطاليا سنة 1836 ، ثم صار سنة 1853 كاتبا للقنصل البريطاني العام بالقاهرة . ولما نقل الى المغرب ، أصبح سنة 1859 كاتبا خاصا لجون هي ، ثم عين فى يناير 1861 قنصلا بتطوان . وبعد ذلك غادر المغرب ، فصار سنة 1879 مكلفا بالأشغال بمونتطنيكرو (يوغوسلافيا) ، ثم عين قنصلا عاما بألبانيا (66) . وفى سنة 1886 عين سفيرا بطنجة ، فوصل إليها فى 7 أكتوبر 1886 ، حيث تقلد منصبه (67) . وكان «محبا لجميع الناس ، وهو خديم عاقل ماهر ، وصدرت منه الخدمة الناصحة فى جميع المواضيع التي كانت خدمتـه فيهم» (68) . وكان الى ذلك يتقن العربيـة والفرنسيـة والاسبانية . إلا أن حاله لم تكن على أحسن ما يرام مع المخزن ، لأن سياسته

---

65 . المصدر الاخير ص 270 — 271

66 . جان لوي مييج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 152 و ج 1 ص 116

67 . رسالة السلطان الى الطريس فى 5 صفر 1304/3 نونبر 1886 — محفظة الطريس ، ثم روجرز : «تاريخ ...» ص 273

68 . رسالة هي الى الطريس فى 29 يونيو 1886/26 رمضان 1303 — محفظة المغرب بريطانيا ، وجان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ، ج 4 ص 152

كانت ترمـي الى الدفـاع عن البعثـات التنصيريـة واليهـود والصحافـة البريطانية (69) .

ولعل أهم خلاف بينه وبين المخزن كان حول قضية طرفاية ، وتخويل الامتيازات الى المستوطنين والمحميين . ففي هـذا المعنى قـال الطريس لغريط : «فلْتَتَنَبَّهوا لهؤلاء الأجانب الذين يدّعون المحبة : يطلبون تبرعات عليهم بأمور مهمة ، والمخزن يتوقف فى بعض (الأحيان) على أغراض صغيرة منهم فيمتنعون . مثلا الانجليز : له بوسطة من حانوتين كانتا بيد ضَعَفَة المسلمين ، فسوعد لاخراجهم منها وتمكينهما له ....» . ثم ذكر أن حوانيت كانت «بيد أناس من هذا الثغر يتوارثونها خلفا عن سلف ويريد الأجانب حيازة استغلالها وطردهم لمن فيها» (70) .

وفى عهده بـدأت تظهر مساعي الشركـة الانجليزية نورث ويست أفريكان للاستيطان بالجنوب المغربي وخصوصا بمرسى طرفايـة أو كاب يوبي ، وكانت مثار صراع كلامي وديبلوماسي شديد بين المخزن والسفارة الانجليزية . وسيأتي عن ذلك كلام فى محله .

2 . قضيـة التلغـراف

ليست انجلترا هي البلد الوحيد الـذي طلب من المخزن إدخـال التلغراف الى المغرب . فقد كان لاديلاس ورديغة ممثل فرنسا ينوي أن يطلب رخصة جعله بالمغرب (71) سنة 1880 . بل لعله كان موجوداً قبل ذلك سنة 1866 بين تطوان وفاس «وصلبت على أعمدته رؤوس 17 عاصياً قطعوا قبل ذلك أسلاكه» (72) . وبعد ذلك طلبته اسبانيا كما سيأتي .

---

69 . المصدر الاخير ص 152 و 153

70 . رسالة الطريس الى غريط فى 11 رجب 1306/13 مارس 1889 — محفظة الطريس 15

71 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 36

72 . مقال بجريدة «سيمافور مرسيلية» فى 27 يونيو 1866 فى كتاب مييج «المغرب وأروبا» ج 5 ص 81 .

وكان جون هي قد التمس مد جهاز التلغراف من جبل طـارق الى طنجة ، ولكن ذلك لم يحصل ، فجدد الكرة كرين بعد ذلك ووضعت شركة «إستيرن تلغراف Eastern Telegraph» سنة 1888 أول خط بحري لها (73) .

وقد أسالت هاته القضية كثيرا من المداد وأجرى كرين عددا من الاتصالات حتى أذن السلطان لنائب «دولة النجليز بطنجة كاربي اكرين فى جعل سلك التلغراف بين طنجة وجبل طارق بحرا» على شروط خمسة ، هي حسب رسالة سلطانية :

1 ـ ألا يكون إلا بطنجة من البحر

2 ـ ولا يكون بمرسى أخرى

3 ـ ولا يكون في البـر

4 ـ وأن يكون بطنجة بالمحل الذي يعينه عامل البلد ونائب المخزن بها

5 ـ وذلك بعد قبول النواب للشروط المذكورة (74)

لكن رسالة أخرى بعدها ذكـرت أن السلطان لم يعط إذنـا لسفير انجلترا بجعل الطلغراف بين طنجة وجبل طارق (75) . وأكدت رسالة لاحقة بعد نحو السنتين أن السلطات الانجليزية استوردت حبلا بحريا لاصلاح الجهاز البرقي دون علم السلطان وموافقته . وعزا بعض الباحثين اخفاء ذلك عن مولاي الحسن الى تواطؤ النيابة السلطانية مع الأجانب فى هذا الأمر (76) .

---

73 . المصدر الاخير ج 3 ص 496

74 . رسالة فى 10 شعبان 1304/4 ماي 1887 ـ محفظة الطريس 10

75 . رسالة السلطان الى الطريس فى فاتح ذي الحجة 1304/21 غشت 1887 ـ محفظة الطـريس 10

76 . جرمان عياش : «الشعور الوطني فى مغرب القرن التاسع عشر» فى ملحق «العلم» فى 12 يبراير 1982 ، مستدلا فى ذلك برسالة السلطان الى المهدى الجراري فى 2 يبراير 1889/ فاتح جمادى الثانية 1306 ، المنشورة فى اللوحة 75 من «رسائل شريفة» لجامعها محمد نهليل .

ومع ذلك أرسلت انجلترا خمسة مراكب الى مرسى طنجة أواخر مارس سنة 1889 بقصد الوقوف على اصلاح السلك ، مما يدل على أن الرخصة كانت قد سلمت فعلا ، وأنه نُصب وتحطمت أسلاكه . وقد قام السلطان وقعد وأمر نائبه الطريس أن يسترعي على سفير انجلترا «إن أبى الا جعله قوة وافتياتا ، وتركه وعدم مقابلته بما ينافي المهادنة من المضاربة والمقاتلة» (77).

لكن المراكب أقلعت مرساتها في اليوم الموالي ، واستمرت المهادنة التي كان السلطان حريصا عليها بالرغم من ظاهر غضبه .

وقد قامت قائمة قبيلة أنجرة لهذا التلغراف الانجليزي كما قامت بعد ذلك للتلغراف الاسباني . ولما «تشكى باشدور النجليز المتوفى حين كان بمراكشة بأن أهل أنجرة أزالوا الأعمدة المار عليها السلك ببلادهم ...» (78) ألزم السلطان ترضيتهم قبل مرور السلك بناحيتهم .

3 . وفاة كرين

وهكذا كانت حياة كربي كرين صاخبة أحيانا مع المخزن ، بينما كانت حالته الصحية سيئة فذهب سنة 1889 للاستشفاء ببلاده بضعة أشهر وترك النيابة الى وايط (79) . وعاد في شهر يونيو «من سفره ، وحل بأطرافنا وقد خف ألمه بعض الخفة» حسب رسالة الطريس الذي أضاف فيها : «فلتردوا البال لأشغاله وأموره ، فانه لا زال مجتهدا في تنطعاته . ويروج الكلام بين هؤلاء الناس في جعل مقامهم بالركاب الشريف أينما حل ... وقد أُشيع هذا الكلام في بعض جوازيط الأهرام» (80) .

---

77 . رسالة السلطان الى الطريس في 27 رجب 29/1306 مارس 1889 .

78 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 ربيع الاول 14/1309 اكتوبر 1891 ـ محفظة الطريس 21

79 . رسالة كرين الى الطريس في 7 مارس 1889 ـ محفظة المغرب بريطانيا

80 . رسالة الطريس الى غريط في 10 شوال 9/1306 يونيو 1889

وأخيرا مات بمراكش يوم 24 يبراير 1891 بعد أن انفجر دماغه (81) ثم نقل جثمانه بحرا من مرسى الجديدة يوم 22 رجب/3 مارس الى انجلترا (82) ليأتي بعده من سيميل الى التنطع والتنمر وهو إيوان سميث الذي ستمر فى هبده العلاقات بين البلدين بأزمة خطيرة ، ولكنها عابرة عالجها المخزن ببرودة دم بزت البرودة الانجليزية الشهيرة .

* * *

ثالثاً : تشارليز ايفان سميث Ch. Evan - Smith

كان قبل تعيينه بالمغرب فى 3 دجنبر 1891 يعمل بافريقيا الشرقية بجزيرة زنجبار التي كانت تحت الحماية البريطانية ، ثم صار قنصلا سنة 1879 بمَسْقِط ، وكان قبل ذلك ضابطا بالهند سنة 1859 . ولم يبدأ عمله يظهر بالمغرب (83) الا حوالي منتصف سنة 1892 . وبعد عزله من منصبه ، عُين ببوكوطا عاصمة كولومبيا (84) ، تاركا العلاقات متدهورة بين البلدين .

فما هي أسباب هذا التدهور ؟ وما هي عناصره ؟ المعتقد أن الأسباب كانت هي النكسة التي تلت اعتزال جون هي ، وتردي الأحوال بعد تعيين كرين مكانه . أما العناصر فقد كانت تتمثل فى تعثر المفاوضات بين إيوان سميث وأعضاء المخزن من أجل ربط علاقات جديدة ، وفى محاولته إبرام معاهدة تجارية تخلف اتفاقية سنة 1856 ، وماتلا ذلك من قضية «الريكالو» ، وسعيه لفرض تعيين نائب قنصلي بفاس .

---

81 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص166

82 . رسالة أمناء الجديدة الى السلطان فى 22 رجب 3/1306 مارس 1891 — محفظة المغرب بريطانيا .

83 . من أوائل مكاتيب سميث رسالته الموجهة الى غريط فى 11 يوليوز 15/1892 ذى الحجة 1309 — محفظة الطريس 22

84 . جان لوى مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 261 وروجرز : «تاريخ ...» ص 282

3 . 1 : سياسة سميث

انسحاب جون هي ، وتعنت كربي كَرين مع المخزن ثم وفاته في بداية سنة 1891 ، كل ذلك فتح الباب على مصراعيه للنفوذ الألماني والنفوذ الفرنسي . فكادت بريطانيا العظمى أن تكون دولة متأخرة الرتبة عن غيرها . وقد سبق في فصل ألمانيا بطنجة بيان العواقب السياسية والاقتصادية لتوقيع المعاهدة التجارية المغربية الجرمانية سنة 1890 ، وأذكر هنا بأن فرنسا كانت تجري مفاوضات لابرام معاهدة مماثلة مع المغرب ، عقدت فعلا يوم 24 اكتوبر 1892 . فأين إذن مكانة انجلترا على المسرح المغربي ؟ وما هي جدوى معاهدة 1856 البالية ؟

لم يكن إذن بُدٌ من تعيين خلف لكربي كَرين ، ولم يكن مناص من تسمية سفير حازم مثل سميث «الذي عمل على استحواذ بلاده على زنجبار» (85) ، حتى قالت صحيفة «طايمز أوف مروكو» الطنجية في عددها يوم 4 أكتوبر 1891 إن السفير «سيعالج قضية المغرب ـ عند الاقتضاء ـ معالجتَه لقضية زنجبار» . وكانت وراء سميث مصالح كبرى بليڤيرپول ومنتشيسطر (86) . وقد ضغطت هاته الأوساط وكذلك مصالح تجار جبل طارق على حكومة بلادها للخروج من هاته العزلة ، وحَمْلِ السلطان على عقد معاهدة تجارية متحررة .

وقد أسفر هذا الضغط عن تغيير معطيات التسلسل الأوربي الذي أصبح ، منذ ذلك الحين ، قائما على قواعد قانونية ، وعن اعفاء التجار من كل مكس وضريبة (87) .

وهكذا كانت مهمة سميث شاقة وحرجة معاً ، بدأها بالمفاوضات السلمية ، وأنهاها بعنف لما أراد فرض نفوذ بلاده بفاس .

---

85 . جان لوى مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 262

86 . المصدر السابق أيضا

87 . «تاريخ المغرب» ص 289

3 . 2 : المفاوضـــات

التمس الوزير المفوض من المخزن إبطال النّخاسة ، وأعرب هو بدوره عن عزمه على إلغاء المحاكم المختلطة ورفع أضرار الحماية (88) التي كانت ، كما رأينا قبلُ ، نفس مطالب المخزن من ألمانيا عند توقيع المعاهدة التجارية معها . ثم ابتدأت المحادثات (89) .

كان خلال زيارته لفاس فى ابريل 1892 قد التمس منح مد خيوط التلغراف بين طنجة والصويرة ، وإنشاء خط للسكـة الحديدية بين فاس وطنجة ، وادخال المـاء الشرّوب للمدينة الأخيرة ، واحداث بنك للدولـة المغربية برؤوس أموال بريطانية ، وتنظيم قوة شرطية بثغر طنجة ، وفتح قنصلية بفاس ، وابرام معاهدة تجارية جديدة ، والاعلان عن ابطال الاسترقاق (90) كما تقدم .

وهكذا خرج سميث من طنجة فى آخر أبريل 1892 ، على رأس وفد يتألف من 20 شخصاً ، منهم 6 ضباط ، فوصل الى فاس يوم 12 ماي ، وبدأ أول اتصال يوم 18 منه ، ولم يغادر العاصمة الا يوم 13 يوليوز الموالي (91) .

وكان يريد تنفيذ شروط معاهدة مدريد ، ولاسيما فى قضايا التملك العقاري ، وامتنع سفير انجلترا «من المفاوضة فى أمر إباحة شراء الأملاك لرعيتهم بهذه الايالة ، وإسقاط لفظة «موافقة المخزن» من الشروط .... ولكنه أذعن الآن للمفاوضة فى ذلك فطلب .... إباحة الشراء فى أراضي على طول مراسي الكُوشْطَة من ناحية البر ، تكون قريبة من المراسي ، وتكون فى مساحتها أربع سوائع .... ويكون التملك بغير موافقة المخزن ، بحيث تسقط

---

88 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 269

89 . سنعرض لها فى ملحق خاص وسنأتي بوثيقتين فريدتين

90 . جلال يحيى : «المغرب الكبير» ج 3 ص 491

91 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 269 (1)

هاته اللفظة من الشروط ....» . لكن السلطان أصر على إبقاء عبارة «موافقة المخزن» والتمسك بوفق مدريد (92) .

ولما جنح للمفاوضة ، عين المخزن الكاتبين المفضل غريط وعبد الواحد ابن الموّاز ، ومعهما أربعة من الأمناء ، للمذاكرة معه فى شروط تسريح وسق القطاني والحبوب ، وفى قضية تملك الأجانب للأراضي والعقارات على بعد 15 ميلا من الشواطيء «وصاروا يترددون لمحل نزوله بقصد ذلك ثلاث مرات فى اليوم ، ولم يحصلوا معه على مُفيدٍ .... ولما أيس الموجّهون من إذعانه للحق ، أوقفوا المباشرة معه» (93) .

وهكذا قطع الصلة — حسب المصدر المخزني — مع المندوبين للمذاكرة معه ، وعوّل مرة أخرى على الذهاب الى فاس . ولكنه عاد من الطريق متهما الحكومة باهماله «وصار يزعم أن المخزن يُقابله مقابلةَ الأعداء ، وصيَّره كالمسجون فى محل نزوله» (94) ، عندما كان بفاس ، وطلب تنحية المفضل غريط من وفد المفاوضة .

وقد أطْلع المخزنُ نواب الدول على أن «مِنِسْطَر النَّجْليز شارل وان سميد كان يريد تجديد شروط التجارة بما فيه الضرر الفادح للرعية» (95) .وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل نشأت عنه مضاعفات أخرى كقضية تمزيق سميث نسخة من مشروع الاتفاقية التجارية المغربية الانجليزية .

---

92 . رسالة السلطان الى الطريس فى 26 قعدة 1309/22 يونيو 1892 ـ محفظة الطريس 22

93 . رسالة السلطان الى الطريس فى 7 حجة 1309/2 يوليوز 1892 ، بنفس المحفظة

94 . من رسالتي الطريس الى السلطان فى 28 ومتم حجة 1309/24 و 25 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

95 . نسخة من رسالة مخزنية الى باشدور فرنسا فى 15 حجة 1309/10 يوليوز 1892 ، محفظة المغرب فرنسا . وترجمتها الفرنسية أثبتها مييج فى «المغرب وأروبا» ج 5 ص 201

فكانت المعاهدة التجارية التي عقدتها ألمانيا مع المغرب إذن بمثابة النقطة التي أفاضت القدح . «ولما رأى أن المخزن لا يساعده على ما فيه الضرر ، من الشروط التي دفع نسختها ، وجه أصحابه للمُعيَّنِينَ لمباشرة أموره ، ذاكراً لهم أن المخزن ، اذا أعطى للباشدور مائة ألف ريال رِيكَلُوا ، يُسْقِط المسائل التي فيها الضرر من الشروط ، ويتساهل معهم فى باقي الشروط» . وحين بلّغوا ذلك للطريس ، وأراد النائب السلطاني إخبار وزير خارجية انجلترا ، كان سميث قد «تَنَمَّر وتَنطَّع ، وقام وقعد لذلك ، وازداد غيظه وقلقه . وزعم أن المُعَيَّنِين ردوا عليه ، طالبين أن يُعْطيَه المخزنُ مائة ألف ريال رشوةً على ما ذكر أعلاه ... مع أن الباشدورات لم يقبضوا رشوة من المخزن قط ، وأنهم منزهون عند المخزن من ذلك ، متحاشون عنه» (96) ولو أن سميث كان يتهم جميع ممثلي الدول بقبول رشاو من السلطات المخزنية ونفى ذلك عن نفسه (97) . وفعلا ، حاول المخزن أن يوجه رسالة للحكومة البريطانية على يد وزير فرنسا بطنجة ، «الذي قبل بالترحيب» (98) «وليكن كلامك مع الباشدور على وجه السر ، بحيث لا يعلم ذلك غيره من الباشدورات ... قبل أن يكتب الخصمُ لدولته ...» (99) ، ولكن الاختيار في النهاية وقع على سفير ألمانيا الذى طلب منه الطريس أن يكتم عن السفير الفرنسي وحاشيته رسالة المخزن . وكان بداخل الكتاب المخزني الشروطُ التي مزقها إيوان سميث ورمى بها (100) .

3 . 3 : بين «الريگالو» وتمزيق المعاهدة

قبل الحديث عن خبر تمزيق المعاهدة ، أتعرض لقضية «الريگالو» regalo (أي الهدية بالاسبانية) . وأعيد الى الذاكرة أني أشرت الى أن

96 . رسالة السلطان الى الطريس فى 20 حجة 1309/16 يوليوز 1892 محفظة الطريس 22

97 . بيير كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 275 (6)

98 . رسالة الطريس الى غريط فى 28 حجة 1309/24 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

99 . رسالة غريط الى الطريس فى 22 حجة 1309/18 يوليوز 1892 — نفس المحفظة

100 . مسودة مضمن المكاتيب التى وجهت للطريس فى 23 حجة 1309/19 يوليوز 1892 نفس المحفظة

نازلة مماثلة سميت قضية «مـال الفابور» favor (ومعناها الصلـة بالاسبانية) قد وقعت قبل ذلك في منتصف 1888 بين وزير الخارجية وريد لويس القنصل العام الأمريكي الذي هدد باستجلاب أسطول الولايات المتحدة لدك المغرب دكاً ، حتى يقبض 15 ألف ريال من يد المفضل غريط .

ولن تمسح هاتان القضيتان الاتهام الذي كان ملصقاً بغريط من أجل قبض الرشوة كما سيأتي .

هاتان المسألتان تطرحان طرحاً عنيفا مشكلة أجور الموظفين الصغار منهم والكبار . فلئن كان الأمناء وأمينهم يتقاضون أجرتهم من رَيْع المراسي ، مثلما تدل على ذلك رسائلهم ، فمن أين يأتي راتب وزير الخارجية ؟ ولا يكاد يكفيه ما كان يصرف له ولغيره بين الحين والحين من صلة ومونة وعولة من السلطان في الأعياد والمناسبات . وإذن قد لا يكون للوزير مناص من الطمع فيما بأيدي الناس ، ومن التبرطل والارتشاء .

كان السلطان ينوي فعلا تعيين أجور للوزراء ، مثلما فعل مع الأمناء والطريس وبعض القواد (101) . لكنه كان يرى أنه ، حتى لو فعل ذلك ، لن يقطع دابر الرشوة ، لأن المسؤولين اعتادوها ، ولذلك «كان تَبَرْطُل فضول غريط معروفاً ، وكان ميالا للمصالح الفرنسية التي كانت تقدم له مكافئات سَنيَّة ، وخصوصاً الدار التجارية فورج وشانطيي ، وشركة لپرانطان ، وكذلك المستوصف الفرنسي بطنجة ، حسب مراسلات دوبيني والدكتور ليناريس (102) .

وجاء في رسالة وصلت الى هذا الطبيب الفرنسي سنة 1892 : «ولايجوز لكم أن تشكوا مطلقا في سهولة إرْشاء وزير الخارجية ، فليس في هاته الايالة من نزيه الا السلطان» (103) .

---

101 . روجـرز : «تاريخ ...» ص 292

102 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 247 (6)

103 . المصدر السابق ج 5 ص 199

وفضلا عن ما تقدم ، كان غريط مدينا بمقادير هامة من المال لأبي بكر الغنجاوي (104) ، عميل بريطانيا الثري بمراكش ، ولاشك أن الوزير ــ عفا الله عنه وعن غيره ــ كان يعتبرها صلات ورشاوي ، ومع ذلك قبضها .

وقد سلف لي أن ذكرت أن جون هي وصف الادارة المغربية بشمول الرشوة والفساد ، ولا يصح الاعتماد ــ الا في شيء كثير من الحذر ــ على ما قاله غريطصاحب « فواصل الجمان »عن الوزير من أنه لما ولي «سُر أكثر الناس بولايته ، لما عهدوه فيه من انتصاره للحق ورعايته ، ونزاهته عن الطمع وإبايته ...» (105) . اذ التنزيه عن «الطَّمَع» دليل ضمني على وجود التهمة ابه . ثم إن أسلوب المؤلف يبعده عن الحقيقة التي لا يلتزمها ، التزامَه السجع في كلامه ،ورعايته في رنة اللفظ حفظ سمعة آل غريط .

وسواء برَّأ السي فَضُّول نفسَه أو نَزَّه المخزنَ عن قبض الرشوة أو عن بذلها ، وسواء دُفعت له أو دَفعها هو ، فقد سلمت الحكومة لسميث المائة ألف ريال التي طلبها من المعيَّنين للمفاوضة معه (وأحدهم من آل غريط) بعد أن كانت الحكومة البريطانية قد استُفْهمت عن صحة ذلك أو عدمه ، وأمر السلطان بتنفيذ هذه الذعيرة قائلا : «إننا أمضيناها على الوجه الذي أعطيت عليه الدراهم في قضية الطرفاية» (106) في شكل تعويض . وهكذا أسدل الستار عن هاته القضية التي لا يعرف فيها الفاعل ولا المفعول ، ولايدرى فيها وجه أداء هذه الذعيرة أو هذا «التعويض» الذي تقاضاه سميث فعلاً .

أما عن تمزيق المعاهدة فقد كذب ذلك الوزير البريطاني ، وقال انه انما قطع مشروع المعاهدة المقترحة . وشاهد ذلك طبيب البعثة العسكرية الفرنسية الدكتور ليناريس فقال إنه مزقها الى «ألف قطعة» (107) . وقال

104 . المصدر السابق ج 4 ص 269

105 . محمد غريط : «فواصل الجمان ...» ص 191

106 . رسالة السلطان الى الطريس في 17 صفر 10/1310 شتنبر 1892 ــ محفظة الطريس 23

107 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 275

روجـرز ان الورقـة الممزقة ما زالت داخـل المظروف فى المحفوظـات البريطانية (108) . ولم تورد الوثائق الظروف التي مزق فيها الوزير سميث تلك الأوراق ورمى بها عرض الحائط ، لكن الذي ثبت أن المخزن قابل أعمال الممثل البريطاني الطائشة بمنتهى الجلد وبرودة الأعصاب ، فالحكومة التي كانت لا تسعى إلا في ارتكاب أهون الأمـور ، رأت أن فى «تمزيقها أخـف الضررين» (حسب العبارة المخزنية الفقهية الشهيرة) (109) ، اذ ابادة مكتوب أفضل طبعا من قطع العلاقة بين الدول .

* * *

3 . 4 : قضية تعيين قنصل بفاس

وفضلا عما سبق ذكره من قضية الارتشاء وما صحبها من ملابسات ، جاءت حادثة أخرى لتزيد فى الطين بلة . حاول إيوان سميث الاتصال بالمخزن رأسا ، وذهب الى فاس وفرض تعيين ماك إيفَر ماك لِيئُود نائبا قنصليا بها فوقع اضطراب فى المدينة وهيجان ، حسبما سنرى .

ولكن الصحافة الدولية وجدت في هذا الافتيات مادة للكلام . ومن الصحافيين من كان له اتصال بالمخزن مثل الفرنسي ڤيال المسمى ده كرديك شيني الذي «نصح» المخزن بمنع «الانجليز من هذا التصرف ، والحيلولة ايضاً بينهم وبين تعميم الخلطة مع الفلاحين ، وحملهم على أداء الضرائب والمكوس . فلكم الحـق فى ذلك ، بمقتضى المعاهدات الدولية . ألزمـوا الفرنسيين بذلك أيضا ، وسيَضْطَر الوزير الفرنسي لتأييدكم ، على الرغم من أنه تشاجر معي ، وأعلم الآن أنه على خطأ . ومن جهة أخرى اني أعمل الآن بباريس ضد الحماية التعسفية» (110) .

108 . روجـرز : «تاريخ ...» ص 290 (12)

109 . رسالة الطريس الى اللورد روزبري فى 14 جمادى الاولى 1310/4 دجنبر 1892 محفظة الطريس 22 .

110 . رسالة غير مؤرخة من ده كرديك الصحافي الى المخزن فى كتاب جان لوي مييج «وثائق التاريخ الاقتصادى والاجتماعى المغربى فى القـرن التاسع عشر» ص 204 ، وهو الذى اسميه دائما الجزء الخامس من «المغرب وأوروبا»

وخلال رحلة إيوان سميث الى فاس سنة 1892 ، حدثت مظاهرة عمومية ضد نائب القنصل الذي رفع علم بلاده فوق داره ، في حين أنه لم يُعترَف به رسميا . وطالب السفير بتعويض قدره 2.000 جنيه ، وزعه على فقراء المدينة وبعقاب الباشا أمام الملأ (111) .

وما كان للمخزن أن يقبل تعيين القنصل ، بعد أن «عزم سميد بغتة على نصب سِنْجِق بمحل سكنى مكلاود النجليزي بفاس ، ذاكرا أن دولته أمرته بذلك .

«وحيث أن فاس من المدن الداخلية التي لم يعهد أهلها ذلك ، وعظم الأمر عليهم ، وقاموا وقعدوا ، وكاد أن ينشأ من ذلك أضرار شتى لا تخفى ، فنؤمل إصدار آكيد أمركم الى باشادوركم بالكف عن قصده» (112) .

وكان سميث ، زيادة على ذلك ، يريد اتخاذ نائب قنصلي بمراكش . ولما بلغ لعلم السلطان عزمه على تعيين بعض اليهود لهذا الغرض ، كتب للقائد محمد ويدَّة السوسي يحذره من تعليق السنجق ويأمره بنزعه «بلطافة حتى لا يقع فيه تمزيق ولا كسر» (113) .

وهكذا بقيت العلاقات متوترة بين الوزير البريطاني والمخزن ، وصارت الأصابع تشير اليه في تحريك فتنة الشيخ المتمرد عبد السلام الحمّام الذي كان قد رفض أن ينزل خط التلغراف بأرض أنجرة . ولما بلغت تلك الاشاعات لعلم السلطان قال للطريس يستفهمه :

«فقد بلغ لعلمنا الشريف أن الفاسد الحمّام الأنجري ورد عند باشدور النجليز لداره ، بعد رجوعه من حضرتنا الشريفة ، وبقي عنده يومين ،

111 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 247

112 . برقية من الطريس الى «الصدر الأعظم» روبرت سيسيل ماركيز سولزبوري والى وزير الخارجية روزبيري في 28 قعدة 1309/26 يونيو 1892 ـ محفظة المغرب بريطانيا

113 . رسالة السلطان الى محمد ويدة في 4 محرم 1310/29 يوليوز 1892 ـ محفظة المغرب بريطانيا .

وأمده بعدد من العدة والقرطوس وغيرهما ، ووجه ذلك إليهم فى مركب لهم بجزيرة قنقوس بأنجرة ، وأنزل ذلك هناك ، وصار يحرضه على الهجوم على دور النصارى الخارجة عن البلد ... وعليه ، فان صح ذلك فتكلم مع الباشدور المذكور فيه وَعرِّفْه بما تحته من المفاسد ... وعرّف النواب بما ذكر .... ليكونوا شهداء فى الاسترعاء عليه ...» (114)

لكن الطريس أثبت فى النهاية بطلان تلك الاشاعات (115) .

ولم يكن لنائب مثل إيوان أن يظل فى منصبه أكثر من ذلك ، ولذلك عين ريدجوي مكانه لمدة قصيرة الى حين استقرار إرنست سطاو ليمثل بلاده ابتداءاً من 29 غشت سنة 1893 . وليس فى المقـام متسع لبسط سياسته لخروجها عن نطاق هذا المؤلّف زمانا ، تلك السياسة التي ستعرف نكسة بَيِّنة على يد نيكولسن ، فى مطلع القرن العشرين .

ويجدر بنا الآن أن ننتقل الى أسرار المذاكرات كما وعدت بذلك سابقا.

---

114 . رسالة السلطان الى الطريس فى 9 محرم 1310/3 غشت 1892 ـ محفظة الطريس 23 . وتوجد نسخة من هاته الرسالة فى مجلة دار النيابة العدد الخامس 1985 ، ص 64 وهى بتاريخ 8 محـرم 1310

115 . رسالة السلطان الى الطريس فى 25 صفر 1310/18 شتنبر 1892 ـ نفس المحفظة ونصها موجود ايضا بمجلة دار النيابة كما ذكر سابقا .

ملحق

عن وقائع المفاوضات

آخر ما أذيل به هذا المبحث وثيقتان كاملتان عن ملابسات المفاوضة مع إيوان سميث فى شأن عقد معاهدة تجارية بين المغرب وبلاده .

المخزن كان يستشير الأمناء والتجار والعلماء والولاة فى مثل هاته الأمور (116) فكان ردهم بمثابة عناصر جوابية .

المستندان اللذان سأسوقهما عبارة عن مسودتين لتقرير لا تاريخ له . وكل القرائن تدل على أنهما وضعتا أثناء المفاوضات أو بعدها بقليل ، وعلى كل حال بعد 21 قعدة 1309/17 يونيو 1892 .

أول الوثيقتين حرر بعد الثاني ، وكان مرافقا له كما سيأتي . وهما معا تحتويان على جملة من الافادات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية التي لا نحتاج الى ابراز أهميتها ووجاهتها .

المسودتان محفوظتان بمكتبة تطوان الأولى تحت رقم 31/67 والثانية ذات رقم 21/65 . ونسختهما معا موجودة بمحفظة الطريس 22 بمديرية الوثائق الملكية بالرباط .

أ ـ نص الوثيقة الأولى

يبدو أنها موجهة الى الطريس ، ليستلهم منها رسالة جوابية واسترعائية لسفير ألمانيا ، الذي كان وسيطا بين المخزن ، و «دولة الضيف» التي هي إنجلترا ، و «الضيف» الذي هو ايوان سميث فى تعبير الوثيقة :

---

116 . بخزانة الحاج العربي بنسعيد أصل لمسودة غير مؤرخة وهى بمثابة جواب جد الحاج محمد عامل سلا ، عن رسالة استشارة تلقاها بلاشك من المخزن . ولا تتعلق المبيضة بـ 16 نقطة منه قد يدل على أنها لا تتصل بنفس المعاهدة التى نتحدث عنها .

«الحمد لله ،

«وصل كتابك المتضمن لما شافهك به المُحِبّ الذي سميت من :

«ـ أن دولته أخبرته أن دولة الضيف أعادت المفاوضة معها فى طلب موافقة الضيف على ما يطلبه فى مسئلة توسيع نطاق التجارة بالمسامحة للأجانب فى تملكهم للأملاك بأوجه التملك ، وأمرته بالكَتْب للمخزن فى ذلك . فكتب لك بما فى كتابه الذى وجهتَ ، مُعْلِماً أن دولته تشير بالخصوص على الجناب المخزني أن يمنح الأجانبَ حقَّ تملك العقارات فى المراسي المفتوحة للتجارة .

« ـ ومن أن هذا المحب المشافِهَ لك بما ذُكر شافَهَكَ أيضا على وجه السر أن دولته لا تسمح أبدا ، ولا تساعد قطعا ، فى كل مسئلة تُنْتِج ضررا للمخزن أو لرعيته .

« ـ وأن السبب فيما كتَبَ به بأمر دولته هو تكرار دولة الضيف الطلب من دولة المحب بأن يساعد الضيف ويتوافق معه .

« ـ وأن هذا الكتاب محصور فى تسهيلات التجارة فقط ،

« ـ وأن الغرض منه هو تسهيل المخزن فى مسائل التجارة ، العائد نفعها عموما حيث ذلك متعين ، ويُظْهر الخير والاحسان .

« ـ وأن كل مسئلة يظهر أن فيها ضررا للايالة فللمخزن النظر فيها ،

« ـ وأن من الرأي أن يَرجع هذا الضيف مجبورَ الخاطر فى بعض المسائل التي لا ضرر فيها .

* * *

«فأجيبْ المحب المشار اليه بأن الضيف لما ورد لهنا قوبل بالجميل، وعومل بمزيد المودة والمبرة والاكرام .

«فاذا بهظهر منه خلاف المعهود من سفراء الخير والهناء بين الدول، وتبين منه ما لا ترضاه دولته، لأنها لم توجهه الا لأجل ما تقتضيه المحبة، لا للسعي فى تغيير العوائد وخرم القواعد وتكدير الخواطر وإحداث الضرر .

«ومع ذلك تساهل المخزن معه مراعاة لمحبة دولته، وباشر معه الشروط التجارية التي دفع نسختها وقَبِلها . عدى شروط ثلاثة منها تضمنت :

« — 1 : تسريح القمح ببليون 8، والشعير ببليون 4، وتسريح البهائم على الدوام،

« — 2 : وتسريح الحبوب من مرسى الى مرسى بدون صاكة، وكذلك الحيوان،

« — 3 : وإسقاط لفظة «موافقة المخزن» من الشرط المقرر فى شراء الأرضين والأملاك،

«فلم يقبلها المخزن .

أ — «أما تسريح القمح والشعير بالصاكة المشار اليها، وتسريح البهائم على الدوام، فأجابهُ المخزن عنه بأن ذالك كان عُرِضَ على الرعية، لما كانت الشروط تُبَاشَر بطنجة . ووقع الكلام فيه، فأنِفَتْ من ذلك، وقامت وقعدت وصار الناس ينادون بالجهاد فى أسواقهم ومجالسهم وقبائلهم، وخامر التشويشُ القلوب، وتزايد الروع حتى كتَبَ للحضرة الشريفة بعضُ النواب بعدم استحسان ذلك، وأنه يكفي قول المخزن لهم إن الرعية لا تريد ذالك، ولا يحتاج الى اعلامها حتى يقع منها هذا الهَرَج .

«وكان طلبها باشدور الألمان، وأُجيب بذلك فقبِلَ العذر . ولما تكلم فيها هذا النائب أُجيب بذلك، وبأنه، على الفرض والتقدير، لو لم يكن

من ذلك الا عدم المساعدة لجنس عظيم كبير سبق فى طلبها ، لكان كافيا فى منع من يطلبها بعده . لأنه لو كان تسريحها لا ضرر فيه لكان هو أحق بها . زيادة على ابطال حرية المخزن فيها ، وأحرى مع الضرر .

«وقد بيَّن له الأمناءُ المباشرون معه لتلك الشروط بعضَ الضرر الحاصل له فى خاصَّة نفسه وفى غيره من ذوي الحِرَف : بأنه كان يشْتَرى قبلُ مثلا الحبْ بَبَسَّيطَة ، فلما سُرح صار يباع بأربعة ، والأجر (117) كان يشتري من أجرته ما يقتات به من الخبز ، ويفضُل له ما يشتري به الادام ، فاذا به صارت لا تكفيه للخبز .

«ومع ذلك لم يقبل من المخزن كلاما ، ويقول ان ذلك كله عرفته دولته ، ولا تقبل منه الا التنفيذ ، ولا عليها فى ضرر ولا فى مراعاة أحد ، وبأن البهائم في وسقها ضرر .

«فلم يقبل ذالك .

ب — «وأما تسريح الحبوب من مرسى الى مرسى وكذلك الحيوان بدون صاكة ، فأجابه المخزن عنه :

« — بأن الحبوب مسرَّح" وسقُها فى اسم المخزن للمرسى المحتاجة اليها من مراسي الايالة بلا أعشار . والاذن بذلك عند النائب والعامل والأمناء ويتطوان عند العامل والأمناء كذالك . كلما احتاجت البلد الى نوع من الحبوب أن يكتبوا لأمناء الدار البيضاء والجديدة بتوجيه ما تحصل به الكفاية ،

« — وبأنها مسرحة على يد الألمان بالأعشار وللنواب بدون أعشار .

« — وبأن البهائم والماشية مسرحة برأ ، يذهب بها من هي بيده حيث شاء ، إذ لا موجب ولا سبب فى وسقها من مرسى الى مرسى .

---

117 . كذا فى الأصل بتسكين الجيم . والمقصود هنا هو الأجير

«لأن ما بين المراسي من طنجة الى أكادير كله من قبائل الطاعة والهناء والعِمَارة والكلأ وتنفيذ الأوامر المخزنية على مقتضاها . وليس عند المخزن قبيلة من ذوي العصبية والشوكة والدّعارة والفساد كزمور ونحوهم ، بين مرسى من المراسي حتى يُحتاج الى وسقها بحرا ، احتياطا من القبيلة المذكورة ، أو لكونها تتعدى ، وضاعت لهم فيها أموال وكذا وكذا إلخ ، فيُحتاج الى الوسق بحرا من أجل هذه العلة ولأجل هذه المصلحة ،

«فلم يقبل ذالك .

ت ـ «وأما إسقاط لفظة «موافقة المخزن» من الشرط المشار اليه ، فأجابه عنه المخزن بأن هذا شرطهم ، وهم مُقَرّون عليه بموافقة المخزن ، ولم يُمْنَعوا منه ، ولا زالوا عليه الى الآن وحتى الآن .

«وطلب منه المخزن المفاوضة فى أمره بأن يُعْطِي بكل مرسى من المراسي المفتوحة للتجارة محلا لسكنى تجار الأجناس وتعاطي التجارة ، ويختص كل تاجر محقَّق التجارة أو كُبَّانيَة بمساحة من ذالك المحل على قدر الحال ، بجزاء سنوي أو شهري ، يبني فيه كفايتَه من ماله الخاص ، ويُضْرَبُ له أجل للفراغ من بناء ذالك ، بحيث اذا تأخر عن البناء حتى انصرم ذالك الأجل ، انفسخ ذالك الجزاء . ويكون ذلك على قانون أنه اذا مضت عدة من السنين رجع المحل ببنائه ملكا خاصا للمخزن كما هو الجاري فى أراضيهم ، ويعقَد لهذا القانون وهذا المقصد شروط تَخُصُّه ، وكيفية تَحَصُّنه ،

«فلم يلتفت ولم يُذْعِن وقال : لا يجيب عن شيء من ذالك ، إلا اذا سوعد على فصل تسريح الحبوب والبهائم .

«والمخزن موجود للمفاوضة معه فى شرط شراء الأملاك ، وتيسير أمره ، متى شاء ، على نحو ما ذكر .

* * *

«وتقدم لك الاعلام بما ذكر بتاريخ 21 من ذي القعدة تاريخه .

«ونسخة ، من الشروط التجارية التي دفـع ، تصلك صحبةَ هذه الورقة (118) ، مقيدا عليها ما دار بينه وبين المخــزن فيها ، لتعلم منها أن المخزن تساهل معه فيها ، عدى المسائل الثلاثة المذكورة أعلاه ، فلم يقبلها منه ، لما فيه الضرر البيِّن . ولا زال طالبا تنفيذ هذه المسائل الثلاثة على وجه الالزام ، ذاكرا أن دولته أمرته بذالك ، وأن جميع الدول موافقون على ذالك.

«كما يصلك بطيه أيضا تنفيذ مطالب أُخرى له ، مع ما أجابه بـه المخزن عنها .

«فطالِعْ بالجميع المحبّ المذكور ، ليعلم به دولته المحبة ، فَتَتَعْلِمْ به دولة الضيف ، ليلا يكتب لها بغير الواقع .

«وجازِ المحب خيراً على تنبيهه على ما ذكر ، واسْتَنِبْهُ في مجازاة دولته المحبة بأتم الجزاء» .

* * *

ب ـ نص الوثيقـة الثانيـة

كتب المفاوضون المغاربة يمنتها مضمن مشروع المعاهدة التجارية فصلا فصلا ، بينما كُتِبَ بالأيسر من المستند جوابُهم عن كل نقطة منها ، مستندين اساساً الى معاهدة 9 دجنبر 1856 القديمة وعرضا الى المعاهـدة التجارية المغربية الاسبانية والمعاهدة التجارية المغربية الالمانية .

أهـم مادة للنـزاع تعلقت بالفصل التاسع (حريـة وسق الحبوب والحيوانات) والفصل الثالث عشر (الحق فى تملك العقار) .

* * *

---

118 . هي الوثيقة الموالية

السـؤال | **الجـواب**

الحمد لله ،

الفصل الأول

النسخة التي دفع الباشدور موافقة" في المعنى لشروطهم القديمة ومع الألمان ، ومخالفة لها في اللفظ ، إلا لفظ الحرية في الاتجار فزائد في النسخة . وقد وقع الكلام عليها مع الباشدور فقال : تُسْقَطُ .

فيه زيادة لفظ «الحريـة» . وقد سَلَّم إسقاطَها .

الثانـي :

موافـق كذلك . وكـان في النسخـة مستثنى من الممنوعـات : النّصال والكوابيس والخناجير وملحة البارود والكبريت . فكُلِّم في ذلك ، فسلَّم إبقاءه على منعه .

قد سلَّم ما كان استثنى منه ، وأجرى الجميعَ على ما في القديم .

الثالث :

موافق للقديم كذالك إلا لفظ «محصولات الأرض» كانت زائدة في النسخة . فكلم فيها وأُسقطت .

فيه زيادة «محصولات الأرض» وقد سلَّم اسقاطَها .

الرابــع :

في شأن أعشار الموضوعات . كانت في القديمة بعشرة في المائة ، وفي النسخة بخمسة في المائة للمنسوجات، وثمانية لما عداها . فرُوجِع في ذالك فسلم العشرة في المائة ، لما عــدا المنسوج من الحرير والمَلْف فيكونان بخمسة في المائة . كما أنه كُلِّم في جعل الأعشــار بالبَلْيون وتقــويــم السلع به فسلمه .

قد سلَّمَ منسوج الحريــر بخمسة في المائة ، جبراً للخاطر ، كما جُبِرَ بزيادة الجوهر وحجر الياقوت بخمسة في المائة أيضا . وأما المَلْف فيبقى بعشرة .

الخامس :

موافق للسادس من القديمة. ومضمنه عدم الزيــادة على ما يعطــي غيرهم . فيما يَرِد من السلع وفيما يخرج منها .

موافق ، مسلَّم

السادس :

في شأن المسائل الخارجــة وصاكتها .

جوابــه مقيــد على تقييــد الطَّرِيفَة .

السابع :

في عدم إعطاء المكس والغرامة زيادة على ما ذكر في أعشار السلع

العمل على شــرط مدريــد الجاري به العمل ، فيُبَدَّلُ به

الداخلة وصاكتها الخارجة . وهـذا موافـق للشـرط الثالث من القديمة ومناقض لشرط مدريد الموافق عليه.

الثامـن :

فى شأن مخاطيف المراكب والبابورات وأجرة رئيس المرسى . وهو مخالف لشرطهم القديم في تقدير ما كـان يُعْطى ، وموافـق لشـرط الصبنيول .

التاســع :

يطلبُ فيه أن يوسق من مرسى الى مرسى ، بعد حط الوثيقة فيما يوسق ، جميعُ المُسَرَّح وسقه الشامل للقطاني وغيرها. وذالك كائن فيما عـدا بعض المسائل كالحبوب ، فانها لا توسق الا بالأعشار .

كمـا يطلب أن يوسق مـن مرسى الى مرسى جميـع المسائـل الممنوعة كالبهائم والماشية . وهذا الشرط زائد على ما في القديمة ومخالف لشروط الألمان : من كـون الممنوع يبقى على منعه ، والحبوب لا توسق من المرسى الا بصاكتها .

العمل جار به اليوم

أما الحبوب فمسرح وسقهـا في اسم المخـزن للمراسي المحتاجـة اليها من مراسي الايالـة بلا أعشار . والاذن بذلك عند النائـب والعامـل والأمناء ، وبتطوان عند العامل والأمناء كذلك . كلما احتاجت البلد الى نوع من الحبـوب أن يكتبوا لأمنـاء الدار البيضاء والجديدة بتوجيه ما تحصل به الكفاية .

وأمـا البهائـم والماشيـة فمُسَرَّحة برا ، يذهب بها من هي بيـده حيث شـاء . إذ لا موجـب ولا سبب في وسقها من مرسى الى مرسى.

لأن ما بين المراسي من طنجة الى أكادير كله من قبائل الطاعة والهناء والعِمارة والكلأ وتنفيذ الأوامر المخزنية على مقتضاها . وليس عندنا قبيلة من ذوي العصبية والشَّوْكة والدَّعارة والفساد كزمور ونحوهم بين مرسى من المراسي ، حتى يحتاج الى وسقها بحرا ، احتياطا من القبيلة المذكورة أو لكونها تتعدى وضاعت لهم فيها أموال وكذا إلخ ، فيُحتاج الى الوسق بحرا ، من أجل هاته العلة ولأجل هاته المصلحة .

فلم يقبل ذلك .

العاشر :

تضمن طلب بناء المونات بالمراسي والمنارات لضوء المراكب واستخراج صائر ذلك . وهذا لم يُذْكَر لا في القديمة ولا في الألمانية.

لم توجد ، عند التأمل ، مناسبة لادراجه في الشروط . لأن لجانب المخزن ، أعزه الله ، الخيارَ فيما تقتضيه المصلحة من ذالك : كالمنار بطنجة لما طلبوه ووافق عليه الأجانب ساعد المخزن عليه لظهور المصلحة فيه ، وكالمون بالجديدة وبالعرائش . فكذا ما تتعين المصلحة فيه بعدُ من مثل ذالك ، وتقع موافقة النواب عليه يساعد عليه ان طلبوه واقتضته المصلحة .

الحادي عشــر :

في التعريف بالمراكب التي لهم بالكواغد على شرعهـم . وكذلك مـراكبنـا لا تسافـر الا بالتعريـف بالكواغد على شرعنا . ولم يكن هـذا بالقديمة ولا بالألمانية . وهو لا بأس بـــه .

هذا مسلم جار به العمل فيما **بينهـم .**

الثاني عشــر :

موافق للرابع من القديمة . وفيه لا تقبل مداخلة ولاة المخزن فى أُمورهـم . فكُلِّمَ بـأن يُخَصِّص بالأُمور التجارية ففعَل .

موافق كما قد علم

الثالث عشــر :

في شأن اشتراء واكتراء دور السكنى وخزائــن التجارة ، وجَرْيِ العمل فيها معهم على مقتضى قانــون حاكـم البلد إلــخ . وبعضه موافـق للشرط الرابع من المعاهدة القديمة . والزوائد المضروب عليها في النسخة لما كُلِّم الباشـدور فيهـا ، وعَدَ باسقاطها بعد الملاقاة بجلالة سيدنا الشريفة ، وقد وقعت .

هذا شرطكم وأنتم مُقَرُّون عليه ، بموافقة المخزن ، ولم تمنعوا منه ، ولا زلتم عليه الى الآن وحتى الآن

وقد طلب منه المفاوضة في أمـره بـأن يُعطِيَ بكـل مرسى من المراسي المفتوحة للتجارة محلا لسكنى تجـار الأجنـاس وتعاطي التجـارة ، ويُخْتَصُ كل تاجر محقق التجارة أو كبَّانية بمساحة من ذالك المحل على قدر الحال بجزاء سنوي أو شهري ،

يبني فيه كفايته من مالـه الخـاص ، ويُضْرَبُ له أجل للفراغ من بنـاء ذلك ، بحيث ان تأخر عن البناء حتى انصـرم ذالك الأجـل انفسخ ذالك الجزاء . ويكون ذالك على قانون أنه : إذا مضت عـدة من السنين ، رجـع المحل ببنائـه ملكـا خاصا للمخزن ، كما هو الجاري في أراضيهم . ويعقد لهذا القانون وهذا المقْصِد شروط تخصه ، وكيفية تحصّنه .

فلم يلتفت ولم يُذْعِن وقال : لا يجيب عن شـيء من ذالك ، الا اذا سوعـد على فصل تسريح الحبـوب والبهائم . والمخزن موجود للمفاوضة معه في شراء الأملاك ، وتيسير أمـره على نحو ما ذكر .

الرابع عشر :

في شـأن ما يترتب على من قَبِض بيده كَنْطَرَبَانْض أن يحاز منه الخ . وهو موافق للثالث عشر من شروط التجارة القديمة .

موافق مسلّم .

الخامس عشر :

في قلب الأسامي في الماركات المربوطة . وهذا ليس فى القديمة ولا فى الألمانية .

هذا الشرط : الكلام فيه مع أربات الفَبْرِكات . اذ لا سلعة تخدم عندنا بالفَبْرِكة . وأمناء المراسي أيضا لا مدخل لهم في ذالك ولا عهدة لهم عليهم فيه ، وإنما العهدة على صاحب الفبركة الذي يفعله .

السادس عشر :

في شأن اصطياد المرجان ، وهو موافق للشرط المُوَفِّي ستين من شروط الصبنيول فهو معمول به .

مسلم

السابع عشر :

فيما عسى أن يحدث بين رعية الجانبين من الاختلاف والنزاع على شأن أمور المحاسبة والديون التجارية الغير المبنية على رسوم عدلية بمقتضى شرع الاسلام . كَلَّمَ الباشدور فأجاب بأن يبقى موقوفا حتى يتلاقى ، وقد تلاقى .

يُنْتخب ، لفصال ذالك ، البعض من التجار من قبل المدعي والمدعى عليه ، ويحضر أحد من مخزن الجانبين ، ويكون الحكم بطنجة على يد نائبهم أو باحدى المراسي .

الثامن عشر :

فيما يُفتَح بعد من المراسي. وهو موافق للشرط الثاني عشر من القديمة .

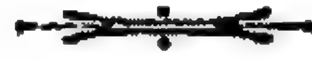
العمل بهذا فيما عسى أن يفتحه سيدنا أيده الله من المراسي بعدُ . ولا يُختَص في الشروط محز بالذكر .

التاسع عشر :

مضمنه أن ما احتوت عليه هذه الشروط اللاحقة بجميع مُستَمْلكات دولة النجليز وممالكها 12 المبينة بالنسخة .

هذا الشرط لا معنى له ، لأن المخزن إنما يتعاقد مع النجليز بواسطة الباشدور فيمن يشمله حكم النجليز . ومن ليس شاملا حكمه له ، فلا كلام لنا فيه .

5 : اسبانيا



مواد هذا الفصل هي :

1 . السلك الديبلوماسي والقنصلي

2 . العلاقات المغربية الاسبانية بما اشتملت عليه من قضية مليلية وشؤون الهجرة الى المغرب ، وإدخال التلغراف الاسباني الى سبتة ، وما تلاه من فتنة عبد السلام الحمام

3 . المحميون والمستوطنون .

وعلى هذا الترتيب سيُطرق الموضوع .

* * *

المطلب الأول : السلك الديبلوماسي والقنصلي

أولا : **الوزراء المفوضـــون**

مثل اسبانيا بطنجة فى هاته الفترة عدة وزراء وقناصل عامين كان أولهـم :

1 . **خوان بلانكو ديل بايّي** Juàn Blanco del Valle الذي بدأ عمله من غشت 1858 الى 1860 بوصفه قنصلا عاما لبلاده ، خلفا عن كارلوس اسبانيا Carlos Espana الذي خصص أوقاته للتجارة (1)

---

1 . جان لوى مييج «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 308 (4) و ج 3 ص 160

2 . **فرانسيسكو دي پاولا ميري إي كولوم** F. de Paula Merry y Colom
المولود باشبيلية سنة 1829 ، والمتوفى سنة 1900 . وقد عين بطنجة سنة 1860 برتبة وزير مفوض ، واستمر في منصبه الى شتنبر 1872 . وفي سنة 1875 عين سفيرا ببرلين حتى 1878 .

وهو أحد الغلاة الذين كانوا يطالبون بسياسة حازمة ونشيطة ضد المغرب . وزيادة على ذلك ، كان أحد صنائع الجنرال أودونيل قائد قوات الاحتلال الاسباني بتطوان إثر معركة وادْراس (2)

وتلاه في هذه الوظيفة نواب كانوا يستبدلون بسرعة ومنهم :

3 . **فلورينتيو سَانس** Florentino Sanz الذي استقال في يناير 1874 ، لكيلا يُزَكِّيَ حل قضية الأسارى الاسبانيين المعتقلين بوادي نون ، إذ كان يعتبره حلا مُجْحفا . وبعده عين :

4 . **أدولفو پاتْشُوتْ إي أتشَابال** Adolfo Patxot y Achaval
ولم يلبث في منصبه الا حوالي سنة ، حتى خلفه :

5 . **إدواردو روميا يانكوس** E. Romea Yangos (3) الذي يبدو أنه كان قنصلا في البداية ثم صار وزيرا . وكان يبالغ في وصف الاعتداءات الواقعة على الرعايا الاسبانيين بالمغرب ، مع أنه لم يُرْتَكَبْ الا اعتداء واحد. وكان رأيه مماثلا لأفكار ميري إي كلوم في تفكيك وحدة المغرب . فقد قال هذا الأخير لسكوڤاصو «منذ 8 أو 9 سنوات : ان امتلاك اسبانيا مسألة وقت . فمتى حُلت قضية المشرق ، حُلت قضية المغرب» (4) بالتبعية .

---

2 . المصدر السابق ج 1 ص 142 و ج 3 ص 187 و 160

3 . المصدر السابق ج 3 ص 187

4 . المصدر السابق ج 5 ص 165 ، حسب رسالة من وزير ايطاليا الى وزير خارجية بلاده في 24 شتنبر 1878

وظل روميا ولو بعد انتهاء مأموريته «ينتقد فى حملة صحافية سياسة اسبانيا بالمغرب القائمة على الاعتدال» (5) .

وبعد هؤلاء الثلاثة السابقين ، أسندت النيابة عن اسبانيا الى وزراء آخرين شغلوا مناصبهم مدة طويلة نسبيا . ومنهم :

6 . **خوسي دْيُوسْدادو إِي كاسْتِيُو** José Diosdado y Castillo الذي كان أحد معيني ميري إي كولوم ، منذ 1871 على الأقل (6) . ولم أقف على تحديد تاريخ تعيينه وزيرا ، ولكنه ظل بطنجة حتى عين سفيرا بالسويد سنة 1889 .

وكان ـ بخلاف ميري إي كولوم ـ معتدلا فى سياسته ، تبعا لتعليمات حكومته . وكانت علاقاته طيبة مع المخزن . ولما عين بالسويد ، أهدى للسلطان قبل التحاقه بمنصبه الجديد كُمـيّة صغيرة مذهبة (7) .

وما لبث بعد سنتين أن طلب الاعفاء من وظيفته بالسويد ، « والرجوع للخدمة بطنجة» . وكانت له عرصة بهاته المدينة ، فالتمس «الانعام عليه بطَرِيِّفٍ من مَرْشان ، ليكمل استواء جهة من عرصته . وهذا الطريف تافه ، لا ضرر فيه على الطريق» (8).

وإذ كان السلطان يخشى أن يكون فى ذلك ضررما ، لم يأذن له ، ولكنه قال للطريس : «فان رأيتَ ألا ضرر فيه فنفذْه له» (9) . ولم يفتأ ـ بعد ذلك بقليل ـ أن «طلب الاذن ببيع عرصته التي بمرشان وقطعتين من الأرض ، واحدة قريبة من العرصة ، والأخرى بجهة البحر» (10) .

5 . «الوثـائـق» ج 4 ص 101

6 . رسالة ديوسدادو الى بركاش فى 14 حجة 1287/7 مارس 1871 ـ محفظة بركاش

7 . رسالة السلطان الى الطريس فى 29 رجب 1306/31 مارس 1889 ، محفظة الطريس 15

8 . رسالة السلطان الى الطريس فى 18 شوال 1308/26 ماي 1891 ، محفظة الطريس 20

9 . رسالة السلطان الى الطريس فى 2 محرم 1309/8 غشت 1891 ، نفس المحفظة

10 . رسالة أمناء طنجة أحمد بن محمد بناني ومحمد فرج وعبد السلام أحرضان الى السلطان فى 8 قعدة 1309/4 يونيو 1892 ، محفظة طنجة 3

7 . فرانثيسكو رفائيل فيگيرة : Francisco Rafael Figuera
الذي دخل الى الحياة الديبلوماسية سنة 1843 بوصفه ملحقا بلشبونة ، وفى غشت 1888 عين نائبا لكاتب الدولة . وفى يناير 1889 حل محل ديوسدادو بطنجـة .

وظل فى منصبه حتى يناير 1893 عندما عين سفيرا باسطنبول (11) . وخلفـه :

8 . المركيس فورناري دي پوطيسطاد Fornari de Potestad
الذي سلك بدوره «سياسة اسبانية جديدة قد يكون ابتعد بها عن الألمانيين ، وخصوصا عن الانجليز ، وكان يعمل على غزو طنجة حتى الجبل الكبير بواسطة إسبانيين من الطبقة الدنيا . وأستطيع أن أؤكد لكم أن دي پوطيسطاد متفق مع مقالاتي ضد الحمايـة التعسفية ... لكن لا ينبغي أن أكتمكم أن الحـزب الاسباني ، من أجل التحالف مع ألمانيا وانجلترا لاقتسام رفات المغرب ، لا يزال قوي الشوكة باسبانيا ، ولا أدري هل سيعرف المركيز كيف سيقوي جانب السياسة المغربية على جانب سياسة الوزير السابق ديوسدادو ، فيطرد القنصل لوثانو» حسب رسالـة الصحافي الفرنسي ده كرديـك شيني الى المخزن (12) .

* * *

ثانيـا : القناصـل

هذا عن الوزراء . أما القناصل فكان منهم زيادة على روميا سالف الذكر :

1 . **هـ . دي أونْسِيَّا** H. de Uncilla الـذي كـان سنة 1871 قنصلا (13)

---

11 . جان لوي مييج «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 220 (2 و 3)

12 . المصدر السابق ج 5 ص 204

13 . منفشطة البابور «ليون روج» الوارد لطنجة فى 16 يبراير 1871 ، محفظة طنجة 1

2 . **بيدرو أ'رْطيث دي سوڭاسطي** Pedro Ortiz de Sugasti
المعين حوالي 1872 وكان أيضا قنصلا بالرباط (14)

3 . **فرانثيسكو ڭونثاليث** Francisco Gonzalez وكان سنة 1882
قنصلا (15)

4 . **فرانثيسكو سوليبيريس** Francisco Soliveres ، وكان قنصلا
فى حدود سنة 1882 وما بعدها (16)

5 . **مانويل ألباريس دي طوليدو** Manuel Alvarez de Toledo
وهو ايضا كان حوالي 1893 موظفا (17)

6 . **فرانثيسكـو لوثانو مونيوث** Francisco Lozano Munoz
الذي كان قنصلا بالعرائش (نونبر 1868) ثم بالصويرة (1881) وكان فى دجنبر 1883 قنصلا (18) . ويبدو أنه كان من دعاة التصلب ، ولم تكن ترضى عنه السلطات المخزنية والأوساط الديبلوماسية . وكانت له تقارير وتآليف .

7 . **كانديدو ڭاليسيا** Càndido Galicia الذي تولى سنة 1894
المهام القنصلية (19) .

* * *

14 . رسالة بيدرو الى بركاش فى 29 شتنبر 1872 ، محفظة بركاش

15 . رسالة بركاش الى خوسي ديوسدادو فى 26 قعدة 1299/9 أكتوبر 1882 ، نفس المحفظـة

16 . رسائل بمحفظتي الطريس 8 و 13

17 . رسالـة دي فورناري الى الطريس فى 14 غشت 1893/1 صفر 1311 ، محفظـة الطريس 25

18 . رسالة لوثانو الى الطريس فى 21 حجة 1311/25 يوليوز 1893 ، محفظة الطريس 26 ، وجان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 210 (5)

19 . رسالـة كانديدو الى الطريس فى 12 يبراير 1894/6 شعبـان 1311 ، محفظـة الطريس 26

ثالثـا : موظفـو المفوضيـة

ولم أقف على غير هؤلاء القناصل . ولا بد أن أنهي الكلام بالحديث عن بعض الموظفين بدار المفوضية الاسبانية بطنجة ، منهم اثنان فقط وهما :

1 . **بَنْسيسْلاوْ راميريث دي بِيَّاوْروتْيا** Wenceslao Ramirez de Villa-Urrutia وهــو من مواليد سنة 1858 وتقلب فى مناصب مختلفة بأمريكا وانجلترا والبرتغال وفرنسا بوصفه كاتبا للسر . وكان ملحقا بالمفوضية بطنجة ، وصاحَبَ ديوسدادو فى سفارته الى مراكش سنة 1882 . وأثناء مؤتمر مدريد عُين أحدَ كتاب الجلسات (20) الأربعة .

وبعد انفضاض المؤتمر ، أنعم السلطان عليه وعلى الكتاب الثلاثة الباقين بسكين «مذهب مُجبَّر مُزَدَّج لكل واحد منهم ، واتحف بألف ريال» الترجمان رينالدي آتي الذكر «مجازات ... على وقوفهم معكم ، وأخذهم بيدكم حين كنتم بمدريد» (21) ، وكذلك على رئيس الحكومة الاسبانية ووزير الدولة (أي الشؤون الخارجية) .

2 . **انيبال رينالدي** Anibal Rinaldy

ولد بدمشق من أب ايطالي وأم مالطية . وعمل سنين طويلة بمفوضية اسبانيا بطنجة ، وكان له نفوذ وتأثير كبير لدى الموظفين المغاربة بسبب لباقته وإتقانه للعربية (22) . وكثيرا ما كان الكتاب المخزنيون يحرفون اسمه الى الرّيلانْدي . وقد شارك ـ كما قلتُ ـ فى مؤتمر مدريد بوصفه ترجمانا .

لبث فى عمله أكثر من عشرين سنة ، عرف عن كَثَبٍ النائب بركّاش الذي أدلى فى حقه بهاته الشهادة لدى الطريس جاء فيها :

---

20 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 157

21 . رسالة السلطان الى بركّاش فى 15 شوال 1297/20 شتنبر 1880 ، محفظة الحماية القنصليـة .

22 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 80

«وزدناك هذا لننبهك ونعرّفك فى أمر الترجمان ، لكون الترجمانات هم مفاتيح ما ينغلق من الأمور مع النواب كرتبة الوزراء ، لاسيما الترجمان السنيور الرلاندي : هو مجرّب ومختَبر عندنا نحوا من عشرين سنة ، ودار بيننا على يده من المُهِمّات العظام ما لا يسع فى البال ، وليس فيه غش ولا خيانة للجانبين . وانما الذي فيه أمر واحد ناشيء عن صفاء باطنه : وهو أنه يكره كثرة التردد فى الأمور . فيجب قضاء الغرض الذي ورد لأجله من دون تردد ، وذلك من عــدم غشه ، فيظهر ما فى باطنه من أول وهلة ... وكنـا نستشير معه فى المهمات وكان ينصح ويُحْمَد رأيه واستشارته ... » (23). وجاءت هاته الشهادة فى معرض الحديث عن الاسباني الذي قتله أهل المنار سنة 1885 .

وأذيل الكلام عنه باشارتين : الأولى أنه كان قبل سنة 1884 ينوي استيطان مراكش فرفض المخزن ذلك (24) . ولعل السبب فى هذا الأمر أنه كان مرشحا لقنصلية اسبانية بهاته المدينة . والثانية هي أنه ترجم القرآن الكريم على مايبدو الى اللغة الاسبانية ، فاقتبس منه الدكتور أوبيلو Ovilo فى كتابه «المرأة المغربية» ، ولا يُعرف ما إذا طبعت تلك الترجمة (25) .

* * *

المطلـب الثانـي : العلاقـات المغربية الاسبانيـة

لبسط الكلام عنها وجب التطرق الى جملة من القضايا المتنوعة . وسأقتصر هنا على العلاقات الديبلوماسية فى شيء من الاقتضاب ، والى قضية مليلية فى أواخر العهد الحسني ثم الى ملابسات الهجرة الاسبانية الى المغرب. وسأختم بمسألة نصب التلغراف وارتباطها بفتنة عبد السلام الحمام الانجري .

---

23. رسالة بركاش الى الطريس فى 3 محرم 1303/12 اكتوبر 1885 ، محفظة بركاش

24 . ابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 337

25 . عبد الله العمراني : «القرآن الكريم فى مجال الطبع والترجمة والنشر» فى مجلة «دعوة الحق» أكتوبر 1973 ص 134

أولا : العلاقــات الديبلوماسيــة

كانت الروابط مع هاته الدولة متسمة ، قبل حرب تطوان وبعدها بقليل ، بالتصلب من الجانب الاسباني والليونة من الجانب المغربي . لكن بعد انسحاب جيش الاحتلال من هاته المدينة ، أخذت سياسة حكومة مدريد تميل الى الاعتدال والتبصر ثم الى التعاون والتصالح ، فلم تكن تريد التورط مع جارها ، حفاظا على «مواقع» الشمال . وقد تبودلت بين البلدين سفارات في مسائل متنوعة ، ولا سيما في قضية مصادة سانطا كروث المعروفة .

وفضلا على ذلك ، كان انعقاد مؤتمر مدريد ببلادها دليلا على سياسة الاعتدال والتعاون ، وكان سعيها سنة 1888 لمراجعة معاهدة 1880 برهانا آخر على الوئام بين الدولتين الجارتين .

هذا ، وفي حدود سنة 1890 حاولت النيابة عن ثلاث دول أمريكية هي المكسيك وكواتيمالا والأرجنتين (26) فأعلمت المخزن بذلك . وعنه أجاب الطريسُ السفيرَ الاسباني فيكيرة بأن «ولاة مراكشة لا تصرف لهم على الأجانب . وعليه ، فللرعية أن تستحمي بمن أرادت» (27) . وكان النائب السلطاني أوضح له قبل ذلك أن «الدول الثلاث لا تعلق لها بايالة مراكشة» وأن نيابته عنها «متوقفة على إذن الجناب العالي بالله ، ولا يمكننا أن نقبل ذلك من عِنْدِياتنا» (28)

وأُنهيت المسألة آنذاك على هذا الوجه . وهو ماقاله الطريس للعاهل من أن نائبها رد له ما كتب له به ، ورد الطريس ما أجابه به ، وهكذا سلم «كل واحد منكما للآخر ما عنده فالحمد لله الذي كفى ، وهو المسؤول عن غير ذلك» (29)

---

26 . رسالة فيكيرة الى الطريس فى 30 أبريـل 10/1890 رمضان 1307 ، محفظـة الطريس 18

27 . جواب الطريس الى فيكيرة فى 28 رمضان 18/1307 ماى 1890 ، نفس المحفظة

28 . رسالة الطريس الى فيكيرة فى 13 رمضان 3/1307 ماي 1890 ، نفس المحفظة

29 . جواب السلطان الى الطريس فى 21 شوال 11/1307 يونيو 1890 ، نفس المحفظة

وأخيرا أشير الى أن حكومة مدريد كانت قبل سنة 1894 تتولى تمثيل مصالح روسيا القيصرية (30) أو الموسكوب . بل انها كانت تنوب عنها قبل ذلك بكثير .

ثانيا : أحداث مليلية

لم تفتأ تنشب بين المغاربة والاسبانيين نزاعات على الحدود ، ولا سيما قرب سبتة ومليلية . وأريد هنا أن أتعرض ببعض الايجاز لحوادث سنة 1893 التي وقعت بين أهل كلعية وسكان مليلية من الأجانب .

شرع الاسبانيون فى بناء تحصينات دفاعية قرب مليلية فهاجمها أهل قلعية وأدى ذلك الى نشوب معارك بين الطرفين انتهت بانهزام اسبانيي مليلية ، فما كان من حكومة مدريد الا أن أرسلت جيشا كاملا الى المدينة . ويصور الناصري القضية بأن أهل قلعية طلبوا من السلطان «أن يزيدهم فى مساحة أرض مليلية على عادتهم فى كثرة الاقتراحات والتلونات . فأسعفهم وزادهم من أرض زناتة ، وصار الحد قريبا من تربة ولي الله سيدي وارياش... فلم يحل لنصارى مليلية بناء العسات وغيرها الا فى محل يشرف على تربة الولي المذكور ويكشف عنها . فراودهم أهل الريف على التخلي عن ذلك الموضع والبناء بغيره ، فأبوا وأصروا على الامتناع ، وربما لسعوهم بما أحفظهم من الكلام المؤلم على عادتهم فى ذلك .... فلما سلكوا هذا المسلك ونحوه مع أهل الريف ، أذاقوهم من بأسهم شديد العقاب وأليم العذاب كما هو معلوم .

«فلما احتل السلطان ــ أيده الله ــ بحضرة مراكش ، قدم عليه وفد الاصبنيول» (يرأسه مارتنيس كامپوس Martinez Campos) «يطلبون الانصاف من أهل الريف فى هاته النازلة ... فوقع الفصل على أن يدفع

---

30 . رسالة كنديدو الى الطريس فى 16 ابريل 1894 ، نفس المحفظة

السلطان عن دماء قتلاهم أربعة ملايين من الريال ، وتم الصلح على ذلك» (31) ، وهو مايعادل 20 مليونا من البسيطات كما تقدم عند الحديث عن السفراء ، وخصوصا عن الحاج عبد الكريم بريشة .

وهو تعويض حربي ثقيل دفع إثر نازلة وقعت كان عسكريو مليلية سببا مباشرا فيها ، لكونهم راموا تشييد أبراج في أماكن اشتراها المخزن منهم سابقا . وزيادة على الغرامة المالية ، اعتقل الفقير ميمون الكَلعي وابن عمه ، بتهمة تحريض السكان على المقاومة ، ووصفتهما رسالة مخزنية بأنهما كانا السبب في الفساد الواقع بكَلعية (32) .

ثالثا : الهجرة الاسبانية ومضاعفاتها

كانت الجالية الاسبانية بالمغرب أوفر عددا من غيرها ، وكانت سنة 1866 بطنجة مثلا «تتألف من أناس لا تحمد سيرتهم ، كانوا من المتهورين المخاطرين ، مع العلم أنهم كانوا في جلهم من المهربين والفارين من إسبانيا» (33) . وكانوا أيضا من الطبقة الفقيرة يمتهنون حرفا مختلفة بطنجة وغيرها ، حتى ضايقوا المغاربة وزاحموهم . وكانوا «من الاملاق والضعة ما أضروا به — أكثر مما نفعوا — سياسة بلادهم التي كانت ترمي الى أن يدوم — جهد الامكان — استقلال المغرب النظري ، لكي تحافظ على مواقع قارة» (34) .

وسأشير على التوالي الى عدد قليل من النوازل التي وقعت بالاحتكاك بينهم وبين المغاربة ، وذلك من خلال مصادر مغربية :

---

31 . أحمد الناصري «الاستقصا» ج 9 ص 206 ، وجيرمان عياش : «ردود الفعل المغربية أمام الاحتلال الاسباني والفرنسي» في مجلة «دار النيابة» العدد الخامس (1985) ص 21 ، تعريب محمد البزاز وعبد العزيز التمسماني

32 . رسائل مختلفة في ربيع الثاني وجمادى الاولى 1311/نونبر ودجنبر 1893 بمحفظة الطريس 25

33 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 89

34 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 242

I : «ومن جملتها قضية الشريف الذي قتله الصبنيولي بطنجة . وكانوا زعموا أنهم أرادوا الحكم على القاتل ، وتحيلوا حتى أخرجوه من البلاد وصاروا يتلاعبون ... وقد بلغنا أن القاتل المذكور قدم لطنجة وسكن غير مكترث بأي أحد . فبأي موجب لم يقتل مع ثبوت قتله ؟ وبأي وجه يسكت عن دعواه ؟ ...» (35) . وكان ذلك حوالي 1867 .

وقد أوضحت رسالة لاحقة ، بعد أكثر من سنتين من تاريخ الوثيقة السابقة ، أن القتيل هو الشريف العلمي ، وأن الجاني كان قد اعتقل ، وزعمت السلطات الاسبانية عند ترحيله أنها كانت تريد محاكمته ، فذهبت به الى قادس ، ولكنه مكث طليقا . وبعد مدة عاد الى طنجة للاقامة بها . وأصبح الطنجيون — الذين لم ينسوه — يرون فيه الشخص المتحدي لشعورهم ، حتى هم أحد المواطنين باغتيال سفير اسبانيا بطنجة (36) . وقد اعتادت الوثائق المخزنية إهمال اسم الأجانب وهوية القاتل الذي كان هو سيلبانا Sylvana(37)

2 : وثمة قضية أخرى قارنها السلطان في رسالته السابقة لسنة 1867 بقضية الشريف العلمي قائلا «.... مع أنهم في قضية مرطوس تعنتوا غاية التعنت ، وألزمونا قتله ، فصبَّرناهم ريثما تتم الموجبات ويحكم الشرع بقتله ، فلم يصبروا وما قصروا في التعنت ، وطلبوا رفع النازلة لغير القاضي ، فوقع الحكم عليه بالقتل . ومع ذلك طلبوا أداء المال في القتل ، فكان ذلك كله . فأي فرق بين هذا وذاك ومنع هذا من القتل ؟ » (38) . ولم يرد عن قضية

---

35 . رسالة السلطان الى بركاش في 18 ربيع الثاني 19/1284 غشت 1867 . نصها عند ابن زيدان في «الاتحاف» ج 3 ص 386 — 388 ، وصورتها عند محمد نهليل في «رسائل شريفة» . اللوحة 24

36 . رسالة السلطان الى بركاش في 20 جمادى الاولى 6/1286 شتنبر 1869 ، محفظة بركاش

37 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 107

38 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ، الصفحات المشار اليها سابقا

مارطوس Martos بيان واضح . فقد سميت في رسالتين سنة 1865 «نازلة مرطوس المقتول في جبل النكرو ، نواحي أنجرة» (39) .

3 : وقبل سنة 1863 قتل أهل أنجرة رجلين إسبانيين وجرحوا اثنين آخرين ، كما قتل اسباني ثالث في ناحية مرتيل . فأمر السلطان الولاة بتعقب القاتلين (40) .

4 : وخلال 18 شهرا (أي سنة 1869 و 1870) قتل ستة من الاسبانيين وجرح اثنـــان (41) .

وهذا ما دعا الى مزيـد من تأزيم الأوضاع بين الحكومتين المغربية والاسبانية ، وبعد أخذ ورد ، تألفت سنة 1871 لجنة لبحث الدعاوي تحت رئاسة جون هي . فطلب ممثل اسبانيا من مندوب المغرب الحاج عبد الرحمان العاجي 30 ألف ريال ، دية 5 قتلى أي بنسبة 5 آلاف لكل قتيل . لكن الطرفين لم يتفقا في الأخير الا على 20 ألف ريال عن الجميع (42) .

5 : قتل اسبانيو مليلية سنة 1870 ريفيا اسمه علي ، وكان مصرع الاسباني منديس Mendez ردا شعبيا على هذا الحادث (43) .

6 : ومن ذلك أيضا أنه وقعت سنة 1886 حادثة ارتكبتها جماعة من «أربعة من نصارى الصبنيول بطنجة قبضوا على رجـل من هذه الايالة في

---

39 . من رسالتين واحدة من السلطان ، وأخرى من بركاش ، مؤرختين في 22 قعدة ثم في 28 حجة 1281/18 أبريل و 24 ماي 1865 ، محفظة بركاش

40 . رسالة السلطان الى بركاش في 18 شعبان 1279/8 يبراير 1863 ، صورتها في كتاب نهليل «رسائل شريفة» ، اللوحة 15

41 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 6 ص 150 ، حيث رسالـة ميري اي كلـوم الى السلطان في دجنبر 1870

42 . المصدر السابق ص 153

43 . جان لوي مييج : «المغرب واروبا» ج 5 ص 149

حانوته بالسوق الكبير وخنقوه بقصد أخذ ما معه من الدراهم ... وقتلوا عددا من الناس على هذه الكيفية وأخفوا جثتهم ...» (44) .

7 : في سنة 1888 ، بلغ الى علم المخزن أن الاسبانيين «لا زالوا يردون أفواجا لثغر طنجة ، حتى اجتمع منهم بالثغر المذكور الآن ألوف" ...» كما قال غريط للطريس ، وقد طلب غريط معرفة عددهم الذي بطنجة (45) .

8 : «وتكاثر النهب بطنجة ، وتشكى من ذلك كافة النواب . ومن الذين سرقوا قنصلا اسبانيا وايطاليا ، وتشكى من ذلك النواب ومنهم نائب النبريال والبردقيز ، وطرق اللصوص محال الأجانب خارج البلد» . فأمر السلطان عامل طنجة بتقديم العسة والزيادة فيها ، بعد أن وجه اليه ألفا من العسكر . ووقع البحث عن النـهّاب ، فلم يعرف أحيانا الى أي بلد ينتمون (46). وكان ذلك سنة 1889 . ولا يستبعد أن يكون بعض اللصوص من جنسية اسبانية أو مغربية .

9 : توافدهم على المغرب خلق مشاكل لا حد لها ، ومنها السكنى والأمن والنهب . «وقد كثرت علينا الاسترعاءات من أهل الفحص فى شأن أشخاص من رعية دولة السبنيول يسكنون فى الكهوف والأجحار بناحية المحل المذكور . فنطلب منكم أن تأمروهم حينا بالقيام من هناك ، لأن المحل خلاء ، وقد تصيبهم الآفات فى أنفسهم وأمتعتهم ...» (47) .

10 : والآفة وقعت أمثالها على فترات متقطعة ، فمن ذلك مقتل الاسباني لويس أوليبة : (؟) Luis Oliva ونهب أمتعته بأحواز طنجة فى شهر غشت 1891 . وقد طالبت المفوضية بالاقتصاص من الجاني (48) .

44 . رسالة السلطان الى الطريس فى 3 قعدة 1306/فاتح يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 16 .

45 . رسالة غريط الى الطريس فى 26 حجة 1305/3 شتنبر 1888 ، محفظة الطريس 18

46 . رسالة السلطان الى الطريس فى 20 ربيع الثانى 1307/14 دجنبر 1889 ، محفظة الطريس 17

47 . رسالة الطريس الى فيكيرة فى 27 رجب 1308/8 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

48 . رسالة فيكيرة الى الطريس فى 11 غشت 1891/5 محرم 1309 ، محفظة الطريس 21

11 : وقبلها كانت حادثة معاكسة ، ولعلها انتقامية ، وهي أن خوسي باروســو (؟) José Barroso قتل دراويا مغربيا بسوق طنجة سنة 1890 . ولما طلب سفير اسبانيا من الطريس مفاصلة دعوى الاسباني لويس أوليبة ، ذكره بأن القاتل المغربي «مقبوض عند المخزن ، وأن على اسبانيا أن تنصف آل الدراوي من قاتله بارص' الذي هو تحت حكم اسبانيا» (49) . فرد فيكّيرة على الطريس أنه «حكم على باروس' بـ 12 سنة ، زيادة على سنتي الاعتقال» من لدن محكمة اسبانية ، ولهذا يجب الاقتصاص من قاتل لويس أوليبة حسب قواعد الشرع المغربي (50) .

12 : وتفاقمت الأحــوال ، فأعلم الطريس' غريطـ الذي رد عليه : «الصبنيوليان المقتولان أحدهما بناحية مليلية ، والآخر بفحص طنجة ، وامراة اسبانية» (هي ماريا أطِينْسة Maria Atenza) «قتلت بعده بالجبل الكبير من نواحي طنجة أيضا ، وسكوتهم عن قضية عسكريّهم المقتول بالريف ، وأن قتيل الفحص لم يتحقق قتله على يد أحد ، والمتهم به لا زال بالسجن الى الآن ، وقاتل المسلم الدراوي بطنجة ، فأجابوك بأن شرعهم حكم بسجنه اثنى عشر عاما وأنه مسجون عندهم باسبانيا ...» (51) ، وكان كل ذلك من العوامل التي تهدد الأمن ، وتفسد الجوار .

13 : وفضلا عما سبق ذكره ، اتخذت إجراءات زجرية وتعسفية من لدن سلطات سبتة و «صار جوار سبتة كلما دخلوا اليها سجنوا ...» ، وهذا يؤدي حسب قائد الحدادة «الى الفتنة وعدم المهادنة» (52) .

---

49 . مسودة جواب الطريس الى فيكبرة فى متم ربيع الثانى 2/1309 دجنبر 1891 ، نفس المحفظة

50 . رسالة فيكيرة الى الطريس فى 29 ماى 2/1892 قعدة 1309 ، نفس المحفظة

51 . رسالة غريطـ الى الطريس فى 12 حجة 27/1310 يونيو 1893 ، محفظة الطريس 24

52 . رسالة عبد السلام السعيدي الى الطريس فى 26 حجة 11/1310 يوليوز 1893 . نفس المحفظة

وأخيرا كان المهاجرون يطلبون الرزق حلاله وحرامه ، «ويبيعون السلاح» (53) ، كما كانوا يروجون سكة اسبانية فضية بالمغرب، لا تدور ببلادهم نفسها ، ولذلك صدرت الأوامر الى العدول والأمناء بالا يعتبروها عند الأداء (54)

هذا بعض ما وقفت عليه من ملابسات الهجرة بطنجة وهو أقل القليل ، لكن غير ذلك سيأتي بمدن أخرى .

رابعا : قضية التلغراف

طلب الاسبانيون سنة 1883 «جعل الطلغراف من طنجة لطريفة بحرا ، وحتى إن كان لابد من استخدام الآلة المذكورة فتكون بداخل ايالتنا ، وخدمتها من رعيتنا» (55) .

هذه الرغبة قديمة ، فقد عرضوها سنة 1869 ، وبدأت شركة تفكر فى ربط الأسلاك سنة 1870 ، لكن معاكسة انجلترا وفرنسا حالت دون ذلك (56).

وبعد موافقة السلطان على مد انجلترا أسلاك التلغراف من جبل طارق الى طنجة ، تشوفت اسبانيا الى نيل نفس الامتياز . غير أن ذلك انطوى على فتنة عبد السلام الحمام الذي لم يقبل أن تغرس أخشابه بقبيلة أنجرة خاصة وأن اسبانيا كانت تريد بذلك تدعيم مركزها ، وإدامة احتلالها لثغري سبتة ومليلية .

وهكذا «طلب سفير اسبانيا جعل سلك التلغراف بحرا بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء ، على الشروط المجعولة مع الانجليز فى جعله

---

53 . من موجب عدلي فى 29 حجة 14/1310 يوليوز 1893 . نفس المحفظة

54 . رسالة السلطان الى الطريس فى 4 صفر 17/1311 غشت 1893 ، نفس المحفظة

55 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 502 ، حيث رسالة السلطان الى بركاش فى 23 شوال 27/1300 غشت 1883

56 . «تاريخ المغرب» ص 320 . لطائفة من المؤلفين

بين طنجـة وجبل طـارق . فنأمرك أن تساعده على جعلـه على الشـروط المذكورة» (57) .

ويستفاد من رسالة سلطانية (58) أن الاسبانيين قبلوا البنود الأربعة التالية وهي :

1 — أن يكون التلغراف بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء

2 — وألا يكون بغيرها من المراسي

3 — وألا يكون بـرا

4 — وأن يكون بالمحل الذي يعينه المخزن بطنجة

وهي نفس التي جعلت بين المغرب وانجلترا باستثناء الأول الذي ينص طبعا على نصبه بين طنجة وجبل طارق . وقد فرض شرط خامس على الانجليز كما تقدم وهو أن يوافق النواب على جعله ويطبعون بطوابعهم على هذه الشروط (59) .

خامسـا : فتنـة عبد السـلام الحمـام

لما توافق الطرفان على الشروع في أشغال ركز دعائم التلغراف يوم 3 شتنبر 1891 (27 محرم 1309) ، وصلت الأخبار من عامل تطوان أن عبد السلام الحمام وأصحابـه يريدون منع اسبانيا من ذلك . وكان الطريس يـرى أن المعارضة الصادرة من عبد السلام «ليست معارضة لها ، بل معارضة للجناب الشريف . ولاسبانيا أن تشرع في وضع الركائز ما بين الواد وطنجة» (60) .

---

57 . رسالة السلطان الى الطريس في 28 ربيع الثاني 22/1307 دجنبر 1889 ، محفظة الطريس 17

58 . رسالة السلطان الى الطريس في 15 رجب 7/1307 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18

59 . مسودة رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في 17 شوال 26/1308 ماي 1891 ، محفظة الطريس 20

60 . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا في 27 محرم 2/1309 شتنبر 1891 ، محفظة الطريس 21

ثم صدرت الأوامر الى ادريس أمْقَشَّد أحد قواد أنجرة والى عمال طنجة وتطوان وأصيلة «بترصد قائد قبيلة أنجرة عبد السلام الأنجري ، لاشتغاله بالفساد ، لا على وجه الامتناع من نزول السلك بالقبيلة» (61) . وأُلقي القبضُ على الحَمام ، فظن الطريس أن «النازلة قد انتهت بوجه جميل» (62) .

ولما اعتقل الحمام ، بقي رهن الأسار حتى أمر السلطان بعد ذلك بتوجيهه لسجن مصباح بمراكش . غير أنه استطاع أن يلوذ بالفرار بتواطؤ أو بدونه ، والتجأ الى قبيلة وادْرَاس ، واستقدم أصحابه من أنجرة متعصبا بهم .

ومع ذلك ودرءاً للفتنة ، خوله العاهل الأمان ، آمراً الطريس باستقدامه لمراكش (63) . فلم يُفْلح الأمان السلطاني فى تهدئة الروعة ، حتى «تفاقم أمر ولد الحمام وانضم اليه ثلثا القبيلة وانضم الى صفه بعض الأجانب» (64) واتُهِم إيوان سميث كما رأينا ذلك قبل وثبت ضده ، ونسب للحمام اعتقال الرهائن ومنهم شاب فرنسي لم يذكر اسمه . فبينما كان هذا الأخير يقوم بجولة «على شاطيء البحر حتى ملتقى النهر فى طنجة القديمة ، واذا بشخصين يعتقلانه ويقودانه الى قائد أنجرة المتمرد . وقد حبس هنا 8 أيام . لكنه ألح فى الأخير لكي يرجع تحت الحراسة الى طنجة ، دون أن يضطهد أو ينهب متاعه» (65) .

وترى رسالة سلطانية أنه كان متواطئا ، اذ «كان النصراني الفرانصيصي قد اكترى بهيمة للخروج لبساتين البلد على العادة ، ثم جَدَّ فى السير لعند

61 . رسالتان سلطانيتان الى الطريس كلاهما فى 8 صفر 13/1309 شتنبر 1891 ، نفس المحفظة

62 . مسودة رسالة الطريس الى السلطان فى 15 صفر 20/1309 شتنبر 1891 ، نفس المحفظة ايضا .

63 . رسالة السلطان الى الطريس فى 26 صفر 1309/فاتح اكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 22

64 . رسالة السلطان الى الطريس فى 16 قعدة 12/1309 يونيو 1892 ، محفظة الطريس 22

65 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 199 حيث رسالة مخبر الى الدكتور لبناريس صادرة من طنجة ومؤرخة فى 9 يونيو 1892 .

ولد الحمام . وطلب أن يقيم معه من جملة رفقائه ، وبقي عنده نحو الثمانية أيام حتى استرعى كبراء القبيلة على الحمام ، خشية أن تلحقهم مَلاَمة بسببه ، ووجهوه فى الأمان جبرا عليه» (66) .

وفى رسالة أخرى الى الطريس ، أصدر الحسن الأول تعليماته لنائبه أن يكلم «النواب بأن يأمروا رعاياهم بالاحتياط والأخذ بالحذر فى خروجهم لنواحي المدينة ، الى أن تطفأ نار الفتنة ...» (67)

وتعاظم خَطْبُ الفَتّان ، وصار صديقـا لاسبانيا ، وأخبر قائـد الحدادة قرب سبتة عبد السلام السعيدي الطريس بأن «الريفي الجاسوس الموجه من هنا ... آتى بكتاب من الحمام لحاكم سبتة ..» (68) . ولعله كان يريد السلاح أو الالتجاء الى سبتة .

وقبل ذلك ، عين السلطان القائدين العربي بن عبو الرحماني وعلي الأودي لردع فتنة الحمام (69) . الا أن الجيش وخصوصا كبراءه ، كانوا ، على ما يبدو ، مُضِرّين بمصلحة المغرب اضرارَ الفتان الأنجري بها . وطال مُقام المحلة حتى كثرت الشكايات بفسادها ، ولم يكن السلطان مشاطرا لهذا الرأي لما قال للطريس في جواب بليغ :

«وصل كتابك بما تَقَوَّل على كبير المحَلّة في التَسْراد الـذي حضرتَه مع خدامنا أُمناء المرسى المحروسة ، من كونه أكرى عددا من الناس للوقوف معه ، عوضا عمن فر من العدد الأصلي ، ولم تتفطن لذلك حيث رأيت

---

66 . رسالة السلطان الى الطريس فى 4 صفر 28/1310 غشت 1892 ، محفظة الطريس 24

67 . رسالة السلطان الى الطريس فى 3 محرم 28/1310 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

68 . رسالة عبد السلام السعيدى الى الطريس فى 5 محرم 30/1310 يوليوز 1892 ، نفس المحفظـة

69 . رسالة السلطان الى الطريس فى 16 حجة 12/1309 يوليوز 1892 ، نفس المحفظة

الجميع بالكسوة العسكرية (70) ورددت الأمر الى ما هو محقق عند جانبنا العالي بالله في كبير المحلة من صدق أو عدمه ، وصار بالبال .

«فالصدق اليوم عزيز ، بل صار كعنقاء مغرب ، يُسمَع ولا يُرى . وان لم يكن الكلُّ فالبعض . وحتى إن هو يُتَحرّى ، فليس لأخ زيدٍ أخ . والله أسأل أن لا يَكِلَنا الى أنفسنا ، ولا الى أحد سواه . والسلام» (71)

ويضاف الى هذا التلاعب بالأموال ونفخ الأعداد وما كان من ذلك ، تظلُّم أهل طنجة لدى السلطان ، فقد «تشكى أهل الفحص من إضرار المَحلة بهم ، ونهبِ أمتعتهم ... وصار النواب يسترعون من أجل ذلك ... ولِما صدر من كبراء المحلة من القبض على بعض الصالحين من الأنجرة ومن جملتهم رجل مخالط للمَرِكَان ... فاقترحَ عليكَ نائب المركان تسريحَه ، ورد متاعه أو تأتي مراكبهم لأجل الفصال ، حسبما بكتابيْه الواصلين طي كتابكَ .... وذكرتَ أن طول مكث المحلة بقرب طنجة لا يُفضي الا لمزيد التشويش وصار بالبال .

«أما ما تشكى به أهل الفحص فلا غرابة في ذلك ، وكثيرا ما يقع ذلك من المحلّة للصالح ، ولاكن يُتدارك ذلك . وقد كتبنا لكبراء المحلة أن يفاصلوهم ... وأما أهل الأنجرة فليس فيهم رجل رشيد (72) . وأما استرعاء النواب فهو كذلك . وأما المَرِكَان فكان من حقه أن لا يخالط أهل الفساد ، أو يحوزَ أمتعته من عندهم حيث فَسدوا ... وأما ما خشيته من مكث المحلة بقرب طنجة ، فقد أمرنا بنقلها من هناك ...» (73) .

---

70 . مثل هاته الأعداد المنفوخة وقع أثناء فتنة بوحمارة لمّا أمر الوزير المهدي المنبهي بقيادة الحملة التجريدية ضده . ينظر ذلك في كتاب عبد الوهاب بنمنصور : «أعلام المغرب العربي» ج 1 ص 319 و 322

71 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 محرم 13/1310 غشت 1892 . محفظة الطريس 22

72 . مثل هاته الأوصاف وردت في رسالة السلطان مولاى عبد الرحمان الى أهل انجرة سنة 1847 وفيها : «ليس فيكم رجل رشيد وذو عقل سليم ورأي سديد» (انظر مجلة دار النيابة العدد الخامس ص 60 ، العمود الثاني)

73 . رسالة السلطان الى الطريس في 6 صفر 30/1310 غشت 1892 . نفس المحفظة

ومع اعتراف السلطان بما قد يقع من انتهاك المحلة للحرمات ، فلم يكن الجند كله على وتيرة واحدة ، بل كان فيهم من قام بواجبه فأكرمه العاهل «الذي أنعم بفرس مسرج تلمساني اعتناء ومجازاة» (74) على قائد الرحى الدمناتي فى محاربة الفساد .

وقد آتت سياسة حزم الحسن الأول أُكُلها ، فوفد أعيان أنجرة على لسان قبيلتهم طالبين الأمان (75) . فأمَّن السلطان «أهل الغابة من الأنجرة المجاورة للحدادة» في إحدى رسائله الى الطريس (76) . ثم فسر فى رسالة أخرى فى نفس اليوم هذا الأمان بأنه يصدُق على «أهل الغابة المتظاهرين بالصلاح ... إن لم يدخلوا فى زُمْرة أهل الفساد ....» (77) .

وأخيرا وفي مارس 1893 ، حملت الأنباء خبر القبض «على ظالم نفسه الحمام الأنجري وحلوله بسجن طنجة ... فقد حاق به سيِّيءُ مكره ، وعاد عليه شُؤْم فعله وبَغْيه ، فقد ضاعت بسببه رقاب وأموال ... (78) ، وكان من جملتها جنود مغاربة من أعضاء المحلة وكان «الطبيب الاصبنيولي والمكلف بتعليم متعاطي الصناعة الطبية هو الذي عالج مجاريح المحلة» (79) .

وهكذا كان التلغراف الاسباني سببا فى فتنة دامت نحوا من سنتين . بعد أن «كانت اسبانيا أكثر من السلطان نفسه تعارض ، بكبير عناد ، فى تسرب الحضارة الحديثة . فمثلا اعترضت على انشاء حاجز (مول) بآسفي ،

74 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 محرم 1310/22 غشت 1892 ، نفس المحفظة

75 . رسالة محمد السلاوي الى الطريس فى 23 محرم 1310/17 غشت 1892 ، نفس المحفظة

76 . رسالة السلطان الى الطريس فى 5 صفر 1310/29 غشت 1892 ، نفس المحفظة

77 . رسالة السلطان الى الطريس فى 5 صفر/29 غشت أيضا ، نفس المحفظة

78 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 شعبان 1310/17 مارس 1893 ، محفظة الطريس 24

79 . رسالة العباس بن محمد بن العربي الجامعي الى السلطان فى 15 ربيع الاول 1310/7 اكتوبر 1892 ، محفظة طنجة . 3 والراجح أن هذا الطبيب هو فليبي أوبيلو اي كناليس .

وعلى وضع أسلاك التلغراف من جبل طارق الى طنجة ، وعلى الاصلاح النقدي سنة 1867 ، وعلى كل أنواع الاصلاحات سنة 1875 على الخصوص (80) .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون

في أواخر عهد مولاي عبد الرحمان ارتفع عدد المحميين الاسبانيين من اليهود ارتفاعاً شديدا في سنة واحدة (81) ، نظرا لما كانت عليه سياسة اسبانيا إزاء المغرب قبل حرب تطوان وفي السنوات القليلة بعدها . أما الموظفون بالمفوضية سنة 1866 أي في عهد ميري إي كلـوم فكان عددهم 10 موظفين صغار ، منهم كاتب ونائب للمفوض وترجمان رسمي وقنصل وثلاثة كتاب للعربية ومترجم وقابض بالجمارك وطبيب ، كلهم مُؤَجَّرون من الحكومة ، مثلهم في ذلك مثل قنصلين اثنين و 17 نائبا قنصليا بالمراسي (82) .

ولم أعثر على وثيقة مفصلة ومؤرخـة بأسماء المحميين القنصليين بطنجة سوى لائحة غفل ومنها أقتطف أسماءهم على ما هي عليه من إخطاء :

أولا : المحميون القنصليون

1 . **محمد بن العربي أمَقْشَدْ** : وكان كاتبا بالقنصلية

2 . **سي محمد الدرقاوي** : ولم يرد بيان صفته هو والذين بعده

3 . **عبد الرحمان المصمودي** : وقد ذكر أنه «معلم» ، ويعني ذلك أنه كان محترفا لصنعة ما

---

80 . عبد الله العروي : «الاصول ...» ص 257

81 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 19 ، وشارل آندري جوليان : «المغرب في مواجهة الامبيرياليات» ص 32 .

82 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 89

4 ــ 6 . **سي أحمد** بن سلام أزام ومَحمد بــن محمد بن سلام أزام ومحمد بن أحمد المرابط

7 ــ 10 . **رحمة زوجة الحاج أحمد المرابط وأولادها الثلاثة** : ولعل محمد سابق الذكر رابع أولادها ، ولا شك أنها أرملة .

11 . **الحاج محمد الشاوي** : صهر القائد أحمد بن احساين

12 ــ 16 . **الحاج قدور بن بوبكر** ، وكان عونا بــدار القنصل هــو والأربعة الذين يلونه : **والحاج محمد أحَلْوي ، والحاج الحسن أزْكَّود** ، **وسي علي الفَتُوح** : ولعله هو الذي كان محميا أمريكيا حسبما سلف ، وحسبما سيأتي من أنه كان كاتبا بالقنصلية النمساوية ، **ومحمد أكْبيري** .

18 ــ **محمد الزَّيْلاشي** كان كاتبا بالمفوضية

18 ــ **أحمد بن احساين** وكان عونا بالمفوضية أيضا ، (ولا أدري هل هو القائد أحمد بن حساين المذكور سابقا)

19 ــ **أحمد بن عمرو الصغير** : عون كذلك بالمفوضية

وبعد هؤلاء الثلاثة جــاء فى القائــمة «ومتعلمين دار نيابتنا وخــدام كتابنا» (83) .

* * *

ثانية : السماسرة والمستوطنون

لم أقف أيضا على اسم أي سمسار لأي تاجر إسباني بطنجة ، وما عثرت الا على أسماء بعض المستوطنين . ولا شك أن نُدْرَة السماسرة دليل على أن المهاجرين الاسبانيين الى المغرب عامة وطنجة خاصة لم يكونوا من

---

83 . من لائحة غير مؤرخة بمحفظة المغرب اسبانيا ، وعليها طابع المفوضية بطنجة ورقمها بمكتبة تطوان هو 50/69 .

كبار التجـار ، أو ربما تكـون لوائح السماسرة قد ضاعت . على أن كناش مستفاد طنجة سنة 1869 يحتوي على أسماء اسبانيين كانوا مشتغلين بالجلب والوسق آنذاك ، وهم :

1 . **خوان بلانكو ݣارسيا** Juàn Blanco Garcia وكان يصدر الـزعتـر .

2 . **رويث** Ruiz وكان مستوردا للسكر

3 . **مويس مجيرش** : وقـد يكون يهوديا اسبانيا أو برتغاليا وكـان مستوردا للثياب .

4 . **بينطـو** Pinto والغالب أنـه يهودي اسباني أو مغربي كان يتجر في الأرز والشاي و «الخل» (الذى هو الخمر بحسب اصطلاح الأمناء)

5 . **ماطياس** Matias كان من مصدري الثيران الى جبل طارق على يـد منويل نوبيلا الموظف بالمفوضية البريطانية بطنجة (ولعله هـو الملقب النصراني الأكحل)

6 . **رامون نيطـو** R. Nieto كان من المصدرين (84) .

7 . **فرتونـة** Fortuna ولم يذكر نسبه ونسب من قبله وكان يجلب ثوب «الكيرية» لحساب المخزن سنة 1888 (85) لكسوة الجيش على مايظهر .

8 . **ريكاردو ݣونثاليث** R. Gonzalez : لما قدم الى طنجة سنة 1888

---

84 . هؤلاء الستة السابقون ذكروا في مستفاد طنجة ، في جمادى الأولى 1286/أكتوبر 1869 ، محفظة طنجة : 1

85 . رسالة أمناء مرسى طنجة الى السلطان في 9 محرم 1306/15 شتنبر 1888 ، محفظة طنجـة 3

طلب على يـد نيابة بـلاده من السلطات المخزنية تنفيذ حانوت حبسية لـه بالسوق الداخل (86) .

9 . **بيـدال بيرنابـي** Vidal Bernabe . لعل هذا الرجل كان من ميسوري تجار اسبانيا بطنجة . فكان نائبا للشركة طرانزاتلانتيكا الاسبانية هنا (87) ، وطلب من المخزن أن يعين له حصة من القمح والشعير لتصديرها الى الخارج بالعمولة سنة 1891 ، فرد الطريس بأن الوسق غير ممكن في هاته السنة لافساد الجراد لهما ، وذكر للنائب الاسباني أن «التاجر في غنى عن الوسق لأن تجارته قائمة» (88) .

10 . **فرنانـدو** Fernando . هذا الاسم الناقص كان لتاجر مفلس أو محتال ، وكان يسكن بطنجة حين أقرضه «وصيف سيدنا الطالب ادريس بن زينة» قدرا من المال أيام ديوسدادو ، ثم تقاعد له عن جله . وقد «أفلس بأموال الناس ، وكان مستعدا للافلاس ، وهو يتصيد المغفّلين ، وقد ثبت فلسه بموجب قوانينهم ، فلم يبق وجه لاعادة الكلام معهم في هاته النازلة» (89).

وقد يكون لفرناندو هذا نسب طورالبا Torralba

11 . **إدواردو اسطيرنو** E. Esterno كان يبني دارا بشاطىء البحر في المحل المسمى البراميل ، فأوقف له المخزن سنة 1889 البناء (90). ولعل المنع كان سببه مراقبة التهريب .

---

86 . رسالة الطريس الى غريط في 23 شعبان 1305/5 ماي 1888 ، محفظة الطريس 11

87 . رسالـة الطريس الى نائب اسبانيا في 12 قعدة 1310/28 مـاي 1893 ، محفظة الطريس 24 .

88 . رسالـة الطريس الى نائب اسبانيـا في 6 ربيع الاول 1309/10 اكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 21

89 . رسالة الطريس الى السلطان في 15 ربيع الثاني 1308/28 نونبر 1890 ، محفظة الطريس 19 .

90 . رسالة فيكيرة الى الطريس في 1 شتنبر 1889/5 محرم 1307 ، محفظة الطريس 17

12 . **كاميلوبونيلي** Camilio Bonelli كان من قدامى المستوطنين الاسبانيين بطنجة ، ورد عليها سنة 1858 ، وكان أول صيدلي أروبي بالمغرب . وقد تزوج بهاتــه المدينة ، وبها مات سنة 1898 ، وفي سنة 1884 كـان أمين صنــدوق لجنة الصحة والطرق البلديــة ، وممثلا لعــدة مصالح اسبانيـة بالمدينة (91) .

13 . **كاستيــو** Castillo ، وكان مهندسا اسبانيا كلفه مجلس السنيدة بادخال المــاء الشروب لطنجة . وقــد طالب جوزي كولاصو ممثل البرتغال المخزن بأداء أجرة للمهندس المذكور ، فاستظهر الطريس بجواب كان وجهه بركاش الى خوسي ديوسدادو بأن المغرب لا يلتزم بصائر هذه الأشغال ، وذكــر له النائب السلطاني أيضا أن المخــزن لم يكلف كاستيــو بشيء (92) ، وكان ذلك سنة 1893 .

وبديهي أن هذا قليل في الحديث عن المستوطنين الاسبانيين الذين كانوا بالألوف بطنجة ، ولكن المصادر ضنينة علينا مثلما هي بعيدة عنا .

---

91 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 354 (13) ومحمد الأمين البزاز: «لجنة الصحة والطرق البلدية بطنجة» ص 48 من مجلة «دار النيابة» العدد الاول 1984

92 . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا فى 26 حجة 11/1310 يوليوز 1893 ، محفظة الطريس 24 .

6 : ايطاليا

ينقسم هـذا الفصل الى أربعـة مطالب :

1 . السلك الديبلوماسي والقنصلي

2 . موظفو المفوضية

3 . المحميون والمستوطنون

4 . نبذة من حياة سكوڤاصو وكانطاكالي

* * *

المطلب الأول : السلك الديبلوماسي والقنصلي

كانت إيطاليا ممثلة بالمغرب بجمهورية البندقية من سنة 1792 الى 1799 ، واختفى هذا التمثيل ، الى أن استأنفته سنة 1820 مملكة سردينيا ، وفي سنة 1825 كانت مملكة الصقليتين تمثل المملكة الايطالية حتى اندمجت فيها بقيام الوحدة الترابية .

ومن الذين نابوا عن ايطاليا ، موحدة أو مشتتة ، أذكر :

1 . **ڭـرابرغ أف هيمسـو** Graberg af Hemso الذى كان قنصلا للسويد والنرويج ، وبعد عزله صار يمثل سردينيا سنة 1822 .

2 . قنصل فرنسا بطنجة **ده كاستيون** ، ناب سنة 1860 عن سردينيا (1)

3 . **جيوسيبي دي مارتينو** Giuseppe di Martino الذى قضى بالمغرب نحـو ثلاثين سنة ابتـداء من 1835 كـان ينوب خلالها عن مملكـة

---

1 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 539

الصقليتين (2) . وفى أبريل 1861 ، أصبح قنصلا عاما لنابولي ، وبعد تعيين خلفه آتي الذكر صار سنة 1865 ممثلا لبلاده بالأسكندرية (3) .

4 . **إليكساندر ده ڤيردينوا** A. de Verdinois الذي قد لا يكون ايطالي الجنسية والذى وصل الى طنجة فى 9 يبراير 1865 بوصفه قنصلا عاما لايطاليا ، وكان يسير «الوكالة الملكية والقنصلية العامة لصاحب الجلالة ملك ايطاليا» بطنجة ، وقد طلب تعيين قناصل محترفين وخاصة بالجديدة سنة 1866 ، لأنه كان يرى أن الجديـدة تقع بوسط المغرب وأن تجـارة الحبوب والصوف (4) مزدهرة فيها ، وبعد ذلك خلفه :

5 . **أدولفو كاستيلليناردو** A. Castillinardo في مارس 1867 ، وكان نائبا عن سيردينيا بطنجة منذ 1850 ، ونشر سنة 1868 تقريراً عن تجارة المغرب (4) وهي السنة التى عين فيها خلفه :

6 . **ستيفانو سكوڤاصـو** Stefano Scovasso الذي مكث وزيرا مقيما بطنجة مدة طويلة .

7 . **روميـو كانطاڭالي** R. Cantagalli الذى تقلد أعباء منصبه سنة 1888 ، وسيأتي حديث عنه وعن خلفه

* * *

المطلب الثانـي : موظفو المفوضيـة

أما المستخدمون فكانوا في أغلبهم ايطاليين ، زيادة على المحميين القنصليين المغاربة . وكان من هؤلاء الموظفين :

---

2 . رسالة دي مارتينو الى مولاي عبد الرحمان فى 4 ذى القعدة 1253/30 يناير 1838 ، وكذلك مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 92 .

3 . المرجع لأخير ج 5 ص 91 و ج 2 ص 454 و ج 1 ص 173

4 . نفسه ج 1 ص 85 و ج 2 ص 454 وكذلك رسالة السلطان الى بركاش في 10 ذى القعدة 1284/4 مارس 1867 ، محفظة المغرب ايطاليا ، وأيضا جاك كايي : «شارل ياجر شميد...» ص 47 و 102 .

1 . **ج . ڤينانزي** G. Venanzi وكان ينوب عن كاستيللناردو وعن سكوڤاصو ، وخصوصا فى غشت 1871 .

2 . **پاولـو ݣرانـدي (؟)** P. Grandi وكان يقوم مقام السفير حوالى 1875 (5)

3 . **بـوزيـو** Bosio كان ترجمانا سنة 1875 ، وهو الذي رافق الحاج محمد الزبدي الى ايطاليا فى نفس السنة ، وكـان الكتاب المخزنيون يحرفون اسمه الى «بوزيد» ، لتشابه رسم الواو والدال .

4 . **فوساتـي رينيـري** Fossati Reyneri كان سنة 1879 موظفا ونائبا (6) .

5 . **أ. جانطيلـي جيانتيللـي** A. Gentile Giantelle كان هـو الترجمان الأول بمفوضية طنجة ، وناب عن سكوڤاصو وعن كانطاغالي ، وكان يستلطف فى توقيعه على العادة فى ذلك بعبارة «لطف الله به» . وتقدم أن وصفه أمناء طنجة بأنه كان «قطعة سم» ، مثله مثل منصور ملحمة ، ترجمان المفوضية الألمانيـة .

وقد ولد جانطيلي بمدينة جنوة سنة 1857 ، وعين ترجمانا سنة 1878 بتونس ، ونقل منها الى طنجة فى أكتوبر من نفس السنة . بوصفه ترجمانا بمفوضية بلاده ، ثم أصبح سنة 1886 مكلفا بالأشغال ، وقد تصاهر سنة 1884 مـع أسرة أيون بيرديكاريس الأمريكي الغني . وكانت علاقته وطيدة مـع الأوروبيين . كما كانت له اتصالات بالقصر السلطاني وكبار رجال المخزن ، وكان يعتبر الملهم الحقيقي للمفوضية الايطالية (7) ، وظل بطنجة حتى نقل الى الدار البيضاء حوالي سنة 1912 لتقلد أعباء القنصلية العامة .

---

5 . رسالة كراندي الى بركاش فى 10 غشت 1875 ، محفظة بركاش

6 . محفظة المغرب ايطاليا

7 . ميييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 98 (7)

6 . **فليس مايصـا** F. Maissa كان قنصلا بطنجة حوالي 1884 ونائبا عن سكوڤاصـــو (8) .

7 . **جيوليو تيســي** G. Tessi وكان نائبا قنصليا لايطاليا بهاته المدينة قبل أن يعين بالمشرق سنة 1886 ، كما كان سنة 1885 من مساعدي سكوڤاصو (9) .

8 . **أرطــورو كامبياجي** A. Galetti Gambiagi وكان سنة 1889 قائما بالأشغال ، ولما وقــع اعتداء عليه احتج أعضـــاء السلك الديبلوماسي وطالبوا بتحسين أحوال الشرطة بطنجة (10) .

9 . **كراكولو دي ڤورينــو** (؟) G. di Vorino وكان سنة 1890 أحد مساعدي روميــو كانطاگالي (11) .

* * *

المطلب الثالث : المحميــون والمستوطنــون

كان السفراء والقناصل يقسمون محميي ايطاليا الى ثلاث مراتب :

1 : محميو السفارة والقنصليات ، 2 : والمحميون الاستثنائيون قبل معاهدة مدريد ، 3 : والسماسرة .

أسماء هؤلاء وردت فى لوائح سنوات 1889 و 1891 و 93 و 94 ، وهناك آخرون ذكروا فى وثائق أ'خرى متفرقة ، ومن جميع ذلك سأقتبس ما يلي :

أولاً : المحميــون الاستثنائيــون

أغلب المحميين يهود مغاربة ، لم يذكــر عن موجب حمايتهم شي ، سوى وجودهم على هذه الصفة قبل سنة 1880 ، وها هي أسماؤهم :

---

8 . رسالة سكوفاصو الى الطريس فى 18 يوليوز 1884 ، محفظة ايطاليا المغرب

9 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 170 ، ورسالة فى 27 غشت 1885 ، نفس المحفظة

10 . رسالــة كانطاغالي الى الطريس فى 9 أكتوبــر 1889 ، نفس المحفظة ، وكذلـك بيير كيين : «المانيا والمغرب» ص 204 .

11 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 25 شتنبر 1890 ، نفس المحفظة أيضا .

1 — 11 **رفائيل موشي طوليدانو ، ومردوخاي لاريدو . ورفائيل طوليدانو ، ويحيى ابراهام ابن الصايغ ، وحاييم بوزاكلو ، وميمون بن الدهان ، وإستير بنـدلاك** ، أرملة فريجة ، **ويشوع طوليدانو . ومـردوخ قزيـز . وعبد الرحمان وهارون ، وإسحاق بوزاكلو** هذا المحمي وكل السابق ذكرهم وردوا في اللوائح الأربع المذكورة أعلاه .

12 — 19 **شلومو لاريـدو ، ودابيد أزولاي ، وإسحاق ع. ناهون ، وحاييم ع ناهون ، واسحاق ش. ناهون ، ويوسف ناهون ، وموشي ع ابن الصايغ ، ويحيى ع ابن الصايغ** . وقد وردت أسماؤهم في قوائم 1889 — 1891 .

20 — 21 **ابراهيم ناهون ، ويعقوب ناهون** ، ذكرا في قائمة 1889 وحدها

22 **جميلة بوزاكلـو** : لم ترد في لائحة 1894 وانما في التي قبلها .

23 و 24 **موشي طوليدانو** : في لائحتي 1893 و 1894 فقط ، وهو ومن بعده حفيدان ليوسف طوليدانو وارد الذكر ، **ومناحيم ناهون** .

25 **محمد الدكالي** : ذكر عنه أنه مجنس ايطالي منذ 25 نونبر 1869 — هو والاثنان بعده — استنادا الى الفصل الخامس عشر من معاهدة مدريد (12) .

26 **عبد الرحمان بناني** : مثله منذ 20 نونبر 1878 .

27 **الحاج العربي الديوري** : مثلهما منذ 1878 (13) .

---

12 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في 14 نونبر 1884 ، محفظة الحماية القنصلية ، و «الوثائق» ج 4 ص 61 .

13 . شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة الامبرياليات» ص 70 وكذلك رسالة سكوفاصو في 14 نونبر 1884 آنفة الذكر .

ثانيـة : المحميـون القنصليـون

28 ـ **الحزان يوسف طوليدانو** : كان ترجمانا ورد فى لائحتي 1889 و 1891 فقط ، لوفاته فى غشت من السنة الأخيرة . وقد عمل مدة أربعين سنة ، أي منذ سنة 1851 ، ترجمانا وكان لـه حفيدان كما تقدم ، فاستشار السفير المخزن فى هل له الحق فى إدخالهما للحماية (14) ، فصدرت الموافقة .

29 ـ **يوسف أفـلالو** : ترجمان آخر ، ورد فى جميع اللوائح .

30 ـ 32 **الحاج محمد السوسي** ، **والحـاج عبد السلام العمارتي** . **والحاج محمد الشياظمي** : أعوان ذكروا فى كافة القوائم .

33 ـ **محمد ومزيـان** : عون فى لائحتي 89 و 91

34 ـ **أحمد بن عبد الله** : عون فى لائحتي 93 و 94

35 ـ **ابراهيم بن الصايغ** : صار سنة 1889 كاتبا بالسفارة بطنجة (15)

36 ـ **العربي البقّاش** : صار سنة 1889 عونا بالسفارة (16) .

37 ـ **ابراهيم بن مردوخ لاريدو** : لعله كان قنصلا بطنجة سنة 1891 . وكانت له عرصة بمرشان مجاورة لعرصة الباشا الحاج محمد بن عبد الصادق (17) . وكان محررا بجريدة «إيليكو ماوريطانو El Eco Mauritano » من سنة 1885 الى 1887 ، وصار ترجمانا للمفوضية الايطالية (18) وقد ورد فى لائحة 1889 وحدها .

---

14 . رسالة كانطاغاللي الى غريط فى 28 دجنبر 1891 ، محفظة المغرب ايطاليا

15 . رسالة كانطاغاللي الى الطريس فى 3 يوليوز 1889/10 قعدة 1306 . نفس المحفظة

16 . رسالة كانطاغاللي الى الطريس فى 28 يونيو 1889/29 شوال 1306 ، نفس المحفظة

17 . اشهاد عدلي فى 13 محرم 1309/19 غشت 1891 . محفظة الطريس 21

18 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 129

ثالثاً : السماسرة

I — **موشي اشلومو ناهون** : كان سمسارا للمحمي التاجر يوسف ناهون بطنجة فى كافة القوائم الأربع السابق ذكرها .

2 — **يعيش ازديزر** : سمسار يحيى ابن الصائغ بطنجة سنة 1889 و 1891 .

3 — **حاييم كويهن** : سمسار فى قوائم سنة 1891 و 93 و 94 للتاجر اسحاق ناهون بطنجة ، وكان ناهون قد اشترى سنة 1891 نحو مائة صهريج من دار الدباغ القديمة الكائنة بخارج باب الدباغ من ثغر طنجة (19) .

ويحكى عن أولاد ناهون أنهم كانوا «يتحيلون لشراء صهاريج الدباغة من الضعفاء من أرباب تلك الصهاريج ، بوسائط خفية ويتغالون في أثمانها» (20) ولا شك أنهم كانوا من مصدري الجلود .

رابعاً : المستوطنون

I — **بيطري أكيللي** Petri Achelle

استوطن طنجة سنة 1884 ، وأسس شركة تجارية بمساعدة دور التجارة بايطاليا ، وكان نشاطه واسعا ، ارتبط بعلاقات مع القصر السلطاني وسكوفاصو . وكان يعد أبرز شخصية بالجالية الايطالية ، وكان من الملاكين بالمدينة استعان به كانطاكالي فى مهماته لدى المخزن . ولعب دورا لتهدئة اسبانيا أثناء قضية مليلية سنة 1893 . وقد عينته الحكومة الايطالية سنة 1903 مندوبا تجاريا بالمغرب (21) ، وظل يعيش بالمدينة حتى ما بعد سنة 1911 .

---

19 . رسالة فى 13 ربيع الأول 1309/17 أكتوبر 1891 ، محفظة فرنسا

20 . رسالة الطريس الى السلطان فى 4 محرم 1309/10 يونيو 1891 ، محفظة ايطاليا

21 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 124

وكان له مصنع للآجر حوالي 1886 بناحية طنجة . بناه الأمناء لغيره من التجار في البداية ، ولما فضلوه عليهم ، ثار ثائرهم ، ومن جملتهم موليناريس الاسباني ، وفي سنة 1889 بلغ الى علم السلطان أن «التاجر الطلياني بيطرِ ترامى على قطعة من أرض المخزن بطنجة وبيتين للعسة» . وكان استيلاؤه على «طرف من عرصة أمقشّد سببا» في احتجاج الأجانب والسلك الديبلوماسي ، وخصوصا نائب اسبانيا بطنجة ، فطلبوا المساواة معه في ذلك (22) .

وقد ظفر بعقد لبيع الحبوب سنة 1890 ، وقعه بفاس الترجمان جانطيلي والوزير غريط وتضمن 7 شروط ، منها أن الوسق يكون بمرسى طنجة (23). وظلت العقدة جارية ، فكان سنة 1892 يبيع حبوب الأعشار والزكوات التي تستغني عنها البلاد ، فالقمح كان يباع بثمن يتراوح بين 19 و 23 فرنكا لمائة كيلو ، والشعير بين 13 و 15 فرنكا ، ولم تبرم هاته الوثيقة معه فقط ، فكان نواب باكي وكارثر قد أمضوا شرطا مماثلا لتفادي التفضيل بين الدول (24) . وكلما كان المخزون الحكومي منها فائضا عن حاجة الاستهلاك . كانت الحكومة تسرح التصدير ، لكن هذا العقد أثار سنة 1894 عاصفة من الاحتجاج ، اذ أدى وسق القمح والشعير على يد الأجانب ولا سيما بيطري الى غلائهما «وترادفت الشكايات منها على الحضرة الشريفة بارتفاع ثمن الحبوب جدا في هذه السنة ، بالنقص الواقع في جميع الحبوب قائلة : إن بقي وسق القمح والشعير مسرحا لبلاد النصارى يزيد ثمنها ارتفاعا ويتضاعف الضرر الواقع لهم . . . وحيث كان ماقالته صحيحا مبينا ، تعين عدم تضعيف

---

22 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 ربيع الاول 7/1307 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

23 . رسالة الطريس الى غريط في 18 ربيع الثاني 1/1308 فاتح دجنبر 1890 ، ورسالة غريط الى الطريس في 6 ربيع الثاني 19/1308 نونبر 1890 ، محفظة الطريس 19

24 . رسالة السلطان الى الطريس في 19 جمادى الأولى 9/1310 دجنبر 1892 ، محفظة الطريس 23

الضرر الواقــع لها بالغلاء . . . » (25) ، الا أن بيطــري كان يتعلل فى بعض الأحيان بانعدام الربح من البيع بسبب حالة الحبوب (26) .

وكان يتعامل مع شركة لافيلوتشي التي كانت تملك أسطولا للنقل البحري بمدينة جنوة ، وتتولى نقل الحبوب وغيرها من طنجة ، وكان لبيطري سماسرة بالجديــدة وغيرها ، كما كان سنة 1899 وكيلا فى طنجة لشركــة La Ligure Brasiliana di Genova (27) . وكان الى ذلك رئيسا لجمعية من التجار طلبت سنة 1910 امتياز صيد الحوت فى نواحي اشقار (28) .

2 ـ **أنجليو لوباريلو** (؟) Angelo Lubarello

لعله كان تاجرا بطنجة سنة 1887 ، وقد طلب أن يشتري قطعة أرض بهاته المدينة مجاورة لعرصة كانت له قرب مارشان (29) . ولم أقف له على سمســار .

3 ـ **أندريس . . . (أو أندريــا)** Andrea . . .

عثر الحاج عبد الرحمان اللغميش رئيس الحرس بمرسى طنجة سنة 1889 على فلوكة بها نصرانيان : أحدهما أندريس (أو أندريا) دون بيان نسبه وهو ايطالي «متصل النبات أسوده ، أقرن ، ضمير الخدين» والآخر برطقيزي اسمه خوان مريرو وبيدهما سلاح مهرب (30) .

---

25 . رسالة غريط الى الطريس فى 21 محرم 1311/4 غشت 1893 ، محفظة الطريس 25

26 . رسالة كانطاغالي الى غريط فى 26 يبراير 1892 ، محفظة ايطاليا المغرب

27 . جريدة ريفي دو ماروك العدد 851 الصادر فى 20 يوليوز 1899

28 . محفظة التجارة ، ورسالة محمد بن محمد الجباص الى الحاج محمد المقري فى 27 قعدة 1328/30 نونبر 1910 ، محفظة الترتيب العام

29 . رسالة سكوفاصو الى غريط فى 19 يبراير 1887 ، محفظة المغرب ايطاليا

30 . من موجب عدلي فى 7 حجة 1306/1 غشت 1889 ، نفس المحفظة

ولما عرضت القضية على كانطاغالي أجاب بأن «نائب دولة ايطاليا الذي قبل كل شيء يحب توقير حقوق الحضرة الشريفة وأحكام هذه الايالة . يباشر هذه القضية على وجه الحق» (31)

ولم أقف على غير هؤلاء من المستوطنين الايطاليين

* * *

المطلب الرابـع : سكوڤاصـو وكانطاغالـي

أولا : ستيفانـو سكوڤاصـو

وصل الى المغرب سنة 1860 قادما من جبل طارق للاشتغال بالتجارة . وفى أواخر سنة 1868 عين قنصلا عاما لبلاده ، خلفا عن كاستيليناردو ، وكانت له مصالح شخصية كبيرة فى المغرب ، وفى سنة 1875 بدأ يقوي جانب أنصاره وزبنائه المغاربة تقوية منتظمة ، بتجنيس اليهود وحماية المسلمين (32) .

وفى 15 غشت 1871 صار وزيرا مقيما لايطاليا بطنجة (33) ، وظل فى منصبه نحوا من 18 سنة ، فأصبح عميدا للسلك الديبلوماسي ، بعد اعتزال جون هي الحياة الديبلوماسية ، وتوفي فى أكتوبر 1887 بالمغرب الذي رفض مغادرتـه .

كان يعيش فى العزوبة ، وكانت لـه صلة بأسرة السافوا الملكيـة يشتري لها التمور ويمسحها بنفسه بفرشاة ثم يبعث بها الى الملك (34) . ولعله كان ضابطا فى الجيش برتبة كومندان . فقد اشتهر فى بلدان البحر الأبيض المتوسط بقوته الهرقلية العضلية ، الى حد تكسير قطع النقود بين أصابعه (35) .

---

31 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 6 غشت 1889 ، نفس المحفظة

32 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 81 (8) . ومنشطة البابور «ماروك» فى 21 دجنبر 1870 ، محفظة طنجة 1 .

33 . رسالة مايسا فى 10 ربيع الاول 1305/26 نونبر 1887 ، محفظة المغرب ايطاليا

34 . هنري ده لامارتينيير : «ذكريات عن المغرب» ص 120

35 . المصدر السابق ، وكتاب «السفير بول كامبون» ص 107 ، بقلم ديبلوماسي مجهول

وكان يضيف الى التجارة المباحة بيع الحماية التي قال عنها إنها «مادة تجارية تباع لأكبر مغال فى الثمن» (36) . وكان اليهود المغاربة أعظم متهافت عليها . فقد ذكر سنة 1882 أن عدد المحميين بدولته يبلغ 139 فى المجموع ، منهم 66 من المحميين القنصليين والاستثنائيين ، و 73 من السماسرة ونواب التجار ، الايطاليين منهم والمحميين (37) .

ولم يكن سكوفاصو على أحسن حال مع السلطات المخزنية ، ولا سيما مع محمد بركاش الذي كان شديد العتب عليه ، ودارت بينهما مشادات ومجادلات كلامية ، وخصوصا أثناء فترة مشاورات طنجة ، قبل اجتماع مؤتمر مدريد سنة 1880 ، وربما كان حاضرا فى الكواليس أثناء انعقاد هذا المحفل الدولي ، فكان يستشار فى بعض النقاط .

كان كثير المطالب ضد الولاة ، ناقما عليهم ، ففي سنة 1883 اتهم هو أحد عمال بني حسن وباشا الرباط بخرق حقوق محمي ايطالي (38) .

وقبل ذلك سنة 1880 تعلل وزير ايطاليا بكون محتسب طنجة سجن امرأة مغربية محمية كانت تخدمه ، فقدم لائحة طويلة لمطالبه ، ثم ألزم جوابا مستعجلا عنها ، والا أنزل علم بلاده ، ايذانا بقطع العلاقات الديبلوماسية بين البلدين ، كما أنه نادى بعزل المحتسب الذي كان قد حبس زوجها أو ولدها ، ولما هرب هذا الأخير بحوائج الناس سجنها المحتسب بدلا منه (39) .

وقد بلغ عدد الدعاوي التي قدمها سنة 1884 على الولاة والعمال والشيوخ من أجل النهب والديون الحقيقية أو الموهومة 111 قضية ، تراوح قدرها بين 245 و 250 ألف فرنك ، وكان في ذلك يهدد باستجلاب الأسطول ، مما

---

36 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» 4 ص 36

37 . رسالة سكوفاصو الى بركاش فى 13 أبريل 1882 ، محفظة بركاش

38 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 81 (8)

39 . عبد الله العروي : «الأصول ...» ص 246 ، ورسالتا السلطان الى بركاش فى 21 شوال و 4 قعدة 1297/20 شتنبر و 8 أكتوبر 1880 ، فى «الاتحاف» ج 2 ص 373 ، لعبد الرحمان ابن زيدان .

أدخل الرعب في قلوب أعضاء النيابة بطنجة ، وظل برگاش سنوات يفاوضه فيها على كبر سنه ، ثم تحسنت علاقته مع المخزن فكان من المساعدين على ارسال بعثات تعليمية الى ايطاليا .

وأختم الحديث عنه بقضية تمرد وصفاقة ولصوصية وافتيات ، أحدثت ضجة لدى الأوساط الديبلوماسية ، فاطلقوا عليه صفة الريبيلدي rebelde الاسبانية التي تعني المتمرد ، حتى صار ابتداءً من سنة 1869 يعرف بها أيضا لدى الكتاب المخزنيين وتراجمة المفوضيات والقنصليات . ولست أدري هل كانت تأخذه عزة باثمها عند سماعها أم كان يستحيي منها ، ولا شك أن غيره من القناصل اتخذها سابقة لانتهاك حرمة القضاء وتسريح المسجونين قسرا من زنزاناتهم ، ومخاطبة الولاة بكلام بذيء ، حسبما سنرى أمثلة من ذلك في أطراف من هذا الكتاب .

وردت قصة الريبلدي المتهور في مقال بجريدة «سيمافور مرسيليا» . ولأهميتها أقتطف منه ما يرجع لهذه القضية فأعربه فيما يلي :

«امتازت نهاية سنة 1869 بطنجة بسطو لم يسبق له مثيل — فيما أظن — أفضى الى قطع العلاقات بين الحكومة المغربية وايطاليا ، وها كيف وقعت الحادثـة :

«تحمي ايطاليا أو ممثلها مغربيا اسمه الدكالي ، عرف بثروته في جميع أنحاء المغرب ، ولهذا الشخص عدة أقارب ، وكان أحد أبناء عمومته قد اشتكى منه ، فأمر المخزن قائـد طنجة باعتقاله وتوجيهه الى فاس تحت الحراسـة المشـددة ، وكان قنصل ايطاليا السابق» (ويقصد الصحافي بـه القنصل كاستيلليناردو) «يرمي قبل ذهابه ، وبدون جدوى ، الى تسريح المسجون . ومن غريب الصدف — التي يعتبرها الجميع نتيجة خطـة مبيتة — أن قنصل ايطاليا كان يصطاد بالغابة عندما كان الخافرون يرافقون السجين . فترصد للقافلة في مكان غير بعيد عن المدينة .

«ويجمع الكل على تأكيد أن قنصل ايطاليا سكوڤاصو أوقف الموكب وأشهر مسدسه على الجنود المغاربة ، آمرا إياهم برد المسجون الى طنجة .

«ولم يلبث هذا العمل أن أفزع فزعا شديدا وزير صاحب الجلالة المقيم بطنجة الذي تحمل عناء لم يعرف له نظير ، فلم ينفك غاديا رائحا ، مترددا على مفوضيات فرنسا وانجلترا واسبانيا طردا وعكسا ، مستفهما جميع الوزراء عن رأيهم فى هذا الاعتداء ، وعما ينبغي سلوكه إزاءه .

«وكانت عاقبة ذلك صدور أمر من فاس بتوجيه الدكالي مرة أخرى الى العاصمة ، وقد عدل قنصل ايطاليا هذه المرة عن تجديد معارضته ، فاقتصر على خفض علم بلاده ، الشيء الذي كان مصدر روعة كبرى فى مجموع طنجة والايالة .

«ونتساءل عما سينجم عن هذا الخلاف ، لا شيء ، ان أردتم معرفة رأيي الشخصي فليست ايطاليا فى مكانة تسمح لها بالذهاب بعيدا ، اذا كان المغاربة الذين يؤيدهم وزراء الدول الأخرى قد ارتأوا أن يقاوموه . . . » (40) ،

هاته الضجة كانت لمصلحة أحمد بن الجيلالي الدكالي الرباطي . فمن هم أولاد الدكالي ؟ كان المصطفى بن الجيلالي شخصية مرموقة ، وكان أحد تجار مولاي عبد الرحمان الذى خوله امتيازات عظيمة .

وبعد وفاة الأب تبوأ ابنه محمد مكانة بارزة فى تجارة المغرب وسياسته ، وشارك فى المفاوضات التي كانت ترمي الى إلغاء الجزية التي كانت بعض دول أوروبا الشمالية تؤديها للمغرب سنة 1845 ، كما أسهم فى جزء من المفاوضات التي وقعت من أجل تسديد التعويض الحربي لاسبانيا سنة 1861 ، وقد نال الحماية الايطالية سنة 1862 .

أما أحمد فهو عم السابق وشريكه ، وكان محميا أمريكيا واحتل مكان ابن أخيه لدى السلطان الذى كلفه بمهام فى الخارج ، لمعرفته باللغات الأجنبية.

---

40 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 153 — 154 ، نقلا عن مقال صدر بجريدة «سيمافور مارسيليا» فى فاتح يبراير 1870 .

غير أنــه أســاء الظن بــه إذ انساق فى مغامــرات دنيئــة ، فعمد الى تزوير رسوم ملكيات عقارية ، بتواطؤ مع أفراد من قبيلة أنجرة . ولما شعر المخزن بــه ، وأدلى ميري إي كلوم بالحجة على ذلك ، أمــر السلطان باعتقال آل الدكالي ، فألقى القبض على أحمد العم ، ثم أصدر الأمر بتوجيهه الى فاس تحت الحراسة ، لا سيما وأن آل الدكالي لم يكونوا يؤدون الضرائب ، وكانوا يتملصون من تسديد الديون التي عليهم قِبَل مواطنيهم وأقربائهم .

ولما بلغ الخبر الى محمد ، هرب من طنجة قاصدا مدينة فلورينسة صحبة أحــد اليهود ، وبايطاليا تجنس بتدخل أحــد القناصل الايطاليين ، للخدمات التي أسداها لبلاده .

وهكذا أصبح فى مأمن من المتابعات ومن الديــون التي كانت عليه للأشخاص وللدولة معا ، والتي جاوزت 300 ألف فرنك ذهبي .

وقد استغل سكوڤاصو هاتــه الوضعية ، ليقدم مشروع الاستيطان الايطالي بالجنــوب المغربي مطالبا بقطعــة مــن التــراب ، وملوحا بحملــة عسكرية (41) .

ثانيــا : روميــو كانطاكــاللي

إثر وفاة سكوڤاصو ، عين روميو خلفا له في 5 مارس 1888 (42) .

وكان من قبل ذلك كاتبــا بالمفوضية الايطالية بواشنطون وبيــرن وريودي جانيرو وأثينا وبروكسيل .

وظل فى منصبه حتى عين سنة 1895 سفيرا ببروكسيل ، فعوضه بطنجة مالموسي Malmusi القنصل السابق بمدينة تريستا (43) .

---

41 . المصدر السابق ج 2 ص 550 (5) وكذلك ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 553 وص 560 الى 563 وج 5 ص 84

42 . رسالة مايسا الى الطريس فى 5 مارس 1888 ، محفظة ايطاليا

43 . بيير كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 242

وكان على النقيض من سلفه يهدف الى «الوقوف عند حدود معاهدة مدريد» ، وطلب ألا يشتكي المغاربة لديه ، وألا يقبل الأجانب ، في دعاويهم لدى المحاكم ، إلا وفق «الشروط» (44) أي المعاهدات .

ولهذا دأب يبعث بلوائح المحميين في شيء من الانتظام ، ولئن كانت علاقته جيدة مع المخزن عامة ومع الطريس خاصة ، فقد كان ينقم على بعض الولاة وعلى سفير انجلترا عرقلة مشاريعه التجارية ، بعد أن كان يطلب كغيره من السفراء بناء الدور والأهرية للقناصل والرعايا الايطاليين (45) ، مستظهراً في ذلك بالفصل الخامس من المعاهدة المنعقدة بين المغرب ومملكة نابولي سنة 1782 ، من أن للقناصل والتجار والرعايا الايطاليين الحق في بناء سكناهم ، أينما ظهر لهم (46) .

ومن جملة مآخذه على الولاة أن الحبَاسي قائد قبيلة بني مالك كان لا يريد «الا تعكيس التجار مع الأجنبيين وحيازة الدراهيم من أناس لا ذنب لهم الا مخالطتهم مع أهل رعية الأجناس وأهل حمايتهم» (47) .

وأيا كان الأمر ، فقبل زيارة السلطان لنواحي تطوان سنة 1889 تواطأ بعض «من لا خلاق لهم من قبيلة الأخماس على اغتيال باشدور الطليان ، اذا مر ببلادهم لحضرتنا الشريفة وتحالفوا على ذلك» (48) حسب رسالة سلطانية لم توضح أسباب ذلك التآمر ، وبعد أن كلف الحسن الأول في هذا الكتاب نائبه بالتحقيق في هاته القضية والأخذ بناصية الحزم فيها ، أمره بأن

---

44 . رسالة كانطاغاللي الى الطريس في 28 نونبر 1888 ، محفظة المغرب ايطاليا

45 . رسالة كانطاغالي الى غريط في 17 يونيو 1890 ، نفس المحفظة

46 . رسالة كانطاغالي الى غريط في 20 دجنبر 1889 ، نفس المحفظة ، ومثل هذا أورده جان كايي في كتابه : «الأوفاق ...» ص 243 عن المعاهدة المبرمة بين المغرب ومملكة الصقليتين بتاريخ 18 أكتوبر 1782 في فصلها الخامس .

47 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 30 أبريل 1890 ، نفس المحفظة

48 . رسالة السلطان الى الطريس في 21 حجة 21/1306 غشت 1889 ، محفظة الطريس 10 ولئن لم يقع اعتداء على كانطاغاللي فقد وقع في نفس السنة على أرطورو كاليطي كامبياجي القائم بالاسعاف حسبما تقدم في الصفحة 580 أعلاه .

يخبر السفير بذلك ، ويؤكد عليه بالمكوث بطنجة أو بالتالي بتطوان ، الى حين قدومه .

وكانت لكانطاكالي — كما تقـدم — مشاريع تجاريـة ، فاقترح على السلطان ربط أواصر المحبة والتواصل ، لتسهيل العلاقات الاقتصادية بين البلدين عن طريق مرسيليا ، لعدم ورود سفن ايطالية منتظمة على المغرب ، وكانت شركة لاڤياوتشي Societa la Veloce تريد أن تتولى حركة النقل البحري بين المغرب وايطاليا فى أوقات معينة ، لحمل المسافرين والسلع كالحرير وأثوابه والمؤبر والكمخة والمرجـان الى المغرب ، ووسق الجلـد والصوف والزيوت الى ايطاليا ، ويبدو أن مشروعه نال رضى السلطان (49) .

49 . مسودة رسالة بتاريخ متم شوال 29/1306 يونيو 1889 ، محفظة ايطاليا المغرب

7 : الانبيريال

كانت الأمبراطورية النمساوية الهنغارية تدعى بالمغرب ، تارة الانْبيريال أو اللنْبِريال أو حتى نبَرْيال (تحريفا لكلمة إمپيريال impérial أي الأمبراطوري) ، وتارة أخرى أوْسْتْرِياكو أو السرياكو أو الاسطرياكو عن صفة مشتقة من اللغة الاسبانية : austriaco

وثمة تحريف آخر في المشرق قريب منه ، وهو أن الروسيين كانوا يطلقون نيمتس Niemets على النمسا ، فقلدهم الأتراك ، وسار عرب المشرق على نهجهم في هاته التسمية (1) ، فى حين أن أهل النمسا يسمون بلادهم OSTERREICH

وأيا كان الأمر ، فقد كانت الامبراطورية المذكورة حلفاً بين دولتين كبيرتين بأروبا الوسطى ، دام من سنة 1867 الى سنة 1918 ، وهما النمسا والمَجَر (أى هنغاريا) . وبعد الحرب العظمى ، تجزأت الى دول مختلفة زيادة على المذكورتين والى تشيكوسلوڤاكيا ، وألحقت أطرافها بايطاليا ورومانيا ويوغوسلاڤيا ، اثر معاهدة سان جيرمان .

وظلت اللنبيريال ذات علاقة ديبلوماسية مع المغرب فى منتصف القرن التاسع عشر ، تمثلها تارة انجلترا ، وتارة ألمانيا ، مع وجود قنصل عام أنبيريالي بطنجة ابتداءً من سنة 1868 .

---

1 . محمد الفاسي : «البربرية شقيقة العربية» ، فى مجلة «البحث العلمى» عدد يناير 1969 ، ص 7

الكلام عن هاته الأمبراطورية يستلزم طرق ثلاثة مطالب :

1 . السلك الديبلوماسي والقنصلي

2 . ترجمة القنصل العام ماكْسيملْيان شْميدَل

3 . المحميون والمستوطنون

* * *

المطلب الأول : السلك الديبلوماسي والقنصلي

1 : **الدكتور ماكْسيمِلْيان شْميدَل** Maximilian Schmiedl
الذى ظل قنصلا عاما من سنة 1868 الى حين عزله فى منتصف 1885 وخلفه :

2 : **پول ريطر ريكْليان فون أوهْموسفيك** P. Ritter R. von Ohmocevic
وهو الذى عين إثر فضيحة سلفه (2) ، وقد لبث فى منصبه من سنة 1885 الى 1890 . ولما عزم على الرحيل ، قال له الطريس : «بلغنا أن جنابكم قد استوفى مدة الخدمة بهذه الايالة ، وأنك على نية السفر . فتأسفنا لذلك الغايةَ ، لما ألِفْناه من خيارتكم وحقانيتكم وسعيكم دائما فى الخير بين البلدين» (3) .

وذكر كانوكي وزير خارجية الانبيريال فى رسالته الى الطريس أن أوهْموسيڤيك كان سنة 1885 ، قبل تسميته بطنجة ، قنصلا عاما بمدينة بور سعيد (4) ، فقد يكون من المستعربين إذن .

3 : **كارل ريطرفون بوليسليڤسكي** Karl Ritter von Boleslewski
الذى تولى شؤون القنصلية العامة حتى 1896 (5) . وخلفه :

---

2 . رسالة جون هي الى الطريس فى 16 اكتوبر 1885/7 محرم 1303 ، محفظة النمسا

3 . مسودة رسالة الطريس الى أهموسيفيك فى 13 رجب 1307/5 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18 .

4 . رسالة كانوكي الى الطريس فى 29 نونبر 1885

5 . جان لوي ميبيج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 172

4 : **الكونت جلبيرت فون هوهنڤارت** G. Von Hohenwart الذى كان سنة 1899 وزيرا للأمبراطورية بطنجة (6)

ومن ثمة ، كان للأمبراطورية وجود ضعيف لا نصاعة فيه ، للنزاع الذى شبّ بين البعض من المحميين اللنبرياليين وبين الدكتور شْميدَل الذى سأتناول الحديث عنه الآن .

* * *

المطلب الثاني : الدكتور شميدل

هو من أصل هنغاري ، وأحد يهود أروبا الشرقية ، وقد عين بالمغرب قنصلا عاما لبلاده مدة 17 سنة حتى ظهرت تعسفاته .

ولد ببوهيميا سنة 1833 ، واستقر بتطوان سنة 1858 بوصفه طبيبا ، وظل متعاطيا للطب فيها حتى سنة 1865 ، وكان يتلقى من سالومون روتشايلد 200 فرنك شهريا ، زيادة على الأدوية التي يفتقر اليها فى عمله لعلاج اليهود ، ثم انتقل الى طنجة سنة 1868 وتزوج باسبانية من هاته المدينة ، وفى نفس السنة عين قنصلا لبلاده ، ولكنه انغمر فى مضاربات خسيسة بالمغرب ، إذ كان له كثير من السماسرة والخلطاء . وبعد عزله سنة 1885 ظل يتردد بين أروبا والمغرب (7) وفى يناير 1899 استوطن مراكش لمزاولة الطب أو غير الطب ، واتخذ له زبناء كثيرين من يهود المدينة (8) .

وأثناء تقلده أعباء منصبه القنصلي ، كان له ثلاثون محميا ، وخلافا لما ورد فى المصادر الأروبية ، لم يكن شميدل الامبريالي الوحيد بالمغرب (9) لوجود آخرين بآسفي وبطنجة وبغيرهما .

---

6 . جريدة «المغرب الاقصى» 15 يوليوز 1899

7 . رسالة شميدل الى الطريس فى 21 ماى 1894/15 قعدة 1311 ، محفظة الطريس 26

8 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 471

9 . المصدر السابق ج 2 ص 553

من أهم النزاعات ما وقع له مع حليمة بنت عيسى ، ثم مع حليمة أرملة القائد مصطفى السفياني . ولم يـرد ايضاح عن سبب ذلك . لكن خلافـه مع محمد بن احميدو الشوّاطي كانت له أبعاد كبيرة ، وجعل لذلك ملف عرض على لجنة تصفح الرسوم ، فلم يستطع شميدل الاتيان بحجج «سوى مجرد القول ، واقتضى النظر أن تحسم مادة هذه الدعوى ، حيث لم يوجد لديه ما يعتمد عليه» (IO)

كان الشواطي يطلق فيه لسانه بالحق والباطل ، فطلب القنصل العام من باشا المدينة فصل الخلاف بينهما ، لكن عبد الصادق بن أحمد رفض ، لأن الدعوى كانت شرعية . والتهمة التي كان شميدل يوجهها لخصمه هي أنه «رجل احرامي وكاذب . . . حاول التدليس على رجـل من جنسنا ، اسمه مسيو سيس بوكّر الذى هو مهندس المون . . . » (II) أى بيطرس موزبوركّر الذى سيرد الحديث عنه فى الختام .

وقال له الطريس فى رسالة جوابية ان الشوّاطي «قد أُدخل السجن على هذا الكلام القبيح ولا زال به منذ شهرين . . . » (I2) ، وقد ظل بالفعل مسجونا مدة ثلاثة أشهر .

على أن الشواطي لم يكن وحده الذي يتولى سلقه بألسنة حداد ، فقد كانت «الجرائد بأروبا تقول : ان شميدل حاز على وجه الظلم طرفا من الأرض بعين الداليـة ، وسجّن وجّعل الحديـد على الناس الذين امتنعوا من بيع أرضهم له ، وذكروا أنه كان عنده السجنُ بعزيبه بعين الدالية ، وألْفَوا به سلاسل وأكبال وعنّاقِيات وأمور أخرى كان يعذب بها الناس ، فالمطلوب من

IO . تقرير لجنة التحقيق فى 4 جمادى الاولى 8/1303 يبراير 1886 ، محفظة النمسا

II . رسالة شميدل الى الطريس فى 15 محرم 14/1304 اكتوبر 1886 ، نفس المحفظة

I2 . جواب الطريس فى I5 ربيع الاول I2/I304 دجنبر 1886 ، نفس المحفظة

سيادتــك ـ ووجهْنا عنــدك ـ أن تبحث في هاتــه القضية ، وتعْلِمنــا بحقيقتها . . . » (13)

فضيحة شميدل كانت إذن واضحة ، ولكنه لم يفتأ منافحاً عن سمعته المدنسة وعن عقاراته وأملاكــه الكثيرة ، التي ما عتّم أن رغب في بيعهــا «بالأفضلية للمخزن وبالتقاضي» ، وقد أراد أحد الاسبانيين ، بواسطة ليڤي كويهن ، اقتناء أملاكه «بعين الدالية بما فيها الديار والأجنة بمبلغ 10 آلاف ريال» ثم عرض عليه أحد المستوطنين الانجليزيين ثمن 14.000 ريال «وكذلك دار السكنى التي كانت لي بحي المصلا بثغر طنجة ، مع الأجنة والبلاد فهي عندي للبيع» . وقد ساومه عليها انجليزي آخر بـ 5.000 جنيه استرليني . «ولا يخفاكم أن دارنا المذكورة كبيرة" غايةً ، يقدر يجعل فيها 150 ديارا ، وحين هاته الدار قريبة ، جُلُّ الناس يبحثون عليها ليبنون فيها . . . كمــا نعلمكم أن عندي الأملاك بتطوان : البلاد في ارميلات ، ومحل في المصلا وراء الملاح . . . .» (14) حسبما جاء في الرسالة التي وجهها الى الطريس في أواخر 1886 ، طالبا الجواب منه لأنه كان ينوي مغادرة المغرب بعد ذلك بقليل .

ويبدو مع ذلك أن الترخيص ببيع أملاكه لم يسلم له . وحتى سنة 1891 ، لم يكن بَعْدُ قد باع شيئا ، ولكنه فوّت على ما يظهر عقاراته بعين الدالية لمستوطن فرنسي اسمه صري Serruys (?) (15) . وقد «زعم الطبيب اشمدل النبريالي الموجود الآن بأروبا أنه باع البلاد بـ 16.000 ريال ، فامتنع العامل من اعطاء الاذن بالبيع . ولاكن المُقَوّمين لم يزيدوا على ريال 3.100 في

---

13 . رسالة بول ريكليان الى الطريس في 6 جمادى الاولى 10/1303 يبراير 1886 ، نفس المحفظة .

14 . رسالة شميدل الى الطريس في 27 نونبر 29/1886 صفر 1304 ، نفس المحفظة

15 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس في 27 جمادى الثانية 7/1308 يبراير 1891 ، نفس المحفظة

تقدير الجميع ، وأخيرا وافق على بيعها بنفس التقويم ، لكونه الآن فى غاية الاحتياج الى ثمنها» (16) .

ولم يثبت أن المخزن حازها منه ولكنه باع «بلادا لـه بدارها بعين الدالية من أحواز طنجة لأحد تجـار المركان حسبما أخبر به نائب باشدور المركان» (17) ، وكان ذلك سنة 1893 .

تلك جوانب من حياة هذا القنصل الطبيب المعزول ، وهي تشبه من بعض الوجوه قضايا الكولونيل ماثيوز فى مغامراتهما العديدة .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والمستوطنون

أولا : المحميون

أ ـ من تقييد ابن زيدان (1880)

1 ـ **موسى بَرينْطي** : كان ترجمانا للقنصلية العامة منذ 1880 وكان لا يزال سنة 1885 فى هذا المنصب (18) ، وتقدم أنه كان ترجمانا بالقنصلية الأمريكية .

2 ـ 7 ـ **عبد الله بن يحيى** (كاتب) **ومحمد بن الحاج علي العمارتي** (عون) **وعلي الفتوح** : مثل السابق وقد تقدمت الاشارة اليه مع المحميين الامريكيين **وحييم بينت** (ولعله بونطي) وكان ترجمانا **والحاج محمد بن ابها العمارتي** وكان كاتبا ايضا **وموسى بن عليل** : وكان طباخا ، وكلهم كانوا محميين سنة 1880 .

---

16 . رسالة الطريس الى السلطان فى 22 محرم 1309/28 غشت 1891 ، نفس المحفظة

17 . رسالـة الخليفة السلطاني مـولاي عمر الى الطريس فى 17 ربيع الاول 1311/28 شتنبر 1893 ، محفظة الطريس 25

18 . رسالة جون هي الى الطريس فى 9 قعدة 1302/20 غشت 1885 ، محفظة النمسا

ب ـ من غيره

8 . **عبد القادر حديد** (أو عبد القادر الريفي أو الطنجي أو أحديد) ، الذى كان سائسا سنة 1880 حتى قتل سنة 1885 ، ووُجد مذبوحا ومحروقا بدوار العبابدة بقبيلة بنى حسن من إيالة عبد الكبير الثوري (19) . فطالب قنصل النمسا بدية قدرها 600 ريال أداها له نفس القائد فى صيف 1885 بأمر السلطان (20) ، وقبل ذلك ثقف قاضي طنجة أملاك الهالك على ورثته ، فأخبر الطريسُ السلطانَ بذلك وأطلعه على قرار القاضي الذى «ذكر أن موته ليس بثابت ، مع أنه عُثر عليه مقتولا بالعبابدة هو والجيلالي بن الجليل السلاوي» ، فرد عليه السلطان : «فارفع القضية للشرع» (21)

9 ـ **بيريـرا** وكان ترجمانا سنة 1892 ولعله من يهود طنجة (22)

10 ـ **إسحاق أبنْسور** : كان ترجمانا بالقنصلية العامة من سنة 1888 الى سنة 1892 ، وكان له سمسار بطنجة (23) وآخر بالرباط ، وكان شريكا ليهودي آخر يقيم بلندن اسمه موسى أفلالو .

ثانيـا : السماسـرة

لم أقف الا على اسم سمسار واحد كان يعمل لحساب اسحاق أبنسور ترجمان القنصلية العامة ، وكان لهذا السمسار نسب عام ، هو **عبد السلام المنصوري** الذى كـان مسجونـا بطنجـة سنة 1892 ، فتدخـل القنصـل بوليسلافسكي لدى السلطات المحلية لتسريحه (24) .

---

19 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 محرم 1303/6 نونبر 1885 ، محفظة الطريس 5

20 . رسالة الطريس الى السلطان فى 18 رمضان 1308/27 ابريل 1891 ، محفظة النمسا

21 . رسالة السلطان الى الطريس فى 29 رمضان 1307/19 ماى 1890 ، محفظة الطريس 18

22 . محفظـة النمسـا

23 . رسالتان واحدة فى 23 ربيع الاول 1306/27 نونبر 1888 ، وأخرى من بوليسلافسكي الى عبد القادر بن عبد الصادق خليفة باشا طنجة فى 20 يونيو 1892/24 قعدة 1309 ، محفظة النمسا

24 . الرسالة الاخيرة

ثالثــا : المستوطنــون

1 . **جــول ري** (?) Jules (?) Rey (?) كان ترجمانا سنة 1889 يعمل لحساب المهندس النمساوي موزبوركر (25) وارد الذكر ، والراجح أنه من جنسية غير نمساوية .

2 : **فالانطين هيل** Valentin Hell : كان هيل مصــورا يعيش بطنجة ، حتى اغتيل على يد مغربي سنة 1892 . وقد وقع هذا الحادث عند ما كان المصور «قاصدا الفُنْدة المسماة هُطِل بِيكْتوريا فى الساعة السابعة والنصف من عشية 7 أكتوبر 1892 ، وقد ضربه رجل بعصاه على قفاه ضربتين ، حتى خر مغشيا عليه» (26) . ولم يَرِد سبب هذا العدوان الذى أسفر عن موت هيل ، ولعــل المعتدي كان مصابا بخلل عقلي ، وقد طالبت القنصلية بدية 2000 ريال ، أُديت لأُسرته فعلا .

3 — 4 : **پول فورت وهيرمان فورت** (?) Paul/Hermann Vurth
كان لهذين التاجرين شركة ، وكان پول فورت يطلب حيازة بندقيتين له بخزين الديوانة سنة 1892 ، لأنه كان يخشى النهب ، أما هرمان فكان شريكا له (27) .

5 . **الدكتور فروخت** (?) (Bleyer) Frucht لم أعثر على ذكره الا فى رسالته التي يخبر فيها أن مدافع أرْمَسْتْرونْك تبيعها بمدينة ڤيينا دار النمساوي كارل أدالبيرت أپيل Carl Adalbert Apel (28) , ولم أدر هل كان يقيم بالمغرب أم خارجه .

---

25 . رسالة موزبوركر الى غريط فى 29 شتنبر 1889 ، محفظة النمسا

26 . رسالة بيريرا الى الطريس فى 8 أكتوبر 1892 ، نفس المحفظة

27 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس فى 20 يوليوز 1892/24 حجة 1309 ، نفس المحفظة

28 . رسالة الدكتور فروخت بتاريخ 18 ماي 1889/17 رمضان 1306 ، محفظة الطريس 16

6 . **پيطرس مُوزْبُورْكَر** P. Meusburger هذا الرجل من أصل نمساوي كان يقيم بطنجة قبل سنة 1884 وبعدها ، وهو الذى بنى رصيفا بمرسى المدينة بتكليف من المجلس الصحي كما سيرد .

وكان الى ذلك تاجراً وله شريكان أو خليطان مغربيان يبيعان له السكر في الأسواق الداخلية (29) .

أما «المون» أو الرصيف ، فقد كان السلطان قد وافق على بنائه بمرسى طنجة سنة 1875 ، وهذا ما ذكّر به شارل فيرو المخزن قائلا ان بركاش كان قد أخبرهم بهاته المصادقة (30) . ولكن هذا المجلس الصحي صار متطاولا على السلطات ، واعتبر نفسه مجلسا بلديا ، فأسند في نونبر 1884 بناء الرصيف الى المهندس النمساوي موزبوركر الذى ادى النفقات اللازمة وهي 5.100 ريال من ماله الخاص ، دون أن يلتزم له المخزن بأى شيء ، وغض المخزن الطرف عنه لكي يستخلص المصاريف من المستعملين (31) .

ولا تكاد تخفى أهمية هذا الرصيف فى نقل البضائع والمسافرين من السفن الى القوارب صعودا وهبوطا ، بدل الحمل على الظهور ، وهو تجهيز يضاف الى انشاء منارة أشقّار ، التى كانت تيسيراً للملاحة وللتجارة ، ويبدو أن المخزن قد تساهل في الأمر ، تاركا القضية تحت عهدة المجلس الصحي .

لكن زوبعة حطمت هذا الحاجز وأتلفت جزءا منه بعد بنائه ، فتعطل العمل به فى الملاحة والنقل ، وبدأ الخلاف يحتدم بين المخزن والنواب ، دفاعا عن التجارة وعن المهندس الذى طالب الحكومة اما بتعويض قدره 60.131

---

29 . رسالة مزبوركر الى غريط سالفة الذكر فى 29 شتنبر 1889 ، محفظة النمسا

30 . رسالة شارل فيرو الى العربي بن المختار فى 22 ابريل 1885/7 رجب 1302 ، محفظة طنجة 3

31 . رسالة قنصل النمسا الى الحاج محمد الغسال فى 19 يونيو 1887/27 رمضان 1304 ، محفظة النمسا

فرنكا ، واما بالسماح له بقبض بَلْيون عن كل شخص صادر أو وارد حتى يستوفي ماله (32) .

فردَّ الطريس على ذلك بأن «أمر المون موكول لمجلس العافية ، ولا يسمع كلاما» (33) ، الشيء الذى لم يقبله النواب ، وخاصة ريكليان مستظهراً بأن البناء وقع فى أرض المخزن ، وعليه فالقضية تحت عهدة الحكومة (34) التى رأت أن المبلغ باهظ وفيه شطط (60 ألف فرنك بدل 5 آلاف) .

وكانت القضية لا تزال حتى نونبر 1889 مثار أخذ ورد بين الطرفين ، وفى أواخر سنة 1890 ، وجه المعتَمدون الديبلوماسيون عريضة جماعية من أجل المهندس يلتمسون تسديد هذا القدر (5100 ريال) ، والترخيص له بجباية 60 ريالاً فى الشهر حتى يستوفي ماله (35) .

وفي ابريل 1891 حُلت المشكلة ، فاتفق كل من النواب والطريس على حيازة ملكية المون لجانب الحكومة ، معترفين أن تملك النواب السابقين له كان خطأ ، وأن فى انتزاعه مصلحة واضحة للمخزن ، وعُين عبد السلام بوزيان الطنجي أمينا على دخل المون ، وتقرر أداء 5100 ريال للمهندس ، وذلك ما صادق عليه السلطان فعلا (36) .

وهكذا وضعت نقطة فصل نهائية فى قضية الرصيف انتهت بانتصار رأي الحكومة ، لكن نواب المجلس ظلوا فى الحقيقة يفرضون أنفسهم مجلسا

---

32 . رسالة ريكليان الى الطريس فى 6 حجة 26/1301 غشت 1887 ، نفس المحفظة

33 . رسالة الطريس فى 18 حجة 7/1304 شتنبر 1887 ، نفس المحفظة

34 . رسالة ريكليان الى الطريس فى 21 حجة 10/1304 شتنبر 1887 ، نفس المحفظة

35 . عريضة النواب الى المخزن فى 5 ربيع الثانى 18/1308 نونبر 1890 ، وهى بتوقيع طاطنباخ (ألمانيا) وبوليسلافسكي (الامبريال) وأنسباخ (بلجيكا) وفيكيرة (اسبانيا) وماثيوز (الولايات المتحدة) ولوى باطنوطر (شقيق وزير فرنسا) وكرين (انجلترا) وايميليو رى كولاصو (البرتغال والبرازيل) والياس كاسيل (السويد والنرويج) ، وكنطغالى (أيطاليا) — محفظة طنجة 3 .

36 . رسالة السلطان الى الطريس فى 6 رمضان 15/1308 ابريل 1891 — محفظة الطريس 20 .

بلديا ، فاقترحوا سنة 1893 بناء ثلاث مجازر : واحدة للمسلمين وثانية للنصارى وثالثة لليهود ، وادخال الماء الشرّوب لطنجة ، وترصيف أزقة المدينة (37) وهو التماس ارتضاه السلطان على الراجح .

---

37 . رسالة الطريس الى السلطان فى 8 رجب 26/1310 يناير 1893 — محفظة طنجة 3 وجان لوي مييج «المغرب وأروبا» ج 4 ص 127

8 : فرنسا

تصميم هذا الفصل :

1 ـ الوزراء المفوضون

2 ـ موظفو المفوضية

3 ـ المحميون والسماسرة والمستوطنون مع ملحق عن حاييم بنشيمول .

وعلى هذا الترتيب سأسير .

* * *

المطلب الأول : الوزراء المفوضون

كان احتلال فرنسا للجزائر من الأسباب التي متنت العلاقات القنصلية والديبلوماسية بينها وبين المغرب . فقد عين بطنجة عدد من المكلفين بالأشغال والقناصل العامين والوزراء المفوضين أذكر منهم :

1 ـ **الفيكونت ده كاستيون** : Le Vicomte de Castillon الذي كان نائبا عن فرنسا حوالي سنة 1860 الى حين اعتماد :

2 ـ **ليون فيليب بيكلار** : Léon-Philippe Beclard وزيرا مفوضا في نهاية 1862 . وقد التحق بمنصبه يوم 30 ماي 1863 فلم يمكث فيه طويلا ، اذ توفي في فاتح مارس 1864 . وكان عمله بالمغرب مهماً ، على قصر

المدة التي قضاها فيه (1) ، وهو الذي أبرم مع ادريس بن ادريس تسوية 19 غشت 1863 عن الحماية القنصلية . وبعد وفاته خلفه في هذا المنصب :

3 ـ أكوست لوي فيكطور ، المعروف بالبارون إيمي داكان : Aymé d'Aquin الذي وصل الى طنجة في 19 غشت 1864 . وكان « رجلا حازما وذا ذكاء نادر » (2) . وكانت علاقته طيبة مع المخزن ، وظل يواصل مهمته من سنة 1864 الى سنة 1871 . غير انه « ذهب ضحية جهوده في سبيل الحد من الحماية . وكان ضد بوميي ذي التأثير الواسع بالمغرب وفرنسا ، وضد بنشيمول ترجمان المفوضية الفرنسية التي كان يسيطر عليها يهود طنجة ذوو المصالح القوية بباريس » (3) . وستظهر عناصر من حياته من خلال ترجمة خلفه .

4 . **شارل جوزيف تيسو** Charles-Joseph Tissot الذى وصل الى طنجة فى 25 ماى 1871 ، وهو من مواليد سنة 1828 ، وكان وزيرا مفوضا من ذلك التاريخ حتى سنة 1876 ، حين عين فى اكتوبر سفيرا لفرنسا بمدينة أثينا ثم باسطنبول فلندن (4) .

وقد وصفه بركاش فى رسالته الى السلطان بأنه «رجل مليح ، يبحث عن دوام الهدنة وتأسيس المحبة والوقوف مع الحق ... وكانت تقدمت لـه خدمة بتونس ، ويعرف شيئا من العربية» (5) . ولكنه بعد يومين زاد للعاهل توضيحات أخرى ، وبيّن له «فى غير هذا المكان أن باشدور الفرنصيص رجل هَيِّن لَيِّن ، الا أن حزبه الذين كانوا يخدمون مع مَن قبله ، صاروا يبحثون ويوضحون له مساوىء من كان قبله ، ليتوصلوا الى عدم رجوع الآخر» (الذى

---

1 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 21

2 .جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 129 (6) و ج 5 ص 88

3 . المصدر السابق ج 2 ص 558

4 . المصدر السابق ج 1 ص 171 و ج 3 ص 190 (2)

5 . رسالة بركاش الى السلطان فى 2 شعبان 1288/17 اكتوبر 1871 ، محفظة بركاش

هو بالطبع البارون داكان) «... لكونه كان يشدد عليهم ، ويخرجهم من الأمور التي لا مَدْخل لهم فيها ، وكان شديدا على اليهود ، حاجزا لهم عن الفضاضة والجسارة ، وكذلك بعض تجار رعيتهم وخلائفهم ، ومن أجل هذا التشديد الذي كان عنده عليهم ، أبغضوه ، وصاروا يبحثون في مساوئه ، ويقلبون ما يستحسن للتوصل الى غرضهم ، واستفهمت منهم أنهم يبحثون على ما يتوصلون به لاذايته من جهتنا ، ونحن لا يصدر منا ، في جانبه ولا في جانب المخزن الذي كان مُوَلّيه ، أدنى شيء مما يُشْعر نقصا ، لا مشافهة ولا كتابة ، ولا مدحاً ولا خوضا فيما جاز عندهم ، لأن العمل على الجِنْس فما وافقوا عليه وفرحوا به ، نقابلوهم بأن ما فرح به الجنس واستحسنه نأخذ حظنا من ذلك ، وذلك على مقتضى السياسة ....» وفي ختام هذا الكتاب ذكر بركاش أن تيسو له «اتصال من جهة الصحبة» (6) برئيس الجمهورية آنذاك أدولف تيير : A. Thiers

كان تيسو من علماء التاريخ والآثار ، وقد أجرى خلال مقامه بالمغرب عددا من الأبحاث الجغرافية والجيولوجية نشرت في المجلات العلمية بباريس (7) ، وهو من الذين اكتشفوا أطلال مدينة وليلي ، وقد جاب جميع المسالك والطرق الرومانية بالمغرب ، ولما نشر سنة 1876 كتابه : «أبحاث في الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية : «Recherches sur la Géographie Comparée de la Mauritanie Tingitane» ، أصبح مراسلا لأكاديمية الآداب بباريس ، وقد وضع في نفس السنة خريطة وكتابا بعنوان «خط المسير من طنجة الى الرباط : «Itinéraire de Tanger à Rabat» (8)

ويبدو أن معرفته بالعربية واهتمامه بالثقافة جعلاه أحد المقربين الى السلطات ، وكان ، هو وفيرو ، من بعده «الوحيدين بين ممثلي فرنسا اللذين

6 . رسالة بركاش الى السلطان في 4 شعبان/19 اكتوبر ، نفس المحفظة

7 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 61 وميبج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 483 (2)

8 . رولان لبيل : «الرحالة الفرنسيون الى المغرب» ص 155 و 156

كانا يُعْنَيان باصلاح الهياكل المخزنية ، ويتفقان فى ذلك مع جون دروموند هي » (9) ، وظل فى منصبه حتى سمي بعده :

5 . أ . ده ڤيرنويي **A. de Vernouillet** فى نونبر 1877 ، بعد أن كان وزيرا مفوضا سنة 1874 ، بمدينة ليما عاصمة الپيرو ، وكان قبل ذلك ملحقا بسفارة فرنسا بروما (10) ولبث في وظيفته الى نهاية سنة 1881. وخلفه :

6 . **لاديسلاس أورديگة** Ladislas Ordéga الذى مثل بلاده مدة ثلاث سنوات من دجنبر 1881 الى دجنبر 1884 ، كتب خلالها مقالات عن المغرب .

ولد ورديغة سنة 1828 ، وبدأ حياته الادارية سنة 1855 بوصفه ملحقا بادارة الشؤون القنصلية والتجارية بباريس ، ثم عين بمدينة تْريِيسْتا ، وبعدها بمدينة أنڤيرس ببلجيكا ، ومنها انتقل الى المغرب فى 6 دجنبر 1881 ، مترقيا الى درجة وزير مفوض ، وقد تسلق السلم الاداري بسرعة ، فلم يكن سنة 1878 سوى مجرد قنصل بمدينة پاليرمو الصقلية ، وكانت تحميه مصالح سياسية وماسونية ، وصفه سكوڤاصو بالتهوُّر وقلة الدراية وعدم الرَّوِية وفساد الذوق والاحساس ، لكن هنري ده لامارتنيير حلاه باتساع الثقافة الأدبية ، وبطبيعة حية نشيطة ، ونفس كريمة ، زيادة على العَجْرَفة .

وكان الحسن الأول يعرف تلاعبه فى بيع الحماية وتوزيعه لبطائقها على أصحاب شريف وزان ، حتى قال عنه : إن معاهدة مدريد لا وجود لها فى ذهن ورديغة (11) .

وقد امتازت ولايته بحدث سيىء ، وهو حماية فرنسا للحاج عبد السلام الوزاني ، وكانت له اتصالات متينة مع مصالح اقتصادية بفرنسا . ولما عَظُم النكير على سياسته ، عُزل وعين بدلا عنه :

---

9 . عبد الله العروي : «الأصول . . . » ص 257

10 . عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 63 وميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 98

11 . جان لوي ميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 150 و ج 4 ص 36 (6) و 53 (4)

7 . **شارل فيرو** L. Charles Féraud المولود سنة 1839 ، وكان ترجمانا لفرنويي عند رحلته الى فاس ، كما كان ترجمانا بالجيش ، وسبق له أن كان قنصلا عاما بطرابلس ، وكانت له معرفة بشمال افريقيا وباللغة العربية ، وارتباطات بالطريقة التجانية ، وخلف تآليف ، وظل يمثل بلاده من سنة 1885 الى وفاته بالمغرب في نونبر 1888 ، وخلال تلك المدة كان يطمح لأن يقوم لدى المخزن مقام جون هي (12) .

ولئن كان الطريس قد أثنى عليه «بجميل الأوصاف ومحاسن الأخلاق وتوطئة الأكناف» (13) ، فقد نعته جون هي أيضا بأنه «يتلافى التهديد والقوة . وهو أخطر من سابقه» ، لكن الوزير البريطاني ظل يكنُّ له بالغ التقدير (14) .

ولما عين بالمغرب وصل الى طنجة ، فطلب كالعادة من السلطات المخزنية تهييء أسباب رحلته الى فاس لتقديم أوراق اعتماده من لدن الرئيس كريفي لدى الحسن الأول ، بوصفه وزيرا مقيما ، وهكذا خرج من طنجة في أواخر أبريل 1885 .

وكان مصحوبا في سفارته بحاشية تتألف من ابنه وصهره وتراجمة وضباط ، ومخفورا بـ 69 جنديا مغربيا ومعهم 170 من دواب الكراء والظهر لحمل الأمتعة والهدايا الى السلطان وأعضاء المخزن ، منها 52 دابة لجـر المدافع المقدمة الى الجيش المغربي ، و 31 فرسا لأعضاء السفارة ، و 22 من الأفراس والبغال و 12 جملا ، يقود الجميع عدد كبير من الأدلاء والكشافة .

وأثناء الطريق كان يُدْهِش الولاة بمعرفته للعربية ، وبقرضه للشعر واستشهاده بالآيات القرآنية ، وحكايته لتاريخ المغرب ، نقلا عن ابن خلدون

---

12 . المصدر السابق ج 1 ص 106 و ج 4 ص 233 (1) ، وكتاب «بول كامبون سفيرا» ص 106 .

13 . رسالة الطريس الى محمد بن العربي بن المختار في 8 جمادى الاخرة 1302/25 مارس 1885 ، محفظة الطريس 5

14 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 234 (4)

وصاحب «روض القرطاس» ، وكان وصوله الى فاس يوم 6 ماي 1885 ، فاستقبله السلطان يوم 8 منه ، وألقى أمامه خطاباً باللغة العربية فكان يرد عليه بلفظة «خَيَّار» أى نعم ، ثم استقبله على انفراد ثلاث مرات (15) .

والمشكلة الكبرى التى وجدها نصب عينيه كانت هى قضية الحماية الفرنسية للحـاج عبد السلام الوزاني ، فكانت تَقُضُّ مَضْجَع السلطات المغربية ، وكان فيرو يسعى لحلها .

لكنه كان يتعرض لانتقادات بعض الأجانب المنشغلين من علاقاته مع السلطان ، وكان يعارض تحالف شريف وزان مع جالوزو الذى كانت له عَصَبِيَّات لدى وزارة الخارجية الفرنسية التى أمرته بتأييد مطالبه ، بل كانت تفكر فى عزله وتعويضه بسفير آخر هو إتيان (16) : Etienne

ولم يوفق فيرو فى علاج القضايا المستعصية ، ولكنه كان كما ذكرت من المؤيدين لاصلاح البنيات الحكومية ، والتنظيمات الادارية حتى أدركتـه الوفاة فى 17 نونبر 1888 بالمغرب (17) ، وحل محله :

8 . **جول پاطنوطر** Jules Patenôtre المولود فى أبريل 1845 ، وكان أستاذا من سنة 1867 الى سنة 1871 ، وانخرط فى السلك الديبلوماسي سنة 1872 بوصفه ملحقا بأثينا ، ثم بالصين سنة 1883 ، وبعده بالطونكـان سنة 1884 ، وعين بالمغرب من يناير 1889 الى اكتوبر 1891 ، (18) وقد وصفه غريط قائلا : «باشدور الفرنصيص الوافد على حضرة سيدنا العالية بالله قد ظهر منه مايدل على العقل وحسن المعاملة والوقوف مع الحق فى الأمور ،

---

15 . رولان لبيل : «الرحالة . . . » ص 165 ، وجاك كايي : «النوادر المغربية» السلسلة الثانية ص 116 و 119 .

16 . جان لوي مييج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 235 (6) و ص 240 — 241 (9)

17 . رسالة الطريس الى أحمد بن موسى فى 16 ربيع الثاني 1306/20 دجنبر 1888 — محفظة الطريس 14

18 . جان لوي مييج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 243 .

غير أن الترجمان حَيِّم ابن شمول ، مهما رءاه مال الى فصال قضية من قضاياه ـ التى لها تعلق به أو باليهود المنحاشين اليه بما يقتضيه الحق فيها ـ الا ويبادر الى تعكيسها وتَثْبِيط فِصالها» (19) .

ولكن مقامه لم يطل بالمغرب ، لأنه عين سفيرا بواشنطن فى أواخر اكتوبر 1891 ، ولذلك «ورد باشدور الفرنصيص لطنجة لجمع حوائجه بقصد التوجه للخدمة بأمريكا» (20) ، وبعده بشهور وصل خلفه :

9 . **الكونت جول دوبيني** Jules d'Aubigny الذى حل بطنجة فى 30 ابريل 1892 ، وظل فى منصبه حتى سلم فى غشت 1894 مقاليد مفوضية فرنسا (21) الى خلفه :

10 . **بايلان ده مونبيل** Baylin de Monbel ، وكان من سنة 1894 الى 1900 وزيرا مفوضا ومبعوثاً فوق العادة (22)

* * *

هؤلاء هم الذين كانوا يمثلون فرنسا بطنجة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكانوا يختلفون بين المسالم وبين المُتَصَلّب (ورديغة وقبله ده ڤيرنويي) والحق أن فرنسا كانت تميل الى المهادنة ولو الى حين .

وأهم من اعتمدت عليه فرنسا فى بسط حمايتها هم الجزائريون واليهود المغاربة ، الذين «تفتقت حيلتهم عن خلق سبب يمكنهم من أن يصبحوا مواطنين فرنسيين بتطبيق مرسوم كريميوه Crémieux عليهم ، ففي أواخر سنة 1859 ، كان عدد المحميين 90 يهوديا فصاروا فى مارس 1860 يبلغون 763 شخصاً» (23) .

19 . رسالة غريط الى الطريس فى 17 رمضان 1306/17 ماى 1889 ، محفظة الطريس 16

20 . رسالة السلطان الى الطريس فى 28 ربيع الاول 1309/11 نونبر 1891 ، محفظة الطريس 21

21 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 243

22 . المصدر السابق ج 1 ص 144 ، ثم «البيان العددي للمراسلة السياسية من 1871 الى 1896» لوزارة الخارجية الفرنسية ص 50 — 51

23 . شارل أندري جوليان : «المغرب فى مواجهة الامبيرليات» ص 32

المطلب الثاني : موظفو المفوضية والقنصلية

تعاقب على مناصب المفوضية والقنصلية الفرنسية بطنجة عدة مساعدين من قناصل وقائمين بالأشغال ومستشارين وكتاب وتراجمة ، وكان فيهم أيضا موظفون مغاربة سترد أسماؤهم مع المحميين والسماسرة .

وحسبي الآن أن أذكر أن الموظفين بالمفوضية الذين كان عددهم سنة 1866 ضئيلا تألف من وزير مفوض وكاتب وترجمانين فرنسيين ونائب قنصلي ومترجمين ، وأنه لم يكن بالمغرب الا نائبان قنصليان وقنصل واحد في تلك السنة (24) ، وتضخم عدد المستخدمين بتضخم الأشغال .

وسأدرج فيما يلي اسماء بعضهم ، مع العلم اني لم استطع في بعض الأحيان تمييز وظائفهم بكامل الدقة ، وتبيين من كان منهم موظفا بالمفوضية وبالقنصلية :

1 . **حجوط پليسيي ده رينو** Pellissier de Reynaud وكان سنة 1862 «القنصل المتصرف بالنيابة للعلم الفرنسيسي فى المراكش» (25) ، وهو الذى رافق ادريس بن ادريس فى سفارته الى فرنسا سنة 1860 لمعرفته بالعربية ، وكان قبل ذلك قنصلا متدربا بالرباط .

2 . **هنري ده طالني** Henri de Tallenay وكان سنة 1864 نائبا عن بيكلار ولفترة قصيرة بعد وفاته ، وكان قد وصل الى طنجة سنة 1863 وعمل موظفا بعدة مناصب بألمانيا ، وبعد تعيين البارون إيمي داكان ، رحل فى يبراير 1865 عن مدينة طنجة (26) .

---

24 . جان لوى مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 91 و 94

25 . رسالة ده رينو الى بركاش فى 2 ماى 1863/13 قعدة 1279 ، محفظة بركاش

26 . جان لوى مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 129 (6) وص 385 ، ورسالة فى 14 محرم 1281/19 يونيو 1864 بمحفظة بركاش .

3 . **ديطـري** Destrée وكان ترجمانا مع ده طالني ثم مع البارون إيمي داكان لبضع سنوات (27) .

4 . **شيفـر** C. Scheffer وكـان سنة 1866 «السكرتيـر الأول لامبراطور فرنسا» (28)

5 . **ده كورونيـل** A. de Couronnel الذى كان سنة 1856 كاتبا بالمفوضية الفرنسية (29)

6 . **بَرْطولدي** Bartholdi (?) وكان سنة 1867 «النائب المفوض لأمور الفرنصيص» (30)

7 . **جول مونـج** Jules Monge وكان الترجمان الاول قبل سنة 1875 حتى ينايـر 1878 ، وأصلـه من مقاطعة الساڤـوا ، وقد رافـق الزبـدي فى سفارته (31) .

8 . **لسـور** : Lesourd وكان قائما بالنيابة عن تيسو ، من اكتوبر 1876 الى نونبر 1877 ، وقبل تعيين ده ڤيرنويي (32)

9 . **الكونت هنري ده لوجيي ـ ڤيـلار** H. de Laugier-Villard وكان «نائب الدولة الفرنسية» (33) سنة 1877 بعد لسور سابق الذكر .

---

27 . رسالة العربي بوشنتوف الى بركاش في 14 قعدة 1280/21 ابريل 1864 ـ محفظة بركاش ثم جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 5 ص 81 .

28 . رسالة وزير خارجية فرنسا الى برطولدي في 23 يناير 1866 ـ محفظـة المغرب فرنسـا

29 . جان لوي مييج : « المغرب واروبـا » ج 1 ص 94

30 . رسالة بركاش الى برطولدي فى 18 شعبان 1284 / 15 دجنبر 1867 ـ محفظة بركاش

31 . « الوثـائـق » ج 4 ص 435

32 . وزارة الخارجية الفرنسية : « البيـان ... » المذكور سالفا

33 . رسالة في 13 قعدة 1294 / 19 نونبر 1877 ، محفظة بركاش

10 . **ده لابولينيير** : de la Boulinière وكان سنة 1881 كاتبا بطنجة ومكلفا بالأشغال بها (34)

11 . **ده ݣاسپاري** : E. de Gaspary كان سنة 1882 الترجمان الأول بالمفوضية (35)

12 . **هنري سوڤيـر** : H. Sauvaire كان ترجمانا بالمدينة سنة 1878 ، وقبلها بنيابة قنصلية فرنسا بالدار البيضاء سنة 1876 ، وقد بدأ حياته سنة 1857 بالقنصلية الفرنسية العامة بالاسكندرية (36) وكان قبل ذلك قنصلا في بيروت ، وتلقى العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وتوفي سنة 1896 ، ولـه تأليف عن الشـرق (37) ومصنفات أخرى أحدها عن الحسبة بالأنـدلس .

13 . **شارل إيكـار** : Charles Hecquard وكان ترجمانا بالمفوضية بطنجة وقنصلا بمدينة فاس ، وبها سيرد الحديث عنه .

14 . **مونفـري** : Monfraix وكان كاتبا بطنجة حوالي 1883 والنائب الأول بالمفوضية (38) .

15 . **بلونديـل** : Blondel كان سنة 1884 كاتبا مترجما (39) .

---

34 . جان لوي مييج : « المغرب واروبا » ج 4 ص 45

35 . رسالة ده كاسباري الى بركاش في 22 رمضان 1299 / 7 غشت 1882 ، محفظة بركاش والدكتور مارسي : « المغرب » ص 125

36 . مييـج : « المغرب واروبـا » ج 1 ص 165

37 . خير الدين الزركلي : « الاعـلام ... » ج 9 ص 106

38 . « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، ثم رسالة مونفري الى الطريس في 13 جمادى الثانية 1300 / 21 ابريل 1883 ، محفظة فرنسا المغرب

39 . مييـج : « المغرب واروبـا » ج 4 ص 54

16 . **ده كري** : De Gray وكان الترجمان الأول ، وهو الذى تلا خطاب أورديغة أثناء استقبال السلطان لوزير فرنسا سنة 1882 بمدينة مراكش (40) .

17 . **ڤانسان داڤان** : Vincent Davin كان مستخدما بالمفوضية ، كما كان تاجرا ، وقد استقر بطنجة سنة 1838 ، وبها توفي سنة 1900 ، وكان ملاكا عقاريا ومراسلا صحفيا سنة 1887 ، وكان له ضلع فى مؤامرة حماية شريف وزان (41) .

18 . **الفونس بيرطران** : A. Bertrand الذى بدأ حياته مستكتبا بالاسكندرية سنة 1856 ، ثم اضطلع بمناصب أخرى بزنجبار وبغداد وحلب ، وقد عين سنة 1882 قنصلا بالصويرة ، وكان سنة 1884 كاتبا مترجما ثم قنصلا بطنجة ، ثم صار مراسلا صحافيا (42) ، وسيرد خبره بالصويرة

19 . **جورج سبيريدان كاسيانوس** : G. Spiridin Cassianos وكان حوالي سنة 1885 كاتبا بطنجة (43) .

20 . **أ. بوتيرون** : A. Boutiron وكان حوالي 1887 كاتبا أيضا بطنجة (44) .

21 . **بول طايي** : Paul Taillet وكان فى نفس السنة مستشارا بالقنصلية الفرنسية بطنجة (45) .

---

40 . عبد الله العمراني : « سفارة لدى جلالة الحسن الاول » فى مجلة « دعوة الحق » السنة 15 العدد الثالث ماي 1972 ، ص 123

41 . جان لوي مييج : « المغرب واوروبا » ج 1 ص 97

42 . المصدر السابق ج 1 ص 75 و ج 4 ص 54 ، ورسالة بمحفظة الطريس 5 ، بتاريخ 28 ابريل 1885 / 13 رجب 1302 .

43 . رسالة في 19 ماي 1885 / 4 شعبان 1302 ، محفظة الطريس 5

44 . « البيان ... » لوزارة الخاجية الفرنسية ، ورسالة بوتيرون الى غريط فى 21 جمادى الاولى 1304 / 15 يبراير 1887 ، محفظة المغرب فرنسا

45 . رسالة فى 21 يبراير 1887 / 27 جمادى الاولى 1304 ، نفس المحفظة

22 . **تيوفيل مونو** : Théophile MONOD (?) كان قائما بالأشغال قبل سنة 1887 ونائبا أول بالمفوضية (46) .

23 . **هنري ده لامارتينير** : H. de la Martinière وكان موظفا بالمفوضية سنتي 1887 و 1888 حسبما سيأتي عنه حديث خارج هذا المكان .

24 . **اوجين إيلويـس** : E. Helouis اضطلع بمنصب ترجمـان بالمفوضية الفرنسية حوالي 1890 ، «واستخدم مسي إلـْويس من صغره فى بلدان العرب ، وأقام بعض سنين ببلاد الحضرة الشريفة ، وصار يعلـّم العربية علما تاما» (47). ونفذ له السلطان سنة 1892 «منفعة عرُ َيْصـَة المخزن الكائنة بالمعادي ، المعروفة بعرصة بن يَسـّف ، التى كانت بيد الطالب علي الدكالي كاتب الفرنصيص» (48) ، وكان من المكلفين بتصفية دعاوي الديون .

25 . **إيميل بيـاط** : Emile PIAT

كان الترجمان الأول بالمفوضية كما كان كاتبا بها في عهد شارل فيرو. وقد اضطلع بمنصب القنصل بطنجة (49) سنة 1888 ، وهو الذى رافق الحاج المعطي بن عبد الكبير في سفارته الى فرنسا سنة 1889 .

26 . **لوي پاطنوطـر** : L. Patenôtre

ناب حوالي سنة 1890 عن شقيقه جول ، الوزير المفوض (50)

---

46 . رسالة عبد السلام السويسي اليه بدون تاريخ (توفي السويسي سنة 1887) .

47 . رسالة باطنوطر الى غريط فى 20 ماي 1890 ، محفظة فرنسا

48 . ظهير فى 29 جمادى الاولى 1309 / 31 دجنبر 1891 ، نفس المحفظة .

49 . رسالة بياط الى الطريس فى 30 رمضان 1306 / 30 ماي 1889 ، محفظة الطريس 16 ، وكذلك جاك كايي : « السفارات ... » فى مجلة « تطوان » العدد السادس ، ص 187 .

50 . رسالة باطنوطر الى الطريس فى 14 اكتوبر 1890 / 29 صفر 1308 ، محفظـة الطـريـس 19 .

27 . **پاسكولـي** : Pascoly تولى سنة 1891 القيـام بالأشغـال بطنجـة (51) .

28 . **ف. سـؤار** : F. Souhart كان كاتبا للمفوضية بطنجة ، ولكنه كان « النائب الاول القائم مقام الباشدور الفرنسي » (52) سنة 1891 .

29 . **ش. نونا ڭوتيڭا (؟)** Charles Nuna Gutiga ، وكان سنة 1891 مستشارا بالمفوضية الفرنسية (53)

30 . **لـريـش** : Leriche ، وكان سنة 1893 ترجمانـا بالسـفارة الفرنسية بطنجة (54) .

31 . **كـولان ده پلانسـي** : Collin de Palancy (ou Plancy)
قضى حياتـه الاداريـة بالشرق الأقصى قبل تعيينه كاتبا بالسفارة وقائما بالأشغال بطنجة سنة 1895 ، وله تقارير تجارية وقنصلية (55)

32 . **أوجين فومـي** : E. Fumey ، وهــذا كان الترجمـان الأول بمفوضية فرنسا بطنجة وكلف سنة 1896 بنيابة قنصلية فرنسا بفاس ، ولد سنة 1879 ، ولكنه مات سنة 1904 وقد وضع تأليفا عن الترسل المخزني (56) ونقل الى الفرنسية القسم الأخير من «الاستقصا» لأحمد الناصري ونشـره بمجلة «ليزارشيف ماروكين»

---

51 . رسالة باسكولي الى الطريس فى 7 شعبان 1308 / 18 مارس 1891 ، محفظـة الطريس 20 .

52 . رسالة سؤار الى الطريس فى 19 شتنبر 1891 / 14 صفر 1309 ، محفظـة الطريس 21 و « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، الصفحات المذكورة أعلاه .

53 . محفظة الطريس 20 . ولم يتيسر تحقيق كتابة اسمه

54 . رسالة دوبيني الى الطريس فى 19 يونيو 1893 / 4 حجة 1310 ، محفظة الطريس 24

55 . « البيان ... » لوزارة الخارجية الفرنسية ، وجان لوي مييـج : « المغـرب وأوروبـا » ج 1 ص 91

56 . المصدر الاخيـر ج 1 ص 111

ولا شك أن المفوضية والقنصلية كان لهما موظفون فرنسيون آخرون أثناء هاته الفترة من القرن التاسع عشر ، ولكن اكتفي بهؤلاء .

* * *

المطلب الثالث : المحميون والسماسرة والمستوطنون

ليس تحت اليد إلا قوائم فرنسية سنوية عامة للمحميين والسماسرة تمتد من سنة 1879 الى 1886 ، وهي عبارة عن مسودات باللغة الفرنسية كانت تراجع كل سنة فكثر فيها التنقيح بالتشطيب والاقحام .

ومع أن خطها مُعتّم ، وتصويرها رديء ، فسأقتطف منها كل ما يتعلق بطنجة ، وسأستعين أيضا بوثائق بعضُها لا تاريخ له وبمصادر مطبوعة كذلك ، بادئا بالمحميين وخاتما بالمستوطنين .

وعليَّ أن أذكرَ بأن عدد المحتمين من اليهود المغاربة كان 90 شخصا سنة 1859 ، وسرعان ما صاروا 763 سنة 1860 بكافة أنحاء المغرب ، أما سنة 1885 فكان مجموع المحميين المغاربة لا يتجاوز 136 شخصا فى كل المدن والثغور (57) .

أ ـ المحميون :

أ ـ 1 : من القوائم السنوية (1879 ـ 1886)

1. موشي بنشيمول : المكنى بِريرو ، كان حوالي سنة 1863 ترجمانا بالمفوضية (58) ، وعنه ورد استثناء فى التسوية المغربية الفرنسية لسنة

---

57 . رسالة السلطان الى بركاش فى 7 ربيع الثاني 1302 / 24 يناير 1885 ، محفظة الطريس 5

58 . رسالة بركاش الى ده رينو فى 15 ذي القعدة 1279 / 4 ماي 1863 . محفظة بركاش .

1863 ، وكذلك فى الفصل السادس من معاهدة مدريد ، كان إذن محميا استثنائيا وقنصليا معا ، وكانت حمايته وراثية ، وامتيازاته منحت له ولأسرته على أساس أنه كان عقيما لا ينجب ، وظل اسمه واردا فى القوائم السنوية حتى 1885 .

2 ـ **محمد المصوري** : وكان كاتبا حتى توفي قبل سنة 1879 ، وجاء فى رسالة سلطانية عنه أنه كان «لا يسعى الا فى الافساد بين الدولتين» (59) ، وقد كلف السلطان نائبه بمخاطبة الفرنسيين «فى إخراج المصوري المذكور من خدمتهم ، وإبعاده من طنجة ، اما بالانتقال الى داخل الايالة ، أو بنقله الى مكان آخر ، لأن بقاءه بطنجة لا يؤدي الى خير» ، وذلك لأن «هذا المصوري شأنه هو هذا من قديم» (60) ، ولا سيما فى الواقعة التى نشبت بين قنصل فرنسا بطنجة وباشا المدينة الجيلالي بن حمو سنة 1878 .

3 ـ **دابيد أزنكوط** : توفي قبل سنة 1879 ، بعد أن كان ترجمانا للمراكب البحرية (61) .

4 ـ 6 **أرملة محمد المصوري وابنتهما وابنهما عبد القادر**

7 ـ 9 **أرملة دابيد أزنكوط ، وابناهما شالوم وموشي** : وكان زوجا الأرملتين موظفين بالمفوضية ، وتردد ذكر أعضاء أسرتهما من سنة 1879 الى 1883 فى القوائم السنوية المعنية .

10 ـ **يهودة الصائغ** : كان تاجرا بطنجة وذا سماسرة ، ستأتي أسماؤهم بمختلف المدن .

---

59 . رسالة السلطان الى بركاش فى 4 محرم 1295 / 8 يناير 1878 ، نصها فى « الوثائق » ج 4 ص 433

60 . « الوثائق » ج 4 ص 56

61 . اثبت أسماء المحميين 1 و 3 و 11 و 12 و 13 فى قائمة ثلاثية تتعلق بمن كانوا بطنجة والدار البيضاء والجديدة . ومع انها خلو من التاريخ ، فلا ريب أنها كتبت قبل سنة 1878 لثبوت وفاة المحمي رقم 3 حوالي السنة الاخيرة .

11 — **حاييم بن ابراهام بنشيمول** : كان ترجمانا وتاجرا ذا سماسرة ، وهو من أكبر المحميين ، وسيأتي الكلام عنه في ملحق خاص بآخر هذا الفصل.

12 — **دابيد بنشيمول** : هو ترجمان آخر بالمفوضية

13 — **شلومو بنشيمول** : وكان صيدلي المستشفى الفرنسي بطنجة

14 — 15 **الهاشمي السوسي** و **الحاج قدور ولد حيّة** : عونان في قائمة 1879 فقط .

16 — **العربي التطواني** : مثلهما ، لكن يحتمل أنه هو العربي البوتوي (؟) المذكور عونا في لائحة 1882 .

17 — **الحاج أحمد سعود** : مستخدم في قائمتي 1879 و 1880

18 — 26 **أحمد الشرقي ، والمختار الغماري ، وعبد الله التوزاني ، ومحمد ولد حدو ، وفريحة بنت اليسع ، وأحمد بن العياشي ، ومحمد ولد ادريس ، وسالومون بن عسولين ، ومحمد بن عمرو** ، وقد وردت أسماؤهم في قوائم سنوات 1879 الى 1881 بوصفهم أعوانا .

27 — **عبد السلام بن سمئوط** : كاتب في القوائم الأخيرة أيضا .

28 — 31 **أحمد الدكالي ، وولد الحاج قاسم بن محمد بوعود ، ومحمد التوزاني ، ومحمد ولد التهامي كَرْواش** (أو كَلْوَاج) كانوا أعوانا في القوائم الممتدة من 1879 الى 1882 .

32 — **جلول** (دون ذكر نسبه) وكان مستخدما سنة 1880 فقط

33 — 34 **احميدة بن محمد بن العربي ، وسارة بوطبول** : مستخدمان في قائمة سنة 1881 .

35 — 42 **عبد الله الدكالي** : (وكان كاتبا) **ومحمد السوسي** ، **ومحمد سعيد** ، **والقائد أقلعي** (أو سعيد أقلعي) ، **والعياشي بن الحاج مبارك** ، **وفطوم بنت النوينو** ، **وشيمي مورينو** ، **وسلطانة أبي قاسيس** : وهم أعوان مستخدمون وذكروا جميعا فى لائحة سنة 1882 .

43 — 44 **محمد التمسماني** (رئيس الأعوان) ، **والحاج محمد مصباح** عون ثم حارس بنك طرانزاطلانطيك ، وكلاهما ورد فى القوائم السنوية بدون انقطاع من سنة 1879 الى 1885 .

أ — 2 — من وثائـق أخـرى

45 — **علال الدكالي** : كان سنة 1887 كاتبا بالمفوضية (62) ولربما قبلها ، لكن يحتمل أن اسمه هو علي الدكالي الحسيني الذي كان كاتبا سنة 1888 والذى كانت بيده منفعة عريصة أنعم بها السلطان سنة 1892 على أوجين إيلويس ترجمان المفوضية ، المذكور سابقا .

46 — **إسحاق كويهن** : وكان سنة 1888 كاتبا (63)

47 — **محمد البقيوي الطنجي** ، وكان عونا ، التمس سنة 1891 الانعام عليه بحانوت حبسية بطنجة (64) .

48 — **سلام الرغيف** : عون أيضا والتمس كذلك الانعام عليه بحانوت حبسية سنة 1891 فأكريت له (65) .

---

62 . من حكم شرعي فى 9 شعبان 1304 / 3 ماي 1887 ، محفظة المغرب فرنسا .

63 . رسالة الطريس الى احمد بن موسى فى 16 ربيع الاول 1306 / 20 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

64 . مسودة رسالة الى محمد المفرج ناظر الاحباس فى 27 رجب 1308 / 8 مارس 1891 ، محفظة المغرب فرنسا .

65 . مسودة رسالة الى محمد المفرج فى 5 شعبان 1308 / 16 مارس 1891 ، نفس المحفظـــة .

49 — **عبد السلام أيوب** : مثلهما أيضا ، وطلب كراء حانوت حبسيـة فوقع الانعام عليه بها فى نفس السنة كذلك (66) .

50 — **الجيلالي بن بوشعيب الريفي** الذى كان سنة 1892 عونا (67) .

51 — **عبد السلام أبارودي** : وهو محمي متنطع كانت عليه قبل سنة 1889 ديون قِبَل الناس ، وقِبَل الدولة ، ونال الحماية الفرنسية ولكنه كان معتديا ، ففي نونبر 1891 خرج الى الشارع وأخذ يطلق النار — كيفما اتفق — على المارة ، فجرح أشخاصا وقتل آخرين ومنهم ولد أحمد الغسال الذى صرع أمام باب داره ، فوقعت ضجة بالمدينة ورفع السكان عريضة استنكار ضد هذا المحمي المتهور الى السلطان (68) .

52 — **بينحاس الصايغ** : وكان يتعاطى الصحافة (69) .

هؤلاء هم المحميون القنصليون والاستثنائيون بطنجة ، وننتقل الى المحميين التجاريين أو السماسرة .

ب — السماســرة

ب 1 من القوائم السنوية (1879 — 1886)

1 — 2 **أحمد بن الفقيه ومحمد بن الشرقية** : سمساران لشركة پاكي من مدينة مرسيلية من سنة 1879 الى سنة 1885 ، لكن الأخير منهما حـذف وجعل مكانه سنة 1883 :

---

66 ، مسودة جواب الى سفير فرنسا فى 20 قعدة 1308 / 27 يونيو 1891 ، نفس المحفظـة .

67 . رسالة فى 23 ربيع الثانى 1310 / 14 اكتوبر 1892 ، نفس المحفظة

68 . محمد كنبيب « الحمايات الاجنبية بالمغرب فى أواخر القرن التاسع عشر وصدر القرن العشرين » ص 109 (نسخة مرقونة) .

69 . مييج : « الصحف والصحافة بطنجة فى القرن التاسع عشر » ، مجلة « اسبريس » ص 215 (3) .

3 – **ابراهام بيمينطة** الذي صار من 1882 الى 1884 سمسارا لتاجـــر من مدينة بوردو اسمه لاندو : Landau . وكان في نفس الوقت صحافيا .

4 – **قاسم البوير** سمسار ألفونس داڤان القاطن بطنجة ، وذلك مـن 1879 الى 1883 .

5 – **بـلال** ... مثل السابق حتى توفي سنة 1882 ، ولم يرد نسبه .

6 – 7 – **الحاج عبد الله الدراوي** ، **والطاهر العزيزي** : سمساران لفاڤيي القاطن بطنجة وذلك من 1879 الى 1884 .

8 – **يهودة س قورياط** : سمسار برانشڤيك Braunschvig الساكن بمدينة ليون من 1880 الى 1886 .

9 – **ابراهام س قورياط** مثله له من 1882 الى 1886 .

10 – **يهودة ميمون كويهن** : سمسار دابيد ليون كويهن الساكـــن بمرسيلية ، في قائمة 1882 الى 1885 .

11 – **مخلوف طوليدانو** : سمسار بنسيمحون القاطن بمرسيلية في قائمة 1882 الى 1885 .

12 – **الحبيب طوليدانو** : سمساره قبل سنة 1882 ولكنه صار بعد ذلك سمسارا لدابيد ليون كويهن .

13 – 14 – **الشريف الحاج محمد خمليش والحاج حمو خمليــش :** سمساران للكونط ده شاڤانياك القاطن بطنجة ، وذلك من 1882 الى 1884 .

15 – **الحاج محمد بن عمارة** : سمسار ادوار ميشوبيلير الساكـــن بطنجة وذلك سنة 1885 .

16 - **يونس بن عسولين** : كان حوالي سنة 1879 أمين صنـــــدوق المفوضية ثم صار من سنة 1882 الى 1885 سمسارا لتاجر من مرسيلية اسمه جيكودي Gigoudet (70) .

ب 2 - من غيرها

17 - **الحاج محمد بن عيسى الديموسي الفحصي** : كان سنة 1893 سمسارا لتاجر فرنسي يقيم بطنجة اسمه بيطري (71) : Piétri

ت - المستوطنون

تقاطر على طنجة عدد من الفرنسيين خلال القرن الماضي . غير أن أخبارهم كادت تكون نادرة ، على الأقـل فيما وقفت عليـه حتى الآن من الوثائق والمصنفات ، لكن لا مندوحة لنا عن سوق أسماء طائفة يسيرة منهم ، ممن كانت لهم علاقة بالسلطات وبالمواطنين المغاربة .

ومن أشهرهم الاسرتان الفرنسيتان : Vautrai وفافيي Favier في بداية القرن المذكور حيث ولد بالمدينة جملة من أفرادهما ، وكذلك أسرة دافـان Davin في أواسطه وأواخره ، حسبما جاء في المصادر الأجنبية ولا سيما في احصاء سكان طنجة من الفرنسيين لسنة 1886 .

1 - **شارل كوتش** : Ch. Gautch

كان هذا التاجر يزاول حوالي 1892 وحتى بداية القرن العشرين مهنا مختلفة (72) وكان شريكا لعدة دور للتصدير والاستيراد وللتمثيل التجـاري وللبيع بالعمولة . وكان ينوب عن « لي كران ماكازان دوپرنطان » الباريسية ،

---

70 . أسماء السماسرة 1 و 10 و 11 و 12 و 16 وردت عند مييج في «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 250

71 . رسالة دوبيني الى الطريس في 10 غشت 1893 ، محفظة المغرب فرنسا

72 . رسالة كوتش الى الطريس في 23 ربيع الثاني 1310 / 14 اكتوبر 1892 ، محفظة الطـريـس 23

كما أنه كان مالكا لمنشرة للخشب وذا مقاولة فى النجارة وصنع القرمود والثلج والمحركات الكهربائية ، زيادة على أوراش لخشب البناء والحديد والفحم وغير ذلك (73) وكان تاجرا في الغاز ، ولهذا الغرض التمس كوتش من المخزن محلا خارج المدينة لادخاره (74) .

وهو من الذين قدموا للحكومة قروضا في مطلع القرن العشريـن ، ومن الذين باعوا لها أسلحة كانت أحيانا رديئة الصنع ، بعد أن كان يعرض عليها « مِيشَنْطـرات » منها (75) .

وكانت معاملته التجارية ممتدة الى عدد من المدن ومن جملتها حاضرة فـــاس .

2 ـ كَيــف : Gaiffe

لم يرد في الوثائق أنه كان مقيما بطنجة باستمرار . ولكنه على كـل حال كان يمثل بالمغرب المؤسسة البنكية « له كونطوار ديسكونط » ، وكان ينوب عن تحالف آلار مع بنك دماشي Allard Demachy وكذلك عن مؤسسة كـــاي : Caïl التي كانت تبيع الأسلحة للمخزن (76) . وكان يجــري مفاوضات مع المخزن لضرب السكة النحاسية فأبرم مع غريط اتفاقية بمراكش في 11 رمضان 1308 / 20 أبريل 1891 ، بعد مذاكرات ابتدأت سنة 1889 . وفي 17 جمادى الاخيرة 1309 / 18 يونيو 1892 أمضى غريط نيابة عن المخزن وأوجــين إلويس نيابة عن كيف اتفاقية أخرى (77) .

---

73 . رسائل مختلفة بمحفظة الطريس 68

74 . رسالة السلطان الى الطريس فى 3 شعبان 1310 / 20 يبراير 1893 ، محفظـــة الـطـــريـــس 24

75 . رسالة عبد السلام أحرضان الى غريط فى 23 رمضان 1310 / 10 ابريل 1893 ، وجواب المخزن لسفير فرنسا فى 4 ذي القعدة 1310 / 20 ماي 1893 ، محفظة المغرب فرنسا .

76 . جان لوي مييـــج : « المغرب وأروبا » ج 3 ص 500 .

77 . رسالة الى باطنوطر فى 25 رمضان 1306 / 25 ماي 1889 ، محفظة المغرب فرنسا ، وكذلك وثائق أخرى بمحفظة الطريس 21 .

3 — بـول تيوفيـل ري : P. T. Rey

عاش هذا التاجر بطنجة حوالي 1853 . وكانت تجارته تدور حـــول اشتراء الحبوب والصوف والجلود وتصديرها الى فرنسا . وقد تصاهر مع نائب البرتغال ، الا أن اغتياله سنة 1855 أحدث بلبلة وروعة لدى الاوساط الاجنبية والقنصلية . وكان قاتله من الأشراف ، ونفد فيه الحكم بالاعدام أمام الملأ بطنجة .

وقد خلف ذرية ظل البعض منها يعيش بالمغرب حتى منتصف القرن العشرين (78) .

4 — بيــطـري Piétri (?)

قبــل سنة 1890 كان يملك مطحنة للدقيق ، فأراد توسيع رقعتهــا باضافة قطعة أرضية اليها والتمس الاذن من المخزن (79). وتقدم ذكر سمساره.

5 — ليــون داڤـان L. Davin

سلفت الاشارة الى أخيه أدولف الذى كان تاجرا بالمدينة وله سمساره ، والى أبيه فانسان الذى كان أيضا موظفا بالمصالح الفرنسية وضالعا فى حماية بلاده للحاج عبد السلام الوزاني ، كما كان ملاكا عقاريا ، وتاجرا .

أما الابن الثاني ليون فهو من تجار المدينة حيث كان له معمل للتصوير ، وهو من مواليد سنة 1856 بطنجة (80) .

ومما لا ريب فيه أنه كان موظفا رسميا أو شبه رسمي بالمفوضية الفرنسية ، وكان نشيطا فنجـده ضمن رفـاق هنري ده لامارتنيير مبعوث المصالح الاستعمارية بالجزائر الى المغرب ، وصديق الوزاني المذكور أعلاه .

---

78 . مييج « المغرب وأروبا » ج 2 ص 61 (9) و 284 (7) و ج 5 ص 47

79 . رسالـة السلطـان الى عبد الصـادق بن أحـمـد فى 25 حجـة 12/1307 غشت 1890 . محفظة المغرب فرنسا

80 . مييج : « المغرب وأروبا » ج 1 ص 97

ومهما يكن من أمره ، فقد نهبت دار ليون داڤان سنة 1890 ، فالتمس من أمناء طنجة اكراءه حانوتا حبسية سنة 1891 .

6 — لوسيان بروزو L. BRUZEAUD

أسس سنة 1892 شركة فلاحية كان رأسمالها يبلغ 30 ألف فرنك ، وكان تيودور فورت شريكه T. Furth ، لكن خلافه مع هذا الأخير أفضى به الى اعتزال هاتـه الشركـة التى كانت تدعـى « شركـة المغرب الفلاحية » أو «La Société Agricole du Maroc»

وقبل هذا الوقت كان له أو لأحد أقاربـه سنة 1888 «فونضة بحي المصلى بطنجة» (81) .

7 — الدكتور بيير أندريوه P. Andrieu

كان قد قدم الى السلطات مشروعا لجلب الماء الى طنجة سنة 1886 لمنفعة السكان قاطبة (82) ، وقد استوطن مدينة الصويرة أيضا .

8 — القائـد أغـا عبد الكريم الهـوغ (؟) بييت ده ڤيلروش Billette de Villeroche

كان محاميا فرنسيا ، لكنه اندس فى المغامرات التى كانت تحاك مع الحاج عبد السلام الوزاني ، وكان أيضا تاجرا مغامرا كما سيأتي ، وفوق هذا كله كان يلقي محاضرات باسمه المستعار المذكور أعلاه (83) .

9 — جول جالوزو وأصحابه J. Jaluzot et consort

كان جالوزو تاجرا بطنجة ، لكنه كان مغامرا ، وكان من أصحابه : ده ڤيلروش سالف الذكر آنفا ، وسوندت Sundt وتوسـان Toussaint

81 . رسالة فيرو الى الطريس فى 19 شوال 1305 / 29 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 18

82 . مطالب باطنوطـر ، (النقطة 6) فى 22 شعبان 1306/23 ابريـل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا

83 . مييـج « المغرب وأوروبا » ج 1 ص 76 .

إلا أن نشاط رفقائه لما كان سيء التدبير في الميدان التجاري . غطوه بدسائس سياسية ، وهكذا أفلسوا فالتجأوا الى جالوزو الذى حل بطنجة سنة 1888 لتوسيع فرع «لي كران ماكازان دو پرانطان» بهاته المدينة وألحق بمؤسسته التجارية منشرة للخشب ومصنعا للآجر ، ثم عزل توسان عن ادارة المؤسسة وأنشأ مركزا للتجارة بالصويرة أسنده الى بيير أندريوه ، سابق الذكر أعلاه .

وبعد ذلك اقتنى أوطيل ڤيكطوريا بطنجة وأراضي شاسعة من أملاك الحاج عبد السلام الوزاني ، وقد وقع مع «صاحب السمو الملكي ، شريف وزان الأكبر ، سيدي عبد السلام» عقدة لفائدة شركته بتاريخ 24 يناير 1888 ، لاستغلال جميع الأراضي الصالحة للزراعة ، مدتها 99 سنة ومن «أجل عمل انساني ، ولكي يخدم فيها عمال مغاربة وفرنسيون» .

وكان شارل فيرو وزير فرنسا مناهضا لهاته المشاريع ، لكن وفاته قوت الأمل في أن يكون پاطنوطر مؤيدا لها (84) .

ويستحسن أن نقول ان مصالح اقتصادية كبرى كانت وراء جالوزو ، وأنه اشترى تلك الاطيان التى كانت ملكا للزاوية لا لشيخها .

10 — فرنسيان آخران : لم يذكر اسمهما ، طلبا سنة 1885 الاذن لهما ببناء مصنع بضواحى طنجة ، وجعل فرن لاحراق عظام الميتة من جميع الحيوانات وسق رمادها الى فرنسا لصناعة الأصباغ .

وقد وافق المخزن على تشييده للمصنع من حيث المبدأ ، الا أنـه تخوف من أن يفضي اعطاؤهما هذا الامتياز الى تخويل امتياز آخر لغيرهما من جهة أولى ، والى نبش قبور الآدميين متى نفذت عظـام الحيوانات من جهـة أخـرى (85) .

---

84 . نفس المرجع ج 4 ص 242 و 243

85 . رسالة السلطان الى بركاش فى 7 رجب 22/1302 ابريل 1885 . محفظة الطريس 15

هاته بعض الافادات عن جماعة من الرعايا الفرنسيين بطنجة ، وليس فيها حصر ، ولكن تدليل .

ونختم هذا المبحث بادراج ملحق عن أحد كبار المحميين الفرنسيين الشهيرين بهاته المدينة .

* * *

ملحق : حاييم بنشيمول

كان مغربيا ، فاحتمى بفرنسا لأنه كان منذ ما قبل سنة 1870 ترجمانا بطنجة ، وقد «نال صك المواطنة الفرنسية ، وبذل كافة نفوذه لاكتساب ثروة طائلة ، كان معروفا في الأوساط الماسونية وعضوا مشهورا في الاتحاد الاسرائيلي ، وممثلا لشركات النقل البحري وللأبناك ووكيلا ثم مالكا لجريدة «له ريفي دو ماروك» .

«وفي سنة 1886 ندد به وبأعماله الصحافي الفرنسي إدوار درومون (1844 — 1917) E. Drumont على أعمدة جديدة «لافرانس جويف «La France Juive ، فوصفه بأنه كان مسير دفة سياسة المفوضية الفرنسية بالمغرب ، فقد كانت وزارة الخارجية الفرنسية تعتبره المفاوض «المفضل» ، ولما قرر مؤتمر مدريد أن لا تكون الحماية وراثية ، استطاع ممثل فرنسا فيه أن ينال استثناءً لصالح أسرة بنشيمول ، وقد جاء يوم اضطرت فيه فرنسا الى الاستغناء عن خدماته ، مع تركها لهذا المساعد الثمين جوقة الشرف» (86) .

وكانت السلطات المغربية تنظر اليه بكامل الحذر وتنعته بالتلون واختراع الترهات ، حتى طلب غريط من الطريس فضح أعماله والتشنيع عليه في الصحافة (87) غير الجريدة التى كان يملكها أو يشرف عليها .

86 . شارل أندرى جوليان : «المغرب فى مواجهة الامبيرليات» ص 32

87 . رسالة غريط الى الطريس فى 17 رمضان 1306/17 ماى 1889 ، محفظة الطريس 15

وقد تقدم شيء من هذا القبيل عنه لدى الكلام عن إيمي داكان في بداية هذا الفصل .

ومن المصارف التي كان ينوب عنها البنك طرانز أطلانطيك بطنجة منذ ما قبل 1885 ، وكان سنة 1889 يمثل شركة نيكولا پاكي البحرية الشهيرة (88) .

ومن هذا كله اكتسب جاها وثروة استغلهما أحسن استغلال : ففي سنة 1883 هيأ لشارل ده فوكو أسباب السياحة بالمغرب صحبة مردوخي أبي سرور ، فأوصى بهما خيرا لدى يهود المغرب ولا سيما فاس (89) .

وكما كان رحيما باليهود عند ما تبرع بأرض بمدينة طنجة لتكون مدرسة لأطفالهم فطلبت «أليانس جويف» رخصة فتحها سنة 1887 بهاته المدينة (90) ، فانه كان حازما صلبا في قضيته مع حاييم بونطي القصري ، فقد استسلف هذا الأخير من البنك طرانز اطلانطيك 2700 ريال سنة 1881 بفائدة 10٪ في السنة ، ولربما بأكثر من ذلك ، لأنه كان زبونا ، لكنه لما عجز بعد ذلك بسنوات عن التسديد ، صدر الأمر ببيع أملاك البونطي بالمزاد ، فبلغت 1450 ريالا ، وحاول بنشيمول حيازتها بنفس الثمن ، بالرغم من استحالة ذلك شرعا ، ولما وجد بونطي مشتريا يدفع له أكثر من مبلغ المزاد ، امتنع بنشيمول سنة 1888 من التسليم (91) .

وكانت السلطات المغربية لا ترغب مطلقاً أن «يبتلع» حاييم الغني حاييم الفقير لأن المسألة كانت سياسية ومالية معا .

---

88 . جريدة «له ريفي دو ماروك» عدد 20 يوليوز 1899

89 . اسحاق عبو : «المسلمون الاندلسيون واليهود الاسبانيون» ص 328.

90 . مطالب فرنسا ــ رسالة باطنوطر الى غريط في 22 شعبان 23/1306 ماي 1889 ، محفظة المغرب فرنسا .

91 . رسالة بونطي الى الحاج محمد الزكاري في 20 جمادى الآخرة 4/1305 مارس 1888 محفظة الطريس 12 .

وفضلا عما سبق ، كان لبنشيمول أصحاب وسماسرة مغاربة . فقد كان له سنة 1887 شركاء بفاس في بيع التبغ والكيف والحشيش (92) .

وختام الكلام عنه أنه ولد بطنجة سنة 1834 وكان لا يزال حيا في أواخر القرن التاسع عشر .

وكان أول أمره وكيلا لفرنسا بالعرائش دون أجرة ، وكانت له قرابة مع أسرة بنشيمول بطنجة وعلاقة وطيدة مع تجار المدينة الأخيرة وتجار فرنسا من اليهود .

كما كان له ارتباط مع الدوائر المخزنية ، وكان لا يعرف الفرنسية ولا يكتب بها ، وانما كان يحرر رسائله بالاسبانية (93) مع معرفته للعربية طبعا .

---

92 . رسالة بوطيرون الى غريط في 12 جمادى الاخيرة 8/1304 مرس 1887 محفظة المغرب فرنسا .

93 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 210 و 413 (7) و ج 3 ص 198 (12)

9 : باقي الدول

وهي البرتغال والبرازيل وبلجيكا والدول السكندينافية وهولاندة .

* * *

المطلب الأول : البرتغـال

* * *

أولا : السلك الديبلوماسي والقنصلي

شغلت أســرة كولاصو مناصب التمثيل القنصلي ثــم الديبلوماسي بالمغرب طوال القرن التاسع عشر برمته (1) ، ومن هؤلاء جورج ثم ابنه جوزي دانييل وقبلهما كولاصو الجد .

1 : **جورج جوزيف كولاصو** Jorge Josef Colaço الذى عين خلفا عن أبيه حوالي 1841 ، ولما حصلت له اتلاف فى منزله عند نهب طنجة أثناء القصف الفرنسي لهاته المدينة سنة 1844 ، التمس من السلطان تعويضا فى شكل ترخيص بوسق 12 ألف فنيكة من القمح و 12 ألف فنيكة من الشعير من مرسى الدار البيضاء ، لكن مولاى عبد الرحمان أمر بوسلهام بن علي أن يسد «هذا الباب فان النهب الواقع وقع فى خزين المخزن ، ونهب ما لَـه بال . فحيثُ وقع ذلك فى خزيننا ، فلا يَغـيظُـه ما وقع فى داره . . .» (2)

وقد عزل عن النيابة سنة 1861 ، فأسند المنصب لابنه :

1 . جــان لوي مييــج : «المغرب واروبا» ج 2 ص 24 (2) و ج 5 ص (91)

2 . رسالة السلطان الى بوسلهام فى 4 ربيع الاول . وجواب الاخير له فى 12 ربيع الثانى 1261/13 مارس و 20 ابريل 1845 ، محفظة بوسلهام بن علي : 4

2 : **جوزي دانييل كولاصو** José Daniel Colaço الذى شرع قبل سنة 1858 فى النيابة عن أبيه (3) ، حتى عين قنصلا عاما ثم وزيرا مفوضا ، وآلت إليه ـ بعد وفاة سكوڤاصو سنة 1887 ـ عمادة السلك الديبلوماسي . وكان فوق ذلك يترأس اللجنة الصحية بالتناوب مع زملائه ، وفضلا عن ذلك ، ناب عن البرازيل مدة طويلة ، وعن فليكس ماثيوز فى بعض الأحيان ، لوجود روابط مصاهرة بينهما ، بزواج جسبار ماثيوز ابنة السفير البرتغالي .

ومع أنه كان وخصوصا حوالي سنة 1865 تاجرا مدة طويلة بطنجة (4) فقد ظل يمثل بلاده حتى سنة 1895 ، وكان يسعى لأن يكون لها وزن كبقية الدول ، ولا سيما عند ما طلب سنة 1889 من الحسن الأول أن يعتمد لدى المخزن بعثة عسكرية برتغالية (5) ، مثلما فعلت دول أخرى ، غير أن شيئا من ذلك لم يكن ، لأن البرتغال ظلت دولة ضعيفة ، وقد وصفها الصحافي الفرنسي ده كرديك شني فى «نصيحة» الى المخزن خلو من التاريخ «اجعلوا البرتغال فى جيبكم إن شئتم ، وفوقه المنديل . ان كولاصو لم يعد يملك لأمره شيئا ، البرتغال قد أصابه الخراب» (6) .

أقام جوزي بالمغرب زمناً طويلا ، ويبدو أنه كان يريد الرحيل عنه ابتداءً من سنة 1893 ، فقدم للطريس هدية ، أجابه عنها كما يلي : «أعلمتنا فى 24 يوليوز 1893 أنكم على أهبة السفر من هاته الايالة ، وقد وجدنا تأثيرا كبيرا لمفارقتكم ، لما ألفناه من حسن سيرتكم ، وقد وصلت المرءاة الموجهة من جنابكم» (7) .

---

3 . رسالة جوزي دانييل كولاصو الى محمد الخطيب في 30 قعدة 1275 / فاتح يوليـوز 1859 وكذلك ابن زيدان في «الاتحاف» ج 3 ص 542

4 . منفشطة البابور «تيجر : Tiger » فى 22 مارس 1865 ، محفظة طنجة 1

5 . جان لوي مييج : « المغرب واوربا » ج 4 ص 109 (6)

6 . المصدر السابق ج 5 ص 205

7 . مسودة رسالة الطريس الى نائب البرتغال فى 11 محرم 1311/25 يوليوز 1893 ، محفظة الطريس 25

والحقيقة أن العلاقات بين البلدين كانت طيبة ، ولذلك وجه السلطان سفارات ، منها وفادة القائد محمد بن أحمد المؤذن الى لشبونة للتعزية فى وفاة ملك البرتغال سنة 1889 ، حسبما مر بنا فى غير هذا المكان .

3 : **إيميليو ري كولاصو** Emilio Rey Colaço كان أحد معيني السفير سابق الذكر وأحد أقاربه ، كان «ميليو الري كلاصو البرازيلي ولد أخت السفير وعارفا باللسان العربي وعوائد البلد» (8) .

وكان المخزن يستعين بخدماته أحيانا لمعرفته بالعربية ، وهو الذى ترجم المعاهدة التجارية المغربية الألمانية سنة 1890 أثنـاء غياب منصـور مَلْحَمة ، ولهذا أمَّل تعويضا عن ذلك ، بأن تنفذ له دار من دور المخزن ، لكن السلطان لم يقبل «الانعام عليه بالدار ، ولكن بغيرها» (9) .

وكان الى ذلك ملاكا وتاجرا له سماسرة وخلطاء ، وقد حُرِم من البنـاء «بأرض المخزن الممنوعة ، وهى أرض الغربية» (10) ، لكن يظهر أن الأرض كانت ملكاً لأحد سماسرته ، لا ملكا للدولة .

4 . **سيباسطيان كيشادة** S. Qeixada كان كاتبا بالمفوضية ، وكانت له خلطة فلاحية بأولاد فرج بدكالة .

* * *

ثانيـة : المحميـون : حفظت لنـا الوثائق أسماء عـدد كبير من المحميين القنصليين والاستثنائيين والسماسرة بشتى المدن المغربية ، وذلك في اللائحة البرتغالية العامة لسنة 1880 ، ثم في قوائم محلية ومستندات مختلفة.

---

8 . رسالة الى كولاصو فى متم شوال 1309/27 ماى 1892 . محفظة البرتغال ـ المغرب

9 . رسالة السلطان الى الطريس فى 5 ربيع الاول 1309/9 اكتوبـر 1891 ، محفظـة الطريس 21

10 . رسالة عبد الرحمان بن عبد الصادق فى 1 قعدة 1310/17 مـاى 1893 ، ورسالة الطريس الى نائب البرتغال فى 2 قعدة/18 ماى . محفظة الطريس 21

أ . من لائحة فاتح أبريل 1880 البرتغالية :

1 — 2 : **عبد الكريم بن عزوز و عبد الكريم الدَّرْدَب** وكانا عونين منذ 1879 و 1872 على التوالي

3 — 7 : **محمد الحسَّاني** مستخدم منذ 1868 ، و **الحسين ...** مستخدم منذ 1878 ، **والتهامي الحساني وسلام الحسَّاني والمعلم الحسن ...** مستخدمون منذ 1860 .

8 — 9 : **بن عيسى ... ورحمة الزيلاشية** : مستخدمان منذ 1870 و 1872

10 — 11 : **محمد الجبلي ورحمة الجبلية** : مستخدمان منذ 1874

12 — 13 : **العربي النجار** : وكان كاتبا وتوفي قبل سنة 1880 وخلال العمل ، وارملته **منانـة** .

14 — 15 : **عبد الرحمان بن العياشي** : كان عونا ، ومات بفاس سنة 1871 وابنته **رحيمـو** .

16 : **عبد الوهاب .....** : مستخدم منذ سنة 1871 ، وكان قاطنـا بقبيلة أنجرة ، «بدار النونوش يدعي أنه في حامية جنس البرطقيز ، وبسبب ذلك ، صار يجمع عليه أهل الزيغ والفساد ، ويخوض في القبيلة ويشعل نار الفتنة ...» (11) ، ولم يرد لعبد الوهاب هذا نسب ولا لقب مميز ، مثل المحمي المذكور بعده وبعض الذين سبقوهما :

17 — 18 : **بوشتى ..... واحمد التمسماني** : مستخدمان منذ 1879 و 1876 .

19 — 20 : **شلومو بن البحر** وأخوه **ميمون** : مستخدمان منذ 1862 .

---

11 . «الوثائـق» ج 4 ص 451

21 : **زهرة سنانيس** : أرملة محمي منذ 1870

22 ــ 25 : **عَزَّار أرْوبَاس** : محمي قبل وفاته سنة 1858 ، وأبناؤه : **مردوخ وحاييم واسحاق** .

26 : **يهوده فينكينوس** محمي منذ 1872 ، وذكر أن أباه قد تجنس قبل وفاتــه .

27 : **أحمد الزيلاشي** : وكان مستخدما بالمفوضية سنة 1880 .

ب : **من غيرهــا**

28 : **الزيزون** : ولم يُعرف اسمه ، وكان مستخدما بالمفوضية سنة 1889 ، فاشتكى كولاصو الى الطريس بأن باشا طنجة عبد الصادق كان قد استولى على أموال محميه (12) .

29 : **اليزيد بن محمد العياشي** : مستخدم سنة 1886 (13) وهو ابن الذى بعده :

30 : **محمد العياشي** : عون سنة 1890 ، وكانت السلطات غير راضية عن أعماله (14) .

* * *

ثالثــا : السمــاسـرة

1 : **بوسلهام بن ريان** : كان سنة 1893 سمساراً لايميليو كولاصو (15)

---

12 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 27 يناير 1889/25 جمادى الاولى 1306 ، محفظة البـرتغـال .

13 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 15 يبراير 1886 ، محفظة المغرب البرتغال

14 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 8 ماى 1890 ، نفس المحفظة

15 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 16 ماى 1893 ، نفس المحفظة

2 — 3 : **شلومو قزيز** : سمسار لتاجر يقيم بالبرتغال **والجيلالي الحضري** : سمسار منذ 1874 لتاجر آخر لم يذكر اسمه حسبما جاء في قائمة 1880 البرتغالية العامة .

* * *

المستوطنون لم يذكر منهم إلا واحد اسمه **خوان مريرو** J. Morero كان مستوطنا مدينة طنجة سنة 1870 ، وكان تاجرا بها (16) ، وقد اتهم بتهريب السلاح سنة 1889 خلال فتنة عبد السلام الحمام الأنجري وضبطه رئيس حراس المرسى الحاج عبد الرحمان اللغميش متلبسا بجريمته وفي مركبه ، وكان معه إيطالي يدعى أندريس ، وأعلم بذلك سفيرا البرتغال وايطاليا ، فأجاب كولاصو الطريس بأنه لا يرى مانعا من اجراء القانون عليه (17) وطبعا صودرت هاته البضائع الممنوعة .

* * *

المطلب الثاني : البرازيل

لم أعثر للبرازيل بطنجة الا على محميين استثنائيين دون سماسرة ولا تجار ، وكان جوزي كولاصو سفير البرتغال بطنجة يمثل البرازيل عددا من السنين ، وفي سنة 1890 ، عين قنصل خاص هو أدونيرام ماوريتي دي كاليميريو Adonyram Maurity de Calimerio (18) ، ولا شك أنه كان تحت اشراف جوزي كولاصو .

ولذلك كان لهاته الدولة محميون قنصليون في بعض المدن المغربية ، سوادهم الأعظم من اليهود المغاربة الذين ادعوا التجنس أو الحماية ، ووردت

---

16 . منفشطة الباخرة «هركوليس Herculès » الواردة من جبل طارق الى طنجة في 31 دجنبر 1870 ، محفظة طنجة 1 .

17 . رسالة أمناء مرسى طنجة : محمد بن المفضل بن جلون وعبد الرحمان بن المكي العبدي ومحمد الخمال الى السلطان في 9 حجة 1306/5 غشت 1889 ، محفظة طنجة 3 ، ورسالة كولاصو الى الطريس في 6 غشت 1889 ، محفظة المغرب البرتغال .

18 . رسالة في 19 أبريل 1890 ، محفظة المغرب البرازيل

أسماؤهم فى وثائق ولوائح متعددة ، وكلهم بطنجة محميون استثنائيون ، وهاته قائمتهم :

1 – 3 : **سالومون سَرَاكَـة** وأرملته **سيمْحَه** وصهرها **ابراهام قزيز** : كان الزوج محميا منذ 1851 ، ومات قبل 1880 .

4 – 5 : **اسحاق بِنْجُو** وأرملته **برسيدة** : محمي منذ 1868 ، وكان تاجرا بالبرازيل حيث مات وبقي أولاده بطنجة ، وقد ذكر هؤلاء جميعا فى قائمة مؤرخة فى فاتح ابريل 1880 .

6 – 20 : **مِرْكَاص الصَّبَاح** : تاجر محمي له سماسرة ، وأتى ذكره هو ومن بعده فى لائحة سنة 1900 المحررة بالصويرة (19) وها هي أسماؤهم : **شالوم بنجو وشالوم عبَادية وشالوم ابن التَّاج ونسيم بن السَّباط والياهو بن لولو والياهو النَّقَاوة وابراهام أوحَيّون والياهو بن شمعون وابراهام بن إيوَا وفرتونة الدهَّان وداويد شالوم بينْطُو واسحاق بن زَرقين وشمويل حَمّو وروبين بِنْجو .**

21 : **اسحاق ابن الصائغ** : محمي وكان يستورد التبغ ، وله مصنع لتعبئته أسسه سنة 1886 بطنجة ، كما كانت له شركة مع صنانيس (20) .

* * *

المطلب الثالث : بلجيكـــا

* * *

أولا : السلك الديبلوماسي والقنصلي

تعاقب على تمثيل بلجيكا بطنجة عدد من السفراء :

---

19 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69 – 46

20 . رسالة كولاصو الى الطريس في 14 يناير 1891 ، محفظة المغرب البرازيل

1 : إرنيست دالـوان Ernest DALUIN

كان نائبا قنصليا لبلجيكا بقادس ، وعين سنة 1856 قنصلا بطنجة ، بعد أن قام برحلة استطلاعية الى المغرب نشرت نتائجها سنة 1855 ، ثم صار سنة 1877 وزيرا مقيما بالمغرب (21) ، بعد أن كان قبل ذلك حوالي سنة 1866 قنصلا عاما لبلاده بشاطىء افريقيا الغربية (22) .

وكانت له علاقة طيبة مع المخزن ، فاستطاع أن يقنع الحسن الأول بايفاد بعثة طلابية الى بلجيكا حوالي سنة 1875 ، وأن يوقع مع المغرب معاهدة في يونيو 1862 ، حصلت بموجبها بلاده على نفس الامتيازات التى ظفرت بها انجلترا واسبانيا سنة 1856 وسنة 1861 .

وبعد ذلك أُحيل على المعاش ، حتى مات بأروبا سنة 1884 . وخلَّف ثروة طائلة اكتسبها من تجارة السلاح ، و 9 منازل بطنجة وحدها ، كان بعضها فخيما (23) ، وتولى الشؤون بعده :

2 : البارون فيطنـال WHETNALL

الذى كان من قبل مستشارا بمفوضية بلجيكا ، وعين فى دجنبر 1884 وزيرا مقيما بطنجة (24) ، وظل فى منصبه الى أن سمي سفيرا بروما فى أوائل 1889 (25) ، وكان فى بداية 1888 قد قام بسفارة الى السلطان ، وقدم باسم بلاده مطالب ترابية «وضحك السلطان المولى الحسن لما علم أن هدف السفارة

---

21 . جان لوي مييـج : « المغرب واروبا » ج 1 ص 96 و ج 2 ص 275

22 . رسالة في 2 ربيع الثاني 1283 — 14 غشت 1866 ، محفظة المغرب بلجيكا

23 . مييج « المغرب واروبا » ج 3 ص 454 وبيير كيين : « المانيـا ... » ص 16 و 29 (4)

24 . مييج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 176 ، ورسالة الطريس الى فيطنال فى 11 قعدة 25/1302 غشت 1885 ، محفظة المغرب بلجيكا

25 . رسالة الطريس الى غريط في 19 جمادى الاولى 1306 — 21 يناير 1889 ، محفظة الطريس 15

هـو الحصول على موضع قـدم فى وادي الشبيكة على الشاطىء الأطلسي ، يساعد بلجيكا فى مصالحها بالكونغو (26) »

3 : **إدوارد أنسْبَاخ** E. Anspach

كان أول أمره يمثل بلجيكا باسبانيا من سنة 1877 الى 1888 ، وناب عنها فى مؤتمر مدريد ، وبعد ذلك عين وزيرا بطنجة فى بداية 1888 حتى مات سنة 1902 بها ، عن 71 سنة من عمره (27) .

ومن القناصل نجد شخصين هما :

سيريس (?) Serruys وكان سنة 1869 قنصلا بطنجة (28) ولعله من جنسية فرنسية .

ماكس ريـزر (?) Max Rizer وكان سنة 1887 معينـا لقيطنـال ، وفى نفس الوقت نائبا عن الأمبراطورية النمساوية الهنغارية (29) .

وعلى الجملة كانت العلاقات جيدة بين البلدين ، فتبودلت الوفادات وخصوصا سفارة الزبدي سنة 1875 وابن المؤذن سنة 1890 .

أما عدد المستوطنين بالمغرب فكان جد ضعيف ، ولم يكن لبلجيكا بطنجة غير من ذكرت من القناصل ومن المفوضين ، ومع ذلك كان لها محميون قنصليون دون سماسرة لتجار لا وجود لهم بالمدينة .

* * *

---

26 . عبد الهادي التازي : «الثغور ...» في مجلة «البحث العلمي» ع 27 ص 19

27 . جان لوى مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 62 ، ومسودة رسالة فى 17 حجة 1306/14 غشت 1889 ، محفظة بلجيكا

28 . جان لوى مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 17 (1) ، ثم رسالة وزير خارجية بلجيكا الى بركاش فى 15 يوليوز 1869 ، محفظة بلجيكا

29 . رسالة ماكس ريزر الى الطريس فى 22 حجة 1304/11 شتنبر 1887 ، محفظة النمسا

ثانيـة : المحميـون القنصليـون

1 . **ابراهام سكسو** : كان سنة 1866 يضطلع بمنصب الترجمان الاول (30) . وأصبح شريكا مـع منصور ملحمة ترجمان ألمانيا فى أرض اشترياها بناحية المنار لفائدة شركة فرنسية بوهران بـ 600 ريال ، وادعيا أنهما فعلا ذلك بـ 26.000 ريال سنة 1890 (31) ، وكان الى ذلك ينوب عن السفير ، ولم يرد له ذكر فى لائحتي 1886 و 1889 اللتين آخذ منهما أسماء باقي المحميين وهم :

أ ـ من قائمتي 1886 و 1889 :

2 ـ **يعقـوب سكســو** : كان الترجمان الثاني ، عين لهـذا المنصب سنة 1885 .

3 ـ **عبد السلام بن قدور** : عين عونا سنة 1872 وذكـر فى لائحـة 1886 فقط .

4 ـ **عبد السلام بوكسكاس** : عون كذلك سمي سنة 1879 .

5 ـ **عبد القادر حمادي** : كان سائسا للدواب منذ 1876 ورد ذكره فى لائحة 1886 ، أما لائحة 1889 فتسميه قدور حمادي .

6 ـ 7 ـ **عبد السلام بن علي** : مثله وعين سنة 1886 هو **وأحمد بن عبد الله** : وكان مستخدما .

8 ـ **أحمد التدلاوي** : كان رباغا عين سنة 1865 .

9 ـ **سيمحة حبيبة** : مستخدمة منذ 1868 ذكرت فى لائحة 1886 فقط .

10 ـ **العربي الفردي** : كان طباخا عين سنة 1886 ، وكان قبل ذلك محميا انجليزيا سنة 1880 .

---

30 . رسالة فى 13 جمادى الاولى 1283/23 شتنبر 1866

31 . رسالة الطريس الى السلطان فى 6 رمضان 1307/26 ابريل 1890

ب ـ من قائمة 1889 وحدها

11 ـ 14 ـ **محمد بن الحسن ومحمد بن مخلوف** : وكانا عونين ، **ومحمد السوسي** طباخ ، **وعمرو بن محمد السعيدي** رباع .

* * *

المطلب الرابع : الدول السكندينافية

ونعني بها هنا الدنمارك من جهة أولى والاتحاد السويدي النرويجي من جهة أخرى ، مع استثناء فينلاندة التى لم تحضر مؤتمر مدريد سنة 1880 والتى لم تكن لها مصالح بالمغرب ، وسنعالج شؤون الدولتين فى قسمين :

أولا : الدانمارك

لم يكن لهاته الدولة تمثيل قنصلي ولا ديبلوماسي بطنجة على يد أبنائها ، لكن انجلترا كانت تتولى رعاية شؤون الدانماركيين أي «الماركيين» بالتعبير المغربي حينما كانت تؤدى للمغرب وجيبة مالية .

وكان لها سنة 1880 بعض المحميين وعددهم اثنان ، دون وجود مستوطنين ولا سماسرة . ولربما أدخلتهما انجلترا فى قوائمها . واسمهما هو :

1 ـ **بناحيم سطرونا** : وكان ترجمانا

2 ـ **ومحمد بن الحاج قاسم** : وكان عوناً (32) .

* * *

---

32 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 313

ثانيــاً : الاتحاد السويدي النرويجي

من بداية القرن التاسع عشر (1815) الى صدر القرن العشرين (1905) كانت المملكتــان السويدية والنرويجية مندمجتين ، وكانت مقاليد الشؤون الخارجية بيد السويد .

وظلت العلاقات بين المغرب وهذا الاتحــاد مستمرة ومتميزة بــأداء الدولتين للمملكة المغربية وجيبــة توقفتا عن تسديدها في منتصف القــرن التاسع عشر بعد مفاوضات بين الأطــراف وتدخلات ووساطات من الجانب الأوروبــي .

وكانت السويد حاضرة في مؤتمر مدريد وأبدت نشاطا معتدلا خلال انعقاده ، كما أنه كان للسويد تمثيل قنصلي أو ديبلوماسي بطنجة منذ ما قبل القرن التاسع عشر .

أ ـ السلك القنصلي والديبلوماسي :

تولاه في مطلع القرن المذكور عدة أشخاص نذكر منهم :

1 ـ 2 : **أنكارلــو** Ankarloo **وأكــريــل** Agrell وبعد هما :

3 : **يعقوب كرابيرك آف هيمسو** I. Graberg af Hemso وقد مثل السويد بعد السابقين كما مثل المملكة السردينية ، وذلك من 1814 الى 1822 ، وهي السنة التي طرد فيها من طنجة فانتقل الى طرابلس الغرب لتمثيل بلاده السويد حتى سنة 1828 .

4 : **ج. م. إيهرنهــوف** J. M. Ehrenhoff الذي أشرف بعده على الشؤون السويدية (33) .

---

33 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 37 و 116 و ج 2 ص 454 وكذلك بيير كيين «المانيا والمغرب» ص 16 (2) وأيضا ماجالي مورسي «شمال افريقيا : 1800 ـ 1900» ص 63

5 : وخلفه **ف . كروسكوسطوف** F. Cruscustoff أو — على الراجح — أعانــه من 1828 الى حوالي 1847 بحيث لبث بطنجة نحواً من 18 سنة انتقل بعد ها الى الجزائر بوصفه قنصلا عاماً (34) .

6 : الا أن **إيــدم ده شاسطــو** Edme de Chasteau قنصل فرنسا بطنجة تولى النيابة عن السويد (35) لبعض الوقت سنة 1845 .

7 : وعين **سليم إيهرنهوف** قنصلا من 1854 الى 1859 ، وانتقل بعد ذلك الى الأستانة ، فقررت السويد إلغاء تمثيلها القنصلي بطنجة سنة 1869 بصفة مؤقتة على ما يظهر ، وذلك لأن :

8 : **دالــوان** سفير بلجيكا تولى من 1860 الى 1878 النيابة عن السويد والنرويج (36) .

9 : وآل التمثيل الديبلوماسي بعد ذلك الى بريطانيا العظمى فكلف **هيربيرت وايط** بالنيابة عن السويد ولا سيما سنة 1882 زيادة على قنصلية بلاده بطنجة .

10 : **فيكطور إلياس كاسيل** V. Elias Cassel عين سنة 1886 قنصلا عاما حتى سنة 1891 حين غــادر المدينة فأسندت الى وزير ألمانيا رعايــة المصالح السويدية (37) .

هذا ومن الذين كانوا يساعدون هؤلاء القناصل ولا سيما فى أواخر القرن التاسع عشر أذكــر :

---

34 . رسالة كروسكوسطوف الى محمد بن ادريس فى 28 جمادى الاولى 1263/14 ماى 1847 ، محفظة السويد .

35 . رسالة بوسلهام بن علي الى الحاج العربي الطريس فى 10 قعدة 1261/10 نونبر 1845 ، نفس المحفظة .

36 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 454

37 . رسالة كاسيل الى الطريس فى 22 ماى 1891 ، محفظة السويد ، وكذلك كيين. «ألمانيا ....» ص 310 (2)

ـ **لاطـو** (?) Lato ، وكان سنة 1882 نائبا عن القنصل (38) .

ـ **جون ه مونيلا** J. H. Monella وكان سنة 1890 مساعداً (39) .

ـ **إيميليو دال** E. Dale وكان سنة 1896 تاجرا بطنجة ونائبا (40).

ولا يبدو أنهم من أصل سويدي .

ب ـ المحميـون

كان للسويد بعض المحميين بطنجة عددهم تسعة :

بـ 1 ـ من القائمة السويدية لعـام 1888 :

1 ـ 8 : **مسعـود الشريقي** وظـل اسمه وارداً فى قائمة سنة 1898 **وموسى الصويري وإسحاق بنشيمول وعبد السلام الدكالي الكلمي والحاج أحمد الهراس ومبارك بن سعيد وصالح الدكالي والعربي الفردي** الذى تقدم اسمه فى اللائحة البلجيكية ، وكلهم كانوا فى الغالب أعواناً .

بـ 2 : من غيرهـا

9 : **حاييم بن دلاك** وكان سنة 1888 ترجمانـا (41) ولكن اسمه لـم يذكـر فى قائمة 1888 .

* * *

المطلب الخامس : هولانـدة

كانت الوثائق المخزنية تطلق لفظة الفلامينك Flameng على هولاندة التى كانت لها علاقات تجارية وقنصلية مع المغرب عبر أطوار التاريخ ، لكنها

38 . رسالة لاطو الى الطريس فى 13 مارس 1882/15 جمادى الاولى 1301 ، محفظة السويد

39 . رسالة الياس كاسيل الى الطريس فى 26 محرم 1308/11 شتنبر 1890 . نفس المحفظة

40 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 6 يبراير 1896 ، نفس المحفظة

41 . رسالة كاسيل الى الطريس فى 9 جمادى الاولى 1305/23 يناير 1888 ، نفس المحفظة

مع ذلك ، لم تكن ممثلة بأحد أبناء جِلْدتها ، وانما بغيرهم سواء في طنجة أو في خارجها .

وكانت انجلترا تنوب عنها في شخص جون دروموند هي ، حتى أُحيل على التقاعد ، وحينئذ تولى تدبير شؤونها إلياس كاسيل نائب السويد والنرويج بطنجة وقنصلهما العام (42) ، وفي سنة 1895 كان وزير ألمانيا فون بوشة هو الذي يرعى مصالح هولاندة (43) .

ولم تخلُ من بعض المحميين القنصليين بطنجة وكان عددهم اثنين :

1 : **الحاج أحمد العمارتي** وكان منذ سنة 1863 عونا بقنصليتها (44) .

2 : **العربي بن الحاج عبد الله العمارتي** وكان سنة 1880 محميا (45) . ولعله كان عونا أيضا .

ولم أقف على اسم أي مستوطن هولاندي . وبالطبع لا وجود للسماسرة.

---

42 . رسالة الياس كاسيل الى الطريس في 10 غشت 1886 . محفظة السويد وكذلك كيين: «ألمانيا والمغرب» ص 310 (2)

43 . رسالة في 8 نونبر 1895 ، محفظة المغرب هولاندة

44 . رسالة جون هي في 5 نونبر 1863 . محفظة الحماية القنصلية

45 . عبد الرحمان ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 313

الـبـاب الخـامـس

الثغور الشمالية الغربية



فى بلاد الهبط والخلط هاته ستكون الحماية القنصلية والاستيطان الأجنبي أهون شأناً مما كانا بطنجة ، وسنتناول ذلك فى جملة من الفصول :

الفصل الأول : تطـوان

الفصل الثاني : أصيلـة

الفصل الثالث : العـرائـش

الفصل الرابع : القصر الكبيـر وإيالات الغـرب

1 : تطوان

المطلب الأول : الولاة والسكـان

أ ـ الـولاة :

تولى تسيير الشؤون المحلية عدد من العمال كان في مقدمتهم :

1 ـ **محمد بن الحاج عبد الرحمان أشعاش** ، وقـد أسندت اليـه الباشوية عند عزل العربي بن يوسف المسلماني عنها سنة 1241/1825 ، وظل واليا حتى توفي سنة 1261/1845 .

2 ـ وحينئذ تقلد هذا المنصب ابنه **الحاج عبد القادر** الذى كان قبل باشا لمدينة الدار البيضاء حوالي 1845 ، وفى أكتوبر من هاتـه السنة عينه السلطان مولاى عبد الرحمان سفيرا لدى لوي فليب ملك فرنسا ، وبقي يزاول مهامه الى أن عزل وسجن بمدينة سلا فى 15 مارس 1851 ، والسبب فى ذلك ـ على ما قيل ـ أن جماعة من أهل تطوان تضجروا من حكمه وأنانيته فتآمروا عليه وحرضوا القنصل الفرنسي عليه ، لأنه كان قد نكب بعض الجزائريين الذين تحميهم فرنسا ، فما كان من هذا النائب الا أن تقلد سيفه ولباسـه الرسمي ودخـل على أشعاش دون استئذان ، فاغتاظ الوالي وصفع ذلك الوكيل الذى كان يهوديا متفرنسا .

وجاء في المصادر أن أشعاش سرح من سجنه ، فعفا عنه السلطان ورده بعد جلاء الجيش الاسباني عن المدينة سنة 1278/1861 الى منصبه الذى

لم يكد يقضي فيه الا نحو السنتين حتى عزل مرة أخرى ، ومات سنة 1282/1864 بمدينة مكناس (1) .

3 – وفي شعبان 1267 يونيو 1851 وبعد نكبة أشعاش عين **الحاج أحمد الحـداد** واليا على المدينة ، وكان قبل ذلك أحد الأمناء وتوفي سنة 1275/1858 (2) .

4 – وكان الذى تقلد الباشويـة من بعده هـو **محمد بن محمد بـن الحاج** (3) التطواني ، ويظهر أنـه بقي في المنصب المذكور حتى أسندت الولاية مرة أخـرى الى الحاج عبد القـادر أشعاش سنة 1861 كما تقدم بعد العفو السلطاني .

5 – وفي أوائل 1281/1864 صار **محمد بن منصور المهداوي** باشا للمدينة ولكنه أخر عن الولاية بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات ، وكان «رجلا بدويا لا يعرف من الأحكام شيئا» (4) .

6 – **أحمـد الخَضِر السـلاوي المكناسي** ، عين سنة 1867 بعد أن كان عاملا على فاس ومكناس ودامت ولايته 12 سنة و 9 أشهر الى أن توفي في محرم 1296/يناير 1879 عن 85 سنة من عمره (5) .

7 – وكان آخـر الولاة في هاته الفترة هو **محمد بن أحمد الخَضِر السلاوي** ابن العامل الهالك ، وقد قضى في منصبه نحوا من 19 سنة لأنه أعفي عام 1315/1898 .

---

1 . محمد داود : « مختصر تاريخ تطوان » ص 120 و ص 167 و « تاريـخ تطـوان » ج 6 ص 88 و 93 و ج 8 ص 80 و 104 و 116 و « الوثـائق » ج 2 ص 48 و 87 ، ورسالة بمحفظة بركاش في محرم 1281 / يونيو 1865

2 . محمد داود : « مختصـر تاريـخ تطـوان » ص 120

3 . المصـدر نفسـه ص 167

4 . المصدر السابق ص 205 و « تاريخ تطوان » ج 6 ص 94

5 . المصدر الاخيـر ج 6 ص 174 و «الـوثـائـق» ج 4 ص 404 ورسالـة محمد بن احمد الخضر الى بركاش في 24 ربيع الاول 1296 / 18 مارس 1879 – محفظة تـطـوان : 3

وكان لوالده خليفة هو محمد الغفياني المتوفى سنة 1304/1887 (6).
وأثناء الاحتلال الاسباني كان الحاج أحمد بن علي أبْعِير أحد الوجهاء المتخلفين ، فعينه الاسبانيون باشا للمدينة ومنحوه لقب خليفة قنصل شرفي بعد ذلك (7) .

* * *

ب ـ السكـــان :

يقدر المصنفون الأجانب سكان المدينة بـ 16 ألفا سنة 1836 و 22 ألفا سنة 1857 و 21 ألفا سنة 1867 ، ولم يرتفـع هذا العـدد الى 22 ألفا الا فى نهاية القرن أي سنة 1895 حيث اعتبر المنصر سومرز أن المسلمين واليهود والأروبيين كانوا على التوالي 16 ألفا و 6 آلاف و 291 شخصا (8) .

ونلاحظ أن سكان المدينة قد تقهقر عددهم منذ حرب تطوان وكثرت الهجرة الى مدن ونواح مغربية أو الى أقطار أخرى بعد أن كانت تلك الحاضرة من أهم المدن المغربية .

وكان بالمدينة قناصل ووكلاء ، كما كان يسكن بها بعض الأجانب جلهم من الاسبانيين ، ومن أجل ذلك كان لهم محميون قنصليون سيأتي جدول عددي عنهم ، وسأقـدم فى المطالب الموالية سرداً لأسمائهم على اختـلاف درجاتهم ونسبتهم الى تلك الـدول : الولايات المتحـدة وبريطانيا العظمى واسبانيا وايطاليا والبرتغال وبلجيكا والنمسا وفرنسا ، وكان عددهم قليلا : 57 محمياً منهم 31 مسلما ، أما السماسرة فلا وجود لهم .

---

6 . محمـــد داود « مختصـــر تاريـخ تطـــوان » ص 205

7 . محمد داود « تاريخ تطوان » ج 5 ص 232 و ص 294 (1)

8 . جان لوي مييـج « المغرب واروبا » ج 3 ص 461 و ج 4 ص 397 و 402 (3)

المحميون (1863 ـ 1900)

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
الولايات المتحدة	9	3	12
بريطانيا العظمى	1	3	4
اسبانيا	2	11	13
ايطاليا	2	1	3
البرتغال	4	5	9
بلجيكا	1	2	3
النمسا	3	3	6
فرنسا	4	3	7
المجاميع	26	31	57

المطلب الثاني : الولايات المتحدة الأمريكية

كان اليهودي التطواني ابراهيم برينطي هو الذى يتولى النيابة القنصلية عن الولايات المتحدة بتطوان (9) الى أن آلت الى إسحاق كويهن بعد ذلك (10) سنة 1882 ثم إلى ساوول طوبْعليم سنة 1893 .

ولأجل ذلك كان بهاته المدينة محميون استثنائيون بمقتضى الفصل 16 من معاهدة مدريد ومحميون قنصليون بمقتضى الفصل الثاني منها

وقد وردت أسماء المحميين في قوائم ووثائق مختلفة .

أ . **من تقييد ابن زيـدان** (11) :

1 — 3 — **الحزان يهودة بودرهم ، ومسعود بن موسى أوحلون ، والأمين البقالي الغماري التطواني** : لم يرد سبب لحمايتهم بثلاثتهم سنة 1880 ، ولعلهم كانوا محميين استثنائيين .

ب — **من قائمتي 69/59 و 69/60 الأمريكيتين** (12)

4 — **ابراهيم برينطي** : كان نائبا قنصليا قبل 1886 ثم صار ترجمانا للوكيل إسحاق كويهن سنة 1888 .

---

9 . رسالة محمد بن احمد الخضر السلاوي الى السلطان في 28 رجب 1303 / 2 مـــاي 1886 ، محفظة الحماية القنصلية

10 . رسالة ريـد لويس الى الحاج محمد الزكاري في 9 يوليوز 1888 ، محفظة المغرب امريكا ، ورسالة ماثيوز الى السلطان في 26 شوال 1309 / 8 ماي 1892 التي تذكر ان اسحاق كويهن « خليفتنا بتطوان منذ 10 اعوام مضت » ، محفظة المغـــرب الولايـات المتحـــدة

11 . ابن زيـــدان « العـــز والصـولــة » ج 1 ص 313

12 . سأستعين طوال الحديث عن المحميين والسماسرة الامريكيين بهاتيـــن القائمتين : 69 — 59 و 69 — 60 ، لانهما عامتان ، ولكن عيبهما انهما كغيرهما خاليتان من التاريخ . وسيرد عند الكلام عن المحميين بالدار البيضاء انهما حررتا حوالـــي سنة 1890

وسيأتي أنه كان قبل ذلك محمياً نمساويا .

5 ــ 8 ــ **يوسف بن طاطا ، وعبد السلام بن محمد أقشوشو ، وابراهيم إسحاق ليبي سباط ، ويوسف بن طاطا** ، وكلهم كانوا محميين .

ت ــ من غير ذلك

9 ــ **الحاج أحمد الغفياني** : من أهالي تطوان عينه ريد ليويس سنة 1888 كاتبا بالوكالة القنصلية (13) .

10 ــ **ساوول طوبعليم** : كان سنة 1893 نائباً قنصليا (14) .

11 ــ **إسحاق كويهن** : وكيل قنصلي سنة 1888 ورد ذكره هو وابراهيم برينطي سابق الذكر ويسّاخر بن عدّي سمسار **اسحاق** هذا (15)

12 ــ **يسّاخر بن عدّي** : وكان محمياً وسمسارا للوكيل اسحاق كويهن.

* * *

المطلب الثالث : إنجلتــرا

أ ــ السلــك القنصلــي

تقدم بطنجة شيء من الكلام عن السلك القنصلي :

1 ــ **فرانك هي** Frank HAY شقيق جون هي كان نائبا قنصليا بمدينة تطوان بعد سنة 1851 .

---

13 . رسالة ريد ليويس الى الحاج محمد الزكاري في 9 يوليوز 1888 (الهامشة 10) وكذلك رسالته الثانية اليه في 25 أبريل 1888 ، محفظة المغرب أمريكا .

14 . رسالة بمحفظة المغرب أمريكا بتاريخ 21 ابريل 1893/4 شوال 1310

15 . رسالة محمد بن أحمد الخضر السابقة . (الهامشة 0) وقائمة 1 أبريل 1886 المختلطة.

وسبب تعيينه هنا ونقله من طنجة هو شجار حدث بينه وبين أوكوست بوميي الكاتب بالقنصلية الفرنسية بطنجة ، وذلك أن فرانك صفع هذا الأخير صفعا قويا واتهمه باستمالة خليلته اليهودية التى اشتكت لديه بالمضايقة التى كانت تلقاها منه ، وقـد حمل بوميي الى المستشفى ونقـل فرانك الى تطوان بعد ذلك ، (16) تفاديا لأزمة بين فرنسا وانجلترا .

2 — وكان شقيق آخر للسفير وهو **جيمس ده ڤيـم** نائبا قنصليـا بتطوان سنة 1857 .

3 — كما كان السفير **وليام كربي كرين** قد تقلد هاته المهمة القنصلية سنة 1860 و 1861 .

4 — ومن الذين تولوا هذا المنصب **دوبويس** DUPUIS وقد أشرت الى ذلك بطنجة عن هؤلاء جميعاً .

5 — وفى سنة 1869 حذفت بريطانيا العظمى نيابتها القنصلية المحلية ، ويبدو أن هذا التدبير لم يكن الا مؤقتا لأن **إسحاق ناهون** كان نائبا قنصليا حوالي 1886 لما نشأ بينه وبين أحمد بن محمد اللبّادي التطواني نزاع حول أرض بتطوان كان والده قد ترك القنصل فرانك هي يبني فيها براكة خشبية لجعلها إصطبلا لفرسه فاستولى عليها النائب ناهون وادعي ملكيتها (17) .

* * *

ب — **المحميـون**

كان لهؤلاء الوكلاء محميون قنصليون واستثنائيون أقدمهم على ما يظهر كان هو :

---

16 . جاك كايي «النوادر المغربية» ص 22 من السلسلة الثانية وروجرز «تاريخ..» ص 212

17 . رسالة أحمد بن محمد اللبادي الى الطريس فى 11 رمضان 13/1303 يونيو 1886 ، محفظة الطريس 8 .

1 — **شلومو ناهون** وقد شغل سنة 1865 منصب الترجمان القنصلي (18) ، وكان هناك سنة 1880 ثلاثة محميين آخرين ، وها هي أسماؤهم :

2 — **عبد الخالق بن عبد السلام سكيرج** : ولم يعرف وجه منحه الحماية ، وقد يكون عونا أو ترجمانا .

3 — **ومحمد بن يحيى** : والغالب أنه كان كاتبا بتطوان وبطنجة معا حسبما تقدم .

4 — **ومحمد المصلوحي** (19) والمظنون أنه كان عونا فقط .

ولم أقف على غير هؤلاء .

أما السماسرة فلم أعثر لهم على أثر ، فلم يكن بالمدينة تجار إنجليزيون ولا روجان اقتصادي مثل مدن الشاطىء الأطلسي ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن الماضي .

• • •

المطلب الرابع : إسبانيا

أ . السلك القنصلي :

تقلد مناصب التمثيل القنصلي بتطوان عدة أشخاص منهم :

1 — **بيدرو فانطون** Pedro Fantun سنة 1863 ، وكان سنة 1859 نائبا قنصليا لبلاده بالدار البيضاء ، وهو من مواليد جبل طارق ومن أب اسباني وأم ايطالية (20) ، وبعده تولاها :

---

18 . رسالة في 16 جمادى الثانية 1282/5 نونبر 1865 ، محفظة بركاش

19 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 313

20 . جان لوي مييج «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 204 (1)

2 — **رامون خيسنابير دي لاريكـان** R. Jexnanver de la Requen
وكان سنة 1866 على خلاف مع باشا تطوان محمد بن منصور المهداوي حول تسريح يهودي ذكر أنه أهان دولته واحتمى بالقنصلية الأمريكية (21) .

3 — **رامون نـول** R. NOL تولى ادارة الشؤون القنصلية بالمدينة سنة 1868 ، وكان لا يزال فى منصبه فى أكتوبر 1870 ، وعرف عنه أنه كان من أنصار سياسة القوة التى نادى بها ميري إي كلوم وقد أصبح عضوا بمجلس الكورطيس (22) .

4 — وفى سنة 1879 كان **خوان موربي** J. MORBE هو الذي يشغل هذه الوظيفة (23) .

5 — **تيودورو رويث دي كويباس** T. R. de Cuevas كان قنصلا بتطوان بعد 1881 (24) .

6 — والنـائب القنصلـي **خـوسي ميـرابانت إي پاسـكـوال** : J. Mirabent y Pascual تقلد هذا المنصب سنة 1885 ثـم انتقل الى الصويرة ثم الى العرائش ، وقد مات سنة 1904 بهاته المدينة ، وكانت لـه تقارير تجارية (25) .

وبالطبع كان لاسبانيا محميون قنصليون قليلون وهم :

---

21 . رسالة الى الباشا المهداوي فى 13 أكتوبر 1866 نصها وارد فى «الوثائق» ج 4 ص 349 و 351 .

22 . جان لوي مييج «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 134 و ج 5 ص 145

23 . رسالة ديوسدادو الى الطريس فى 13 يونيو 1879 ، محفظة المغرب اسبانيا

24 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 96

25 . المصدر السابق ج 1 ص 143

ب . المحميون القنصليون

1 ــ 4 ــ **أحمد بن العربي اللبادي ، وعبد الكريم بن أحمد اللبادي ،** وكان تاجرا ولعله ابن السابق ، **ويعقوب بن دابيد كويهن ، ومحمد بن الحاج عبد القادر العطــار** . والأربعة كانــوا محميين سنة 1880 دون معرفة موجب الحماية (26) ، وقبل ذلك كان آخرون منهم :

5 ــ **الحاج عبد القادر العطار** الذى كان أمينا وباشا للصويرة سنة 1860 (27) والذى كان محميا قبل سنة 1876 هو ومن بعده :

6 ــ 10 ــ **العربي صالص ، وعبد الله الصبان ، وأحمد جبور ، وأم كلثوم زوجة الفقيه ماشان ، وأم كلثوم زوجة الحاج أحمد أبعير** (28) . وقد أسلفت الكلام على أن الحاج أحمد أبعير كان متوليا على تطوان إبان الاحتلال الاسباني. ولا شك أنه توفى قبل 1875 فورثت زوجته الحماية ، أما أ'م كلثوم الأولى فهي ربما كانت زوجة لأحمد ماشان الذي كان يحترف العدالة بتطوان .

11 ــ **عبد الرحمان أبعير** شقيق السابق وذكر أنــه منح الجنسيــة الاسبانية (29) .

12 ــ **الحاج عبد الكريم عدة** ، وقد سجله پيدرو فانطون فى لائحة المحميين سنة 1863 ولكنه تبرأ منها بعد ذلك (30) على ما يظهر .

وكل هؤلاء السابقين لم يذكر لحمايتهم سبب ، أما :

---

26 . عبد الرحمان ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 310 وما بعد ها ، ومحمد داود : «مختصر تاريخ تطوان» ص 208 و «تاريخ تطوان» ج 6 ص 174

27 . المصدر الاخير ج 5 ص 288

28 . أيضا 6 ص 174 و «مختصر ...» ص 208

29 . محمد داود «تاريخ تطوان» ج 5 ص 232

30 . رسالة عبد القادر اشعاش الى محمد بركاش فى 27 جمادى الثانية 1280/9 دجنبر 1863 نصها فى «الوثائق» ج 4 ص 306 .

13 — **إبراهام حسان** فكان سنة 1886 ترجمانا بالقنصلية (31) .

* * *

ت — المستوطنـــون :

لم أقف على أسماء جميع الاسبانيين القاطنين بتطوان خلال النصف الثاني من القـرن الماضي سوى الاشـارة الى أن 12 شخصا كانوا يعيشون بالمدينة سنة 1870 ، منهم 5 لهم حانات و2 من الاسكافيين و 3 من الفلاحين . وكانت سيرة كثير منهم — حسب الوثائق الاسبانية — غير محمودة : مشاكسون ومهربون (32) ولم تكن لهم تجارة لاستحقاق تعيين سماسرة لهم .

أما الوثائق المخزنية فقد تحدثت عن بعضهم ومنهم اثنان وقفت على طرف من اسمهما :

— **خوان** . . . (؟) ولم يرد ذكر نسبه وكان سنة 1880 يخدم بعريته في المرسى حيث كان يتعاطى التهريب ويترأس عصابة من اللصوص حتى قبض عليه متلبسا بجريمته ليطرد من المدينة (33) .

— **أولاد بسينتي** ..... Vicente وكانوا سنة 1890 يشتغلون بمرسى مرتيل «وهم قاطنون عند نا مشتغلون بالكنطربنض في الماشية وغيرها بمراكبهم وخصوصا منويل بيسينتي الذى وسق فى العام الماضي الى جبل طارق 7 أبقار وأنزلها به ، وأخبرنا بذلك الحاج سعيد (جسوس) ولم يزالوا على غـيِّهم حتى عمد أحدهم اسمه شيلي الى 3 بقرات ووسقها فى مركبه» (34) .

---

31 . رسالة محمد بن الطيب قنجاع الى بركاش فى 17 شوال 13/1283 أكتوبر 1866 ، محفظة بركاش .

32 . جان لوي مييج «المغرب وأوربا» ج 5 ص 145

33 . رسالة محمد بن أحمد الخضر السلاوي الى بركاش فى 18 شوال 23/1297 شتنبر 1880 نصها فى «الوثائق» 4 ص 510 .

34 . رسالة محمد بن أحمد الخضر السلاوي الى الطريس فى 1 شعبان 23/1307 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18 .

— أما بيسنتي فنسبه هو مندوثا Mendoza ، وقد أنشأ سنة 1891 معملا لصمامات القناني كان يعمل فيه 20 مستخدما .

* * *

المطلب الخامس : إيطـاليـا

لم يعرف لهاته الدولة من ممثل قنصلي بتطوان سوى محمد الخطيب الذى كان يقوم بالنيابة عنها حوالي 1886 .

المحميون كانوا ثلاثة هم :

1 — **محمد الخطيب** نفسه الذى ظـل اسمه واردا فى كافـة القوائم حتى 1894 .

2 — **بيدال ابن الوليد** من يهود المدينة ، وكان محميا قبل معاهدة مدريد وظل اسمه مثبتا فى القوائم السنوية .

3 — **موشي بن شطريت** : وكان محميا سنة 1879 ، ولم يعرف وجه حمايته التى كانت فى الغالب استثنائية كالتي كانت لمن قبله (35) .

أما المستوطنون والتجار فلم يـرد لهم خبر لعـدم استيطان المدينة من لـدن رعايا هاتـه الدولـة ، ويستثنى واحـد اسمه أنطونيو بالامـارا Antonio Palamara (?) وكان يعيش بالمدينة حوالي 1889 ، وقد ذهب راجلا من تطوان الى طنجة مـع زوجته وأولاده يطلب حقه ، لأن ولاة المدينة قـد تراخوا عن إنصافه ، وكان حديث الاستيطان بالمغرب ، ولا شك أن اعتداءاً وقع عليه «وهو من بلاد كنطلو قدم على طريق سبتة ، ولما دخل البلاد ووصل للفندق صار يبيع أُمورا تلعب بها الصبيان فاجتمع عليه عددا وافرا (كذا) من صبيان المسلمين واليهود والأعراب وضربوه بالحجارة» (36) .

* * *

---

35 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 6 ص 178 . ومسودة رسالة سلطانية فى 23 شوال 25/1303 يوليوز 1886 ، محفظة المغرب ايطاليا .

36 . رسالتا كانطاغالي الى الطريس فى 10 يونيو و 7 يوليوز 1889 ، محفظة المغرب ايطـاليـا .

المطلب السادس ـ البرتغـال

مثل هاته الدولة ابتداء من طنجة سنة 1864 ابراهيم حسان (37) وبعده تولاها سنة 1880 ابنه يشوع حسان (38) ثم سالفادور حسان ، ولعل الأول شقيق الثالث الذى كان سنة 1894 تاجرا مصدرا ، ولربما كان نائبا أيضا عن النمسا أو محميا لها (39) .

ومن أجل هذا كان للبرتغال محميون قنصليون جاءت أسماؤهم فى مصادر مختلفة وهم :

1 ـ **محمد السعيدي** ، وكان سنة 1864 محميا «وهو من قبيلة بني سعيد الجبلية واستوطن مدينة تطوان وأخذ يتعاطى الفلاحة وكسب الماشية واحتمى بحماية جنس البرطقيز على يد خليفة ابراهيم حسان القونصو النائب عن جنسه بطنجة ، وزاغ بذلك وطغى واشتغل بالفساد ، على وجه التعدي والعناد ، ولم يقدر أحد يتكلم معه على ذلك خوفا من جرأتـه وشدة إذايته بالشتم وغيره ، لأنه مشتغل باذاية المسلمين» (40) . ولم يرد سبب لحمايته ، وهناك أسماء محميين آخرين سنة 1880 وهم :

2 ـ **سمويل بن موسى بن طوليلة** وكان ترجمانا (41)

---

37 . رسالة محمد أشعاش نائب عامل تطوان فى 14 ربيع الثانى 1281/16 شتنبر 1864 ، نصها فى «الوثائق» ج 4 ص 316 .

38 . رسالة محمد بن أحمد الخضـر الى بركاش فى 25 مارس 1880/13 ربيع الثاني 1297 ، محفظة الحماية القنصلية .

39 . رسـالـة بوليسلافسكي الى الطريس فى 12 ماى 1894/6 قعـدة 1311 ، محفظـة المغرب النمسا .

40 . رسالة محمد أشعاش فى 14 ربيع الثانى 1281 متقدمة الذكـر

41 . ابن زيدان : «العـز والصولة» ج 1 ص 313 ، ولائحة المحميين العامة ، ورسالة محمد بن أحمد الخضر فى 13 ربيع الثانى 1297 (الهامشة 38) .

3 - 7 : **سالومـون بـن بينطـو ليبـي ، واسحـاق بـن عليـل** وكانا مستخدمين ، و**حمان بن الفقيه العرود** وكان عونـا ، و**محمد بن سـلام القرشي** وكان بوابا ، و**دابيد ولد شلوم كويهن** وكان كاتبا (42) .

وقد طرد عبد الرحمان بن عبد الصادق باشا طنجة من مكتبه سنة 1893 هذا المحمي وولده وأحد الأعوان واسمه :

8 - **ابن قدور** : «الذى هو مخازني ولد مخازني ، وكان يخدم المخزن وبيكلار باشدور فرنسا ، وقنصل اسبانيا ، وباشدور البلجيك دالوين الذى خدم معه 16 سنة ومـع البارون ويطنل عامين» (43) ولعل ذلك من أجـل الفظاظة والوقاحة .

9 - **محمد الكحلون** : وكان كاتبا للعربية سنة 1880

وعن المستوطنين ورد أن سفيز CEVEZ وبارتشيلو BARCELO كانا سنة 1880 يتاجران بفلوكتهما بين تطوان وشواطىء اسبانيا (44) .

* * *

المطلب السابـع : اللنبيريـال

لم يرد ذكر لمن كانوا يمثلون هاته الأمبراطورية التى كان لها بعض المحميين الذين حفظت لنا الوثائق أسماءهم ، وهم :

1 - **أحمد بن علي أبعير** الذى كان حاكما لتطـوان عام 1277/1860 وصار بعد ذلك قنصلا شرفيا للنمسا والدنمارك (45) .

---

42 . ورد هذا المحمي والاربعة من قبله فى المصدرين الاخيرين .

43 . رسالـة كولاصو الى الطريس فى 17 مارس 1893/28 شعبان 1310 . محفظة المغرب البرتغال .

44 . رسالة محمد بن أحمد الخضر المتقدمة الذكر فى الهامشة 38

45 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 451 (2)

2 — **إبراهام برينطي** وكان ترجمانا للقنصلية سنة 1866 ، وقد تقدم أنه كان سنة 1886 ينوب عن الولايات المتحدة (46) ولربما يكون آنذاك قد غدا محميا أمريكيا ما عدا اذا كان سمياً له .

3 — 4 **إسحاق ابن ابراهيم برينطي** وهو ابن السابق ، **وشلوم غرصون** محميان سنة 1880 ولم يدر وجه حمايتهما .

5 — **أحمد بن الحاج محمد صالص** وكان سنة 1880 كاتبا (47) وظل حتى سنة 1887 يواصل نفس العمل (48) .

6 — **عبد الكريم اللبادي** كان سنة 1892 مستخدما أو كاتبا (49) ، ويبدو أنه كان يتدخل فيما لا يعنيه ، فاشتكت السلطة من تصرفاته لدى القنصل العام الذى أجاب : «أمرنا عبد الكريم اللبادي يتخلا عن دخوله فى الأمور الخارجات عن محله فى تقنصوات بتطوان لأن ذلك يجلب له الدعاوي مع المخزن» (50) .

أما المستوطنون من الأنبريال فكان منهم الدكتور ماكسيمليان شميدل الذى استقر لتعاطي مهنة الطب بالمدينة بعد حرب تطوان كما تقدم فى ترجمته قنصلا لبلاده بطنجة .

* * *

---

46 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 233

47 . رسالتا محمد بن منصور المهداوي وأحمد الخضر السلاوي الى بركاش فى 28 حجة 1283 (3 ماى 1867) و 12 حجة 1284 (5 أبريل 1868) محفظة بركاش ، ورسالة الأخير الى السلطان فى 28 رجب 1303/2 ماى 1886 ، محفظة الحماية القنصلية .

48 . ورد هذا المحمي والاثنان اللذان قبله فى التقييد الثانى لابن زيدان .

49 . رسالة فى 23 جمادى الاولى 1305/6 يبراير 1888 ، محفظة المغرب النمسا .

50 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس فى 23 رجب 1309/22 يبراير 1892 ،محفظة المغرب النمسا .

المطلب الثامن : فـرنسـا

أ ـ السلك القنصلي :

مناحيم ناهون كان سنة 1862 نائبا قنصليا (51) ثم أعقبه بقليل أو بكثير آخرون لم أقف على أسمائهم ، لأن فرنسا وانجلترا حذفتا سنة 1866 تمثيلهما القنصلي بالمدينة ، الى سنة 1891 حيث كان محمد بن عبد اللطيف الوهراني الجزائري هو النائب عن هاته الدولة (52) .

ب ـ المحميـــون :

وعددهم من سنة 1862 حتى 1884 لم يتجاوز سبعة ، وهم :

1 ـ **مناحيم ناهون** متقدم الذكر ، وقد اتهم سنة 1862 بأنه كان «يدخل لديار المسلمين ويتعرض لنسائهم صحبة يهودي من تلمسان إسمه اسرائيل ابن يشو» (53) .

2 ـ **موسي أزولاي** وكان سنة 1866 ترجمانا (54) .

3 ـ **هلال بن ناهون** كان كاتبا للوكيل القنصلي في لوائح المحميين الفرنسيين العامة من سنة 1880 الى سنة 1884 وورد فيها اسمه هو والأربعة الذين بعده حتى سنة 1882 :

4 ـ **موسي بنطوليلة** وكان ترجمانا وقد تقدم أن ابنه سمويل كان محميا وترجمانا للوكالة القنصلية البرتغالية سنة 1880 .

---

51 . رسالة محمد أشعاش الى بركاش في 2 ربيع الاول 28/1279 غشت 1862 ، محفظة بركاش ، وجان لوي مييج «المغرب وأروبا» ج 3 ص 43 .

52 . رسالة باسكولي الى الطريس في 7 شعبان 18/1308 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

53 . رسالة محمد أشعاش المتقدمة الذكر في الهامشة 51

54 . رسالة محمد بن منصور المهداوي الى بركاش في 19 شعبان 7/1282 يناير 1866 ، محفظة بركـاش .

5 – 7 – **عبد الغفار خرخور ، وموحا السويسي ، وعبد الكريم زرديق** وكلهم كانوا مستخدمين .

ت – المستوطنون :

لم أتبين أحدا منهم ، على أن بعض الجزائريين من يهود ومسلمين كانوا يتخذون المدينة موطنا ، كما كانوا يهاجرون الى مدن جزائرية كتلمسان ولا سيما بعد حرب تطوان .

والفرنسي الوحيد الذى وقفت على اسمه كان طبيبا وصيدليا معا واسمه مورير : Maurer (55) . ولعل هذا الطبيب لم يستوطن المدينة الا لعلاج اليهود مثلما فعل شميدل قبله إذ كانت تطوان حوالي 1856 تأوي 8000 يهودي من مجموع 22000 من السكان ، وبذلك فاقت باقي المدن المغربية فى الاستيطان اليهودي .

وبالرغم من حركات الهجرة الى الخارج فقد بقي بها عدد لا بأس به منهم ، واشترت جماعة منهم مكانا مخربا سنة 1889 بملاح تطوان لتجعل فيه مدرسة لليهود . وقد دفع الدكتور ليناريس والتاجر برونزويك للمخزن تصميم هاته المدرسة (56) وتبرع حاييم بن شيمول بالأرض اللازمة لبنائها .

* * *

المطلب التاسع : بلجيكا

لم يعرف من كان يمثل بلجيكا بمدينة تطوان حيث كان هناك محميون وهم فى لائحة 1889 البلجيكية :

1 – **هليل ناهون** : ترجمان

2 – **علي بن بوعزة** : عون

---

55 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 471 (1)

56 . النقطة الثانية من تقييد مطالب فرنسا فى رسالة باطنوطر الى غريط فى 22 شعبان 23/1306 أبريل 1889 . محفظة المغرب فرنسا .

3 ـ **ميمون بن حمـو** : مستخدم

ولم يرد ذكر تجار ولا سماسرة .

* * *

هذا مجمل ما التقطته عن القناصل والمحميين بتطوان . أما الدول الأخرى فلم أقف على شيء عنها من المحميين والمستوطنين ، مستثنياً من ذلك أن الحاج أحمد أبعير كان ملحقا بالقنصلية الدانماركية بعد سنة 1860 .

2 : اصيلة



أ ـ الــولاة :

1 ـ 2 . تقدم فى طنجة أن **عبد السلام السلاوي** كان عاملا أيضا على أصيلة سنة 1837 ، وأنه بعد وفاته سنة 1839 عين بوسلهام بن علي فى نفس المنصب على المدينتين وأحوازهما ، حتى مات سنة 1851 ، ولعلهما كانا يسيران شؤون أصيلة من طنجة طيلة هاته المدة ، ولم يعرف من كانوا يتولون أمر المدينة بعد وفاة بوسلهام .

3 . وعلى كل حال كان **الحاج محمد بن علي** قائدا لأصيلة عدة سنوات منذ سنة 1867 على الأقل (1) وكان لا يزال واليا عليها سنة 1873 عند ارتقاء الحسن الأول الى العرش (2) .

4 . وكان **عبد المالك بن علي السعيدي** خليفة لعامل طنجة ثم صار قبل سنة 1885 باشا للمدينة قبل أن يوجه سفيراً الى فرنسا (3) .

5 . وبعده كان **الحاج محمد أمقشد** قائدا على المدينة حوالي 1886 (4) حتى توفي سنة 1888 (5) ، ولم أقف على من تولى تدبير أمرها بعد هذا

---

1 . رسالة الحاج محمد بن علي الى بركاش فى 25 رمضان 1283/31 يناير 1867 ، فى «الوثائق» 4 ص 359 .

2 . بيعة أصيلة فى 1 شعبان 1290/24 شتنبر 1873 ، فى «الوثائق» : 3 ص 180

3 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 305

4 . رسالة هربيرت وايط الى الطريس فى 26 يوليوز 1886/24 شوال 1303 ، محفظة المغرب بريطانيا .

5 . رسالة الزكاري الى السلطان فى 27 شعبان 1305/9 ماي 1888 ، محفظة الطريس 3

التاريخ ، وربما كان منهم **إدريس ابن عبد السلام أمقشد** خليفة القائد (6) في تصريف الشؤون المحلية سنة 1888 وبعد ها .

* * *

ب — **السكـــان :**

لم يرد بيان عن أعداد سكان هاته المدينة الصغيرة مغاربة كانوا أو أجانب خلال هاته الفترة ، ولا ريب أن الأرقام قد لا تتجاوز بضعة آلاف نسمة .

ولكن في سنة 1900 بلغ تعداد أهل المدينة نحو 4000 نسمة (7) .

وقد استوطنها بعض الأوروبيين لأغراض شتى على الرغم من ممانعة المخزن في ذلك ، لأنها لم تكن مفتوحة للتجارة مثل الثغور الثمانية المعروفة وكانت بضائعها توسق إما من طنجة واما من العرائش .

ت — **المحميون والمستوطنـون :**

التمثيل القنصلي كان منعدما لأنه كان ممنوعا ، ومع ذلك حل بها أجانب قليلو العدد ، وكان بها أيضا محميون قنصليون يَسيرون ينتسبون لبعض الـدول مثل انجلترا والبرتغال وايطاليا واسبانيا والنمسا وعددهـم خمسة ، منهم مسلمان اثنان .

ت — 1 — **إنجلتـــرا :**

الحاج أحمد بن عـزوز ، اقترح سنة 1891 ليكون سمسارا لكارفـر Carver وإخوانه القاطنين بالعرائش وجبل طارق (8) .

---

6 . رسالـة ادريس أمقشد الى الزكاري في 20 جمادى الثانية 4/1305 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12 .

7 . كينيث براون : «أهل سلا» ص 48

8 . رسالة وايط الى الطريس في 5 يونيو 27/1891 شوال 1308 ، محفظة المغرب بريطـ...

وفي سنة 1867 كان بالمدينة تاجر انجليزي له حانة لبيع الخمر لم تورد الوثائق المخزنية اسمه (9) .

ت — 2 — **البرتغـــال** :

كان لها محمي واحد سنة 1867 يدعى **يوسف ولد فرشية** ويعمل فى خدمة شخص برتغالي فى بيع الخمور اسمه جواكين (10) .

ت — 3 — **إيطاليـــا** :

كان لها ثلاثة من المحميين ، وها هي أسماؤهم :

1 — **يوسف ولد امريدخ الخراط** كان محميا ايطاليا وقيل انه كان سنة 1867 يبيع الخمر ، ولكن ثبت أنه لم يفعل (11) .

2 — **إسحاق بن شطون** : كان محميا ايطاليا فى قائمتي 1893 و 1894 ، وحاولت السفارة الايطالية جعله وكيلا قنصليا بالمدينة منذ 1892 . واقترحت :

3 — **عبد السلام بن عمور الغربي** : عونا له وأثبتتهما معاً فى القائمتين المذكورتين (12) .

ت — 4 **إسبانيـــا** :

لم يكن لها أي محمي ولكن اسبانياً اسمه كوزمير أو . . . Cosme كان سنة 1867 «يبيع الماء الفاسد» ويتحايل فى السرقة (13) .

---

9 . «الوثائق» 4 ص 358

10 . المصدر الاخير

11 . المصدر السابق ص 365

12 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 15 دجنبر 25/1892 جمادى الاولى 1310 ، محفظة المغرب ايطاليا .

13 . «الوثائق» : 4 ص 365 و 363

ت – 5 **النمســـا** :

لم يكن لها من محمي بهاته المدينة ولكنها رامت نصب رايتها وجعل إسحاق بن شطون سالف الذكر نائبا قنصليا سنة 1888 قبل ايطاليا (14) . فكان جواب السلطان أن «أصيلة ليست مستخدمة للوضع والوسق وهي مثل مدن الايالة وليست مثل المراسي ، فجعل السنجق بها مخالف للعادة» (15) .

---

14 . رسالة ادريس بن عبد السلام أمتشد خليفة باشا أصيلة الى الحاج محمد الزكاري في 20 جمادى الثانية 4/1305 مارس 1888 ، محفظة الطريس 12

15 . رسالة السلطان الى الطريس في 13 جمادى الاولى 15/1306 يناير 1889 ، محفظة الطريس 15 .

5 : العرائش

المطلب الأول : الـولاة والسكـــان

أ ـ الـــولاة :

1 ـ كانت العرائش من إيالة **أبي سلهام بن علي أزطوط** الذى كان يقطن بها والذى تولى أيضا على طنجة وأصيلة وأحوازهما حتى توفي سنة 1851. ومن ذلك الوقت لم أقف على من وكل إليهم أمر العرائش سوى **حمان الصريدي** الذى كان من قبلُ عاملا على تطوان والعرائش في العهد الرحماني (1) دون معرفة مدة الولاية بالعرائش وتاريخها المضبوط .

2 ـ وقبل حرب تطوان كان **التهامي بن محمد ابن عبد السلام التلاواني** واليا على المدينة (2) ، واستمر مدة قليلة بعد الحرب المذكورة في هاته الولاية.

3 ـ **الحاج علي بن محمد العرائشي** وكان سنة 1862 عاملا على العرائش وأصيلة ، بعد أن كان فى سلك الأمناء ، وحتى 1877 كان لا يفتأ عاملا على المدينتين (3) .

4 ـ وفي سنة 1878 أصبح **محمد بن علي العرائشي** عاملا (4) .

---

1 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 228

2 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 192 ، ويسمى فى وثائق أخرى التالوتي هو والعامل السابع بعده .

3 . المصدر الاخير ج 5 ص 51 وابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 397

4 . المصدر الاخير نفس الصفحة ، ولربما يكون الحاج علي بن محمد ومحمد بن علي شخصا واحدا اضطربت المصادر فى شأنه .

5 — والذى تقلد هاته الاعباء بعده وقبل سنة 1879 كان هو **محمد ولد ابتّا محمد الشركي** الى ما قبل 24 قعدة 1301 15 شتنبر 1884 وهو تاريخ وفاته (5) .

6 — وبعد وفاة ولد ابتّا محمد بقليل أو بكثير أصبح **المكي العرائشي** مضطلعا بالأعباء الى وفاته (6) أواخر سنة 1305/منتصف 1888 .

7 — **أحمد بن التهامي التلاواني** أُسندت اليه العمالة . وكان حتى نهاية 1892 لا يزال واليا (7) .

8 — **علي بن الجيلالي الراشدي** عين على العرائش فى أواخر العهد الحسني وتوفي بعد ذلك بقليل (8). وفى منتصف سنة 1894 كان له خليفة هو **محمد بن عبد السلام السربوت** (9) بعد أن كان أبوه لمدة طويلة خليفة لبعض العمال السابق ذكرهم وبعد أن كان هو نفسه خليفة لهم منذ حوالي 1888 التي قد تكون تاريخ وفاة أبيه .

ولم أقف على شيء مفيد عن ولاة قبائل الأحواز .

* * *

ب — السكان والعمران

المصادر المغربية صامتة عن عدد السكان ، لكن تصانيف الأجانب من مؤلفين ورحالة تتحدث فى شيء من الضبط عن أرقامهم عبر السنوات ، فقد قدرهم علي باي العباسي بـ 4 آلاف نسمة سنة 1805 ، ومنهم من رأى

---

5 . رسالة الطريس الى السلطان فى 24 قعدة 1301/15 شتنبر 1884 ، محفظة الطريس 4 وكذلك «الوثائق» ج 4 ص 446

6 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس فى 13 حجة 1305/21 غشت 1888 ، محفظة الطريس 13 .

7 . رسالة محمد السربوت الى الطريس فى 23 شوال 1305/3 يوليوز 1888 ، المحفظة نفسها ، ومبيضة رسالة مخزنية الى أحمد بن التهامي فى 8 جمادى الاولى 1310/28 نونبر 1892 . وكذلك ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 52 .

8 . المصدر الاخير ج 2 ص 222 (1) وص 146

9 . من موجب عدلي فى 23 حجة 1311/27 يونيو 1894 . محفظة الطريس 26 .

أن عددهم هو 2500 نسمة فقط سنة 1834 ثم 4000 شخص سنة 1855 منهم ألف من اليهود و 500 من الجنود كانوا بها بين 1837 و 1850 أثناء ولاية أبي سلهام ، غير أنهم بلغوا سنة 1866 نحوا من 5000 شخص ثم ارتفع هذا القدر سنة 1875 الى 6500 نسمة (10) .

أما فى صدر القرن العشرين فتختلف الأرقام فهم 9000 نسمة (11) أو أقل من ذلك بكثير أي 5000 نسمة منهم ألفان من اليهود ، وكان أغلب المسلمين من الريفيين ومن جبالة ، أما الأروبيون فكان عددهم 150 نفرا منهم 10 من الفرنسيين و 120 من الاسبانيين الذين كانوا يتعاطون مهناً مختلفة ، وبقطع النظر عن التجار اليهود ووكلاء التجار بفاس أو طنجة كانت كل تجارة العرائش أواخر القرن التاسع عشر بأيدي عدة دور تجارية : ايطالية وفرنسية واسبانية وانجليزية وألمانية .

وفضلا عن هؤلاء كانت بالعرائش منذ قديم بعثة كاثوليكية من الفرايلية الفرانسيسكانيين وبعثة بروتيستانتية حلت فى نهاية القرن بهاته المدينة وتألفت من 5 أشخاص .

موقع المدينة جعلها منفذاً لبضائع أصيلة والقصر الكبير حيث كانت تصدر منتوجاتهما منها وكذلك انتاج النواحي والقبائل المجاورة من طليق وخلط وسفيان وبني مالك ، وقد كان للعرائش ماض فى مجال التجارة من وسق وجلب ، ولئن كنا لا نستطيع الآن إبراز هاته الحركة من المبادلات فى بداية القرن الماضي وأواسطه ، فلقد كانت فى أواخره متميزة بغلبة الاستيراد على التصدير وبتفوق التجارة البريطانية على الألمانية والفرنسية .

وهكذا كانت الحالة من سنة 1898 الى سنة 1901 كما يلي وعلى التتابع :

---

10 . مييج : «المغرب واروبا» ج 2 ص 174 و ج 3 ص 461 وكينيث بروان : «أهل سلا» ص 48 .

11 . أوجين غومي : «المختار . . .» ص 116

11ر 4 و 05ر 5 و 86ر 2 و 04ر 5 للاستيراد و 66ر 1 و 56ر 1 و 17ر 1 و 23ر 1 للتصدير ، وذلك كله بملايين الفرنكات (12) .

كما أن مكانة المرسى جلبت تجارا اتخذوا لهم سماسرة ، وقناصل جعلوا محميين لخدمتهم ومصلحة شؤون دولهم ، فمن هم هؤلاء المحميون ومن هم هؤلاء القناصل والتجار ؟

سأحاول استقصاء أحوالهم من خلال الوثائق والمصادر مرتبين حسب الدول ، ولو أنها لم تكن ممثلة كلها بالمدينة حسبما سيأتي في الجدولين الموالين ، وقد بلغ عددهم 105 من الأشخاص ، فكان المحميون 53 ، منهم 32 يهوديا ، وكان السماسرة 52 منهم 44 مسلما .

12 . اوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 90 و 93

ت ـ المحميون والسماسرة بالعرائش (1863 ـ 1900)

ت ـ 1 ـ المحميون

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
ألمانيا	2	6	8
الولايات المتحدة	9	2	11
النمسا	1	3	4
هولاندة	1	1	2
الدانمارك	1	ـ	1
إنجلترا	2	1	3
إسبانيا	8	3	11
إيطاليا	1	1	2
البرتغال	4	1	5
بلجيكا	3	3	6
المجاميع	32	21	53

ت ـ 2 ـ السماسرة

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
الولايات المتحدة	1	25	26
إنجلترا	5	6	11
فرنسا	2	13	15
المجاميع	8	44	52

المطلب الثاني : المانيـــا

المصالح الألمانية كانت ضعيفة هنا ، بالرغم من وجود قنصل أو وكيل الماني بالعرائش سنة 1882 حسبما سبقت الاشارة اليه فى طنجــة ، ويظهر أن ألمانيا لم تكن ممثلة إلا من خلال غيرها من الدول . وأنه لم يكن لها تجار يقيمون بالعرائش يحتاجون الى سماسرة .

وكل ما وقفت عليه هو أسمــاء لبعض المحميين القنصليين كانــوا يعملون فى الوكالة المكلفة بالقضايا الألمانية ، ولا سيما عند ما كان ليويس فورد الانجليزي نائباً عن ألمانيا (13) سنة 1882 .

وأسماء هؤلاء المحميين من خلال اللوائح الألمانية (1880 ـ 1897) هي :

2 ـ **سالومون بن الصائغ** : كان ترجمانا (1880 ـ 1897)

2 ـ **عبد السلام بن محمد** : عون (1880 ـ 1892)

3 ـ **عمر بن أحمد الريفي** : كان مستخدما سنة 1881 و 82 وورد اسمه فى لائحة 1895

4 ـ **فضول بن محمد الهواري** : مستخدم عند القنصل (1881 ـ 1897)

5 ـ **محمد بن القيسي** : كان كاتبا لنائب القنصل ليويس فورد (1882)، ويغلب على الظن أنه هو محمد القيسي الذى تقدم الكلام عن خلافه مع القنصل العام الأمريكي ماثيوز .

6 ـ **التهامي البصيري** : مستخدم (1886 ـ 1892)

7 ـ **مسعود مور يوسف** : كان كاتبا بالوكالة (1895)

8 ـ **منصور بن مسعود الجزار** : كان عونا (1897)

* * *

13 . رسالة تيودور تيبير الى محمد بركاش فى 13 مارس 1882/24 جمادى الاولى 1299 ، محفظة بركاش .

المطلب الثالث : الولايات المتحدة الأمريكية

أ ـ السلك القنصلي :

1 . تولاه قبل يناير 1888 **موسى بن مسعود ابن قسيس** حتى استعفائه (14) .

2 . وعين بعده **إسحاق مطيطة** (15) ، ثم عزل عن الوكالة التى أسندت الي :

3 . **إلياس ابن الطويل** المتوفى سنة 1892

4 . وكان **هاري كارلطن** الأنجليزي أصلا الأمريكي تجنسا هو الذى أشرف على الشؤون الأمريكية فى أواخر القرن الماضي وصدر القرن العشرين.

ب ـ المحميون القنصليون والاستثنائيون

وردت أسماؤهم فى مصادر مختلفة ومنها قوائم سنوية ومحلية .

ب ـ 1 من القائمتين 69/59 و 69/60 الأمريكيتين (16) :

1 ـ 2 : **إسحاق مطيطة** : ترجمان ، **ومحمد بن عبد السلام ابن حمو الملش** : كاتب

3 . **عمران بن يعقوب ابن يفلح مشيشو** : ترجمان (17) بعد إسحاق مطيطة .

---

14 . رسالة ريد ليويس الى الطريس فى 30 يناير 1888/16 جمادى الاولى 1305 ، محفظة المغرب أمريكا .

15 . رسالة القائد بوسلهام بن المصطفى السفياني الى بركاش فى 12 صفر 1301/13 دجنبر 1883 ، محفظة بركاش

16 . القوائم المذكورة هنا كلها عارية من التاريخ ، سوى 69/22 التى حررت فى فاتح يناير 1888 ، والارقام هى لمكتبة تطوان .

17 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 54 .

ب 2 — من قائمة 59/69 وحدها :

4 . **موسي بن مسعود ابن قاسيس** : نائب قنصلي وتاجر محمي

ب 3 — من 60/69 فقط :

5 . **مسعود بن بنحيم ابن قاسيس** محمي استثنائي

ب 4 — من 4/69 الأمريكية (18)

6 — 7 : **الحاج عبد السلام التوزاني** : عون . **وعيوش بن يودا أزولاي** : تاجر محمي ، وكلاهما سنة 1888 .

بـ 5 . من قائمـة الخلطـاء الغفـل :

8 . **إلياس ابن الطويل** : وكيل قنصلي وتاجر ذو سماسرة بالعرائش والدار البيضاء «وكان يزرع ويستعمل التبغ» (19) .

كان الـولاة بالعرائش يتهمونه بأنـه كان «يتجاسر على المناصب الدينية ، ويُهين حكـام البلد ، ويكثر التـردد لمجالسهم بالفظاظة والعنف وإظهار القوة . . . حتى تعطلت — على الشرع والمخزن بالثغـر المذكور — الأحكام ...ويسب الناس جهارا ويلعن الآباء والأجداد أمام الحكام وغيرهم...»

ولما بلغ ذلك لعلم السلطان أمر الطريس «بمباشرة القضية بما يتعين فيها» (20) .

---

18 . ورد فيها أيضا المحمي الرابع كما جاء كذلك فى 22/69 هو والمحمي الاول

19 . رسالة ريد ليويس الى الطريس فى 9 يونيو 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

20 . من موجب عدلي فى 9 صفر 5/1307 أكتوبر 1889 ، محفظة الطريس 17 ، وكذلك رسالة السلطان الى الطريس فى 22 صفر 18/1307 أكتوبر 1889 . المحفظة نفسها .

وكان ابن الطويل قد هاجر قبل ذلك الى الولايات المتحدة حيث كان يتجر . ولما رجع بعد ذلك الى المغرب استوطن العرائش حتى مرض وذهب الى طنجة فى مارس 1892 حيث مات (21) .

9 ـ 11 ـ **شلومو بن إلياس ابن الطويل ، وكلارة ابن الطويل ، وابراهام بن يفلح** : وكلهم تجار محميون ذوو خلطاء وسماسرة .

ت ـ **السماسرة** (22)

1 ـ **من 59/69** :

1 ـ 7 . **شلومو بن زرقين ، والحاج محمد بن بوسلهام الخضاري ، وعبد الرحمان بن بوسلهام الخضاري ، ومحمد بن الجيلالي قباب البوشتي ، والحاج بوسلهام الكثيري ، والتهامي قيسومة ، والحاج بوشعيب بن العربي الحسناوي** : ولم يرد لمن كانوا سماسرة .

ب 2 **من 60/69** :

8 ـ 12 : **الحاج ابراهيم السفياني الدكالي (الدكاجي ؟) ، والحاج الكمالي السفياني ، ومحمد بن الحاج الحواشي ، وعبد السلام بن الحاج الحواشي ، وأحمد قيسومة** (23) : ولم يعرف لمن كانوا سماسرة .

ب 3 . **منهما معا** :

13 ـ 20 . **عبد السلام بن ابراهيم ، وحمان** (أو حماد) **بن حسون الخلطي ، والحاج الجيلالي بن محمد** (أو أحمد) **الرياحي** (أو حلحول) **المالكي**

---

21 . رسالة ماثيوز الى غريط فى 15 شعبان 15/1309 مارس 1892 ، محفظة المغرب أمريكا ، ورسالة أميني مرسى العرائش محمد بن عبد الهادي زنيبر وعبد الوهاب بن محمد بنيس الى الطريس فى 10 شعبان 10/1309 مارس 1892 ، محفظة الطريس 22 .

22 . جمعت هنا السماسرة بالعرائش والقصر والغرب ، لأن الوثائق الامريكية لا تميز عناوين السماسرة ، وتقتصر على عناوين التجار وحدهم ، وقد نقلت الى العرائش أسماء السماسرة 7 ـ 10 ـ 13 ـ 16 ، فلربما كانوا سماسرة أو خلطاء لابن عطار النائب القنصلي بالرباط حيث وردت أسماؤهم .

23 . الطليقي فى 51/69

(24) ، **وعبد القادر بن محمد الدرقاوي ، وعلي بن بوسلهام الخضاري الطليقي ، ومحمد المنصوري ، وبوسلهام بن الحاج العفاني ، والجيلالي بن يشو** (أوهيشو) **الغماري المالكي** : وكلهم لم يرد بيان عن تجارهم .

21 ـ **الطيب الشلح** (أو صلولج) **العرائشي** . وكان سنة 1887 سمسارا لالياس ابن الطويل (25) .

22 ـ **أحمد بن الحاج محمد ابن حمو الخمار العرائشي** : كان سنة 1886 سمسارا لمسعود بن قاسيس .

ب 4 . **من 22/69 (1888) :**

23 . **عبد القادر الكيري** ولعله الكثيري : لم يذكر اسم تاجره

24 . **سلام بن دامية ابن الرموش** كان سنة 1887 سمسارا لالياس ابن الطويل (26) .

بـ 5 . **من غير ذلك :**

25 ـ **الحاج بوسلهام بن الجيلالي الخنشوشي** : سمسار ليون روفيل (27) .

26 ـ **محمد بن عبد السلام السلاوي ولد قيسومة** : كان سمسارا لنفس التاجر حتى سنة 1891 حيث نزع من السمسرة له (28) وعين مكانه **الحاج الجيلالي الرياحي رقم 15 أعلاه .**

---

24 . عين هذا السمسار سنة 1891 لخدمة ليون روفيل ، بعد عزل محمد بن عبد السلام السلاوي (رقم 26 أدناه)

25 . رسالة ليويس الى الطريس فى 28 أكتوبر 1887 . محفظة المغرب أمريكا ، وقد نصت على اسمه قائمتا 22/69 و 4/69

26 . الرسالة الاخيرة ، وقد ورد أيضا ذكره فى قائمة 1/69

27 . رسالة ليويس الى الطريس فى 31 يناير 17/1888 جمادى الاولى 1305 ، وجواب الطريس عنها فى 21 جمادى الاولى 4/1305 يبراير 1888 ، محفظة المغرب امريكا ، وذكر أيضا هذا السمسار فى 4/69 .

28 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 19 دجنبر 17/1891 جمادى الاولى 1309 ، المحفظة نفسها .

المطلب الرابع : إنجلترا والنمسا وهولاندة والدانمارك

سأجمع فى المقاطع الموالية الشبكة القنصلية لهاته الدول ، لأنها كانت تحت وصاية بريطانيا العظمى وخاصة سنة 1880 .

أ ــ السلك القنصلي :

1 ــ **ألكسندر باروخ طوليدانو دونكان** A. B. T. DUNCAN عين سنة 1856 نائبا قنصليا حتى توفي بالكوليرا سنة 1868 بالعرائش ، وكان قبل ذلك من سنة 1845 الى 1856 مستخدما بالقنصلية العامة بطنجة (29) .

2 ــ والذى خلفه كان هو **يوسف عيموسي** (أو إيموسي) IMOSSI المسمى أيضا بيبي النجليزي ، وذلك من 1871 الى 1892 حين استقال من وظيفته ، وكانت له تقارير تجارية (30) . وكان سنة 1885 يمثل هولاندا (31).

3 ــ أسرة **فورد** التى ظلت تعيش بالمدينة حتى منتصف القرن العشرين بدأت تنوب عن المصالح الأنجليزية وغير الأنجليزية بالعرائش ، ولابد أن أوضح هنا أن جدا وأبا وحفيدا كانوا يسمون جميعا ليويس فورد : Lewis FORDE . أما الجد فكان مقيما بآسفي وسيرد الحديث عنه بهاته المدينة على حدة . وكان الابن والحفيد مقيمين بالعرائش ، الوثائق المخزنية تسمي الجد لويز فورط .

ومنذ 1883 بدأ لويس فورد الأب ينوب عن عيموسي وعن الدول التى كانت تحت رعاية إنجلترا .

---

29 . جان لوى مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 103 و ج 2 ص 385

30 . المصدر نفسه ج 1 ص 123 و ج 3 ص 304 (1)

31 . رسالة ايموسي فى 27 ربيع الاول 1302/14 يناير 1885 . محفظة المغرب بريطانيا

4 – وخلفه **لويس فورد** الحفيد فى النيابة عن إنجلترا وعن دول أخرى مثل هولاندا (32) وذلك سنة 1893 .

5 – وقبل ذلك (أي سنة 1888) كانت هولاندة قد أسندت الوكالة القنصلية عنها الى النائب الايطالي **أليساندرو وانينو** (33) .

ولم أقف على من كان يرعى المصالح النمساوية والدانماركية بالعرائش بعد سنة 1880 .

ب – المحميون القنصليون لهاته الـدول (34) :

بـ 1 – انجلترا : كان لها ثلاثة سنة 1880 وهم :

1 – **ميير مطيطة** : وكان ترجمانا للوكالة القنصلية

2 – **ومحمد بن أحمد** : وكان عونا بها

3 – **ومخلوف بن شطريت** : وكان مستخدما بها حتى مات مقتـولا سنة 1884 لأنه لما عاد متأخرا فى الليل أطلق الحراس عليه النار (35) .

ب 2 – **الدانمـارك** : وكان لها محمي واحد آنذاك سمي الترجمان

بـ 3 – النمســا :

لها أربعة من المحميين سنة 1880 ، ها هي أسماؤهم :

1 – **إسحاق مسلم** : ترجمان

2 – **ادريس العمارتي** : مخـزنـي

---

32 . رسالة ريدجوي الى الطريس فى 16 يوليوز 1893/2 محرم 1311 ، محفظة المغرب بريطـانيـا .

33 . رسالة الياس كاسيل فى 9 يوليوز 1888/29 شوال 1305 ، محفظة المغرب بلجيكا

34. المحميون القنصليون الواردة أسماؤهم أسفله جاءوا فى التقييد الثالث لابن زيدان فى كتابه «العز والصولة» ج 1 ص 314

35 . رسالة محمد ولد ابا محمد الشركي الى السلطان فى 20 جمادى الاولى 1301/21 مارس 1884 ، محفظة المغرب بريطانيا

3 — **عبد السلام اللبار** : متعلم

4 — **محمد العمارتي** : مثله

ب 4 — **هولاندة** كان لها اثنان سنة 1880 وهما :

1 — **محمد بن خليفة** : وكان مخزنيا

2 — **شامويل التدغي** : وكان ترجمانا ، وظل منذ ذلك التاريخ محميا حتى 1893 (36) بل وبعده فى لائحة 1896 العامة .

ت — **السماسرة** :

وردت أسماء هؤلاء فى وثائق متفرقة ومنها :

ت — 1 — من تقييد ابن زيدان وقائمة السماسرة للتجار الانجليزيين سنة 1879 :

1 — **شلومو حليوة** : سمسار يوسف فافا J. FAVVA وكلاهما من مدينة العرائش .

2 — 3 — **ابراهيم ولد الخروبية** (أو الخروبي أو الحربيلية) الدكالي **والحسن** (أو ابن الحسن) **الزاوية الدكالي** : وهما معا سمساران لدومينكو ماسكاريناس D. MASCARENHAS ، وكان الأول منهما لا يزال سنة 1889 سمسارا له .

4 — **شلومو أزولاي** من العرائش سمسار ليوسف العسري بطنجة

5 — **حاييم بن موسى بن زرقين** سمسار لشركة ليبي بجبل طارق

---

36 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 28 مايو 12/1893 قعدة 1310 ، محفظة المغرب عولاندة .

ت 2 - **من لائحة 1879 وحدها :**

6 - **سليمان الخراط** : سمسار ليوسف إيموسي النائب القنصلي

ت 3 - **من لائحـة 1889 :**

7 - **ابراهيم مور يوسف** سمسار يوسف العسري بطنجة

8 - **عبد الله ولد الحاج القرشي** سمسار لويس فورد بالعرائش

9 - **غفور بن بوعزة** سمسار لمسكاريناس

10 - **أحمد بن الطاهر الخلفي** سمسار ليوسف إيموسي

11 - **محمد بن غريب** (أو الغريب) سمسار ليعقـوب فريروس من سكان العرائش ، وقد استغنى عنه سنة 1892 .

ث - المستوطنـون

زيادة على التجار المذكورين مع سماسرتهم أعلاه وردت أسماء آخرين كانت لهم علاقة مع السكان أو مع المخزن وهم :

1 - **ر. كـوول** R. COWELL الذى كان يقطن بالجديدة حيث كان يمثل بلجيكا بها سنة 1857 (37) ولكنه - هو أو قريبه - كان يسكن بالعرائش فأصلح لـه الأمناء مخزنـا كان يكتريه منهم سنة 1874 مثله فى ذلك مثـل ماسكاريناس سالف الذكر والتاجر :

2 - **يوسف كونطي** : J. CONTI المتوفى سنة 1878 حسب لائحة السماسرة للسنة التى بعدها .

---

37 - جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 337 (1)

كما أصلح الأمناء مخزناً لليويس فورد (38) الذي اتهم سنة 1893 بالترامي على أرض حراثية للمخزن تسمى العدّاس (39) .

ولم أقف على سماسرة لكوول وكونطي .

3 — ومن المستوطنين **إيدموند كارلطن** E. Carleton الذى كان تاجر حماية أكثر مما كان بزازاً ، فربح منها أموالا طائلة . وقد انتقل الى السكنى بالقصر الكبير .

* * *

المطلب الخامس : اسبانيا

أ : **السلك القنصلي**

كانت لها نيابة قنصلية بالعرائش تقلدها :

1 — **لوثيو دي سابيدرا** Lucio de Saavedra قبل سنة 1863 (40)

2 — **إدواردو دي لا آما** E. de la AMA سنة 1863 (41)

3 — **تيودورو دي كويباس** T. de CUEVAS قبل سنة 1868 وكان مراقبا بالديوانة ونائباً قنصليا معا (42) .

4 — **فرانثيسكو لوثانو مونيوث** فى نونبر 1868 (43)

5 — **أ. دي طاطاني** de TATANI (44) حتى حوالي 1881

---

38 . تقييد فى صفر 1291 مارس ابريل 1874 . محفظة العرائش 1

39 . رسالة دوبيني الى الطريس فى 3 رمضان 21/1310 مارس 1893 ، محفظة الطريس 24

40 . رسالته فى 14 شتنبر 1863 ، محفظة الحماية القنصلية

41 . وثيقة فى 19 جمادى الثانية 1280/فاتح دجنبر 1863 . محفظة العرائش 3

42 . المصدر السابق ج 1 ص 96 ورسالة أميني المرسى عبد الكريم بن زاكور ومحمد بن سعيد الى الحاج محمد بنيس فى 9 حجة 22/1285 مارس 1869 ، محفظة العرائش 1

43 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 210 (5) ، وقد تقدم ذكره بطنجة ص 555

44 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 169 و ج 4 ص 207 (1)

6 — **إدواردو دي كويباس** (45) حوالي 1887

7 — **خوسي ميرابانت اي پاسكوال** (46) وهو من آخرهم وتقدمت الاشارة اليه بتطوان ، وكان الأولون من هؤلاء النواب أو بعضهم يجمعون الى النيابة القنصلية الرقابة على دخل المراسي بكيفية سافرة أحيانا لاقتطاع أموال الغرامة الحربية ، وقد تختلط صفاتهم الرسمية فى الوثائق فلا يظهر منصبهم الفعلي من خلال الرسائل المخزنية التى تدعوهم أحيانا «أمناء» .

ب — **المحميـــون :**

هؤلاء القناصل كان لهم محميون سنة 1863 وهم :

1 — 8 — **مخلوف مور يوسف الخنوسي ومخلوف الخراط وابراهيم بنعميل وسعيد بن مسعود وشماعية أزويل ودابيد بونطي وموسى كويهـن وإسحاق بونطي** ، وكلهم من يهـود العرائش ، وربما كان منهم مستخدمون بالقنصلية أو تجار فقط .

9 — 10 **محمد بن داود ، وابن حامد** ، وهذان ربما كانا عونين .

11 — **عبد السلام أبلوند** : وكان كاتبا بالوكالة القنصلية (47)

وقد استمر فى عمله سنوات حتى اتهمه القنصل دي كويباس سنة 1868 بسرقة داره وبالاستغناء غير المشروع (48) ولاشك أنه عزل من الحماية بعد ذلك .

---

45 . من موجب عدلي فى 29 جمادى الاولى 23/1304 يبراير 1887 ، محفظة الطريس 9

46 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 143

47 . رسالة دي سابيدرا فى 10 شتنبر 1863 المذكورة سابقا

48 . رسالة تيودورو دي كويباس الى بركاش فى 4 ماى 1868 ، محفظة بركاش

ت ـ المستوطنون والسماسرة

كان رقم الاسبانيين بالعرائش 90 شخصا سنة 1886 وبلغ عدد المحميين في تلك السنة 90 شخصا أيضا (49) .

لم أقف على اسم أي سمسار للمستوطنين بالمدينة ، والشخص الوحيد الذى كان له سماسرة ـ على ما أعلم ـ هو خابيير ساينس وارد الذكر ، فقد كان من الأغنياء وله خلطاء وسماسرة خارج المدينة ولا سيما بالجديدة وبقبيلة سفيان بأولاد طلحة سنة 1891 .

1 ـ خابيير ساينس Javier SAENZ

هذا التاجر كان من الميسورين وقدامى الاسبانيين بهاته المدينة حيث كان من الذين انتفعوا سنة 1874 من خزين أصلحه له الأمناء (50) . وكان لا يزال حتى سنة 1891 مقيما بالعرائش (51) ، وقد منعه الأمناء سنة 1883 من تصدير الزوان مخلوطا بالقمح بحجة التهريب والغش (52) .

وعنه تحدث عامل العرائش فقال لبركاش سنة 1879 إن «سوسيا من سكان العرائش قد توفي قبل' وترك دارا خربة بالقصبة ، وعند وفاته أقر بدين لنصراني صبنيولي اسمه خبير ، فعمد إذ ذاك خبير المذكور لتلك الدار وجعل يبنيها ولازال جادا في بنائها الآن ، وقد كلمه خليفة القاضي فيها وفي أمرها ، فأجابه بأنه يطلب في تلك الدار دراهمه التي أقر له بها السوسي المذكور ، ولما ضم عليه ناظر الأحباس في العرائش السيد العمراني العياشي

---

49 . ميج وهوج : «الاروبيون . . .» ص 10

50 . رسالة في صفر 1291/مارس أبريل 1874 ، محفظة العرائش 3

51 . رسالة الطريس الى فيكيرة في 20 شعبان 1308/9 ابريل 1891 . محفظة المغرب اسبانيا 3 .

52 . رسالة محمد راغون ومحمد بن عبد الكبير التازي الى الطريس في 6 ربيع الثاني 1306/10 دجنبر 1888 . محفظة الطريس 14

في شرائها منه امتنع ، وحين تحقق الخليفة المذكور من حيازته لها بغير موجب شرعي أطلقها للبيع وأمر الدلال بالاشاذة عليها في مظان الزيادة ، فلما أخبر خبير المذكور بما فعله الخليفة بالدار من التسويق ذهب لقنصوه وشكى له بذلك ، فأرسل صاحبه للخليفة بالعرائش بأن يقبض على الدلال ويؤدبه على إشاذته على الدار المذكورة ، فأرسل القائد للدلال وسأله عن قضية الدار ، فأجابه بأن الشرع أمر بتسويقها ، فقال لصاحب النصراني : لا مدخل لي في أمر الشرع ، فذهب صاحب القونص' لحال سبيله ، فلما أصبح صباح الغد ضعّف خبير الخدمة فيها وزاد في الصائر قائلا : إنه صير عليها ثلاثمائة ريال ، ومثل هاته القضية لا يجب السكوت عليها .....» (53) .

2 — **مانويل دي كويباس** : وهذا من قدماء الاسبانيين ، وكان مكتريا لخزين فطلب أن يبني له الأمناء دارا فوقه بحسب قاعدة 6 ٪ فوافق السلطان على ذلك سنة 1890 بحسب الشرط المعهود (54) .

3 — **إسبانيون آخرون** كانوا يعيشون بالمدينة منهم : **كيريرو** Guerrero **وكان مصدرا للقطاني سنة 1866 ولورانسو** Laurenzo وهو مثله في التجارة سنة 1867 **واخواكين** ... Joaquin وهو مثل السابق (55) ، **ولوبيث اي الدانا دي لوتكاندو** L. y. Aldana de Lutgando حوالي 1863 **وباليريو ماريث** V. MAREZ (56) ولم أقف لهم على خلطاء ولا على سماسرة ، ولا على تمام أنساب بعضهم ، ولم يرد أسم طورسو.. TORSO الذى كان سنة 1869 مصدرا للفرشي (57) .

53 . رسالة محمد ولد ابا محمد الشرقي الى بركاش في 5 قعدة 1296/21 اكتوبر 1879 ، محفظة بركاش .

54 . رسالة السلطان الى الطريس في 0 شعبان 1307/31 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18 .

55 . بيان الأمناء في 27 رجب 1283/5 دجنبر 1866 ، محفظة العرائش ؛

56 . وثيقة في 19 جمادى الثانية 1280/فاتح دجنبر 1863 ، نفس المحفظة

57 . رسالة ميري اي كلوم الى بركاش في 25 شتنبر 1869 ، نصها في «الوثائق» ج 4 ص 384 .

يضاف الى هؤلاء **خوسيف سانطـو** J. SANTO الذى كانت لـه مطحنة اكتراها حوالي 1886 أي «منذ 6 سنوات مع وجود طاحونتين للمسلمين هنا» (58) كما كان يملك سنة 1888 منشرة للخشب ويرسل عماله لالتقاط الحطب من الغابـة أو اقتلاعه . وفوق هذا كان له سنة 1881 خلطـاء بقبيلة بني مالك (59) .

ومثله في ذلك مثل **خوسي كاييكـو** J. Gallego الذى كان ترجمانا سنة 1891 فطلب من المخزن بناء دار له بحساب 6 في المائة (60) .

وآخر ما أقوله عن إسبانيا أنها وجهت سنة 1889 «طبيبا لمعالجـة رعاياها وضعفاء المسلمين من غير أجرة ولا ثمن دواء يلزم من ذكر» وطلب نائب تلك الدولة أن يبني المخزن للطبيب محلا بـ 6٪ فأذن السلطان بذلك (61)

* * *

المطلب السادس : إيطاليـــا

أ . السلـك القنصلـي :

أسرة **وانينـو** Guanino تولت النيابة عن ايطاليا قبل سنة 1866 وبعد ها (62) كما مثلت مصالح دول أخرى كالبرتغال والسويد والنرويج .

أول الوكلاء هو الأب أندرية Andréa حتى توفي سنة 1887 (63). وقد ولد أندريا بجنوة واستوطن العرائش سنة 1840 ومثل دولـة سردينيا

58 . رسالة محتسب العرائش الى السلطان في 3 ربيع الاول 25/1310 شتنبر 1892 ، محفظة العرائش 3

59 . رسالة دي كويباس الى محمد بن عبد السلام السربوت في 13 شوال 23/1305 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 13

60 . رسالة فيكيرة الى الطريس في 22 قعدة 29/1308 يونيو 1891 ، محفظة الطريس 20

61 . رسالة الطريس الى السلطان وجوابه عنها في فاتح شعبان 1306 و 7 رمضان/2 ابريل و 7 ماي 1889 ، محفظة الطريس 15 .

62 . رسالته الى بركاش في 27 محرم 10/1283 يونيو 1866 ، محفظة بركاش

63 . رسالة الياس كاسيل الى الطريس في 28 نونبر 1887 ، محفظة المغرب السويد

سنة 1843 وعين قنصلا لأنجلترا سنة 1850 ، وذريته ظلت مقيمة بالعرائش حتى منتصف القرن العشرين (64) ، وكان يصدر سنة 1866 جلود البقـر والزوان والحمص والصوف والخشب والغاسـول (65) ، وكان يملك بعض العقارات كما سيرد .

وبعد وفاته صار ابنه اليساندرو ينوب عنه (66) وكانت له معرفة بالعربية قراءة وكتابة (67) .

وهكذا كانت لايطاليا طائفة من المحميين القنصليين والسماسرة وردت أسماؤهم في اللوائح الايطالية سنة 1889 و 91 حتى 1894 وفي وثائق مختلفـة .

ب ـ المحميـــون

لم يرد إلا اسم محميين اثنين وهما :

1 ـ **إسحاق الخراط** وكان ترجمانا بالقنصلية ورد ذكره في القوائم المشار اليها سابقا .

2 ـ **وبو غالب ولـد الحاج عبد القادر** وكان «أندرية خليفة الطليان بالعرائش اشترى جنانا من بوغالب ولد الحاج عبد القادر العرائشي وأراد جعل عَزّيب فيه من غير إذن عامل البلد ولا كتابة العدول .... ثم أتاه بورقة يزعم حماية بوغالب البائع المذكور . . .» (68) وكان ذلك سنة 1879 .

ولم أقف على أسماء للسماسرة بالمدينة ولكن خارجها .

---

64 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 121 (3)

65 . بيان الامناء سنة 1865/1283 ، محفظة العرائش 1

66 . رسالـة أليساندرو الى الحاج بوسلهام السفياني في 16 رمضان 27/1305 ماي 1888 ، محفظة المغرب ايطاليا .

67 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس في فاتح ربيع الأول 5/1309 أكتوبر 1891 محفظة الطريس 21 .

68 . رسالة السلطان الى بركاش في 23 صفر 10/1296 يبراير 1879 ، نصها وارد في «الوثائق» ج 4 ص 442

المطلب السابع : البرتغـــال

أ ـ السلـك القنصلـي

كان أندريـا وانينو الايطالي يمثل دولـة البرتغـال ، وخلفـه بعد وفاته سنة 1887 ابنه أليساندرو (69) فى تدبير الوكالة القنصلية .

وهكذا كان لهاته الدولة محميون قنصليون .

ب ـ المحميـــون :

1 ـ **موشي فراشي** : كان ترجمانا للوكالة

2 ـ **يعقوب أمسلـم** : محمي منذ 1856

3 ـ **أحمد هـروش** : ترجمان بالمرسى وجميعهم ذكروا فى قائمة 1880 البرتغالية .

4 ـ **يوسف بوطبول** : كان سنة 1887 ترجمانا (70)

5 ـ **عمران الرواح** : تاجر ومحمي قبل 1892 وكان له سماسرة (71).

ت ـ السماسـرة والمستوطنـون :

ولم أقف على اسم أي سمسار لتاجر برتغالي بالعرائش ، لكن كان ثمة بعض التجار ، منهم :

1 ـ **رامون باطريشيـو** R. PATRICIO الذي كان يعيش بالمدينة سنة 1887 ومنع من الوسق فى مركبه (72) .

---

69 . رسالة أندرية الى القائد التهامي بن بوعزة فى 6 جمادى الاولى 1304/31 يناير 1887 . محفظة المغرب البرتغال

70 . نفس الرسالة

71 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 11 ماى 1892 ، نفس المحفظة

72 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 22 مارس 1887 ، نفس المحفظة

2 ـ **طوماس** . . . البرطقيزي وكان يصدر من المرسى حوالي 1867 (73) .

3 ـ **مارتينيس** . . . Martinez وكان سنة 1880 يتاجر بفلوكته بين المغرب واسبانيا (74) .

* * *

المطلب الثامن : بلجيكا

أ ـ السلك القنصلي :

مثل بلجيكا **ج كلارنبو** G. CLAREMBEAUX الذي حل بالمدينة قبل سنة 1865 ، فكان للدولة بعض المحميين جاءت أسماؤهم فى اللوائح السنوية .

ب ـ المحميون :

1 ـ **موشي بن خليفة الصائغ** كان ترجمانا قبل سنة 1879 وورد ذكره في لائحتي 1885 و 1889 ، كما كان تاجرا .

2 ـ 4 ـ **محمد المنصوري** عون عين سنة 1880 **ويامين كيلب** وقد عين مستخدما قبل 1879 **وطامو** وكانت خادمة منذ سنة 1880 ، وأتت أسماؤهم في لائحة 1886 البلجيكية .

5 ـ 6 ـ **ابراهيم كيلو وعبد السلام الكوش** مستخدمان فى قائمة 1889 البلجيكية .

ت ـ السماسرة والمستوطنون :

ج كلارنبو كان له سماسرة ، وقد استوطن هذا النائب القنصلي المدينة قديما ، وكان يصدر الصوف واللوز والثياب والسكر من العرائش ومن طنجة (75) . وكانت دائرة نشاطه موسعة فالتمس من المخزن أن يبني له

---

73 . تقييد فى أوائل 1284 بمحفظة العرائش 1

74 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 451 (2)

75 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 186 (6) ومستفاد طنجة فى جمادى الاولى 1286/6 غشت 1869 ، محفظة طنجة 1

مطحنة وفندقا ، فبنى له رحـى حسب قاعدة 6 ٪ وأكراه إياها سنة 1889 لمدة 16 سنة (76) .

وقد وقع على عقدة ذلك فى نفس السنة واختير مكانها خارج المدينة وبجـوار أجنتها الرملية (77) ، وضمنه فى الأداء التاجر الفرنسي سيريوس SERIEYZ بعد اطلاع أندريا وانينو على ذلك (78) .

وكان لـه بالغـرب ونواحيه خلطاء وسماسرة ستأتي أسماء بعضهم فى محلها .

* * *

المطلب التاسـع : فرنســا

أ ـ السلـك القنصلـي

1 ـ تولى تمثيل فرنسا **كامي ده لاروش** C. de Laroche منـذ أن استوطن المدينة سنة 1860 (79) .

2 ـ ولما مرض واستعفى خلفه ابنه **لـوي** (80)

3 ـ **والذى أسندت اليه الوكالة بعده كان هو ناجيار (81) NAGGIAR**

ب ـ المحميـون والسماسـرة

لئن كانت لفرنسا نيابة قنصلية ، فلم يرد فى المصادر أنه كان لها محميون ، وهو شيء مستغرب . لكن كان لتجارها سماسرة حفظت أسماءهم عدد من **الوثائق** .

---

76 . من موجب عدلي بتاريخ 9 شوال 8/1306 يونيو 1889 وضع بمحضر الأمينين الحاج ادريس برادة وبنعاشر المالقي ، محفظة الطريس 16

77 . رسالة الأمينين العربي بريشة وعبد المجيد بن علال التازي بتاريخ الموجب المشار اليه بنفس المحفظة ، ورسالة السلطان الى الطريس فى 20 جمادى الاولى 22/1306 يناير 1889 ، محفظة المغرب بلجيكا .

78 . موجب بتاريخ 9 شوال 8/1306 يونيو 1889 . محفظة الطريس 16

79 . مييج : «المغرب وأوربا» ج 2 ص 480

80 . رسالة باطنوطر الى الطريس فى 29 حجة 26/1306 غشت 1889 ، محفظة الطريس 10

81 . مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 147

ب - 1 - من القوائم السنوية الفرنسية العامة (1879 - 1885)

1 - 2 - **عزوز بن عزوز ، والحاج بنمنصور بن أحمد** : سمساران للتاجر المقيم بمرسيليا **ڤالانطان ڭرو** V. Gros الذى مثله بالمغرب منذ سنة 1863 **بلاندان** Blandin ثم **ده لاروش** (82) .

3 - 4 - **محمد بن أحمد** (ولم يرد نسبه) **والحاج بنمنصور بن علال المنصوري** وهما سمساران للتاجر **ليون** LION الابن القاطن بمرسيليا ، وقد ظل الأول منهما - هو واللذان قبله - سماسرة لصاحبيهما من سنة 1879 الى 1885 ، بينما كان الرابع سمسارا للتاجر ليون من سنة 1882 الى 1885 .

5 - **بوعـزة بن الشرقي** : (أو ابن وشكي حسبما حرفته بعض القوائم) كان سمسارا من 1880 الى 1883 لدار نيكولا پاكي التى كان يمثلها القنصل ده لاروش وابنه لوي مدة طويلة (83) .

6 - **علي بن سعيد الدكالي** : سمساره أيضا سنة 1882 على يـد ده لاروش .

7 - 8 **بوسلهام بن الجيلالي** سمساره أيضا ، حتى عوض **بالحاج علي بن المكي** من 1883 الى 1885 .

9 - **عمران بن يفلح** : سمسار فرتونة الدرعي من 1884 الى 1885 .

10 - **ابراهام مارسيانو** : سمسار إيشي سنة 1882 .

11 - 12 - **بوسلهام بن الفقيه النظام الخليفي ، ومحمد بن بوسلهام الهواري** : سمساران لمينار من 1879 الى 1885 .

---

82 . نفس المصدر ج 2 ص 514 (2)

83 . نفس الصفحة والمصدر أيضا ، وكذلك ج 5 ص 250 ، حيث ذكر المؤلف السماسرة أصحاب الأرقام 2 و 3 و 4 و 5 و 11 ، ثم رسالة باطنوطر المشار اليها فى الهامشة 80 أعلاه . وأخيرا رسالة دوبيني الى الطريس فى 4 مارس 15/1893 شعبان 1310 ، محفظة الطريس 4:3 .

ب ـ 2 ـ من غيـرهـا

13 ـ **الحاج محمد الحراق الطليقي الهواري** : كان سنة 1892 سمسارا له أيضا (84) .

14 ـ **الحاج محمد بن منصور الخليفي** : كان سنة 1894 سمسـارا للتاجر دولار (85) الذى هو ده لاروش حسبما يلوح .

15 ـ **محمد بن الحاج الزياني** : مثله سنة 1889 للقنصل ده لاروش (86)

ت ـ المستوطنـون

1 ـ **كامي ده لاروش** القنصل المذكور أعلاه كان لـه سماسرة قبل سنة 1881 عددهم ستة عملوا معه مدة 14 سنة (87) ولم أقف على أسمائهم ، وقد استوطن المدينة سنة 1860 وانتظر أكثر من سنة للحصول على مستقر هو وجاك الأطرش آتي الذكر (88) ، ولكنه كان مكتريا لأحد أملاك المخزن سنة 1871 (89) . ومع ذلك كان مماطلا فى أداء وجيبة الكراء لناظر الأحباس بالمدينة (90) وذلك سنة 1889 .

وتفيد تقاييد الأمناء أنه كان يصدر عددا من البضائع والمنتوجات المغربية مثل الصوف والحصر وسرغينة وجلود المعز ، ويستورد الكبريت على يد كاتبه إرفاتو (91) .

---

84 . رسالة سؤار الى الطريس فى 9 رجب 8/1309 يبراير 1892 . محفظة الطريس 22

85 . رسالة دوبيني الى الطريس فى 10 يبراير 4/1894 شعبان 1311 ، محفظة المغرب فرنسـا .

86 . رسالة باطنوطر المذكورة فى الهامشة 80 أعـلاه

87 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 552 (7)

88 . المصدر السابق ج 2 ص 180

89 . تلخيص الداخل على أمناء مرسى العرائش 1871/1287 ، محفظة العرائش 1

90 . رسالة الناظر الحاج أحمد بن علي الى الطريس فى 28 رمضان 28/1306 ماى 1889 ، محفظة الطريس 13 .

91 . محفظة العرائش : 1

2 – **جـاك الأطراس أو الأطرش** Alatras وهو من يهـود حلب بسوريا . وقد استوطن المدينة منذ سنة 1864 وأقدم على شركات مع المغاربة وتعامل مـع السلطات التي حجـزت عنه تأييدها فمـات سنة 1866 مفلسـا بالعرائش (92) .

3 – **فليب مينار** وكان سنة 1866 مصدرا للصوف الجزة (93) لأنه كان يهتم بها منذ 1853 ووسع نطاق تجارته انطلاقا من العرائش وجعل مركزين بالرباط والدار البيضاء .

4 – **جان ديزيري سيرييس** J. D. SERIEYZ صهر مينار وشريكه

5 – **ألكسندر سيرييس** وهو شقيق السابق وكان يعيش أيضا بنفس المدينة (94) .

6 – **جورج ده لاروش** وصل سنة 1892 الى المغرب (95) وقد يكون شقيق السابق .

7 – **لـوي ده لاروش**

وكان له سنة 1890 سماسرة بالغرب ، كما كانت له معاملات مع بعض الرسميين، إذ كانت له سنة 1890 ديون على أبي بكر الحباسي قائد بني مالك وعلى محمد أزطوط العرائشي (96) الذى ربما كان أميناً .

وأيا كان الأمر ، فقد كان عدد الجالية الفرنسية بالعرائش يبلغ 10 أشخاص فى أواخر القرن الماضي ، وكان ده لاروش أكبر تاجر فرنسي بالمدينة وقد حاول أن يكون رجل صناعة (97) .

---

92 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 512 (7)

93 . محفظة العرائش 1

94 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 513 (1 و 3)

95 . أ. بروشيي : «السجل الذهبي . . .» ص 97

96 . رسالة ازطوطر الى الطريس فى 4 شوال 1307/24 ماى 1890 ، محفظة المغرب فرنسا

97 . أجين أوبـان : «مغرب اليوم» ص 90

4 : القصر الكبير وايالات الغرب

المطلب الأول : الـولاة والسكـان

أجمع هنا كل ما يتعلق بولاة هاته المدينة وأحوازها القريبة .

أ ـ ولاة القصر الكبير

غالبا ما كانت إيالة المدينة منضمة بالأصالة أو بالنيابة الى عمالـة العرائش حسبما سلف فى الفصل الماضي . ومن العمـال الذين وقفت على أسمائهم :

1 ـ **مَحمد ولد أبَّا محمد الشرقي** الذى أسندت اليه ادارة الشؤون المحلية بالقصر والعرائش منذ العهد الرحماني حتى توفي سنة 1884 .

2 ـ **المكي بن محمد التلاواني الحسني** عين عاملا وكان سنة 1886 هو الذى يباشر هاته الوظيفة . ولكن :

3 ـ **أحمد بن التهامي التلاواني الحسني** أصبح بعد ذلك قائدا على القصر والعرائش .

4 ـ وحوالي سنة 1894 كان **الطاهر الزفري** هو عامل المدينة (1)

---

1 . رسالة فى 24 قعدة 26/1311 ماى 1894 ، محفظة الحسن الأول : 2

ومن خلفاء العمال كان **العربي بن بوسلهام الكرطي** سنة 1885 مساعدا للمكي التالوتي (2) بينما كان **أحمد بن الطيب ابن الجائزة** سنة 1888 هو الذي تولى النيابة (3) عن أحمد بن التهامي .

* * *

ب — ولاة قبائل الغـــرب

ليس في الوسع إحصاء جميع العمال من أرباض مدينة القصر حتى شرقي أزغار (مدينة سيدي قاسم بوعسرية الحالية) والى شمال قنيطرة علي وعدّي (مدينة القنيطرة الحالية) ، فقد كانوا من الكثرة وكانت الايالات من التشتت ، والقبائل من التوزع بحيث لا طاقة لذلك ، لا سيما وأن الوثائق المتعلقة بالموضوع لا تزال مبعثرة لم تلق دراسة ولا تمحيصا .

وحسبنا هنا ما ورد في بعض المصادر المغربية والأجنبية غميسها ومطبوعها ، وسيكون عبارة عن نبذ عن ثلاث قبائل مشهورة هي سفيان وبنو مالك وبنو حسن ، دون التعرض لولاة قبائـل المناصرة وطليق والخلـط والحضاضرة الذين لم يتيسر الوقوف على شيء عنهم ، فلربما كانت إيالاتهم مندمجة في إيالات القبائل الكبرى بالغرب .

ب 1 — ولاة سفيـــان

سفيان قبيلة عربية يقع بترابها مركز أحد كورت الحالي ، وكان عليها من القــواد :

1 — **عبد السلام بن عبد الكريم ابن عنودة السفياني الحارثي** ، ولي قبل نونبر 1843 على الغرب (4) ومكث في الولاية 11 سنة حتى قـام عليه

2 . من موجب عدلي في 22 ربيع الثاني 1303/28 يناير 1886 . محفظة الطريس 7

3 . رسالة في 27 قعدة 1305/5 غشت 1888 . محفظة الطريس 13

4 . رسالة السلطان الى بوسلهام بن علي في 12 محرم 1261/21 يناير 1845 . محفظة بوسلهام 4 ، ومحمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 417 حيث رسالة الى محمد أشعاش في 13 شوال 1259/6 نونبر 1843

اخوانه وهجموا عليه فلم يقدر على قتالهم ولجأ الى جبل صرصر بأولاده فعزل عنهم (5) .

وكان عبد السلام منذ بداية أمره على خلاف مع جواره من الولاة ومع محكوميه ، فكتب بوسلهام بن علي سنة 1846 الى سيدي محمد بن عبد الرحمان رسالة فى شأن الاختصاص الترابي أجابه عنها الأمير فى «شأن الطالب عبد السلام بن عبد الكريم وما يرتكبه من خرق القوانين بالتعرض على ناس من إيالتك ، والتصرف على أولاد جلول الذين فى الغرب بالذعيرة والولاية والعزل. فقد كلمناه فى ذلك فحلف أيْمانا مُحرْجة أنه لم يفعل شيئا من ذلك ، وانما يقبض على من حصل بيده من السراق من أي قبيلة كان ، لأنه مأمور بذلك .

«وقد سمعنا منه ومن خليفتك بوسلهام وعرفنا ما يدعي به كلٌ منهما ، والأمر فى ذلك سهل ، لأن الحق أبلج ، والباطل لَجْلَج ، فما وقع الاقرار فيه من الجانبين يُفاصَل ، وما وقع فيه الانكار يَخْتار عشرة — من أعيان الجانب المُنْكِر لما ادعى به عليه — من أهــل الدين الذين لا يتعمدون الحلف على الباطل ويحلفون .

«وها نحن وجهنا صاحبَنا بِهُ للوقوف على ذلك والتردد بينك وبين الطالب عبد الســلام المذكــور حتى تــرد المظالم وتــؤدى الحقــوق مــن الجانبين ....» (6) .

ولي عبد السلام لا على سفيان فقط ولكن على طرف من بني مالك أيضا ، ومن ذلك أنه حدث سنة 1845 خلاف على من يتولى على فخدة سيَّار وفخدة أولاد بوعكّل ، وهل هما من إيالة عبد السلام أم من عمالة أبي سلهام بن علي ، وقد أرسل الأخير كتابا الى السلطان يعلمه بخبر هذا التنازع أجابه عنه أنه بعد ما وجــه الحاج العربي (7) صحبة «كتابه رسماً بأنهم من جملة

---

5 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 228

6 . رسالة الأمير سيدي محمد بن عبد الرحمان الى بوسلهام بن علي فى 25 شوال 16/1262 أكتوبر 1846 ، محفظة بوسلهام بن علي 5

7 . نظن أن المقصود هو الحاج العربي الوزاني

الأخلاط ، وجه القائد عبد السلام الظهائر التى بأيديهم أنهم من جملة بني مالك ، واحتج بأنهم لو كانوا من الخلط لرجعوا على يد كاتبنا محمد بن ادريس حين كنا وجهناه على عهد ولاية كاتبنا الطالب عبد السلام السلوي ليرد خرّاج الأخلاط من عند سفيان وبني مالك ، وكانت الفرقتان حينئذ في ولاية عاملهما ولم يرجعا من جملة من رجع ، ولم يطالب كاتبنا السلوي المذكور بوجوعهما وعلى تقدير كونهما من الأخلط ، ولينا عليهما عامل الغرب لكونهما في وسط إيالته ، لما كان في ذلك كبير فائدة يحتاج معهما الى تكرار المراجعة وكثرة الكلام ، إذ هما فرقتان ضعيفتان ، فأحرى وبيده شُبْهَة مَن تقدمه مع الظهائر . . .» (8)

وهكذا وبعد بضعة أشهر حل السلطان تنازع الاختصاص ، فقال للعامل أبي سلهام : «حسمنا مادة النزاع على الفرقتين المتنازع فيهما السيايرة والعواكلة ، أما السيايرة فقد رددناهما للأخلط حيث كان يتصرف عليهم كثيرا ، وأما العواكلة فقد أبقيناهم في ولاية الغرب لأنهم لم يخرجوا عن تصرف عماله. فسلّمْهُم لخالنا عبد السلام وقَنّعْ الخلطَ عن طلبهم ، كما أمرنا خالنا المذكور برفع اليد عن السيايرة وتسليمهم لولايتك» (9) .

وطالت ولاية عبد السلام حتى 1856 لما أخرجه إخوانه من داره وفر ناجياً بنفسه حسبما مر بنا آنفا . وقد توفي عبد السلام بعد ذلك في حرب تطوان (10) .

2 ـ ابنه **عبد الكريم** ولي إثره مباشرة أو بعد مدة قليلة ، وعلى كل حال قبل سنة 1862 حين قتله أصحاب الروكي : الجيلالي السفياني واقتحموا داره وقتلوا من كان معه (11) .

---

8 . رسالة مولاي عبد الرحمن الى بوسلهام في 9 جمادى الاخيرة 1261/15 يونيو 1845 ، محفظة بوسلهام 4 .

9 . رسالة السلطان الى بوسلهام في 4 شعبان/8 غشت ، المحفظة نفسها

10 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 100

11 . المصدر السابق ص 108 ، والجيلالي هذا هو غير الجيلالي الزرهوني المعروف بأبي حمارة .

3 — ويبدو أن ابنه الثاني **محمد بن عبد السلام ابن عودة** هو الذى خلفه مباشرة ، وكان قائدا قبل صعود الحسن الأول الى العرش (12) حتى ألقي عليه القبض فى بداية 1880 فمات فى السنة التى بعدها ، وكان تترك وحيز ما له بالقصر من الفنادق والحوانيت بعد ما وقع له ما وقع مع عبد السلام الشاوش (13) . وكانت قرية ابن عودة الموجودة الآن بتراب قبيلة بني مالك قرب سوق الأربعاء تنسب الى أسرة هذا القائد المعزول الذى يظهر مما تقدم أنه كان من المثرين ، وسيأتي كلام عنه أيضا فى قضية محمد بن عبد الله المصمودي شريك منصور ملحمة الترجمان بالمفوضية الألمانية بطنجة .

4 — ولما نكب ابن عودة عين السلطان عاملا مؤقتا هو على ما يبدو من خارج القبيلة واسمه **عبد الله بن علي الزيراوي** الذى كان سنة 1881 قائدا ولفترة ما (14) .

5 — وبعده عين السلطان الحاج **بوسلهام بن المصطفى الرموش** على القبيلة وهو ابن عم القائد ابن عودة (15) وبقي واليا الى أن عزل سنة 1893 .

ويحكي الطريس في جوابه للسلطان أن «جل أبناء عم بوسلهام السفياني وقرابته ، الذين كانت أيديهم تجول فى القبيلة أيام ولايته بالحيف والظلم لما وقع القبض عليه ، صاروا يتوجهون لطنجة بقصد الدخول فى الحماية والمخالطة مع تجار الأجناس ليتستروا بذلك الخ . وأمرنا مولانا بأن نعلم النواب هنا بأن المخزن لا يقبل حمايتهم ولا مخالطتهم حيث هم متبوعون بما ذكر» (16) .

---

12 . بيعة أهل القصر والغرب للحسن الاول فى «الوثائق» ج 3 ص 166

13 . رسالة محمد ولد ابا محمد الشرقي الى بركاش فى 27 ربيع الثاني 1298/29 مارس 1881 ، محفظة المغرب فرنسا .

14 . رسالة أحمد المسعودي ومحمد الكباص وأبي بكر الحباسي وعبد الله بن علي الزيراري (أو الزيراوي) الى بركاش فى 29 صفر 1298/متم يناير 1881 ، محفظة بركاش .

15 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 197

16 . جواب الطريس للسلطان فى متم قعدة 1310/15 يونيو 1893 ، محفظة الطريس 11 .

6 ـ وبعد تنحية بوسلهام ولي على القبيلة القائد **محمد بن بوبكر الحباسي** ، لكن «أهل الغرب تمردوا وعصوا وخصوصا بعد عزل السفياني وتولية الحباسي عليهم الذى لم يقدر على ردع العصاة » ، فولي اثنان من القبيلة فلم يفلحوا فصارت طرق الغرب مقطوعة وكثر النهاب والسرقة والتراخي عن الخدمة العسكرية والفرار من الجيش» ، وقد أمر السلطان نائبه باعلام ممثلي الدول بوجوب حيازة التجار أموالهم منهم وعدم مخالطتهم (17) .

7 ـ وآخر ولاة سفيان فى نهاية القرن الماضي وبداية الحالي كان هو **محمد بن عبد الله الفضلي** (18) .

* * *

ب 2 ـ ولاة بنـي مالـك

كانوا فى مبدإ أمرهم وخصوصا في منتصف القرن التاسع عشر من الحبابسة الذين هم مهاجرون جزائريون من إيغيليزان ناحية مستغانم (19) ، وبتراب القبيلة يقع مركز سوق أربعاء الغرب المعروف قديما بسوق أربعاء سيدي عيسى ابن الأحسن ، وقد تولى عليها بعض قـواد سفيان مثلما ولي هؤلاء كذلك على قبيلة بني مالك فى عهود استثنائية ، فمن العمال :

1 ـ **محمد بن الحاج الحباسي** كان منذ سنة 1845 عاملا على الغرب وبالتالي على بني مالك (20) . وفى هاته السنة وقعت له حادثة غريبة سجن من أجلها مدة ، ولكنه سرح وعفا عنه السلطان بحيث نجده عاملا سنة 1851 .

وصورتها أن بوسلهام بن علي كتب الى مولاي عبد الرحمان رسالة يخبره بمال استخرج من دار الحباسي من تحت حفرتين أجابه عنها العاهل

---

17 . رسالة السلطان الى الطريس فى 19 محرم 1311/2 غشت 1893 ، محفظة الطريس 25

18 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 99

19 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 99

20 . عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 93

بقوله : «علمنا ما ذكرتَ في شأن الحباسي وداره والمال المستخرج منهـا والمدعى به ، ووصل الرسم الذى وجهتَ بشهادة الواقفين . فاعلم أننا أمرنا بسؤال الطالب عبد السلام (21) عن ذلك ، فذكر أن الحفرتين ــ اللتين عاينهما من وجهتَ مكان نخلتين كانتا هناك ــ أُقلعتا للحطب لا غير ، والدار ليست عليها عمارة بحيث كان المال عنده بها ، فلو عجل استخراجه ودفعه أو نبه عليه ليجعل الحرس عليها ، فليقم على ساق الجد فى أداء ما عليه إن أراد الخير لنفسه » (22) .

وبعد شهرين صدر الأمر السلطاني الى بوسلهام بأن يوجه «لحضرتنا العالية بالله محمد بن الحاج الحباسي فى كبله ليُبعَد عن القيل والقال ولا ينسب اليه ما لم يَقُل ، وأخواه يبقيان هناك لأداء ما وظفنا عليه وجمعه ، وأنت على ضمانك ، وحين يؤدي ذلك يسرح ويسكن بعياله هنا ان شاء الله ، ووجه صحبته ما يكفي من الخيل لحفظه من أهل العرائش والأوداية» (23) .

ولم تكد تمر إلا بضعة أيام حتى «ورد على حضرتنا الشريفة الحباسي فى كبله صحبة الخيل التى وجهت معه ، ولن يكون له إن شاء الله الا الخير ان أدى ما عليه وأنصف من نفســه» (24) ، وبعد ذلك أمــر السلطــان نائبــه بتوجيه «عيال الحباسي واصلين لمكناسة» وبأن يرسل «معهم أخــاه وذوي محرمهم» وبأن يحتاط «عليهم حتى يأتوا فى حفظ وصيانة ، من غير كشف ستر ولا إهانة» (25) .

---

21 . لعل المقصود هو عبد السلام بن عبد الكريم ابن عودة عامل قبيلة سفيان

22 . رسالة السلطان الى بوسلهام فى ربيع الثاني 1261/24 أبريل 1815 . محفظة بوسلهـام 4

23 . رسالة السلطان الى بوسلهـام فى 16 جمادى الثانية 1261/22 يونيـو 1845 . بالمحفظة نفسها .

24 . رسالة السلطان الى بوسلهام فى 28 جمادى الثانية/4 يوليوز . المحفظة نفسها

25 . رسالة السلطان الى بوسلهام فى 7 شعبان/11 غشت المحفظة نفسها أيضا

والظاهر مما تقدم أن المال المستخرج كان اما ثروة للعامل جمعها بحكم طول منصبه الاداري ، وإنما أنه كنز عثر عليه بينما هو من حق بيت المال . غير أن القضية حلت فأدى ما عليه وأُعيد الى منصبه الأول ، مما يدل على عدم شرعية المال المكتسب أو على ظلم الولاة وعسفهم .

2 — وفي سنة 1860 كان **أبوبكر بن محمد الحباسي** عاملا على القبيلة ، واستمر في ولايته زمنا طويلا ، حتى اتُّهِم هو الآخر في اواخر العهد الحسني — بعد أن «استطاع أن يجمع تحت سلطته كل القبيلة — باكتساب ثروة لم تكن عنده فسجنه المخزن ، وكانت نكبته واضحة : فبين عشية وضحاها قسمت القبيلة الى خمس إيالات لم يبق منها اليوم (26) الا ثلاثة ، وكان لفخدة أولاد عيسى قائدها الخاص ، أما الباقي فجزىء الى قسمين . . . » ، وكان عامل القبيلة هو «العربي بن المسيَّح الحباسي أحد أقارب العامل المعزول ، وكان يقطن بقرية الحباسي ويسكن حول القرية جميع أعضاء فرقته» (27) .

ولعله — لما عُزل — سُجن أو نفي الى المغرب الشرقي حتى «اشتكى بتمريضه وبقائه فارغ الأشغال» أثناء فتنة أبي حمارة (28) .

3 — وكان **محمد بن أبي بكر الحباسي** خليفة لأبيه على ما يظهر وما لبث أن صار حوالي 1891 عاملا (29) على القبيلة أو على جزء من عشائرها واستمر في الولاية الى ما بعد 1903 على الأقل (30) .

4 — ومن القواد أيضا **العربي بن المسيح المذكور** آنفا ، ولعله انما كان واليا على فخدة أو عشيرة بعد توزيع إيالة ابي بكر الحباسي .

26 . أي سنة 1903

27 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 98 — 99

28 . رسالة أحمد الركينة الى الطريس في 8 رمضان 1321/28 نونبر 1903 ، وثائق الترتيب العام 1321

29 . رسالة محمد الحباسي الى الطريس في 19 محرم 1309/25 غشت 1891 ، محفظة الطريس 21

30 . رسالة محمد الحباسي الى الطريس في 4 رمضان 1321/24 نونبر 1903 ، وثائق الترتيب العام سنة 1321

ومن أقدم قواد بني مالك وسفيان : الحاج محمد بن الفاسي وعلي بن عيسى ومحمد المعتوكي وقاسم بن الخضر . وكانوا جميعا في اواخر العهد السليماني (31) .

* * *

ب 3 – **ولاة بني حسن**

تعاقب على تصريف شؤون هاته القبيلة عدد كبير من القواد خلال عهود مختلفة فتضخمت الايالات تضخما يستحيل معه الوقوف على أسمائهم وتحديد مناطق نفوذهم على وجه الدقة ، وكان من الولاة في العهد السليماني محمد بن العامري اليحياوي (32) ، أما بعد ذلك فولي آخرون ، منهم :

1 – **الغازي ابن العامري** الذي كان سنة 1863 أحد عمال هاته القبيلة (33) أو شطر منها .

2 – وفي سنة 1882 كان على بني حسن قواد أربعة هم : **الهاشمي البورحماوي والحسن بن غانم التزوطي ومحمد بن العياشي العمري ومحمد بن الحسن اليعيشي** الذي خلفه ابنه التهامي ، ولا يستبعد أن يكون ضمنهم قواد قبيلة عامر .

ومن جملة العمال أيضا ابن القرشي والصفاعي وغيرهما .

3 – ومن أشهر العمال سنة 1888 كان **احميدة بن المكي المختاري** (34)

4 – وفي سنة 1894 نجد أن أكبر قائد بهاته القبيلة كان هو **محمد الكداري** (35) الذي اشتهر بثروته وسلطته .

---

31 . محمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 1 ص 236

32 . المرجع السابق

33 . رسالة في 27 ربيع الثاني 1280/11 أكتوبر 1863 . محفظة بركاش

34 . رسالة السلطان الى الطريس في 1 ربيع الاول 8/1306 نونبر 1888 . محفظة الطريس 14

35 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 12 يناير 1894 . محفظة المغرب ايطاليا

قبيلة بني حسن واقعة بمنطقة غنية ، وكانت سنة 1903 تتوزع الى 12 فخدة أو عودا ، يشرف على 6 عشائر منها القائد الكداري ، بينما كان 16 عاملا يشرفون على الست الباقية .

وهكذا عين على اثنتين من الفخدات المعروفة بشعبيها أربعة قواد لكل واحدة منها ، وكان لفخدة أخرى ثلاثة عمال ، أما الفخدات الثلاث الباقية فكان لكل واحدة عامل أو عاملان ، وبهذا كان لبني حسن سنة 1903 أكبر عدد من السلطات الادارية بلغت 17 قائدا (36) :

5 ـ على أن بعض عمال سلا كانوا يتولون على عشيرة من بني حسن في وقت من الأوقات . (37)

• • •

ت ـ السكان

على الرغم من أن هاته المدينة كانت مجاورة لمنطقة اقتصادية وبشرية هامة لم أقف على عدد سكانها ولا على تعداد أهل أحوازها خلال القرن التاسع عشر .

غير أن سكان المدينة كانوا يقدرون في أواخر القرن الماضي بنحو عشرة آلاف ، منهم ألفان من اليهود .

ومن السكان المسلمين أُذَكِّر بوجود طوائف مهمة من الجزائريين وعلى رأسهم عبد السلام الشاوش وابنه أحمد ومحمد عدة ، فقد كانوا من كبار الملاكين العقاريين في نهاية القرن ، وكان الجزائريون من الكثرة بحيث بنوا مسجدا حمل اسم جامع الكزيريين (38) .

وكاد السلك القنصلي يكون شبه منعدم . وقليل من التجار الأجانب من كان يقطن بالمدينة ، لأن القصر لم يكن ثغرا ولا هو مرسى وإنما كان محتشدا لانتاج الغرب الذى كان يصدر بعضه الى الخارج من مرسى العرائش .

36 . أوجين اوبان : «مغرب اليوم» ص 102

37 . المصدر السابق

38 . المصدر نفسه ص 88

ومن الدول التي كان لها وجـود ضعيف في هاته الفترة : ألمانيـا والولايات المتحدة وهولاندة والنمسا واسبانيا وايطاليا وانجلترا والبرتغال وبلجيكا وفرنسا ، ولم يكن عدد السماسرة والمحميين يتجاوز 80 شخصاً ، زيادة على الخلطاء الذين بلغوا أعدادا كثيرة بقبائل الغرب ولا سيما بني مالك التي كان بها سنة 1881 وحدها ازيد من 41 خليطا (39) فضلا عما وقع بعد ذلك.

ويوضح الجدولان الآتيان أعداد المحميين والسماسرة :

ت 1 **المحميـــون :**

الـــدول	اليهــود	المسلمون	الجميع
الولايات المتحدة	4	1	5
النمســا	1	–	1
فرنســا	–	2	2
البرتغــال	2	–	2
الجميــع	7	3	10

39 . من «تقييد المخالطين للقوانص وتجار الأجناس من قبيلة بني مالك» . محفظة الحماية القنصلية ، وهو عار من التاريخ ، لكن خطه شبيه برسالة أبي بكر الحباسي الى بركاش في 29 جمادى الأولى 1298/29 أبريل 1881

ت 2 ـ **السماسـرة :**

الـدول	اليهـود	المسلمون	الجميع
ألمانيـا	1	2	3
الولايات المتحدة	1	1	2
النمسـا	1	2	3
هولانـدا	–	2	2
انجلتـرا	3	21	24
اسبانيـا		1	1
ايطاليـا	3	8	11
فرنسـا	3	10	13
البرتغـال	–	3	3
بلجيكـا	–	8	8
الجميـع	12	58	70

المطلب الثاني : المانيـا

لم يكن لها تمثيل قنصلي بالقصر وانما كان لها خليط شبه محمي وسمساران أحدهما : **إسحاق كوهن** سمسار روبينو ROBINO وأولاده المقيمين بهامبورغ . وقد جاء ذكره في لائحتي 1881 و 1882 ، والثاني هو **محمد الشباني** وهو من قبيلة بني حسن ذكر محمياً سنة 1882 وجاء اسمه في قائمتي سنة 1884 و 1885 سمسـاراً لهسنير ويواخيمسون القاطنين بطنجـة ، وكانت

السلطات المحلية تعيب عليه تنطعه . فأخرج من الحماية سنة 1886 هو وأخوه لخيانة الثقة (40) .

أما الخليط فهو محمد بن عبد الله أو مالك المصمودي الذى كان شريكا للترجمان منصور ملحمة ، وكان اعتقاله سنة 1881 سببا فى تكدير العلاقات بين المخزن والسفير ڤيبير ، وسنعرف السبب فى سجنه من خلال الوثائق المخزنية التى ساقت لنا طرفاً من التفاصيل عن نازلته .

قضيــة المصمــودي

ذكرت رسالة سلطانية الى برگاش جوابا عن كتاب النائب : «وما ذكرتَه فى شأن باشدور البروس من أنه كان من جملة من كان واقفا معكم فى الوفق المذكور (41) حتى وقعت له بسبب ذلك المشاحنة والمقاطعة مع بعض النواب. غير أنك رأيته الآن تبدل حاله بسبب وقعة ولــد عبد الله أ'مالك المصمودي شريك ترجمانه ، وتبدله مضر بذلك وبغيره ، وصار منا على بال .

«فاعلم أن ذلك الرجل شاع فساده ولا يخفى على أحد ، واسئل عنه سماسرتهم والحاج عبد السلام ولد الحاج العربي الوزاني هناك ، ومع هذا فانما أطفأنا به نار الفتنة ، وعما قريب بحول الله يَتدارك أمره ويَجبر كسره . فطيِّبْ له نفسه حتى يرجع لما كان ، فانك عاقل تعرف ما تأتي وما تذر فى ذلك . وقد كَتب لنا فى ذلك وأُجيب بما تصلك نسخة منه طيه .

والسلام فى 9 رجب 1298» (42) .

النسخة المطوية تحتوي على جملة من الفوائد التاريخية ، وهي موجهة من المخزن الى السفير تيودور ڤيبير جوابا عن رسالته التى سبق له أن بعثها

---

40 . رسالة حمو بن الجيلالي الى بركاش فى 12 صفر 1300/23 دجنبر 1882 ورسالة تيستا الى الطريس فى 31 مايو 1886/27 شعبان 1303 ، محفظة المغرب ألمانيا

41 . أي معاهــدة مدريــد

42 . الموافق 7 يونيو 1881 ، من وثائق الخزانة العامــة بالربــاط

الى السلطـان ، وها هي مقتطفات جـد وافية منها أقدمها مثالا للرسائـل الديبلوماسية المخزنية :

«وبعد، وصل كتابك الذى وجهته للحضرة الشريفة وتصفحه سيدنا — نصره الله — وعلم ما ذكرته فيه من بذلك المجهود فى السعي فى الخير لايالته السعيدة والوقوف فى ترتيب قانون الوظائف وغير ذلك ، راجيا انقطاع ما عليه بعض العمال من التعدي المؤدي لتكدير الخواطر الذى من جملته ما وقع لولد عبد الله بن مالك المصمودي شريك ترجمانك من القبض عليه وعلى ولديه وحيازة أمتعته بالسبب الذى بَيَّنَه لك النائب السيد مَحمد بركاش مع أنه لم يثبت عندك وإنمـا ثبت عندك كون العامل هـو الذى تسبب فى ذلك لا المذكور ، وأن الحضرة المولوية لم تبلغها حقيقة القضية .

«وظهـر لك أن تعيّن الحضرة الشريفة رجلين أمينين وتعيّن أنت رجلين كذلك ويتوجهوا جميعا فى رفقة واحدة للقبيلة وجوارها ويبحثوا عن سيرة الرجل المذكور ، وما رُمي به ، وان ثبت عليه التعصب بالفساد والسعي فى الفتنة لا تقبل ذلك منه . وإن لم يثبت ، تعاقب الحضرة الشريفة الأناس العشرة الذين وجههم العامل للشكاية وتحكم بمقتضى نظرها على العامـل الموجه لهم .

«وأنك قدمت الاعـلام للحضرة المولوية بهاذه القضية قبل إعلامك سلطانك المعظم بها ، لتحققك بأن كل قضية رفعت للحضرة الشريفة يقع الانصاف فيها .

«وصار جميع ما ذكرته فيه بباله الشريف .

«وأمرَنا — أيده الله — أن نجيبك أيها المحب الناصح عما ذكرته — من بذلك المجهود فى السعي فى الخير لايالته السعيدة — بأنه أعزه الله يعرف ذلك ويعترف به ، وأنه على يقين من أنك من الوسائط العقلاء . . . ويستحسن سيرتك ومصارفتك ويدعوا لك ويجازيك بالخير .

«وعما ذكرته من تعدي العمال على الرعية ، فانه — أيده الله — غير غافل عن حثهم على الرفق بالرعية وعدم الحيف عليها ومقابلتها بالعدل والسلوك بها مسلك الحق ، كما أنه — أعزه الله — غير مقصر فى البحث عن أحوالهم وسيرتهم معها ، ولا يقر — دام علاه — أحدا منهم على ظلمه لها ....

«وعما وقع للمذكور فان حقيقة أمره واضحة وضوح الشمس يعرفها الخاص والعام من القبائل المجاورين لقبيلته ومن حاشية الجناب الشريف ، وأمرنا — أعزه الله — بشرحها لك .

«وهي أن هذا الرجل لا ولاية له على قبيلته بشياخة ولا بغيرها ، وإنما كان منحاشا للبقالي (43) ومتعصبا به ، وصار يترامى على الناس يعزل من شاء من الأشياخ ، ويولي من شاء ، ويقبض ما شاء ، وجالت يده فى أموال الناس وأمتعتهم بسبب ركونه للمذكور ، حتى صار عامل القبيلة يساعده اتقاءً لشره .

«ومن جملة ذلك مساعدته له على قبض الذعيرة من قبيلة مصمودة على يده ، فقبض من كل شيخ ما شاء الى أن حصل من القبيلة خمسين ألف ريال توصل ابن عُودة منها بعشرين ألفا . والباقي استبد به هو ، واشترى ديارا بالقصر ونصف فندق من أولاد الطود بست وأربعين مائة ريال وحوانيت وبلادات وديارا بوزان ، وبنى دارا بالقبيلة مثل دور كبراء العمال .

«وحيث توفي البقالي تعلق بترجمانكم بقصد أن يتمادى على حاله ، ولما عزل ابن عودة وولي القائد بوسلهام صار يغري قبيلة مصمودة على عدم الانقياد اليه وعلى الخروج عنه ، وتوجيه جماعة منهم للحضرة الشريفة لتدخل الحرم وتطلب عدم ولايته ، فساعده على ذلك من كان يخوض فى القبيلة أيام ولاية ابن عودة ووردوا للحضرة المولوية واحترموا وطلبوا ذلك ، وحيث لم

43 . قد يكون هو عبد السلام بن علي البقالي الذى هو من «الشخصيات الغريبة الأطوار» (عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 3 ص 79)

يساعدوا ورجعوا للقبيلة أغراهم على الصالحين التابعين للعامل الذين لم يساعدوه على الخروج عليه ، وهم أهل مدشر ثمة ، وحرضهم على تحريق دورهم وهدمها وأكل ما اشتملت عليه ، فعمدوا اليها وفعلوا بها ذلك ، واحترم البعض من أهل المدشر المذكور ببني مستارة ، والبعض بغزاوة ، والبعض برهونة ، ورفعوا شكايتهم للحضرة العالية بالله .

«فلم يستعجل به سيدنا أيده الله حتى وجه ابن عمه مولاي ادريس بن المهدي يحقق ذلك ، فأخبر بأنه بالغ فى البحث عنه فى القبائل المجاورين لهم واستشهدهم ، فشهدوا بأنهم فعلوا ذلك باشارة المذكور وصهره ولد الفلاق وقاضي القبيلة ، حسبما تقف عليه فى الرسوم الواصلة إليك طيه مع الرسم المتضمن لما أكل لهم ، وكثر التشكي من الجوار وشرفاء وزان .

«ولو سمع — دام نصره — قول العامل فيه لما وجه ابن عمه المذكور للبحث ولما أخره حتى كتب فيه الشرفاء المذكورون وغيرهم ، وقد كان مولانا المنصور بالله يحاول إخراج أمر ولد عبد الله المذكور بسلام حيث هو مخالط لجانبكم المحب ، فاذا به تمادى على الخوض والفساد ، ولم يجعل لترامية ولا للمخزن فسحة فى اخراج أمره بسلام ، حتى أحال حال القبيلة وصيّر من كان صالحا منها فاسدا ، وتشوف الجبالة للفساد بسبب ذلك ، وكادوا أن يعودوا الى ما كانوا عليه من الفساد ، ونزل عنده بوقَبّة رئيس الفسّاد ، حسبما تقف عليه فى مكاتب الشرفاء المذكورين وغيرهم .

«فبادر مولانا — نصره الله — لاطفاء نار الفتنة وانتقاذ المذكور من أيدي العمال وجعله فى السجن على يده رعاية لانحياشه لجانبكم ، وإلا فان هذا الأمر الذى ارتكب يستوجب عليه فى شرعنا القتل أو التصليب أو التخليد أو النفي من الأرض .

«وحيث تكلمت فيه أيها المحب فلا يكون فى أمره الا الخير بحول الله».

«وعما ظهر لك من تعيين الحضرة الشريفة رجلين أمينين وتعين أنت رجلين كذلك ... فلا بأس ليتضح ما ذكر أو ضده ، وهاهو وجه رجلين تقيين من حضرته الشريفة للنائب السيد مَحمد برݣاش .

«وعما ذكرته من تقديم الاعلام بهذه القضية قبل إعلامك بها لسلطانك الفخيم لأجل ماذكر ، فان ذلك هو الظن بك والمعتقد فيك ، والأمر بحول الله هيّن ، فكل ما أردتَه يكون بيننا وبينك ولا تتوقف فيه على اعلام دولتك كما هو شأن المحبين ، لأن تقديمك الاعلام لها ينافي المحبة ، وحيث لم تقدمه فذلك دليل على محبتك وحسن وساطتك وسعيك فى الخير بين الجانبين وحرصك عليه .

«جُزيت خيرا على ذلك ، وعشتَ كما تحب ، ودمت بخير فى جميع الأحوال ، مباركا لك فى النفس والأهل والأولاد والمال .

«وختم فى 8 رجب 1298» (44)

* * *

المطلب الثالث : الولايات المتحدة

كانت النيابة القنصلية بالعرائش تتولى الشؤون الأمريكية بالقصر الكبير ، ولو أن حمان السلاوي كان يدعي أنه ممثل هاته الدولة .

أ ـ المحميون

كان بالقصر محميون وسماسرة قليلون حفظت أسماءهم بعض الوثائق.

أ. 1 **من قائمتي 69/59 و 69/60 :**

1 ـ 2 : **شاعو ابن الديان** : تاجر محمي **وحمان السلاوي** المدعو المَرِكاني ، وهو أيضا تاجر محمي وذو خلطاء

---

44 . موافق 6 يونيو 1881 ، من وثائق الخزانة العامة بالرباط رقم ر 16/30/27

أ . 2 من لائحة 22/69 :

3 . **عيوش بن يهودا بنصولي : محمي** كذلك سنة 1888

أ – 3 من غيـر ذلـك :

4 . **مبير بورجـل :** تاجر كان حوالي سنة 1886 محميا (45)

5 . **ابراهيم ابن الديـان** تاجر محمي كان لـه سنة 1894 نزاع مـع خلطائه (46) .

بـ . السماسـرة والمستوطنـون

لم يكن بهاته المدينة رعايا أمريكيون ، ولكن كان فيها سمساران اثنان :

ب 1 – من 4/69 الغفـل :

1 . **روبين الترجمـان :** كان سمسارا ليهودي آخر مقيم بنيويورك اسمه ليون غزيل ، وقد طلب القنصل العام ليويس سنة 1888 جعله سمسارا لهذا التاجر (47) . فرد الطريس عليه بأن «هذا الشخص الذى سميتموه تاجرا هو فى نيورك وليس هو بالمغرب ، ولا نعلم له تجارة كبيرة فى الداخل ولا فى الخارج ، وكنطري تجاري فى مرسى من مراسي المغرب ، ولابد من وجود هذه الأمور كلها وثبوتها ....» (48)

ويظهر أن المخزن لم يوافق على السمسرة لـه فى ذلك الوقت (49) ولربما ارتضاها بعد ذلك ، وكان الترجمان من كبار المرابين ، فاكتسب ثروة

---

45 . من وثيقة عنوانها «هذا بيان الناس المذكورين فى هذه الورقة» ، وهى بامضاء ماثيوز ، وليس فيها تاريخ ولا رقم من مكتبة تطوان ، وعدد الأشخاص المذكورين فيها 27 من فاس ومكناس وطنجة والقصر ، وفيها ذكـر المحمي رقم 2 أعـلاه .

46 . ابن زيدان : «العـز والصولة» ج 1 ص 52

47 . رسالة ليويس الى الطريس فى 12 جمادى الاولى 1305/26 يناير 1888 ، محفظة المغـرب امريكـا

48 . مسودة جواب الطريس فى 17 جمادى الاولى 1305 ، نفس المحفظة

49 . رسالة سطوكر الى الطريس فى 11 يناير 1889/19 جمادى الاولى 1307 ، نفس المحفظة

طائلة من المضاربة في آثار الجفاف الذى أصاب المغرب من سنة 1878 الى 1884 ، ومن الرسوم التى تركها له أبوه (50) .

ب ـ 2 . من غيرها :

2 . **عبد الرحمان اليعقوبي** ، كان سنة 1881 سمسارا لبرديكاريس الأمريكي القاطن بطنجة (51) ، وبقي حتى جرد من السمسرة حوالي 1886 حسبما سيأتي خبر ذلك مع فرنسا .

ولم يرد شيء عن المستوطنين سوى أن جاسپار ماثيوز كانت له خلطة فلاحية مع أهل الغرب ، ومثله في ذلك الدكتور وود الذى كانت له شراكة مع أهل قبيلتي سفيان وبني مالك .

* * *

المطلب الرابع : إنجلترا والنمسا وهولاندة

أ ـ السلك القنصلي :

في سنة 1888 كانت إنجلترا تتولى تمثيل نفسها والنيابة عن هاتين الدولتين الأخيرتين .

1 ـ **ليويس فورد** L. Forde الابن المستوطن بالعرائش كان نائبا قنصليا لبلاده قبل سنة 1883 بالقصر (52) الى أن اضطلع بذلك :

2 ـ **إدموند كارلطن** E. CARLETON المنحدر من أسرة قديمة الاستقرار بالمغرب ، إدموند هذا حل بطنجة أولاً سنة 1886 ثم انتقل الى القصر

---

50 . محمد كنبيب : «الحمايات القنصلية في أواخر القرن 19 وبداية القرن العشرين» (نسخة مرقونة لأطروحته ص 99)

51 . رسالة ماثيوز الى محمد ولد ابا محمد في 12 رجب 1299/30 ماي 1881 ، محفظة بركاش .

52 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 364 (1)

سنة 1894 حيث اتخذ له ولأخيه إدوارت Edwart خلطاء ولربما سماسرة أيضا (53) .

ب ـ المحميون والسماسرة

لـم تخل المدينة من محميين ولا من سماسرة ، وبما أن الوصايـة كانت لانجلترا فقد اختلطت أسماؤهم ، ولكنني حاولت جهد المستطاع تمييز المحميين الانجليزيين عن غيرهم .

أولاً : النمســا

كان لها محمي واحد وثلاثة سماسرة ، أما المحمي فهو **شاعو سرْ يـا** الذى كان سنة 1861 ترجمانا (54) .

وأما السماسرة فهم :

1 ـ **يونة لاريـدو** : الذى كان سنة 1887 يعمل لصالح حاييم بونطي ترجمان القنصلية العامة بطنجة (55) .

2 و 3 وعلي بن الجيلالي السفياني ، والجيلالي بن احمد السفياني : وكلاهما من ورغـة ، وكانا بقبيلة سفيان سمسارين للمهندس موزبوركـر القاطن بطنجة ، غير أن السلطات لم تعترف بالسمسرة له «لأنهما من أشياخ القبيلة عندنا ، وأبطلا حركة مولانا السعيدة وتخلفا عنها ، وكلفنا مولانا ـ أيده الله ـ بعقاب كل من بَطَّل أيا كان ، ولا سيما من الأشياخ ومن هو فى خدمة المخزن ....» (56) . وكان ذلك سنة 1882 .

---

53 . المصدر نفسه ج 1 ص 96 و ج 3 ص 302 (4) و ص 307 (0)

54 . رسالة الى بركـاش فى 8 رجب 30/1279 دجنبر 1862 ، محفظة بركـاش

55 . رسالة الطريس الى القنصل العام فى 10 شعبان 4/1304 ماى 1887 ، محفظة المغرب النمسـا

56 . رسالة بوسلهام بن المصطفى الى بركاش فى 26 شوال 10/1299 ستنبر 1882 ، محفظة بركاش

ثانيــاً : هــولانــدة

في سنة 1880 كان لأحد محمييها أو تجارها وهو : جبرو داركوز ربيل القاطن على ما يبدو بمدينة طنجة سمساران أوردهما ابن زيدان (57) وهما :

1 — **علي اليوسفي** : سمساره بعين فلفل (58) بأحواز سوق أربعاء الغرب . وقد وصف موجب عدلي هذا السمسار بأنــه هو واخواه الجيلالي والحاج العربي «من أهل الفساد والسرقة والخيانة ومجمع الفاسدين من كل بلاد ، وكثرت الشكاية بالأول لرياسته في الفساد ...» . والمعني به هو علي بن أحمد اليوسفي .

2 — **وبوسلهام التونسي** : سمسار له ببداوة

ثالثــاً : إنجلتــرا

اقتطفت أسماء السماسرة من مصادر مختلفة منها :

أ. التقييد الثالث لابن زيدان وقائمة السماسرة سنة 1879 معــاً :

1 — **يوسف كــارو** وهو من يهــود القصر : وكان سمسارا للقنصل بالعرائش يوسف عيموسي ، ثم صار سنة 1890 نائبا ليعقوب فريروس (59) FERREROS ، ويعقوب هذا كان يدعى أحيانا فريريج النجليزي ، وكانت حركته التجارية سنة 1892 أو قبلها «قليلة جدا بالداخل والخارج بالنسبة الى غيره من التجار . . .» حسب تعبير أميني مرسى العرائش (60) .

---

57 . «العــز والصولــة» ج 1 ص 312 ، ولم أستطع ضبط اسـم التاجـر

58 . موجب في صفر 1302/دجنبر 1884 ، محفظة بركــاش

59 . رسالة كريــن الى الطريس في 21 يونيو 1890/3 قعدة 1307 ، محفظة المغــرب بريطانيا ، ويسميه ابن زيدان : يعقوب بن اريض ، وهو تحريف

60 . رسالة الأمينين محمد بن عبد الهادي زنيبر وعبد الوهاب بن محمد بنيس الى الطريس في 11 ربيع الاول 1310/3 أكتوبر 1892 ، محفظة الطريس 23

وهو قديم الاستيطان بالقصر منذ ما قبل 1882 حين هجم 50 من جبالة على داره وقتلوا ابنته ، فأمر السلطان بعقاب الجناة (61) .

2 — 3 — **علي بن سلام العمراني** : (أو : ابن سالم عند ابن زيدان) **وأحمد بن العربي الشروني** : سمساران له ايضا .

ب . **من لائحة السماسرة سنة 1889**

سنستعين بهاته القائمة وبوثائق أخرى أيضا للكشف عن اسماء السماسرة :

4 — **شلومو بن مويال** : سمسار منويل نوبيلة الكاتب بالسفارة البريطانية بطنجة .

5 — **شلومو ملول** مثله . وقد سبق لهذا السمسار أن اشتكى بأن ولاة القصر قد استولوا على خزين سلعته (62) .

6 — **العربي الخياطي** سمسار يوسف إيموسي . ولما توفي سنة 1889 طلب تعيين ابنه مكانه وهو :

7 — **الحسن بن العربي الخياطي** (63)

8 — **محمد بن بوسلهام المنصوري الغرباوي** سمسار بالغرب للتاجر الانجليزي أو الطارقي المقيم بطنجة أبيلارضو ساستري Abelardo SASTRE ويبدو أن السمسار من قبيلة المناصرة شمالي القنيطرة .

---

61 . رسالة السلطان الى بركاش فى 5 ربيع الثاني 24/1299 يبراير 1882 ، محفظة بركاش

62 . رسالة جون هي الى الطريس فى 17 يبراير 13/1886 جمادى الاولى 1303 ، محفظة بركاش .

63 . رسالة كرين الى الطريس فى 7 شتنبر 11/1889 محرم 1307 . محفظة المغرب بريطانيا . ولم يرد ذكر الحسن فى قائمة 1889

9 — **الحاج محمد ولد الحاج العربي القرشي الكربي** سمسار بقبيلة بني حسن للتاجر لويس فورد الابن أو الحفيد ، وقد استغني عنه سنة 1890 واقترحت المفوضية بدلا عنه :

10 — **العربي بن الحاج القرشي الكـــربي** (64)

11 — **محمد بن العربي ابن الكدير الغرباوي الخنشوشي السفياني** : سمسار بقبيلة سفيان ليوسف فابـة القاطن بالعرائش .

وكانت المفوضية قد اقترحته هو ومن بعده :

12 — **الحاج بوسلهـام بن الكديـر ابن المصطفى** ليكونا سنة 1886 سمسارين ليوسف العسري القاطن بطنجة (65) .

ت — **من غيرهـــا** (66)

13 — **محمد بن علي ابن ابراهيم** : رشح سنة 1892 ليكون سمسارا بقبيلة بني مالك للتاجر لويس فورد (67) .

14 — **أحمد بن حدو** : الذى لم أستطع تحديد موطنه وكان سمسارا قبل 1888 ليعقوب فريورس حتى استبدله بالسمسار :

15 — **محمد بن حماد كرطي** (68)

---

64 . رسالة كرين الى الطريس فى 7 مارس 15/1890 رجب 1307 ، محفظة المغرب بريطانيا . ولم يذكـر العربي فى قائمة 1889 .

65 . رسالة جون هي الى الطريس فى 23 يبراير 19/1886 جمادى الاولى 1303 ، وفى قائمة 1889 ان السماسرة 9 و 11 و 12 من قبيلة بني حسن . ولا نظن ذلك صوابا

66 . الرسائل الآتي ذكرها كلها موجودة بمحفظة المغـرب بريطانيا العظمى . مديريـة الوثائـق الملكيـة .

67 . رسالة سميث الى الطريس فى 1 رمضان 30/1309 مارس 1892

68 . رسالة كرين الى الزكاري فى 10 أبريل 1888 ، ولعل صوابه الكرتي نسبة الى أحد كـورت .

16 — **بوعزة بن العياشي السفياني الغربي** (أو الكربي) : رشح سنة 1891 ليكون سمسارا ليوسف فابـة بقبيلة سفيان حسب رسالـة وايط الى الطريس (69) الذى رد عليه بأن بوعزة «قاطع طريق» فلا يجوز قبوله للسمسرة.

17 — وكان التاجر يريد الاستغناء عن سمسار آخـر هو **الميلـودي العبـدلاوي** .

18 — 19 — **قاسم بن عمر السفياني العزيزي** اقترح ليكون سمسارا سنة 1893 لساموبل فرريج القاطن بالعرائش بدلا من **بنعيسى بن الجيلالـي العاصمي** (70) .

20 — **محمد بن المنصور البحراوي** الذي هو من فخدة البحارة طُلِب سنة 1888 ليكـون سمسـارا بالغـرب للتاجـر سالومون البحـر القـاطـن بالعرائش (71) .

21 — **الحاج بوسلهام الخلطـي** الساكن قرب القصر كان سنة 1889 سمسارا للتاجر ماك إيڤر ماكليود Mac Iver Macleod القاطن بطنجة . وقد اشتكى كرين بأن هذا السمسار كان قد تعرض له ولاة الناحية ومنهم عامل العرائش (72) .

22 — **حمـو ابن الغـزال الحريزي** اقترح سنة 1892 ليكون سمسارا ليعقوب فريروس بدلا من محمد الغريب متقدم الذكر بالعرائش (73) .

---

69 . رسالة وايط الى الطريس فى 20 شتنبر 21/1891 صفر 1309

70 . رسالة ارنيست ساطو الى الطريس فى 8 دجنبر 29/1893 جمادى الاولى 1311 .

71 . رسالة كرين الى الطريس فى 23 نونبر 19/1888 ربيع الاول 1306

72 . رسالة كرين الى الطريس فى 5 يوليوز 17/1889 قعدة 1307

73 . رسالة ايوان سميث الى الطريس فى 13 شتنبر 20/1892 صفر 1310

23 — 24 — **الحاج الحفياني** (ولم يرد ايضاح آخر) اقترح ليكون سمسارا لقنصل انجلترا بالعرائش سنة 1888 وهو يوسف إيموسي بدلاً من : **بغداد بن هيمر** (74) ولعل صوابه الحيمر .

هذا بعض ما ورد عن السماسرة للتجار البريطانيين (75) .

* * *

المطلب الخامس : اسبانيا

كان **إدواردو دي كاسطرو** E. de Castro وكيلاً قنصليا لاسبانيا بالقصر الكبير في آخر القرن الماضي حتى مات سنة 1904 ، وكان مراسلا لجريدة «المغرب الأقصى» (76) .

ولم يكن لهاته الدولة محميون ولكن لبعض مستوطنيها خلطاء بقبائل الغرب زيادة على سمسار واحد اسمه **مفتاح بن بوسلهام البدوي** الذى طلبت المفوضية سنة 1891 اتخاذه سمساراً لخابيير ساينس المقيم بالعرائش فلم يقبل المخزن جعله الا بعد أن يؤدي مفتاح ما تخلد بذمته من الأعشار (77) .

أمـا المستوطنون فأذكـر منهم خوصي خيمينيث J. Jemenez الذى كان طبيباً بالقصر حتى قتل خارج المدينة ودفن فى 29 دجنبر 1893 بمكان يدعى الديور (78) .

---

74 . رسالة كرين الى الزكاري فى 15 ابريل 1888

75 . وقد يكون السماسرة أصحاب الأرقـام : 17 و 22 و 21 من غير أهل الغرب .

76 . جان لوي مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 86

77 . رسالة الطريس الى نائب اسبانيا فى 21 شعبان 1/1308 أبريل 1891 . محفظة الطريس 21

78 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس فى 21 جمادي الآخرة 30/1311 دجنبر 1893 . محفظة الطريس 25

وثمة مستوطنون اسبانيون آخرون هم : الريكي أي إنريكي ݣاييݣو E. Gallego الذى كان سنة 1891 من مربي الخنزير ببني ثور البشاشنة ، قبيلة سفيان (79) والاسباني ريكاردو (أو ليكاردو الأعرج) الذى كان له سنة 1888 خليط بقبيلة بني مالك اسمه العربي بن الحاج الجيلالي العاصمي (80) وثالث كان له سنة 1891 خليط بقبيلة سفيان يدعى ولـد محمد الغيلاسي (أو القيلاسي) كان قائدها قد سجنه (81) .

هذا مجمل ما وقفت عليه من خلال المصادر المغربية عن اسبانيا بهاته المدينة .

* * *

المطلب السادس : إيطـاليـا

لم أقف لهاته الدولة على قناصل أو نواب قنصليين ولا على محميين طبعا ولا على مستوطنين ، وانما على سماسرة وخلطاء كانوا بالقصر الكبير والغرب يعملون لصالح تجار ايطاليين .

وقد وردت أسماء بعضهم فى لوائح المحميين من سنة 1889 حتى 1894 وكذا فى وثائق مختلفة ، وها هو بيان السماسرة :

أ ـ من اللوائـح السنويـة :

1 ـ 2 ـ **الحاج مصطفى الرميقي** : كان سمسارا للوكيل القنصلي أندريا ݣوانينو (82) قبل سنة 1884 ثم صار سمسارا لابنه ألفريدو فى اللوائح

79 . رسالة بوسلهام بن المصطفى الى الطريس فى 11 شعبان 22/1308 مارس 1891 ، محفظة الطريس 20

80 . رسالة أبي بكر الحباسي الى الحاج محمد الزكاري فى 9 شعبان 21/1305 ابريل 1888 محفظة الطريس 12

81 . رسالة السلطان الى الطريس فى 2 ربيع الاول 6/1309 اكتوبر 1891 ، محفظـة الطـريس 21

82 . رسالة السلطان الى أبي بكر الحباسي فى 4 جمادى الاولى 2/1301 مارس 1884 ، محفظـة الطـريس 4

المذكورة بقبيلة بني مالك . **والحاج بوسلهام الرافعي** وكان سمسارا لهما ايضا سنة 1889 وأتى اسمه فى لائحة 1891 .

3 – 4 – **بوعزة بن المعطي الحسناوي** : سمسار ألساندرو كوانينو ابن القنصل أندريا وذكر اسمه في كافة القوائم ، **وعلي الخياطي الحسناوي** : مثل السابق سنة 1889 فقط .

5 – **موشي بن يعيش** : سمسار بالقصر سنة 1889 ليحيى ابن الصائغ المقيم بطنجة .

6 – **مايير طوليدانو** : سمسار بالقصر لرفائل طوليدانو

7 – 9 – **محمد المسيكك والعربي العمري** : سمساران بالغرب لاسحاق ناهون **ويودا ابن ديان** : سمساره بمدينة القصر فى جميع القوائم .

10 – **بوسلهام بن الحاج المعطي** : سمسار ألساندرو كوانينو فى جميع القوائم بقبيلة بني مالك .

ب – **من غيرهـــا**

11 – **بوسلهـــام بن العربي الخنشوشي** : كان سنة 1893 سمساراً للتاجر ألفريدو كوانينو سالف الذكـــر الذى كان له خليط آخـــر سنة 1894 بقبيلة بني حسن هو أحمد بن الطاهـــر الحسناوي من إيالـــة القائـــد محمد الكـــداري (83) .

• • •

83 . رسالة كنطغالي الى الطريس فى 12 يناير 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

المطلب السابع : البرتغـــال

كان ثمة محميان وسماسرة ، أما المحميان فهما :

1 — **يعقوب السرفاطي التطواني** (84) حوالي 1892 وهو من التجار اليهود بالقصر .

2 — **حاييم بونطي** وكانت له أو لِسَمِيِّه ترجمان القنصلية النمساوية بطنجة دعاو كثيرة مع حاييم بنشيمول ترجمان المفوضية الفرنسية بطنجة .

ولم اقف على غيرهما . وكان عدد السماسرة ثلاثة هم :

1 — **محمد بن سحنون السفياني الحجامي** : كان سمسارا منذ سنة 1878 بقبيلة سفيان لتاجر أو محمي برتغالي ، وفي سنة 1892 تظلم الوزير المفوض عنه لدى الطريس الذى أجابه : «وهذه مدة أربعة عشرة سنة وهو في حمايتكم ولم تظهر عليه إلا المسكنة ثم اشتكى عليه بأن أصهار القائد بوسنهام السفياني سرقوا له 200 من الضأن و 36 رأسا من البقر وخمس مطامير من الزرع وقششوا خيمته وقتلوا صهره وابن عمه» (85)

2 — 3 — **الحاج محمد بن الأحمر الخليفي** الذى كان سنة 1890 سمسارا للتاجر عمران الرواح حتى استبدله سنة 1892 بآخر أسمه : **محمد بن الحبشي البعبوشي الحباسي** (86)

• • •

84 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 17 دجنبر 1892/27 جمادى الاولى 1310 ، محفظة المغرب البرازيل

85 . جواب الطريس الى كولاصو فى 21 رجب 1309/20 يبراير 1892 ، محفظة المغرب البرتغال .

86 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 11 ماى 1892 ، المحفظة نفسها

المطلب الثامن : بلجيكا

كان لبعض تجارها خارج مدينة القصر وبقبائل الغرب سماسرة وخلطاء بهاته الأنحاء وردت أسماؤهم في لوائح المحميين . السماسرة كانوا هم :

أ ـ **من قائمة 1889 :**

1 ـ 2 ـ **بوسلهام بن علي بن التهامي الخليفي** كان سمسارا للقنصل كلارنبو حتى أبدله بعد مدة (87) وجعل مكانه : **الحاج بن المنصور ابن البغا** وهما معا من قبيلة سفيان .

3 ـ 4 **العربي بن ادريس المالكي الحسناوي ومحمد بن الحاج السفياني** : سمساران لتاجرين لم يذكر اسمهما .

5 ـ 6 ـ **أحمد بن العظمية الزيدي وسعيد بن بوسلهام الزياني** وهما من قبيلة بني مالك وكانا سمسارين للدار التجارية إيميل برام (88) Emile BRAME بواسطة نائبها الذى لم يرد بيان عنه .

7 ـ **محمد بن علي الزياني** (وهو من قبيلة بني مالك) وكان سمسارا للقنصل كلارنبو . وعنه جاء قبل سنة 1884 أنه «فسد وأفسد جماعته وغيرهم ، أنزلهم معه وتعصب به الجميع وامتنع إخوانه من اعطاء الكلف المخزنية ومن الحركة ومن دفع أعشارهم مالاً وحبوبا . . . والجماعة عصت بسببه» (89)

ب . **من غيرها :**

8 ـ وكان لنفس القنصل كلارنبو سمسار بقبيلة بني حسن لم أقف على اسمه ولكنه قتل قبل 1888 . فأصدر السلطان أمره للقائد أحميدة بن

87 . رسالة ابراهيم سكسو الى الطريس فى 3 غشت 16/1890 حجة 1307 ، محفظة المغرب بلجيكا

88 . رسالة الى الطريس فى 9 يونيو 1889 ، ثم رسالة أنسبـاخ الى الطريس فى 22 ابريل 21/1889 شعبان 1306 ، نفس المحفظة

89 . من تقييد المخالطين للقوانص وتجار الأجناس من قبيلة بني مالك ،

المكي المختاري بحسم مادة الدعوى . وفعلا وجه القائد دية القتيل وهي 158 ريالا (90) .

* * *

المطلب التاسع : فرنسا

أ ـ السلك القنصلي

1 ـ كان **عبد السلام بن محمد الشاوش** يسمي نفسه «نائبا للدولة الفرنسية الفخيمة بالقصر» ويكتب توقيعه فى رسائله بالحروف اللاتينية (91).

2 ـ وبعده عين **إدوار ميشو ـ بيلير** نائبا قنصليا .

ب ـ المحميون :

لم يكن لفرنسا محميون قنصليون عديدون ، ولذا لم أقف إلا على اسم شخصين هما :

1 ـ 2 ـ **احمد الساحلي ومحمد حنتيت الطنجي** (92)

ت ـ السماسرة :

اقتبست أسماءهم من القوائم العامة الفرنسية (93) ومن غيرها . وكانوا هم :

1 ـ **الحاج مصطفى بن علي الرميقي الخلوفي** : سمسار بقبيلة بني مالك لرفائيل الصائغ (قائمتا 1881 و 1882) . وكان قبل سنة 1884 سمسارا لقنصل ايطاليا أندريا كوانينو .

---

90 . رسالة السلطان الى الطريس فى 4 ربيع الثاني 8/1306 دجنبر 1888 ، محفظة الطريس 14

91 . رسالة الامين أحمد بن الطاهر بناني الى الطريس فى 7 جمادى الثانية 13/1303 مارس 1886 ، محفظة الطريس 7 ، وكذلك رسالة عبد السلام الشاوش الى القائد احميدة بن المكي المختاري فى 23 رمضان 3/1305 يونيو 1888 ، محفظة القصر 1

92 . لي عودة الى هذين المحميين والى النائبين القنصليين

93 . سأجعل بين هلالين تاريخ القوائم الفرنسية

2 — **المكي بن الفقيه الفروطي** : كان سمسارا فى قائمة 1884 بقبيلة بني مالك للدار التجارية بوني BONNET ، وقد شطب على اسمه فى القائمة المذكورة . ويستفاد من جهة أخرى أنه كان كاتبا لقائد هاته القبيلة أبي بكر الحباسي ولمن كان قبله مدة 30 سنة (94) .

3 — **العربي الشافعي** : سمسار بالغرب لنفس الدار (1881 — 1883)

4 — **الحسين ابن الزاوية** : كان فى قائمة 1884 سمساراً لحاييم ابن شيمول . غير أن اسمه شطب عليه ليجعل مكانه المكي رقم 2 أعلاه . وتقدم أنه كان سمسارا للتاجر الطارقي الْمُتَنْجِلَز ماسكاريناس .

5 — **الطيب الزفتي** : سمسار عبد السلام الشاوش (1879 — 1880)

6 — **رفائيل بنشيمول** : (1879 — 1884) سمسار فيكطـور مازوريل V. Mazurel

7 — **أحمد الشرقي** : مثله له (1882 — 1885)

8 — **دابيد س كوهن** : (1884 — 1885) سمسار لدار تجارية من مدينة ليون اسمها شركـة إيريني بـران : Irénée BRUN

9 — **علي البغدادي الحموشي** (أو الحمادي) : سمسار بالفقرة (1884) للكونط ده شاڤانياك القاطن بطنجة .

10 — **يوسف الحـداد** : (1885) سمسار التاجر الفرنسي القاطـن بمرسيليا فرانكون E. Francon

---

94 . تقييد المخالطين للقوانص وتجار الأجناس بقبيلة بني مالك يدعـوه البوخصيبي وليس الفروطي

11 ــ **بوسلهام بن الجيلالي ولد زروال التريعي** : كان سمسارا للقنصل ده لاروش (1879 ــ 1881) ثم صار سمسارا لعبد السلام الشاوش (1883–1885) وعاد سنة 1890 سمسارا للقنصل المذكور (95)

12 ــ **بوسلهام بن الحاج الطيب** : سمسار للتاجر الفرنسي القاطن بمرسيليا ليو الابن (1879 ــ 1882)

13 ــ **عبد الرحمان اليعقوبي** : سمسار عبد السلام الشاوش (1882) ، ولكنه جرد من الحماية (96) .

* * *

ث ــ المستوطنـون :

قبل الحديث عن مستوطنين فرنسيين أتعرض لشخصية جزائريـة الأصل ، مغربية العقب : عبد السلام الشاوش ، ولقضية صهره عبد الرحمان اليعقوبـي .

1 ــ **عبد السلام بن محمد الشاوش** : «الجزيـري أصـلا ، القصري دارا» (97) لأن آل الشاوش هاجروا من الجزائر الى تطـوان ومنها الى القصر (98) . لم أقف على تاريخ حلوله بهاته المدينة حيث اتخذ كثيراً من الخلطاء والشركـاء بقبائل الخلط وطليق وسفيان وبني مالك الذين كانـوا يعدون بالعشرات بل بما يزيـد على المائة (99) ولكنه على كل حال كان موجودا بالمدينة سنة 1881 .

---

95 . هامش رسالة باطنوطر الى غريط في 11 دجنبر 1890 ، محفظة المغرب فرنسا

96 . سيأتي وشيكا بسط لبعض جوانبها

97 . من موجب عدلي في 28 ربيع الثاني 1298/30 مارس 1881 ، محفظة المغرب فرنسا

98 . محمد داود : «تاريخ تطـوان» ج 5 ص 229

99 . رسالة في 17 جمادى الآخرة 1307/8 يبراير 1890 . محفظة الحماية النتصفية

كثرة الخلطاء سببت له متاعب مع السلطات التي كانت تطالب بعزله عن منصبه ، فأخر عنه لمدة (100) حتى رده ورديغة سنة 1884 الى سالف عمله «بعد أن تحققنا أن كل الشكاية التي اشتكوا بها لا أصل لها» (101)

وأسفر نزاعه مع محمد بن عبد السلام ابن عودة عن عزل هذا القائد عن قبيلة سفيان . وكانت رسالة سلطانية تعتبره سنة 1885 «الساعي في الفساد في الأرض والمحرض عليه ، وقد تكرر ذلك منه ، وما دام في تلك الأرض لا يسعى الا في الفتنة والقتل والجرح ، ولو فعل مثل هذا في إيالة أخرى لنفي وخلد في السجن» ، وقد أمر الحسن الأول نائبه الطريس في نفس الرسالة بأن يخاطب «الباشدور بابعاده من تلك الأرض ليستريح ويريح» (102)

غير أنه يستفاد من وثائق نشرت مؤخرا أن علاقته مع السلطات المحلية ومع السلطان نفسه تحسنت بعد ذلك . وقد توفي عبد السلام قبل يوليوز 1893 بمدينة القصر الكبير (103) وحاول صهره عبد الرحمان اليعقوبي الحلول محله ، لكن بدون جدوى لما له من سوابق كما سنرى في نازلته .

2 ــ قضية عبد الرحمان بن أحمد اليعقوبي

تلون هذا الشخص بين الحمايتين الأمريكية والفرنسية ، فقد مر بنا أنه كان محميا فرنسيا ابتداء من سنة 1882 .

ولما تورط في جريمة قتل وضبط متلبسا بها لجأ الى ماثيوز يطلب حمايته التي اسبغها عليه ، فطالب المخزن القنصل الأمريكي بنزعه منها ،

---

100 . رسالة ورديغة الى بركاش في 17 محرم 28/1300 نونبر 1882 ، محفظة المغرب فرنسا

101 . رسالة ورديغة الى بركاش في 22 محرم 11/1302 نونبر 1884 ، نفس المحفظة

102 . رسالة السلطان الى الطريس في 25 حجة 5/1302 أكتوبر 1885 ، محفظة الطريس 5

103 . رسالة دوبيني الى الطريس قبل 3 يوليوز 18/1893 حجة 1310 ، محفظة الطريس 21

فامتنع حتى رفعت القضية الى علم الحكومة الأمريكية التى لم تقبل أن تحمي شخصا متابعا لدى القضاء ، وقد تبرأ حاميه بيرديكاريس منه ومن أفعاله (104).

ولما كان أحد أقارب عبد السلام الشاوش التمس هذا الأخير من ممثل فرنسا أن يواصل حمايته لـه لئلا يقع تحت سطوة المحاكم المغربية ، لكن مسعاه لم يلق التأييد الكافي .

ولئن كنا لا نعرف السبب الذى ارتكب من أجله عبد الرحمان جريمته فاننا نعلم أنه كان هناك خصام لا ندرك مداه أيضا بين عبد السلام الشاوش وقائد قبيلة سفيان الذى عزل من منصبه بسبب عبد السلام المذكور مثلما تقدم.

فماذا فعل اليعقوبي ؟ اتهم بأنه ذهب الى سوق كورت وقتل خليفة القائد بوسلهام بن دحيم السفياني قبل يناير 1886 .

ولم يشـأ فيرو أن يعكر علاقته مـع المخـزن ، فعمل على تسليم عبد الرحمان اليعقوبي الى السلطات المحلية (105) .

وظل اليعقوبي محبوسا شهورا طويلة ووجه من سجنه رسالة استعطاف ساذجة الى سفير فرنسا فى أبريل 1887 ، هاهي مقتطفات منها :

«. . . وليس خافي عليك حالنا وطول سجننا وغربتنا وبكاء أهلنا... وليس عندنا من يرحمنا الا الله وأنتَ ، لأنك معلوم تجري في الخير وترجوا بذلك الثواب من الله تعالى ، واحنا مثل أولادك ربيتنا ، واليوم احنا تائبين لله ، فارحمنا بجودك يرحمك الله ، فاحنا فى حرمك وحرم سِنْيُورة وأولادك جميعا أصلحهم الله ، ولا تنظر لوجهنا وفعلنا ، فانظر لله ولوجه صهرنا حبيبك سيدي عبد السلام الشاوش ، واشتر الثواب من الله ، فلا عمل تعمله فى دار الدنيا أحسن من السعاية فى تسريحنا . . .

---

104 . رسالة بيرديكاريس الى الطريس فى 21 يناير 15/1886 ربيع الثاني 1303 ، محفظة الطريس 7

105 . جاك كايي : «النوادر المغربية» ص 59

«والحمد لله ، فلا يكبر عليك ذلك . وإن كان بقي فى خاطرك شيئا علينا فها السجن عندك فى طنجة اجعلني فيه حتى يصفا خاطرك علي ، ولا تتركني غريبا هنا ، وأما الشرع انتهى أمـره وعجز خصمنا بالعدول ورفع القاضي يده.

«ومنه تعلم سيادتك بأنه لم تكن لنا حماية قبل مع المركان ولا مخالط معه وإنما فعلنا ذلك مساعدة لبعض المفسدين الذين غَشَّمونا وحصل لـي الخوف من السفر لفاس لا غير ، وكيف نحتمي بالمركان وأنـا صهر نائب الدولة الفرنصاوية ؟

«عبد الرحمان بن أحمد اليعقوبي» (106)

ويبدو أن هذا الأخير سرح بعد ذلك بقليل لعدم ثبوت الحجة عليه أو لتدخلات مختلفة .

وقد عرضت النازلة على القضاء وسرح من سجنه لأن المخزن لم يكن يريد التورط فى مأزق مع الدول (107)

وسويت القضية فى شكل لم أقف على تفاصيله ، ولما مات عبد السلام الشاوش طمـع فى تمثيل فرنسا ، فكلفه دوبيني سنة 1893 «بحفظ دفاتـر وأوراق دار النيابة» (108) القنصلية ريثما يعهد بها لغيره .

وكان السلطات لا تزال تتذكر حاله فعارضت فى تعيينه برسالـة الطريس الرفضية الى ممثل فرنسا :

«وصل كتابكم بتاريخ 25 حجة معلما بوفاة نائبكم بالقصر .

---

106 . رسالة عبد الرحمان اليعقوبي الى نائب فرنسا فى 16 رجب 10/1304 ابريـل 1887 . محفظة المغرب فرنسا

107 . جواب المخزن لممثل فرنسا ، ورسالة مخزنية الى قاضي القصر حميد بنانـي وكلاهما فى 7 رمضـان 30/1304 ماى 1887 ، المحفظة نفسها

108 . رسالة دوبيني الى الطريس فى 10 يوليوز 25/1893 حجة 1310 . محفظة الطريس 24

«أما عبد الرحمان اليعقوبي فَسَجِيَتُه لا تقبل الوساطة بين جانبي الدولتين المحبتين ، وقد صدر على يده من سوء السيرة ما يمنع ذلك ... وكان قد تسبب في قتل بعض ولاة المخزن ، ولما أراد قبضه ادعى أنه في حماية المركان وتبرأ من حماية الدولة الفرنساوية ، وبذلك أساء الى الدولتين معـا» (109)

3 — إدوار ميشــو — بيليــر E. MICHAUX - BELLAIRE

ولد بمدينة روان بفرنسا سنة 1857 وتوفي بالرباط في 13 مارس 1930.

وفي سنة 1886 حل بطنجة ممثلا لشركة الكونطوار جنرال فرانسي ، وبعد أربـع سنوات استوطن مدينة القصر الكبير حتى 1905 ، وعين وكيـلا قنصليا ومكلفا بالبريد سنة 1894 ثم نائبا قنصليا بمدينة فاس لمدة قصيرة ، وكان الى ذلك مراسلا لجريدة «ريفي دوماروك» الفرنسية طوال هاته المدة .

وابتداء من سنة 1908 رحل الى طنجة ليخلف الدكتور سالمون SALMON في إدارة «البعثة العلمية» الفرنسية التى كان يشرف عليها ألفريد لشاطوليي A. Le Châtelier منذ 1903 ، وقـد سهر إدوار على توجيه أعمالهـا حتى سنة 1920 .

وفي سنة 1925 أُسند اليـه القسم السوسيولوجي بادارة الشـؤون الأهلية بالرباط حتى توفي (110) .

تظاهر بالاسلام وكان من رواد المساجد ، لكن أحد مرافقيه لمـدة طويلة ذكر عنه أنـه لم يسلم قط وأنه كان لا يصلي ولا يصوم بل ظل على نصرانيته لأنه لفظ أنفاسه الأخيرة بين يـدي أحد أساقفة الكنيسة الكبرى بالرباط .

---

109 . رسالة الطريس الى دوبيني في 25 حجة/10 يوليوز أيضا ، المحفظة نفسها

110 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 88 وجان لوي ميبج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 142 و ج 4 ص 302 (4) وعبد القادر الخلادي : «المؤرخ الاجتماعي ميشو بيلار بطنجة والقصر الكبير وسلا : 1884 — 1930» بمجلة «دعـوة الحـق» . نونبر 1971 ص 139 — 143 باختصار

وكان يسمى الحاج عبد السلام بيلار لما كان بسلا ، أما بطنجة فكان يدعى ولد القاضي لأن أباه كان قاضيا ، وكان يرتدي اللباس المغربي طوال هاته المدة ، وقد تزوج بامرأة مغربية مسلمة من وزان ولكنه لم ينجب أطفالا .

وكان يكتب فى مجلة «العالم الاسلامي» الفرنسية وبمجلة «ليزارشيف ماروكين» التى بدأت تصدر وتطبع بباريس سنة 1904 وبلغت أعدادها نحو الثـلاثيـن .

له مصنفات وتآليف كثيرة باللغة الفرنسية وهي ذات قيمة تاريخية (111) تتناول حالة المسلمين بالجزائر والحكومة المغربية والتعليم والريسوني وناحية الغرب والأزمات النقدية والطرق والزوايا والحركة الوهابية .

وكان من أقطـاب الاستعمار ومن الملبسين والمتعنتين ، المصادر المغربية المخطوطة تحدثت عن أخلاقه وسيرته لما حل بالقصر الكبير صحبة أخيه دانييل فقالت :

«النصراني بلير الفرنصوي الساكن بمدينة القصر وأخوه وترجمانهما محمد حنتيت الطنجاوي أتوا لسجن المدينة شاهرين السلاح وهددوا السجان بتسريح أحمد الساحلي (112) ، وقد أخرجوه عنوة من السجن وذلك ما أخبر أحمد بن التهامي عامل العرائش به الحاج محمد الطريس في اليوم الموالي (113).

وكان قاضي القصر محمد بن الطاهر بناني قد حكم قبل ذلك على الساحلي المذكور بالسجن لأنه منع ابنته من الرجوع لمنزل زوجها محمد بن المختار البقالي . وكان القاضي بناني يتهم بيلير بأنه كان مشتغلا بالفاحشة جهارا مع المسلمات ومنهن زوجة هذا الشريف المذكور (114) .

---

111 . المصـدر الأخيـر

112 . من موجب عدلي فى 17 ربيع الاول 1309/21 اكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 21

113 . رسالة أحمد بن التهامي الى الطريس فى 18 ربيع الأول/22 أكتوبر ، المحفظة نفسها

114 . رسالة القاضي بناني فى 20 ربيع الاول/24 اكتوبر ، المحفظة المذكورة

أما عن سكناه بالقصر فقد امتنع أهل المدينة من إكرائه دارا لـه ولأخيه وترجمانه ، فالتمست السفارة من المخزن تخويله مسكنا (115) .

ونشير الى أن ميشو بيلير اختار فى آخر حياته السكنى بسلا حيث كان يقطن بدار البزاز الواقعة قرب المسجد الأعظم صحبة زوجته (116) .

4 - إيشـــي ICHÉ

حل بالمغرب واستوطن المدينة سنة 1878 ولكنه توفي فى يوليوز 1881 .

وكان نائبا عن ڤيكتورمازوريل الوهراني وملاكا لأراض فسيحة سنة 1880 بأحواز القصر الكبير ، وكانت له خلطة مع المغاربة يقدم لهم البذور وأنواع المساعدات ، وفى سنة 1878 صدر 798 رأسا من الثيران الى مدينة وهران (117) ، وطلب فى السنة الموالية «ليسنسية» أي رخصة لوسق 15 ألف رأس من الغنم بتأييد من قنصل فرنسا بفاس سابقا شارل إيكـار ، لكن ذلك لم يخول له بسبب المسغبة (118) .

ولم يكن تاجرا وانما كان معمرا ، ولذلك كان له سنة 1881 خلطاء ولا سيما بقبيلة بني مالك (119) .

---

115 . مطالب فرنسا ـ فى 10 محرم 16/1309 غشت 1891 ، محفظة المغرب فرنسـا

116 . التى كان اسمها الحاتمية والتى توجد صورتها بالخزانـة الصبيحية بسـلا

117 . جان لوي مييج : «المغـرب وأروبـا» ج 3 ص 453 (10)

118 . رسالة السلطان الى بركـاش فى 28 رمضان 3/1297 شتنبر 1880 ، محفظـة المغـرب فرنسـا

119 . رسالة أبي بكـر الحباسي الى بركاش فى 29 جمادى الاولى 29/1298 ابريـل 1881 ، محفظة بركاش ، وكذلك تقييد المخالطين للقوانص وتجـار الأجناس من قبيلة بني مالك ، محفظـة الحمايـة القنصلية .

الباب السادس

العدوتان

سلا والرباط عدوتا نهر أبي رقراق . وللكلام عنهما ضمن هذا الباب سنتناوله في ذلك ضمن عدة فصول : الأول منها سيكون عن ولاة المدينتين وسكانهما وعمرانهما ، والفصول الأخرى ستأتي عن السلك القنصلي والمحميين والسماسرة وبعض المستوطنين المنتمين للدول الموقعة على معاهدة مدريد .

1 : سلا والرباط

سنقسم الفصل الأول الى مطلبين : الأول عن ولاة سلا وأحوازها ، والثاني عن ولاة مدينة الرباط وسكانها وعمرانها .

المطلب الأول : ســـلا

* * *

سندع السكان والعمران الى باب آخر سنعقده على حدة . ولن نتحدث عن المحميين ولا عن المستوطنين الذين لا وجود لهم بها ، وسنقتصر على سرد أسماء ولاة المدينة وعمال أحوازها فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

أ ــ الــولاة بالمدينــة والأحــواز

أ ــ I ــ ولاة ســـلا

I ــ **محمد بن عبد الهادي زنيبر** كان ناظرا لأحباس المدينة قبل أن يصير واليا على سلا بعد عبد العزيز محبوبة (I) .

2 ــ ولما توفي بالكوليرا سنة 1855 عيّن **عبد العزيز بن الحاج عبد الوهاب محبوبة** للمرة الثانية . وكلفه السلطان بانتخاب 20 شابا لتعلم المدفعية زيـادة على من بالمدينة من الطبجية وتخصيص راتب لهـم : I5 أوقية فى الشهر (2) .

---

1 . كينيث براون : «أهـل سـلا» ص 164

2 . أحمد الناصري : «الاستقصـا» ج 9 ص 62 و 70

3 — وفي أواخر رجب 1278/يناير 1862 صار **الحاج محمد بن محمد بنسعيد** المولود فى العقد الثاني من القرن الثالث عشر قائدا للمدينة الى أن وافته منيته بها .

وكان قبل انخراطه فى سلك الأمناء بمرسى آسفي من 1272 الى 1278 يتعاطى جلب الحرير وملبوساته كالكمخة من الخارج وتصدير بضائع أخرى مثل الكمون الى مدينة جنوة الايطالية ، ولكنه انقطع عن تلك التجارة لما نجا من الغرق أثناء سفرة من سفراته .

وفي سنة 1866 بعثه محمد الرابع سفيرا الى فرنسا صحبة محمد بن عبد الكريم الشرقي ، وفى سنة 1290/1873 أسندت اليه قيادة أولاد سبيطة (الذين هم من أصل دكالي نزلوا بتراب قبيلة عامر) ثم أضيفت اليه قيادة أولاد سيدي موسى بن علي من أحواز الرباط .

وخلال ولايته على المدينة كان السلطان يكلفه بمهمات لدى القبائل المجاورة كالتحقيق فيما كان يشجر بين قواد الأحواز والتجار الأجانب والمحميين . وكان فى الكثير من الأحيان همزة وصل بين المخزن وقواد قبائل أحواز سلا والرباط كعامر وحصين والسهول وزمور وبني حسن والأعراب والأوداية وزعير ، وكان وأسطة لبعضهم فى صنع الطوابع الرسمية لهم (3) .

وإضافة الى ما تقدم كلف الحسن الأول عامل المدينة الحاج محمد ثم ابنه عبد الله بالاشراف على بناء قصبة قنيطرة علي وعدي ، واستمر العمل فيها عدة سنوات حتى انتهى سنة 1895 تقريبا (4) .

وقد دارت المراسلات التى كان يتوصل بها من المخزن حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصون الآلات الجهادية ، وحفظ الغابة من عدوان الجوار عليها ، وأخبار ردع الفتن الداخلية ، وانتخاب الشبان للتعلم بالخارج .

---

3 . ما تقدم هو من افادة حفيده الحاج العربي بنسعيد

4 . وثائق مختلفة بمحفظتي الحاج محمد وعبد الله بن سعيد بالوثائق الملكية

وكان له خلفاء هم على الترتيب : الحاج عبد الله زنيبر ثم شقيقه عمر بنسعيد وأخيراً الحاج علال الأوديي الذى هو من قصبة الأوداية (5) .

4 — ولما توفي الحاج محمد فى 8 ربيع الثانى 1310/30 اكتوبر 1892 عين ابنه **محمد عبد الله** على المدينة ، وكان قبل ذلك أمينا بمرسى الرباط (6)

واستمر عبد الله عاملا الى أن عين بعد وفاة مولاي الحسن عضوا بدار النيابة السلطانية بطنجة .

وكان الحاج أحمد بن محمد الطالبي خليفة له من 1310 الى 1318 وبعده ولي العربي بن محمد معنينو الى حدود 1322 .

5 — وفى يناير 1906 عين **الحاج الطيب الصبيحي** عاملا على سلا حتى وفاته فى أكتوبر سنة 1914 (7) .

أ — 2 — ولاة الأحــواز

كان قواد القبائل القريبة عديدين فى هاته الفترة فيتعذر الوقوف عليهم بحيث كاد يكون لكل فخدة قائدها فكان قواد السهود وحصين وعامر كثيرين ، فمنهم **أحمد ابن العروسي الهلالي** الذى كان السلطان قد أمر عامله على سلا سنة 1868 بـأن يقف معه ويشد أزره . وكان لا يـزال قائـدا عند ارتقـاء الحسن الأول العرش العلوي (8) .

أخوه **سعيد** ولي مكانه ، فكان عاملا على عامر الحوزية سنة 1888 (9) واستمرت الولاية فى آل ابن العروسي حتى منتصف القرن العشرين .

5 . هاته الافادة من عند الحاج العربي بنسعيد

6 . رسالة عبد الله بنسعيد الى السلطان فى 11 ربيع الثانى 1310/فاتح نونبر 1892 ، محفظة الحاج محمد بنسعيد .

7. لكل من عبد الله بنسعيد والحاج الطيب ترجمة فى «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن علي الدكالي ، تحقيق مصطفى بوشعراء ، الملحق الاول ص 148 و 175

8 . رسالة السلطان الى الحاج محمد بنسعيد فى فاتح رجب 1285/18 أكتوبر [illegible] . وبيعة أهل سلا وقبائل حوزها ، فى «الوثـائـق» ج 3 ص 124

9 . رسالـة سعيد ابن العروسي الى الطريس فى 13 رجب 1305/26 مـارس 1888 . محفظـة الطـريس 14

ومن قواد عامر أذكر أيضا **عبد الرحمان بن المعطي الهلالي العمري** الذى كان واليا سنة 1856 واستمر الى ما بعد 1873 فى عمله هذا (10) ، **ومحمد بن العياشي بورزامة العمري** الذى ولي على اخوانه ، وهو من المتأخرين فى التاريخ عن الباقين .

• • •

المطلب الثانـي : مدينـة الربـاط

أهم عناصر هذا المبحث هي الولاة والسكان والعمران .

أ ـ الـــولاة

انحصرت العمالة على المدينة فى آل السويسي من أواخـر القـرن الثامن عشر (الحاج محمد بن ابراهيم السويسي كان عام 1205/1789 عاملا) الى صدر القرن العشرين ، بيد أن حكمهم كان يتخلله تعيين ولاة آخرين غير السويسيين كما سيأتي :

1 ـ **الغازي السكيري الحسناوي** كان سنة 1221/1801 قائدا على الرباط (11) .

2 ـ **الحاج عبد الرحمان أشعاش التطواني** كان سنة 1226/1811 أمينا بمرسى الرباط ثم أسندت اليه الولاية على تامسنا والرباط سنة 1813 ، حتى قام عليه أهل المدينة سنة 1815 فعزل عن منصبه ، إذ نجده بعد عدة سنوات ، وخصوصا سنة 1823 ، يعمل فى سلك الأمناء بطنجة (12) .

---

10 . رسالته الى بركاش فى 10 رجب 1283/18 نونبر 1866 ثم رسالة الحاج محمد بنسعيد الى بركاش فى 23 ربيع الثاني 1289/30 يونيو 1872 . محفظة بركاش .

11 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 84

12 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 25 و 30 و 37 و 61 و 103 والمجلد الثالث . القسم الثاني من ص 246 الى 248 ، و «تاريخ الدولة السعيدة» لمحمد الضعيف ج 3 ص 255 و 282 (مصور الخزانة العلمية الصبيحية بسلا) .

3 — **العربي بن بـلال** عين سنة 1231/1815 عاملا على الرباط خلفا عنه وكان سنة 1233/1817 لا يزال عاملا (13)

4 — **الحاج محمد بن الحاج محمد ابن ابراهيم السويسي** كان عاملا على المدينة ، غير أنه يصعب ضبط تاريخ تعيينه ، والشيء الثابت أنه كان سنة 1240/1824 ناظرا على أحباس الرباط (14) .

5 — **الحـاج محمد بن الحاج محمد ابن الحاج محمد** (بالتثليث في المحمدين) **السويسي** (الحفيد) استعمل على المدينة مـدة طويلة الى سنة 1844 (15) ، بين فترتين عصيبتين تبدآن بتمرد الرباطيين على أشعـاش ، وتنتهيان بعصيانهم لعاملهم السويسي .

6 — إذ ثار أهل المدينة على الحاج محمد السويسي (الحفيد) واختار أعيانهم **الحاج محمد بن الطاهر الزبيدي** (أو الزبدي) عاملا عليهم ، واستمرت هاته الحالة بضعة أشهر من سنة 1261/1845 .

وكان سبب تمرد السكان على السويسي أنهم سئموا ملكته ومرضوا في طاعته لأسباب تعدها الرعية على العمال ، وقد دفعهم الى ذلك أيضا ماكان من جفاء بين السويسي والزبدي المذكورين . لأن الأول رد شفاعة الثاني في بعض أهل البلد حسبما قيل . فجمع الأخير منهما طائفة من أهل المدينة ممن

---

13 . المرجع الأخير وكذلك كناشة احمد الجريري بالخزانة المذكورة حيث يوجد نصان منتسخان من رسالتين سلطانيتين الى العربي بن بـلال عامل الربـاط سنة 1232 .

14 . ذكر عبد الله السويسي في كتابه «تاريخ رباط الفتح» ص 200 ان الحاج محمد ولي سنة 1812 ، الشيء الذي يتناقض مع ما ذكره محمد بن عبد السلام الضعيف في تاريخه عن تعيين العربي بن بلال عاملا سنة 1815 ومع ماورد في الهامشة الأخيرة . على أن المصادر تضطرب في شأن السويسي هذا وتخلط بينه وبين ابنه المسمى مثله الحـاج محمد .

15 . السويسي : «تاريخ . . .» ص 200 ، وابن زيـدان : «الاتحـاف» ج 5 ص 135 ، وتاريخ الضعيف ج 3 ص 218 ، ومحمد داود : «تاريـخ تطـوان» ج 8 ص 103 و 282 ، ونلفت الانتباه الى الاحتراز الذى أبديته أعلاه حول الخلط بين الحـاج محمد (الحفيد) وبين الحـاج محمد (الابـن) .

كان يعلم انحرافهم على العامل وأطعمهم وأطلعهم على خَبِيئة صدره ، فتحالفوا ومشوا الى دار السويسي ، وتقدموا اليه فى أن يلزم بيته ، وأجمع رأيهم على تقديم الزبدي مكانه .

فاتصل الخبر بمولاي عبد الرحمان وهو بفاس فقام وقعد ، وأرسل **الطيب الوديني البخاري** متوليا عليهم فطردوه ، وتظاهر السلطان بقبول الأمر الواقع ، وبعد ستة أشهر قبض على الزبدي ، ثم سرحه بعد حين (16) .

7 – الأمين **الحاج عبد اللطيف فـرج** ولي سنة 1845 من بعده (17) وظل كذلك الى سنة 1850 أو بعدها بقليل (18) .

8 – وآل الأمر بعده الى **عبد السلام بن الحاج محمد** (الحفيد) **السويسي** الذى اضطلع بالولاية على الرباط ثم على الدار البيضاء عـدة سنوات (19) والذى أوفده السلطان سفيرا الى اسبانيا فى قضايا الجنوب سنة 1877 .

9 – حوالي 1885 مات عبد السلام فنهض بالشؤون المحلية شقيقه **محمد** (20) وأضيفت اليه الولاية على الأحواز ، مثل صخيرات القرنفل .

ومما يذكر أن هذين العاملين الأخيرين كانا أحيانا على خلاف شديد مع قناصل بعض الدول وفق ما سيأتي فى محله .

وفي هذا الصدد نشير الى أن ممثل ايطاليا بطنجة ستيفانو سكوفاصو كان يعيب على عبد السلام سياسته إزاء المحميين من اليهود والمسلمين .

---

16 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 54

17 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 59

18 . كايي فى «شارل ياجرشميد ...» ص 58 يتحدث عن الحاج عبد اللطيف عاملا للرباط سنة 1850 ، ونظنه الأمين عبد اللطيف فرج المذكور اذ كانت العادة تولية بعض الأمناء عمالة المدن مؤقتاً .

19 . رسالة أميني الدار البيضاء أحمد الركراكي وعبد الكريم أبن زاكور ألى الحاج محمد بن المدني بنيس فى 6 رجب 14/1283 نونبر 1866 ، محفظة الدار البيضاء 1 . ولم نقف على بداية تعيين عبد السلام على المدينة ، ولربما كانت قبل سنة 1866 بكثير ، أي بعد سنة 1850 .

20 . عبد الله السويسي : «تاريخ رباط الفتح» ص 206

ومن ذلك أنه كتب الى بركاش سنة 1872 رسالة يتهم العامل باجبار اليهود فى يوم سبتهم بقصد استخدامهم «فى تمليح رؤوس مقطوعة من بني موسى عدتهم ثمانية وأربعون رأسا ، بالعنف والضرب . . .» وبالزام «شيخ اليهود دفع خمسة وستون (= ستين) أوقية ، الواجبة فى الصائر عليها من صندوق الضعفاء منهم ، وكل ما كان على هؤلاء من الجبر والخسارة والظلم تجده باذن من هذه (= هذا) المتولي ، وهذه القساوة وقلة الشفقة ــ التى ظهرت منه فى جنب هؤلاء الضعفاء اليهود من غير حق ــ ينقض بهما ما كان أسسه الجانب الشريف بالظهير المنيف من الايصاء على كافة يهود هاته الايالة بواسطة سنيور مونطي فيوري . . .

«ونحن لا غرض لنا فى هتك الحجاب الذى يستر الولاة . . . لكن من اللازم علينا ــ وهــو من وظيفنا ، وأنا نائب دولــة معتبرة ، يجب علينا ــ الاسترعاء على هذه القساوة والظلم ومخالفة الأوامر الشريفة ، وبالمخالفة تظلّم يهود هذه الايالة .

«وما دامت الدولة الشريفة موافقة على عدم ظلم طائفة معيّنة . . . ، كن مطمئن البال ، أيها الوزير السيد ، من جانب ايطاليا وغيرها من الأجناس أن لا يكون لليهود أحد منهم ما دام الحق» (21) .

وسواء تزيد النائب الايطالي فى كلامه أو تحرى الصواب ، فقد كانت معايب أخــرى تعزى الى عبد السلام ، ويستفاد من تصفح «تقييد الدعاوي الكائنة بين الليكاسيون الطالياني والمخزن الشريف التى لم يقع فيها فصال حتى الآن (22) » أن عبد السلام قبض على أحمد ابن زويد سمسار دار موشي ناهون الطنجي وسجنه مدة تزيد على السنة وأنه أمر بالقبض على رجل فى

---

21 . رسالة سكوفاصو الى بركاش فى 16 دجنبر 15/1872 شوال 1289 ، محفظة بركاش

22 . التقييد خال من التاريخ الذى قد يكون ما بعد 1870 ، محفظة المغرب ايطاليــا ، وما جاء أعلاه ورد فى النقطتين 5 و 11 منه .

خدمة مَحمد الدكالي وهجم على غرسته من غير أن يعلم القنصل . ومن أجل ذلك طالب سكوڤاصو في تقييده بعزل السويسي أو نقله لايالة أخرى .

ومما لا شك فيه أن خصوم عبد السلام كانوا كثيرين ، فقد استقدم سنة 1883/1300 الى طنجة لمقابلتهم هناك ، وقد كانت لايطاليا مطالب عديدة لاقى المخزن عناءاً شديدا في علاجها ، وكان بعضها راجعا للديون وبعضها الآخر يتعلق بدعاوي النهب ، وقد هدد سكوڤاصو باستجلاب الأسطول البحري الايطالي لاستيفاء الباطل والصحيح من هاته الدعاوي (23) .

ولئن كان في سكوڤاصو إفراط ومبالغة فلا ينبغي أخذ كلامه ودفاعه عن المحميين الا بشيء من الحذر ، على أن سياسة السويسي كانت توحي بجواز صدور شطط منه وحيف . وتلك هي النغمة التي رددها قناصل آخرون مثل أنطوان دوكور الفرنسي وابن عطار نائب قنصل الولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه أن السويسي قد أسرف على نفسه وعلى الناس .

ولم تكن سياسة أخيه محمد تخلو من مآخذ ، فهذا كانطاغالي السفير الايطالي المعتدل يتهمه بـ «سوء نية نحو الطاليانيين والتعكيس» (24) في التجارة معهم وذلك سنة 1890 ، وحتى سنة 1894 كانت التهمة هي نفس التهمة من جانب النائب الايطالي (25) .

* * *

ب ـ العمـــران :

يكاد كل ما هو بين أسوار المدينة الحالية يكون عتيقا أي من باب الأحد (أو الحد) وسيدي مخلوف الى حي العلـو .

---

23 . الرسائل المتبادلة في شأن هاته المطالب بين المخزن وسكوڤاصو غزيرة . وقد اطلعت على أكثر من أربعين منها بمحفظة المغرب ايطاليا وتاريخها يبتدىء من ماي 1882 الى غشت 1886 .

24 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 29 يناير 1890 . المحفظة نفسها

25 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 12 يناير 1894 . بالمحفظة المذكورة

قصبة شالة قديمة الوجود وكانت عامرة حتى فى عصر مولاي إسماعيل وقاعة الأوداية أحدثت فى العهد الموحدي (26) ومن أقـدم الأحياء : العـلو وبوقرون والكزاء واللوبيرة (أو الأوبيرا) وسيدي فاتح ووقاصة والمـلاح القريب من هذا الحي الأخير .

المدينة خلاف غيرها من المدن الحضرية وهى مبنية على نمط عصري ، شوارعها متسعة وأزقتها ودروبها شبه فسيحة .

وكانت مرسى العدوتين نشيطة فى المبادلات ، ولولا أن الحاجز الرملي كان مانعا لدخول السفن الكبيرة خشية التحريث والجنوح لكان للميناء شأن كبير . وبتدبر حالته التجارية بين 1853 و 1875 يتضح أن حصيلة رواجه قامت على غلبة الجلب على الوسق ، وأن التصدير قلما يفوق الاستيراد ، طبق ما سيرد فى هذا الجدول (27) .

---

26 . محمد بن علي الدكالي : «الاتحاف الوجيز» ص 71 و 77 ، تحقيق مصطفى بوشعراء

27 . جان لوي مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 227 و 280 ، وقد أصلحت الأرقام التى بين هلالين حتى تستقيم عمليات الجمع فى الجدول الموالي .

تجـارة الربـاط بين 1853 و 1875

(بآلاف الفرنكـات)

السنـوات	الاستيـراد	التصديـر	المجمـوع
1853	845	650	1495
1854	463	755	1218
1855	1549	929	2479
1856	2167	997	3164
1857	2294	1863	4158
1858	1196	587	1784
1859	590	492	1072
1860	862	1533	2395
1861	2650	1615	4265
1862	2915	1237	(4153)
1863	2918	1885	4804
1864	1823	1830	3654
1865	1430	1166	2597
1866	1202	1329	2531
1867	698	962	(1660)
1868	798	774	1572
1869	869	670	1539
1870	604	1258	1862
1871	884	1006	1890
1872	1339	997	2336
1873	1614	951	2565
1874	1894	1096	(2991)
1875	2110	1467	3578

ت ـ السكـــان :

الفقرات الموالية ستتناول هذا الموضوع من عدة جوانب : تطــور الأعداد ، وهجرة الجوار الى الثغور ، وتلميح الى العلاقات بين أهل العدوتين ، ونظرة الرباطي الى غيره والى نفسه ، وسيكون الختام بجدولي السماسرة والمحميين ، ثم بجــرد استقصائي للأسر الرباطية المستوطنة والمتأصلة ، قديمـــا وحديثـــا .

ت 1 ـ الأعـــداد :

تراوحت أرقام أهل الرباط فى القرن التاسع عشر بين 22 ألفا سنة 1834 ـ 1836 و 25 ألفا سنة 1856 و 26 ألفا سنة 1866 و 25 ألفا سنة 1900 حسب ما جاء فى المصادر الحديثة (28) ، لكن ثمة من يذهب الى 18 ألفا و 27 ألفا و 40 ألفا متدرجة من الثلث الأول من القرن الماضي الى أواخره . على أن مجموع سكان العدوتين سنة 1855 كان يقارب الخمسين ألفا منهم 5 أو 6 آلاف من اليهود ، ولربما بلغ عدد هؤلاء في الثلث الثاني من نفس الفترة 7 آلاف (29). هاته الأرقام لا تعدو أن تكون مجرد تقديرات قد لا تبعد عن الواقع بعدا كثيرا ، وهى تدل مع ذلك على استقرار فى عدد السكان بهاته المدينة الرباطية أثناء المدة المقصودة .

أما الأجانب فكانت جواليهم نَزْرة فى العقود الأخيرة من القــرن الماضي ، فالكاثوليكيون (من فرنسيين وايطاليين واسبانيين وبرتغاليين) لم يزد تعدادهم من 1876 الى 1895 على ما فوق الخمسين وما دون العشرين فردا ، بينما البروتستانتيون (ولاسيما البريطانيون) لم يتعدوا بين 1864 و 1869 عشرين شخصا (30) ، وقد تكاثروا فى مطلع القرن العشرين .

---

28 . كينيث براون : «أهــل ســلا» ص 48

29 . جان لوي مييج : «المغــرب وأوروبــا» ج 2 ص 176 ـ 177 و ج 3 ص 15 و 20 و 101 و ج 4 ص 497

30 . المرجــع الاخير ج 5 ص 70

ت 2 ـ الهجـرة الى الثغـور :

شهدت كثير من الحواضر نزوح أعداد وفيرة من القرويين طلبا للعمل واستقرار أسر كاملة بمدن هي غير مساقط رؤوسها من أجل التجارة أو غيرها.

وقد سجلت بالرباط أضعف نسبة معروفة في القرن الماضي اذا قورنت بما حدث في غير هاته المدينة ، فقد تزايد سكان الثغور بين 1832 و 1866 كما يلي : 18 ٪ في الرباط و 25 ٪ بتطوان و 33 ٪ بآسفي و 50 ٪ بالعرائش و 60 ٪ بطنجة والصويرة و 400 ٪ بالجديدة و 700 ٪ بالدار البيضاء (31) . وهذا ما يفسر نوعا ما استقراراً في سكان الرباط حسبما تقدم شرحه أعلاه ، وهو ما يدعو الى افتراض انغلاق المجتمع الرباطي مقارنا من جهة أولى مع غيره ، وانفتاحه اذا ما قوبل بالمجتمع السلاوي المحافظ من جهة أخرى .

وهذا كله لا يمنع حركات النزوح من النواحي والأحواز من البروز بحيث كانت هذه الهجرة ـ ولو أنها ضعيفة ـ سببا في تضييق المعيشة على أهل الرباط الأولين .

وفي سنة 1839 كان الرباطيون يميزون أنفسهم عن البرانيين (32) ويدعونهم بالآفاقيين أو بالمستوطنين الطارئين ، وهي ظاهرة عرفت في الواقع بمدن أخرى من الحواضر التقليدية .

ت 3 : الخـلاف بين أهـل العدوتين

وحتى مع المدينة الجـارة السلاوية كان تنافس وخصـام . وكان السلاويون مثلا ينظرون الى بعض أهل الرباط على أنهم مبتدعون ، بل كانوا يرون في سلوك أفراد منهم ميوعة أو ما يشبهها ، وكان التراشق بالألفاظ محتدا وجاريا بين أهل العدوتين منذ إمارة محمد العياشي .

---

31 . المصـدر نفسه ، ج 3 ص 23

32 . أيضـاً ج 3 ص 22

ويبدو أن تلك النعرات كانت مستحكمة بين الطرفين حتى أواخر القرن الماضي وأواسطه ، إذ في سنة 1873 كانت وقعة بين أهل العدوتين أثناء عيطة بنيس أو فتنة المكوس .

ت 4 ــ **الفــروق بين الرباطــي والبرانــي**

ومهما يكن ونحن نتحدث عن الماضي الغابر فقد كان بالرباط طائفة من أهل الورع والفضل والعلم مثلما عاش بهاته المدينة أفراد من ذوي العواطف الرقيقة والمشاعر المهذبة ، وكانت الربــاط الى هذا وذاك مدينة الحــرف المزدهرة كالتجارة والصناعة والفنون .

وقد تكون الشعارات الوجيزة التى سأقدمها مؤشرات لاظهــار تلك الفروق والموافقات داخل المجتمع الرباطي نفسه من خلال النشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية ، وها هي نصوصها ومعانيها (33) :

I ــ «**وردة وسوسانــة**» عنوان سكان حي العلو واللوبيرة ، لاسرافهم فى طلب اللذة واللهو والزينة .

2 ــ «**بدعية ومكانــة**» لأهل سيدي فاتح حتى درب اكناوة ، فقد كانوا صناعا أو فقهاء من أهل التقوى والديانة ، يترقبون حلول وقت الصلاة ، مستشيرين من أجل ذلك ساعاتهم الصدرية .

3 ــ «**خبّاطة وبطانــة**» شعار أهل قصبة الأوداية من أهل الصناعات النسيجية ، فقد كانوا يذهبون بالبطانات والخبّاطات الى جنب البحر لغسل الأصواف التى صنعوا منها أمتعتهم وزرابيهم المشهورة بالرباطية ، ولو أن أصلها سلاوي ، لأن معنى «سلا» فى القديم : الرباط (سلا الحديثة) وســلا (المدينة المعروفة) معــاً .

---

33 . الافــادة هاته من الصديق الحاج محمد الأمين ابن الجناوي الرباطي

4 ـ «**كرشـة ومصرانـة**» علامة سكان السويقة من الطبقات الشعبية الفقيرة التى كانت تتجر فى بيع الأكارع والأسقاط أو تقتات بها لضيق ذات اليد أو تعمل ذلك جميعا .

ومن أهل الرباط فئات أصيلة متحضرة وأخرى دخيلة بدوية ومتحضرة معا وردت من أنحاء مختلفة ، وستأتي أسماؤها فى الختام . وكان منها النزور والنثور ، والمندثر والمستمر حتى منتصف القرن العشرين وكلهم من المسلمين.

أما يهود الرباط فلا سبيل لذكرهم طالما ظل مجتمعهم منغلقا من جهة أولى ، وما دامت المصادر المغربية القديمة صامتة عنهم من جهة ثانية ، ثم لا طاقة لتمييزهم عن غيرهم من يهود المدن الأخرى بألقابهم وكناهم الخاصة .

وستأتي تباعا فى الفصول الموالية أسمـاء بعض المستوطنين مـن الأجانب الذين كان على رأسهم وكلاء وقناصل جعلوا مقارهم بين حي العلو والملاح فى مكان يعرف حتى الآن بزنقة القناصل ، وقد مثلوا عدداً من الدول ، وجعلوا لهم محميين وسماسرة سيأتي ذكرهم وقبله أعدادهم التى كانت 63 للأولين و 34 للثانين وجميعهم 97 حسبما فى الجدولين المواليين وهم من أهل الرباط وأحوازه ما بين مكرر وغير مكرر .

الملحق الأول : السماسرة والمحميون 1863 ـ 1900

1 ـ المحميون :

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
ألمانيا	—	5	5
أمريكا	5	3	8
انجلترا	—	4	4
اسبانيا	2	5	7
ايطاليا	2	4	6
البرتغال	10	—	10
البرازيل	7	—	7
بلجيكا	1	1	2
النمسا	2	—	2
فرنسا	3	9	12
المجاميع	32	31	63

2 ـ السماسرة :

الدول	اليهود	المسلمون	الجميع
انجلترا	3	5	8
اسبانيا	—	2	2
ايطاليا	2	3	5
البرتغال	1	—	—
النمسا	1	1	—
فرنسا	1	15	16
المجاميع	8	26	34

الملحـــق الثـانـي

الأســر الرباطيــة

هذا جرد يكاد يكون كاملا لأسماء أهل الرباط ، لا أعني به أولية ولا أولوية ولا حطا من مقام ولا رفعا من شأن بقدر ما أقصد به إثباتا لحقيقة تاريخية قديمة وحسبي به استقصاء استئناسياً للذين عاشوا بالرباط قبل منتصف القرن العشرين . ومنهم أسر مشتركة بين العدوتين ، وقد رتبت ذلك حسب قواعد الألفبائية المغربية ولم اكتبها حسب النطق ولكن بمقتضى قواعد النحو العربــي .

* 1 الأبيض 2 الادريسي 3 الأزرق 4 أزطوط 5 الأزموري 6 أطوبي 7 الامراني 8 الاسماعيلي 9 الأوديـي 10 الأوراوي 11 الأيســر

* 12 باحـــو 13 البحراوي 14 البختات 15 البخاري 16 بَخّوت 17 البدراوي 18 بــرّا 19 بَرّادو 20 بَرْبيش 21 بركاش 22 البرنوسي 23 بــرق الليل 24 برقــوق 25 البريبري 26 البريجي 27 بريطل 28 البزيوي 29 البطاوري 30 البلغيثي 31 بلافريج 32 پَلامينو 33 بَلامْبو 34 البليدي 35 بَاليسْيــو 36 بناني 37 بنونة 38 البَنيوْري 39 الباعودي 40 بَنْعيز 41 بِيسير 42 الباشــا 43 البوقــي 44 بَايْنة 45 پيريز 46 پيــرو 47 ابّيزار 48 البيضاوي 49 بوتهيرة 50 بوجمعة 51 بوجندار 52 بوجيدة 53 بوحـدّو 54 أبّاخـاي 55 البودلالي 56 بودهير 57 بورْقية 58 بوطالب 59 البوكيلي 60 بولعمان 61 بومهاود 62 بونو 63 بوعلام 64 بوعلاّكة 65 أبو العيد 66 البوعزاوي 67 بوعنان 68 أبو القاسم 69 بوسلهام 70 أبو الشكاوي 71 بوهْلال 72 بوهادي

* 73 ابن ابراهيم 74 ابن الأحسن 75 ابن ادريس 76 ابن اسماعيل 77 ابن بَرْكَــة 78 ابن بنعيسى 79 ابن بوعَزّة 80 ابن بوشعيب 81 ابن التهامــي

82 ابن جلّون 83 ابن جامع 84 ابن الكْناوي 85 ابن الجيلالي 86 ابن الحَسَن 87 ابن الحُسين 88 ابن الحُسْني 89 ابن الحاج 90 ابن الحوْضي 91 ابن الخَضِر 92 ابن خرْابة 93 ابن داود 94 ابن دورو 95 ابن ذراعو 96ابن راجَع 97 ابن رمضان 98 ابن الراضي 99 ابن رْشيق 100 ابن ريسون 101 ابن الروايـن 102 ابن زْوِيّد 103 ابن الطاهر 104 ابن طوجة 105 ابن الكورة 106 ابن الكاهية 107 ابن كيران 108 ابن المبارك 109 ابن محرز 110 ابن المختار 111 ابن المكي 112 ابن المليح 113 ابن المامون 114 ابن منصور 115 ابن مسعود 116 ابن المعطي 117 ابن موسى 118 ابن المهيدي 119 ابن عبد الخالق 120 ابن عبو 121 ابن عبد الله 122 ابن عبد السلام 123 ابن العباس 124 ابن عثمان 125 ابن عدْادة 126 ابن العرْبي 127 ابن العرَبي 128 ابن عرفة 129 ابن عزوز 130 ابن علي 131 ابن عمر 132 ابن عمرو 133 ابن عامر 134 ابن عسيلة 135 ابن عويش 136 ابن العياشي 137 ابن العيساوي 138 ابن الغازي 139 ابن فارس 140 ابن الفقيه 141 ابن قدور 142 ابن سْلامة 143 ابن سَعود 144 ابن سعيد 145 ابن السايح 146 ابن الشرقي 147 ابن شقرون 148 ابن هشام 149 ابن الهاشمي 150 ابن اليزيد 151 ابن اليمني 152 ابن يعكوب 153 ابن يعيش 154 ابن يَشُّو 155 ابن يوسف

* 156 التباع 157 التيجاني 158 التادلي 159 التريكي 160 التازي 161 التطواني 162 التوروكي 163 تكيطو 164 التلمساني 165 تمورتو 166 التغيري 167 التومي 168 التونسي 169 التواتي

* 170 الجبّاري 171 جَبرو 172 الجبلي 173 الجديدي 174 كديرة 175 الجغيدري 176 الجراري 177 جوريو 178 الجزولي 179 كازوليت 180 كلزيم 181 الجامعي 182 الكندوز 183 جنيّح 184 الجعيدي 185 كسوس

* 186 الحاجي 187 الحجوي 188 الحجمْري 189 الحداد 190 حرّاثة 191 الحريزي 192 الحريشي 193 حكَم 194 الحكماوي 195 الحلو 196 الحليوي 197 الحمدوشي 198 الحمين 199 الحموني 200 الحنصالي 201 الحافي 202 الحفيان 203 الحسّاني 204 حساين

* 205 الخـدّاوي 206 خَطْبوط 207 خالَص 208 الخلطـي 209 خَلَوق 210 خَشّان 211 الخياط

* 212 الدبّي 213 الدخيسي 214 الدّريبْكي 215 الدراوي 216 الدكّ 217 الدكالـي 218 دينيـة 219 دَعْنون 220 الدغمـي 221 الداغري 222 الدغيمَر 223 الدقاق 224 الداودي 225 الديوري 226 دِيَاس

* 227 الرّكراكي 228 الرّكاني 229 الرحّالي 230 رودِيَاس 231 الرونـدة 232 الرينكة 233 الرطـل 234 الرغاي 235 الرفاعي 236 الريـح 237 الريـش 238 رُوّان 239 الراشـدي 240 الرواس 241 الرايـس 242 الرايسـي 243 الريسوني 244 الروداني 245 الرويجل

* 246 الزبدي 247 الزراري 248 الزرهوني 249الزّط 250 الزكي 251 زكيك 252 زنيبر 253 الزناتي 254 الزنايدي 255 الزعيمي 256 الزواغي 257 الـزو 258 الزياتي 259 الزيادي 260 الزيانـي

* 261 طاجين 262 الطرابلسي 263 الطـراري 264 طريدانو 265 الطيماح 266 طيفـور

* 267 كرّاكشو 268 كريّم 269 كريسْپو 270 الكْراري 271 كيليطو 272 الكّمْرا 273 كنطزون 274 كريلاّن 275 الكيحل

* 276 اللوباريس 277 اللحكـي 278 اللحيانـي 279 لَزَارو 280 اللوشـي 281 لاميـرو

* 282 المباركي 283 مبيركو 284 متجينوش 285 المجذوبي 286 المحرزي 287 المدَوّر 288 مدّون 289 المذكوري 290 مرسيل 291 المراكشي 292 المريني 293 المزابي 394 المطاعي 295 المكناسي 296 مكوار 297 المكينسي 298 مُلين 299 المنصوري 300 المصباحي 301 المعداني 302 المعروفي 303 المعموري 304 المغراوي 305 المستغانمي 306 المستيري 307 المسفيوي 308 المسناوي 309 مورينو 310 مولاطو 311 المواق 312 الموذن 313 المهيدري 314 الميساوي 315 مـراس

* 316 الناصري 317 النصيري

* 318 الضباحي 319 الصحراوي 320 الصروخ 321 صنشدال 322 الصنهاجي 323 الصويري 324 صيرون 325 ضاكة

* 326 العبريدي 327 عبدون 328 العتابي 329 العدلاني 330 العذراوي 331 العطار 332 العظمة 333 العكاري 334 العلمي 335 العلاهمي 336 العلج 337 العلاوي 338 علْيوة 339 العمري 340 العماري 341 عمران 342 العيماني 343 العيدوني 344 العياشي 345 العوفير 346 العوفي 347 العنقي 348 العايدي 349 العكباني 350 عاشور 351 العوْلة

* 352 الغرفي 353 الغرباوي 354 غارة الله 355 الغريسي 356 غالب 357 غنام 358 غانم 359 غنْفير

* 360 فْرج 361 فرج 362 فرْفْرة 363 فرْشادو 364 الفكاك 365 فلوريش 366 الفلوس 367 الفلات 368 فنجيرو 369 فنيش 370 الفاسي 371 الفيلالي 372 فيلال

* 373 القباج 374 القجيري 375 القادري 376 القرشي 377 القرطبي 378 القرقوري 379 قرْيون 380 قورْية 381 قمامة 382 قمْرادة 383 القصري 384 القاسمي 385 القسطالي 386 القايدي 387 القواقجي

* 388 سبّاطة 389 السباعي 390 السبيّع 391 السحيمي 392 السرايري 393 السلامي 394 السلاوي 395 سْليطن 396 السالمي 397 السمار 398 السفاج 399 السفياني 400 السغروشني 401 السايح 402 الساهلي 403 السهواني 404 السويني 405 السويسي 406 السوسي 407 سيسو

* 408 الشباني 409 الشتوكي 410 الشدادي 411 الشديد 412 الشاذلية 413 الشرقي 414 الشرقاوي 415 شكالانطو 416 الشْلاوي 417 الشلح 418 شنْتياك 419 الشيحاني 420 الشياظمي 421 الشاوي 422 شايب عينو

* 423 الهَرِم 424 الهواري

* 425 والحاج 426 والزهراء 427 وَالعَلْو 428 الوزاع 429 الوزاني 430 الواعدودي 431 الولادي 432 أولاد سيدي الغندور 433 أولاد مولاي ابراهيم

* 434 اليزيدي 435 اليَمني 436 اليعقوبي 437 اليَسْفي 438 يشتو (×)

× . تستدعي هاته الأعلام الملاحظات الآتية :

* من حيث بعض الأسر المشتركة بين العدوتين : 6 ـ 10 ـ 25 ـ 27 ـ 53 ـ 180 ـ 184 ـ 201 ـ 207 ـ 220 ـ 252 ـ 292 ـ 369 ـ 375 ـ 415 ـ 427 .

* من حيث النطق : الكافات أو الجيمات معقودة فى 21 ـ 64 ـ 84 ـ 152 ـ 162 ـ 171 ـ 179 ـ 180 ـ 182 ـ 185 ـ 227 ـ 228 ـ 232 ـ 270 ـ 272 277 ـ 349 ـ 418

الباءات فارسية P تنطق أحيانا فى 31 ـ 32 ـ 45 ـ 46 ـ 269

* من حيث الكتابة بالاحرف اللاتينية : الباء اسبانية (V) فى 21 ـ 35 ـ 44 ويجوز أن تكتب هى وغيرها من الأعلام بنفس الأحرف :

1 Blanco. 19 Parado. 21 Vargas. 31 Palafren. 32 Palomino. 35 Valesio (?) . 44 Vaina/Baena. 45 Perez. 46 Pilo/Pairo. 62 Bono. 163 Chiquito. 165 Chamorro. 218 Denia. 226 Diaz. 230 Rodias. 231 Ronda. 232 Rienga. 238 Roan. 264 Toledano. 267 Carrasco. 269 Crespo. 271 Querido. 272 Camara. 276 Alvarez/Livares. 279 Lazaro. 281 Romero. 287 Almodovar. 290 Marcelo. 298 Molina. 309 Moreno. 310 Mulato. 315 Miras. 321 Sandalio (?). 363 Farchado. 365 Flores 379 Carrion. 380 Coria. 382 Camarada. 388 Zapata. 415 Escalant. 418 Santiago.

2 : المانيا

أ ـ **السلك القنصلي**

ɪ ـ **جون فروسط** الانجليزي ناب سنة 1885 وقبلها قليلا عن مصالح ألمانيا بالرباط (1) .

2 ـ **إيرنيست هانسن** الألماني كان سنة 1890 يمثل بلاده أيضا (80) حتى خلفه :

3 ـ **ه. طونيس** سنة 1901 بهاته المدينة (3)

ب ـ **المحميون القنصليون** :

جاءت أسماؤهم فى اللوائح الألمانية السنوية ابتداءً من سنة 1881 ، وقبل ذلك ورد المحميان الأول والثاني فى القوائم الانجليزية ، لأن انجلترا كانت تتولى المصالح الألمانية .

1 ـ **الحاج بنعيسى بن راجع** : كان ترجمانا ومحميا إنجليزيا بالوكالة القنصلية سنة 1879 ، ولكنه فى القوائم السنوية صار محميا ألمانيا (قوائم 1881 ـ 1892) . وفى سنة 1893 عاد محميا انجليزيا (4) .

---

1 . رسالة فيبير الى الطريس فى 11 ماى 1885 ، محفظة الطريس 5

2 . رسالة هانسن الى غريط فى 15 صفر 30/1308 شتنبر 1890

3 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 171

4 . رسالة سكسو الى السويسي فى 21 دجنبر 1893 ، وقد جعلت بين هلالين تاريخ النوائم .

2 — 5 **المعطي بن مبارك** : عون (1881 — 1892) . وكان من قبل محميا انجليزيا ، كما تقدم عنه وعن من قبله **والحاج الهاشمي الباشا** : ترجمان (1890) **وعمر بن أحمد الزياني** عون (1890 — 1897) **والحاج محمد بن راجع** : ترجمان (1895) .

تـ — السماسرة والمستوطنون :

عاش بالرباط عدد قليل من الألمانيين كان لهم سماسرة خارج الرباط ولا سيما بالدار البيضاء حيث سترد أسماؤهم ، وكان من المستوطنين :

1 — هانسن : E. A. HANSEN

استوطن المغرب سنة 1878 فنزل بالدار البيضاء ثم انتقل الى الرباط سنة 1884 وبقي به حتى سنة 1897 حيث كانت وفاته (5) ، كان له بعض السماسرة من أحواز الدار البيضاء .

واتخذ من أهل الرباط وسلا خلطاء كانت له معاملات معهم ودعاو عليهم ، فقد كان المكي بركاش مدينا له ببعض المال أداه عنه أخواه عبد المجيد والصديق (6) ثم كانت له علاقة مع أحمد الصابونجي السلاوي الذى «اشترى منه 24 ماكينة ، ثمنها 1290 فرنكا بموجب كنطردة فى 2 دجنبر 1890 . لكن الصابونجي لما وجدها فاسدة امتنع من الأداء» (7) .

وقد وقعت له واقعة مع الحاج محمد بن الحاج عمر العوفير الذى كانت له مصارفات أخرى مع بعض التجار الألمانيين ، وتفيد شكاية فى الموضوع أن العوفير صدر منه «السب والشتم المذكور بحق النائب المذكور بكلمات كـ

---

5 . كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 57 (1)

6 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 20 أكتوبر 1893 ، محفظة المغرب ألمانيا

7 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 23 ماى 1892 ، المحافظة نفسها

«شفار وقمار وكذاب وقليل الدين» وراجع ذلك مرارا ، فالشهود الذين كانوا حاضرين وسمعوا هذا الكلام هم : التاجر فيكى وسي حفيظ الكتاني وسي محمد كَرَّكْشْ' بالرباط» (8) .

أما الأمناء بالرباط فكانوا ينعتونه بأنه كان «كثير الصياح المفرط» (9) ، كما أنهم حجزوا له «مدة عامين مكحلة صيد ذات عمارتين كانتا وردت له». لكن السلطان أمرهم بتسريحها له (10) .

2 ـ هينريخ طونيس H. TONNIES

كان وكيلا قنصليا كما تقدم ، وكانت له معاملات مع المغاربة ودعاو على بعض السلاويين مثل ادريس حصار وأخيه بنعاشر اللذين سجنهما أحمد الطالبي خليفة عامل سلا سنة 1901 من أجل الوفاء بدينهما (11) .

وختاما كان لدار سونينكالب SONNENKALB الألمانية من مدينة ليبسيك وكلاء بالرباط سنة 1894 ، كان منهم بنعبو بن زاكين وشركاؤه (12).

---

8 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 28 شتنبر 1892 ، المحفظة المذكورة

9 . رسالة الأمينين : الصديق بركاش وعبد السلام بن يحيى الى الطريس فى 20 شوال 30/1305 يونيو 1888 ، محفظة الطريس 13

10 . رسالة السلطان الى الطريس فى 2 جمادى الاولى 4/1300 دجنبر 1881 ، محفظة الطريس 21 .

11 . رسالة طونيس الى المهدي المنبهي فى 6 حجة 27/1318 مارس 1901 ، محفظة المغرب ألمانيا

12 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 7 يبراير 1894 . بالمحفظة نفسها

3 : الولايات المتحدة الامريكية

أ ـ **السلـك القنصلـي :**

1 ـ **موشي كيروب** كان سنة 1864 وكيلا قنصليا (1) .

2 ـ وبعد سنوات خلفه **موشي ابن عطار** حتى سنة 1881 حين توفي (2)

3 ـ ثم تولى هذا المنصب شقيقه **حايم بن رفائيل ابن عطار** (3)

4 ـ وفي سنة 1891 كان **هنسن** القنصل الألماني مكلفا بالمصالح الأمريكية (4) **مدة قصيرة :**

5 ـ **لأن يعقوب بن رفائيل ابن عطار** المحمي أو المجنس البرازيلي تولاها سنة 1894 **أو قبلها بقليل** (5) .

ب ـ **السمـاسـرة :**

سترد أسماء الكثير منهم بالدار البيضاء لأنهم من أحوازها ولأن الوثائق الأمريكية لا تميز بين عنوان التاجر وعنوان السمسار ، وسندرج هنا واحدا نظنه من يهود الرباط هو يعيش بن سعود الذى لم يعرف تاجره (6) .

---

1 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش فى 3 شعبان 1280/13 يناير 1864 ، محفظة بركاش

2 . رسالة ماثيوز الى بركاش فى 13 رجب 1298/11 يونيو 1881 ، بالمحفظة نفسها .

3 . الرسالة نفسها

4 . رسالة باركلي الى الطريس فى 2 ماى 1892 ، نفس المحفظة

5 . الرسالة الأخيرة نفسها

6 . من الوثيقتين الأمريكيتين 59/69 و 60/69

ت ـ المحميـــون :

ت 1 ـ من وثيقـة 60/69 الغفـل :

1 ـ 2 ـ **أبو بكر بن علي حكَم** : عون سنة 1892 **وشمويل ابن الصائغ** تاجـر محمـي .

ت 2 ـ منها ومن 59/69 معـا :

3 ـ **شلومو بن سعيد** : وكان سنة 1883 ترجمانا

ت 3 ـ منهما معا ومن 7/69 الغفل ومن 22/69 (سنة 1888) :

4 ـ **حاييم بن رفائيل ابن عطار** : كان محميا منذ سنة 1880 ووكيلا قنصليا ، وسنعود اليه .

ت 4 ـ من غيـر ذلـك :

5 ـ **موشي كيروب** وتقدم أنه كان محميا سنة 1864

6 ـ **أحمد الدكالي** : وكان من أول التجار المحميين (7)

7 ـ 8 ـ **يوسف ابن الصائغ** صار سنة 1892 ترجمانا للوكالة **ومحمد بن يحيى الشاوي** وكان كاتبا فى السنة نفسها (8) . وقد وصفه ماثيوز بأنه «رجل مسكين ، وصاحب جد ، لمْ فيه فجور ، يعرفه الخاص والعام ، وساكن بأولاده بالرباط هذه مدة طاولة . . .» (9) .

---

7 . مييج : «المغـرب وأوروبـا» ج 2 ص 277 (2)

8 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 27 شوال 25/1309 ماى 1892 ، محفظة المغرب أمريكـا ، وقد ورد فيها ذكر هذين المحميين زيادة على المحمي الأول .

9 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 18 ربيع الثانى 9/1310 نونبر 1892 ، بالمحفظة نفسها

ث ـ المستوطنــون وأســرة ابن عطــار :

لم يرد شيء عن الأمريكيين . إلا أن زمرة من المحميين كانوا يتولون التجارة نيابة عن بعض التجار الأمريكيين ، ومنهم كانت أسرة ابن عطار مثل يعقوب ورفائيل .

أما حاييم فقد كان محميا استثنائيا ونائبا قنصليا ، وكانت السلطات المحلية تتضجر ممن كان يتولى القنصلية من أهل ابن عطار ومن حمايته لأهل سوس الرحويين الذين «تفاحش أمرهم في السرقة فيما يطحنونه للناس ، وبعض الناس لا يتوصلون للطحين إلا بالزيادة على السعر زيادة على السرقة ، وكذلك البقالة يسرقون في الميزان مع فساد السعر . . . وكثير منهم يتعلق بالقونص ابن عطار ويتعرض عليهم ، ومن جملتهم ابراهيم بن علي المَنوزي وإخوان له كل واحد منهم برحى . . . والكل من ابن عطار ... فقد أفسد ملاح اليهود ، والآن يفسد الرعات . . .» (10) .

وكان العامل عبد السلام السويسي صارما يقيم الحدود ، ولم يكن ذلك ليعجب حييم فتشكى منه فأجاب السويسي «أن ما تشكى منه ابن عطار من عدم جوابي لكتابه لم يصدق في ذلك ... وأما اليهود الصيارفة فلم يظلم أحد منهم ، وكنت قد كتبت لك بأنهم يسرقون للأعـراب من الفلـوس وقت الصرف ، ونهيتهم عن ذلك فلم ينتهوا ، فضربت واحدا منهم نحو العشرين ضربة وسجنتهم مدة قريبة وسرحتهم قبل وصول جوابك .

«وأما محمد الرحوي الموصى عليه ... فلم يصله أحد بسوء ، مع أنه يتعرض للمخزن على أهل سوس ، ويعضده في ذلك القونص ابن عطار وترجمانه شميل بن سعيد ... ومن الآن قد ضقت ذرعـا من هذا الأمـر ، وظهرلي أن نكف يدي عن التصرف حتى يظهر وجه الأمر . فان ابن عطـار

---

10 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 5 صفر 1298/7 يناير 1881 ، محفظة بركاش

يتعرض فى أمور لا مدخل له فيها ، من جملتها هذه الدعاوي ، وليس أحد منهم فى الحماية ومع ذلك رجعت الكرّة علينا . إنا لله وانا اليه راجعون ...» (11).

وكان الوكيل القنصلي يتواطؤ مع أهل سوس على إهانة أمين حرفة الطاحونيين الذين ذكر عامل الرباط أنهم كانوا يسرقون الدقيق عند طحنه ، ويعزو ذلك الى تحريض القنصل ويؤكد أنه «إنما هو من خوض ابن عطار وترجمانه .... وهذا القونص ابن عطار غشوم فى أمور الخدمة وليس بمليح فى طبعه ، ويغريه على الجدال والخصام الترجمان ، فان زمامه بيده من قديم ، فان عليه قضايا متعددة حين كان مع أخيه ولا زال يخوض ويطلق لسانه فى السوق بما لا يصلح ...» (12) .

ولم يرد تاريخ انتهائه من الولاية القنصلية ، لكن حاييم كان لا يزال وكيلا قنصليا فى 21 يونيو 1887 فى عهد ريدلويس (13) .

ولم ينجح بنو عطار فى استدراج المغاربة الى الحماية الأمريكية ، ولذلك ظلت الولايات المتحدة أقل مصالح بالرباط من غيرها . وقد قال عامل الرباط فى ذلك ما يلي :

«طرفنا ليس فيه تجار للمركان ، وليس له مخالطة هنا ولا عند أعراب الرباط كافة ، والذى عندنا هم أولاد الباشا أصلا ، منهم الحاج عبد القادر كاتب الجنس المذكور فى الدار البيضاء ، ومخالطته بها كثيرة ، وله حرث عند الشاوية : أولاد زيان ومديونة وزناتة . وهنا أخاه الحاج الهاشمي وولد عمه أحمد ومخالطا لهم الأمين السيد محمد بن العربي الحساني ....» . ثم

---

11 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش فى 2 ربيع الثاني 1300/10 يبراير 1883 ، محفظة بركاش ، ومثلها ورد فى رسالة منه اليه قبلها فى 15 ربيع الاول 1300/25 يناير 1883 ، بالمحفظة المذكورة .

12 . رسالة السويسي الى بركاش فى 18 ربيع الثاني 1300/26 يبراير 1883 ، محفظة بركاش .

13 . رسالة ريد لويس الى الطريس فى 21 يونيو 1887 . محفظة المغرب أمريكا

قال انهم يتعلقون «بالجنس المذكور ويظلمون ولا يعطون الحق وان تعيّن عليهم ، ثم نائب الجنس المذكور هنا اليهودي رفايل بن عطار من يهود الرباط ، ومستولي على جميع الذميين ، خصوصا قرابته وأصهاره وقرابتهم ، ويتعرض على الجميع ، وأما مخالطته فى الحرث والماشية فعند قبيلة الغرب وبني حسن ....» (14) .

14 . رسالة محمد السويسي الى السلطان فى متم جمادى الثانية 1303/4 أبريل 1886 ، محفظة الطريس 7

4 : انجلترا

أ ـ السلـك القنصلـي :

تعدد القناصل والوكلاء بالرباط . وكان منهم :

1 ـ **وليام جيمس إيلطون** W. J. ELTON الذى كان تاجرا بجبل طارق ثم استوطن الصويرة من 1834 الى 1844 . وفى سنة 1847 عين نائبـا قنصليا بالرباط حتى أواخر 1855 ، وبعد ذلك عاد الى الصويرة بنفس الصفة ومنها الى آسفي حيث مات فى غشت 1869 هو وابنه وليام صامويل الذى كان مستخدما معه بالرباط واعتنق الديانة الاسلامية (1) كما سيأتي خبـر ذلك فى مكانـه .

2 ـ **پيطـر بـارو** P. BARROW هو الذى خلفه بالرباط سنة 1857 . وقد عـزل عن منصبه سنة 1862 لأنه كان قبل ذلك يتهم جون هي بالغطرسة والمحسوبية وبعدائه لفرنسا (2) .

3 ـ **جيمس دروموند هي** شقيق الوزير البريطاني هو الذى حل محل بارو بعد ذلك (3) ولبعض الوقت .

4 ـ وفى سنة 1867 انتقل **فرانك وولدريدج** F. WOOLDRIDGE من قنصلية الدار البيضاء الى نفس الوظيفة بالرباط (4) . أما :

---

1 . مييج : «المغـرب وأوروبـا» ج 1 ص 104 و ج 2 ص 336 (1)

2 . المصـدر السابـق

3 . المصدر السابق أيضا ورسالة السويسي الى بركاش فى 5 جمادى الثانية 26/1282 اكتوبر 1865 ، محفظة بركـاش

4 . مييج : «المغـرب وأوروبـا» ج 1 ص 177

5 — **جون فروسط** I. FROST فقد ناب عن بلاده لمدة طويلة منذ 1872 كما مثل دولا أخرى كألمانيا والدانمارك وهولاندا وبلجيكا والبرتغال .

حل هذا القنصل بالمدينة سنة 1857 وعمره لا يتجاوز العشرين . وهو لذلك يعد من قدماء المستوطنين بالرباط ومن أهم التجار . وكان مراسلا للجمعيات الجغرافية التى كان يوافيها بمعلومات مناخية كل يوم ، وفى سنة 1889 تخلى عن جميع مناصبه القنصلية (5) فخلفه كيرڤين .

وكان لبريطانيا العظمى محميون قنصليون وسماسرة لتجار رعاياها بالرباط ، وردت أسماؤهم فى وثائق ومصادر مختلفة .

ب — **المحميــون القنصليــون :**

كان عددهم سنة 1880 لا يعدو أربعة وهم :

1 — **الحاج بنعيسى ابن راجع** : وكان ترجمانا (6) وعاد سنة 1893 الى هذا المنصب .

2 — 4 — **المعطـي بن مبارك** : عون وصار هـو والذى قبله محميين ألمانيين **ومحمد الغزواني** : مستخدم **وعائشة الرغاوي** : مستخدمة

ت — **السماســرة :**

تـ 1 — **من تقييد ابن زيدان وزمام سماسرة التجار الانجليزيين (1879)**

1 — **ابراهام لاريدو** : سمسار هنري ماطيوس H. MATEOS الطارقي بمدينة الرباط .

2 — **بوعبيد ولد الحاج موسى** : سمسار له أيضا بمدينة سلا

---

5 . المصدر السابق ج 1 ص 111 و ج 5 ص 70 وكيين : «المانيا والمغرب» ص 38 (1) ورسالة جون هي الى بركاش فى 9 مارس 1875 ، محفظة بركاش

6 . ابن زيدان : «العـز والصولـة» ج 1 ص 316 . وقد ورد هو والثلاثة الذين بعده فى الكتـاب الاخير .

3 — **عبد الهادي بن بوعزة المحرزي** : سمسار بالرباط لأرباب كنطردة اللحم بجبل طارق ، ومنهم مطيوس سالف الذكر .

4 — **الحاج الشاذلي** مثله لهم وهو المدعو الحاج الصالي الحريزي في قائمة سماسرة سنة 1889 .

ت 2 — من قائمة سماسرة التجار لسنة 1889

5 — 6 — **عبد الرحمان بن العياشي بورزامة العمري والمفضل بن العياشي بورزامة العمري** سمساران للقنصل جون فروست بقبيلة عامر .

ت 3 من غيرها

7 — **يوسف الدهان** كان سنة 1886 نائبا بالرباط عن شركة شوستر فولد (7) Shuster/FOLD المستقرة بمدينة منتشيسطر

8 — **إلياس بن سعود** سمسار بالرباط لشركة كروموبل باركس Cromwell (?) Barks ?/BURKS (?) اللندنية قبل 1891 بسنوات عدة (8)

* * *

ث — المستوطنون :

قليلون هم الرعايا البريطانيون أو الطارقيون الذين سكنوا بالرباط وتستفاد من كنانيش القنصلية أسماء بعضهم من الذين كانوا بهاته المدينة من 1864 الى 1878 . كما تحدثت الوثائق المخزنية عن طائفة منهم .

ث 1 — من السجلات القنصلية :

روبيرت كيرطون فروسط R. KIRTON FROST كان تاجرا (عمره 29 سنة) ، **وجون فروسط** : تاجر ثم قنصل (27 سنة) ، وهما معا من مواليد

---

7 . رسالة جون هي الى الطريس في 3 ماي 1886 ، محفظة المغرب بريطانيا

8 . رسالة ايوان سميث الى الطريس في 8 دجنبر 1891 ، المحفظة نفسها

انجلترا ، **وتيودور لوكاس ݣوديت** T. L. GODET وهو طبيب قدم من جزيرة بيرمودة (50 سنة) ، **وسالومون بيطون** وهو من يهود جبل طارق (34 سنة) وقد استوطن مدينة سلا ، **وأوخينيو ݣيبيرو** E. GUILLEVERO وكان تاجرا ومن أصل طارقي (24 سنة) **ووليام ديڤيد ݣوتش** W. D. GOOCH ، وأصله من لندن .

هــؤلاء الستة كانــوا بالمدينة سنة 1865 ، وأكثرهم كان في عهــد الشباب ، لكن كان هناك آخرون حلوا بالرباط سنة 1869 أو بعدها ومنهم :

يوذا بالانسي Y. BALENSI وهو من جبل طارق (36 سنة). وحاصله أن الجالية لم تكن تتجاوز 17 شخصا خلال هاتــه الفترة (9) فيهم التاجــر والسائح والخادم ومعهم ثلاثة من النساء دون أن يرد للأطفال ذكر فهل كانوا عــزابــا ؟

ث 2 ـ المصادر المغربية تحدثت عن بعض هؤلاء المستوطنين وفي مقدمتهــم :

هنري ماطيوس الذى كان مصدراً للثيران الى جبل طارق حيث كان مولده به سنة 1837 .

ومما يذكر أن عصابة من قبيلة عامر سطت سنة 1866 على 80 ثورا (10) كانت في ملكه وذلك أثناء تسفيرها الى مراسي الشمال ، لأن الحيوانات كان تقاد برا الى العرائش أو الى طنجة ومنها توسق بحرا .

كان سيء السيرة ، وعنه قال السلطان لبركاش يخبره بأن هذا التاجر قد «بلغ الغاية في السفه والجسارة على المسلمين وعلى جانب المخزن ...»

---

9 . ميبج : «المغــرب وأوروبــا» ج 5 ص 70

10 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 23 حجة 1282/9 ماي 1866 . محفظة بــركــاش

وأنه «ركب يوما من الرباط لسلا فى فلك كبير . ولما وصل لبر سلا ترك المحل الذى يسع نزوله ... وقصد المحل الضيق لينزل بـه ... فَنَحّى أرباب الفلايك فلايكهم ، غير' رجل ثقيل السمع لم يسمع كلامه ... فجعل مطيوس يسبه فرد عليه الجواب بالسب ، فأخذ مطيوس غانجوا كان معه فى الفلك وصار يضربه به ، وما حال بينه وبينه الا بعض الفلايكية .

«ثم نزل مطيوس البر وأطلق لسانه بسب المسلمين والدين والمخزن عمال وغيرهم وعمر مكحلته وتهدد بها المسلم الذى أجابه بالسب ...

«وقد أخبر خديمنا ابن سعيد .... أن هذه هى عادة النصراني المذكور مع جميع من يبيع له البقر أو يخالطه فى أمر من أموره ...

«ولا يخفى أن دولة النجليز معروفة بغاية المحبة والتعظيم لجنابنا العالي بالله . وقد صار بعض سفهاء تجارها كمطيوس يصدر منه ماترى ...

«فكيف يطلق السفيه مطيوس لسانه بسب المخزن على رؤوس الأشهاد ؟ ..... فتكلم مع الباشدور فى إجراء الأحكام عليه بما تقتضيه شريعتهم ، ونفيه من هذه الايالة السعيدة» (11) .

كروميل باركس C. BURKS (?)

ذكرت المصادر المخزنية أنه كان سببا فى فتنة حدثت سنة 1889 بديوانة مرسى الرباط عند ما منعه الأمناء من اخراج مكحلة صيد وردت عليه من خارج المغرب ، فقد كان يريد حيازتها دون رخصة مسبقة من الحكومة . فتشاجر معهم وخطف صندوقا من المرسى ، وحينئذ ضربه الحراس وساقوه

---

11 . رسالة السلطان الى بركاش فى 22 صفر 1289/ 1 ماى 1872 ، نصها بمجلة «الوثائق» : ج 4 ص 400 — 401

مسجونا لدار الوكالة القنصلية (12) ، ثم تولى القنصل كيرفن تمكين باركس من بندقيته المحجوزة (13) .

وكما اختلف باركس مع الأمناء فقد اختلف مع غيرهم من المغاربة مثل محمد عبد المجيد بركاش حول عشر زكايب من عود النوار (القرنفل) . فقد بيعت له على يد التاجرين الألمانيين الطنجيين هيسنير ويواخمسون فى أوائل 1890 ، وطالت الدعوى بين بركاش وباركس نحو السنتين ، وقد كان المشتري يدعى أن السلعة غير مطابقة لِلـمُـوِيشـتَرة وأن القرنفل كـان فاسدا وأن الدعوى في ذلك تنحصر بينه وبين الألمانيين ولا علاقة للانجليزي بهـا (14) .

كيرفـيـن GIRVIN (?)

هذا كان نائبا قنصليا بالرباط سنة 1889 . وكان فظا غليظا وذلك أنه ضرب رئيس مرسى الرباط بالعصا ثـلاث ضربات متوالية لرفضه الاتيان بالقوارب للنقص من حمولة إحدى السفن (15) .

---

12 . رسالة وايط الى الطريس في 16 أبريل 1889 ، محفظة المغـرب بريطانيـا

13 . رسالة كرين الى الطريس فى 9 دجنبر 1889/15 ربيع الثاني 1307 ، المحفظة المذكـورة

14 . رسالة كرين الى الطريس فى 28 أكتوبر 1890 ، ثم رسالة بركاش الى الطريس فى 6 شوال 1309/4 ماى 1892 ، المحفظة السابق ذكرهـا

15 . رسالة أميني المرسى الصديق بركاش وعبد المجيد بنشقرون الى الطريس فى ! شوال 1306/3 يونية 1889 ، محفظة الطريس 16

5 : اسبانيا

أ ـ السلـك القنصلـي :

كان لهاته الدولة نواب قنصليون يقومون أيضا بوظيفة اقتطاع قسط من الوفر لتسديد الغرامة الحربية ، وأولهم كان هو :

1 ـ **رامون فيرنانديث دي لاريگيرا** R. F. de la Reguera المعين في شتنبر 1861 بمدينة الرباط بوصفه «أمينا» (1)

2 ـ **إدواردو دي لانينيا** : E. de La Nina وكان سنة 1866 نائباً بالمدينة (2) .

3 ـ ثالث نائب قنصلي كان هـو **فرانثيثكو پوينطـي** F. PUNTE وذلك من 1873 الى 1874 ، وظل بالرباط الى أن انتقل الى الصويرة (3) سنة 1875 ، وكان منذ سنة 1863 مراقبا بالمرسى .

4 ـ **تيودورو دي كويباس** T. de Cuevas أسندت اليه سنة 1881 النيابة عن بلاده بالرباط (4) ، وكان رقيبا بهاته المرسى وبغيرها من المدن وخلف مذكرات وتقارير تجارية (4)

---

1 . مييج : «المغـرب وأروبـا» ج 2 ص 405 (1)

2 . رسالة دي لانينيا الى بركاش في 23 ربيع الثاني 1283/4 شتنبر 1866 . محفظة بـركـاش

3 . مييج : «المغـرب وأروبا» ج 1 ص 150

4 . رسالة ديوسدادو الى بركاش في 28 يبراير 1881 . محفظة بركاش

5 — **وكان رفائيل اكواروني إي سوليس** R. AGUARONI Y SOLIS سنة 1892 نائبا قنصليا (5) . ولم أقف على من كان بعده مباشرة .

ب — **المحميـــون :**

كان لهؤلاء النواب القنصليين محميون :

ب 1 — **من تقييد ابن زيدان (1880)**

1 — **الحاج محمد الأزرق** : «الفاسي اصلا الرباطي وطنا» وكان منذ ما قبل 1880 يشغل منصب كاتب بالنيابة القنصلية . وبقي كاتبا كذلك سنة 1891 ثم محميا بعد 1907 دون شغل وظيفة الكاتب (6) وذلك لكبر سنه على ما يظهـر .

2 — 5 — **عبد الرحمان الأوديي** : كان عونـا ، و «متعلمان للـدار لم يسمهما» القنصل **واليهودي الزكوري** : وكان ترجمانا (7) .

بـ 2 **من غيـره :**

6 — **هـارون سكسـو** : كان سنة 1892 ترجمانا (8)

7 — **الحاج أحمد الأزرق** : وكان كاتبا سنة 1894 بدار الوكالة وظل الى ما بعد أواخر 1907 محمياً (9) .

---

5 . رسالته الى محمد السويسي فى 1 شعبـان 1309/فاتح مـارس 1892 ، محفظـة الطـريس 20

6 . رسالة محمد بنسعيد فى 2 شوال 1308/11 ماي 1891 ، محفظة المغرب اسبانيا ؛ ثم لائحة المحميين الاسبانيين بالرباط سنة 1907 بالخزانـة الصبيحية

7 . ابن زيدان فى «العـز والصولة» ج 1 ص 316 سماه اليهودي ولعل صوابه : اليهودي

8 . رسالة اكواروني الى محمد السويسي فى 5 شعبان 1309/5 مارس 1892 . محفظة الطـريـس 22

9 . لائحة المحميين الاسبانيين بالرباط سنة 1907 بالخزانة الصبيحية ، ولربما يكون المحمي الاول والسابع شخصا واحدا

ت ـ السماسـرة والمستوطنـون :

مما لا ريب فيه أن الرباط كان يسكن به رعايا اسبانيون ، وهناك إشارات الى السماسرة والمستوطنين فى وثائق مختلفة .

I ـ فى سنة 1889 قبض عامل بني حسن احميدة بن المكي المختاري على **سمسار** تاجر اسباني لم يذكر اسمهما معاً ولم يعرف لهما مكان استقرار ، والراجح أنـه كان بالرباط .

وتبين من البحث الذى أُجري أن القائد فعل ذلك ظلما وعدوانا حتى «سقط من عين الحضرة المولوية بهذه الأفعال الدممية ، ولا أظن عاقبته تخرج بخير» (IO) وقد أمر القائد بدفع 2000 ريال لفصال تلك الدعوى .

2 ـ أُشير الى أن **عبد الرحمان بن بوعـزة الزهاني** كان سمســارا لقنصل اسبانيا رفائيل أكواروني ، وقـد اعتقله عامل الرباط سنة 1893 ، فاحتج القنصل ذاكرا أنه محمي لدولته بينما أنكر السويسي أن تكون لـه هاته الحماية ، ولذلك يجوز له اعتقاله لأن له أمرا بشد عضد عمال البوادي فى ذلك (II) .

أما أبوه بوعزة بن المعطي فقد تقدم أنه كان سمساراً ببني حسن لفائدة أندريا وانينو قنصل ايطاليا بالعرائش .

IO . رسالة غريط الى الطريس فى I5 جمادى الثانية I6/I306 يبراير 1889 ، محفظة الطـريـس I5

II . رسالة أكواروني الى عامل الرباط فى 7 مارس I8/I893 شعبان I3IO ، محفظة اسبانيـا المغـرب

6 : ايطاليا

أ ـ **السلـك القنصلـي :**

1 ـ **موسى ابن عطار** كان ينوب عن ايطاليا أيضا (1) حوالي سنة 1867

2 ـ **أنطوان دوكور** الفرنسي مثل هاته الدولة بغد هذا التاريخ

3 ـ وحوالي سنة 1893 أسند الى الوكيل الاسباني **رفائيل أكوارونى إي سوليس** القيام بهذه النيابة (2) .

4 ـ **هارون سكسو** تولى نفس المهمة (3) وكان ذلك فى أواخر سنة 1893 ، ولـم أقف على غير هؤلاء الذين ليسوا ايطاليين ، وكان لهم محميون قنصليون وسماسرة جاءت أسماء بعضهم مفصلة فى وثائق ومصادر مختلفة .

ب ـ **المحميـون القنصليـون :**

بـ 1 ـ **من تقييد ابن زيدان** (1880)

1 ـ **الحاج محمد بن الحاج عبد الله الباشا** كان كاتبا للنيابة القنصلية بالرباط تردد ذكره منذ سنة 1880 حتى لائحة 1894 السنوية .

---

1 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش فى 6 حجة 11/1283 ابريـل 1867 . محفظة بركـاش

2 . رسالة أكواروني الى محمد السويسي فى 7 مارس 1893

3 . رسالة سكسو الى محمد السويسي فى 21 دجنبر 1893 . محفظة المغرب ايطاليا

لم يكن الباشا هذا على أفضل حال مع السلطة المحلية وخصوصا آل السويسي الذين كانوا يصفونه بالتطاول والتعرض على الأحكام (4) على أنه كانت له كثير من الدعاوي مع السلطات ومع السكان مثل مصطفى بن مسعود طريدانو الرباطي المتجر بالدار البيضاء ، ولما رفعت النازلة الى القضاء وحكم سنة 1880 على الحاج محمد الباشا باليمين امتنع الأخير من الحلف فأشهد عليه خصمه ذلك بالعدول (5) .

الباشا كان من أكبر الملاكين بالرباط ، ولما أراد بناء هري وحوانيت قرب حي وقّاصة والملاح واتفق سنة 1893 على ذلك مع المعلم البنّاء مبارك السلاوي ليكري هاته الأملاك لدار تجارة موشي-إسحاق ناهون الطنجي ، رفض السويسي له رخصة البناء (6) .

وكان للحاج محمد الباشا ولد مولع بصيد القنفد . وحدث لـه أن تلاقى مع شخص يدعى العقباني كانت له سابق معرفة به ، وكان بيد ولـد الباشا كابوس فخرجت منه رصاصة صادفت العقباني وأردته قتيلا في الحين . ولما رأى ما وقع له لاذ بالفرار ، لكن السلطان أمر بالقبض عليه وتكليم سفير ايطاليا بدفع القاتل لعامل البلد حتى يتفاصل مع أولياء الدم (7) .

2 — **محمد بن بوشعيب المغراوي الزناتي** : كان مستوطنا بالرباط سنة 1880 ومحميا هو ومن بعده :

---

4 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 10 جمادى الاولى 10/1298 ابريل 1881 ، محفظة بركاش

5 . رسالة محمد بن العربي الطريس الى بركاش في 2 قعدة 6/1297 أكتوبر 1880 ، محفظة بركاش

6 . رسالتا سكسو الى محمد السويسي في 21 و 21 دجنبر 1893 ، محفظة المغرب ايطاليا

7 . رسالة السلطان الى الطريس في ختم جمادى الاولى 20/1310 دجنبر 1892 ، محفظة الطريس 23

3 — **محمد بن المعطي العَلَوي** (8) ولم يرد بيان لوجه حمايتهما وربما كانا مستخدمين بالدار القنصلية .

ب 2 — **من غيـره**

4 — وهناك محمي رابع «بدار خليفتنا بثغر رباط ، فلا ذكرنا اسمه وكنايته لعدم معرفتنا به ولما يأتينا ذلك منه فنخبرك به إن شاء الله» (9) . وكان ذلك سنة 1882 .

5 — **ابراهام القصري** كان سنة 1867 ترجمانا (10) .

6 — **ابراهام برشيلون** صار سنة 1893 وبعدها ترجمانا (11) .

ت — **السماســرة :**

ت 1 — **من تقييد ابن زيدان والقوائم السنوية الايطالية**

1 — **شمويل طوليدانو الطنجـوي** كان سنة 1880 وبعدها سمسارا لاسحاق ناهون القاطن بطنجة (12) .

ت 2 — **من غير ذلـك**

2 — **موشي اسرائيل** كان سنة 1893 سمسارا له أيضا (13)

---

8 . هذا المحمي واللذان قبله ورد ذكرهم عند ابن زيدان في «العز والصولة» ج 1 ، ص 316

9 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في 13 أبريل 1882 ، محفظة بركاش

10 . رسالة عبد السلام السويسي في 6 حجة 1283/11 أبريل 1867

11 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 6 يونيو 1893 ، محفظة المغرب ايطاليـا

12 . ابن زيدان في تقييده الرابع سماه طروان الطنجوي ، وصوابه هو طوليدانو

13 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 19 يونيو 1893/4 حجة 1310 ، محفظة المغرب ايطاليـا

3 — **أحمد بن زويد** سمسار ثالث له أيضا ، وقد اتهم سكوثاصو العامل السويسي بأنـه استولى على خزينة السمسار وعلى ما اشتـراه من البقر ، وبأنه جعله بالسجن مدة تنيف على السنة (14) .

4 — **أحمد ابن المنصار** سمسار دابيد أزولاي سنة 1889 بالرباط ورد ذكره فى لائحة السنة نفسها .

5 — **الحاج أحمد بن الحاج عبد الله الباشا** وكان ابتداء من سنة 1890 سمسارا للتاجر أكيلي پيطري المقيم بطنجة (15) .

الحاج أحمد هذا كانت له — مثل شقيقه كاتب القنصلية — مشاكل مع السلطة المحلية . وقد رفض المخزن فى البداية قبول سمسرته سنة 1888 لبعض التجار . وذلك لما كان عليه «آيت الباشا من مداخلات وكثرة الخوض مع النائب القنصلي» أنطوان دوكـور الفرنسي بخلاف الحاج محمد الأزرق (كاتب القنصلية الاسبانية بالرباط) الذى كان يتساهل فى الأمور (16) .

ثم إنه كان يعاب على الحاج أحمد أيضا الاهتمام بقضايا السلاح ، وذلك أن أمين المستفاد بسلا الحاج محمد الغنيمي عثر سنة 1890 على 40 مكحلة بشاطيء الواد ، وكان الباشا هذا يملك بعضها (17) .

---

14 . تقييد الدعاوي الايطالية — النقطة الخامسة ، هذا التقييد غير مؤرخ وهو محرر بعد سنة 1876 حسبما يستفاد من قراءته

15 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 14 يوليوز 1890/20 قعدة 1307 ، محفظة المغـرب ايطاليـا

16 . رسالة محمد السويسي الى الطريس فى 11 شوال 1305/21 يونيـو 1888 ، محفظة الطريس 13

17 . رسالة محمد السويسي الى السلطان فى 13 قعدة 1307/1 يوليوز 1890 ، محفظة فرنسـا المغـرب

كما أنه أدخل لدار النائب القنصلي دوكور صندوقا من السلاح أثناء مهربا من المرسى ، ولما كُلِّم في رد ذلك امتنع الأخير من ارجاع المكاحل الى المرسى «لِمَا كان عليه الرجلان من كثرة الدعاوي والخوض» (18) .

ث ـ المستوطنـــون :

لم أقف على اسم أي ايطالي بالرباط سوى «طبيب ايطالي ولد ونشأ بتونس ، وقد سكن بالمدينة بدار رجل من أولاد زيان اسمه المعطي ابا خاي الذى كان في حماية الفرانصيص وهو صهر للقائد المهدي الجراري . وقد نزل بالدار المذكورة بعياله الكثيرين وأغلق بابها الموالي للديار وفتح بابا خارج العلوا مقابلا للقصبة» (19) أي قصبة الأوداية . ولم يرد اسم الطبيب في هاته الوثيقة التى تفيد أنه كان يعيش بالمدينة حوالي 1889 .

18 . مسودة رسالة مخزنية الى أمناء مرسى العدوتين فى 14 ربيع الثاني 5/1310 نونبر 1892 ، المحفظة المذكورة

19 . رسالة محمد السويسي الى السلطان فى 9 جمادى الاولى 11/1306 يناير 1889 . محفظة المغرب ايطاليا

7 : فرنسا

أ ـ السلك القنصلي

تولاه بضعة أشخاص كان منهم :

1 ـ **جوزيف فيريوه** J. Ferrieu الذى كان حوالي سنة 1853 وكيلا قنصليا مؤقتا .

2 ـ **أكوست بومييي** A. Beaumier كان نائبا بالدار البيضاء وبالرباط ابتداءا من 1854 ، وظل في منصبه حتى انتقل سنة 1865 الى الصويرة (1) .

3 ـ **بيليسيي** Pellissier قنصل متدرب ، وقد رافق ابن ادريس سنة 1860 في سفارته الى فرنسا لمعرفته بالعربية (2) .

4 ـ **الفريد ده سان شافري** A. de Saint Chaffray تولى بعده (3) ، ولم أقف على من كان قبله أو بعده مباشرة ، الا أن :

5 ـ **أنطوان دوكور** : كان بعد هذا التاريخ نائبا قنصليا ، في حين كانت الشؤون القنصلية مسندة ولا سيما سنة 1870 الى فرانك وولدريدج

---

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 337 (1) و ج 3 ص 52 (8) و ج 5 ص 25 . وكذلك رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش في 3 شعبان 1280/13 يناير 1864 ، محفظة بركاش

2 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 6 ص 112

3 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 27 (4) و ص 53 (2)

الأنجليزي (4) أو الى القنصلية الفرنسية بالدار البيضاء المكلفة أيضا بالجديدة وبالرباط تحت إمرة ج ده موفوازان ، حسبما سيأتي فى غير هذا المكان .

6 – وبعد سنة 1885 كان **كَـرافيـري** Gravéri قنصلا بكل من الدار البيضاء والرباط والجديدة (5) مع وجود نواب محليين .

ب – المحميـون القنصليـون

كان لفرنسا محميون قنصليون وخلطاء وسماسرة لبعض تجارها ستَرِد أسماؤهم نقلا من مصادر ووثائق متنوعة .

ب – 1 – من التقييد الرابع لابن زيدان واللوائح السنوية الفرنسية العامة معـاً :

1 – 5 – **الحاج عبد القادر الزكي الرباطي** : كاتب ، **ويعقوب بن سعيد ابن الصائغ** : ترجمان ، **ومحمد الداودي** : مستخدم ، وكلهم من سنة 1879 الى 1882 ، **وبوشعيب الجديدي** مستوطن بالرباط ومستخدم سنة 1880 ، **وعبد [السلام] القصري** (6) مثل السابق مستخدم حتى سنة 1883 .

ب – 2 – من القوائم الفرنسية العامـة وحدها :

6 – 8 – **الحاج عبد الله اليوسفي** : عون بدار الوكالة سنة 1883 **والحاج عبد العلي حسون** : مستخدم من 1879 الى 1881 ، **والطاهر السهلي** : مستخدم سنة 1879 .

ب – 3 – من غيـرهـا :

---

4 . من ذلك رسالة دوكور اليه فى 30 ماى 1870 ، صورتها بخزانة الحاج العربي بنسعيد

5 . رسالة كرافيري الى بركاش فى 27 رجب 1302/12 ماي 1885 ، محفظة بركاش

6 . ابن زيدان أغفل لفظة الجلالة «السلام» ولذلك جعلناها بين معقوفتين

9 - **بوحبـوط** : كان محميا سنة 1866 وكان يسكن بالرباط (7) .

10 - **محمد بن الشرقـي الأوديـي** : عـون بالقنصلية سنة 1887 ، وسيأتي كلام عنه مع أنطوان دوكـور .

11 - **ابراهام أ'وحنـا** : محمي ومن يهود الربـاط قتل سنة 1891 بأحواز المدينة (8) .

12 - **أحمد الغربـي** : كان سنة 1861 محميا لبوميي قنصل فرنسا بالرباط (9) .

ت - السمـاسـرة

ت - 1 - من تقييد ابن زيدان والقوائم السنوية العامة معا :

1 - 2 - **محمد بن البصير الشرقاوي الرباطي وأحمد ابن الهاشمي السلاوي** : سمساران لأورتوس Hortus ، الاول من 1879 الى 1883 ، والآخر من 1880 الى 1886 .

3 - 4 **محمد البالي الزعري والمعطي ولد ابنا خاي الشاوي الزياني** (10) سمساران لأنطوان دوكور ، الأول من 1879 الى 1884 والثاني حتى سنة 1881 .

وقد انتقل المعطي سنة 1889 أو قبلها الى السكنى بالرباط ، وكان شقيقه قد قتل سنة 1881 ونهبت بضاعته (11) . وقد ادعى السمسار المذكور

---

7 . لم يذكر الا نسبه فى رسالة الطيب بن اليماني الى بركاش فى 8 ربيع الثاني 20/1283 غشت 1866 ، محفظة بركاش

8 . مسودة رسالة الى محمد السويسي فى 10 ربيع الاول 20/1309 أكتوبر 1891 . محفظة فرنسـا المغـرب

9 . مييج : «المغرب وأوروبـا» ج 2 ص 553 (1)

10 . حرفه ابن زيدان فسماه المعطي ابـا حنيني ، كما أنه حرف اسم السمسار الثاني فكتبه : ابن العياشي الذى لعله اسم جده

11 . رسالة عبد السلام السويسي الى السلطان فى 24 قعدة 18/1298 أكتوبر 1881 . محفظـة بركـاش

أن الزيايدة نهبوا له فى تلك السنة خمس مطامير من الزرع ، ولكنه لم يأت بحجة على ذلك (12) .

5 — **أحمد بن علي النجاعي الغرباوي** سمسار من سنة 1879 الى 1886 للتاجر ميــراد .

ت — 2 — من القوائم الفرنسية وحدها :

6 — 7 — **سعيد بن عبد القادر ، والمغراوي بن بوشعيب** : سمساران لمازوريل Mazurel من 1880 الى 1886 .

8 — **الجيلالي بن عبد الرحمان** : سمسار أورتوس من 1882 الى 1886.

9 — **الحاج أحمد بن منصور** : سمسار حاييم بنشيمول سنة 1884 (13)

10 — **عبد القادر لوباريس** : كان سنة 1882 فقط سمسارا للحاج علي بوطالب الحشمي الجزائري عند ما كان تحت حماية فرنسا .

11 — **سالومون أوحيون** : كان سنة 1881 فقط سمسارا ليعقوب ابن الصائغ الترجمان والتاجر المحمي رقم 2 أعلاه . وقد حذف اسمه من القوائم **بعد ذلك** .

ت — 3 من وثائــق أخــرى

12 — 14 — **اسماعيل بن المعطي الأوراوي** وأخواه **عبد القادر وعمرو** وكلهم من بني ورا . كانوا محميين من لدن الوكيل القنصلي دوكور ، والراجح أنهم كانوا سماسرة ، والأرجح من ذلك أنهم لم يكونوا الا خلطاء له .

---

12 . رسالة السلطان الى بركش فى 9 حجة 1298/2 نونبر 1881 ، المحفظة نفسها.

13 . يظهر أن هذا السمسار هو الحاج بنمنصور بن احمد المذكور بالعرائش أنه سمسار فلانطان كرو ، كما يبدو أن السماسرة 6 و 7 و 8 ليسوا من سكان الرباط . ولكني تركتهم هنا مسايرة للوثائق

15 ـ **قدور الورديغي** : سمسار لأنطوان دوكور الذى قد أعطاه 600 ريال لكن أولاد كثير من قبيلة زعير نهبوها له حسبما يستفاد من وثائق مختلفة.

16 ـ **محمد الورديغي** : سمسار من مدينة سلا سنة 1893 للتاجر **سيڤيراك** J. L. SEVERAC (14) الذى كان مقيما فى البداية بالدار البيضاء وكانت له علاقات تجارية مع ميناءي آسفي والجديدة . ويبدو أنه استوطن الرباط حوالي 1887 حيث كانت له فى هاته السنة مطحنة للحبوب (15) . ولم يلتمس من المخزن بناء خزين له بهاته المدينة الا فى سنة 1891 وفى شهورها الأولى (16) .

ث ـ **المستوطنـــون** :

لم أعرف من الرعايا الفرنسيين بالرباط سوى اثنين : سڤيراك وقد تقدم ذكره ، وأنطوان دوكور وهو من سأعالج أمره من المصادر المغربية ، وقبلهما كان فيليب مينار وفولكيي FAULQUIER مقيمين بالرباط سنة 1853 لاشتراء الصوف المغربية .

انطـوان دوكـور A. DUCORS

ويدعى نينو ترخيماً ، وكان وكيلا قنصليا لبلاده تحت إشراف غيره ، كما أسندت اليه النيابة عن ايطاليا بهاته المدينة زيادة على وكالته عن السفن التجاريـة .

تردد ذكره ابتداءاً من سنة 1864 كما سيأتي ، وكانت له مع السلطات الادارية والحبسية والقضائية والمالية ومع السكان مشاكل ومعاملات متنوعة مدة مقامه بالرباط طيلة ثلث قرن على الأقل .

---

14 . رسالة أحمد الطالبي خليفة عامل سلا الى السلطان فى 20 جمادى الثانية 1311/20 دجنبر 1893 ، محفظة المغـرب فرنسـا

15 . مييج : «المغـرب واروبـا» ج 2 ص 490 (5) و ج 3 ص 55 (1) و ج 4 ص 337 (7)

16 . مسودة رسالة الى أمناء العدوتين فى 26 رجب 1308/7 مارس 1891 ، محفظة المغـرب فرنسـا

ولما كان بوميي قنصلا بالرباط والدار البيضاء كان نائبه هو نينو الذى هو من أقاربه والذي «طبعه مَجْهَد ، ودمه يغلي فى الحين ، وهو يريد التجرأ عليَّ . وأنا لم نعانده مرعة (= مراعاة) للقنصل ، وحين يسافر القونص يتبدل طبعه ولا يملك نفسه ، فالله يهديه فان القونص يعرف طبعه . . .» (17). وهذا يدل على أنه كان معروفا قبل سنة 1864 .

سمع السلطان محمد الرابع عنه الكثير فقال إن دوكور «يحاول أن يكون نائبا عن جنسه هناك وهو معروف بالطيش والتعدي كما هو معروف بالعدوتين» (18) وكان ذلك سنة 1868 .

وفى سنة 1884 كتب عنه عبد السلام السويسي : «. . . فقد أجبتك عن شكوى بولنوار فى غير هذا ، ولم نبالغ فى الجواب اتقاءً لِشَرّ نينُ ، وهذا بولنوار ليس له غرض فى هذه الشكوى ، وانما اشتكى مساعدة لغرض نينُ ، ونينُ لم يبق له شغل الا فساد المخزن ، وقد مد يده فى جميع الأمور وجعل يده مع الصَّباح والحوزية ، ويتعرض هو وأولاد الباشا على الناس ، واشتغلوا بفساد كبير ، ويتعرضون على الجزارة والرحوية والقَرّابة وغيرهم ، وأما تعرضهم على المخزن فى المكس فلا تسئل ، ونحن نغض الطرف عنهم منذ أوصيتنا» (19) .

واستمر فى تعنته مع السلطات الادارية ولا سيما مع عامل الرباط محمد بن الحاج محمد السويسي الذى قال عنه سنة 1889 : «خليفة نائب الفرانصيص هنا المسمى أنطوان ذكور المعروف نينو قد ضيق بنا غاية

---

17 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش فى 3 شعبان 1280/13 يناير 1864 ، محفظة بركاش

18 . رسالة السلطان الى بركاش فى 9 جمادى الثانية 1285/27 شتنبر 1868 ، المحفظة نفسها

19 . رسالة عبد السلام السويسي الى بركاش فى 5 حجة 1301/26 شتنبر 1884 ، المحفظة المذكورة

الضيق وحاد عن سلوك القوانين ، وطال ما ساعدنا وباششناه ، وأمره كل يوم يزيد . . . » (20) . ثم عدد الباشا أمثلة من تصرفاته .

كان نطاق أعماله واسعا ، فقد اتخذ سماسرة كما تقدم وخلطاء فى قبائل أحواز الرباط وسلا ، اتهم دوكور قائدَ قبيلة بني حسن ابن خدة بأنه سجن خماسيه ورعاته أكثر من 15 يوما حتى تعطلت أشغاله سنة 1870 وطالب بتعويض عن الخسارة التى لحقته من ذلك (21) .

كان يماطل المتعاملين معه من مدينة سلا ولا سيما فى «قضية حامله الحاج محمد بن علي الدكالي السلوي من كونه باع لنائب قونصو جنس الأفرانصيص برباط الفتح التاجر أنطون دكور عددا من الصوف ، تجمَّل فى ثمنها ألف وثلاثماية ريال — تزيد أو تنقص بقليل — لأجَلٍ ، وأعطاه النائب المذكور خط يده بذالك ، ولما حل الأجل وطلبه صار يسوفه ، وإن كلم فى ذالك يجيب بما لا طائل تحته .

«وكان الحاج محمد المذكور اشتكى عليك بطنجة أولاً ، وكتبت فى القضية ثم سافر ثانيا لطنجة ، واشتكى على نائبك السيد الحاج محمد الطريس ، وكلم الباشدور الذى سافر وكتب لقونصو الدار البيضاء ، وجاوب الباشدور ، وهو أخبر الحاج محمد الطريس بأن أنطون المذكور سيفلس ، وما صح لابن علي الدور وسط الغرماء يحوزه ، وأنطون غاني بالقدر الذى بذمته وأكثر .

«فالمرُوم من سيادتك : خذ بيده وكن له واسطة حتى يتوصل بحقه. وتَعْلَمْ وأن القضايا التى تكون لرعيتهم ولو كانت لا حقيقة لها يقبضونها ، وهذا الرجل حقه ظاهر لا ريب فيه . . .» (22)

---

20 . رسالة محمد السويسي الى الطريس فى 22 قعدة 20/1306 يوليوز 1889 ، محفظة الطريس 16

21 . رسالته بالفرنسية الى ولدريدج قنصل انجلترا وفرنسا بالرباط فى 26 ماي 1870 صورتها عند الحاج العربي بنسعيد

22 . رسالة الحاج محمد ابن سعيد الى بركاش فى 18 قعدة 29/1302 غشت 1885 . محفظة بركاش

كان شريكا لغيره مثل مازوريل الفرنسي بوهران . وقد ظهر ذلك لما ادعى المقروط الزموري خليط هذا الأخير بأن أفـرادا من قبيلة بني حسن وأولاد سبيطة نهبوا له من دواره عدداً من البقر ، حسب رسالة عامل سلا الذى «أخبر أن المقروط ورد عليه واعترف بأن عدد البقر الذى كان تحت يده ثلاثة عشر ، فيها إناث ، والباقي ذكور اشتراها من خمسة عشر الى عشرين ريالاً للثور ، والاناث بثمانية ريال وسبعة لاغير ، فكتب لنين' نائب' قونص الفرنصيص بالرباط بأن يوجه له صاحب مازوريل ليقابل دعواه حيث عمال بني حسن وردوا عليه لفصالها ، فامتنع من توجيهه فأعاد لك الكتابة وأخفى لِمَا ذكره المقروط ، وبأن العمال حاضرون لدفع ثمن الثلاثة عشر رأسا .

«فأجابه بأنه هو الذي بَصَرَّهم فيما ذكر ولا يقبل الا ثمن السبعة والعشرين ثورا ، فاتفق مع العمال على أن يدفعوا هم وأولاد سبيطة ثمن الثلاثة عشر ثورا بحساب خمسة وعشرين ريالا للرأس ودفعوا كل ثمن ذلك ، وذكر أنه تبين له أن نائب القونص المذكور هو القابض ، وأن لا مزوريل .

«وحيث تحقق عنده أن عدد البقر المنهوب ثلاثةعشر رأسا لا غير أمرناه بحيازة ما بقي من ثمنها ومطالعة علمنا الشريف ، وأعلمناك لتكون على بال من هؤلاء ومن أكلهم أمـوال الناس بالترهات وشرههم عليه وتتكلم فى القضية مع الباشدور ، والسلام» (23) .

وذلك كله لأن دوكور كان «فى الحقيقة هو الشاكي وهو القابض وما ثَمَّ مازوريل» (24) .

---

23 . رسالة السلطان الى بركاش فى 23 ربيع الثاني 1299/14 مارس 1882 . محفظة فرنسـا المغـرب

24 . رسالة الحاج محمد ابن سعيد الى السلطان فى 12 ربيع الثاني 1299/3 مارس 1882 بالمحفظة نفسها ، أما عمال بني حسن فهم : بوعزة اليعيشي والهاشمي البورحماوي والحسن بن غانم ومحمد بن العياشي

وزيادة على دعوى النهب هاته كانت له سنة 1882 دعوى أخرى على زعير وعلى الزيايدة (25) .

ثم ان دوكور تجرأ على القضاء أيضا ، فقد نسب اليه «سبه القاضي في محل حكمه ، وهجمه على السجن فورصة» ، واخراج مسجون من رعية هذه الايالة لا حماية له ، وكان مسجونا في قضية شرعية ، فاشتكى علينا القاضي فأذناه بالكتابة لك في ذلك . . . » (26) .

وقد تبرأ دوكور من ذلك برسالته الى بركاش في اليوم الموالي ذاكرا «أنه وقع لنا كلام مع القاضي السيد الحاج أحمد ملين في شأن رجل غرباوي كنا وجهناه له مع رجل آخر غرباوي أيضا ، وكلهم أصحاب أهل الحمايات ليعمل لهم الشرع ويحكم عليهم بما أنزل الله ، وفشت من ذالك الكلام أخبار بروايات مختلفة لا أصل لها : يريدون بذالك التخليط والخوض بين الناس ، ومقامك لا بد له من التحقيق للدعوى ليقف على تصحيحها ويكون على بال منها . . .» (27) .

وتكذيباً لدوكور وضعت مواجب عدلية بأنه هجم على السجن وشهد بذلك القائمان بالسجن الحاج محمد رودياس والحاج التهامي بن الزياني (28).

وأمينا الرباط أيضا تبرما من سوء تصرفه لما وجه عونه محمد بن الشرقي الأوديي «ليخرج صندوقا زاعما أن بداخله مكينة الخياطة فوجدنا مكتوبا على ظهر الصندوق اسم أحمد فرج . . . » فامتنع الأمينان من تسليمه للمخزني «بدون قانون ، فتلاحى مع حمال عاب عليه الشتم الصادر منه . وفي

---

25 . رسالة ده مونفوازان الى بركاش في 5 حجة 1299/18 اكتوبر 1882 ، بالمحفظة المذكورة

26 . رسالة بركاش الى الطريس في 21 جمادى الثانية 1302/7 أبريل 1885

27 . رسالة دوكور الى بركاش في 22 جمادى الثانية/8 أبريل

28 . رسالة محمد بركاش الى الطريس في 21 جمادى الثانية 1302 المتقدم ذكرها ثم وثائق اخرى في نفس الشهر ، محفظة الطريس 5

ذلك الوقت أتى نينو «وبيده عصى فجعل يضرب الحمال المذكور بباب الديوانة . . .» . وختما رسالتهما بالتنديد بـ «طيش هذا النصراني باليد واللسان» (29) .

وقد رددت نفس الرواية رسالة العامل السويسي في اليوم نفسه ، فقد جاء فيها أن دوكور «وجه مكينة لتخيط ملبوسهم في بر النصارى» وأن المكينة لما عادت الى الرباط بعد الاصلاح حاول حيازتها ، لكنه تشاجر مع خدمة المرسى ، ثم ضرب نينو أحدهم بالعصى «ضربا بالغا على ملأ من الناس ، وما قصر من الشتم والسب على الأمناء ومن القول الخارج على الموضوع . . . .» (30)

وحتى ناظر أحباس الرباط اشتكى منه ذاكرا أنه امتنع من أداء واجب 46 شهرا آخرها غشت 1890 عن كراء ثلاثة أمكنة حبسية (31) معلقا بلاريب تسديد الواجب على فصال دعاويه أولاً ، وقد بنى الأمناء له بـ 6٪ مطحنة بسوق الغزل سنة 1294 وأكروه إياها لمدة 16 سنة (32)

ولكن لما بنى دوكور دارا باللوبيرة سنة 1886 أراد أن يحدث بها مطحنة فقام الجوار بوضع موجب الضرر والضوضاء (33) .

وآخر ما أذكر عنه وعن شنئانه هو ما حدث له مع موشي إسرائيل الذى كان سمسارا بالرباط للتاجر المحمي الايطالي إسحاق ناهون الطنجي ، كان دوكور ينوب عن تاجر فرنسي يدعى كريميوه Crémieu المقيم بمدينة

---

29 . رسالة الصديق بركاش وعبد السلام ابن يحيى الى الطريس فى 27 رجب 1304/21 أبريل 1887 ، محفظة الطريس 10

30 . رسالة محمد السويسي الى الطريس فى 27 رجب/21 أبريل 1887 ، بالمحفظة المذكورة .

31 . رسالة عبد القادر المعموري الى الطريس في 12 حجة 1306/9 غشت 1889 ، محفظة الطريس 16

32 . من كناشة محمد بن الحاج المكي المريني ص 10 بالخزانة الصبيحية بسلا

33 . الموجب يحمل تاريخ متم شوال 1303/فاتح غشت 1886 ، محفظة الطريس 8

فرنسية تدعى إيكس (34) ، فاستؤنف الحكم الصادر على النائب القنصلي بمدينة طنجة (35) .

هذا استعراض لسيرة دوكور من خلال الوثائق المخزنية ، وقد لبث هذا الشخص بالرباط مـدة طويلة تنيف على 34 سنة ، أصهر فيها ببنتـه إيميلي الى المكي برگاش (36) وبحفيدته الى أسرة ابن الجناوي .

---

34 . لعلها ايكس أن بروفانس : **Aix - En - Provence**

35 . رسالة دوبيني الى الطريس فى 19 ماى 1893 . محفظة المغرب فرنسا

36 . من أوراق ساسي بالخزانة الصبيحية بسلا

8 : باقي الدول

المطلب الأول : البرتغـال

أ ـ **السلـك القنصلـي :**

1 ـ أسرة **ابن عطار** تولت النيابة عن البرتغال والدانمارك بالرباط وخصوصا يوسف (1) سنة 1846 ، وبعده تولاها **موشى وحاييم بنعطار** .

2 ـ وفي سنة 1883 على الأخص كان **جون فروست** الأنجليزي يضطلع بالنيابة عن هاته الدولة (2) .

3 ـ وفي سنة 1890 كان **ريـو فرانسيسكو داوجـو** ممثلا للبرتغال وللبرازيل .

4 ـ ثم آلت النيابة الى **يعقوب رفائيل بنعطار** ولا سيما سنة 1893 .

ب ـ **المحميـون :**

كان عدد المحميين سنة 1880 لا يتعدى بالربـاط عشرة من يهـود المدينـة :

---

1 . مييج : «المغـرب وأروبـا» ج 2 ص 333 (3)

2 . رسالة فروست الى الحاج محمد ابن سعيد فى 5 قعدة 1300/7 شتنبـر 1883 . محفظة المغرب البرتغـال

1 – 5 **شمويل بن سعيد : ترجمان ، وشاويل بن سعيد ، ومسعود بن قاسيس (3) ويعقوب أقبلي وبردوكو** : وهم مستخدمون بدار النيابة القنصلية.

6 – 10 – **دابيد بيصو وشلومو عمار ويوسف بن داود المليح (أو الشليح) ومسعود كوهن وشلومو كوهن** وكلهم محميون استثنائيون .

ت – **السماسرة والمستوطنـون :**

هناك اسم سمسار واحد وهو **علي بن التهامي الهمساسي** الذى قد يكون من أهل ســلا فاعتقله عاملها سنة 1883 ، وكان يعمل لفائــدة لويس **داگراصة** L. Da GRAÇA القاطن بالرباط (4) .

وكان لداگراصة فلك يتجر بــه بين المغرب واسبانيا آنذاك (5) ، وأصل هاته الأسرة من مدينة طافيرة Tavira وكان الأب يعيش بأهله بالمدينة ، ولما أراد ابنه جوزي الذهاب لمراقبة حرثه بالشاوية رفقة أمــه وولده اصطحب معه بندقية ، فحاول حرس العامل نزعها منه ، لكنَّ القنصل بنعطار تدخل محتجاً (6) ولم يرد لغيره من المستوطنين ذكر فى المصادر التاريخية فى ذلك الوقت .

* * *

المطلب الثاني بلجيكـا

لم يكن لها تمثيل بالمدينة ، وكان لها محميان سنة 1889 وهما :

1 – **يوسف الدهان** : ولعله من يهود سلا ، وكان ترجمانا .

---

3 . ذكر هذا المحمي وحده فى القائمة البرتغالية العامة سنة 1880 ، بينما جاءت أسماء كافة المحميين فى التقييد الرابع لابن زيدان فى «العــز والصولة» ج 2 ص 316 ، مع تحريف بسيط فى بعض الأسمــاء .

4 . رسالة فروست الى الحاج محمد ابن سعيد سابقة الذكــر

5 . مييج : «المغــرب وأوروبــا» ج 2 ص 451 (2)

6 . استرعاء يعقوب رفائيل ابن عطار فى 8 ماى 1893 ، محفظة المغرب البرتغال

2 ــ **محمد بن سالم سيبيــا** : وكان كاتبا (7)

* * *

المطلب الثالث : الأمبراطورية النمساوية الهنغارية

كان لها بعض المحميين والسماسرة ، فقد تولت النيابة عنها أسرة ابن عطــار حسبما سلف .

أ ــ المحميــــون :

I ــ **شالوم المليح** : من يهود المدينة وكان سنة 1880 محمياً (8)

2 ــ **يوسف بنيسبي** : كان سنة 1864 ترجمانا (9)

ب ــ السمــاســرة :

I ــ **نطــر مراشــي** سمسار حاييم بونطي ترجمان القنصل العــام بطنجة سنة 1887 ولم يتضح اسم هذا السمسار (10) .

2 ــ **محمد بن الحاج عمر العوفير** كان سنة 1892 سمسارا لاسحاق أبنسور (11) ترجمان القنصلية العامــة ، وقد أصاب العوفير إفــلاس فيما بعد (12) .

---

7 . لائحة المحميين البلجيكيين سنة 1889 ، محفظة الحماية القنصلية

8 . التقييد الرابع لابن زيدان

9 . رسالة موشي ابن عطار فى 23 شعبان 1280/2 يبراير 1864 ، وهي باللغة الاسبانية بمحفظة الحماية القنصلية

10 . جواب الطريس الى القنصل العــام فى 10 شعبان 1304/4 ماى 1887 . محفظة المغــرب النمســا

11 . رسالة ريدجوي الى الطريس فى 12 يونيو 1892 . محفظة المغرب بريطانيا

12 . رسالة نائب أشغال بريطانيا الى الطريس فى 9 غشت 1893 ، نفس المحفظة

المطلب الرابع : البرازيــل

كان يمثلها بالرباط أبناء عطار ثم داوجو (13) حوالي 1890 ، وقبله وبعده كان ابناء عطار متعاقبين على تمثيل البرازيل ، وها هي أسماء المحميين سنة 1880 وبعد ها :

1 — 4 **شلومو ابن عليل ودابيد بوحبوط ويهودا بونطي** ولم يرد وجه حمايتهم بثلاثتهم **ويعقوب ابن عطار** كذلك ، ولكنه يصبح نائبا قنصليا (14) .

5 — 6 — **ابراهيم أمزلاك** : نال الحماية ثم مات قبل سنة 1879 **وسطى أمزلاك** : وهي زوجته التى نالت الحماية هي وأولادها (15)

7 — **موشي طوليدانــو** : محمي من يهود الرباط ، وكان قائد الرباط قد اعتقله سنة 1892 ، فاحتج على ذلك ابن عطار مدعيا أنه متجنس برازيلي (16).

---

13 . رسالة فرانسيسكو داوجو الى السويسي فى 4 صفر 1308/19 شتنبر 1890 ؛ رسالة يعقوب ابن عطار اليه فى 3 محرم 1311/17 يوليوز 1893 ، محفظة المغرب البرتغال

14 . ذكر ابن زيدان هؤلاء المحميين الأربعة فى تقييده ، مع شيء من التحريف

15 . لائحة المحميين البرازيليين فى فاتح أبريل 1880 ، محفظة الحماية القنصلية

16 . رسالة يعقوب ابن عطار الى محمد السويسي فى 4 محرم 1310/29 يوليوز 1892 ، محفظة المغرب البرازيل

الباب السابع

الدار البيضاء واحوازها

اضطلعت هاته المدينة بدور كبير فى اقتصاد البلاد ابتداءاً من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد بلغ الاستيطان الأجنبي ـ وبالتالي أعداد المحميين والسماسرة والخلطاء فيها وفى أحوازها ـ مبلغا لم تصل اليه باقي الثغور والمدن .

وسيدور الكلام مطردا فى عدد من الفصول : أولها عن المدينة وولاتها وسكانها وعمرانها والباقية منها ستتعرض للقناصل والمحميين والمستوطنين من كل دولة على الترتيب الذى سنراه .

1 : الولاة والسكان والعمران

أ ـ **ولاة المدينة** :

1 . لعل **أحمد ابن المعطي** كان سنة 1851 عاملا على المدينة (1)

2 ـ وقبل سنة 1854 أضيفت الدار البيضاء الى إيالة **محمد بن وشيد ابن عثمان الحريزي** عامل مديونة آنذاك وقائد أولاد حريز ، الذى لما اعتقل حاييم المليح نائب قنصل انجلترا عزل عن الولاية بتدخل جون هي وأودع خليفته حسن بلقاسم غياهب السجن .

3 ـ وحينئذ عين السلطان مولاي عبد الرحمان على المدينة عامل الرباط **عبد السلام السويسي** الذى اكتفى بتوجيه خليفته الى تلك الحاضرة وهو عبد القادر بريشة ، فصارت تابعة إداريا للرباط ، وأسند أمانة المرسى الى رجل قوي هو محمد ابن زاكور الذى كان المستشار الاقتصادي للسلطان (2) .

عبد السلام السويسي تولى عليها حتى 1277/1860 على ما يبدو (3).

4 ـ ويظهر أن **محمد بن عبد الرحمان بركاش** نائب السلطان بطنجة قد قام فيها بالأمر بعده لمدة قصيرة عند ما انفصلت عن إيالة الرباط .

---

1 . رسالة الأمير سيدى محمد بن عبد الرحمان الى أحمد ابن المعطي فى 12 حجة 8/1267 أكتوبر 1851 ، محفظة الدار البيضاء 1

2 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 344 وج 3 ص 54 و 56

3 . رسالة أميني الدار البيضاء أحمد الركراكي وعبد الكريم ابن زاكور الى الحاج محمد بنيس فى 6 رجب 14/1283 نونبر 1866 ، محفظة الدار البيضاء 1 ، وهى تتحدث عن ولاية عبد السلام السويسي قبل ذلك مدة 6 سنوات (انظر ص 744 أعلاه)

5 ـ وفي سنة 1862 عين على ولاية المدينة مَحمد بن ادريس ابن حمان الجراري الأودي (4) وكان أبوه أحد عمال وجدة في العهد الرحماني .

وما لبث الا سنة حتى اتهم بالخيانة فذكر عنه أحد أمناء المدينة أو تجارها سنة 1864 في رسالة منه الى السلطان أنه سمع أن «القائد مَحمد الجراري كان شريكا مع الذميين المشترين كنطردة الدار البيضاء وأسواقها»، وأنه « . . يُخبرهم بما يكون فيه الخسارة» ، و «أنهم فرقوا ألفي مثقال رشاوي على من يظن به ذلك ليعينهم على ثبات الخسارة . . . » (5)

وهكذا نعت العامل بالتواطؤ مع بعض التجار من اليهود أو غيرهم للتقليل من دخل الدار البيضاء ، ولكي يباع احتكار رَيْعها بثمن بخس ، لكن هذا الأمين أو هذا التاجر ما فتيء أن اشترى لنفسه «كنطردة أبواب الدار البيضاء» بعد ذلك الوقت (6) .

ومهما يكن فقد ظل الجراري واليا الى أن نقله السلطان سنة 1875 الى ولاية الجديدة حيث سيرد شيء من أخباره .

6 ـ وبعد عزل الجراري أو نقله كان الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوي هو العامل قبل مارس 1875 الى غشت 1878 وهي سنة وفاته (7) بسكتة قلبية .

---

4 . رسالة السلطان الى بركاش في 16 جمادى الاولى 9/1279 دجنبر 1862 ، محفظة بركاش

5 . رسالة محمد بن الحاج قاسم حصار الى السلطان في 27 شعبان 7/1280 يبراير 1864 ، محفظة الدار البيضاء .

6 . رسالة الأمينين محمد بن العربي معنينو ومحمد بن الحاج عبد الرحمان الحلوي الى الحاج محمد بن المدني بنيس في 22 قعدة 8/1282 أبريل 1866 ، نفس المحفظة

7 . رسالة جون لابين الى حصار في مارس 1875 (محفظة بركاش) تفيد أن حصار كان عاملا في هذه السنة ، وهو خلاف ما ذكر في «الوثائق» ج 5 ص 443 (139) من أن الجراري كان لا يزال عاملا حتى 23 ربيع الثاني 18/1293 ماي 1876

وقد رُمي بما رُمي به سلفه الجراري من أنه كان على اتصال وثيق ببعض القناصل ، وأنه كان يمتنع من أداء الواجبات للأمناء والمكلفين وأن «الحاج عبد الله حصار لا زال على حاله من تكليف أمناء الباب بما لم يكلفوا بـه» حسب رسالة الحاجب موسى بن أحمد الى أمين المستفاد الحاج محمد الطريس الذى «تكلم معه فى شأنهم فلم يَكُفَّ عنهم» (8) . وأضاف الحاجب فى رسالة أخرى الى الطريس أن الحاج عبد الله حصار «ترامى على المكلفين بخدمة المخزن هناك بالدار البيضاء مما حمل الرجلين اللذين سميت على الاجتماع بجنس الماركان والبلجيك» (9) ، وزاد فى كتاب ثالث الى أمين المستفاد أن حصار كان «يأخذ من السلع التى تعشر بالمرسى ما يريد ، ويتقدم الى التعشير ويعشرها بأبخس ثمن» (10) .

7 — ولعل المنصب ظل شاغرا بعد وفاة حصار الى أن سمي فى يونيو 1879 **الحاج محمد الطريس** عاملا ولبث فى الولاية حتى أواخر 1882 .

8 — وفى يناير 1883 انتقل الطريس الى طنجة نائبا عن بركاش وخلفه الأمين الحاج **العربي بن مَحمد بريشة** (11) المولود سنة 1260/1844 بمدينة تطوان ، وكان بريشة منذ سنة 1869 تاجرا فى استيراد السكر والشاي والكتان (12) .

كما كان له نائب هو محمد بن محمد بن سلامة (أو السلامة) التطواني الذى بعد عودة بريشة الى سلك الأمناء صار سنة 1889 يتعاطى للتجارة الى أن توفي سنة 1892 ودفن بسيدي أبي الليوث بالدار البيضاء (13) .

---

8 . رسالته فى 14 قعدة 1/1293 دجنبر 1876 ، محفظة الطريس 1

9 . رسالته فى 4 محرم 19/1294 يناير 1877 ، المحفظة نفسها

10 . رسالته فى 15 محرم 30/1294 يناير 1877 ، المحفظة نفسها

11 . رسالة السلطان الى الطريس فى 20 صفر 0/1300 يناير 1883 ، محفظة الطريس 2

12 . تقاييد الحاج العربي فرج والحاج عبد الرحمان أقصبي فى محرم 1286/أبريل ماى 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1

13 . رسالة بوشعيب السعيدي الى الطريس فى 12 جمادى الثانية 1310/فاتح يناير 1893 محفظة الطريس 23

ويظهر أنه كان لـه خليفة آخر هو الأمين محمد بن عبد الرحمان بريشة ، وكان سنة 1883 ينوب عنه وعن من بعد الحاج العربي من الولاة . غير أنه انتقل الى الأمانة بالصويرة سنة 1885 ، ولربما عاد مرة أخرى الى الدار البيضاء (14) ولا سيما سنة 1892 ليكون خليفة أو أميناً بالمرسى .

9 — ولم أقف على المدة التي قضاها الحاج العربي في الولاية ، ولعلها انتهت قبل نونبر 1886 لما أسندت شؤون المدينة الى الحاج **المعطي بن الكبير المزامـزي** الشاوي (15) الذى كان سفيـرا في يوليوز 1889 الى فرنسا والى المانيا حسبما تقدمت الاشارة الى ذلك في طنجة .

10 . وفي أكتوبـر 1888 عهد بادارة المدينة الى **أحمد بن العربـي المديوني** (16) الذى تولاهـا مرتين أي قبل عبد الرحمان بركـاش وبعده سنة 1894 .

11 . **عبد الرحمان بركـاش** كان أمينا بالمرسى وعين سنة 1892 واليـا (17)

وبعد عزل محمد بنسعيد من أمانة المستفاد ، وتنحية محمد الحلوي ومصطفى جسوس وادريس الفيلالي عن أمانة الميناء ، وثبوت خيانة بنسعيد وتواطؤ أمناء المرسى معه سنة 1893 ، طلب بركاش أن يكون أمينا ثالثـا بالميناء بعد أن عين أمينان جديدان هما الحاج ادريس بن محمد برادة والحاج محمد هارون التطواني وأمين جديد للمستفاد كان هو أبو بكر بن أحمد دينية.

---

14 . رسالته الى عبد السلام ابن رشيد في 11 صفر 12/1301 دجنبر 1883 ، وكذلك الى تنصل فرنسا في 15 حجة 11/1309 يوليوز 1892 ، محفظة المغرب فرنسا ، ثم رسالة بركاش الى الطريس في 13 شعبان 28/1302 مايو 1885 ، محفظة المغرب ايطاليا

15 . رسالة الحاج المعطي الى الطريس في 6 صفـر 4/1304 نونبر 1886 ، محفظـة الطـريـس 9

16 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 10 صفر 16/1306 أكتوبر 1888 ، محفظة الطـريـس 14

17 . رسالة أحمد بن محمد العلمي الى الطريس في 11 شعبان 11/1309 مارس 1892 ، محفظة الطريس 22

وقد تعلل عبد الرحمان بركاش فى رسالته بأنه أضر به «كثرة الصائر وعدم الوجدان» (18) . وفعلا فى غشت 1894 صار أمينا ثالثا (19) أو على الأصح أعفي من الولاية حسب طلبه فى يوليوز 1893 .

وقبل وفاة السلطان الحسن الأول وقعت فضيحة فى المرسى ، وبعد وفاته بقليل حدثت فتنة بالمدينة وتمردت قبائل الشاوية وتدخل القناصل الأروبيون مثل جورج فيرنو الأنجليزي لعزل بركاش فعين أحمد بن العربي قبل شتنبر 1894 على ما يظهر (20) .

وزيادة على «عيطة» الأمناء وفتنة القبائل المجاورة وقعت فضيحة أخرى كان أصحابها هم المحتسب والناظر وعبد العزيز بركاش الذين تورطوا فى الفساد والخمر وانتهاك الحرمات والرشوة والزور (21) حسب رسالة أعطت أمثلة على ذلك .

وكان عبد العزيـز بركاش هو الخليفة (22) ولعله شقيق العامـل السابق عبد الرحمان .

• • •

ب — ولاة الأحـواز

هذا عن ولاة المدينة ، أما قواد الأحواز فقد كانوا كثيرين لا طاقة لحصرهم عن كل قبيلة من قبائل مديونة وزناتة والزيايدة ومزاب والمذاكرة والمزامزة وأولاد حريز وأولاد زيان .

---

18 . رسالة عبد الرحمان بركاش الى السلطان فى 22 حجة 1310/7 يوليوز 1893 ، محفظة الدار البيضاء 3

19 . رسالة عبد الرحمان بركاش الى الحاجب فى 12 صفر 1312/15 غشت 1894 ، المحفظة نفسها

20 . مارتان : «أربعة قرون من تاريخ المغرب» ص 371 ، ورسالة أحمد بن العربي فى 10 ربيع الاول 1312/11 شتنبر 1894 ، بالمحفظة المذكورة

21 . رسالة محمد شمس الدين بن الكبير المراكشي ومحمد بن الغزواني الى السلطان فى 11 شوال 1311/17 أبريل 1894 ، محفظة الدار البيضاء 3

22 . رسالة عبد العزيز بركاش الى الطريس فى 20 شعبان 1311/20 يبراير 1894 ، محفظة الطريس 20

على أن منهم من أسندت اليه مؤقتا ادارة شؤون المدينة مثل محمد بن رشيد وأحمد بن العربي والحاج المعطي بن عبد الكبير الذين كانوا على التتابع قوادا لأولاد حريز ومديونة والمزامزة .

ولا نقطع مطلقاً بأن محمد بن مشيش المديوني كان عاملا على المدينة في الفترة الممتدة بين ولاية عبد السلام السويسي ومحمد بركاش من جهة أولى ، وبين عهد محمد الجراري من جهة ثانية .

وجاء عن ابن مشيش أنه كان منذ بداية أمره «مشهورا بالتلوي والاستهزاء وقلب الحقائق والغصب» (23) ، وقد عزل عن ولاية الدار البيضاء إن كان فعلا تولى شؤونها (24) أو - بالأصح - عن قيادة قبيلة مديونة ، واعتقل بأمر السلطان قبل سنة 1865 على يد قائد أولاد حريز حسبما سيأتي الكلام عن خلافه مع المحمي الايطالي يحيى ابن الصائغ ومطالبة قنصل فرنسا بروسبير فيريوه إياه برد السلف الذى كان قد قدمه له .

كانت لكافة عمال الأحواز - أو لبعضهم على الأقل - مداخلات مع الأجانب ، وتصرفت طائفة منهم تصرفا لا يليق ، وذلك بالظلم والرشوة والاستهانة بأمور الناس وخدمات المخزن ، مما دفع طائفة من الناس فى إيالاتهم الى البحث عن الخلطة والسمسرة والحماية

ومن أشهر الولايات الكبرى إيالة أبناء الرشيد بقبيلة أولاد حريز ، كان محمد بن رشيد ابن عثمان هو المتولي عليها حتى وفاته سنة 1856 ، وبعده أسندت الى ابنه الأول رشيد المتوفى سنة 1869 ثم الى ابنه الثاني

---

23 . رسالة بركاش الى السلطان فى 5 ربيع الاول 20/1280 غشت 1863 ، محفظة بركاش 24 .

24 . يفهم من التعليق على الوثيقة 554 («الوثائق» 4 ص 326) أن محمد بن مشيش كان عاملا على المدينة ، ولعل الصواب أنه انما كان قائدا على مديونة ، اذ أن عامل الدار البيضاء كان فى ذلك الوقت هو محمد الجراري أي منذ 1862 .

عبد السلام من سنة 1869 الى سنة 1902 وهى تاريخ وفاته (25) ، بمعنى أنه ظل عاملا ثلث قرن ، و هي مدة تبيح كل شيء .

ولو تأملنا طائفة من الوثائق التى وصلتنا عنه لوجدناها طافحة بما يدل على سوء مسلكه وشدة إرهاقه لبني جلدته وعصيانه للأوامر المخزنية ، وللحقيقة و التاريخ ليس عبد السلام الوحيدَ من الولاة فى هذا العدوان على الرقاب والمتاع ، والتسلط على الأشعار والأبشار ، والزج بالمحكومين فى الموبقات ، والدفع بهم الى المزالق والمهلكات .

وسنقرأ شيئا منها لنرى فيه العامل الظلوم ، عفا الله عنه .

أولها النص الكامل لرسالة مَحمد بركَـاش ، فقد كتب اليه سنة 1881 يحذره وينصحه قائلا :

«وبعد فقد وصل كتابك بأن عامل الدار البيضاء (وهـو الطريس آنذاك) كتب لك بأن قونصو النجليز بها (وهو جون لاپين) بأن التاجر جورش (لعله جـورج فيرنو) أراد أن يجعل بوشعيب بن الشيخ محمد بن حسين سمسارا ، مع أن والده وجده كانا شيخين . ولما توفي والده تولى مكانه هو وعمُّه الشيخ علي ، وتوفر عند هم مال المخزن ، وعلمنا جميع ما ذكرتَ فى شأنه .

«فاعلم أننا تكلمنا فى هذه القضية ، فذكروا أن بوشعيب المذكور ليس هو بشيخ ولم يتقدم له تصرف وانما عمه هو الشيخ ، وهو فارقٌ عنه ومتباري معه بالعدول من كل مخالطة فى مال المخزن كانت لوالده وحاز ما هو خاص إرثاً عن أبيه ، ومع ذلك هو مسترعي على عمه المذكور فى تلك القسمة ، ذاكرا أن متاع أبيه لا زال عنده .

«لاكن نحن قد وقفنا فى هذه القضية غايةً ، بشرط أن لا تضر بوشعيب المذكور ولا تعاقبه ولا تزجره ولا تحوز له شيئا وتُبقيه على حالته التي ذكرت

25 . مييج «المغرب واروبـا» ج 3 ص 56

من الشياخة ولا تمد فيه يدك بسوء ، وان تراميت عليه أو حزت له شيئا فانهم يقفون في جعله سمسارا ويطلبون رد ما أخذت له ، ويقفون في ذلك على ساق الجد ، ولا تبقى لهم ثقة ، بحيث اذا كانت عندك قضية أخرى مثل هذه ، فلا يقبل كلام فيها .

«والآن فكن على بصيرة وأحسن الى إخوانك وتلطف في سياستهم حتى لا يتشوفون لمثل ذلك ، واياك أن يقع مد اليد في بوشعيب المذكور أو فيما هو له أو يقع ترامي عليه ولو بالكلام بسبب هذه الدعوى ، فاجعله كَمَنْ وقعت منه هفوة ووقع الاغضاء عنها ، والله يوفقنا جميعا وعلى المحبة والسلام» (26) .

ثم ها هو الطريس الذى كان عاملا على الدار البيضاء يصفه في رسالة منه الى السلطان سنة 1888 بأنه لم يكن يعبأ بكلامه ، ولا يرد على رسائله ، ويلفق للبعض من أولاد حريز التهم الباطلة ويشهد بأنهم «من فساد القبيلة المشهورين بالنهب وكذا وكذا» (27) ، الطريس انطلق في حكمه من واقع عاشه يوم كان أمينا وقائدا بهاته المدينة قريبا من إيالة ابن الرشيد .

وهناك عامل آخر يشهد في عبد السلام بما هو أخطر وما هو أفظع سنة 1886 ، وصورته أن رجلين من أولاد حريز هما : الغزواني بن المعطي وأخوه محمد اللـذان يُعرفان بأولاد الزيادية ادعى دارْمون وهـو «يهودي فرانصيصي أنهما في حمايته ، وأنه وردت لهما الورقتان بذلك من طنجة ، فكان الخديم ابن رشيد نبهني عليهما ، فجعلت الرصد عليهما ، فلما دخلا لثغر الدار البيضاء قبضت عليهما واسترعيت على قنصل الفرانصيص بأن حمايتهما لا تسوغ ، محتجا عليه بحجج وما قصرت .

26 . من «نسخة مما كتبنا لابـن الرشيد» في 6 جمادى الثانية 6/1298 مـاى 1881 ، محفظة بركاش

27 . رسالة الطريس الى السلطان في 19 صفر 25/1300 أكتوبـر 1888 ، محفظة الطريـس 14

«فلم يقبل وكتب لطنجة ، فلما كتب أرسلت على الرجلين وقلت لهما : ما حملهما على الدخول فى الحماية وترك حماية سيدنا ؟ فأجابا بأنهما ما حملهما على ذلك محبة فى تلك الحماية ولا بغض فى حماية مولانا ، وإنما حملهما على ذلك أنهما أحسا عدم الأمان على أنفسهما ومالهما ، وتحقق لهما ذلك حتى ما ينجيهما منه الا الفرار من البلد .

«فلم يقدرا على فراق وطنهما ، فالتمسا مدافعةً عن أنفسهما بما ارتكباه ثم تضرعا لدي وقالا : إن التزمتُ لهما بالأمان من سيدنا نصره الله على أن يدفعا ما نابهما وزيادةً مع اخوانهما ولا يقع لهما ظلم ، فانهما يشهدان عليه العدول برفض تلك الحماية وأنهما فى حمى الله ورسوله ومولانا أعزه الله.

«وكثيرا ما يـرد علينا أناس من أهل الحماية باكين شاكين بمن يحملهم على الدخول فى الحماية ، ومن هنا يعلم سيدنا أعزه الله أن بعض العمال يسوقون الناس الى هذه الحماية ويخالفون قصد مولانا الشريف فى مجافات الناس عنها» (28) .

ولو اضفنا الى هذا الظلـم البدني سلطة القواد فى جمع الهدايـا واستخلاص الضرائب والأعشـار واستبدادهم بقسط كبير منها دون بيت المال لظهر مبلغ الجور والارهاق .

وكانت تولية «أسواق قبيلة الشاوية لعمالها بخمسين ألف مثقال فى السنة ابتداء من شهر التاريخ» (29) أي ذي الحجة 1294/دجنبر 1877 شاهدا على خطـورة الضم بين السلطة المالية والادارية ، ذلك الجمع الذى يبيح كل محظـور .

* * *

---

28 . رسالة العربي بريشة الى السلطان فى 18 محرم 1301/17 أكتوبر 1886 ، محفظة المغرب فرنسـا

29 . رسالة محمد التـازي الى الطريس فى 6 حجة 1294/12 دجنبر 1877 ، محفظة الطـريـس 1

ت ـ السكـــان

تتضارب الأقوال فى تحديد أعدادهم ما دام الاحصاء لم يقع سوى من بعض الأجانب فى ذكر أرقام رعايا بلادهم ، وهو شيء هين بالنسبة اليهم لقلتهـم .

وسنستعرض هنا أرقاما استئناسية لفقدان غيرها ، الرواية الأولى تذهب الى أنه فى منتصف القرن التاسع عشر تراوح عدد أهل المدينة بين 600 و 1000 نسمة ، ثم تضاعفت الأعداد : 7000 سنة 1875 و 9000 سنة 1885 و 13 ألفا سنة 1893 وفى سنة 1900 كانوا 21 ألفا (30) ، وهكذا وفى ظرف نحو 50 سنة تزايد السكان تزايداً عشرين أو ثلاثين مرة حسب التقديرات .

وفي رواية ثانية : 700 نسمة سنة 1834 و 1.600 سنة 1856 و 5.000 سنة 1866 منهم على التتابع 150 و 250 و 1.800 من اليهود المغاربة (31) . وفى رواية ثالثة لم يكن أرثــور ليرد يقــدر السكان سنة 1872 الا بنحو 4000 نسمة ، منهم نسبة كبيرة من اليهود ونحو 100 أروبي (32) .

وكانت أعداد الأجانب في روايــة رابعة : 225 سنة 1878 منهم 114 اسبانيا ، ثم تضاءل رقمهم الى 160 سنة 1884 ، وما لبث أن ارتفع سنة 1893 الى 297 شخصا ، وفى سنة 1878 كــان من الفرنسيين 38 ومــن الايطاليين عشرة (33) .

واذا حاولنا أن نرجع قليلا الى الوراء سنة 1856 فسنجد أنه كان من الفرنسيين 12 ومن الاسبانيين 2 ومن الانجليزيين 2 ومن الايطاليين واحـد فقط (34) .

---

30 . مييج : «المغـرب وأروبـا» ج 2 ص 183 وج 3 ص 461 وج 4 ص 497

31 . المصدر السابق ، ج 3 ص 26

32 . عبد المجيد بنجلون «جـولات . . . 1872» ص 58

33 . مييج وهوج «الأروبيون بالدار البيضاء» . ص 22 و 25

34 . المصدر نفسه ص 18

ومن منتصف القرن (1856) الى مطلع القرن العشرين (1906) تضخمت أعداد الجوالي الاسبانية والفرنسية والانجليزية والايطالية والبرتغالية والطارقية فوصلت الى 1074 بالدار البيضاء والى 750 بالجديدة ، ومن دراسة أصولهم الجغرافية ومواطن ولادتهم فى كل من هاتين المدينتين يتبين أن 827 ولدوا بمدن المغرب و 638 باسبانيا و 149 بجبل طارق و 96 بفرنسا و 49 بالبرتغال و 39 بانجلترا و 26 بايطاليا أو بالمناطق التى كانت تسيطر عليها هاته الدول .

وزيادة فى التوضيح أسوق هذا الجدول : (35)

مواليد	وُلد ... بـ :	عاش منهم بالدار البيضاء	عاش منهم بالجديدة
1 ـ المغرب	99 بطنجة	71	28
	352 بالجديدة	31	321
	337 بالدار البيضاء	325	12
2 ـ فرنسا	96 بمدن مختلفة	81	15
3 ـ جبل طارق .	149 بجبل طارق	57	92
4 ـ اسبانيا	216 بمالقة	111	105
	240 بقادس	187	53
5 ـ البرتغال ...	35 بجزيرة ماديرة	27	8
6 ـ انجلترا	12 بالمستعمرات	10	2
	4 بلندن	2	2
7 ـ ايطاليا	26 بمدن مختلفة	15	11

35 . نقلا عن «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي فى القرن التاسع عشر» لجان لوي مييج ص 246 و 247

ولم تحفل الدار البيضاء بالأوروبيين فقط ، ولكنها كانت مسكنا للآفاقيين من المغاربة ، الحضريين منهم والقرويين ، وتقدم أن نسبة التكاثر فيها بين 1832 و 1866 بلغت نحو 700 فى المائة ، وقد أدى بها موقعها الجغرافي وخيراتها الفلاحية وتجارتها الى تقوية نشاطها وازدياد عمرانها .

* * *

ث — العمــران

قال قنصل فرنسا أگوست بوميي عنها : «لما وصلت الى مرسى الدار البيضاء سنة 1854 لم يكن مبنيا بالحجر الا 5 أو 6 من المنازل وبعض الدكاكين» ، ومثل ذلك أكده جون هي فوصفها بأنها ، بعد أن كانت قريـة متواضعة ، أصبحت ابتداءاً من سنة 1865 من أهـم مراسي المغرب «لأنها من مستحدثات التجارة الأجنبية» . وذكر الدكتور گيول أن أهميتها لم تعظم الا بعد مضي ثلاثين سنة (36) .

وجاء فى مصدر مغربي أنها كانت إبان ولاية الجراري عليها «خالية تقفرا ليس بها أكثر من 20 دارا» (37) .

والظاهر أن المخزن لم يكن فى البداية يريد تسهيل الاستيطان الأجنبي فيها ، بل كان يمنع البناء بها ، وهذا الأمـر لم يعبأ به البعض من التجـار الأروبيين سنة 1863 حسبما جاء فى هاته الرسالة من أميني مرساها آنذاك :

«. . . صرنا إذذاك نمنع كل من يريد احداث شيء بالبلد ، ولم نبح لأحد بناء قليل ولا كثير ، عدى من كان يبني بها قبلنا كفريول نائب قونصو الفرانصيص ، وديمون نائب عن جنسين ، والرومي بِيدْرْ من جنس النجليز ، والذمي الياهْ الزقوري فى حمايـة جنس البلجِقْ ، والذمي ابن الدباغ فى

---

36 . جان لوي مييج : «المغـرب وأوروبـا» ج 3 ص 18

37 . العباس ابن ابراهيم : «الأعلام . . .» ج 7 ص 222

حماية الفرانصيص ، وذمي يدعى يز ّ فى حماية الطليان ، وذميين فى حماية الصبنيول .

«فلما حاولنا منعهم من ذلك كغيرهم امتنعوا من الامتثال . . . وربما خاطبَنا بعضُهم بأنه يأتي بالمعلمين البنّائين من بلد أخرى ، ويلزمنا أن ندفع لهم الكراء اللازم لهم فى البابور أو غيره ، ويعد علينا أيام بطالة البناء ... وبقينا متحيرين ....

«فبالفضل منك استعمل نفسك فى هذه القضية ... حتى نكون منها على تحقيق ، بحيث لا يبقى عند نا تشويش ، فلا يخفاك أن مولانا ـ أعزه الله ـ لم يسلم لابن هليل الذى فى حماية الصبنيول الحوانيت التى له بالدار البيضاء من غير إعطاء نصف كراء» (38) .

ويظهر أن المخزن لم يكن حتى 1287/1870 يبني للأجانب شيئا بهاته المدينة لقلة أعدادهم ، ولا تفيد تقاييد الأمناء فى ذلك الوقت أنهم شيدوا لهم حوانيت ولا أهراءاً ولا مخازن ولا دورا ، ولكنه كان يكريهم عقارات يحتفظون فيها بحق الزينة مقابل حق الكلسة الذى للحكومة ، ولأنهم لم يبنوا لهم شيئا لم يطالبوهم الا بالكلسة ، وكان التجار من الأروبيين يكترون من الخواص أيضا مسلمين كانوا أو يهودا .

لكن بعد بدء التهافت على شراء العقار وتشييد الأملاك قال السلطان فى ظهيره سنة 1876 إن «أرض الدار البيضاء ليست من أرض الموات ، وانما هي ملك لجانب المخزن ، فلا سبيل لمن يريد التصرف فيها بوجهٍ الا عن إذن المخزن ومشورته ، حسبما هو مقرر على عهد سيدنا الوالد وغيره من أسلافنا الكرام ، وحتى فى الشروط التى بيننا وبين نواب الأجناس ... ولا يأذن فى بناء شيء بها ولو قلّ ، ولا فى فتح طاق ولا باب عليها» (39) . وقال محمد

---

38 . رسالة الحاج المدني الديوري ومحمد التازي الى محمد بركاش فى 8 رجب 1280/10 دجنبر 1863 ، محفظة بركاش

39 . ظهير فى 18 محرم 1293/14 يبراير 1876 ، محفظة الطريس 1

التازي للحاج محمد الطريس فى رسالته إن «أمر البناء قد وقع فيه التساهل حتى ضاعت أرض المخزن ، ولا بد أن تشمر عن ساعد الجد فى الخدمة ، ولتكن من أمر الأملاك ببال ... وكن على بال من أولاد الباشا ليلا يكروا الحوانيت وأعلمناك لتكون على بصيرة من ذلك ، لأنه ربما يقع من الدكالي تلبس في فى شيء من الأشياء ... ورد البال للعدول هناك ، لأنه بلغنا أن الغربي أحد العدول لم يتصف بأوصاف الشهادة ...» وختم رسالته بالبيت الشعري المتقدم ذكره فى ترجمة الطريس :

«قـد رشحـوك لأمـر لو فطنت لـه

فاربأ بنفسك أن ترع (= ترعى) مع الهمل» (40)

غير أن معاهدة مدريد المبرمـة سنة 1880 فتحت الأبـواب للتملك بشروط ، فالفصل الحادي عشر منها ينص على أن «حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروف ، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقـررة فى شريعـة البلد ...» ولذلك ــ ومع شيء من التساهل ــ بنيت الأهراء والدور علنا وسرا من لدن الأجانب والمغاربة الذين توافدوا على المدينة من كل حدب وصوب ، وتدخل الوزراء المفوضون لكي تكون للقناصل مقرات بالدار البيضاء . ولما كانت سنة 1891 أو قبلها بقليل سرح السلطان البناء للتجار بواسطة الأمناء حسب طريقة 6 فى المائة أو احتفظ بحق الأكراء وطالب بالكلسة أو بالكزاء ، إن كان الملك للدولة أو للأحباس ، وقالت رسالة السلطان فى هذا الصدد مفوضة للسلطة المحلية ومانعة البناء خارج البلد :

«إن البناء بمرسى الدار البيضاء لا يكون الا باذن مخزن البلد . والعرف هو عدم البناء أصلا بخارج البلد . وأرض الدار البيضاء كلها لجانب المخزن . ومن ادعى ملكية شيء منها لا تُسَلّم له رقبته . ولأجل ذلك جعل المخزن البناء بستة فى المائة .

---

40 . رسالة محمد التازي الى الطريس فى 6 شوال 14/1294 أكتوبر 1877 ــ محفظة الطريس 1 ، وعبد الهادي التازي : «رسائل مخزنية» ج 1 ص 35

«وصار اليهودي ولد حَسْيِيس' والرومي كارلو يبنيان بعرصة خارج البلد وكذلك النصراني جورش النجليزي حاز جنانات خمسة أمام باب مراكش وبنى بها دارا وعرصة ودارا للصابون» . وختم كتابه بوجوب تبليغ هذا القرار الى النواب بطنجة (41) .

ومن حيث تجهيز المدينة وتوسيع مرساها فقد كانت نية الحسن الأول أن يجعل للأروبيين حيا خاصا لهم مثل ملاح اليهود فى بعض المدن المغربية (42) وكانت المرسى مفتقرة الى عناية تناسب حجم حركتها الاقتصادية. ولهذا كان السلطان يريد بناء حائط لتكسير حدة الأمواج ، فوجه سنة 1885 تعليماته الى الطريس لكي يبلغ ذلك الى علم النواب بطنجة بواسطة منشور (43).

وفى سنة 1888 رفع جماعة من التجار الأجانب واليهود المغاربة عريضة الى السلطان يلتمسون منه فيها «أن يأمر ببناء دِوانة أو محل يكفي لوضع القطاني والصوفة وغير ذلك من البضائع المعروفة ، لكون الضرر الذي يقع إلينا اليوم فى أمتعتنا هو عظيم لسبب عدم ما ذكر . وأما الحضرة الشريفة — حفظها الله — التى افتخرنا بها غاية الافتخار حيث حل مولانا — أعزه الله — بهذا الثغر المذكور فى 18 مايه سنة 1876 موافقه 23 ربيع الثاني عام 1293 عارفة أخْيَرَ من غيرها أن هذه المرسى هى محتاجة الى ديوانة عظيمة كما ينبغي لتجارها ، مع أننا لا نشك بأن العلم الشريف تحقق بازدياد تجارتها فى المملكة السعيدة بهذه الناحية المغربية . لأن المحل الذى لا يكفي لواحد فلا يمكن أن يكفي لمائة .

«وعليه فالمرتجى من فضل الجانب الشريف أن ينظر الينا بنظره الكريم ، وينعم علينا بالأنعام الذى أنعم به على مدن أقل من هذه المدينة فى

---

41 . رسالة السلطان الى الطريس فى 17 ربيع الاول 20/1309 أكتوبر 1891 ، محفظة الطريس 21 ، وكارلو هو كارلو أطلايا الاسباني وجورش هو جورج فيرنو ، وذلك على ما نظن .

42 . سيأتي كلام عن ذلك مع فرنسا

43 . رسالة فيرو الى الوزير محمد بن العربي ابن المختار فى 22 أبريل 7/1885 رجب 1302 ، محفظة طنجة 3

قدر تجارتهن ، وأعوام : أقل من هذا فى الغلة وقع مرارا عديدة بأن السلعة الموضوعة فى زقاق الديوانة لوسقها بعد تعشيرها قد رجعت من المحل المذكور فاسدة رغما من التجار الى خزائنهم مع أهريتهم ، وذلك لعدم محل مسقف يحفظ من المطر وغيره حتى لا خنشة واحدة من الحب ولا قطعة من الصوف وغير ذلك . . . » (44)

وكانت هاتـه العريضة بتوقيع 35 تاجـرا من مختلف الجنسيـات والحمايات .

فمن فرنسا : جول بيكس وبروسبير فريوه ، وألكسندر سيريبس ، وألفونس كنيبة ، وكوستاف أنكـو .

ومن إنجلترا : جورج فيرنو ، وجون لابين ، ومردوخ بوطلير ، وستيفن هنطر ، وتشارليز باليسطرينو ، وحاييم كانسينو .

ومن ألمانيا : التاجران براندت وطول .

ومن اسبانيا : اخواكين أضـرُوباوْ ، ومانويل الباريس ، وسينطيس وكارسياس ، ودومينكو أطلايا ، زيادة على المحمَيين : الياهو التدْغي وابن قدعـون .

ومن البرتغال : كوميش ، والمحميان : شمويل التدغي ونسيم الزاكوري.

ومن ايطاليا : كايطانـو باليسطرينو والمحميان : إسحاق ناهـون وموسى بن شطريس .

ومن المحميين البرازيليين : هارون أزولاي ، وشلومو ابن هاروش ، ويحيى السرفاطي ، ويوسف كويهـن ، واسحـاق ابن السباط ، وابراهيم الزاكوري .

---

44 . العريضة مؤرخة فى 13 شتنبر 1888/7 محرم ١٣٠٦ . محفظة الهياة الديبلوماسية .

ومن التجار اليهود المحميين أو غيرهم : حاييم الزاكوري وابن زرقين وعطية كويهن .

وربما يكون في إثبات أسماء هؤلاء فائدة ، ولو أن من المحقق أن يكون العدد أكثر من ذلك بقليل ، وكانوا جميعا تجارا أو شركاء أو وكلاء أو شبه ذلك .

ولم يطلبوا ذلك وحدهم فقد رغب فيه الوزراء والقناصل مثل جول پاطنوطر الذى اقترح سنة 1889 بناء الأهراء لعدم ملاءمة عددها مع النشاط التجاري ، وزيادة الفلائك بالجديدة والدار البيضاء لحمل السلع من المراكب والى الرصيف اقتداء بما وقع في طنجة لما أنشئت الفلائك والمعديات ، وقد أصدر السلطان أوامره للأمناء بزيادة ذلك (45) .

* * *

ج ـ المحميون والسماسرة :

ولم تعرف مدينة مغربية ما عرفته الدار البيضاء سواء في اتساع تجارتها واقتصادها ، أو في تنوع التجار والقناصل بها وكثرة الحماة والمحميين.

وقد بلغ عدد القنصليات سنة 1900 بالمدينة أربعا : لاسبانيا وفرنسا وانجلترا وألمانيا ، وتسع وكالات لكل من النمسا وايطاليا وبلجيكا والولايات المتحدة والبرتغال والبرازيل والدانمارك وهولاندة والسويد والنرويج (46) زيادة على اليونان قبيل سنة 1880 .

ـ قد استفحل بوجود القناصل والتجار عدد المحميين والسماسر والخلطاء ، وسنرى من أجل ذلك في رسالتين كيف تطور أمر النوعين الأولين . أما الخلطاء فقد كانوا كثيرين ولا سبيل هنا للاتيان بأعدادهم الوفيرة من وجوه :

---

45 . مطالب فرنسا في 22 شعبان 23/1306 أبريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا (النقشان الرابعة والخامسة منها)

46 . ميبيج و هوج « الاروبيون . . . » ، ص 92

أولا لم يكن المخزن يقبل لوائحهم في البداية .

ثانيا لم تأت أسماؤهم في القوائم بصفة منتظمة .

ثالثا لأن الحماية لا تنطبق عليهم وانما على الأموال التى بيدهم لغيرهم.

رابعا وأخيرا لأن عددهم كان كثيرا (6 خلطاء على الأقل لكل تاجر) .

وعلينا أن نشاهد الوضع في وقتيْن متباعدين فلنتفحص الحالة سنة 1865 في رسالة الجراري الى بركاش ، قال العامل :

«... ليكن في كريم علمكم أن مولانا — نصره الله — كان كتب لعمال الشاوية من قبل بقبض واجب الزكوة والأعشار ، وكتب لي أيضا يأمرني — أعزه الله — بتعيين من يحضر على محاسبة الأشياخ مع العامة في الواجب المذكور ، ونص على أن من لم يدع الحماية فأمره ظاهر ، ومن زعم أنه فيها وإن كانت له لا تسلم له ولا يعمل بقوله ، وانما يعمل بما في الشروط من قصرها على ترجمان وبواب ومتعلمين اثنين يكونان بهم .

«ورأيت — أيها الأخ — تساقط المسلمين اليوم على أهل الحمايات ، ونسبة جميع أموالهم اليهم ، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية ، ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك ، ولا حد له ولا حصر ، بل تعطلت الأوامر المخزنية رأسا .

«والأمر الآن في غاية الازدياد ، ولا يكاد يوجد أحد على الاطلاق الا وله تعلق اما بالتجار أو القونص ، واما بمن احتمى بهم وهلم جرا ... وكادت كذلك أن تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم للتجار والاقناص ، مع بذل جميع أموالهم ونسبتها كلها أو نصفها لهم ، ومن لا شيء له يشهد أن في ذمته كذا وكذا مالاً للتاجر أو من تعلق به ، كي يجعل له تمييز وتشريف واكتساب جاه بذلك . . . » (47) .

---

47 . رسالته في 15 ربيع الثاني 1282/7 شتنبر 1865 — محفظة بركاش

وليت شعري كيف يكون هذا التمييز وهذا التشريف ان لم يكونا مسخا ومروقا ، هاته الحقيقة المرة سنتجرعها طوال هذا الباب ، ولن تكون الا قُلاً من كُثْرٍ في الحديث عن هذا السرطان .

حتى اذا كانت سنة 1311/1894 صرخ السلطان قبل وفاته بنحو الشهر هاته الصيحة المستنكرة في رسالة سبق لي أن أشرت اليها في الجزء الأول وأعيد هنا الاستشهاد بطرف منها حيث المقام مناسب :

«... التجار لم يتمشوا فى اتخاذهم السماسرة من الرعية على مقتضى الشروط .

«ومن جملة القبائل التى وقع فيها هذا الخـرق الفظيع . . . قبيلة مديونة ، فقد كادت أن تكون كلها سماسرة أو مخالطين بدون شرط ولا قانون حسبما تقف عليه . . . وملخصه اثنان وستون 62 سمسارا ومائتا مخالط ومخالطان 202 واحدى عشرة مائة وستة وخمسون 1156 خيمة منحاشة لأولئك السماسرة والمخالطين» (48) .

وقد وضعت جدولين لنجد فيهما أكثر مما ذكره الحسن الأول وما هو أفدح ، البيانان المذكوران يتناولان الدار البيضاء وأحوازها من سنة 1863 الى نهاية القرن تقريبا ، ومنها سيظهر أن عدد المحميين والسماسرة بلغ حسب الفترات ، ونظراً للتكرار وللانتقال من حماية الى أخرى 559 شخصا باعتبار انتمائهم الى الدول والقبائل والمدينة .

وسنجدهم مرتبين حسب الديانة (مسلمين ويهودا) ، وحسب الأصل القبلي (مديونة وأولاد حريز خاصة) ، والسمة البارزة أن أكثر المحميين كانوا من اليهود وجل السماسرة كانوا من المسلمين ، وسنطلع بالتفصيل على هاته الأسماء (ولو أن فى احصائها ثغرات) استخرجتها من الوثائق المخطوطة فى أكثرها ، ومن الكتب المطبوعة فى أقلها .

---

48 . رسالة السلطان الى الطريس فى 24 شوال 1311/30 أبريل 1894 ، محفظـة الطـريـس 20 .

ج 1 — **السماسرة : 1863 — 1900**

الـدول	اليهـود	أولاد حريز	مديونة	غيرهم	المجموع (49)
بريطانيا العظمى	4	21	5	20	50
ايطاليـا	9	14	10	11	44
البرتغـال	—	4	4	2	10
اسبانيـا	—	4	13	6	23
بلجيكـا	—	2	—	—	2
اليونـان	—	2	1	—	3
فرنسـا	5	16	14	27	62
الولايات المتحدة	10	17	16	21	64
البرازيـل	15	15	16	18	64
ألمانيـا	2	6	14	9	31
السويد والنرويج	—	—	—	3	3
المجاميـع	45	101	93	117	356

49 ـ أدرجت في هذا الجدول والذي بعده أعداد السماسرة والمحميين من مختلف الدول حسبما وقفت عليه في المصادر المخزنية التي طالت اليها اليد ، مع العلم أن القوائم غير منتظمة ولا متسلسلة في التاريخ يعتورها انقطاع كبير ، وأدخلت في الحساب ـ على سبيل الحفظ ـ أعداد هؤلاء الاشخاص الواردين في القوائم البرازيلية سنة 1900 والالمانية في بداية القرن العشريـن .

وبهذا الاعتبار حددت لمجموعها تاريخيا جزافيا هو 1863 ـ 1900 على سبيل التجوز ورغبة في شيء من الحصر الذي لا سبيل اليه كما لا يخفى .

ج 2 ـ المحميـــون : 1863 ـ 1900

الـــدول (50)	اليهـود	أولاد حريز	مديونة	غيرهـم	المجموع
ايطاليـــا	10	1	1	7	19
البرتغـــال	12	—	3	3	18
اسبانيـــا	14	7	11	3	35
بلجيكـا	3	—	2	3	8
اليونـــان	1	—	—	5	6
فرنســـا	2	2	1	5	10
الولايات المتحدة	28	1	—	9	38
البرازيــل	29	2	2	18	51
ألمانيـــا	1	—	2	4	7
هولانـــدا	—	1	—	1	2
النمســـا	2	—	—	4	6
السويد والنرويج	—	1	—	2	3
المجاميـــع	102	15	22	64	203

50 . لم أقف لبريطانيا العظمى على أسمـاء محمييها وأعدادهم هنا ، وهو أمر تسـ
يثير الاستغراب ، لان بريطانيا دولة كان لها سلك قنصلي واسع منذ عهود طويلة وكان لهـ
وزن ومصالح كبرى ، ولا شك أنهم ضمن المحميين الهولانديين والنمساويين وأن بعض قوائمهم
قد ضاعت ، والا فمن أين لها بأن تقوم برعاية مصالحها وهي على ما ذكرت ؟

2 : المانيا

تأخر الوجود الألماني عن غيره بالدار البيضاء خاصة وبالمغرب عامة ، وقد اتخذت ألمانيا وكلاء قنصليين ومحميين وسماسرة لتجارها ، وسنرى هذا في جملة من المطالب .

المطلـب الأول : السلـك القنصلـي

1 ـ اليكساندر كرارة : A. Karara الطارقي تولى من سنة 1879 الى حوالي 1885 تمثيل عدد من الدول من بينها ألمانيا وبلجيكا (1) .

2 ـ فرانس نيومان : F. NEUMANN الألماني ناب فترة قصيرة عن دولته (2) ولا سيما سنة 1884 .

3 ـ **وآلت الوكالة سنة 1885 الى هـ. فيكه** (3) H. Ficke ، واستمر كذلك حتى خلفه سنة 1896 :

4 ـ **فون بروك :** von BRUCK ، ولكنه لم يدم الا مدة قصيرة (4) فأسندت الوكالة الى :

5 ـ **إيكـــن :** IGEN من 1897 الى 1905 (5) .

---

1 . رسالته الى بريشة فى 11 ربيع الثانى 28/1302 يناير 1885 ، محفظة الحمايـة القنصلية ، وكذلك كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 39 .

2 . مييج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 201 ، وايضا كيين ، «ألمانيا والمغرب» ص 208 (2)

3 . كيين : «المانيا والمغرب» ص 55 (5) .

4 المرجع نفسه ص 412

5 . أيضا الصفحة نفسها

المطلب الثانـي : المحميـون

وردت أسماؤهم فى القوائم السنوية الألمانية .

1 — **محمد بن ابراهيم الحداوي البيضاوي** : كاتب (1890 — 1897) . ولا يظهر أنه كان سمسارا (6) .

2 — **يوسف بن إسحاق كويهن** : كان منذ سنة 1886 ترجمانا (7) وورد ذكره فى قوائم 1890 — 1892 .

3 — **الحسين بن محمد الزياني الرحيوي البيضاوي** : وكان سنة 1881 عونا في قائمة الوكيل القنصلي (8) وكذلك في القوائم الألمانية (1890 — 1895) ، وسيصير سنة 1897 سمسارا لفيكة .

4 — 6 : **التهامي بن محمد بن الشافعـي الحارثي المديونـي** (9) : كاتب ، **وابن علي بن الطيب المجاطـي المديوني** ، **والحسن بن الحاج علي السوسي** : عونان ، وكلهم بثلاثتهم جاءت أسماؤهم فى قائمة 1897 .

7 — **الميلودي بن محمد الزيادي الطالبي الرباطي** : محمي فى لائحة 1897 التى لم توضح وجه حمايته ، ولعله كان ترجمانا . فقد سبق له أن كان أحد المتعلمين بألمانيا (10) سنة 1291/1874 ، ثم بعد عودته صار فى خدمة المصالح الألمانية ، حسبما سيرد فى باب آخر .

---

6 . أورده ابن زيدان سمسارا لفيكة سنة 1880 ، لكن رسالة القنصل فيكة الى بريشة فى 20 حجة 1302/6 أكتوبر 1885 تذكر أنه كاتب .

7 . رسالة تيستا الى الطريس فى 25 مارس 1886/19 جمادى الثانية 1303 ، محفظة ألمانيا المغرب .

8 . بتاريخ 19 ربيع الثانى 1304/15 يناير 1887 ، وفيها أيضا ذكر المحميين الأولين ، ورقم الوثيقة بمكتبة تطوان هو 20/69 .

9 . جاء إسمه أيضا فى قائمة 49/69 وفيها انه كان متقعدا على 15 خيمة من اخوانه ، وتتعلق القائمة بالسماسرة من مديونة .

10 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151

المطلب الثالث : السماسرة

سنقتبس أسماءهم من وثائق مخزنية وألمانية .

أ — من تقييد ابن زيدان والقوائم الالمانية معا :

1 — **عباس بن الحاج بوشعيب الحارثي المديوني البيضاوي** : سمسار فرانس نيومان من 1880 الى 1882 ، وجاء عنه في قائمة 49/69 أنه كان متقعدا على 10 خيام من اخوانه ، أي «حاميا» اياهم ومنافحا عنهم .

2 — **بوشعيب بن الحاج مسعود ابن عمر العبدايمي المديوني** : مثله له في نفس السنوات ، ولكنه لم يعد سمساره في القوائم السنوية الموالية (11).

ب — من القوائم الألمانية وحدها (1880 — 1904) :

3 — **محمد بن ابراهيم الحداوي المديوني** : سمسار فيكة من 1880 الى 1884 وهي السنة التى عدل فيها عنه (12) .

4 — **الحاج الجيلالي بن العربي العامري السعيدي** : سمساره أيضا (1881 — 1885) ثم سمسار للتاجرين براندت وطول (1887 — 1892) .

5 — **محمد بن الطيب ابن العربي ولد العبودية المديوني** : سمسار نيومان (1880 — 1885) ثم عدل عنه في السنة الموالية (13) . سيصير سمسارا لمحمي أمريكي .

6 — **الحاج محمد بن علي ابن التهامي المجذوبي** : سمسار فيكة (1895 — 1897) .

---

11 . رسالة فيبير الى الطريس فى 6 ماى 1882 ، محفظة المغرب الماانيا

12 . رسالة فيبير الى الطريس فى 8 أبريل 1884 ، بالمحفظة نفسها

13 . رسالة تيستا الى الطريس فى 24 مارس 1886 ، وفيها أنه محمد بن الشيهب وليس ابن الطيب ، والصواب هو ما جاء أعلاه استنادا الى القوائم الالمانية المكتوبة بالحروف اللاتينية والعربية معا .

7 — **محمد بن المعطي ابن الراضي المجاطي المديوني** : سمسار نيومان في قوائم سنة 1890 الى 1895 ، بل انه حتى في سنة 1887 كان سمسارا له بعد عزل السمسار الخامس أعلاه (14) .

8 — **احمد بن بوشعيب الشياظمي** : مثله له أيضا في قوائم 1890 الى 1892 ، وكان قبل ذلك سمسارا له سنة 1885 حيث أبدله بالسمسار الثالث أعلاه (15) .

9 — **بوشعيب بن الفقيه محمد ابن الحاج الهراوي الحداوي المديوني البيضاوي** : سمسار براندت وطول (1890 — 1904) .

10 — **محمد بن بوعبيد الفقري الحريزي** : سمسارهما أيضا منذ 1890 بمدينة الرباط (16) ثم ورد اسمه أيضا في القوائم من 1892 الى 1897 . وسياتي ذكره سمسارا مع أمريكا وايطاليا .

11 — **العربي بن الشرقي الرحالي الحريزي** : كان بالرباط سمسارا للقنصل الالماني بنفس المدينة في قوائم 1890 — 1895 . الا أن السفارة كانت قد التمست تعيينه سنة 1887 ، فاعترض عامل أولاد حريز لكونه مدينا للمخزن ، وفعل مثله الطريس (17) ، ولكن حمايته بعد ذلك أصبحت مقبولة .

12 — **سليمان بن علي ابن الرامي المزابي** : مثله في نفس اللوائح ، وكان سمسارا لهنسين القنصل بالرباط ، ويظهر أنه استمر معه كذلك حتى بعد سنة 1902 .

---

14 . كما هو في قائمة قنصل ألمانيا بالدار البيضاء بتاريخ 14 يناير 1887 . ورقمها بمكتبة تطوان هو 20/69 ، وفيها ذكر السماسرة : 1 — 4 — 7 — 8 — 29

15 . جاء اسمه سمسارا في قائمة قنصل بلجيكا بتاريخ 28 يناير 1885/11 ربيع الثاني 1302 وذكر السماسرة : 1 — 4 — 5 معه أيضا .

16 . رسالة طاطنباخ الى الطريس في 15 يبراير 1890/24 جمادى الثانية 1307 ، محفظة المغرب ألمانيا .

17 . رسالة تيستا الى الطريس في 3 يناير 1887 ، ثم رسالتا طرافرس الى الطريس في 28 رمضان و 5 شوال 1305/8 و 15 يونيو 1888 وجواب الاخير الى الاول في 5 شوال أيضا ، المحفظة نفسها .

13 — **الحاج قدور بن محمد الرياحي الحريزي** : سمسار كارل فيكة (1890 — 1895) ، وسيأتي أنه كان سمسارا لتاجر انجليزي .

14 — **الحاج أحمد بن الحاج الرغاي المديوني البيضاوي** : سمسار شولتس (1895) ثم أصبح في خدمة گروندمان (1897) وأخيرا صار سنة 1904 سمسارا لهنسين القنصل بالرباط . غير أنه كان منذ 1893 سمسارا لشولتس المذكور (18) .

15 — **محمد بن قاسم الرحالي المجذوبي الزناتي** : سمسار نيومان (1890 — 1895) .

16 — **الحاج الطاهر بن الهاشمي القدميري الزياني المديوني** البيضاوي : سمسار براندت وطول (1895 — 1904) ، ولعله هو الذى كان سنة 1880 سمسارا لتاجر محمي بايطاليا ولآخر محمي بانجلترا .

17 — **المكي بن علي ابن القرش الغماري العبدايمي المديوني المدعو ابن الكاس** : سمسار شولتس (1895 — 1897) ، وكانت السفارة التمست سنة 1892 تعيينه سمسارا لنوطسل ، فاعترض أحمد بن العربي قائد مديونة قائلا ان المكي عامر الذمة (19) .

18 — **محمد بن محمد بن علال ابن مَزّين الحريزي** : سمسار هيسنير القاطن بطنجة (1897) .

19 — **شلومو بن موشي عمران الرباطي البيضاوي** : سمسار هازة وگروندمان (1897 — 1904) .

ومن قوائم سنة 1904 نقتبس أسماء السماسرة السبعة الآتي ذكرهم :

---

18 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 25 مارس 1893/7 رمضان 1310 ، المحفظة نفسها .

19 . رسالتا طاطنباخ الى الطريس فى 26 أكتوبر و 24 نونبر 1892 ، بالمحفظة المذكورة ، ثم رسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 19 رجب 1310/6 يبراير 1893 ، محفظة الطريس 24

20 – 21 : **الحاج بن الحاج الجيلالي المذكوري المزدوغي والحسين بن محمد الزياني** (المحمي رقم 3 أعلاه) : وكانا سمسارين لكارل فيكة .

22 – **الحاج أحمد بن الحاج عبد الله المسعودي المديوني** : سمسار أوطو هاكة .

23 – **أحمد بن الحاج دحمان المحروكي الزياني** : سمسار للتاجرين المتجولين ڤيكرت وإنكة منذ ما قبل سنة 1901 تقريبا (20) .

24 – 25 : **الحاج عبد السلام بن عبد الرحمان فويتح البيضاوي والحاج ابن اسماعيل الحبشي الحريزي** : سمساران لهنريخ فيكة .

26 – **الحاج بوعزة بن الحاج محمد ابن الحسن الأخير (21) الهراوي المديوني البيضاوي** : سمسار كارل فيكة سنة 1904 .

ت – من غير ذلك :

27 – **الحاج أحمد بن المفضل العلاوي الحريزي** : كان قبل سنة 1880 سمسارا لفيكة ثم عدل عنه (22) .

28 – **الحاج مسعود بن عمر العبدايمي المديوني** : كان حوالي سنة 1881 سمسارا لفرانس نيومان (23) ، وتقدم ذكر ابنه السمسار رقم 2 أعلاه .

29 – **مسعود الدرعي** : كان سنة 1886 وقبلها نائبا لبيرشة وريطر الألمانيين بالدار البيضاء حيث كان يقطن بها (24) .

---

20 . رسالة الطريس الى نائب ألمانيا فى 7 حجة 28/1318 مارس 1901 ، محفظة المغرب ألمانيا .

21 . كذا : وصوابه قد يكون الاحمر أو الحيمر ، أو ما يشبه ذلك

22 . رسالة فيبير الى بركاش فى 14 يناير 1880 ، محفظة ألمانيا المغرب

23 . رسالة فيبير الى الطريس فى 6 ماى 1882 ، وأخرى منه الى بركاش فى [illegible] 1881 ، بالمحفظة نفسها .

24 . من الوثيقة 20/69 بتاريخ 14 يناير 1887 (الهامشة 14 أعلاه) ومن رسالة [illegible] ملحمة الى الطريس فى 6 شتنبر 1885 .

30 ـ **الحاج عمر البيضاوي : كان سمسارا لكارل فيكة حتى سنة 1887** حين جرد من الحماية (25) .

31 ـ **التهامي بن الحسن الجروصي المديوني** : طلبت السفارة سنة 1894 أن يتخذ سمسارا لهيرمان ثوربك ، فاعترضت السلطة على تعيينه بدعوى أنه شيخ ، وقال أمينا مرسى الدار البيضاء ان التاجر «غير معروف ، والسمسار من أشياخ مديونة ، ولكن نصرانية كانت تتجر فى خردة تجارة ضعيفة قالت : اجعلوا أن تجارتي فى اسم التاجر المذكور» (26) .

وكان بين المخزن والسفارة خلاف حول هذا السمسار . ومما جاء فى جواب طاطنباخ أن ثوربك له «تجارة كثيرة فى الداخل والخارج ، وقد بينا ذلك لسيادتكم بتقديم عدد من الفاطورات ومن أوراق الوسق التى باسمه ، وأن أيضا بمقتضى البطاقة التى نظرتموها من أمناء أعشار الحرائة تثبت أن التهامي الجروصي ليس هو بشيخ .

«وليس خاف عن علم سيادتكم بأن العمال وقياد الحضرة الشريفة يجعلون دائما التعللات المذكورة التى تمنع التجارة وتسبب لها أضرارا كثيرة .

«فعليه ، أعلم سعادتكم بأنني أعطيت ورقة الحماية الى السمسار التهامي بن الحسن الجروصي المذكور . . . » (27)

المطلب الرابـع : المستوطنـون

1 ـ 2 ـ الاخـوان فيكـة : FICKE

ـ **هينريخ ألبريخت فيكة** ولد بألمانيا سنة 1854 ، وأقام بجبل طارق من سنة 1874 الى 1877 ، كان يعرف المغرب ويتكلم باللغة العربية ، وقد صار

---

25 . رسالة تيستا الى الطريس فى 29 يناير 1887 ، محفظة المغرب ألمانيا

26 . رسالة الامينين محمد هارون وادريس بن محمد برادة الى الطريس فى 10 شوال 22/1311 أبريل 1894 ، محفظة الطريس 26 .

27 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 5 أبريل 29/1894 رمضان 1311 ، محفظة المغرب ألمانيا .

سنة 1885 نائبا قنصليا لبلاده ، لكنه لم يكن كفؤا لمنصبه حسبما جاء فى بعض المصادر ، ولذلك عوض سنة 1895 بقنصل مقتدر (28) .

كانت له شركة تجارية تستورد السلع من ألمانيا ، واتخذ لذلك عددا كبيرا من الخلطاء بالدار البيضاء وأحوازها ، وتقدم ذكر سماسرته بهاته المدينة.

— أما شقيقه كارل فكان شريكا له حتى انفصل عنه فى أكتوبر 1899 ، وفتح فرعا لتجارته بالجديدة .

ولد كارل فيكة بألمانيا سنة 1862 ، والتحق بأخيه بالدار البيضاء ، وكان له دور كبير فى افادة المصالح الألمانية العلمية والسياسية والاقتصادية ، وكان مثل أخيه متقنا للغة العربية وعارفا بعوائد المغرب والمغاربة ، وأكثر نشاطا وحيوية منه .

فقد رافق بعثة ماكس كيدنفيلت M. Quedenfelt الى الجنوب سنة 1884 ، وبعثة ياناش Jannasch الى وادي نول سنة 1886 ، واضطلع بدور محسوس فى فرار بعض جنود اللفيف الأجنبي الفرنسي من الدار البيضاء الى ألمانيا سنة 1907 ، فكان نشاطه قويا ضد فرنسا التى لما أشهرت الحرب العالمية الاولى اعتقلته سلطاتها بالمغرب وحجزت أملاكه ثم أعدم فى 18 يناير 1915 متهما بالجاسوسية (29) .

3 — فرانس نيومان : F. NEUMANN

تاجر ألماني مشبوه الحركة ، تولى أول الامر النيابة القنصلية عن بلاده لفترة قصيرة ، وكان له خلطة مع المغاربة فاتخذ عددا من السماسرة .

لكن نشاطه كان سياسيا أكثر منه اقتصاديا ، ويستفاد من بعض المصادر المغربية أن «التاجر نومان ليست له تجارة إطلاقا ، فلا يستحق

---

28 . بيير كيين : (ألمانيا والمغرب) ص 55 و 56

29 - نفسه ص 55 و 56 و 400.

السمسار فضلا عن اثنين» (30) ، وذلك لما طلب سنة 1887 تعيين السمسارين الاول والثامن .

كان مهربا وبائعا للسلاح ، وفى هذا المعنى تقول رسالة وجهها مخبر مجهول : «بعد اكمال الخبر الذى أعطي لحضرته الشريفة فى ارسال الاسلحة للريف أن الالمانِ المسمى لومان القاطن فى الدار البيضاء مشتريا بعض أراضي هو واثنان من الالمان فى البر المراكشي ، ويقال ان هذه الاراضي هى شرقي حوز مليلية وقرب الوادي المنكب في البحر قبالة جزيرة شَفَرِينَة .

«وأيضا كما عرفوا حضرته الشريفة أن هذا لومان قد اشترى فى هذه الأيام فى لندرة عشرين ألف مكحلة المسمات سبنرسير ، ويقال ان هذه المكاحل يرسلها للريف ولتافلالت ولتوات ، ويقال ان البعض من هذه المكاحل توجهت من لندرة فى التاسع من شعبان الفارط لتافيلالت أو لتوات على يـد التاجرين الألمانيين المسمين مَوْر ووِيْس القاطنين بالصويرة ، أما [البعض] الآخر من المكاحل ربما تتوجه عن قريب من لندرة للريف .

«ويخبرون أن كبانية الأنجليز متاع المراكب المسمات فرْو'د ومراكبها ترد لطنجة فى كل شهر هى التى تأتي بعشرة آلاف من المكاحل مع قرطوسها ، وهذه المكاحل يرسلونها على عشرين مرة ، كل مرة يريدون (= يَرِد'ون) بعشرين او خمسة وعشرين صندوقا ، وفي كل صندوق عشرون مكحلة ، كل واحدة بتفالتها ، ويقال أيضا : ان الثلاثة من الجرمنيين الذين بالريف قد لبسوا لباس العربي حتى يختلفون » (31) .

كان تاجرا في السلاح يستورده لحساب المخزن أيضا . فقد بـــاع سنة 1889 للمخزن عشرين ألف مكحلة (32) .

---

30 . تعليق فى طرة الوثيقة 20/69 (14 ينا'ير 1887) المذكورة سابقا

31 . الرسالة غفل من التاريخ الذى قد يكون سنة 1889 ، ومن اسم مرسلها الذى نعتقده فرنسيا . فقد كان الفرنسيون فى الجزائر يتوجسون خيفة من هذا النشاط قرب الحدود الشـرقيـــة .

أما تعجيم الاسماء الواردة هنا فهو على التوالى Forwood - Waïs - Maur

32 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 204 ، وكيين : «ألمانيا والمغرب» ص 208 (؟) .

وكان نيومان قبل ذلك سنة 1881 يتعاطى الفلاحة وتربية المواشي . ولذلك « اشترى أرضا فى مديونة ، ووقع المنع من الأذن للعدول في الشهادة له . ثم إنه أراد أن يبني فيها حظيرة لبقره ، فمنع عامل مديونة البنائين من البناء أولا ، وبعد ذلك أرسل مخازنيته للطريق وتعرضوا للتاجر المذكـــور عند رجوعه للدار البيضاء مع البنائين والخدامة ، فقبضوا على البنائين والخدامة وجعلوهم بالسجن وأخذوا لهم سبعة وعشرين حمارا وجملا واحدا . والتاجر المذكور توجه للشكاية على باشدوره بطنجة ... » الذي « طلب منا البحث عما حصل للمذكور من الخسارات بسبب ما وقع له ... » وقدرها « ثلاث عشرة مائــة ريال ... » (33) :

وظل نيومان هكذا حتى اغتيل سنة 1894 على يد مجهول . ولمـــا مات طلبت ألمانيا دية مالية ضخمة فنالتها سنة 1895 وقدرهـــا 410 آلاف فرنك ، وقد مرت العلاقات المغربية الألمانية من سنة 1894 الى 1897 بسببه بأزمة خطيرة (34) .

4 ـ فريدريك براندت : F. BRANDT

ولد بألمانيا سنة 1856 وحل بالدار البيضاء في اكتوبـــر 1879 ، وأصبح شريكا لهينريش فيكة . وكان وكيلا قنصليا للمملكة النمساويـــة الهنغارية ، وفي سنة 1914 أصبح نائبا قنصليا لألمانيا واتهم بالجاسوسية لبلاده فحكمت عليه سلطات الحماية بـ 10 سنوات من الأشغال الشاقة (35) .

5 ـ هنريش طـول : H. TOEL

ولد سنة 1885 والتحق ببراندت لتجريب حظـه وأصبح شريكـــا لفيكه سنة 1885 ، وبعده اشترك مع براندت . ومن جملة ما كانا يصدرانه سنة 1886 رؤوس البقر ، وقد غادر المغرب سنة 1905 (36) .

---

33 . رسالة بركاش الى السلطان فى 5 حجة 1298/29 أكتوبر 1881 ، محفظة بركاش .

34 . عبد الله العروي : «الاصول ...» ص 248 (29) وجيرمان عياش : «أزمة العلاقات المغربية الالمانيـــة 1894 ـ 1897» فى مجلة «ايسبريس ـ تمودا» 1965 ، ص159 ـ 201 ، ولاسيما ص 186 من المجلد الرابع .

35 . كيـن : «ألمانيا والمغرب» ص 56 .

36 . المصـــدر والصفحـــة السابقـان .

6 ـ فالطر شولتس : W. SCHULTZ

تقدم خبره بطنجة ، وقد استوطن الدار البيضاء عدة سنوات ، وكان له سماسرة وخلطاء .

7 ـ هيرمان فوربك : H. WORBECK

أصله من مدينة نورمبيرغ . وكان له سماسرة لحسابه على يده أو على يد غيره الذي هو فيكة الكبير . وكان سنة 1894 مقيما بالدار البيضاء (37).

8 ـ نوطسل : NUTZEL (?)

استوطن الدار البيضاء حوالي 1892 ، وطلب تعيين سمسار له . غير أن الأمناء ذكروا أن نوطسل ليست له تجارة ، فرد سفير ألمانيا قائلا إنه مسجل عنده بدفاتر التجارة وأنه يستحق أن يتخذ له سمسارا ، طالبا الموافقة على تعيين المكي المديوني رقم 17 أعلاه ، ومخبرا أن نوطسل حديث الاستيطان (38) .

9 و 10 ـ فيكرت و إنكة : WEIKERT/ENKE تاجران متجولان كان لهما سماسرة وخلطاء .

11 ـ الدكتور هاكة : Otto HAAKE كان له سمسار وخلطاء سنة 1904 .

12 ـ كرويلمان : F. GRUELMAN كان ذا خلطاء بالدار البيضاء وأحوازها حوالي سنة 1897 في الفلاحة وغيرها (39) .

---

37 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 5 أبريل 1894 ، محفظة المغرب المانيا .

38 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 24 نونبر 1892 ، المحفظة نفسها .

39 . كان للتجار الالمانيين عدد كبير من الخلطاء : 46 لبراندت وطول و 28 لنيكة وشركته و 17 لهازة وكروندمان و 13 لاوطو هاكة ، حسبما جاء فى قائمة 25 مارس 1897 المتعلقة بالخلطا بالدار البيضاء والرباط والجديدة وطنجة ، وهي بتوقيع البارون فون شنك ، وزير المانيا بطنجة .

13 ـ أدولف دوبيرت : A. DOBBERT

طبيب البحرية البروسية ، ولد سنة 1853 استوطن الدار البيضاء في أكتوبر 1880 وزاول فيها الطب حتى سنة 1889 حيث غادر المغرب ، ولكنه عاد اليه سنة 1902 .

وفي سنة 1885 اشترك مع المغاربة في تربية الغنم بسهول زناتة . وكانت له خلطة مع رجال من قبيلة مديونة (40) .

14 ـ جورج كراكة : G. KRAKE

ولد بألمانيا سنة 1856 ووصل الى المغرب سنة 1886 . وبعد أن قضى شهورا بتطوان وفاس ، استوطن الدار البيضاء وفتح صيدلية وعيادة بها سنة 1894 ، وقبل ذلك حدث خلاف بينه وبين القنصل فيكة الذي منعه من تعاطي الطب بدعوى أنه غير طبيب . لكن طاطنباخ رفض مطلب القنصل وأمره بتركه في نشاطه لأن كراكة كانت له معرفة بالمغرب .

دخل الى المغرب باسم مستعار مدعيا آنه روسي الأصل ، وكان يتشاجر باستمرار أمام الملأ مع زوجته الاسبانية ، كما كان متسريا بامرأة مغربية مسلمة .

وكان عميلا لشركة أوطو هاكة ، وفي سنة 1909 صار فى خدمة دار مانيسمان بالدار البيضاء (41) .

---

40 . كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 57 (1) .

41 . المرجع نفسه 399 (4) و ص 486 (4) .

3 : الولايات المتحدة الامريكية

المطلب الأول : السلك القنصلي

1 ـ قبل سنة 1880 كان **مسعود العسـري المجوطـي** متوليا أمور المصالح الأمريكية بالدار البيضاء (1) .

2 ـ وبعد هاته السنة أو قبلها بقليل أسندت الى **جـون كـوب** حتى حوالي 1887 .

3 ـ اذ في السنة الأخـيرة عـين لها **يوسف روفيـل** المحمـي الأمريكي (2) بعد أن كان المخزن قد اعترض على تسميته ، ولكنه ظـل وكيلا الى حدود سنة 1889 .

4 ـ ولربما عاد **كـوب** من جديد لتولي أمرها سنة 1889 الى السنوات الأولى من القرن العشرين .

• • •

المطلب الثاني : المحميـون

نقسمهم الى محميين استثنائيـين والى محميين قنصليـين جـاءت أسماؤهم في الكثير من الوثائق الأجنبية والمغربية المضطربة .

---

1 . تقييد دعاوي القبطان كوب ، النقطة الرابعة ، 19 صفر 1297/فاتح يبراير 1880 ، محفظـة بـركـاش .

2 . رسالة ليويس الى الغسال فى 6 يوليوز 1887 ، محفظة المغرب أمريكا .

أ ـ المحميون القنصليون

أ . 1 ـ من تقييد ابن زيدان (1880) :

1 ـ **الحاج عبد القادر الباشا** الرباطى كان معينا لجون كوب وكاتبه منذ ما قبل سنة 1880 حتى أقصي حوالي 1889 من وظيفته ، فصار منذ ذلك الوقت الى ما بعد 1894 كاتبا بالقنصلية الايطالية .

كان الحاج عبد القادر الباشا من الموسرين ، فقد « ورث عن جده الحاج أحمد الباشا خزينين ، ثم شرع في بنائهما بناء جديدا » سنة 1881 ، غير أن السلطة المحلية منعته من اكمال البناء « وجارت عليه مع أنـــه من الناس الذين عندهم الأهرية مثل بوسبير فريول وغيره ... » (3) .

ولما استفسر بركاش عاملَ الدار البيضاء عن ذلك أجابه بأن هذين الهريين هما « لجانب المخزن ، وكانا بيد يهودي اسمه قرقوز أعارهما بعد ذهابه لبر النصارى للباشا الرباطي ، وبقيا بيد أولاده يتصرفون فيهمـــا ، وتنوسيا وصاروا يدعون ملكيتهما » (4) .

2 . 5 ـ **احمـد بن ناصر** مستخدم الى ما بعـد سنـة 1887 **والعربي الدرقاوي والمعطي الشتوكي وحمو الكروسي** وكلهم مستخدمون أو أعوان .

6 ـ **الحاج عزوز البيضاوي** : وقّاف البناء ، ولكن ابن زيدان حرف اسمه الى مجون .

وكان الطريس أثناء عمالته على المدينة قد أدبه وجلده وسجنـــه ، فطالب كوب العاملَ بتعويض عن ذلك قدره 400 ريال ، ولما بلغت القضية الى علم السلطان كتب الى العامل يقول ان « قونصو المركان لا زال يتكلم

---

3 . رسالة ماثيوز الى بركاش فى 16 ربيـع الثاني 18/1298 مارس 1881 ، المحفظة الاخيرة

4 . رسالة الطريس الى بركاش فى 4 جمادى الثانية 4/1298 ماي 1881 ، المحفظـة المـذكـورة .

في دعواه عليك بأنك ضربت الحاج عزوز وهو في حماية جنسهم ، ويطلب أربعمائة ريال ، فنأمرك بجعل سداد معه ولابد ، وكف لسانه عنك ـ وهذا ان كان له حق في ذلك ـ والا فاجبه بِمُسْكِتٍ يصرفه عنك » (5) .

7 ـ **مسعود العسري** : كان بناءا وظل محميا حتى بعد سنة 1887 .

8 ـ **ابراهيم مناحيم عطية** ترجمان الوكالة وبقي مذكورا في الوثائق حتى بعد سنة 1887 أيضا . وقد اشتهر مع كوب ببيع الحماية .

9 ـ **اسحاق بن زرقين** : كاتب تارة ، وترجمان تارة أخرى .

أ . 2 من غيره :

10 ـ 11 : **بوشعيب ابن المسناوي** (6) مستخدم سنة 1881 **ومحمد بن عيسى الكروصي** عون بالوكالة في تلك السنة ، وجاء اسمه في وثائق أخرى سنة 1887 .

12 ـ 13 : **ابراهيم مسعود عمار بركوم وابراهام عمار** : مستخدمان سنة 1881 وبعدها في جملة من القوائم .

14 ـ 15 : **علي الدكالي وشلومون واحنيش** كانا سنة 1889 مستخدمين بالقنصلية (7) .

16 ـ **الحاج خريبش بن الحاج الحبشي الحريزي** : صار سنة 1889 كاتبا بدلا من الحاج عبد القادر الباشا الذي « كان يقرأ بفاس... وصار يخدم مع القنصل منذ عام ... » (8) .

---

5 . رسالة السلطان الى الطريس فى 7 قعدة 11/1297 اكتوبر 1880 ، رقم 1/41 مكتبة تطوان ، ثم القضية الاولى من دعاوي كوب (يبراير 1880) .

6 . رسالة ماثيوز الى بركاش فى 9 صفر 31/1299 دجنبر 1881 ، محفظة بركاش .

7 . بينة عدلية فى 26 شوال 25/1306 يونيو 1889 ، ورسالة خليفة عامل الدار البيضاء الى الطريس فى 27 شوال / 26 يونيو ، محفظة الطريس 16 .

8 . رسالة ماثيوز الى الطريس فى 6 ربيع الأول 20/1308 أكتوبر 1890 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة .

ب - المحميون الاستثنائيون

وهم كثيرون جدا وردت أسماؤهم في طائفة من الوثائق وكلهم تجار .

ب 1 - من تقييد ابن زيدان :

17 - 19 : **دابيد بن داحة العبلية وداويد الباز وسالم الرومي**

ب 2 - من القائمة السنوية القنصلية (9) :

20 - 24 : **ميمون بوطبول ومير بوطبول وشمويل بن هاروش ومسعود العسري المجوطي** (وهو غير المحمي 7 أعلاه) **ومسعود الدرعي .**

أما الدرعي فكان سنة 1885 سمسارا للتاجرين الألمانيين القاطنين بمدينة لبسيك وهما ريطر وهيرشة ، ولكن « أشغال الدرعي الخصوصية له ليس هي تحت الحماية » (10) الألمانية .

ب 3 - من قائمة أمريكية محلية أخرى (11) :

25 - **الياهو عمار**

ب 4 - من قائمتي 69 - 59 و 69 - 60 الغفلين (12) .

---

9 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69 /10 وتاريخها هو سنة 1884/1302 ، وتشتمل على 29 محميا منهم من سبق ذكرهم وهم ذوو الأرقام : 1 - 2 - 4 - 6 - 8 - 9 - 17 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 21 ، وهي بامضاء جون كوب ، ولا تمييز فيها بين المحميين والسماسرة .

10 . رسالة منصور ملحمة الى الشريـ..ـى فى 6 شتنبر 26/1885 قعدة 1302 ، محفظة المغرب المانيا .

11 . رقمها بمكتبة تطوان هو 34/69 وهي عارية من التاريخ وتحتوي على أسماء سماسرة وعلى أسماء المحميين ذوي الارقام 1 - 2 - 8 - 11 - 12 - 17 - 19 - 20 - 25 .

12 . وهما غفلان من التاريخ وفيهما سماسرة ، وفيهما أيضا المحميون أصحاب الارقام 7 - 8 - 9 - 18 - 19 - 20 - 25 ولكن ليس فيهما ذكر الحاج عبد القادر الباشا المعزول عن الحماية سنة 1890 ، مما يحمل على الاعتقاد أنهما وضعتا بعد هذه السنة .

26 — 28 : **يعقوب ابن الصائغ وأسير الليبي ويمين أبطاح .**

ب 5 — **من قائمة الخلطاء العامة الغفل** (13)

29 — 33 : **شمويل بن قاسيس ويعقوب بن سعيد وابراهام أمسلم وليون روفيل وليون واحنيش .**

ب 6 **من قائمة 69 — 6 المحلية** (14) :

34 — **مسعود عمـــار**

ب 7 — **من قائمة 69 — 22 الأمريكية** (15)

35 — **يعقوب الدرعـي .**

ب 8 — **من 69 — 45 الغفـل (16) :**

36 — **اسحـاق العسري**

ب 9 — **من غـير ذلك** (17) :

37 — 38 : **يوسف روفيل ويهودا روفيل :** كان الأول نائبا قنصليا وتاجرا محميا ذا « تجارة ضعيفة في الداخل والخارج » (18) . أما الثاني فكان « لا أصل لتجارته مطلقا بالدار البيضاء » (19) سنة 1888 .

---

13 . هي غفل من التاريخ ومن الرقم ، وخطها مثل خط 69/59 و 69/60 ، وتاريخها قد يكون بعد سنة 1889 .

14 . وهي كذلك عارية من التاريخ وفيها 17 شخصا منهم المحميان 8 و 23

15 . تاريخها هو 1 يناير 1888 / 16 ربيع الثاني 1305 .

16 . وهي قائمة السماسرة والخلطاء من أهل مديونة ، ولا تاريخ لها .

17 . ثمة وثيقة أخرى بتاريخ 9 جمادى الثانية 1303 / 15 مارس 1886 ، وفيها أسماء 25شخصا من الدار البيضاء وخارجها ، ونصت على أسماء المحميين ذوي الارقام 1 — 11 — 12 — 13 — 17 — 19 — 20 — 23

18 . رسالة أميني المرسى الى الطريس فى 10 قعدة 1305 / 19 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 16 .

19 . نفـس الرسـالـة أيضـا .

المطلب الثالث : السماسرة

أ ـ من تقييد ابن زيدان (1880) :

1 ـ 2 : **يوسف بن حمو** شريك مسعود العسري **ومناحيم عطية** الذي كان بعد ذلك ولاسيما سنة 1893 سمسارا لتاجر من جبل طارق اسمه ابراهام كما جاء في بعض المصادر .

ب ـ من قائمة 10/69 القنصلية (20) :

3 ـ **أحمد بن صابر الكريزي الهدروسي الحريزي** الذي كان سنة 1886 سمسارا لابراهام عطية ترجمان القنصلية وفي سنة 1888 صار عطية نائبا للتاجرين الامريكيين كين سطيرلينك وكوتس Keen Sterling and Coates المقيمين بمدينة فيلا دليفيا وطلب أن يجعل في خدمته ابن صابر المذكور وكذلك هذا السمسار :

4 ـ **قاسم بن عبد الحميد الكريزي الهدروسي المزامزي** : (21) ، لكن الطريس أجاب عن ذلك بالتريث حتى يستفهم عن التاجرين وعن السمسارين (22) ، وما من شك أن المخزن ارتضى هاتين السمسرتين

5 ـ **الميلودي بن محمد ابن المكي الأحرش الحريزي** : كان سنة 1883 في خدمة إلياس ابن الطويل المحمي بالعرائش ، وفي سنة 1887 جدد الطلب في شأنه (23) .

---

20 . تاريخها هو 1302 / 1884 ولم ترد فيها أسماء التجار . ولكنني سأحاول أن أبحث عنهم من خلال الوثائق ، لان القوائم الامريكية صمتت عنهم .

21 . رسالة ليويس الى الطريس فى 1 يبراير 1888 / 18 جمادى الاولى 1305 ، ورقمها بتطوان هو 52 / 149 ، وكذلك قائمة 15 مارس 1886

22 . مسودة جواب الطريس فى طرة رسالة ليويس المذكورة فى الهامشة السابقة ، وفيهما كلام عن السمسار ادريس بن عبد القادر رقم 15 .

23 . رسالة قنصل أمريكا الى خليفة عامل الدار البيضاء فى 12 صفر 1301 / 13 دجنبر 1883 ، محفظة الحماية القنصلية ، ثم رسالة ليويس الى الطريس فى 21 حجة 1304 / 10 شتنبر 1887 ، محفظة المغرب أمريكا

6 — **الحاج علي بن الحولي الحلوفي الحريزي** : كان سمسارا لابراهام عطية ، ثم انتقل الى خدمة ليون روفيل حتى سنـــة 1888 لما عـــزل مـن الحماية (24) ، وكان قبل ذلك سنة 1880 سمسارا لمحمي أو تاجر ايطالي كما سيـأتـــي .

7 — **محمد بن علي ولد غنو الحلوفي الحريزي** : سمسار مناحيـم عطية سنة 1888 . وكان سنة 1887 سمسارا ليوسف روفيل (25) .

8 — **التهامي بن بوشعيب بن العياشي المجاطي المديوني** : سمسار جون كوب (26) سنة 1880 أو قبلها . لكن وثيقتين (27) ذكرتا أنـــه كـان خليطه ومعترضا على 15 خيمة من اخوانه ، أي « حاميا » للمنحاشين اليـــه والمقربـــين .

9 — **عبد الله الزواغي المسعودي المديوني** مثله في السمسرة لجون كوب ، ولكنه في 69 / 45 و 69 / 47 خليطـه .

10 — **ابراهيم بن قاسم بن الهاشمي الجداوي المزامزي** : كان من سنة 1883 الى 1886 سمسارا لالياس ابن الطويل (28) ، ثم انتقل الى الخدمة مع ابراهام بن مويل .

11 — 12 : **موشي بن عيرود ودابيد بانون** سمساران لالياس ابن الطويـــل .

---

24 . رسالة ليويس الى الطريس فى 9 يبراير 1888 ، المحفظة نفسها

25 . رسالة ليويس الى الطريس فى 16 صفر 1305 / 3 نونبر 1887 ، نفس المحفظة المـذكـورة .

26 . القضية الثالثة من دعاوي كوب ، فاتـح يبرايـر 1880 .

27 . هما 69 / 45 و 69 / 49 المتعلقتان بالسماسرة من مديونـــة .

28 . رسالة بريشة الى الحاج المعطي بن عبد الكبير فى 28 رجب 1300 / 4 يونيو 1883 ، محفظة المغرب أمريكا ، وكذلك قائمـــة 15 مارس 1886 .

13 ـ 14 : **مولاي التهامي بن علي ومحمد بن الحاج محمد الشـــواف الزياني** سمساران لم أقف على اسم تاجريهما ، لكن ابن الشواف كان خليطا لمسعود العسري المجوطي ، فترامى عليه القائد المكي الفضالي سنة 1880 أو قبلها (29) .

ت ـ **من 69 / 34 المحليـــة** (30)

15 ـ **ادريس بن عبد القادر الجلولي الحريزي** : كان قبل سنة 1880 خليطا لكوب (31) وطلب سنة 1888 ان يصبح سمساره واستمر معه الى سنة 1894 أو بعدها (32) .

16 ـ **الحاج عبد الرحمان بن المجاهد العبوبي المديوني** : سمســار ابن عطار القاطن بالرباط ، كما أنه في 45/69 سمسار ليون روفيل . أما في قائمة 9 جمادى الثانية 1303 / 15 مارس 1886 فان اسمــه هو الحاج عبــد الرحمان بن سمحاحل ، وذكر سمسارا لروفيل .

17 ـ **الحاج مسعود بن الغزواني الحريزي** : سمسار ابراهام بـن مويال سنة 1886 . وبعد ذلك صار سمسار ليون روفيل حتى جرد من الحماية سنة 1891 ، وكان قبل ذلك قائد المائة بالمخزن (33) .

18 ـ 19 : **الجيلالي بن عبد الله المزامزي ومحمد أبو العيش الحريزي** : لم يرد تاجرهما في المصادر .

---

29 . النقطـة الرابعة من دعاوي كوب (1880)

30 . وفيها من السماسرة أصحاب الارقام : 3 ـ 4 ـ 5 ـ 10 ـ 11 ـ 12 أيضا .

31 . النقطة الرابعـــة من دعاوي كـــوب

32 . انظر رسالة ليويس وجواب الطريس في الهامشتين 21 و 22 أعلاه عنه وعن غيره ، على أنه في قائمة 154 / 168 كان سمسارا له بعد سنة 1894 ومتعرضا على 15 خيمة .

33 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس في 6 ربيع الاول 1306 / 10 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14

ث ـ **من69 / 6 الغفـــل** (34) :

20 ـ **محمد بن العربي الشيهب ولد العبودية المديونى** : سمســـار ليون روفيل (35) سنة 1886 حتى جرد سنة 1891 (36) وتقدم أنه كان قبـل ذلك سمسارا لنيومان الألماني .

21 ـ **ابراهيــم الزيداني** : كان سنـــة 1887 سمســـارا لالياس ابن الطويـــل (37) .

22 ـ **محمد بن العربي المهاوري الجداوي المزامزي** : كان سنة 1880 سمسارا لاسحاق بن زرقين ، وكان الحاج المعطي بن عبد الكبير قائد المزامزة سجنه وحاز ما عنده (38) ، وظل مع نفس التاجر حتى سنة 1888 حين طلبه ليون روفيل ليجعله سمساره بدلا من الحاج علي بن الحولي رقم 6 أعلاه (39) . غـير أن خليفة قائد المزامزة لما سئـل عنه قال ان « ذمته عامرة بالواجـب وغيره لجانب المخزن » (40) .

23 ـ 27 :**محمد بن الزراطي وعبد السلام بن أحمد الحريزي ومزين (أو المكي) بن الطيب الحريزي ومحمد بن عمر الحريزي ومحمد بن الجيلالي الحاحي** : سماسرة أو خلطاء لا يعرف لمن كانوا يعملون .

---

34 . هي خالية من التاريخ ومن التوقيع وفيها من السماسرة ذوو الارقام : 3 ـ 4 ـ 5 ـ 7 ـ 15 ـ 17 ـ ايضا .

35 . في قائمة 15 مارس 1886 أنه محمد بن العربي الشاهد ، وهو خطأ .

36 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 19 دجنبر 1891 ، محفظة المغرب الولايات المتحدة .

37 . رسالة ليويس الى الطريس في 23 حجة 12/1304 شتنبر 1887 ، المحفظة نفسها .

38 . دعاوي كوب ، النقطة السادسة ، ورسالة ماثيوز الى بركاش في 1 جمادى الثانية 1298 / فاتح مـــاي 1881 .

39 . رسالة ليويس الى الطريس في 9 يبراير 1888 ، محفظة المغرب أمريكا .

40 . رسالة الحاج عبد السلام بن المعطي الى محمد بن سلامة خليفة عامل الـــدار البيضاء في 10 قعدة 1305 / 19 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 .

ج — **من قائمة سماسرة مديونة 69 / 45 الغفل** (41) :

28 — 29 : **الشيهب بن العربي الجداوي وابراهيم بن الطاهر المجاطي** : سمساران لجون كوب .

30 — 34 : **الحاج بوعزة بن الأدام العسري وسليمان بن محمد المديوني وأخوه علال وبوشعيب بن ملوكا المديوني والحاج عبد السلام بن بوعزة المطاعي المديوني** : وكلهم سماسرة لابن عطار الوكيل القنصلي بالرباط ، وفي سنة 1888 التمس القنصل العام تعيين الحاج عبد السلام سمسارا لشركة كين وكوتس النائب عنها رفائيل ابن عطار الذي جعل مقر القنصلية مركزاً للشركة المذكورة (42) ، فأجابه الطريس بالانتظار حتى يتم بحث القضية (43) .

ح — **من قائمة 69 /59 العامة** (44)

35 — 36 : **سليمان بن حجاج المحمدي وأخوه المعطي بن حجاج المحمدي** وكلاهما من مديونة ، ولم يرد لمن كانا سمسارين (45) .

37 — 38 : **الحاج محمد الحريزي ومحمد بن الحاج المعطي المطاعي** : ولم يرد لمن كانا سمسارين ، ويحتمل أن يكون صاحبهما من الرباط .

39 — **ابن الحسن بن الحاج** (46) : دون بيان التاجر .

---

41 . وفيها أيضا السمسار 16 أعلاه .

42 . رسالة ليويس الى الطريس فى 10 يوليوز 1888 / فاتح ذي القعدة 1305 ، محفظة الولايات المتحدة المغرب .

43 . مسودة جواب الطريس فى 3 قعدة / 12 يوليوز ، نفس المحفظة

44 . وفيها أيضا السمساران 4 و 21 .

45 . ولكنهما فى 69 / 47 خليطان للقنصل كوب .

46 . فى 69 / 49 أنه ابن الحاج أحمد الحمداوي المديوني المتمرض أو المتقعد على 15 خيمة من مديونة .

40 — 44 : **اسماعيل بن الحاج الحريزي والحسن بن حمو الكريزي والحاج بوعزة بن علي العـلاَّوي الحريزي وحاييم بانون وابراهام شقرون :** ولم يعرف تجارهم .

خ — **من 69 / 60 الغفـل** (47) :

45 — 49 : **الحاج بوعزة بن الحاج** (48) **وعبد الرحمان بن حـدو الدكالي والمكي بن العربي الزياني وابن محمد الحريزي وبناحيم أبطـاح :** سماسرة مجهولو التجار .

د — **منهمـا معـا :**

50 — 57 : **الحاج بوعزة بن الحاج محمد البيضاوي وبوشعيب بـن التهامي المديوني وبوشعيب بن الحسن الدكالي ويوشع بن عدي ودابيـد الترجمان وابراهام بن مويال والحاج محمد الديبي اللوبيري ومحمد بن ادريس** (أو ابويزر) **اللباري الدكالي :** (49) ولا نعرف مستخدميهم .

ذ — **من قائمة السماسرة الحريزيين** (50) :

58 — **محمد بن العياشي الزنقي الحريزي** سمسار المعلم طونيـول (أي أنطونيو بُويْن) ولعله هو محمد بن أحمد بن العياشي الصالحي الحريزي الذي كان في 69 / 52 سمسارا لتاجر نسبه هو التدغي .

---

47 . وفيها أيضا ذكر السماسرة : 4 — 20 — 21 — 22 — 30 .

48 . في 69 / 49 انه ابن الحاج محمد بن الحسن المديوني حيث ورد فيها متقعـدا على 10 خيـام .

49 . حولت أسماء السماسرة : 37 — 38 — 47 — 18 — 51 — 56 — 57 من مدينة الرباط الى الدار البيضاء ، لاعتقادي أن أغلبهم من قبائل الشاوية .

50 . رقمها بتطوان هو 154 / 168 ، وفيها سماسرة لاسبانيا وفرنسا وانجلترا وايطاليا والبرازيل وأمريكا عددهم 14 ، ومنهم هذا السمسار واخر من قبله يحمل رقم 15 ، وليس فيها تاريخ أعتقد أنه ما بعد 1894 ، كما سيأتي مع ايطاليا (الفصل 6) .

ر — **من غير ذلك** :

59 — **الحاج الجيلالي بن ادريس الحريزي** طلب كوب أن يجعله سنة 1885 سمسارا لحساب ليون روفيل ، فامتنعت السلطة لأن « التاجر المذكور لم تعرف له تجارة بهذا الثغر ، ولم نعرفه أصلا » . أما الجيلالي فانه « لا تقبل حمايته ولا تسلم لكونه متبوعا » (51) .

60 — **محمد بن عيسى الحريزي** : التمست القنصلية العامة سنة 1889 اتخاذه سمسارا لكين وكوتس (52) ، فأجيبت بالرفض « لكون التجار الغائبين عن أرض مراكشة لا يستحقون السمسار » (53) .

61 — **عبد الحميد الجداوي المزامزي** : صار سنة 1883 سمسارا للترجمان ابراهام عطية (54) .

62 — 63 : **أحمد بن الشيخ علي الحداوي المديوني ومحمد بن التهامي بن العربي المزامزي** : طلب النائب أن يتخذا سمسارين لليون واحنيش سنة 1888 ، فرفض المخزن « لكون أحمد متبوعا لجانب المخزن » . أما التاجر فلم تعرفه السلطة التي طلبت التريث حتى تبحث عن حاله (55) .

64 — **العربي بن سعيد الشباني المذكوري** : كان سنة 1888سمسارا لابن عطار ، مثله مثل الحاج عبد السلام بن بوعزة رقم 34 أعلاه .

---

51 . رسالة كوب الى بريشة فى 25 نونبر 1885 / 17 صفر 1303 ، وجواب السلطة فى اليوم نفسه ، ثم رد القنصل فى 19 صفر / 27 نونبر ، واخيرا رسالة عامل الدار البيضاء الى قائد أولاد حريز فى 20 صفر / 28 نونبر ، والكل بمجموع رقم 55 / 18 .

52 . رسالة سطوكر الى الطريس فى 6 نونبر 1889 ، محفظة المغرب أمريكا .

53 . مسودة جواب الطريس فى فاتح رجب 1307 / 21 يبراير 1890 ، محفظة الطريس 18 .

54 . رسالة بريشة الى المعطي بن عبد الكبير فى 28 رجب 1300 / 4 يونيو 1883 ، محفظة المغرب أمريكا .

55 . رسالة ليويس الى الطريس فى 13 يوليوز 1888 / 4 قعدة 1305 ، وجواب الاخير فى 5 قعدة / 14 يوليوز بالمحفظة المذكورة ، ورسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 6 ربيع الاول 1306 / 10 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

ولما كان العربي يشتري الجلود لشركة كين وكوتس النائب عنها ابن عطار اعتقله قائد المذاكرة ، فكتب القنصل العام طالبا الافراج عنه (56) .

هؤلاء هم المحميون وأكثرهم من اليهود ، وهؤلاء هم السماسرة وأغلبهم من المسلمين ، وجميعهم يفوق المائة شخص . وما من شك في أن هذا الرقم مرتفع جدا لا يتناسب مع مقتضيات الادارة القنصلية ودواعي التجارة .

وقد التقطتهم من طائفة من الوثائق المحلية والقنصلية السيئة الكتابة ، القليلة التحري في ضبط الأسماء والأنساب والكنى المميزة . على أنني ازاء هذا الاضطراب لم أجد مناصا من التكرار ، ولا استبعد أن يكون كتاب القوائم قد التبس عليهم الأمر فجعلوا السمسار أو المحمي خليطا .

وتدعو هذه الكثرة الغريبة من الأسماء الى تأكيد ما قيل عن جون كوب من بيعه للحماية والسمسرة والخلطة حسبما سيأتي في المبحث الموالي .

* * *

المطلب الرابع : المستوطنون

سنتحدث عن شخصين عاشا بالدار البيضاء مدة مديدة ، أولهما أنطوني بوين والآخر هو جون كوب ، مع الاشارة الى أن أمريكيا ثالثا اسمه هولان (؟) Howlan ربما كان مقيما بالمدينة في أواخر القرن الفارط .

1 ـ أنطوني بُوِيْن : A. BOYN

أبوه من مواليد مدينة فيلاديلفيا . وقد تزوج سنة 1833 بايطالية بمدينة طنجة وأنجب منها أولادا كانوا يقطنون بالجديدة وبالدار البيضاء حيث تردد صداهم فيهما (57) .

---

56 . رسالة ليويس الى الطريس فى 8 اكتوبر 1888 ، المحفظة نفسها .

57 . مييج « المغرب وأوروبا » ج 2 ص 486 .

أما ابنه أنطوني أو طوني أو طونيول حسبما كان يدعى فكان مقيما بالدار البيضاء سنة 1880 (58) أو قبلها . وقد اتخذ بعض الخلطاء والسماسرة المغاربة ولاسيما من مديونة وأولاد حريز .

وكان يتقن ويتعاطى عدة حرف ، ولذلك كان يسمى المعلم طونيول . كان فلاحا واسكافيا كما كان يعرف صنعة الميكانيك . وتحدثت عنه عدة مكاتيب ولاسيما في شأن طفلة مغربية التقطها وامتنع من ردها الى أهلها ، وكان ذلك قبل سنة 1877 .

فقد ذكر القنصل كوب لعامل الدار البيضاء : «وبعد وصلني كتابك وفهمنا ما فيه . وتذكر لنا وأن طـُنـْي' الماركاني عنده بنتا مسلمة تَلـْفـَت لوالدها . فاعلم وأنك لم عندك تحقيق متاع هذه الدعوة . تعرف الأب متاع البنت : هو مات في الجوع وكذلك والدتها توفيت في سيدي بليوط ... وبقيت البنت مريضة في الزنقة مطروحَ ، وحازها طـُنـَي' عمل فيها الخير ، ودفع عليها الى الطبيب سبنيول الذي مات ريال 25 ، من غير ما صيره عليها هذه مدة من شهور 14، وداب َ طُنـْي' يذكر وأن البنت بنته ، ولم يعطها ، وأنا كَنْشـُفْ في هذه الدعوة كَنْصيب الحق متاع طني ... » (59) .

وأضاف القنصل في رسالة أخري : « ذكرت لنا ... آن نكلف عليه حتى يدفعها لرجل يدّعي أنه أبوها » ، معللا رفضه الزام الأمريكي بذلك عند ما أضاف : « انا لانقدر نكلف على واحد من الماركان بأن يعطي شيئـا إلا اذا كلفه واحَد الشرع الصافي باعطاء ذلك ، وأنا لا نقدر نعمل ذلك الا بخاطره ، واذا رضي بذلك يحتاج يقبض ما يطلب فيها ... وكن على بال : اذا تعرض له واحد عليها أو يذهب الى داره ليأخذها ووقعت فتنة فأنا بريء مما يفعله طنـي » (60) .

---

58 . ابن زيدان : « العـز والصولـة » ج 1 ص 317 .

59 . رسالة كوب الى الطريس فى 27 شوال 1296 / 14 أكتوبر 1879 ، محفظة بركاش . والطبيب المقصود هنا هو على ما أظن : مانويل طوماس رود ريكيث المتوفى سنة 1877 .

60 . رسالته الى الطريس فى 30 شوال / 17 اكتوبر . المحفظة نفسها .

على أن العامل أوضح رأيه في رسالة لاحقة الى محمد بركاش يقول فيهـــا :

« ان رجلا آفاقيا ورد لدينا متشكيا بأن بنتا له صبية صغيرة فقدها ، وبلغه عنها أنها عند نصراني هنا يسمى طني بوي من جنس الماركان . فتكلمنا في شأنها مع نائب جنسه هنا كتابة فأجابنا بغير مفيد ... بعد ما ذكرنا له أن المسلمة لا سبيل للنصراني الى حيازتها وتصييرها بنته . واذا كان عمل فيها الخير كما ذكر ، فلا ينبغي له أن يطالب بما عمل ، مع أنه لم يأذن له أحـــد بحيازتها، ولم يعلم المخزن بأنها عنده . ولو كان علم بها لم يخلها عنـــده ساعة واحدة ... وقد فحصنا عن حال والدها فوجدناه فقيرا مملقا لا يملك دينارا ولا درهما ... » (61) .

وكان زيادة على ذلك فلاحا ويصلح أنابيب الماء . وكانت له علاقة ببعض الولاة ، وتعرض لسرقة بعض متاعه . ذهب الى القائد الشرقي المزابي ليركب له «اطرنبات في السواني ، ولما رجع من عنده ألفى الهراويين من ايالة المديوني سرقوا له من جنانه بالدار البيضاء ثلاثين خنشة من البطاطة ثمنها ثلاثون ريالا وجرحوا رباعيه وأخذوا له اجبّاح النحل من جنانه المذكور قيمتها سبعة عشر ريالا » (62) .

وجاء عن حرفته وتصرفاته أن « الرومي طونيو الخراز حرفة المركاني وشلومو واحنيش الماركاني أيضا ومعهما علي الدكالي مخزني قنصل المركان جاءوا وحاولوا اخراج شلومو بن يعقوب سويسة من رعية السلطان من حانوته ، وضربوه وخنقوا عليه وهددوه ، وأخذ له طونيو خنشتين من الدراهم : 773 ريالا » (63) . وكانت هاته الحانوت ملكا للأحباس ، وكان كل من سويسة ومسعود عمار المحمي الأمريكي يتنازعان عليها أمام القضاء (64) .

---

61 . رسالة الطريس الى بركاش في 7 ذي القعدة / 23 اكتوبر . ورقمها بالخـــزانـــة العامة بالرباط هو : 3 / 270 .

62 . من تقييد دعاوي القبطان كوب في 19 صفر 1297 / 1 يبراير 1880 ، النقطـة الثـامنـــة ، محفظـة بركاش .

63 . من بينة عدلية بتاريخ 26 شوال 25/1306 يونيو 1889 ، محفظة الطريس 16

64 . رسالة خليفة عامل الدار البيضاء الى النائب الطريس في 27 شوال / 26 يونيو بالمحفظـــة المذكـــورة .

2 — جون كوب : J. COBB

مستوطن أمريكي قديم كان قبطانا بالبحرية الأمريكية وعاش بالمغرب نحواً من أربعين سنة . فقد ولد حوالي 1827 ، لأنه كان سنة 1907 في الثمانين من عمره . وسبب استقراره بالمغرب وخاصة بالدار البيضاء أنه في سنة 1867 أصاب مركبه عطب فجنح الى الشواطىء المغربية . كان يهوى الموسيقى فاتخذ له حاكيا يردد الأغاني الأمريكية . كما كان يعرف عدة لهجات ويتكلم بسبع لغات (65) منها العربية على ما يظهر ، مما سهل عليه الاتصال بالمغاربة وعقده مع بعضهم لجملة من الصفقات المربحة .

وهو من الشخصيات الغريبة الأطوار التي امتازت بكثرة الجدال وبالتعسف على المغاربة وبالتنطع على الولاة والعمال الذين كانوا يتضجرون من تصرفاته . وقد حفظت لنا الوثائق المغربية طائفة من أخباره سندل عليها من خلال هاته الدراسة .

عين قنصلا لبلاده بالدار البيضاء مدة طويلة تبتديء من 1874 الى 1887 ، ثم ابتداءا من 1889 . كما كان نائبا عن البرتغال وعن فرنسا سنة 1882.

وقد انعمت عليه السلطات المخزنية بدار للسكنى صالحة لمرتبته بالحاح من ماثيوز (66) . غير أن هذا الانعام لم يدفعه الى مزيد من الحشمة لما امتنع طيلة ربع قرن من أداء وجيبة الكراء عن هري ، مع أن الأمناء بنوه له وأكروه اياه بـ 6 ٪ ابتداء من 11 غشت 1875 لمدة 16 سنة ، واستمر يعتمره قسرا مدة 270 شهرا الى أن آل الى ورثة كاتبه الحاج عبد القادر الباشا .

كان له ولوع بشراء العقار والفلاحة والخلطة . فقد اقتنى سنة 1881 « جنانا بازاء ثغر الدار البيضاء ، وطلب من الخليفة عبد السلام غرصية يعطي الأذن للعدول يكتبوا له ، فامتنع » (67) الخليفة من تسهيل هاته المعاملة .

---

65 . عبد المجيد بنجلون : « جولة في مغرب أمس — قبيل الحماية » ص 61 . بقلم ادموند هولت ، وكذلك : « جولات ... 1901 » بقلم فرانسيس ماك ناب ص 61 أيضا .

66 . رسالة ماثيوز الى بركاش في 21 رجب 1291 / 3 شتنبر 1874 ، محفظة بركاش .

67 . رسالة ماثيوز الى بركاش في 9 صفر 1299 / 31 دجنبر 1881 ، المحفظة نفسها . ورسالة السلطان الى الطريس في 29 رجب 1306 / فاتح ابريل 1889 ، محفظة الطريس 15 .

كان نشاطه متنوعا ، فكان يملك مطحنة بخارية للحبوب ويتقاضى ثمن الطحن عينا ، فجمع من ذلك ثروة طائلة (68) .

وكان فوق هذا كله تاجرا في بيع السلاح . فقد بلغ الى علم السلطان أن جماعة من المستوطنين يتعاطون هاته التجارة في بعض المراسي ، فاستفهم عن ذلك طائفة من المسؤولين ومن الأمناء مثل أميني مرسى الرباط اللذين قالا سنة 1889 انه « جلب لهنا مكينة القرطوس ، وصار يخدم بها قرطوس المكاحل ذات عمائر 16 ويبيعها لأهل البادية بريال 20 للألف . وتَرِد هاته المكاحيل للرباط برا فيشتريها من يرد عليه من القبائل ، ومنها عند زعير عدد كثير .

« ولما لم ير الذي يبيعها سرا شد عضد من الولاة صار يبيعها جهرا بالسوق .

« وأمر مولانا — المؤيد بالله — أن نعلم بالواقع بطريق التحقيق ..: ان ما بلغ علمه الشريف من أمر المكينة المذكورة هو واقع ، والتاجر كوب المركاني المذكور هو الذي جلبها للدار البيضاء ، وكان هو قونصص المركان بها قبل . وهو يصنع القرطوس المذكور ويبيعه بالثمن المذكور في السوق جهارا ، وذلك معروف عند الخاص والعام .

« وأما المكاحيل التي ترد لهنا برا فترد من طنجة ، وذكر لنا أن الذي يبيعها بطنجة هو هسنير البروسي ، والذين ترد لهم للرباط هو أولاد نَهون ، وهم يبيعونها للحاج أحمد الباشى الرباطي جملة ، وهو يبيعها على يده تفصيلا ، كما ترد المكاحيل المذكورة من مكلين الحراب ليد اليهودي بنسعود ويبيعها أيضا هنا بالرباط ..: » (69) .

---

68 . عبد المجيد بنجلون : « جـولات ... — قبيل الحماية » ص 91

69 . رسالة أميني مرسى الرباط : الصديق بركاش وعبد المجيد بنشقرون الى السلطان فى 4 محرم 1307 / 31 غشت 1889 ، محفظة الرباط ، وهي التي اشرت اليها فـي الصفحـة 458 أعـلاه .

وكان موقف السلطان أن كتب الى الطريس يأمره بالاسترعاء على نواب الدول المعنية : « فنأمرك أن تكلمهم فى ذلك بما يتعين ، وأعلمنا » (70).

وفضلا عن هذا كان كوب متغطرسا متعسفا . فقد اتهمه عامل مديونة سنة 1889 باحتجاز شيخ عنده وسجنه بمنزله عند ما قال : « خليفة المركان بالدار البيضاء ترامى على شيخ من أشياخ المخزن بايالتنا مديونة وقبض عليه وسجنه بداره ، فوجهت له ليسرح الشيخ ... فامتنع من تسريحه ، ولا زال مسجونا عنده بداره » (71) .

أما المصيبة الكبرى التي كانت تأتي من جانبه فهي تجارة الحماية ، فقد اتخذ سماسرة وخلطاء من أحواز الدار البيضاء ودكالة وورديغة ومن بعض الرباطيين .

وقبل سنة 1886 ندد بتصرفاته عامل أولاد حريز . فقد قال عن أولاد الشيخ الحاج العربي بوقنيطير المتوفى سنة 1885 ان أولاده : الشيخ الحاج بوشعيب والحاج علي ومحمد قتلوا خمسة إماء لأبيهم « ومثلوا بزوجته... فبلغ خبرهم لمولانا — دام علاه — فأمرنا بالقبض عليهم ، فقبضنا على الشيخ بوشعيب وأخيه الحاج علي فوجهنهم (= فوجهناهم) لحضرته الشريفة وبقي أخاهم (= أخوهم) محمد ، كان بالغرب فبلغه الخبر ، فتوجه عند الشريف الوزاني بطنجة وطلب الحماية ، فكتبنا لخديم سيدنا السيد محمد الطريس النائب عنك ، وأخبرناه بذلك كله ، فأجاب أنه على بال منه .

« وهذه ثلاث أيام نزل في البابور بالدار البيضاء ، فكتب لنا قونص المركان من غير واسطة عامل الدار البيضاء يذكر أن محمد بن الحاج العربي بوقنيطير قدم في البابور وبيده ورقة الحماية من باشدورهم ، وأنه سمسارا

70 . رسالة السلطان الطريس فى 29 ربيع الأول 1307 / 24 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

71 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 13 رمضان 1306 / 13 ماي 1889 ، محفظة الطريس 16 .

لخليفة الباشدور بطنجة (72) ، وقال انه كان أراد يوجهه مع ترجمانه ولد مناحيم (73) لدينا ، فاذا به كتب له خديم سيدنا : الحاج العربي ابريشة وأخبره بما كنا كتبنا له به من قبل من أنه مخزن ومتبوعا (= متبوع) برقاب خمسة 5 ، وسيدنا يبحث عنه . فلم يعجب القونص حال . .. لأن باشدور المركان (74) تتبع التجار في أهوائهم ، وصار يدفع ورقات الحماية للأشياخ وأرباب المخزن ... » (75) .

واستمر كوب على حاله سنوات أخرى حتى قال عنه نفس العامل في رسالة ثانية ان « هذا القونص كُبْ عاد الى ما كان عليه من ادخال الناس للحماية بغير موجب ولا قانون » (76) .

فلم تكن له تجارة مباحة في أغلبها ، فقد جاء في رسالة عنه وعن الحاج أحمد الباشا « الذي لا أصل لتجارته هو وجان كب» (77) أن لا شغل له غير بيع السلاح وتجارة الحماية .

وفعلا لم يرد اسمه تاجرا في عريضة التجار الأجانب بالدار البيضاء سنة 1888 أو ما يفيد أنه كان مصدرا أو مستوردا .

وفى سنة 1889 انتشر خبر فضيحته في التلاعب ببطائق الحماية بمشاركة ترجمانه ابراهام عطية وبتساهل من لدن القنصل العام ريد ليويس

---

72 . لعله روبيرت سطوكر ذو الخلطاء بالغرب وبدكالة .

73 . هو ابراهيم بن بناحيم عطية .

74 . هو ريد ليويس .

75 . رسالة عبد السلام بن رشيد الى بركاش فى 19 ربيع الثانى 1303 / 25 يناير 1886 ، محفظة بركاش ، الوثيقة تحمل رقم 4 / 274 .

76 . رسالة عبد السلام الى الطريس فى 6 ربيع الثاني 1307 / 30 نونبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

77 . رسالة أميني المرسى الى الطريس فى 10 قعدة 1305 / 19 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 .

فقد كتب يوسف روفيل المحمي الأمريكي والنائب القنصلي في أواخر سنة 1889 الى وكيل أمريكا بجبل طارق هـ ج سبريك H. G. SPRAGUE رسالة يعلمه بأن كوب باع الحماية لعشرة أشخاص منهم محمد بوقنيطير بثمن اجمالي قدره 3400 ريال ، وجاء فيها أن « هؤلاء الناس القاطنين بالدار البيضاء قد اشتروا الحماية المركانية في هذه الأيام من عند جن كب فيها امضاء القنصل لويز » (78) وهو ريد ليويس وسيأتي نصها كاملا أدناه .

فما كان من روبيرط سطوكر الا أن كتب الى الطريس طالبا منه تحقيق هذه الشكاية « من غير تعطيل ، وتجيبنا فورا ليمكن لنا الكتابة لدولتنا في أمره » (79) .

وفيما يلي أسماء المحميين والمبالغ التي دفعها كل واحد منهم :

1	— محمد بن المسعود	بريال	350
2	— التهامي بن المسعود	كذلك	250
3	— محمد ولد أحمد الدكالي	كذلك	300
4	— (المعزوزي) ولد عيشة المزكّيبة	كذلك	350
5	— ولد الهيادي الحريزي	كذلك	500
6	— ادريس المقواني الحريزي	كذلك	350
7	— عبد السلام بن المعلم	كذلك	250
8	— أحمد بن علال الحجاوي	كذلك	300
9	— محمد الغداوي	كذلك	350
10	— ولد بوقنيطير محمد	كذلك	400
	جملة	ريال	3400

وصدر الأمر بعزل ريد ليويس بعد شهر من الزمان ، أما كوب فلم يرد ذكر عقابه ، ولا عقاب ترجمانه .

---

78 . رسالة فى 31 دجنبر 1889 ، محفظة الطريس 17 .

79 . رسالة سطوكر الى الطريس فى 3 يناير 1890 . الوثيقة : 53 / 131 بمكتبة تطوان .

غير أن هذا القنصل عاد الى ممارسة وظيفته في عهد فليكس ماثيوز الذي أعلم المخزن في أواخر سنة 1890 برده الى النيابة بالدار البيضاء (80) .

ونذيل الكلام عنه بشكاية كان قدمها سنة 1880 الى المخزن حول نهب قبيلة زناتة لمركب كان قد جنح الى الشواطيء المغربية وعلى متنه زرع في ملك أجانب ، منهم كوب ، ونسوق نصها الكامل نظرا لاشتمالها على فوائد تاريخية عن المسغبة التي أصابت المغرب في تلك الحقبة .

وصورة الدعوى « أن مركبا كانت حرّثت بين فضالة والدار البيضاء فاشتراها هو وتسعة عشر من التجار ، وواجبه معهم فيها ثمان 8 قسمات ، قيمة القسمات الثمانية ثمانية ءالاف ريال ومئتان ريال . فنهب زناتة ما كان فيها من الحبوب وطلب أن يومر عاملهم بانصافه منهم بأداء ما ذكر من الريال له الواجب له في قسماته » . وها هو جواب المخزن :

فقد كان بعض النواب والباشدورات تكلم في قضية هذه المركب ووقع البحث التام عن حقيقتها ، فثبت أنها غرقت كلها في البحر ، وباعها بسبب ذلك المكلف بها لجماعة بخمسمائة ريال حيث كان التوصل لما فيها عسيرا . وحتى على تقدير أن يكون خرج منها شيء ، فما خرج منها الا شيء تافه خامج مختلط بالرمل ، فكان الناس يلتقطون ذلك ليقتاتوا به لكون المسغبة أحوجتهم لذلك .

ولما غرقت تلك المركب كتب بعض الخلائف من الدار البيضاء وكذلك عاملها لعامل الرباط وأخبروه بذلك ، فكتب لخليفته وأكد عليه في الوقوف بنفسه . فوقف وعمل الواجب عليه مع كونه له قسمة مع التجار الذين اشتروا تلك المركب . والضعفاء والمساكين هم الذين كانوا يلتقطون ذلك من بين الرمل والتراب ، وأولئك الناس الذين التقطوا ذلك محاويج سياحين (= سياحون) في الأرض يطلبون القوت ، لكونهم كانوا يموتون

---

80 . رسالة ماثيوز الى الطريس في 6 ربيع الأول 19/1308 نونبر 1890 ، محفظة المغرب أمريكا .

جوعا ، ولم يتركوا بلدا الا دخلوها . فلما وجدوا الحبوب هناك جلسوا يلتقطونها ويروحون لتلك الدواوير يبيتون بها .

ويمكن أن يكون الجل منهم من ضعفاء تلك القبيلة أو غيرها ، وغاية ما كانوا يجمعون من ذلك ما يعتقون به نفوسهم . وجل من أكل من تلك الحبوب مات . وكان ذلك هو أحد أسباب ابتداء الموت هناك . والحكام لم يقدروا على منعهم من تلقيط ذلك لكثرهم ، لكونهم كانوا يبلغون من 4000 الى 5000 ولا يبالون ولا يسمعون كلاما ، وانما يبالون بعتق أنفسهم .

والضعفاء في كل محل اذا وجدوا شيئا رماه البحر يلتقطونه كما يقع في كل أرض وفي كل محل ، ولاسيما في هذا الوقت الصعب الشديد الذي كثر فيه الضعفاء والمحاويج حتى صار التجار والنواب يجمعون المال ويتصدقون به عليهم ولم يقصروا معهم .

وحيث سيدنا — نصره الله — لا يحب الخسارة للتجار من أي جنس كانوا ، كان أمر بركاش بفصال هذه القضية ، فأخبر أنه تفاصل مع جميع التجار الذين اشتروا تلك المركب بخمسمائة ريال لجميعهم ، على شرط أن لا يبقى لهم كلام فيما يلفظه البحر من هذه المركب في المستقبل ، وقَبِل التجار المذكورون ذالك وقنعوا به .

وأنت من جملة أولئك التجار ، ونحن متحققون أنك وجنسك الفخيم لا تحبون الظلم ولا ترضونه لأحد ، فضلا عن قبيلة ، فيما اقتاتوا (= اقتات) به الضعفاء من كل ناحية ومات منهم العدد الكثير بذلك الوعيد .

وقد بينا لك ما دار في القضية وما ءال اليه أمرها لتكون على بصيرة (81) .

---

81 . من « تقييد دعاوي الكبطان كب ، قونص المركان بالدار البيضاء الوافد على حضرة سيدنا العالية بالله فى 19 من صفر 1297 والاجوبة الشريفة عنها » / فاتح يبراير 1880 بمحفظة بركاش ، النقطة الثانية عشرة .

4 : انجلترا وغيرها

تولت المملكة البريطانية تمثيل نفسها والنيابة عن غيرها كالامبراطورية النمساوية الهنغارية والمملكة الهولاندية وذلك خلال فترة معينة من القرن التاسع عشر . ولذلك اختلطت أسماء محمييها وسماسرة تجارها مع غيرهم في الوثائق المغربية .

ستعالج المقاطع الموالية السلك القنصلي وشؤون المحميين والسماسرة والمستوطنين من مصادر مختلفة .

* * *

أ ـ السلك القنصلي

1 ـ أشرف على الشؤون البريطانية طائفة من القناصل والوكلاء منذ منتصف القرن التاسع عشر . وكان منهم اليهودي المغربي **حييم المليح** وكيلا قنصليا حوالي 1854 ، أما الرسميون ، فكانوا هم :

2 ـ **فرانك وولدريدج** F. WOOLDRIDGE من سنة 1857 الى 1868 . وكان نائبا قنصليا (1) وهو من الذين نافحوا عن اليهود المغاربة ، ومن الذين كانوا يتجاسرون على السلطات المحلية (2) .

3 ـ **هـ. ل. دوبويس** H. L. DUPUIS وهو ابن تاجر بريطاني استوطن المغرب منذ سنة 1840 . وقد اقترحه جون هي ليكون وكيلا بمراكش

---

1 . أوجين هوج وميبيج : «الاوروبيون بالدار البيضاء في القرن التاسع عشر : 1856 ـ 1906» ص 92 (4) .

2 . المرجع الاخير ايضا و « الوثائق » ج 4 ، ص 314 .

سنة 1866 . ولكنه عين من 1868 الى 1872 نائبا قنصليا بمدينة الـــــدار البيضاء (3) .

4 ـ **جون لاپـين** J. LAPEEN - J. La Pena وقد أسندت اليـــه الوكالة من 1872 الى 1884 حيث « تأخر عن الخدمة لخيانة صدرت منه » (4) . وسيصير نائبا قنصليا للبرازيل .

5 ـ **فريدريك تشاوليز ليم** : F. Ch. LAMB وناب سنة 1883 مؤقتا عن بلاده لمدة قصيرة (5) .

6 ـ **روبيرط ستيفن هنطر** : R. S. HUNTER ومثل بلاده رسميا من 1884 الى 1890 ، كما تولى تمثيل غيرها ، وله تقارير عن تجارة المدينة (6).

7 ـ **جورج فيرنو** G. FERNAU أشرف على الشؤون البريطانية بعد هنطر (7) ، ولكن يبدو أنه كلف سنتي 1895 و 1897 بالنيابة المؤقتة عن مصالح بلاده وكذلك في فترات مختلفة .

8 ـ **آلان ماك لـين** A. MAC LEAN وهو شقيق الكولونيل ماك لين ، وقد مثل انجلترا في يونيو 1893 خلفا عن فيرنو (8) .

9 ـ **كـرومــي** : C. F. CROMIE وكان من غشت 1894 الى 1897 نائبا قنصليا (9) .

3 . هوج وميبج : «الاوروبيون ...» ، ص 92 ، وميبج : «المغرب وأوروبا» ، ج 1 ، ص 103 . وقد سلف عنه الكلام بطنجة وتطوان انه كان نائبا قنصليا هناك .

4 . رسالة السلطان الى الطريس في 9 ربيع الاول 13/1306 نونبر 1888 ، محفظة الطريس 14 وكذلك « الاوروبيون ... » ص 92 (4) لهوج وميبج

5 . رسالة في 23 جمادى الثانية 1300 / فاتح ماي 1883 ، محفظة المغرب انجلترا .

6 . هوج وميبج : « الاوروبيون ... » ص 92 ، وميبج : « المغرب وأوروبا » 1 ، ص 123.

7 . هـوج وميبج : «الاوروبيون ...» ، ص92 .

8 . المرجع الاخير وكذلك ميبج «المغرب وأوروبا» ج 1 ، ص 379 (10) .

9 . المصدر الاخير ، ج 1 ، ص 95 .

أما تسيير الشؤون الهولاندية وقضايا الأنبيريال ،فقد كلف بـه البعض من الوكلاء سالفي الاشارة ، ولو أن تلك القضايا والشؤون كانـت ضعيفة لعدم وجود هولانديين ونمساويين بالمدينة .

وهكذا كان من الذين أسندت اليهم النيابة عن هولاندة سنة 1886 : **هنطر** سالف الذكر ، واليه وُكِل تدبير شؤون النمسا حتى استعفـى نهائيا (10) سنة 1894 .

وفي سنة 1891 كلفت دولة الامبريال الألماني **فردريك برانـدت** برعاية مصالحها (11) الى أن خلفه سنة 1894 **أوخينيو فريدريك بوطلير** (12) E. F. BUTLER

* * *

ب ـ المحميون القنصليون

ب 1 ـ كان **لهولاندة** سنة 1896 اثنان هما :

1 ـ 2 : **احمد ولد الفقيه ابن عبد السلام** وكان ترجمانا **والحاج سماوي بن الحسين الحريزي** ، وكان كاتبا (13) .

ب 2 ـ وكان **للنمسـا** ستة محميين قنصليين هم :

ب 2 . 1 من تقييد ابن زيدان :

1 ـ 4 ـ **ابراهيم بن شطول** وكان ترجمانا **وبوعزة بن الجراري** : كاتب ، **والحاج البوح ولد بوشعيب** : مستخدم **وأحمد بن عبيد** : عون .

---

10 . رسالة ساطو الى الطريس فى 21 مارس 1894 ، محفظة المغرب بريطانيا . ورسالة الياس كاسيل الى الطريس فى 11 شتنبر 1886/12 حجة 1303 ، محفظة الطريس 8 .

11 . رسالة بوليسـلافسكـي الى الطريس فى 10 ربيع الاول 1309 / 14 اكتوبـر 1891 ، محفظة المغرب النمسا .

كان هؤلاء الأربعة مستخدمين قنصليين سنة 1880 ، وكانوا « في حماية النبريال تحت رعاية النجليز » (14) . وبعد ذلك كان :

ب 2. 2 من غـــيره :

5 — 6 : **دابيد بن قدعون** وكان سنة 1886 ترجمـانـــا لقنصل النمسا (15) **والحاج محمد بوبينة** وكان عونا بالقنصلية (16) سنة 1891 .

ب 3 **بريطانيا العظمى** لم أعثر على أسماء محميـين قنصليين لهـــا بالدار البيضاء ، وهذا منتهى العجب . فهل ضاعت قوائمهـــم ، علما بأن المفوضية دأبت على ارسالها بكامل الانتظام الى السلطات المغربية ؟ والراجح أنهم هم نفس المحميين المذكورين أعلاه ، لكن في بعض الاوقات فقط .

* * *

ت — السماسرة

هم كثيرون حفظت وثائق ومراجع مختلفة أسماءهم ، وكلهم كانوا في خدمة تجار انجليزيـين ومحميين ، دون رعايا هولانديين أو نمساويين .

ت 1 — من تقييد ابن زيدان (1880) ومن « زمام السماسرة لتجار سلطنة اگريط ابريطن » (1879) معا :

1 — 2 . **محمد بن الغزواني والحاج علي القدميري** : سمسارا جون لاپـين وكان الاخير محميا استثنائيا لايطاليا وفق ما سيأتي .

---

14 . ابن زيدان : « العز والصولة » ، ج 1 ص 320 .

15 . رسالة العربي بريشة الى الطريس فى 20 رجب 24/1303 أبريل 1886 ، محفظة الطريس 8 .

16 . رسالة بوليسلافسكي الى الطريس (فى الهاشمية 11) .

3 — 5 **الحاج أحمد بن المعطي الحريزي** : ظل حتى وفاته سنة 1888 سمسارا للتاجر ألكسندر كرارة **والحاج مصطفى** ::: (؟) وهو سمسار له أيضا ولو لم يرد له نسب (17) **والحاج عبد القادر بن الحاج الحريزي** وهو مثلهما لنفس التاجر كرارة KARARA

6 — 7 : **ادريس بن قـدور الحريـزي** (المدعو زين الله في التقييد) وأبوه **قدور بن الطيب** : سمساران لخوصي دي نطالي : J. DE NATALI

ويبدو أن الأب كان سمسارا لـه قبل أن يصبح في خدمتـه ، أو أنهما كانا معا يتناوبان على السمسرة له . ولما ذهب قدور الى قبيلة مديونة اعتقله قائدها سنة 1879 ، ذاكرا أنه لا يعرف للتاجر المذكور سمســـارا بقبيلته سوى الحاج الدوح البوعمري وارد الذكر وشيكاً . فتدخل جون هي لدى بركاش من أجل الافراج عنه ، ولما كاتبه قال له القائد : « ... وحيث أكدتَ علينا في تسريحه فاستشكل لنا أمره وظننت أنك لا علم لك بحقيقة ما ذكرناه . ولو علمتُ لكان الجواب على اصابة الصواب ، حسبما أنــت ـ بحمد الله ـ أدرى بمراجعة الكلام مع من يتكلم في القوانين والشـــروط المحدودة . لكن في حق وجهك واعتنائنا بجانبك ، فها نحن أخرجته مـن السجن وتركته مأمونا مع أصحابنا وفي محلنا حتى تعلم حقيقة أمره ...» (18)

غير أن التسريح لم يكن تاما حسبما يلوح ، لأن السمسار ظل موقوفاً مما أدى بالسفير الانجليزي الى المطالبة بتعويض عن حبسه قدره « ريال في اليوم مدة سجنه ، وحلف مرارا أنه لا يرجع عن ذلك ، وهذا الطلب هين بالنسبة لغيره » (19) .

---

17 . نظن أنه الحاج مصطفى بن المفتي الجزائري الذي كان سنة 1868 وقبلها مـــن مصدري الصوف حسبما جاء تقاييـد الامينـين الحاج عبد الرحمان أقصبي والحاج العربي فرج في محرم 1286/أبريل ـ ماي 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1

18 . رسالة الميلودي بن الطيب الى بركاش في 6 ربيع الثاني 1296/30 مارس 1879 ، محفظـــة بركـــاش .

19 . رسالة بركاش الى السلطان في 17 حجة 1296/2 دجنبر 1879 . بالمحفظة نفسها .

8 : **الحاج الدوح (20) بن محمد البوعمري المديوني** : كان سمسارا لدي نطالي أيضا ، وعن هذا السمسار أضاف قائد مديونة في رسالته الأخيرة أن للحاج الدوح «مخالطة عظيمة ، وذمته من أجل ذلك مستغرقة ، وهو نازل بقرب محلنا ولا يغيب عنا شيء من أحواله» .

9 — 10 : **بوعـزة بن مينة** : (21) كان سمسارا للأخوين ليم بالـدار البيضاء ، ومثله في السمسرة : **الحاج محمد بن الصغير الحريزي** الذى بقي مذكورا في زمام 1889 .

11 — 12 : **الحاج عبد الجليل بن الغواطيـة** (22) **وعلـي بن الطيب (المعروفي في الزمام)** : سمساران لجورج فيرنو .

13 — 14 : **الحاج بريك بن الروائن الحرودي** (23) **والجيلالي بـن غانم (24) المجاطي المديوني** : سمساران لسانتياڭو ڀاردو : S. Pardo

وقد أصبح السمسار الأخير في خدمة جون لابين وذلك في زمـام سنة 1889 ، وبعد انتحار ڀاردو المذكور ، سنة 1882 لافلاسه في تجارته .

15 : **الحاج محمد بن الحَيْمَر العسيلي الحريزي** : سمسار موشي برجل القاطن بمرسيلية ، لكن جاء في زمام 1889 أنه صار سمسارا للويس **داصُوي** : L. Dassoy

---

20 . في التقييد : الضو بن محمد ، وفي وثائق أخرى الدغ ، ولربما كانت نقطة الغاء انما هي استدارة للشدة فوقها ، وسندل على ما وقع من التحريف في أسمـاء السماسـرة وأنسابهم فيما سيلي من الهوامش .

21 . في الزمام بأحرف عربية : بوعزيز بن عمر ، وبأحرف لاتينية : بوعزة بن عمرو . ولعله نسب الى جدته أو الى أمه : مينة .

22 . في الزمـام بالعربية : الحـاج بن عبد الجليل ، وبحروف لاتينية : الحاج بن الكواطية (بكاف معقودة) ، وفي التقييد الزيداني : الحاج ابن الغواطية ، دون عبد الجليل .

23 . في التقييد : الحاج بريك ، وفي الزمام : الحاج ابن الروائن الحرودي

24 . في التقييد : الجيلالي بن كنون ، وهو تحريف ظاهر

16 ـ 17 : **الحاج ابن داود** (25) **الحداوي والحاج محمد البيضاوي الحريزي** : سمساران لموشي برجل أيضا .

18 : **الحاج بوشعيب بن الحسن التلاوتي الحريزي** : سمسار ݣرانط بورجل القاطن بجبل طـارق ثم صار سنة 1889 سمسارا للتاجـر الايطالي ݣايطانو باليسطرينو (26) .

ت ـ 2 ـ **من الزمـام فقط** :

19 : **محمد بن عبد السلام الرياحي الحريزي** : سمسار حاييـــم كانصينو H. Cansino

ت 3 ـ **من التقييد وحده** :

20 : **قدور بن محمد بن عبد السلام الرياحي** : ابن الذي قبلـه ، وكان أيضا سمسارا لكانصينو الذي كان سنة 1869 يستورد الخمـــــر والزيت (27) .

21 : **عبد الفضيل بن الحاج الشامي** (28) : سمسار حاييم بونطـي ترجمان القنصلية النمساوية بطنجة

ت 4 ـ **من قائمة سماسرة التجار سنة 1889** :

---

25 . في الزمام باحرف لاتينية : ابن الضاوي

26 . رسالـة كانطاغالي الى الطريس في 13 قعدة 11/1306 يوليوز 1889 ، محفظـة المغرب ايطاليـا .

27 . تقاييد أميني مرسى الدار البيضاء عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج في محرم 1286/ماي ـ أبريل 1869 ، محفظة الدار البيضاء : 1 ، وفيها أيضا أن خوصي دي نطالـي المذكور سـابقا كان يستورد «الخـل» أو ماء الروم ، أي الخمـر .

28 . لعل صواب كتابة اسمه ونسبه هو : عبد الفاضل بن الحاج الشاوي ، وليس الشامي ، وكانت له أيضا خلطة مع دومينغو أطلايا الاسباني .

22 . **الحاج المعيزي الدرنوني الحريزي** : سمسار شركة هنطر ومردوخ بوطلير .

23 — 24 . **العربي بن اليماني الحريزي ، ومحمد بن المعطي الحبشي** : سمساران لجورج فيرنو . وكان العامل بريشة قد اعترض سنة 1886 على تعيين العربي سمسارا له لوجود سمسارين آخرين لهذا التاجر فلا يمكن أن يتخذ ثالثا (29) . وذكر كذلك أن محمد بن المعطي كان يتعرض لدى السلطات على 15 خيمة من اخوانه .

25 — 26 . **الطيب بن غلاّف وعلي بن الهجام المعروفي** : ولعلهما هما السمساران المشار اليهما مع محمد بن المعطي أعلاه على أنهما كانا في خدمة فيرنو .

27 . **الحاج الطاهر بن الهاشمي الزياني القدميري** : سمسار بالدار البيضاء ليوسف العسري القاطن بطنجة . وكان من 1880 الى 1887 سمسارا لناهون المحمي الايطالي .

28 — 29 . **الحاج المكي بن الطيب الفقري** : سمسار موشي بورجل « من رعيتهم الذي له تجارة وافرة بمراسي هاته الايالة السعيدة ، وسقط له سقف هري بمرسى ثغر الدار البيضاء ، وهو ملك له يريد اصلاحه » (30) . ولعل أباه هو : **الحاج الطيب بن الحاج الجيلالي الفقري** الذي كان سمسارا لنفس التاجر حتى 1891 حسبما سيأتي .

30 . **المكي بن المير الحريزي العباري** سمسار فونطان FONTAN وشركته بالدار البيضاء .

31 : **موشي مالكنو** : سمسار الأخوين ليم بقبيلة مزاب .

---

29 . رسالة العربي بريشة الى الطريس فى 25 رجب 29/1303 أبريل 1886 ، محفظة المغرب بريطانيا

30 . رسالة السلطان الى الطريس فى 3 جمادى الثانية 4/1306 يبراير 1889 ، محفظة الطريس 15 .

32 : **محمد بن الجيلالي القدميري** : سمسار حاييم كانسينو بقبيلة المـزامـزة .

33 : **بوشعيب بن بوشعيب ولد صايلة الزكراوي المديوني** : سمسار نيكولاوس كيو المقيم بالدار البيضاء منذ 1887 . وقد طلب التاجر فى هاته السنة من الأمناء أن يبنوا له دارا وخزينا حسب قاعدة 6٪ ولكنهم حتى سنة 1890 لم يفعلوا شيئا (31) لكيو : N. Ghio

34 : **عبد القادر بن الحاج عبد السلام الزيراوي** : سمسار له أيضا بقبيلة أولاد زيان .

ت 5 : **من وثائـق أخرى** :

35 : **عمر بن الحاج عمر القدميري** : سمسار راطو بقبيلـة أولاد زيان ، موالين الواد (32) .

36 — 37 : **أحمد بن الجيلالي الحمدوشي** : سمسار أوخينيو كيانو قبل سنة 1887 حتى طلب استبدال السمسار : **محمد بن الحاج الدقـاق الشاوي** بـه (33) .

38 : **الصيفي (؟) بن حميش العلوي** : كان قبل سنة 1889 سمسارا للتاجر لاثبين (؟) حتى قتله أفراد من قبيلة الزيايدة ونهبوا أمتعته وثيرانه (34).

---

31 . رسالتـا كرين الى الطريس فى 24 يوليوز 1887 و 29 مارس 1890 ، محفظـة المغرب بريطانيـا

32 . زمام المخالطين والسماسرة لتجار انجلترا بأولاد زيان رقم 57/69 . وهو غفل من التاريخ وقد ورد فيه هو والذى قبله .

33 . رسالة كرين الى الطريس فى 27 نونبر 1887/1 ربيع الاول 1305 . محفظة المغرب بريطانيا ، وربما يكتب اسم التاجر هكذا : E. Guigliamo

34 . رسالة كرين الى الطريس فى 14 دجنبـر 1889/20 ربيع الثاني 1307 ، بنفس المحفظة ، ولعل الصيفي ولاثبين تحريفان لاسم الطيبي ولابين فى الوثائق المخزنية .

39 : **محمد بن محمد الشرقي الحجامي الحريزي** : كان شلومو بن عبو الساكن بطنجة يريد تعيينه سمسارا سنة 1890 . فرفض المخزن هذا الطلب بدعوى أن « تجارته قليلة » وذلك ما لم يسلم به السفير الانجليزي (35).

40 : **موسى بن زرقين** : كان ابراهام بن يوسف لاريدو يريد أن يجعله سنة 1890 سمسارا له بالدار البيضاء (36) .

41 : **ادريس بن صالح القريزي الحريزي** : اقترح سنة 1892 ليكون سمسارا لابراهام عطية القاطن بجبل طارق (37) .

42 : **الطيب بن المعطي التعلاوتي الحريزي** : وكان سمسارا لتاجر انجليزي لم يرد لاسمه ذكر . ولكنه صار سنة 1889 سمسارا للايطالي كايطانو باليسطرينو المتقدمة الاشارة اليه مع بوشعيب بن الحسن رقم 18 أعلاه .

43 : **محمد بن عمر الهداوي** (أو الحداوي) سمسار آخر لتاجر لم يرد لاسمه بيان فى وثيقة دون تاريخ يحتمل أنه قبل 1889 .

44 : **عبد السلام بن أحمد بن العياشي الحريزي** : اقترح سنة 1894 ليكون سمسارا لابراهام بورجل القاطن بطنجة (38) .

45 . **مناحيم عطية** : أريد جعله سمسارا للتاجر الانجليزي دلكّان (39) الذي حل بالدار البيضاء حوالي 1893 والتمس أن يبني له هري ودار بحسب 6٪ فى السنة ، فوافق السلطان على ذلك بشرط ابرام العقدة معه وكمال بناء السور حول المدينة (40) .

---

35 . رسالة كرين الى الطريس فى 25 أبريل 5/1890 رمضان 1307 ، بالمحفظة نفسها

36 . رسالة كرين الى الطريس فى 17 شتنبر 2/1890 صفر 1308 ، بالمحفظة المذكورة

37 . رسالة سميث الى الطريس فى 25 أكتوبر 1892 ، نفس المحفظة

38 . رسالة سطاو الى الطريس فى 12 يناير 1894 ، نفس المحفظة

39 . رسالة سطاو الى الطريس فى 19 أكتوبر 1893 ، نفس المحفظة ، ولعل كتابة اسم ديلكان هى : Deal Gan/Delgan (?)

40 . رسالة السلطان الى الطريس فى 3 صفر 10/1311 غشت 1893 ، محفظة الطريس 25 .

46 : **عبد الله بن المقدم الجيلالي الفقري** : اقترح على المخـزن أن يكون سنة 1891 سمسارا ليونط بورجل القاطن بجبل طارق (41) .

47 — 48 : **ابراهيم بن محمد الحجامي** : كان قبل 1891 سمسارا للتاجرين هنطر ومردوخ بوطلر الى أن طلب استبدال السمسار **ببوعزة بن محمد البيدوري** (42) .

49 : **محمد بن علي الرامي الشاوي** : اقترح سنة 1892 ليكون سمسارا لشركة التاجر الساكن بطنجة براش ماك ليوود (43) : Brash Mac Leod

50 : **مسعود بن بنتاحيم الحرار** : سمسار كانسينو حوالي 1882 . وكان قد وقع عليه اعتداء ونهبت أمتعته بايالة القائد الشرقي ودوار الشيخ المعطي بوطيب الفارسي المزابي ، فطالبت السفارة بتعويض عن ذلك (44) .

هؤلاء هم السماسرة الذين عثرت عليهم وكانوا في خدمة تجار أو محميين لبريطانيا العظمى . أما هولاندة والامبراطورية النمساوية الهنغارية فلم أكد أقف لهما خلال هاته الفترة على سماسرة ولا على مستوطنين .

* * *

ث — المستـوطنـون

هم رعايـا انجليزيون أو من المستعمرات والمحميات البريطانية ، وقدمت الكلام على أنهم كثيرون نسبيا وذكرت شيئا من أخبارهم . وأعـود هنا لأتمم بعض ما سلف .

---

41 . رسالة وايط الى الطريس فى 17 فبراير 1891 ، محفظة المغرب بريطانيا .

42 . المصدر السابـق

43 . رسالة ايوان سميث فى 13 شتنبر 1892/20 صفر 1310 ، محفظة المغرب بريطانيا

44 . تقييد الدعاوي التى قدمها جون هي فى 25 جمادى الاولى 1299/14 أبريل 1882 ، (النفطة 14) .

1 ـ جـون لاپـين :

اسمه الأول هو خوان لاپينيا وهو من مواليد جبل طارق سنة 1837 . وكان قد حل بالرباط أول الأمر ، ولكنه ما لبث أن التحق بالدار البيضاء وظل يعيش في هاته المدينة من 1854 حتى وفاتـه ، وله تقارير عن التجارة المحلية ، ولما اصبح وكيلا قنصليا غير اسمه تحذلقا .

وكانت دائرة نشاطه متسعة ، ولربما كان اخْوان من مستـوردي السكر ومصدري الصوف حوالي 1869 ، ومنذ 1864 كان يصدر الجلـود والزيوت . وكان سنة 1878 ممثلا للشركة الانجليزية الشهيرة لويد (45) : LLOYD

اتخذ طائفة من السماسرة والخلطاء سواء أثناء تمثيله لبـلاده أو نيابته عن دول أخرى كما سيأتي . واشتهر بدعاويه على السلطـات وعلى الخواص معا . فقد كان له سنة 1881 نزاع مع الحاج ابراهيم زنيبر السلاوي ، وسعى سنة 1884 في سجن بوعزة بن صالح الشرقاوي المكناسي (46) من أجل معاملات بينهما .

ومن جملة خلطائه يعقوب بن مسعود بوطبول الدمناتي في تجـارة الزيت والجلود ، وكان قد طلب من المخزن سنة 1884 الوصاية عليه لدى القائد الجيلالي الدمناتي ، لكن هذا العامل ما لبث أن سطا على بضاعتـه وطارده حتى في بلاد السراغنة (47) فاستغل ذلك نائب المركان فبرح به وشهره وسودت به الصحف في انجلترا وفرنسا (48) .

---

45 . مييج : «المغرب وأوروبـا» ، ج 1 ، ص 129 ، وتقاييد الامينين الحاج عبد الرحمان أقصبي والحاج العربي فرج في محرم 1286/ابريل ـ ماي 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1 . (هذا ان كان المقصود بلفظة اخوان هو جون لابين) ، وأيضا انظر رسالة الامينين الحاج المدني لديوزي ومحمد التازي الى بركاش في 15 قعدة 1280/22 أبريل 1864 ، محفظة بركاش (ان كان أيضا هو اخوان) وكذا رسالته الى الحاج عبد الله حصار في 27 أبريل 1878 ، بالمحفظة المذكـورة .

46 . رسالة بركاش الى الحاج بوشعيب الجزولي في 27 جمادى الاولى 1298/27 أبريل 1881 ، ورسالة السلطان الى بركاش في 23 حجة 1301/14 اكتوبر 1884 ، بالمحفظة السابقة الذكر.

47 . رسالة الحاج العربي بريشة في 10 قعدة 1301/1 شتنبر 1884 ، محفظة المغرب بريطانيـا .

48 . نسخة رسالة جون هي الى الطريس في 28 دجنبر 1884 . المحفظة نفسها

2 : **أسـرة ليـم** عرفت في الأوساط المغربية باسم اللام ، وكـان منها ثلاثة اخوة : واحد كان بالهند ، وثان كان بمقاطعة لانكشـير (مانشيسطر وليفربول) ، وثالث اسمه فريدريك كان بالدار البيضاء (49) وبآسفي وهو الذي تولى النيابة عن بلاده بصفة مؤقتة . ولعله كان مستعربا ويترجـم للامناء (50) .

وكان أبوهم يدعى تشارليز وقد استوطن المدينة . ومن هاته الأسرة التام الذي هو طوم أي ترخيم طوماس : **Tom/Thomas**

الاخوة ليم كونوا شركة كبرى بالمغرب كانت لها فـروع ببعض المراسي كآسفي لاستيراد المنسوجات البريطانية (51) ، وكانـوا ملاكين عقاريـين بالجديدة وبآسفي .

3 : **جورج فيرنو** مما لا ريب فيه هو الذي كانت الوثائق المغربية تدعوه جورش أوزورش تحريفا عن جورج .

كانت له علاقات مع المخزن فاستورد سنة 1889 سمطات المكينة ودفع « حساب السمطات الى التاجر لام الانجليزي فعربه تعريبا أَبْيَنَ من التعريب الأول الذى كان على يد غيره» (52) .

وبعد وفاة السلطان وقعت فتنة احتل على اثرها المتمردون مـن الأحواز قلب المدينة ، ولم يجلوا عنها الا بعد وساطة فيرنـو الذي كان « رقّادا » بينهم وبين عامل المدينة (53) .

---

49 . هوج وميج : «الاروبيون . . . » ص 48.

50 . رسالة المدني التازي وعبد الكريم الغنمية الى السلطان فى 9 ربيع الثانى 1307/3 دجنبر 1889 ، محفظة الدار البيضاء

51 . هنري كروز «ذكريات . . . » ص 236

52 . رسالة المدني التازي وعبد الكريم الغنمية السابقة الذكر

53 . هوج وميج «الاروبيون . . . » ص 105

عين جورش قنصلا مرات عديدة ولربما قبل جون لايسين ، لذا يبدو أن فيرنو هذا استوطن المدينة منذ أمـد قديم ، وظل يقطن ببناته الحاضرة حتى قبل الحرب العالمية الأولى ، هو وأخوه أو البعض من ذريتهما .

وكان جورج و هـ فيرنو انجليزيين ، وهما أول من وضع نظـام التجزئات الأرضية سنة 1911 فارتفع ثمن الأرض بالتدريج من فرنكين الى 7 أو 8 فرنكات للمتر المربع (54) .

وكان فيرنو من الأسـر الميسورة . ففي سنة 1886 كان «ز'ر'ش يستخدم كروسة عنده معدة لركوبه هو وأهله » ثم آركب معه فيها قنصل اسبانيا وخرجا معا الى أرباض المدينة ثم رجع « وقصده بذلك أن يتعرض لهما أحد من قبل المخزن لينشأ عن ذلك ما لا يليق » . وقد اقتدى به تاجر انجليزي آخر فى استعمال هذا النوع من العربات . ولما تكلم عامل الـدار البيضاء فى ذلك مع قنصل انجلترا آنذاك تطبيقا لأوامر مخزنية صدرت اليه ، أحاله على جواب سفير بلاده جون هي الذي ذكر للمخزن أن هذه « الكراريس ركن عظيم فى التجارة يصعب منع التجار منها ... » (55) .

4 : **براش ماكليـوود** استوطن الدار البيضاء سنة 1884 ، ولما كان يريد اتخاذ محمد بن علي الرامي سمسارا له اعترض المخزن على ذلك ، بحجة أن هذا « التاجر بحثنا عنه فوجدناه من جملة الحوانتية ... ولا يجوز التسليم بذلك الا بعد تسليم عامله » (56) .

لكن نائب الأشغال إليوط أجاب بأن ماكليوود مقيم بالدار البيضاء وطنجة منذ 8 سنوات وأن لـه تجارة فيهما وبالرباط أيضا ، وأنه أعطي لـه سمسار بفاس ، فلماذا لم يسلم له ذلك فى غيرها ؟ (57) .

54 . هنري كروز «ذكريات . . . » ص 28

55 . رسالة الحاج العربي بريشة الى السلطان فى 27 ربيع الاول 1303/3 يناير 1886 ، محفظة الدار البيضاء 2

56 . رسالة فى 20 صفر 1310/13 شتنبر 1892 ، بمحفظة المغرب بريطانيا

57 . رسالته فى 2 نونبر 1892/11 ربيع الثاني 1310 ، بالمحفظة نفسها

5 ـ أوكوسطو أطلايا A. ATALAYA

يظهر من رسم اسمه أنه ليس انجليزيا ، وانما هو من الجزيرة الايبيرية ، ولاسيما من جبل طارق ، ولا يدرى متى حل بالدار البيضاء . وقد التمس كغيره من التجار سنة 1890 دارا وخزينا حسب رسالة السلطان الذي قال : «التاجر النجليزي أكُسطُ طَلايَ يريد أن يُبنَى له دار وخزين بالحومة الجديدة التى بلغ للنائب أننا نريد بناءها بالدار البيضاء . فحين يعين المحل المأمور بتعيينه ويجعل له السور يُبنى للتاجر المذكور ذلك من جملة غيره من التجار » (58) .

6 ـ ادوارد ... EDWARD (?)

هذا الاسم ينقصه النسب ، وكان صاحبه تاجرا بالمدينة منذ حوالي سنة 1854، لأن «ضوارضو النجليزي كان يستورد السكر والأتاي والقهوة» (59)

7 ـ انطوني بيطر (؟) A. Peter (?)

كان « أنطور بط » (= أنطوني بيطر ؟) من الذين اشتغلوا أو اتهموا بالاشتغال بتهريب السلاح وبيعه سنة 1894 ، وكان له اتصال بأولاد لازارو القاطنين بالجديدة الملصقة بهم أو ببعضهم هاته التهمة . ولما استفسر النائب الانجليزي بطنجة عنه قال ما يبرىء به ساحة هذا المستوطن من أنه كان ترجمانا للأمناء بالمرسى (60) .

ولم أقف للثلاثة الأخيرين على سمسار ولا على خليط .

---

58 . رسالة السلطان الى الطريس فى 9 شعبان 31/1307 مارس 1890 ، محفظة الطريس 18 .

59 . رسالة أميني مرسى الدار البيضاء : محمد (فتحا) بن الحاج محمد التازي وأحمد بن الحاج محمد أفروخ الى السلطان فى 21 رمضان 17/1270 يونيو 1854 ، محفظة الدار البيضاء 1

60 . رسالة ساطاو الى الطريس فى 8 يناير 1/1894 رجب 1311 ، محفظة المغرب بريطانيا .

5 : اسبانيــا

مثلت هاته الدولة بعدة أشخاص ، وكان لقناصلها محميون ولتجارها سماسرة ولمستوطنيها نشاط تجاري وصناعي وفلاحي .

أ ـ السلـك القنصلـي

1 . **خوصي ألباريث إي پيريث** J. Alvarez y Perez كان سنة 1863 قنصلا قبل أن ينتقل بنفس الصفة الى مدينة الصويرة ، وقد ألف كتبا عن الجنوب المغربي ، وكان صحافياً ورحالة ، جال بنواحي درعة ورأس بوجادور والساقية الحمراء حيث بنى بالعوينة براكة أحرقها السكان على الفور (1) .

2 . **پيدرو فانطوم** (أو فانطونو) P. Fantum/Fantuno المولود بجبل طارق كما تقدم في تطوان ، وقد استوطن المغرب سنة 1856 واستخدم بقنصليات انجلترا بآسفي سنة 1859 (حيث مثل السويد والنرويج) ثم بتطوان وبعد ذلك بالدار البيضاء وأخيرا بالصويرة التي انتقل اليها سنة 1870 .

وبالرغم من أصله الطارقي وجنسيته الانجليزية فقد مثل اسبانيــا بالدار البيضاء ، وكان بها تاجـرا حوالي 1855 ، وفي سنة 1868 صدر منها الصوف والجلود (2) وكان ممن خلفه بعد ذلك بقليل أو بكثير :

---

1 . مييج «المغـرب وأوروبـا» ج 1 ص 60 وج 2 ص 381 ومحمد الغربي «الصحـراء المغربية ...» ص 16 (نسخة مرقونة)

2 . رسالة في 27 نونبر 1865 بمحفظة المغرب اسبانيا ، ثم رسالة فانطونو الى أميني المرسى : عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج في 18 جمادى الثانية 1285/6 أكتوبر 1868 ، محفظة الدار البيضاء 1

3 . **مانويل دي نبار'و** M. de Navarro عين نائبا قنصليا سنة 1878 وظل فى منصبه حتى سمي سنة 1900 قنصلا بطنجة (3) .

وخلال مدة توليته كان معه آخرون منهم :

ماميرتو رونكال إي بيريث : Mamerto Roncal y Perez وهـو فى نفس الوقت «أمين» وترجمان سنة 1882 ، و **خورخي بلانكـو** : J. Blanco وكان ترجمانا فى السنة نفسها ونائبا عن القنصل فى بعض الأوقات ، **ورامون رايموندو** : R. Raimundo وكان سنة 1890 ترجمانا (4) .

ب — المحميون القنصليون والاستثنائيون

اقتطفت أسماءهم من مستندات مغربية متنوعة ، ومنها :

ب 1 — من التقييد الخامس لابن زيدان (1880) :

1 . **العربي بن محمد بن بوعمرو المديوني** : كاتب أيضا فى قائمة المحميين سنة 1886 .

2 . **سعيد بن بوشعيب بن المنصر المسعودي المديوني** وكان عونا ، ولكنه فى لائحة 1881 كان «حارس صندوق مال مخزن السبنيول هنا» ، وهو أيضا فى «التنبيه» (5) يوصف بأنه «مخزني لبيت مال الاسبانيول ، ولا يخفى

---

3 . مييج «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 148 ورسالة منويل الى عامل الدار البيضاء فى فاتح يوليوز 1882/14 شعبان 1299 بمحفظة المغرب اسبانيا ، وكذلك رسالة أخرى الى خليفة العامل فى 27 يوليوز 1888/18 قعدة 1305 ، محفظة الطريس 13 .

وقد تحرف اسمه فى الوثائق المغربية الى دبنار ، وكان «أمينا» أي مراقبا لمداخل المرسى ، ومعناه بالاسبانية ريكاودادور : Recaudador

4 . رسالة فى 28 يوليوز 1883 بمحفظة المغرب اسبانيا ، وكذلك رسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 2 شعبان 1307/24 مارس 1890 ، بمحفظة الطريس 13 .

5 . عنوان هاته الوثيقة الكامل : «تنبيه على ما هو واقع بالدار البيضاء من اعطاء الحماية من بعض قناصل الاجناس على غير قانون ، موافق لما بيده من الشروط ، وبيان ما عند كل جنس من ذلك» وهي عارية من التاريخ ورقمها بمكتبة تطوان هو 138/140 . ويذكر محميي فرنسا وايطاليا واسبانيا ، وتاريخها هو ما قبل 1883 كما سيأتي عن سمسرة تجار فرنسا

أن بيت المال المذكور المراد به ½ ما كان يقبض من الديوانة ، وقد كَفِيَتْ مؤونته» .

وما لبث سعيد هذا أن صار سمسارا لتاجر يدعى اسطيبان Esteban أو شطيبة في قائمة 1885 ، ولكن سعيدا توفي سنة 1888 «وترك 3 زوجات وأنعاما وحبوبا كانت ملكا لغيره ، وكانت له عدة أولاد» (6) .

3 — 5 . **الغندور بن محمد المديوني** : كان عونا بالكنيسة وبالقنصلية ، **والمحجوب بن بوعبيد** : طباخ وكلاهما حتى سنة 1882 ، **وعيسى بن الحاج علي الحريزي** : مخزني بكنيسة الرهبان وذكر بنفس الصفة في قائمة 1886 ، ومما يذكر أن عيسى كان سنة 1878 عونا بتلك الكنيسة حسبما قال عامل أولاد حريز من أن «رجلا من القبيلة اسمه عيسى ولد الحاج علي الحريزي سكن الدار البيضاء ، وصار مخزنيا في دار قونص' الصبنيول بالدار البيضاء ، وهو له إخوة ثلاثة : عبد الرحمان والحاج الحسن والخليفة ووالدهم الحاج علي المذكور ، وتخلد بذمتهم مال له بال لجانب المخزن : من واجب وكلائف وسط اخوانهم ، وتعرض عليهم ومنعهم من أداء ما بذمتهم ، ولم يجد الشيخ سبيلا الى الوصول اليهم من أجل أخيهم عيسى الذى تعصب عليهم ، وصار كل من لقيه بالدار البيضاء من القبيلة يجذبه للحماية ويأخذ منه عددا من الدراهم وينسبها أنها حق القونص' ويأخذها هو ، واشتغل بالشيطانة (7) في القبيلة ولم يجلس عند حده ودخل فضولا كثيرة . . . فقد وصل منه ما لا يخفى عليك من الضرر» (8) .

ب 2 — من لائحة 20 دجنبر 1881 :

---

6 . رسالة قاضي الدار البيضاء عبد الرحمان لوباريس الى الطريس في 3 قعدة 12/1305 يوليوز 1888 ، محفظة الطريس 13 ، وفي قائمة 17/69 أنه كان سمسارا .

7 . كذا بالأصل وصوابه : الشيطنة

8 . رسالة عبد السلام بن محمد ابن الرشيد الى محمد بركاش في 12 جمادى الثانية 13/1295 يونيو 1878 ، محفظة بركاش .

6 . **أحمد بن الزموري المسعودي المديوني** : كان قبل هذا الوقت « مخزنيا قديما بهذه الدار القنصاوية » فورث الحماية منذ ما قبل 1862 كما سيأتي فى ذكر أخيه محمد ، كما أنه كان خليطا للقنصل .

7 . **ابراهيم بانون المدعو حسيسو** : تاجر محمي

ب 3 ـ **من قائمة 1886 :**

8 ـ 15 . **محمد بن بوعزة بن عبد القادر الدكالي والمكي بن بوعزة المديوني المعروفي وموشي بانون الملقب مير حسيسو والياهو التدغي وحاييم بيمينطة وابراهيم فينكس وشلومو بن شيمول (المدعو ابن قدعون) وشلومو بن عبو** الذى كانت له أولسميه حماية أمريكية : جميع هؤلاء الأشخاص العشرة لا علاقة لهم بالعمل بالقنصلية ، وانما هم تجار محميون .

ب 4 ـ **من قائمة 20 دجنبر 1886 :**

16 . **شلومو بن هاروش** وهو محمي استثنائي وتاجر ويظهر أنه حل محل ابراهيم بانون حسيسو (رقم 7 أعلاه) . وقد صار سنة 1900 سمسارا لشمعون بن هاروش المحمي البرازيلي .

17 . **بوشعيب بن محمد بن صالح المسعودي المديوني** مخزني بالنيابة القنصلية أو مستخدم بالكنيسة فى وثيقة أخرى (9) .

قال عامل الدار البيضاء تعقيبا على قائمة 1886 ان بوشعيب هذا وذوي الأرقام 5 و 6 و 8 و 9 : «يعدهم القنصل كلهم مخازنية . وهذا القدر لا تسوغه القوانين . كما أن اليهود المذكورين بعد ذلك انما يقيدهم ولم يبين لنا مراتبهم» (10) .

---

9 . من «بيان المخالطين لجنس الصبنيول» رقم 49/69 بمكتبة تطوان

10 . قائمة 20 دجنبر 1886 تحمل رقم 17/69 بمكتبة تطوان ، وأسفلها تعقيب العامل فى 14 ربيع الثانى 10/1304 يناير 1887 ، وهو يقصد بهم أيضا المحميين أصحاب الأرقام من 10 الى 16 .

18 ـ 19 . **محمد بن الحاج العربي الحميمر الصالحي الحريزي البيضاوي** مستخدم بدار القنصل (11) عوض المحمي الرابع ، **ومحمد بن قاسم المديوني** مستخدم ايضا .

ب 5 ـ **من وثائق أخرى :**

20 ـ 21 .**بوشعيب بن مسعود المسعودي المديوني** وابن أخيه **محمد بن الزموري المسعودي المديوني** : محميان زيادة على أحمد المذكور تحت رقم 6 أعلاه والذي كتب عنه وعن الذين قبله قنصل اسبانيا سنة 1862 مهددا قائلا ان حامليه « لم بقي لك عليهما حكما (= حكم) قط ، وهم تحت بنديرة الصبنيول يعمهم ما يعم لجنس الصبنيول . وان بقي تقبض منهما أحدا أو من أولادهما أحدا أو من مالهما وحرثهما وجميع من هو من ناحيتهما فلا تلومن الا نفسك ... والضامن الذي ترك أحمد في المال الذي لزَمت له : فاياك تكلم معه أو تقبض منه فلسا واحدا . وان سمعت قبضت منه شيئا ترجعه من غير خاطرك . وها أنا أعلمت القائد مَحمد الجراري بأن السيد محمد غادي يكون عندي مخزني بباب الدار متاع القونصوا الصبنيول» (12) .

وبهاته الوقاحة سجل محمد «مخزنيا لخليفة قونصو الصبنيول» (13) سنة 1863 .

22 . **ابن هليل** لم يرد بيان اسمه . وكان منذ 1863 محميا . ولأجل ذلك أو لغيره امتنع من تسديد وجيبة الكراء عن حوانيت المخزن في تلك السنة (14) .

---

11 . من «بيان المخالطين» رقم 49/69 سالفة الاشارة اليه

12 . رسالة قنصل اسبانيا الى محمد ابن مشيش فى 28 محرم 1279/26 يوليوز 1862 ، محفظة المغرب اسبانيا .

13 . رسالة بركاش الى السلطان فى 5 ربيع الاول 1280/20 غشت 1863 ، محفظة بركاش.

14 . رسالة السلطان الى بركاش فى 26 ربيع الثاني 1280/10 أكتوبر 1863 ، فى «الوثائق» ج 4 ، ص 299 .

23 . **اسحاق عمار** الرباطي الأصل نال الحماية الاسبانية قبل حرب تطوان ولكنها نزعت عنه قبل سنة 1879 بسبب اعتدائه على مغربي مسلم من سكان الدار البيضاء . وكان من نتيجة الجروح التي لحقته أن المسلم مات .

ولما رفعت عنه الحماية لكي يسلم للقضاء لمحاكمته تخوفت الأوساط اليهودية من أن يكون في ذلك مساس بحقوق الانسان ، واكتست قضيـــة المحاكمة قيمة بزت أهمية القتل نفسه ، فحاولت الجماعات الاسرائيليـــة بالخارج تبرئة ساحة القاتل ، زاعمة أن الموت لم يكن نتيجة الجروح ، وانما كان بسبب التيفوس الذي كان منتشرا في ذلك الوقت .

ولما كانت السلطات المخزنية متصلبة في اجراء المحاكمة طلبت الهيئات اليهودية - من خلال السلك الديبلوماسي - أن يحاكم المتهم وفـق قواعد النزاهة والعدل .

وها هو السلطان يقول لبركاش محتجا وآمرا :

«فقد كتبنا لك في قضية الذمي عمار - أخي بركوم - المحتمي بالصبنيول الذي قتل المسلم بالدار البيضاء ، ولم نر عنه جوابا ، مع أن هاته القضية لو كانت على مسلم لقاموا وقعدوا فيها ولكنت أنت تلزمنا فيها بما يحكمون به علينا .

« ولا ينبغي لك الأغضاء عن حقوق المسلمين . والآن فنأمرك بالكلام مع باشدور الحامي له : اما أن يعطي الحق في القضية ، واما أن يرفع يده عنه ويأتي لحضرتنا العالية بالله يقابل أولياء الدم » (15) .

وفي منتصف أكتوبر 1879 اعتقل اسحاق عمار ووجه على متن باخرة فرنسية من الدار البيضاء الى طنجة مخفورا بحارسين مغربيين (16) لاجـراء

---

15 . رسالة السلطان الى بركاش فى 7 شعبان 27/1296 يوليوز 1879 ، فى «الوثائـق» 1 ، ص 463

16 . «الوثائـق» 5 ، ص 376

الأحكام عليه . ويظهر أنه لم يثبت عليه شيء . ولذلك أمر السلطان بعد بضعة أشهر باخلاء سبيله فى يبراير 1880 بدون كفالة مالية على ما يلوح . أما الدية فقد أوعز ولد مراشي الى أسرة القتيل بأن لا تقبل تعويضا أو دية من عمار . وأمام هاته الحالة كتب جون هي الى بركاش يخبره بذلك ويشير عليه بأن لا يتأخر عن اصدار الأوامر بضرورة وقف هذا التدخل . وختاما صرح عمار أنه سيذهب الى أروبا لشكر أولياء نعمته (17) .

ولا يعلم ما اذا أديت الدية ولو أن الراجح أنها لم تسدد لتلبسه وانغماس أسرة عمار في خضم الحمايات . فقد تقدم أن شقيقه بركوم محمي أمريكي ومثله ابراهام الذي اكتسب الحماية الايطالية ، مثلما نال الياهو عمار الحماية الأمريكية والايطالية معا .

24 — 25 **علي بن محمد بن صالح المسعودي المديوني** صار عونا فى محل الغندور بن محمد المذكور سابقا ، ومَيِّر **بوطبول** الذى عين ترجمانا بالقنصلية (18) ، وقد تقدم أنه صار هو أو سميه محميا أمريكيا سنة 1884 .

26 . **الغندور بن الحبيب المديوني** الذي كان قبل سنة 1875 « كاتبا لقنصل اسبانيا بالدار البيضاء ... وفتح ثلاثة طيقان فوق دور المسلمين أيام ولاية الجراري » (19) . وسيأتي أنه أصبح بعد ذلك سمسارا ليهودا الصائغ المحمي بفرنسا (20) .

27 — 30 . **الحاج الأحسن (أو الحسن) بن الحاج علي بوستة وبوشعيب بن الحاج بوشعيب ابن الطيب العسلي والحيمر بن الحاج العربي**

---

17 . رسالة جون هي الى سولزبوري فى 18 يبراير 1880 — الوثيقة 49 فى كتاب «المراسلات . . . » الانجليزية ، ينظر عن قضية عمار «الوثائق» 5 ص 367 و 390 و 391 و 402 .

18 . رسالة ماميرتو رنكال الى عامل المدينة فى 8 شوال 1299/23 غشت 1882 ، محفظة المغرب اسبانيا ، ورقمها بمكتبة تطوان هو 3/37

19 . رسالة السلطان الى بركاش فى 3 رجب 1293/25 يوليوز 1876 ، محفظة بركاش .

20 . من «التنبيه» رقم 140/138

الصالحي وكلهم من أولاد حريز ، كانوا مستخدمين بدار النائب القنصلي ومثلهم : **عَيْتُوش بن أسولين** الذى كان له فوق ذلك خلطاء بالقبيلة نفسها (21)

31 — 32 . **محمد بن محمد ابن الجيلالي الحبشي العسكري الحريزي والجيلالي بن أحمد الحبشي العسكري الحريزي** (22) وكانا مستخدمين بالقنصلية .

33 . **علال بن مَلُّوك** وهو «مخزني بدار طبيب الجنس المذكور» (23) ولم يرد بيان عن تاريخ حمايته ، وهو والاثنان قبله فى ذلك سواء .

34 — 35 : **زهراء عَبَّادية** أرملة سكسو ، وكانت محمية قبل سنة 1881 هى وزوجها الهالك ، ولكنها تجنست هى والذى بعدها : **سليمان بن أزبـي** (24) .

* * *

ت ـ السماسـرة

وردت أسماؤهم متفرقة فى مصادر مختلفة : تقييد ابن زيدان وقائمتي 1881 و 1886 ووثائق أخرى ، ومنها استخلص ذكرهم مع شيء من المقارنة .

ت 1 : من تقييد ابن زيدان (1880) وقائمتي 1881 و 1886 :

1 . **الحاج أحمد بن محمد الدكالي** سمسار فرانسيسكو أطلايا

2 . **بوعزة بن الحاج الحسن الهراوي المديوني** سمسار رامون أطلايا .

كان السمسار الأخير صهرا لعامل مديونة ، وقد بنى فى صيف 1881 قصرا وبداخله دار بالساحل بأولاد جرار قرب الدعديعة على مسافة ثلاث

---

21 . قائمة المحميين بأولاد حريز رقم 63/69 بمكتبة تطوان ، وهى عارية منالتاريخ .

22 . من قائمة مختلطة للمحميين من أولاد حريز باسبانيا وانجلترا وأمريكا وايطاليا والبرازيل ، وهي لا تحمل تاريخا ، ورقمها بتطوان هو 168/154 .

23 . بيان المخالطين سالف الذكر 49/69

24 . رسالة قنصل اسبانيا الى العامل الطريس فى 28 محرم 1299/20 دجنبر 1881 ، محفظة المغرب اسبانيا .

ساعات من مرسى الدار البيضاء ، وكانت خلطته باسباني «لا تجارة له» حسب تعبير العامل الطريس مما يدعو الى الارتياب فى أمرهما خشية تعاطي التهريب ، أو مخافة الآفات ، او احتياطاً من خرق ضوابط البناء ، أو كل ذلك جميعا .

ولهذا كله أمر السلطان بهدم الدار معللا قراره بأنه «حيث كان البناء فى ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الأضرار بالمرسى من وجوه لا تخفاك ، مع كون الساحل محرما لا يشغل ببناء ولا بنزول ولا بنحو ذلك حسبما هو معروف عند كل أحد» (25) .

3 . **محمد بن الحدّاوي** (26) **المديوني** كان سمسارا لرامون أطلايا ، وقد يكون هو محمد العدوي المديوني الذى كان سمسارا لفيكة الألماني من 1881 حتى عدل عنه بعد 1884 كما تقدم .

4 . **الحاج أحمد بن الأعرابي** (أو العرابي) **التعلاوتي الحريزي** سمسار كارلو أطلايا ، وقد صار فى وثيقة أخرى سمساراً للتاجر أضْرِيَنْ (27) .

5 . **الغندور بن العسري العبدايمي المديوني** كان سمسارا لكارلو أطلايا أيضا ، وفى وثائق أخرى أنه كان خليطا لكارلو ومتعرضا على 15 خيمة من اخوانه (28) .

---

25 . رسالة السلطان الى بركاش ورسالة الاخير الى العاهل فى 29 محرم و 7 صفر 21/1299 و 29 دجنبر 1881 ، محفظة بركاش ، (نص الرسالة السلطانية عند ابن زيدان فى «الاتحاف» ج 2 ص 370) ، ثم رسالة الطريس الى بركاش فى 22 صفر 13/1299 يناير 1882 ، محفظة الحماية القنصلية ، وقد وردت اشارة الى هذا السمسار والتاجر فى «التنبيه» رقم 138/140 .

26 . فى التقييد : محمد بن العداوي ، وفى قائمة 1886 : حسم بن الحداوي ، ونظن صوابه هو ما ذكر أعلاه نقلا عن قائمة سماسرة مديونة .

27 . قائمة 168/154 وقائمة 63/69 بمكتبة تطوان ، وكلاهما خاص بأولاد حريز ، وسيأتي أن تاريخ القائمة الاولى هو بعد سنة 1894 (انظر السمسارين الايطاليين رقم 24 و 42). أما التاجر فلم أقف على ضبط كتابته ، وأظنه يسمى أندريانو Andriano

28 . قائمة 49/69 وقائمة 42/69 بمكتبة تطوان ، واسمه فى التقييد : الغندور بن العيســاوي .

6 ـ 7 . **عبد السلام بن الحاج أحمد الجروصي الزياني** وكان سمسارا لدومينكو أطلايا (29) ومثله أخوه : **الحسن بن الحاج أحمد الكرُوصي الزياني** (30) .

ت 2 ـ من قائمة 20 دجنبر 1881 المحلية (31) :

8 ـ 9 : **محمد بن الحاج سليمان المديوني والحاج سليمان بن محمد المديوني** سمساران لخوان كيخادة ، وكان الأخير منهما سمسارا لابن عطار في قائمة سماسرة تجار أمريكا بمديونة (15/69) .

10 ـ 11 : **عبد الله بن الحاج علي** سمسار منويل رودريكيس M. Rodriguez المدعو ولد الطبيب **والحسين بن محمد** سمسار اليخاندرو رامون أطلايا ، ولم أقف لهذين السمسارين على أصلهما ونسبهما .

ت 3 من قائمة 20 دجنبر 1886 المحلية (32) :

12 . **المكي بن الفاطمي الزياني الرحاحوي المديوني** سمسار رامون أطلايا أيضا في قائمة إيالة المديوني (33)

13 . **التهامي بن الحاج قاسم الحجاجي الحريزي** سمسار شطيبة وشركائه ، أما في لائحة سماسرة أولاد حريز فهو سمسار أضْرِيَنْ أو أندريانو (34) .

14 . **الحاج المعطي بن الفاطمي الغريني المزامزي** سمسار منويل الباريس ، ثم صار قبل سنة 1890 سمسارا لرامون أطلايا ، وظل مدينا لهذا

---

29 . في التقييد : عبد السلام بن محمد الجروصي ، لكن قائمتي 1881 و 1886 تكتبانه حسبما ذكرت أعلاه .

30 . في التقييد : احمد وفي القائمتين المذكورتين : الحسن .

31 . ذكر فيها السماسرة : 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4 ـ 5 ـ 6 ـ 7 .

32 . ورد فيها السماسرة ذوو الارقام : 1 ـ 2 ـ 4 ـ 5 ـ 6 ـ 7

33 . رقمها هو 42/69 بمكتبة تطوان

34 . رقمها هو 63/69 بمكتبة تطوان ، ولعل صواب نسب السمسار هو الحجامي .

الأخير بـ 13 ألف بسيطة سجن من أجلها مدة طويلة ولم يفرج عنه الا بعد أن رهن لدى الغريم نحو 54 رسما ، ولما سرح أدى لصاحبه دينه (35) .

وكان عامل المزامزة قد نعته بسوء السيرة وبيع الحماية مع القنصل الأمريكي جون كوب بقبيلة المزامزة (36) .

ت 4 — **من غير ذلك :**

15 . **الجيلالي ولد بوعزة الهراوي المديوني** : سمسار كارلو أطلايا .

16 . **بوشعيب بن صايلة الزكراوي** سمسار رامون أطلايا ، وكان سميه وابنه بوشعيب سنة 1887 سمسارا لنيكولاوس كيو الانجليزي كما تقدم.

17 . **وعبد السلام بن السالمي العباسي** : سمسار لمستوطن كان يدعى سانطو ... Santo

18 — 19 . **الحاج مَحمد بن الهاشمي بن عبو العباسي ، والحاج عبد السلام بن الشاوي العيادي** : سمساران لدومينكو أطلايا (37)

20 . **الحاج أحمد أقشتام الحبشي القبلي الحريزي** : كان سمسارا لتاجر لم يذكر له اسم (38) ولكنه كان في وثيقة أخرى خليطاً للتاجر هندريز أو أندريس (39) الذى قد يكون نسبه هو روكا : Roca

21 . **بوشعيب بن الرغاي الحجامي الحريزي** : كان سنة 1888 سمسارا لتاجر بالرباط (40) .

---

35 . رسالة دي بوتيسطاد الى الطريس فى 11 محرم 1311/25 يوليوز 1893 ، ورسالة عبد الرحمان بركاش الى الطريس فى 29 محرم 1311/12 غشت 1893 ، وكلاهما بمحفظة الطريس 25

36 . رسالة الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي الى الطريس فى 26 جمادى الاولى 1307/18 يناير 1890 ، محفظة الطريس 17 .

37 . قائمة سماسرة مديونة رقم 69/42 بتطوان

38 . قائمة 154/168 وكذلك قائمة 69/63

39 . من «قائمة سمسارة ايالة عبد السلام ابن الرشيد قديما» رقم 69/63

40 . قائمة 154/168

22 — 23 : **عبد الرحمان بن محمد ولد الجمل وبوعزة بن الحسين** وكلاهما من قبيلة مديونة كانا محميين أو سمسارين سنة 1865 لتاجر اسباني يدعى باكاسما ، وقد اتهما بقتل شخص من قبيلتهما من أولاد جرار يدعى عبد السلام بن محمد المديوني (41) .

* * *

ث — المستوطنون

عاشت بالدار البيضاء جالية اسبانية تعاطى أفرادها نشاطاً مهنيا متنوعاً ، وقد سلف القول عن طائفة منهم وعن حياتهم ، وها هو تكميل بعض ما تبقى .

1 — **أسرة أطلايا** : ATALAYA من أقدم الأسر الاسبانية بالدار البيضاء (42) ، وكان من أبنائها وذريتها :

— **فرانسيسكو أيْ «پاكـو»** : Paco لم يكن تاجرا وانما كان نجارا ، وهو من مواليد سنة 1799 وتوفي سنة 1888 .

— **كارلـو** (أو كالثو أو كالدُ في الرسائل المخزنية) كان بنـاء ونجارا ، وقد استعمل معه خلطاء وسماسرة مضى الكلام عن بعضهم .

لم يكن له ولا لفرانسيسكو حوالي 1887 تجارة بالمرسى أصلا (43). وقد بنى كارلو طاحونتين بازاء ساقية الماء التى أمام باب الدار البيضاء ، وشرع فى بناء بيوت وحوانيت بواسطة بنائين اسبانيين (44) بعد ذلك .

---

41 . رسالة محمد ابن مشيش الى بركاش فى 28 محرم 1282/23 يونيو 1865 ، فى «الوثائـق» 4 ، ص 327 .

42 . ينظر عنها ميبج وهوج فى «الاروبيون . . .» ص 76

43 . تعقيب عامل الدار البيضاء على قائمة 20 دجنبر 1886 ورسالة العامل الطريس الى بركاش فى 22 صفر 1299/13 يناير 1882 ، محفظة بركاش .

44 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 29 جمادى الاولى 1308/10 يناير 1891 ، محفظة الطريس 19 .

- **رامـون** المولود بطنجة سنة 1810 كان له سماسرة لتجارته . وكان مكتريا لدار من المخزن مبنية له حسب 6 ٪ في السنة بـ 29 ريالا فى الشهر وكان لا يؤدي الا 10 منها ، وقد امتنع من صفر 1296/ يبراير 1878 الى رجب 1306/أبريل 1889 من أداء الباقي (45) ، وتقدم شيء من الحديث عنه فى معرض الكلام عن سمساره بوعزة رقم 2 أعلاه وهدم داره .

- **دومينكو** : كان تاجرا ذا سماسرة كما كان فلاحا ومربيا للمواشي ، ولما سرق له رؤوس من البقر وعثر على بعضها عند محمد بن الحاج الدوح البيضاوي حبس القاضي هذا الأخير مدة 10 أشهر ، ثم أفرج عنه لأن السلطات كانت لا تعتبره من أهل السرقة ، ولما علم السلطان بذلك أمر برده الى السجن حتى يعاد التحقيق فى أمره (46) .

2 . **خوان كيخادة إي كوتييريس** : J. Quijada Y GUTIERREZ
كان كُطيل أو كُطير تاجرا صدر سنة 1869 الصوف واستورد الخمر (47) . وهو من قدماء المدينة ، كان له خزين «منذ عام 61 مسيحية يؤدي كـراءه بحسب 6 ٪ » ، وفى سنة 1890 طلب من الأمناء أن يبنوا له دارا فوق الخزين المشيد عام 1861 على قاعدة الشروط المعلومة ، واتفق له أن كان يكريه لغيره بقيمة لها بال ، ولكنه لم يكن يؤدي من خلال ذلك الا 50 أوقية (48) .

3 . **خواكين أضروباو** : J. ADROBAU حل بالدار البيضاء سنة 1886 بوصفه وكيلا للبواخر واعتمر هريا ودارا كانا قد بنيا حسب 6 ٪ للتاجر

---

45 . رسالة السلطان الى الطريس فى 29 رجب 1306/متم مارس 1889 ، محفظة الطريس 15 .

46 . رسالة السلطان الى الطريس فى 1 قعدة 1301/23 غشت 1884 ، محفظة الطريس 4 ، ورسالة الطريس اليه فى 27 جمادى الاولى 1305/10 يبراير 1888 ، محفظة الطريس 12 .

47 . تقاييد الامينين أقصبي وفرج فى سنة 1286/1869 ، محفظة الدار البيضاء 1

48 . رسالة السلطان الى الطريس فى 14 جمادى الاولى 1308/26 دجنبر 1890 ، محفظة الطريس 19 ورسالة اميني الدار البيضاء محمد هارون وادريس بن محمد برادة فى 27 ربيع الاول 1311/8 أكتوبر 1893 ، محفظة الطريس 25

المحمي البرتغالي ابراهام التدغي الذى أكراهما له ولشركائه (49) ، ولما خوطب ممثل البرتغال فى ذلك قال ان التدغي ليس الوحيد الذى يفعل ذلك فقد سبقه اليه جون كوب وجون لاپين وابن جلون وغيرهما (50) ، وكانت له شركة مع رفائيل سينطيس : R. Sintès

4 . **مانويل الباريس** M. ALVAREZ

كان تاجرا كما كان فلاحا ذا ضيعة فى أحواز المدينة وصفها العامل بقـولـه :

«اتخذ عرصة قرب الدار البيضاء كبيرة وابتنى بها قصبة ، وفى القصبة دار ومنزه وغرف وبنائق وأماكن ، والعرصة معمورة بالأشجار : دالية من العنب المختلط 17.000 ، وأشجار الزيتون 540 ، والعود الرقيق ألف واحد 1000 ، ومساحة كبيرة للخضر ، وحفر فيها ساقيتين يخرج منهما الماء الذى يكفي العرصة بالآلة التى بالسواني .

«ومنذ قدمت لهذا الثغر المحروس بالله وأنا أختبره هل يبيعهـا للمخزن ، وفي هذه الأيام أذعن لايثار جانب المخزن فقال إنها «طلعت» عليه بعشرين ألفا من الريال ... » (51) .

5 . **اندريس روكـا** : Andrès Roca

تقدم أنه كان له سماسرة بأولاد حريز ، وكان تاجرا فالتمس من الأمناء سنة 1893 أن يبنوا له دارا وخزينا بحسب 6 ٪ فى السنة ، فوافـق

49 . رسائل بمحافظ الطريس 16 و 22 و 24 : واحدة من السلطان الى أمناء المرسى فى 3 قعدة 1306/1 يوليوز 1889 ، وثانية من الامناء : محمد الحلو ومصطفى جسوس وادريس الفيلالي الى الطريس فى 22 حجة 1309/18 يوليوز 1892 وثالثة من فورناري دي بوتسطاد الى الطريس فى 17 أبريل 1893

50 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 12 يبرايـر 1891/3 رجب 1308 ، محفظـة المغـرب البرتغـال .

51 . رسالة عبد الرحمان بركاش الى السلطان فى 16 محرم 1311/30 يوليوز 1893 ، محفظة الدار البيضاء : 3

السلطان على ذلك لكن بعد كمال بناء سور المدينة وعقد الكنطردة معه ، لأن الدار البيضاء لم يبق فيها محل لبناء ذلك (52) .

6 . **كارسياس** : Garcias y Sintes في سنة 1888 كان تاجرا ومصدرا (53) ولم أقف له على ذكر سمسار .

7 . **فاديريكو بلانكو** : F. Blanco كان سنة 1894 تاجرا مصدرا (54) .

8 . **خوسي سنخر** : J. SINGER (?) كان حوالي سنة 1879 يبيت بالأجنة (55) ولعله كان حارسا أو مهربا .

9 . **البناؤون**

الهجرة الى المغرب كانت لدى الاسبانيين أقوى منها لدى غيرهم ، وكان أغلبهم من أهل الحرف كالفلاحة والبناء والنجارة

وكان منهم من اشتغل بالبناء السري أو العلني كما أشرت الى ذلك . وكان خرقهم لضوابط البلد وعدم نيل الرخصة المسبقة سببا في أوامر السلطان بالزامهم الرضوخ للقوانين وفي منعهم من تعاطي الحرفة وحملهم على احترام قرارات السلطة الادارية (56) .

وأكثر من ذلك أنهم كانوا يزاحمون البنائين المغاربة ويستوردون لهم و«على ايديهم من إقامة البناء كالآجر والقرمود والجبس والحجر منجورا

---

52 . رسالة السلطان الى الطريس في 10 شعبان 27/1310 يبراير 1893 ، محفظة الطريس 24 .

53 . عريضة تجار الدار البيضاء الى السلطان في 13 شتنبر 7/1888 محرم 1306 ، محفظة الهياة الديبلوماسية

54 . رسالة نائب اسبانيا الى الطريس في 6 شعبان 12/1311 يبراير 1894 ، محفظة الطريس 26 .

55 . محفظة الطريس 1

56 . رسالتا السلطان الى الطريس في 15 صفر 28/1311 غشت 1893 و 15 رمضان 2/1310 أبريل 1893 ، محفظة الطريس 24 و 25

ونحو ذلك بما فيه قوام معيشة أهل حرف ذلك من بنائين ونجارين وجباسين ، وتكاثر ذلك حتى كادت الحرف المذكورة أن تندثر ، ولحق أهلها الضياع ، وصار جلهم سعاة ، وكثر تشكيهم بذلك على ولاتهم ... زيادة على ما ترتب على الأقدام على إحداث البناء من غير ضابط ولا قانون» ، حسبما جاء فى رسالة السلطان الذى أضاف فيها سنة 1894 : «وعليه فنأمرك أن تتكلم مع نواب الدول فى منع دخول إقامات البناء ... وعمَلتِهم الذين يَردون لهنا من تعاطي حرفتهم مع وجود العملة بالبلد من أهلها ...» (57) .

57 . رسالة السلطان الى الطريس في 20 شوال 27/1311 أبريل 1894 ، محفظة الطريس 26 .

6 : ايطاليا

مستهل القول هنا سيكون عن القناصل ثم عن المحميين والسماسرة وسأذيل بأخبار المستوطنين .

أ ـ السلـك القنصلـي

I ـ فليتشـي مونطانارو : Felice MONTANARO

ناب عن ايطاليا قبل وحدتها (I860) ، اذ كان وكيلا عن مملكـة سردينيا والطوسكان وعن الأمبراطورية النمساوية الهنغارية بالدار البيضاء حسب رسالته الى الوزير العربي بن المختار يطلب منه فيها رخصة إما لوسق الذرة من الجديدة على يد القائد الحاج موسى واما لوسق الصوف والقمح ويخبره بتوجيه «هدية أربع مائة مثقال كما هي عادة الوزراء قبلك» (I) .

ولا يدرى من كانوا متولين بعده مباشرة ، ولكن كان منهم :

2 ـ بازيليـو ڭـراسينـو Basilio Garassino الايطالي ، وكان سنة I88I يمثل بلاده (2) .

3 ـ جان فرانسوا هورتوس : J. F. HORTUS وذلك حوالي I882 ومدة من السنين (3) .

I . رسالة مونطانارو الى العربي بن المختار وهي خالية من التاريخ بمحفظة المغرب ايطاليا (مع وثائق I305 هجرية) .

2 . رسالة سكوفاصو الى بركاش فى I7 جمادى الثانية I7/I298 مـاى I88I ، محفظة بركاش ، أصلها بالخزانة العامة بالرباط رقم 79/278 .

3 . رسالة الطريس الى بركاش فى I4 رمضـان 30/I299 يوليوز I882 ، محفظـة بركاش ومييج «المغرب وأوروبـا» ج 3 ص 293 (2)

4 — **كايطانــو باليسطرينو** G. Ballestrino وكان سنة 1892 نائبا قنصليا (4) .

ب — المحميون القنصليون والاستثنائيون

دونت أسماؤهم في مصادر شتى : تقييد ابن زيدان ولوائح ايطالية سنوية : عامة ومحلية ووثائق أخرى . ومنها جميعا سأستخرجهم .

ب أ — من تقييد ابن زيـدان (1880) :

I — 3 : **الحاج الطيب بن عبد الخالق المسعودي** : كان عونا في كافة القوائم حتى أعفي سنة 1888 ، **وأحمد بن مسعود** : مستخدم ، **ومسعود الزرزار** (المدعو يَجُّو البيضاوي) وكان ترجمانا في كافة الوثائق ومنها قائمة 1894 .

أما الثمانية الموالون فقد كانوا محميين استثنائيين .

4 — II . **يحيى الصائغ** (5) **وشلومو ناهون ويشوع ابن الصائغ وشلومو بن زرقين وابراهام طوليدانو وموشي بن شطريس** وكلهم تجـار **والمعلم الحاج مبارك** وكان وصيفاً أي عبداً لمحـَمد بن المصطفى الدكالي **والحاج علال** (أو علي) **القرواني** المحمي منذ سنة 1875 . وقد شرح ممثل ايطاليا سبب ذلك بقوله : «... منذ 12 سنة الذى نحن بطانجة ما حمينا أحد من رعاية مراكشة الا واحداً وهو بحري من الدار البيضاء ... حفظ من الموت 3 بحرية طاليانيين لما اعطا روحه للخطر» (6) .

وكان القرواني هذا قد أنعمت عليه فرنسا بميدالية الشرف سنة 1881 لما انقذ ركاب السفينة «الصويرة» يوم 16 يناير .

---

4 . رسالة كايطانو الى أميني الدار البيضاء في 13 يناير 1892 ، محفظة المغرب ايطاليا.

5 . لا نظنه المحمي 4 ولا المحمي 19 المذكورين بطنجة صفحة 581 أعلاه ، فهو بيضاوي على ما يلوح ، وسنعود الى قضيته مع قائد مديونة .

6 . رسالة سكوفاصو الى بركاش في 13 أبريل 1880 ، محفظة الحماية القنصلية .

ب 2 : من قائمتي 1885 و 1887 المحليتين (7) :

I2 ـ I5 **حايم بن ابراهام طوليدانو وابراهام برڭوم عمار والياهو عمار** وكلهم تجار **والحاج ادريس بن بوعزة البيضاوي** وكان كاتبا بالقنصلية.

ب 3 ـ من القوائم السنوية الايطالية :

I6 ـ **أبوبكر بن الحاج محمد الحجاجي الحريزي** : عون سنة I888 ورد اسمه فى كافة اللوائح الايطالية (8) حتى I894 ، وحل محل الحاج الطيب المسعودي (9) .

I7 ـ **الحاج عبد القادر الباشا** : كاتب القنصلية من سنة I889 الى ما بعدها ، ومر بنا الكلام على أنه كان كاتبا للقنصل الأمريكي قبل هذا الوقت.

I8 ـ **علي بن محمد بن الطاهر** : مستخدم فى قائمتي I89I و I893 أيضـا .

بـ 4 ـ من غير ذلـك :

I9 ـ **الحاج أحمد بن جابـر** : محمي من لدن يحيى ابن الصائغ ، وسنبين ذلك من خلال قضية ابن الصائغ مع قائد مديونة .

فقد كانت ليحيى علاقة بالسلطات يسلفها المال مثل ما فعل مع محمد ابن مشيش قائد مديونة الذى عزل من وظيفته سنة I865 بسبب ذلك واعتقل واستصفيت أمواله كما سنري من رسالة عامل أولاد حريز محمد بن الرشيد الى مَحمد برڭاش سنة I866 .

---

7 . رقمهما بمكتبة تطوان هو II/69 و I5/69 ، وقد ورد فى الاولى أسم المحمـي الثالث وفيهما معا أسماء المحميين ذوي الارقام : I ـ 3 ـ 6 ـ 7 ـ 8 ـ 9 ـ II

8 . رسالة الحاج محمد الزكاري الى العربي بريشة فى 9 رمضان I305/20 ماي I888 ، محفظة الطريس I3 ، وفيها ان اسم أبيه هو : حمـو

9 . رسالة مايسا الى الزكاري فى 20 ماى I888 أيضا ، بالمحفظة نفسها .

وصورة ذلك أن التاجر المحمي الايطالي أقرضه «ثمانية مائة ريال أسلفها له حين كانت عنده المحلة السعيدة لاضطراره ، واشتكى الذمي يحيى الصائغ على باشدور دولة الطليان وطلب الخلاص منه فى ذلك أو ممن حاز متاعه ، بعد أن ذكر أن القونص فريول الافرنصيصي كان يسئل لابن مشيش دينا وتخلص منه فيه وطلب الذمي يحيى المذكور التساوي معه . (10)

«فاعلم أننا بمجرد وصول كتابك وجهته لابن مشيش ليطلع عليه ، فلما قرئ عليه وعلم ما فيه ومعه نائب التاجر يحيى المذكور وتلاقى معه فأجابه وطلب الأجل حتى يقدم ابن عمه الحاج بن جابر لأنه كان خليفته ونائبا عنه على جميع متاعه من المواشي وغيرها وليقدم أيضا التاجر يحيى المذكور ويتحاسب معهما على ما حازاه من متاعه ، فانــه يزعم أن ما كان عنده من المواشي غنم وبقر كان على يــد الحاج بن جابر المذكور فى وسط دواره وأمام خيمته .

«ولا يعزب عن علمك أننا لما قبضنا على بن مشيش وجدنا أقاربه كلهم متعلقين ولم يبق الا هو ، فجمعوا مواشيهم كلها ومواشي بن مشيش وجعلوها بوسط دوارهم ، فصبنهم (11) وما قربنا لأحد منهم ولا جعلت اليد على شيء من متاعهم : لا قليل ولا كثير .

«وفى غد يوم القبض عليه ورد علينا التاجر يحيى المذكور مدعيا أن جميع المواشي التى بالدوار كلها له ، وما تعرضنا له على شيء ، وطلب منا أن نوجه من يقف معه على حوز ذلك ، فوجهت معه عدلين وثلاثة من أشياخ أولاد زيان وثلاثة من أصحابنا ووقفوا معه حتى أحصوا جميع المال الذى كان بالدوار ، وعدده اثنان وخمسون مائة من الغنم ومائتان وخمسة وسبعون رأسا من البقر : بين بقرات وثيران ، وفرسان وزوج بغال : أحدها عليه شواري

---

10 . أرجيء الحديث فى هاته القضية عن دين فيريوه الفرنسي الى الفصل الموالي

11 . هاته الكلمة لم أفهمها وصورتها فى الرسالة هى ما «حنشت» أعلاه ولعل المراد : نصبرناهم أو فطماناهم أو ما يشبه ذلك .

ممتلئاً مغطيا بغطاية لم يطلعوا على ما فيه ، والبغل الآخر عليه شواري فيه عدد من المكاحيل .

«فحاز التاجر يحيى ذلك كله وتوجه به لحوز الدار البيضاء ، ولما سمع بن مشيش بذلك ، وعلم أن التاجر يحيى حاز متاعه ، طلب منا أن نكتب للتاجر يحيى بأن يوجه اليه الحاج أحمد بن جابر ليتلاقى معه ويخبره بأمر متاعه ، فكتبنا له وطلبنا منه أن يوجه الحاج أحمد المذكور فى الأمان ليتلاقى مع بن عمه ويسئله عن متاعه ، فأجابنا بأنه يقدم يوم الأحد الموالي لتاريخ الكتاب ، فاذا به يوم الأحد كتب لنا أيضا صحبة رقاص وأخبرنا بأن الحاج أحمد بن جابر فـر ...» (12) .

ثم يخلص ابن الرشيد الى قضية فيريوه وبعد ذلك يعود الى الموضوع فيقـول :

«وأما ما ذكره التاجر يحيى أن بن مشيش عندنا بالسجن وقد استولينا على متاعه فبالله ما حزنا له من متاعه شيئاً ، وكيف يتأتى ذلك وهو كان عامل سيدنا ؟ فلا يسعنا أن نحوز متاعه وهو قائم الحيوة ، وليس بمضطـر : يخلصه هو وغيره ، فان متاعه كله عند اخوانه المتعلقين ، ولم يقدر أحد أن يتكلم معهم .

«ومنه : لما قُبِـض بن مشيش وجد كبير المحلة ، القائد الجيلالي بن القطبي ، ولدَ الحاج أحمد بن جابر المذكور فى خزانة بن مشيش خليفة عنه فقبضه وجعله تحت يده فى السجن ، فقدم التاجر يحيى المذكور وسرحه زاعما أنه فى حمايته ...» (13) .

وتقدم أن ابن جابر كان خليفة لابن مشيش لما قبض عليه إثـر الواقعة أعلاه ، فاعتقل بعد ذلك على يد ابن الرشيد ، بيد أن ابن الصائغ

12 . رسالة محمد بن الرشيد الى بركاش فى 26 رمضان 1282/12 يبراير 1866 ، محفظة بركاش .

13 . المرجع الاخير أيضا

أخرجه من السجن بواسطة صك حماية ذي تاريخ مسبق (14) ، ولعله جعله سمسارا أو خليطا .

وابن جابر هذا كانت له صلة أيضا بقنصل ايطاليا وفرنسا بالرباط أنطوان دوكور الملقب نينو ، وقالت عنه رسالة ابن الرشيد المتقدمة ان «نين' الافرنصيصي بالرباط خرج بخزائنه وأخبيته لبلاد الزيايدة وبني وَرَي وأولاد زيان أهل الواد وصار يدور على الدواوير ويقبض الهدايا وقد تلاقى مع الحاج أحمد بن جابر ، وأهدى له فرسا وبغلتين ، وطلب منه أن يدخل تحت حمايته ، وبلغنا أنه توجه لطانجة .

«وكذلك بن المكي السالمي من أهل الواد أهدى له فرسا وبغلة وكتب عليه مالا كثيرا» (15) .

* * *

ت - السماسرة

هوياتهم مثبتة فى طائفة من الربائد ومنها استخلصها :

ت 1 - من تقييد ابن زيدان :

1 - 2 - **الحاج بوشعيب بن محمد بن عمر المزامزي** وأخوه **الحاج ابن داود** سمساران ليحيى ابن الصايغ .

3 - **الحاج الطاهر القدميري** : سمسار ناهون وكذلك هو فى جميع القوائم ، وسلف أنه كان سمسارا ليوسف العسري المحمي الانجليزي القاطن بطنجة ، وفى سنة 1895 أصبح سمسارا لبراندت وطول الألمانيين ، ولعله ابن الهاشمي الزياني كما تقدم .

---

14 . مييج ، «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 559

15 . رسالة ابن الرشيد سالفة الذكر

4 — **الحاج عبد الله بن الحولي الحلوفي الحريزي** : سمسار لنفس التاجر في اللوائح كلها ومنها قائمة 1894 ، وكان سمساراً لمحمي أمريكي .

5 — **عبد الرحمان بن الحاج عبد الله الزياني البيضاوي** : سمسار بازيليو ݣراسينــو .

6 — 7 . **الحاج بوشعيب بن الطيب المزابي** : سمسار كارلو مورطيــو C. Morteo **والحاج بوعزة بن الحاج العربي بن مسيك الهراوي المديوني** : سمسار له في كافة القوائم أيضا ، وقد تعرض على 15 خيمة (16) .

ت 2 — **من لائحة 1885 المحليــة (11/69)** :

8 — 9 . **ابراهام ناهــون وشلــوم بن زرقين** : سمساران لاسحاق ناهون ، وظل الأخير منهما واردا في جميع القوائم ومنها زمام 1894 .

10 — **المعلم الحاج مبارك** : سمسار مَحمد بن المصطفى الدكالي . وسلف أن هؤلاء الثلاثة الأخيرين كانوا محميين منذ ما قبل سنة 1880 .

11 — 12 . **شلوم بن عبــو وإسحاق بن زرقين** : سمساران لشلوم ناهون . وسلف القول ان الأول أوسميه' كان محميا إسبانيا وأن الأخير كان هو أو سميه' محميا امريكيا .

13 — **يحيى السرفاطي** : سمسار يحيى الصائغ ونصت عليه وثائق السنوات الموالية ومنها قائمة 1891 ، وصار سنة 1900 محميا برازيليا .

14 — **بوعزة بن الحاج مَحمد الزياني** : سمسار جيوسيبي ݣراسينو في جميع القوائم ، وقد أسقط من السمسرة سنة 1893 وجعل مكانه أحمد بن بوعزة الدرنوني رقم 37 .

15 — **الحاج ابراهيم بن محمد البوعزيزي المديوني** : سمسار ݣايطانو بليسطريتو ، ولم يكن تسجيل هذا السمسار في القوائم سنة 1888

---

16 . سماسرة جنس الطليان من قبيلة مديونة 49/69

مطابقا للقانون بالرغم من طلب المفوضية (17) ، اذ يؤكد «التنبيه» أن «الرجل المذكور كان مع المديوني المقبوض وتقاعد له على بعض ماله ، حسبما أخبر بذلك المديوني المتولي الآن ، والتاجر كَيطانو لا تجارة له» (18) .

ولأجل ذلك رفضت السلطات إدراج اسمه لأن هذا الشخص «من المنحاشين للمخزن وفى خدمته ، فلينظر التاجرُ غيرَه» (19) .

فردت المفوضية الايطالية على الطريس أن لكَايطانو تجارة كبيرة فى الخارج وأن «ابراهيم كان فى خدمة التاجـر منذ 3 سنوات وليس من المنحاشين للمخزن ، وقد أخبرك عامل مديونة بغير الحقيقة» (20) ، وهكذا لم يرد للحاج ابراهيم ذكر فى وثائق السنوات الموالية .

16 ــ **الغزواني بن بوعيشة الحريزي** : سمسار شلومو ناهون .

ت 3 ــ من لائحة 1887 المحليــة (15/69) :

17 ــ **محمد بن بوعبيد الفقري الحريزي** : سمسار بازيليو كَراسينو في كافة القوائم الموالية ، وكان سمسارا لمحمي أمريكي وللتاجرين الألمانيين براندت وطول حسبما مر بنا .

18 ــ **ابراهيم أبي قاسيس الأزموري** : سمسار حاييم طوليدانو فى كافة القوائم أيضا (21) .

17 . رسالة جانطيلي الى الطريس فى 6 أكتوبر 30/1888 محرم 1306 ، محفظــة المغرب ايطاليا .

18 . من «التنبيه» رقم 138/140 المشار اليه غير ما مرة

19 . رسالة الطريس فى فاتح صفر 7/1306 أكتوبر 1888 ، محفظة المغرب ايطاليا .

20 . جواب جانتيلي الى الطريس فى 16 أكتوبر 1888 ، عن رسالته المذكورة آنفا ، بالمحفظة نفسها

21 . يستحسن أن نشير الى أن أسماء السماسرة السالفي الذكر توجد فى الوثائق المواليــة :

ــ ففي قائمة 11/69 : السمسار 16 الذى ورد كذلك فى 138/140

ــ وفي قائمة 15/69 السماسرة : 7 و 17 و 18

ــ وفيهما معا السماسرة : 5 ــ 8 ــ 9 ــ 10 ــ 11 ــ 12 ــ 13 ــ 14

ــ وفيهما معا وفى 138/140 السماسرة : 1 ــ 2 ــ 3 ــ 4 ــ 15

ت 4 - من اللوائح الايطالية السنوية العامة ومن غيرها :

19 - **الحسن الحبشي الحريزي** : سمسار لجيوسيبي كراسينو في قائمتي 1889 و 1891 .

20 - **حمو بن الحسن الزناتي** سمسار كارلو مورطيو سنة 1889 وفي قائمة 1893 أيضا .

21 - **الحاج أحمد بن الشافعي المزابي الحداوي** : سمسار ليوسف ناهون في قوائم 1891 و 93 و 94 وفي زمام سماسرة مديونة .

22 - **أحمد بن المعطي النصري الحريزي** : ويدعى أبا حماد ، وكان قبل سنة 1889 سمسارا لموسى ويحيى ابن الصائغ (22) ، وجاء اسمه في قوائم 1891 و 93 و 94 .

23 - 24 - **الطيب بن المعطي الحريزي البيضاوي والحاج بوشعيب بن الأحسن التلاوتي الحريزي** : سمساران لكايطانو بليسترينو ، وكانا معا سمسارين لكرانط بورجل الطارقي سنة 1889 حسبما أسلفت القول عنهما مع سماسرة بريطانيا العظمى ، ثم صارا سمسارين للتاجر الايطالي المشار اليه أعلاه (23) .

وكان الحاج بوشعيب متعرضا على 36 خيمة من اخوانه (24) ، وقد توفي سنة 1894 وصار ابنه الحسن يقوم مقامه كما سيأتي .

25 - **الحاج عبو بن الحاج محمد بن علال البوعمري المديوني** سمسار بقبيلة مديونة لبازيليو كراسينو الذى طلب سنة 1891 أن يجعله في خدمته (25) ، ولذلك ورد ذكره في قائمة 1893 أيضا .

---

22 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 3 ماى 1889 بالمحفظة المذكورة أعلاه

23 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 11 يوليوز 1889 ، بالمحفظة نفسها

24 . من قائمة سماسرة أولاد حريز رقم 168/154 العارية من التاريخ ، الا أن وجود هذا المحمي المتوفى سنة 1894 يحملنا على الاعتقاد أنها وضعت قبل تلك السنة .

25 . رسالة كانطاغالي الى الطريس في 14 يوليوز 1891 ، محفظة المغرب ايطاليا

ويحتمل أن يكون هو الحاج عبد الله بن محمد (إذ عبو ترخيم عبد الله) الذى ورد ذكره فى قائمتي سماسرة مديونة الخاليتين من التاريخ سمسارا لبازيليو ثم سمسارا لتاجر محمي بالبرازيل (وهو رقم 11 هناك) متقعدا على 20 خيمة من اخوانه (26) .

وسيأتي أنه كان سنة 1880 سمسارا للتاجر الفرنسي كنيبة .

26 — **الكبير بن الطاهر الحريزي** سمسار بالدار البيضاء لكارلـو مورطيو فى لائحتي 1893 و 94 ، وكان هذا الشخص مطلوبا سنة 1882 لكي يكون سمسارا لتاجر محمي بالبرتغال حسبما سيأتي .

27 — **الحاج عيسى بن الحسن** سمسار فى لائحتي 93 و 94 لجيوسيبي كَراسينـو .

28 — **موشي مراجـي** سمسار لابني الصايغ (27) فى القائمتين الأخيرتين ، ولعله هو موشى مراتشي المحمي البرازيلي سنة 1900 والذى كان سنة 1887 تاجراً ونائبا عن شركة باكي الفرنسية ومؤسساً لجريدة لاكرونيكـا .

29 — 30 : **يهودا ولد ابراهام حايوط** سمسار ابراهيم الصائغ الذى التمس سنة 1891 جعلـه فى خدمته هـو والسمسار **علـي بـن موسـى المذكـوري** (28) .

31 — 32 — **محمد بن قدور والمكي بن الحاج الطاهر المومني المديوني** سمساران ليعقوب ناهون خلال سنتي 1893 و 94 ، وكان الاخير سمسارا

---

26 . من «سماسرة مديونة لتجار جنس الطليان من ايالة القائد أحمد المديوني» ، وهما قائمتان رقمهما بمكتبة تطوان هو 49/69 و 44/69 ، وكلاهما خلو من التاريخ الذى يحتمل أن يكون بعد سنة 1889 ، ذلك أن الحاج عبد القادر الباشا مذكور فيهما على أنه كاتب للقنصل ، ولم يصبح الباشا محميا الا فى هاته السنة .

27 . من الصعب تحقيق عناوين التجار المحميين ، فالوثائق تجعلهم تارة بالدار البيضاء وتارة أخرى بغيرها ، ولسنا نعرف هوية ابني الصايغ ولا عنوانهما ولا عنوان آخرين وردوا هنا.

28 . رسالة كانطاغالى الى الطريس فى 17 أبريل 1891/8 رمضان 1308 ، محفظة المغرب ايطاليـا .

للقنصل متقعدا على 20 خيمة (29) ، وسيأتي أنه كان عونا بالقنصلية البرتغالية بالدار البيضاء سنة 1880 .

33 — 34 — **الطاهر بن محمد شاور** (أو شاوية) **الحريزي** سمسار بقبيلته لدابيد أزولاي سنة 1893 ، ولما توفي فى السنة الموالية عين مكانه شقيقه : **البصري بن محمد شاور الحريزي** (30) .

35 — 36 — **الجيلالي بن غلوي المديوني والمعطي بن أحمد الفزواني الحريزي** سمساران لحاييم طوليدانو (31) .

37 — **أحمد بن بوعزة الدرنوني الحريزي** سمسار لجيوسيبي گراسينو سنة 1894 ، جعل عوضا عن بوعزة الزياني سالف الاشارة اليه (32) .

38 — 39 — **الصغير بن عطاء الله الحريـزي والحاج المجذوب بن الحاج زعروق الحارثي المديوني** سمساران للحاج عبد القادر الباشا سنة 1894 ، وكان السمسار الاخير متعرضا على 10 خيام (33) .

40 — 41 — **الحاج الهاشمي بن الطاهر المديوني والحاج عبد السلام بن بوعزة المديوني** : سمساران لناهون ، وكان الاخير منهما سمسارا لابن عطار قنصل أمريكا بالرباط قبل ذلك (34) .

42 — **الحسن بن الحاج بوشعيب التلاوتي الحريزي** : سمسار گايطانو بليسطرينو بعد وفاة أبيه سنة 1894 حسبما تقدم (35) .

---

29 . من قائمتي سماسرة تجار جنس الطليان 49/69 و 44/69 المشار اليهما اعلاه .

30 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 18 يبراير 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

31 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 30 يناير 1893 ، بالمحفظة سالفة الذكر .

32 . المصدر الاخير

33 . «سماسرة تجار جنس الطليان» 49/69 ، ورد فيها أيضا السمساران 7 و 35 ، وجاء فى وثائق أخرى أن زعروق هو زروق

34 . الوثيقة السابقة وكذلك 45/69 (سماسرة تجار أمريكا)

35 . رسالة كنطاكالي الى الطريس فى 18 يبراير 1894 ، محفظة المغرب ايطاليا

43 ــ **دابيــد الترجمان** كان سنة 1891 سمساراً لدابيــد أزولاي الطنجي (36) .

44 ــ **الحاج بوعزة بن الأدام العسري المديوني** : كان قبل سمسارا لابن عطار قنصل أمريكا بالرباط حسبما تقدم فى قائمة السماسرة (45/69) ، ولما طلبت رخصة اتخاذه سمسارا للنائب القنصلي كاراسينو سنة 1885 رفضت السلطات قائلة : «لا تسوغ حمايته لكونه من أقارب ابن مشيش الذي كان عاملا ، وكان معه على حالة واحدة وجالت يــده فى أمتعة القبيلة وواجب المخزن ، وقد تقاعد على مال منه له بال ، وأراد التستــر بالحماية ليمتنع من إعطائه والتوصل الى الجسارة على الولاة واذايتهم» (37).

ومما لا شك فيه أن سمسرته ظلت مردودة ، ولم أقف على ذكره فى أية قائمة سنوية عامة أو محلية .

* * *

ث ــ المستوطنــون

لم يكن بالدار البيضاء الا عدد قليل من التجار الايطاليين ، فمنهم :

1 ــ **كارلــو مورطيــو** : الذى عاش بالجديدة مدة طويلة ثم بالدار البيضاء منذ سنة 1866 ، وقد ارتحل سنة 1889 مرة أخرى الى مدينة الجديدة حيث كان معروفا بالجالية الأروبية عامة والايطالية خاصة ، ولذلك مانعت السلطات عند رحيله ، الذى لا يظهر أنه كان نهائيا ، فى منحه سماسرة ، فقد كان فى السنة الأخيرة يريد تأكيد جعل الحاج بوعزة ابن مسيك وحمو بن الحسن الزياني (رقمي 7 و 20 أعلاه) سمسارين له ، وعللت هذا الرفض

---

36 . رسالة كانطاغالي الى الطريس فى 18 غشت 1891 ، المحفظة نفسها

37 . رسالتا السلطان الى بريشة ثم الى الطريس فى 19 ربيع الاول و 9 جمادى الاولى 1302/6 يناير و 24 يبراير 1885 ، محفظة الطريس 5

بكون كارلو قد أسقط التجارة منذ سنين من مرسى الدار البيضاء وتخلى عن الهري الذى بناه له المخزن بـ 6 ٪ ، وإذن فلا موجب لسمسرتهما (38) .

2 ـ **كَايطانـو بليسطرينـو** كان سنة 1892 نائبـا قنصليا بعد بازيليو كَراسينو آتي الذكـر ، وكان يحترف التجارة ولـو أن السلطات المغربية كانت ترى أن دائرة نشاطه لم تكن واسعة ، اتخذ سماسرة وخلطاء وكانت له شراكة مع مورطيو واعتمر الهري الذى تركه .

ولما عين فى المنصب القنصلي أنعم المخزن عليه وعلى «دولة الطليان بالهريين الكائنين بثغر الدار البيضاء اللذين كانا بيد الحاج محمد بن سعيد السلاوي وبما تعلق بهما من مرافقهما بقصد بناء محل السكنى بهما لقونصوها بالثغر المذكور» (39) ، وكان ذلك سنة 1893 .

3 ـ **اسـرة كَاراسينـــو** : GARASSINO

كان منها عدة أشخاص أذكر منهم ثلاثة فقط :

ـ **نيكولو** (أو نيكولا) الذى كان قد اشتكى بأن قائد زناتة بوشعيب بن العربي طرده من قبيلته حوالي 1876 وشهر عليه سكينا وشتمه ، وطلبت مفوضية بلاده عن تلك الاهانة استقدام القائد ليطلب المسامحة وفـرض ذعيرة ألف ريال عليه توزع على الضعفاء من قبيلته (40) .

ـ **وجيوسيبي** (المدعو زوزاف أو جوزي أي يوسف ويرخم الى **بيبـي** Pepe على الطريقة الاسبانية) الذى طالما طلب من الأمناء بناء

38 . رسالة أحمد بن العربي المديوني الى الطريس فى 5 جمادى الثانية 6/1306 يبراير 1889 ، محفظة الطريس 15

39 . رسالة السلطان الى الطريس والى عبد الرحمان بركاش فى 2 حجة 17/1310 يونيو 1893 ، محفظة الطريس 24

40 . النقطـة 11 من «تقييد الدعـاوي الكائنة بين الليكاسيون الايطالي والمخـزن الشريـف التى لم يقع فيها فصال حتى الآن» وهو بامضاء سكوفاصو ولا تاريخ له بمحفظة بركاش.

دار له على القاعدة المعروفة ستة فى المائة ، وحتى سنة 1888 لم يلبوا رغبته على الرغم من انصرام أكثر من ثلاث سنوات على التماسه (41) .

وفي سنة 1884 امتنع الطريس من قبول نيابته عن أخيه بازيليو فى الأشغال القنصلية ، مصراً على اعتماد نيابة هرتوس الفرنسي عن القنصل الايطالـي ، دون جيوسيبي حسبما تقدم ، وكان له سماسرة أشرت اليهم سابقا (رقم 19 و 27 و 37) .

— و**بازيليـو** : وقد رسم الكتاب اسمه فى شيء من التحريف : باسيليـو أو بَزِي بدون مد ولا لام ، هو من قدمـاء الجالية الايطاليـة بالمدينة ، وكان منذ سنة 1869 مصدرا للجلود ومستوردا للسكر والخمر (42). تولى النيابة القنصلية مدة طويلة عن بلاده قبل سنة 1882 وكذلك عن بلجيكا وفى سنة 1892 تخلى عن هذا المنصب لعجزه وكبر سنه ، وكان يعيش فى العزوبة (43) ، وفى سنة 1888 امتنع عن أداء واجب السوق فأمره وزير بلاده كانطاغالي بالوفاء بالتزامه (44) .

---

41 . رسالة كانطاغالي الى غريط فى 4 يوليوز 1888 ، بمحفظة المغرب ايطاليا

42 . تقاييد الامينين الحاج عبد الرحمان أقصبي والحاج العربي فرج فى محرم 1286/ 1869 ، محفظة الدار البيضاء 1

43 . هوج وميبيج «الاوروبيون . . .» ص 82

44 . رسالة كانطاكالي الى الطريس فى 20 يوليوز 1888 ، بمحفظة المغرب ايطاليا

7 : فرنسا

مواد هذا البحث هى ـ كالعادة ـ القناصل والمحميون والسماسرة والمستوطنون .

* * *

أ ـ السلـك القنصلـي

I ـ **بروسبير فيريوه** P. Ferrieu كلف سنة 1845 بشؤون وكالة بلاده بالدار البيضاء والرباط (I) وظل حتى 1866 يمثل بلاده (2)

2 ـ **تيودور جيلبير** T. GILBERT وكان أول نائب قنصلي رسمي لما أحدث هذا المنصب فى أكتوبـر 1865 ، وكان قبل ذلك يشغل وظيفة الترجمان الثاني بمصر ثم عين بحلب ، وبعد ذلك انتقل الى المغرب سنة 1866 وهو لا يزال فى طور الشباب بعد أن قضى بالمشرق أزيد من 18 سنة ، وظل بالدار البيضاء حتى سنة 1869 ، وفى يناير 1879 عين قنصلا بدمشق (3)

3 ـ **ماري إيرنيست فليش** M. E. FLESH عين نائبا قنصليا لمدة طويلة من 1869 الى 1877 ، وكان معارضا لسياسة إيمي داكان اللينة ،

I . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 25 و 46 ، ورسالة فيريوه فى 14 أبريـل 1849 ، محفظة المغرب فرنسا I ، وهوج ومييج : «الاوروبيون . . .» ص 92 (4)

2 . المصدر الاخير ، ورسالة الامينين محمد بن العربي معنينو ومحمد بن عبد الرحمان الحلـوي الى الحاج محمد بنيس فى I5 جمادى الثانيـة 5/I282 نونبـر 1865 ، محفظـة الدار البيضاء I

3 . مييج : «المغرب واروبا» ج I ص II4 وج 2 ص 455 (I) وج 5 ص 79 ، ومييج وهوج : «الاورويبون» ص 92 (4) ، ولا نعرف هل جورج جيلبير وتيودور جيلبير شخص واحد .

وفي عهده سنة 1873 أدمجت الوكالتان القنصليتان للدار البيضاء والرباط في بعضهما (4) .

4 — **هنري سوفير** H. SAUVAIRE سمي وكيلا قنصليا سنة 1876 قبل أن يعود سنة 1879 الى منصبه الأول (5) ، وتقدمت ترجمته بطنجة وفيها أنه كان ترجمانا بالشرق العربي أيضا .

5 — **كوستاف مونطيل** G. MONTEL من أسرة نزحت الى طنجة سنة 1810 ، قضى حياته ترجمانا مساعدا بالنيابة القنصلية بالدار البيضاء التى أشرف فيها على الشؤون القنصلية لاسيما سنة 1870 الى أن نقل الى الصويرة سنة 1888 للعمل فى سلك الترجمة ، وفى هاته المدينة توفي سنة 1877 (6) .

6 — **شارل دومون** Ch. Dumont كلف بالنيابة القنصلية عن فرنسا وغيرها ، وفى أواخر أكتوبر 1879 وافته منيته (7) .

7 — **ج ده موفوزان** G. de Mauvoisin وهذا كان نائبا قنصليا سنة 1880 حتى 1882 بالدار البيضاء والجديدة والرباط (8) كما تقدم فى هاته المدينة الأخيرة .

8 — **جون كوب** J. COBB وهو وكيل قنصلي أمريكي ذكر اسمه حوالي 1882 بوصفه نائبا عن فرنسا وغيرها (9) .

---

4 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 190 (9) وهوج ومييج : «الاروبيون . . .»ص 92 (4)

5 . المرجعان الاخيران على التوالي : ج 1 ص 165 وص 92 (4)

6 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 145 ثم رسالة شارل فيرو الى الحاج محمد الطريس فى 12 شتنبر 1888/6 محرم 1306 ، محفظة الطريس 14

7 . رسالة كرارة الى الطريس فى 27 أكتوبر 1879/11 قعدة 1296 ، ورسالة ايمي داكان الى بركاش فى 13 شتنبر 1870 ، محفظة بركاش ، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 102

8 . مييج وهوج : «الاروبيون . . .» ص 92 (4) ، ورسالة القنصل الى بركاش فى 5 حجة 1298/29 أكتوبر 1881 ، محفظة المغرب فرنسا .

9 . رسالة الطريس الى بركاش فى 8 محرم 1300/19 نونبر 1882 ، بالمحفظة المذكورة ورسالة أورديكة الى بركاش فى 7 غشت 1882

9 – **كرافيري** GRAVERI وقد اضطلع من سنة 1883 الى سنة 1886 بالوكالة القنصلية فى كل من الرباط والجديدة والدار البيضاء (10) حسبما مر بنا .

10 – **جان كولـون** J. COLLOMB/COLOMB وكان من ماى 1879 الى يناير 1881 ترجمانا بطنجة ، وعين فى أكتوبـر 1886 الى 1897 نائبا قنصليا ، وفى غشت 1893 صار قنصلا رسميا ، وله تقارير تجارية (11)

11 – **بينـار** PINARD خلفه من سنة 1897 الى سنة 1901 فى المهام القنصلية (12)

* * *

ب – **المحميـون**

حفظت لنا مصادر مختلفة أسماءهم التى تلي مستخرجة منها

ب 1 – من التقييد الخامس لابن زيـدان ومن القوائـم الفرنسية العامة معـاً :

1 – 3 : **الشافعي بن الطيب** : كان كاتبا فى القوائم الفرنسية العامة حتى سنة 1883 ، **وابن الطالب بن محمد** (13) : عون أيضا فيها حتى 1883 ، **والحاج محمد بن محمد الحبْشي الخليفي الحريزي** : مستخدم فيها حتى 1882.

ب 2 : من تقييد ابن زيدان فقط :

4 – 6 : **يوسف عميّل** : ترجمان ، **ومحمد بن ابراهيم الشلح** : عون ، **ومحمد بن حمادي** : مستخدم .

---

10 . مييج وهوج : «الاوربيون . . .» ص 92 (4) ورسالة القنصل الى بركاش فى 27 رجب 12/1302 ماى 1885 ، بالمحفظة السابقة

11 . رسالة العربي بريشة الى الطريس فى 8 حجة 7/1303 شتنبر 1886 ، محفظة الطريس 8 ، ومييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 91 ، ومييج وهوج : «الاوربيون ...» ص 92 (4) .

12 . المصدر الاخير والصفحة المذكورة

13 . فى التقييد : ابن الطاهـر

ب 3 ـ **من القوائم الفرنسية العامة وحدها** :

7 ـ 8 : **علي بن أحمد** : مستخدم بدار النائب القنصلي من 1880 الى 1883 ، **ومحمد بن عبد الله الحبَّاري الحبْشي الحريزي** : مثله من 1881 الى 1882 .

ب 4 ـ **من غيـر ذلـك** :

9 ـ **ابن الدهـان** وهو من يهود المدينة ، وكان سنة 1893 وسيطا فى بيع السلاح على يد أولاد لازارو المحميين الانجليزيين بالجديدة ، ومنهم كانت تصله الأسلحة عن طريق طنجة (14) حسبما سيأتي خبر ذلك فى غير هذا المكان .

10 ـ **ولـد بنيس الفاسي** : كان سنة 1866 سمسارا أو محميـا للقنصل فيريوه كما سيأتي ، ولم يرد اسمه فى الوثائق ولا اسم الذى قبله .

* * *

ت ـ **السمـاسـرة**

أسماؤهم اقتبستها أيضا من مراجع ووثائق متنوعة .

ت 1 ـ **من التقييد الخامس ومن القوائم الفرنسية العامة معا** :

1 ـ 2 : **الحاج محمد بن عبد الله الحبْشي الحَسْكي الحريـزي وعبو بن الحاج محمد بن علال البوعمري المديوني** : سمساران لألفونس كنيبة ومر بنا الكلام عن أن الثاني منهما صار سمسارا لبازيليو كراسينو الايطالي ، وسيأتي أنه كان سمسارا لتاجر محمي بالبرازيل ، كما سنرى أن السمسار رقم 56 هو أبوه الذى احترف نفس المهنة لتاجر فرنسي منذ عهد طويل سابق.

---

14 . رسالة عبد الخالق بنهيمة الى السلطان فى 6 جمادى الاولي 1311/15 نونبر 1893 ، محفظة عبد الخالق بنهيمة .

3 ــ 4 : **الحاج الرغاي بن عبد القادر المديوني** (أو الحاج عبد القادر الرغاي في وثائق أخرى) ، **والجيلالي الشطروب ولد محجوبة الزناتي** : سمساران لفليب مينار ، وفي قائمة ثلاثية غير مؤرخة للمحميين بالدار البيضاء والرباط وطنجة ذكر أن الاول سمسار كنيبة وأن الثاني سمسار ألكسندر الذي هو اسم سيرييس : SERIEYS

وكانت للجيلالي الشطروب دعوى على أفراد من قبيلة الزيايدة نهبوا بضاعة تاجره قبل سنة 1879 وقتلوا زوجته . وقد فُض الخلاف بأداء 2000 ريال عن النهب و 2000 ريال عن الدية ، فدفع ابن حميم قائد الزيايدة 3000 وبقي الألف الآخر سدد بعد سنة 1882 (15) .

5 ــ **الحاج ابن اسماعيل الحريزي** سمسار آرتوس وقد يكون تمام نسبه هو الحبشي السلهومي الذى كان بعد سنة 1886 وحتى سنة 1904 سمسارا لفيكة الألماني حسبما تقدم .

وكانت له قبل سنة 1866 دعوى نهب بايالة عبد القادر الزيراوي (16)

كل هؤلاء السابقين كانوا سماسرة ورد أسماؤهم في القوائم الفرنسية من 1879 الى 1886 .

6 ــ **الحاج الجزولي السالمي الزياني** سمسار بروسبير فيريوه الى وفاته سنة 1883 حيث شطب على اسمه في قائمة السنة الأخيرة ، وقد ترك متخلفا كثيرا وأرملة امتنع ابنه من إعطائها حقها في ارثها من زوجها الذي كان متزوجا بنت أخي العامل أحمد بن عبو المديوني ، وقال ان الهالك كان من أهل الغصب (17) ، وكان الجزولي سمسارا له منذ ما قبل 1866 ، ولما مات خلفه ابنه محمد صاحب الرقم 34 أدناه .

---

15 . القضية 9 من الدعاوي التي قدمها ورديغة (1882) ، وحاشية رسالة ده موفوازان الى بركاش في 29 أكتوبر 1881 المذكورة في الهامشة 8 ، محفظة بركاش

16 . رسالة محمد الجراري الى بركاش في 20 رمضان 6/1282 يبراير 1866 ، بالمحفظة نفسها .

17 . رسالة الى السلطان في 11 شعبان 12/1306 أبريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا

7 — **الحاج عبد القادر بن بوشعيب البيضاوي** : سمسار مونطيل فى قوائم 1879 الى 1881 ، وفى السنة الأخيرة أو قبلها كانت جماعة من قبيلة أولاد سعيد نهبت بضاعة تاجره ، فقدم القنصل مطلبا بالتعويض (18).

8 — **محمد بن الشافعي الحارثي المديوني** : سمساره أيضا من 1879 الى 1886 .

9 — **الحاج محمد بن شريف** : سمسار دومون سنة 1880 .

ت — 2 — من التقييد الرابع لابن زيدان (19) **ومن القوائم الفرنسية العامة معا :**

10 — 11 : **أحمد ولد الحاج عبد الخالق المديوني والحاج بوشعيب ولد جازية المديوني** (المدعو أيضا ولد زازية أو ولد اليابوري) ، سمساران لكنيبة ، وكان الثاني فى خدمة مونطيل قديما .

12 — **الحاج محمد بن الحسن الزياني الهراوي المديوني** : سمسار فيريوه الى ما بعد سنة 1888 ، فقد ادعى فى السنة الأخيرة أحقيته فى امتلاك كثير من العقارات بأحواز الدار البيضاء ، وبالرغم من عجزه عن الادلاء بأية حجة فقد تمكن بالحماية وحدها من السيطرة على تلك الأملاك بعد تحطيم بيوت المستضعفين واجلائهم عنها (20) .

---

18 . رسالة فيرو الى الطريس فى 6 محرم 12/1306 شتنبر 1888 ، وحاشية رسالة ده موفوازان الى بركاش فى 29 أكتوبر 1881 ، محفظة المغرب فرنسا

19 . نقلت من الرباط الى الدار البيضاء أسماء السماسرة العشرة الموالين ، لانهم من أحواز المدينة الاخيرة ، ولان نمط عيشهم أقرب الى نمط حياة أهل الشاوية منه الى غيرهم ، ثم لان الوثائق الاجنبية تدل على عناوين التجار لا على عناوين السماسرة ، حسبما سبق شرح ذلك غير ما مرة .

ومن جهة أخرى حرف تقييد ابن زيدان أسماء عدد من السماسرة فالرابع سماه «الشرب» بدون طاء ، وحرف اسم السمسار 10 الى «أحمد ولد عابد الكلاك» وهذا التحريف ناتج عن فساد الترجمة .

20 . عبد العزيز التمسماني : «الظروف العامة للصوصية فى مغرب القرن التاسع عشر ومشكلة الامن بطنجة» ص 28 من «مجلة دار النيابة» العدد الاول (نقلا عن أطروحة محمد كنبيب : «الحمايات القنصلية فى أواخر القرن 19 وبداية القرن 20» نسخة مرقونة)

13 — **محمد بن المكي الأحرش الزياني** : سمسار مازوريل .

14 — 15 : **محمد بن الفقيه الصالحي الحريزي ومحمد بن العبد** الزياني : سمساران لمينار ، وكان للثاني سنة 1881 دعوى نهب قمح وبهائم عند أولاد زيان (21) .

كافة السماسرة الستة أعلاه وردوا فى القوائم من سنة 1879 الى 1886 .

16 — 17 : **الجيلالي ولـد عمريـة** : سمسار مازوريل **وأحمد بن بوشعيب العبيدي الصالحي الحريزي** : سمسار فيريوه ، وقد ورد اسمهما فى القوائم من 1879 الى 1885 .

وكان السمسار الأخير متهما بقتل الحاج بوشعيب ابن الزيراوي (22) ، ويظهر أن ذلك كان سببا فى عدم ادراجه فى قائمة 1886 .

18 — **الحاج احمد بن الحاج علال المديوني** : سمسار دومون سنة 1880 .

19 — **الحاج علي بن رحال** : سمسار مونطي سنة 1880 و 1881 .

ت 3 من القوائم الفرنسية وحدهـا :

20 — **صالح بن محمد الحبشي الحريزي** : سمسار فيريوه من 1879 الى 1886 ، ولربما ظل معه بعد ذلك (23) .

21 — **الحاج عمر بن ابراهيم** : سمسار دومون سنة 1879 و 1880 .

---

21 . رسالة ده موفوازان الى بركاش فى 5 حجة 29/1298 أكتوبر 1881 — محفظة المغرب فرنسا .

22 . رسالة عبد السلام بن رشيد فى 28 ربيع الاول 4/1303 يناير 1886 ، بالمحفظة نفسهـا .

23 . فى 168/154 انه خليطه المتعرض على 9 خيام ، وهاته الوثيقة غير مؤرخة وتحتوي على سماسرة لتجار من مختلف الجنسيات ، ونظن أن تاريخها هو 1894 ، حسبما سلف فى الفصل السادس (ايطاليـا)

22 ـ **مخلوف بن الجيلالي الزياني** : سمسار دوكور القنصل بالرباط وذلك من 1882 الى 1886 .

23 ـ **محمد بن محمد ولد رقية** : كان سنة 1881 سمسارا لگوستاف **انگو** G. Angot

24 ـ **الزموري بن الرامي الشياظمي** : مثله من 1883 الى 1886 .

25 ـ 27 : **الكناوي** (أو الغاوي) **بن الحاج محمد بن عبد السلام** ، **ومحمد بن محمد البيضاوي** : سمساران لبروسبير كريسطول سنة 1881 ، ومثلهما فى نفس السنة : **العسولي بن الجيلالي البربوشي** أي «الواصل» بن الجيلالي التادلي الورديغي الذى ستأتي أخباره مع صاحبه ، هؤلاء الثلاثة حذفوا من قوائم السنة الموالية .

28 ـ **فيدال بيباس** : من يهود المدينة حيث كان سمسارا لفريوه واستمر فى خدمته من 1883 الى ما بعد ذلك ، وعنه قال صاحبه سنة 1892 انه فى «محل ولدنا والمكلف بمعظم أمورنا كاتبنا التاجر بِدان ... اشترى بيتا مع بقعة محاطة بالحجر ، ولما أراد إشهاد ذلك بالعدول منع منه ...» ، ثم تدخل لدى السلطات لفائدته ذاكرا أن فيدال «يريد التنازل مجانا عن البيت والبقعة على شرط أن يبني له المخزن بنظره مكانا حسب قاعدة 6 فى المائة» (24) .

29 ـ **الحاج التهامي بن الطيب البيضاوي** : سمسار دومون ثـم سمسار أرتوس من 1882 الى 1886 .

30 ـ **الحاج أحمد بن الطيب بن الأحسن الحمداوي المديوني** : سمسار أنگـو من 1883 الى 1885 .

31 ـ **الغندور بن محمد البيضاوي** : كان سنة 1881 سمسارا لنفس التاجر ، وبعده أصبح سمسارا ليهودة الصائغ من 1883 الى 1886 .

---

24 . رسالتا بروسبير فيريوه الى الطريس فى 28 شوال 1309 و 20 صفر 26/1310 ماى و 13 شتنبر 1892 ، محفظتا الطريس 22 و 23 .

أما فى قائمة 49/69 وفى «التنبيه» فان اسمه هو الغندور بن محمد بن الحبيب العبدي (أي العبدايمي على ما نظن) الحمداوي المديوني ، وذكر أنه كان سمسارا للصائغ ، ونعتقد أيضا أنه هو الذى كان سنة 1875 كاتبا للقنصل الاسباني حسبما تقدم فى الفصل الخامس .

32 — **بوشعيب بن الحاج الطيب الحبشي الحريزي** : كان من سنة 1882 الى 1886 سمسارا للحاج عمر بن عبد الرحمان فويتح الجزائري .

33 — **العرابي** (أو الأعرابي) **بن الأحرش** (أو الأطرش أو الفقيه) **الزناتي** مثله له فى نفس المدة .

34 — **محمد بن الحاج الجزولي السالمي الزياني** : سمسار فيريوه من سنة 1883 الى 1886 بعد وفاة أبيه رقم 6 أعلاه .

35 — **ميمون الباز** : كان سمسارا من سنة 1883 الى 1886 ليهودي متفرنس كان يسكن بباريس اسمه الكحَيَّل ، وجاء فى «التنبيه» أن هذا التاجر «هو ببر النصارى ، لم نعلم له هنا تجارة ، وانما مر من هنا فتعلق به اليهودي» ميمون الباز .

36 — **الحاج عبد القادر بوعلام** : كان سمسارا لتاجر من مرسيليا يدعى ج كاريل J. Carrel

و«هذا التاجر كرير ليست له بالدار البيضاء تجارة يباشرها ، وهو ببر النصارى ، ولعله انما يوجه له مايحتاجه لحانوته ، وما علينا الا البلاغ» حسبما جاء فى «التنبيه» .

وورد فى رسالة أخرى سنة 1882 عنه أن «قنصل الماركان نائب الفرنصيص كتب مخبرا أن الحاج عبد القادر بوعلام وردت له ورقة الحماية من باشدور الفرنصيص بوظيفة أنه وكيل التاجر كريل الفرنصيصي بمرسيلية ... والحامل على ذلك أن مرتبة التوكيل لم نقف عليها قط أنها توجب الحماية لصاحبها ، ولم نعرف أحدا أنه محتم بسببها كالكاتب

والسمسار وغيرهما ... وظهر لي أن قبول الحماية بالمرتبة المذكورة هو خرق عادة في ذلك ويترتب عليه المَلام ... ومع ذلك فان التاجر المذكور لا تجارة له بالدار البيضاء يستحق لها السمسار» (25) ، وسيأتي أن الحاج عبد القادر كان سنة 1880 كاتبا بالقنصلية البرتغالية .

37 ـ **علي بن الشيهب الحداوي المديوني** : سمسار مينار سنة 1886.

38 ـ **بوشعيب البيضاوي** : كان من 1879 الى 1880 سمسارا لايميل سيڤيــراك E. Sévérac

39 ـ **الجيلالي بن أحمد الزناتي** : مثله له من سنة 1884 الى 1886 .

والظاهر أنه هو الجيلالي بن امغار الزناتي الذى كان سنة 1885 سمسارا له ، ويستفاد من رسالة القنصل أن القائد بوشعيب بن احميم الزناتي قد سجن اخوان السمسار ، واستولى على حصان كان ملكا للتاجر المذكور ، وجاء فيها أن «العامل المذكور سجن اخوانه ، ولم يفاصل شيئا ، وأنت تعلم وأني أنا قونْصو الفرنصيص ما أطلب الا التى هي على الحق ، والعامل المذكور من قلة نيته أنكر ما ذكر ، ومن جانب هاذا الشيء كل ذالك يبقى في ذمته ، ومن غير هذا واني عندي التحقيق وأن الناس سَرَّقْ وهو ينظر ذالك ولم ينههم .

«وكذلك أيضا كان أخذ فرسا للجيلالي بن امغار سمسار مسْي سيبِراك حين قدم معه من هنا مثل الصاحب له ، وقد كنا بعثنا لك بنسخة الخوَّانة التى بقبيلة زناتة ، وكل ما يقع من السرائق من هذه القبائل كلها توجد في زناتة .

«وأما أنا فلست بتاجر مسبِّب ولا عندي المحميين ، وهذه مدة من سنين باشْ جئتُ وكَبروا بيَ ببقرتين وأمَّنْتُهما عند عون متاعي له قطع

---

25 . رسالة الطريس الى بركاش في 8 محرم 1300/19 نونبر 1882 ، محفظة بركاش

هنا بازاء هذا الثغر البيضوي ، وقد سرقوهم زناتة مع بهائم أخـَر للعون المذكور ، ثم وُجدوا في قبيلة زناتة ، وهذه مدة أيام 15 ولم يرجعوهم لنا..

«الخوّانة كايطلبون الدراعيم ليرجعوهم بها ، وتحقيق آخر وأن قبيلة زناتة عامرة بالخوانة» (26) .

40 ـ **بوعزة بن محمد التعلاوتي الحريزي** : سمسار مينار من 1882 الى 1886 ، وكانت السلطات قد اعترضت سنة 1882 على تعيينه في هذا المنصب ، بحجة أنه «لما نهض أخانا (= أخونا) القائد للحركة السعيدة وجه عليه يأتي للحركة السلطانية ، لأنه من المعلومين لها ، فتسبب بمرض . ومهما وجهنا عليه يقل : «ها أنا في الأثـَر» ، الى أن نهضت المحلة السعيدة ، فتوجه للدار البيضاء خفية ، وأراد التدليس بمخالطة أحد تجار الفرانصيص وهو التاجر مينار .

«فكتب لنا في ذلك خديمُ مولانا القائد السيد الحاج محمد الطريس حول كتاب خليفة قونص الفرانصيص بالدار البيضاء وهو قونص المركان بها ، مضمنه أن التاجر مينار يريد المخالطة مع السيد بوعزى الحريزي المذكور ، فأجبناه بأنه مخزن ومن أعيان المخزن ، وطلما (= وطالما) جالت يده فيه للمخزن ، ويعرفهم على تلك الحالة الخاص والعام ، وقررنا له حاله ، وما سلمنا له مخالطته ، وطلبنا من خديم مولانا المذكور يخاطب القونص المذكور يتكلم مع التاجر مينار بعدم مخالطة ذلك الرجل الذى هو من أعيان المخزن ، ووالده من قبله مخزن ، وخدمتهم في المخزن كشمس على علام (= علم) من حياة والدنا رحمه الله الى الآن . . .» (27)

41 ـ **الحاج محمد بن علي المنوغي** (أو الملوغـي) **المزامـزي** سمسار ليهـودة الصائغ من 1882 الى 1886 . وكان المخزن قد مانـع في

---

26 . رسالة كرافيري الى بركاش في 27 رجب 12/1302 ماى 1885 ، بالمحفظة الاخيرة

27 . رسالة محمد بن محمد بن رشيد الى بركاش في 26 رمضان 11/1299 غشت 1882 ، بالمحفظة نفسها .

ترشيحه هو والسمسار الغندور رقم 31 أعلاه ، لأن صاحبه «انما هو يهودي طنجوي معروف فى حماية الفرانصيص ، فكيف يستحق أن يتخد سمسارين والحماية لا تحمي ؟ » ، حسبما ورد فى «التنبيه» الموالي .

ت 4 : **من «التنبيــه»** (28) :

42 — **يوشع عمَّيل** : كان يراد اتخاذه سمسارا لبرودو ، «وبرودو لانعرفه أصلا أين هو ، ولا نعلم له تجارة بهذه المرسى» .

43 — **يوسف بوحنَّا** : سمسار دارمون الذى «لا تجارة له بهذه المرسى» ، وهذا التاجر الذى كان له خلطاء بأولاد حريز «ثبت أنه يهودي مثل يوسف بوحنا لِمَّا صدر منهما من الزيـغ والطيش» ، ولذلك كتب فيرو الى قنصل فرنسا بتوبيخ السمسار والتاجر دارمون : Darmon (29)

44 — 48 : **محمد بن الجيلالي الفقري** (ولعله هو الحاج محمد الذى كان سمسارا لمحمي أو تاجر يوناني سنة 1880) **وعمرو بن الجيلالي الفقري وأخوهما** (ولم يذكر اسمه) **والحاج البكري الحبشي** (وأربعتهم من أولاد حريز) **والحاج بادو الدمناتي** : كان القنصل «سردهم فى التقييد من غير تبيين مراتبهم ، ولم نعرف لهم سببا للحماية» ، ولا يبدو أنهم كانوا مجرد خلطاء .

ت 5 : **من القائمة العامة للخلطاء والسماسرة المديونيين** (30) :

---

28 . هو الوثيقة رقم 138/140 بمكتبة تطوان ، وقد ورد فيها أيضا السماسرة : 1 — 31 — 35 — 36 — 39 — 41 ، وهى خلو من التاريخ الذى نرجح أنه هو ما قبل سنة 1888 التى توفي فيها الغندور السمسار 31 أو مات فيها يهودة الصائغ ، حسبما جاء فى رسالة احمد بن العربي الى الطريس فى 10 صفر 16/1306 أكتوبر 1888 ، محفظة الطريس 14 .

29 . رسالة فيرو الى الطريس فى 19 غشت 19/1886 قعدة 1303 ، محفظة الطريس 8

30 . رقم 49/69 بتطوان ، وهى عارية من التاريخ ، وفيها اشارة الى بعض السماسرة أعلاه والى تعرضهم لدى السلطات فى سبيل اخوانهم وخيامهم ، فالسمسار 8 متعرض على 40 خيمة و 10 على 10 و 11 على 10 و 30 على 15 و 31 على 40 و 37 على 15 و 49 على 25 خيمة .

49 - **الحاج بوشعيب بن عبد القادر الرغاي** : ولم يرد فيها بيان تاجره الذى لعله مينار ، مثلما كان أبوه السمسار رقم 3 أعلاه فى خدمته .

ت 6 : **من قائمة سماسرة أولاد حريز** (31) :

50 - **محمد ولد الحاج عزوز الحبشي** : سمسار فيريوه .

51 - **محمد بن بوعزة الرحيحي الحبشي** : سمسار كنيبة

ت 7 **من قائمة ثلاثية فرنسية** (32)

52 - **يوسف بن ذباح** : سمسار فيريوه

53 - **الحاج الحسن بن الزبير** : سمسار أرتوس

54 - **محمد بن شعيب** : سمسار مينار وكنيبة

55 - **محمد بن الحاج اليماني الزياني** : سمسار مونطي .

ت 8 **من غير ذلك** :

56 - **الحاج محمد بن علال البوعمري** : كان سنة 1867 سمسارا لتاجر فرنسي (33) لم يذكر اسمه ، والسمسار مديوني من ايالة ابن الرشيد التى كانت تضم آنذاك ولاية محمد ابن مشيش لا سيما بعد عزله ، وقد مضى القول عن ابنه عبو (رقم 2 أعلاه) الذى كان سمسارا لألفونس كنيبة ، ويحتمل أن يكون أبوه سمسارا لنفس التاجر أيضا .

---

31 . رقمها بتطوان هو 61/69 وهى خلو من التاريخ وفيها ذكر السمسار 40 أعلاه .

32 . عنوانه «بيان المحميين بايالة مراكشة» وهى تشتمل على أسماء محميين وسماسرة من ثلاث مدن : طنجة والدار البيضاء والجديدة ، ولذلك ادعوها «الثلاثية» ، وليس فيها رقم وليس فيها تاريخ ، ومن الذين وردوا فيها من أهل الدار البيضاء وأحوازها السماسرة : 1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 13 - 29 وكذلك السمسار رقم 6 وهو الحاج الجزولي المتوفى سنة 1883 ، وهذا يدل على أن هاته القائمة وضعت فى هاته السنة أو قبلها .

33 . رسالة الطيب بن اليماني الى بركاش فى 20 حجة 1283/25 أبريل 1867 ، محفظة بركاش .

وقد قبض على الحاج محمد سنة 1866 فطالب سفير فرنسا بالافراج عنه لأنه سمسار محمي ، وذلك في الوقت الذى كان المخزن لا يجيز انتخاب السماسرة من البوادي ، ولهذا السبب تعجب محمد الرابع فى رسالته الى بركاش قائلا : «... فهم يطلبون الفصال من جهة ، ويحمون من جهة ، فكيف يجمع بين هذين الغرضين ؟ ... وعلمنا أنهم لا يخالطون غالبا الا لمن لا مروءة له» (34) .

57 — **الطاهر ولد الحاج المكي** : سمسار سيرييس (35) .

58 — **احمد الحافي الحريزي** : كان سنة 1866 سمسارا لبروسبير فيريوه فاشترى له 22 مطمورة من القمح (36) .

59 — ... **ولد افراسن المديوني** : وكان منذ سنة 1862 سمسارا لأرتوس وظل فى خدمته سنة 1887 ، «وفى هذه الأيام عمد اليه قائد مديونة وربطه وذعّره ... وهذا القائد صاحب خوض وشيطنة» (37) .

60 — **عبد الكريم بن الحاج محمد بن غانم المجاطي المديوني** : لما توفي والده الذي كان «عامر الذمة لجانب المخزن» أُريد اتخاذه سنة 1892 سمسارا لكنيبة (38) .

61 — 62 : **الغزواني بن المعطي الرحالي الحريزي** واخوه **محمد** المعروفان **بأولاد الزيادية** ، كانا سمسارين ليهودي من الدار البيضاء أو

---

34 . رسالة السلطان الى بركاش فى 6 حجة 11/1283 أبريل 1867 ، صورتها عند محمد نهليل فى «رسائل شريفة» ، اللوحة 21

35 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 551 (8)

36 . المصدر الاخير ج 2 ص 494 (2)

37 . رسالة فيرو الى الطريس فى 22 رجب 16/1304 أبريل 1887 ، محفظة الطريس 10 ولم يرد اسمه فى الرسالة

38 . رسالة أحمد بن العربي الى الطريس فى 9 ربيع الثاني 31/1310 أكتوبر 1892 ، محفظة الطريس 23

أحوازها يدعى دارمون ، فلم يسلم بذلك عامل أولاد حريز (39) ، وتقدم شرح قضيتهما فى الفصل الأول معه برسالة بريشة الى السلطان من أن الدافـع لطلبهما الحماية كان هـو التماس الأمان على نفسهما من ضغط عبد السلام ابن الرشيد .

* * *

ث ــ **المستوطنـون**

1 ــ **لوي شامونار** L. Chamonard كان سنة 1853 وكيلا فى اقتنـاء الصوف من الدار البيضاء لـدار من مدينة ليون اسمها ديكـران Desgrands

2 ــ **لياندر پـورو** Léandre PORRO وكان فى نفس السنة نائبا عن دابيد وليون كوهين من مرسيليا فى شراء الصوف والحبوب من الجديدة والدار البيضاء .

3 ــ **شارل مارتان** Ch. MARTIN كان عميلا لأشخاص من فرنسا يشتري لهم الصوف ويوجهها من الدار البيضاء الى مرسى سيت .

وقبل 1869 كان خبازا بالمدينة ، كما كانت لـه خلطة مع الحاج الطيب المديوني المزابي الحمري القاطن بايالة ولد حدو بعمالة مديونة لشراء الغنم لحسابه ، لكن هذا الخليط قتله محمد بن علي التعلاوتي الحريزي فقدمت السلطات القنصلية دعوى بذلك (40) .

4 ــ 5 : **بيير وجوزيف فيريوه:** كانا الأخوان سنة 1853 وبعدها وكيلين فى شـراء الصوف من الدار البيضاء والجديدة والرباط لحساب

39 . رسالة محمد بن محمد بن الرشيد فى 3 شوال 1303/5 يوليوز 1886 ، محفظة الطريس 8 ، ورسالة العربي بريشة الى السلطان فى 18 محرم 1304/17 أكتوبر 1886 ، محفظة المغـرب فرنسـا .

40 . القضية 3 من «الدعاوي التى عند القائد رشيد» والتى لا تحمل تاريخا ، غير أن الأحداث وقعت فى حياة رشيد ابن رشيد المتوفى سنة 1869 .

البارون سييئر Seillière الباريسي (41) . وتقدم أن بيير كان نائبا قنصليا لانجلترا وفرنسا بمدينة الرباط لمدة ما .

ولم أقف للخمسة المذكورين أعلاه على سماسرة .

6 — پروسپير (42) فيريوه (43) Prosper FERRIEU

كان نائبا قنصليا لبلاده حتى حدود 1866 حسبما تقدم ، وفي هاته السنة أو قبلها كان له دَيْن على القائد محمد بن مشيش . وكنت فيما مضى قد سقت طرفا من رسالة محمد ابن الرشيد في قضية قائد مديونة مع يحيى ابن الصائغ المحمي الايطالي ، وبقي كلام فيها عن قضية فريوه مع ابن مشيش .

فقد مر بنا أن ابن الصائغ طلب أن يؤدي له القائد المذكور دينه مساواة مع ما فعله مع القنصل الفرنسي ، وها هو جواب محمد ابن الرشيد :

---

41 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 5 ص 25 و 46 ، حيث وردت أسماء المستوطنين الثلاثة الأولين أيضا .

42 . بروسبير حرف الى بوسبير ، ومعلوم أن من قواعد الكتابة المخزنية جعل الحركات على الحروف ، ولهذا وضع الأقدمون ضمة فوق الراء دون أن يمدوا الحرف الاخير ، وما الواو في الواقع ومن حيث الشكل الهندسي الا راء مجزومة ، ومن ثمة وبفعل طول الاستعمال والتنشيف بالرمل أو بنحوه اكملت الضمة استدارتها فصارت مع الايام جزمة وأصبحت الـراء الاولى واوا

لهذا التحريف نظائر لا في الترسل المخزني وحده بل حتى في الأدب العربي القديم ، واو بوسبير شبيهة بواو أبي الأخفش ، ويحكي أحمد أمين في «ضحى الاسلام» (ج 2 ص 273 و 284) أن أبا عمرو ابن العلاء (70 — 154 هـ) قال لأبي الأخفش (ت 177 هـ) لما أنشده هذا البيت :

قالـت قتيلـة ما لـه   قد جللـت شيبا **شواتـه** ؟

«كبرت عليك رأس الراء فظننتها واوا ، وانما هي «سراتـه» ، قال : وما سراتـه ؟ قال : «سـراة كل شيء ظهـره» .

43 . فيريوه بالهاء هو فريول باللام في الخط المغربي ، اذ الهاء المتطرفة أشبه ما تكون شكلا باللام المتطرفة ، ولكثرة النسخ اشتبهت الهاء باللام فصار فريوه بالهاء فريولا بالـلام المعرقـة .

ولي عودة الى فيريوه والى بروسبير أو بالأحرى الى تعليل بوسبير وشرح فريول .

«وأما ما ادعاه من أن فريــوه الافرنصيصي «تخلـّص» فيما كــان «يسئله» لابن مشيش فاعلم ـ أيها الأخ ـ أن فريول لم ندفع له شيئا ، وقد تخلـّص في متاعه بحيلة ، وهي أنه لما قبض بن مشيش دخلت لداره فلم نجدوا بها شيئا ما عدا بيتين : أحدهما كان يجلس فيه ولده مَحمد ، والثاني كان فيه ذمي من سكان الدار البيضاء ، فأحصينا ما وجد فيهما ، أما الذى كان فيه الذمي وجدنا فيه سلعته من كتان وغيره ، وزائدا على سلعتــه «زَ َيْف"» فيه أربعمائة ريال وستة وستين ريالا ، ووجدنا في البيت الذى كان على يد ولد بنيس الفاسي قفطان ومهاميز مذهبين وخنشة مخيطة فيها ستمائة ريــال وثمانية عشر ريــالا ولا سلعة فيه ، فحــزنا ذلك ودفعنه (= دفعناه) للأمين الموجه من قبل سيدنا نصره الله لاحصاء متاع بن مشيش.

«وفي الغد قدم علينا القونص فريوه المذكور صاخطا (= ساخطا) ناخطا مدعيا أن ولد بنيس مع الذمي المذكور : في حمايته ، وعندهما مال لتجار الافرنصيص ، وطلب منا أن ندفــع لــه المال أو يركب في الحين لطانجة ، فلم يسعنا [إلا] أن دفعنا له المال المذكور وشهدنـ [ـا]ه على الجزولي بالعدول .

«ثم بعد ذلك ورد علينا فريوه المذكور واعترف بأن المال للقائد محمد بن مشيش ، فأما ما وجد عند الذمي فقد حــازه في دينه الذى كان يسئله لابن مشيش ، وأما ما وجد عند ولد بنيس فقد ذكر لنا أن تجار الافرنصيص اقتسموه بينهم في دين كانوا يسئلونه لأخي ولد بنيس ، وطلب منا الملاقات مع بن مشيش فتلاقى معه وتحاسب معه على ما حازه من عند الذمي المذكور ، ثم ادعى عليه أيضا أنه باقي له قِبـَلـَه أربعمائة ريال بخط يده ، وقد عايناه نحن عنده ، فأجابه بن مشيش بأنه كان وضــع عنده خمسمائة من الغنم على وجه الحفظ والأمان على يد الجزولي ، فاعترف له الجزولي بها ، وهذا هو الوجه الذى تخلص به فريول . . .» (44) ،

44 . رسالة محمد ابن الرشيد الى بركاش في 26 رمضان 1282/12 يبراير 1866 ، محفظة بركاش .

كان فيريوه يشتري الجلود ، وكان أيضا يصدر «الصوف الجـزة ويقتنيها على ظهور أمهاتها» (45) لفائدة شركائه ، وفى سنة 1869 كان يستورد — فيما كان يستورد — الخمر والموز (46) ، وكان له من أجل تجارته سماسرة وخلطاء مضى تعدادهم .

بروسبير اكتسب ثروة وبنى بها عقارات ، «وفى ولاية أحمد بن المعطي على الدار البيضاء بنى فريول الفرنسيسي 4 حوانيت وامتنع من اعطاء واجب المخزن ، وفى عام 78[12] بنى الذمي حسبِيس' من حمايـة الصبنيول حوانيت وسلك مسلك فريول فى عدم الاعطاء» (47) .

أسرة فيريوه قديمة الاستيطان بالدار البيضاء ، حل جوزيف عم بروسبير بالمدينة حوالي 1848 أو قبلها ، وقد كتب القنصل السابـق بروسبير رسالة الى الطريس سنة 1888 مشيرا الى «داره القديمة التى كان بها أول قدومه لهذا الثغر السعيد ومدتها تزيد على الاربعين سنة وهى متلاشية جدا» والى الدار «الملتصقة بها التى كان بها عمنا وهى بيد الفرايلية وقد تلاشت سقوفها» (48) .

وكان أبوه بيير من الذين يناهضون الاتجار فى الحماية سنة 1866 و «ضد الذين كانوا يقولون للمغربي : اجعلني أمام عدلين مالكا لأغنامك وأبقارك وخيولك الخ ... وسنكون شريكين فى ربع رأس المال هذا ، وتحت مظهر امتلاكي أنا — الذي سيكون فى الواقع امتلاكك أنت — ستصير محميا لــي» (49) .

---

45 . رسالة محمد بن الحاج قاسم حصار الى السلطـان فى 27 شعبان 6/1280 يبراير 1864 ، ورسالة محمد (فتحا) بن الحاج محمد التازي واحمد بن الحاج محمد أفروخ فى 21 رمضان 17/1270 يونيو 1854 ، محفظة الدار البيضاء 1 .

46 . تقاييد الأمينين أقصبي وفرج عام 1868/1286 ، محفظة الدار البيضاء 1

47 . رسالة الأمين محمد التازي الى الطريس فى 9 صفر 6/1293 مارس 1876 ، محفظة الطريس 1

48 . رسالة بروسبير الى الطريس فى 14 قعـدة 23/1305 يوليوز 1888 محفظـة الطريس 13

49 . مييج : «المغـرب وأوروبـا» ج 2 ص 555 (2) .

وكان «التاجر فريول الرومي بالدار البيضاء ذا سيرة لا بأس بها» (50) ، وكان في سلوكه معتدلا مع المخزن ومع الناس ، وكانت له سنة 1883 معاملات من شمال الرباط الى تادلة وما وراء سطات ويستخدم معه من 30 الى 40 شخصا (51) ، وقد قام بركاش وقعد ولم يقبل سنة 1885 أن يجعل بروسبير وأرتوس وميناز وكنيبة سمسارين لكل واحد منهم في الرباط والجديدة والدار البيضاء (52) .

وقد توفي بروسبير سنة 1898 عن 74 سنة من عمره ، لأنه من مواليد 1824 ، وبالدار البيضاء تزوج وانجب طفلين أحدهما هو بروسبير ـ أنطوان الذى سيأتي الحديث عنه على حدة .

وكانت هاته الأسرة من الدباغين والنساجين وكانوا أيضا يصنعون الثياب (53) . ويبدو أنها تركت في اللباس الوطني واللسان المغربي أثـرا لم يمح حتى الساعة : إذ الراجح أن الفرّيُول الذى يرتديه الصناع كان من مبيعات بروسبير أو مصنوعاته أو ملابسه .

7 ـ الفونس كنيبـة : A. CANEPA

من مواليد مرسيليا سنة 1821 ، وحتى سنة 1869 كان لا يزال يعيش في العزوبة ، وكان مصدرا للتمور والحبوب والأصواف ومستوردا للزيت والنسيج والشمع والسكر والزجاج (54) .

وقد أصابه في وقت ما إفلاس في تجارته ، وكان سنة 1879 وكيلا للبواخر التجارية الفرنسية ، واتخذ خلطاء وسماسرة سبق ذكر بعضهم .

---

50 . رسالة السلطان الى الطريس في 4 محرم 10/1306 شتنبر 1888 ، محفظـة الطريس 14

51 . مييج : «المغرب وأوروبـا» ج 3 ص 458

52 . رسالة العربي بريشة الى الطريس في 28 ربيع الثاني 14/1302 يبراير 1885 ، محفظة الحماية القنصلية .

53 . مييج وأوجين هوغ : «الأوروبيون . . .» ص 17 .

54 . تقاييد أقصبي وفرج عام 1869/1286 ، محفظة الدار البيضاء 1

8 – جان فرانسوا أرتوس : J. F. HORTUS

هو من أوائل المستوطنين بالمدينة ومن التجار الذين كانوا سنة 1868 يصدرون التمور والبلغة والزرابي والبطاطا الرومية ويستوردون المنسوجات والشمع الخام والزيت ، وقد سبق له سنة 1864 أن اكترى مركبين لوسق الصوف من الجديدة والدار البيضاء (55) .

ولد بفرنسا سنة 1827 وحل بالدار البيضاء منذ 1855 ، وكانت له محلات تجارية بالرباط والجديدة (56) ، ويظهر أنه كان قد عاد مؤقتا الى فرنسا للراحة أو للأعمال وتفقدها وترك الأخوين أطلايا الاسبانيين سنة 1882 نائبين عنه في تجارته (57) ولو أنه ظل حتى سنة 1884 من مصدري الصوف المغربية (58) .

وزيادة على احترافه التجارة كان نائبا قنصليا لايطاليا حسبما تقدم وقد اتخذ خلطاء وسماسرة مرت بنا أسماؤهم .

9 – شارل إيتيان دومون : Ch. E. DUMONT

ولد بفرنسا سنة 1815 وتولى الوكالة القنصلية عن بلجيكا منذ 1857 ، وله ابنان يحملان اسمه شارل ، كان سنة 1866 يريد بيع داره للمخزن لكي تعطى لقنصل فرنسا ، ولما سأل السلطان عن وجه تملكه للقطعة التى بنى فيها داره أجيب بأن الأمير مولاي العباس لما كان بطنجة تدخل لدى بركاش لكي يمنح دومون تلك البقعة التى نفذت له لما كان عبد السلام السويسي عاملا على الدار البيضاء هذه مدة 6 أعوام .

---

55 . المصدر السابق ورسالة العربي بوشنتوف الى بركاش فى 7 قعدة 1280/14 ابريل 1864 ، محفظة بركاش .

56 . مييج وأوجين هوج : «الاوروبيون ...» ص 25

57 . رسالة شارل فيرو الى الطريس فى 17 أبريل 1887 ، محفظة فرنسا المغرب

58 . رسالة بركاش الى السلطان في 18 ربيع الاول 1301/17 يناير 1884 ، محفظة بركاش .

انتحر سنة 1879 لافلاسه فى تجارتـه ، وكان قبل ذلك مراسلا لجريدة «سيمافور ده مارسي» من 1865 الى 1870 ، وله مقالات عن المغرب وعن المدينة (59) .

10 ــ **ألبـان مونطيـل** : Albin Montel

من مواليد فرنسا سنة 1836 ، كان تاجرا له سماسرة وخلطاء ، ومضى أنه كان قنصلا لبـلاده ، وكان «المخـزن بنى دارا بالدار البيضاء ليسكنها الذى كان كاتبا هناك بدار القونصل المسمى منطيل ، وحيث خرج منها منطيل المذكور ... وسفر لحال سبيله ، طلبها أحد الفرنسيين المسمى بيـر ...» أي بيير . . . Pierre (60)

* * *

الفرنسيون الخمسة السابقون ابتداء من فيريوه وزيادة فليب مينار عليهم كانوا جميعا من الموسرين ومن ذوي الخلطة مع المغاربة .

وبواسطتهم كانت الدور التجارية الفرنسية تملك عشرات الآلاف من المواشي ، وفى سنة 1870 كان لست منها نحو 20 ألف رأس : منها 15 ألفا من الأغنـام ، وبين 1875 و 1877 تضاعفت الأعـداد (61) ، ولكن سنوات المسغبة أودت بكثير مما يملكون .

وعلي وجـه الدقة امتلكوا سنة 1870 القطعان الكثيرة والرؤوس العديدة في أحواز الدار البيضاء : مونطيل كان له 900 وأرتوس 4978 ودومون 2030 وكنيبة 2024 وفيريوه 8592 أما مينار فكان له 1965 رأسا (62) .

---

59 . رسالتا عبد الكريم بن زاكور وأحمد الركراكي الى الحاج محمد بنيس فى 30 جمادى الاولى و 6 رجب 1283/10 أكتوبر و 14 نونبر 1866 ، محفظـة الدار البيضاء 1 ، وكذلك مييج : «المغرب وأوروبـا» ج 1 ص 102 .

60 . رسالة فيرو الى الطريس فى 6 محرم 1306/12 شتنبر 1888 ، محفظة الطريس 14

61 . مييج وهوج : «الأوروبيون ...» ص 25 و 25 (3) .

62 . مييج : «المغرب وأوروبـا» ج 2 ص 495 (3) .

وتقدم أن ستة تجار فرنسيين كانوا يملكون بقبيلة أولاد حريز وحدها نحو 16.000 رأس تألف جلها من الأغنام وقام على رعايتها 81 مغربيا حسب سجلات الوزير الطيب بن اليماني (63) ، وهذا ما يدل على ازدهار نشاط الخلطة الفلاحية بين المغاربة والأجانب وانتشار السمسرة والحماية في البوادي والمدن على السواء .

11 _ **الفونس دافان** : A. DAVIN

ولد بطنجة سنة 1848 وبها استخدم وتزوج ، ثم انتقل سنة 1856 الى الدار البيضاء حيث كان مستخدما ، ولم أقف له على خليط .

12 _ **فرانسوا فليب كوفرال** : F. P. COUVRAL

ولد بفرنسا سنة 1827 وكان كاتبا بالقنصلية ، ولم يرد له ذكر سمسار ولا خليط ، الا أنه يبدو أن كوفرال حرف الى كوركورالCORCORAL لتشابه أحرفهما اللاتينية لا سيما وأن اسمهما هو فرانسوا معا ، فاذا كان هذا الاحتمال صحيحا فقد يكون هو التاجر المنتحر سنة 1880 للافلاس (64).

13 _ **جان سيرييس** : J. SERIEYS

ولد بفرنسا سنة 1831 ، كان تاجرا وقد صدر سنة 1869 الصوف واستورد الخمر والصابون الرومي (65) لنفسه أو لصهره مينار .

14 _ **ألكسندر سيرييس** : A. SERIEYS

من مواليد فرنسا سنة 1838 ولعله شقيق السابق وكان يعمل مثله بدار مينار .

---

63 . جيرمان عياش : «جوانب ...» ص 11 ، الأرقام التى قدمها الوزير الطيب بوعشرين مطابقة لما ورد فى الهامشتين السابقتين .

64 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 190.

65 . تقاييد أقصبي وفرج عام 1869/1286

15 - پروسبير كريسطـول P. CHRISTOL

من مواليد فرنسا سنة 1847 ، وقد كان سنة 1866 كاتبا بالقنصلية (66) ، كريسطول هذا عقد سنة 1884 خلطة مع شخص كان شيخا بايالة «الخديم المهدي الزبيري الرحماني ، اسمه العسولي بن الجيلالي البربوشي ، فرض على اخوانه مالا له بال فى غيبة عامله مع جانبنا العالي بالله فى الحركة وحازه منهـــم .

«ولما سمع برجوع عامله من الحركة توجه للدار البيضاء ولبّس على تاجر من تجار الفرنصيص اسمه بوسبير اكرصطون وبدل اسمه ونسبه وتسمى له بالواصل بن الجيلاني التادلي الورديغي ...

و «لثبوت فساده وكونه من قبيلة كلها مخازنية وعساكرية لا يسوغ للتجار التعرض للمخزن على أحد منها لا بالمخالطة ولا بغيرها ، فنأمرك أن تتكلم مع الباشدور يأمر التاجر المذكور بالتخلي عن مخالطته وحيازة ما تخالط معه فيه» (67) ، وقد أمر السلطان باعتقال هذا المخالط ، وظلت المسألة معلقة (68) الى ما بعد 1892 .

وكانت له أيضا دعوى على الطاهر بن الجيلالي السالمي من إيالة التريعي قبل 1299/1882 ، وقد فوصلت هاته الدعوى قبل هذا التاريخ (69) .

---

66 . مييج فى «المغرب وأروبا» ج 5 ص 83 وما بعدها ذكر هذا الشخص ، والأحد عشر فرنسيا قبله مع أسمائهم وحرفهم وسنوات ولادتهم وولادة ذرياتهم نقلا عن تقرير قنصلي عن المستوطنين بالدار البيضاء والجديدة سنة 1866 .

67 . رسالة السلطان الى بركاش فى فاتح ربيع الاول 1301/31 دجنبر 1883 ثم رسالة بركاش الى السلطان فى 9 ربيع الاول 1301/8 يناير 1884 ، محفظة بركاش وكذلك جواب السلطان لبركاش فى 20 ربيع الاول/19 يناير .

68 . رسالة قنصل فرنسا الى محمد بن عبد الرحمان بريشة فى 15 حجة 1309/11 يوليوز 1892 ، محفظة المغرب فرنسا .

69 . دعاوي ورديغة (القضية 2) فى 27 جمادى الاولى 1299/16 أبريل 1882 ، بالمحفظة السابقة .

16 ـ پروسبيـر ـ أنطوان فيريـوه : P. Antoine Ferrieu

أبوه بروسبير تقدمت ترجمته ، أما الابن فهو من مواليد الدار البيضاء سنة 1866 ، وكان معينا لوالده فى تجارته ، وقـد تولى فى مطلع القـرن العشرين الشؤون القنصلية بالنيابة وصار وكيلا لليونان ، وأصبح بعد احتلال الدار البيضاء مستشارا سياسيا للجنرال داماد ، وكان أحد مؤسسي الجريدة الفرنسية «لاڤيجي ماروكين» ، وقد خلف ذرية عاشت بالدار البيضاء حتى منتصف القرن العشرين (70) .

پروسبير أنطوان كان من كبار الملاكين ، تحدث هنري كروز عن «السور الجديد الذى بني فى عهد السلطان مولاي الحسن ليكون محيطـا بالحي الذى كان معدا لايـواء الأروبيين مثلما كان لليهود ملاحهم» وعـن «امتعاضهم من السكنى به لقلة عددهم ، فبقي الحي الجديد مهجورا الى أن صار فى بداية الحماية الفرنسية مربطا للجمال فتهدمت أسواره» ثم تخلص الى ذكر حي بوسبير فقال :

«أما حي بوسبير فيدعى باسم مالك أرضه پروسپير فيريوه ذلك المغربي القديم المولود بالدار البيضاء والذى يحرف الأهالي اسمـه على عادتهم فى ذلك .

«وقد أكريت هاته الأرض لملاك مغربي كان به من الشَّرَه للربح أكثر مما كان له من اهتمام معماري . وهكذا كـاد يكون للأروبيين حيهم الخاص وأطلق اسم بوسبير على كل حي للبغاء بالمغرب» (71) .

17 ـ فليـب مينـار : P. Ménard

---

70 . مييج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 107 ومييج وهوج : «الأروبيون ...» ص 84 .

71 . هنري كروز : «ذكريات ...» ص 26 و 27 وابن زيدان فى «الاتحاف» ج 1 ص 431 قال انه أصبح مخيما للجيوش الفرنسية بعد الاحتلال .

كان وكيلا للبواخر الفرنسية حوالي 1879 وتاجرا مصدرا وقد وسق الغـراء حوالي 1868 من المرسى (72) ، وكان لـه سماسرة وخلطاء بالدار البيضاء والعرائش والرباط سلفت الاشارة اليهم فى محلها .

18 ـ مستوطنـون آخـرون :

ـ أ . فليـب : A. PHILIP

حل بالدار البيضاء سنة 1887 وكان سنة 1911 ولربما قبلها وكيلا لشركة پاكـي (73) .

ـ جـول بيكـس : J. BEX

كان سنة 1888 تاجرا بالدار البيضاء (74) ، وكان له فندق خارج المدينة فى مطلع القرن العشرين (75) .

وقد طلب جول پاطنوطر وزير فرنسا المفوض بطنجة سنة 1889 أن تنفذ دور وحوانيت داخل المدينة وخارجها للتجار الفرنسيين ومنهـم بيكس الذى كان السفير يسعى لكي تخول له الدار التى كان يسكن بها أمين المستفاد آنذاك مع أنها ـ كما قال ـ كانت قد شيدت لتاجر فرنسي آخـر قبل ذلك الوقت .

فأجيب بأن الدار البيضاء «لم يبق بها ديار ولا حوانيت غير منفذة وأن المخزن بصدد جعل سور للمحل الذى أمر بتنفيذه بازاء البلد ، متصل بسورها ليبنى فيه الدور والمخازن لتجار الأجناس ، وحيث يبنى السور للمحل يبنى ذلك لتجاركم من جملتهم» (76) .

---

72 . تقاييد أقصبي وفرج عام 1869/1286

73 . هنري كروز : «ذكريات ...» ص 18

74 . عريضة التجار سنة 1888 المتقدم ذكرها فى الفصل الأول

75 . مييج وهوج : «الأروبيون ...» ص 92

76 . مطالب باطنوطر ، القضية 8 فى 23 أبريل 1889 ، محفظة المغرب فرنسا وكذلك ابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 321

ـ ميليـريـو : Mellério

طلب من الأمنـاء سنة 1891 رخصة اقتناء قطعة أرضية لبنـاء دار سكناه (77) ، وكانت أسرة ميليريو من باريس استوطن بعض منها مدينة الدار البيضاء فى أواخر القرن الماضي (78) .

* * *

هذا وليس فى تعداد المستوطنين الفرنسيين هنا حصر تـام ، فقد عثرت على آخرين لم يكن لهم شـأن ، ولم أقف لهم على صـدى يوجب اثباتهم وانما هي أسماء عابرة .

ـ 19 ـ **الجـزائـريـون** :

ـ **آل فويتـح** جزائريون من بني واسين ولا سيما أولهم :

ـ **الحاج عمر بن الحاج عبد الرحمان فويتح** (79) ، كان له سمساران تقدم ذكرهما .

ـ **وشقيقه عبد السلام** كان سنة 1904 سمساراً لتاجر ألماني حسبما هو مذكور فى محله .

ـ **وعبد القادر فويتح** كان سنة 1868 يستورد البن كماكان سنة 1864 نائبا عن الحاج المصطفى بن المفتي الجزائري (80) الذى سبق لي أن افترضت كونه سمسارا لتاجر انجليزي سنة 1880 وهو مجرد احتمال .

---

77 . مطالب فرنسا فى 10 محرم 1309/16 غشت 1891 ، بالمحفظة المذكورة .

78 . هوج وميبج : «الأروبيون ...» ص 93

79 . القوائم الفرنسية سنة 1883

80 . رسالة أميني الدار البيضاء الحاج المدني الديوري ومحمد التازي الى بركاش فى 15 قعدة 1280/22 أبريل 1864 وكذلك تقاييد اقصبي وفرج فى محرم 1286/1868 .

8 : الدول الباقية

وهي البرتغال والبرازيل وبلجيكا والسويد ـ والنرويج واليونان وسيأتي الكلام عنها في خمسة مطالب .

* * *

المطلب الأول : **البرتغـــال**

أ ـ **السلـك القنصلـي**

1 ـ تولى **جـون كـوب** الأمريكي تمثيل هاته الدولة سنة 1880 ، حسبما تقدمت الاشارة اليه .

2 ـ بعده أسند تدبير الشؤون القنصلية سنة 1888 الى **مانويـل فيرمانو كوميش** M. Firmano Gomes (1) الذي كان يمثل دارا تجارية بجزيرة ماديـرا .

3 ـ وفي سنة 1894 كان **أنطونيو كليمانتي كوميش** A. C. Gomes هو المتولي (2) .

ب ـ **المحميون القنصليون والاستثنائيون**

جاءت أسماؤهم في مصادر مختلفة ومنها استخرجهم .

---

1 . رسالة كولاصو الى الزكاري في 9 ماي 1888 ، محفظة المغرب البرتغال وعريضة التجار الى السلطان في 13 شتنبر 1888 .

2 . رسالة كولاصو الى الطريس في 21 مارس 1894/14 رمضان 1311 ، بالمحفظة نفسهـا .

ب 1 — من تقييد ابن زيدان ومن القائمة العامة (1880) معاً :

1 — 6 — **الحاج عبد القادر بوعلام** كان كاتبا للقنصلية ثم صار وكيلا لتاجر فرنسي من مرسيليا ، **والمكي ولد الحاج الطاهر المومني المديوني** عون واصبح سنة 1893 سمسارا للقنصل ، **واسحاق ابن ذراعو** ترجمان كان هو أو سميه محميا بلجيكيا **ومحمد بن بوشعيب وأبو بكر بن بوشعيب ويهودَه سنانيس** : وهم مستخدمون .

7 — 11 : **موشي بوحنـة ويوسف بن سليمان الدبـاغ ويوسف أوحيون وهارون الزكوري ونسيم الزاكوري** وكلهم تجار محميون سنة 1880 .

12 — 13 : **شمويل التدغي** وأخوه **ابراهام التدغي** وكانا تاجرين منذ ما قبل 1868 يستوردان السكر وزيت الكاز والخمر ويصدران الجلود (3).

ب 2 — من غيرهـما :

14 — 15 : **موشي بوطبول ويعقوب بن شطريس** : وكانا سنة 1893 تاجرين (4) ، وسيأتي أن الأخير صار سنة 1900 محميا برازيليا .

16 — **أحمد بن علي بن عبد الرحمان المديوني** : كان سنة 1893 عونا (5) .

17 — **محمد بن الشافعي الحارثي المديوني** وكان كاتبا (6) قبل سنة 1893 ، وقد مر بنا قبل أنه كان سمسارا لتاجر فرنسي .

18 — **يهودة دالمار** (أو يهودة البحر) : تاجر محمي (7) .

* * *

---

3 . تقاييد الحاج العربي فرج والحاج عبد الرحمان أقصبي فى محرم 1286 .

4 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 16 مـاي 1893 ، محفظة المغـرب البرتغـال

5 . المصدر السابق .

6 . قائمة المحميين والسماسرة من مديونة رقم 41/69 بمكتبة تطوان وذكر فيها أيضا المحمي 16 ، مما يحمل على الاعتقاد أن المحمي 17 كان كاتبا سنة 1893 أو قبلها .

7 . من الوثيقة 47/69 بمكتبة تطوان

ت ـ السمـاسـرة

واستخلص أسماءهم من وثائق شتى

I ـ 2 ـ **محمد بن الحرطاني الروداني والكبير بن الطاهر** وكلاهما من قبيلة أولاد حريز ، ولما أريـد جعلهما سنة 1882 سمسارين لنسيـم الزاكوري رد بركاش أن عاملها كتب له «أن الأول شيخ والثاني مخالـط لخليفته وجميع ما يدور بيدهما هو لجانب المخزن ... فلا سبيل لجعلهما سماسرة ولا للكتابة في شأنهما ، وأعلمناك بذلك لتخبر التاجر المذكور ليعين غيرهما ... ان كان يستحق السماسرة في التجارة الكبيرة ... في الداخل والخارج بالمرسى» (8) وتقدم أن الثاني منهما كان سمسارا سنة 1893 و 1894 لكارلو مورطيو الايطالي .

3 ـ **المكي بن قاسم المزامزي الجداوي** أراد هارون الزاكوري أن يتخذه سنة 1883 سمسارا له (9) .

4 ـ **أحمد بن علي المعروفي** سمسار لموشي بوطبول منذ سنة 1872 ، وفي سنة 1893 عين شيخا بقبيلته (10) .

5 ـ 6 ـ **الحاج المعطي بن الحاج بوشعيب العريبي الفقري ، والحاج احمد بن المعطي العريبي الفقري** (الذى لعله ابن السابق ، وكلاهما من أولاد حريز) : كانا منذ سنة 1890 سمسارين للنائب القنصلي مانويل فيرمانو كـوميش (11) .

---

8 . رسالة بركاش الى ايميليو ري كولاصو فى 10 جمادى الاولى 30/1299 مارس 1882 ، محفظة المغرب البرتغال .

9 . رسالة قنصل البرتغال الى الحاج العربي بريشة فى 25 شعبان 1/1300 يوليوز 1883 ، محفظة بركاش .

10 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 24 نونبر 1893 ، محفظة المغرب البرتغال

11 . رسالة كولاصو الى الطريس فى 9 ماى 1890 ، محفظة المغرب البرتغال

7 ـ 8 ـ **الحاج بوعزة بن موسى الهراوي** سمسار شميل (؟) **واحمد بن المحفوظ العسري المديوني** سمسار ݣوميش ݣونسيت (I2) .

9 ـ IO ـ **الحاج الطاهر ابن التمـار المديوني** سمسار شمويـل التدغي **وأحمد بن المعطي المجاطي المديوني** سمسار مانويل كولاصو (I3).

* * *

ث ـ المستوطنـون

كانوا قليلين عددا : شخصان سنة I882 . أما سنة I885 فكانوا I4 شخصا (I4) ، وفى أواخر القرن بلغ عدد أفراد الجالية البرتغالية 27 نسمة حسبما أومأت الى ذلك فى محله .

* * *

المطلب الثاني : **البرازيـــل**

أ ـ **السلك القنصلي** وتولاه اثنان وهما اللذان عثرت عليهما :

I ـ **أليكساندر كرارة** وذلك الى حدود I879 أو بعدها بقليل (I5) ، وكان قنصلا لبلجيكا ونائبا عن ألمانيا سنة I883 خاصة .

2 ـ **جون لاپين الانجليزي** من I89I حتى مطلع القرن العشرين .

* * *

ب ـ المحميون القنصليون والاستثنائيون

ب I ـ **من تقييد ابن زيدان** (I880) :

I2 . قائمة السماسرة والخلطاء من مديونة رقم 49/69 بمكتبة تطوان ، وفيها ان 7 و 8 كانا على التوالي معترضين على IO وعلى 20 خيمة .

I3 . قائمة أخرى رقمها بتطوان هو 4I/69 وفيها ذكر السماسرة 7 ـ 8 ـ 9 ـ IO

I4 . مييج وهوج «الاروبيون ...» ص 26

I5 . رسالة أليكساندر كرارة الى الطريس فى 28 حجة I3/I296 دجنبر I879 ، محفظة المغرب البرازيل .

1 - 3 : **الطيب بنيس الفاسي البيضاوي** : كاتب قبل 1879 **والجيلالي بن الطاهر الحريزي التعلاوتي** : عون **والحاج المكي بن علي** : مستخدم .

4 . **الحاج الطيب بن عبد السلام الزياني** : كان كاتبا ، ولم تذكر وظيفته الا في لائحة سنة 1900 حيث أن «الحاج الطيب الزياني كان كاتبا وتضرر في يده» .

5 - 7 : **روبين نحمياش وشالوم صنانيج وموشي أزولاي** وكلهم تجار محميون وقيل انهم تجنسوا .

8 . **مسعود بن شطريس** : كان ترجمانا .

ب 2 - **من قائمة القنصل** (16) :

9 - 10 : **دابيد بن يحيى بن شطريس** : ترجمان **ومحمد بن أحمد ابن الحسين الهراوي** : عون .

11 - 14 : **اسحاق بن ساباط ودابيد نحمياش وشمعون أفلالو وهارون أزولاي** وكلهم تجار محميون .

ب 3 - **من غير ذلك** :

15 - **محمد بن الجيلالي بن الطاهر التعلاوتي الحريزي** : عون بالقنصلية (17) .

ب 4 - **من قائمتي سنة 1900 العامتين** (18)

16 . تاريخها هو 13 يناير 1887 ورقمها بتطوان هو 10/69 وفيها ذكر للمحميين 1 - 2 - 3 - 9 - 10 وللسماسرة : 1 - 2 - 3 - 4 - 5

17 . من الوثيقة 168/154 بمكتبة تطوان ، وفيها انه كان متعرضا على 10 خيام .

18 . رقمهما هو 38/69 و 39/69 بمكتبة تطوان وورد فيهما اسماء المحميين : 1 - 2 - 3 - 4 - 5 - 6 - 7 - 8 - 10 - 14

16 ـ 18 : **محمد بن العيساوي المزابي** : عون **ويوسف بن شطريس** ترجمان **وبوشعيب بن الحاج عبد العالي الحداوي المديوني** : مستخدم ، ولكنه في قائمة أخرى كان سمسارا لتاجر لم يرد بيان اسمه (19) .

19 ـ **ابراهام بن موسى السرفاطي** نال الحماية قبل 1871 ، وكان تاجرا في تصدير الصوف (20) ، وكان له سماسرة وخلطاء .

20 ـ **موشى مراتشي** (أو مراجي) : تاجر محمي وكان سنة 1893 و 1894 سمسارا للمحميين الايطاليين ابني الصائغ الطنجيين كما تقدم (في رقم 28 هناك) .

21 ـ **موشى بوطبول** ولعله هو نفس التاجر المحمي البرتغالي طبق ما سلف .

22 ـ 51 : **يعقوب بينطو ، وموشى بينطو ، وعيوش قزيز ، وعمران قزيز ، ومركوس قزيز ، وحاييم عُبادية ، ويوسف كويهن ، وعطية كويهن ونسيم كويهن ، وشالوم الصباغ ، ويوسف بوزاكلو ، وشلومو مركيس ، وموشى طوليدانو ، ويحيى السرفاطي ، والعزيز الليبي ، وموشى آمزلاك ، وشالوم الشريقي ، ومناحيم افلالو البرازيلي ، ودابيد ابن عليل ، والياس الباز البرازيلي ، والحبيب المعلم ، وهارون ابن سوسان ، وشمعون ابن هاروش ، والحبيب ابن يعيش ، وليبي ديكيطو ، والياس الترجمان ، وانريكو مالقو ، ونسيم اخواكين برويلو ، وميكيل الرواس ، و ... احنيش :** وكلهم تجار كان لهم خلطاء وسماسرة .

* * *

ت ـ السماسرة

السماسرة انما كانوا للمحميين والمجنسين ، اذ لم يرد للمستوطنين **ذكر .**

---

19 . من الوثيقة 49/69 بمكتبة تطوان وفيها أنه كان متقعدا على 10 خيام من مديونة .

20 . محفظة المغرب البرازيل سنة 1307 .

ت 1 — من لائحة 13 يناير 1887 مع تعليق السلطة المحلية عليها :

1 — **الحاج مَحمد بن الحاج عبد العالي الحداوي المديوني** : سمسار الترجمان دابيد بن يحيى بن شطريس ، و «الترجمان انما هو صبي صغير جدا ، فلا موجب لاتخاذه السمسار» .

2 — **العربي بن الحاج صالح التعلاوتي الحريزي** : سمسار دابيد نحمياش الذى «ليس هو هنا ، ولا ندري له تجارة بهذه الديوانة بعد سؤال الأمناء ، وكتب لقنصوه بعدم القبول» .

3 — **بوشعيب بن المجذوب المديوني** : سمسار شمعون أفلالو الذى «ليست له تجارة بديوانة المرسى أصلا بعد سؤال الأمناء ، وقد كتب لقنصوه بعدم قبول ذلك» . وكان أيضا سمسارا لجون لاپين الأنجليزي .

4 — **محمد بن احمد بن الهاشمي الزياني** : سمسار اسحاق بن سباط .

5 — **سعيد بن قاسم المزامزي** : سمسار هارون أزولاي .

ت 2 — من قائمة سماسرة مديونة (21) :

6 — 9 : **بوعزة بن أحمد الهراوي ، وبوشعيب بن عبد القادر الضرباني ، وأحمد بن مَحمد بن عبيد السالمي العبادي والحاج ابن الحداوي الحمدي** وكلهم سماسرة جون لابين وكان الأخير سمسارا متقعدا على 10 خيام في الوثيقة الموالية ، ثم في قائمة 1900 كان سمسارا لاسحاق ابن الصائغ وصنانيس .

ت 3 — من قائمة الخلطاء والسماسرة من مديونة (22) :

---

21 . رقمها بمكتبة تطوان 40/69 وقد ورد فيها اسم السمسار الثالث أيضا .

22 . رقمها 49/69 بتطوان وجاء فيها أن السماسرة من 10 الى 14 كانوا متقعدين على عدد من الخيام 10 لكل واحد و 20 للحادي عشر

10 — 14 — **محمد بن العربي الهراوي المحمدي المدعو حمو والحاج عبد الله بن الحاج محمد بن علال البوعمري وبَنثور بن رحـال الحمداوي وأحمد بن محمد بن الحسين الهـراوي وبوشعيب بن الحاج عبد العالـي الحداوي** وكلهم سماسرة لم يرد بيان عن أصحابهم .

ت 4 : **من قائمتي سنة 1900 العامتين** (23) .

15 — 16 — **الحاج الطيب بن محمد العشاب العلوي الحريزي وعمر بن محمد الجلثولي الحريزي** : سمساران لروبين نحمياش .

17 — **حمو بن الحاج الحريزي العباري** : سمسار موسى بينطو .

18 — **المعطي بن الحاج الحريزي العباري** : سمسار يحيى السرفاطي.

19 — 20 — **محمد بن احمد الزيـاني ومحمد بن الحاج محمد بن العربي الرحالي الحريزي** : سمساران لكويهن وابن السباط

21 — 22 — **أحمد بن الحاج أحمد بن عبد القادر الجلولي الحريزي وبوستة** (أو بوسنة أو أبو الشتاء) **بن محمد الفقري الحريزي** : سمساران لسالومون مركيس .

23 — 24 : **الحاج عبد القادر بن الحيمر العسيلي الحريزي وعبد السلام بن أحمد بن المعلم العباري الحريزي** : سمساران لموشى مراشي .

25 — **بوشعيب بن العربي العمري الحريزي** : سمسار البيرطـو بوزاكلـو .

26 — **الحاج محمد بن عبد القادر الحبشي الحريزي** : سمسـار مناحيم أفلالو البرازيلي .

27 — 28 : **بوشعيب بـن علي الحريـزي والحاج ابن العربي بـن الطاهر الحلوفي الحريزي** : سمساران لماركوس الصباغ .

---

23 . رقمهما 38/69 و 39/69 ، والوثيقة الاخيرة مبتورة من نهايتها ، وفيهـا أن السمسار العاشر كان سنة 1900 في خدمة شلومو الصباغ .

29 — **العربي بن الحاج محمد الحداوي المديوني** : سمسار الحبيب بن يعيش ؛

30 — **عباس بن بوزيان المديوني** : سمسار يحيى السرفاطي .

31 — **محمد بن مَحمد الحداوي البوزيري المديوني** : سمسار هارون أزولاي .

32 . **بوعزة بن المعطي الهراوي الحمري المديوني** : سمسار شلومو الصباغ .

33 — **أحمد بن عبد الرحمان المناري المزابي** : سمسار نسيم كويهن

34 — 35 : **التاغي بن محمد السقطني المزابي والحاج بن محمد السقطني المزابي** : سمساران لروبين بنجو .

36 — **محمد بن الجيلالي الصباحي المزروعي المذكوري** : سمسار يوسف كويهن .

37 — **محمد بن الحاج صالح التدلاوي** : سمسار بأولاد حريز للعزيز الليبي .

38 — **بوزيان بن الجيلالي المعزي المذكوري** : سمسار موشى بوطبول .

39 — **الحاج الطيب بن الحاج محمد الكروصي المذكوري** : سمسار يوسف كويهن .

40 — **الجيلالي بن المعطي برطال القري المذكوري** : سمسار موشي أمزلاك .

41 — **ابن اسماعيل العطواني المذكوري** : سمسار جون لاپين .

42 — 43 : **الحاج أحمد بن الجيلالي بن بوشعيب كدي المذكوري والحاج الجيلالي بن بوعزة العريبي المزابي** : سمساران ليوسف بن شطريس.

44 — **ابن التهامي بن بوعزة ولد كداده العلياني الزياني** : سمسار يوسف كويهن .

45 ـ **أحمد بن الهاشمي الحمداوي المديوني** : سمسار لاسحاق ابن الصايـغ .

46 ـ 47 : **الميلودي بن يعكوب العلاوي الخليفي ومحمد بن علي الحمري اللوبيري** : سمساران ليعقوب ابن عطار الساكن بالرباط .

48 ـ **أبو محمد بن التهامي العريبي المزامزي** : سمسار ابراهيم بن موسى السرفاطي ، وكانت السلطات قد اعترضت على تعيينه لأنه كان هو أو أبوه شيخا (24) .

49 ـ 56 : **مسعود الصبعوني** : سمسار دابيد ابن عليل ، **واسحاق طوليدانو** : سمسار يوسف بوزاكلو ، **واسحاق أزرزار** : نائب الياس الباز البرازيلي ، **ودابيد عبو** : نائب يوسف كويهن ، **ويعقوب مامان** : نائب هارون بن سوسان ، **والياهو بن هاروش** : نائب شلومو مركيس ، **وشلومو حصار** نائب ليبي دكيطو ، **واسحاق دابيلة** : نائب العزيز الليبي .

57 ـ 58 : **ابراهيم دابيلة ويعقوب بن شطريس** : كان الأخير من قبل محميا للبرتغال ، وكانا معاً نائبين لموشي أمزلاك .

59 ـ 63 : **ابراهيم القايـم** : نائب الياس الترجمان ، **ويعقـوب الزاكوري** : نائب الحبيب المعلم **وابراهام بن حمو** : نائب شلومو سنانيص **وشلومو بن هاروش** : نائب شمعون بن هاروش ، وكان حوالي 1886 محميا اسبانيـا ، **ويعقوب الشريقي** : نائب انريكو مالكو .

64 ـ **محمد بن المكي المزامزي** : كان يراد سنة 1893 جعله سمسارا لاميليو كولاصو ، فأخبر قائد المزامزة أن ذمته عامرة بالكلف والديون (25) .

* * *

---

24 . من وثائـق محفظة المغـرب البرازيل سنة 1307 ولا سيما رسالة القنصـل البرازيلي الى العامل فى 6 رجب 26/1307 يبراير 1890 .

25 . رسالة الحاج المعطي بـن الكبير فى 15 ربيع الاول 26/1311 شتنبر 1893 ، محفظة المغرب البرتغال .

المطلب الثالث : بلجيكـــا

أ ـ السلـك القنصلـي

1 ـ **شارل دومون** الفرنسي تولى تدبير الشؤون القنصلية سنة 1857 ، وكان حتى سنة 1870 لا يزال يقوم بذلك (26) ، واستمر فى عمله حتى انتحر فى أكتوبر 1879 ، ولعله هو الذى كان يعاب عليه الافراط فى ادخال المغاربة الى الحماية (27) .

2 ـ **بازيليو كراسينو الايطالي** أسندت اليه سنة 1882 الشؤون القنصلية حسبما تقدم .

3 ـ **أليكساندر كـرارة** كان من سنة 1879 الى سنة 1884 ممثـلا لبلجيكا (28) ، وقبل ذلك ناب عن البرازيل وألمانيا حسبما سلف .

4 ـ **كنيبـة** الفرنسي قام بذلك سنة 1889 أيضا (29) ، ولم يُعرف شيء عمن تولى بعده .

ب ـ المحميـون :

ب 1 ـ من تقييد ابن زيـدان (1880)

1 ـ 5 : **الحاج عبد الله بن محمد المسعودي** كاتب ، **وابراهام بن دابيد عطية** : ترجمان ، **وبوشعيب بن الجيلالي بن المنصور ولد الكبيرة** ، **والحاج ادريس ولد المغراوية** ، **ومحمد بن عبو** : وثلاثتهم كانوا مستخدمين سنة 1880 بالوكالة القنصلية (30) .

26 . رسالة ايمي داكان الى بركاش فى 13 شتنبر 1870 ، محفظة بركاش

27 . رسالة السلطان الى بركاش فى 7 جمادى الاولى 1296/29 أبريل 1879 فى «الاتحاف» لابن زيدان ج 2 ص 386 و «الوثائق» : 4 ص 454 .

28 . رسالة كرارة الى بريشة فى 11 ربيع الثاني 1302/28 يناير 1885 ، وكيين : «ألمانيا . . .» ص 39 .

29 . رسالة انسباخ الى الطريس فى 25 مارس 1889 ، محفظة المغرب بلجيكا .

30 . ورد الأربعة الاولون فى القوائم البلجيكية العامة لسنة 1886 و 1887 و 1889 وكانوا محميين جميعا قبل سنة 1870 ، مثلما ورد ذكر المحمي السابع فيها كلها .

ب 2 ـ من وثائق أخـرى

6 ـ 7 : **علي بن عبد الرحمان السالمي ، واسحاق بن ذراعو** : كان الأول منهما عونا فى اللوائح الألمانية لسنة 1884 ، لأن ألمانيا كانت ترعى المصالح البلجيكية ، وكان الثاني مستخدما .

8 ـ **موشى عمار** : وهو تاجر محمي فى قائمتي 1887 و 1889 .

ت ـ السمـاسـرة

1 ـ 2 : **الحاج الجيلالي ولد أحمد المعلـم الحباري ، ومحمد بن التهامي الحباري** وكانا سنة 1889 سمسارين لموشي عمار (31) ، وكلاهما من قبيلة أولاد حريـز .

* * *

المطلب الرابـع : السويـد والنرويـج

هاتان الدولتان المتحدتان لم يكن لهما تمثيل قنصلي بالدار البيضاء ، أما المحميون والسماسرة فتستخلص أسماؤهم من القائمة العامة (32) .

أ ـ المحميـــون :

1 ـ 3 ـ **موشى دريهن** : ترجمان **والحاج بوشعيب بن حمان** : كاتب **ومحمد بن العيساوي** : عون .

ب ـ السمـاسـرة :

1 ـ 2 : **حسن بن عبد الحميد المزامـزي وأحمد بـن موسى** : سمساران لايميليو دال E. DAL الموظف بالقنصلية العامة بطنجة سنة 1898

3 ـ **ولد الحاج أحمد بن فاطمة السعيدي الشداتي** : وكان سمسارا له سنة 1896 من أجل «تجارته الكبيرة» (33) .

* * *

31 . رسالة انسباخ الى الطريس فى 18 دجنبر 1889/24 ربيع الثانـي 1307 ، محفظة المغرب بلجيكا .

32 . رقمها بمكتبة تطوان 35/69 وتاريخها هو فاتح مارس 1898

33 . رسالة طاطنباخ الى الطريس فى 6 يبراير 1896 ، محفظة المغرب السويد .

المطلب الخامس : اليونـــان

ليس لهاته الدولة اتفاقية مع المغرب في ميدان الحماية القنصلية فهي لم تستدع ولم تحضر مؤتمر مدريد ، ومع ذلك كان لها محميون قبل سنة 1876 حتى حوالي 1884 بالدار البيضاء خاصة ، وقد مثلها لفترة مـا بيير فيريوه ، أما في سنة 1876 فكان نائبها القنصلي يسكن بدار بنيت له حسب قاعدة 6 ٪ وكان سنة 1876 يؤدي كراءها (34) ، ولم يرد لاسم النائب ذكر في ذلك الوقت .

وكان يقوم بالنيابة عنها سنة 1884 أليكساندر سيرييس الفرنسي (35) ، وكان هناك محميون وسماسرة أورد أسماءهم ابن زيدان في التقييد الخامس سنة 1880 .

أ ـ المحميــون

1 ـ 6 : **محمد بن أحمد** كاتب **والحاج الشريف الحداوي والحاج الجيلالي بن الطيب** : عونان **ومحمد بن محمد وأحمد بن المكي الزرهوني** مستخدمان **ودابيد بوكرعون** ترجمان .

ب ـ السمـاســرة

1 ـ 3 : **الجيلالي بن عمرو الحريزي والحاج محمد بن الجيلالي وأحمد بن بوعزة** : وكلهم سماسرة لا يدرى لمن كانوا يعملون ، فهل كانوا لألكسندر سيرييس ؟

---

34 . رسالة موسى بن أحمد الى الطريس في 23 شوال 11/1293 نونبر 1876 محفظة الطـريـس 1 .

35 . رسالة سرييس الى الحاج العربي بريشة في 12 جمادى الاولى 10/1301 مارس 1884 ، محفظة المغرب فرنسا ،

انتهى الجـزء الثانـي

ويليه الجـزء الثالـث

وأولـه مدينة الجديدة

استدراكات وتصويبات
(الجزء الأول)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
8	6	ثلاث	ثلاثة
9	9	الهدابة	الهداية
13	23	أم يهوداً	أو يهوداً
16	11	10 شتنبر 1822/2 شعبان	25 غشت 1844/25 شعبان
17	10	(22)	(24)
47	5	المعتصرنين	المُعَصّرنين
	14	وما يزال	ولا يزال
49	13	كظفيرة	كضفيرة
61	2 ـ 3	فمثلوهم ... فكانوا	فمثلوها تارة بوصفهم قناصل ، ومع تجارها فكانوا
64	21	10 ، رسالة	16 ، رسالة
67	22	12 شعبان	22 شعبان
70	7	متتأنجلزا	مُتَجَلْزاً
72	10	سورود	سوردو
75	26	برولتي (*)	بروشيي (*)
82	25	15 أبريل	20 أبريل
83	18	22 ماي	7 مارس
90	23	غـ (ـا) بـ (وي)	غـ [أا] بـ [ـون]
94	23	ص 135	ص 35

(*) وكذلك في هوامش الصفحات 81 و 88 و 128

97	9	عن	على
110	13	ذكرنا	ذكرناه
	14	وايقاد نار الفتن	وايقاد الفتن
129	14 – 13	1846 ... لبيت	1846 أكثر «أهل اليسار من اليهود – لعنهم الله – السفر بأولادهم زاعمين التوجه لبيت
	15	يدلون على	يدلون العدو على
138	22	ص 19	ص 27
139	27	مؤلفة	مؤلفه
147	17	سكيون	سيكون
196	9	مدن	[مدن]
214	20	زلاغي	زلاغيا
219	10	2.697.000	2.697.720
222	4	التجار	التجارة
228	1	المستوردين	المستوطنين
	19	10732	1073 2
234	12	حرفته لحرفة	حرفة لحرفة
243	20	الدراج	الدارج
244	27	جمع	جميع
272	22	عتبة المغرب الحديث»	عتبة الحياة المغربية»
277	9	هي الآن	هي الى الآن
320	22	الثاني	الأول
321	20	قنطيرة	قنيطرة
325	12	أن كانت فرنسا	أن كادت تكون فرنسا
349	3	الفلاحي ، فأصبح	الفلاحي
	27	الله ذهاب	الله لك ذهاب
357	4	المنعلقة	المنغلقة
379	16 – 15	اسبانيا ... أخيرة	اسبانيا ، والتعجيل بحسم القضايا الثنائية من جهة أخيرة
380	8	فياط : ؟ Viat	پياط : Piat
381	4	ولابد من	ولابد لك من

382	18	والـذوذ	والـذود
383	9	على أفـرد	علي أن أ'فـرد
395	4	ووالله لو	ووالله ـ ياسيدي ـ لو
	20	أفاض	أعـاد
396	6	كله	بأجمعـه
	19	لكريم سيدنا	لكريم علم سيدنا
	25	1876	1877
397	4	وتخوف	ونتخوف
398	23	12 شتنبر	22 غشت
400	17	الأولى	الثانيـة
402	8	لـه	لـك
	25	الى غريط	الى السلطان فى 19 جمادى الثانية 1307/10 يبراير 1890 أيضـا ، محفظـة الطريس 17
403	20	26 غشت	26 يوليـوز
407	20	«اتحاف الملا» و 32	«الاتحاف الوجيز» ص 42 تحقيق مصطفى بوشعراء
409	23	2 مـارس	30 أبريـل
412	20	17 غشت 1890	28 غشت 1889
413	20	1887	1888
414	16	أبريـل	يبرايـر
	22	طنجة 24	طنجة 2
415	18	دجنبـر	نونبـر
420	14	3 . 3 : أنواع	المطلب الثالث : أنواع
428	28	Jachès	jachères

استدراكات وتصويبات
(الجزء الثاني)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
439	5	1243	1253
	7	1840	1841
440	18	18 ماي	28 ماي
	20	ص 182	ص 482
441	5 ـ 6	وخاصة... بالأفراج	وخاصة مع قنصل فرنسا. فلما أقام الجيلالي الحد على سارق وعلى قاطع طريق طالبه القنصل الفرنسي بالافراج
445	13	المباشرة	الأسباب المباشرة
	21	363	365
450	3	طرافراس	طرافرس
	14	1887	1886
	22	يبراير	مارس
452	5	1887	1889
	18	نستولي	تستولي
453	22	20 ماي	18 يوليوز
458	22	22 يوليوز 1890	31 غشت 1889
464	7	1877	1887
468	6	العمارني	العمارتي
471	21	23 يوليوز	20 غشت
474	4	الحجة	الحجج

	17	في كتابه ... مستخدمون	في كتابه المشار له أن جملة أولئك الناس 60 هم مستخدمون
	19 ـ 20	وهددنا ... تاريخ	وهددنا فى الكتاب المشار اليه بأننا ان لم نوجه اليه غدا تاريخ
475	1	بلاده	دولته
	2	على	عن
	12	لكبيرها عُجْرَه ُ وبُجْرَه ُ	لكبيرهما عُجَرَه وبُجَرَه
476	16	الحماية	الحمايات
	19	28 شعبان	23 شعبان
	21	30 مارس	26 مارس
478	19	3 ماي	فاتح يونيو
	21	9 ماي	7 يونيو
480	6	الصهيونية	المنادية بالصهيونية
482	7	ذكر ... الحماية	ذكر بأنه عندي في الحماية
	8	وأنا ... 30	وأنا ـ على حسب ما هو فى الورقة ـ يكون من 30
483	7 ـ 8	وحقق ... عنه	وحقق عنا ما أمكننا تحقيقه له ، كما أحلناه على الأمناء فى تحقيقهم له ما يمكنهم فيما شاع عنه
	17	جانبي أني	جانبنا بأني
484	8	واعلام	وباعلام
	19	23 أبريل	5 ماي
	22 و 24	يوليوز	يونيو
487	11	كلفة	الكلفة
488	1	القيسي الذي باع	القيسي [الذي] باع

	2	الكواغد التي	الكواغيد الذي
	5	والآن ... الطرف	والآن حين رأيت المخزن غض الطرف
	8	واذا ... نحتاج	واذا لم تقدم لي دعوتي ونقبض متاعي عن ءاخره نحتاج
	19 – 18	خدامين ... السرقة	خدامين ما كنت شافهتنا به من أن هذه السرقة
	23	نونبر 1881	أكتوبر 1882
489	3 – 2	وطلب ... مع	وطلبه منك العامل واسترعى : تدفعه ؟ لا ، ويجعل بالسجن مع
	6 – 5	ولدك ... له	ولدك المذكور عن هذا القيسي ، فأخبرنا أن خليفتكم بالعرائش كان كتب له
	11	منك أن	منك الآن أن
	13 – 12	عندك ... السؤال	عندك أولاً يلجئنا لهذا السؤال
	14	وأما ... تعرفني	وأما ما ذكرته من أنك تعرفني
	17	وعليه	فعليه
	19	الشهادة يضع	الشهادة من العدول يضع
490	1	كوزير ... المركان	كوزير الأمور البرانية لحضرة السلطان مع نائب دولة المركان
	6 – 5	المكتوب ... التي	المكتوب الأعجمي مخالفة للأصول الجارية هنا التي
	14	ووقت جوازنا	ووقت كان جوازنا

491	18	وصلنـا	وصـل
492	16	أشهدتها على	أشهد بها على
	21	24 ماي	29 ماي
493	14	الشرع ... الحماية	الشـرع مع ولـد ، عليه ديـون شرعية ، وأمـا أن تخرجوه من الحماية
	16	2 ... للمدعي	2 . «حيث كنت أخبرتنـا بهذه القضية في الماضي كتبنا للمدعي
	18 - 20	به ... بفـاس	به... لم نجده ، ويظهر لنا أنه خَفّى نفسه من الحكم ... وعليه فالمطلوب من سيادتك أن تأمر متوليين الحكومـة بالبحـث عنـه واخراجه أين ماكان ... و ... توجه لنا كتاب لعامل فاس بالقبض عليه ان حل بفـاس
494	5 - 6	المؤرخ ... حاجة	المـؤرخ 17 من الجـارى ذكرت فيه أن عبد السلام الحلـو كتب لك طالبـا اسقاطه من لسطة حمايتنا الخ ، اعلم بأننا لا حاجة
	8	في ذلك ... الحماية	في ذالك ، لاكـن جميـع الدعـاوي الواقعـة عليـه لكونه في الحماية
	17 - 18	بأن ... معنى	بأن الرجل ان كان عندنا تمكنـك منه : لـم نفهـم لذالك معنى

	19	هذا الرجل	الرجل
	21	عن	من
	22	13	17
495	2	النظر ... احداثه	النظر ، لأني لا قدرة لي على منعك من احداثه
	11 – 10	نعم ... قعدة	نعم الدعاوي المبدوءة عليه قَبْلُ الى تاريخ عزل نفسه وهو يوم 12 قعدة
	15	كتابك أنه	كتابك بأنه
	19	كله ... أنه	كله أن نبين لك أنه
496	8	حضورهُ تعلمنا	حضوره لديك تعلمنا
	20	ولكن	لكن
497	8	كتابكم	كتابين
	16	حقيقة	حقية
	23	9 حجة 1303/8 شتنبر 1886	3 ربيع الثاني 1304/9 يناير 1886
498	6 – 5	كان ... بضع	كان عن يد القنصل الأمريكاني السابق ها هنا من بضع
500	2	عند	عندي
	3	فدفعت	ودفعت
	19	جنوس	الجنوس
504	21	10 دجنبر 1892	9 يناير 1893
506	20	17 شوال	27 شوال
511	21	ربيع الأول	ربيع الثاني
520	20	وتقيم ابّان	وتقيم مدة ابان
521	3	لأنك	لكونك
523	5	الأجانب الذين	الأجانب وخصوصاً الذين
	8	منها	منهما

526	4	هـهـده	عهـده
	19	1306	1309
	21 ــ 22	11 يوليوز ...1309	11 يونيو 1892/15 قعدة
527			1309
	18	التسلسل	التسلل
534	23	26 يونيو	24 يوليوز
539	15	يقبلها المخزن	يقبلها منه المخزن
540	15	للمرسى	للمراسي
541	15	اذا	ان
542	1	وتقدم	وقد تقدم
544	1 (ع 2)	سَلَّم	سُلِّم
547	19 (ع 1)	والزوائد المضروب	والزوائد عليه المضروب
548	15 (ع 2)	أمره	أمره متى شاء
550	8 (ع 2)	له	لهم
552	9	فلورينتيو	فلورينتينو
555	21	يوليوز 1893	يونيو 1894
557	2	كرتبة	كمرتبة
	6	الأمور	الأمر
	8	واستشارته	واشارته
	24	ص 134	ص 34
558	14	فللرعية أن	فللرعية الأجنبية أن
562	15	1886	1889
563	2	جنثهم	جثتهم
	4	أفواجا لثغر	أفواجا أفواجا لثغر
	21	1888	1889
567	25	26 صفر ... محفظة	26 شوال 1309/24 ماي 1892 ، محفظة
568	16	المحلة فى	المحلّة السعيدة فى
	18	معه	فيه
569	1	الأمر الى	الأمر فى ذلك الى
570	9	فى زمرة	فى شيء من زمرة
573	19	الأولى	الثانية
575	1	كاميلو	كاميليو

578	10	سيردينيا	سردينيا
	15	خلفه	سلفه
	23	القعدة ... 1867	القعدة 1283/16 مارس 1867
580	18	شي	شيء
581	19	ص 70	ص 186 هـ 70
584	9	يكون بمرسى طنجة (23)	يكون من مرسى الجديدة (23)
	18	الواقع فى	الواقع فيها فى
591	12	التجار	التجارة
599	23	ربيع الأول ... 1888	ربيع الثاني 1306/27 دجنبر 1888
606	16	عن	على
611	21	11 نونبر	1 نونبر
622	20	أكتوبر	نونبر
624	16	Gautch	Gautsch
	23	أكتوبر	نونبر
625	17	يونيو	يناير
630	22	ماي	أبريل
640	14	بلجيكا وعين	بلجيكا بلندن وعين
644	3	منذمجتين	مندمجتين
646	1 و 18	1882	1884
	10	أحمد الهراس	الحاج عبد الرحمان الهراس
652	21	1865	1864
655	18	8 ماي	24 ماي
656	19	4 أبريل	15 مارس
661	1	1886	1867
	18	13 أكتوبر 1866	22 يبراير 1867
678	21	24 جمادى الأولى	22 ربيع الثاني
683	7	العابة	العامة
687	20	ومحمد	وعمر
689	14	دارا خربة	دارا صغيرة خربة
694	24	فى جمادى	في 1 جمادى

697	9 – 10	(87) ... **وقد**	(87) . وقـد
698	12	السابق	الموالـي
701	11	فى ذلك سهل	فى ذلك كله سهل
	16	مـن	بيـن
702	1	أنهـم	بأنهـم
	7	معهمـا	معهـا
	8	شبهة من	شبهة ولايـة من
	13	كثيـرا	عاملهم كثيرا
704	3	من القبيلة	«من سفيان على القبيلة
	4	النهـاب	النهـب
705	10	**يبقيان هناك**	يبقيان عندك هناك
	14	ولـن	ولا
	20	فى ربيـع	في 16 ربيـع
706	14	**وبقائه فارغ**	وبقائه فى الرفعة فارغ
707	19	ص 236	ص 226
711	12	وصـار	صـار
712	11	أمينين	اثنيـن
713	15	ألفا . والباقـي	ألف ريال ، والباقي
	19	مصمودة على	مصمودة ، ويحضها على
	21	يخوض فى	يخوض معه فى
714	17	الى ما كانوا	لما كانـوا
	18	وغيرهـم	وغيرهم طيـه
715	1	أمينين	اثنيـن
	2	تقييـن	ثقتيـن
	4	من تقديم ... **قبل**	من تقديمك الاعلام بهاذه القضية للحضرة المولوية قبـل
718	19	ج 1	ج 4
722	21	17 قعدة	7 قعـدة
726	11	عليـه	عليـك
731	3	بعد أن تحققنا	بعد تحققنـا
732	15	عليـك	عنـك
733	4	تعلـم	نعلـم

737	3	وللكـلام	والكـلام
742	12	سنة 1221/1801	في رجب 1220/شتنبر – أكتوبر 1806
745	5	هـؤلاء مـن	هؤلاء الضعفاء من
	8	يهود هاته الايالة	يهود الايالة
759	5	(80)	(2)
776	21	رسالة ... في 5	رسالة محمد السويسي الى الطريس في 5
781	19	6 يونيو	19 يونيـو
	21	19 يونيو	6 يونيـو
790	15	على المخـزن	على أمر المخزن
791	19	واسطة حتى	واسطة خير حتى
792	4	واعترف بأن	واعترف بالعدول بأن
	5	ثلاثة عشر..عشرين	ثلاثة عشر رأسا ، فيهـا انـاث والباقـي ذكـور اشتراها من خمسة عشر ريالا الى عشرين
	8	لـك	لـه
	12	كـل	جـل
837	14	حاءت	جاءت
840	25	1890	1889
866	9	على	مـن
869	4	استبدال	تعويض
870	10	ثمثيلـه	تمثيله
892	12	يحيى الصائغ	يحيى بن الصائغ
897	16	« »	» » «
906	9	1888	1880
	10	1877	1887
909	14	ورد	وردت

* * *

TABLE DES MATIERES

AVANT - PROPOS

Dans ce second tome (ou 2eme livre) nous nous proposons d'entamer une étude plus ou moins exhaustive des motivations de la protection consuétudinaire consécutive à l'installation des étrangers au Maroc à la fin du XIX siècle.

Aussi l'occasion nous sera-t-elle offerte de procéder à une réhabilitation de notre patrimoine culturel par une nouvelle lecture de documents inédits qui seront ici moins analysés que présentés. De ce fait, la correspondance makhzanienne occupe dans cet essai sa place de prédilection.

Il est évident que, malgré une terminologie rarement obsolète nécessitant un certain effort pour son intelligence, le texte marocain jouit, en principe, d'un préjugé favorable. Et, jusqu'à preuve du contraire, on ne peut que lui conférer une authenticité, soit absolue en matière scripturaire (c'est-à-dire en tant que vestige ou matériaux destinés à la reconstruction de faits historiques) soit relative en ce qui concerne son style narratif. Car on ne saurait, s'agissant de relations et de cas litigieux entre le Maroc et des pays étrangers, sous-estimer la version du partenaire, lequel peut, en l'occurrence, avoir un point de vue — sinon diamétralement opposé, du moins — nuancé.

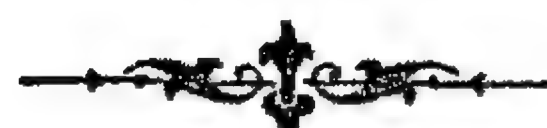
C'est par de petites monographies locales que nous allons aborder le sujet pour lequel nous commencerons un périple qui nous mènera de Tanger à Casablanca où protecteurs et protégés abondent, en passant par les autres villes du Maroc septentrional.

Nous marquerons, cependant, des haltes pour savourer, comme le dit G. Duby, "ce bonheur très concret de palper ce qui reste de la poussière des siècles".

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome 2

1. Les Villes du Nord

Imprimerie Royale — RABAT
1987

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome 2

I. Les Villes du Nord

Imprimerie Royale — RABAT
1987

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثالث

2 • باقي المدن

1408 — 1988



مطبعة المعارف الجديدة
الرباط

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

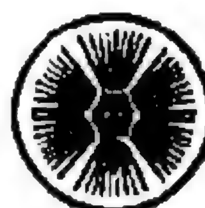
1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الثالث

2 - باقي المدن

1408 - 1988



مطبعة المعارف الجديدة
702 08.09.13.38 الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المؤلف

8، زنقة المدارس
سلا
(المغرب)



رقم الإيداع القانوني
1984 / 507

—

فهـــرس المــــواد

باسم الله الرحمان الرحيم

سنستوفي بهذا الجزء الثالث ما تيسر من الكلام عن جذور الحماية والاستيطان : تطورا وملابسة وتصنيفا وتطبيقا في الزمان والمكان. وبهذا الموضوع البكر والمبتكر سنكون جميعا قد رصدنا ـــ من دهاليز الوثائق الرسمية ومن عجمة المكاتيب والتقارير القنصلية ـــ ظاهرة استأثرت باهتمام المخزن، لما فيها من تطاول على السيادة الوطنية ومن جسارة على الحكام ومن مس بنظرية الذمة الإسلامية للذمي والمُعاهد، واسترعت إليها أنظار السلك الدبلوماسي والقوات الضاغطة لما فيها من تعسفات وتطاولات مقصودة ومدبرة. فقد كانت الحماية سفسطة سياسية ومغالطة ديبلوماسية وأداة اقتصادية. وبتعامل ـــ اعتقده صارماً ـــ مع النص، سعت هاته المساهمة إلى تسليط الممكن من الأضواء على هذا الحدث السياسي والاجتماعي بما قدمته من صميم التراث من أمثلة بليغة، وما راقبته من أنماط متحركة، وما سجلته من نوازل شائكة، وما دونته من عناصر إيجابية ومن جوانب مكملة هي كلها ـــ بلا شك ـــ ضالة منشودة للمتأملين في مصير الإنسان وفي محيطه، وحلقة مفقودة للباحثين في القانون الوضعي والشرعي وفي شتى مجالات العلوم الاجتماعية والاقتصادية.

فللكشف عن أحوال العشرات من المستوطنين وسلوك أزيد من ألفي محمي وسمسار، لزم التحلي بالصبر الجميل لتصفح العشرات من المراجع المطبوعة بغية استيعابها أو تعريبها، وإرهاق الفكر للاطلاع على الآلاف من الوثائق المخطوطة لقراءتها وتمحيصها واستبطانها وتبويبها استعداداً لتحريرها والاستشهاد بها جزئيا أو كليا. والقصد بذلك كله هو الإلمام بالكثير مما لا نزال نجهله والوقوف وجهاً لوجه أمام الواقع الذي لا نخشاه، وأمام ما همشه الأقدمون الذين تحاشوا الكلام عن اليهود والنصارى وعوام الناس، وآثروا عليه ما يدل على تناقض في الوجدان أو على سطحيات لتخليد «المجد» : إذ أن الأحداث لما اتصلت بالإنسان ـــ مغربيا كان أو أجنبيا ـــ لزم نبذ كل عنصرية ثقافية، وحيث أنها اكتنفت وجوده لم يكن بد من تعقب مؤشراتها هي وتتبع حركاته هو.

ولما كان العبء ثقيلا وجب الاقتصار على المظهر الوصفي والعدول عن الجانب التأويلي، لأن تقديم المادة الخام أولى الآن من كل تنظير وتقويم وتقييم.

وبديهي أن عملا من هذا القبيل ليس تاما لأنه يندرج فقط في الإطار المحدد له. ولو خرج عنه لاستلزم سنوات أخرى من الاعتكاف والتفرغ والاستقصاء والاستقراء. وظاهر أن هذا البحث ــ مثله مثل سائر الأبحاث العلمية ــ متسم بالصرامة التي تدعو الى الرتابة الجالبة للسآمة، لكن ما الحيلة ؟

ثم ما حيلتي أيضا في تواتر التنقيحات الواردة في تصنيف ثلاثي الأطراف يتركب من نحو 1320 صفحة ؟ فما يكون لها إلا أن تكون إجادة للموضوع وقتلا منشودا لجوانبه، بل قل : هي استدراك معرفي لا يسع المرء إلا مباركته، لا مجرد إصلاح أغلاط مطبعية هيِّنة عند التأمل. وما ذلك إلا لأن عناصر التأليف ليست سهلة المنال ولا رهن الإشارة، وإنما هي عزيزة في الخزانات النبيلة، بقدر ما هي ذليلة في المكتبات البخيلة. وعند الله وحده مثوبة السنوات الثمان العِجاف منها والسمان التي صرفتها في مُثاقَنة النص مثاقنة التلميذ لشيخه، وأجر الأوقات الطويلة التي أنفقتها في تَثْقِيف ذكّرَني ــ مع الفارق ــ بما رُوي من تثقيف زُهَير لقصائده. وبالطبع استلزم هذا الجهد عناء آخر في تصويب أفضى إلى تسويد جديد أسلم بدوره إلى ما وجدناه من إقحام أو من تشطيب، في ميدان غميس مصدره، حليل أثره.

وعلى كل حال ستكون هاته الأنطولوجيات الصغيرة بارزة في ستة أبواب عن باقي المدن ومنقسمة إلى فصول أولى عن رجال السلطة المحلية وتركيبة السكان ونبذة عن العمران، وفصول أخرى عن السلك القنصلي والحماة والمحميين. وهكذا حليت التأليف بما يقدم للراغبين من كشوفات مفيدة، ويفتح للباحثين من آفاق جديدة، فأدرجت في ختامه جرداً وفهرساً كاملين للأجزاء الثلاثة. فالجرد تناول البيبليوغرافيا التي تنطبق على المصادر والمراجع والمستندات المحال عليها في الهوامش. وقد حرصت أيّما حرص على إثباتها فيه، حتى ولو كانت ثانوية أو ناقلة، بحكم أنها كانت أول ما اطلعت عليه في بابه قبل أن أعثر على بعضه في موطنه. أما الفهرس فهو خاص بجميع الأعلام البشرية الواردة في الكتاب. وقد سعيت إلى كتابة أسماء الأجانب بحروف لغاتهم توخياً للوضوح، وإلى ضبط رسم الأعلام في الفهرس، فيستحسن الرجوع إليه عند الضرورة.

فعسى أن يكون هذا الكتاب برمته جوابا شافياً لبعض ما يدور في الخلد، وعسى أن يكون في هاته البادرة إغناء لخزانتنا العربية وترسيخ لهويتنا الوطنية.

12 شوال 1407

ســلا، فـي

9 يونيو 1987

استدراك وتصويب[1]

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
154	3	12	112
204	13	الخدام ... مربع	الخدام : 10 آرات أو 1000 متر مربع
277	22 21	السلاوي... ص 29.	السلاوي «الإتحاف الوجيز»، تحقيق مصطفى بوشعراء ص 40 41.
283	12	ديكان	ديزكنس
288	21	وليفينجستون	ليفينجستون Livingstone
352	10	لامب	لم Lamb
442	18 16	في ذلك (18)... الباشوية	في ذلك (18)، وكان أخوه عبد العزيز نائبه في الباشوية
458	11	Comblan	Coblentz
485	5	بيبيسي	بيلنسي
564	11	Atenza.	Atienza
585	8	أنجليو	أنجيلو
653	18	57	56
636	13	عبد الوهاب ... مستخدم	عبد الوهاب بن سلام بن عيسى الكوجر ؟ مستخدم
664	3	12 — 3 — 9	11 — 3 — 8
	11	57 — 31 — 26	56 — 31 — 25
656	2	8 — 5	7 — 5
	3	سباط .. وكلهم	....خ، وكلهم
798	1	شاويل	شومو
828	18 17	بالرباط ... 1902.	بالرباط.
842	7	الحريزي	المزامزي

1 . تنظر أيضا الصفحة 425 والصفحة 945 وما بعدها وكذلك فهرس الأعلام بعد ن حقق.

861	12 13	وكان ... (13)	وكان كاتبا، والحاج ابن اسماعيل بن الحسين الحريزي وكان عوناً (13أ)
868	6	صالح القريزي	صابر الكريزي
873	12	أنطوني بيطر	أرطورو بيتو A. Pitto
884	17	الفاطمي الغريني	التهامي العريبي
885	10	سانطو Santo	رفائيل سينطيس R. Sintès
899	6	الحـــداوي	الجـــداوي
939	23	المـــزابـــي	المـزامـزي
942	17	حســـن	حسـيـــن
953	33	كاميليو	كاميلو

استدراك حول كتابة بعض الأسر الرباطية

أفادني صديقي الأستاذ محمد بن عزوز حكيم بمراجعة لكتابة بعض الأعلام الرباطيين الأندلسيين أصلاً. وعليه فإن الفقرة الأخيرة من هامشة ص 758 تلغى بتمامها وتعوض بما يلي :

• من حيث الكتابة بالأحرف اللاتينية : يجوز أن تكتب هذه الأسماء كما يلي :

18 Parra. 19 Prado. 20 Barbecho. 21 Vargas. 32 Palomino. 35 Palacios. 41 Becerra. 44 Baena. 45 Perez. 46 Pedro. 62 Bono / Bueno. 104 Montoya. 165 Chamorro. 171 Chaparro. 177 Jorio / Jorro. 216 Duque. 218 Denia / Deña. 226 Diaz / Diez. 230 Rodriguez. 231 Ronda. 238 Roan / Ruano. 264 Toledano. 267 Carrasco. 269 Crespo. 271 Caleto. 272 Camara. 276 Olivarez / Livarez.279 Lazaro. 280 Luque. 281 Ramiro / Ramero. 290 Marcelo. 298 Molin / Molina. 309 Moreno. 310 Morato. 315 Mira / Moras. 324 Ceron. 363 Farchado. 365 Flores. 379 Carrion. 380 Correa.382 Camarada. 388 Zapata. 407 Siso. 415 Escalante. 418 Santiago.

البـــاب الثـــامـــن

أزمـــور والجديـــدة

1 : الولاة والسكان والعمران

كانت المدينتان موحدتين إدارياً في بعض الفترات، لكن ما لبثت كل واحدة منهما أن انفصلت عن الأخرى. وسأعرض لكل حاضرة على حدة.

أ : الــولاة

أ 1 : أزمــور

1. كان **الحـاج موسـى** (الذي لم أقف على نسبه) عاملا على المدينتين أو أمينا بمرسى الجديدة.

2. صار **أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري** قائدا عليهما معا، ودامت ولايته من نحو 1856 إلى حوالي 1862.

3. **أحمد بن المؤذن الفرجي** قتل سنة 1873 لما كان خليفة لعامل مراكش أحمد بوستة بعد حدوث فتنة بأزمور[1]. وطبعا كان قبل ذلك مضطلعا بشؤون المدينة.

4. وبعد ذلك بقليل صار **أحمد بن عمر بوستة** عاملا على مدينة أزمور منتقلا إليها من ولاية مراكش [2].

5. على أن **أبا الشتاء بن البغدادي** الجامعي ولي على أزمور وهو في طور الشباب[3]. وكان سنة 1880 هو قائد هاته الحاضرة[4].

6. **بوشعيب بن المعطي الأزموري** عين سنة 1889 عاملا[5]. ولم أقف على أسماء من اضطلعوا بعده بشؤون المدينة.

أ 2 : الجديدة

1. **الحاج موسى** كان أول أمره أميناً بالجديدة ثم صار عاملا. وكانت وفاته بها قبل سنة 1864[6].

2. كاتبه **أحمد بن الطاهر السملالي** حل محله في حدود 1856 واستمر في الحكم مدة طويلة[7] حتى 1862 وهي السنة التي نقل فيها عاملا على مراكش حيث توفي بعد أربع سنوات[8].

3. **محمد ابن بومهدي البوعزيزي الغنامي الدكالي** كان أولا قائدا على قبيلتي أولاد بوعزيز وأولاد عمران[9] ثم صار سنة 1862 أول وال على الجديدة بعد انفصالها عن أزمور. وقد وصل إليها

---

1 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9، ص 129.

2 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 2، ص 419.

3 . عبد الوهاب بنمنصور، «أعلام ...» ج 2، ص 193.

4 . رسالة أبي الشتاء إلى بركاش في 14 ربيع الثاني 1297 / 25 مارس 1880، محفظة بركاش.

5 . رسالتا السلطان إليه في 20 رجب 1306 و 10 رجب 1307 / 22 مارس 1889 و 2 مارس 1890، محافظ الترتيب العام.

6 . رسالة مونطانارو إلى العربي بن المختار التي قد أشرت بالدار البيضاء إلى مضمونها في ص 891 ثم رسالة بركاش إلى السلطان في 20 صفر 1281 / 25 يوليوز 1864، محفظة بركاش. وحساب المستفاد بالجديدة في شعبان 1281 / يناير 1865، محفظة الجديدة 1 حيث ورد أن أولاده اليتامى كان ينفق عليهم من وفرها. وكذلك ابن زيدان في «الإتحاف» ج 5 ص 45 ومحمد داود في «تاريخ تطوان» ج 8 ص 399.

7 . رسالة محمد الخطيب إلى السلطان في 22 ربيع الثاني 1277 / 7 نونبر 1860، في «الوثائق» ج 4 ص 214.

8 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 2، ص 416.

9 . رسالة بركاش إلى ابن بومهدي في 9 رجب 1282 / 28 نونبر 1865، محفظة بركاش.

في 7 نونبر. وكان برادة أمين المرسى خليفة له. ويغلب على الظن أنه هو عبد الحفيظ بن علي الذي كان حتى سنة 1873 أمينا بمرساها[10].

وقد استمرت ولاية ابن بومهدي إلى ما قبل 1867[11] لأنه اعتقل هو وأخواه العربي ومبارك وولده أحمد سنة 1868 وسجن بفاس لعدم امتثاله[12].

وصدرت بالعامل شكايات من السلك القنصلي، واشتهر بمخالفة أوامر السلطان : ففي سنة 1864 عيب عليه اتخاذ شركاء من التجار مثل الإنجليزي كرتيس المقيم بالصويرة[13].

ولما كان ابن بومهدي عاملا على المدينة أواسط سنة 1862 أخبر التاجر الإنجليزي كارفر السلطات المخزنية بأن هذا القائد كان يبيع للتجار الأجانب حبوب الزكوات والأعشار قبل إبانها. وكان جواب السلطان على هاته المخالفة الصادرة بمنع مثل هاته التجارة أن أمر الأمناء بحيازتها وبيعها لما يشاءون عقابا لابن بومهدي كما سيأتي.

4. ويبدو أن المدينة كانت بدون عامل بعض الوقت وأن **الحاج العربي الشراط** الذي كان أمينا بمرساها أصبح المتصرف في شؤونها الإدارية والمالية حسبما سيرد في ترجمة روبيرط سبايني.

5. وفي سنة 1876 عين **محمد بن ادريس الجراري** واليا على الجديدة قادما إليها من الدار البيضاء. وفي هذا الشأن خاطبه السلطان :

«إننا أعفيناك من ولاية الدار البيضاء وولّيناك على الجديدة. ولم نعزلك عنها سخطا لسيرتك ولا هضما لجانب خدمتك، وإنما اقتضت المصلحة تقديم الأهم فالمهم ...»

أحمد الناصري صاحب «الاستقصا» عاشر الجراري أثناء خدمته بالمرسى وتعرّف عليه عن كثب فوصفه بأنه «من أمثل عمال السلطان، نصره الله، وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم. قد استعمله الملوك الثلاثة : المولى عبد الرحمان وابنه سيدي محمد وابنه المولى الحسن رضي الله عنهم، فظهرت كفايته ونصيحته وحمدت سيرته وولايته»[14].

---

10. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3، ص 58، وبيعة أهل الجديدة في «الوثائق» ج 3، ص 202 و244.
11. رسالة الأمينين الحاج بوجنان البارودي وأحمد الزكراكني إلى بركاش في 5 قعدة 1281 / فاتح أبريل 1865، محفظة بركاش ورسالة ابن بومهدي إلى بركاش في 8 رجب 1284 / 5 نونبر 1867 في «الوثائق»، ج 4، ص 369.
12. رسالة ابن بومهدي إلى الحاج محمد بنيس في 9 جمادى الثانية 1285 / 27 شتنبر 1868 (الوثيقة 8081 م.و م) وفيها يعترف بذنبه ويبرىء ساحة أخويه وابنه لأنهم لم يكن لهم دخل في شؤون القبيلة.
13. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3، ص 30.
14. احمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 150.

ولعل رجاحة عقل الجراري ظهرت على الأخص سنة ١٨٧٩ من خلال رسالة بعث بها إلى برگاش مقترحا فيها أن يرفع تأديب المسلمين بالسوط. وآية ذلك أن اليهود كانوا ــ حسبما ذكر ــ يعاقبون بالسجن فقط وأن المسلمين كانوا يُزجرون به وبالجلد أيضا. «ولا سبيل إلى حسم هذا الداء إلا بإبطال هذا القانون من أصله، مع أنه لا أصل له، أو برفع هذا التأديب بالضرب حتى عن المسلمين لتحصل المساواة»[15]، ذلك الجلد الذي ألغاه مولاي عبد العزيز سنة 1895 لما منع منه محتسب فاس[16].

وبالرغم من هاته الحصافة اتهمه اليهود الجديديون في نفس السنة بالعسف عليهم إثر شكاية وصلت عن طريق السلك الديبلوماسي إلى السلطان الذي أمر عامله بالكف عنهم[17].

وظل الجراري يباشر أمور المدينة إلى أواخر أيامه، فرفعت تظلمات من سلوكه إلى السلطان على يد «خدام أهل الجديدة» الذين كانوا وجهوا «لشريف الحضرة شكاية في 28 صفر الفارط وجددوا، بعد البحث، على ما قبض من إيالة العامل السيد محمد الجراري ــ من عام 1293 إلى تاريخه ــ على وجه الظلم والتعدي وسجن ضعفائهم، وأخذ مالهم باطلا. وجعل معه ثلاثة خلفاء : ولده وابن عمه ووصيفاً يقال له بوجمعة، واشتغلوا هنا بما لا يرضاه الله ورسوله، مع اليهود والنصارى. وقدر ماقبض من أهل البلاد.وأهل النوايل وفرضة الأعياد من الغربية والاغناضرة والامنادلة يصل سيدَنا بيانُ ذلك داخله ...»[18].

وللحين بعث السلطان بهاته الرسالة إلى القائد الجراري الذي أجاب عنها بعد خمسة أيام بأن هذا من تخرُّصات أولاد الشيخ يَسَّف الفرْجي «ومنهم الحاج محمد بن يسف المحتمي بإسبانيا والناظر الحاج محمد ولد الحمدونية الجديدي وغيرهم ممن ذكر، وهم في حماية السويد والبرازيل والبرتقيز والألمان والطليان والنجليز والدانمارك» (وذلك لأنه كان قبض على اثنين من أولاد الشيخ يسف، القاطنين بأولاد فرج). وختم رده بأن ليس له إلا خليفة واحد هو ابنه عمر، ناعتا إياه بـ «الحزم والضبط والنباهة»[19].

والأقرب إلى سيرة هذا العامل أنه لم يكن بهذا الوصف وأن ذلك ربما كان مجرد وشايات كاذبة في مجملها. فقد كان شديدا على المحميين المتغطرسين، وقد مرت بنا في الدار البيضاء

---

15. رسالة الجراري إلى برگاش في 28 شوال 1296 / 15 أكتوبر 1879 في «الوثائق» ج 4، ص 480.
16. روجي له طورنو : «الحياة ...» ص 45.
17. رسالة جون هي إلى سولزبوري في 13 دجنبر 1879 ورسالة السلطان إلى الجراري وكلاهما في «الوثائق» ج 5، ص 445 ــ 446.
18. من «خدام أهل الجديدة» إلى السلطان في 13 ربيع الثاني 1307 /7 دجنبر 1889، محفظة الجديدة 2.
19. رسالة الجراري إلى السلطان في 18 ربيع الثاني / 12 دجنبر.

رسالته[20] التي أظهر فيها عميق حسرته وشدة تأسفه على ما أصاب المسلمين من التردي في حمأة الحمايات الأجنبية. وقد لا نكاد نجد مبررا لهاته الشكوى سوى أنه كان قبل صدورها ببضعة أشهر قد أطلع السلطان على أحوال «أولاد الشيخ يسف السبعة المتلبسين بالحمايات، المتقلبين من دولة لأخرى، آكلي رمضان جهارا»، وعلى أن واحدا منهم وهو الحاج محمد «قتل زوجة أخيه، وفرّ وذهب للحج، وذلك وقت ولاية ابن بومهدي. فلما رجع من الحج دخل لحماية النجليز بعد أن كان سمسارا عند تاجر إنجليزي بآسفي»[21].

وفي 29 جمادى الأولى 1307 / 21 يناير 1890 تُوفي الجراري[22]. ومع ذلك لم يستسلم خصومه المعلومون / المجهولون فرفعوا بعد موته بيومين كتابا إلى السلطان طالبين منه الإعفاء من أهل العامل المتوفى ذاكرين أن الجديدة كانت من قبل يتصرف فيها الأمناء ثم أضيفت إلى أزمور[23].

ويفهم من هذا أن عمر كان — هو أو أحد غيره من قرابة العامل الهالك — يطمح في الولاية على المدينة، لكن السلطان لم يفعل، إذ عين بعد ذلك عددا من الأمناء للقيام بالشؤون الإدارية المحلية.

6. وكان منهم سنة 1891 **محمد بن العربي برادة**[24] الذي كان أبوه تاجرا بالسنغال[25]. ويبدو أن عذراً ما حصل له بعد ذلك فعجز أو مرض فمات سنة 1894 بسبب ذلك[26].

7. وقبل ذلك سنة 1893 أسندت ولاية المدينة وأمانتها إلى **الحاج عبد المجيد بن علال التازي**[27]. والدليل على بقائه أمينا — زيادة على الولاية — أن رسائله ترد فيها كلمات السلاح والمرسى والديوانة وأنها موقعة بالاشتراك مع أمين آخر كان هو عبد الهادي زنيبر.

وقد صدرت بهذا العامل شكايات إلى السلطان أواخر 1893 تخبره بما «هو عليه الحاج عبد المجيد من الترامي على الناس حتى جالت يده في أموال الضعفاء»[28].

8. هاته التهمة لم يكن كاتبها إلا أمين آخر هو **الحاج محمد ابن يحيى الجديدي**، أمين المستفاد في وقته، والذي تولى بعد ذلك بقليل أو بكثير الإشراف على الشؤون المحلية. ابن يحيى

---

20. ص 820.
21. رسالة الجراري إلى السلطان في 16 قعدة 1306 14 يوليوز 1889. التاجر هو مردوخ بوضير.
22. رسالة عبد الرحمان الحلو وأبي بكر بوزيد إلى السلطان في 29 جمادى الأولى 1307 21 يناير 1890.
23. رسالة «خدام أهل الجديدة» إلى السلطان في 2 جمادى الآخرة 1307 24 يناير 1890.
24. رسالة في 1 ربيع الأول 1309 5 أكتوبر 1891، والرسائل السابقة كلها بمحفظة الجديدة 2.
25. مييج : «المغرب وأوربا» ج 3، ص 371 (2).
26. رسالة في 21 رمضان 1311 28 مارس 1894، محفظة الضريس 26.
27 . رسالة التازي إلى أحمد بن موسى في فاتح حجة 1310 16 يونيو 1893، محفظة الجديدة 2.
28. رسالة محمد ابن يحيى إلى السلطان في 28 صفر 1311 10 شتنبر 1893، محفظة الجديدة 2.

هذا كان قد تقلب في وظائف الأمانة بمختلف الثغور التي منها العرائش. كما كان سنة 1889 ناظراً لأحباس الجديدة.

ولئن وصفه أوجين أوبان بأنه كان سنة 1902 «شيبة الخمد الذي كان يسوس بالرفق أهالي هم في غاية الاطمئنان»[29] فلم يكن هذا المؤلف على صواب فيما قاله، إذ يستخلص من تقرير لجنة مخزنية لتقصي الحقائق عن حالة الـ 146 معتقلا بالجديدة في جمادى الأولى 1321 يوليوز — غشت 1903 أن الحاج محمد ابن يحيى كان يحتجز «بدون سبب» أشخاصا عددهم 26 وهو رقم يساوي سدس الـ 131 فردا الذين سجنوا بأمره. والباقون وهم 15 اعتقلوا بأمر خليفته أو القاضي أو المحتسب أو رئيس المرسى أو شيخ اليهود أو قنصل إسبانيا[30]. ومما لاشك فيه أن مثل هاته التعسفات كانت موجودة خارج الجديدة وبالقبائل أيضا.

وهكذا يبدو مما سلف أن الجديدة تعاقب على تسيير شؤونها الإدارية إما أمناء محترفون وإما ولاة من الأحواز والنواحي.

ب : السكـــان

تضاربت الروايات في تحديد عدد سكان هاتين الحاضرتين. وسنرى من استعراض شتى التقديرات والمصادر أن أرقامهم ارتفعت باستمرار.

ب 1 : أزمـــور

كان فيها من السكان سنة 1872 نحو من الألف[31]. بيد أنه يستبعد أن يصل عددهم بعد ثلث من القرن إلى عشرة آلاف[32] إلا إذا أدمج سكان المدينتين في بعضهما.

ب 2 : الجـديـــدة

لم تكن المدينة تحتوي إلا على 800 شخص من المغاربة سنة 1834 منهم 300 يهودي. وقد غدوا سنة 1856 حوالي 1500 كان منهم 450 يهوديا. وبعد عشر سنوات بلغوا 4000 نسمة كان منهم 1000 يهودي. وسرعان ما انخفضت الأرقام سنة 1872 إلى 2500 نسمة كان 800 من اليهود. وشهدت سنة 1874 تصاعداً في الأرقام إلى الضعف أو إلى ما يزيد عن 5500 نسمة. ثم

---

29. «مغرب اليوم»، ص 76.
30. من «تقييد من سجن ومن سرح بمحروسة الجديدة وجرائمهم وتاريخ سجنهم وتحريرهم، وذلك في جمادى الأولى 1321»، يوليوز — غشت 1903. محفظة الجديدة 3.
31. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 114.
32. كينيث براون : «أهل سلا» ص 48.

ع سـت الأعداد في الارتفاع : 7000 سنة 1884 و 9000 سنة 1892 واخيرا 10.000 سنة 1900، بل ذكر بعض الرواة أنهم في السنة الأخيرة كانوا 15 ألفا منهم 3500 يهودي و 400 أروبي، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك : 20 ألفا في مطلع القرن العشرين[33].

وبقطع النظر عن الثغرة البشرية التي وقعت سنة 1872 من جراء المجاعة والأوبئة كان عدد أهل الجديدة مرتفعا باستمرار. وقد سلف القول في موطن آخر أن سكان المدينة تضخمت أعدادهم بين سنتي 1834 و 1866 بنسبة 400 في المائة.

والجالية الأروبية بلغ عدد أفرادها بين سنتي 1856 و 1906 حوالي 750 نسمة مثلما تقدمت إلى ذلك الاشارة بالدار البيضاء. وإذا أردنا مزيدا من الضبط في التواريخ والأرقام قلنا إنهم كانوا سنة 1880 حوالي 150 شخصا منهم 12 فرنسيا والباقون من الإيطاليين والطارقيين والإسبانيين[34] حتى وصلوا إلى 400 شخص سنة 1900 حسبما سلف ذكره أعلاه.

ت : العمـــران

كانت الجديدة تدعى مازيغن حسب الجغرافي المغربي الادريسي ثم حرفها الأروبيون إلى مازاكـاو أو مازاكـان. وقد انتشر فيها العمران على حساب أزمور.

خصصها السلطان مولاي عبد الرحمان للتجارة عام 1240 / 1825 بعد أن كانت خربة لا زالت على الهيئة التي فتحت عليها أيام السلطان سيدي محمد رحمه الله. وكانت تسمى قبل الفتح بالبريجة، فلما فتحت وتهدم صورها بالمينى صار الناس يسمونها «المهدومة». فأمر السلطان مولاي عبد الرحمان عامله على تامسنا ودكالة محمد بن الطيب ابن محمد ابن عبد الله ببناء سورها وترميم ما تلثم منها وسماها : الجديدة»[35].

وقد بدأت أفواج الأروبيين تستوطنها شيئا فشيئا مثل بعض الإيطاليين والطارقيين. وبعد اندلاع حرب القرم بعثت دور تجارية إنجليزية طائفة من رجالها للقيام بمشتريات بالجديدة واختارتهم من أهل جبل طارق. وأثناء حرب تطوان اضطر بعضهم إلى اللجوء إلى المرسى الطارقي، ولكنهم ما فتئوا أن آثروا المُقام بالجديدة بصفة نهائية[36].

---

33 . المصدر الأخير نفس الصفحة وكذلك عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 43، و أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 76 و 78، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 3، ص 14، و 26 و 461 و ج 4 ص 497.

34 . الكونت موريس ده پيبريني Périgny : «بالمغرب ومراكش ومراسي الجنوب» ص 241.

35 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9، ص 12.

36. المصدر السابق نفس الصفحة، وأوجين فومي : «مراسلات...» ص 154.

كان توافد الإسبانيين عليها كثيرا، وكانوا في بعضهم من أهل المهن والصنائع، ولا سيما البناء، كما اشتدت هجرة المغاربة إليها من القبائل والحواضر.

وقد تقدّمت حركة الملاحة التجارية بين 1850 و 1875 مثلا. فبينما لم يكن تتعدى أحجام التجارة الخارجية 5 آلاف طن سنة 1850 إذا بها تصير 27 ألف طن سنة 1862 ثم بلغت سنة 1869 نحو 60 ألف طن.

وكانت مدينة الجديدة بابا أساسياً لتجارة الحوز ونواحي دكالة. فإذا تصفحنا تقرير ديزكينس نائب قنصل بلجيكا سنة 1869 وجدنا أن أعظم البضائع المصدرة في هاته السنة الأخيرة كانت هي الحبوب والقطاني والصوف وجلود البقر ولوز مراكش وزيتها والشمع الأصفر والحناء والصمغ والكمون. أما المستوردات فكانت في نفس الفترة هي المنسوجات القطنية وخيوط القطن والورق الكتابي والأخشاب والحديد والبن والسكر المصفى وشاي هيدسون الأخضر[37].

أما قيمة المبادلات فكانت سنة 1857 تبلغ 8 ملايين فرنك ولم تصل إلى 10 ملايين إلا سنة 1895. وقد نزلت إلى ثلاثة ملايين سنتي 1859 و 1883. وبالجملة كانت كفتا التصدير والاستيراد متعادلتين خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر[38].

وهناك رواية أخرى عن تجارة المرسى في نهاية القرن ومطلع القرن العشرين تصديرا واستيرادا.

في الاستيراد : 4,02 ملايين فرنك سنة 1898 و 4,99 ملايين سنة 1899 و 8,25 ملايين سنة 1900 و 10,22 ملايين سنة 1901.

وفي التصدير : 5,02 ملايين سنة 1898 و 1899 و 9,67 ملايين سنة 1900 و 6,62 سنة 1901.

وكانت التجارة البريطانية تأتي في المقدمة قبل تجارة ألمانيا وفرنسا وهي على التوالي 2,60 و 3.34 و 3,68 و 6,59 للاستيراد، و 1,45 و 1,64 و 3,83 و 3,55 للتصدير وذلك لأنجلترا وبالملايين من الفرنكات[39].

ومن أهم التجار الأجانب بالمدينة في التصدير والاستيراد سنة 1868 كان كارلو مورطيو الإيطالي مصدرا للوز، وبرودو الفرنسي في تصدير جلود البقر، وبورّاس الإسباني في وسق الصوف والشحم، وألفريد ريدمان الإنجليزي في تصدير العلك واستيراد الكتان، وكرارة الإنجليزي

---

37. مييج : «وثائق التاريخ...» ص 302 و 129.

38. نفس المصدر ص 28.

39. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 78 (1).

في استيراد مرزاية، وجورج بوطير في ستيراد سلاح غلب، وباد الإنجليزي في جلب الماركان[40].
ولا يظهر أن مرسى الجديدة كانت كاملة التجهيز بالمرافق التي كانت في حاجة إليها بالنظر لحركتها العمرانية والتجارية. فقد طلب پاطنوطر وزير فرنسا المفوض من المخزن سنة 1889 زيادة عدد الفلائك التي تحمل السلع من البر إلى البحر أو منه إليه[41].

وفي المجال التجاري وضع النواب القنصليون سنة 1865 نظاما للتسويق عرضوه على بعضهم وعلى السلطة المحلية على الراجح. والمناسبة هنا متاحة لسوق نصه الكامل لما فيه من فائدة بالرغم مما يكتنفه من لحن وركاكة.

«الحمـــد لله

«نسخة من الفصال الذي أعطوا به قوانص الجديدة خطوط يديهم. نصه :

«كافة جميع القونصوات الذين بثغر الجديدة،

«أما بعد، اعلموا أنه ضهر لنا أن من السداد والمصلحة القاطعة لمادة النزاع وجميع الدعاوي الكائنة بين مشتري القطاني من جميع التجار أن يكون محل خارج باب الجديدة مُزرّبا معدا لبيع ذالك من أهل البادية وغيرهم الواردين من جميع الآفاق.

«فمن أتى منهم قاصدا البيع فلا بد أن يأتي المحل المذكور بما معه من أحماله ويدخله دخولا بينا. فعند ذالك يرد عليهم التجار والتّوغْرية ويشترون منهم بما أحبوا. ويكون ذالك بمحضر عدلين معدين لأعطاء النفايل للبائع. فيكتبان له بما وقع به البيع في الزريبة، فلا يزيد ولا ينقص عليه.

«وأما من نقض على ما وقع به البيع في الزريبة فلا يلوم إلا نفسه. والبائع ينبغي له أن لا يدلس في البيع. ومن دلس بأن يظهر عربونا جيدا والباطن بخلاف ذالك : فإن كان التدليس من جهة التراب فإنه يصفى له ولا يأخذ المشتري إلا الصافي الخالص. وإن كان من جهة الفساد فإنه يرده ويزجر.

«ومن أتى من الآفاق بأحمال وادعى أنه مكتر فقط لبعض التجار فلا يقبل منه ذالك إلا بيمين التاجر أو يمينه. وكذا هذا الحكم يكون لمن اشترى ببعض الأسواق، فإنه لا يجوز إلا بإعطاء النفايل للتاجر، ومن خالف ما ذُكر بأن تعرض لهم قبل الوصول للمحل يريد الشراء منهم مسلمين ونصارى ويهود ونواعرية فإن عامله أو قونصوه يزجره بما ضهر له. فمن وافقت على هذا منكم فليضع طابعه عقب تاريخه، ومن لم يوافق فليجاوب بما ضهر له.

40. زمام الداخل والخارج بالجديدة وأزمور في شعبان 1285 / دجنبر 1868، محفظة الجديدة 1.
41. النقطة الخامسة من مطالب فرنسا في 22 شعبان 1306 / 23 أبريل 1889، محفظة فرنسا.

«وبهذا وجب الإعلام واتمام في 23 محرم عام 1282. [الأمضاءات] : قونصوا الافرانصيص التاجر اخوان، قونصوا الطليان التاجر كرلوا، قونصوا النجليز التاجر اسطوكس، قونصوا الاصبنيول التاجر خَكَب بُطْلير، قونصوا السويد التاجر بُلَنْكِ، قونصوا البردقيز ميكيل دُكَاسَطْرُ. قونصوا المريكان التاجر افريدْ.

«وإن أردت النسخة ــ بوجهها نوجهها لك ــ أعلمنا»[42].

هؤلاء القناصل والتجار ومن جاءوا بعدهم استوطنوا المدينة فكان لهم فيها وفي أزمور وقبائل دكالة وغيرها محميون وسماسرة وخلطاء وردت أسماؤهم مفصلة في كثير من الوثائق المخطوطة. والقول سيأتي بعد ذلك عنهم تباعا في فصول أخرى. لكننا سنقدم جدولين عدديين يشتملان على 117 محميا منهم 43 يهوديا، وعلى 129 سمسارا منهم 92 مسلما، وجميعهم 246 شخصا.

ج 1 ــ المحميــــون 1863 ــ 1900

الــــدول	المسلمــون	اليهــود	المجمــوع
ألمـــانيـــا	6	4	10
الـــولايات المتحدة	7	7	14
إنجلتـــــرا	3	2	5
إسبـــانيــــا	10	3	13
إيطـــاليــــا	5	12	17
البـرتغـــــال	12	3	15
البــرازيـــــل	5	1	6
بلجيــكـــــا	5	1	6
فـــرنـســــا	5	6	11
السـويـد والنـرويـج	5	2	7
الدانـمـــارك	3	—	3
النـمـســـــا	2	2	4
هـــــولانــدة	6	—	6
المجـاميــــع	74	43	117

42. تاريخ هاته الوثيقة يوافق 18 يونيو 1865، وصورتها بمحفظة بركاش، وتكتب أسماؤهم هكذا :
1. Juan (Haire ?) - 2 Carlo Morteo - 3 Octavius Stokes - 4 Jacopo Butler - 5 Tito Blanchi - 6 Miguel do Castro - 7 Alfred Redman.

ج 2 ـ السمـاسـرة

1863 ـ 1900

الـدول	المسلمون	اليهود	المجموع
ألمانيا	8	2	10
الولايات المتحدة	3	5	8
إنجلترا	33	8	41
إسبانيا	15	—	15
إيطاليا	8	9	17
البرتغال	11	7	18
البرازيل	4	—	4
النمسا	1	—	1
فرنسا	9	6	15
المجاميع	92	37	129

2 : ألمـــانيـــا

أ : السلك القنصلي

1. **ألفريد ريدمان** A. Redman الإنجليزي ناب وقتا ما عن المصالح الألمانية بالجديدة قبل أنصادو على ما يظهر.

2. **خوان باطيسطي أنصادو** J. B. ANSADO الطارقي تولى شؤون الوكالة القنصلية الألمانية [1] من سنة 1885 إلى وفاته سنة 1905.

3. ثم خلفه **إيرنيست گوسطاف دانينبيرغ**[2] E. G. DANNENBERG.

ب : المحميـــون

كان لألمانيا طائفة من المحميين والسماسرة نصت عليهم القوائم الألمانية السنوية ولائحتان محليتان : العشارية والعامة[3].

ب 1 : من القوائـــم السنوية[4]

1 — 7 : **محمد بن عبد الكامل المنديلي الجديدي** (1881 — 1897)، **ومحمد بن العكّارية** (81 — 82)، **وشالوم عميّل** (82 — 97)، وكانوا كلهم أعوانا أو مستخدمين، **وموشي بن حاييم الرويمي** (84 — 97) وكان ترجمانا، **ومحمد بن عبد السلام برادة** (81)، **وعبد السلام برادة** (82 — 85)، **وإبراهيم الهنتاتي** (90 — 97) وكانوا على التوالي كتابا.

---

1 . كيين : ألمانيا والمغرب، ص 38 (1).

2 . المرجع الأخيـــر.

3 . العشارية قائمة تحتوي على أسماء المحميين والسماسرة المنتمين لعشر دول : ألمانيا وإنجلترا وإسبانيا وإيطاليا والبرتغال والبرازيل وبلجيكا والنمسا والسويد وفرنسا. وهي خلو من التاريخ الذي أرجح أنه هو سنة 1881. أما العامة ففيها أسماء المحميين لثلاث عشرة دولة. ولكن تاريخها هو 15 شوال 1303 / 27 يونيو 1886. وبهما سنستعين طوال هذا الباب.

4 . جمعت بين هذين التاريخين للقوائم السنوية ما ذكرته عن هؤلاء المحميين والسماسرة.

ب 2 : من العشـــاريـة[5]

8 : **محمد الشيخ الفرْجي**. عـون

ب 3 : مـن العـامـة[6]

9 ــ 10 : **محمد العمراني**. كاتب. **وإسحاق الجديدي**. مستخــدم.

ت : السمــاســرة

ت 1 : من القوائم السنوية الألمانية

1 ــ 2 : **ميير بن الحزان يحيى أزولين، وعلي ولد الفرْجية**[7] سمساران للأخوين فيكة (1881 ــ 1890) ثم لأنصادو (1892 ــ 1897 للأول، و 1892 ــ 1904 للثاني).

3 ــ 4 : **الحاج عبد المالك السباعي** سمسار فيكة بمدينة أزمور حتى توفي سنة 1886 وخالفه ابنه **بوشعيب**[8] الذي نصت عليه قائمة 1890.

5. **بوشعيب بن بوعلي الفرجي** سمسار فيكة (1897)

6 ــ 7 : **عبد السلام بن محمد ولد الجبلي المرجاني العوني** (1897) **وبلال** (أو بليل) **بن مبارك بن أحمد الغندوري** (1897 ــ 1904) سمساران لدانينبيرغ.

8. **يوسف كوين** (1897) سمسار ڤايس و ماور القاطنين بالصويرة.

9. **محمد بن موسى الجديدي** (1904) سمسار براندت وطول الساكنين بالدار البيضاء.

ت 2: مـن غيـرها

10 : **عبد القادر بن الحاج المحفوظ البوعمري** طلبت المفوضية سنة 1894 اتخاذه سمساراً للتاجرين فيكة[9]، ويظهر أنه قُبل، ولكن شطب على اسمه في قائمة 1897.

---

5 . ورد فيها أيضا الخميسان : 4 و 6 أعلاه .

6 . جاء فيها اسما الخميسَيْن الأول والرابع أيضا.

7 . جاء ذكر السمسارين في العشارية وجاء الثاني في العامة التي سمته : عليوات.

8 . رسالتا تيستا إلى الطريس في 9 شتنبر و 9 نونبر 1886، محفظة المغرب ألمانيا ورسالة العربي بريشة إلى الطريس في 8 محرم 1304 /7 أكتوبر 1886، محفظة الطريس 9.

9 . رسالة طاطنباخ إلى الطريس في ثاني أبريل 1894، بمحفظة ألمانيا.

ث : المستــوطنــون

هم قليلـو العـدد، ونذكر منهم :

ــ **كارل فيكة** الذي سكن في بداية القرن العشرين بالجديدة.

ــ **إ.كْ. دانينبيرغ** الذي مثل بلاده وغيرها بالجديدة بعد سنة 1908. وهو من مواليد ألمانيا سنة 1853، وينتمي إلى أسرة كانت لها دائما روابط تجارية مع المغرب.

وصل إلى طنجة في ربيع سنة 1889 للتجارة في المنسوجات ثم استوطن تطوان وبعدها عاد إلى طنجة. وقد ظفر بعقدة لبيع البارود للمخزن فوقعت سنة 1890 على يده بوصفه وكيلا عن دار تجارية من هامبورغ اسمها روطڤيل : Rottweil.

وكان نشيطا في أعماله فجابت قوافله التجارية أطراف المغرب : الجديدة ومراكش سنة 1891، وفاس سنة 1893، ومراكش سنة 1894. وفي سنة 1895 استوطن الجديدة نهائيا حيث فتح دارا تجارية[10].

10. كْيْين : «ألمانيا والمغرب» ص 38 (1). واستدرك هنا ما تقدم في الصفحة 459 من الجزء الثاني، فليس ريشارد دانبيرغ هو الذي باع البارود للمخزن، ولكن البائع هو إيرنيست كُوسطاف دانبيرغ. وهذا التصويب جاء من كْيين، بعد الخطأ الذي وقع فيه مييج في الجزء الرابع من «المغرب وأوروبا» ص 191. كما أنه ثبت برسالتي السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الأولى و 28 جمادى الثانية 1307 /12 يناير و 19 يبراير 1890، بمحفظة الطريس 17 حيث رسم اسمه واضحا بحروف لاتينية.

3 : الولايات المتحدة

لم يكن لهاته الدولة وجود بارز بالجديدة، ومع ذلك كان لها نواب ومحميون اتخذوا سماسرة.

أ : السلك القنصلي

1. **أسرة ريدمان** ولا سيما **ألفريد** تولت النيابة عن الولايات المتحدة وغيرها نحوا من ثلاثين سنة[1] أي منذ ما قبل سنة 1865 إلى ما بعد سنة 1895. لكن آخرين كانوا مؤقتين، ومنهم :

2. **ميير بن بيكُّو كوهين** حيث كان سنة 1887 نائبا مؤقتا[2].

3. وكان **دانييل مادن** D. Madden الأنجليزي ممثلا لها سنة 1893.

4. وفي السنة الموالية صار **ليون روفيل** هو النائب المؤقت أيضا[3].

5. وظل **ألفريد ريدمان** سنة 1895 هو النائب الرسمي[4] حتى وفاته.

ب : المحميون

نصت على أسمائهم طائفة من الوثائق.

ب 1 : من القائمة المخلية العامة وحدها (1886)

1 ــ 2 : ميير بن بيكُّو كوهين، وأحمد بن محمد بن بوشتى الفرجي، كان الثاني عونا، والأول كان ترجمانا ورد اسمه في جملة من المصادر، كما أنه كان من كبار التجار المرابين.

---

1 . عريضة القناصل في 23 محرم 1282 / 18 يونيو 1865. محفظة بركاش.

2 . رسالة محمد الجراري إلى الطريس في 7 قعدة 1305 / 16 يونيوز 1888. محفظة الطريس 13. ورسالة لويس إلى الطريس في 10 يونيو 1887. محفظة الولايات المتحدة.

3 . رسالة باركلي إلى الطريس في 2 مايو 1894.

4 . لائحة سماسرة التجار الأجنبيين بالجديدة سنة 1895. محفظة الحماية القنصلية.

ب 2 : من العامة والعشارية معا

3 : عبد الله بن الحاج الطيب الرافعي وهو من أهل الجديدة، وكان كاتبا.

ب 3 : من العشـــاريـــة فقـط

4 ـ 5 : مسعود بن شمعون ترجمان، ومحمد بن القاسمية عـون.

ب 4 : مـن 69 / 60 الغفل

6 : شمويل كويهـن محمي لم يَرِد بيان عن سبب حمايته.

ب 5 : مـن 69 / 59 الغفـل

7 ـ 14 : شمعون كويهن (ولعله شقيق الذي قبله)، وشمعون بن شاعيل، وابراهام بن دابيد أوحيون، ودابيد بن دابيد أوحيون، وعبد الرحمان ولد سي قدور، والحاج اسماعيل بن الحاج بوشعيب، والحاج محمد بن الحاج العيساوي، والحاج سعيد بن سعيد : وكلهم لم يعرف وجه لحمايتهم، فلربما كان منهم سماسرة.

ت : السمـــاســـرة

ت 1 : من العامة والعشارية معا

1 ـ 2 : إسحاق موخُو وموشي موخُو سمساران لم يعرف لمن كانا يعملان[5].

ت 2 : مـن القائمتين الغُفْلين 69 59 و 69 60

3 ـ 5 : يوسف كويهن، وعزوز بن الفرجي، وبنعاشر العوفير، ولم يعرف أصحابهم الذين يغلب على الظن أنهم تجار محميون.

ت 3 : مـن غيـــرهـــا

6 : العبـــاس العـوفيــر وكان سنة 1887 سمسارا لليون روفيل[6].

ت 4 : مـن 69 34 الغفــل

---

5 . في «العامة» تحريف لا نفهمه كما يلي : «اثنان وميّان أولاد موخُ سمساران». ولذلك أرجح أن ما ذكرته أعلاه هو الصحيح.

6 . رسالة في 14 ربيع الثاني 1305 30 دجنبر 1887، محفظة أمريكا.

7 ـ 8 : **عبد الرحمان بن المحضَّر ومحمد بن المعطي الفرجي**[7] وهما من قبيلة أولاد فرج بدكالة، وكانا سنة 1883 أو قبلها سمسارين لتاجر أمريكي ربما كان مقيما بالدار البيضاء واسمه هولان Howlan[8] وكان شريكا لشخص مقيم بنيويورك اسمه روزڤلت Roosvelt. لكن السمسارين لما سجنا من لدن السلطات المغربية في قضية جنائية تدخل قائد الأسطول الأمريكي بأوروبا الأميرال إيرل إنكليش E. English طالبا إخلاء سبيلهما بواسطة إنذار حربي سنعود إليه بعد قليل.

ث : المستوطنـــون

لم يذكر شيء عن وجود أمريكيين بالجديدة، غير أن قنصل أمريكا بجبل طارق أورسن سپريگ O. Sprague كان سنة 1859 يملك عقارا بالجديدة فباعه. وقد ورد أن «مسطر أورسن اسبريغ قونصول الماركان بجبل طارق باع للراعية الأنجليزي المسمى فرنسيس إيموسي من جبل طارق أملاكه الكائنة خارج مدينة الجديدة، التي هي مشتملة على اثنين خزائن ودار، هاذه أربعة وثلاثين سنة»[9].

ج : قضية الإنذار الأمـريكـي

لما وقع القبض على محمد بن المعطي الفرْجي وعبد الرحمان بن المحضَّر، بسبب اتهامهما بقتل شيخ من شيوخ دكالة سنة 1883 تدخل القنصل العام الأمريكي لفائدتهما، لكن تدخله ظل بدون جدوى، ولهذا طلب ماثيوز من حكومته شد عضده، فجاء قائد الأسطول الأمريكي إلى شواطىء المغرب سنة 1885 وبيده إنذار حربي يتضمن إطلاق سراحهما وإرجاع المال الذي كان بين يديهما للتاجر هولان وعزل أحد قواد دكالة.

نسوق فيما يلي النص الكامل لهذه الوثيقة الإنذارية بما تشتمل عليه من أخطاء[10] :

أبقا الله سيادة خديم المقام العالي بالله وزير الأمور البرانية، الأجل المكرم السيد الحاج محمد الطريس.

---

7 . ذكر اسمهما في قائمة 9 جمادى الثانية 1303 15 مارس 1886 مع شيء من التحريف. فالفرجي سمي «الفرزي» والخضر دعي تارة «المهيدر» أو «المهدر» تارة أخرى فيها وفي غيرها. وفي 69 34 سمي عبد السلام بدلا من عبد الرحمان.

8 . إشهاد عدلي بأن هولان كان له بالدار البيضاء سمساران أصلهما من دكالة، في 27 ربيع الأول 1301 26 يناير 1884.

9 . رسالة ماثيوز إلى الطريس في 19 رمضان 1310 17 أبريل 1893. ورسالة أخرى منه إلى محمد المفضل غريط في 20 محرم 1309 26 غشت 1891. وكلاهما بمحفظة الولايات المتحدة.

10. أصلها بمكتبة تطوان رقم 55 15.

رعاك الله، ولم يزل السؤال عنك، نطلب الله أن تكون بخير.

وبعد فقد مضت أربعة[11] من التاريخ الذي كنا جئنا لهذه المرسة السعيدة بقصد الطلب من مخزن مراكشة تسريح سمسرين من حمية المركان لمنسطر[12] هولان ورُسْبَلت من ثغر النّيْرك، لأن قائد دكالة قبضهما من غير موجب. ونائبنا كُرُنيل فليس مطيوس ذكر لنا بأنك عاهدته وقتئذ بتسريحهما في الحين، ولأجل ذلك لم نطلب ما جئنا بصدده، وظننت أنهما يسرحان في الحين.

والآن تخبَّرنا بأنهما انتقلا لسجن فاس بعد أن كانا بقصد التسريح في الحين، ولا زالا بالسجن. وما طلبه نائبنا المذكور من مخزن مراكشة السعيدة غير ما مرة لم يبالي به مخزن مراكشة.

وحقيقة هذه القضية هي التي سنذكرها تفصيلا :

الأول : أن التاجر هولان المركاني عنده دار البيع والشراء بالدار البيضا ونوابه، واسمه مكتوب على فَسِّينته على حسب مقتضى شروط مدريد، وجعل سمساريه وهما السيد محمد بن المعطي والسيد عبد الرحمان بن المحضَّر، وبيد كل واحد منهما بَـطِنْـطِ نائبنا مطبوع بطابع المخزن. ويعلم قائدهما أنهما قبضا من التاجر هولان المذكور عددا من المال والماشية.

الثانـي : في تاريخ 8 نونبر 1883 كانا هذان السمساران بالدار البيضا ليأخذان من نائب التاجر هولان المذكور الزرِّيعة. وفي ذلك اليوم وقع قتل شيخ دكالة، وقاتله يعرفه القائد المذكور وتركه من غير قبض. وحيث رجع السمساران لدكالة نسب لهما ذلك وقبضهما من غير أن يعلم بذلك خليفتنا بالدار البيضا ومن غير إعمال الشرع وحضور الخليفة وقت الحكم عليهما على مقتضى شروط مدريد. ولا زالا بالسجن إلى الآن.

الثـالـث : أن نائبنا وجه رسوم الإثبات بأن السمسرين مظلومان وطلب تسريحهما غير ما مرة، ولم يحصل في ذلك على طائل. غير أنه تأتيه الأجوبة الشريفة بأن السمسارين سيسرحان. وقد وجه نائبنا لسيادتك رسوم الإشهاد بأن وقت قتل الشيخ كان السمساران بالدار البيضا، ومنها إلى المحل الذي قُتل فيه الشيخ خمسة وسبعون ميلا.

وبعد أن طالعت الرسوم عاهدتـه بتسريحهما في الحين، ولم توف بما عاهدته به. وبالشرط الخامس عشر من الشروط المعمولة مع مخزن مراكشة السعيدة أن الحمي يجري عليه ما يجري على الرعية، ولا يتصرف فيه أحد إلا نائب الدولة. وبالشرط التاسع من شروط مدريد أن السمسار لأحد من رعية الدولة المركانية لم يقدر أحد أن يمد يده فيه من غير إخبار النائب الذي يسمع شكواه ويتأمل فيها. وحيث يثبت عليه شيء فالنائب المذكور يحوز منه متاع التاجر المذكور ويحكم عليه.

---

11. كذا، ولاندري ما المقصود من الأربعة. فهل هي أيام أم شهور أم أعوام ؟

12. كذا، وصوابـه : لمستنظـر.

والآن فإن هذه الدعوى متينة وأن قائد دكالة قد نقض شروط مدريد، ولأجل ذلك فإني طالب في اسم دولتنا الفخيمة :

ـــ الأول : تسريح السمسارين المذكورين من غير قول ولا شرط،

ـــ الثاني : رجوع متاع التاجر المذكور الذي كان تحت أيديهما وحازه القائد من غير موجب،

ـــ الثالث : عزل القائد المذكور وتأديبه لنقضه للشروط وسعيه في الخوض بين الدولتين المحبتين.

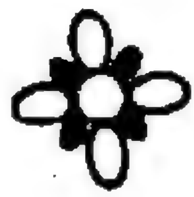
وإلا فإن لم يكن ما طلبناه لمضي عشرين يوما من تاريخه، فإني نطلب جميع المصاريف والخسارات والبطلان وغيره، زيادة ما طلبناه. ولا عمل يكون على شروط مدريد.

وحيث ثبت ظلم السمسارين المذكورين لدى مخزن دولتنا الفخيمة لا يقدر ولا يرضى أن يصبر على ذلك أبدا.

ودمت بخير. والتمام في 20 ابرورْ عام 1885.

إرْل إنكليش :

مرنْط اشكودرة جنس المركان بالأُرْبَا



4 : إنجلتـــــرا

أ : الـسـلـك الـقـنـصـلـي

أسندت النيابة القنصلية عن إنجلترا من 1852 إلى 1896 إلى ثلاثة أشخاص هم :

1. **جون ريدمان** الذي استوطن الجديدة سنة 1826 أو 1830، وعين وكيلا قنصليا لبلاده من 1852 إلى 1857. وفي هاته السنة الأخيرة صار نائبا عن هولاندة[1].

2. **أوكطاقـيوس سطوكس** Octavius Stokes الذي حل سنة 1857 محل جون ريدمان[2] كان سنة 1872 لا يزال يشغل هذا المنصب القنصلي.

3. **ألفريد ريدمان** شقيق جون وهو المدعو تصغيرا فريدو. ولا يعلم متى بدأت ولايته، ولكنه كان سنة 1886 يقوم بهاته المهمة. وفي سنة 1896 توفي. وكان حينذاك ينوب عن هولاندة[3] كأخيه وعن الولايات المتحدة وبلجيكا وألمانيا.

ب : الـمـحـمـيـون الـقـنـصـلـيـون

ب 1 : من قائمة 1886 المحلية العامة

1 ــ 4 : **الحاج محمد بن الحبيب العبادي** كان عونا، **وعبد الله بن العربي العبدي وقدور بن العربي الفرجي** مستخدمان **ومسعود بن هـارون بن شمعون** ترجمان.

ب 2 : مـن غيـــرها

5 : **يحيى عمّيل** وكان سنة 1864 ترجمانا بالقنصلية[4]، وسيأتي أنه صار محميا لإيطاليا.

---

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1، ص 158 و ج 2، ص 186 (1).
2 . المصدر السابق، ج 1، ص 169.
3 . رسالة فون بوشة إلى الطريس في 23 شتنبر 1896، محفظة هولاندة.
4 . رسالة الأمينين الحاج بوجناك البارودي والحاج احمد الزكراكي إلى بركاش في 14 حجة 1280 /21 ماي 1864، محفظة بركاش

ت : السمـاسـرة

ت 1 : من قائمة سماسرة التجار سنة 1879

1 ــ 2 : **مسعود بن قدور الفرجي ومولاي أحمد البوبحياوي البوزيراري** سمساران لشركة كرارة بقبيلة دكالة، وظل اسم الأول منهما مذكورا في قائمة 1889 تحت اسم مسعود بن عبد القادر، وقبل ذلك كان سمسارا ومحميا فرنسيا. وتفيد رسالة عن السمسارين أنهما كانا سنة 1881 سيئي السيرة ومن «المشتغلين بالهجوم وسفك الدماء والاغتيال»[5].

3 ــ 4 : **محمد بن عبد الكامل المنديلي** وأخوه **محمد** من سكان الجديدة وكانا سمسارين لشركة كارڤر Carver ثم لنائبها أنصادو في لوائح السنوات الموالية، ولكن لم يأت للثاني ذكر في غير قائمة 1879، وقد تقدم أنه صار فيما بعد عونا بقنصلية ألمانيا دون انقطاع من 1881 إلى 1897.

5 ــ 6 : **هارون بن بلاّم ومسعود بن الغزال الرويمي** من يهود الجديدة وكانا سمسارين لروبيرط أ. سپايني R.A. Spinay. وقد أصبح الثاني في خدمة القنصل ألفريد ريدمان سنة 1886 ثم مع الأخوة ليم في مدينة آسفي سنة 1889.

7 ــ 8 : **الحاج بوشعيب بن يحيى ابن الهواري العبادي البوعزيزي وشلومو ابن الفيلالي** سمساران بالجديدة لتشارليز بليسطرينو Ch. Balestrino، ولم يأت للأول ذكر في قائمة 1889، ولكنه ورد في لائحة 1895 بوصفه سمسارا لنفس التاجر، وجاء في قائمة 1886 أنه سمسار لتاجر برتغالي وللقنصل نيطو نائب البرازيل.

9 ــ 10 : **الحاج محمد بن الأحسن** (أو الحسين)، **وعلال الرثناني** سمسارا دانييل مادن. وسيصير الأول سنة 1886 سمسارا لبوخول الإسباني ثم سنة 1896 لتاجر برتغالي.

11 ــ 12 : **محمد بن ابراهيم، والحاج محمد بن الطيب الكبة الفرجي** سمساران اتخذهما لازارو دي مارية Lazaro de Maria، وكان الأخير منهما سنة 1886 و 1889 في خدمة جيمس كرارة وشركته حتى استبدل غيره به سنه 1894.

13. **الحاج محمد بن يوسف** سمسار مردوخ بوطلير من مدينة آسفي، ولعله ابن يسّف سالف الذكر مع محمد الجراري أو ابن يوسف الذي كان كاتبا للقنصل البرتغالي سنة 1865 مثلما سيرد خبره.

---

5 . رسالة السلطان إلى بركاش في 18 جمادى الأولى 1298 / 18 أبريل 1881. نفس الخفظة.

14. **ميير كوهن** سمسار ينطوب بيرجل بالجديدة.

15. **أحمد بن الحاج بوشعيب الجديدي** سمسار بيطر نيطو Peter Netto ولم يذكر فيما بعد إلا في قائمة 1895 على أنه سمسار له أيضا، وكان منذ 1893 قد طلب اتخاذه[6]. وسيأتي أنه كان محميا برازيليا.

16. **عبد الله المتولي** سمسار بقبيلة دكالة للتاجر أنصادو.

17 ـــ 18 : **الحاج أحمد البوط وعبد الله بن محمد الفرجي** سمساران لأنخيل داسْويْ DASSOY. ولعل الأول هو الحاج أحمد اللباط المنديلي الذي كان محميا لهولاندة.

ت 2 : من القائمة المحلية العامة[7]

19. **قدور بن محمد بن بوشعيب العوني** سمسار بقبيلة العونات لدانييل مادن.

20 ـــ 21 : **الحاج علي ابن العود والطيب بن محمد الكَعيصي** سمساران لبليسطرينو بالجديدة. وبقي الثاني معه حتى استبدله سنة 1891. وهو من سكان مدينة ازمور

22. **بوشعيب بن رقية الهلالي الصويري** سمسار كرارة ببني هلال وأولاد بوزرارة.

23 ـــ 24 : **حمادي بن محمد العوني الرباطي وشلومو بن شمعون** سمساران لسبيني : الأول بقبيلة العونات ويدعى أيضا حمان بن محمد، والثاني بالجديدة. وقد كان حمادي منذ ما قبل 1882 سمسارا لنفس التاجر، واشتكى جون هي بأن الشيخ الطاهر بن الحاج السبيطي من إيالة محمد بن المعطي التريعي قد سطا للسمسار على ماشيته[8].

25 ـــ 26 : **الحاج عبد الكبير التدلاوي** من الجديدة **وعلي بن محمد العبدي** من مدينة آزمور سمساران لداسوي.

27. **الحاج مبارك بن العربي الخمصاني** من مدينة آزمور وكان سمسارا لأوكوسطو بوطلير سنة 1889 ولكنه مات قبل 1895، وشطب على اسمه من قائمة تلك السنة حيث كان يعمل لفائدة ألفريد ريدمان.

28 : **الحاج بوعزة العوني** من قبيلة العونات سمسار دانييل مادن.

6 . رسالة ريدجوي إلى الطريس في 6 أبريل 1893 19 رمضان 1310. محفظة بريطانيا.

7 . ورد فيها أيضا السمساران 3 و 12.

8 . دعاوي جون هي في 25 جمادى الأولى 1299 14 أبريل 1882. القضية الأولى.

29. **الحاج محمد بن البكراوي** من مدينة أزمور وكان سمسارا لبليسطرينو.

ت 3 : من قائمة 1889 البريطانية[9]

30. **نسيم بن شمول** سمسار ابراهام يعقوب لاريدو الطنجي.

31. **محمد بن محمد العمراني** سمسار أنصادو بالجديدة.

32. **أحمد بن بوشتة الفرجي** سمسار بقبيلته لألفريد ريدمان. وقد مر بنا أنه كان محميا أمريكيا.

33. **الجيلالي بن بوشعيب العوني** سمسار دانييل مادن بقبيلته، وتقدم ذكر ابن أخيه (رقم 19 أعلاه) الذي كان سمسارا لنفس التاجر.

34. **ابن العباس بن الفقيه الصدوقي الغربي** سمسار بقبيلة الغربية لموشي بينطو الصويري منذ يوليوز 1881[10].

35. **شلومو يوسف لاريدو** سمسار الاخوة ليبي القاطنين بلندن.

ت 4 : من قائمة 1895 المحلية[11]

36. **الحاج اسماعيل بن هلال الهلالي** سمسار بقبيلته لجيمس كرارة. وكان قد طلب استخدامه سنة 1893 بدلا من الحاج محمد بن الطيب الكبة سالف الذكر رقم 12 أعلاه[12]. كان الحاج اسماعيل هذا حوالي 1884 يعمل مع بيبي لازارو عميل كرارة أيضا[13].

37. **الحاج محمد بن الوافي** سمسار بليسطرينو بدكالة، بعد أن كان التمس من المخزن منذ 1893 اتخاذه لخدمته[14].

38. **محمد بن الهاشمي البوعزيزي** سمسار بدكالة للتاجرين بيطر نيطو ولولده بعد أن كان يراد جعله في خدمته[15] سنة 1893.

---

9 . ورد فيها السماسرة : 1 — 3 — 12 — 19 — 20 — 22 — 23 — 24 — 25 — 26.

10 . من السجلات البريطانية : F.O./ P.R.O. 653/3

11 . ذكر فيها السماسرة : 3 — 7 — 15 — 22 — 23 — 24 — 25 — 26 — 31 — 32.

12 . رسالة إرنيسط سطاو إلى الطريس في 8 دجنبر 29/1893 جمادى الأولى 1311، محفظة بريطانيا.

13 . رسالة التازي إلى الطريس في 10 جمادى الثانية 19/1311 دجنبر 1893، محفظة الطريس 25.

14 . رسالة ريدجوي إلى الطريس في 21 مارس 3/1893 رمضان 1310، بمحفظة المغرب بريطانيا.

15 . رسالة ريدجوي إلى الطريس في 6 أبريل 1893 /19 رمضان 1310، نفس المحفظة.

ت 5 : من وثائق أخرى

39. **الحاج علي بن أحمد المنيوي الدكالي** سمسار للتاجر أوكوستو بوطلير سنة 1891 بمدينة آزمور[16].

40. **بوشعيب بن محمد الجديدي** سمسار شارل بليسطرينو سنة 1891 مكان الطيب بن محمد الكعيصي رقم 21 أعلاه[17].

41. **ميير ولد يوسف ابن الساهل** أريد اتخاذه سنة 1893 سمسارا للتجارين يعيش ويوسف أفرياط القاطنين بلندن[18].

ث : المستوطنون

أسوق فيما يلي نبذة عن حياة بعض المستوطنين الأنجليزيين والطارقيين.

1. **أسرة ريدمان** كان منها أربعة إخوة، قدم أكبرهم جون إلى المغرب في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، والإخوة الآخرون كانوا هم ألفريد الذي خلف أخاه بعد مدة في النيابة عن بلاده والباقيان هما كليمنت وفريدريك[19]. فجون قديم الاستيطان بالجديدة إذن. وكان له ولأخيه ألفريد سماسرة وخلطاء تقدم الكلام عنهم. ويستفاد من رسالة بركاش إلى السلطان سنة 1864 أن «باشدور دولة النجليز كان تكلم معنا سابقا مرارا بعد مرار على خزين كان بيد التاجر ردمان بالجديدة، ذاكرا أنه كان يتصرف فيه بتصريف الملكية نحو ستة عشر سنة. وهو تحت داره الساكن بها، وهو الذي بناها فوقه قائلا : إن أصل الخزين كان مَطْفِيَة في وقت البرطقيز وهو أصلحها وصيرها خزينا، وذكر أنه صير عليها مالا كثيرا وصار يتصرف فيه المدة المذكورة إلى عام 1856 من تاريخ المسيح، ذاكرا أنه كان أنعم به عليه مولانا المقدس بالله على يد الحاج موسى في ولايته.

«وذكر أنه طلبه منه خديم سيدنا الطالب أحمد بن الطاهر السملالي بواسطة خليفته بالجديدة على وجه العارية لنزول قمح المخزن إلى أن يباع، فساعدهم ردمان المذكور. ثم [إذا] به نزّلوا فيه الكبريت. وهو الآن لا زال مشغولا عندهم.

16 . رسالة وايط إلى الطريس في 20 أبريل 1891 /10 رمضان 1308، نفس المحفظة.

17 . رسالة وايط إلى الطريس في 23 يبراير 1891 /14 رجب 1308، نفس المحفظة.

18 . رسالة ريدجوي إلى الطريس في 5 يوليوز 1893 /20 حجة 1310، نفس المحفظة.

19 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2، ص 186 (1).

«ولما كان الباشدور المذكور يتكلم معي كنت ندافعه كل وقت بما يناسبه، إلى عام أول كتب لنا كتابا ووجه لنا طيه نسخ شهادة جعلها بالجديدة أنه كان له ويتصرف فيه تصرف المالك، بسبب أنه كان يكريه لمن شاء بما شاء. فصرت ندور معه في الكلام على أن يستظهر بأصل تملكه بإذن شريف أو ما يدل على ذلك بكتاب عامل. وهو لا يقبل ذلك منا محتجا بطول التصرف...

«فلما حللت بطنجة بالغنا معه في الكلام، مدعيا بقوله إما أن نستظهر له بموجبات عدم تصرف التاجر المذكور تصرف الملكية في الوقت المذكور وليس هو على وجه العارية، وإلا يقع الكتب بدفع مفاتحه في تاريخ عشري 20 ربيع الأول. وإذا لم يكن ذلك يكتب للتاجر المذكور ويأذن له بفتح الخزين بيده وبخروج الكبريت منه، وبعد ذلك يطلب كراءه في هذه المدة التي منعوه منها.

«والآن فقد أوجب الإعلام لسيدنا أعزه الله... ونحن كان تقدم الكلام عندنا مع الأمناء الذين كانوا بالجديدة في العام الأول فأخبروني أنهم لما قدموا وجدوا ذلك الهري بيد الأمناء وبداخله كبريت المخزن ولا يعرفون شيئا. وقد كثر الكلام بيننا في ذلك. ولا كتبت حتى خفت أن تقع منه جسارة ويفتح بها بابا لجلب المعرة مع كونه أمرا قريبا، وخير سيدنا أعزه الله كثير. والسلام»[20].

وتقدم أن جون كان يصدر العلك ويستورد المنسوجات سنة 1868.

2. **الاخوة كارفر** أصلهم من مدينة منتشيسطر التي كانت تصدر المنسوجات المحرفة بلفظه «كربل». هاته المصنوعات القطنية كانت لباسا للطبجية[21].

واستيطانهم بالجديدة قديم يعود إلى ما قبل سنة 1858 حينما أكروا دارا لهم بالمدينة لتاجر إسباني لمدة 50 سنة[22] ابتداء من السنة الأخيرة.

وكان سفير إنجلترا وقت نيابة محمد الخطيب وولاية أحمد بن الطاهر طلب بقاعا أخذ منها أولاد كارفر اثنتين بداخل المدينة وخارجها لبناء هريين[23].

وجاء في رسالة سلطانية أن «كربل النجليزي اشتكى[24] بأن ابن بومهدي الدكالي يبيع الحبوب للتجار قبل إبانها ويقدمون له ثمنها، وذكر أن ذلك مخالف لما صدر به أمرنا من عدم

---

20. رسالة بركاش إلى السلطان في 20 صفر 1281 /25 يوليوز 1864، محفظة بركاش.
21. رسالة االسلطان إلى الحاج محمد بنسعيد في 10 ربيع الثاني 1292 /16 ماي 1875، محفظة بنسعيد.
22. من نسخة عقد الكراء في أواخر ربيع الثاني 1275 / أوائل دجنبر 1858.
23. رسالة محمد كنون والحاج محمد الرايسي إلى الحاج محمد بنيس في 18 شوال 1287 / 11 يناير 1871، محفظة الجديدة 1.
24. في الأصل : اشترى، من رسالة إلى بركاش في 22 محرم 1279 / 20 يوليوز 1862، محفظة بركاش.

اشتراء الحبوب وغيرها من أسواق البادية. فاعلم أن الخال وجده بحضرتنا العالية بالله، فَسُئل عن أمرنا عما ذكر، فأنكر أن يكون باع ذلك بالبادية وادعى أنه وجه عربونها للجديدة وراءه التجار كلهم فيها فلم يريدوه إلا نصرانيين : واحد نجليزي وواحد لم يعرفه وإنما يعرفه صاحبه، ويهوديا. فتفاصل صاحبه معهم في بيعها، فظهر من هذا أن الخيانة في ابن بومهدي حيث باع الحبوب بالجديدة قبل وصولها إليها، لأن الشأن هو أن لا يبيعها إلا بعد وصولها إليها بعينها، وفي النصرانيين واليهودي حيث اشتروا ذلك منه واكتفوا بالعربون ولم يشتروها بعد وصولها للجديدة...

«وقد وقع الكلام مع ابن بومهدي بحيازة ما باعه للتجار مجانا، وأمرنا أمناء مرسى الجديدة بحيازته منه وبيعه بها لمن أراد اشتراءه وإشهار ذلك حتى يعرف التجار أن هذه حبوب ابن بومهدي التي باعها على خلاف الأمر. هذا جزاؤه هو، وجزاء من اشترى منه هو الحرمان من الشيء المشترى، وإن لم ينضبط الأمر بمثل هذا لا ينضبط».

3 . **روبيـــرت أ. سبايني** كان مقيما بالجديدة إلى ما بعد 1895. وفي سنة 1871 وقعت له حادثة لكمه أثناءها شخص يدعى العروسي من إيالة القائد الضوء البوعزيزي. وها هي نبذة عنها :

فقد كان سبايني حضر في موسم كبير من المواسم المحلية. ولا يُدرى السبب الذي من أجله لطم المغربي هذا التاجر الذي ثار ثائره وثائر الأجانب معاً. وتدخل القنصل «اسطكس وطلب من القائد زجر الضارب بمحضر المضروب وأعطاءه تعويضا زيادة على أجرة الطبيب والدواء».

ولما تأزمت المسألة أكد برݣاش على الحاج العربي الشراط الذي كان أمينا وربما قائدا للبلدة في «أن يقف في هاته القضية جدا ويزجر العروصي بمحضر القونص والمضروب» مع اشتراط أن «يكون ذلك بداره ويأخذ بخاطر القونص والمضروب بعد الزجر»[25]. فأجاب الشراط أن القنصل أصر على إقامة الحد أمام باب القنصلية جهارا، فامتنع القائد الضوء[26].

وكان السلطان محمد الرابع مهتما بالقضية فكتب للأمناء «أولًا وثانياً على قضية الأعروسي المسجون في شأن الواقع له مع التاجر سبايني النجليزي، وذكر ــ أيده الله ــ أنه قدم لك الكتابة بأن الدعوى المذكورة من دعاوي المخزن وليس فيها إلا الأدب. وقد أدب المسجون بالعصا وطول السجن، ولم يبق إلا تسريحه، لا سيما والتاجر هو الذي تعدى على نفسه حيث حضر في موسم كبير من مواسم المسلمين يحضر فيه أخلاط الناس وأجلافهم، وأمرنا ــ أيده الله ــ أن

---

25. رسائل مختلفة بمحفظة الجديدة 1.

26. رسالة الحاج العربي الشراط إلى برݣاش في 2 رمضان 1288 / 15 نوفمبر 1871، محفظة برݣاش. هاته الرسالة مهمة لأنها قد تدلنا على أن الحاج العربي الشراط كان يضطلع بشؤون المدينة.

نكتب في القضية ونؤكد عليك في التماس مخرج لتسريح المسجون، لانه لا يخل التعامي على إبقائه في السجن عرضة للضياع. وإنما يرحم الله من عباده الرحماء...»[27].

وكان سپايني نائبا قنصليا للدانمارك سنة 1896 كما تقدم، وكان ممثلا لشركة هيرش وريطر الألمانية من مدينة ليبسيك سنة 1896.

4 . **لازارو دي مارية** طارقي على ما يظهر من رسم اسمه، وعلى كل حال ليس من الجزر البريطانية على الراجح.

وكان لابنه پيبي Pepe (أي يوسف) سماسرة مر بنا تعدادهم. ولا شك أنه كانت له تجارة في التهريب وبيع السلاح. وفي سنة 1886 بنى پيبي هذا «كُوِرا قريبا من البحر. وكان بيده بلاد بساحل البحر بين الجديدة وتيط الجعافرة من إيالة القائد البوعزيزي لعلها كانت مرهونة لديه لأنهم كانوا يتصارفون معه»[28] وهو مكان صالح للتجارة المحظورة حسبما يبدو.

وفي سنة 1894 ورد أن أولاد التاجر لازارو ومنهم پيبي كانوا يستوردون السلاح من طنجة وينزلونه بمرسى آسفي والجديدة وخصوصا بنادق عيار 17 عمارة من عند شخص يدعى أرطورو بيتو A. Pitto كان ترجماناً لدى أمناء الدار البيضاء، غير أن السفير ساطو كذب ذلك[29].

واتهمهم عامل آسفي أيضا ببيع تلك المكاحل بعد استيرادها من طنجة. وكانوا «يجعلونها في براميل الصابون على يد ولد بوعزّ الريكْطة حماية النجليز وعلى يد يهودي اسمه ابن الدهان من حماية الافرنصيص» بالدار البيضاء وذكر أن العدة «موجودة عند الرؤساء وبعض الأعيان وعددها 8500» وأن 16 و 13 هما عيارها[30].

وشاع أنهم كانوا يحملون السلاح من الجديدة إلى قبائل دكالة وعبدة[31] وأنهم على صلة ببعض القواد. وقد توجه «پيبي لدار القائد المصدق العوني وبيده عدد من المكاحل ذات 16 عمارة، وصار يبيع فيها للعام والخاص على يد القائد المذكور. ويوم السوق حاز منه 40 مكحلة ودفعها للحاج إدريس بن عمر الشرقاوي ليبيعها في بني أزمور». واستنكر الأمناء «انحياش القائد لجانب النصارى» والأعمال التي «يأباها النفس الإسلامي» وفتحه «الأبواب المغلوقة»[32].

---

27. رسالة محمد گنون إلى برگاش في 15 ربيع الثاني 22/1289 يونيو 1872، محفظة برگاش.
28. رسالة محمد الجراري إلى السلطان في 23 جمادى الآخرة 1303 /29 مارس 1886، محفظة بريطانيا.
29. رسالة إرنيست سطاو إلى الطريس في 8 يناير 1894، بالمحفظة نفسها.
30. رسالة عبد الخالق بنهيمة إلى السلطان في 6 جمادى الأولى 1311 /15 نونبر 1893، محفظة عبد الخالق بنهيمة.
31. رسالة محمد بن يحيى إلى السلطان في 8 صفر 21/1311 غشت 1893، محفظة الجديدة 2.
32. رسالة الأمين أحمد ابن الدرقاوي إلى السلطان في 10 رمضان 28/1310 مارس 1893، محفظة بريطانيا.

5 . مستوطنـون آخــرون

ـــ **جيمس كرارة** J. Carrara كان يقطن بآسفي ولكنه سكن مدة بالجديدة ولاسيما سنة 1865 حيث كانت له دار ولنائب كارفز «دار مجزية يدفع كل واحد منهما ما ينوبه في الكراء كل عام، وذالك من عهد ولاية السيد أحمد بن الطاهر هنا، وزعما أن داراهما محتاجتان للأصلاح وطلبا منا لندفع لهما المعلمين ليصلحاها ويصلحان أهرية لهما هنا. فامتنعنا من ذلك محتجين بأن البناء ممنوع هنا بالأمر المولوي...»[33].

وكان سنة 1868 يستورد المنسوجات، وله شركة مع لازارو دي ماريه سنة 1884.

ـــ **طومــس** Thompson لعله هو جون طومسن الذي تعاقد مع حكومة بلاده لبناء مقر للقنصلية البريطانية بالجديدة. وقد استورد 120 برميلا من الإسمنت و 120 برميلا من الحجر الصم. لكن عند وضعها بالمرسى انكسرت وتشتت الكثير مما فيها، فطالب السلطة المحلية بتعويض عن هاته الخسارة[34].

ـــ **جون باتيسطي أنصادو** وهو طارقي كان ينوب عن بعض الدول مثل ألمانيا حتى توفي سنة 1908. وكانت له تجارة مزدهرة.

ـــ **ك. جــورج** C. George استوطن المدينة حتى مات سنة 1879 أو قبلها.

ـــ **نــاد** (?) Nud (?) Neud من قدماء المستوطنين، وكان سنة 1868 يستورد المنسوجات[35] ولم أقف له على سمسار ولا على خليط. لكن يجوز أن يكون نـاد تحريف نيف Peter Netto الذي هو من أوائل التجار إقامة بالجديدة.

---

33. رسالة الحاج بوجنان البارودي وأحمد الركراكي في 5 قعدة 1281 /فاتح أبريل 1865، محفظة بركاش

34. رسالة هيبرت وايط إلى الطريس في 10 أكتوبر 1889 /15 صفر 1307، محفظة بريطانيا.

35. زمام الداخل والخارج بالجديدة في 15 شعبان 1285 / فاتح دجنبر 1868، محفظة الجديدة 1

5 : إسبـــانيـــا

أ : السلك القنصلي

1. **خاكوبو أليخاندرو بوطلير J.A. Butler** عين سنة 1861 نائبا قنصليا لأسبانيا حتى عزل سنة 1866 من منصبه[1] لأسباب سيأتي الإلمام بها.

2. **خوان هيرى** خلفه في هاته الوظيفة وناب عن فرنسا أيضا[2].

3. **ألباريس بيدريرا Alvarez Pedreira** كان سنة 1870 هو المشرف على الشؤون القنصلية المحلية[3].

4. **خوسي دي بيريڭنات J. de Perignat** صار سنة 1877 نائبا، وله تآليف[4].

5. **أنطونيو روطوندو A. Rotondo** تولى هذا المنصب[5] سنة 1882.

6. غير أن نيابته لم تطل لأن **فرانسيسكو باڭير دي كورسي F. Baguer de Corsi** أشرف على القضايا المحلية من 1883 إلى أن نقل سنة 1888 إلى نابولي[6].

7. **ڭارسيا كارلوس دياث Garcia Carlos DIAZ** تولى الوكالة من 1888 إلى 1893، وله تقرير عن التجارة المحلية[7]، مثل سلفه.

وهنا تضطرب المصادر في تحديد سلسلة النواب القنصليين، ولهذا فالشخصان الآتي ذكرهما ما كانا في الغالب إلا معينين للنائب القنصلي الرسمي وهما :

---

1 . مييج «وثائق التاريخ ...» ص 118، ورسالة بوطلير إلى ابن بومهدي في 29 غشت 1866، محفظة اسبانيا التي تضم الرسائل الثلاث الموالية؛

2 . رسالة برڭاش إلى ابن بومهدي في متم شعبان 1283 /6 يناير 1867.

3 . رسالة ميري إي كولوم في 21 أكتوبر 1870.

4 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 154.

5 . المصدر السابق ج 4، ص 402 (4).

6 . نفسه ج 1 ص 67، ورسالة فرانسيسكو إلى أميني الجديدة في 10 شعبان 1301 /5 يونيو 1884.

7 . سماه مييج في «المغرب وأوروبا» ج 1 تارة كارلوس ڭارسيا، (ص 112) وتارة أخرى كارلوس دياث (ص 100)، أي أنه ترجم له مرتين.

8. **مانويل بيدايطا إي أطلايا** M. Vidaita y Atalaya تولى سنة 1892 تدبير الشؤون حتى نقل في السنة الأخيرة[8].

9. **إنريكي دي نونييث** E. de Nuñez عين لهذا المنصب سنة 1893 بعد كَارسيـ كارلوس[9].

ب : المحميـــــون

أسماؤهم واردة في وثائق مختلفة ومنها أستخرجها.

ب 1 : **من اللائحة العشارية ولائحة القنصل (1880)**

1. **العربي العوفير الرباطي** كان كاتبا حتى توفي قبل سنة 1886.

2. **محمد بن الحاج الهشتوكي** عون حتى سنة 1888 وهي تاريخ وفاته[10]. وكان في وثيقة أخرى يقوم بوظيفة «مخزني عساس على الدراهم».

3 ــ 5 : **الحاج عبد السلام بلعيد** عون أيضا، **وأحمد الأندلسي** مستخدم وطباخ، **وسالم ولد الأحمر** كان طباخا ثم صار مستخدما.

وعن الأخير قال عامل الجديدة : «وأما الولد الأحمر المشار اليه في زمام القونصو فهو وصيف، دون أشغال، اشتراه وهو عنده بداره وكتبه «متعلما» تَستُّرا. وربما إذا عزم القونصو على الركوب في البحر يسبقه على تلك الوجهة. وكنت أطلعت العلم الشريف بذلك وأخبرته بتلك الدسيسة»[11].

6. **يوسف الفرسي** وكان ترجمانا، لكن لم يذكر اسمه في وثائق أخرى بعد ذلك ما عدا إذا كان هو يوسف ولد يحيى عميل الترجمان الوارد في قائمة 1886 المذكور فيها أيضا الأربعة السابقون عنه. ويغلب على الظن أن يوسف الفرسي هذا هو الذي نقل لأحمد الناصري أقوال بعض المؤلفين من الأجانب مثل مانويل پاولو كاستيانوس الإسباني ولويز دي مارية البرتغالي. وكان صاحب «الاستقصا» في مقابل ذلك يشرح ليوسف ديوان إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي الأندلسي[12] على سبيل التبادل الثقافي.

---

8 . رسالة مانويل إلى محمد بن العربي برادة في 23 قعدة 1309 / 21 يونيو 1892، محفظة الطريس 22.

9 . رسالة العامل التازي إليه في 8 ربيع الثاني 1311 /19 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25.

10. رسالة محمد الجراري إلى الطريس في 7 قعدة 1305 /16 يوليوز 1888، محفظة الطريس 13.

11. رسالة محمد الجراري إلى برݣاش في 13 ربيع الأول 24/1297 يبراير 1880، محفظة برݣاش.

12. ليڤي بروڤنصال : «مؤرخو الشرفاء»، تعريب عبد القادر الخلادي، ص 261.

أتم أحمد الناصري بالجديدة تأليفه حوالي 1881. إذ «ظفر من عامل الجديدة بأكياس مملوءة أوراقا كلها أعانته على تحرير أخبار الدولة الشريفة، من التوقيعات السلطانية والتقريرات الوزارية. ثم تاقت نفس الناصري للوقوف على ما لا بد منه من التواريخ الأفرنجية ... فطلب من أحد القناصل الأروبيين الذين كانت لهم معاملات رسمية وودادية جلب بعض التواريخ في هذا الموضوع، فجلب منها ما تيسر واتخذ له ترجمانا خاصا من التراجمة الموظفين»[13].

ولا شك أن القنصل هو دي پيرپگنات المشار إليه سابقا من أنه صاحب المؤلفات.

ب 2 : **من لائحة 1886 المحلية العامة**

7. **يوسف ولد يحيى عميّل** ترجمان. ولا أدري هل هو نفس الفرسي متقدم الذكر الذي لم يرد اسمه في لائحة 1886.

8 ــ 11 : **محمد بن العربي الخلفي** مستخدم سكناه بقبيلة بني خلف بدكالة، **ومحمد السالمي** كان قرابا حرفته سقي الماء للقنصل، **والحاج التيباري ابن العود** مستخدم بالكنيسة، **والعباس العوفير** صار كاتبا بالقنصلية لمدة قصيرة بعد وفاة أخيه العربي، لكن إسبانيا نزعت عنه حمايتها ليتأتى له الحضور والخصام في دعوى إرثية ولتجري عليه أحكام الشرع[14]. وتقدم أنه كان سمسارا لمحمي أمريكي. وسيأتي في فصل البرتغال كلام عن شقيقه الثالث بنعاشر. أما أخوهم الرابع عبد الرحمان فكان أمينا بمرسى طنجة.

ب 3 : **من غيرهـــا**

12. **زيد القاسمي** كان محميا قبل سنة 1866 بمدة طويلة. وذكر النائب القنصلي في رسالة احتجاج أنه «يوم تاريخ 29 من شهر غشت سنة 1866 وقع بالجديدة أن المحمي الأسبنيول زيد القاسمي أخذوه وجرحوه في رأسه وضربوه وأوثقوا يده وراءه. وبهذه الحالة أدخلوه بداخل الإيالة. وعلموا جهرا أن زيد المذكور محمي من الإسبنيول مدة سنين. والولات المذكورين يخفون ذلك، وأنه في دفتر الخدام الموجه من خليفة القنصولية لدار نيابة حضرة الكتوليكية المحررة 8 أكتوبر سنة 1863»[15].

13. **ابن زكـــي** (ولعله ابن زكين) وكان شيخا لليهود بمدينة أزمور ولاه عليهم أحمد بن الطاهر السملالي سنة 1862. ولكنه مالبث أن اكتسب الحماية الإسبانية[16].

---

13. مقدمة الجزء الأول من «الاستقصا» ص 19 و 35.
14. رسالة ديوسدادو إلى الطريس في 26 أكتوبر 1886، محفظة اسبانيا .
15. رسالة احتجاج القنصلية الإسبانية، بالتاريخ أعلاه وبالمحفظة نفسها وبها رقم 94 / 286.
16. رسالة أحمد بن الطاهر إلى برگاش في 10 حجة 1278 /8 يونيو 1862، «الوثائق» ج 4 ص 225.

ت : الســمــاســرة

ت 1 : من قائمة القنصل (1880) ومن العشارية معاً

1 ــ 2 : **الحاج بوشعيب بن الحفيان** سمسار بمدينة أزمور لخوان بيرناندينو بورّاس J.B. Borras، **والحاج محمد بن اسماعيل الحمري الجديدي** سمسار مول Mollوسنطيس Sintes. وقد ورد هذان السمساران في قائمة 1886 أيضا ولو أن الأخير منهما سمي في العشارية : الحاج الحمري وتاجره سبينتة وفي قائمة القنصل : الحاج الحمري بن اسماعيل، وفي لائحة 1886 : الحاج محمد الحمري الجديدي.

3 ــ 5 : **بوعلام بن قاسم الرحموني** سمسار بُودِلُّو (أو بوطيو Botello) في العشارية أو سمسار بُيُول Pujol أو مول Moll في لائحة القنصل، **والحاج التيباري بن الغضفة** سمسار خاكوبو في العشارية أو سمسار بوطلير في قائمة القنصل، **وبوشعيب بن محمد الفرجي** سمسار سانس.

ت 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة

6 ــ 9 : **الحاج محمد بن ابّيه المنقاري** سمسار بوراس بدكالة فخدة المناقرة، **ومحمد معيزو الجديدي** سمسار سبينطا أو سينطيس، وكان قبل ذلك سمسارا لتاجر فرنسي كما سيأتي، **والحاج محمد بن الصنهاجي الفرجي الجديدي** سمسار رفائيل الذي هو بُويول (أو بوخول Pujol المقيم بآسفي، **والحاج محمد بن الحسن الجديدي** سمسار له أيضا بعد أن كان سمسارا لتاجر إنجليزي كما تقدم وسيأتي أنه صار سمسارا لتاجر برتغالي سنة 1896.

10 ــ 11 : **محمد بن عبد القادر الترياوي البوعزيزي وعلي بن مسعود الرهوني الحوزي** سمساران بالجديدة للتاجر إلياس ولد كُيو. وعن السمسار الأخير جاء في رسالة محمد بن المعطي التريعي أنه هو وأخوه عبد الرحمان وأخوه الجيلالي كانوا متقعدين عن حقوق المخزن بعد أن كان أبوهم «شيخا، ولما توفي اشتغلوا بما لا يعنيهم وتقاعدوا عن أداء ما نابهم في الواجب ولوازم الترتيب وفروا للجديدة بقصد الدخول في الحماية.وأن متروك والدهم من أملاك وبلادات وأجنات ... هي في الحقيقة للجانب المخزني»[17].

ت 3 : من وثــائق أخرى

12. **الحاج محمد بن الحاضي الدكالي** سمسار فيرناندو طورالبة F. Torralba المقيم بطنجة[18] وذلك سنة 1887، وهو من أولاد فرج.

---

17. رسالتا الجراري والتريعي إلى السلطان في 7 و 9 محرم 1304 /6 و 8 أكتوبر 1886، محافظ الترتيب العـام.

18. رسالة الجراري إلى سعيد بن بوشعيب في 27 رجب 1304 /21 أبريل 1887، محفظة الطريس 10.

13. **عبد المؤمن بن الطيب الفرجي العباري** كان فاديريكو روبيو F. Rubio الساكن ربما بطنجة يريد جعله سمسارا له بالجديدة سنة 1893. غير أن المخزن لم يسلم له بذلك لأن عبد المؤمن «كان فارا من قبيلته لقتل روح ونهب أموال». كما أن الأمناء لم يسلموا بوجود تجارة لروبيو الذي لم يكن بها مقيما ولا مسجلا بمرساها[19].

14. **أحمد ولد الحاج الفاطمي الدكالي** سمسار سينطيس Sintes المتعاطى للتجارة بالمرسى. وقد جعله سنة 1887 بدلا من سمسار آخر كان معه قبل[20] لم يرد بيان اسمه.

15. **الحاج العربي بن محمد سمانة الكلالي الذويبي البوعزيزي** طلب له أن يكون سمساراً لطوريس إي بيدال Torres y Vidal بمدينة أزمور سنة 1890. وقد سلم المخزن بذلك بعد أن كان قد مانع في تعيينه لكونه فارا من الجيش. وكان يحترف مهنة البناء بالدار البيضاء ومشغولا بما لا يعنيه[21].

ث : المستـوطنـــون

بعد حرب تطوان ولربما قبلها حل عدد من التجار الإسبانيين بالجديدة للاستقرار بها. وكانت سبع أسر قد استوطنت المدينة منها بوراس وبوخول (أوبويول) ويول Llul. قدم رفائيل بوخول إلى هاته الحاضرة سنة 1862 للتجارة في الحبوب والصوف[22].

وكان آخرون يفدون على الجديدة سرا بحيث لم يسجل بالقنصلية سنة 1883 إلا عشرون شخصا من جملة الأربعين[23]. والقادمون من إسبانيا أو من شمال المغرب كان منهم من يحترفون مهنة البناء.

وفي الفقرات الموالية سأتحدث عن بعضهم بادئا بالنائب القنصلي خاكوبو بوطلير.

1. **خاكوبو أليخاندرو بوطلير** يستفاد من تقرير بومبي قنصل فرنسا بالصويرة سنة 1869 أن بوطلير من أصل إنجليزي وأن أباه كان نائبا قنصليا لبريطانيا العظمى بالمغرب وأن شقيقه خوسي كان نائبا قنصليا بآسفي وأن أخاهما الثالث كان تاجرا بمدينة قادس.

---

19. رسالة إلى عبد المجيد التازي في 7 ربيع الثاني 1311 /18 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25.
20. رسالة الجراري إلى الغسال في 21 شوال 13/1304 يوليوز 1887، محفظة الطريس 10.
21. رسالة قنصل إسبانيا إلى الحاج عبد الرحمان الحلو في 13 شعبان 1307 / 4 أبريل 1890 ثم رسالة للسلطان في 17 جمادى الآخرة 1308 /28 يناير 1891، محفظة الطريس 18.
22. مييج : «المغرب وأوربا» ج 2 ص 482 (5).
23. أوجين هوج ومييج : «الأروبيون...» ص 10.

ولد خاكوبو بتطوان أو نشأ بها في صغره. ولما أحدثت إسبانيا نيابات قنصلية بمختلف الثغور سنة 1861 كان السبّاق إلى تمثيلها بالجديدة بعد أن اختار الجنسية الإسبانية. وبهاته المدينة تخلق بأخلاق أهلها وساير عوائدهم. وظل من ذلك الوقت نائبا عن إسبانيا حتى عزل سنة 1866 لأسباب سيأتي بيانها.

وقبل أن أعرج عليها وعلى مغامرته بنواحي سوس ووادي نون وسجنه هناك مدة ثلاث سنوات سنرى ما قالته الوثائق المغربية عن علاقته مع السلطة المحلية.

يظهر أنه عين سنة 1860 نائبا قنصليا لا سنة 1861 كما تقدم، ولكن المخزن لم يكن على علم بهذا التعيين الذي يتعلق به. فقد اشتكى سفير إسبانيا بأن «خديم مولانا الطالبَ أحمد بن الطاهر الزموري منع خليفتهم في الجديدة من تعليق سنجقهم في داره». وكان جواب النائب السلطاني أن العامل لم يمنعه و«إنما أراد خليفة الصبنيول لما يعلق السنجاق يخرجون عليه من الأبراج إحدى وعشرين من المدافع. فلم يساعده ابن الطاهر على ذلك وبقا الأمر واقفا عند ذلك وأيضا هذا الخليفة الذي بعثه نائب الصبنيول إلى الجديدة من غير كتاب فإنه عمل حاجة عن غير القانون...»[24]. لأن الأدب كان يقتضي إعلام السلطة المخزنية بطنجة بهذا التعيين. ولربما كان في احتلال إسبانيا لمدينة تطوان آنذاك مبرر لهذا الافتيات.

ولم تكد تمر سنتان على ذلك حتى اشتكى من أحمد بن الطاهر في قضية حماية ابن زكري من أن «هذا النائب المذكور دخل تحت حمايته عدد كثير من المسلمين واليهود، ومازال يقبل كل مَن جاء إليه. فوقع اختلال في الأمور المخزنية من أجل ذلك. ولما طلبه الخليفة بتعيين أصحابه ليكون منهم على بصيرة أجابه بأن كل من ادعى الانحياش إليه يتركه عنه»[25].

وحدث له شنئان مرة أخرى مع ابن بومهدي. فقد كان بوطلير يشجع أولاد ذويب وأولاد حسين من جوار الجديدة وأزمور على عصيانه[26]. وتقدم لنا ما ذكره النائب القنصلي عن اعتقال ابن بومهدي للمحمي زيد القاسمي والاحتجاج عليه.

أما عن مغامرته بالجنوب فقد جاء في تقرير بُومسي أن بوطْلير قام في أبريل 1866 برحلة استكشافية فركب متنكرا متن سفينة إنجليزية إلى الصويرة. ولما فاتح قنصل بلاده بهاته المدينة بما يريد سلوكه من طريق لم يساعده بل نصحه بالذهاب بحرا إلى جزر الخالدات ومن ثم له أن يلتحق بالشاطىء الأفريقي لأن طريق البر غير مأمونة.

---

24. رسالة الخطيب إلى السلطان في 22 ربيع الثاني 1277 /7 نونبر 1860، «الوثائق» : ص 214 — 215.

25. رسالة أحمد بن الطاهر إلى بركاش في 10 حجة 1278 /8 يونيو 1862 في «الوثائق» 4 ص 226

26. رسالة ابن بومهدي إلى بركاش في 25 صفر 1283 /9 يوليوز 1866، محفظة بركاش.

كانت الرحلة مدبرة ومهياة بدقة على ما يبدو بالرغم من تصريح قنصل إسبانيا بالصويرة من أن ذلك «كان مغامرة تجارية شخصية محضة من غير علم الحكومة التي لم تلق لها بالا».

ولا ريب أن الشيخ الحبيب بن بيروك كان على اطلاع عليها لما سافر إلى تنيريفي وإلى مدينة قادس حيث التقى بأوساط تجارية إسبانية وكان معه خاكوبو نفسه الذي تقدم أن له شقيقا بمدينة قادس يتعاطى التجارة بها. وكان المراد محاولة فتح مركز تجاري بتلك الأصقاع الجنوبية.

وبعد أسابيع قليلة من هذا السفر حملت الأخبار وصول بوطلير إلى وادي نون وحسن استقباله من لدن الأشياخ المحليين وتبودلت حمولة أو حمولات من البضائع. ثم ذهب خاكوبو ونصارى آخرون إلى كلميم وأحسنت ضيافتهم وتذاكروا في الأوفاق التي ينبغي أن تبرم لإنشاء مركز تجاري بالنواحي الشاطئية.

فماذا وقع بعد ذلك ؟ لقد شاع أن بوطلير لَمَّا لم ينجح في الاتفاق مع الشيخ الحبيب أراد الانصراف إلى حال سبيله، فأبقاه الأخير سجينا عنده مع اثنين آخرين من رفقائه.

تضاربت الأقوال في مشاريع هذا المغامر، فهناك من يقول : إن الميناء الجديد سيوضع تحت الحماية الإسبانية وأن رؤساء وادي نون لا يريدون سماع حديث عن حماية إسبانية. وآخرون قالوا : إن الشيخ الحبيب أمر بحمل شحنة من الشعير ليبادل بها سلعا تأتي بها سفينة أخرى طلبها. وبين هذين القولين عن اعتقال بوطلير يبدو أن الرواية الأخيرة أقرب إلى الصواب، في نظر بوميي الذي نقل عنه خبر سياحة خاكوبو.

ومهما يكن — يضيف القنصل الفرنسي بالصويرة — فقد استقبل احتجاز بوطلير بعدم التصديق ثم بعدم الاكتراث. فلا أحد يستطيع إعارة أهمية ما لهذا النزاع الذي كان سببه تقلب في مزاج الشيخ الحبيب الذي لن يلبث أن يعقد اتفاقا جديدا مع نصارى آخرين ذهب هو بنفسه إلى إسبانيا للمناداة عليهم.

وقد اكتشف أنه كان لبوطلير جماعة من الأعوان السريين بالقنصلية الإسبانية. فمن أين كانت تأتيه الأموال بين الحين والحين ؟ ثم إنه حاول أن يسترجع حريته بكل ما يستطيع فلم يفلح. ولعله طلب معونة حكومته، ولربما خاطب السلطان الذي قد يكون رد على ذلك ردا سيئا بأن بوطلير لم ينل إلا العقاب الذي يستحقه : فلماذا ذهب إلى هناك إذن ليشترك في التهريب مع لصوص وعصاة ويخلق التشويش في تجارة الإيالة ؟

ولم تقتنع المفوضية الإسبانية بهذا الجواب. ولعلها ألحت بشدة على رفع هذا الاعتقال عن رعاياها. ولربما تدخل المخزن بواسطة المرابط الإليغي لإجراء مفاوضات مع الشيخ الحبيب الذي اشترط دفع فدية 27 ألف قرش لتحرير السجناء. ومن جهة أخرى تحمس فليبي ريثو قنصل

إسبانيا بالصويرة للأفراج عن المعتقلين فأرسل من صندوق الغرامة الحربية دفعة أولى قدرها 50 ألف فرنك أو 10 آلاف قرش إلى ايت باعمران المجاورين لوادي نون. لكن وزير بلاده بطنجة تبرأ من عمله وأمره بالكف عن الخوض في هاته القضية[27].

وقد سرح من اعتقاله وعاد إلى المغرب وإلى الجديدة حيث كان له سنة 1880 سمسار أو أكثر. وقد يكون ممن واصلوا السكنى بالجديدة فكانت لهم أملاك حسبما سيأتي في فصل إيطاليا.

2 . مستوطنون آخرون

— **خوان بيرناندينو بوراس** الذي استوطن آسفي أيضا وكان شريكا لرفائيل R. Moll مول القاطن بالصويرة. وكان لهما شريك ثالث هو **خوسي بيبي** J. Vive الذي حل بالجديدة سنة 1859. فكان لهاته الدار التجارية بين 1860 و 1875 شأن كبير[28]. وكان بوراس قد استجلب الحَضْرَة من الخارج أي «إقامة» لبناء المقر القنصلي[29] فلعله كان بناء أيضا. وكان لبوراس سماسرة، وكان سنة 1868 من مصدري الصوف والشحم خاصة[30]، وبقي يعيش بالجديدة إلى ما بعد 1894.

— **باروصو** : Baroso (?). كان «أمينا» بمرسى الجديدة سنة 1879، وقد جاء عنه أنه وسق عبدين إلى الخارج، فوبخته حكومته على ذلك لما ذهب إلى مدريد[31].

— **كايطانو** ... Gaetano. وسق هذا التاجر، الذي لم يرد بيان نسبه، عبدا من المرسى بترخيص من النائب القنصلي متبعا في ذلك ما فعله تاجران إنجليزيان وتاجر إيطالي قبله سنة 1879. فأمر السلطان نائبه بركاش بالتدخل لمنع ذلك في المستقبل[32].

— **مانويل پويرطا** M. Puerta طلب سنة 1893 من الأمناء أن يبنوا له هريا بالجديدة فصدرت الموافقة على ذلك مبدئيا[33]. ولم أقف على سمسار أو خليط للثلاثة الأخيرين.

---

27. من تقرير أوغوست بومبي قنصل فرنسا بالصويرة باختصار، تاريخه 4 ماي 1869 ونصه في كتاب مييج ص 117 — 122 : «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن 19».
28. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 518 (2) و ص 484 (5).
29. رسالة بركاش إلى أمناء الجديدة في 10 شوال 1296 /27 شتنبر 1879، محفظة بركاش.
30. زمام الداخل والخارج بالجديدة في 15 شعبان 1285/ فاتح دجنبر 1868، محفظة الجديدة 1.
31. رسالة السلطان إلى بركاش في 7 رمضان 1296 /25 غشت 1879، «الوثائق» : 4 ص 465.
32. رسالة السلطان إلى بركاش في 24 شوال 1296 / 11 أكتوبر 1879، «الوثائق» : 4 ص 476.
33. رسالة محمد ابن يحيى إلى السلطان في 28 رمضان 15/1310 أبريل 1893، محفظة الجديدة 2.

ــ گيليرمو سينطيس G. Sintes التمس سنة 1887 أن تبنى له دار حسب قاعدة 6 في المائة[34]. ولعله هو التاجر الذي تقدم ذكر سمساره رقم 14 أعلاه.

ــ **البناؤون** : كانت الجديدة محط رحال عدد من المهاجرين الحرفيين الإسبانيين كالنجارين والبنائين والفلاحين. ومما يذكر أن السلطان حظر على الوافدين امتهان حرفهم قبل سنة 1892 وبعدها حتى يطلبوا رخصة السلطة المحلية فيما يفعلون من بناء أو إصلاح «لأن أرض الجديدة ملك للمخزن لا لغيره». ولما كثر الترامي على أرض المدينة جعل المخزن البناء حسب قاعدة 6%[35]. ولكنهم قلما كانوا يلتزمون بالشروط، فأمر الحسن الأول نائبه الطريس بمساندة عامل الجديدة في تثقيف البناء وحث الدوائر الأجنبية على الوقوف عند هذا الحد[36].

وكان بالجديدة أيضا بناءان طارقيان وبناؤون إسبانيون صغار. فأجاب القنصل الإسباني إنهم «ليسوا صغار السن بل إن واحداً منهم كان له أكثر من 25 سنة من العمر»[37].

---

34. رسالة السلطان إلى الغسال في 2 قعدة 1304 /23 يوليوز 1887، محفظة الطريس 10.
35. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 شعبان 1309 /6 مارس 1892، محفظة الطريس 22.
36. رسالة السلطان إلى الطريس في فاتح قعدة 1309 /28 ماي 1892، نفس المحفظة
37. رسالة مانويل بيدايطا إلى محمد بن العربي برادة في 26 قعدة 1309 /22 يونيو 1892، نفسها

6 : إيطـاليــا

أ : السـلــك القنـصلـي

الشخص الذي مثل إيطاليا هنا كان هو كارلو مورطيو متقدم الذكر بالدار البيضاء. فقد كان ينوب عنها طيلة عقود منذ سنة 1864 أو قبلها وحتى بعدها[1]. وكانت رقعة نشاطه متسعة امتدت من طنجة حيث كانت له دار، إلى مراكش حيث كان له سماسرة وخلطاء. ومن الراجح أن يكون له خلفاء بالجديدة لم أقف عليهم، إلا ما كان من برودو Brudo الفرنسي حوالي 1867.

ب : المحميون القنصليون والاستثنائيون

ب 1 : من القائمة العشارية

1 ـ 5 : **الحاج محمد البركاوي** كاتب، **ومحمد بن ادريس** عون، وقد وردا معا في جميع القوائم ومنها لائحة 1894، و **العربي بن ادريس** ولعله شقيق السابق، وهو عون مثله ذكر في قائمة 1886، و **شلومو الأشقر** ترجمان، و **أحمد بن مبارك** مستخدم.

6 ـ 7 : **الحزان موسى مصلياح** (وقد يكون صواب نسبه هو المْسيّح) وهو محمي استثنائي، و **يحيى عمّيل زُريوَل** مثل السابق قبل معاهدة مدريد وذكر في قوائم 1886 و 89 و 96 فورث أبناه الحماية عنه. ولعله هوالترجمان بالقنصلية البريطانية المذكور فيها سنة 1864.

ب 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة

8 ـ 15 : **إسحاق بن يحيى عميل** وأخوه **سعدية** و **ابراهام الهنتاتي** من أزمور، وسيصير كاتبا بالقنصلية الألمانية ابتداءا من 1890 كما تقدم، و **شلومو بن شمعون** من الجديدة

---

1 . رسالة مورطيو إلى ابن بومهدي في 20 حجة 1281 /16 ماي 1865، محفظة إيطاليا.

و **الحزان يعيش بورجل**، وكان قبل ذلك ترجمانا بقنصلية النمسا، **وروبين بورجل**، **و موشي بن قاسيس الأزموري و مير بن يَشَان** من مدينة الجديدة، وجميعهم كانوا محميين استثنائيين.

16 . **الجيلالي الكْلَيم** مستخدم.

ب 3 : من القوائم السنوية

17. **محمد بن الحاج قاسم** ترجمان مؤقت في جميع القوائم من 1889 حتى 1894.

ت : السمـــاســـرة

ت 1 : مـن العشـاريــة

1. **بوشعيب ابن الغميز** (أو ابن القميز في قائمة 1886 المحلية) سمسار يحيى عميل.

2 : **الحزان يعيش بورجل** تقدم أنه كان محميا استثنائيا ثم صار سمسارا لدابيد أزولاي الطنجي حتى جرد من السمسرة سنة 1888[2].

3 ـــ 4 : **محمد بن الفاطمي العمري العوني** سمسار كارلو مورطيو بقبيلة العونات ومثله : **محمد بن العباس الهمادي البوعزيزي** بقبيلة أولاد بوعزيز في جميع القوائم ومنها لائحة 1894.

جميع هؤلاء السماسرة ورد ذكرهم في قائمة 1886 المحلية العامة أيضا.

5 ـــ 7 : **روبين بورجل** سمسار دابيد أزولاي وكان محميا استثنائيا، **وموشي الدرعي** سمسار يحيى عميل، **وشلومو عميل** سمسار يوسف طونيدانو في لائحتي 1889 و 1891.

ت 2 : من قائمة 1886 المحلية

8 ـــ 10 : **الحاج الواعدودي بن بوشعيب بوظهر** سمسار كارلو مورطيو بمدينة أزمور، **وأحمد بن الحاج الهاشمي الهلالي** مثله له بقبيلة بني هلال **وشلومو ولد موحو** سمسار يحيى عميل بمدينة الجديدة.

ت 3 : من القوائم السنوية الإيطالية

11 . **موشي بن قاسيس الأزموري** سمسار دابيد أزولاي في لوائح 1888 ـــ 1894.

---

2 . رسالة جانطيلي إلى الطريس في 26 أكتوبر 1888، محفظة إيطاليا، التي وردت فيها أيضاً الرسائل الموالية :

12 ـ 13 : **إسحاق عميل وسعدية عميل** سمساران لأبيهما يحيى ثم لتاجر المانى، والسماسرة الثلاثة السابقون تقدم أنهم كان محميين استثنائيين.

وكان أولاد يحيى عميل زريول سنة 1891 يريدون بناء عرصة مثل مادّن الإنجليزي وبوطلير الصبنيولي اللذين لهما أملاك مجاورة لعرصة أولاد عميل. فردت السلطة على طلبهم بأن «الجديدة ممنوع إحداث البناء بها لأنها هي والدار البيضاء سواء في كون أرضها للمخزن ولا يملك أحد منها إلا الزينة فقط»[3].

14 ـ 15 : **أحمد بن المعطي** سمسار كارلو موراطيو بمدينة أزمور في قوائم 1888 ـ 1894، **والحاج بوشعيب بن القرشي** سمسار له أيضا سنة 1894.

16. **نسيم بن شمعون** (أو بنسمحون) سمسار موشي ويحيى ابن الصائغ الطنجيين حتى سنة 1889 وفيها أسقطت حمايته[4].

ت 4 : **مـن غيـرهـا**

17. **الحاج محمد العمري** سمسار كان سنة 1891 يعمل لفائدة دابيد أزولاي [5].

ث : المستـوطنـون

1. **كارلو موراطيو** من أشهر نزلاء الجديدة وعميد الجالية الإيطالية. كان تاجرا في تصدير الصوف والحبوب واللوز والشمع والليطرون. وقد أسس بالجديدة معملا لصنع الماقارونية وتقطيع الشموع ونشر الخشب حسبما سبق الكلام عنه في مواطن مختلفة. اتخذ لنفسه سماسرة واشترك مع أشخاص آخرين ها هي أسماؤهم حسبما وقفت عليها في رسالة تشوبها ركاكة وتحريف وجهها سنة 1865 إلى ابن بومهدي : «الشيخ امبرك الحريشي وأخواتيه : **عبد القادر وعلال وبوبكر وبوعلي ومُبَرَك** : لنا بذمتهم عشرة قنطار من الجلد البقري...، وتشد العضود لصاحبنا ونائب حَمِيله **هارون بن الفلالي** ...، وبذمة الحاج **أحمد بن معتوق** عشرون قنطار من الصوف الجزة ...»[6].

2. **جيو باتيستا كَاراسينو** Gio Battista Garassino كان سنة 1886 مصدرا للحبوب[7].

3. **فابريسيو بيركَونسي** Fabrizio Bergonzi وكان قبل سنة 1875 عضوا في اللجنة المغربية الإيطالية المكلفة بفض دعاوي المحميين من آل الدكالي[8].

---

3 . مسودة جواب إلى سفير إيطاليا في 14 صفر 1309 /19 شتنبر 1891.
4 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 3 ماي 1889.
5 . رسالة كنطاغالي إلى الطريس في 18 غشت 1891.
6 . رسالة موراطيو إلى ابن بومهدي في 20 حجة 1281 /16 ماي 1865.
7 . تقييد في 9 يوليوز 1886، محفظة الطريس 8
8 . رسالة باولو كَراندي إلى بركَاش في 10 غشت 1875، محفظة بركَاش.

7 : البرتغـال

أ : السلك القنصلي

1. **تيتو بلانكي** **Tito Bianchi** كان من أول النواب القنصليين عن البرتغال بالجديدة سنة 1862 على الخصوص[1].

2. **محمد العلج البرتغالي أو ميكْيل دو كاسطرو** **Miguel do Castro** صار سنة 1865 نائبا عن بلاده[2]. وقد مَنَّ الله عليه بالدخول إلى الديانة الإسلامية. ولذلك عزل عن تمثيل بلاده.

3. **بيطر نيطو** الإنجليزي مثل البرتغال بعد ذلك بقليل أو بكثير قبل سنة 1884.

4. **جواو جوزي ألفارة** **J. J. Alfarra** البرتغالي أُسندت إليه بعده الشؤون القنصلية ولمدة طويلة .

5. **ابنه جوزي بيريش ألفارة** قام بالأمر بعد سنة 1896.

ب : المحميون

ب 1: من القائمة العامة البرتغالية (1880) ومن العشارية

1 ـــ 5 : **محمد بن عثمان العمراني** كان كاتبا كما قام بهذا العمل بالقنصلية الألمانية، و **حامد بن سعيد ابن ياسين** (أو حمو بن سعيد) وكان مستخدما، و **الغندور ابن العكارية** عون، و **شنطوب كوبهن**[3] ترجمان و **محمد بن الجيلالي الزموري الهلالي** مستخدم، ولكنه انتقل سنة 1898 إلى القنصلية السويدية حيث صار مستخدما بها أيضاً.

---

1 . رسالة بلانكي إلى أحمد بن الطاهر في 26 شوال 1278 /26 أبريل 1862، محفظة البرتغال، ومييج في «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 486 (2) ذكر أن نسبه هو بيانكي Bianchi.

2 . رسالة دو كاسترو إلى ابن بو مهدي في فاتح يناير 1866، بالمحفظة المذكورة.

3 . الذي كان انيد من 300 شخص تحت حمايته (ميج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 357).

ب 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة[4]

6 ــ 8 : **محمد بن الطاهر الشيظمي** كاتب حل محل محمد العمراني، و**محمد الربيعي الجديدي** مستخدم ورقاص، و **الحاج بوشعيب كبيبة البوعزيزي الجديدي** عون.

ب 3 : من قائمة 1896 المحلية

9 ــ 13: **موشي صبَّاح** ترجمان، و **عبد الكريم الأندلسي** عون، و **مير بن شمعون** مستخدم، و **محمد بن حميدة** محمي استثنائي أو «حماية من طنجة»، و **الحاج محمد بن يوسف** عون.

ب 4 : من غير ذلك

14. **الحاج محمد بن يوسف**، ولاشك أنه غير السابق الذي لن يكون على الراجح إلا سميه، لأن الأول كان عونا سنة 1896 وهذا كان كاتبا بالقنصلية البرتغالية سنة 1865. وعن الأخير سأل برگاش عامل الجديدة وعن حاله و«هل هو من أهل الخيارة أم لا، وهل عليه تباعات ودعاوي لأحد. أما التباعات والدعاوي فلا علم لي بشيء ولا اشتكى به أحد أن في ذمته شيء. وأما مصارفته ·فمن أقبح أهل زمانه، وهو كأهل وقته. وعلى كل حال هو أسهل من صاحبه وقونصوه ومن يهودي ترجمان مع القونصو المذكور. والطيور على أجناسها تقع. وأمرهم كلهم يضر و لاينفع، والأمر لله».[5] وقد يكون هو المذكور سمسارا لتاجر إنجليزي سنة 1879، ولعله أيضاً الحاج محمد بن يَسَّف الفرجي صاحب النزاع مع العامل الجراري حسبما تقدم من أنه كان سنة 1889 محتميا بإسبانيا.

15. **بنعاشر العوفير** كان قد طلب الحماية البرتغالية فلم تقبل الحكومة لأنه كان على نزاع مع شقيقه العباس ومع الحاج مصطفى جسوس في مسائل إرثية، وتبودلت في شأنه مراسلات عقيمة بين المفوضية البرتغالية والنيابة السلطانية بطنجة[6]. وتقدم أن هذا المحمي كان تاجرا بمدينة منتشيسطر عددا من السنين وترتبت عليه ديون.[7]

ت : السماسرة

ت 1 : من القائمة السنوية العامة (1880) ومن العشارية

---

4 . ورد فيها أيضا المحميون: الأول والرابع والخامس.

5 . رسالة ابن بومهدي إلى برگاش في 19 ربيع الثاني 1282 /11 شتنبر 1865، محفظة برگاش.

6 . بلغ عددها 21 رسالة، فقط بين 23 رجب و 10 رمضان 1304 /17 أبريل ــ 2 يونيو 1887، محفظة المغرب البرتغال.

7 . ص 69 من الجزء الأول.

1 ــ 2 : **بوشعيب بن الدكالي** و **محمد بن الدكالي** وهما اسمان محتاجان إلى توضيح و كانا سمسارين للقنصل ألفارة. وقد ورد الأخير منهما في العشارية هو والمحمي السابع محمد الربيعي بوصفهما سمسارين.

ت 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة

3 ــ 6 : **محمد بن سعيد الحركاتي البوعزيزي** سمسار ألفارة بقبيلته، و **الحاج بوشعيب بن يحيى ابن الهواري العبادي البوعزيزي** سمسار بيسينتي كُونصاليش V. Gonzalez بالجديدة. وكان قبل ذلك سمسارا للتاجر الإنجليزي نيطو، و **ابراهيم الجعفري البوعزيزي** سمسار ألفارة أيضا بأولاد بوعزيز، و **محمد ابن العكارية** سمسار لويز كُونصاليش، وهو من أولاد فرج وكان يقطن بالجديدة.

ت 3 : من قائمة 1896 المحلية البرتغالية[8]

7 ــ 18 : **الحاج محمد بن لحسن** (= الأحسن أو الحسن) **الجديدي** و **هارون بن واعيش** سمساران للويز كُونصاليش، و **الحاج الواعدودي البرگاوي** و **عبد الله بن رحمون** سمساران لمنويل كولاصو، و **ابراهام عميّل** و **الحاج سعيد بن يوسف** سمساران لخوان ألفارة، و **هارون واقنين** سمسار شلومو أزنكوط، و **موشي بن يوسف بن شمعون** سمسار شلومو كابيص، وأخوه **مسعود** سمسار پاكو (أي فرانسيسكو) ألفارة، و **محمد بن عبد الرحمان البوزيراري** مثله في السمسرة لنفس التاجر، و **إسحاق حمو** و **حيوط بوحبوط** سمساران لروبين كوهين.

ث : المستوطنون

أسرة ألفارة كانت مشهورة في الأوساط البرتغالية بالجديدة. وكان لبعض أفرادها سمسرة وشراكة مع أهل المدينتين وأحوازهما. كان لجواو ألفارة ولابنه جوزي بيريش خلطة كثيرة مع المغاربة من بدو وحضر. وقد ترامیا على بحري وجندي من سلاح المدفعية وتخالطا معهما. ولهذا سجنهما العامل الجراري سنة 1887، فتدخل النائب القنصلي ذاكرا أنهما في حمايته. ومن الذين اشتركوا معه الحاج الطاهر بن محمد العباري الشهبي الفرجي الذي كان شيخا وتقعد على أموال المخزن[9].

وحتى من طنجة كان لبعض موظفي المفوضية البرتغالية خلطة مع دكالة وأولاد فرج ولا سيما سباسطيان كيشادة[10] ومانويل كولاصو حسبما سبق ذكره.

---

8 . رقمها بمكتبة تطوان هو 69 /33 وتاريخها هو 17 حجة 1313 /30 ماي 1896 وهي بإمضاء القنصل جواو جوزي ألفارة، وفيها أن المحميين 6 و 7 كانا سمسارين، كما ورد فيها أيضا السمساران 3 و 4.

9 . رسالة الجراري إلى الحاج محمد الغسال في 28 شوال 1304 /20 يوليوز 1887 ورسالة السلطان إلى الطريس في 26 ربيع الثاني 1305 /11 يناير 1888. وعن هذين الجنديين توجد وثائق كثيرة في شوال وقعدة 1304، محفظة الطريس 10.

10. رسالة الجراري إلى الغسال في 4 قعدة 1304 /25 يوليوز 1887 بالمحفظة المذكورة.

8 : فـــرنـــســـا

أ : الســلــك القـنـصـلـي

1. **كليمنت ريدمان** كان وكيلا قنصليا لفرنسا[1] في زمن لعله ما قبل 1865.

2. **خوان هيري** كان في السنة الأخيرة يقوم بهذه المهمة حسبما تقدم في الفصل الخامس.

3. وقبل 1865 استوطن **جوزيف برودو J. Brudo** الذي هو من يهود فرنسا مدينة الجديدة[2] وصار نائبا قنصليا هو، أو إ. برودو E. Brudo. والراجح أن الأول منهما ناب عن بلاده آنذاك أو سنة 1884 على الأكثر[3] وأن هذين الشخصين ربما كانا ذاتاً واحدة.

4. **إسحاق برودو** خلف أباه جوزيف بعد ذلك. وكان قد أحدث سنة 1891 خطا بريديا بين مراكش والجديدة فاستنكر المخزن عمله الذي كان بدون رخصة حكومية[4].

ب : الـمـحـمـيـــون

جاء ذكر المحميين والسماسرة في مصادر شتى.

ب 1 : من العشارية والقوائم السنوية الفرنسية العامة

1 ــ 5 : محمد بن أحمد (أو حمو) عون، و **عبد الله بن محمد** و **النويني بن شمعون بورجل** مستخدمان، و **المعطي بن أمينة** كاتب، و **ابراهيم بيكّو الزناتي** ترجمان، وكلهم وردوا في القوائم الفرنسية من 1879 إلى 1882.

ب 2 : من قائمة 1886 المحلية العامة[5]

6 ــ 11 : مسعود بن قدور عون وكان قبل ذلك سمسارا كما سيأتي، و **حكّي الشلح** مستخدم، و **الحزان داويد كوهين** من يهود أزمور، و **هارون بن بيكّو** وسيأتي أنه هو أو سميه

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 186 (1).
2 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 85.
3 . رسالة جوزيف برودو إلى محمد الجراري في 6 ربيع الثاني 1301 /4 يبراير 1884، محفظة فرنسا.
4 . مسودة رسالة إلى نائب فرنسا في 18 جمادى الأولى 1309 /20 دجنبر 1891، بالمحفظة نفسها.
5 . وقد ورد فيها أيضا المحميون : 3 و 4 و 5.

كان ترجمانا بالقنصلية النمساوية، و **يوسف بن عدي المسفيوي**، و **نسيم بن شمعون** الذي هو من يهود الجزائر. والأشخاص الأربعة السابقون كانوا محميين استثنائيين.

ت : الســمـاســرة

ت 1 : مــن العـشـارية

1 ـ 2 : **يوسف الزناتي** سمسار جوزيف برودو، **ومحمد الزمراني** مثله، وقد وردا معا في القوائم الفرنسية من 1879 إلى 1886 وفي قائمة 1886 المحلية العامة بنفس الصفة وكذا في القائمة الثلاثية.

ت 2 : من القائمة الثلاثية الغفل (قبل سنة 1883)

3. **الحاج الهاشمي بن علي** سمسار بروسير فيريوه من 1879 إلى 1882 ولكنه توفي وشطب على اسمه في القائمة الفرنسية العامة سنة 1883، وهذا هو ما يفيدنا بتاريخ هاته القائمة الثلاثية الغفل. وكان قبل ذلك سمساراً لكنيبة.

4 ـ 5 : **الحاج على بن مسعود الحوزي الرهوني** سمسار آخر له، **ومحمد معيزو الجديدي** سمسار مينار وكنيبة.

6. **مسعود بن قدور الفرجي** سمسارهما، وكان قبل ذلك سمسارا لتاجر إنجليزي.

ت 3 : من القوائم الفرنسية العامة[6]

7 ـ 8 : **يوسف عُبادية وهدّان الزناتي** سمساران لأرتوس (1879 ـ 1883)، وكلاهما ذكر في قائمة 1886 وهما من يهود الجديدة.

9 ـ 10 : **مسعود الباز** سمسار لفيريوه (1883 ـ 1886) حل محل الحاج الهاشمي بن علي رقم 3 أعلاه، **وميمون البحر** سمساره أيضا (1879 ـ 1886).

11. **الحاج علي بن شعيب**[7] سمسار مينار (1882 ـ 1886) بالجديدة.

12. **الحاج محمد ولد قاسم ولد مبارك** سمسار بدكالة لجاكطي المقيم بالصويرة (1884).

---

6 . سأجعل بين هلالين تاريخ ورود السماسرة في القوائم.

7 . يضطرب اسم هذا السمسار في جملة من الوثائق فهو في إحداها : الحاج الفاسي بن الشيهب، وهو علي بن الشريف في وثيقة أخرى، وهو في وثيقة ثالثة علي ولد عائشة، وكلهم كانوا في خدمة مينار.

13. **هارون كويهن** سمسار دابيد ليون كويهن المقيم بمرسيليا (1884 — 1885)

14 — 15 : **أحمد بن الأحسن** سمسار مونطيل (1880 — 1881)، **ومحمد السماعلي** سمسار برودو (1884).

ث : المستوطنون

كانت الجالية الفرنسية بالجديدة ضعيفة العدد[8]. وكان من أفرادها :

— **ماريوس ݣارسان** M. Garcin وقد حل بالمدينة سنة 1834 بوصفه ممثلا لدار تجارية من مدينة مرسيليا[9].

— **جان لوي سيڤيراك** J.-L. Sévérac استوطن المدينة حوالي سنة 1866 ولكنه انتقل بعد ذلك إلى مدينة الرباط، وهو من مواليد سنة 1840.

— **برودو** جوزيف وابنه إسحاق. وقد وصل جوزيف سنة 1866 أو قبلها. وكان تاجرا، ومن تجارته تصدير جلود البقر وغيرها سنة 1865[10]. وهو من مواليد 1833. وأسرة برودو قديمة الاستيطان هنا منذ بداية القرن الثامن عشر[11].

---

8 . تنظر الصفحة 813،الجزء الثاني.

9 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 52.

10. نفس المصدر ص 85.

11. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 26 (7).

9 : باقــي الـــدول

وهي بلجيكا والبرازيل والنمسا والدانمارك والسويد والنرويج وهولاندة. وسيأتي الكلام عنها في ستة مطالب.

المطلب الأول : بلجيكـــــا

أ : السلك القنصلـــي

1. ر. **كوول** R. Cowell كان قبل 1868 نائبا قنصليا[1].

2. **فليكس ديزگينس** F. Desguins تولى المهام القنصلية من 1868 إلى 1878 وكان مهندسا معدنيا[2].

3. **ألفريد ريدمان** أسندت إليه هاته الوظيفة قبل 1881 وبعدها[3].

ب : المحميـــــون

ب 1 : مــن العـشـاريـة

1. **شلومو الدرعي الرويمي** كان ترجمانا ورد ذكره في جميع الوثائق ومنها قائمة المحميين البلجيكيين العامة سنة 1889.

2. **التهامي بن بوشعيب بن علي ولد هنية البريكي الفرجي** مستخدم في لائحة 1886 أيضا. وذكر سنة 1895 مع المحميين الهولانديين. وتاريخ حمايته هو والذي قبله يعود إلى 1870.

---

1 . مييج: «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 337.

2 . المصدر السابق ج 1 ص 100 و « وثائق التاريخ...» ص 144.

3 . رسالة ريدمان إلى الجراري في 25 جمادى الثانية 1302 /11 أبريل 1885، وابن زيدان : «الاتحاف» 2 ص 492، وكذلك في اللائحتين العشارية والعامة وقائمة 1886 البلجيكية.

3. **سعيد بن بوشعيب بن علي ولد هنية** شقيق السابق، وكان عونا قبل سنة 1881 وهي تاريخ وفاته. وقد كان الوكيل القنصلي ريدمان «قد وجه مخزنيا له اسمه سعيد ولد هنية الفرجي البريكي ليقبض دينا لتاجر من رعية البلجيك على أناس من أولاد فرج، فمرض ذالك المخزني في دار له بعزيبه بأولاد فرج وتوفي. فوجه خديمنا القائد بوشعيب الفرجي واحدا من أطرافه للمحل الذي مات فيه المخزني المذكور وأخذ صندوقا له داخله أربعمائة ريال وخمسة عشرة ريالا قبضها من ديون التاجر. وبداخل الصندوق أيضا أربعة أزواج دماليج وأربع سلاسل فضة وبعض حوائج الهالك.

«وكان أخ الهالك حاضرا إذ ذاك فخاف من العامل أن يقبض عليه ففر إلى الجديدة لعند خليفتهم المذكور وأعلمه بالواقع. فطلب من عامل الجديدة أن يكتب لعامل أولاد فرج برد ما أخذه من دار مخزنيهم المذكور. فكتب له أولا وثانيا فلم يحصل على طائل وتهدد على الرقاص. وأخبرك الباشدور أنه كان كتب في هذه القضية لحضرتنا الشريفة. وذكرتَ أن هذا العامل لم يكن من حقه أن يمد يده في محمي ولو مات، لاسيما بدون حق ولا موجب... لكونه لا يبالي. وكثيرا ما يقع منه التعرض لما يفضي لكثرة الكلام، وكم شكاية دفعتّ إليك به ...[4]».

وقالت العشارية عن سعيد ولد هنية إن له «شبهة. وسكناه بالبادية».

ب 2 : **مـن العـامـة**

4 ــ 5 :**محمد ولد محمد ابن بوشتة الفرجي** عون، **وعبد الله السالمي** كان قرابا يسقي الماء للقنصل.

ب 3 : **من قائمة 1889 البلجيكية العامة**

6 : **محمد بن الجبلي** عـون.

ت : السماسرة والمستوطنـــون

لم أقف لهم على أثر، باستثناء ديزكينس الذي سكن المدينة مدة عشر سنوات. ولما مات قبل سنة 1887 خلف دارين إحداهما كانت كنيسة، وآلت بعض أملاكه إلى الأخوة ريدمان الانجليزيين[5].

---

4 . رسالة السلطان إلى بركاش في 8 ربيع الأول 1298 /8 يبراير 1881، محفظة بركاش. ومن مزية الأفادات الواردة في هاته الرسالة السلطانية أنها دلتنا على تاريخ وفاة سعيد ولد هنية المذكور في العشارية أنه كان حيا قبل 1881 وبالتالي على تاريخ وضع القائمة وهو ما قبل 1881. فلو كان ميتا لما جاء النص عليه فيها.

5 . رسالة أحمد بناني ومحمد بن الطيب الركراكي إلى السلطان في 4 جمادى الأولى 1304 /29 يناير 1887، محافظ الترتيب العام.

المطلب الثـــاني : البرازيل

أ : السـلـك الـقـنـصـلـي

لم أقف إلا على اسم شخص واحد كان يمثل هاته الدولة وهو بيطر نيطو حسبما جاء في القائمة المحلية العامة سنة 1886. ويبدو أنه كان ينوب عنها قبل ذلك وبعده.

ب : المحميـــون

ب 1 : مــن الـعـشـاريـة

1 ـ4 : **عبد الله بن الحاج مبارك** عـون، **وإسحاق بن عطار** ترجمان، **وبوشعيب بن مسعود**، **وعبد الله بن أحمد بن علي** مستخدمان.

ب 2 : مــن الـعــامـة[6]

5 ـ 6 : **الجيلالي بن مسعود الرهوني الحوزي** كاتب، وتقدم ذكر أخيه علي مع إسبانيا، **وأحمد بن الحاج بوشعيب الجديدي** عـون. وكان سمسارا لبيطر نيطو سنة 1879 حسبما تقدم في فصل إنجلترا، وبقي مع هذا التاجر حتى ما بعد 1895 إن كان فعلا هو المدعو الجديدي.

ت : الـسـمـاسـرة

ت 1 : مــن الـعـشـاريـة

1 ـ 2 : **الحاج بريك ابن الغميز وأحمد بن ادريس** ولم يرد ذكر التاجر الذي لعله بيطر نيطو.

ت 2 : مــن الـمـحـلـيـة

3 ـ 4 : **محمد بن الخليفة العوني** سمسار نيطو بقبيلة العونات فخدة المناقرة، **وبوشعيب ابن الهواري** مثله.

وقد أشرت إلى أنه هو أو سميه بوشعيب بن يحيى ابن الهواري العبدي البوعزيزي كان سمسارا لتاجر إنجليزي ولآخر برتغالي. **فهل هو نفس الشخص في جميع ذلك ؟**

---

6 . وقد ورد فيها أيضا المحميان الأولان.

المطلب الثالث : النمسا

أ : السلك القنصلي

1. **دانييل مادن** الأنجليزي كان هو النائب عن هاته الإمبراطورية النمساوية الهنغارية سنة 1886 في القائمة المحلية العامة. وقد استمر في هاته الوظيفة حتى اغتيل سنة 1905.

2. وكان **دانينبيرغ** يمثل النمسا بعد سنة 1908 بالجديدة[7].

ب : المحميون

أ : من العشارية

1 ــ 2 : **الحزان يعيش بورجل** وكان ترجمانا وأصبح هو أو سميه بعد ذلك سمسارا لدابيد أزولاي المحمي الإيطالي، **وسعيد بن يَسّف الفرجي** عون.

ب : من المحلية[8]

3 ــ 4 : **الحاج محمد بن يَسَّف الفرجي** وكان كاتبا وتقدمت الإشارة إليه مرات متعددة في الفصل الأول والخامس والسابع. ولا شك أن المحمي قبله من أسرة واحدة، **وهارون بن بيكّو الزناتي** ترجمان، وتقدم أنه كان محميا فرنسيا.

ت : السماسرة

لم يرد ذكرهم إلا ما كان من **محمد بن الزموري** الجديدي الذي كان يعمل لفائدة الحزان يعيش المشار إليه أعلاه.

7 . كَيِّين : «ألمانيا والمغرب» ص 38 (1).

8 . جاء فيها ذكر المحميين الأولين.

المطلب الرابع : الدانمارك

أ : السلك القنصلي

1. **دانييل مادن** تولى أيضا الوكالة القنصلية عن هاته الدولة حسبما جاء في القائمة المحلية العامة سنة 1886.

2. وقد صار **روبيرط سبيني** سنة 1896 يقوم بهاته المهمة[9].

ب : المحميون

1 ــ 3 : **الحاج قاسم بن يسّف الفرجي** عون، **والحاج اسماعيل الهلالي** بواب، **وأحمد بن هنية الحوزي** مستخدم[10]. وكان أعوان الباشا هدموا مسكنه سنة 1894 لأن جميع النواويل والدور المقامة فوق أرض مخزنية قد تعرضت لهذا الإجراء بأمر حكومي. ولهذا تعرض القنصل محتجا[11].

المطلب الخامس : السويد والنرويج

أ : السلك القنصلي

وتعاقب عليه أربعة وكلاء هم :

1. **تيتو بلانكي** سنة 1865 حسبما تقدم بالفصل الأول.
2. وفي سنة 1867 كان **جيمس كرارة** الأنجليزي هو الوكيل[12].
3. آلت النيابة إلى **يوسف لازارو دي ماريا**[13] إلى ما قبل 1886.
4. لكن في منتصفها كان **خوان خوصي دي مريى** الإسباني هو الوكيل[14].

---

9 . رسالة في 11 ربيع الأول 1314 /20 غشت 1896، بمحفظة الدانمارك.

10. ورد ذكرهم في القائمة المحلية.

11. رسالة مادن إلى الحاج عبد المجيد التازي في 9 رمضان 1311 /16 مارس 1894، محفظة الدانمارك.

12. رسالته إلى ابن بومهدي في 18 جمادى الأولى 1284 /17 شتنبر 1867، محفظة السويد.

13. رسالته إلى الجراري في 26 ربيع الثاني 1302 /12 يبراير 1885، محفظة الجديدة 1، وكذلك في المحلية.

14. رسالة إلياس كاسيل إلى الطريس في 15 يونيو 1886، محفظة السويد.

ب : المحميون

أتت أسماؤهم في وثائق مختلفة هي العشارية والعامة وقائمة 1898.

ب 1 : من العشارية والعامة معاً

1 ـــ 4 : **هارون النقضيم** ترجمان، و**الحاج بوشعيب ابن دغّة الفرجي** عون و**علي ابن علّو** كاتب، و**محمد بن محمد العبادي** مستخدم.

ب 2 : من العامة وحدها

5. **محمد بووذينة الجديدي** مستخدم

ب 3 : من القائمة السويدية العامة لسنة 1898[15]

6 ـــ 7 : **محمد بن الجيلالي الزموري** مستخدم وكان قبل ذلك سنة 1880 و 1881 مستخدما بالقنصلية البرتغالية، و**هارون بن دابيد أوحيون** ترجمان، وكان منذ 1884 مكلفا بالشؤون القنصلية، وكانت له معاملات مع أبناك منتشيسطر وليڤيربول، وجمع لديه رسوما بلغ عددها 43 كانت من أجل ديونه على المغاربة[16].

المطلب السادس : هولاندة

أ : السلك القنصلي

1. تولاه **شارل بليسطرينو** الطارقي الذي حل بالجديدة سنة 1861. وقد مثل هولاندة بها طيلة عشرين سنة[17].

2. وبعده من 1886 إلى 1895 كان **ألفريد ريدمان** هو النائب القنصلي.

---

15. ذكر المحميون الثلاثة الأولون فيها وورد إسم المحمي الأول والسابع في ميكروفيلم 462 (م.و.م) عن سنة 1888.

16. رسالة لاطو في 13 مارس 1884 /15 جمادى الأولى 1301، محفظة السويد.

17. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 19.

ب : المحميـــون

جاءت أسماؤهم في وثيقتين هما العامة وقائمة 1898.

ب 1 : **من العامة**

1 ـــ 2 : **الحاج أحمد اللباط المنديلي** كان عونا كما كان مقدما لطائفة عيساوة.ويغلب على الظن أنه هو الحاج أحمد البوط المذكور أنه سمسار لتاجر إنجليزي سنة 1879 لتقارب النسبين في الكتابة والنطق، **والعربي بن حميدة** كان ساكنا بأولاد فرج. ولم يرد وجه حمايته ولعله كان عونا.

ب 2 : **من قائمة 1898**[18]

3 ـــ 6 : **التهامي بن بوشعيب ولد هنية** عون، **وعبد السلام بن التهامي ولد هنية** كاتب، وهو ابن السابق، **والركراكي بن الجيلالي، والزموري بن محمد ابن بوستة** مستخدمان[19].

18. وهي بإمضاء ألفريد ريدمان بتاريخ 28 يناير 1895، محفظة الحماية القنصلية.
19. تقدم ذكر المحميين الأربعة الأخيرين مع المحميين البلجيكيين.

الباب التاسع
آسفي

1 : الولاة والسكان والعمران

أ : الولاة

1. كان **محمد ابن عزوز** الفاسي عاملا على المدنية في العهد الرحماني وبعده بقليل[1]

2. **الطيب بن محمد ابن هيمة** كان أول أمره أمينا منذ حوالي 1847. وقد عين لهذا المنصب نظرا « لحزمه وضبطه ومروءته»[2]. وليس يدرى متى استعمل على المدنية. لكن المحقق أنه كان واليا سنة 1862 ولربما قبلها[3]. واستمر في الحكم أزيد من عشرين سنة، إذ في منتصف سنة 1885 أدركته المنية[4].

---

1 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 112 و ص 227.

2 . رسالة ابن عزوز إلى محمد بن ادريس في 22 ربيع الثاني 1263 /9 أبريل 1847، محفظة آسفي 1.

3 . رسالة الطيب بنهيمة إلى بركاش في 18 صفر 1279 /15 غشت 1862، محفظة بركاش وكذلك «الوثائق» ج 4 ص 267.

4 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 9 ص 254 وكذلك رسالة عبد الخالق بن هيمة إلى محمد بن العربي الجامعي في 9 شوال 1302 /22 يوليوز 1885، محفظة عبدالخالق.

وكانت له خلال ولايته الطويلة خلافات مع الوكلاء القنصليين حسبما سيأتي شرح ذلك في محله. كما عقد علاقات مع بعض التجار الأجانب مثل كرارة الإنجليزي وجول الأطرش اليهودي السوري المتفرنس المولود بحلب والمقيم بالصويرة. وكان هذا الأخير مشتركا معه سنة 1854، فصدرا القمح مناصفة بينهما إلى مرسيليا وجنوة لما كان العامل مجرد أمين[5].

وعن علاقته بكرارة واتهامه بخرق القوانين الجمركية قال أمين المستفاد في رسالته إلى بركاش سنة 1882 : «ومن جملة الأمور التي يجب إنهاؤها لسيادتك أمر هذه العِظام : فإنه بآسفي في هذه السنة المدخول فيها قليل معدوم للمسغبة التي كانت عندهم في هذا العام. ولا يدخل كثيرا بالأبواب إلا العظام. وحين نطلب أهل الحمايات والأجناس بأداء الواجب عنها يمتنعون ويقولون : «ليست في الشروط»، ويخلصون عليها الأعشار بالمرسى. وهم يقبضون من الأعراب الواردين الواجب تسع أواق للجمل. وكنا قبل هذا نتلطف معهم حتى يؤدوا شيئا تافها ونقول : «شيئا في الجملة خير من لا شيء» لأن ما مر عندهم لا يلتفتون إليه ولا يذعنون لأدائه. فلذالك نقنع منهم في الحال بما يدفعون.

«وفي هذه الأيام قد امتنع جنس الطاليان وجنس الأصطرياكُ من الأداء بالكلية : لا ما قل ولا ما جل. على أن الذي يستخلص الحقوق هو العامل والقوانص من الناس. وهم الذين يتجرون هنا بآسفي فلا يحكمون على أنفسهم. وغيرُهم تابع لهم. والعامل هو الذي يغريهم على كل ما يفعلونه ليندرج هو وشركاؤه في ذلك : لأن غالب التجار غير القوانص شركاء لابن هيمة ؛ وهذا الثغر الآسفي أمره غير منضبط كما لا يخفى عليك ــ حفظك الله ــ من أجل تجارة العامل والقوانص به.»[6].

ويعود نفس أمين المستفاد بعد بضع سنوات ليستنكر سلوك الطيب بنهيمة وتملص التجار من الأداء فيقول في رسالة أخرى سنة 1885 عن «الواجب على القانون المقيد في التقييد بأننا شرعنا في قبضه واستقام الأمر والحمد لله.

«وقد سهوت عن شرح حال نَصَرى هذا الثغر وأهل حمايتهم، فإنهم ليسوا كغيرهم، لأنهم هنا يستعملون الحيل كثيرا في إبطال مثل هذه الأمور، ويعملون لذلك براهين ودلائل تشهد بصدقهم حتى يظن من لا خبرة له بأحوالهم أنهم على الحق.

«وكل ذالك تعلموه من عامل البلد القائد الطيب بنهيمة. فكن ــ أيدك الله وسددك ــ على بال من هذا. ولابد أن يتسببوا في إفساد هذا المستفاد كما أفسده قبلُ القائد الطيب بنهيمة، لأنه هو الذي كان امتنع من الأداء أولًا عما يدخله من الحبوب هو وأولاده، فسمع بذالك

5 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 300.

6 . رسالة الحاج محمد الحساني إلى بركاش في 9 رمضان 1299 /25 يوليوز 1882، محفظة بركاش.

الأجناس فامتنعوا من الأداء عن خبوب، وقالوا : حيث امتنع كبير من رعيتكم من الأداء فهم أولى بذالك. وكنا أنهينا ذالك كله لشريف علم مولانا أدام الله تأييده وعلاه...»[7].

وجاء في رسالة سلطانية :«فقد بلغ لعلمنا الشريف أنك وجهت أولادك وأصحابك لأسواق عبدة يتسوقون لك بها القمح والشعير بقصد التجارة فيهما، فاقتدى بك جميع التجار في ذلك وانكبوا على شرائهما بتلك الأسواق حتى تضاعف ثمن العَبْرة بسبب ذلك، مع أن شراء ما ذكر وادخاره للتجارة فيه حرام في جميع المِلَل والأديان، في هذا الوقت الذي لازال أثر المسغبة فيه ظاهرا في الناس...»[8].

وهذا أمين آخر عَاب على العامل سنة 1874 تواطؤه مع أمينين سابقين من أجل التدليس والاحتيال على أخذ المكس بأبخس ثمن وعلى تقويم إصلاح السور بـ 69 ألف مثقال بدلا من 43 ألفا المقوم بها في البداية، مع أن جل السور صحيح. ولئن عزل الأمينان (اللذان لعلهما الحاج عبد الله حصار عامل الدار البيضاء فيما بعد والحاج محمد بنشقرون) وعوضا بعمر بنسعيد وعبد المجيد بنشقرون قبل ذلك ببضعة أيام[9] فلم يمس العامل أي تدبير زجري.

فهل كان ذلك كله مجرد وشايات كاذبة ؟ ليس في المستطاع الجزم بصحته أو ببطلانه. وعلى كل حال كان الطيب محل ثقة العاهل الذي وجهه سفيرا إلى دولتي ألمانيا والبرتغال لقضاء أغراض حكومية سنة 1878.

وخلال ولايته كان ابنه محمد محتسبا بالمدينة فتوفي قبل والده بستة أشهر، ومات الطيب سنة 1885 وفي منتصفها[10].

3. وعين ابنه **عبد الخالق** مكانه، وليس غريبا أن يعيب عليه الأمناء ما عابوه قبلًا على أبيه.

وذكر الأمين الحساني أن عبد الخالق كان سنة 1889 يتولى وحده اكتراء ضاية للملح تسمى زيمة، وأن الذين كانوا يريدون مزاحمته عليها كانوا ينالون عقابه، لأن «السمسار كان يذكر أن كل من يريد الزيادة فيها لا يزيد حتى يقدم عند القائد. فكل من ورد عليه يوصيه بعدم الزيادة...»

---

7 . رسالة الحاج محمد الحساني إلى بركاش في 28 ربيع الأول 1302 /15 يناير 1885، بالمحفظة المذكورة.

8 . مسودة رسالة سلطانية غير مؤرخة إلى العامل، محفظة الطيب بنهيمة.

9 . رسالة الأمين أبي بكر بن الحاج الباشا إلى موسى بن أحمد في 20 رمضان 1291 /31 أكتوبر 1874، محفظة آسفي 1.

10. رسالتا عبد الخالق والحساني المذكورتان في الخامشتين 4 و 7.

لكن بعض أهل القصبة من الميسورين «لم يذهبوا عند القائد فعملوا لها ثمانية وعشرين ألف مثقال». فقصد أصحابُ بنهيمة الأمينَ وادعوا أن البيع لا يكون «لأولئك الناس لكونهم حفاتاً عراتاً لا يملكون شيئا. فبحثنا عنهم فوجدناهم مالئين الذمة». وأضاف الحساني أن العامل استغرب كيف أن ربع زيمة الذي كان يُباع بـ 2.000 مثقال في السنة قد صار يُباع بأكثر من 2.000 مثقال في الشهر، مشيراً إلى أن الشيخ مبارك بن أحمد الفطناسي من سكان القصبة جاء «خفية من العامل وقال لي : أقبل ذمة سكان القصبة، فأنا متكفل بهم، فأمضيتها لهم بالثمن المذكور...». وختم رسالته قائلا إن العامل اعتقل الشيخ مبارك من أجل ذلك، ذاكرا أن له حجة على تزوير القائد[11].

ولم أقف على ختام هاته القضية ولا على صحة ما جاء فيها أو على فساده. ومهما يكن، فقد كان عبد الخالق مثال العامل المطيع لاسيما لما أمره السلطان سنة 1886 بأن يلقي القبض على أخيه «الطالب عمر بنهيمة واصلًا للحضرة الشريفة ... فقبضنا عليه ووجهناه ... ومن اليوم التالي الذي سافر من هنا، وأولاده مقابلون لنا يبكون علينا وينوحون ...»[12].

ومثل ذلك فعله سنة 1892 مع أحمد بن مَحمد ابن هيمة الذي هو «ابن عم الخديم. وقد كان وقع منه طيش كان أنهاه الخديم لشريف علم سيدنا. وذلك أن أباه كان ممن توجه مع الوالد رحمه الله لبر ألِمَان والبرطقيز، وكان بيده نيشانان من الجنسين. ولما توفي أبوه حمله الصبا وعدم التمييز على تعليق أحد النيشانين. وذهب عند قنصل البرطقيز وقال له : يكون منه على بال. فلما رأينا منه ذلك قصدنا ردعه وإراحته. فقبضنا عليه حتى يتربى، وأنهينا ذلك لشريف علم سيدنا دام علاه. فورد عليه الأمر الشريف لتوجيهه [إلى سجن] مصباح»[13] بمراكش.

وكان ابنه أحمد أحد معينيه أثناء ولايته التي دامت نحوا من 9 سنوات أي حتى منتصف 1894 وانتهت بوفاته[14].

4. شقيقه حمزة هو الذي خلفه مباشرة.

---

11. رسالة الأمين إلى السلطان في 3 محرم 1307 /30 غشت 1889، محفظة آسفي 1.

12. رسالة عبد الخالق إلى غريط في 16 محرم 1304 /15 أكتوبر 1886، محفظة عبد الخالق.

13. رسالة عبد الخالق بنهيمة إلى السلطان في 4 جمادى الأولى 1310 /24 نونبر 1892، بالمحفظة المذكورة.

14. رسالة أحمد بن عبد الخالق إلى الطريس في 22 رمضان 1306 /22 ماي 1889، محفظة الطريس 16 وكذلك رسالة قاضي آسفي عبد السلام بن الغالي الشرعي إلى السلطان في 12 شوال 1311 /18 أبريل 1894، محفظة آسفي 2.

ب : السكان والعمران

بلغ قطان مدينة آسفي سنة 1834 حوالي 000 8 نسمة، ثم قفز هذا العدد سنة 1856 إلى 10 آلاف ثم إلى 11 ألفا سنة 1866. ولم تعرف أرقامهم بالضبط من سنة 1874 إلى 1884، ولعلها تقهقرت أو استقرت في العدد الأخير، بسبب أن تلك السنوات كانت عهد مجاعة وعدوى. لكن في سنة 1892 وصل العدد إلى 12 ألفا ثم إلى 14 ألفا في نهاية القرن التاسع عشر[15] ما بين مسلمين ويهود جميعا. ولم تتعد أرقام الأخيرين 2500 نسمة سنة 1834 ثم ظلت قارة في ألفين سنة 1857 و 1866 حسبما ورد في مختلف المصادر[16].

بيد أن بعض الرحالة في مطلع القرن العشرين لم يقدر مجموع السكان إلا بـ 10 آلاف، منهم فقط 500 1 من اليهود لا يسكنون في حي خاص، وإنما هم موزعون على أنحاء المدينة. وهو يرى أن الجالية الأوربية كانت تشمل 150 شخصا، منهم أسرة فرنسية واحدة. وأغلب الأوربيين هنا ــ كما هم في غير هاته المدينة ــ كانوا صناعا طارقيين أو إسبانيين[17]. وكان الأجانب قبل ذلك لا يزيدون على عدة عشرات ولا سيما من الإيطاليين كما سيأتي. أما سنة 1881 فكان عدد الكاثوليكيين يبلغ نحو الخمسين فردا من الإسبانيين والإيطاليين و 170 سنة 1893 و 240 سنة 1898 بينما لم يكن عدد البروتيستانتيين إلا قليلا يتمثل في البعثة التنصيرية الإنجليزية التي كانت لا تزال حتى بداية القرن العشرين موجودة إلى جانب البعثة الفرانسيسكانية[18]، وفي عدد من التجار الإنجليزيين والألمانيين والنمساويين.

هؤلاء جميعا أو جلهم احترفوا التجارة وتولوا مضاعفة المبادلات من تصدير واستيراد. وكانوا من أجل ذلك مكترين لأهراء ومحلات تجارية من الخواص أو من الأمناء. ومنذ سنة 1865 أو قبلها كان نحو 11 مخزنا بيد طائفة من الأجانب مثل جورج يوناط وطومسن الإنجليزيين وبورّاس الإسباني وكذلك بيد عدد من التجار المغاربة المسلمين واليهود[19].

---

15. كينث براون : «أهل سلا» ص 48، وعبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 108، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 26 و ج 3 ص 461 و ج 4 ص 397.
16. المصدر الأخير ج 3 ص 26.
17. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 21 ــ 22.
18. المصدر الأخير نفس الصفحة، ومييج : «وثائق التاريخ» ص 271.
19. رسالة الأمينين عبد النبي مزور ومحمد ابن حساين إلى بركاش في 15 ربيع الأول 1282 /8 غشت 1865، محفظة بركاش.

أما الملاحة التجارية فبلغت حركتها سنة 1853 حوالي 2.000 طن، وسنة 1873 نحو 35 ألف طن. بيد أنها تردت إلى 23 ألف طن سنة 1876، ثم ما لبثت أن ارتفعت إلى 75 ألف طن سنة 1885. وفي سنة 1904 صعدت إلى 125 ألف طن وعرفت ازدهارا شديدا[20].

والأصواف كانت من جملة المصدرات، ونسبتها هي 4 % سنة 1860 وصعدت إلى 25 % من مجموع الأصواف المصدرة سنة 1885. وكانت سلع أخرى توسق كالحبوب، وذلك بكميات مختلفة عبر السنوات. وفي السنوات الأخيرة والأولى من القرنين الماضي والحالي كان مجموع الاستيراد والتصدير كما يلي بملايين الفرنكات :

الاستيراد : 2,02 — 1,79 — 2,16 — 2,07 — 2,10 من سنة 1897 إلى 1901.

التصدير : 2,93 — 1,90 — 3,58 — 2,37 من سنة 1898 إلى 1901.

وكانت الغلبة للتجارة الإنجليزية على التجارتين الألمانية والفرنسية[21] مثلما هو الحال بكافة الثغور.

كان الرواج التجاري مرتبطا بحالة المرسى وبتجهيزها. ولم يكن الميناء يسمح بالقيام بكثير من المعاملات والمبادلات ولاسيما سنة 1890. إذ يستفاد من تقرير ناجيار ترجمان القنصلية الفرنسية بالصويرة أن المرسى لم تحتو على أكثر من 16 معدية (بركاسة) تتقاسمها المراكب الشراعية والسفن البخارية التي كانت الفرنسية منها لا تستطيع الرسوّ بالميناء لضعف التجهيز، بل كانت تلغي برامج وقوفها بآسفي. ومن أجل ذلك كان التجار يرسلون سلعهم إلى مرسى الجديدة أو ميناء الصويرة على ظهور الجمال. وقد استطاع هذا الترجمان الذي أوفد إلى المدينة لفض خلافات الدكتور آلار مع السلطة ومع الخواص أن يطلب من الأمناء أن يزيدوا في عدد المعديات لفائدة المراكب البخارية فوعدوه خيرا[22].

هاته التجارة كانت من دواعي اتخاذ القناصل والتجار محميين وسماسرة بلغ عددهم بين 1863 و 1900 نحو 152 فردا وهم على التوالي 89 للأولين (59 منهم يهود) و 63 للآخرين (47 منهم مسلمون). وهذا ما سيوضحه هذان الجدولان، لكن مع إدخال المتكررين فيهما :

---

20. مييج : «وثائق التاريخ...» ص 302 — 304.

21. نفس المرجع ص 274.

22. المصدر نفسه ص 188 — 189.

ج 1 : المحميون (1863 — 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة[23]	4	10	14
إنجلترا	2	3	5
إسبانيا[23]	1	21	22
إيطاليا[23]	1	6	7
فرنسا	7	12	19
البرتغال	5	1	6
بلجيكا	4	1	5
هولاندة	1	—	1
الدانمارك	—	1	1
السويد	4	2	6
النمسا	1	2	3
المجاميع	30	59	89

ج 2 : السماسرة (1863 — 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	4	1	5
الولايات المتحدة	3	—	3
إنجلترا	23	9	32
إيطاليا	3	3	6
فرنسا	8	3	11
البرازيل	6	—	6
المجاميع	47	16	63

23. لم يتأت الوقوف على أسماء ستة من المحميين الإسبانيين وثلاثة من المحميين الإيطاليين ومحمي أمريكي.

2 : الولايات المتحدة

أ : السـلـك القـنـصـلـي

1 ــ 3. كانت أسرة ابن زكّار تتولى النيابة القنصلية بهاته المدينة. فقد كان **إسحاق** هو النائب سنة 1872 وبعدها، ثم أسندت إلى ابنه الأول **يعقوب** حتى عزل عنها حوالي سنة 1888 وبعده إلى ابنه الثاني **موشي**[1].

4. لكن **خوان الرومي** كان سنة 1887 نائباً قنصلياً[2] لأمريكا والبرتغال.

5. وبعد ذلك أضيفت الوكالة إلى قنصل أمريكا بالصويرة **مير قرقوز**.

6. وفي سنة 1890 كان **شلومو أمسَلّم** هو الوكيل كما سيأتي.

ب : الـمـحـمـيـون

اتخذ الوكلاء عدة مستخدمين وحموا بعضا من يهود آسفي وتجارها، وقد وردت أسماؤهم في جملة من الوثائق.

ب 1 : من الوثيقة 69 /5

1 ــ 3 : **حميدو ولد الحاج علال** عون سيصبح سمساراً، و **موشي بن إسحاق بن زكّار** ترجمان ثم صار نائبا حوالي 1888، وأخوه **يعقوب** وكان وكيلا كما كان محميا قبل سنة 1880.

وبالرجوع إلى الوثائق المخزنية نجد أنه كان ليعقوب خلاف مع عامل المدينة الطيب بنهيمة الذي قال عنه إن «قونصو المركان بآسفي التاجر يعقوب بن إسحاق بن زكَر : أموره معنا غير

---

1 . رسالة الطيب بن هيمة إلى برﮔاش في 18 رمضان 1297 /24 غشت 1880، محفظة برﮔاش، وكذلك القائمة المحلية العامة (1872) ورسالتا ريد ليويس إلى الطريس في 22 نونبر 1887 و 16 أكتوبر 1888، محفظة أمريكا.

2 . وثيقة بتاريخ 19 ربيع الأول 1305 /5دجنبر 1887 تسميه خوان الرومي أو الروسي ولعله هو الإسباني خوان ريسيو. كما توجد رسالة أخرى منه إلى أميني المرسى بتاريخ 11 ماي 1886 بوصفه وكيلا للبرتغال.

مستقيمة ولا ماشية على القانون». ثم ذكر أن يعقوب هدم دارا «وتثاقل عن البناء وعن حمل ما تساقط من الهدم حجرا وترابا، وضيق على المارين وأرباب الحوانيت». وقد رجا الطيب من برگاش أن يعتني بهاته النازلة وأن لا يعرض عن «جوابها، فأنا في ضيق شديد من أجلها»[3].

وكان ذلك سنة 1880. أما في سنة 1883 فقال العامل عنه في رسالة أخرى : «ابن زَكَر هذا قد جبله الله على شراسة الأخلاق وغلظ الطبع وقبح السيرة والسريرة منذ كان ... وصار كلما أتاني يأتيني بغلظة وعنف ويستطيل عليَّ في كلامه»[4].

وجاء عنه سنة 1886 : «أخبر أمناء مرسى آسفي أن ابن زَكَر قونصُ المركان بهذا الثغر بلغ المنتهى في سوء المصارفة والترامي وتعدي الطور. ومن جملة ذالك شروعه في بناء هري للمخزن ... ومده اليد في ثلاث حوانيت لجانب المخزن، زاعما شراءها، وهدمه إياها بقصد إدخالها في الهري المذكور، وإغراؤه ولد الرومية على عدم أداء ما بذمته من كراء دار المخزن التي بيده»[5].

ولما عزل عن النيابة بعد ذلك حاول ليويس رده إليها ولكنه ظل على حاله مع السلطة المحلية. فقد قال عبد الخالق في رسالة إلى السلطان عن يعقوب بن زاكار «الذي كان نائب جنس المركان هنا وعزل عنها : وقد سمع الخديم سماعا فاشيا بأنه صار الآن يطلب النيابة هنا عن جنس الفرانصيص. وهذا اليهودي المذكور لما كان نائب جنس المركان صدر منه من البهتان والفجور والتشبث في الخوض ما لا مزيد عليه. وكان الوالد ـــ رحمه الله ـــ قاسى معه الشدائد والمحن. وإن اقتضى نظر مولانا أن يأمر الخديم الطريس بعدم مساعدته على النيابة المذكورة، وإلا نظر مولانا أسَدّ»[6].

فكتب السلطان في شأنه إلى الطريس قائلا : «يعقوب بن زكر الذي كان قونص المركان بآسفي وأُخّر لبهتانه وخوضه وسعيه فيما يكدر الخواطر صار يحاول الآن أن يكون قونص للفرنصيص بالثغر المذكور. فاشرح لنائب الفرنصيص حاله، فالمخزن لا يقبل نيابته»[7].

3 . رسالة ابن هيمة إلى السلطان في 18 رمضان 1297، (الهامشة الأولى).

4 . رسالة ابن هيمة إلى السلطان في 15 ربيع الثاني 1300 /23 يبراير 1883، محفظة أمريكا.

5 . رسالة السلطان إلى الطريس في 2 شوال 1303 / 4 يوليوز 1886، ورسالة لمحمد بن عبد الهادي زنيبر والطالب بنيس إلى السلطان في 21 محرم 1304 /20 أكتوبر 1886، محافظ الترتيب العام.

6 . رسالة عبد الخالق إلى السلطان في 4 صفر 1309 /9 شتنبر 1891، محفظة أمريكا.

7 . رسالة السلطان إلى الطريس في 20 صفر 1309 /25 شتنبر 1891، محفظة الطريس 21.

ب 2 : من 69 /60 و 69 /59 الغفلين[8]

4 ـ 5 : **عبد السلام التامْري وبناحيم عطية** ولم يرد لحمايتهما وجه.

ب 3 : **من القائمة المحلية العامة**[9]

6 ـ 9 : **الحاج محمد بن العربي** عون، **وابراهام بن موشي** ترجمان، **ومَسَّان الصويري** مستخدم. «وذكر قونصو الماركان اليهودي إسحاق بن زكر ... أن له متعلما لم يُرِد بيانه».

ب 4 : **من غيرها**

10 ـ 14 : **إسحاق بن زكار** كان محميا ونائبا قنصليا، وتقدم ذكر ابنيه، **وشلومو** أمسلم المركاني محمي صار سنة 1890 نائبا قنصليا،[10] **وابراهام بن داويد أوحيون، وموشى حزران** وكانا تاجرين، **وأحمد الكَرْواني** وكان كاتبا.

ت : الســمــاســرة

1. **محمد بن عبد الرحمان الزمراني** كان سمسارا بقبيلة عبدة وبمراكش لتاجر لم يرد بيانه. وفي سنة 1887 جرد من الحماية هو والثلاثة الذين قبله.[11]

2 ـ 3 : **الطيب بن أحمد الحكيمي** كان سمسارا ليعقوب بن زكار[12] حوالي 1872، **وحميدو بن الحاج علال** كان عونا ثم صار سمسارا.

---

8 . جاء فيهما ذكر المحمي الأول تارة باسم أحمد وتارة أخرى باسم حمادي. وفي غيرهما أنه سمي حمِّد (بتشديد الياء). وسيأتي ذكره مع السماسرة، ثم مع المحميين الفرنسيين.

9 . سيأتي تحقيق لتاريخها (1872) مع إسبانيا ورقمها هو 288 /202.

10. رسالة ماثيوز إلى الطريس في 13 شتنبر 1890، محفظة أمريكا.

11. رسالة ريد ليويس إلى عبد الخالق بنهيمة في 23 يوليوز 1887، بالمحفظة نفسها.

12. القائمة المحلية العامة.

3 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

1. تولاه سنة 1858 **فريدريك كارستنسن** F. Carstensen حتى سنة 1865 عند انتقاله إلى الصويرة[1].

2. حوالي 1867 كان **وليام جيمس إيلطون** W. J. Elton نائبا قنصليا[2].

3. **ليويس فورد** (الجد) L. Forde أسندت إليه شؤون النيابة القنصلية مؤقتا حوالي 1869[3]. وكانت وفاته قبل سنة 1873.

4. أما **جورج يوناط** G. Hunot فقد عين نائبا قنصليا من 1869 إلى آخر القرن الماضي. وقد وصل إلى المغرب سنة 1856. وله تقارير تجارية[4]. وكان سنة 1872 ينوب عن النمسا والدانمارك وبلجيكا حسب القائمة المحلية العامة.

5. ولربما كان طوماس يول T. Yule يمثل بلاده[5] سنة 1878 بصفة عارضة.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية العامة

1 ـــ 3 : **المحجوب ابن الريفي الآسفي** عون، **ومحمد بن علي العبدي** مستخدم، و **دابيد بيطون الأعور** طباخ.

---

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 84 و ج 2 ص 275.

2 . إشهاد بتاريخ 7 ذي الحجة 1283 /12 أبريل 1867، محفظة آسفي 1.

3 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 378 (6).

4 . المصدر الأخير ج 1 ص 123 وكذلك رسالة جون هي إلى بركاش في 9 مارس 1875، محفظة بريطانيا.

5 . رسالة القائد الحاج محمد ابن المرابط إلى السلطان في 29 جمادى الأولى 1295 /31 ماي 1878.

4. **موشي بوروذنين** ترجمان، ولعله هو الذي وصف سنة 1864 بتعاطى الربا وأكل أموال الناس بالباطل[6].

ب 2 : من غيرها

5. **الحبيب ابن السباط** من يهود آسفي، وكان ترجمانا بالوكالة القنصلية. وكان سنة 1893 «بصدد الانتقال بأولاده لبلاد الشام لقُدْسِهم ويريد أن يبيع دار سكناه للمخزن»[7].

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة السماسرة سنة 1879

1 ـ 2 : **محمد بن علي المصلوحي** سمسار جول يوناط وشركته، ومثله **محمد الشرقاوي الشهلاوي** حتى ارتكب سنة 1882 ما أوجب نزعه منها فحاول الدخول لحماية فرنسا[8].

3 ـ 4 : **سعيد أزولاي والحاج محمد بن الخضر** سمساران لشركة مردوخ بوطلير.

5 : **الحبيب عطياس** (أو عطية) سمسار إ.ج.ر. كرارة E. J. R. Carrara.

6 ـ 7 : **الحاج المدني بن علي**[8م] **وأحمد بن عبو بن الهاشمي** سمساران لهنري طومسن.

8 : **الطيب بن حيدة ابن عدي** سمسار زينو وإخوانه. لكن القائمة المحلية العامة ذكرت أنه سمسار لمن كان يدعى إنريكي أو الريكي دون بيان نسبه. فهل هو هنري طومسن سالف الذكر ؟

9 : **محمد بن الطيب بن حيدة** سمسار زينو مثل أبيه. وقد ورد ذكره بهاته الصفة أيضا في قائمة 1889.

10 ـ 11 : **المحجوب ميتة** سمسار إدوارد يوناط، **وهذان كوهن الرباطي** سمسار يعقوب موشي سنانيص.

12 : **الحاج الحسين الشياظمي** كان سمسارا بالشياظمة لأدوارد كرارة قبل سنة 1878 وأتى اسمه في قائمة 1889. وجاء في رسالة سلطانية سنة 1878 عن الشياظمي أن «خديمنا الحاج محمد ابن المرابط الشيظمي ترامى عليه ... وأخذ له جميع ما بيده للتاجر المذكور وكشف

---

6 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 195.

7 . رسالة عبد الخالق بنهيمة إلى السلطان في 20 جمادى الثانية 1310 /9 يناير 1893، محفظة عبد الخالق.

8 . رسالة السلطان إلى بركّاش في 7 جمادى الأولى 1299 /27 مارس 1882، محفظة بركّاش.

8م. في رسالة لحمزة بنهيمة في 4 شعبان 1312 / فاتح مارس 1895 أن الحاج المدني تبرأ من الحماية بعد أن قضى فيها نحو العشرين سنة.

السر عن نسائه وأخذ جميع ما بداره ... فقد أمرناه بتسريح السمسار المذكور وبأن يرد عليه جميع ما حازه من متاعه ومتاع غيره ويبين موجب فعله»[9].

وقد أجاب عنها «خديم المقام العالي بالله الحاج محمد بن المرابط الأحلافي» بالإنكار التام وبجهله القضية من أصلها حتى ورد الكتاب السلطاني، واصفا السمسار بأنه «قد افترى على الله كذبا. وقد أكل أموال الناس واشتغل بالباطل وبما لا ينفعه. ومن جملته — سيدنا — رجل من إخوان الفاسد غريض الحاحي الذي برباط أبي محمد صالح. وقد قدمنا الإعلام لسيادة سيدنا — حفظه الله — أنه اشتغل بالبهتان مع التاجر طامس الصويري قنصل دولة الإنجليز بآسفي»[10]. وهذا الجواب بلغه الحسن الأول إلى برݣاش وأمره بأن يعلم «الباشدور بذلك ليكون على بصيرة من حقيقة القضية ولا يكون ينصت بعدُ لأهل التُرهات والأباطيل ...»[11].

ت 2 : **من قائمة سماسرة 1889**

13 — 14 : **الحاج علال ولد التهامي** سمسار هنري طومسن، و **بوزيد الشقُّوري** مثله للتاجر المذكور حتى تخلى أحدهما عن الآخر سنة 1894. بوزيد هذا «من أعيان آسفي كان قد احتمى بالإنجليز. وهو الآن قد تبرأ من تلك الحماية بالعدول، ويريد ظهيرا بالتوقير»[12].

15 — 16 : **الكوش بن حمو** و **عبد القادر بن الجيلالي** سمساران لجول يوناط بعبدة.

17 — 18 : **أحمد بن الجيلالي**، و **الجيلالي بن حمو** سمساران لشركة بوطلير بنفس القبيلة.

19. **المعطي بن كحيلة** سمسار لمب Lamb وإخوانه بقبيلة عبدة.

ت 3 : **من القائمة المحلية العامة مع تعليق الأمناء عليها**

20 — 21 : **ابراهام ولد الحزان يعقوب ابن السباط الصويري** و **سعيد بن ابراهام بن سعيد أوحنا** سمساران لدابيد السرُّوجي المحتمي بإيطاليا الذي كان بدوره ممثلا لجيمس كارطيس.

22. **مخلوف الطنجاوي** سمسار إبَّاول الذي هو على الراجح پَاور Power الإنجليزي الذي «سافر لجبل طارق لينظر مع من يبيع ويشتري مع أنه لم يخدم بالمرسى قط».

23. **يوسف ولد إسحاق ابن ساعود** سمسار التاجر اليهودي المراكشي جاكو ولد الرومية «مع أن هذا اليهودي لم يسق بالمرسى إلا مرة واحدة : وسق شيئا ضعيفا فلا يسمى تاجرا».

---

9 . رسالة السلطان إلى برݣاش في 23 جمادى الأخيرة 1295 /24 يونيو 1878، محفظة برݣاش.

10. جواب ابن المرابط إلى السلطان في 29 جمادى الأخيرة 1295 /30 يونيو 1878، بالمحفظة المذكورة.

11. رسالة السلطان إلى برݣاش في 6 رجب 1295 /6 يوليوز 1878، بالمحفظة نفسها.

12. رسالة عبد الخالق بنهيمة إلى السلطان في 20 شعبان 1311 /26 يبراير 1894، محفظة عبد الخالق.

24. **عبد الرحمان الشلح** سمسار زينو الذي «ذكر أنه على نية التجارة بآسفي في المستقبل».

25. **هارون ولد ميمون أوحيون** سمسار لنفس التاجر «مع أن هذا اليهودي لا يصلح للسمسرة لكثرة جرأته».

26. **على بن الحاج محمد العليوي العبدي** سمسار الريكي أو إنريكي (هنري طومسن ؟).

ت 4 : **من غيرها**

27. **محمد بن يفو السلاوي الجديدي العبدي** سمسار لشركة أندروز[13].

28. **العياشي بن عمر الزمراني** سمسار شركة يوناط[14].

29. **الحاج التهامي بن الشرقي** مثل السابق[15].

30. **محمد بن العياشي البوعزيزي** سمسار أندروز[16].

31. **العربي بن ادريس الدكالي** سمسار الإخوة ليم بقبيلة عبدة[17].

32. **مسعود أصولي** سمسار مردوخ بوطلير وشركته[18].

ث : المستوطنون

عاش بآسفي طائفة من الرعايا البريطانيين مشتغلين بالتجارة وغيرها. وكان منهم مكترون لمستودعات عقارية حكومية حسبما تقدم. وها هي أسماء بعضهم :

1. أ. **جوردان** A. Jordan الذي توفي حسب قائمة سماسرة 1879 قبل هاته السنة.

---

13. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 21 مارس 1893 /3 رمضان 1310، محفظة بريطانيا.
14. المصدر الأخير.
15. رسالة هيربيرت وايط في 3 أبريل 1891 /23 شعبان 1308، بالمحفظة نفسها.
16. الرسالة الأخيرة.
17. رسالة وايط إلى الطريس في 17 أبريل 1891 /8 رمضان 1308، بالمحفظة المذكورة.
18. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 17 يبراير 1893 /30 رجب 1310، بالمحفظة نفسها، وقد يكون أصولي تحريف ازولين أو عسولين.

2. **طوماس يول** من مواليد إيقوسيا سنة 1838. أقام بآسفي نائبا عن شركة التاجر الذي بعده. ولكنه رحل إلى الصويرة وكان قاطنا بها سنة 1871 على الخصوص ومشتغلا بالتجارة[19].

3. **ديفيد تـ. پيري** D.T. Perry (أو أبَّاري في الوثائق المخزنية) كان له نشاط يمتد إلى الصويرة كذلك. وهو من مواليد إنجلترا سنة 1822. وعاش بالصويرة كذلك.[20]

ولم أقف لهؤلاء الثلاثة على سماسرة.

4. **ليويس فورد** (أو لويز فورط عند الكتاب المغاربة) استوطن المغرب واستقر بآسفي. لكن ابنه وحفيده اللذين يحملان نفس الإسم والنسب تقدم أنهما كانا قاطنين للتجارة بالعرائش.

وقد أثرى الجد من تصدير الحبوب إلى الجيش البريطاني في حرب القرم، مما يدل على أنه حل بالمغرب قبل سنة 1856. وقد ربط صلات مع المخزن وكان له وكلاء بالجديدة والصويرة وجبل طارق، وقد نال امتيازات كثيرة. وحتى سنة 1865 كان يمثل أبناكا أجنبية بالمغرب. ولما توقفت حركته سنة 1864 سقط دخل المرسى إلى النصف[21].

على أن السلطان قد أنعم عليه سنة 1862 بوسق القمح نظرا لتوسطه في الحصول على طرف من مبلغ الغرامة الحربية المؤداة إلى إسبانيا[22].

5. **أندروز** W.H.C. Andrews قضى سنوات طوالا بالمغرب. وكان له سماسرة حتى أفلس في تجارته سنة 1906. وكان من الذين شاركوا في محاولة الاستقرار بأصاكا مع جيمس كارطيس[23] J. Curtis.

كانت معاملاته قوية مع المغاربة. إذ في سنة 1890 بلغ عدد غرماء شركته نحو 65 شخصا، بينما لم يكن للأخوة ليم إلا 9. أما شركة يوناط فقد كان عدد المدينين لها حوالي 80 فردا[24].

6. **أسرة يوناط** كان منها إدوارد وجول وجورج. الأخير منهم كان نائبا قنصليا. وكان لهم سماسرة حسبما مر بنا في محله.

---

19. مييج : «وثائق التاريخ...» ص 159.
20. نفس المصدر والصفحة وكذلك إشهاد بتاريخ 7 ذي الحجة 1283 /12 أبريل 1867، محفظة آسفي 1.
21. مييج «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 378 (6) وص 61 (6).
22. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 449، وكذلك رسالة سلطانية في 18 محرم 1279 /18 يوليوز 1862، محفظة بركاش.
23. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 62.
24. رسالة عبد الخالق بنهيمة إلى السلطان في 18 ربيع الأول 1308 /فاتح نونبر 1890، محفظة عبد الخالق.

جورج (المدعو جورش والمعتقد أنه من هاته الاسرة) ربط علاقات ربوية مع بعض القواد ولا سيما الأحسن الكَرْكُوري أحد عمال الناحية كالحوز أوالدير. واستدان القائد له سنة 1871 بمبلغ 25 ألف ريال. ولما عرض ذلك على الكَرْكُوري قال إن الأصل هو 4000 ريال. فلما حل أجلها ولم تؤد ضوعفت عليه بأمثالها حتى وصلت إلى القدر المذكور.

وليس يدرى وجه هذا الدين. لكن قد يكون تسبيقا عن بيع حبوب الزكوات والأعشار. وكل ذلك كان ممنوعا كما هومعلوم. وألح الدائن على غريمه مطالبا بالأداء، ومشتطا بأن تؤدي القبيلة هذا الدين. وإذ بلغ ذلك لعلم السلطان كتب إلى ولي عهده مانعا هاته المعاملة وقائلا : «فقد أحسنتَ — أصلحك الله — في عدم مساعدة ظالم نفسه فيما طلبه من استخراج الدين — الذي تحمله — من القبيلة لأنه تحمله في شهواته، وصرفه في لذاته. والقبيلة هي التي كانت تقوم بالدفع من عندها بواجبها وهداياها، لا هو. فلم يفرض عليها ذالك ؟ لا، لا»[25].

وسيأتي بمراكش أن هذا القائد استسلف أو استدان لبول لامبير الفرنسي بمقدار آخر.

7. **هنري طومسن** H.J.H. THOMPSON هذا التاجر الإنجليزي عاش أكثر من ثلث قرن بمدينة آسفي حتى توفي بها سنة 1894. وقد تولى النيابة عن السويد والنرويج طيلة مقامه بالمدينة. كان يتعاطى التصدير ولا سيما للقطاني والحبوب والصوف وغيرها. وسلف تعداد بعض سماسرته. أما سنة 1866 فكان له خلطاء، منهم شريك أو صاحب أو سمسار يدعى أُكْرَّاب[26].

وقد سعى سنة 1889 في سجن خليطه عبد القادر بن سبوعة حتى قيل إنه مات في سجنه، وأشيع أن الغريم طومسن استولى على عرصتين وعلى دار كانت في مُلك الهالك. غير أن التحقيق لم يثبت صحة هاته المقولة[27].

8. **بوطلير** أسرة كان لأفرادها سماسرة بآسفي والدار البيضاء والجديدة، وكانت لهم تجارة عريضة. وكانوا جد معروفين إلى حد أن إسم الأسرة في اللسان الدارج حُرِّف إلى بَاطْلَا.

---

25. رسالة السلطان إلى مولاي الحسن في متم شعبان 1288 /13 نونبر 1871، محفظة الصويرة 2.

26. من موجب عدلي في 23 جمادى الأولى 1283 /3 أكتوبر 1866، محفظة السويد.

27. رسالتا السلطان إلى الطريس في 3 جمادى الأولى و 6 رجب 1306 /5 يناير و 8 مارس 1889، محفظة الطريس 16. الكلام في الرسالة الأولى يدور حول طوماس وليس طومسن. فهل هو طوماس بول ؟ أم أن الكتّاب حرفوا الاسم لتشابه كتابتهما ومخرجهما ؟ وقد تركت الأمر على حاله حتى يتضح استقبالا.

4 : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

1. كان خوسي بوطلير وكيلا قنصليا سنة 1865 وبعدها بقليل[1].

2. وفي سنة 1878 أو قبلها أسندت هاته المهمة إلى فرانسيسكو دي ݣوميث[2] F. de Gomez.

3. أنطونين (أو أنطولين) بيتو A. Pitto مثل بلاده سنة 1885 بمدينة آسفي[3].

ولم أقف على أسماء وكلاء آخرين، مع العلم أن أشخاصا من «الأمناء» كانوا يراقبون دخول المرسى وينوبون أحيانا عن الوكلاء والقناصل بآسفي وبغيرها من الثغور.

ب : المحميون والسماسرة

جاءت أسماء الأولين في مختلف الوثائق المغربية القديمة. أما السماسرة فلم يرد لهم ذكر.

ب 1 : من القائمة المحلية العامة[4]

ومنها سأقتبس أسماءهم بنصها الخاص بهم مع تعليق السلطة عليها :

«خليفة جنس الصبنيول الذي بآسفي كان دفع لي قبل هذا بنحو شهر ونصف زمام من في حمايته وهم :

«1 ــ 12 : الحاج محمد الكاروشي، و الذمي السلالي بن يكّان، و يوسف بن حمّ المكناسي، والذمية زهرة بيطون، واليهودي إسحاق الطنجاوي، واليهودي ابراهيم ميمران،

---

1. رسالة في 9 يبراير 1867 / 4 شوال 1283 بمحفظة آسفي 1.
2. رسالة دي ݣوميس في 18 يونيو 1878، محفظة برݣاش.
3. رسالة أنطونين إلى عبد الخالق بنهيمة في 12 قعدة 1302 / 23 غشت 1885، محفظة الطريس 5.
4. سأستمر متشهدا بها وهي غفل من التاريخ الذي سنطلع قريبا على تحقيقه في رسالة موالية. رقم الوثيقة هو 288 /202 بمكتبة لم اقف بعد عليها. أما عنوانها الكامل فهو «بيان أهل الحماية الذين عند خلفاء قونصوات الأجناس الذين بآسفي وتجارهم».

و اليهودي ميمون بن الحزان ابراهيم أحيون، و اليهودي نسيم الليوى، و اليهودي يوسف ولد ابراهيم الليوي، و اليهودي شمعون الكوهن، و اليهودي شلُوم ولد الليوي، و اليهودي ابراهام موشي بروذنين 13

«ثم إنه كان طلب مني أن نرد له زمامه قبل وصول كلامك[5] على الحماية، وذكر أن بشادورهم كتب له بذالك وذكر له أن لا يدفع لي زمام من في حمايته حتى يرى بعينه زمام الفرنصيص والنجليز. ثم إنه ذكر لي أناسا آخرين في حمايته، وذكر أن هؤلاء الثلاثة عشر[6] هم رعية لجنسه. وبيان الأناس الذين عين ثانياً هم :

«13 — 18 :'ترجمانه اليهودي **مسعود بن عدي الآسفي**، و ترجمانه في كلفة المرسى اليهودي **يعقوب ليبي التطواني**، وذكر لي أن له **مخزني وثلاثة خدامة** لم يعينهم .... 6.

«19 — 20 : وذكر أن الأمين الصبنيولي الذي بالمرسى له **متعلمان** لم يبينهما ..... 2».

ويستفاد من رسالة سلطانية موجهة إلى برگاش سنة 1872 «تفاحش أمر الحماية بآسفي وكثرة المدعين لها، وخصوصا على يد قونصو الإصبنيول به كما قدمنا. وذكرتَ أنك تكلمت مع باشدور الإصبنيول وشرحت له حال خليفتهم المذكور مشافهة وكتابة. فأجابك عن كتابك وحصر حمايتهم بآسفي في ثلاثة عشر رجلا[7] مع بوابة وروّاي ومخزني وترجمان وسمسارين لبورّاس. فراجعته فيهم وأجابك بأنه وجدهم في الحماية قبل إتيانه للخدمة. وتكلمتَ مع نائب اللنجليز في ذلك فوجه لك تقييدا فيه أربعة أناس[8]. وتكلمتَ مع نائب البردقيز فوعدك بالكتابة لخليفته بآسفي لما ذكرت في أمر اليهودي ابن الصبّاح وفي حصر الحماية. ولم تتكلم مع غير النواب المذكورين حيث لم تكن شكاية تتعلق بهم.

«فقد حصر باشدور الإصبنيول حمايتهم بآسفي في نحو عشرين رجلا كما ترى[9]. ولا يسلم له ذلك. فإن الحماية المعوّل عليها هي المصرح بها في الشروط.

---

5. لعل الخطاب موجه إلى برگاش.

6. نلاحظ أن عدد المحميين المذكور حتى الآن هو 12 وليس 13، مما يدل على أن سهوا قد حصل للناسخ عن كتابة المحمي الثالث عشر. ولنتذكر هنا الرقم الأخير ليعيننا على تحقيق تاريخ الوثيقة من النص الموالي.

7 . هذا ما يؤكد ما ذكرت في الهامشة السادسة أعلاه.

8 . هم الأولون المذكورون مع المحميين الإنجليزيين.

9 . هذا بيت القصيد : القائمة الغفل 288 / 202 كانت موجودة قبل غشت 1872. وأرقام المحميين الإسبانيين تطابق ما في هاته الرسالة السلطانية المستشهد بها. وهذا ما يدفعني إلى القول بأن تاريخ القائمة هو 1872.

«وقوله إنه وجدهم في الحماية قبل إتيانه للخدمة فالشروط لما عقدت بقي الأمر فيها على ما كان عليه. ولم يقع فيها تبديل ولا تغيير عدا أمورا قريبة ترجع للتجارة وما يتعلق بها. فراجعها لتكون على بصيرة، والله يعينك. والسلام».[10]

ولعل القنصل المشار إليه أعلاه هو خوصي بوطلير. وقد كان العامل ابن هيمة حازما معه ومع غيره، وظل كذلك سنة 1879 لما ذكر لبركاش أن القنصل الإسباني (الذي قد يكون هو فرانسيسكو دي كوميس) قد «أكثر علينا من الحمايات في المدينة والقبائل بدون قانون ولا طرقة. فإن القانون أن لا يحمى شخص إلا بالورقة من طنجة، وأن الحماية لا بد من بيان وجهها من الأوجه المحصورة فيها الحماية. وكادت الأحكام أن تتعطل من جهة كثرة من يريد الاحتماء به بلا قانون. وقد رام إدخال شخص في حمايته مع أنه في حماية البردقيز، وله مخالطة مع قونصو البردقيز. ثم لما أراد أن يخوض معه في الحساب لتبرأ ذمته مما عنده تعلق في الصبنيول ورام الاحتماء به. فكتب لي قونصو الصبنيول أنه نائب تاجر بقالص وأنه أثبته بسبب ذلك في زمام حمايته، فأجبته بأن أموره في الأمان كسائر التجار، أما الحماية فلا سبيل له إليها إلا بعد مطالعتك وإذنك فيها. فالنظر لك في أمرها.

«وعليه فالمؤمل منك ــ بارك الله لنا في عمرك، وأبقى النفع بك دائما ــ أن تتكلم مع بشادور جنسه بكفه عن هذه الأمور وإجرائه معنا الطرقة، وأن لا يوقعنا في العيب مع أجناس ءاخرين، وأن يقتصر في الحماية على القدر الذي في الشروط ويسقط الباقي ...»[11]

ب 2 : من غيرها

21 : **يوسف بن يهودة الصويري** كان مستخدما عند مانطيا المراقب بالمرسى وهو الذي تآمر على هذا الأخير مع ثلاثة من يهود المدينة فسقوه السم ومات سنة 1863. فحدثت بسبب ذلك ضجة وتبودلت في شأنها مراسلات مختلفة لعقاب الجناة.[12]

22 : **إسحاق بن نسيم الليوي** كان محميا سنة 1885 وتدخل قنصل إسبانيا لفائدته في قضية خلطته مع قدور بن علي البختي.[13]

---

10. رسالة السلطان إلى بركاش في 22 جمادى الثانية 1289 /27 غشت 1872، محفظة الحماية القنصلية.

11. رسالة في 13 صفر 1296 /6 يبراير 1879، في «الوثائق» ج 4 ص 443.

12. أفردت لهاته النازلة مجموعة من المراسلات في «الوثائق» ج 4 من ص 266 إلى ص 279.

13. رسالة أنطولين بيتو إلى عبد الخالق بنهيمة في 12 قعدة 1302 /23 غشت 1885، محفظة الطريس 5.

ت : المستوطنون

1. **بيرناندينو بوراس** استوطن المدينة قبل 1863، وكان تاجرا وترامى على هري من أهراء الحكومة.[14] وكان من نشاطه أو نشاط سَمِيِّه بيع الخمور.[15] وقد ناب سنة 1867 عن الوكيل القنصلي[16]، وسلفت الإشارة إليه بالجديدة.

2. **مانطيا** Mantilla المراقب الإسباني لدخل المرسى والمقتول سنة 1863 حسبما تقدم. وكان ينوب عن الوكيل القنصلي.

3. **رفائيل بوخول** R. Pujol كان ينوب في التجارة عن بوراس سابق الإشارة[17].

4. **تيودورو دي كويباس** كان في دجنبر 1863 «أمينا» بالمرسى بعد مقتل مانطيا. ثم عين سنة 1881 قنصلا بالعرائش. وفي سنة 1902 مات بطنجة. وله تآليف عن المغرب[18].

5. **خورخي بلانكو** J. Blanco الذي كان سنة 1882 ترجمانا بالقنصلية الإسبانية بالدار البيضاء حسبما مر بنا. وقد استوطن المدينة للتجارة واشترى بعد سنة 1902 من ورثة بوزيد الشقوري المحمي الإنجليزي سابقا أرضا بالعذير بثلاثة آلاف ريال بمحضر الحاج عبد المالك الوزاني خليفة عيسى ابن عمر قائد عبدة[19].

6. **كَييرمو يالميرة** G. Yalmera كان سنة 1866 ساكنا بآسفي وغريما للمدعو ولد فنيش[20].

7. **خوسي بوطلير** الوكيل القنصلي لإسبانيا وللبرتغال وشقيق خاكوبو بوطلير القنصل الإسباني بالجديدة. ومما يذكر أن سلطة المرسى كانت قد اعتقلت سنة 1886 أفرادا من أسرته وأوقفت ركاب السفينة الإنجليزية «موكَادور» ورئيسها لأنهم حاولوا تهريب فتاة مغربية. إلا أن السفير البرتغالي كولاصو احتج بأن الفتاة ليست أَمَة ولكنها حرة، وبأنها كانت مربية لبنت القنصل. وقد أفرج عن الركاب ولكن منع سفر الفتاة[21].

---

14. رسالة أميني مرسى آسفي إلى بركَاش في 9 شعبان 1282 /28 دجنبر 1865، نفس المحفظة.
15. «الوثائق» ج 4 ص 297.
16. بمحفظة آسفي 1 وثيقة في 9 يبراير 1867 /5 شوال 1283.
17. المرجع الأخير.
18. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 96.
19. رسالة بمحفظة إسبانيا بدون تاريخ لعله هو سنة 1902.
20. رسالة ميري إي كولوم إلى بركَاش في 23 يوليوز 1866، محفظة إسبانيا.
21. رسالة خوان ريثيو إلى أميني المرسى الطالب بنيس ومحمد بن عبد الهادي زنيبر في 14 ماي 1886 /10 شعبان 1303، محفظة البرتغال.

5 : إيطاليا

أ : السلك القنصلي :

1. كان الذي تولى تدبير الشؤون الإيطالية من أسرة كَامبارو. ولربما يكون اسمه هو جيوڤاني باطيستا G.B. Gambaro، ولو أن القائمة المحلية العامة لم تذكر إلا نسبه وإلا أنه كان سنة 1872 ينوب عن فرنسا وعن هولاندة أيضا. وفي صيف سنة 1885 توفي بآسفي[1].

2. بعده أسندت إلى الإنجليزي **إدوارد كرارة**[2].

ب : المحميون القنصليون

ب 1 : من القائمة المحلية العامة

1 ـــ 2 : **الحاج محمد ولد خدة عمر** وكان عونا، و**مريديخ الليوي** وكان ترجمانا، وكلاهما من مدينة آسفي.

3 ـــ 5 : «وذكر أن له ثلاثة متعلمين لم يبينهم» القنصل كَامبارو

ب 2 : من القوائم الإيطالية السنوية

6 ـــ 7 : **شلومو عطية** محمي استثنائي قبل سنة 1880 وجاء اسمه في كافة القوائم ومنها لائحة 1894، و**الياهو بن دابيد أوحيون** وهو ترجمان في قائمتي 1891 و 1894.

ت : السماسرة

ولم يرد ذكرهم إلا في القائمة المحلية العامة وهم مع تعقيب السلطة عليها :

---

1 . رسالة سكوڤاصو إلى غريط في 7 أكتوبر 1886، محفظة إيطاليا، وميبج : «المغرب وأوروبا» ج2 ص 483 و ص 21، وكذلك تقييد الأمينين محمد بن عبد الهادي زنيبر والطالب بنيس في 2 ربيع الأول 1304 /29 نونبر 1886 وفيه أن باطيستا توفي قبل ذلك بنحو العام والنصف (الوثيقة 5057.م.و.م.)

2 . رسالة سكوڤاصو إلى غريط في 8 أكتوبر 1886، محفظة إيطاليا.

1 ــ 2 : **العياشي ولد بوعيشة العبدي ونسيم بن موشي خميزُو** سمسار أكيلي ݣامبارو Achille Gambaro، شقيق الوكيل القنصلي.

3 ــ 4 : **يهوده ليبي ولد حايم بن اسحاق** سمسار دابيد السرُوجي المقيم بالصويرة، **ويهوده بن حمو الجادلي** مثله و «هذا اليهودي لا يصلح للسمسرة لجرأته».

5 ــ 6 : **علي بن أحمد المصمودي** سمسار التاجر الإيطالي المسمى فرانتشيسكو، دون إيضاح نسبه. و«هذا النصراني لا يستحق أن يكون له سمسارة لضعف وسقه بالمرسى»، **والحسن بن محمد الأعيسي الدراوي** مثله له أيضا.

ث : المستوطنون

كان عدد جالية الصاردو (أي سكان جزيرة سردينيا) 20 نسمة سنة 1810 ثم ارتفع الرقم إلى 40 سنة 1840، وفي سنة 1855 وصل إلى 80 فردا[3].

غير أن هذا العدد تقلص سنة 1860 إلى 33 صارديا كانوا يطلبون رخصا لتصدير الحبوب والقطاني من مرسى آسفي[4]. ويستبعد أن يكون الأخيرون كلهم من الإيطاليين الأصلاء، ولذلك يحتمل أن يكون ضمنهم تجار مغاربة محميون، ولاسيما أن هذا العدد لم يكن حتى بالدار البيضاء سنة 1860 وهي قطب الانجذاب الاستيطاني.

كانت أسرة ݣامبارو الجنوية شهيرة بالمدينة. وكان الأب تيوفيلي هو العميد الذي كان له على الأقل ابنان هما الوكيل جيوڤاني باتيستا وشقيقه أكيلي.

ولما توفي الوكيل سنة 1885 خلف عقارات وأملاكا، وحضر مايسا وسكوڤاصو من طنجة لتصفية الإراثة[5]. ومما لا ريب فيه أن هذا البيت الإيطالي كان ذائع الصيت سنة 1861 إلى حد أن «أمَة غير تامة العقل تعلقت بنصراني اسمه كُنْبَرُ، بعد أن كانت مولاتها أضرت بها، فسرحها الشرع من العتق»[6].

ولم أقف على آخرين من أسرة ݣامبارو خاصة. أما فرانتشيسكو فلم أدر نسبه ولو أن له سمسارين. وجاء أن ديليبانتي Delevante [7] قد سرق له هري كان موجودا بحي الرّباط بمدينة آسفي سنة 1894.

---

3 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 270.

4 . رسالة ده كاستيون قنصل فرنسا بطنجة إلى محمد الخطيب في 2 غشت 1860، نصها عند ابن زيدان في «الأتحاف» ج 3 ص 539.

5 . رسالة سكوڤاصو إلى غريط في 7 أكتوبر 1886 (الهامشة الأولى).

6 . ابن زيدان : «الأتحاف» ج 3 ص 385.

7 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 23 أبريل 1894، محفظة ايطاليا، ولعله من يهود جبل طارق.

6 : فـرنســـــا

أ : السـلـك الـقـنـصـلـي

1. كان **كَمْبارو** يمثل فرنسا حسب القائمة العامة، وظل كذلك حتى حوالي 1878.

2. **الدكتور إ. ج آلار** E. J. Allard حل بالمدينة حوالي 1878، وكان ينوب عن بلاده حتى عزل سنة 1884 عن هذا المنصب القنصلي[1]، وفق ما سيأتي.

3. **ألفونص بيرطران** A. Bertrand الذي كان منذ سنة 1882 قنصلا لبلاده بالصويرة تولى سنة 1885 النيابة عن فرنسا[2] من بعيد أو من قريب.

4. **عمــار** كان سنة 1887 وكيلا قنصليا[3].

5. وقد عهد إلى **فرانسيس جاكطي** F. Jacquetty حوالي 1888 بهذا المنصب[4] ولو أنه من فرنسيي الصويرة.

6. **أوريليان لاكوسط** A. Lacoste قنصل فرنسا بالصويرة من 1886 إلى 1890 أشرف من بعيد على الشؤون القنصلية[5].

ب : الـمـحـمـيـون الـقـنـصـلـيـون

ب 1 : من القائمة القنصلية المحلية الفرنسية[6] ومن القوائم السنوية معاً

ورد فيهـا خمسة أسماء للمحميين الفرنسيين وهم :

---

1 . حسب تقرير ناجيار المؤرخ في 10 يونيو 1890 حيث ذكر في «وثائق التاريخ...» لمييج ص 187 وما بعدها أنه كان وكيلا قبل ذلك بـ 12 سنة.

2 . رسالته إلى عبد الخالق بنهيمة في 2 صفر 1303 /10 يونيو 1885، محفظة فرنسا.

3 . من حكم للقاضي عبد السلام الشرعي في 12 حجة 1304 /1 شتنبر 1885، محفظة آسفي 1.

4 . رسالة عبد الخالق بنهيمة إلى السلطان في 22 ربيع الأول 1306 /26 نونبر 1888، محفظة فرنسا.

5 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 189 ــ 191.

6 . تاريخ هاته القائمة هو 15 أبريل 1880، وعنوانها «بيان من في حماية خليفة قونصو دولة الفرنصيص بآسفي كما بخط يد القونصوا من الصويرة والخليفة المذكور»، محفظة الحماية القنصلية.

1 ــ 5 : **الحاج أحمد بن المحجوب بن ناصر** كان كاتبا حتى 1882 ولكنه سيصير سمسارا، **والحاج اليزيد بن الحاج المسفيوي** عـون ذكر بهاته الصفة في القوائم العامة، وكان كاتبا سنة 1881 و 1882، **وسالومون عطية** ترجمان مساعد سنة 1880 و 1881، **وعبد القادر بن عبد الله المراكشي** وكان طباخا للوكيل القنصلي سنة 1881 ، **ومخلوف أوحيون** تاجر محمي.

ب 2 : من القوائم السنوية الفرنسية وحدها

6 ــ 7 : **مولاي التهامي بن مولاي إدريس** كان كاتبا بعد سنة 1882، ولعله أصبح «طالب»القنصلية لما غدا الحاج أحمد بن ناصر سمسارا، **والحاج حميّد بن علال المصلوحي** عون سنة 1880و 1881.

ب 3 : مـن غيرهــا

8. **أحمد الكُرّاوي** كان كاتبا للقنصل[7] في تاريخ متأخر عن سابقيه من الكتّاب. وقد صار سنة 1900 سمسارا لمحمي برازيلي أو لسميه.

9 ــ 12 : **الفيلالي** كان مستخدما عند آلار ولم يرد بيان اسمه، **وهارون بوكُدادة، وإسحاق الليوي**، ونسيم **الليوي** المذكور هو أو سميه مع المحميين الإسبانيين.

وكل هؤلاء اليهود الثلاثة الآسفيين كانوا مجرد تجار محميين.

13 ــ 18 : **مردوخي ابن العيّار، ومردوخي الليوي** وهما من يهود الجزائر، **والأخوة لالوز** الأربعة وهم من مواليد تونس ومن يهودها.

19. **مُحمد جعّادة** وكان سنة 1890 كاتبا قنصليا[8] قبل أحمد الكُراوي.

ت : السمـاسـرة

ت 1 : من القائمة القنصلية (1880) واللوائح السنوية العامة معاً

1. **الحاج عبد الله بن الجيلالي الزيدي البرهومي** سمسار الوكيل القنصلي في القائمة الفرنسية العامة أيضا من 1880 إلى 1882.

---

7 . أ. بروشي : «السجل الذهبي...» ص 116.

8 . المحمي 9 ومن بعده وردت أسماؤهم في تقرير ناجيار. وقد نزع من الحماية أصحاب الأرقام 10 و 11 و 12 سنة 1890. أما المحمي 19 محمد جعادة فلا أدري هل هو محمد شرّادة الذي كان سنة 1890 سمسارا لتاجر ألماني وهل هما شخص واحد فَخُيِّنت في النطق الفرنسي راء شرادة وحرفت الشين إلى جيم في الكتابة اللاتينية، وهذا هو ما أرجحه.

2. **الحاج المختار التطواني** سمسار للوكيل القنصلي الذي قد يكون هو آلار، وذلك من 1880 إلى 1881. وقد حذف اسمه من قائمة السنة الموالية.

3 . **الحاج عبد الله** (أو عبد القادر) **بن الحاج علي الزيدي البرهومي**[9] كان سنة 1883 سمسارا لآلار .

ت 2 : **من القوائم الفرنسية العامة**

4 . **الحاج أحمد بن المختار** سمسار في قوائم 1882 ــ 1885 للتاجر ليون الإبن من مدينة مرسيليا. إلا أنه ليس يدرى هل هو أحمد بن المحجوب بن ناصر الذي تقدم أنه كان كاتبا في الرقم 1 أعلاه ؟

5. **مسعود ابن الخليفة** سمسار آلار من 1879 إلى 1883، وقد وصفه الطيب ابن هيمة بأنه «ظهر منه طيش كبير وتعلق بحماية قنصل فرنسا بآسفي، وذلك منذ أربع سنوات من تاريخه»[10].

6. **سي بوشعيب بن الحاج التهامي** سمسار إسرائيل لالوز من 1882 إلى 1884 .

7 ــ 8 : **دابيد سرويلاز** كان قبل سنة 1883 سمسارا له. وبعد وفاته عوضه التاجر بالسمسار الذي بعده سنة 1884 : **محمد بن الطاهر** (أو العربي) **البويحياوي**.

9. **مسعود الباز** وكان سنة 1881 سمسارا لإسرائيل لالوز، حتى عوض بالسمسار السابع أعلاه.

ت 3 : **مــن غـيــرهــا**

10 ــ 11 : **الحاج أحمد بن الحسن البواب** الفاسي سمسار اتخذه سنة 1887 جاكطي[11] الذي حاول أن يتخذ **الحاج الجيلالي بوضرة** سمسارا له بإيـالة أحمـد ابن الحافظي. لكن هذا القائد ذكر أنه شيخ وأنه تقعد على أموال المخزن فتستر بمخالطة بيبي النجليزي. وذلك ما بلغه العامل ابن هيمة لقنصل فرنسا «الذي قد صار يسير معنا سيرة غير محمودة، ومراده كثرة الكلام»[12]. وكان ذلك سنة 1887.

9 . أظن أنه هو السمسار الأول، فحرف اسم أبيه إلى علي بدلا من الجيلالي، واسمه هو إلى عبد القادر.

10. رسالة الطيب بنهيمة إلى السلطان في 25 صفر 1301 /26 دجنبر 1883، محفظة الطيب بنهيمة.

11. رسالة عبد الخالق ابن هيمة إلى السلطان في 21 حجة 1304 /10 شتنبر 1887، محفظة عبد الخالق.

12. رسالة عبد الخالق إلى غريط في 14 جمادى الثانية 1304 /10 مارس 1887، ومسودة رسالة مخزنية إلى عبد الخالق في 20 شوال 1304 /12 يوليوز 1887، بالمحفظة نفسها.

ث : المستوطنون

1. **أسرة لالوز** من يهود تونس المهاجرين استوطنت مدينة آسفي منذ أواسط القرن التاسع عشر للتجارة والفلاحة. وأخصص هنا شيئا من الحديث عن إسرائيل لالوز (أو العلوز؟) وحالته في أواخر القرن التاسع عشر.

كان أبوه مستخدما صحيا بآسفي. وكان إسرائيل من الذين اكتسبوا جاها وثروة، فكان الوحيد الذي يشتغل بالفلاحة من يهود هاته البلاد وكان له نحو 6 عزائب بأولاد سلْمان وبغيرها. وكانت أراضيه وعقاراته شاسعة بحيث يحتاج إلى 42 «مَطْفِية» لخزن المياه، وكان له 30 مطمورة أكبرها يسع حمولة 150 من الجمال.

كان إسرائيل من الشيوخ الميسورين. وكان يرتدي لباس المغاربة المسلمين. ويبدو أنه كان يتصرف في شؤونه بمقتضى لباقة جنسه وسط العمال والقواد المغاربة. أما ابنه فله متجر مهم بالمدينة[13].

ولم يكن بآسفي يهود تونسيون فقط، ولكن كان ثمة آخرون من الجزائر ادعاء أو صدقا.

2. **الدكتور** إ. ج آلار من مواليد فرنسا سنة 1844. وقد حل بالمدينة سنة 1878 لمزاولة الطب. لكن هاته المهنة لم تكن تُدِرُّ عليه شيئا كثيرا فاستخدم بالوكالة القنصلية أصالة أو نيابة وتَعيّش أيضا من ريع بيع الحماية وعقود الخلطة التي كانت أفيد له من الطب والعلاج.

كان كثير الشجار مع سلطات المدينة، وكانت له نزاعات مع خلطائه بالنواحي. وتعاظمت الشكايات به وأكثر هو من التظلمات حتى أوفدت المفوضية الفرنسية مندوبا عنها في فض هاته الخلافات وكلفت بذلك شخصا لَبِقاً مثل ناجيار ترجمان القنصلية بالصويرة.

لكن قبل التخلص إلى تقريره يجمل بنا أن نذكر أن آلار كان ملحقا صحيا يراقب أمور «السانيدة» بالمرسى. ومن أجل ذلك وقعت له خصومة مع قبطاني المرسى «الرايس محمد بن الحاج عيسى الزيدي والرايس محمد بن قدور بونوارة. وقد كان خليفةَ القنصل، وصدر منه ما صدر وأخرجه البشادور الذي كان متولي بثغر طنجة من الخدمة بسبب ذلك»[14].

---

13. أوجين أوبان: «مغرب اليوم» ص 18.

14. رسالة الطيب بنهيمة إلى الطريس في 16 جمادى الأولى 3/1302 مارس 1885، بمحفظة الطريس5.

وفي سنة 1884 قال عامل المدينة عن الخلطة التي كانت للدكتور مع الفلاحين : «خليفة قنصل الفرانسيس ببلدنا أشاع ببلدنا هذه المخالطة الفاسدة وسعى في إذاعة الشر بدكالة وعبدة. وقد ورد أن نائب جنسه عزله وأراح الله من شره»[15].

كان شره في بَذَاءة لسانه وفي اتجاره بالحماية. ففي أواخر 1883 وقعت له مع الطيب بنهيمة نازلة لم يرد عنها تفصيل. لكن قد يكون مردها إلى تنطع آلار في شأن محميه وخلطائه.

فقد دخل الوكيل إلى المحكمة التي كانت بجوار منزل العامل، فلما لم يجده فيها اقتحم دار ابن هيمة باحثا عنه قائلا : «اطلع يا الكلب ابن الكلب!». فأفزع بذلك زوجته ووضعت بذلك مواجب عدلية[16].

ونصل الآن إلى تقرير ناجيار للاستشهاد بفقرات مطولة تعريبا أو تلخيصاً، لما يحتوي عليه من إشارات تاريخية لا تخلو من فائدة. وهو مؤرخ بـ 10 يونيو 1890 ومنقسم إلى ثلاث نقط أولاها عن حالة المرسى. وقد اقتبست منها شيئا في الفصل الأول من هذا الباب، والثانية تتعلق بتصحيح رسوم الحماية، والثالثة بتسوية النزاعات الموجهة ضده والشكايات التي قدمها. وبالطبع سأقصر الكلام على النقطتين الأخيرتين من وثيقة ناجيار[17].

«2 . تصفح صكوك الحماية

«لم توضع حتى اليوم أية قائمة منتظمة للرعايا الفرنسيين القاطنين بآسفي. ولهذا استحضرت شخصيا عند وصولي كل من ادعى حمايتنا فحققت صكوك حماية هؤلاء الأشخاص تحقيقا جديا ونزيها واستطعت أن أحصر عددهم في القائمة التي تصلكم طيه في الملحق الثاني...».

وهكذا نزع الحماية عن أربعة أشخاص هم : **إسحاق أوحيون** (60 سنة) وهو من مواليد الجزائر[18]، **وهارون بوكُدادة** (46 سنة) ومن مواليد آسفي هو **ونسيم الليوي** (40 سنة) وكلهم كانوا يحترفون التجارة، **وإسحاق الليوي** (41 سنة) شقيق السابق لا مهنة له ولا مستندات لديه، وقد سجل مع المحميين. ولد بآسفي ولو ادعى أنه ولد بالجزائر.

«... وباستثناء المسلم الجزائري الوحيد وأربعة من السماسرة والطالب جفَّادة الذين يبدو أن تسجيلهم كان قانونيا، فلا أجد إلا صنفين من المحميين يقتضي إدراجهم تقديم إيضاحات عنهم، وهم اليهوديان الجزائريان واليهود التونسيون والخلطاء البالغ عددهم ثمانية عشر.

15. رسالة بنهيمة إلى السلطان في 5 ربيع الأول 1301 /4 يناير 1884، محفظة فرنسا .
16. رسالة بنهيمة إلى السلطان في 25 صفر 1301 /26 دجنبر 1883، محفظة الطيب بنهيمة.
17. نصها الكامل يستغرق 10 صفحات (من 187 إلى 197) من كتاب ميبج : «وثائق التاريخ...».
18. وسكناه بمراكش.

«فالسيدان مردوخي ابن العيّار ومردوخي الليوي، اللذان هما اليهوديان الجزائريان الوحيدان في قائمتي، كانا دائما يعتبران محميين فرنسيين، سواء من لدن الوكالة القنصلية بآسفي أو من طرف قناصلنا السابقين بالصويرة.

«أما اليهود الأربعة الباقون وهم الإخوة لالوز المتأصلون من تونس فيبدون لي أكثر من السابقين خليقين بعناية سعادتكم. ولجميعهم علاقات تجارية وطيدة بفرنسا ولا سيما مع مرسيليا. وهم متمتعون في آسفي بتقدير حقيقي. ولا شيء يعاب عليهم، ولم يدفعوا في أي وقت مطالب أو شكايات بأهل البلاد بالرغم من ضخامة حركتهم...

«كان عدد الخلطاء بدائرة آسفي أزيد من 150 سنة 1882 . وفي سنة 1886 أُنزل عددهم إلى 73 فردا. وأخيراً احتوت آخر لائحة قدمها السيد لاكوسط إلى المفوضية في 25 من الشهر الماضي على 40 خليطا. ومنذ ذلك الوقت خفض كثير من مواطنينا ــ عن طيب خاطر ــ عدد خلطائهم. ولما وصلت إلى آسفي استطعت أن أظفر بتخفيضات جديدة.

«وفضلا عما سبق ذكره، سوّى السيد آلار بواسطتي مصالحه مع 10 من الفلاحين من إيالتي السي عيسى بن عمر والسي ابن الحافظي. ولم يبق له بحسب الصكوك القانونية إلا 6 من جملة الثلاثين الذين كانوا له سابقا، بحيث لم تعد تحوي القائمة طيه في الساعة الراهنة إلا عددا معقولا وهو 18 خليطا في مجموع دائرة آسفي.

«ويدخل في زمرة هذا العدد خلطاء محمد بن الرُّكَيْكْ «طالب» قنصلية الصويرة ومحمد جغَّادة «طالب» وكالة آسفي اللذين يجب عليّ أن اعترف بأنه لا يسمح لهما ــ بوصفهما مجرد محميين ــ من الاستفادة من مقتضيات الفصل التاسع من وفق مدريد.

«وباختصار تشمل القائمة طيه مواطنا فرنسيا ومسلما جزائريا ويهوديين جزائريين وأربعة من يهود تونس و «طالب» الوكالة وأربعة سماسرة و 18 خليطا...

3. «تسوية الشكايات المرفوعة على السيد آلار أومنه

«كدت أُفرد ــ لبحث قضايا السيد آلار ــ كافة أوقات إقامتي بآسفي. وأستطيع القول إن تسوية هاته القضايا القديمة ــ التي لم يستطع السيد لاكوسط أن يحسمها قبل رحيله ــ كانت أصعب قسم في مهمتي وأقساه. فمثلا لمَّا لم يرسل السي عيسى بن عمر، أحد قواد الداخل، خلطاء السيد آلار إلى آسفي بالذات لتصفية حسابه معهم، اضطُرِرت من أجل ذلك إلى السفر إلى عبدة صحبة السيد آلار ورجال خدمتي، في حر شديد متحملا شديد العياء والوعثاء. إن الشكايات التي رفعها السيد آلار أو رفعت عليه هي :

أ : «الاعتقال الموهوم لسائس السيد آلار

«التظلم الأول الذي عرض عليَّ مشروح في الرسالة طيه (الملحق الثالث) التي وجهها السيد بوسك Bosc الذي يقطن حاليا عند السيد آلار والذي ينوي الإقامة بآسفي على ما يبدو. ففي يوم 22 ماي كتب السيد بوسك رسالة إلى وكيلنا القنصلي يخبره بأنه «سمع بوشك اعتقال سائس» السيد آلار. وبعد أن حققت فيها بآسفي تبين لي أن لا أحد يفكر في القبض على مستخدم السيد آلار..

ب : «شكاية الحكومة المغربية بالسيد آلار لاحتلاله اصطبلا بدون حق ولا عقد

«اشتكى القائد السيد عبد الخالق ابن هيمة لدى السيد لاكوسط في مختلف المناسبات ومنذ عدة سنوات من أن السيد آلار ــــ الذي يحتل خارج المدينة بدون حق اصطبلا داخل ثكنة يوجد فيها مخزن للبارود ــــ ظن بإمكانه ربط خيوله فيه دون رخصة مخزنية، كتابية أو شفاهية. وإذ كان المكان خاصا بالجيش المخزني، وإذ لم يأذن السلطان لأي أحد من سكان آسفي باستعماله حظيرة، طلب العامل ــــ بإلحاح ــــ من السيد لاكوسط أن يُهيب بالسيد آلار إلى إفراغه على عجل. وعلمت أن هذا الأخير كثيرا ما وعد قنصلنا بالالتزام بأوامره. وقد كرر لي العامل طلبه وألح فيه شديد الإلحاح لكي نجد حلا نهائيا لهاته القضية.

«فاستدعيت السيد آلار إلى مكتبي بمحضر القائد بنهيمة، وناشدته الجلاء عن الإصطبل الذي يشغله دون حق ولا كراء مدة 12 سنة، وأعلمته بأنه إذا لم يرضخ لتعليماتي فسأرى نفسي مضطرا إلى أن أدفع للقائد ــــ عن طريق القضاء ــــ المكان الذي هو من أملاك السلطان. وأمام هذا الأمر لم يتشدد السيد آلار. وفي نفس المساء وضعت مفتاح الإصطبل بين يدي باشا آسفي الذي أتى من الغد مبادرا إلى شكري على ذلك...».

ت : تسوية خلطة السيد آلار مع خمسة فلاحين من إيالة السي عيسى بن عمر

وذكر ناجيار أنه انتقل إلى قبيلة عبدة لحل قضية مخالطة آلار مع ابن عبد الله الأكحل والمحجوب العسيري وأحمد برموش وقدور العسيري ومبارك بن سليمان الذين كان العامل قد اعتقلهم والذين لم يؤدوا قط زكوات ولا أعشاراً للسلطة المحلية. ففض مشكلتهم وأديا للسيد آلار مبلغ 1003 ريالات (5015 فرنكا) وحل النزاع في 6 يونيو 1890.

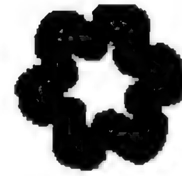
ث : تسوية خلطة السيد الار مع خمسة فلاحين من إيالة القائد السي الحافظي

وفي مدينة آسفي حل ناجيار مشكل الدكتور مع خمسة أفراد من إيالة أحمد ابن الحافظي قائد قبيلة الربيعة بعبدة. وكان قد أوقع القبض عليهم وثبت أنهم لم يؤدوا الزكاة والاعشار وسط إخوانهم، وقال إنهم كانوا عصاة للقائد. وأسفر ذلك عن دفع 3200 فرنك إلى آلار وهو ثمن الدواب والبضائع. وقد كانت رسوم الخلطة غير قانونية، جعلت تارة مع قنصل فرنسا بآسفي، وتارة أُخرى مع الفيلالي مستخدم الدكتور.

وفي الأخير حلت شكاية غريبة مفادها أن آلار ادعى أن العامل منع على فرّازني بالمدينة طهي خبز الدكتور حتى «يقتله جوعا». فاستدعى العامل صاحب الفرن فأنكر. ثم اتضح أن مستخدم آلار هو مختلق هاته المقولة.

وختم المبعوث كلامه بأنه أسدى للدكتور آلار نصائحه في شأن سلوكه في المستقبل.

هاته جوانب من قضية آلار أوردتها للفائدة على ما فيها من طول.



7 : باقي الدول

وهي البرتغال والبرازيل وبلجيكا والنمسا وهولاندة والدانمارك والسويد والنرويج وألمانيا وذلك في 8 مطالب لا تحتوي إلا على قليل من المحميين والمستوطنين.

المطلب الأول : البــرتغــــال

أ : الســلــك الـقـنـصـلـي

1. في سنة 1866 كان كُشْـطُ نائبا عن البرتغال[1].

2. وربما كان **إسحاق بن زاكار** المحمي الأمريكي قد ناب سنة 1883 عن البرتغال[2].

3. وفي سنة 1886 كان **إدجان ريسيو** (أو على الأصح خوان ريثو J. Rizzo الإسباني على ما يظهر) قد كلف بتمثيل هاته الدولة[3] بالنيابة عن :

4. **خوصي بوطلير** الإسباني الذي كلف فعلا بذلك في نفس السنة[4].

---

1 . رسالة طومسن قنصل السويد إلى ابن بومهدي في 11 شتنبر 1866 محفظة السويد. وكُشط هو تحريف أوكُوسطو Augosto الذي لم أقف على نسبه.

2 . رسالة الطيب ابن هيمة إلى السلطان في 15 ربيع الثاني 1300 /23 يبراير 1883، محفظة أمريكا.

3 . رسالة ريسيو إلى أميني المرسى الطالب بنيس ومحمد بن عبد الهادي زنيبر في 11 ماي 1886/11 شعبان 1303، محفظة البرتغال.

4 . رسالة كولاصو إلى الطريس في 19 يونيو 1886 /17 رمضان 1303، بالمحفظة نفسها.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية العامة

1 ـــ 2 : محمد بن علي الجبلي كان عونا، **ويهودة ابن الصبّاح التطواني** ترجمان في القائمة البرتغالية العامة لسنة 1880.

ب 2 : من القائمة البرتغالية العامة (1880)

3 ـــ 6 : محمد ولد الناصر عـــون، **وسيد المكي بن الفقيه** مستخدم هو والذي بعده : **الحاج محمد الشقوري، وعلال الحكيم** الذي كان كاتبا والتبس اسمه على المسؤولين ولا سيما ـــ على ما يظهر ـــ مع الطيب بن أحمد الحكيمي المحمي الأمريكي، فرفع عامل آسفي هذا الغموض سنة 1883 وقال إن «علال الحكيم ليس في حماية ابن زَكَر، بل في حماية البردقيز»[5]. وما ذلك إلا لأن هذا اليهودي المحمي الأمريكي كان ينوب عن البرتغال أيضا.

المطلب الثاني : البـــرازيـــل

حوالي 1892 كان **فادريكو يمثل هاته الدولة**[6]. ولعله هو فريدريك كيلنير النمساوي. ولم يكن هنا محميون وإنما سماسرة وردت أسماؤهم في قوائم سنة 1900 العامة[7] وهم :

1 ـــ 6 : عزوز بن عبد الله الحياني المرودي سمسار ليعقوب بينطو، **وصالح بن بومهدي اليزالغي العياشي** سمسار ميكْيل الروّاس، **وعبد الله بن قدور المحياوي** سمسار موشي بوطبول، **وأحمد بن علي الورغاني الحياني** سمسار جون لابين الإنجليزي وكلهم من قبيلة عبدة، **والحاج المكي بن حميّد** سمسار خوان راطو J. Ratto قنصل البرازيل بالصويرة، والراجح أنه هو الحاج المكي بن حيمود الذي كان سمسارا لتاجر ألماني كما سيأتي، **والحاج علال الرحماني** سمسار بآسفي لروبين بنجو القاطن بطنجة.

5 . رسالة الطيب بنهيمة إلى السلطان المذكورة في الهامشة الثانية أعلاه.

6 . رسالة عبد الخالق إلى الطريس في 21 جمادى الأولى 1310 / 11 دجنبر 1892، محفظة الطريس 23.

7 . أرقام هاته القوائم الثلاث بمكتبة تطوان هي 69/38 / و 69/39 و 69 /40.

المطلب الثالث : بلجيكا

أ : السلك القنصلي

1. وفي سنة 1867 ناب **دوَرْدُ** عن بلجيكا أكثر من عشرين سنة[8].

2. حوالي 1872 كان **جورج يوناط** الإنجليزي هو المكلف بالمصالح البلجيكية حسبما يبدو من القائمة المحلية العامة.

ب : المحميون القنصليون

ب 1 : من القائمة البلجيكية العامة (1886)

1 ــ 3 : **هارون الشريقي** ترجمان **والحاج المهدي الغالي** عون، **والطاهر بن الطاهر** مستخدم.

هؤلاء الثلاثة كانوا محميين منذ سنة 1870. وقد ورد الأولان منهم أيضا في قائمة 1889 بنفس الصفة.

4 . **مبارك ولد السحيحلي الجبلي** مستخدم منذ 1884 وذكر في قائمة 1889.

ب 2 : من لائحة 1889

5. **محمد بن علي** مستخدم، عين مكان الطاهر بن الطاهر سالفة الإشارة إليه.

المطلب الرابع : النمسا

أ : السلك القنصلي

1 . ناب عن الإمبراطورية النمساوية الهنغارية حوالي 1872 حسب القائمة المحلية العامة ممثل إنجلترا الذي كان هو **جورج يوناط**.

---

8 . رسالة الطيب بنهيمة إلى برݣاش في 4 شوال 1283 /9 يبراير 1867، محفظة برݣاش، ورسالة أحمد الحساني إلى الطريس في 16 قعدة 1306 /14 يوليوز 1889، محفظة الطريس 16. دورد هو تحريف إدواردو بالإسبانية في كتابة المغاربة، والمقصود به إدوارد كرارة E. Carr-ra الطارقي.

2. وحوالي 1888 كان فريدريك كيلنر F. Kellner وكيلا قنصليا لبلاده[9]. وظل كذلك أمدا طويلا. وخلف ذرية وتأليفاً.

أما الرعايا النمساويون فكان من أبرزهم فريدريك كيلنر الذي استوطن آسفي سنة 1870. وكان ملاكا لعقارات فلاحية كانت من الشساعة بحيث لا يستطيع حرثها[10].

وإلى جانب الفلاحة كان تاجرا يصدر الحبوب إلى جزيرة ماديرة تارة، وإلى مرسى لندن تارة أخرى. وكان له بميناء آسفي ثلاثة أهراء. لكن دخله كان سنة 1888 ضعيفا[11]. ومن جملة نشاطه تصدير الزيوت، إذ طلب من الأمناء سنة 1891 أن يزيدوا له هريا آخر لخزنها لفائدة شركته[12] بحسب 6 %. ولعل ضائقة مالية حلت به سنة 1891 فباع طرفا من أملاكه لبعض اليهود[13]. وكانت له في نفس السنة ضائقة أخرى، إذ اشتكى من القائد عبد الخالق بنهيمة الذي كان يسيء معاملته[14] على ما قال.

ب : المحميون

وكان المحميون ثلاثة ورد ذكرهم في القائمة النمساوية المؤرخة بفاتح يناير 1891، وهم : **مولاي التهامي كديمات** وكان كاتباً، **ومبارك بن الخليفة** وكان عوناً، **ويعقوب بن مسعود ابن زكار** المتقدم ذكره مع المحميين الأمريكيين، وكان ترجماناً.

المطلب الخامس : هولاندة

أ : السلك القنصلي

1. ج ب . كامبارو الإيطالي كان هو النائب عن هولاندة سنة 1872 حسبما جاء في القائمة المحلية العامة.

2. **جورج يوناط** الإنجليزي كان سنة 1875 ممثلا لهاته الدولة[15].

3. **إدوارد كرارة** تولى ذلك بعده ولاسيما سنة 1886.

---

9 . رسالة محمد عواد وبناصر الحلو إلى الطريس في 24 شوال 1305 /4 يوليوز 1888، محفظة الطريس 13.

10 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 372 (9).

11 . رسالة الأمينين عواد والحلو المتقدم ذكرها (هـ 9).

12 . رسالة مخزنية إلى ممثل الأسطرياكو في 25 صفر 1309 /30 شتنبر 1891، محفظة الطريس 21.

13 . رسالة بوليسلافسكي إلى الطريس أيضا في 25 صفر 1309 /30 شتنبر 1891، محفظة النمسا.

14 . رسالة الطريس إلى السلطان في 18 رمضان 1308 /27 أبريل 1891، بنفس المحفظة.

15 . رسالة جون هي إلى بركاش في 9 مارس 1875، محفظة بريطانيا.

ب : المحميون

شخص واحد ورد في قائمة 24 مارس 1896 العامة هو **ادحمان بن الحساني** الذي كان عونا.

المطلب السادس : الدانمارك

يبدو أن **جورج يوناط** كان هو الذي ناب عن هاته الدولة سنة 1872 وفق مايستفاد من القائمة المحلية العامة.

والمحميون كان منهم واحد فقط ورد في نفس القائمة وهو **مسعود بهضوض** الذي كان ترجمانا. أما السماسرة والرعايا فلم يرد لهم ذكر.

المطلب السابع : السويد والنرويج

أ : السلك القنصلي

1. **بيدرو فانطون** الإسباني مثل هاتين الدولتين[16] سنة 1859.

2. لكن الذي ناب عنهما أكثر من ثلاثين سنة ومنذ ما قبل 1863 كان هو التاجر الإنجليزي **هنري ج هـ طومسن**[17] **H.J.H. Thompson** حتى سنة 1894 حيث توفي[18].

ب : المحميون القنصليون

لم يرد لهم ذكر إلا في قائمة سنة 1888 ، لكن جاءت أسماؤهم في وثائق شتى.

ب 1 : من وثائق مختلفة

1 ـــ 2 : **ابراهام شلومو** كان سنة 1884 ترجمانا[19]، و **ابراهام بن ميمران المسفاوي**

---

16 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 204 (1).

17 . رسالة السلطان إلى بركاش في 22 ربيع الأول 1280 /6 شتنبر 1863، محفظة بركاش.

18 . رسالة محمد بن البدوي إلى السلطان في 4 رمضان 1311 / 11 مارس 1894، محفظة آسفي 2.

19 . رسالة وايط إلى بركاش في 7 جمادى الأولى 1301 /5 مارس 1884، محفظة السويد.

وقد احترف سنة 1892 نفس الوظيفة[20]، ومر بنا أنه كان محتميا بإسبانيا، وقد ورد اسمه في قائمة 1888 السويدية.

ب 2 : **من قائمة 1888**

3 ــ 6 : **الحاج محمد الشقوري** كان كاتبا، وتقدم ذكره مع البرتغال، **والحاج الحساني** (؟) **بن علي** حارس، **وحمو بن صالح**، و **الحسن الشيظمي** ولعلهما كانا عونين[21].

المطلب الثامن : ألمانيا

في سنة 1893 كان النائب القنصلي هو **كارل فرانك**[22] **K. Frank**.

ولم أقف على أسماء محميين قنصليين، لكن كان هناك خمسة من السماسرة ورد ذكرهم في مختلف القوائم السنوية الألمانية، وهم :

1. **الحاج المكي بن حيمود** سمسار كارل فرانك سنة 1897، وتقدم ذكره مع البرازيل.

2. **التهامي بن محمد الزاهي** كان سنة 1897 سمسارا للتاجرين الألمانيين المقيمين بالصويرة : ڤايس ومَاوَر[23]. وكان هذا التاجران قد طلبا سنة 1892 من الامناء بناء دار وخزين بآسفي لعزمهما على الاستقرار بهاته المدينة[24] في ذلك الوقت.

3 ــ 4 : **سلام أوحيون المسفيوي ومحمد شرّادة** كانا سنة 1904 سمسارين لهما أيضا. وتقدم ذكر شرادة مع المحميين الفرنسيين.

5. **الشرقي بن محمد بن صالح المسفيوي** وكان سنة 1904 سمسارا للتاجر الألماني المقيم بالصويرة باپ[25] W. Jaap.

ومن جهة أخرى ذكرت المصادر أن محطة للأرصاد الجوية أنشئت بآسفي قبل سنة 1890 وكان الغرض منها تقديم إفادات للبواخر التجارية. أما المشرف عليها فاسمه ڤيرنير شرادر[26] Werner Schrader.

---

20 . رسالة طاطنباخ إلى الطريس في 11 أبريل 1892، بالمحفظة نفسها.

21 . ميكروفيلم السويد النرويج (1888)، بمديرية الوثائق الملكية، الوثيقة 462.

22 . رسالة هنكل إلى الطريس في 15 شتنبر 1893 /4 ربيع الأول 1311، محفظة ألمانيا.

23 . من قائمة 1897.

24 . رسالة محمد غريط إلى الطريس في 12 صفر 1310 /5 شتنبر 1892، محفظة الطريس 23.

25 . ورد الثلاثة الأخيرون في قائمة 1904.

26 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 195 (1).

البـــاب العـــاشـــر

الـــصـــويـــرة

1 : الولاة والسكان والعمران

أ : الـــولاة

1. كان **الحاج عبد الخالق أشعاش** سنة 1246 /1830 عاملا على المدينة[1].

2. وفي سنة 1249 /1833 كان العامل هو **علال الزمراني**[2].

3. ولعل **عمر ابن رزوق** تولى أواخر عام 1260 /1844 الشؤون المحلية[3].

4 . **والحاج العربي الطريس** كان سنة 1842 أمينا ثم صار عاملا حتى 1853 وهي سنة وفاته[4].

5. وفي سنة 1270 /1854 استُعمل الحاج **محمد بريشة قائدا**. وكان «صلبا حازما شديد الوطأة والاعتساف والغلو والإفراط وخصوصا في إقامة الحدود على المخمرين»[5].

---

1 . محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ السريرة، لتاريخ الصويرة» ص 64.

2 . المرجع الأخيـــر.

3 . رسالته إلى محمد بن ادريس العمراوي في 18 حجة 1260 /29 دجنبر 1844، محفظة الصويرة 1.

4 . محمد الصديقي : «إيقاظ ...» ص 68.

5 . نفس المصدر ص 76 ومييج : «وثائق التاريخ...» ص 49 ورسالة بريشة إلى السلطان في 29 جمادى الأولى 1270 /29 مارس 1854 (8447 م.و.م).

6. تولى الحاج **محمد بن عبد السلام ابن زاكور** عام 1274 /1857 العمالة والأمانة ولكنه نكب في السنة نفسها[6].

7. وإلى الحاج **عبد الكريم بن الحاج أحمد الرزيني** أسندت سنة 1859 أمور الصويرة[7].

8. الحاج **عبد القادر العطار** أنيطت به شؤون المدينة[8] سنة 1860.

9. **والمهدي بن بوعزة ابن المشاوري البخاري** أحد كبراء الجيش عين عاملا على الصويرة سنة 1862. وكانت له أجرة مثقال يأخذها يوميا من وفر المستفاد. ولكنه عزل في قضية مسعود الشياظمي التي سيأتي الحديث عنها. ولربما كان عجزه عن الخدمة وطعنه في السن سببا آخر في تنحيته. وقد نفذ له السلطان معاشا من ثلث «الفتوحات» المعين صرفها على الضعفاء والمساكين بضريح سيدي مكْدول، بعد أن كان سنة 1887 قد التمسها[9].

10. وقد وزع السلطان صلاحية العامل بينه وبين **الحاج محمد بن الحاج مبارك أملاح** الذي سمي نائبا لبركّاش في الشؤون القنصلية «ليباشر الكلام مع خلفاء القوانيص» الذين يرفعون إليه القضايا «كما يرفعون هم أمورهم لكبرائهم الذين بطنجة»[10]. وما لبث أملاح أن عزل ثم صار أمينا، ولكنه نكب طبق ما سيأتي ذلك مشروحا في نهاية هذا الفصل.

11. وفي سنة 1863 كان **علي بن أحمد بن عبد الصادق** والياً على ما يحتمل[11].

12. ويبدو أن **محمد بن عبد العزيز** ولي سنة 1284 /1867 لمدة وجيزة[12].

13. غير أن **الحاج عمارة بن الحاج محمد ابن عبد الصادق المسكّيني** عين في بداية 1285، أواسط ماي 1868 عاملا حتى توفي في بداية 1883 بداء عضال بحيث قضى في الولاية أكثر من 15 سنة[13]

---

6 . محمد الصديقي : «إيقاظ ... » ص 79.

7 . نفس المرجع ص 81 وابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 375 و«الوثائق» : 2 ص 371.

8 . محمد الصديقي : «إيقاظ...» ص 83 ومحمد داود «تاريخ تطوان» ج 5 ص 388.

9 . محمد الصديقي : «إيقاظ» ص 86 و 87، ورسالته إلى أحمد بن موسى في 24 رمضان 1304 /16 يونيو 1887، محافظ الترتيب العام.

10. رسالة السلطان إلى بركّاش في 17 رمضان 1279/8 مارس 1863، محفظة الصويرة 1.

11. العباس بن ابراهيم «الإعلام» ج 8 ص 151.

12. محمد الصديقي : «إيقاظ ..» ص 91.

13. نفس المرجع ص 93 و 97.

ولما استعمل على المدينة بادر عامل اسفي إلى تهنئته : «فالولاية عليك مباركة مسعودة. أعانك الله عليها.»[14].

ووردت عليه التهانىء من أعضاء السلك القنصلي. وإذْ كان حديث عهد بمنصبه كتب إلى السلطان يخبره بذلك، فأجابه مستشهدا بعبارات رسالة العامل من أنهم طلبوا «تعيين وقت لهم يردون عليك فيه للتهنئة، فشاورتَ من لهم خبرة بمثل ذلك، فأشاروا عليك بمساعدتهم، ووردوا عليك واحدا بعد واحد. ولما تكاملوا وجه لك الكلام أول قادم منهم عليك يستفهم عن الوقت الذي تأتيه لرد الأقدام[15]... وقالوا : «إنه قانون لابد منه.» فاستاشرت (= فاستشرت) الأمناء فأشاروا عليك بمساعدته... وذكرتَ أنهم طلبوا منك القدوم في الأعياد لتقدم عليهم في أعيادهم وقالوا : «إنها العادة مع الولاة قبلك». وأعلمتّنا لنكون على بصيرة في ذلك كله.

«فاعلم أننا سألنا البعض ممن لهم اطلاع على القانون في ذلك، فأجاب بأنه لم يُعهد من عمال الحاضرة القدوم لقناصي الأجناس في الأعياد. وعليه فلا تكن تقدم عليهم في الأعياد،وحتى إن كان يفعل ذلك من تقدمك من الولاة كالمهدي بن المشاوري فلا تعتدَّ به في ذلك، فإنك أرفع منه درجة وأعلا مرتبة[16]».

ومع هؤلاء القناصل كانت له مذاكرة أُخرى في الشؤون الصحية سنة 1868، فلَقَّنه برݣاش ما يخاطبه بهم في هذا الشأن : «وهؤلاء النواب الذين يتكلمون في هذا الأمر هم أصحاب السنيدة لأجل قوانين البحر وليس هم نواب من قبل دولهم فيها، وإنما هم نواب من قِبَل سيدنا أعزه الله عن أُمور السنيدة...»[17].

والواقع أن الحاج عمارة إن كان أعلى مرتبة من المهدي ابن المشاوري الذي ربما كانت فيه غفلة والذي أفضى الأمر به إلى العزل ثم إلى الاستجداء من فتوحات سيدي مكْدول، فإنه كان قد خيب الظن فيه من الوجهة الأخلاقية. فهذا الدكتور ليرد يذكر عنه أنه كان سنة 1872 يتقاضى دولارا واحدا في اليوم، ولكنه كان يقتطع من أجرة الجنود نصيب الأسد[18]. ومحمد بن سعيد الصديقي ينعته بأن «سيرته كانت غير مرضية»[19].

---

14. رسالته إلى الحاج عمارة في 24 محرم 1285 /17 ماي 1868، محفظة الطيب بنهيمة.
15. عبارة عامية تعني رد الزيارة البروتوكولية.
16. رسالته إلى الحاج عمارة في 29 صفر 1285 /21 يونيو 1868، محفظة الصويرة 2.
17. رسالة برݣاش إلى الحاج عمارة في 10 جمادى الأولى 1285 /29 غشت 1868، نفس المحفظة.
18. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 52.
19. محمد الصديقي : «إيقاظ...» ص 97.

ولما وردت أخباره إلى السلطان استفهم أُمناء المرسى هل حقا أنه «ترامى على جميع أهل السوق هناك من المسلمين ووظف عليهم خمسمائة مثقال ولم يكفه ذلك ورامهم بأكثر منه ؟»[20].

وكانت تربطه علاقات ببعض المستوطنين، فقد «استسلف» من كُريس الإنجليزي سنة 1873 مائة ريال ثمن شعير باعه له أيام الغلاء، حسب رسالة السلطان إلى العامل المستفهمة[21].

إلا أن ابن عبد الصادق كان ضابطا حازما، ولو أنه كان شبه أمي حسبما يظهر من تعاليقه على الرسائل المخزنية التي كان يتولى الإجابة عنها كاتبه حسن بن أحمد.

14. وكان **الرَّكْراكْي الذاوبلالي** سنة 1872 عاملا على حاحة وقائدا لحامية أكَادير[22]. وقد عين واليا على الصويرة بعد وفاة سلفه واستمر إلى 1895 في هذا المنصب مدة 12 سنة[23]. وقد انتقل بعد ذلك إلى نواحي سوس فنجده بعد 9 سنوات ضمن عمال هوارة وهشتوكة[24].

وكان من معينيه كاتب هو ابن الحاج حمو مثقال الذي كان «يدعي أنه في حماية النجليز. وقد لبَّس على العامل حتى جعل له تنفيذةً بمستفاد الصويرة. وكانت يده هي الجائلة في رواتب الجيش السعيد والمشاهرة حتى ملك من الأُصول والمال من ذلك ما يشهد به كل واحد من الناس هنا، ولا يُظهر إلا مِنَّة النصارى عليه»[25].

15. وكان أمين المرسى **إدريس بن الحاج محمد ابن زاكور** عاملا بعده حتى 1896.

16. صار **الحاج علي ابن الحاج التطواني** سنة 1896 عاملا على المدينة. وقد ظل يتولى هذا المنصب حتى توفي بعد سنتين. وكان في العهد الحسني أمين الداخل بالقصر السلطاني، وسبق له أن قضى مدة 25 سنة في التجارة بمرسيليا وجبل طارق وجنوة[26].

17. **عباس بن ابراهيم الجراوي** كان سنة 1898 و 1899 عاملا[27].

18 . وكان **محمد بن عبد السلام بريشة** عاملا[28] سنة 1900.

---

20. نفس المرجع والصفحة وردت فيه رسالة السلطان إلى الأمناء في 2 صفر 1293 /28 يبراير 1876.
21. رسالة السلطان إليه في 29 صفر 1290 /28 أبريل 1873، محفظة الحاج عمارة.
22. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 485، ومحمد الصديقي : «إيقاظ...» ص 117.
23. المرجع الأخير.
24. رسالة إلى مولاي عبد الحفيظ في 8 رمضان 1321 /28 نونبر 1904، محافظ الترتيب العام .
25. رسالتا بوشعيب الآزموري إلى الحاجب في 6 جمادى الثانية و 14 رجب 5/1312 دجنبر 1894 و 11 يناير 1895.
26. مييج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 406 (5)، وابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 515، ومحمد الصديقي «إيقاظ...» ص 133.
27. رسالته إلى السلطان في 12 رمضان 1316 /24 يناير 1899، محفظة الترتيب العام 1316.
28. قائمة المحميين البرازيليين سنة 1900.

19 . **محمد بن عبد النبي بنجلون المراكشي** قلد الولاية بعد سلفه مباشرة على ما يلوح. وكان محبا لأهل العلم كثير المعروف والمسكنة. وفي سنة 1318 /1901 توفي ودفن بفاس[29].

20 . وخلفه **عياد بن أحمد المنبهي** سنة 1902 على الصويرة[30].

وإذا بحثنا أصول العمال السابقين الذين اضطلعوا بشؤون الصويرة طيلة 70 سنة ألفيناهم من غير أهل البلد : الأول والرابع والخامس والسابع والثامن والسادس عشر والثامن عشر تطوانيون، بينما كان التاسع والثالث عشر والرابع عشر والسابع عشر والعشرون من الضباط أو من الوصفان، في حين أن السادس والخامس عشر من أهل فاس.

ب : السكان والعمران

كان عدد قطان هذا الثغر الجنوبي خلال القرن التاسع عشر 10 آلاف سنة 1834 و 14 ألفا سنة 1856 و 16 ألفا سنة 1866 و 17.500 سنة 1874 و 20 ألفا سنة 1884 و 21 ألفا سنة 1892. أما سنة 1900 فكانوا إما 25 ألفا وإما 22 ألفا بحسب التقديرات[31] طبعاً.

فقد قدرهم الرحالة أرثور ليرد سنة 1872 بـ 15 ألفا من المسلمين و 6 آلاف من اليهود و 150 من الأروبيين. وهذا قريب مما قيل من أن سكان الصويرة من اليهود كانوا سنة 1834 و 1856 و 1866 يبلغون على التوالي 3500 و 4000 و 6500 نسمة[32].

ولم تكد تعرف بالمدينة أَوَّلية ولا أَوْلَوِيَّة، بمعنى أنه لم تكن فيها نخبة ثقافية أو حضرية محلية. ولذلك كثر فيها العمال المعينون من آفاق مختلفة حسبما مر بنا، وذلك بخلاف مدن أخرى حيث كان الولاة من أهل البلد.

ومع ذلك لم تضرب الهجرة إليها داخليا وخارجيا أرقاما قياسية كبيرة خلال الثلث الثاني من القرن التاسع عشر. فالمعدل كان هو 60%، مثلما كان بطنجة[33].

وقد دخل الرحالة أوجين أوبان الصويرة من جملة المدن التي زارها في مطلع القرن العشرين فرأى أن أعداد السكان لم تتجاوز 25 ألفا، أغلبهم نزح إليها من سوس. بعد أن أوصدت أݣادير

---

29. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 7 ص 131.
30. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 10 ورسالة عياد المنبهي إلى عبد الكريم بنسليمان في 13 قعدة 1318 /4 مارس 1901 محافظ الترتيب العام.
31. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 14 و ص 461 و ج 4 ص 397.
32. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 47 وكذلك المرجع الأخير.
33. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 26 و 23.

في وجه التجارة الخارجية. وكانت الصويرة أعظم مدينة بالمغرب تحتوي على اليهود الذين كانوا يبلغون 10 آلاف منهم ألفان من الميسورين وكانوا يقطنون بالملاح.

أما الأروبيون فكانوا نحو 300 نسمة، 100 إسبانيون و 50 طارقيون أغلبهم صناع، والباقون ينتمون إلى إنجلترا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا وفرنسا. وكانوا يسكنون بالقصبتين القديمة والجديدة معا[34].

وفي سنة 1885 كان الكاثوليكيون من الأروبيين نحواً من 50 نسمة ولكن أرقامهم تصاعدت سنة 1896 إلى 140 نفرا[35] زيادة على البروتسانتيين وأهل المستعمرات والمحميات.

وبتصفح وثيقة بريطانية في أواخر القرن الماضي عن النازحين إلى الصويرة نجد أن حوالي 50 شخصا من الرعايا العثمانيين من مسلمين ويهود ونصارى حلوا بالمدينة إقامة أو عبورا مؤقتا بين غشت 1883 وغشت 1893، قادمين من مناطق كانت تحت السيادة التركية وحتى من أروبا وإفريقيا، فكان جلهم من اليهود (45 شخصا) وكان أقلهم من المسلمين وكلهم وفدوا من بلدان مثل الشام وتونس ومصر والعراق وفلسطين وتركيا والجزائر وإسبانيا والبرتغال واليونان ويوغوسلافيا ورومانيا وجبل طارق. ومنهم من رسوا بالصويرة قادمين من النواحي المغربية حاملين بطائق رسمية. ولقلة عدد الشرقيين سأورد هنا أسماءهم : عبد الله بن مصطفي ومحمد بن عبد الرحمان وابنه عبد العزيز (من بغداد) وكانا يسكنان بسكساوة وحسن اصْطِفان اللُّطَيف وهو من المنصرين وزكرياء ابن الغزال (من لبنان) وعبد الرحمان بن محمد (من تونس). أما من إسطنبول فكان صالح بن عبد الله[36].

وكان من الأجانب من يشتغل بالتجارة في مدينة كانت الحالة فيها سنة 1884 هي بعض ما وصفها به قنصل فرنسا ماوون، ونجمله فيما يلي :

— بالصويرة دور مبنية بالحجر تتألف من طبقة وبها من 5 إلى 8 حجرات. ثمن الإيجار السنوي كان يتراوح بين 1000 و 1800 فرنك بالقصبة الجديدة. وكان يقل في القصبة الجديدة عن ذلك بين 30 و 40 في المائة.

— المدينة هادئة، والحرائق فيها قليلة الشبوب، والسرقات والنهب أقل من مكان آخر.

— يمنع بمقتضى قرار 3 مارس 1881 على كل فرنسي أن يقابل القائد دون ترخيص من القنصل.

---

34. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 2 و ص 5.
35. مييج : «وثائق التاريخ الاقتصادي والاجتماعي المغربي في القرن19» ص 271.
36. من الوثيقة البريطانية F.O / P. R. O. 653/ 3

ـــ المواد الغذائية تأتي من الداخل، وهي وفيرة بقطع النظر عن السمك. وينبغي أن تستورد من أروبا كل الأقوات اللازمة «التي يحتاج إليها مغاربتنا» مثل الخمور والكحول ولحم الخنزير والجبن الخ...

ـــ بواخر شركة پاكي وشركة فوروود تحمل البضائع والمسافرين وترسو مرتين في الشهر.

ـــ لا وجود لمؤسسات بنكية. البيوعات تتم نقدا ناضا. وهناك محاولات للبيع بالنسيئة، لكن لا يسفر عنها إلا خيبة الظن نظرا لسوء نية السكان.

ـــ الزيوت وجلود المعز وريش النعام مواد تكاد تكون حكرا للفرنسيين بمفردهم. ومنتوج ريش النعام يتراوح بين 7 و 8 آلاف فرنك في السنة. وتأتي به القوافل كل أربعة أشهر من تمبوكتو.

ـــ ثمن الذهب بين 2625 و 2885 فرنكا للكيلو.

ـــ المنسوجات القطنية تجلب من مدينة مانتشيسطر. والمطلوب منها مصنوعات و. ݣراهام وشركته W. Graham. ولا تترك أثمان بيع النسيج أي ربح للتجار.

ـــ الأرز لا يستهلك إلا في سنوات الشدة. ويصدر إلى المغرب شاي هيستون Hyston الإنجليزي. أما السكر الفرنسي فإن آخر ما وصل منه من مرسيليا كان في قوالب من 3 كيلوات بثمن 61 فرنكا لمائة كيلو.

ـــ يتقاضى الأمناء 10% عن كل هاته البضائع المستوردة. أما المصدرة فتؤدى عنها جميع الواجبات. غير أن تصدير العملة لا يدفع عنه أي مكس ولا توسق إلا في عهود الضيق[37].

والآن سنلم إلماما طفيفا بحركة الملاحة التجارية. فقد كانت تبلغ في حجمها سنة 1875 30 ألف طن. في التصدير والاستيراد غلبت التجارة البريطانية تجارة جميع البلدان الأخرى حسبما سيأتي، وذلك بملايين الفرنكات. فقد وصلت في الوسق والجلب إلى 4,8 ملايين سنة 1883 في أقلها، وبلغت في أكثرها سنة 1865 نحو 14,8 مليونا.

تجارة بلجيكا في الاتجاهين لم تتعد 400 ألف فرنك سنة 1868 مع تقلص إلى الصفر سنة 1871. وأقل من ذلك كان للتجارة البرتغالية : 240 ألف فرنك سنة 1874 وتردت إلى 20 ألف فرنك سنة 1880. وكانت قيمة تجارة فرنسا 62 ألف فرنك سنة 1871 وانهارت سنة 1880 إلى 28 ألفا. وإسبانيا وصلت مبادلاتها إلى القمة بالصويرة أي إلى 540 ألف فرنك سنة 1861 وهوت إلى الصفر سنة 1868، ولكنها لم تتجاوز 120 ألف فرنك[38] سنة 1880.

---

37. مييج : «وثائق التاريخ...» من ص 173 إلى 176 بتلخيص.

38. نفس المرجع من ص 275 إلى ص 279 وكذلك ص 289.

وفي بداية القرن الحالي ونهاية الماضي كان مجمل أرقام التجارة الأجنبية كما يلي :

الإستيراد : 6,46 و 5,97 و 6,38 و 7,82 من 1898 إلى 1901.

التصدير : 7,57 و 8,36 و 10,78 و 7,52 من 1898 إلى 1901، وذلك بملايين الفرنكات. وكانت إنجلترا تأتي دائما في المقدمة وبنصف المقادير جلبا ووسقا[39].

وفي الختام لا بأس من النظر في حصيلة تجارة بعض المواد :

كانت قيمة الصمغ المغربي المصدر من 1846 إلى 1874 كما يلي :

1846 : 706.950 فرنكا (الحد الأقصى)
1855 : 8.525 فرنكا (الحد الأدنى)
1856 : 35.935 فرنكا
1866 : 151.880 فرنكا
1874 : 124.411 فرنكا

وهاته الأرقام إنما هي مأخوذة ومقتبسة عن طريق السَّبْر في شأن تجارة العلك، دون العلك السوداني والعلك العرعاري[40].

وكانت قيمة تصدير جلود المعز من الصويرة بين سنتي 1846 و 1883 كما يلي :

السنة	القيمة	الوحدات	الملاحظات
1846	604.675	489.780	–
1848	218.615	328.020	الحد الأدنى
1856	752.100	426.276	–
1866	2.181.250	1.048.444	–
1874	3.786.460	1.135.956	الحد الأقصى
1876	1.812.625	797.500	–
1883	1.118.750	539.664	–

39. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 6.

40. مييج : «وثائق التاريخ» ص 229 و 230.

وقد اقتبست الأرقام الدالة فقط، وكل ذلك مقيّم بالفرنكات[41].

وكان هذا عن تصدير الصمغ وجلود المعز من ثغر الصويرة. أما حركة الجلب فمن المستحسن الاستدلال ببعض الأرقام عن المنسوجات والسكر مثلا.

كانت قيمة المنسوجات القطنية المستوردة بين سنتي 1846 و 1885 تتمثل في الأعداد الموالية المقتبسة عُشاريا[42] أي كل عشر سنوات :

1846	:	1.234.520 فرنكا
1850	:	691.420 فرنكا (الحد الأدنى)
1856	:	3.172.500 فرنك
1866	:	3.645.256 فرنكا
1870	:	3.882.050 فرنكا (الحد الأقصى)
1876	:	3.207.725 فرنكا
1885	:	2.717.500 فرنك

وبعبارة أخرى استوردت من البيسّات 50 ألفا سنة 1847 و 450 ألفا سنة 1856و 152 ألفا سنة 1864. أما سنة 1877 فكانت البيسات القطنية المجلوبة تتجاوز 500 ألف[43].

وكانت قيمة السكر المستورد 500 ألف فرنك سنة 1855 وبلغت سنة 1895 نحو أربعة ملايين فرنك. وبشكل آخر كانت تجارة السكر المستورد إلى مرسى الصويرة بين 1846 و 1896 بالفرنكات وبالكيلوات حسبما سيأتي مقتبساً عن طريق السبر[44] :

41. نفس المرجع ص 232 و 233.
42. نفس المصدر 231 و 232.
43. المرجع نفسه ص 292.
44. نفس المرجع ص 241 و 242 و ص 293.

السنة	القيمة	الوزن	الملاحظات
1846	187.100	168.372	–
1852	40.514	25.106	الحد الأدنى
1856	235.200	331.362	–
1866	759.751	809.189	–
1876	553.946	616.559	–
1886	1.073.520	1.410.000	–
1895	1.802.178	3.574.506	الحد الأقصى
1896	1.457.064	2.939.106	–

اقتضت هاته الحركة من الروجان الاقتصادي نشاطا عمرانيا سلفت الإشارة إليه في تقرير ماوون الفرنسي، وسترد إفادات أخرى من الوثائق المخزنية ولاسيما في حركة البناء. ولم تقع تحت اليد عناصر تكشف حالة المرسى وتجهيزها.

وقد خلق توافد الأجانب على المدينة للسلطة وللأمناء مشاكل متعددة مثل الأمن والإيواء. فقد كانوا سنة 1867 يلحون في طلب الأهراء حتى أن «البناء هنا بهذا الثغر الصويري عظم أمره ولاسيما بالقصبة الجديدة التي وقف عليها الحاج الطيب بوجيدة. ولا يمكننا أن ننقص من صائره، بل يزيد لعلو الحيطان واحتياجه إلى اللوح والخشب. وأربابه الطالبون للدور في غاية من الإلحاح على لسان قنصواتهم. وهذا دأبهم...

«وقد اشتريت نحو الثمانية آلاف مثقال من اللوح بقصد البناء، زيادة على ما هو في القائمة...»[45] وكان البائع للخشب المذكور هو هومز Humes الإنجليزي[46].

أما بعد ذلك ولا سيما سنة 1870 فقد كان البناء ممنوعا عليهم، ولا يصح لهم امتلاك العقار. وكان الأمناء يبنون لهم أحيانا بحسب قاعدة 6% في السنة أي باعتبار هاته النسبة من مجموع تكاليف التشييد. كما كان المخزن يحرم البناء كقول أحد الأمناء : «ورد على شأن بناء القصبة الجديدة أمر شريف بأن لا يُساعد أحد منهم إلى (= إلا) إذا استلزم بمدة ثمنية (= ثمانية) أعوام أو عشر ...»[47].

45. رسالة محمد التازي وعبد الكريم التازي إلى الحاج محمد بنيس في 17 صفر 1284 /20 يونيو 1867.
46. حساب مستفاد الصويرة في حجة 1283 /غشت 1866، محفظة الصويرة 1.
47. رسالة العياشي بنيس إلى الحاج محمد بنيس في 4 محرم 1287 /6 أبريل 1870، محفظة الصويرة 2.

وفضلا عن ذلك كانت الصويرة منطلقا للمغامرين والطارئين والجواسيس إلى سوس والجنوب المغربي. وستأتي أخبار عن ذلك في محلها.

ت : تعداد المحميين والسماسرة

كان تقاطر الأجانب على هذا الثغر الصويري كثيرا. وقد اتخذوا، لتجارتهم أو لخدمتهم القنصلية أو لهما معا، مساعدين من المغاربة كان مجموعهم 219 شخصا، مع اعتبار المتكررة أسماؤهم والمنزوعين من الحماية، من سنة 1863 إلى سنة 1900 في بعض الحالات.

ومن هذا العدد كان 140 محميا (أكثرهم يهود : 123) وكان 77 سمسارا (منهم 66 يهوديا). وستأتي في الجدولين أعدادهم وفي الفصول المقبلة أسماؤهم.

وسنلاحظ في النهاية جملة من الحقائق :

1. كان نحو 87,20 % من المحميين والسماسرة يهودا أي 189 شخصا من أصل 217، بينما المسلمون ليسوا إلا 12,80 % أي 28 فردا.

2. جميع المحميين والسماسرة البرازيليين عينوا سنة 1900 أو قبلها بقليل، ومنهم من أدعى له التجنس أو زعمه لنفسه.

3. جل المحميين الفرنسيين يتألفون من العنصر اليهودي، وكانت حماية أغلبهم استثنائية فقط، كما كانت وراثية أو ادعوها لهم سنة 1864 أي بعد تسوية 19 غشت 1863 المبرمة مع المغرب وقبل معاهدة مدريد. ولن نجد أثرا لوراثة الحماية بعد 1880 في كافة القوائم.

4. إنجلترا كانت هي الدولة التي جندت أوفر نصيب من السماسرة في كافة الثغور المغربية (هنا : 37 شخصا) مما يدل على أنها كانت دائما تعنى بالتجارة لا بالحماية في حد ذاتها. أما محميوها فأغلبهم من اليهود الذين كانت مساقط رؤوس بعضهم خارج أرض المغرب.

5. الدول الأخرى لم يكن لهما محميون ولا سماسرة كثيرون حسبما سنشاهده في هاته البيانات الواردة في الجدولين المواليين :

ج 1 : المحميون (1863 ـ 1900)

الـــــدول	المسلمـــون	اليهـــود	الجميـــع
ألـمـانيـا	6	3	9
الولايات المتحدة	1	15	16
إنـجلـتـرا	1	22	23
إسبـانيـا	2	3	5
إيطـاليـا	—	5	5
فـرنـسـا	7	46	53
البـرتـغـال	—	5	5
البـرازيـل	—	17	17
بـلجيكـا	—	2	2
النمسـا	—	4	4
السـويـد	—	1	1
المجاميع	17	123	140

ج 2 : السمـاسـرة (1863 ـ 1900)

الـــــدول	المسلمـــون	اليهـــود	الجميـــع
ألـمـانيـا	1	9	10
الـولايـات المتحـدة	—	1	1
إنـجلـتـرا	10	27	37
فـرنـسـا	—	9	9
البـرتـغـال	—	2	2
البـرازيـل	—	18	18
المجاميع	11	66	77

وقبل الخوض في أسماء الخميين والمستوطنين سنعرج قليلا على قضية أملاح.

ث : نازلة الحاج محمد بن الحاج مبارك أملاح الجديري

تقدّم أنه عين سنة 1862 «باشادورا على الصويرة وآسفي والجديدة تحت نظر باشادور طنجة»[48] أي أنه كان مندوبا إقليمياً للنائب السلطاني في الشؤون القنصلية، «وذلك ليباشر الكلام مع خلفاء القوانيص... ويرفع لبركاش ما يشكل بينه وبين الخلفاء، كما يرفعون هم أمورهم لكبرائهم الذين بطنجة» حسب عبارة السلطان في رسالته المشار إليها سالفا.

هذا النوع من اللامركزية الإدارية فريد في التاريخ الإداري المغربي. وقد تكرر بعد ذلك بسنوات لما عين الحاج محمد الصفار نائبا للطريس بمدينة الجديدة سنة 1893.

وقد أخفقت هاته التجربة لتداخل السلط والصلاحيات بين المهدي ابن المشاوري عامل الصويرة والحاج أمّاد أي الحاج محمد أملاح نائب المندوب السلطاني. وقضى رحيل الصفار سنة 1894 على المحاولة الثانية في مهدها.

ولم يدم تعيين أملاح في هذا المنصب المستحدث إلا 15 شهرا. ولا ندري هل كان من دواعي تنحية الحاج أمّاد عنه تدخل ممثل فرنسا لما امتنع نائب بركاش من إعطاء دار لسكنى الطبيب الفرنسي لوران تيڤنان L. Thévenin، فتأسف الوزير ابن اليماني على إقالة أملاح[49].

وهو على كل حال أُعفي، ولكنه عين أمينا واستمر في منصبه حتى سنة 1870 فعزل ونكب واستصفيت أمواله. ذلك أن حسابه كان يحتوي على ثغرات. فلم يعد محمد الرابع يثق بأرقام الأمناء وخصوصا بما يقبضونه عما يعشر من البضائع، وصار الأمناء يتساهلون مع التجار في الأداء ويوسعون عليهم فيه بدون إذن ولا قانون[50]. وظهرت فضيحة سنراها من بعض جوانبها في رسائل أمناء الصويرة التي ساقت أسماء أمناء كانوا يدلسون حتى أمر السلطان أن تجمع الدراهم في صندوق ويعطى لكل أمين مفتاح.

وفي هاته الأثناء كان الحاج محمد أملاح هو أمين القبض بالقصبة الجديدة. ولما بلغ لعلم السلطان تفاحش السطو على أموال الدولة استدعى الأمناء كلهم وفي ضمنهم الحاج محمد أملاح.

---

48. محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ...» ص 103.

49. رسالة ابن اليماني إلى بركاش في 13 حجة 1279/فاتح يونيو 1863، محفظة بركاش.

50. رسالتا العياشي بنيس إلى الحاج محمد بنيس في 24 و 25 رمضان 18/1287 و 19 دجنبر 1870، محفظة الصويرة 2، وفيها وردت الرسائل الموالية.

وجاءت التقارير مؤكدة وجود هذا التلاعب الخطير. فكان رد السلطان أن «قام وقعد وظهر لسيادته مالا يخطر ببال» حسب رسالة أمينين آخرين. وواصلت هاته الرسالة الكلام عن ذلك مستخلصة أن حاصل كلام محمد الرابع هو أن «العهدة في ذلك على الجميع (= جميع) من خدم معه، لأنهم يد واحدة وتلزمهم العقوبة وغرم ما ضاع كله. وما كان أعنف (؟) اعتقادك أن كل من خدم هنا يفرط هذا التفريط العظيم حتى وقعت هاته «الخَنْزَة» التي لا يغسلها ماء، وأن أمر مولانا صدر ببيع أصول أملاح وسلعه وأثاثه وجميع أموره ببيع المَرْطِيلْيُوا والمطرقة فورا ووكل أخاه الحبيب على البيع. ونحن نقبضوا (= نقبض) الثمن مما عليه....

«فاعلم حفظك الله أن ... ها نحن شرعنا في بيع ما وكل أخاه على بيعه ... الا أن الديار الذي (= التي) ذكر أنهم (= أنها) بالقصبة ... وجدناهم (= وجدناها) ليسوا (= ليست) له : منهم (= منها) ثلاثة لأخوات زوجته ودار لزوجته. وكلهم امتنعوا من إعطائهم. وداره التي هي ملكه ها نحن دفعناها للسمسار...»[51]. وكان «تحت يده مال له بال»[52] وهو نحو 30 ألف ريال أي دخل شهر كامل لمرسى الصويرة حسب تقدير أحد الأمناء.

وانتهى الأمر بإلقاء القبض عليه بأمر سلطاني، ولكنه في أواخر 1871 أفرج عنه[53]. ولعل التسريح كان بعد أداء ما تخلد بذمته وبيع أصوله ومنها منزله الذي قيل عنه : «وأما دار أملاح فإنها تساوي الآن أحد عشر ألف مثقال ومائة مثقال»، اشتراها «رجل يقال له الحاج أحمد ابن مولود صاحب نصراني نجليزي اسمه پاري»[54] أي Perry . وهذا تدليس آخر من لدن المسؤولين والمحميين، لأن التقويم الشرعي أظهر أنها كانت تساوي 42.594 مثقالا[55] بدلا من 11.100 مثقال المذكورة سابقا.

---

51. رسالة عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج إلى الحاج محمد بنيس في 3 ربيع الأول 1287 /3 يونيو 1870. وقد حاولنا تصحيح الأخطاء بين هلالين.

52. رسالة عبد الرحمان بن الحسن إلى الحاج محمد بنيس في 25 رمضان 1287 /19 دجنبر 1870.

53. رسالة العياشي بنيس إلى الحاج محمد بنيس في 4 حجة 1287 /25 يبراير 1871.

54. رسالة العربي فرج وعبد الرحمان أقصبي إلى الحاج محمد بنيس في 23 رمضان 1288 /6 دجنبر 1871.

55. تقويم في 20 حجة 1288 /فاتح مارس 1872.

2 : ألمانيا

أ : السلك القنصلي

1. تولى **تيودور بروئير** T. Braüer النيابة سنة 1874 إلى أواخر 1884 حين توفي[1].

2. وقد خلفه في هذا المنصب **بهرند هـ. ب. نوسكه** P.H.B. Nüske من ذلك الوقت إلى سنة 1892 وهي تاريخ وفاته[2].

3. وآخر وكيل قنصلي كان هو **هينريخ فون ماور** H. von Maur الذي أسندت إليه بعد ذلك النيابة القنصلية[3].

ب : المحميون

جاءت أسماؤهم وأسماء السماسرة في القوائم السنوية الألمانية[4].

1 ـــ 2 : **مير بن يوسف بن ليبي بن الفَساخي، ومبارك بن داود بن الشليح الطبّالي الشياظمي** وهما على التوالي ترجمان وعون (1881 ـــ 1895).

3. **المكي بن محمد بن الحسين الشياظمي** مستخدم (1881 ـــ 1885).

4 ـــ 5 : **حايم ساسبورطاس** مستخدم (1881 ـــ 1882) وقد عوض **بالهاشمي بن علال الفقري** (1882 ـــ 1885) الذي كان سنة 1880[5] سمسارا.

---

1 . رسالة برݣاش إلى الحاج عمارة في 9 ربيع الأول 1292 /15 أبريل 1875، و «الوثائق» ج 3 ص 425، وميبج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 316، وبيير كيّين «ألمانيا والمغرب...» ص 25 (5).

2 . رسالة ڤيبير إلى الطريس في 27 يناير 1885، محفظة ألمانيا، وكذلك ميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 149.

3 . المصدر الأخير ج 1 ص 140، وكيّين : «ألمانيا والمغرب...» ص 57.

4 . سأجعل بين هلالين تاريخ النص على أسماء المحميين والسماسرة في القوائم السنوية.

5 . رسالة ڤيبير إلى برݣاش في 2 يونيو 1882، ورسالة برݣاش إلى الحاج عمارة في 17 شعبان 1297 /23 يوليوز 1880، محفظة ألمانيا.

6 ــ 8 : **المحجوب بن أحمد بن حرابل الزيدي** (1885 ــ 1892)، و **مبارك بن التهامي الشياظمي** (1890) و**أحمد بن التهامي المسكالي الشياظمي** (1892)، وكانوا مستخدمين كما كان الأخير قبل ذلك سمسارا.

9. **إسحاق الصبعوني** ترجمان (1897) عين بدلا من مير بن يوسف المحمي الأول، ولكنه سيصير بعد ذلك سمسارا.

ت : السمـاسـرة

1. **مسعود صبّاح** سمسار بروئير (1881 ــ 1885).

2 ــ 4 : **أحمد بن التهامي المسكالي الشياظمي** سمسار بهرند نوسكه (1882 ــ 1885) ثم صار سنة 1892 عونا كما تقدم، **وشالوم فريجة** سمساره أيضا (1890 ــ 1892)، وكان قد التمس سنة 1886 اتخاذه سمسارا[6]، إلا أنه في سنة 1875 لم يكن محميا[7]، **وإسحاق الصبعوني** سمسار ثالث له (1892)، وفي سنة 1895 صار سمسارا للتاجر **فـايس** Weiss وشريكه الوكيل القنصلي مَاوَرْ إلى أن عين ترجمانا حسبما مر بنا أعلاه.

5 ــ 7 : **يعيش عمار بن أمزيل** سمسار للتاجرين ماور و فـيـس (1890)، وكانا قد التمسا منذ سنة 1887 جعله في خدمتهما[8]، **وهارون بن شالوم الصبعوني وهذان بن إسحاق الصويري الحرار** سمساران لهما كذلك (1904).

8 ــ 9 : **يوسف المليح وحيم ليبي الصويري** سمساران لقيلهلم ياب (1904).

ث : المستـوطنــون

1. **تيودور بروئير** ولد سنة 1840 بمدينة ليبسيك، واستقر بمدينة الصويرة سنة 1863، فكان في ذلك الوقت أقدم مستوطن ألماني بالمغرب. وكان شريكا للتاجر الإنجليزي جيمس كارطيس حتى انفصلا سنة 1871، فصار مندوبا عن عدد من الشركات التجارية من ألمانيا

---

6 . رسالة تيستا إلى الطريس في 18 شتنبر 1886، بالمحفظة الأخيرة.

7 . قائمة 8 ربيع الأول 1292 /14 ماي 1875 تذكره ضمن رعايا السلطان هو والمحمي الأول.

8 . رسالة تيستا إلى الطريس في 29 يناير 1887، محفظة ألمانيا.

وفرنسا وإنجلترا، وكان تاجرا بالصويرة له سماسرة وخلطاء. وظل منذ سنة 1874 وكيلا قنصليا حتى توفي سنة 1884 إثر كبوة جواده[9].

2. **بهرند نوسكه** ولي المنصب القنصلي في بداية سنة 1885 بعد وفاة خلفه، حتى توفي بدوره سنة 1892. وكان تاجرا ذا سماسرة وخلطاء وخلف عددا من التقارير التجارية[10].

3. **مـاور** وهو من مواليد مدينة شتوتكارت، كان وكيلا قنصليا، واستوطن الصويرة سنة 1883 وكانت له معرفة بالمغرب واتخذ سماسرة، ونشر تقارير تجارية، وكان تاجرا وشريكا للتاجر قيس[11]. ومن جملة ما كانا يصدرانه إلى الخارج زيت الزيتون المتأصلة من معاصر آيت محَنْد، بقبيلة نكنافة قرب الصويرة، ولا سيما سنة 1894[12].

4. **ڤيلهلم ياب W.Jaap** تاجر ألماني ولد سنة 1859 بهامبورغ ووصل إلى الصويرة في نونبر 1889 ممثلا لدور تجارية ألمانية ثم استقل عنها في بداية سنة 1892. وفي سنة 1903 غادر المغرب إلى مسقط رأسه، وكان له سماسرة[13].

5. **ماركس** تاجر اتخذ سماسرة وكان يدير شركة تجارية ألمانية.

6. **كوستاف شونفيلد G. Shonfield** كان سنة 1890 ممثلا لشركات الملاحة الألمانية[14].

9 . كنِّين : «ألمانيا والمغرب» ص 25 (5)، ومييج «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 316 .

10. المرجع الأخير ج 1 ص 149.

11. المرجع نفسه ج 1 ص 140.

12. رسالة طاطنباخ إلى الطريس في 30 مارس 1894، محفظة ألمانيا.

13. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 124، وكنِّين : «ألمانيا والمغرب» ص 150 (2).

14. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 194 (3).

3 : الـولايــات المتحـــدة

أ : الـسـلـك الـقـنـصـلـي

1. أسندت النيابة ــ ولا سيما حوالي سنة 1867 وقبلها ــ إلى **ابراهام قرقوز**[1].

2. وتولاها بعده ابنه **ميير** وخصوصا سنة 1887.

ب : المحميـــون

نصت على أسمائهم قوائم ووثائق مختلفة قلما بينت أوجه حمايتهم.

ب 1 : من القائمة المحلية العامة ومن القائمة الأمريكية 3/69 معا

1 ــ 2 : **ميير بن ابراهام قرقوز** محمي كان يتولى النيابة عن أمريكا، وكان يريد إضفاء الحماية على 21 شخصا سنة 1886، فأجابه العامل بأنه لا يعترف بالحماية لأحد غيره[2]، **وهارون قرقوز** شقيق السابق وكان محميا استثنائيا هو والإثنان اللذان بعده.

ب 2 : من قائمة 3 /69 وحدهــا

3 ــ 5 : **دابيد قرقوز ودينار أوحنا وإسحاق قورياط**[3].

ب 3 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود[4]

---

1 . رسالة ماك ماث إلى السلطان في 11 يونيو 1868، وكذلك «بيان حساب الدين الذي على مسعود الشيظمي من لدن قرقوز خليفة جنس المركان بالثغر المذكور» بتاريخ 13 يونيو 1867، محفظة أمريكا.

2 . رسالته إلى الرجراجي الذاوبلالي في 13 رجب 1303 /17 أبريل 1886، محفظة الطريس 8.

3 . الرسالة الأخيرة نصت على المحميين ذوي الأرقام 3 ــ 4 ــ 6 ــ 7.

4 . أصل هاته الوثيقة بمحفظة الحماية القنصلية وهي مؤرخة في 8 ربيع الأول 1292 /14 ماي 1875 وتعد بمثابة جواب موجه إلى الحاج عمارة من شخص ربما كان شيخا ليهود المدينة. ومما جاء فيها : «وها ما أمرتَ عليه مرقوما أسفله يوافي سيادتك وأنت على وفق مرادك، لتعلم منه ما هو من حكامتك وما هو من حمية سائر الأجناس، وكل ذالك مبينا على حقيقته : المسمين رب بوبليك عايت الأربعين بالسويرة» (والمقصود مجلس أعيان اليهود بالصويرة). ثم ساقت الرسالة أسماء 47 شخصا مقسمين إلى صنفين: الأول فيه 23 من =

6 ـ 8 : حايم قرقوز، وشمعون مليحة قرقوز، وهدان بن زمول (أو شيمول)[5].

ب 4 : من القائمة 69 /59 الأمريكية[6]

9 ـ 11 : نفطالي بن مسعود أفرياط، والياهو بن سوسان ومسعود بن سعود.

ب 5 : منها ومن 69 /60 أيضا[7]

12 ـ 13 : يونة قورياط، ويعيش بن سعود.

ب 6 : من غير ذلـك

14. ابراهام قرقوز المراكشي كان نائبا قنصليا بالصويرة واشتهر بعلاقته مع مسعود الشيظمي[8].

15 ـ 16 : إسحاق عمار، ومبارك فائدة محميان سنة 1887 وكان الأخير عونا[9].

ت : السـمـاسـرة

كان دابيد الطنجي سمساراً لتاجر لم يرد له اسم في القائمتين 69 /59 و 69 /60.

أما المستوطنون فلم أقف لهم على خبر، إلا أن بعضا من تجار الصويرة من اليهود كانوا يتاجرون مع الولايات المتحدة

المحميين الواردة أسماؤهم فيما بعد (8 لأنجلترا و 5 للولايات المتحدة و 3 لإيطاليا و 2 لكل من النمسا وإسبانيا والبرتغال وواحد لفرنسا) و 24 من غير المحميين ومن «حكومة السلطان أعزه الله». وندرج فيما يلي أسماء الصنف الأخير : 1 إسحاق بن مساس، 2 مسان ساسپورطاس، 3 إسحاق الليوى الروداني، 4 شلومو بن ريقة الصياغ، 5 إسحاق بن الزيزون، 6 هني بن باروخ، 7 ـ 8 داويد ومخلوف ابنا مسعود أفرياط، 9 الحزان هارون أوحنا، 10 ـ 11 مسعود وأخوه شمعون خنافو، 12 هارون خنافو (صهر عقوقة)، 13 شمعون عطار، 14 شلومو بن سعود، 15 الحزان دابيد كويهن (صاحب عكان قرقوز)، 16 إسحاق بن يعقوب أفرياط، 17 ابراهام بن حيم الناهوري، 18 يعقوب بن جودي (ولم أقف على حمايتهم)، 19 يشوع بن اليسع، 20 موسى الناهوري (وسيصيران السمسارين رقم 28 و 31 لأنجلترا) 21 مير بن الفساخي، 22 شلومو فريجة (سيكون مير المحمي الأول لألمانيا، وفريجة السمسار الثالث لها)، 23 هارون بوغانيم (وسنجده محميا برازيليا تحت رقم 1)، 24 ومير بن سمانة (محمي برازيلي رقم 11).

5 . جاء اسما المحمي الأول والثاني في هاته القائمة أيضا.

6 . ورد فيها أيضا اسم المحميين 1 ـ 2 ـ 3 ـ 4.

7 . تكررت فيها أسماء المحميين الأربعة الأولين.

8 . ستأتي تفاصيل هاته القضية في الفصل الرابع.

9 . رسالة مير قرقوز إلى الرجراجي الذاوبلالي في 18 أكتوبر 1887، محفظة الحماية القنصلية.

4 : إنـجـلـتــرا

أ : السلـك القنصلــي

1 . **فريدريك كارستنسن** F. Carstensen الإبن انتقل من آسفي إلى الصويرة نائبا قنصليا سنة 1865 حتى توفي بها بعد 8 سنوات[1].

2. **وليام كُريس** W.Grace عين سنة 1873 نائبا قنصليا بعد وفاة سلفه. وهو من مواليد إنجلترا سنة 1820، لكن مدته لم تطل إذ مات في شتنبر 1874 وله تقارير تجارية[2]. ومع ذلك كان نائبا للقنصل كارستنسن ولا سيما منذ 1867 مثلما سيأتي.

3.**روبيرط هي** R. Hay ابن السفير جون عين لتمثيل بلاده بالصويرة، وظل بها حتى سنة 1879 حيث انتقل قنصلا إلى ستوكهولم[3].

4. وفي هذا التاريخ خلفه **تشارليز ألفريد بايطون** Ch. A. Payton الذي وصل إلى الصويرة سنة 1877. وقد عين سنة 1893 قنصلا بجنوة. وهو صاحب مقالات نشرها باسم مستعار هو سارسيل Sarcelle ، كما أنه حرر تقارير تجارية[4]. ويبدو أن مهمته انتهت بالصويرة قبل 1885.

5. وذلك أن ر.ل.ن. **جونسطن** R.L.N. Johnston سمي نائبا قنصليا من 1885 إلى 1900، وهو من مواليد إنجلترا سنة 1854. وقد أدركته الوفاة بهاته المدينة سنة 1918. وكان يحترف التجارة والإقراض، لأنه فتح بالصويرة فرعا للبنك الإنجليزي المصري سنة 1890. وكان ينشر مقالات عن المغرب الذي كان يعرفه، بعضها كتبها بمفرده تحت اسم م. مورتمر Madges Mortmer، والبعض الآخر حرر باشتراك مع مواطنه ج. كُوَن G. Cowan[5].

6. وفي مطلع القرن العشرين أسندت النيابة إلى **جورج بروم** G. Broome.

---

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 275 و ج 1 ص 84. ولا ينبغي أن يخلط مع أبيه الحامل مثله نفس الإسم والنسب.

2 . المرجع ذاته ج 1 ص 116.

3 . نفس المصدر ج 1 ص 120 وج 3 ص 206 (6).

4 . نفس المصدر ج 1 ص 152.

5 . المرجع السابق ج 1 ص 125 وج 4 ص 260 (9).

ب : المحميـــــون

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود[6]

1 ـ 5 : **موسي المسيح** الذي ورد اسمه أيضا في قائمة سنة 1890. وكان تاجرا بالرباط والدار البيضاء قبل سنة 1865. وبعدها اغترب إلى لندن ثم عاد إلى الصويرة سنة 1868، **ويمين فريريج، وابراهام بيطون، ويعقوب بن ساموبل السرفاطي، وموسي ابن الدهان**، وهؤلاء جميعا ولدوا بجبل طارق سنة 1841 و 1827 و 1848 و 1828 و 1836 على التتابع[7].

6 ـ 8 : **فرايم بن يهودة السرفاطي، وهايمي** (أو حايمي) **ابن جودة** (أو يهودة)، **وموشي كوبهن**، وكلهم بثلاثتهم من مواليد الصويرة.

ب 2 : **من قائمة المحميين والسماسرة**[8] سنة 1884

9 ـ 17 : **هارون أفرياط** وكان تاجرا بمدينة مانتشيسطر، **وموشي بينطو** وهو طارقي المولد، **ويوسف أفرياط، ويوسف الحيرش، وابراهام بن شالوم فراشي، وحاييم الليوي يولي** المولود بإنجلترا سنة 1837 **و ف الزاكوري، والأخوان عطية** (ولم يرد اسمهما في الوثيقة)، والمحميون السابق ذكرهم كانوا تجارا وصدرت حمايتهم إما لمولد بعضهم خارج المغرب، وإما لنشاطهم التجاري.

18. **يوسف الليوي يولي** المولود بجبل طارق سنة 1860 كان تاجرا محميا.

ب 3 : **مـن قائمة سماسرة التجار لسنة 1879.**

19. **دانيل أ. كوهن** وهو من مواليد تطوان سنة 1834 وكان تاجرا محميا.

ب 4 : **مـن غيـر ذلـك**

20. **عكان بن مريم** الذي كان قبل سنة 1867 ترجمانا «وأُخِّر لما كان عليه من الشيطنة»[9] ولكنه أعيد إلى سابق منصبه بعد ذلك.

---

6 . تقدمت الإشارة إليها في الفصل الثالث.

7 . تواريخ الولادة المذكورة هنا مثبتة في قائمة القنصل كارستنسن، وهي مقتبسة من تقريره المعنون «الرعايا الإنجليزيون بالصويرة في 30 يناير 1871» ف.و. / F.O. 250. وسأستعين بها طوال هذا الفصل. وقد أورد نصها مييج في «وثائق التاريخ...» من ص 159 إلى ص 163.

8 . هاته اللائحة عبارة عن وثيقة كانت تنقح بانتظام حتى سنة 1890. وتاريخ تحريرها هو 24 شتنبر 1884. ورقمها هو : F.O./P.R.O. 635/ 3.

9. رسالة السلطان إلى بركاش في 19 شعبان 16/1284 دجنبر 1867، محفظة إنجلترا.

21. **بيكّــو** (ولم يرد له اسم) وكان سنة 1870 ترجمانا فاشتكى الحاج عمارة[10] من تدخله في الأحكام ومن تصرفات القنصل كارستنسن.

22. **عكّان بن حمو** ترجمان من 1870 إلى 1884 بالقنصلية[11].

23. **الحاج أحمد بن الحاج ابراهيم البوبحياوي** وقيل عنه إنه كان كاتبا عند النائب القنصلي كْريس. ولما لم يقبل المخزن حمايته فر إلى سوس، فاستصفيت أملاكه أو حيزت بالعوض من طوماس پول الإنجليزي بحيث أن داراً منها كانت سنة 1881 مكراة لقنصل ألمانيا[12] بروئير.

ت : السمـــاســرة

ت 1 : من قائمة سنة 1879 البريطانية

1 ــ 3 : **ابراهام كوبهن** سمسار جيمس كارطيس، **ويعقوب حاييم قرقوز** سمسار شركة شاطْلْوورْث Shuttelworth وكان سنة 1893 مطلوبا ليكون سمسارا ليوسف يولي، **ويوسف بن اليَسَع** (أو ليشاع) سمسار م.ل. پينيير.

ت 2 : من قائمة سنة 1889 والقائمة البريطانية 635/3 معا

4 ــ 7 : **شلومو ابن اليسع** طارقي ولد سنة 1851، وكان منذ يوليوز 1881 سمسارا لموشي بينطو، **ومردوخي بن سعود** سمسار يوسف الحيرش وفي غشت 1887 صار سمسارا للزاكوري وشركته، **ويعيش سُوسَنَّة** سمسار بقبيلة آيت داود لابراهام بيطون منذ 1884، **والحسين بن الحاج عدي** سمسار بقبيلة حاحة لجون كْريس.

والسماسرة الأربعة الأخيرون أُسقطوا من قائمة 3 /635 سنة 1890 أو قبلها.

8 ــ 9 : **محمد الحراني** سمسار جون كْريس بحاحة، **والحاج أحمد بن ميلود** كان منذ 1885 سمسارا ليول يوناط وشركته Y. Hunot.

10 ــ 11 : **ابراهام بوغانم وحسان بوطبول** سمساران ليوسف راطو منذ 1881 بالنسبة للأول وسنة 1884 للثاني.

---

10. رسالته إلى برْكّاش في 27 جمادى الثانية 1287 /24 شتنبر 1870، محفظة الحاج عمارة.
11. رسالة الزْكراكْي إلى الطريس في 10 صفر 1306 /16 أكتوبر 1888، محفظة الطريس 14، ورسالة كارستنسن إلى أحمد بن داود في 29 غشت 1870، محفظة بريطانيا.
12. رسالة ادريس بنيس والعربي فرج إلى برْكّاش في 25 رجب 23/1298 يونيو 1881، محفظة برْكّاش.

12 ــ 13 : **مردوخي سويسة** سمسار جورج بروم منذ سنة 1885، **ومردوخي ل بانون** سمسار يوسف راطو منذ أبريل 1886.

14 ــ 16 : **نفطالي بن مسعود أفرياط وشلومو بن يعقوب أفرياط** سمساران ليوسف أفرياط منذ شتنبر 1888، **وابراهام روزيليو** مثل سالفيه، ولكنه صار سنة 1889 سمسارا لابراهام فراشي.

17. **عباس بن محمد القطيب** سمسار بقبيلة مسكالة لشركة يوناط منذ سنة 1884.

ت 3 : **من وثيقة 3 /635 البريطانية وحدها**

18 ــ 23 : **مسعود أبيطان** سمسار ابراهام بيطون منذ 1881، **واسحاق بن ابراهام الليوي** سمسار شركة شاطلوورث منذ 1885 ثم أصبح سمسارا ليوسف الحيرش، **وأحمد بن الحسن الما....(؟) العبدي (؟)** سمسار موشي بينطو منذ 1884، **ويعيش دينار** سمسار الأخوين عطية منذ 1885، **والحبيب بن الحاج أحمد الرحالي** سمسار هـ. نيكولاص دامونطي منذ أبريل 1886، **ويوسف ميمران** سمسار الزاكوري ويوسف الحيرش وشركتهما منذ يوليوز 1886 وقد جرد السماسرة الستة الأخيرون من الحماية قبل سنة 1890.

24 ــ 28 : **حاييم حزقيل أبو العافية** سمسار مانويل راطو منذ نونبر 1889، **وسلاّم سوسنة** سمسار يوسف الليوي يولي منذ نونبر 1889، **وحاييم الصابوني** سمسار هارون أفرياط منذ نونبر 1889، **وسالومون الليوي** سمسار ابراهام فراتشي منذ 1890، **ويشوع بن اليسع** كان سنة 1884 سمسارا ليعقوب السرفاطي.

ت 4 : **من وثائق أخرى**

29. **الحاج محمد الشكور** كان سنة 1881 سمساراً ليوسف راطو، وذلك حين اشتكى القنصل البريطاني بأن خليفة الباشا الذي كان مصحوبا بالحاج الطاهر الجراري استولى على حصان كان في ملك السمسار[13].

30. **مسعود بن عبد القادر التلاّوي** ادعى أنه كان سمسارا لجون دامونطي سنة 1868. لكن المخزن رفض هاته المقولة لأنه كان متبوعا. وستأتي نازلته على حدة.

31. **موسى الناهوري** كان قبل سنة 1893 سمسارا لتاجر فرنسي ثم طلب له أن يتخذ سمسارا لابراهام بيطون[14].

---

13. رسالة قنصل إنجلترا إلى بركاش في 6 مارس 1881، ثم رسالة جون هي إلى بركاش في 14 مارس أيضا، محفظة الحماية القنصلية.

14. رسالة ساطو إلى الطريس في 8 دجنبر 1893، محفظة بريطانيا.

32. **موشي إسرائيل ابن زاكور** أريد له أن يصبح سنة 1891 سمسارا لابراهام بن شالوم فراشي[15].

33. **نسيم بن يوسف أفرياط** التمست المفوضية البريطانية أن تجعله سنة 1893 سمسارا لأرثور كولمان[16].

34. **نفطالي ساسبورطاس** طلب جون كْريس سنة 1893 جعله سمسارا له بالصويرة[17].

35. **حاييم بن يعقوب قرقوز** اقترح سنة 1893 سمسارا ليوسف يولي[18].

36 ـ 37 : **الحاج محمد** (أوحمدان) **بوشيخة الصويري، والجيلالي بن علي الصويري** كانا سمسارين لجيمس كارطيس حوالي 1883 بالنواحي السوسية[19]. وسيرد البعض من أخبارهما.

ث : المستــوطنــــون

توافدت على الصويرة طائفة من الرعايا ومن المحميين البريطانيين الطارئين ولا سيما في الثلث الأخير من القرن الماضي. مثلا في سنة 1871 كانت بالمدينة جالية تألفت من 172 شخصا من صغار وكبار. وقد ولد 64 منهم بجبل طارق و 52 بالصويرة و 46 بإيقوسيا وإنجلترا، ومنهم البحار علي أدولفوس بن قاسم الذي ذكرت سابقا أنه هو علي ورصاص، والباقون من مواليد تطوان وآسفي[20]. إلا أن عدد المستوطنين سقط سنة 1891 إلى 114، منهم 45 من المسيحيين، والآخرون يهود طارقيون وإسبانيون متجنسون[21] أو محميون.

وإذا أضفنا إليهم 55 من الرعايا العثمانيين نزلوا بهذا الثغر بين 1883 و 1893 وأغلبهم لاجئون أو عابرون[22] أصبحت الجالية البريطانية أضخم عددا من أية جالية أخرى.

ومن البريطانيين ـــ محميين ورعايا ـــ من كان لا يزال يعيش بها قبيل الحرب العالمية الأولى. وسنعرض لطائفة من المستوطنين في الفقرات الموالية :

---

15. رسالة وايط إلى الطريس في 8 شتنبر 1891، بالمحفظة المذكورة.
16. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 21 مارس 1893، بها أيضا.
17. رسالة وايط إلى الطريس في 12 غشت 1893، بها أيضا، ورسالة الزكراكْي إلى الطريس في 22 رمضان 9/1310 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.
18. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 10 أبريل 1893، محفظة بريطانيا.
19. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 382.
20. مييج : «وثائق التاريخ..» ص 249 و ص 159 ـــ 163.
21. هوج ومييج : «الأوربيون...» ص 10.
22. من الوثيقة البريطانية ف أ / ب.ر.أ. F.O/P.R.O. 635/3

1. **جورج بروم** هو من مواليد إنجلترا سنة 1841، ربط علاقات تجارية مع المغاربة، منهم الحاج أحمد بوهلال الرباطي الذي كان تاجراً بالصويرة والذي لما مات سنة 1886 استمر في نزاع مع ورثته، لأنه كان بيده رسوم رهن ثلاثة أرباع منزل الهالك بالرباط.

وكان جورج ممثلا لأبناك مانتشيسنطر وليفربول بالمدينة[23] التي حل بها قبل سنة 1871 ونجده ضمن الرعايا البريطانيين في هاته السنة.

وكان قد أفلس موقتا في تجارته سنة 1879، وتقدم اسم سماسرته وظل يقطن بالمدينة حتى مطلع القرن العشرين حيث مثل بلاده بها، وكان سنة 1892 يملك مطحنة بالمدينة.

2. **جوزيف كريسبو** J. Crespo طارقي ومن مواليد 1828. اتجر بالصويرة منذ حوالي 1866 حتى توفي هنا حوالي 1879، ولم أقف له على سماسرة. وكانت له روابط تجارية مع شركة فرنسية سنة 1866. وفي سنة 1871 امتنع من أداء ما عليه من ديون لدى الأمناء[24].

3. **جون دامونطي** J. Damonte ولد بجبل طارق سنة 1831. كان يحترف التجارة ومنها استيراد الأقوات، إذ في سنة 1869 جلب مقادير من الأرز[25]. وكان يدعى في الوثائق المخزنية ادجان المالطي. وقد ناب لفترة ما عن القنصل وليام كُريس. وهو الذي حمى مسعود التلاوي.

4. **موس ل. پينير** Moss L. Penyer ولد بإنجلترا سنة 1834. وكان له سماسرة سنة 1879 وهي السنة التي أفلس فيها في تجارته. وهو من جملة الذين كانوا قاطنين بالصويرة سنة 1871. كان من الذين يصَدرون بعض البضائع المغربية كالحلفاء التي اختزنها سنة 1872 في هري من أهراء الحكومة. لكن هاته المادة اشتعلت فيها النيران فتهدم الهري. وبسبب ذلك طالبته الحكومة بتعويض عن هاته الخسارة التي لحقت بعض أملاكها.فرد على ذلك السفير جون هي بأن «هدم البناء كان بحكم الله ومقداره»[26].

وكأن قضية الحريق هاته شغلت بال السلك الديبلوماسي بطنجة فكتب كولاصو إلى قنصل بلاده بالصويرة يدعو تجار البرتغال إلى أن «يعتنوا بالدور والمخازن التي يكترونها من الحكومة حتى لا يقع فيها حريق»[27]. وقد حذر بركّاش مختلف الأمناء ونواب الدول من خزن الحلفاء[28].

---

23. رسالة كرّين إلى الطريس في 28 نونبر 1887، ورسالة مخزنية إلى سفير إنجلترا في 9 شوال 1303 /11 يوليوز 1886، محفظة بريطانيا.
24. رسالة الحاج بوجنان البارودي إلى الحاج محمد بنيس في متم صفر 1283 /13 يوليوز 1866، ورسالة العربي فرج وعبدالرحمان أقصبي إليه في 9 رجب 1288 /24 شتنبر 1871، محفظة الصويرة 1.
25. منفيشطة السفينة ليدي هاڤلڤيل L. Havelvel الواردة للصويرة في 30 نونبر 1869.
26. رسالة جون هي إلى بركّاش في 14 مارس 1972، محفظة بركّاش.
27. رسالة كولاصو في 21 مارس 1872، نفس المحفظة.
28. رسالته إلى مصطفى جسوس ومحمد بن العربي القباج في 9 ربيع الأول 1289 /17 ماي 1872، أيضا.

5. **أسرة كُريس** من أقدم من استوطنوا المغرب، بحيث استدان أحد أفرادها قبل سنة 1825 وتوفي ونشأ خلاف بين المخزن وورثته وحيز مال الغريم لجانب الحكومة وتفوصل فيه مع أخيه[29]. أما وليام كُريس فقد استوطن الصويرة قبل 1849 حيث كان من مستوردي منسوج الكيرية[30].

وهو من مواليد إنجلترا سنة 1820، وتولى النيابة عن بلاده حسبما سلف. اتجر بالمدينة واتخذ له شركاء وسماسرة. وفي سنة 1871 وقع في ضائقة مالية لم يستطع معها أداء ما عليه من الواجبات التي كان الأمناء يطالبونه بها. لكن الحاج محمد أملاح وسع عليه فيها وضمنه في جميع السلع المستوردة لأخيه الحاج محمد سَكَّت الذي كان تاجرا[31].

وفي سنة 1873 وسع عليه السلطان أيضا في تسديد 40.485 مثقالا كان يماطل في أدائها للخزينة[32]، مما يدل على أنه كان له اتصال بالدوائر الحكومية.

وفي نفس السنة اشتكى إلى السلطان مطالبا الحاج عمارة بأداء دين له عليه قدره مائة ريال، ومشيرا إلى أن العامل سرح من السجن مستخدمه الحسين مع أنه سرق له 570 ريالا[33].

6. **جون كُريس** عاش بالصويرة قبل 1871. وكان له سماسرة. وهو من مواليد إنجلترا سنة 1835.

7. **أرثور كولمان** A. Coleman ولد سنة 1838 بإنجلترا. ولما حل بالمدينة قبل 1867 سكن بدار الحاج أحمد بن ابراهيم البوبحياوي الذي قبل أن يفر إلى سوس من غرمائه سلمها رهينة لشركة پيري Perry[34]. وكان له سماسرة سلف ذكرهم.

8. ج. **كُووَن** G. Cowan أقام بالصويرة مدة 25 سنة. وكان لا يزال بها سنة 1914. وقد ألف كتابا عن الجنوب المغربي باشتراك مع القنصل جونستن[35]. ولم أقف له على سماسرة.

9. **يوسف لويس راطو** J.L. Ratto ولد بجبل طارق سنة 1850. وأسرة الراطو مشهورة بالصويرة، وكان منها أفراد عديدون. كان تاجرا له سماسرة. وفي سنة 1894نال ظهيرا بالتوقير

---

29. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 110 — 121 — 123 — 199.
30. رسالة العربي الطريس إلى السلطان في 23 جمادى الأولى 1265 /16 أبريل 1849، محفظة الصويرة 1.
31. رسالة عبد الرحمان أقصبي إلى الحاج محمد بنيس، ثم رسالته صحبة الحاج العربي فرج إليه في 3 ربيع الأول و 9 رجب 1288 /23 ماي و 24 شتنبر 1871، نفس المحفظة.
32 «الوثائق» : 3 ص 397.
33. رسالة السلطان إلى الحاج عمارة في 29 صفر 1290 /28 أبريل 1873، محفظة الحاج عمارة.
34. رسالة ويليام كُريس إلى الأمناء في 18 محرم 1284 /23 ماي 1867، محفظة الصويرة 1.
35. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 94.

والاحترام[36]. وكان ينوب عن بعض الدول مثل البرازيل. وهو المدعو بيبي الراطو.

10. **لورينسو كلافيريسو** **L. Claveresso** طارقي أيضا من مواليد سنة 1833. سبق له أن استوطن آسفي حوالي 1862. ولكنه عاش بالصويرة سنة 1871. ولم أقف له على سمسرة.

11. **جيمس كارطيس** **J. Curtis** ولد بجاوة بأندونيسيا سنة 1846 وحل بالصويرة قبل سنة 1863.

وهو تاجر ومغامر بسوس. وكان يحترف التجارة بكافة أنواعها : السكر والحبوب والزيوت التي استورد لها سنة 1863 طواني من الحديد لخزنها وأحاط بها براميل كبيرة وصنع نوالة خشبية شاغلا بذلك الطريق العام ولا سيما المصلى، ومتراميا على العقار العمومي[37].

كانت له كما سيأتي مشاكل عديدة مع الحكومة والسلطة والأمناء. ففي سنة 1865 بدأ ينعت بالتهريب وبالسطو على العقار. وقد أمر السلطان بقطع الماء ــ من ساقية الصويرة ــ على العراصي التي أحدثها التجار الأجانب واليهود. غير أن كارطيس كان قد شرع قبل ذلك «في البناء وظهر تشييد بنائه من المدينة. وكروصته كل يوم حاملة للجير والحجارة. وبناؤه في العرصة على غاية الجهد والازدياد. وبلغنا أنه بنى صهريجا عظيما عده للماء. وهو يروم استعطاف خاطر سيدنا أيده الله في تسريح الماء له ولجميع العراصي بخراج يجعله لبيت المال....

«ثم إن التجار أكثروا المبيت بهذه العراصي خارج البلد، ولا نكير لهم علي ذلك. ومبيتهم بالعراصي لا يخلُ (= لا يخلو) من فائدة تحصل لهم.

«والفائدة عندهم أنه لا حائل لهم ولا عسة تردهم عن نزول شيء من المراكب لهذه العراصي أو وسق شيء من هذه العراصي للمراكب. وغير خاف عنك أن الروم الآن جعلوا أصحابهم من الصويرة إلى واد نون فما وراء ذلك. وعراصيهم جعلوها حيلة وشبكة في محل مرور القفل (= القوافل) الواردة بالسلع للصويرة، من زيت وسمن وعسل وقمح وقطنية وريش وشمع وعنبر وجلد وكركدان وغير ذلك من السلع الواردة لهم، بحيث إذا أرادوا وسقها ليلًا أو نزول شيء من المركب فلا مانع لهم ... وفي أمس تاريخه خرجت فلوكتان ليلا من المراكب لناحية العراصي ولم يجدوا بها أنيسا إلا رجلا واحداً كان عساسا على الجلد ينشره خارج باب السبع. فلما عاين الفلوكتان ... هبط النصارى للبر وضربوه بخشبة في رأسه...»[38].

---

36. ظهير في 18 قعدة 1311 /23 ماي 1894، محفظة الطريس 26.

37. «الوثائق» : 4 ص 254 ــ 255.

38. رسالة عمر بنعمرو إلى الحاج محمد بنيس في 7 ربيع الثاني 30/1282 غشت 1865، محفظة الصويرة 1.

ومن مواد تجارته أنه كان سنة 1867 يبيع السلاح للمخزن[39].

وكان كارطيس أيضا وكيلا لبعض السفن التجارية القادمة إلى الصويرة. إلا أنه كان سنة 1872 مماطلا وممتنعا من تسديد الواجبات الجمركية[40].

قبل سنة 1880 بدأ يسافر إلى وادي نون. وقد جعل نفسه تحت حماية الحسين بن هاشم قائد أگلو بقبائل آيت باعمران للتجارة في الأقوات مع أهل سوس، فبني بأركسيس مكانا كان حتى سنة 1886 لا يزال أثره قائما، إلا أنه اعتقل وسلم إلى الوكيل القنصلي روبيرط هي[41].

وفي بداية 1883 كانت له مغامرة أخرى مع صديقه أندروز التاجر بآسفي إلى نواحي سوس بمرسى أركسيس حيث أنزلا القمح والشعير وصارا يبيعانهما بالطلق[42].

ولما حلا بسوس وأنزلا فيه القوت شرع كارطيس «في بيعه لفُسَّاد تلكم القبائل، وكتبنا لك في شأنه سالفا. وقد وقع القبض عليه الآن هو ونصراني آخر على يد ابن عمنا مولاي الكبير بن محمد ابن سليمان ووصيفنا الطالب بوعزّى السريفي أحد خلائف سوس وخديمنا القائد محمد بن الطاهر الدليمي قائد الأرحى. فأمرناهم بدفعه لعامل تزنيت يوجهه لخليفة أكادير يوصله لعامل السويرة يمكنه بيد قونصوهم، بعد أخذ خط يده بتوصله به والاسترعاء عليهم بأنهم إن عادوا لمثل ذلك فأصيبوا في أموالهم أو نفوسهم فدَرَكُهم على رؤوسهم، وخسارتهم بهم خاصة، ومصيبتهم عليهم قاصرة ...»[43].

وهكذا احتاط السلطان في حفظ كارطيس من الأذى. ويبدو أنه كان قد تعرض للخطر ولم ينج منه إلا لَمَّا أظهر لآيت باعمران جوازاً كان في الواقع مزورا حسبما سيأتي.

ولما كان ممثلا لشركة سوس Soos Company راودته نفسه العودة إلى هناك مرة أخرى فوجه إلى أهل تلك النواحي، مع «صاحبيه الحاج محمد بوشيخة الصويري والجيلالي بن علي الصويري كتابا لقبيلة صْـبُويَا ومَسْتي بأن يشدوا عضده ويقفوا في كلمتهم معه ويحفظوا ما تركه بالزريبة المدورة بالحجر التي كان جعلها بمرسى أركسيس حتى يقدم عليهم بحرا.

«فقبض عليهما وأحصي ما بتلك الزريبة ووجه لحضرتنا الشريفة زمامه الواصلة إليك نسخة

---

39. رسالة كرطيس إلى الطيب بن اليماني في 12 قعدة 1283 /18 مارس 1867، كناشة الطيب بن اليماني.
40. رسالة عبد الرحمان أقصبي والعربي فرج إلى الحاج محمد بنيس في 12 قعدة 23/1288 يناير 1872، محفظة الصويرة 2.
41. ميج : «وثائق التاريخ...» ص 180.
42. روجرز : «تاريخ العلاقات ...» ص 261.
43. رسالة السلطان إلى برگاش في 12 جمادى الأولى 21/1300 مارس 1883، محفظة برگاش.

منه طيه، فأمرناه بتوجيه المسجونين المذكورين لأخينا مولاي عثمان يجعلهما بالسجن، وبحيازة ما تضمنه الزمام المذكور على وجه الكطربنض...»[44].

وقد حثت شركة سوس البريطانية السفير جون هي على التدخل لفائدة عميلها، مستظهرة «بأن إنزال كرطيس القوت بمرسى أركسيس كان بموافقة وصيفنا بوعزة السريفي، وأن المتوجه من حضرتنا الشريفة لتلكم النواحي عام أول لم يتعرض لكون تلك التجارة مخالفة للقانون وقال لكرتيس : «كن مطمئن البال، إن سلعتك في أمان». وظهر لدولته أن الحق لكرتيس فيما ضاع له هناك حيث أنزله على الوجه المذكور، وأن الحاج حمدان والجيلالي نائبي كبانيتهم ـــ اللذين وجهتهما لسوس يقبضان ديونهما وقبض عليهما ـــ لا دَرَك عليهما يوجب قبضهما حيث هما عند أمر الكبانية، وأنه يطلب تسريحهما. فلم تقبل منه ذلك وأجبتَه بما شرحته...

«أما خروج كرتيس بمرسى أركسيس وإنزاله القوت بها فلم يكن بموافقة بوعزة السريفي قطعا، وإنما كان بموافقة فُسّاد قبيلة آيت بوعمران كالسباعي وأضرابه. وبنفس خروجه ووضعه القوت بها طير لنا الأعلام بذلك السريفي، فأمرناه بالاحتيال عليه وقبضه وتوجيهه للصويرة على يد عامل أݣادير.

«لما علم أعيان آيت بوعمران وكبراؤهم بخروجه توجهوا لعنده وطالبوه بإذننا الشريف له فيه، فاستظهر لهم بكتاب مزور، بأننا أذنا له في جلب القوت وبيعه لتلك القبائل. فسكتوا عنه وبحثوا في ذلك الكتاب فألْفَوْه مزورا وهموا بالفتك به وبمن معه. فخشي السريفي من درك ذلك، لتأكيدنا عليه في عدم تركهم يمسونه بسوء. وارتكب السياسة في مدافعة مكرهم، بالنداء في القبيلة بترك التعرض له وعدم مسه بسوء. فظنوا أن ذلك بإذننا وتأخروا عن الإيقاع به وبمن معه. فأصدرنا أمرنا الشريف له ولقبيلة آيت بوعمران بالضرب على أيدي أُولائك الفُسَّاد ... ووجهنا من حضرتنا الشريفة الموجه المشار إليه وأمرناه بالاحتيال عليه حتى يحصله. ولما سمع بقدومه فر للبابور حتى يذهب ويرجع للبر. فكان من جملة احتيال الموجه حتى حصله قوله : كن مطمئن البال...

«والحاصل فادعاء كرتيس موافقة السريفي له على إنزال القوت بأُركسيس وإشارة الموجه له بما ذكر واضح البطلان، لايحتاج إلى بحث ولا إلى إقامة دليل وبرهان. ومراده بالادعاء بذلك ستر خرقه للشروط بالخروج للمرسى المذكورة وتعاطيه التجارة بغير إذن المخزن والتلبيس على الكبَّانية وتغطية تضييعه لمتاعها ببيعه بالطلق لأناس بلغت فيهم الفاقة والخصاصة حدها...

«وأما المذكوران فهما اللذان حثا كرطيس على التوجه لسواحل سوس وطمعاه ودلياه بغرور ... وهذا موجب القبض عليهما ... وعلى كل حال فقد قبلنا شفاعة الباشادور في

44. رسالة السلطان إلى برݣاش في 10 رمضان 1300 /15 يوليوز 1883، في «الاتحاف» ج 2 ص 382.

تسريحهما على شرط ضمانته أن لا يعودا لما كانا عليه من إدخال الكطربنض والخوض في أمر المعادن...[45].

ومع ذلك لم يَرْعَوِ كرطيس عن قضايا سوس والتجارة مع أهلها. وهاته نسخة رسالة مشوهة التركيب وجهها سنة 1887 إلى أعيان قبيلة صُبُويَا يحرضهم على العصيان ويعدهم ويمنيهم :

«الحمد لله وحده
«أصحابَنا آيت ربعين متاع اصْـبُـيَ كافة كبيرا وصغيرا.
«السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا.
«وبعد فقد رجعنا من مراكش للصويرة ووجدنا وقع لجاج في بر النصارا على قبال بلاد سوس وكذالك الغرب جميعا. وهذا أمر كبير غايةً بين النصارا.

«وأنا أردت نقدم لبر النصارا عند أصحابنا لنتكلم معهم في الوقوف والحزم. ومن بر النصارا نقدم لحضرتكم في البحر إن شاء الله. وأنتم اقفوا (كذا) في الكلمة التي جعلتم معنا وقوف الرجال. ونحن كذالك. ولا تسمعُـ[وا] كلام أحد. وَرَدُّ [وا] بالكم مع حوائج الكبانية الذي تركنا في بلادكم. ولا تقصروا في الوقوف. لأنه كاين البعض من الناس ويقولوا إليكم تتتوا (= شتتوا ؟) حوائجنا وفرقوهم. وذالك إن وقع تكون عليهم حجة. وأنتم إ[ن] حضيتم حوائج الكبانية لم تكون عليهم سبَّة ولا فلْطة. وتكون المرصة خدامة امْسَقَّم. والسلام. في 14 من مايه عام 1887»[46].

ج : قضية مسعود بن عبد القادر الشياظمي التلاَّوي

هذا الرجل كان خليفة لأبيه ثم لشقيقه بوجمعة في إيالة الشياظمة. فلما توفيا استولى على أموال الدولة وأموال الخواص، وذهب متسترا إلى قنصل إنجلترا بالصويرة وليام كْريس فحماه بوصفه سمساراً له. ولم يقبل المخزن هاته الحماية لأن صاحبها — لما كان متبوعا — فر لاجئا بالأضرحة من مدينة لأخرى : آسفي ومراكش والصويرة وجبل طارق وطنجة وأخيرا هرب إلى سوس واستوطن تارودانت.

بدأت حوادثها قبل سنة 1866. وقد تدخل فيها قنصل إسبانيا بالصويرة، كما تدخل فيها القنصل العام للولايات المتحدة بطنجة بسبب محميه ابراهام قرقوز الذي ذهب ضحية احتيال مسعود عليه. وكان الذي حمى الشياظمي هو قنصل بريطانيا، الأمر الذي أدى بسفير المملكة

---

45. رسالته إلى برگاش في 7 ربيع الثاني 1301 /5 يبراير 1884، في «الاتحاف» ج 2 ص 385 و 386.
46. رسالة بمحفظة بريطانيا.

المتحدة إلى أن يتفاوض ويكاتب السلطات المخزنية. وتمخضت القضية عن عزل عامل الصويرة بسبب غفلته على الراجح، وتنحية عدد من العدول لتورطهم.

وسأتناول هاته النازلة من خلال الوثائق المتبادلة أولًا بأول. وفي بعضها تطويل وتكرار، وفي الآخر اقتضاب واختصار. ولكنني سأقتصر على الاستشهاد بما هو لازم لقضاء الحاجة.

1 : الطيب بن اليماني بوعشرين كتب إلى محمد برگّاش رسالة يقول فيها :

«كنا قدمنا لك الكتابة عن الأمر الشريف بالكلام في شأن ولد التلاوي الذي فر للصويرة واحتمى بقونص النجليز بعد أن تقاعد على مال له بال، وصار يدخل ويخرج من غير مبالات بأحد ... فإنه لا يخفاك أن في الشروط أنْ لا يدخل في الحماية من هو متعلق بالخدمة المخزنية.

«هذا وقد كثر تعرف العمال للنصارى الذين بالمرسى ورغبتهم في مخالطتهم ليجدوهم عند العزل أو الموت، فيدعوا أن لهم عليهم دينا كثيرا. وقصدهم أن يفوتوا ما بيدهم من متاع بيت المال لعند النصارى...»[47].

2 : جواب برگّاش عليها مكتوب في طرة الرسالة نفسها بدون تاريخ. وها هو نصه :

«وبعد فقد علمتُ ما ذُكر أعلاه. أما باشدور النجليز إلى الآن لم يأت جوابه في شأن التلّاوي... إلا أني أُريد [أن] أسألك عن هذا الرجل هل كان متوليا : عاملا أم خليفة أو لا ؟ ولعله لما كتبت في شأنه لم أذكر أنه كان متوليا...»[48].

3 : وهاته نسخة من رسالة عامل الشياظمة عمر الحَنْشَوي إلى السلطان في 11 رجب 1283 /19 نونبر 1866. وهي طويلة وسأقتطف فقرات كبيرة منها زيادة في التوضيح :

«ينهى لكريم علم مولانا أن الفاسد مسعود ولد عبد القادر التلاوي أخا بوجمعة، الذي هرب من مراكشة بمال بيت مال المسلمين الذي ترك عنده بوجمعة المذكور واحتمى بالنصَرى بدولة النجليز، فإنه هو وصهره الحاج أحمد بن الحاج ابراهيم، الذي يزعم الآن أنه كاتب عند قونصو النجليز بالثغر الصويري حرسه الله، قد اشتغلا بمن يتسوق من قبيلة الشياظمة للصويرة ويحرضانهم على الفساد ويأمرانهم بمنع الوظائف السلطانية المرة بعد المرة. وأُخْبِرنا بذالك ولم نصدق أحداً عليه حتى ثبت عندنا ذالك بالتواتر الفاشي.

«وأُخبرنا أيضا بأنه — أي مسعود — يتكاتب مع أخيه ابراهيم الذي بمكناسة الزيتون — عمرها الله — ويقول له : «أَقْدِمْ لحضرتنا للسويرة ولا عليك في الأهل الذين هنالك معك». وها هو أنعم لهم بالقدوم عليهم للصويرة عن قريب.

---

47. من رسالته في 28 ربيع الثاني 1283 /9 شتنبر 1866، محفظة برگّاش.
48. محفظة برگّاش أيضا.

«وأعلمنا سيدنا ليكون منه على بال. وكيف لا وهو أنى بمال له قدر وبال، وتقاعد عليه، واشترى منه دورا هنا بالثغر الصويري ؟ فمن جملة ما اشتراه دارين بداخل قصبة الصويرة بقرب دار سيدنا ــ أعزه الله ــ بثمانية آلاف مثقال، وهدمهما وصير عليهما مالاً كثيرا، وجعلهما دارا واحدة، وبنا وشيد، وأعلا بناءه على دار سيدنا وأصعد. ولم يجد من يقول له فيما فعله : لِمَهْ ؟ وظهر بيده مال عريض، ولايخرج إلا الذهب. وها هو يبذر فيه ويرشي به النصارى : قونصو النجليز وقونصو الصبنيول.

«وسبب الاتصال بينه وبين قونصو الصبنيول هو النصراني إدجان الدَّمُنْتِي النجليزي ملاطفه وملاطف صهره الحاج أحمد المذكور.

«وفي مغيبنا بمراكشة حرض مسعود المذكور قونصو الصبنيول على حوز عرصة في جانبنا بداخل الصويرة، وحازها بحيلة من يد يهودي كان ربَّاعا بها عن إذننا. وحيث حللنا بالبلد سمعنا بذالك، فوجهنا للقائد المهدي ابن المشاوري ليخرج منها اليهودي. فتعرض له قونصو الصبنيول وقال له : «العرصة تحت يدي واليهودي فيها عن إذني. وأنا صيرت عليها دراهم، ولا أخرج منها بوجه» ومنعنا منها. ونحن لم نأذن له في حوزها ولا في تصيير شيء عليها. وتعصب عليها بإغراء من مسعود وصهره. ولم يقبل معنا فيها كلاما ولا شرعا، ولا قانونا ولا عرفا ولا طبعا...

«وكذالك قونص النجليز ترامى على فندق هنا من الأملاك المتخلفة عن القائد بوجمعة المنسوبة لبيت المال التي تحت أيدينا من جانب سيدنا أعزه الله. وأدعى بأن الفندق المذكور لكاتبه الحاج أحمد، صهر بوجمعة المذكور، قد اشتراه من بوجمعة قيد حياته، واستظهر بكتابة عليه بخط بوجمعة... وكتب لنا القونصو المذكور النجليزي على أن نوجه وكيلا عنا ليعمل الشرع مع كاتبه في الفندق... وطلب من القاضي تثقيف الفندق فقال له : «حتى يثبت الموجب» ولم يساعده. وذهب للقائد فقال له : النظر للشرع. وبهذا أجابنا القاضي والقائد.

«وبعد هذا كله ترامى القونصو النجليزي على الفندق، وأخرج منه البهائم التي وجد به وثقفه وسمره بألواح. وقال إنه يحوزه لصاحبه الحاج أحمد، وضرب على يد الجميع، واستقل برأيه، وحكم لنفسه، ولم يتعرض له أحد. والآن النظر لسيدنا. لأن القونصو النجليزي المذكور ذاك دأبه وعادته في كل شيء. وفضوله كثيرة معنا ولا مع غيرنا، وتراميه على جانبنا أكثر، لأجل الجاسوس الحاج أحمد ومسعود...

«وقبل تاريخه بعشرين يوما كتب لنا قونصو النجليز المذكور على شأن مسعود ولد عبد القادر المذكور بأنه أراد أن يخرج لبلدهم بربّاعة وخُدّام وعبيد يحرثون له بالبادية... فأجبته بأن لا ملك لهم وإنما الأملاك لسيدنا...»[49].

49. الرسالة تحمل رقما لا أعرف مصدره وهو : 67 /411.

4 : وفي نفس المعنى وفي ذات السنة جاءت رسالة ابن المشاوري تلخص القضية حسبما ذكرها عمر الحنشوي. وتضيف أن عدلين أحدهما حاحي والآخر شياظمي عرَّفا بخط بوجمعة وبيعه الفندق للحاج أحمد ابن ابراهيم البويحياوي.

فلما تكلم القنصل الإنجليزي مع العامل في ذلك «قلت له : إن الفندق لا سبيل لي عليه. فتكلم مع القاضي في ذلك. فلما رءا القاضي خط يد بوجمعة المتضمن البيع بحث في العدول الذين عرَّفوه. فالشيظمي رجع في شهادته، والحاحي بقي...»[50].

5 : الوثيقة الخامسة هي الرسالة البليغة التي وجهها محمد الرابع إلى برݣاش بعد حوالي سنة من بدء القضية. وتاريخها هو 18 ربيع الثاني 1284 /19 غشت 1867. وقد بدأها العاهل بشيء من اللوم على برݣاش، وختمها بطرح جديد لمسألة مسعود التلاوي :

«وبعد فإنك متوجه على بركة الله لهذه الوجهة التي عينت لها، ولم ندر هل استحضرت قضاياك العويصة المتعددة وأعددت لها حججك الواضحة البينة لتكون مستعدا للمحاجة فيها، وطلب الحق والقانون إن تلاقيت مع نواب الأجناس هناك، أم لم تستحضر شيئا من ذلك، وغرضُك أن تتوجه خالي الذهن من ذلك، متفرغا منها حتى تتلاقى معهم كذلك، ويلقوا عليك من الحجج ما يعمر ذهنك، ويثقل ظهرك، على عادتهم في التعلق بالأمور الواهية، وتصحيح الحجج المتلاشية، فتذهب خفيفا وتئوب مثقلا. ولذا أردنا تنبيهك لقضايا شنيعة وقعت بهذه الإيالة لتنظر في رتق خرقها وتدارك أمرها معهم حتى تحسم مادة فسادها، وإن كانت كلها مرت على يدك وتداولها ذهنك، مخافة أن تكون نسيتها أو أهملتها.

«فمن جملتها قضية مسعود ولد عبد القادر التلاوي الذي مكث الزمان الطويل في الحرمات، وهو مطالب بالأموال الثقيلة التي احتجنها وخان فيها مدة ولاية والده ومدة ولاية أخيه وبعد موته، مما هو من حقوق الناس ومال بيت المال. وكان يتلوى هاكذا وهاكذا، ولم يوجد في تلك المدة من يقول إنه في حمايته أو متعلق به. حتى إذا وجد فلتة ركب برأسه وذهب إلى الصويرة، فوجد نائب النجليز هناك، فحماه ومنعه من المخزن على وجه الخرق للقانون والخروج عن الحد، مع أن المتعلق بالخدمة لا يدخل تحت حماية أحد. ومع هذا فلم يكفَّ عن فساده، بل صار يفعل بفساده ما أراد ويعطي العدة والبارود للفُساد من قبيلته، ويغريهم على الخروج على العامل، وإيقاد نار الفتنة، متجاهرا بذلك من غير استتار ولا استخفاء. فهل هذا الفعل من القانون ؟ وهل الصبر على مثل هذا من الحق ؟ وهل يستقيم حكم لأحد مع بقاء هذا على حاله ؟

«ومن جملة موبقاته أنه تلاقى برجل من امتوݣة على يد اليهودي قرقوز، وغره على أنه يصرف له عدة ريال بالضَّبْلون حتى حاز منه ثمانية آلاف ريال، وتقاعد له عليها، ومنعه منها، ولم يذعن

---

50. رسالته في 11 رجب 1283 /19 نونبر 1866، محفظة برݣاش.

لحكم حاكم ولا لأمر آمر. ولعل القضية تكون وصلتك بأبسط من هذا. فكيف يسوغ السكوت على مثل هذا ؟...»[51].

6 : وهذا موجب عدلي بتاريخ 19 رمضان 1284 /14 يناير 1868. وهو يحتوي على شهادة تلقاها أربعة من العدول لم يظهر لي منهم إلا عمر بن مسعود الزمراني ومحمد بن ماشي العلوي المدغري. أما القاضي فهو محمد بن عبد الواحد الدويري الذي كان قاضيا بمراكش وآسفي والذي توفي سنة 1302 بمدينة فاس[52]. وهو الذي خاطب عليها. ولعل هاته الوثيقة حررت بمدينة مراكش، وبإيعاز من القائد عمر الحنشوي خصم مسعود، واقتصر فيها عدول أربعة (لا عدلان فقط) على السماع الفاشي. وها هو نص هذه البينة :

«يعرف كاتبه ــ أمنه الله وغفر ذنبه ــ مسعود ولد القائد عبد القادر الشيظمي التلاوي الكائن بثغر السويرة حرسها الله المعرفة الكافية الشرعية، ويشهد مع ذلك أن مسعود المذكور توصل بكثير من المال، الذي له قدر وبال، من مال الجناب العالي بالله، المجموع تحت يد أخيه القائد بوجمعة العامل من قبل الجناب المذكور على القبيلة المذكورة، لِما تقرر من أقوال المذهب المالكي أن ما تحصَّل عند العامل أيام ولايته من المال فهو لبيت مال المسلمين.

«وأنه دخل ثغر السويرة واحتمى به، وصار يفسد ويبذر الأموال المذكورة واشتغل بالخوض مع الخائضين، وبالفتنة مع الفاتنين، ولا ينتهي ولا يبالي بأحد، لِما هو عليه من الاحتماء هنالك . وأداه الزيغ والفساد إلى الدخول مع القائمين على القائد عمر الشيظمي من القبيلة بالمراسلات وتوجيه البَرود والرصاص لهم وتحريضه إياهم على ضرب عامل السلطان نصره الله.

«كل ذلك في علمه بالسماع الفاشي المستفيض على ألسنة أهل العدل وغيرهم ...»[53].

وهاته حجة تدين مسعود وتجعل وزره كبيرا. ولذلك تكررت أوامر المخزن بتثقيفه حيثما وجد.

7 : ومن ذلك رسالة محمد بركَّاش إلى الحاج محمد بنسعيد عامل سلا مؤرخة في 24 شوال 18/1284 يبراير 1868 تتعقب التلاوي وتعطي أوصافه. قال بركَّاش على الأخص :

«... ابحث عنه، إن ظفرت به فلا تفلته. وإياك أن تتركه يسافر برا أو بحرا. وأوصي عليه الأمناء ألا يركب في البحر، بل أصحاب الوادي أن لا يتركونه يجاوز للعُدوة الأخرى. ورد بالك إليه ولا بد. وأعلمنا بما تحصل عندك.

---

51. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 386، وصورتها عند محمد نهليل في «رسائل مخزنية» ص 34.
52. ابن ابراهيم : «الاعلام ...» ج 7 ص 52 ــ 53 .
53 . تاريخ المكتوب هو 19 رمضان 14/1284 يناير 1868، محفظة بركَّاش.

«وَصِفَتُه : عربي اللون، رقيق الأطراف، خفيف نبات اللحية، ربعة القد...[54]».

8 : أضواء جديدة جاءت في رسالة السلطان إلى بركّاش في 20 قعدة 1284 /14 مارس 1868 :

«وصلنا كتابك أخبرت فيه أن مسعود التلاوي فر ليلا بعد ما أوصيتَ عليه حراس المرسى» وأنك «تكلمتَ مع الباشدور في تثقيفه فامتنع. ثم تبين بعد البحث عنه أنه بمحل الكرنطينة من جبل طارق. فكتبت للحاج سعيد كُسوس في رجوعه، كما كتبت لحاكم البلد في ذالك أيضا، ولا زلتم في انتظار جوابهما.

«ونبهتَ على الكتب لعامل الصويرة بما طيَّرتَ الكتُبَ له به من تثقيف أملاكه وجعل العسة على داره ومحل تصرفاته حتى لا يقع في شيء منها تفويت إن تعذر رجوعه، لِما ادعاه عليه قونصو المركان أنه أخذ لخليفته بالصويرة 8500 من الريال، وصار يطلب المخزن به، ذاكرا أنه لا كلام له مع النجليز، لمَّا أجبته أن حمايته غير مقبولة عندنا ودار بينك وبينه في ذالك ماسطرته.

«وذكرت أنك لما شرعت في الكلام مع باشدور النجليز في حماية مسعود المذكور استشعر من ذالك زوال حمايته، فحصل له من الخوف ما حصل، بعد أن وعده الباشدور بالتشفع فيه لدى جانبنا العالي بالله تعلى وتوجيهه لحضرتنا السعيدة في الأمان.

«فزعم أن معظم خوفه من العامل وطلب إبقاءه بطنجة، فساعده الباشدور.

«وأنك لما استظهرت عليه بما وجهناه لك من البينات عارضك بالبينة التي وجهتَ شاهدة بمسكنته وعدم خوضه. فتحيرتَ فيما وقع للشهود والقضاة في التعارض المشار إليه وأشكل عليك الأمر. فحاصل ما يتعلق بمسعود هذا أنه ليس في الحماية، وأننا لا نقبل حمايته، وأنه كان أولًا بآسفي مدة فما ادعى حماية ولا كانت له. وانتقل لمراكشة وسكن بها مدة فما ادعى شيئا من ذالك ولا كان له.

«وكان يطالَب بمال المخزن فما وجد مدْفَعا لما طولب به لظهوره وشهرته. ثم ذهب للصويرة مختفيا هاربا، فادعى أنه في الحماية وعضَّده بيس قونصُ النجليز، ومنع من الكلام معه في القضايا التي كان متبوعا بها التي كان من جملتها المال الذي ادعى عليه به قرقوز وتعرض عليه.

«وعليه فدَرَك المال المدعى به عليه هو على الذي تعرض عليه. وأما أملاكه وما هو ظاهر فهو لبيت المال لا له. وما ليس له لا يخلَّص منه ما هو للناس، وإنما يخلَّصون من المال الذي ادعى عليه به أو من عند الذي تعرض عليه.

«وللمخزن على مسعود موجبات واضحة ظاهرة بأن ما عنده هو لبيت المال خاصة، لكون والده كان قبل الولاية فقيرا لا يملك قليلا ولا كثيرا وإنما اكتسبه بعد الولاية.

---

54. محفظة بركّاش، رقم 10 /412.

«وما ذكره الباشدور في شأنه من أن أناسا شهدوا له بما ذكره من المسكنة فإننا نسلك في قضيته من هذه الحيثية مسلك الحق والشريعة... فليكن من هذا الوجه هنيئا... والسلام، 20 قعدة عام 1284.

«ومن تمامه. واعلَمْ أن ما استصعبه الباشدور — من القبض على مسعود لما ذكر — عرفناه. ونحن لا نأمر بقبضه ولا نستحسنه ولا نحبه لأمرين :

«1 : أحدهما أنه حيث تعلق بجنسهم، فلا نحب أن نخفر لهم ذمة لمحبتهم في جانبنا العالي بالله.

«2 : ثانيها أنه حيث تظلَّم فلا نحب إلا أن نبحث في حجته حتى يظهر ظهورا بيناً كون الحق له أو عليه فيما نُسب إليه.

«فلا بد أجب الباشدور بهذا كله، ووجه مسعود لحضرتنا العالية [بالله] تعلى في أمان الله ورسوله. ولايكون له إلا الحق، ولا يخشـ[ـى] من العامل بحول الله وقوته. صح به»[55].

سأترك القضية مؤقتا من حيث ارتباطه بالحماية البريطانية، مشيراً إلى أن الاستدراك الأخير في الرسالة السالفة سيكون مفتاحا لتوضيح جوانب من نازلة الشيظمي، ومنتقلا إلى علاقته بابراهام قرقوز مع التذكير بأصل قضيته معه :

9 : رسالة الطيب بن اليماني إلى برݣاش في 27 ذي الحجة 20/1284 أبريل 1868 تمدنا بعناصر الموضوع. وهي وثيقة طويلة نقتبس منها : «ورد ... كتابك المتضمن لما دار بينك وبين نائب جنس المركان فيما يدعيه خليفتهم بالصويرة على مسعود الشيظمي 8500 من الريال ...

«وأشرت برفع القضية للصويرة ليتحقق أمرها لكون الموجبات المشار إليها لم يتم أمرها عندك، وعندهم في قانونهم أنها تامة، وأشرت بالبحث في تصحيحها، ومطالبة قرقوز بالحلف في التوراة ... وصار ذالك كله ببال سيدنا أيده الله.

«فأمرني نصره الله بأن أُجيبك ... وذالك أنه لما مات أخوه ورد على ءاسفي واستجار بسيدي أبي محمد صالح ... فأمر سيدنا بالتضييق عليه. ثم فر من هناكم وقدم لمراكش واستجار بضريح سيدي محمد بن سليمان الجزولي ... حتى تشكى منه المقدم البركة السيد محمد التلموذي وطلب تطهير ذالك المحل المطهر منه. فأمر سيدنا بالتضييق عليه ثانيا ... ففر مختفيا للصويرة ولحق بالتاجر جان المالطي، فكتب ولد سيدنا وخليفته سيدي حسن ... لقائد الصويرة بالقبض عليه. فتوجه لدار أݣريش النجليزي خليفة قونصو النجليز لغيبته عن الصويرة، فتلاقى به

55. هاته الرسالة السلطانية من وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات. وبها رقم هو : 1674.

وتكلم معه وقال له : «إن الأمر ورد بالقبض على مسعود المذكور». فقال : «إنه في الحماية». فأخرج جان المذكور كتاب باشدور النجليز وعليه طابعه، متضمنا أن مسعود المذكور سمسار جان. فكتب العامل بهذا إلى الجانب العالي بالله. ولما رجع القونصو للصويرة عظم أمر مسعود. وصار القونصو يكتب له في شأنه ويقول له : «إياك أن تتكلم معه أو تمسه بسوء»، وتعرض عليه، فلم يجد العامل سبيلا لقبضه.

«وبقي على هذا إلى أن وقع بينه وبين خليفة المركان ما وقع في شأن المال الذي ادعى به عليه، وأقام عليه موجبات بذالك. فذهب لطنجة، والعامل إذ ذاك لازال ممنوعا منه.

«وحيث كان قونصو الصويرة مانعا للعامل من الكلام مع مسعود، فإن القونصو هو الذي يطالَب بمال بيت المال الذي احتجنه وأخذ في تبذيره وصرفه في شهواته وأغراضه مع كونه مالًا له بال، لأنه حاز مال أبيه ومال أخيه وزاد عليه ما أخذه للقبيلة حين خلافته. وحتى مال اليهودي هو الذي يطالَب به لأنه منع العامل منه ؛ وحيث طلب قونصو المركان الحق في مال اليهودي، فسيدنا أيده الله يطلب الحق في مال بيت المال وفي مال اليهودي...

«وما سكت سيدنا عن طلبه منذ كان بالصويرة إلى أن ذهب لطنجة ومنها هرب لجبل طارق وهرب منه لسوس واحترم بسيدي أحمد أوموسى حيث لا يُتوصل إليه...[56]».

10 : وبعث جيس ماك ماث برسالة طويلة إلى السلطان في 11 يونيو 1868. وذكر فيها «أن الحجج التي توجهت لوزيركم بطنجة سيدي محمد برݣاش وزير الأمور البرانية وجهنها لمخزننا وتُصفحت أمامه، وسطروها بدار الشرع وحققوها ووجدوها متمومة على وجه الحق. وظهر منها أن التاجر ابراهيم قرقوز يتخلص في العدد المطلوب مع مصاريفه وخسرانه. ونحن مخبراً من عند وزير سيدنا بطنجة أن الشيظمي المذكور له أملاك عديدة بالصويرة تُوفي بالعدد الذي نطلبه ... وهذه الأملاك المذكورة هي الآن تحت يد المخزن سيدنا، ومخزننا يتعجب في عدم بيعها.

«فعلى هذا أمرني مخزننا بتوجيه هذا المسطور للحضرة المولوية، طالبا من سيدنا [أن] يأمر ببيع الأملاك عن قريب ونتخلص في مطلوبنا...»[57].

11 : آخر رسالة هي من السلطان إلى برݣاش في 28 ربيع الأول 19/1285 يوليوز 1868.

«وبعد وصلنا كتابك شرحت فيه ما دار بينك وبين قونصو المركان أولا وثانيا في قضية مسعود التلاوي وقرقوز المراكشي وما أبداه فيها من التشديد والتجريح والجسارة، وأنك أجبته بما قدمناه لك من أن ما وجب على مسعود لقرقوز ينفذ له ولا يضيع فيه، فلم يقنع بذالك وطلب ما

56. محفظة برݣاش.

57. محفظة المغرب الولايات المتحدة.

ينيف على الثلاثة آلاف ريال خسارة، زيادة على العدد 8500 المطلوب أولًا، فاسكتّه وسكّنته بما كتبت له به... فها نحن أمرنا لابراهيم قرقوز بما ذكرت...»[58].

هاته من القضايا الشائكة بين المخزن والسلك الدبلوماسي التي لم أقف على نهايتها. فقد انتهى الأمر بمسعود إلى الفرار إلى تارودانت والإقامة بها بأهله قبل غشت 1868، إذ أمر السلطان بـ«تسريح آل مسعود الشياظمي التلاوي وتوجيههم لرودانة فامتثلتُ أمره الشريف بذلك...»[59].

ومما لا شك فيه أن السلطان قد شعر بأن في قضيته تزيُّداً بعد أن تظلم بواسطة وزير بريطانيا حسبما جاء في الوثيقة الثامنة أعلاه. ثم لا ريب أن يكون مسعود قد أدى ما عليه، وإلا لما سمح السلطان له بالإقامة بسوس وضم أهله اليه. فهل كان الشيظمي مظلوما ؟ وهل افترى عليه الحنشوي وتحامل عليه وسود صحيفته لدى السلطان ؟ قد يكون بعض ذلك صحيحا، وذلك لا يمنع مسعود من أن يكون قطعا ظالما لنفسه.

وآخر ما أذكر عنه أن الشيخ البشير بن- ابراهيم الوادنوني اتهمه بالاستيلاء على رسومه وكنانيشه وطلب استردادها منه، فأمر السلطان بإلزامه ردها له[60].

وختاما انعكست على الولاة نازلته : فقبل يونيو 1868 عُزِل المهدي ابن المشاوري «في نازلة الشيظمي المذكور ورجع محله الحاج عمارة بن عبد الصادق. وكذلك القاضي، ورجع مكانه الفقيه السيد الحاج علال بن عبد الصادق وعزل جميع العدول المنتصبين للشهادة، ومن جملتهم العدلان اللذان كانا يخدمان مع السيد الحسن جنّون بالقصبة الجديدة وهما سيدي الهادي بن مولاي الطايع القادري ومولاي علي بن بلة الشيظمي[61]».

والعزل شمل أيضا اثنين من العدول الأربعة الذين كانوا بالصويرة، وهما علي التّناني والحاج حمو «بسبب شهادتهما بخيارة مسعود الشيظمي، والأمر بخلاف ذلك»[62] وهما بلا ريب العدلان المشار إليهما في الوثيقة الرابعة من هاته النازلة.

---

58. محفظة بركّاش.
59. رسالة بركّاش إلى الحاج عمارة في 9 جمادى الأولى 1285 /28 غشت 1868، محفظة الصويرة 2.
60. رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في 14 جمادى الأولى 1285 /2 شتنبر 1868
61. رسالة عبد الكريم التازي ومحمد التازي إلى الحاج محمد بنيس في 10 صفر 1285 /2 يونيو 1868.
62. نفس الرسالة السابقة، وكلاهما بمحفظة الصويرة 2.

وكان القاضي المعزول هو الحاج عبد القادر بن أحمد الزمراني الصومعي[63] السويري مولداً ووفاة (1247 ـ 1830 /1309 ـ 1892) ودفين الزاوية الدرقاوية. فقد كان سنة 1281 /1864 نائبا عن قاضي الصويرة الحسن المزميزي، وإثر إعفائه دخل مراكش بعد ذلك بسنوات ولا سيما سنة 1307 /1890 حيث ظل نحو العامين يتعاطى الفتوى قبل أن يموت. وكان العدل علي التناني أحد أشياخ القاضي المُقال[64].

63. الصديقي : «إيقاظ...» ص 118، وقد خصص للنازلة حديثا ابتداء من ص 98.

64. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 8 ص 469.

5 : إســبـــانـيـــا

أ : السـلـك القـنـصـلـي

1. في سنة 1861 كان إدواردو بيرديكَي E. Verdegay وكيلا[1].

2. ونجد سنة 1869 أن سالبادور ريثو Salvador Rizzo كان يشغل هاته الوظيفة[2].

3. وأسندت إلى خوسي ألباريث إي بيريث J.A.Y. Perez مهمة التوكيل قبل سنة 1874 وبعدها. وقد ألف كتبا عن الجنوب المغربي[3]. وسيرد كلام عنه وعن علاقته بالسلـ...

4. فرانسيسكو بوينتي F. Puente كلف سنة 1875 بهذا المنصب[4] بالنيابة عن سلفه.

5. وفي يناير 1879 عين أدولفو ريادينيرا A. Rivadeneira لتمثيل بلاده بهاته المدينة[5].

6. واضطلع فرانسيسكو لوثانو مونيوث F. Lozano Muñoz بهاته الأشغال سنة 1881 وبقي كذلك حتى سنة 1884[6].

7. وابتداءً من سنة 1884 عين أنطونيو فييرو كروث A. Fierro Cruz لتمثيل بلاده حتى سنة 1892 حيث توفي بالصويرة[7].

8. لويس مارِيناس L. Marinas كان سنة 1893 قنصلا[8].

---

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 384 (1).

2 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 119.

3 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 60، ورسالة خوسي إلى الحاج عمارة في 8 جمادى الأولى 1291 /23 يونيو 1874، محفظة اسبانيا.

4 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 156.

5 . رسالة ديوسدادو إلى برگاش في 11 يناير 1879، محفظة إسبانيا.

6 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 210 (5)، ورسالة في 18 جمادى الثانية 1301 /15 أبريل 1884.

7 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 107 وج 4 ص 207 (4).

8 . مجلة دار النيابة، العدد السابع، ص 76.

9. **خوصي ميرابانت إي پاسكوال J. Mirabent y Pascual** كان وكيلا قنصليا[9] ولعله جاء بعد الذي قبله مباشرة.

وهكذا كان لأسبانيا تمثيل قنصلي يزيد عن الحاجة، لعدم تطابقه مع أعداد المحميين القليلين. ولربما كان سبب ذلك شدة عناية هاته الدولة بقضايا الجنوب.

ب : المحميـــون

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

1 ــ 2 : **حايم بن مساس، ومردوخي أفيلال** وهما من يهود المدينة. ولم يرد بيان وجه حمايتهما. ولعلهما كانا مستخدمين بالوكالة القنصلية أو مجرد تاجرين.

ب 2 : من غيرهـــا

3. **سعدية كوهن** كان سنة 1878 ترجمانا قنصليا وأشد المحميين الإسبانيين «تجبرا وجسارة. وهو الذي يقوي جانبهم ويدْخل في «أسواق» ليست له، وينسب ذلك للقنصُ. وفي كل وقت ليس لنا شغل سوى دعاويه... لا تجارة عنده يتجر بها، ولا منفعة له إلا ممن منه يطلب الحق...»[10]. وكان هو الذي أنزل بداره سنة 1885 المغامر النمساوي كَايلينغ Gayling المتسمي بالحاج عبد الكريم باي[11].

4. **الحاج عبد الله الجراري الباعمراني** كان ممن صاحبوا قنصلًا إسبانياً في رحلته إلى سوس[12]. وكان «جاسوسا في تلك النواحي بين مسلميها وليُخْبر بأفعالهم وماهم عليه. وحيث بلغ لتلك النواحي جعل نفسه زاهدا يخبرهم بالمغيِّبات ويأمرهم باتباع ... ويأتيهم من البحر، إلى غير ذلك مما يقوي جانب الإصبنيول الذي هو متعلق به. والآن حصل منه الضرر الكبير بالصويرة لكثرة تعاطيه الفضول، والتقدم لأناس، ويحملهم على الانحياش في زمرتهم. وحيث كان الإصبنيول

---

9 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 143.

10. رسالة الحاج عمارة إلى موسى بن أحمد في 18 جمادى الأولى 1295 /20 ماي 1878، ورسالته إلى بركَاش في 10 شعبان 1295 /9 غشت 1878، في «الوثائق» ج 5 ص 93 و 101.

11. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 ربيع الأول 1303 /10 دجنبر 1885، محفظة الطريس 6.

12. من عيوب الوثائق المخزنية خلوها في بعض الأحيان من ذكر أسماء الأشخاص الأجانب حتى ولو كانت محرفة. وإذا تحدثت عنهم كان ذلك بعدم اكتراث. ولذلك لم أقف على هوية القنصل المذكور. فهل كان هو فرانسيسكو بوينتي ؟ لم يرد عنه أنه رحل إلى سوس. بقي خوسي ألباريث الذي كتب عن الجنوب بعض التآليف. ولا شك أنه رحل إلى سوس، وذلك ما يحمل على الاعتقاد أن الكلام عن هذا المحمي والذي قبله والذي بعده كان عما قبل سنة 1878، وأن بوينتي كان مجرد نائب في غيبة ألباريث عن الصويرة.

بسوس جعل لهم علامة ليروها من البحر وليطمئنوا بذلك. وتلاقى معهم وركب حينئذ في البابور الذي كانوا به. وقد أظهر الغلظة والفضول غاية...». وهو «يتعرض لمن يعرفه ومن لا يعرفه من أهل سوس، ويتلبس عليهم ويأخذ متاعهم ولم يراقب فيهم إلّا ولا ذمة...»[13].

5. الحاج ادريس بن الحاج محمد الحريشي كان كاتبا للقنصل. وهو «لم يقف عند حده. فكثيرا ما يدخل في الفضول التي لا تناسبه ويبحث عنها ويتعاطاها، كما يشهد بذلك الخاص والعام. ولا وجدنا طريقا مع قونصوه المقوى به. وقد أطلقه في الأسواق على التشاجر والدخول فيما ليس له في الدعاوى، حيث أنه في هذه الأيام يشتري عددا من البقر ويتولى ذبح ذلك ويبيعه في سماط الجزارين كنطردةً للجميع، ولا وجد المحتسب ولا الناس الحق معه.

«ومن جملة أموره أنه أخبرنا أنه يجس على أمور المسلمين وأمور الثغر السعيد، وأن المدافع وأمور الأبراج قيَّدهم مع ما فيهم من غير شعور أحد. وهو الذي كان مع هذا القونصُ حين سافر لسوس هو وترجمانه. وقد حصل منه ضرر كثير ...».

وقد بلغ «من الطيش غايته من قبل. وللقونصُ المذكور أيضا مسلما آخر قد اتخذه جاسوسا...» ــ هنا الكلام عن الجراري ــ «... وقت ذهاب القونص المذكور لنواحي آيت بعمران ... وليست لهما شَهْرِيةٌ بدار القونص ينتفعان منها ولا حرفة يشتغلان بها. فخرج كل منهما في باب من التعرض لمتاع الناس ظلما وتعديا : فالكاتب عمل جزارا وصار ينسب جل ما يدخل في سوق الجزارين لنفسه، وقصده بذلك تضييع ما يجب في مستفاد المخزن من ذلك. وتشكى أمين المستفادات بذلك المرة بعد المرة. فإذابالقونصُ المذكور ساعده وصدقه، فأغراه على ذبح ما يذبح بغير إمام ويبيع بغير سعر المحتسب. ولا زال على هذه الحالة الى الآن.

«ثم إنه لم يكفيه (= يكفه) فعله المذكور بل كان يبالغ في السب والكلام الخارج عن القياس...». و «الكاتب المذكور عمل عدداً من الجزارين نوابه في الحرفة المذكورة، وصاروا يمتنعون من أداء الحقوق الواجبة عليهم لغيرهم، حتى أن الجزار المذكور وأصحابه [صاروا] حاملين السلاح ليلا ونهارا، ويقولون بأن القونص المذكور أمرهم بحمل السلاح ليضربون كل من تجاسر عليهم أو كلمهم ...»، وهو «يخرج ليلا يدور بأزقة البلاد حمقا منه ...»[14].

ولما بلغ خبر هؤلاء المحميين الثلاثة وخبر النائب القنصلي إلى علم السلطان أمر برّكاش بالمحادثة في ذلك مع نائب إسبانيا الذي أعلمه بأنه «كتب لقونصوه يأمر الحريشي بالوقوف عندما حد له. فإن عاد لمثل ذالك يزيله من الحماية»[15].

---

13. وثيقتا الهامشة 10 أعلاه.

14. المصدر الأخير أيضا.

15. رسالة برّكاش إلى موسى بن أحمد في 14 ذي الحجة 1295 /9 دجنبر 1878، محفظة إسبانيا.

والجدير بالذكر أن الحريشي عين سنة 1874 كاتبا بالقنصلية[16] وذلك في الوقت الذي كان خوسي ألباريث يفكر في رحلة إلى الأصقاع السوسية.

ت : السماسرة والمستوطنون

السماسرة لا أثر لهم بهاته المدينة. أما المستوطنون فكان منهم :

1. **رفائيل مول** R. Moll الذي استوطن الصويرة بعد حرب تطوان واشترك في التجارة مع بورّاس القاطن بآسفي[17].

2. **ديكّو كراسكو** Diego Cararsco الذي كان سنة 1866 ساكنا بالصويرة[18].

3. الطبيب **خواكين كورطيس** J. Cortes الذي كان بطنجة سنة 1891. وبعد عامين انتقل إلى الصويرة بوصفه ملحقا في أمور المحجر الوقائي[19].

4. **كريسطوبال بينطيث** C. Benitez الذي كان ترجمانا للقنصلية، وقد رافق أوسكار لنس في دجنبر 1879 في رحلته إلى السنغال، مرورا بالصويرة[20].

---

16. رسالة خوصي ألباريث إلى الحاج عمارة في 8 جمادى الأولى 1291 /23 يونير 1874، بالمحفظة نفسها.
17. مييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 482 (5) ورسالة ميري إي كولوم إلى برگّاش في 23 يوليوز 1866.
18. محفظة إسبانيا، وفيها الرسالة الأخيرة أيضا.
19. رسالة أمين التعيشر إلى الطريس في 28 ربيع الأول 1311 /9 أكتوبر 1993، محفظة الطريس 25.
20. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 72.

6 : إيطـاليـا

أ : السلك القنصلي

1. **أنطونيو بوليلي** A. Bolelli تولى سنة 1875 النيابة عن إيطاليا[1] والبرتغال.

2. وأسندت بعد ذلك إلى شقيقه **كارلوص بوليلي**.

3. **دابيد السرُّوجي** كلف سنة 1886 خاصة بهاته الوظيفة[2].

ب : المحميون القنصليون

كانت مصالح إيطاليا ضعيفة بهاته المدينة، وكان محميوها قليلي العددً في المصادر.

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

1 ــ3 : **دابيد السروجي**، **وشلومو بن يامين عقوقة** محميان لم يردا مع ذلك في أية وثيقة إيطالية سنوية، **وعمران المليح** ورد في كافة القوائم ومنها قائمة 1894.

ب 2 : من القوائم السنوية الإيطالية

4 ــ 5 : **موشي لْخنافو** ترجمان منذ 1881[3]، وذكر في القوائم ابتداءً من 1889 هو والذي بعده **سعيد وانيم** الذي كان عونا بالوكالة القنصلية.

---

1 . رسالته إلى الحاج عمارة في 19 صفر 1292 /27 مارس 1875، محفظة إيطاليا.

2 . رسالة بنفس المحفظة بتاريخ 22 رمضان 1303 /24 يونيو 1886.

3 . رسالة المفوضية إلى برڭاش في 17 غشت 1881، بنفس المحفظة.

ت : السماسرة والمستوطنون

لا وجود لسماسرة في هاته الفترة، إلا أنه كان ثمة مستوطنون. ومنهم :

1. **ڤيطوريو لومبروزو** V. Lumbroso ولم يرد متى استوطن المدينة، ولكنه كان يعيش بها حتى سنة 1914 وقبلها بكثير : إذ في سنة 1889 طلب من الأمناء أن يبنوا له هريا ودارا حسب قاعدة 6 في المائة فلم يفعلوا. وفي سنة 1892 طلب منهم أن يخولوه دار كَايطانو بوليلي المتوفى[4].

2. **أسرة بوليلي** وقد اشتهر منها : **كَايطانو** المتوفى حوالي 1892. وكانت له معصرة بجانب دار العامل الرجراجي يقطر فيها الخمر. ومنذ عهد المهدي ابن المشاوري فتح فيها سراجم. وبعد وفاته أغلق العامل الدار وحاز مفاتيحها، لأنها كانت من أملاك المخزن. وقد عاش في العزوبة ولم يكن له وارث[5]. وهو من أقدم المستوطنين، قضى بالمدينة أزيد من 40 سنة هو والأخوان :[6]

— **أنطونيو** وكان نائباً قنصلياً وتاجراً قبل سنة 1869، لأنه كان يستورد سلعا كالكتان[7] وناب عن بلاده وعن البرتغال.

— **وكارلوص** المتوفى سنة 1880 وشقيق السابق، وكان له دين على الحاج محمد حميدوش السوسي البهاري المدعو اكرام الذي لما توفي امتنع ورثته من أداء 900 ريال[8].

كان الأخوان بوليلي سنة 1845 رعيتين من رعايا الڤاتيكان وقد احتميا بفرنسا[9]. ولعلهما اعتنقا بعد ذلك الجنسية الإيطالية.

---

4 . رسالة أميني المرسى محمد بن عبد الله بنونة والعربي بن المهدي بنونة في 29 ربيع الأول 1307 /23 نونبر 1889، ومسودة رسالة في 28 محرم 1310 /22 غشت 1893، بنفس المحفظة.

5 . رسالة الزكراكَي إلى السلطان في 28 ذي الحجة 1309 /24 يوليوز 1892، محفظة الصويرة 4.

6 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 111.

7 . منفيشطة البابور ليدي هاڤلـڤيل في 30 نونبر 1869، محفظة الصويرة 1.

8 . رسالة كايطانو إلى الحاج عمارة في 17 اكتوبر 1880، ورسالة أبي بكر بناني إلى السلطان في 27 محرم 1299 /19 دجنبر 1881، محفظة إيطاليا.

9 . مييج : «وثائق التاريخ...» ص 25.

7 : البـــــرازيــــل

أ : السلك القنصلي

تولاه منذ 1893 يوسف راطو الطارقي[1]. وكان حتى سنة 1900 لايزال كذلك.

ب : المحـــميـــــون

كلهم من يهود المدينة، ووردت أسماؤهم وذكر السماسرة والخلطاء والوكلاء في وثيقتين رسميتين[2]. ومنهما سأقتبس بزيادة تعليق السلطة أو الأمناء عليهما :

1 ــ 4 : **هارون بوغانم، ودايد كابيصة** وكانا معينين للوكيل القنصلي، **وهارون المليح** ترجمان، **وإسحاق الصراف** وكان مقيما بالبرازيل وله وكيل بالصويرة.

5 ــ 11 : **جواو نيبو مسينو** (؟)، **وباولينو حواسبا، وروزند سيلبا ريبيرو، وإسحاق شقيرة، ونسيم الليوى، ويعقوب الليوي، ومير بن سمانة**[3] وكلهم تجار محميون. أما الباقون فقد ادعوا التجنس أو زُعم لهم ذلك. وهم :

12 ــ 17 : **موسيس كوبهن، وهارون حروش، وابراهام شالوم بينطو، والياهو فريجة،** و ... **نونة بنصور** (أو أبي سرور)، **ويوسف بن شمعين بن توتو الصويري** «الذي كانت له مخالطة مع الجزارة ولا شيء له في الموضوعات والموسوقات، وليست له تجارة ظاهرة بالبلد» حسبما جاء في طرة إحدى القائمتين. أما في غيرهما فقد كان يتردد بين حماية البردقيز والأنجليز، «وقد تقوى

---

1 . رسالة كولاصو إلى الطريس في 18 نونبر 1893، محفظة البرازيل.

2 . أولاهما تحمل رقم 69 /46 بمكتبة تطوان ولا تاريخ لها، والأخرى مؤرخة في 2 يوليوز 1900 ومرسلة إلى عامل الصويرة محمد بن عبد السلام بريشة. وخطهما واحد مما يحمل على الاعتقاد بتزامن كتابتهما.

3 . لم يكن المحمي الأول والحادي عشر محميين سنة 1875 حسبما ورد في قائمة أعيان اليهود.

بذلك وبالغ في الظلم والتعدي والتجاسر على الحكام والتّطاول على جميع من يخالطه». وكان أيضا يسب المحتسب فكان القنصل يدافع عنه[4]. وأكثر هؤلاء كان لهم سماسرة وخلطاء ووكلاء.

ت : السمـــاســـرة والمستــوطنــون

فاما المستوطنون فقد يكون المحميون 5 و 6 و 7 منهم، إلا إذا كانوا يهودا مغاربة أو متجنسين. أما السماسرة فهم :

1 ـــ 3 : **مير بن حايم، ويهودة بن حايم، وعمار بن القايم الشريقي العبدي** وكلهم كانوا في خدمة يوسف راطو الوكيل القنصلي.

4 ـــ 7 : **نسيم الشريقي، وابراهام فريجة** سمساران ليوسف بن شمعين بن توتو الصويري، **وميير بن سوسان** سمسار هارون حروش الصويري، **وموسى أوحيون ابن العالية** سمسار يوسف حروش القاطن بمراكش. وكان باقي السماسرة في خدمة تجار ساكنين بطنجة أو بغيرها وهم :

8 ـــ 18 : **يعيش كويهن، وإسحاق بن مسعود كويهن** سمساران لمركيس الصبّاح، **ويهودة أمزلك** وكان صاحب معصرة وسمسارا لنسيم ابن السباط، **وداويد الفرسي** سمسار الياهو بن لولو، **ويعقوب الكسلاسي** سمسار الياهو النقاوة، **وداويد بن إسحاق بن الصباغ** سمسار ابراهام أوحيون، **وإسحاق بن الحزان كويهن** سمسار إسحاق بن الصباغ، **وحمامو الصياغ** سمسار الياهو بن شمعون، **ويوسف وعقنين** سمسار ابراهام بن إيوا، **ومسعود أزنكوض** (أو أريكوض) سمسار فرتونة الدهان، **وموشي أوحيون** سمسار روبين بنجو.

---

4 . رسالة الزّكراكي إلى الطريس في 28 محرم 1307 /24 شتنبر 1889، محفظة 74/3 تطوان.

8 : فـــرنـســـا

أ : السـلـك القـنـصـلـي

1. من أول قناصل فرنسا **ماري مونج** Marey Monge الذي غرق بناحية أزمور[1] أواسط القرن التاسع عشر.

2. وبعد مدة كان **هوري** Huret نائبا قنصليا[2] قبل أن ينتقل إلى الجديدة سنة 1865.

3. **أوكُوست بومي** A. Beaumier عين قنصلا سنة 1865، وظل كذلك حتى 1876[3].

4. **لوي ــ ألبير له ري** L. Albert Le Ree سمي خلفا له، ووصل إلى المدينة في يوليوز 1876. ولكن مقامه لم يطل إذ في سنة 1877 عين قنصلا بالدانمارك[4].

5. **أ. ده ڤو** A. de Vaulx عين قنصلا[5] سنة 1878.

6. **أمبرواز ماوون** A. Mahon كان قنصلا سنة 1880، وله تقارير تجارية، وقد أوصى بركَّاش عليه الحاج عمارة لكي يجربه مجرى القناصل من التوقير والاحترام[6].

7. **ألفونس بيرطران** A. Bertrand خلف ماوون بعد سنتين، ولكنه حصل سنة 1885 من حكومته على ترخيص ليتفرغ لنفسه[7].

---

1 . رسالة ده شاسطو إلى السلطان بدون تاريخ، محفظة فرنسا.

2 . قائمة المحميين في 26 يناير 1864، وذكر جاك كايي في «النوادر المغربية» ص 75 أن إسم القنصل هو Huet بدون راء، ونظن أن الصواب هو ما صححت، فقد سلف أن جول (أو خوان) هيري كان قنصلا لإسبانيا وفرنسا بالجديدة حوالي 1865، وعليه فتكون المسألة تحريفا في النسخ.

3 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 70.

4 . نفس المصدر ص 133.

5 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 173 و ج 2 ص 31 (1).

6 . رسالة بركَّاش إلى الحاج عمارة في 2 صفر 1297 /15 يناير 1880، محفظة الحاج عمارة، وكذلك مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 137.

7 . المصدر الأخير ج 1 ص 75.

8. أوريليان لاكوسط Aurélien Lacoste حل محله 1885[8].

9. ف. أكْوني F. Hugonnet تولى بعده سنة 1891 أو قبلها بقليل[9].

10. وعاد بيرطران سنة 1892 فكان سنة 1896 لايزال قنصلا[10].

ب : المحميـــون

ب 1 : من قائمة 26 يناير 1864 القنصلية المحلية

1 ـ 29 : دابيد أوحنا وزوجته : لونا، وابراهام قرقوز وابناه سالمون وموشي، وساوول كوهين صولال، ومردوخي عطية وزوجته : ميم وابناهما عزوز ويامنة، ويعقوب المليح وزوجته : حسيبة وابناهما ابراهام وحاييم، والحزان موشي بينطو وزوجته : ستريا وابناهما يعقوب والعالية، وإلياس بن سعدون وزوجته : مسعودة وأبناؤهما سلطانة وزهرة ومسعود، وابراهام الليوي وكان ترجمانا للدكتور تيڤنان **وسميحة زوجته وأبناؤهما ميشال ونحمان وسيميون وسلطانة.** وهؤلاء جميعا كانوا محميين استثنائيين.

30. **ابراهيم بن أحمد** عون ورد في القوائم من 1880 إلى 1883، وقيل عنه إنه كان محميا منذ 45 سنة أي سنة 1836.

31 ـ 37 : **يعقوب الليوي** طباخ، **والجيلالي بن الجيلالي** عون، **وابراهام بن شلوم** مستخدم، **وميمون الصباحي** عامل، **ومحمد بن أحمد** خادم موشي قرقوز، **وبلعيد العيساوي** خادم سالومون قرقوز، **ودابيد عطية** خادم ساوول كوهين صولال.

ب 2 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

38. **إسحاق بن يعيش الليوي** ولم يرد وجه لحمايته.

ب 3 : من قائمة 10 يناير 1881

39 ـ 41 : **الحاج عمارة بن الجيلالي** مستخدم بالقنصلية منذ سنتين[11]، **ويشوع بن**

---

8. أيضا ج 1 ص 127.

9. أيضا ج 4 ص 195 (4)، 196 (5).

10. من جواب إلى باشدور فرنسا في 15 شوال 1309 /13 ماي 1892، محفظة فرنسا، وكذلك «مجلة دار النيابة»، العدد السابع، ص 76.

11. من تقييد دعاوي أورديكَة في 27 جمادى الأولى 1299 /16 أبريل 1882، النقطة الثامنة المتعلقة بنهب قبيلة إيدا وكَرض لعزيبه، محفظة فرنسا.

سوسان الليوي ترجمان القنصلية إلى اللغة العبرانية منذ 14 سنة، **ومحمد بن الرُّكيك المسفيوي** كاتب القنصلية منذ 15 سنة حتى توفي قبل سنة 1892، ونزعت منه الدار التي كان يسكن بها، وأعطيت لآغا العسكر بالصويرة[12]. وقد وردت أسماء المحميين الثلاثة الأخيرين في القوائم الفرنسية العامة من سنة 1880 إلى 1883.

ب 4 : من القائمة الفرنسية العامة لسنة 1883

42 ــ 44 : **علال بن الحاج عبد الله الأُقاوي** مستخدم عين مكان الحاج عمارة رقم 39 أعلاه، **وابراهام قورياط** ترجمان القنصلية منذ سنة 1880، **ودابيد الشوراقي** تاجر محمي.

ب 5 : من غير ذلك

45. **يوسف ديليبانتي** كان سنة 1869 ترجمانا بالقنصلية[13].

46 ــ 51 : **اسحاق بن شالوم، والياهو حاشويل وعزار حاشويل وعزار بن فرايم وعزار بن يعقوب بن فرايم وشالوم بن مخلوف**، والستة الأخيرون لم يرد عن حمايتهم بيان[14].

52 ــ 53 : **شلومو أفرياط، ويوسف الترجمان** وكانا سنة 1889 أو قبلها محميين[15].

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة 10 يناير 1881

1 ــ 2 : **إسحاق سويسة** سمسار جاكطي منذ 11 سنة، وورد ذكره في القوائم من 1880 إلى سنة 1884، **ويوسف بن حايم** سمسار مونيي Monier منذ 6 سنوات ثم صار سمسارا لجاكطي.

ت 2 : من القائمة الفرنسية العامة لسنة 1883

3 ــ 9 : **يامين اللوكاشي** سمسار جاكطي وظل معه حتى سنة 1888 على الأقل[16]، **وسالومون ملُّول** سمسار برونشويغ وريكير وشركتهما، ثم لإيريني بران Irénée Brun **ومسعود الشوراقي وسالومون الشوراقي** سمساران لدابيد الشوراقي من 1881 إلى 1884، **وموسى الناهوري**

---

12. رسالة عمر لوباريس إلى السلطان في 22 محرم 1310 /16 غشت 1892، محفظة الصويرة 4.
13. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 561.
14. تقييد في محرم 1281 /يونيو 1864، محفظة برݣاش.
15. مطالب فرنسا في 17 شعبان 1306 /18 أبريل 1889، محفظة فرنسا.
16. رسالة أمناء الصويرة في 8 جمادى الأولى 1305 /22 يناير 1888، محفظة فرنسا.

سمسار موشي قرقوز حتى 1884، وكان سنة 1882 مراسلا للقنصل، ويعقوب بن حايم قرقوز وكان سمساراً للبنك طرانزاطلانطيك، وميير أزنكوط سمسار ليون Lion الإبن من مرسيليا، وكان سنة 1885 لا يزال في خدمته[17].

ث : المستوطنـــــون

1. أوكُوست بومبي هذا القنصل المستعرب من مواليد مرسيليا سنة 1823، وقد مات في 30 يناير 1876 بمدينة بوردو. عين أولا أمينا للسر ثم ترجمانا بالمفوضية الفرنسية بطنجة سنة 1845، ثم صار ترجمانا بالقنصلية بالصويرة سنة 1846. وفي سنة 1854 سمي نائبا قنصليا بالرباط حتى سنة 1865. ومن 1858 إلى 1860 انقطع عن العمل. وخلال ذلك أتم ترجمة «الأنيس المطرب بروض القرطاس» لعلي ابن أبي زرع، ونشر عمله سنة 1860 بعنوان «تاريخ ملوك المغرب : Histoire des Souverains du Maroc». وابتداءً من 1865 عين قنصلا بالصويرة[18].

وهكذا قضى بالمغرب حوالي 30 سنة ألف فيها عشر دراسات خلال مقامه بالصويرة وحدها. وكان في كل رحلة يضع خرائط وتقارير يوجهها إلى رؤسائه يعلمهم بالأحوال المحلية.

وبحكم وظيفته كان يحمي مواطنيه، ومنهم العالم النباتي بالانسا Balansa الذي وقع عليه اعتداء سنة 1867 بأحواز مراكش. وفي غشت 1851 وفد عليه ثلاثة من المغاربة بلحاهم البيضاء، طالبين حماية بلاده، و«معرقبين» على باب داره.

وكانت له سياحات في نواحي الغرب في سنوات 1855 و 1857 و 1863. وفي سنة 1868 قضى زهاء ثلاثة أسابيع بمراكش حيث كان الوقت مصادفا لزواج الأمير مولاي الحسن. وفي سنة 1867 زار قبيلة حاحة واستضافه قائدها مدة أسبوع ووضع رهن إشارته بيتا مؤثثا على الطريقة الأوروبية. ولما كان بالرباط عقد أواصر الصداقة مع الأمين محمد بن زاكور الذي كان يطلعه على دخائل نفسه[19].

كما ارتبط بعلاقة مع الأمين الحاج العربي الشراط سنة 1865 لما كان بالصويرة. وكأنه ضاق بوجوده بها، وعزم على الرحيل «لأننا في بلاد تشبه الصخر لم يصلنا خبر، ولا شغل عندنا. وشغلّ هنا ييس فعله ! وعلى هذا سنطلب من الله تعالى أن ينقلنا من هاذا الثغر إلى أحسن منه. وإذا كتب الله الانتقال من هنا، ليس يضرني شيئا (= شيء) في خاطري ويهمني سوى فراق

17. مييج : «وثائق التاريخ...» ص 250.
18. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 70، وجاك كايي : «النوادر المغربية» ص 42 — 47 باختصار.
19. المصـــدر الأخيـــر.

المغرب، وما فيه من أهل محبتنا...»، وخصوصا الأمين الحاج العربي الشراط «الذي هو رجل خير، ونعم الرجل، صاحب مروءة مع الخاص والعام. وليس أتا قط مثله لهذا الثغر، على ما ظهر لنا في خدمته وكثرة نصيحته للحضرة الشريفة، ولا وجدنا صبرا على فراقه، لما رأينا من كمال عقله وحسن سيرته...»[20].

وكان يقضي أغراضا ويوجه «حوائج للحضرة الشريفة»، ولا سيما سنة 1865 لما كان نائبا لبلاده بالرباط[21].

وخلال وجوده بالصويرة سنة 1866، كانت له مراسلات مع كريميوه Crémieux رئيس الاتحاد الإسرائيلي. وكان له عطف على يهود المدينة من أجل تنظيف الملاح وإصلاحه[22].

ومن تآليفه التي نشرتها «المجلة الجغرافية» بباريس «خط المسير من الصويرة إلى مراكش ومن مراكش إلى آسفي» وذلك سنة 1868، و «خط المسير من طنجة إلى الصويرة» سنة 1876، وعنوانهما الأصلي هو :[23] Itinéraire de Mogador à Maroc et de Maroc à Saffi. و

Itinéraire de Tanger à Mogador.

وتقدم بتطوان ذكر بعض أخباره. إلا أنني أود أن أختم الكلام عنه بقصة لجسارته جاءت في رسالتين سنة 1868. فقد كان قد طلب من الحاج عمارة أن يجلد رجلين لكونهما سبّاه، فامتنع العامل.

قال بومبي : «وبعد فإنا تكلمنا معك لتتصرف الأحكام على الناس الذي قلت لهم يقبضون الرجل الذي خطا عليّ. فأجبتني أنني ضربت أحدهم وعنده شهود. فقلت لك : «أنا خليفة سلطان افرانصيص، ومن كان خليفة السلطان لا يتخالط مع أحد بالكذب»، وطلبت منك «تربية» أولاء ها الناس مرتين وأنت تعارضني وتقول : لا بد من الشهود. فعلى هذا جعلت برطصتوا الأول على الناس الذي قلت لهم يقبضون الرجول ولم قبضوه، وكان وقع لي مثل هذا مع رجل ءاخر وأعلمتك به ... والثاني حين قلت لك: تتصرف الأحكام على أولاء الناس، قلتَ : «لابد من الشهود الذي هو ضداً لما في الشروطات التي بين الدولتين. والسلام».

وجاء في جواب العامل : «ورد علي كتابك تقول فيه وأنك تكلمت معي في شأن رجل سبَّك، وأمرت المخازنية بالقبض عليه ويدخلونه للسجن ولم يقبضوه إلى ءاخر ما ذكرت.

---

20. رسالة أوكوست بومبي إلى الحاج محمد بنيس في 18 صفر 1282 /23 يوليوز 1865، محفظة الصويرة 1. الرسالة مختومة بطابع صغير مستدير وبداخله «أكُست بومبي، لطف الله به».
21. رسالة الطيب بن اليماني إلى الحاج محمد بنيس في 14 محرم 1282 /9 يونيو 1865، محفظة طنجة 1.
22. مييج : «وثائق التاريخ...» ص 75.
23. الدكتور فيسجيربير : «على عتبة المغرب الحديث» ص 100.

«فاعلم بأن المخازنية لم يكن عندهم إذن بالقبض على الرجل الذي ذكرت لهم، لأنهم مأمورون أن لا يتجاوز أحد حده. وما ذكرت لي من الضرب لأحدهم بخمسمائة [جلدة] والآخر بنصفها فإني لا نقدر أن نضربهم ذلك العدد الذي ذكرت ويكون سبب خروج روحه على يدي والتربية ... ما أنا جالس في محل الأحكام إلا لمثلها، فلا يقدر أحد أن يتجاسر عليك فتكفي التربية والعقوبة لهم بدخولهم للسجن يومين ... وكان من حقك تخبرني وتعلمني بما فعلوه، ولا تقبض أنت على أحد بنفسك ولا تضربه، لأنك إن ضربته ربما يغلبه الدم ويرد على نفسه ويضربك ضربة تضر بك وأنت قونص كبير ...»

2. **ألفونس بيرطران** ولد سنة 1842 وكان سنة 1866 مستكتبا بالاسكندرية، وعمل بزنجبار وبغداد وحلب. وفي سنة 1882 عين قنصلا بالصويرة. وقد انقطع عن العمل سنة 1885 ليتفرغ لبعض شؤونه. وفي سنة 1888 و 1889 كان يوجه مقالات لجريدة «ريبوبليك» الفرنسية[25].

كان مستعربا مثل بومبي. وقد وجه سنة 1884 بوصفه «قونصول بالصويرة وآسفي ومراكش» إلى محمد بن أحمد بن داود عامل المدينة الأخيرة رسالة يؤاخذه فيها على سوء الاستقبال وقلة العناية اللذين لقيهما منه، فقال في رسالة طافحة بالأغلاط النحوية واللغوية :

«اعلم بأن في الوقت الذي عزمت على القدوم لمراكش الذي هو من وظائفي المخزنية أخذت مكاتب التوصية والشد من عامل الصويرة. لجميع العمال الذين نمر عليهم بالطريق. وكان من جملة المكاتب المشار لها كتاباً برسمك. وانتهزت الفرصة في توجيهه إليك مع كاتبنا السيد محمد الزكيك قبل أن ندخل مراكش. وقبل أن نتكلم في الصعوبة التي وقعت على محل نزولنا هناي، أحقق وأن المواضع التي جزناها استقبلنا أهلها الولاة بالبادية خير مما قابلتنا به أنت عامل المدينة، لكونك ما قمت بواجب الضيافة الإسلامية. وثبت عندنا بأن خوفك الكثير من الحضرة الشريفة منعك من مقابلتنا بجميع ما نستحقه من الإكرام والاعتناء.

«وسامحنا إن قلنا بأنك غالطا. لأن المحبة، التي انعقدت من جلالة الحضرة الشريفة والجمهورية الإفرنصوية، معلومة بهذا المقدار حتى لا تسمح لكم بهذه الخيالات التي تعرض لكم وتخطر ببالكم. وأخذت من ذلك البرهان مثل ما يساوي كحجة نحتج بها.

«وهذه المسائل التي اشتكى بك منها : مع كوني معروفا قونصول بالصويرة وآسفي ومراكش ولم تعرف لي هاته المرتبة. ولما أخبرتك بأنني نريد أن نسلم عليك على القاعدة،أجبت

---

24. رسالة بومبي إليه في 11 ربيع الثاني 1/1285 غشت 1868 وجوابه إليه في 12 ربيع الثاني/2 غشت (الوثيقتان 8723 و 8724 م.و.م).

25. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 75.

بأنك تقابلني بالفرح إن قدمت عندك. غير أنك لم تقدر أن ترد لي السلام الواجب للمرتبة. فالحالة هذه يتضح منها بأنك أنزلتني بمرتبة ليست مرضية.

«وقبل هذا، طلبت منك أن أتنزه بجنانات البلد حيث أنها نزهة فريدة في مراكش، وأظهرتَ بأنك قبلت اشتهائي، ووجهت مخزنيا مع صاحبنا ليسهل دخولنا للمامونية. فكانت النتيجة بعدم المقصود. وفي الأخير طلبتُ مني زوجة التاجر جَكْتي أن نتفرج في أرباب الطرب وشيخة البلد، فساعدتُها. لأن اللهو ما هو يعجبني قط، لأني رأيته أنواعا بمصر وبغداد ونواحيها. وذلك أعجب ما يُرى من المضحك بهذه النواحي. وبالغتَ في تعويق مطلبنا حتى أنك قبضت على المخزني صاحب مول الضور، زيادة في المكر والتشديد، حيث تكلم مع الشيخة والمغنيين على الإتيان عندنا بإذن مول الضور.

«ومن هذه المقابلة، نبين لك تماماً بأني لست راضيا. وسأخبر اللّكْسْيون بطنجة بتقديم الشكاية عليك. وآخر الأمر كان أملنا أن نجلس هناي شهرا. ولاكن مع عدم اعتنائكم وقيامكم بالواجب في حقنا، ترانا بعد يومين نرجع للصويرة إن شاء الله، والسلام.

«15 ربيع الثاني عام 1301 /13 يبراير 1884»

وفعلا وصلت شكايته إلى طنجة فأجاب عنها ابن داود برسالة منه إلى السلطان بأنه لم يكن عنده إذن باستقباله لا من المخزن ولا من «الباشدور» برݣاش «وإلى الآن وحتى الآن لم يوافني شيء من ذلك من قبل الباشدور، ولو تمسكت به لزال عني الإشكال، وإنما ورد عليَّ كتاب عامل الصويرة بالإنزال وفق ما فعلت... في دار» حيث «... أنزلته في محل ولد ابيهي ... كما وجب علي أن أطلب من سيادته العلية إن اقتضاه النظر السديد أن ينعم على وصيفه ببيان ضابط ومنهاج يكون العمل عليه فيمن يأتي لهذه الحَضرة من أكابر الروم... إذ المأذون من الجانبين مأمون...»[26].

3. مـاورون هذا نسبه. أما اسمه فتارة أُوجين Eugène، وتارة أُخرى أُمبرواز Ambroise بحسب المصادر التي وقفت عليها، حتى ليس يعرف هل هما شخص واحد أم شخصان.

وتقدم أنه كان قنصلا لبلاده. وكانت له اتصالات مع السلطات المحلية بسوس، ومنهم الحسين أُوهاشم. فقد طلب من هذا الأخير تزويده بأخبار الناحية والترخيص له بوسق البضائع. فرد عليه بأنه لايستطيع الموافقة على خروج السلع إلا عن إذن السلطان.

---

26. رسالة محمد بن داود إلى السلطان في 19 ربيع الثاني 1301 /17 يبراير 1884.

وقد بذل بمحاولات لاستخدام عمال مغاربة لمد أشغال السكك الحديدية بالسنغال[27]. وقد جاء في رسالة إلى عامل الصويرة :

«قونص الفرنصيص بالصويرة أخبرك بورود الأمر عليه من مخزنه بالبحث عن نحو الخمسمائة أو الستمائة من المسلمين للخدمة بسينكّان، وطلب منك ... أن تساعده على النداء في أسواق المدينة على من يريد الخدمة في المحل المذكور، فأجبته بأن لا بد من استئذان الحضرة الشريفة في ذلك. فقد أطلعنا بذلك شريف علم مولانا، فأجاب بأن استخدام المسلمين من أرض المغرب في بلاداتهم غير معهود ولا معتاد»[28].

4. **هنري ليـروه** H. Lepreux كان سنة 1885 نائبا عن شركة پـاكي[29]. ولم أقف له على سمسار، ولكنه كان فلاحا كما سنرى : إذ في سنة 1891 «عمد إلى بقعة من العراصي المحروقة بباب مراكشة من ثغر الصويرة، وصار يغرز الخشب فيها بقصد جعلها عرصة. ووقع الكلام معه في ذلك، فأجاب بأن تلك البقعة هي لليهودي إسحاق بن الحزان ابراهيم قُرياط الصويري، وأنه اكتراها منه على أن يتصرف فيها مدة خمسين سنة ...». لكن هذا اليهودي أجاب بأن لا شيء له في الملك المذكور، لأن بينه وبين العرصة 3 قطع أخرى. «... وقد أمرني مولانا بإعلامك بذلك، لتلزم هنري المذكور بالتخلي عن العرصة المذكورة»[30].

5. **فرانسيس جاكطي** استوطن الصويرة منذ سنة 1868، وكان وقته لا يزال شابا. وقد مر ذكر سماسرته بآسفي وبالصويرة. وستأتي أسماء آخرين بمراكش كانوا في خدمته. وبالمدينة الأخيرة كان سنة 1867 يحاول بناء معصرة للزيتون باشتراك مع فـو Faux فعارضت السلطة مشروعهما[31] وكانت وفاته حوالي 1899.

6. **بـاقي المستوطنيـــن** : كادت الجالية الفرنسية تكون منعدمة سنة 1865، إلا ما كان من بعض الموظفين بالقنصلية، من كتاب وتراجمة. ومن الأخيرين :

— **إدوار ڭاسلان** E. Gasselin الذي كان سنة 1872 ترجمانا[32].

— **ڭوستاف مونطيل** G. Montel الذي عين ترجمانا سنة 1880 حتى توفي بها سنة 1887[33].

---

27. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 371، و «... التاريخ» ص 171.
28. رسالة محمد بن العربي إلى الحاج عمارة في ... 1299/ 16 شتنبر 1882، محفظة الحاج عمارة.
29. رسالته إلى الطريس في 24 شعبان 1302 ... ونيو 1885، محفظة الطريس 12.
30. نسخة رسالة إلى باشادور فرنسا في 28 ... 1308/ 5 يوليوز 1891، محفظة الصويرة 4.
31. جاك كايي : «النوادر المغربية» ص 47.
32. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 94 (...
33. نفس المرجع ج 1 ص 145.

— ناجيار Naggiar عين خلفا عن سلفه، ثم في سنة 1899 غادر هذا المنصب ليشغل وظيفة نائب قنصلي بمدينة العرائش[34].

وفي بداية القرن العشرين صار عدد المحميين والمجنسين الفرنسيين (من يهود ومن مسلمين جزائريين)، لا يتعدى الستين. وقد وضعت الحكومة طوع بنان القنصلية منزلا ليكون مقرا لها، ومركزا للبريد الفرنسي. وكان به كاتب جزائري و«طالب» مغربي وشاب سوري متجنس يشرف على المكتب البريدي[35]. وقد رأينا قبل هذا أن أعداد المحميين كانت كثيرة نسبيا سنة 1864 ولا سيما من اليهود. ومن الأطباء أشير مرة أخرى إلى :

— **الدكتور لوران تيڤنان** L. Thévenin مات هنا بالكوليرا حسبما تقدم الكلام عنه.

— **والدكتور أوليڤ** Ollive استوطنها سنة 1873 ومكث فيها ثماني سنوات[36].

— **والدكتور طيري مييگ** Théry - Mieg الذي كان يباشر عمله بالمدينة سنة 1883.

أما التجار فقد كانت دار إيميل إيرلانجي E. Erlanger ممثلة سنة 1867 بالصويرة. وفي سنة 1882 كان بانشيرلي Pincherlé ينوب عن دار ليون المرسيلية[37].

وفي مطلع القرن العشرين، كانت داران تجاريتان ممثلتين هنا، فناب روبير بول R. Boule عن إحداهما. وكان بورجو وروتمان Borgeaud/Reutman شريكين في متجر مقره الأساسي بالجزائر[38].

— **أسرة الأطرش** ومنها ثلاثة أشقاء من مواليد مدينة حلب، وهم يهود مجنسون فرنسيون. وقد استوطنوا الصويرة سنة 1855 بحيث كانوا الرعايا الفرنسيين الوحيدين بها في تلك السنة.

أحدهم اسمه جول، والثاني هو جاك. وكان لهما منذ 1853 شركة مع تجار من مرسيليا مثل سالاڤي Salavy الأب، ومثل بوميي Beaumier. وزيادة على ذلك كان لهما ارتباط بعامل مراكش أحمد بوستة[39].

أما الثالث وهو إميل فكان رعية مسجلا بقنصلية النمسا بحلب، ولكنه طلب الجنسية الفرنسية سنة 1859 ونالها سنة 1868 وبقي كذلك حتى سنة 1889 التي هي تاريخ وفاته[40].

---

34. أيضا ج 1 ص 147.
35. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 6 — 7.
36. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 150.
37. الدكتور مارسي : «المغرب» ص 113.
38. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 6.
39. مييج : «وثائق التاريخ...» ص 47 — 52 — 53.
40. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 511 (7).

ـ **پروڤوه** Proveux كان سنة 1870 تاجرا على الراجح بالصويرة[41]. لم أقف له على سمسار، إلا أنه كان مهندسا يعيش بالصويرة قبل الحرب العالمية الأولى.

ـ **بيير أندريوه** P. Andrieu وكان عميلا لجالوزو وحاول شراء لوز أرݣان وعصر زيتها[42].

ـ **هوبير جيرو** H. Giraud أقام أولا بمراكش حوالي 1882، ونجده من جملة الفرنسيين بالصويرة سنة 1889. وكان من أنصار التدخل الفرنسي بالمغرب[43]. ولم يكن في الغالب تاجرا، فلم أعثر له على سمسار خلال إقامته بالصويرة التي دامت خمس سنوات.

ـ **لانيـيـل** Lagnel طلب سنة 1882 من الأمناء أن يبنوا له أهراء ودارا بالجديدة وبالصويرة[44]. وقد سكن بمراكش سنة 1892 وبنى بها معصرة للزيت.

ـ **جـوسـار** Jaussard كانت له معصرة زيت باعها فيما بعد **لكازنوڤ** Cazeneuve الذي أسس فندقا بالصويرة. إلا أن جوسار قد يكون اسمه هو جوسو الذي كان سنة 1891 يريد الرحيل إلى مراكش، مثله في ذلك مثل تاجر فرنسي آخر اسمه ڤالطير Walter ... (دون وضوح نسبه)، اقتداءً بالتاجر ماور الألماني[45].

---

41. رسالة إيمي داكان إلى برݣاش في 11 شتنبر 1870، محفظة برݣاش.
42. جواب مخزني إلى سفير فرنسا في 24 ربيع الأول 1305 /10 دجنبر 1887، محفظة فرنسا.
43. مييج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 114، وهنري ده لا مارتنيير : «ذكريات عن المغرب» ص 272.
44. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 322.
45. رسالة في 7 ربيع الثاني 1309 /10 نونبر 1891، محفظة فرنسا.

9 : باقي الدول

المطلب الأول : البرتغال

أ : السلك القنصلي

1 . **أنطونيو بوليلي** الإيطالي كان سنة 1875 نائبا عن هاته الدولة[1].

2. أخوه **كارلوس** تولى تمثيل البرتغال[2] حتى وفاته سنة 1880.

3. **كايطانو بوليلي** أشرف على هاته الشؤون بعده حتى سنة 1892.

4. فأسندت إلى **دايد كابيصا** (أو كابصير) الذي لعله هو الذي «أكثر علينا من الحماية حتى بلغ حدا لم يبلغه أحد غيره من قونصوات الأجناس»[3].

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لأعيان اليهود

1 ـ 2 : **يهودة الصباغ، ويوسف بن هني الزاكوري** ولم يرد وجه لحمايتهما.

ب 2 : من القائمة البرتغالية العامة سنة 1880

3 ـ 4 : **هارون مور يوسف** حتى مات قبل هذا التاريخ، وأرملته **وجمول مور يوسف**.

---

1. رسالة أنطونيو إلى الحاج عمارة في 19 صفر 27/1292 مارس 1875، محفظة إيطاليا.
2. رسالة أبي بكر بناني إلى السطان في 27 محرم 1299 /19 دجنبر 1881، ورسالة أنطونيو إلى الحاج عمارة في 7 أكتوبر 1880، نفس المحفظة.
3. رسالة كابيصا إلى الركراكي في 18 حجة 3/1310 يوليوز 1893، محفظة البرتغال ورسالة الركراكي إلى الطريس في 16 ربيع الثاني 1311 /27 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25 .

ب 3 : من غيرهما

5. **يوسف بن شمعين بن توتو**، وقد تقدمت الإشارة إليه مع البرازيل.

ت : السماسرة

اثنان وقفت على اسمهما : **يوسف عطية** وكان في قائمة 1880 البرتغالية سمسارا لدار تجارية بالبرتغال منذ 1863، **ومير الليوي يولي** وكان سنة 1893 سمسارا لشخص لم يرد بيانه[4].

المطلب الثاني : بلجيكا

قام تشارليز پايطون الإنجليزي سنة 1881 برعاية مصالح هاته المملكة، وكان قبله وليام كّريس يمثل هاته الدولة[5].

ومن المحميين كان اثنان : **مسعود أوحيون** وكان ترجمانا منذ سنة 1880وورد في قائمة 1886 البلجيكية بنفس الصفة، **وموشي بن شالوم أوحيون** وهو ترجمان في قائمة 1889.

المطلب الثالث : النمسا

أ : السلك القنصلي

1 . **الحزان يوسف المليح** كان نائبا قنصليا حتى وفاته سنة 1886 بمدينة لندن.

2. **روبين المليح** ابن السابق وتولى بعده هذا المنصب القنصلي[6].

ب : المحميون

1 ــ 4 : **يوسف المليح** سالف الذكر، وكان من كبار الأغنياء ولعب دورا هاما في تأييد

---

4 . رسالة الزّكراكّي إلى الطريس في 16 ربيع الثاني 1311 /27 أكتوبر 1893، محفظة الطريس 25.

5 . رسالة پايطون إلى بركّاش في 12 يوليوز 1881، محفظة بركّاش، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 337.

6 . رسالة بركّاش إلى الحاج عمارة في 22 رمضان 1285 /6 يناير 1869، محفظة النمسا، ومسودة رسالة سلطانية إلى أمين المستفاد في 12 شوال 1302 /25 يوليوز 1885، محفظة الصويرة 3، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 441 (3).

الطائفة اليهودية بالصويرة[7]، وروبين المليح، وأخوه هارون وذكرا في القائمة المحلية لأعيان اليهود، وابراهام الشريقي وكان سنة 1882 محميا[8].

المطلب الرابع : السويد والنرويج

لم أجد لهما محميين ولا سماسرة ولا مستوطنين سوى أن ابراهام سورين بوكان دي طيركسون كان سنة 1887 نائبا[9]. ولربما كان هو المحمي الوحيد إن كان أصله مغربيا.

ولم يرد شيء عن مستوطنين من هاته الدول الخمس، كما لم أقف في المصادر على أثر للدانمارك وهولاندة بهاته المدينة.

---

7. المرجع الأخير.
8. رسالة جون هي إلى بركاش في 16 شعبان 1299 /3 يوليوز 1882، محفظة النمسا.
9. رسالة إلياس كاسيل إلى الطريس في 15 يبراير 1887، محفظة السويد.

الباب الحادي عشر

مراكش

1 : الولاة والسكان

أ : الولاة

أ 1 : ولاة المدينة

1. وجه مولاي عبد الرحمان ابن عمه مولاي **مبارك بن علي** عاملا إلى مراكش. لكنه «أساء السيرة في أهلها، وفتح فاه لأكل الحرام، واستولت عليه بطانة السوء. فتكررت به الشكايات إلى أمير المؤمنين، فكتب إليه ينهاه ويشنع عليه. فكف من غربه بعض الكف... ولكنه عزله بعد حين ...»[1].

2. فولى أخاه **المأمون بن هشام** على المدينة[2]. ولم يرد تاريخ مضبوط لولاية الأخيرين بدءا وختاما، مثلما لم يأت شيء عن وقت إسناد الأمر إلى العمال الثلاثة الآتي ذكرهم، وهم :

3. **ابن عبد الصادق**[3]. ولعل اسمه هو علي بن أحمد الذي كان عامل الصويرة.

---

1 . محمد أكنسوس : «الجيش» ج 2 ص 6 — 8.

2 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 10.

3 . محمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 2 ص 20.

4. والعربي الهَدّاجي الذي ثار عليه أهل البلد بسبب رجل إسباني كان يقطر الحشيش، فاشتكى به المراكشيون إليه، فلم يُزل شكواهم، فعزلوه وولوا مكانه القائد قاسم الرحماني، ولما ورد مولاي عبد الرحمان إلى مراكش عزل قاسما المذكور وسجنه، وغرّب كثيرا من أهل مراكش لفاس[4].

5. ومحمد بن زروال الرحماني الذي انتهى الأمر بعزله[5].

6. أحمد بن عمر بن بوستة المراكشي لم أقف على تاريخ ابتداء ولايته، إلا أنه كان سنة 1856 عاملا[6]، واستمر كذلك حتى أعتقل في يونيو 1863 فخلفه الجيلالي بن حمو[7] آتي الذكر، إلا أنه أعيد إلى سالف منصبه. وكان رجلا خيرا مكرما لأهل العلم. وتوفي بفاس سنة 1875 وبها دفن[8]. وسلف القول إنه نُقل سنة 1873 إلى ولاية مدينة آزمور.

7. الجيلالي بن حمو البخاري المنجّم الحمزاوي استعمل بعده على مراكش إذن ، أو فقط على القصبة على الراجح، لأن ابن الطاهر كان في نفس السنة عاملا. وكان الجيلالي قبل ذلك قائدا للمشور في العهدين الرحماني والمحمدي[9]. وكان من ضباط الجيش وباشاواته، وتقلب في عدة مناصب إدارية بمختلف المدن كطنجة حسبما سبق الكلام عن ذلك.

8. أحمد بن الطاهر السملالي الآزموري الذي ولي على مراكش من عام 1279 /1862 إلى حين وفاته سنة 1284 /1867. وسلف القول إنه كان عاملا على الجديدة.

كان ابن الطاهر قبل ولايته الأولى ينسخ الكتب «محبة في العلم... وكان فقيها متضلعا نبيها، ذا سمت حسن، مهيبا وقورا، جميلا في الهيأة والملبس، رفيع الهمة ذا شيبة حسنة. وله خط رائق وإنشاء فائق»[10].

ربط علاقات مع التاجر الفرنسي لامبير Lambert الذي كان يترجم له الجرائد لمعرفة أسعار المنسوجات القطنية وغيرها. لأن أحمد كان يتعاطى التجارة والتصدير[11].

9. أحمد ابن داوود عين عاملا بعد وفاة ابن الطاهر مباشرة[12] سنة 1867.

---

4 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 10 ص 164.

5 . نفس المرجع ج 2 ص 418.

6 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 56.

7 . خوان بالديراما مارتينيث : «خواكين غاتيل، رحالة المغرب» ص 22، طبعة تطوان، 1954.

8 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 2 ص 419.

9 . نفس المرجع أيضـا.

10. المصدر ذاته ص 416.

11. مييج : « المغرب وأوربا» ج 3 ص 29.

12. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 2 ص 416. ولم يترجم هذا المؤلف لآل ابن داوود بشيء.

كان آل ابن داوود سيئي السيرة. وكان أحمد ممن أثاروا نقمة الناس عليهم ولا سيما الصناع. وبسببه عُزِل قاضي مراكش محمد بن عبد الواحد الدويري سنة 1289 /1872. وصورة ذلك حسبما ذكره العباس ابن ابراهيم أن الدويري تضامن في السنة المذكورة «مع أهل مراكش في ثورتهم على عاملها أحمد بن داوود في يوم الجمعة ثالث جمادى الثانية من العام المذكور، لكونه كان يسير فيهم سيرة غير حميدة، حيث كان خليفته صالح الأقرع الذي استعمل صاحب الدور أحمد الباز، وصل أن وظف عليها أداء مئة مثقال في اليوم يأخذونها من البَغايا. فأدى بهم الحال أنهم يرشُون المرأة الصيّنة بالخمر، إذا كانت مارة بالطريق وينسبونها للبغاء، ويودعونها في السجن ويأخذون منها حليها، حتى انقطع خروجها. ثم انتقل الأمر بعد ذلك لغيرهن. فيأخذون العبد ويقولون له : إنك كنت مع فلانة وأخذتَ لها كذا.

«فبسبب ذلك قام علال بن الحسن المراكشي الخراز، وذهب مع جماعة إلى ضريح الشيخ ابن العريف، واتفقوا على رفع هذا المنكر. ولم يقصدوا نزع العامل. ثم وجه العامل لهم مولاي الشريف الهبيل وسالماً الجزع ليكفوهم. فتغلّظ عليهم الشريف المذكور، فصرحوابعدم قبول ولايته عليهم. ثم احترموا بضريح الشيخ أبي العباس السبتي. ثم اجتمع معهم المحتسب مولاي أحمد بن عامر والناظر الصبان وأضرابهما خفية من أعيان مراكش وعضدوهم.

«ثم في الغد صاروا يغلقون الحوانيت، واجتمعوا واختاروا علال المذكور عاملا عليهم مع مولاي الغالي، ووافقهم المترجم[13]. ودام الأمر على ذلك أربعة اشهر واستقامت الأحوال.

«ثم وجهوا وفدا منهم يشتكي للسلطان، ويبين له حقيقة الحال. وقدموا على السلطان بتادلة متنصلين مما فرط منهم. فأعرض السلطان عنهم ولم يسمع منهم كلاما ولا قبل لهم عذرا، بعد أن أمر برفعهم للسجن، فرجعوا مخفقين. فقام علال المذكور وأمر الشريف مولاي أحمد بن الكبير أن يكتب كتابا على لسان السلطان ليقرأ على أهل مراكش : وأن السلطان أنزلهم وفرح بهم. فقرأ ذلك على الناس أحمد بوضربة.

«ثم أسرع السلطان السير إلى مراكش، وتقدم إليها وهو غضبان على أهلها. وكانوا مظلومين ــ فيما قيل[14] ــ إلا أنه لبّس على السلطان في أمرهم. فلما شارف المدينة يوم السبت فاتح شعبان من العام المذكور خرجوا إليه بالعلماء والقراء وصبيان المكاتب، وتلقوا له بباب أحمر على العادة، متشفعين فلم يقف لهم. وكان ابنه وخليفته المولى الحسن حاضرا يومئذ. فتقدم إلى أهل مراكش ورَقّ لهم، وقال لهم قولا جميلا، وأخبر الواشي السلطانَ أنهم أرادوا أن يضربوه، فترك

---

13. المترجم هنا هو محمد الدويري قاضي مراكش المعزول سنة 1872.

14. هاته الجملة الاعتراضية زيادة من أحمد الناصري في «الاستقصا» ج 9 ص 123.

نظر. وأصلح الأحوال مولاي العباس بن مولاي عبد الرحمان. ثم قبض على مولاي أحمد بن عامر وعزل المترجم»[15] الذي هو محمد بن عبد الواحد الدويري كما هو معلوم.

جانب من هاته الواقعة الخطيرة، التي تعمدت نقلها لما فيها من إشارات بليغة عن الحالة بمراكش، رواه ابن زيدان. وهو أنه قبل 3 جمادى الثانية 1289 /8 غشت 1872 كا. عامل «مد يد العداء في بعض الخرازين. فقام الدباغون في وجه الشرطيين، وكثر الهرج واتقدت نيران الفتن بينهما واجتمع الغوغاء ومن في قلبه مرض من طاعة المخزن، وانضم إلى صعاليك الدباغين. واجتمع الأعيان والعلماء وأهل المروءة والفضل للمفاوضة في كيفية التوصل لتسكين الهيعة...

«فاتفق رأيهم بعد أخذ ورد على أن تلك الفتنة لا تنحسم مادتها إلا بإلزام العامل المكث بقعر بيته، وعدم العود للمداخلة في شيء من الأشياء إلى أن يقدم السلطان»[16].

قال أرثور ليرد الذي زار مراكش سنة 1872 إنه تعرض لتسمم من لدن ابن داوود، وأن إبراهيم الجراوي عامل المنشية هو الذي اعتقل أحمد ابن داوود في شهر أكتوبر من نفس السنة[17] أي عند مقدم السلطان إلى مراكش. ولم يلبث العامل إلا مدة يسيرة حتى توفي «وتخلصت قائبة من قوب»[18] أي فرخ من بيضة. وكان ذلك في رمضان 1289 / أكتوبر 1872.

10. سجن أحمد، ولكن ابنه **محمد** هو الذي خلفه من بعده، وبقي في هذا المنصب حتى سنة 1887 حيث توفي في بدايتها[19].

11. **العباس بن أحمد بن داوود** ولي سنة 1887 بعد أخيه ولكنه عزل سنة 1318 /1901 من منصبه[20] ونكب وسجن بمكناس. وكان في سنة 1892 قد أصيب بمرض في عينيه فذهب إلى أروبا للتداوي مع أربعة من أصحابه[21].

ونتساءل هل كان آل ابن داوود مظلومين ؟ لقد اتفقت المصادر على أن أحمد كان ظالما. وتقدم في الصويرة أن ابنه محمد كان كثير الخشية من السلطان، فوصفه بذلك قنصل فرنسا بيرطران. لكن لماذا استعمل السلطان الإبن بعد وفاة الأب أحمد ؟ صاحب «الاستقصا» أورد

---

15. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 52 — 53 (نقلا عن «سلوة الأنفاس» ج 1 ص 256).
16. «الإتحاف» ج 2 ص 121.
17. عبد المجيد بنجلون : «جولات .... 1872» ص 72 و 84.
18. أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 123.
19. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 2 ص 416.
20. المصدر الأخير أيضاً.
21. رسالة السلطان إلى الطريس في 12 شعبان 1309 /12 مارس 1892، محفظة الطريس 22.

خبر ثورة أهل مراكش على أحمد ابن داوود وسكت عن مناهضة علال بن الحسن الخراز للعامل. ولما وصل إلى عبارة «وكانوا مظلومين» التي أوردها ابن ابراهيم نقلا عن «سلوة الأنفاس» أقحم بعدها لفظتي «فيما قيل»، مما يدل على أنه كان لا يصدق ما كان يقال عن ابن داوود، أو أنه كان يخشى أن يقول ما لا يقال، وهو الذي عاش في تلك الحقبة.

سر ذلك سنراه قريبا. غير أن الأجانب من المؤلفين والرحالة أصروا على إدانة أسرة ابن داود. قال ڤيسجيربير «إن أهل الورع بمراكش كانوا يبغضون الباشا ابن داود، لأنه كان إباحيا ومخمرا وآكلا لرمضان»[22] ولا شك أنه يقصد العباس.

وفي سنة 1901 قالت فرانسيس ماك ناب عنه أيضا : كان «ابن داوود مكروها لما عرف عنه من قسوة متناهية. فقد كان يرسل جواسيسه لمعرفة مكاسب الناس، لتلفيق التهم ضدهم بعد ذلك، ومصادرة ما يملكون، وإرسالهم إلى السجن. وكانت أُخته زوجة ابا احماد. ولذلك كدس ثروته دون رقيب ولا عتيد. وقيل إن ابن داود أودع أمواله في مصارف أروبية، أو في مكان سري. وصورة ذلك أنه كان يجمع أمواله بمساعدة عبد أو عبدين، وينقلها إلى المكان المقصود. حتى إذا حقق هدفه، قتل العبد أو العبدين ليعود إلى منزله وحده، فلا يعرف أي إنسان مقر المال سوى صاحبه»[23] حسب المؤلفة التي أوردت هذا الجزاء السِّنِمَّاري.

وهذا في رأيي هو السبب في سكوت الناصري فقد كان يخشى على نفسه نقمة الحاجب ابا احماد، صهر العامل العباس، ولو أنه ذكر مع ذلك تخلص القائبة من قوبها.

12. **عبد الحميد الرحماني** استعمل على المدينة[24] من عام 1318 إلى سنة 1320 (1901 — 1903).

أ 2 : ولاة المقاطعــات

هؤلاء هم عمال المدينة. وينبغي أن يضاف إليهم ولاة المقاطعات البلدية :

• **ابراهيم بن سعيد الجراوي** الذي كان قائداً لقصبة المنشية وباشا للجيش أيام مولاي عبد الرحمان وسيدي محمد حتى سنة 1874 حين أدركته الوفاة[25].

• **وأحمد أومالك** الذي كان سنة 1872 وبعد سنة 1889 عاملا على الملاح[26].

---

22. «على عتبة المغرب الحديث» ص 73.
23. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1901» ص 83 و 84.
24. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 2 ص 416.
25. محمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 2 ص 63، وأحمد الناصري «الاستقصا» ج 9 ص 146.
26. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 ربيع الأول 1307 /31 أكتوبر 1889، محفظة الطريس 17.

• والحاج **محمد ويدة السوسي** الذي تولى بعده شؤون الملاح، ولا سيما سنة 1892[27].

• و**محمد بن عبد الكبير الدمناتي** الذي كان أبوه محتسبا بدمنات. ولما توفي هاجر إلى مراكش وصار «شرطيا مع عامل القصبة القائد ابراهيم بن سعيد الجراوي. ثم إن كاتبه غاب في بعض الأوقات. فاحتاج إلى كتْب بطاقة، فسأل هل في أصحابه من يحسن الكتابة . فعينوا له المترجم، فجعله كاتبا ... وتزوج بربيبة القائد المذكور البتول. ثم بعد موتها تزوج ببنته. ثم تنقلت به الأحوال، فصار كاتبا مع السيد أحمد حين كان حاجبا، وولاه صائر مطبخ المخزن. ثم صار كاتبا بالبنيقة الكبرى ثم في بنيقة وزارة الحرب واستعمل نائبا عن وزيرها. ومنها ولي باشا على القصبة وأعمالها، ونال بذلك دنيا عريضة وبنى دورا متعددة وتأثّل أموالا وأُصولا...

«ثم لما بويع المولى عبد الحفيظ بمراكش جعله وزيرا كبيرا. ولكن حَسْبُه كتابة المكاتيب في التهنئات وأجوبة الناس. ولم يكن له كبير أمر في الحل والعقد. وكان مرجع ذلك إلى غيره. ثم لما حل بفاس عزله وعدَّد عليه أمورا كان ارتكبها في حال ولايته، منها التدليس في أمر بعض العمال الذين كانوا ينحاشون إليه كعامل دمنات أبَلَّاغ. ثم جعله وزيرا للمظالم فكان أمره فيها كالحالة السابقة بل أدْوَن. ثم أخره عنها وجعله أمين الصائر.

«ثم في عام ثمانية وعشرين طلب الإعفاء والتوجه لمراكش فسوعد على ذلك»[28].

وفي أوائل 1911 أدركته الوفاة، بعد أن تقلب في الوظائف المتنوعة : شرطي وكاتب وعامل ووزير مع ما تبع ذلك من دنيا عريضة وتأثل أموال وأصول وبناء دور متعددة.

ب : السكـــــان

لم يرد لعددهم تحديد. لكن أرثور ليرد قدرهم سنة 1872 بـ 55 ألف نسمة[29]، وهو رقم لم يكد يتغير حتى في نهاية القرن التاسع عشر : بين 50 و 60 ألفا[30]. على أن هناك من بالغ فزعم أن عدد أهل مراكش تراوح منذ قرن من الزمان بين 500 و 600 ألف. غير أن كَمَّهم انخفض في الربع الأخير من القرن الماضي إلى الخمس[31] أي 100 ألف نسمة.

وليس عندنا بيان عن نسبة اليهود بالقياس إلى مجموع السكان. ولعلها لم تتجاوز العشر

---

27. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 265.
28. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 176 — 177.
29. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 98.
30. براون : «أهل سلا» ص 48، وأوبان : «مغرب اليوم» ص 37، وميبيج : «المغرب وأوربا» ج 3 ص 24.
31. عبد الله العمراني : «سفارة فرنسية لدى جلالة الحسن الأول» في «دعوة الحق» مارس 1972 ص 39.

منهم، كما هو الحال في كثير من المدن المغربية. وكان العنصر الأروبي لا يتعدى العشرات القليلة ولاسيما في أواخر القرن التاسع عشر[32].

فكيف كانت تشكيلة السكان ؟ يرى ليرد أن أهل مراكش كانوا خليطا من المغاربة والجزائريين والتونسيين والمصريين والصحراويين والزنوج. ويستند في ذلك إلى تقديرات لامبير الذي كان يرى أن عدد الرجال هو 16500 في مثله للنساء. لكن اليهود لم يكونوا سنة 1870 إلا 1200 نسمة، مناصفة بين الرجال والنساء، فيكون المجموع عنده هو 34200 نسمة.

وهكذا يفصلهم ليرد حسب أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، نقلا عن لامبير وخصوصاً السكان العاملين من الذكور البالغين : 1200 من الملاكين والمزارعين، 150 من العلماء والعدول، 800 من الطلاب، 100 من تجار الجملة، 500 من تجار المنسوجات والفخار، 300 من تجار الزرابي، 1000 من أصحاب الدكاكين، 800 من النساجين، 350 من النجارين، 1500 من الشراطين والخرازين، 2500 من البنائين، 600 من أصحاب الأرحية، 400 من الموظفين المخزنيين، 2000 من الوصفان السلطانيين، 2000 من الجنود، 500 من المخازنية، 1500 من المتسولين[33].

ولم يكن بمراكش سلك قنصلي لعدم موافقة المخزن على نصبه بالمدن الداخلية كمراكش وفاس ومكناس حسبما تقدم وحسبما سيأتي، لكن كان بها محميون وسماسرة عددهم جميعا 57 منهم 37 يهودياً و 20 مسلما مثلما سيرد في الجدولين المواليين :

ج 1 : المحميون (1863 ـ 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
إنجلترا	3	2	5
إسبانيا	—	1	1
فرنسا	3	6	9
البرازيل	—	3	3
المجموع	6	12	18

32. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 45.
33. عبد المجيد بنجلون : «جولات ... 1872» ص 98.

ج 2 : السماسرة (1863 ـ 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	2	7	9
إنجلترا	3	5	8
إيطاليا	4	4	8
فرنسا	3	8	11
البرازيل	2	1	3
المجموع	14	25	39



2 : إنجلترا

أ : السلك القنصلي

لم يأت في المصادر الأجنبية والمغربية أن هاته الدولة كان لها في هاته الفترة قناصل أو وكلاء بمراكش، ولو أن محاولة كانت لنصبهم، إذ كان سفير بريطانيا قد طلب سنة 1866 اتخاذ دوبيس Dupuis قنصلا[1]. وفي سنة 1892 التمس إيوان سميث تعيين نواب قنصليين بمدن الداخل ومنها مراكش. فكتب السلطان إلى عامل الملاح الحاج محمد وبدة يحذره من هاته المحاولة لتعيين أحد اليهود المرشحين، ومن تعليق السنجق، ويأمره بنزعه «بلطافة حتى لا يقع فيه تمزيق ولا كسر»[2].

وفي عهد جون هي كان أبوبكر الغنجاوي يدعي أنه وكيل لانجلترا.

ب : المحميون

لم ترد أسماؤهم مجتمعة في قائمة سنوية رسمية، وإنما جاءت مشتتة في وثائق ومصادر شتى :

1. **أبوبكر الغنجاوي** ولم أقف على تاريخ دخوله للحماية.

2. **جاكو ولد الرومية** وكان محميا سنة 1880 وكان يسكن بالملاح[3].

3. **حاييم ناهون** الذي لا أعلم أنه مراكشي. إلا أنه كان سنة 1888 محميا ومسجونا بهاته المدينة «لاشتغاله بتزوير كتب على الطريس، ورسوم على أهل البادية، لأكل أموالهم بالباطل». ولم يفرج عنه إلا بشفاعة كرين فيه، وإلا على شرط أن يبارح أرض المغرب[4].

---

1 . ميج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 103.

2 . رسالة السلطان إلى وبدة في 4 محرم 1310 /29 يوليوز 1892، محفظة بريطانيا.

3 . رسالة السلطان إلى برگاش في 29 شوال 1297 /4 أكتوبر 1880، في «الوثائق» ج 4 ص 512.

4 . رسالة السلطان إلى الطريس في 1 جمادى الأولى 1305 /15 يناير 1888، محفظة الطريس 12 ومسودة جواب المخزن إلى الباشدور في 22 جمادى الأولى 1305/5 يبراير 1888، محفظة بريطانيا.

4. **محمد بن الطيب الحسناوي** وكان محميا سنة 1862، وقد تجاسر على محتسب مراكش[5].

5. **الحاج محمد بن سعيد المصلوحي** طلب لنفسه الحماية الإنجليزية سنة 1893. فلما لم تخول له التمسها من فرنسا. لكن المفوضية البريطانية تراجعت ومنحتها له حتى لا يطلبها من فرنسا،وحتى سنة 1895 لم يسلم المخزن حمايته، بل كتب السلطان إلى الطريس وعامل طنجة وأمناء المرسى لمنعه من ركوب البحر إن أراد التوجه إلى الخارج[6].وكان المصلوحي من كبار الأغنياء بنواحي مراكش،وكان الصحافي البريطاني والطر هاريس W. B. Harris ضالعاً في حمايته وحماية الزاوية وأهلها.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة سنة 1879

1. **المختار الورزازي** كان سمسارا لشركة كارفر داربيشر.

ت 2 : من قائمة السماسرة سنة 1889

2 ــ 4 : **إسحاق ملول** سمسار أرثور كولمان القاطن بالصويرة، **وداويد بن الشمّاع** كان منذ سنة 1884 سمسارا لعكّان بن حمو ترجمان القنصلية بالصويرة، وظل هذا السمسار القاطن بمدينة تارودانت وارد الإسم في القوائم السنوية ومنها اللائحة 635/3 البريطانية حتى ما بعد سنة 1890، **وشلومو بن الحزان ساسي** سمسار بمراكش لعكان بن حمو أيضا.

ت 3 : من القائمة البريطانية 3 /653

5 ــ 6 : **إسحاق بن سعود** كان سنة 1883 سمسارا لحاييم الليوي يولي. ولكنه أُسقط من الحماية بعد ذلك، **والحاج رحمون العبدي** كان سمسارا لبونيتش S.J. Bonich سنة 1884 وقد نزع من السمسرة من بعد ذلك.

ت 4 : من غيرها

7. **دابيد أزولاي** كان سنة 1894 سمسارا لشركة جيمس كرارة[7]. وذكر أيضا في قائمة سماسرة التجار الأنجليزيين بالجديدة سنة 1895.

---

5 . محمد نهليل : «رسائل شريفة» اللوحة 14، رسالة في 3 جمادى الثانية 1279 /26 نونبر 1862.

6 . روجرز : «تاريخ ....» ص 298 ورسائل في 12 حجة 1312 / 6-6-1895.

7 . رسالة ساطاو إلى الطريس في 3 أبريل 1894، محفظة بريطانيا.

8. **مولاي أحمد بن التهامي العلمي** كان سنة 1893 نائبا عن روبيرط سبيني التاجر بالجديدة والوكيل عن دار التجارة الألمانية هيرشة وريخطر. وقد امتنع مولاي أحمد عن أداء دين للتاجر الأنجليزي المذكور[8]. ولم يرد له ذكر في القوائم السنوية.

ث : المستوطنون

1. **أرتيسيا فيرلي** A. Fairlie المهندس الذي ظل سنوات في خدمة السلطان، وأشرف سنة 1863 على بناء مصنع تصفية السكر وتنظيف القطن وأحدث آلة بخارية[9]. وكان عمله داخلا في الاتفاق[10] الذي عقده محمد الدكالي مع جون كلاركسن گي J. Clarkson Gay .

2. **مانويل بونيتش** M. Bonich كان يريد الاستقرار بمراكش سنة 1890 للتجارة[11] بعد أن طلب له ذلك كْرين من السلطات المخزنية. ولم أقف على غيرهما.

ج : نازلة الغنجاوي

كان أبوبكر بن الحاج البشير الغنجاوي عميلا لبريطانيا العظمى طيلة عقود مديدة، وغنياً وتاجرا في مواد شتى، وقامت عليه ضجات كبيرة لدى الأوساط الشعبية والدوائر المخزنية العليا. وسنرى شيئا من ذلك كله في سياق الحديث.

كان محميا إنجليزيا، لكن اسمه لم يكتب في أية قائمة من وثائق المحميين[12] لسبب ظاهر واحد هو أنه كان مخبراً، وله اتصالات بالأوساط الحكومية، وكان يقوم على رأس شبكة من العملاء المرتشين، وكانت إفاداته صحيحة بحيث لا يعتريها تزييف.

وهذا إيوان سميث يصفه سنة 1891 في رسالة إلى اللورد سولزبوري : «جاء ذلك المغربي المرموق، وكيل بريطانيا بالقصر السلطاني إلى طنجة بهدف زيارتي ... وهو رجل ذو هيئة رائعة أقرب إلى تمثال براهما الهندي منه إلى مغربي من المناطق البربرية. وهو على ذكاء حاد. ويؤكد لي سير جون هي أنه بامتداد السنوات الطويلة التي تعامل خلالها مع الرجل لم يقدم له معلومة زائفة أو ضارة بالمصالح البريطانية...»[13].

---

8 . رسالة إلى الطريس في 12 جمادى الثانية 1311 /21 دجنبر 1893، محفظة الطريس 25.

9 . عبد المجيد بنجلون : «جولات... 1872» ص 87 وهنري ده لا مارتينيير : «ذكريات عن المغرب»ص 149.

10. نشر هذا الاتفاق بمجموعة من الرسائل في «الإتحاف» لابن زيدان ج 3 ص 556 وما بعدها.

11. رسالة كْرين إلى الطريس في 15 يبراير 1890 /24 جمادى الثانية 1307، محفظة بريطانيا.

12. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 68. وفعلا لم أقف على اسمه في أية واحدة منها، وهذا أمر منطقي.

13. روبجرز : «تاريخ ...» ص 284.

من أين كانت تأتيه هاته المعلومات الثابتة ؟ هل كان له عملاء في مختلف المستويات ؟ نعم. فمن هم ؟ هذا هو السؤال، إذ لا سبيل إلى الإحاطة بذلك كله وإنما إلى إشارات أسوقها.

كان له أصدقاء أو كانت له معاملات معهم. ومن هنا كانت تتسرب الأخبار، وليس من هنا فقط بل ومن غير ذلك، ولن نتحدث عن ماك كلين «الحراب»، فذلك شيء آخر.

فالتهامي بن المهدي المزوار المكناسي المتوفى عام 1892 كان مخبرا لبريطانيا[14]. وكان كاتبا خاصا لوزير الخارجية غريط الذي كان مدينا للغنجاوي بمقادير من المال.

والطاهر بن محمد بنجلون المراكشي الذي كان كاتبا للوزير محمد بن العربي بن المختار الجامعي كان أحد أصدقاء الغنجاوي[15]. ونعلم أن محمد بن العربي كان وزيرا للحرب ثم صار سنة 1879 حاجبا سلطانيا[16] وأن الطاهر بنجلون هذا المتوفى عام 1881 كان «خليفة الوزير محمد الجامعي، وشَجىً في حلق الفقيه الكاتب محمد الصنهاجي»[17].

ومحمد بن علي الصنهاجي الذي استوزر سنة 1886 حتى توفي سنة 1892 كان متهافتا على السلطة، وكان «كاتبا في الديوان الشريف ثم ناب في الوزارة ثم استقل بها. وكان يلهج في كل أحواله بالوزارة ويدعو الله لنفسه بها في كل مجلس.... فنالها بعد مدة قليلة»[18].

هاته الأحوال من التنافس على الرئاسة والنزاعات الداخلية والصداقات الحميمة والانغماس في الشهوة وقبض الهدايا «والطَّمَع» كانت من أدنى الأمور التي كان الغنجاوي يخبر بها الدوائر الإنجليزية، في عهد جون هي ومن بعده من السفراء، عبر قنوات من الوشاة والعملاء.

فكان أمر الغنجاوي كأمر بعض «الشركات» الوهمية في التصدير والاستيراد التي تبيع الأخبار تحت شعار «التجارة». وكان «يروج بمراكش السلع الإنجليزية، كما كان جاسوسا نشيطا يزود السفارة والقنصليات الإنجليزية يوميا بمعلومات عما يروج بمراكش وقصرها الملكي»[19].

وكان من جملة شركائه پيري Perry القاطن بآسفي، التي توجه إليها الغنجاوي سنة 1872 «بقصد إعمال الحساب مع نواب الكبانية المذكورة وبيده رسمٌ فيه شراء دار بارود مراكش بين

14. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 69 (5).
15. نفس المرجع ص 67 (5).
16. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 214.
17. نفس المصدر ج 3 ص 265.
18. نفس المرجع أيضا ج 7 ص 72.
19. عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 401 (1).

بابي الدباغ والخميس بين أولياء بألف مثقال... ثم لما علمنا أن هذا الغنجوي من أهل الحماية تعين أخذ هذا المحل منه لجانب المخزن، فكتبنا لأمناء آسفي بحيازته منه بما في رسمه»[20].

ولربما كان أميا أو شبهه. فكان له كتاب ومراسلون يمدونه بما هو محتاج إليه.

ومن أول المشاكل التي ورد الحديث عنه فيها خلافه مع أحمد أو مالك باشا الجيش السوسي بالمدينة الذي اتهم الغنجاوي سنة 1872 بتزوير المكاتيب عليه. وجاء في وثيقة بهذا التاريخ : «وعندنا شهادات بأنه يستكتب كتابا يكتبون له مكاتب، تارة ينزل خط يده أسفلها، وتارة يأذن لهم بذلك. وقد ظهر أن ذلك كان حيلة منه للإنكار عندما يُحتاج إليه في بعضها، كهذه البطاقة التي كانت جوابا منه وأنكرها ونسبها للعامل، كما هي عادته في تزوير الخطوط المختلفة التي لا يشبه بعضها بعضا، وعرف بذلك منذ ثلاث سنين. كما عرف بأنه يستكتب أناسا في مآربه. فإذا ظهر ما لا يناسبه، أنكر وحلف، وتكرر ذلك عليه مراراً.

«والحاصل فقد كشف الحال أن هذا الأمر مستعمل، أرادوا به عزل العامل فلبّسوا عليه بذلك. وهذا من الأمور التي لا ينبغي السكوت عنها، لما فيها من إفساد المحبة المؤسسة بين دولتين عظيمتين، على يد سمسار ظهر تلوينه وتلويه في الأمور التي لا يناسبه الدخول فيها. لأنه ليس من أهل المروءة، وإنما هو من أوباش الناس... فلا يخفى عليك ما يرتكبه جل السماسرة : يظلمون ويتظلمون...»[21]. ولم يعرف شيء عن سبب التزوير وأصل الشكاية «بنداء العامل في الأسواق بما ذكروا، وهي ابتداء القيل والقال في هذه النازلة»[22] التي حدثت قبل سنة 1872.

والسلطان وصفه بالدناءة : «... وانظر ما صدر من السلكُوط الغنجاوي في جانب عامل مراكش بسبب اعتماده على بعض تجار النجليز... ولولا ذلك ما قدر أن يتكلم بكلمة قبيحة في صاحب العامل، فضلا عن العامل نفسه...»[23].

وكأن الغنجاوي لزم حده بعد هذه النازلة وهذا الحزم السلطاني، ولكنه دأب على مد الأجانب بِقيِّم الإفادات في صمت ونباهة. حتى إذا انصرم عهد جون هي صديق المغرب وحامي المحمي وتدهورت العلاقات بين السفارة وبين المخزن، على يد كُرين ثم على يد إيوان سميث، عاد الكلام مرة أخرى عن الغنجاوي سنة 1889 في الوثائق المغربية.

إذ عمدت السلطة إلى وضع عقل على فندقه الكائن بسقاية «اشرب وشوف» من حومة أمصفح وطبع على حوانيته بالتسمير[24]. وكان ذلك في الغالب صادرا عن القضاء،

---

20. رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في 23 قعدة 1288 /3 يبراير 1872 (الوثيقة 7282، م.و.م).
21. مسودة رسالة بركَاش إلى جون هي في 13 صفر 1289 /22 أبريل 1872، محفظة بركَاش.
22. رسالة السلطان إلى بركَاش في 13 صفر أيضا، نفس المحفظة.
23. رسالة السلطان إلى بركَاش في 22 صفر 1289 /فاتح ماي 1872، في «الوثائق» ج 4 ص 401.
24. من موجب عدلي في 12 شوال 1306 /11 يونيو 1889، محفظة الطريس 16.

للدعاوي التي ربما أقيمت عليه. وكان في ذلك نكاية به، فصار السكان يعيِّرونه به. ولكنه اتهم بدوره البعض منهم بالهجوم على منزله ونهب شيء من متاعه. واشتكى بذلك لدى السفارة البريطانية. وبالمقابل وضعت مجموعة من البينات العدلية يشهد أصحابها — وهم من أهل مسفيوة — بأنه لم يقع له أي نهب[25].

وأصر الغنجاوي على حصوله وعلى أن خصومه كان يحركون الشغب عليه، وسمى بعضهم وكلهم من مراكش : محمد بن الحاج المهدي بنكيران ومحمد بن الحاج عبد الرحمان القلعي ولا سيما الغالي بن المفضل بنونة الفاسي الذي اتهمه الغنجاوي بالسطو على متاعه.

فهل كان النزاع بين الغنجاوي وبينهم ذا دوافع اقتصادية وتجارية اصطبغت بلون سياسي المقصود منه التنافس على امتلاك الأسواق الداخلية واستقطاب السلع الخارجية أكثر منه خلافا مع مجرد عميل ؟ لم يرد إيضاح عن ذلك.

ومهما يكن، فقد جاء في موجب عدلي أن الغالي بنونة «من أهل الفضل والدين»، وأنه كان «مشتغلا بأمر تجارته» وأنه مما لا يناسب «جانبه النقي أن يرمى بنهب أو غصب أو بما فيه مَعرّة» وأن الشهود «يعلمونه كان مسافرا عن مراكش وقت تثقيف حوانيت الغنجاوي»[26].

كل ذلك لم يفل من غرب أبي بكر الذي شد الرحال إلى طنجة بعد بضعة أيام، شاكيا لدى ممثل إنجلترا. ولم يقبل الحسن الأول مبدأ تظلمه، ولم يأبه له، ذاكرا أنه لا حق له فيه لأن «نائب النجليز قد أخرجه من الحماية وقت تشكي الطرنباطي منه، ورده بعد ذلك»[27].

ولما وصل إلى طنجة أطلق لسانه وصار «يشيع هنا، مع المنحاشين له من اليهود وغيرهم من الأجلاف، أن نازلته رفعت لدولة النجليز. ووافق الحال كون مراكب حربية للإنجليز كانت ذاهبة إلى الهند، فمرت بأطرافنا لاستراحة خدامها. فجعل هو وحزبه يشيع أنها وردت في نازلته، وتكلمت في شأنه بعض الكُوازيط... والشائع بالمغرب عند الخاص والعام كون بوبكر نائبا عن دولة الإنجليز لدى الأعتاب الشريفة ... وله محلات بمراكش مشغولة بما لا يعني...»وأنه «يتجر في الإماء والعبيد.... ويتعاطى الربا على غير منهج...»[28].

ومرت بضعة أيام فاستدعى باشا مراكش 17 شخصا ممن كانوا يضمرون العداء للغنجاوي، واستفسرهم عن سبب هاته البغضاء[29] التي كان أمرها ظاهرا.

---

25. بينة في 14 حجة 1306 /11 غشت 1889، نفس المحفظة.
26. بينة أخرى في 14 حجة أيضا، نفس المحفظة.
27. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 حجة 1306 /22 غشت 1889، نفس المحفظة.
28. رسالة الطريس إلى السلطان في فاتح محرم 1307 /28 غشت 1889، محفظة الطريس 17.
29. وثيقة في محفظة الطريس 17 في 9 محرم 1307 /5 شتنبر 1889.

ومن غير شك أن الغنجاوي استمر في موقفه الذي اتخذه سنة 1889 خاصة لما توفي كُرين وعين إيوان سميث. وكأنه عاد إلى القذف بأشد ما يكون في عهد السفير الهالك. ولربما وجه القدح والشتم إلى المخزن ودوائره العليا سنة 1892. ولهذا حاول الطريس الاستعانة بالصحافي بودجيت ميكين B. Meakin صاحب جريدة «الطايمز أوف مروكو»، وطلب من «الرومي ميكين الجوازطي الانجليزي إشهار مساوىء الغنجاوي والتشنيع عليه بجرائمه وفجوره. ولم يأل جهدا في ذلك، بما أضر بالغنجاوي ولاح منه لوائح المحاقد. إلا أنه اضطر إلى شهادة أعيان مراكشة بما كان عليه الغنجاوي هنالك من نصب المحال للفساد. وهذا ضروري عند أهل مراكشة، وشهادة من عامل رباط الفتح ـــ مع غيره إن أمكن ـــ بما هو معلوم هنالك من كون الغنجاوي باع واشترى هناك في الرقيق وطالبه الولات وقتئذ بواجب المخزن في ذالك فأبى، وكان ذالك على يد العامل الآن.

«والحجة منه إثبات بيعه وشرائه في الرقيق. ولا كبير مشقة في هذا على المخزن. وقد أعلم مِكِنْ المذكور ـــ حسبما قدمه كتابة منه مع كتابنا للأعتاب الشريفة، صحبة رقاص خاص، ولم نزل في انتظار جوابه ـــ أنه إن توصل بالشهادة الثابتة بما ذكر، حصل المطلوب في الغنجاوي، وإلا لحقه هو دَرَك أداء عدد من الدراهم، حسبما بين ذالك في كتابه للأعتاب الشريفة الموجه مع الرقاص المذكور، وأنه إن لم ينقذه المخزن من ذلك بالشهادتين المذكورتين مع الرقاص المذكور أدى ذالك ورجع به على المخزن لكونه الطالب لثبت ذالك من غير حجة. ولا يخفاكم ما في ذالك من المعرة والرجوع عن النتيجة المطلوبة، بعد أن قاربت الحصول ...»[30].

كان أبو بكر إذن نخاسا بالرباط وبمراكش، وتاجرا مرابيا على غير منهج. وكان له حوانيت عددها 19 بمراكش سنة 1889.

غير أن الذي ألب عليه الناس هو علاقته الوطيدة بالأجانب، ولا سيما إسكانه المنصرين بداره، وهذا اتهام خطير ألقي عليه، فأشارت إليه الأصابع بالسوء وباللوم.

وصورته أن «ثلاثة نصارى وردوا لمراكشة وسكنوا بدار للغنجاوي واشتغلوا بقلب اعتقاد الناس والسعي في تبديل دينهم»[31]. ولئن كان من الثابت أن هؤلاء المنصرين هم كلارك Clark ونيرن Nairn وزوجته فقد كان مجرد إيواء الممسحين كافيا للقيل والقال.

وفي أواخر العهد الحسني استقال الغنجاوي من منصبه لأسباب صحية، أيام إيرنيست ساطاو، وفي مقابل ذلك خولت له الحماية البريطانية بصفة شخصية[32].

---

30. رسالة الطريس إلى غريط في 28 محرم 1310 /22 غشت 1892، محفظة الطريس 23.
31. من تقييد غفل بمحفظة الطريس 66. وأوقن أن تاريخه هو ما بعد سنة 1890.
32. روجـرز : «تاريـــخ ....» ص 295.

ثم انهمك في تجارته وأراح غيره واستراح لنفسه. ولما زاره أوجين أوبان، قال عنه :

«كان أبو بكر الغنجاوي أعظم رأسمالي بمراكش. وكان يملك عددا من المنازل والفنادق. واشتهر ــ فضلا عن ذلك ــ بأنه يدخر مبالغ كبيرة بأبناك إنجلترا.

«كان شيخا عاديا، يحلق لحيته وشاربه، على خلاف عادة المسلمين. وكانت مَخايل الذكاء الوقاد بادية على وجهه الأمرط، المُتَهَدِّلَة بشرته. فإذا رأيته في فندقه جالسا على الأرض بين أوراقه الطافحة من صناديقه العديدة وبقايا الأثاث الأوربي رأيتَ رجل أعمال مغربيا داهية مكارا.

«وقد قدم لنا شايا في أوان فضية مذهبة أهدتها له الحكومة البريطانية، تقديرا للخدمات الطويلة التي أسداها لها المحمي الإنجليزي. ويبدو للناظر كأنه رجل مسن، سمح القلب، راض عن المكانة التي عرف كيف يصنعها لنفسه ــ لأن أباه كان مجرد أمين للجزارين ــ يقضي بقية عمره في سعادة هادئة، وسط حشد من الزنجيات المحظيات»[33].

33. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 43.

3 : فــرنســـــا

أ : الســلــك الــقــنــصــلــــي

جعلت قنصلية فرنسا بالصويرة لها مراسلين أو وكلاء قنصليين بمراكش. وكان منهم :

1. **موشي سويسة** وذلك من سنة 1873 إلى ما بعد سنة 1883 وورد اسمه في القائمة الفرنسية العامة لهاته السنة الأخيرة.

2. **عمر الرجراجي** وكان سنة 1888 يشغل هذا المنصب[1].

3 ـ 4 : **يوشع بن سوسان، ومخلوف بن مسعود بن موحو** اللذان قاما بالأمر بعد ذلك[2]. وجاء اسم مخلوف في قائمتي 1881 و 1882.

5. **أحمد رزنة التلمساني** الذي كان سنة 1893 مراسلا. وكان محميا لشقيق الكونط دوبيني سفير فرنسا بطنجة. وكان نائب فرنسا يروم جعله وكيلا سنة 1893 فرفض المخزن[3].

6. **عمر المجّـاد** وكان في مطلع القرن العشرين وكيلا لقنصل فرنسا بالصويرة وكان ملاكا غنيا يتمتع بسمعة طيبة في المدينة حسبما قاله أوبان[4].

ب : الـمـحـمـيـــــون

هم الستة السابقون في الذكر، ويضاف إليهم :

7 ـ 9 :**حاييم قرقوز** وكان سنة 1883 محميا وهو وأولاده[5]، وورد في قائمة السنة الأخيرة هو ومن بعده : **موشى قرقوز، ومخلوف أوحيون** وهو تاجر محمي ذو سماسرة.

---

1 . رسالة فيرو إلى الطريس في 7 حجة 1305 /15 غشت 1888، محفظة الطريس 13.

2 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 304.

3 . المرجع نفسه ورسالة إلى نائب فرنسا في 20 شعبان 1310 /9 مارس 1893وأخرى إلى محمد وبدة في 6 صفر 19/1311 غشت 1893.

4 . أوجين أوبان «مغرب اليوم» ص 44.

5 . رسالة بيرطران إلى الرجراجي في 18 حجة 1300 /20 أكتوبر 1883، محفظة فرنسا.

ت : السماسرة

ت 1 : من قائمة 10 يناير 1881

1 ـ 3 : **فرايم حاشويل** سمسار جاكطي منذ 1873، **وشلومو بن ساسي والحاج الطاهر بن الجيلالي بن المير** سمساران لمونيي Monierمنذ 1876 وكلهم أتوا في قائمتي 1880 و 1881.

ت 2 : من القوائم الفرنسية العامة

4. **مردوخي الترجمان** سمسار برونشويغ من 1881 حتى 1883.

5. **موشي سويسة** سمسار جاكطي من 1880 إلى 1884. وتقدم أنه كان مراسلا ومحميا.

6. **يوسف بن ساسي** سمسار الدكتور آلار القاطن بآسفي، من 1880 إلى 1883.

7. **محمد بن الصغيَّر كَركَر** سمسار موشي قرقوز سنة 1883.

8. **حايم قرقوز** ممثل لبنك طرانزاطلانتيك بمراكش من 1882 إلى 1884.

9. **الفقيه أحمد بن المعطي الدراوي** سمسار جاكطي من 1880 إلى 1884.

10 ـ 11 : **يعقوب وإسحاق أوحيون** سمساران لمخلوف أوحيون (1880 ـ 1881).

ت 3 : من غيرهما

12. **محمد برادة** سمسار برونشويغ في مطلع القرن العشرين. ويقول أوجين أوبان عنه إنه فاسي كان «يحتل مكانة مرموقة بين التجار المسلمين بمراكش. وكانت دكاكينه مشرفة على بهو جميل، ومزخرفة بالجبص حتى السقف. وكانت منسوجات الحرير الفرنسية، وأقمشة الصوف الألمانية، وأثواب القطن الإنجليزية، منسقة فيها أحسن تنسيق.

«وبعد تناول العشاء بمنزل السيد محمد برادة تفضل بإدخالنا إلى «مصرية» بالطابق الأول حيث نظم لنا فيها سهرة موسيقية. وكان ثلاثة رجال يغنون، بمصاحبة كمنجة وعود وطرّ، بينما كانت سبع نسوة يطربن ويرقصن ويغنين»[6].

ث : المستوطنون

منهم **بول لامبير** P.Lambert أول مستوطن فرنسي بمراكش منذ سنة 1612. وقد أقام بالمغرب عشرين سنة. إذ حل به سنة 1853، وسكن بمراكش 6 سنوات ابتداء من مارس 1864، كما أقام بالجديدة وبآسفي ثم انتقل إلى طنجة سنة 1869 بوصفه كاتبا بالمفوضية.

---

6 . أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 44.

كان معينا لقنصل فرنسا بالصويرة وللمفوضية الفرنسية بطنجة وخصوصا أنه كان مستعربا. التمس له قنصل فرنسا أوبي Huet[7] منزلا لسكناه بمراكش، لكن دون جدوى. غير أن ناظر الأحباس أكراه في النهاية خمس حوانيت. وقد واجهه السكان المسلمون واليهود بالعداء، بل ومنعوه حتى من استخدام ميزان خاص. وقد طلب تعويضا قدره 280 ألف فرنك ذهبي، بسبب أن الولاة رفضوا منحه سكنى انتظرها مدة شهر، وبالطبع أهمل هذا المطلب.

كان تاجرا وعميلا لدار سيير. وقامت تجارته على استيراد السكر والمنسوجات القطنية وتصدير اللوز والزيت والقطن وجلود المعز. وكان إلى ذلك وكيلا لدور تجارية إنجليزية وإسبانية وإيطالية.

كان له إلمام باللهجة المغربية الدارجة يتحدثها بذلاقة، ويرتدي اللباس المغربي وينسجم مع العوائد والتقاليد المحلية. وضع تأليفا عن مراكش وخريطة للمدينة سنة 1867، وإلى جانبها قرية «الحارة» المخصصة للمجذومين. وقد حرر أبحاثا نشرها في المجلات الجغرافية بإنجلترا وفرنسا. وقدمنا من قبل تصنيفه لسكان المدينة من حيث أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية.

في بداية 1867 استحسن القنصل بوميي الخدمات التي أسداها لبلاده، لأنه كان يطلعه على الأحوال بدقة. وتوطدت علاقاته ببعض الأجانب والمغاربة. وقد كلف سنة 1870 بمراقبة نشاط «المغامر» الألماني فيتسشطاين Wetzstein، فاتخذه إيمي داكان لأجل ذلك كاتبا بالمفوضية. غير أنه لاحظ أن تقاريره كانت مشوبة باختلاقات فعزله عن منصبه.

وكان له شجار مع محمد بن الطيب الحسناوي المحمي الإنجليزي حتى تسابا سبا فادحا.

كما أنه عقد صداقة مع بعض الولاة كأحمد بن الطاهر الآزموري عامل مراكش والجديدة.

واستدان له بعض الشخصيات مثل مولاي أحمد شقيق السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ومثل أحد الأشراف وكذلك عامل آخر من قواد النواحي[8]، لا شك أنه الأحسن الكركوري الذي كان حوالي 1871 مدينا «من قبل باول الفرنسي بما قدره 25 ألف ريال»[9] مثلما كان نفس الكركوري مدينا لجورش الإنجليزي.

---

7 . كذا كتبه جاك كايي، وربما كان صوابه : هوري Huret حسبما سلف ذكره بالجديدة والصويرة.

8 . بيير گيين : «ألمانيا والمغرب» ص 19 (1)، ومييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 129 و ج 3 ص 138 (3) و ص 179 (4)، وعبد المجيد بنجلون : «جولات... 1872» ص 87، وجاك كايي : «النوادر المغربية» ص 75 — 78 باختصار.

9 . رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في متم شعبان 1288 13 نونبر 1871. محفظة الصويرة 2.

4 : باقي الدول

المطلب الأول : البرازيل

نصت قائمة سنة 1900 البرازيلية العامة على ثلاثة من المحميين الاستثنائيين، وهم :

1 ـ 3 : **يوسف حروش، ويهودة عزران، وإسحاق بينطو.**

كما ورد فيها ثلاثة من السماسرة هم :

1 ـ 3 : **إسماعيل بن مبارك الحلُّوفي السرغيني** سمسار شالوم عبادية بالسراغنة، **والحاج أحمد بن بوبكر السرغيني** سمسار بنفس القبيلة لمناجِم أفلالو، **وابراهام بن شنطريس** وكان سمسارا بمراكش لميير بن سمانة الصويري.

المطلب الثاني : إيطاليا

لم أقف لهاته الدولة على مراسل قنصلي ولا على اسم مستوطن، وإنما كان بمراكش بعض السماسرة والشركاء لتجار خارج المدينة. ومن هؤلاء :

أ : من القوائم الإيطالية السنوية (1889 ـ 1894)

1 ـ 2 : **ينطوب الديان** كان قبل سنة 1880 محميا[1] ثم صار سمساراً لدابيد السرُّوجي الصويري، ومثله **إسحاق بينطو.**

3. **محمد بن عبد العزيز برادة** سمسار ڤيطوريو لومبروزو القاطن بالصويرة الذي كان طلب سنة 1891 جعله في خدمته[2] فورد فعلًا اسمه في قائمة سنة 1893.

---

1 . رسالة سكوڤاصو إلى برْڭاش في 9 دجنبر 1880، محفظة برڭاش.

2 . رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 22 يونيو 1891، محفظة إيطاليا.

ب : مــن غيــرهـــا

وقبل ذلك سنة 1864 كان آخرون وهم :

4. **إسحاق بن شعشوع** سمسار شلومو ناهون الطنجي[3].

5. **محمد النجار** سمسار كارلو مورطيو في اشتراء الليطرون من مراكش[4].

6 ـ 8 : «**بَرَكْ** (= مبارك ...؟) صاحبنا وفي حميتنا و**عبد الهاني** (= الهادي ؟) **التطواني** صهر سيدي أحمد بن ادريس، فإنه صاحبنا وإلينا، وكذلك الدم (= الذمي) **كُدعون**، يشتري لنا نصيب من الحب القطنية»[5]، وكانوا في خدمة مورطيو[6].

المطلب الثالث : إسبـــانيــــا

مير عمار كان سنة 1874 مراسلا لقنصلية اسبانيا بمراكش[7] وكان بذلك هو المحمي الإسباني الوحيد بهاته المدينة.

غير أن إسبانيا رامت في سنة 1884 اتخاذ ترجمانها بطنجة أنيبال رينالدي A. Rinaldy قنصلا بمراكش، والتمست إسكانه بهاته المدينة، إلا أن هذا المطلب رفض[8]. هذا ولم يكن لإسبانيا تجار يقتضون سماسرة، ولكن كان ثمة بعض المستوطنين بمراكش. ومنهم :

1. **دييكو كراسكو** D. Carrasco الذي اتهم سنة 1868 بالتعدي على الناس والترامي على كنطردة الطرقة (أي التبغ) بمراكش[9] وقد يكون هو الذي كان يقطر الحشيش واشتكى منه أهل المدينة حتى عزل العامل العربي الهدَّاجي بسببه حسبما تقدم في الفصل الأول.

2. كان شخص آخر اسمه **بيبي** (يوسف،دون بيان نسبه) قاطنا بملاح مراكش في نفس السنة، وكان مشتغلا ببيع الخمر للمسلمين ومروجا للعملة الفاسدة. وقد صدر الأمر باعتقاله ومصادرة ماكان عنده من طوابع. وقبل ذلك كان قد فر إلى الصويرة[10].

---

3 . رسالة مورطيو إلى أحمد بن الطاهر في 20 غشت 1864 /16 ربيع الأول 1281، بالمحفظة نفسها.

4 . رسالة مورطيو إلى أحمد بن الطاهر في 13 يوليوز 1864 /8 صفر 1281، بالمحفظة المذكورة.

5 . رسالتا مورطيو إلى أحمد بن الطاهر في جمادى الأولى 1281 / أكتوبر 1864، (وفي الرسالة طمس تاريخ اليوم) و 12 ربيع الثاني 1282 /4شتنبر 1865، بالمحفظة أيضا.

6 . كان السادس سنة 1864 في خدمة مورطيو والباقيان سنة 1865، ولربما كانوا جميعا مجرد خلطاء له.

7 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 304.

8 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 337.

9 . «الوثائق» ج 4 ص 376.

10. نفس المصدر ص 371 و 373.

3. إسباني آخر هو خايمي طوري J. Torre. وقد جاء هذا الرجل الصناعي سنة 1891 إلى مراكش ومنها انتقل إلى فاس والتزم «الفبريكنطي دِ برشلونة بما أجابته به الحضرة الشريفة عما طلبه من استخدام فابريكات السكر والقطن والقرطاس الكائنات بمراكش ... بأنه يفعل ذلك وصائره على نفسه في الذهاب والإياب، ولا يطالب باستخدام تلك الفبريكات على يده، بل يكون النظر في ذلك للحضرة الشريفة في استخدامها وعدم استخدامها على يده»[11].

إلا أن «المخزن لم ير مصلحة في استخدامها الآن» وأنعم السلطان عليه ببغلة بسريجتها، وبألف ريال في مقابل صائره[12]. وبعد هاته الصلة بشهور استخبر الطريس عن أمر خايمي فظهر له أنه إنما كان «من جملة الجواسيس وأصحاب الدسائس»[13].

المطلب الرابع : بلجيكا

من المستوطنين : مورلين رومبيرغ M. Romberg الذي كان مصورا ورساما ومهندسا وسائحا ومقيما بالمغرب وبمراكش عدة سنوات. وكان سنة 1887 مرافقا لسفارة البارون ويطنال لدى السلطان[14].

ومنذ ذلك التاريخ أو قبله، كان يسيح في أرجاء المغرب. فقد التمس له أنسباخ رخصة السياحة بمدن كالرباط وفاس ومكناس والجديدة ومراكش التي جابها، فأكرمت السلطات وفادته سنة 1891، لأنه كان في ضيافة المخزن[15]. وكان بصحبته الصحافي الفرنسي كُوفار Goffart.

وكانا متنكرين بلباس المغاربة المسلمين، وخصوصا لما دخلا إلى ضريح أبي العباس السبتي[16]. لكن بعض المسلمين أخرجوهما منه. ولربما وقعت مشادة بين الأجنبيَّيْن وبين أهل الحي أدت إلى إصابة كُوفار بجرح على يد شخص يدعى عمر الدمناتي. فاشتكى نائب فرنسا من ذلك وأجيب[17].

---

11. مسودة رسالة في 28 أكتوبر 1891 /24 ربيع الأول 1309، ورسالة غربط إلى الطريس في متم ربيع الأول 1309 /3 نونبر 1891، محفظة الطريس 21.
12. رسالة السلطان إلى الطريس في 29 جمادى الأولى 19/1310 دجنبر 1892، محفظة الطريس 23.
13. رسالة الطريس إلى السلطان في 16 رجب 3/1310 يبراير 1893، نفس المحفظة.
14. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 162.
15. رسالة مخزنية في متم شوال 1308 /7 يونيو 1891، محفظة بلجيكا.
16. رسالة أنسباخ إلى الطريس في 9 يوليوز 1891 /2 حجة 1308، بالمحفظة المذكورة.
17. نسخة مما أجيب به سوّار في 9 ربيع الثاني 1309 /12 نونبر 1891، محفظة فرنسا.

أما رومبيرغ فلعل أمتعة ضاعت له، فطالب بتعويض عما خسره في رحلته. وظلت القضية معلقة الحل إلى أن سويت سنة 1893 بإنعام السلطان عليه بخمسمائة ريال[18].

المطلب الخامس : ألمـانيــــا

لم يكن بمراكش سلك قنصلي ولا محميون قنصليون ولكن كان سماسرة وردت أسماؤهم في القوائم السنوية الألمانية على وجه أخص، وهم :

1 ـــ 2 : **روبين سوسنّة** وكان سنة 1881 سمسارا لبروئير قنصل ألمانيا بالصويرة حتى جرد سنة 1885 من الحماية[19]، **وميمون بن ليفي بن الفساخي** سمساره أيضا (1881 ـــ 1885).

3. **الحزان إسرائيل بن أبي خزر** سمسار بهرند نوسكة المقيم بالصويرة (1885 ـــ 1895).

4 ـــ 5 : **موشي عزران** سمسار ماركس وشركته بالصويرة (1895 ـــ 1897) ومثله **نسيم قورياط** (1904).

6. **مير بوطبول** سمسار هيسنير المقيم بطنجة (1904).

7. **أحمد بن الحاج الفاطمي البوعزيزي** سمسار كارل فيكه المقيم بالجديدة (1904).

8. **اسماعيل بن الحاج بن إسماعيل الحريزي**[20] سمسار للتاجرين براندت وطول (1904).

9. أما **ساموبل قرقوز** فقد كان سنة 1890 وكيلا لدار تجارية من مدينة ليبسيك يمثلها هيرشة وريخطر[21]. ولم يرد له ذكر في القوائم الألمانية.

ومن جهة أخرى كان لدار وولر (?) Wöhler (?) Waller المستوطنة مدينة برلين معاملات مع بعض المغاربة المسلمين بمراكش مثل آل بنيس وآل عمور وآل الشرايبي بحيث تخلدت بذمتهم سنة 1890 بعض الديون[22].

أما المستوطنون فلا حديث عنهم سوى أن أرثور منسل A. Menzel المولود بألمانيا سنة 1867 سكن هنا بضعة شهور من سنة 1901، وكان المطلوب منه أن يكون عينا لحكومته، إلا أنه في

---

18. رسالة في 21 رمضان 30/1308 يونيو 1891، ورسالة السلطان إلى الطريس في 2 حجة 17/1310 يونيو 1893، محفظة الطريس 24.
19. رسالة فيبير إلى برگاش في 31 مارس 1885، محفظة المغرب ألمانيا.
20. يظهر أن إثبات هذا السمسار هنا سبق قلم من كتاب القوائم، لأن أصله من الدار البيضاء.
21. رسالة لسفير ألمانيا في 23 ربيع الثاني 1308 /6 دجنبر 1890، بالمحفظة الأخيرة.
22. رسائل بمحفظة المغرب ألمانيا سنة 1890.

مارس 1902 طرده السلطان عبد العزيز من المدينة لشراسة طبعه حسبما قيل[23]

أما الدول الباقية فلم أقف على شيء عنها سوى الولايات المتحدة حيث روت المصادر المغربية أن أمريكيا اسمه دزمونط Desmond كان يعيش بمراكش سنة 1891 بوصفه ممثلا لشركة كين سطيرلينج وكوتس المتأصلة من مدينة فيلاديلفيا[24]

---

23. بيير گيين : «ألمانيا والمغرب» ص 487 (2) و 625.

24. رسالة ماثيوز إلى الطريس في 10 رجب 1308 /19 يبراير 1891، محفظة الولايات المتحدة.

الباب الثاني عشر

فـــاس

1 : الولاة والسكان والعمران

أ : الـــــــولاة

1. لما بويع مولاي عبد الرحمان أسند قبل سنة 1238 /1823 فاس الجديد إلى **بوجمعة بن سالم** الذي كان قبل ذلك وصيفه وبوابه على الدار الكبرى، ولكنه عزله عن الولاية بعد مدة يسيرة.

2. فولى على المدينة ابن عمه **محمد بن الطيب بن محمد بن عبد الله**. وبعد مدة أخرى عينه عاملا على بلاد تامسنا ودكالة، فلبث هناك إلى أن نقله إلى الولاية بالمغرب الشرقي[1] ثم طالب بالملك لنفسه.

3. **الطيب الوديني البخاري** كان سنة 1830 من عمال فاس[2]. وكان السلطان قبل ذلك استعمله قائدا على بني زروال سنة 1241 /1824 وكذلك على تارودانت[3].

---

1 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 7، ومحمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 2 ص 3، وابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 227.

2 . أكنسوس : «الجيش...» ج 2 ص 17، والناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 33.

3 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 22 و 225 و 228،

كان سيء التصرف، فعزل «لسيئة اجترحها، وفتنة اقتدحها. قيل إنه عبث بنسوة بعض الأعيان، وأطاع فيهن داعي العصيان. فاستجار أزواجهن بمن له كلمة مسموعة، وأسرة مجموعة، من الشرفاء الطاهريين أهل العُدوة، وأثاروا ماهم من نجدة ونخوة، فخرجوا عن طاعته، وتمالئوا على الفتك به، وأعلنوا بعد صلاة الجمعة بحرم مولانا إدريس، نور الله مضجعه، بلعن القائد وسبه...»

وقد «خشي السلطان مولانا عبد الرحمن أن يتسع الخرق بسببه، فأطفأ النار بحبسه، وسد ثلمة الهيعة برأسه، وحمل إلى سجن المدينة، بهيئة مهينة، وولى على فاس القائدالأحمر...»[4].

وليس يدرى متى أُخرج من السجن. وعلى كل حال لما ثار أهل الرباط على الحاج محمد السويسي في بداية عام 1261 /1845 بعث إليهم السلطانُ الوديني «يتولى عليهم، ويقبض على أهل الفساد منهم. فأفحشوا عليه، وطردوه من البلد مع العشي»[5].

4. بعد سجن الوديني، عين على أهل فاس **القائد الأحمر** «فأذاقهم البلاء الأكبر، والوبال الأَمَرَّ، ونفى بعض أولئك الشرفاء إلى مرسى الصويرة، جزاء فعلتهم الخطيرة ....»[6].

وتطابقت هاته الواقعة الصادرة عن جيش الأوداية مع استيلاء فرنسا على القطر الجزائري عام 1246 /1830. ويفهم من السياق أن السلطان استعمل القائد الأحمر[7] في منتصف 1247 /1831، من أجل القضاء على بؤرة الفتن. فقتل هذا العامل شخصيات عديدة من رؤساء الأوداية ومن أهل فاس، وسُجن آخرون من نفس المدينة[8].

5. في سنة 1843 كان **فَرَجي البخاري** عاملا[9] بإحدى مقاطعات فاس.

6. وكان **محمد بن الطيب البيّاز** الأنصاري الفاسي عاملا. لكن علينا أن نتحدث عنه. كان من مبايعي إبراهيم بن يزيد سنة 1821. وكان ضالعا في مغامرات الأوداية. ولأجل ذلك بقي سجينا بالثغر الصويري حتى أفرج عنه السلطان، الذي بدا له أنه كان بريئا، فعينه أمينا بمرسى

---

4 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 4 ص 249 نقلا عن «فواصل الجمان». وفي «الموسوعة المغربية...» ج 2 ص 144 أن تأليفا وضع عن مثالب الوديني المتوفى أواخر العشرة الخامسة من القرن الثالث عشر.

5 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 9 ص 55.

6 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 4 ص 249.

7 . لا نعلم هوية القائد الأحمر. فهل هو الأحمر العروي المُوَلّى على فاس سنة 1247 /1831 (كما في «الإتحاف» ج 5 ص 31) ؟ أم هو محمد بن سالم الأحمر قائد قبيلة بني مالك بن رَبّاح المقتول أمام دوائر الحاج عبد القادر الجزائري بقصبة سلوان سنة 1260 /1844 («الاتحاف» ج 5 ص 61) ؟

8 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 32.

9 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 403 و 405.

طنجة ثم عاملا على فاس، وكان «صاحب مروءة وجد في الأمور»[10].

وكان البياز أحد مفاوضي الكولونيل ده لارو de la Rüe سنة 1836.

أما تاريخ استعماله على فاس فتضطرب فيه المصادر. فقد يكون قد ولي مرتين واعتقل مرتين. كان سنة 1254 /1838 واليا على المدينة[11] وظل إلى حين اعتقاله سنة 1844 بأمر سلطاني في رواية أولى[12]، بينما جاء في رواية أخرى أن البياز أُخِّر سنة 1264 /1848 عن ولاية فاس «لا لريبة ونقيصة، وإنما لأنه طعن في السن، وضعُف عن مباشرة الأحكام»[13].

7. **علال الشامي** ولي بعده مباشرة[14]، هذا الرجل الذي تقلب في وظائف أخرى بهاته المدينة التي كان أمينا بها وناظرا للأحباس . ويلوح أنه إنما كان عاملا مؤقتا، ريثما يعين :

8. **محمد بن الطالب الهنتيفي** الذي ولي قبل سنة 1851 على هاته الحاضرة. وذكر العباس ابن ابراهيم في ترجمة التاودي السقاط أن هذا الأخير صار سنة 1260 /1844 كاتبا مع هذا العامل أي بعد سنوات من اعتقال البياز[15].

واستمر ابن الطالب إلى ما بعد سنة 1276 /1859 عاملا على المدينة، أو لربما على بعض أحوازها[16]. وقبل ذلك كان قائدا على قبيلته السوسية وعلى غيرها، وذكر عنه مؤلف «فواصل الجمان» أنه «خرج عن الطاعة، بقبيلة نتيفة، وتمنع واعصوصب، وقتل وغصب»[17].

9. **إدريس بن عبد الرحمان السرّاج** كان أول أمره خليفة للعامل السابق ذكره. ثم صار عاملًا على فاس البالي.ويظهر أنه تولى العمالة بعده سنة 1863 أو قبلها بقليل[18]، ولبث في هاته الوظيفة إلى سنة 1874، أي بعد هدوء «عَيْطة» محمد بن المدني بنيس. ولما حدثت تلك الهيعة عزل سنة 1874 ووجه مُغرَّباً ومكبلا إلى مراكش صحبة ولده الذي ربما كان له ضلع في تلك الحوادث[19].

---

10. المرجع الأخير ج 5 ص 160 — 171 — 228، والناصري : «الاستقصا» ج 8 ص 154 و ج 9 ص 11.
11. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 314 و 376 و 422.
12. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 6 ص 329.
13. محمد أكنسوس : «الجيش ...» ج 2 ص 31.
14. نفس المرجع والصفحة.
15. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 6 ص 328.
16. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 416.
17. محمد غريط : «فواصل الجمان» ص 210.
18. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام...» ج 8 ص 539، ورسالة السلطان إلى الحاج محمد بنيس في 5 محرم 1280 /22 يونيو 1863، في ص 104 من «اختصار الأخبار...» لمحمد بن قاسم الأنصاري.
19. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 571 وج 2 ص 111. وولده المذكور قد يكون هو المفضل الذي كان سنة 1316 محتسبا لمدينة فاس.

غير أن السلطان كان بهما رحيما، فقال عنهما لخليفته بمراكش : «واجعل لهما مؤونة يومية، واستوص بهما خيرا. وكن تصرفهما فيما يناسب من وجوه النفع ... وادفع للطالب إدريس السراج مفتاح ربيعة سيدي أبي العباس»[20].

10. ولما أعفي السراج أسندت العمالة مدة قليلة إلى **الجيلالي بن حمو المنجم البخاري** الذي سبق أن تقلب في وظائف سامية في قيادة المشور والولاية على تافيلالت وعلى قبائل زرهون وعلى مدينة مراكش إلى أن انتقل إلى طنجة وتوفي بها[21]. وبفاس نفذ له السلطان بلاد المخزن المعروفة ببلد بنيس الكائنة خارج باب عجيسة لينتفع بخرثها كل سنة[22].

11. **الحاج عبد الله بن أحمد بن مبارك البخاري** عين عاملا على فاس سنة 1876 أو قبلها[23]. وكان من قبل علافا كبيرا (وزيرا للحرب). وفي سنة 1887 أدركته الوفاة[24].

12. واستُعمِل **أبو الشتاء بن محمد ابن البغدادي الجامعي** على فاس البالي بعد وفاة سلفه. ومر بنا في آزمور أنه كان سنة 1880 عاملا عليها، وقد انتقل بعد ذلك إلى العمالة بالمغرب الشرقي، مرتين حسبما يظهر. كان أبو الشتاء أحد القواد الحربيين، وكان مرموقا عند السلطان الذي عينه سفيراً إلى إيطاليا سنة 1885، وكان من أحسن الولاة كفاءة وخبرة.

ويقال إنه كان صديقا للكونط طاطنباخ وذا عواطف وميول إلى ألمانيا[25]. وبعكس ذلك كان مع سفير إنجلترا إيوان سميث حسبما سيأتي بيانه، وكذلك مع فرنسيي الجزائر، فكان معهم صلب المِراس بحيث طالبوا السلطان بعزله عن ولاية المغرب الشرقي[26].

وفي بداية سنة 1887 استقدم من وجدة لتولي عمالة فاس. وسنعرف السر في بعض خلافاته مع السلطات الفرنسية من رسالة السلطان إلى الطريس، ولا سيما في قضايا الحماية.

قال العاهل إنه عينه «على فاس لنجدته وذكائه، وحزمه ودهائه، وكونه ممن حنكتهم التجارب، وعرفوا الأمور وعرفتهم، ومن الراسخين في خدمتنا الشريفة، العارفين بآدابها. وعهدنا إليه أن يحسن السيرة مع الرعية، ويستوصي خيرا بها وبالمحتمين، ويعاملهم بالجميل، ويقف معهم على مقتضى الشروط والقوانين الذي بيناه له.

---

20. عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 3 ص 330.
21. «الوثائق» ج 3 ص 90 (1).
22. ظهير في 24 رمضان 1291 /4 نونبر 1874، محفظة الجيلالي بن حمو.
23. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 36، ورسالة السلطان إليه في 14 جمادى الثانية 1293 /7 يوليوز 1876.
24. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 جمادى الأولى 1304 /28 يناير 1887، محفظة الطريس 9.
25. بيير گيين : «ألمانيا والمغرب...» ص 208 (4).
26. المـرجــع نفســـه.

«فنأمرك أن تعلم النواب بذالك، وتكلمهم بأن يأمروا أهل حمايتهم بفاس بأن يعاملوه بمقتضى تلك السيرة المحمودة والعهدة المألوفة المشكورة من الجد والمفيد... وأن يقفوا عند حدهم، ويتركوا ماهم عليه من التلصص والتعصب والتغاضي والترامي على الناس والامتناع من إعطاء الحقوق الواجبة عليهم، وأن لايحموا غيرهم من أرباب الحرف كالجزارة والرحوية ونحوهم من رعاع الناس، ويتركوا التعرض عليهم، ومنعهم من الحقوق اللازمة لهم، لكون المحمي لا يحمي غيره، كما يتركون ارتكاب الأمور الشنيعة التي تنفرها الطبائع، وتأباها الشرائع...

«كما نأمرك أن تنبه باشدور الفرنصيص على الخرق الواقع بفاس من قبائل الترك وأهل تلمسان : فقد صار القدماء السكنى منهم من عهد الدول السالفة يدَّعون أنهم من الإيالة الجزائرية ويمتنعون من الدخول تحت أعراف البلد وأحكام ولاتها، بسبب مكث الجل منهم بالإيالة المذكورة الخمسة أشهر والستة والإتيان بالنُّطْرَلِزَسْيُون لفاس والاستقرار بها والامتناع من الدخول تحت حكم شريعتها وأعرافها والتجاسر على ولاتها والترامي على الناس بالباطل...»[27].

وظل واليا إلى سنة 1893 حين توفي[28].

13. وسمي **علي بن الجيلالي بن بنعيسى الراشدي اليوسفي** عاملا على المدينة بعد وفاة ابن البغدادي[29]. وكان قبل ذلك قائدا لتارودانت. ولئن اشتهر بالحزم والنزاهة وحسن التدبير[30]، فلقد نعته مولاي عمر بالتراخي وبالإهمال وبتدخل ولديه في أمور المخزن وبالرشوة[31].

ولعل هذا هو ما حمل العاهل على إسناد ولاية العرائش إليه في أواخر عهده. فلما مات مولاي الحسن وآلت الوصاية إلى أحمد بن موسى نكبه كما نكب الجامعيين وغيرهم، فصادر أمواله، وسجن أفراد أسرته، واستقدمه من العرائش للبطش به. لكنه كان وقته طريح الفراش فمات في الطريق إليه ودفن بالرباط[32] في بداية سنة 1895.

14. وقد خلفه قائد المشور **إدريس بن العلام**[33].

هذا عن ولاة المدينة. أما عمال الملاح والاحواز فكان منهم **الحاج سعيد بن فَرَجي البخاري** الذي كان قبل سنة 1880 عاملا على فاس الجديد وعلى الملاح. لكنه عزل من منصبه وعوض بالعربي ولد ابَّا محمد الشرقي.

---

27. رسالته إلى الطريس في 3 جمادى الأولى 1304 /28 يناير 1887.
28. عبد الوهاب بنمنصور : «أعلام ...» ج 2 ص 193، ورسالة أحمد بن الحاج محمد الحلو إلى الطريس في 23 رمضان 1310 /10 أبريل 1893، محفظة الطريس 24 .
29. ظهير في 19 رمضان 1310 /6 أبريل 1893، محفظة فاس 4.
30. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 222 (1).
31. رسالته إلى أبيه في 4 شوال 1311 /10 أبريل 1894، محفظة فاس 4.
32. ابن زيدان : «العز والصولة...» ج 2 ص 222 (1)
33. رسالة غريط إلى الطريس في 26 محرم 1312 / 30 يوليوز 1894.

وفي سنة 1902 كان **عبد الرحمان بن عبد الصادق** من عمال فاس[34].

وأشير في الختام إلى أن **محمد بن عبد الكريم الشركي** كان عاملا على أحواز فاس في عهود سابقة، وإلى أن المدينة كانت منقسمة إلى مقاطعات إدارية مثل فاس البالي وفاس الجديد والملاح وغيرها كما سيأتي في المطلب الموالي، وأن المؤرخين قلما يبينون اسم المقاطعة المولى عليها العامل.

ب : السكـــان والعمـــران

تضاربت التقديرات في إحصاء عدد السكان. فهم في سنة 1866 مائة ألف نسمة، وهم قبل سنة 1857 يتراوحون بين 40 و 88 ألفا[35]. وبينما كان عددهم سنة 1900 هو 95 ألفا[36] إذا بهم يبلغون سنة 1905 في فاس البالي وحده نحواً من 75 ألفاً[37].

غير أن له طورنو الذي وضع تصانيف عن فاس اعترف بهاته الأرقام المتعارضة : فمن قائل إنهم كانوا في نهاية القرن الماضي 75 ألفا حسبما مر بنا، ومن آخر يزعم أنهم بلغوا 150 ألفا، فالصعوبة مصدرها انعدام الإحصاء. كانت المدينة منقسمة إلى عدة أجزاء يسكنها نحو من 104.700 نسمة في مطلع القرن العشرين ها هو تفصيلهم (دون قصبة فيلالة) :

— المدينة (أو فاس البالي)........ 81.000

— فـاس الجديـد 15.700

— المـــلاح 8.000

ويضاف إلى ذلك نحو من 20 ألفا، فيصير مجموع المغاربة نحواً من 125 ألف نسمة، فنقترب إذن من الأرقام السابقة ذكرا.

أما الأجانب فقد كانت عدتهم 6 أشخاص سنة 1889، وأزيد من 20 سنة 1903، وسيصيرون سنة 1909 قرابة 64 شخصا. كانت فاس الجديد والمدينة عبارة عن عالَمين[38] ولم تكن الحاضرة منقسمة إلى المقاطعات الثلاث المشار إليها أعلاه، إذ ينبغي أن تضاف إليها قصبة فيلالة[39] التي يبدو أنها كانت تضم العشرين ألفا المذكورين سابقا.

---

34. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 270.
35. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 24.
36. كنيث براون : «أهل سلا» ص 48، وأوجين أوبان «مغرب اليوم» ص 268.
37. هنري كَايار : «فاس، مدينة إسلامية» ص 108.
38. روجي له طورنو : «الحياة اليومية بفاس سنة 1900» ص 18 و 19 و 186.
39. كانت تسمى أيضا قصبة النوار حسبما جاء عند محمد المنوني في مجلة «دار النيابة» العدد الثامن ص 22.

وإلى هذا وذاك كان لقصبة فيلالة نظامها الخاص، فكانت عالما آخر : فلم يكن يقبل فيها إلا الفيلاليون الأصلاء الذين كانوا، لتصريف شؤونهم، يختارون كل سنة جماعة تتألف من 12 فرداً. وكانت لها أموالها ومواردها التي لا مدخل للدولة فيها[40].

ونجد شيئا من التنظيم المحلي دخل على المدينة. فحوالي سنة 1870 كانت حومة المخفية قد أسست خلية صغيرة قوامها 86 دارا، تنتمي إلى 5 بيوتات فاسية. وكانت لها شرطتها الخاصة التي ترصد المدخل الوحيد كيلا يتسرب إليها البرانيون. فقد كان يخشى أن يُنزلوا بهذا الحي المنعزل أسوأ الضربات. وفي العهد العزيزي فقط عين لهاته الحومة رئيس يعززه عشرة من الشرطيين[41].

مثل هاته الحرية في التصرف الإداري لوحظت بملاح فاس. فكانت لليهود في صدر القرن العشرين «خونطتهم» المتألفة من 7 أشخاص : أربعة منهم حزانون والثلاثة الباقون علمانيون، وكانوا جميعا منتخبين، ولهم شيخ يتولى حفظ الأمن. وكان الملاح بأسره إلى نظر عامل فاس الجديد[42]. وكان في وقت ما يحكمه عامل خاص به.

وطبعا لم يكن بفاس سلك قنصلي حتى أواخر العهد الحسني. ولكن كان بالمدينة بعض المستوطنين من الأجانب وعدد من المحميين والسماسرة والخلطاء بمجموعهم 96 فردا. فكان عدد المحميين 68 وعدد السماسرة 28 حسبما سيرد في الجدولين المواليين :

---

40. روجي له طورنو : «الحياة ...» ص 72 و 76.

41. نفس المؤلف ص 52.

42. المرجع السابق ص 74.

ج 1 : المحميون (1863 ــ 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة	10	17	27
إنجلترا	2	3	5
إسبانيا	8	1	9
فرنسا	5	19	24
البرتغال	—	1	1
بلجيكا	—	1	1
النمسا	—	—	1
المجاميع	25	43	68

ج 2 : السماسرة (1863 ــ 1900)

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
ألمانيا	1	1	2
الولايات المتحدة	4	1	5
إنجلترا	5	2	7
إسبانيا	—	1	1
فرنسا	7	4	11
إيطاليا	—	1	1
البرتغال	1	—	1
المجاميع	18	10	28

2 : الولايــات المتحـــدة

أ : السلــك القنصلـــي

لم يأذن المخزن لأية دولة بجعل وكيل قنصلي بالمدن الداخلية،ولكنه في أواخر العهد الحسني غض الطرف عن اتخاذ مراسلين للقنصليات المستقرة بالمدن الشاطئية. وهكذا فإن :

1. **يوسف بن الأزرع** كان قبل سنة 1886 مراسلا قنصليا حتى عزل سنة 1888 عن هاته الوظيفة[1] غير أنه أعيد إليها بعد ذلك.

2. **والحاج أحمد بن الحاج محمد المراكشي** الفاسي تولى بعده[2] لكن لمدة قصيرة.

3. وفي سنة 1892 جرت محاولة أمريكية وبرتغالية لتعيين الإسباني **فليبي ريثو R. Rizzo**. فلم يرتض المخزن الذي لم يساعد قبل على قبول قنصل لإنجلترا بهاته المدينة[3].

ب : المحميـــــــون

كان أكثر المحميين من اليهود وتُستخلص أسماؤهم وأسماء السماسرة من جملة من الوثائق.

ب 1 : من القائمة العامة للمحميين اليهود[4]

1 ــ 7 : شلومو الصراف وموشي بن عمور ومسعود بنسيمحون وأخواه شمويل ويهودة وأسير الليبي وابراهام بن شيمول (صهر من كان يدعى هليل).

---

1 . رسالته إلى الطريس في 22 شوال 1303 /24 يوليوز 1886، محفظة الطريس 8 ثم رسالة بوشتى بن البغدادي إلى الطريس في 12 محرم 1306 /18 شتنبر 1888، محفظة الطريس 14.

2 . رسالة عبد السلام المقري إلى السلطان في 7 محرم 1306 /13 شتنبر 1888، محفظة الحماية القنصلية.

3 . رسالة ماثيوز إلى غريط في 13 جمادى الأولى 1310 /3 دجنبر 1892، وجوابا المخزن إليه في 19 رجب 1310 /5 يبراير 1893، وإلى سفير فرنسا في فاتح شعبان 1310 /18 يبراير 1893.

4 . القائمة المذكورة عبارة عن رسالة للعربي ولد أبا محمد الشركي في 10 ربيع الأول 1297 /22 مارس 1880 بمحفظة الحماية القنصلية، وتحتوي على أسماء 29 شخصا كلهم يهود، منهم 16 محميون لفرنسا و 8 محميون للولايات المتحدة ومحمي واحد لكل من إنجلترا والبرتغال والنمسا وبلجيكا وإسبانيا.

8. **يوسف بن الأزرع**[5] الذي كان مراسلا. غير أنه كان يتنقل بين الحمايات. ففي سنة 1889 أصبح سمسارا لمحمي إنجليزي[6] ثم لمحمي إيطالي[7].

ب 2 : من القائمة 69 /8 الأمريكية الغفل [8]

9 ـ 10 : ميمون بن سوسان ومردوخي الصراف.

11. **محمد القندوسي الفاسي** الذي كان محميا منذ سنة 1880 وقيل عنه إن «ولد القندوسي الفاسي صار يحرث العذير السلطاني ويحرض إخوانه على الطيش والعصيان»، فأمر السلطان نائبه بركاش بإعلام ممثل أمريكا بذلك ليزدجز[9] : كل الأشخاص السابقين في الذكر كانوا محميين استثنائيين لا علاقة لهم بالعمل بالقنصلية باستثناء الثامن منهم.

ب 3 : من غير ذلك

12 ـ 25 : إبراهام مورسيانو وشلومو مورسيانو والياهو الحيالي ويوشع بن خليفة وموشي بن خليفة ومسعود بوطبول والياهو الدرعي ومحمد بن محمد الفنّاسي وعبد المالك بن عبد الواحد الجباري والمكي بن أحمد الحناني وأحمد بن ادريس التازي وعبد الرحمان بن أحمد الحَسْبَات والمفضل بن عبد الغني القباج ومحمد بن محمد البلغيثي الفيلالي وكانوا جميعا محميين للتاجر ورث Würth . وكان قائد فاس قد ألقى القبض على المحمي الأخير منهم سنة 1898 وهدد بالحبس المحميين الذين قبله. ونصت رسالة القنصل العام الأمريكي على أنهم جميعا «كانوا خدامين متاع التاجر وِرْث بفاس تحت حمية الدولة المركان»[10]. ويظهر أن هؤلاء ليسوا محميين بالمعنى المعروف وإنما كانوا خلطاء، لجواز اتخاذ هذا العدد الكثير من الشركاء.

26. **الحاج أحمد بن الحاج مَحمد المراكشي الفاسي** الذي تقدم أنه كان نائبا. كان للحاج أحمد ارتباطات بتجار أمريكيين، لكنه حيث كان محمياً ونائبا فقد طلب منه سنة 1889 القدوم إلى طنجة، فامتنع وتعلل بمرض وقال : «أنا لست حماية الأمركان، أنا رعية السلطان». لكن بعد أيام و«بعد تبرئه من الحماية المركانية جاء نصراني مركاني إلى فاس وطلب إحضاره إلى طنجة

---

5 . ورد هو والمحميان الأول والثاني في القائمتين الأمريكيتين 69 /59 و 69 /60 أيضا.

6 . قائمة سماسرة التجار الإنجليزيين سنة 1889.

7 . القوائم السنوية الإيطالية.

8 . وهي بتوقيع مانيوز وفيها 6 من المحميين منهم 1 ـ 2 ـ 8.

9 . رسالة حميدة بن المكي المختاري إلى السلطان ورسالة العاهل إلى بركاش في 20 شعبان 1297 /28 يوليوز 1880، محفظة بركاش.

10. رسالة كوميري إلى الطريس في 31 غشت 1898 /13 ربيع الأول 1316، رقم 69 /63 بتطوان.

لفصال دعواه عليه، وطبع على دار سلعته بالديوان من حومة فاس، وهدد أهله بحيث قالت إحدى القوابل : إن زوجته ومستولدتيه قد أسقطن أحمالهن هلَعاً»[11].

ولعل هذا كان سببا في تأخيره عن النيابة وإسنادها إلى يوسف بن الأزرع من جديد.

27. **عبد السلام بن محمد الحلو** كان محميا[12].

ت : السمــاســرة والمستــوطنــون

لم يرد شيء عن المستوطنين، لكن كان ثمة بعض السماسرة

ت 1 : من القائمة 69 /59

1 ـ 2 : أحمد (أو محمد) **القندوسي والحاج محمد بن أحمد شَلَّال** كانا سمسارين لأيون پيرديكاريس، وكانت بين شلال والقبطان ش ج روليسطون Ch. J. Rolleston ترجمان المفوضية البريطانية بطنجة خلافات، إذ اتهمه الضابط المذكور بأنه «افترى عليه وفضحه كتابة زورا ويطلب أن يدعي عليه»[13].

وكان شلال سنة 1886 سمسارا للتاجر الأمريكي صورنان[14].

وقد تلبس شلال بالحماية البرتغالية فذكر نائب البرتغال بطنجة أنه كان سمسارا لأخيه منويل جيسوس كولاصو منذ يناير 1887[15].

وكانت لشلال أيضا دعاو أخرى مع پيرديكاريس الذي سجنه سنة 1886 «مدة يومين بداره بالمعادي بطنجة بعد أن كان رجلان روميان قد استدعياه من فاس إلى طنجة لكي يشهد شهادة الكذب في فليكس ماطيوس»[16] ولكنه امتنع. كانت دعاوي شلال مع غرمائه كثيرة، ويظهر منها أنه كان قد أفلس. وجاء أن «ورثة المرحوم شلال قالوا : لم يبق من تركته سوى 800 ريال مع سدس داره، وهذا الأخير حازه الأمين الحاج عبد السلام المقري»[17].

---

11. رسالة المراكشي إلى ابن البغدادي في 12 جمادى الثانية 1306 /13 يبراير 1889، ورسالة السلطان إلى الطريس في 25 جمادى الثانية /26 يبراير، محفظة الطريس 15.
12. تقدم ذكر واقعته في الصفحة 493 وما بعدها من هذا الكتاب.
13. رسالة وايط إلى الغسال في 20 يونيو 1887 /28 رمضان 1304، محفظة بريطانيا.
14. قائمة 9 جمادى الثانية 1303 /15 مارس 1886.
15. رسالة كولاصو إلى الطريس في فاتح أكتوبر 1887، محفظة البرتغال.
16. من شهادة شلال أمام عدلين في 7 حجة 1303 /6 شتنبر 1886، محفظة الطريس 8.
17. وثيقة بمحفظة الطريس 66، بدون تاريخ.

ت 2 : من غيرها

3 ـ 4 : **الحاج علال** وأبوه **الحاج عبد الغني بن الحاج محمد عمور** كانا سنة 1888 وكيلين عن عبد السلام عمور المحمي رقم 27 أعلاه، وهو عم الأول وشقيق الثاني[18].

5. **شلومو الصراف** وكانت القنصلية العامة قد طلبت سنة 1887 اتخاذه سمسارا للتاجرين كوتس وكين سطيرلينج، فلم يقبل المخزن هذا الطلب لأنه «رجل من أهل الخوض في هذه الإيالة، مشغول بمعاملة أهل القبائل والجبال بالربى الفادحة، وبيده قدر وافر من الرسوم المشهودة من غير استقامة... وعليه فلا يمكننا قبول حمايته بوجه من الوجوه...»[19].

وتقدم ذكر هذا السمسار مع المحميين تحت رقم 1.

18. رسالة ليويس إلى ابن البغدادي في 9 يبراير 1888 /26 جمادى الأولى 1305، محفظة أمريكا.

19. رسالة ليويس إلى المخزن في 15 يوليوز 1887، وجواب المخزن عنها في 27 شوال 1304 /19 يوليوز 1887، وهناك رسائل أخرى عنه بالعربية والإنجليزية بمحفظة الولايات المتحدة.

3 : إنجلتــــرا

أ : السلك القنصلي

لم يكن لهاته الدولة من ممثل قنصلي إلا بعد سنة 1896 حينما رفع الحظر على ماكليورد.

ب : المحميون

1 . **يعقوب بن زيمرة** ورد ذكره في قائمة اليهود المحميين سنة 1880.

2. **أحمد القصري** كان سنة 1893 من المحميين[1]، وذلك بمقتضى معاهدة مدريد. وكان لا يزال كذلك سنة 1911. ومثله في ذلك :

3. **المكي ابن زاكور** وهو من المحميين سنة 1894. وجاء في المصادر أنه أكرى لماكليورد عرصة «وكانت له رحى يستخدم بها غيره. ثم إن الرحوي معتمرها سرق لبعض الناس من دقيقه جله إعلانا. فاستدعيته لدي فأدبته ... فإذا بابن زاكور دخل عليَّ فضا (= فظا) متكلما بكلام فاحش ... طالبا تخلية سبيل الرحوي... مدعيا أنه مخالط له. فأجبته بأن لا مخالطة عندنا في الحِرَف أصلا، وإنما هي تكون في الحرث والماشية، في البادية خاصة...»[2].

4 ـــ 5 : **شمويل القنقي** وابنه **ابراهام** وكانا سنة 1893 من المحميين حسبما سيأتي.

ت : السماسرة

ت 1 : من تقييد ابن زيدان وقائمة سماسرة التجار الإنجليزيين

1. **عبد الكريم بن عبد الغني** سمسار لويس فورد الإبن القاطن بالعرائش.

ت 2 : من قائمة السماسرة سنة 1889

2 : **يوسف بن الأزرع** سمسار ابراهام يعقوب لاريدو، وكان قَبْلُ محميا أمريكيا.

---

1 . رسالة علي الراشدي إلى السلطان في 27 جمادى الأولى 1311 /6 دجنبر 1893، محفظة فاس 2.

2 . رسالة محمد الشامي إلى السلطان في 13 رمضان 1311 /20 مارس 1894، أيضا.

ت 3 : مـن غيـرهــمـا

3. **إسحاق بن يعقوب السرفاطي** كان سنة 1886 سمسارا لإبراهام لاريدو أيضا[3].

4. **الحاج عبد الرحمان القصبري** الذي استوطن الجديدة ثم انتقل إلى فاس سنة 1890. وكان نائبا عن هرمان سمسون وليبوك[4]. وكانت له معاملة مع تاجر نمساوي.

5. **محمد جسوس** كان سنة 1889 سمسارا لتاجر إنجليزي كودينگطون Coddington[5].

6 ـــ 7 : **محمد بن الحاج محمد مزّور** كان سمسارا لشركة كارڤر سنة 1890، بعد وفاة الحاج **المكي بن عبد الله** الذي كان تاجراً بجبل طارق وبلندن[6].

ث : الـمـســتــوطـنــــون

لن نتحدث هنا إلا عن ماكليود. أما بقية الإنجليزيين فقد كانوا منصرين بروتيستانتيين سيرد الحديث عن بعضهم من خلال هذا المطلب.

1. **ماك إيڤر ماك ليوود J. Mac Iver Mac Leod** كان أول أمره تاجرا بطنجة. وكان قبل استيطانه فاس يريد أن يوجه نجيب كسباني ليفتح بها سنة 1889 دارا تجارية[7].

ومنذ أواخر السنة المذكورة كان يتردد على فاس حيث كان يقيم بالمدينة شهرا ويغيب شهورا ثم يعود إليها[8]. هذا الأيقوسي هو من مدينة گلاسكو. ولما قدم إلى طنجة أسس مع براش Brash ماك ليوود سنة 1886 مركزا تجاريا بهاته المدينة[9] ثم رحل هو إلى فاس ليقطن بها سنة 1890. وبعد مدة يسيرة حاول إيوان سميث جعله نائبا قنصليا بالمدينة، لما زارها في صيف سنة 1892.

ولتحقيق ذلك، رفع العلم فوق الدار التي كان يقيم بها. ولما رحل استودع الراية عند ماكليورد فحدثت الأزمة. وذلك أنه «لما ورد باشدور النجليز إلى فاس وضع سنجقا بالمكان

---

3 . رسالة هي إلى الطريس في 2 ماي 1886 /28 رجب 1303، محفظة بريطانيا.
4 . رسالة وايط في 22 ماي 1890 /2 شوال 1307، أيضا.
5 . رسالة گرين إلى الطريس في 31 يوليوز 1889 /3 حجة 1306، أيضا.
6 . رسالة گرين إلى الطريس في 14 أبريل 1890 /22 شعبان 1307، أيضا. أنظر عن المكي ص 71 ـــ 315 ـــ 508.
7 . رسالة گرين إلى الطريس في 19 غشت 1889 /22 حجة 1306، نفس المحفظة.
8 . رسالة بوشتى ابن البغدادي إلى الطريس في 25 حجة 1307 /12 غشت1890، محفظة الطريس 18.
9 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 306 (2).

النازل فيه ثم أنزله يوم 20 قعدة 1309 (= 16 يونيو 1892) ودفعه لتاجر من جنسه اسمه مكلاود بقصد أن ينصبه بمحل سكناه» فوقع هيجان واحتجاج بالمدينة. وحاول العامل تسكين الروعة فذهب لدار السفير وجعل عليها الحراسة. فأطلق هذا الأخير «لسانه بأن العامل جعل العسة عليه كأنه مسجون، وصار يتلوى ويتلون ويتنطع راميا العامل بما لم يصدر منه ...»[10].

ووُصفَ هذا الاضطراب الذي حدث بالمدينة بأن القنصل المزعوم «ترصد وقت صلاة الجمعة الغير المتصلة الفروط[11]، وشيّع أنه سيطلع السنجق في ذلك الوقت. فهال المخزَن والناسَ الأمرُ، حتى ماج بعضهم في بعض. وما سكنّاهم إلا بمشقة، وتأخرت الصلاة عن موعدها...»[12].

كان سميث يرى أن معاهدة 9 دجنبر 1856 تبيح لبلاده تعيين قنصل، وكان المخزن يذهب إلى عكس ذلك. وأوّل الطرفان نصوص الاتفاقية حسب اجتهادهما. ومرد هذا الخلاف إلى سوء تحرير المعاهدة. فالنص العربي يذكر في فصله الثالث عبارة «الرعايا المستقرين بالمراسي» ثلاث مرات، بينما تنص النسخة الإنجليزية على عبارة in the dominions أي بإيالة السلطان[13].

وسنرى ذلك من فهم المخزن للفصلين الثالث والرابع. قال الطريس لسميث : «إن تعيين القنصل يكون في المحال التي بها التجارة في وقت السكينة ... لا في وقت التشويش». ثم أخبره بأنه «تواتر بالمدينة ما يصدر منكم كالحماية بغير قانون، وما شاع على لسان أصحابك من الكلام المنافي للمحبة»، وأن تعليق السنجق «إن كان المراد به إيقاد نار الفتنة، فإن المخزن لا يأذن في تعليقه ويفعل ما يتعين عليه من حيازته من يد من يريد تعليقه. على أن الذي يفهم من الشرط الرابع المذكور أن السنجق والقَسِّينة إنما يكونان بالمراسي لا بالمدن الداخلية»[14].

ومهما يكن، فقد استمر ماكليوود مقيما بفاس ولو لم يعترف به رسميا وكيلا لبلاده. غير أن العامل الراشدي بدر منه ما يزكي وجوده قنصلا إنجليزيا. ولا ندري هل صدر ذلك عن غفلة منه أم كان تساهلا فرض عليه من الدوائر المخزنية العليا : إذ في شتنبر 1893 بدأ يرفع إليه دعاوي التجار «ليفاصلها على يده، ولم يدر ما في ذلك من إثبات تَقَنْصُوات التي لا زال المخزن لم يقبلها ولم يسلمها لدولته».لذلك أمره العاهل بالكف عن ذلك، وبعرض الأمور الهينة على ابنه، والأمور المشكلة على الطريس[15]. ولم يغفل المخزن مطلقا عن ماكليوود ونشاطه التجاري والقنصلي وعلاقته

10. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 قعدة 1309 /18 يونيو 1892، محفظة الطريس 22.
11. أي الجمعة فاتح يوليوز 1892 / 5 ذي الحجة 1309.
12. رسالة السلطان إلى الطريس في منتصف ذي الحجة 1309 /11 يوليوز 1892، محفظة الطريس 22.
13. ينظر في ذلك «الوثائق» ج 2 ص 158 ــ 159 ــ 176.
14. رسالة الطريس إلى سميث في 15 حجة 1309 /11 يوليوز 1892، محفظة بريطانيا.
15. رسالة السلطان إلى الراشدي في 9 ربيع الثاني 1311 /20 أكتوبر 1893، نفس المحفظة.

بالهيئات التنصيرية البروتيستانتية. ثم جاءت رسالة تقريع إلى الراشدي من أجل إهماله شؤون عمالته، وخصوصا تجسس هذا التاجر على الأخبار والتقاطها[16].

فرد عليها بأنه «ورد علينا كتاب شريف بالبحث عن جاسوس من النصارى اسمه مكلود، والتأكيد على التنقيب عن أحوال غيره من النصارى الذين يدعون تعاطي الطب ومرادهم خلافه... وما وجد إلا ثلاث نصرانيات من جنس النجليز يدعون الطبيبات[17].

«أما الجاسوس المذكور ... فلم يوجد له خبر... وأما النصراني النازل بعرصة جنّون الوارد الكتاب الشريف في شأنه أيضا[18]...بأنه يجتمع في جل الأيام مع النصرانيات المذكورات... وكذلك يجتمع معهم مكلاو في بعض الأحيان، وغرضهم واحد....

«وأما الصبيان الذين يُقرئهم النازل بعرصة جنّون، فقد قبضت على بعض آبائهم ... وأرسلت لصاحب عرصة الحاج محمد كْنون وكلمته في إدخال النصراني لها. فاستظهر بشهادة مضمنها أنه باع غلة خريفها لرجل يسمى أحمد القصري من أهل حماية النجليز، وشرط عليه أن لا يدخلها حمايةٌ ولا نصراني. فنقض الشرط وأنزل النصراني المذكور بها. وهذا وصفه في التجسس والشيطنة والوقاحة والمروق من الإسلام والدّين والقساوة والغلظة...»[19].

كان مكليود قاطنا بدار أحد المحميين سنة 1894 وهو المكي بن زاكور الذي أكراه عرصة حسبما تقدم. ولعلها كانت بمنأى عن سكنى المسلمين. فإذا كانت على هذا الوصف فهي صالحة لتكون وكرا للجواسيس أو للغرباء الذين كان المخزن ساعيا إلى مراقبة نشاطهم.

وفي هذا المعنى بعث السلطان رسائل إلى ولاة المدينة منهم العامل الراشدي (الذي أطلعنا قبلُ على نتف من جوابه). ومنهم أيضا المحتسب محمد الشامي الذي قال في رسالته[20] جوابا عما «بلغ للعلم الشريف الأسما من ظهور نصراني نجليزي هنا بعرصة ابن جلون[21] يحاول تعليم الصبيان، ونصراني آخر يدَّعي الطب عند بيتين برحبة الزرع، في فاس العليا، ونصرانيتين تزعمان الطب... ونصراني آخر يسمى مكلود يتجسس على الأخبار الخ...

---

16. مسودة رسالة في 9 جمادى الأولى 1311 /18 نونبر 1893، نفس المحفظة.

17. عفا الله عن الكتاب. كانوا في الغالب لا يجشمون أنفسهم عناء البحث عن أسماء هؤلاء الغرباء أو الضيوف. ولولا الرجوع إلى ما كتبه المؤلفون الأجانب لما عرفنا هوية هاته المنصرات وهن هيردمان E. Herdman وفليتشر Fletcher وجنينجز Jeannings.

18. هو جون إدواردز J. Edwards .

19. رسالة الراشدي إلى السلطان في 27 جمادى الأولى 1311 /6 دجنبر 1893، محفظة فاس 2.

20. رسالته إلى السلطان في 8 جمادى الثانية 1311 /17 دجنبر 1893، نفس المحفظة.

21. سبق أن سميت العرصة باسم كْنون، فهل كان ذلك خطأ من الكاتب ؟

«وأما النصرانيتان فقد كان وجودهما قبل التاريخ بما ينيف على الخمس سنين[22]
«وقد بحثت على من هو هنا من النصارى منهم، فألفيت زائداً على ما تضمنه الظهير الشريف ممن قيد طرته :

« ــ صاحب بوسطة النجليز بحومة الطالعة 2

« ــ صاحب بوسطة الفرنسيس بقبيب الناقص 2

« ــ معلمان مواجنية صبنيول[23] بحانوت بالصفارين 3

« ــ طبيب صبنيولي بحومة العيون[24] 1

« ــ ذميان فرنصاويان يتجران بدار من حومة درب الطويل 2

« ــ صاحب المدرسة الإفرنجية بالملاح 1

« ــ ألماني نازل عند عمر برادة 1

12 »

وسنحاول في مكان آخر أن نقف على أسماء بعض هؤلاء المستوطنين. هذا ولم يعترف للإنجليزيين بفتح وكالة قنصلية إلا سنة 1896. وظل ماكليود مقيما بفاس نحواً من عشرين سنة أي إلى سنة 1911 أو بعدها[25].

2. مستوطنـــون آخـــرون

تقدم ذكر بعض الإنجليزيين من أعضاء البعثات التنصيرية، وبقي أن نشير إلى أن طبيبا اسمه ماكمات أي ساموبل ماكمات S. Mac Math كان سنة 1893 مارا عابرا بمدينة فاس. وكان يصحبه شخص يدعى مركاص، وكانا يريدان التفرج على الفيل المهدى للسلطان سنة 1891 من لدن الملكة الإنجليزية، وراما الدخول لباب المشور بأبي الخصيصات حيث كان الحيوان محروسا في هري.

---

22. هما اثنتان ممن ذكرنا في الهامشة 17 أعلاه. أما الطبيب فهو د. ت. تشرتشر D. T. Churcher الذي كان يسكن بعرصة الحلو (رسالة الراشدي إلى الطريس في فاتح محرم 1312 / 5 يوليوز 1894).

23. ذكر روجي له طورنو في ص 161 من «فاس قبل الحماية» أن خمسة من الإسبانيين كانوا يقطنون بفاس سنة 1896 منهم مواكني واحد وصاحب حانة لبيع الخمر بالملاح وطبيب يهودي لعل اسمه هو كورطيس الذي كان معالجا للأسنان لفائدة المسلمين واليهود حسبما هو عند بيير گيين في «ألمانيا والمغرب» ص 165 (6). ونلاحظ أن رسالة المحتسب اقتصرت على «معلمان مواجنية» فهل الثالث هو صاحب الحانة ؟

24. بالأصل : العفـون.

25. موريس له گلي : «حولية مغربية ــ 1911» ص 125 وكذلك منتسخ من ظهير بتاريخ 14 جمادى الأولى 1330 /31 ماي 1912 بالوثائق الملكية رقم 6646.

لكن الحراس منعوهما من الدخول. فما كان منهما إلا أن ضرباهم ضربا موجعا بالخرزتين اللتين كانتا بأيديهما وسباهما سبا فظيعا ومزقا أثواب بعضهم، وكان ذلك في 14 غشت 1893.

أما في اليوم الذي قبله فقد حاول ذميان متزييان بزي النصارى الدخول لرؤية الفيل. فلما حيل بينهما وبين الحيوان ضربا الحراس. وكان اليهوديان المحميان هما شمويل القنقي وولده ابراهام.

ولئن كان يبدو أن في هاته الرواية مبالغة حسب رسالة ذكرت أن اليهوديين برانيان وليسا فاسيين[26]، فلقد قال الخليفة مولاي عمر إن العلماء أفتوا في هاته الإهانة التي لحقت الحراس، ذاكرين «بأن ما صدر ثمة خصوصا بالمحل العالي المقدار موجب لنقض العهد»[27].

ج : هديـة الفيـل ستـوك Stoke

كان الفيل هدية من ملكة إنجلترا إلى السلطان الذي وجه القائد محمد بن الطاهر البخاري والمهندس الحسين بن خلوق الأوديي وهاري ماكلين ليبحثوا عن طريق سهلة لمرور الفيل من طنجة إلى مدينة الرباط التي كان من المقرر أن يحل بها[28]، وذلك لأن المواصلات كانت صعبة، فلا قناطر ولا جسور بين المدن الشاطئية والمدن الداخلية.

وكان الذي رافق الحيوان هو القبطان إنكلفييلد Englefield نائب حاكم جبل طارق، فزاد «بورود الفيل المذكور تصحيحات وتثبيتات لمن كان يجهل ذلك، وتشييدا لتلك المحبة، وتأكيدا لرعايتها، وتبيينا لفخامة دولتكم وضخامتها : أن الهدايا على قدر مهديها. وحصل به لحضرتنا الشريفة من السرور والنشاط، ما يحق به الاغتباط. وصادف وروده جل عمال القبائل مجتمعين، بالمحل الذي كنا به بمحلتنا السعيدة مخيمين، في اليوم من محرم التاسع والعشرين[29].فحضروا ساعة دفع الخليفة المذكور له في هيئته الجليلة، وحليته الجميلة. كما حضر لذلك الرؤساء والأعيان وكبراء الديوان.... لكونه تحفة غريبة، وخلقة عجيبة، لم تعهد عند أهل هذا القطر، في هذا العصر.

«حتى أن فقهاء حضرتنا الشريفة وأدباءها جعلوا في محاسن الفيل، ومشهده الجليل، قصائد فائقة، وأشعارا رائقة، وتآليف متناسقة. وها البعض من ذلك يصل جنابكم الفخيم. والباقي حيث يكمل يوجه لكم، لتعرفوا منها ما حصل من مظاهر الفرح العميم»[30].

---

26. رسالة السلطان إلى الطريس في 11 صفر 1311 /24 غشت 1893، محفظة فاس 2، وموجب عدلي في 25 صفر 1311 /7 شتنبر 1893، محفظة الطريس 25.
27. رسالته إلى الطريس في 5 ربيع الأول 1311 /16 شتنبر 1893، محفظة الطريس 25.
28. رسالة السلطان إلى الحاج محمد بنسعيد في 28 قعدة 1308 /5 يوليوز 1891، محفظة بنسعيد.
29. موافق 4 شتنبر 1891. وقد وصل الفيل إلى طنجة في غشت 1891 (روجرز : «تاريخ...» ص 283).
30. رسالة السلطان إلى الملكة في 25 ربيع الثاني 1309 /28 نونبر 1891، في «الإتحاف» ج 2 ص 356.

لم يكن مقدم الفيل مهرجانا شعبيا فقط ترأسه السلطان بنفسه، بل كان أيضا مظاهرة أدبية تبارى فيها جملة من الفقهاء والمتأدبين فوضعوا عن الفيل تآليف مختلفة. وهم أربعة :

أولهم أحمد بن عبد الواحد ابن المؤاز، وله رسالة عنوانها «النفائس الإبريزية، في هدية الفيل الوافد من فخامة الحضرة النجليزية»، وثانيهم محمد بن علي الدكالي، وله «السراج الوهاج، والكوكب المنير، من سنا صاحب التاج، مولانا الحسن الأمير»[31].

وثالثهم قاضي مكناس خليل بن صالح الخالدي. وقد صنف مقامة فيها بعض الإسفاف. فوصف الفيل بما لا يكاد ينعت به مثل «أسنانه تبلغ ثلاثمائة سن في الاستيعاب، كأنه طود علاه سحاب». وكان هذا المؤلف ينظم ما هو «ساقط الوزن، غير مرتبط بمعنى ولا قافية» وكان يدعى النحوي، ولو أنه لا يعرف النحو فقد مكث ثلاثين سنة يقرأ ألفيه ابن مالك[32].

ورابعهم الطاهر بن أحمد البلغيثي برسالة عنوان بدايتها : «الدرر السنية...»[33].

رواية أولى تجعل للفيل مروضا هنديا واحدا كان موظفا بالبريد الإنجليزي بفاس ولكنه عاد إلى بلاده لما مات الفيل بداء مجهول[34]. وهناك رواية أخرى تذكر أن ترويضه وُكل إلى سائسين هنديين أنعم عليهما السلطان بمائتي ريال وبالزاد والمركوب، ثم جعلهما رهن إشارة السفير. ومما لا شك فيه أن وفاة الفيل في أواخر 1893 كانت لعدم موافقة هواء المغرب[35].

ولما مات الفيل أراح واستراح. وقيل إنه كان عبئا على السكان وفرض عليهم مكس لإطعامه[36] فاستراحوا لوفاته. وكان يعبث بالأشجار والحقول.

و يحكى عنه أن جماعة من الفلاحين قوامها أربعمائة شخص كانت متبرمة من الأضرار التي خلفها الحيوان الاستوائي في حقولهم، فالتجأوا إلى السلطان شاكين[37].

---

31. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 357.
32. نفس المصدر، وكذلك ج 3 ص 26، وأيضا العباس ابن ابراهيم في «الإعلام» ج 3 ص 221.
33. محمد بن تاويت : «بين إنجلترا والدولة العلوية» في «دعوة الحق» العدد السابع، السنة العاشرة، ص 80 — 82. وقد نشر خالد بن الصغير نص التأليف بمجلة دار النيابة العدد 12 ص 44 بعنوان : «مخطوط جديد حول هدية الفيل من الملكة فكتوريا إلى السلطان مولاي الحسن».
34. هنري ده لا مارتنيير : «ذكريات ...» ص 198.
35. رسالة السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الثانية 1311 /29 دجنبر 1893، محفظة الطريس 25.
36. روجي له طورنو : «الحياة ...» ص 70 و 309.
37. الأخوان طارو في كتابهما : «فاس أو بورجوازيو الإسلام» ص 278.

4 : إسبانيا

أ : السلك القنصلي

1. **عمر برادة** كان قبل سنة 1882 وبعدها بأعوام وكيلا لإسبانيا. وسيرد عنه حديث خاص.

2. وفي سنة 1891 طلبت أن تجعل **فليبي ريثو إي راميريث** F. Rizzo y Ramirez نائبا قنصليا. وكان ريثو مستعربا وأستاذا للغة العربية، فهو الذي ترجم معاهدة الصلح في حرب تطوان. وكان سنة 1862 موظفا بالجمارك بطنجة، لكنه عزل بسبب اختلاس الأموال وأعيد إلى منصبه بوصفه قنصلا بمدينة شاطئية، ثم أعفي أيضا. وكانت له دسائس في قضايا متنوعة[1]، فقد أوفدته الجمعية الجغرافية التجارية الإسبانية في شهر يوليوز 1886 لاستكشاف نواحي بوجادور والرأس الأبيض. وفي سنة 1892 حاول كولاصو وماثيوز أن يتخذاه وكيلا قنصليا لبلديهما[2]. فلم ترتض السلطات ذلك[3]، وهذا يدل على أنه كان مستوطنا فاس في تلك المدة.

ب : المحميون

ب 1 : من القائمة المحلية لليهود المحميين (1880)

1. **ابراهام ابن النايم**

ب 2 : من تقييد ابن زيدان

2. **محمد برادة** وكان قاطنا بمدينة إشبيلية لمدة طويلة.

---

1 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 466 وميبج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 306 (9).
2 . المرجع الأخير.
3 . جواب مخزني في 19 رجب 1310 /5 يبراير 1893، محفظة أمريكا.

3. **عمر بن ادريس برادة** وهو محمي منذ ما قبل 1876، وهو والذين من بعده صدرت الوصاية عليهم إلى السلطات المحلية[4] سنة 1878 وهم :

4 ــ 9: **الطاهر بوشحوم** من الزاوية الإدريسية، **والغالي العراقي، وبركة بن علي، وبوجمعة** ابن عمه، **وحمادي ولد حَدَا العماري الزرهوني، ومحمد بن قاسم العماري الزرهوني.**

وهذا المحمي الأخير وردت عنه طائفة من المراسلات، أذكر مضمن بعضها حالا، وأرجيء ما بقي منها إلى الحديث عن عمر برادة.

كان بيدرو **أورطيس دي سوكَاسطي** P.O. de Sugasti نائب الوزير المفوض بطنجة قد كتب إلى عامل فاس سنة 1878، طالبا منه توقير المحميَّيْن الثامن والتاسع «مراعاة له، وأن نعطيهم كتابا لشيخهم (= لشيخهما) بالإيصاء عليهما... وكان شيخهما حاضرا. فبحثناه عنهما، فذكر قضيةً : هي أن والد محمد ولد قاسم كان مقدما على أيتام، وتوفي واحتوى ولده محمد هذا على مالهم. وقاموا الآن يطلبون مالهم عند قاضي مكناس الفقيه العلامة سيدي أحمد بن سودة، وقدم على الأيتام أقاربهم، جريا على القانون الشرعي. ولما طالبوه بأداء مالهم امتنع من إعطاء الحق لأربابه، وجعل يتنصل ويلتمس وزرا وحصنا من ذلك، ولم يعرف أن الحق أحق أن يتبع ... والحاصل أن القضية عند الشرع، ولا سبيل إلى الخروج عنه عند كل أحد. وعليه فنحب أن تكلم من كتب لنا في ذلك حتى يرجع ذلك الزرهوني المزخرف لإعمال الشرع»[5].

ت : السمـــاســـرة والمستـوطـنــون

كان **ميمون بونطي** سمسارا لتاجر لم يرد بيانه، كما سكن قلة من الإسبانيين بفاس منهم :

1. **أنطونيو إسبيخو** A. Espejo الذي استوطن فاسا مدة عشرين سنة حتى قتل قرب وادي سبو قبل سنة 1887، فنهبت أمتعته. وجملتها ستون ريالا دفعها له طبيب هناك ليصحب بها أدوية. وقد أمر عاملا فاس وبني مالك بالبحث عن الفُعَّال [6].

2. **خواكين رودريكَيث** J. Rodriguez كان مقيما بفاس حوالي 1887 فطالب بتعويض عن البقرات الست التي نهبت له[7] مما يدل على العمل الذي كان يقوم به. وجاء عنه سنة 1891 أنه كان مصحوبا بعبد الله بن عبد الرحمان العلج ليطالب بمال إسبيخو الذي قتله أفراد

---

4 . عبد الرحمان ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 311.

5 . رسالة عبد الله بن أحمد إلى بركَاش في 22 ربيع الأول 1295 / 26 مارس 1878، محفظة بركَاش.

6 . مسودة رسالة مخزنية في 18 شعبان 1304 / 12 ماي 1887، محفظة الطريس 10.

7 . رسالة السلطان إلى الطريس في 12 ربيع الثاني 1305 / 28 دجنبر 1887، محفظة الطريس 11.

من حجاوة، قرب وادي سبو منذ 5 سنوات. وقد وقف على قبره بإيالة ابن ابّا محمد الشرڭي بفاس الجديد. وكان فكّيرة قد التمس من الطريس شد عضد خواكين ليتقاضى دين صاحبه المقتول[8]. فأجيب بأن الدعوى قد فوصلت بالإبراء التام[9].

3. خاكوب ڭويطة J. Guitta تقدم بالقصر الكبير أنه كان بها أول أمره سنة 1887. وقد انتقل إلى السكنى بملاح فاس وبقي يعيش بالمدينة مدة طويلة فوصف في كتابه الطاعون الذي حل بفاس سنة 1901 ، فأنقذ من الوباء 2062 من اليهود، وهو سدس سكان المدينة[10].

وجاء في رسالة سلطانية أن «نصرانيا اصبنيوليا اكترى حانوتا للأحباس قرب جامع الحمراء من أحد أهل الذمة، وصار يتعاطى فيها الطب». وكانت تلك الحانوت مكراة ليهودي طراف، فقلبت العقدة على الطبيب الإسباني[11]. وفي رسالة أخرى أن طبيبا اعتمر حانوتا بسوق الطرافين من فاس الجديد سنة 1893، وصار يتعاطى الطب بها، وأعطى الدواء لرجل حجوي من سكان فاس الجديد. ولما استعمله سقط لسانه، وصار لا يتكلم إلا بالإشارة، ولم يزل على ذلك حتى مات. ولذلك أصدر السلطان أمرا باعتقاله[12]. وعليه فيجوز أن يكون هذا الطبيب هو خاكوب ڭويطة، لأنه كان بسوق الطرافين، وأن يكون هو الساكن بحومة العيون.

4. إسبانيون آخرون : فرانسيسكو ... الهالك سنة 1880، والذي لم يأت بيان عن نسبه، والطبيب الروسي رودريڭيس كراكوف R. Krakoff الذي كان قاطنا بالقصر الكبير سنة 1881.

ث : عمر بن ادريس برادة

كان هذا الرجل شخصا غريب الأطوار خلدت الوثائق المغربية ذكره. وسنحاول في هذا المبحث أن نستجلي شخصيته، وفي ضمن ذلك سنعرف عددا من الإفادات التاريخية عنه وعن غيره أيضا. فمن هو ؟

هو فاسي أقام طويلا بمدينة إشبيلية، وهناك تزوج بإسبانية واكتسب الجنسية الإسبانية وقد وصفه رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بأنه «مثقف حاد الذكاء وذو طبع جيد وممتاز».

8 . رسالة فكّيرة إلى الطريس في متم ماي 1891 /22 شوال 1308، محفظة الطريس 20.
9 . رسالة مخزنية إلى سفير إسبانيا في 4 ربيع الثاني 1309 /7 نونبر 1891، محفظة الطريس 21.
10. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 117.
11. رسالة السلطان إلى ابنه مولاي عمر في 7 محرم 1311 /21 يوليوز 1893، محفظة فاس 2.
12. رسالة السلطان إلى الطريس في 15 صفر 1311 /28 غشت 1893، محفظة إسبانيا.

كان له أبناء : خوليو وكان طبيبا بتطوان، وسالبادور وقد هاجر إلى البرازيل، وكان ابنه ألفونصو لا يختلف في شيء عن الإسبانيين. وكان عمر يمثل الدولة الإسبانية بفاس[13].

فما هي مهنته ؟ يفهم من بعض المصادر أنه كان وكيلا شرعيا. ولما كان مثقفا كان مراسلا لجريدة «المغرب» الأسبوعية التي كانت أول جريدة مطبوعة بالعربية سنة 1889 بمدينة طنجة[14].

ومما عيب عليه مخالطته الأجانب والغرباء. فكان يضيف الإسبانيين والألمانيين وغيرهم. وبذلك واخذه الخليفة السلطاني سنة 1887 واتهمه بالجاسوسية. إذ كان أنزل بداره، الواقعة بسبع لويات، اثنين من الفرنسيين ثم نقلهما لغرسة ابن زاكور[15]، ببني مسافر، بطرف حومة الكدّان «ومقصودهم غير التجارة، لأنهما كلما وردا عليه، لا يتكلمون إلا في أمور المخزن والحرب والعسكر والسلاح»[16]. ومن هذا نستشف أيضا أنه كان غنيا يتعاطى التجارة. وسيأتي مع النمسا بفاس أنه كانت له معاملات تجارية مع كيلنر.

ولما مات فرانسيسكو كلف برادة بالوقوف على الأمتعة التي تركها الهالك، وانتدب لحيازتها كراكوف «الطبيب الموسكُوِ... وطلب باشدور الصبنيول حيازة الحوائج المذكورة من النصراني المذكور بالعدول وبمحضر عمر برادة، ويوجه ذلك إلينا لندفعه بيد الباشدور...»[17].

ومن الآن سنعرض لوثائق متعددة تناولت مواضيع شتى، ومن جملتها علاقة برادة مع المخزن ومع العموم. وسنجد فيها طائفة من الإشارات المفيدة إلى وقائع تاريخية مختلفة.

ورد الحديث عن دعاو أربع كانت للرعايا الإسبانيين على الناس. وتحت اليد رسالتان تحملان تاريخا واحدا، هو 25 شوال 1299 /9 شتنبر 1882: إحداهما من مولاي إسماعيل، والأخرى من السلطان وهي طويلة، وكلتاهما موجهة إلى محمد بركاش، وهما معا تتعرضان لنفس القضايا في نوع من التناقض في الرواية والتأويل.

ونقدم النص الكامل للرسالة السلطانية في المتن وسنقارن في الحواشي بينها وبين ما ورد في رسالة الخليفة، التي يبدو أنها من تحرير كاتبه الحاج صالح. قالت رسالة مولاي الحسن :

«وصل كتابك بأن باشدور إسبانيا أخبرك بورود شكايات 3 ثلاث عليه من فاس، وهي :

---

13. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 304 (9).
14. إشارة إلى مراسلي هاته الجريدة ببعض المدن موجودة في محفظة الطريس 16.
15. هو المكي ابن زاكور، سالف الذكر مع المحميين الإنجليزيين.
16. رسالة مولاي إسماعيل إلى السلطان في 15 شعبان 1304 /9 ماي 1887، محفظة فرنسا.
17. نسخة من رسالة بركاش إلى مولاي إسماعيل في 6 شوال 1299 /21 غشت 1882، محفظة بركاش.

«1. أن نصرانيا من جنس الموسكُ خرج لوادي فاس للفرجة في لعب الخيل يوم السبت الرابع من شهر تاريخه» أي 20 غشت 1882 «فضربه الصبيان بالحجارة ضربا مؤلما ألزمه الفراش. ولم يظهر أثر في ذالك من جانب المخزن. وتكلم عليه الباشدور لكونه هو نائب الموسك.

«2. وأن يهوديا سمسارا[18] كان متوجها من مكناس لفاس. فمر في المحل المذكور يوم الأحد الخامس من شهر تاريخه فضُرب وجُرح حتى فر وترك بِرْذَوْنَه وحوائجه وأمتعته وأمور سفره ولازم داره خوفا على نفسه.

«3. وأن عمر برادة ملازم داره أيضا خوفا على نفسه لكون كاتب مولاي إسماعيل أمر بضربه ومنعِه من حقه في دعوى كانت عنده.

«وذكر لك الباشدور أن السبب في وقوع ذالك هو تواني الولاة في القبض على الفاعلين في قضية الصبنيولي الهالك[19]، وطلب ما هو مبين في كتابيه اللذين وجهتَ. فكتبتَ لمولاي إسماعيل بالقبض على الفاعلين ورد ما ضاع لليهودي السمسار المذكور، وأخبرتَه بأن الباشدور أذن لهذا اليهودي ولبرادة في الخروج من محليهما، أينما شاؤوا من غير خوف، وجعل دَرْكَ ما يقع لهما على المخزن، وأكدت عليه في رد البال لهذا الأمر، وطلبتَ إصدار أمرنا الشريف بالوقوف على ساق الجد في إجراء الأحكام على أهل الزيغ وبقبض من فعلوا ما ذكر بالمذكور، ورد ما ضاع للسمسار المشار إليه.

«4. وذكرت أنك تَخبَّرت، من خارج، أن جماعة من اليهود ضُربوا وجُرحوا في السادس من شهر تاريخه، ولم يقع انتصاف من الفاعلين. وإذا لم يقع يدخل الغير مع الباشدور المذكور في الكلام في ذالك.

«وأنه دار بينك وبين الباشدور في هذه القضايا ما شرحته، وأشرت بجعل دواء نافع لما طلبه فيها، لكون الحجة في ذالك كله على الولاة لعدم إظهارهم [السطوة] المخزنية.

«1. أما الواقع بالنصراني الموسكوي[20]، فقد كتبوا لنا فيه بمجرد وقوعه واعتذروا عن عدم التعجيل بالقبض على الفعال بفراغ المحل من الجيش والعسكر وكثرة القيل والقال في جانب المخزن من أهل الإرجاف وسَفَلَة الناس بما لا يعني، وطيشهم وتشوفهم للفساد. فأمسكوا عن مد اليد في الفاعلين، خشية أن تنشأ عنه الفتنة من أولائك المرجفين، ويفضي الأمر إلى ما هو أعظم.

---

18. هو ميمون بونطي.

19. هو فرانسيسكو المشار إليه سابقا.

20. في رسالة الخليفة : «ومع ذلك فقد ادعى بما ادعى به، ووقع الصلح معه بمائة ريال على يد الحاج عبد السلام المقري، وحازها ودفع خط يده بأنه أبرأ في هذه الدعوى، كما تصلك نسخة معرَّفة من خطه طيه».

«إذ لا يخفاك أن أهل المغرب مجانين لا يبالون ولا يتفكرون في عواقب ما يفعلون، مع غيبة المخزن بسوس. ويتسع الخرق ويلومهم المخزن على عدم التأني في قبضهم. إذ لم يكن عندهم علم وقتئذ بحلولنا بمراكش.

«وهذا الذي اعتذروا به هو الذي كان سببا في إزعاجنا للرجوع، وطِيِّنا للمسائف طيا، وقطعِنا للمفاوز في أقرب مدة. ومع هذا فلم نقبل منهم ذالك، وألزمناهم القبض على الفُعَّال وكل من فيه رائحة فعل ما ذكر بالمذكورين، ووبخناهم على تراخيهم وتوعدناهم. وحيث نكون هناك بحول الله يقع البحث في ذلك. وإن وُجد مخالفا لقولهم يعاقبون[21].

«2. وأما الواقع باليهودي السمسار[22]، فقد ذكر مولاي اسماعيل أنه لما وقع ذالك به وبالموسكوي المذكور أحضر وصيفنا الج سعيد بن فرجي وخليفة ولد ابَّا مُحمد الشرڭي، وأمرهما بأن يعين كل واحد منهما كبيرا من قِبَله ومعه طائفة من المخازنية، ويتوجهون لمحل لعب الخيل وغيره مما يجتمع فيه الناس، بقصد القبض على من يقع منه شيء من ذالك. وبأن الصبيان الفاعلين ذالك بالنصراني واليهودي المذكورين لم يُعرَفوا بأعيانهم فيقع القبض عليهم، لكون جميع صبيان أهل فاس كانوا في ذالك المحل يتفرجون في لعب الخيل علي عادتهم في أيام الأعياد، وأنه ءاخذ في البحث عنهم. فأمرناه ــ هو ووصيفنا المذكور وولد ابَّ مُحمد ــ بالجد في البحث والتنقيب عن الفعال منهم والقبض عليهم. وإن لم يعرفوا بأعيانهم، يقبضون على جماعة من رعاع الناس الذين يتهمون بمثل ذالك. على أن النصراني المذكور قد خالف القانون المعتاد بعدم إصحابه كتابك للعامل بالتنبيه عليه، وبتوجهه للملعب بدون مخزني. وكذالك اليهودي السمسار بسفره من مكناس منفردا بدون مخزني.

«وللحذر من مثل هذا طالما استرعينا عليهم بأن لا يسافروا إلا مع صاحب عامل البلد. فأبوا إلا التغرير بأنفسهم وأمتعتهم، والسعي بذالك فيما يكدر الخواطر.

«وقد كلفنا مولاي إسماعيل بالفصال مع هذا اليهودي فيما ضاع له. وما تفاصل به معه فيه يلزم الحاضرين في فرجة لعب الخيل بأدائه له. لأن مثل هذه الدعوى هي التي يفاصلها المخزن من عنده حتى يقبض ما فاصلها به من الرعية لا ما يطلبه الطليان[23]. وحتى إن كان عنده مثل هذه، فـيُدلى بها، ويُفاصَل فيها. فتنبه !

---

21. ما ورد في هاته الفقرة واللتين قبلها جاء في رسالة السلطان إلى برڭاش في 9 ذي القعدة 1299 /22 شتنبر 1882 عند ابن زيدان في «الإتحاف» ج 2 ص 372، مع اختلاف يسير في اللفظ.

22. في رسالة الخليفة : «وأما ميمون بونطي فلم يضع له شيء. وقد أمرنا عاملي فاس العليا بالبحث عن ذلك. فذكرا أنهما تقصيا البحث غاية ... فجميع من سألاه يخبر أنه ما ضاع له شيء ولو قلامة ظفر. ولو كان ضاع له شيء لا شتكى في الحين علينا أو على العاملين».

23. لفظة الطليان هنا ما هي إلا سبق قلم، إذ المقصود : الإسبان.

«3. وأما ما تشكى به برادة[24] من الحاج الصالح الذي طلب في شأنه الباشدور ما طلب، فإن الحاج الصالح ليس بمكلف من قبل المخزن، وإنما كان مؤدباً لأخينا مولاي إسماعيل، تركه معه سيدنا رحمه الله. وإذا كان يأخذ بيده في أموره، فمنه إليه.

«على أن الأخ المذكور كتب أولًا في ذلك، وبين وجه التعرض لذالك المتنصر. وهو كونه ورد مع النصراني الصبنيولي الهالك[25] لباب دار المخزن في الزوال، بعد ذهاب القواد والمخازنية منها لمحالهم، وراما الدخول لها فمنعهما البوابة. فمد برادة يده في أحدهم ومزق له ثيابه وأطلق لسانه حسبما قدمناه لك. وكان من حقك أن تحاججهم به.

«4. وأما ماتخبَّرتَ به عن الجماعة من يهود فاس[26]، فقد بلغنا وقوعه والإشهاد على أولئك اليهود بأنه لم ينهب لهم شيء، وأمرنا عامل فاس بالبحث عن الفاعلين، والقبض عليهم

---

24. رسالة الخليفة : «وأما دعوى عمر برادة على الكاتب فهي افتراء وكذب. فإن الكاتب لم يأمر بضربه ولم يُعرف بذلك، ولا عهد منه مع أضعف الناس، فضلا عن أهل الحماية.

«ودليل افترائه أنه ذكر أنه يخاف أن يخرج، مع أنه يروج داخل المدينة وخارجها. وما تخلف عن الخروج يوما واحدا. ولو كان ما قال حقا لا شتكى على عامل المدينة. ولاكنه لما صدر منه بالأبواب السعيدة ما ذكرناه، وسمع باستعمال الموجب، مَوَّه بهذا الكلام ليقابل دعوى بدعوى.

«وأما قوله إن الكاتب منعه حقه في دعوى له، فاعلم أنه لم تكن له دعوى في هذا الوقت بأعتابنا الشريفة. نعم، كانت له دعوى قبل بنحو خمس سنين كان يشتكي عليها. ثم ورد مولانا هذه الحضرة فصار يشتكي عليه بحضرته السعيدة ولم ندر مثالها».

25. المتهم في قضية الإسباني الهالك كان هو محمد بن قاسم ومن معه. وفي ذلك قالت رسالة الخليفة ورسالة سلطانية أخرى عنه وعن مشاجرة برادة مع الحراس ما يلي :

أ ــ رسالة الخليفة : «... أما قضية محمد بن قاسم ومن معه المقبوضين على قضية الصبنيولي فقد قدمنا لك حقيقة ذلك فيما كان يصدر منه ووجهنا لك المواجب بذلك ولم تجب عنها.

«ثم صبيحة ذلك اليوم جاء هو وعمر برادة للباب السعيد. ولو كان بالنصراني ما ذكر، ما قدر على المجيء راجلا من الملاح إلى دار المخزن. ثم لما جاءا وجدا الكتاب والمشاورية انصرفوا. فراما الدخول كرها، فمنعهما البواب قائلا : «ليس هنا أحد وليس الوقت وقت شكوى». فمد برادة يده في البواب ومزق ثيابه وأطلق لسانه بكلام تتحاشى الآذان عن سماعه. وقد وجهنا مواجب ذلك للحضرة العالية بالله. ولو علمنا ــ أو علم الولاة ــ أن أحداضرب النصراني أو جرحه لقبض بسرعة. إذ الأحكام نائبة بوجود مولانا أعزه الله. فلا حجة على الولاة في عدم ظهور السطوة المخزنية».

ب ــ رسالة سلطانية أخرى في 9 ذي القعدة 1299 /22 شتنبر 1882 تحدثت عن محمد بن قاسم ومن معه. ونصها في «الإتحاف» ج 2 ص 371. وفيها أن إسبانيا طالبت بعزل عاملي فاس وعقوبتهما بأداء عشرين ألف ريال، وأن الخليفة قبض على الجناة مع عشرة آخرين.

26. رسالة الخليفة مولاي إسماعيل : «وأما ما بلغك مما وقع باليهود فالأمر بخلافه. لأنهم وردوا شاكين من إيذاء الصبيان لهم بالمدينة وعينوا محلَّيْن. فكتبنا لعامل المدينة ووجهنا اليهود الشاكين، وأمرنا بالكلام مع أرباب الأسواق بأن يكونوا منهم على بال، وأن من وقع منه شيء في سوقه فعهدته عليه : إما أن يأتوا بالفاعل أو يُقبضوا فيه. فقبض العامل على رجلين من سوقين وقع فيهما ذالك. كما أمرنا عاملي فاس العليا بذلك وزدناهما أن يكون كل واحد منهما يوجه مكلفا وطائفة من أعوانه لأماكن اجتماع الناس كلعب الخيل ليحرسوا اليهود وغيرهم، وتكون العهدة عليهم فيما يقع. =

وزجرهم وتكليف أهل الأسواق برد البال لليهود، وكف من يريد إذايتهم ومد اليد فيهم، وجَعْل درك ما ينشأ لهم من الإذاية على أهل تلك الأسواق.

«فقرر ذالك للمتكلم فيه، واستعمل ما عندك من التلطف والسياسة في مباشرة أمر هذه القضايا 3 مع الباشدور، حتى تخرجها على وجه جميل، لا مَعَرَّة فيه على جانب المخزن، كما هو المعتاد منك فيما هو أعظم منها، والله يعينك ويسددك.

«هذا وقد جُدد الكتب لمولاي إسماعيل ولولاة فاس بما يتعين في ذالك. والله يكفينا جميع المهمات، ءامين ! ومما يؤيد ما اعتذر به ولاة فاس ما فعله بنو حسن ونحوهم من نبذ كلام الولاة والخلائف وعدم إنصاتهم إليهم وجعل أشياخ الربيع[27]. وهو من أعظم الحجج، والسلام».

كانت رسالة الخليفة من تحرير كاتبه الحاج صالح بن الحاج المعطي التادلي (1244 ــ 1307) الذي كان مؤدبا للخليفة مولاي إسماعيل كما كان شيخه ووزيره[28] سنوات عديدة.

واستمرار هذا الخلاف بين الحاج صالح وبين برادة كان من شأنه دوام التقولات في جانب المخزن والإساءة إلى التقارب المغربي الإسباني. وبادر العامل لإصلاح ذات البين فقال للخليفة :

«فقد أحضرنا عمر برادة، وكلمناه ثانيا فيما يوصل لفصل القضايا الأربع التي كتب فيها مولانا حتى تنحسم مادة الكلام فيها. فأما ما كان من قضيته المتعلقة بالفقيه السيد الحاج صالح التادلي فآل الأمر فيها إلى المسامحة. ووافق الحال ورود كتاب عليه من ثغر طنجة متضمنا لموافقته على إعمال الصلح في هذه القضية إن ارتضاه. وأما قضية النصراني الطبيب. فأشار عمر المذكور فيها بأنه لا بد من إحضار ورقة إبرائه التي لدى سيادتك بالأعتاب الشريفة وعرضها على من يترجمها ممن له معرفة بذلك هنا ليتمم الكلام فيها.

«وأما قضية النصراني الذي هلك قبل وصوله لطنجة فقال : لا بد من الإمهال فيها ...

«وأما قضية الذمي المدعي ما ادعى نهبه له بباب الساكْمة، فصاحبها الذمي المذكور ليس

= «وأما الصبنيولي الذي مات بالطريق فقد كتبنا لك بأنه خرج صحيحا. وها رسم بذلك يصلك طيه. ولو علمنا أن به جرحا أو مرضا ما وجهناه ولقبضنا على الفاعلين به ذلك حينا. وقد بلغنا أنه لما وصل ميتا كشف عن جسده فلم يوجد به أثر ضرب ولا جرح».

27. الإشارة إلى ما فعله بنو حسن وردت في رسالة السلطان إلى برگاش في «الإتحاف» ج 2 ص 372. وها نصها : «...حتى أن بني حسن والبرابر جعلوا أشياخ الربيع وألغوا خلائف عمالهم، ولم يلتفتوا إليهم، وهمّوا بالمكر بهم، فأمسك الولاة بسبب ذلك عن القبض على الفاعلين المشار إليهم، خشية أن تنشأ عنه الفتنة من أولئك المرجفين ويفضي الأمر إلى ما هو أعظم من ذلك لكون أهل المغرب مجانين» الخ...

28. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 360.

بحاضر الآن هنا. وحين يأتي من سفره يروج الكلام فيها...»[29].

وتمت المصالحة على أحسن وجه، فكتب الخليفة لبركاش يعلمه «بالقضايا التي اشتكى بها نائب الإصبنيول، ومن جملتها قضية الكاتب مع عمر برادة ... فسامح عمر حسبما تقف عليه في كتابه لنائب الجنس المذكور الواصل طيه. فادفعه لمن هو له. وقد وجهه مفتوحا.»[30].

وها هو النص الكامل لرسالة برادة إلى خوسي ديوسدادو :

«بدر البدور، وصدر الصدور، الوزير الأعظم، والملاذ الأفخم، سنيور ضون خُصي ديوس دَضُوا. لا زائد على السؤال عن أحوالكم، أدام الله لكم البقاء.

«وبعد، فقد كنا كتبنا لكم بالأمر الذي وقع بيني وبين الفقيه الحاج صالح، وزير مولانا إسماعيل، حيث كان أمر البوابين بعدم دخولي وبضربي وبطردي عن ساحتهم وأخرجوني، مع كوني جئت طالبا للحق.

«وكنا أعلمناكم بالقضية. ثم بعد ذلك دخل في القضية الباشا الأمجد، والطالع الأسعد، سيدي عبد الله بن أحمد، وطلب مني الصلح والمسامحة فيما صدر من الفقيه الحاج صالح، رعيا لجنابه وجناب الخليفة مولانا إسماعيل. فأجبته إلى ماطلب مني وسامحت في حقي، لكونه ــ أي الباشا ــ لا يقابلنا إلا بالأمور المستحسنة، ولأن مرادي أن لا يقع مقلاق بين الدولتين، وأن لا يحصل على يدنا شنئان، وأن لا تكون لي دعوة بالحضرة الإصبنيولية. فهذه أمور أوجبت لنا الصلح والمسامحة.

«وأعلمناكم بهذا لتسمحوا كما سمحنا، حيث صار حقي حقا لكم. فسامحوا بارك الله فيكم، والسلام. في 10 قعدة الحرام سنة 1299، الموافقة 25 شتنبر عام 1882.

«محبكم : عمر بن ادريس برادة،وفقه الله. Aomar Barrada. Fèz»[31].

وجاءت رسالة الخليفة إلى السلطان لتخبره بنفس ما ورد في كتاب العامل ولتتطرق إلى قضاياها الأربع. ولكنها أوضحت أن قضية الطبيب الروسي قد فوصلت على يد الأمين المقري، وأن اليهودي غائب في دعوى له على المُسَاعدة والمختاريين من قبيلة بني حسن[32].

وانصرمت مدة طويلة. حتى إذا كنا في سنة 1888 برزت اتهامات أخرى في حق عمر الذي اتهم بأنه قتل مريضة تطببت عنده حسبما جاء في رسالة سلطانية:«عمر برادة قتل والدة

---

29. رسالة عبد الله بن أحمد إلى مولاي اسماعيل في 9 قعدة 1299 /22 شتنبر 1882، محفظة فاس 2.
30. رسالة مولاي إسماعيل إلى بركاش في 13 قعدة / 26 شتنبر، محفظة بركاش.
31. صورتها بمحفظة إسبانيا.
32. رسالة الخليفة إلى السلطان في 18 ذي القعدة 1299 /فاتح أكتوبر 1882، نفس المحفظة.

لحسيين ليتيمين ولدي الحاج محمد بن الحاج أحمد الزيدي التلمساني حيث عمد إلى ظهرها وشقه وصار يقطع منه اللحم إلى أن ظهرت كلاها وماتت بسبب ذلك. وعاين أطباء من فاس ذلك. وفر واحتمى بالزاوية الصقلية[33]. وقد أمر السلطان باعتقاله عند خروجه من الحرم المذكور.

فهل كان عمر طبيبا ؟ أم أن العلاج كان على يد أطباء آخرين مثل ابنه الطبيب بتطوان ؟ شيء يحتمل ولا يحتمل معا. جاء في رسالة عامل فاس أن «امرأة كانت تشتكي بعلة قاتلة، وكانت تتردد إليه للأخذ بيدها لدى الأطباء. فماتت منها بداره»[34]. وكان اسمها هو فاطمة بنت أحمد النكادي التلمساني، زوجة الزايدي المذكور. ولما كانت الهالكة وزوجها جزائريين تركت المسألة إلى التخاصم لدى القضاء.

ونفى وزير اسبانيا ما وقع نفيا تاما وطلب «رفع اليد العادية» عن برادة، فقال :

«وبعد، فقد وصلنا كتابكم تاريخ أمس التاريخ في القضية النازلة بالسيد عمر برادة مع المرأة المتوفاة بفاس. فالواجب علينا قبل كل شيء نعلمكم أن — بحسب الخبر الذي عندنا — : السيد عمر المذكور ما مس المرأة المذكورة وما أعطاها حتى دواء ولا علاج أبداً. ولكن إن كان الواقع بخلاف ذالك، ها أنا موجود لنسمع وكيل البنتين متاع المرأة المذكورة ولإعطاء الحق الواجب. ولذالك فليحضرْ، لدى دار نيابتنا هذه، الوكيل المذكور وليصحبْ معه الإثبات والرسوم المؤسس عليها شكايته. وكما في علمكم السيد عمر برادة هو ناتُراليزادو[35] صبنيولي، ولا تجري عليه إلا الشريعة الصبنيولية، ولا يحكموا عليه إلا حكامنا فقط. وبسبب ذالك، الوكيل المذكور يجب عليه أن يحضر لدينا. وحيثما يقع ذالك نرجوكم تكتبوا على عمر برادة وتوصوا عامل فاس عليه كي يمنع الهجم عليه ويوقره ويجعل الناس يوقروه كأحد من رعية الصبنيول»[36].

ويظهر أن الستار أُسدل على هاته القضية نهائيا. غير أنه بعد ثلاث سنوات عاد الكلام من جديد عن برادة وعما اتهمته به امرأة أخرى من أنه سلبها مال زوجها الطاهر برادة ابن عمه. جاء في رسالة لغريط «أن زينب بنت حمان الأودبي اشتكت أن عمر راودها عن بيع واجبها في الأماكن المتخلفة عن زوجها ابن عمه الطاهر. فباعت له ذلك كرها، ودفع لها بعض الدراهم مع خط يده وشهد عليها بالعدول وقبضها بداره إلى بين العشاءين وأمرها بالخروج.

«ولما وصلت لباب الدار قبض عليها متعلمه بوشتا وخنقها، وسلبها عمر الدراهم التي دفع لها مع خط اليد. وبعد ذلك ألحت عليه في رد ذلك لها. فوعدها برادة، على شرط أن تشهد

---

33. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 جمادى الأولى 1305 /24 يناير 1888، محفظة الطريس 12.
34. رسالة بوشتى ابن البغدادي إلى الطريس في 26 جمادى الأولى 1305 /9 يبراير 1888، نفس المحفظة.
35. أي مجنس باللغة الإسبانية naturalizado.
36. رسالة ديوسدادو إلى الزكاري في 21 يبراير 1888 رقم 36 /33 مكتبة تطوان.

بالعدول أن النصراني التاجر خَيْمِ الصبنيولي[37] النازل عنده هو الذي سلبها ما ذكر. واعترفت بذلك أمام عدلين. ولم يَرُدَّ لها شيئا، وذهب لمحل سكناها واحتوى لها على جميع حوائجها»[38].

هاته جوانب من سيرة عمر برادة، الذي لم يعد ـــ حسبما يلوح ـــ يمثل إسبانيا بفاس، فطلبت أن تجعل مكانه فليبي ريثو، وفق ما تقدم في بداية هذا الفصل.

37. هو خايمي طوري الذي تقدم بمراكش أنه من رجال الصناعة والذي اتهمه الطريس بالجاسوسية.
38. رسالة غريط إلى الطريس في 9 ربيع الثاني 1309 /12 نونبر 1891، محفظة الطريس 21.

5 : فـرنـــــسا

أ : السـلـك القـنـصـلـي

1. **شارل إيكار** كان حوالي سنة 1878 قنصلا متنقلا، وسيأتي طرف من أخباره.

2. **المختار الوجدي التلمساني** صار حوالي سنة 1880 وكيلا لفرنسا بفاس[1].

3. **الحاج حمادي بن عبد القادر الوجدي** الجزائري تولى الوكالة بهاته المدينة حيث كان بها مولده[2]، وكان لا يزال وكيلا حتى سنة 1893.

4. **ده مارسيلي** de Marcilly رغبت فرنسا في تعيينه قنصلا أو وكيلا عنها سنة 1892، بعد محاولة إنجلترا نصب قنصليتها بالمدينة. وكان قاطنا بفاس قبل هذا التاريخ بمدة طويلة. ولذلك التمست أن يخوله المخزن دارا ومكانا لعمله ولتعليق الراية الفرنسية[3]. فأجابت السلطات المخزنية أن له أن يتخذ فقط حانوتا لنفسه. وفي سنة 1894 طلب غريط من الطريس أن يدعو نائب فرنسا إلى تأخير الحديث في الموضوع، لكن ده مارسيلي صار وكيلًا في أواخر السنة المذكورة[4].

ب : المـحـمـيـــون

ب 1 : من القائمة المحلية لليهود المحميين (1880)

1 ــ 16 : دابيد بن حجوط، وسعدية بن مارسيانو، وابنه حايم، والياهو بن شلومو بن عمور، ومخلوف ابن المسلّم وأبوه، ويعقوب الليبي، وشاويل بن شطريت، وميمون بن

---

1 . «الوثائق» ج 4 ص 493.

2 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 304.

3 . رسالة دوبيني إلى غريط في 2 حجة 1309 /28 يونير 1892، محفظة فرنسا.

4 . رسالة غريط إلى الطريس في 14 حجة 1311 /18 يونير 1894، محفظة الطريس 26 وكذلك روجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 161.

مامان، وميمون بن سوسان، وبنيامين بن زازون، ويمين كوهن، والياهو بيطون وأخوه مسعود، وإسحاق بن ميمران، والحزان يعقوب بن هارون كوهن الذي كان متطاولا على الولاة[5]. وكان هؤلاء جميعا محميين استثنائيين.

ب 2 : مـن غيـرهـا

17. **الحبيب بن علي الدسولي** كان كاتبا في القائمة العامة سنة 1883.

18. **أسير الليبي** ولم يرد لحمايته من تاريخ[6].

19. **أبي قاسيس** كان من يهود الجزائر، وتستر بالحماية، لأنه كان سكيرا ومشاكسا[7].

20. **التهامي بوجنان** كان سنة 1880 مستخدما.

21. **الحاج علي بوطالب الحشمي** الذي كان سنة 1885 ترجمانا لوكيل فرنسا بفاس[8].

22. **شلومو عطية**، من يهود الجزائر، اغتيل بأحواز فاس سنة 1885، وكان مرابيا[9].

23. **الحسن بن الطيب الوزاني**، المولود بفاس سنة 1865، وكان من كبار الملاكين[10].

24. **محمد مالي الصنهاجي** كان من سرّاد الحديث بالحضرة الشريفة وأصبح هو وإخوانه سنة 1893 محميين ولكن المخزن لم يسوغ ذلك[11].

ومما يذكر عن هذا المحمي «الفقيه العلامة المفتي النوازلي» أنه صاحب تأليف عنوانه «البشارة التي تسر الناظرين، في حديث : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين». والغريب أنه لم يعد ظاهرا على الحق، فخالف جملة وتفصيلا ما جاء في هذا التصنيف، وأتى فيه بهراء إلى حد أن ذكر قاضي مكناس أحمد بن سودة بأن «كتاب مالي لم يسعه مراجعة أحاديثه المنقولة فيه في مواطنها. وأما تصرفاته فهي لا تخلو عن نظر»[12]. وذلك يعني بلا ريب تلبسه بالحماية. وقد توفي فجأة في بداية سنة 1914.

---

5 . «الوثائق» : 5 ص 107.
6 . ذكر في وثيقة عارية من التاريخ بمحفظة فرنسا.
7 . «الوثائق» : 4 ص 497.
8 . رسالة إلى الطريس في 6 صفر 1305 /24 أكتوبر 1887، محفظة الطريس 11.
9 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 456 (6).
10. أ. بروشي : «الكتاب الذهبي ...» ص 64.
11. رسالة مخزنية إلى الحاج حمادي في 5 ربيع الأول 1311 / 16 شتنبر 1893.
12. العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 7 ص 212.

ت : السـمـاسـرة

ت 1 : من القوائم الفرنسية العامة

1 ـ 3 : **الحاج ادريس برادة** سمسار إيرنيست أسطير E. Aster، **وعبد السلام الصفراوي** سمسار ليون كوين، **والحاج ادريس السلاوي** سمسار بنسيمحون.

4 ـ 5 : **يعقوب بنسيمحون ومخلوف بنسيمحون** سمساران لمسعود بن يلُوز.

6. **الحاج الخياط بن زكري** سمسار ڤيطالي Vitally.

كافة التجار كانوا في مرسيليا، وهؤلاء السماسرة كانوا شركاء لهم من 1882 إلى 1885 على الأقل [13]. ولربما استمروا في خدمتهم بعد ذلك.

7. **الحاج محمد الصبايحي** سمسار بنسيمحون سنة 1884 حتى عدل عنه سنة 1885.

8. **مسعود بنسيمحون** كان قبل سنة 1883 نائبا عن البنك طرانزاطلانطيك.

ت 2 : مـن غـيـرهـا

9 ـ 11 : **يوسف بنسيمحون والحاج علال بن زاكور** وكانا سمسارين لتجار من مرسيليا[14] لم تذكر أسماؤهم، و **عبد العزيز الكتاني** سمسار بنسيمحون سنة 1882 و 1883 قبل عدوله عن الحاج محمد الصبايحي [15]. وكان نائب بنسيمحون هو إيريك ڭوان (?) E. Goin القاطن بطنجة. وسنفرد كلاما عن الكتاني في خاتمة هذا الفصل.

ث : المسـتـوطـنـون

كانوا جد قليلين في هذا الوقت. ومنهم :

1. الأخوان هنري وجوزيف **روبيك** Robic اللذان أسسا مصنعا للمشروبات سنة 1894.

2. **جـان فـابـاريـس** J. Fabarès كان مديرا للبريد الفرنسي بين فاس وطنجة سنة 1892، ولعب دورا في الكواليس بين سنتي 1895 و 1907. وكانت تربطه علاقات مع أعضاء المخزن ورجال الأعمال. وكان مكانه بدرب المشرم، قرب باب الجيسة[15].

---

13. مييج : «وثائق التاريخ» ص 250.
14. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 449 (2 و 3).
15. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 247، وروجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 161.

3. **ليون بييرون** L. Pierron طبيب للعيون طلب من المخزن رخصة للعمل وحانوتاً بفاس[16].

4. **جورج برونشويك** (?) G. Brunschwig أغلب الظن أنه هو الذي كانت تدعوه الوثائق المخزنية برونزويك أو زويك. فإذا كان هو الشخص المعني، فقد استوطن طنجة زمنا ثم رحل إلى فاس. وكانت له روابط تجارية وطيدة مع المخزن، وصلة بدوائر الاتحاد الإسرائلي، لأنه كان يهوديا. ويرجح أنه هو الذي كان مديرا للمدرسة التي شيدها الاتحاد لأبناء اليهود بملاح فاس.

وجاء عنه في رسالة المحتسب سنة 1892 : «ذمي اسمه زويك من حماية الفرنصيص يتجر بدار لورثة ابن المدني بنيس بدرب الطويل من فاس اكتراها من الحاج الخياط ابن زكري بما يقرب العام، وترتب له في تجارته بذمة التجار وغيرهم نحو مائة وعشرين ألف ريال، وذهب للعامل للمفاصلة، وصار يحضر كل يوم للفصال مع من قيد طرته[17] من المسلمين والنصارى. وفي حضور النصرانيين[18] بدعة مضرة يعسر ردها»[19].

وممن كانت له علاقة به الأمين الحاج محمد كَنون الذي استدان له سنة 1888 بـ 42 ألف فرنك [20] وعثمان بن جلون. فكتب برونشرويك إلى المحتسب وإلى العامل مطالبا بدينه[21].

وقد سلف شيء من الكلام عنه بطنجة، وظل ساكنا بفاس حتى قبيل معاهدة الحماية[22].

5. **شارل إيكَار** ch. Hecquard كان شارلو قنصلا متنقلا. وحوالي سنة 1878 كان مقيماً بفاس وكذلك سنة 1881، وفي الوقت نفسه كان ترجمانا بالمفوضية بطنجة. وعند انعقاد مؤتمر مدريد كان من معيني الأميرال جوريس ممثل فرنسا فيه. وكانت له قرابة بمدير جريدة «الكالبينسي El Calpense» الإسبانية ذات الميول الفرنسية. إلا أن أساليبه في العمل لم تكن سليمة[23].

وصفه الحاجب فقال : «شارل إكار لا يخفاك خبثه وفرط طيشه وشدة ثقله»[24]. وبركَاش

---

16. رسالته في 9 يبراير 1883.
17. المقيدون في الطرة هم : الحاج محمد القباج المدعو الفرنصاوي والحاج محمد بنعيش والطاهر ابن الامين الذي سيصير محميا بريطانيا وماك إڤير ماكليود وجان فاباريس المشار إليه أعلاه.
18. هما الشخصان الأخيران المذكوران في الهامشة السالفة.
19. رسالة المحتسب إلى السلطان في 20 جمادى الأولى 1311 /29 نونبر 1893، محفظة فاس 2.
20. رسالة فيرو في 5 جمادى الثانية 1305 /18 يبراير 1888، محفظة فرنسا.
21. رسالته إليهما في 24 جمادى الثانية 1311 /2 يناير 1894، نفس المحفظة.
22. موريس له كَلي : «حولية مغربية — 1911» ص 192.
23. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 71 (5) و ص 69 (6).
24. رسالته إلى عبد الله بن أحمد في 28 رمضان 1297 /3 شتنبر 1880، محفظة فرنسا.

اشتكى منه إلى السلطان طالبا من الله «أن يكفينا شره»، وذلك لما كان ينوب عن ده ڤيرنويي الذي كان يقضي عطلته السنوية خارج المغرب[25]. فرد : «وابتهلت إلى الله تعلى أن يكفينا أمره، اللهم آمين، وكذلك أمر غيره، ما في علمنا وما لم نعلم»[26].

وكأنه كان يعرف ذلك، ويدرك أنه مقلق للراحة وأن أعضاء المخزن معرضون عن تلبية طلباته. ومن أجل ذلك كتب إلى برݣاش متمنيا أن يأتي «الجواب الشريف شافيا مبرئا للعلل، فلم يجاوبني» الوزير محمد بن العربي «جوابا تاما يحصل منه على طائل. فأجوبته كلها ناقصة لا تحصل منهم (= منها) فائدة، مع أني متحقق بمحبة سيدنا لنا.

«ومن جملة عدم اعتناء الوزير بنا وإهماله لنا أننا وجهنا رجلا من أصحابنا لحضرة سيدنا اسمه التهامي بوجنان بمكاتيب للفقيه الوزير ومكاتيب للفقيه السيد أحمد بن موسى.... فإذا به قبضه الوزير وسجنه بلا سبب يوجب سجنه، وخرج عن العادة : فإن الرقاص لا يسجن ولا يضرب.

«ثم كتبنا في شأنه يسرحه ويصلح خاطره. فأجابنا عن شيء آخر وألغى الجواب عن التهامي المذكور، وطواني في الإهمال كأني لست من أحباء سيدنا مع أني من أخص أحبائه... حتى أن بعض أشغاله وردت علي وولدي مريضا (= مريض) حتى توفي ولم ألق له بالا...

«وعليه فنطلب منك أن ترفع هذه لحضرة سيدنا العالية بالله...»[27].

وبعد أن رزىء بفقد ولده، حدثت له إصابة يوم 7 أبريل 1881 فتكسرت رجله، وذلك أن «نائب الفرنصيص شارل إكار تلاق بسيدنا نصره الله في الساعة التاسعة من تاريخه، وهو يوم الخميس السابع من جمادى الأولى. ولما خرج من عند سيدنا أمر ــ أيده الله ــ بأن يتوجه لأݣدال بقصد الفرجة وطرد الكسل وجلب النشاط اعتناء به، فتوجه له.

«ولما دخل إليه ركض فرسه وغار على نعامة من النعام الذي (= التي) به. فعثر به الفرس في ساقية الماء، فسقط من ظهره. فتعلق بالفرس لينهض من الساقية فضربه على عظم ساقه اليمنى فكسره. وذالك في الساعة العاشرة من اليوم المذكور. وبنفس وقوع ذالك له أنهيناه لسيدنا نصره الله. فوقع منه موقعه وتأسفنا عليه غاية، نحن وجميع أعيان الحضرة المولوية. وفي الحين وجه له سيدنا أعزه الله طبيبين يجعلان له الجبيرة والمحفة لحمله لمحل نزوله بالمدينة. وتوجهنا نحن وكبراء الحضرة الشريفة حتى حمل لمحله وسليناه وصبرناه وأنهضنا رقاصا في الحين لعامل رباط الفتح بأن

---

25. رسالته إلى السلطان في 29 رمضان 1297 / 4 شتنبر 1880، نفس المحفظة.
26. رسالته إلى برݣاش في 8 شوال 1297 /13 شتنبر 1880، نفس المحفظة.
27. رسالته إلى برݣاش في 20 شوال 1297 /25 شتنبر 1880، محفظة برݣاش.

يوجه طبيب فرنسيصي يدعى به[28] بحضرة سعيدة بنفسه معالجة كونه قدر بالتوجه عليه.

«وسيدنا أيده الله لا يقصر في المبرة به والاعتناء بشأنه حتى ينتعش ويذهب داؤه، لأنه ضيف جنابه العالي بالله ومرسول دولة من أخص الدول المحبين عند سيادته»[29].

ويبدو أن أثر تلك الكبوة ظل مشهورا، لأن الحديث عنها كان لايزال مستمرا سنة 1886 في رسالة مخزنية تتكلم عن «خليفة الفرنصيص إكار الذي انكسر من رجله سابقا»[30].

هذا ولما كان إيكار مستعربا كان يضع علامته بالعربية. وكان السفير الفرنسي بطنجة يقدح في هذا التوقيع ولا يعتمده «فاحتج عليه بأن تلك العلامة بها كان يتصارف نيابة عن دولته فيما هو أعظم وأهم من الدعاوي في مدة خلافته كلها...»[31].

وأخيرا نصل إلى تصرفاته. فقد ورد في رسالة جون هي إلى الحاج محمد الزبدي سنة 1881 : «فقد أُخبرنا بوجه السر أن ترجمان الفريصيص الذي هو الآن بالحضرة الشريفة خاطب بأن يسلف من جهة دولة الفرنصيص عددا من المال ليجعل بها سكة النحاس بافرانصة. لكن السلطان لم يقبل ذلك... الظاهر لنا أن هذه الإشارة ليس من جهة دولة الفرنصيص، وإنما هي من كُبَّانية للفرنصيص الذين يريدون يسلفوا المال لكي يربحوا في هذه الفذلكة...

«وصل خبر هنا أن ترجمان الفرنصيص سائر يبيع الحمية ليهود مكناس ... فاذكر للسلطان أيده الله يجعل جهده ليفضح هؤلاء الناس الذين يطلبون الحمية... فهو قد خرق الشروط ويستوجب العزل من دولة الفرنصيص بأن تصدر الشكاية به.

«فلا بد أن السيد محمد برݣاش أن توجد منه «زْعامة» ليفضح هذا... فقد سمعنا أن الترجمان الفرنصيص ذكر بأنه محب على وجه السر لدى البْريزِدَنْت ولغيره من كبار الفرنصيص. فهذا هذيان وإفك...»[32].

ج : عبد العزيز الكتاني

كان سمسارا لشخص من طنجة يدعى إيريك ݣوان، النائب عن ابن سيمحون من مرسيليا. وكان أورديݣة قد طلب سنة 1882 جعله في هذا المنصب التجاري مثلما التمس اتخاذ

---

28. هو الدكتور ليناريس.
29. رسالة محمد بن العربي إلى برݣاش في 7 جمادى الثانية 1298 /7 ماي 1881، محفظة برݣاش.
30. رسالة أبي بكر الحباسي إلى الطريس في 24 حجة 1303 /23 شتنبر 1886، رقم 71 /122 بتطوان.
31. رسالة السلطان إلى برݣاش في 28 شعبان 1300 /4 يوليوز 1883، محفظة برݣاش.
32. عبد الرحمان ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 448 و 449.

حاج الخياط بن زكري سمسارا لرودولفو بيدال R. Vidal الإسباني النائب بطنجة عن قيطي[33].

ومع أن المخزن اعترض على هذا التعيين[34]، فلا شك أنه سلمه بعد ذلك، وفي الأخير تحول الكتاني إلى الحماية الألمانية كما سيأتي. وقد تحدثت رسالة عن عبد العزيز أو عزوز الكتاني الذي كان سنة 1869 من مستوردي السكر وحبوب البن من طنجة[35] والذي ادعى سنة 1881 أن بضائع قد سرقت بدار سلعته، ومن جملتها 40 صندوقا من الشاي. فطالب سفير فرنسا بأداء ما سرق له منها، وذكرت رسالة أن «أحد البيّاتين هنا قبض على صندوق أتاي من تلك السرقة بيد السيد محمد بن عبد القادر برادة. ولما قبضتُ عليه سرحته. وأردت رفع القضية للشرع...

«فاعلم رعاك الله أن هذه النازلة حين وقوعها رفعت إلينا وادعى بها الشريف على السيد محمد المذكور. واستقصي في البحث عليه فلم يوجد. وأحضر والده المذكور وأُلزم إحضار ولده المدعى عليه، فعجز عن حضوره وأدلى برسوم تتضمن براءته في ولده وإبعاده عنه. فلم نقبل ذلك منه وقبضنا عليه. ثم بعد أن مكث في السجن مدة، ورد من تصدى للكلام في قضيته، مريداً استخلاصه من سجنه. فلم نلتفت إليه، ولا سمعنا له قولا، وأبقينا الرجل في السجن إلى أن أخذ هذا المتصدي في الدعوى مع الشريف المذكور لدى القاضي، حتى أخرج حكمه بتسريحه وسرح على يد الشرع.

«وأما المقبوض بيده الصندوق، فلم يظفر به أولاً حتى يسرح، وإنما قبض على والده. وكان من أمره ما ذكر. وأما القول بأن عامل البلد عارف بأهل التهم من غيرهم فمعرفته متعلقة بمن بلغه خبره لا غير. وأما الاطلاع على أحوال الجميع من الصالح والطالح، فليس ذلك من كسب الإنسان لأن هذا مِصْرٌ كبير حاوي لخلق كثير من الصلحاء والطلحاء...»[36].

وهكذا فر محمد برادة الذي توجهت إليه الظنون. لكن الدعوى ستبقى حيث هي. وجاء في رسالة سلطانية أن الحاج عبد القادر المقبوض في شأن ولده «أقام وكيلا عنه، واستدعي الكتاني للقاضي المذكور، وقيد عليه المقال بأنه سجن موكله من غير موجب شرعي وطال سجنه ولحقه الضياع. فأجابه الكتاني بأن الذي سجنه هو العامل، فجعل الوكيل موجبا بأن موكله ليس من أهل التهمة، وعين ثلاثة من الضمان منصفين. وخُيّر الكتاني فيهم، فاختار أحدهم وضمن له حضور موكله متى شاء. ولما رضي الكتاني بالضامن، وكان الولد المتهم بالسرقة كبيرا ليس تحت

---

33. رسالة أورديگة إلى برگاش في 17 محرم 1300 /28 نونبر 1882، محفظة برگاش.
34. جواب برگاش إلى أورديگة في 24 محرم 1300 /5 دجنبر 1882، نفس المحفظة.
35. مستفاد طنجة في جمادى الثانية 1286 / شتنبر 1869، محفظة طنجة 1.
36. رسالة عبد الله بن أحمد إلى برگاش في 24 رجب 1299 /11 يونيو 1882، محفظة برگاش.

حضانة أبيه، ولا جاريا عليه إنفاقه ولا سكناه معه، سرح القاضي مولاي محمد والده»[37].

ثم جاء في دفتر الشكايات الفرنسية في 9 مارس 1883 أن عزوز ذكر أن ما سرق له من دار سلعته قدره «ثلاث وخمسون مائة ريال وخمسة وأربعون ريالا لكون ذالك ليس للكتاني، وإنما هو لتاجر افرانصيصي بمرسيلية... فأجابت الحضرة الشريفة بأن عامل فاس كان قد أجاب عن هذه الدعوى ... وثبت عنده أن الكتاني أقر للناس بأن برادة لم يسرق له إلا صندوقا من الأتاي، وأنه حازه ووجه نسخة من شهادتهم بإقراره بذالك...»[38].

وآلت القضية إلى نوع من المراضاة. فقالت رسالة للسلطان، مفيضة في اعتبارات قانونية وسياسية، إن بركاش عمل «الصلح مع باشدور الفرانصيص في سرقة الكتاني بثلاثة آلاف ريال ... والصلح مشروع. فأما ما اعتذر به على امتناعه من حيازة مواجب الكتاني، وعرضها على الشرع مع مواجب العامل من كون ذلك مخالفا لشروطهم، فمُسَلَّمٌ إن كان آخذا بشروطهم، لأنها تضمنت أن المخزن هو الذي يحكم في دعاويهم مطلقا على وجه الحق، سواء كان الشاكي من رعيتنا أو من رعيتهم، لا الشرع ؛ وغير مسلَّم إن كان آخذا بشروط النجليز والصبنيول، لأنها تضمنت أن الشاكي إن كان من رعيتهم والمشتكى به من رعيتنا يحكم فيها المخزن لا الشرع. وعلى كلا شروطهم وشروط من ذكر فالحكم في هذه الدعوى للمخزن أو للقاضي.

«وقد فعل المخزن ما يقتضيه الحق من سماع من المدعي والمدعى عليه... حتى ثبت عنده بطلانها. ومع ثبوتها عنده، تُثَبَّت متى أدلى المدعى عليهم ببراءتهم منها بمواجب صحيحة، عدولها ثقات مبرزون من حاضرة المغرب، مخاطبا عليها قاضي قضاته. لأن الدعاوى إن كانت جَلِيَّة فلا يحتاج المخزن في الحكم فيها لمواجب. وإذا كانت خَفِيَّة كدعاوى اللطخ وما يرجع لتعمير الذمم وإفراغها، فيحتاج في الحكم فيها إلى ذلك، احترازا من الوقوع في الظلم المحرم في جميع الملل.

«سيما وهذا المحل الواقع فيه السرقة ليس من المحال المخوفة التي يُحمَّل على أهلها ولا يسمع لهم كالقبائل المعروفين بالعداء، بل محل أمن وراحة وسكينة وهناء وحضارة وتمدن، وأهله معروفون بالديانة والصدق والأمانة والمروءة والشمرة والتحاشي عن الأمور الدميمة المخلة بالمروءة.

«فإذاً، يتعين سماع قولهم والنظر في دعواهم. وأحرى في هذا الوقت الذي عمت فيه البلوى بما لا يكاد يخفى عليك ولا على الباشدور من أكل المقارضين أموال التجار، إما سفها وإما اضطرارا بالمسغبة، وادعائهم على الناس بالباطل. وكم من مقارض مقبوض عندهم على مثل ذالك !

37. رسالة السلطان إلى بركاش في 3 محرم 1300 /14 نونبر 1882، نفس المحفظة.

38. النقطة الثانية من «بيان الدعاوي التي تكلم فيها نائب الدولة الفرنصوية الفخيمة المعتبر مونفري الوافد على الحضرة العالية بالله، في 29 ربيع الثاني عام 1300، وأجوبة الحضرة الشريفة عنها» محفظة فرنسا.

«وهذه السيرة التي أريد إحداثها الآن في الدعاوي تؤذن بأن كل مقارض أكل أموال تاجره وتستر بالحماية وبادعاء الباطل يقبل ادعاؤه من غير بحث ولا إحضار موجب، ويجعل دركه على المخزن كالخياط ابن زكري والمحدَّث عنه»

وحيث ألزم جوار الكتاني غرم ما ضاع له أضافت رسالة السلطان : «فها نحن أمرنا عامل فاس بإلزام المتهمين أداء الثلاثة آلاف ريال وتوجيهها لك. وإن كانوا ظالمين ولا محالة يؤدونها ويسكتون، وإن كانوا مظلومين فيؤدونها ويطلبون حقهم. والسلام»[39].

ويبدو من هاته الرسالة أن أمره قد أرهق السلطان، فحاول التخلص من القضية، ولكنه تدارك ذلك حينما قال لبركاش إن أهل فاس المجاورين «لمحل عزوز الكتاني الذي زعم سرقته بأداء الثلاثة آلاف ريال الواقع بها الفصال على يدك في دعواه بذلك. ذكروا أنه لم يسرق له شيء وطلبوا إعمال الحق معه في ذلك بطنجة على يدك.

«وهاهم يردون عليك والمقصود في ذلك هو تحقيق القضية وإشهارها حتى يظهر الحق من الباطل»[40].

كان السلطان يعلم أنه يتحايل في دعاويه : «عزوز الكتاني الذي كان زعم من قبل سرقة خزين سلعته بزنقة حجَّامة صار يخالط من يريد التستر فيه من فُسَّاد الزراهنة، ويدعي الشركة معهم في الحرث والماشية والزيت وغير ذلك ليتوصل للادعاء بنظير ما ادعاه بزنقة حجامة ويجعل هذا رأس ماله...» ولذلك أمر بإلغاء دعاويه مع الزراهنة[41].

---

39. رسالته إلى بركاش في 28 شعبان 1300 /4 يوليوز 1883، نفس المخفظة.
40. رسالته إلى بركاش في 7 ربيع الثاني 1301 /5 يبراير 1884، نفس المخفظة.
41. رسالته إلى الطريس في 28 رمضان 1301 / 22 يوليوز 1884، محفظة الطريس 4.

6 : باقي الدول

أولاً : ألمانيا

أ : السلك القنصلي

لم يكن لها سلك قنصلي ولا محميون في أواخر القرن التاسع عشر، ولكن كان ثمة بعض السماسرة والمستوطنين. وعلينا أن نشير إلى أن الحاج محمد بن زاكور تولى لبضعة أشهر من سنة 1903 تسيير الوكالة القنصلية. وكان تاجرا أغرق أسواق فاس بالبضائع الألمانية. وكان أيضا متهما بقتل بعض الأشراف فتابعته السلطات المغربية، مما أحدث خلافات بين المخزن والمفوضية[1].

ب : السماسرة

1. **عبد العزيز الكتاني** طلب له سنة 1884 أن يكون سمسارا للتاجرين هيسنير ويواخيمسون. لكن اسمه لم يرد في أية قائمة سنوية ألمانية، فلم تثبت حمايته لأنه استدان لهذين التاجرين بألفي ريال، فطالب سفير ألمانيا بتطبيق حجز تحفظي على أملاكه يسبق الحجز الذي طلبه ضده سالومون البحر المحمي الإنجليزي من أجل 500 ريال[2].

2. **بودة بن دابيد العلوف** ورد اسمه في القائمة الألمانية لسنة 1897 بوصفه سمسارا للتاجر ريخطر.

ت : المستوطنون

1. ريخطر Richter وقد أنشأ سنة 1895 دارا تجارية كان يعمل بها شخصان ألمانيان[3].

---

1 . كَين : «ألمانيا ....» ص 403.

2 . رسالة فيبير إلى بركاش في 7 يبراير 1884 ورسالة تيستا إلى الطريس في 3 دجنبر 1885 وموجب تبرئة الكتاني في 17 جمادى الأولى 1303 /21 يبراير 1886، محفظة الطريس 7.

3 . روجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 161.

2. **الدكتور هوغو (؟) فيندل Hugo Vendel** كان مقيما بفاس سنة 1885 وكان يدعى الطبيب فندل[4]. وكان سنة 1887 يعمل في صناعة المصارين ويستخدم معه بفندق بفاس عدة عمال ذكور، وانتقل إلى الملاح فصار يستخدم معه النساء[5]. وكان من قبل مستخدما بأحد الفنادق بالدار البيضاء[6].

3. **ألفريد ڤ. روست A. W. Rost** ألماني استوطن فاسا في ماي 1892 بوصفه عميلا لشركة سويسرية بطنجة يمثلها ڤورت Würth، ولكنها عزلته لأنه كان كثير الشجار مع السكان وغريب الأطوار ومضرا بمصالح ألمانيا زيادة على كون تلك الدار السويسرية عرفت بتجارة السلاح[7].

وفي سنة 1893 اشتكت السلطات المخزنية من نشاطه. فقد «توجه إلى زمور وباع في تلك القبيلة عددا من المكاحل واشترى عددا من الغنم والبقر ورجع لفاس وأخذ في بيع ذلك»[8].

4. على أنه لما بدأت التجارة الألمانية تغزو المغرب عقد **إ.گ. دانبرغ E.G. Dannemberg** معاملات مع بعض تجار فاس قبل سنة 1894. وكان من زبنائه من آل بنيس محمد وأخوه الحاج عبد الكريم بن العربي ومحمد بن الحاج ادريس، ومحمد بن الحاج المفضل، ومحمد بن عبد الوهاب، وأحمد بنشقرون ومحمد بن محمد بنشقرون وأحمد بن الخياط. وكانوا جميعا مدينين له من أجل سلع اشتروها منه ثم تقاعدوا له عن ثمنها. ولذلك أمر السلطان عامله بإجراء اللازم في ذلك[9].

ثانيا : ايطـالـيـا

1. **الحاج عبد النبي بن الحاج إدريس بناني** كان يراد جعله وكيلا قنصليا بإشارة من محمد القباج. فرد المخزن على طلب كانطاغالي بأن الحاج عبد النبي ليس مسجلا في زمام المحميين[10]. وفعلا لم يرد له ذكر في أية قائمة سنوية إيطالية.

2 . **يوسف بن الأزرع** صار سمسارا لدابيد أزولاي إلى أن نزع من الحماية[11].

---

4 . رسالة السلطان إلى الطريس في 15 ربيع الأول 1303 /22 دجنبر 1885، محفظة الطريس 6.

5 . رسالة عامل فاس إلى الطريس في 24 جمادى الأولى 1304 /20 مارس 1887، محفظة الطريس 9.

6 . گيين : «ألمانيا ...» ص 60.

7 . گيين :«ألمانيا ...» ص 403.

8 . رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رمضان 1310 /9 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.

9 . رسالة السلطان إلى علي الراشدي في 15 شوال 1311 /21 أبريل 1894، محفظة ألمانيا.

10. رسالة كانطاغالي إلى بوشتى ابن البغدادي في 11 غشت 1888، وجواب الطريس إلى كانطاغالي في 13 غشت، محفظة ايطاليا.

11. رسالة كانطاغالي إلى الطريس في 4 يوليوز 1890 /16 قعدة 1307، نفس المحفظة.

ثالثا : البرتغال

1. **مسعود بن البحر** محمي في قائمة المحميين اليهود سنة 1880.

2. وكان **الحاج محمد بن أحمد شلّال** في خدمة مانويل خيسوس كولاصو المقيم بطنجة. وكان قبل ذلك سمساراً لبرديكاريس حتى تنازعا وحذف من قوائم المحميين. وقد وقع له إفلاس، وكانت عليه دعاو كثيرة[12].

رابعا : بلجيكا

لها محمي واحد في القائمة المحلية سنة 1880 : **يوسف بنسيمحون.**

خامساً : النمسا

وفي نفس القائمة ذكر محمي للنمسا هو **إسحاق يعقوب.**

وكان لكارليس كيلنير Carles Kellner القاطن بڤيينا شركة مع أهل فاس مثل عبد الرحمان بن حمادي بناني وأخيه حمادي وعبد الرحمان القصري وعمر برادة[13] وذلك سنة 1890.

وهناك مستوطن أو سائح نمساوي اسمه ݣاردنيت (?) Gardinet كان يقطن بفاس سنة 1893. وقد ورد عنه أنه كان تاجرا في السلاح بمشاركة الألماني رُوست سالف الذكر[14].

ولما بلغ الخبر إلى السلطة المحلية، رامت طرده، فأعلمت قنصل النمسا پوليسلاڤسكي الذي قال في جوابه : «لا مانع من إخراج مُسْيُ كَرْدِنِيتْ، أحد رعية أُنكْرِيا، من فاس، إن ثبت ارتكابه للأفعال التي ذكرتموها في كتابكم ثبوتا قطعيا....»[15].

---

12. رسالة كولاصو إلى الطريس في فاتح أكتوبر 1887، محفظة البرتغال.
13. رسالة پوليسلاڤسكي إلى الطريس في 11 ربيع الثاني 1308 /24 نونبر 1890، محفظة النمسا.
14. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رمضان 1310 /9 أبريل 1893، محفظة الطريس 24.
15. جواب پوليسلاڤسكي في 5 ماي 1893 /18 شوال 1310، محفظة النمسا.

الباب الثالث عشر

باقي المدن وملاحق ختامية

سينقسم هذا الباب إلى جملة من الفصول :

— الأول عن مكناس،

— والثاني عن النواحي المتبقية كوزان والريف والقصابي،

— والثالث سيكون مخصصا لجداول عامة للمحميين والسماسرة،

— أما الرابع فسأدرج فيه نص معاهدة مدريد التي يسعى هذا الكتاب إلى تبيين الأحوال التي اكتنفت تطبيقها، وبعدها رسالة لمولاي الحسن حول استشراء الحماية.

وعلي أن أعترف بأني أغفلت الكلام عن مدن أخرى مثل سلا ووجدة وتازة التي اضطلعت بأدوار شتى في تاريخ المغرب، والتي ليست على شرطي في الحماية والاستيطان، إذ ليس فيها محميون ولا مستوطنون. ومثل هذا يقال عن سوس: فلم تكن مرسى أكادير مفتوحة للتجارة ولا للاستيطان الأجنبي، غير أن رودانة كانت تحتوي على قليل من المحميين سبق الحديث عنهم وعن غيرهم بدمنات وقبيلتي ورديغة والسراغنة.

1 : مكنــــاس

المطلب الأول : الـولاة والسكـــان

أ : الــــولاة

1. بعد حمان الصريدي ومحمد بن الشاهد[1]، ولي على مكناس **محمد بن العوّاد الكبير الخلطي البوجنوني**. وكان ذلك في فاتح شعبان 1256 /28 شتنبر 1840.

إلا أن هذا الباشا الذي كان أحد الضباط أحدث في الجيش البخاري سنة 1842 «أمورا شنيعة، من بيع المراتب والخطط، وتوليتها غير أهلها... وإلزامهم المغارم، زيادة على خيانة الرواتب الشهرية، والغفلة عن تفقد الأسلحة والعدة والخيل... وتصدى لأرث كل من حانت منيته من المخازنية، وحيازة متروكه، وبيع أصله، ومنع ورثته.

«وأما أهل مكناسة فقد سار فيهم سيرة جور وعسف، وأذاقهم عذاب ظلم وخسف، بجعل حيل ونصب حبالات وأساليب لاستخلاص الأموال ومصادرة ذوي الأغراض. وأفضى به الحال إلى جعل ديار مخصوصات للفساد، وتوظيف خراج على الفاسدات في كل شهر. ولم يكفه ذلك كله... ولما تفاحش أمره، وفشا في الرعية شره، قبضنا عليه ووجهناه لفاس بكبله...»[2].

2. «... فشرح الله صدرنا لتولية قائد مشورنا السعيد القائد **الجيلالي بن بوعزة [البخاري]**، لِما بلوناه من نصحه ومحبته، وعلمناه من دينه ومروءته»[3].

3. **الجيلالي بن العوّاد** كان حوالي سنة 1848/1264 عاملا على مكناس[4] ولربما كان أيضا مجرد قائد بالجيش آنذاك. إلا أنه كان سنة 1263 /1847 «قائد فتنة لازال لم يغسل عارها،

---

1 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 77.
2 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 49 و 50.
3 . نفس المرجـــع.
4 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 5 ص 227.

وسبب محنة أصلاه [الله] نارها، مع خبث لسانه، وعدم إحسانه»[5].

4. الحاج المجذوب بن محمد ابن الغنيمي صار عاملا سنة 1274 /1860 أو قبلها[6] حتى أدركته الوفاة.

5. وحينئذ ولي على المدينة مَحمد (فتحا) بن أحمد خنشيش وكان من قبلُ قائد مائة على فرقة من الجيش البخاري بقصبة تمارة[7].

6. وبعده استعمل ابنه ادريس خنشيش على مكناس. ولم يعرف متى صار عاملا، إلا أنه كان يشغل هذا المنصب سنة 1290 /1873 عند ارتقاء الحسن الأول إلى العرش [8]. وفي منتصف سنة 1879 عزله السلطان[9]

7. وولى مكانه حمو بن الجيلالي التروكي السرغيني الذي استمر باشا على المدينة سنين عديدة، وكانت وفاته أوائل عام 1900/1318 بمدينة تارودانت[10].

ب : السكان

لم أقف على تفاصيل وافية عن تطور عدد سكان مكناس عبر عقود القرن التاسع عشر، سوى أنهم بلغوا 50 ألفا سنة 1866 حسبما جاء في مصدر أجنبي[11]. ويستغرب هذا المصدر أن يرد أهل مكناس إلى 20 ألفا فقط في أواخر القرن[12] سنة 1900.

ومع العلم بأن الأرقام ليست إلا تقديرات، حسبما عرفناه سابقاً، ينبغي أن أعيد إلى الذاكرة أن الثابت في الروايات هو أن اليهود كانوا يمثلون نحو العشر من سكان المدن، وأن مكناس والصويرة كانتا على الدوام تحتويان على طائفة وفيرة من اليهود بالمقارنة مع غيرهما. وإذا عرفنا أن أحد المنصرين عاش سنوات طويلة بمكناس ابتداءا من سنة 1896، وأنه ذكر أن أعداد اليهود

---

5 . نفس المرجع ص 83.
6 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 1 ص 117.
7 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 3 ص 571.
8 . «الوثائق» ج 3 ص 144.
9 . ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 196.
10. نفس المرجع أيضا وكذلك محمد المنوني : «مقيدة عن نشاط دراسات الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر» في «المناهل»، العدد 30، ص 53 و 74.
11. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 14 وكينيث براون : «أهل سلا» ص 48.
12. المرجع الاخير.

كانت تتراوح بين 5 و 6 آلاف نسمة[13]، جاز لنا أن نعتقد أن العدد الحقيقي كان هو 50 ألفا في نهاية القرن التاسع عشر، وليس 20 ألفا.

لم تكن مكناس مقرا للقناصل ولا للمستوطنين من الأجانب في القرن التاسع عشر، لكن كان فيها قلة من المحميين والسماسرة. وستأتي أسماؤهم مفصلة.

المطلب الثاني : المحميون من مختلف الدول

أ : الولايات المتحدة الأمريكية

أ 1 : من إشهاد عدلي[14]

1 ـــ 3 : **ميمون بن هارون بن اللويري، وسمويل ابن اللويري، وسمويل بن شلوم بن هروش** وكانوا سنة 1879 محميين استثنائيين.

أ 2 : من قائمة أمريكية غفل *

4 : **الخزان شلوم عمار** محمي، وقد خوله السلطان ظهير التوقير سنة 1885، ثم عينه سنة 1889 قاضيا بالملاح[15].

أ 3 : من القائمتين 69 /59 و 69 /60 الأمريكيتين[16]

5 ـــ 7 : **مسعود عمار، وميمون عمار، وإسحاق عمار** وربما هم بثلاثتهم أبناء المحمي الرابع.

أ 4 : من 69 /59

8: **شلومو أفرياط**

أ 5 : من غير ذلك

9: **رفائيل المكناسي** في سنة 1876 كان ماثيوز يريد اتخاذه محميا[17]، لكن في سنة

---

13. مييج : «البعثات البروتيستانتية ...» ص 166.
14. من استفسار عدلي بمجلس حمو بن الجيلالي في أوائل 1297 / منتصف يناير 1879، وقد ورد فيه والاثنان اللذان بعده، بمحفظة الحماية القنصلية.
15. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 138 و 140.
16. ورد فيهما اسم المحمي الرابع أيضا.
17. رسالة موسى بن أحمد إلى إدريس بن محمد في 13 جمادى الثانية 1294 /25 يونيو 1876.

1888 صدر ظهير أسدل التوقير والاحترام على الخزان رفائيل عمار المكناسي[18]. ولم يدر هل هذان الإسمان ينطبقان على شخص واحد.

ب : إسبـــانيــــا

وكان لها محمي واحد من أعيان مكناس هو **الحاج السعيدي بن الحاج الطيب غريط** المدعو «كسكاس». وقد تلبس بالحماية منذ ما قبل سنة 1874 حسبما سيأتي شرحه.

كان أبوه ناظرا للأحباس سنة 1857 ثم قلد خطة الحسبة قبل سنة 1864 وظل كذلك حتى أواخر 1874 لما عزله السلطان[19]. أما الإبن فاحتمى بإسبانيا لأنه اتهم بقتل امرأة تحت السياط وفق ما سيرد في الختام. كان تاجرا بالعرائش التي منها أخذ صك الحماية على الأرجح. وكان نشاطه قائما على التجارة في المنسوجات وغيرها، وكانت له معاملات مع يهوديين من العرائش هما شلومو النظام وشلومو بن يهودة الصراف[20].

ولما قدم ممثل إسبانيا إلى بركاش قائمة المحميين سنة 1876 لم يتفطن لاسم السعيدي الوارد فيها. فلامه السلطان قائلا : «إنه متلبس بالخدمة ... وكان في الخدمة هو ووالده سابقا، بل كان هو المتصرف في ذلك كله. وأما والده فكان كالخيال. وما أصاب والده ما أصابه إلا من جهته. ولا زال ملطخا بحقوق الناس من أكل أموال وغيرها. وعليه دعاوى شرعية ومخزنية. وإنما سرح من السجن للمحاسبة مع شركائه من التجار والفصال معهم. فكيف تسوغ لهم حماية مثل هذا»[21]!

فقد كان العاهل منشغلا بهاته الحماية التي تلبس بها غريط، فقال الحاجب لبركاش : «فقد كتبنا لك في شأن قضية السعيدي غريط. وإلى الآن لم يرد علينا جوابك عنها. فلا بد أعلمنا بما فعلته فيها، فإن سيدنا نصره الله متشوق لذالك. وكن تجيبنا عما نكتب لك به من مثلها من القضايا والأغراض ليطمئن البال بوصول المكاتيب إليك ويكون سيدنا على بصيرة فيما تجيب به»[22].

فاعتذر بركاش عن ذلك، ذاكرا أن «سبب تأخير بعض الأجوبة هو كون الوقت مستغرقا كله في الخدمة، لأن اليوم بأجمعه نستغرقه في الملاقات مع الترجمانات والنواب وغيرهم ... والليل نقطع منه في مباشرة الكتابة نحو الست ساعات تزيد أو تنقص إلا قليلا.

---

18. ظهير في فاتح جمادى الأولى 1305 /15 يناير 1888، محفظة الحماية القنصلية.
19. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 155 و ج 5 ص 123 و «العز والصولة» ج 2 ص 68.
20. من رسم عدلي في 9 رجب 1301 /5 ماي 1884، محفظة الطريس 2.
21. رسالة السلطان إلى بركاش في 17 رمضان 1293 /6 أكتوبر 1876، محفظة بركاش.
22. رسالة موسى بن أحمد إلى بركاش في فاتح ذي الحجة 1293 /18 دجنبر 1876، نفس المحفظة.

«على أن جميع الأوامر الشريفة التي ترد علينا يقع الشروع في مباشرتها وقت ورودها. وكم من أمر صفا أمره ولم نجد السبيل للجواب عنه في وقته.

«وها أنا قد أجبت سيدنا أعزه الله عن قضية [غريط حسبما تقف على ذلك] وقدمت الجواب عنها على ما هو ءاكد من بعض المكاتيب... ولو وجدت الفراغ إلى الأعلام بها قبل لقدمت مكانها الكتابة في شأن زيادة الكاتب الذي أمره عندي من أهم الأمور، لأجل الإعانة على [ما نحن بصدده]. لاكن أُقدم الأهم فالأهم...»[23].

ومرت أعوام فرام السعيدي حماية فرنسا له سنة 1883. وجاءت رسالة مخزنية لتوضيح سبب تلبس غريط بالحماية الإسبانية قبل ذلك، ولترفض كل معاملة له مع تجار فرنسيين، ناصحة بعدم مخالطته لهم. وذلك لأن الحاج السعيدي كان «خليفة عن والده في مدة ولاية خطة الحسبة بمكناس، واشتغل بالترامي على الناس، والحيف عليهم، وأكل أموالهم بالباطل، وإذايتهم بالضرب المؤلم، حتى أنه قتل أمراة تحت العصى تسمى بالحمارية... وكان السبب في عزل والده عن الخطة المذكورة»[24].

غير أن قضيته انتهت سنة 1888 بتعيينه ناظرا لبعض أحباس مكناس وأمينا «في أمر البحراوية ... من جناتنا السعيدة التي بمكناس»[25]، مما يدل على الرضا عنه.

ت : البــرازيـــــل

وصار **شقيقه عبد السلام بن الحاج الطيب غريط** سنة 1899 محميا وسمسارا لتاجر محمي بالبرازيل اسمه عمران مراشي[26].

ث : إيــطــالـيــــا

يعقوب أوحنا كان سمسارا لإسحاق ناهون في القائمة الإيطالية العامة لسنة 1894.

---

23. مسودة رسالة بركاش في 20 حجة 1293 /6 يناير 1877، محفظة بركاش. وما ورد بين معقوفتين مشطب عليه في الأصل.
24. رسالة إلى نائب فرنسا في 24 صفر 1301 /26 دجنبر 1883. صورتها عند محمد نهليل في «رسائل مخزنية» اللوحة 28..
25. رسالتا السلطان إلى حمو بن الجيلالي وإلى أحمد بن سودة قاضي مكناس في 24 و 25 رمضان 1305 /30 و 31 مارس 1888، محافظ الترتيب العام.
26. تسكرة الحماية في 17 صفر 1317 /27 يونيو 1899، مكتبة تطوان رقم 69 /37.

ج : فـرنـســـــــا

كان لها محميان اثنان وسمسار واحد. أما الأولان فهما : **مير بن موشى كوهن** الذي هجم على محتسب مكناس وأغلظ له القول وسبه وسب أصحابه، وكان المحتسب هو المختار بادو[27]، **وشامويل ابن اللويري** وكانا محميين[28]. وكان السمسار هو **يعقوب أوحنا** الذي كان نائبا عن البنك طرانزاطلانتيك، بحسب القوائم الفرنسية العامة من سنة 1882 إلى سنة 1884. وسلف أنه كان سمسارا لمحمي إيطالي.

ح : بـلـجـيـكــــــا

حاييم بوطبول كان محميا في القائمة البلجيكية العامة سنة 1889.

ومما يذكر أن شركة بلجيكية «كادت أن تنشئ بين فاس ومكناس خطا حديديا في أواخر القرن التاسع عشر. فقد أهدى أحد رجال الصناعة من مدينة مونس إلى السلطان مولاي الحسن قطارا حديديامتألفا من قاطرة صغيرة وساحبة، مع كيلومترين من السكة. وقد وضع كل ذلك في حديقة أكدال بمكناس سنة 1888 بإذن السلطان الذي كان حاضرا لتدشين هذه الطريق الصغيرة. لكن عندما اقترح عليه إحداث سكة حديدية كبيرة بين مكناس وفاس أعرض عن ذلك لأنه رأى فيه بدعة ضالة. ولا عجب في ذلك مادام إنشاء أول قطار بخاري بفرنسا قد خلق بلبلة شديدة واحتجاجات كبرى. إذ لم يكن رجال الدولة يؤمنون بنجاح هذه البدعة، كما كان الفلاحون يخافون منها على سلامة مواشيهم»[29] بفرنسا، وحتى بغيرها.

---

27. ابن زيدان : «الإتحاف» ج 2 ص 368 و 197.
28. الاستفسار العدلي (الهامشة 14) .
29. إرنيست لفيك : «رحلتنا المغربية» ص 48.

2 : النـواحـي البـاقيـة

أسوق هنا أسماء عدد من السماسرة والمحميين بمدن ونواح أخرى.

أ. كان لأحد المحميين بالولايات المتحدة سمسار بوزان اسمه **يودة الحداد**. وقد ورد اسمه في قائمتي 69 /59 و 69 /60 من وثائق مكتبة تطوان. وكان ذلك حوالي سنة 1891.

ب. وكان لإيطاليا بوزان ثلاثة سماسرة هم **مسعود أزولاي ودانييل أزولاي ويوسف أزولاي**. وكانوا في خدمة إسحاق شلومو ناهون حسب جميع القوائم السنوية الإيطالية.

ت. وكان لفرنسا محمي مشهور هو **الحاج عبد السلام الوزاني**. وسيرد عنه ملحق خاص.

ولنفس البلد كان خمسة من السماسرة أتى ذكرهم في القوائم الفرنسية العامة وهم :

1 ـــ 2 : **مسعود حقي، وداود** (أو دودو) **بن اسرائيل** وكانا سمسارين بقرية الأقصابي في خدمة بنسيمحون وذلك سنة 1884 و 1885.

3 ـــ 4 : **أما الحاج محمد بن حمو** (أو ابن أحمد) **خمليش القلعي، والكَزناني القلعي** فكانا سمسارين بقبيلة قلعية، يبيعان السلع لتجار من الجزائر.

5. **بريك بن محمد مضيفة** (؟) كان سمسارا بالشراردة للحاج علي بوطالب الحشمي.

وذلك ما يجعل عدد المحميين بمكناس والأماكن الأخرى 14 شخصا، وعدد السماسرة بها 12. وهذا ما يلخصه هذا الجدولان المواليان باعتبار المتكررين منهم:

ث : جدولا المحميين والسماسرة بمكناس وغيرها (1863 — 1900)

ث 1 : المحميون

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة	—	9	9
إسبانيا	1	—	1
بلجيكا	—	1	1
فرنسا	1	2	3
المجموع	2	12	14

ث 2 : السماسرة

الدول	المسلمون	اليهود	الجميع
الولايات المتحدة	—	1	1
إيطاليا	—	4	4
البرازيل	1	—	1
فرنسا	3	3	6
المجموع	4	8	12

ج : نازلة الحاج عبد السلام الوزاني

كان من بابته أن يدرج بطنجة حيث كان يعيش في بعض الأوقات، أو بالعرائش التي كانت وزان تابعة لها إداريا، من حيث أن هاته المدينة الأخيرة مسقط رأسه، ومن حيث كونها «دار الضمانة». وإذ فاتني ذلك أتيت به هنا بموطن الأشراف الوزانيين.

فمن هو هذا الرجل ؟ وكيف تلبس بالحماية ؟ وما هي خلفيات التجائه إلى إسبانيا أولًا، ثم إلى فرنسا ثانياً ؟

الحاج عبد السلام بن الحاج العربي بن علي الوزاني اليملحي من مواليد عام 1252 /1836. وقد توفي في 7 ربيع الأول 1310 /29 شتنبر 1892 بطنجة ودفن بزاوية جده[1].

تزوج بأكثر من واحدة، وخلف ذرية منهن. وقد طلق جميع زوجاته لما اتخذ إيميلي كين Emelie Keene حليلة فرزق منها بابنين : علي وأحمد. وقد ولدت بلندن سنة 1849 وتوفيت سنة 1934. كانت وصيفة ومربية بطنجة عند أيون بيرديكاريس. وهي ابنة أحد محافظي السجون. تزوجت «الشريفة» أو «السنيورة» بالحاج عبد السلام في 13 يناير 1873 بمهر قدره 1000 ريال، والتزم زوجها أن يدفع لها 5000 ريال ناجزة، و 300 ريال في السنة، وأن لا يتزوج عليها غيرها وأن لا يطلقها دون مسوغ، وإلا أدى لها تعويضا قدره 4000 ريال[2].

ذلك هو الشريف وهاته هي الشريفة. فكيف آل أمر من كان حاميا للناس بدار ضمانته إلى أن يلتمس الحماية لنفسه ولذويه ولزاويته ؟ وكيف صار الراعي تحت الذمة ؟ وكيف غدا المسلم تحت كفالة النصراني ؟ فقبل أن نبحث في شيء من ذلك طرفاً من الوثائق المخزنية، لا بأس بالرجوع إلى ما كتب في المصادر العربية والعجمية المطبوعة.

«كان ذاه جاه عظيم، وقدر فخيم، وكرم عميم. عرض له تحول وانتقال من وزان، لأسباب اقتضاها الحال، فسكن بطنجة إلى أن توفي بها» ولم يزد ابن ابراهيم شيئا.[3].

وذكر العروي أن الحاج عبد السلام كان «سيدا مطلقا بوزان، مالكا لأراض شاسعة، يقوم على خدمتها أناس كانت وضعيتهم القانونية أشبه ما كانت بحالة العبيد... وكان متمتعا بنفوذ عظيم في جميع نواحي الريف على مقربة من طنجة حيث كان يقيم كثيرا.

---

1 . العباس ابن ابراهيم : «الإعلام» ج 8 ص 490.

2 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 105، وجاك كايي : «النوادر المغربية» ص 95 — 97، وروجرز : «تاريخ...» ص 249، وعبد المجيد بنجلون : «جولات ... قبل الحماية» ص 96.

3 . «الاعلام» ج 8 ص 490.

«ولما أصبح محميا فرنسيا سلم لمفوضية فرنسا جميع ظهائر التوقير التي كانت في حوزته ... وطبيعي أن ينشأ عن ذلك التفكير بأن الزاوية إمارة دينية... وقد اضطلع ميشو — بيلير بدور عظيم في نشر هاته النظرية وتأويلها ... حتى قيل إن الحاج عبد السلام خليفة السلطان بالشمال وبتوات»[4].

ومن هاته الحظوة بالمحتد وبالجاه وبالمال كانت القبائل المجاورة تغار، لأسباب كانت بلا شك تدركها هي قبل غيرها مثل بني مستارة الذين كانوا يهاجمون زاويته وعزائبه. السلطان كان هو حاميه وحامي غيره. ولما أبدى الحاج عبد السلام تطرفا... طفق نفوذه يتلاشى في البلاط، وغدا كل شيء ينفقد آنذاك ابتداءا من «الزيارات».

وإذ لم يكن بوسعه العيش بدون سند سلطة سياسية، فقد حاول أن يعثر في الميدان الجزائري على ما أعوزه بالمغرب. وقد نجح في ذلك، لأن سياسة فرنسا كانت مطابقة لسياسته. فبعد أن كان واسطة إدارية للسلطان، أصبح وسيلة للسياسة الفرنسية لنفس الأسباب ولذات الظروف. فإذا الذي كان حامي الناس من سطوة المخزن قد غدا محميا لدولة أجنبية هي نصرانية قبل كل شيء. فاستغل السلطان ذلك للحط من شأنه، ورماه العلماء بالخيانة، وتنكرت له أسرته بفاس. وأخيرا عامله المخزن معاملة المارق، ومعنى ذلك إهدار دمه. وأفضت به هاته الحالة إلى العيش بالقطر الجزائري، وانتهت أيامه يخربها الخمر ويترصدها الجنون [5].

ومهما يكن من أمره، فقد «عرفت فرنسا كيف تستعمل حق الحماية لأغراض سياسية. فمنحت وزارة الخارجية في يناير 1884 حمايتها لشريف وزان، تمهيدا لعملها بالمغرب وبالجزائر. أجل، لم يكن عبد السلام — الذي كان يقدر في الحضارة الغربية حق القدر المدافع والنساء والكحول — شخصية يسوغ تخويلها اعتمادا واسعا. لكن زواجه بإنجليزية وإدمانه على شرب الخمر حدًّا بعض الشيء من سمعته. وظل رئيسا روحيا للطريقة الطيبية[6] التي كانت تبسط نفوذها لا على المغرب الشمالي فحسب، ولكن حتى على الجبال الوهرانية ولا سيما وأنه — من ذرية إدريس الثاني — كان صالحا لمقام معارض يمكن نصبه على العرش متى اقتضى الحال...»[7].

الواقع أن الحماية التي أسبغت عليه لم تكن وليدة اللحظة وإنما كانت مدبرة أثناء حرب تطوان. وقد تدخل مغامرون مثل رولفس G. Rohlfs الألماني في أن تمنحها له إسبانيا[8]. ولهذا لم

---

4 . عبد الله العروي : «الأصول...» ص 133 و 143.

5 . نفس المصدر ص 145 و 146.

6 . الزاوية الطيبية بالجزائر نسبة إلى الطيب بن محمد بن مولاي عبد الله الشريف هي نفس الطريقة التهامية بالمغرب. فالتهامي والطيب كانا شقيقين.

7 . شارل أندري جوليان : «المغرب في مواجهة ...» ص 32.

8 . مييج : «وثائق التاريخ...» ج 5 ص 66.

يحرك عبد السلام ساكنا، ولم يقدم للجيش المغربي متطوعين ولا مددا، لأنه كان يتوقع انتصاراً إسبانياً، يقيه انتقام هاته الدولة التي كانت متاخمة لمنطقة نفوذه[9].

وفي السنوات السابقة لمؤتمر مدريد، تبرأت إسبانيا من حمايتها إياه، بعد أن تحسنت العلاقات التي كانت بينها وبين المغرب. إذ تنصل وزير خارجيتها في أكتوبر 1879 من المؤامرة التي كان يدبرها قائد موقع سبتة للإطاحة بحكم مولاي الحسن فعزل عامل سبتة وسائر الموظفين المدنيين والعسكريين المشاركين في المؤامرات، واتخذت تدابير مستعجلة لإحباطها[10].

على أن أورديگة هو الذي أعطى للحماية بعدها السياسي الأول سنة 1884. وكان مدفوعا بقوة اقتصادية ضاغطة. فعمد إلى توزيع بطائق الاحتماء على أصحاب الحاج عبد السلام توزيعا واسعا، حتى قال السلطان أن لا وجود لمعاهدة مدريد في ذهن السفير الفرنسي.

وخاض الخائضون في تدبير المكائد مثل الكونت ده شاڤانياك والمقاول الفرنسي بطنجة جول جالوزو الذي أبرم مع الوزاني سنة 1888 مضاربة كبرى، فاشترى منه أراضي شاسعة كانت ملكا للزاوية ولم تكن ملكا للشريف[11]، فسطا على ما ليس له، وفوته تفويتا محرما.

لكن كيف توصل هو نفسه إلى ما كان يعد من ملكه الشخصي ؟ كانت له ولأصحابه طريقة من طرق التحايل والترامي ها هو تلخيصها :

إذ أراد أحد بيع عقاره، فإنه يستدعى إلى «دار الضمانة»، ويشهد عليه عدلان بكونه يبيع الأرض الفلانية للشريف الفلاني، ثم يتقاضى أمام عدلين ثمن الأرض. وعند اجتيازه الممر، بين صحن الدار وبابها، يكون أعوان الشريف وزبانيته له في الانتظار، فيخيرونه بين رد المقدار المالي وبين تعذيبه ونعته بين الناس بالخروج عن طاعة الشرفاء الذين سيصبون عليه سخطهم — الأبدي الذي يحمل أبعاداً دنيوية ودينية — إن هو تمسك بأخذ المقدار المالي. وعندما لا يكون أمام البائع من خيار سوى إرجاع المال، فإن أكف الضراعة ترفع بأن يحفظه الله ويرعاه ويبارك في رزقه الخ... وبذلك تمكنت الزاوية من احتكار مساحات كبيرة من الأراضي وإدخالها في إطار «عزيبها» أو أراضيها التي ستبلغ سنة 1930 نحو 5000 هكتار في قبيلة سفيان الشرقية[12] وحدها.

والسطو كان لهم أيضا على مياه العيون سنة 1902، بينما كان لأهل وزان ماء الآبار فقط[13].

9 . عمر الخالدي : «نموذج من الإقطاع الجهوي» في «دراسات عربية» العدد 8، يونيو 1980،ص 74.
10. عبد الوهاب بنمنصور : «الوثائق» ج 4 ص 79.
11. عبد الله العروي : «الأصول» ص 254. وميييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 243 (11).
12. عمر الخالدي : «نموذج ...» ص 69 و 76.
13. أسهب أوبان في الحديث عن الزاوية الوزانية في كتابه «مغرب اليوم» ص 459 — 487.

بعد هاته النقول المجلوبة من المصادر المطبوعة، ترى ماذا ورد في الوثائق المخطوطة ؟[14].

لقد جاء في رسالة لأميني طنجة أن السلطان أمر سنة 1873 بجعل العسة على الشريف عبد السلام بن الحاج العربي لِيلاّ يركب البحر[15]. ولم يرد بيان واضح عن سبب هذا الإجراء السلطاني.

وكانت قضيته تدعى «نازلة وزان»، وكان السلطان يسمي الحاج عبد السلام «المتنصر» تارة، و«المحتمي»، إطلاقا دون تحديد تارة أخرى. وقد امتلأت عزائبه بعدد من «المتعلقين» والعزابة من قبائل الخلط وطليق وجبالة. وكان هؤلاء — أو على الأصح البعض من كبارهم — لا يكادون يقدمون دعما في الضراء، ولا مساهمة في السراء، ولا يفوّقون نبالا في سبيل الله.

قال برّكّاش متحدثا عن أورديكّة الذي وصل إلى باريس سنة 1884، أثناء جَلَبة احتماء الحاج عبد السلام : «لما وصل باشدور الفرنصيص لباريز، وكثر الهرج بافرانصة وتزايد الكلام القبيح في الجواريط، وساءنا ذلك مع ما وصلنا بالأمس من النائب الحاج محمد الطريس مما دار في نازلة وزان وغيرها، تعين علينا النهوض لباريز، وإن كنا لازلنا لم نتم الدواء هنا بمرسيلية...»[16].

ومما جاء في رسالة مخزنية عنه : «وصل كتابك بأن باشدور الفرنصيص كتب لك بما في كتابه الذي وجهت من أن الحاج عبد السلام ولد السيد الحاج العربي الوزاني طلب من دولته الدخول في حمايتها، فقبلت مطلبه، حيث صدرت منه الخدمة لها بتوسطه في هدنة حدود إيالتها، اعتمادا على ما تضمنه الشرط السادس عشر من وفق مدريد من تسويغ حماية من صدرت منه خدمة عظيمة لدولة من دول الأجناس، ودار بينك وبينه في ذالك ما شرحته، وطلب منك الجواب فتوقفت فيه : حيث ذكر أن طلبهم شرعي، وتخوفت مما عسى أن يقع من المتصرف في الزاوية. فكتبتَ له بما في النسخة التي وجهت، وذكرت أن معاملته لو بقيت جارية على مقتضى عمل من قبله من دون خرق للعوائد ولا هضم للجانب لم يقع شيء من هذا. وصار ذالك بالبال.

«فأما ما ذكره الباشدور من أن طلبهم شرعي، فإن كان مبنيا على الشرط المذكور فهو صحيح، لأن الشرط أملك، والمؤمنون عند أقوالها، والوفاء بالعهود واجب شرعا لما فيها من درء المفاسد وجلب المصالح.

---

14. عن الزاوية والمتعلقين بها والحاج عبد السلام تنظر عدة وثائق بمحفظة فرنسا. ومنها رسائل من ربيع الثاني إلى جمادى الأخيرة 1304 /يناير — مارس 1887، وهناك رسالة سلطانية إلى برّكّاش في 20 جمادى الأولى 1301 /18 مارس 1884، وأخرى من السلطان إلى الطريس في 21 رمضان 1301 /15 يوليوز 1884 تبين سياسة الحسن الأول من الوزاني ومن عزائبه ومن فرنسا، بمحفظة الطريس 3 و 4.

15. رسالة الغسال ومحمد التازي إلى الحاج محمد بنيس في 24 صفر 1290 /23 أبريل 1873 (8700 م.و.م).

16. رسالته إلى السلطان في 11 رجب 1301 /7 ماي 1884، محفظة برّكّاش. وقد تقدمت في ص 397.

«لاكن اعتمادهم في حماية المذكور على هذا الشرط ليس بمسلَّم. لأن وساطته في هدنة الحدود التي اعتمدوا عليها ليست من قِبَل نفسه حتى تعد من خدمته ويجزى عليها بهذا الجزاء، بل المخزن هو الذي كلفه بذالك وجعله واسطة فيه، وصير عليه مالا له بال في ذهابه وإيابه لذالك، زيادة على ما جازاه به المخزن.

«فالمزية للمخزن لا له. وقد استخدمه المخزن في ذلك وغيره بداخل الإيالة كما كان يستخدم أسلافه فيه، حتى أن والده السيد الحاج العربي رحمه الله كان «يحرك» مع سيدنا قدسه الله. ولأجل ذالك أسدل عليهم المخزن جلابيب الوقار والاحترام، والتنويه والإعظام، وجعل لهم الظهائر بذالك، وحرر أصحابهم ومن تعلق بهم مراعاة لخدمتهم. وكذالك غيرهم من كبراء زوايا المغرب كشرقاوة وآيت بناصر : يستخدمهم المخزن في ذالك. والوجاهة التي حصلت لهم إنما اكتسبوها بصرف المخزن لهم في ذلك. والحاصل فجميع كبراء زوايا المغرب من خدام المخزن، العريقين في خدمته، الراسخين القدم فيها لاتسوغ حمايتهم»[17].

وانتهى الأمر بالصمت عن حماية الحاج عبد انسلام، ولو أنه كان من نتائجها عزل أورديكَة وتعويضه بفيرو الذي وجد أمامه هاته المعضلة، فلم يجد لها حلا حتى داهمه الموت.

وظلت القضية معلقة حتى توفي الوزاني. وحينئذ أراد الطريس استمالة أبنائه، واستجلاب أكبرهم العربي، ولا سيما أن «الأجانب كانت لهم أهمية كبيرة بجلبه ... لما يرون في ذلك من مصالحهم المهمة. وقد قضى عمره معهم كما قدر الله تبارك وتعالى».

وأضاف النائب أن الحاج عبد السلام «خلف أولاداً شبانا مطية الجهل. وأكبرهم السيد العربي لانسمع عنه وعن أحواله إلا خيرا. فإن رءا مولانا أعزه الله أن ينقذهم من متوقَّع تلك المخالطة باستجلابه وانحياشه هو وإخوته للجانب الشريف ... كان خيرا. فقد بلغنا أن ذوي الأغراض قصدوا لاستجلابهم بأنواع الإحسان والتعظيم. ومن ذلك السواح الفرنساوي صاحب نازلة الشيخ بن زوينة[18] توجه قرب التاريخ إليهم. ومكانته من دولتهم مكينة»[19].

فأجابه السلطان : «فلا نكره لهم خيرا، إن وفقهم الله. فَلْتَسْعَ في ذلك عسى الله أن يجعل هدايتهم على يدك، والسلام»[20].

ولم ينجح الطريس في مسعاه، لأن العربي ظل على ولائه لفرنسا. فكان من الذين مهدوا السبيل لضياع توات سنة 1900. وتدل على ذلك رسالته إلى محمد أو سالم قائد هاته الواحة

---

17. مسودة رسالة سلطانية بدون تاريخ بمحفظة بركَاش. ويبدو أنها مرسلة إلى هذا الأخير.
18. هو هنري ده لا مارتنيير الذي كان مرسلا من المصالح الاستعمارية بالجزائر.
19. رسالة السلطان إلى الطريس في 27 ربيع الأول 1310 /19 أكتوبر 1892، محفظة الطريس 23.
20. جواب السلطان في 6 ربيع الثاني 1310 /28 أكتوبر 1892، نفس المحفظة.

بتاريخ 5 شوال 1311 /11 أبريل 1894. وفيها يلح عليه في الاستسلام لمطالب الفرنسيين الذين كانوا عازمين على إرسال عدد من الفرق العسكرية لاحتلال تلك المنطقة. ومما قاله العربي إنه «لم يرد الفرنسيين عن تحقيق مشروعهم الرامي إلى مواجهة جهاتكم سوى التقدير والمراعاة لشخصي، لكونهم يعرفون بأن أهل توات خدام وعبيد لأسرتي وبأنكم لا تسمعون لآراء أحد غيري... وإلا فسيصيب روحي كدر... لأني أعطيت وعدي للفرنسيين بحضوركم إلى مدينة الجزائر. فلا توقفوا إذن اتفاقنا، ولا تخالفوا الرأي الذي لدي فيكم»[21].

وقبل أن أنهي الكلام عن الحاج عبد السلام أشير إلى أن زوجته إيميلي كانت قد اتفقت مع إيوان سميث على نزع الحماية الفرنسية عن ولديها، ولكن ذلك لم يقع[22].

وأختم نازلة وزان بوثيقة عن الخلاف الذي طرأ بشأن مقدم الزاوية عبد الجبار الوزاني.

فمن هو ؟ عبد الجبار بن محمد بن عبد الجبار الوزاني «كريم سخي، وسري مرضي، له في المكارم باع طويل، وفي مفاخر الشيم الذكر الجميل.

«تولى ولاية وزان منذ أزمان، وبقي فيها مدة إلى أن تخلى عنها لأسباب اقتضاها الحال، ونفسه بذلك طيبة»، إذ في سنة 1884 رحل عبد الجبار من وزان[23] أي أنه عزل عن الزاوية.

الوثيقة التي سأعرض نصها الكامل تناولت الخلاف بين أولاد الحاج عبد السلام وبين عبد الجبار الوزاني مقدم الزاوية. وهي تشتمل على 15 فصلا. كما أنها تحتوي في النهاية على ثلاثة فصول، اثنان منها يتعلقان بمحمد وحمو القلعي الذي تقدم أنه كان سمسارا بالريف. أما الثالث فيختص بقضية أحمد ولد الحاج علي العرائشي الذي ادعى الحماية من لدن فرنسا، لكن المخزن لم يسلمها. ولعل ذلك لأنه كان متوليا.

ووجه إدراج كافة هاته الفصول في هاته النوازل الثلاث التي استغرقت 18 فصلا، هو مراعاة وحدة الوثيقة والاستفادة من مقتضى سياقها.

السداد كان بين المخزن وبين ممثل فرنسا، الذي لعله شارل فيرو، من أجل حل هاته المشاكل. والمعروف أن هذا الأخير كان يسعى لحل قضية الحاج عبد السلام الوزاني. غير أن ضغوطا وقعت عليه أدت إلى إرجاء البحث في الملف المغربي الفرنسي حتى توفي دون الوصول إلى حل.

---

21. عمر الخالدي : «نموذج ...» ص 74 — 75 (نقلا عن أطروحة الهاشمي ابن الراضي : «شرفاء وزان والمخزن وفرنسا 1850 — 1912»). رسالة العربي يبدو أنها مترجمة عن الفرنسية وأن أصلها عربي.

22. حسبما أورده محمد كنبيب نقلا عن وثائق وزارة الحربية الفرنسية.

23. .العباس ابن ابراهيم : «الإعلام ...» ج 8 ص 28 و ج 2 441.

الوثيقة لا تحمل تاريخا[24]، ورقمها بتطوان هو 67 /32. وها هو نصها :

الحمد للـــه

[1] **قضية الحاج عبد السلام الوزاني، اشتملت على خمسة عشر 15 فصلا :**

الفصل الأول : التلقي الذي ذكر الباشدور ـــ أنه وقع من أجل أهل وزان واليهود كلهم لنائبه وقونصوه ـــ إنما وقع من أصدقاء المشكو به. ولذا أريد من الباشدور إعادة توجيه من يحقق ذالك، من قِبَله ومن قِبل الحضرة الشريفة.

الفصل الثاني : ما تشكى به الذين تلقوا لمن ذكر ـــ من ظلم السيد عبد الجبار لهم وأكله أمتعتهم ـــ لم يُعهد منه. ومن فعل به شيئا من ذالك يقيد شكواه ويأتي بها، وينظر حينئذ هل تفاصل أوْلا. وإلا كانت دعاويهم أدعياء.

الفصل الثالث : ما ذكره أولاد الحاج عبد السلام ـــ من أن صاحب السيد عبد الجبار لو لم يسبهم بإشارته ما ضربوه ولا سجنوه ـــ مردود عليهم بالانتصاف لأنفسهم، مع كون الحكام منصوبين لرد المظالم. فما لهم لم يرفعوا ذالك للحضرة الشريفة أو لبعض الحكام كبرݣاش ونحوه ؟ فتصرفهم لنفسهم افتيات منهم على جانب المخزن، وغرض وشهوة نفسية فيمن أوقعوا بهم ذالك حتى أتلفوا مهجتهم.

الفصل الرابع : ما ذكروه ـــ من أنهم سرحوا صاحب السيد عبد الجبار المذكور، وبعد تسريحه وجه له السيد عبد الجبار شربة فيها السم فمات بسببه، وأن زوجته شهدت بذلك ـــ مخالف للواقع، بدليل أن أهل القتيل لم يتشكوا من السيد عبد الجبار، وإنما تشكوا من أولاد الحاج عبد السلام. وشهادةُ زوجة القتيل ـــ بأن السيد عبد الجبار هو الذي قتله بما ذُكر ـــ توجه للحضرة الشريفة وينظر فيها بطريق الحق والفصل.

الفصل الخامس : حماية الحاج عبد السلام ـــ التي ذكر الباشدور أنها قديمة، إلا أنه لم يستظهر بها ـــ لم يعهد إعطاؤها لمثله. وهل هي مسلمة بقوانينهم ؟ فإن سلمتها القوانين ـــ مع كونه هو وأسلافه عندهم ظهائر الخدمة والتحرير والتوقير والتعظيم ـــ فتُقْصَر عليه وحده فقط، دون غيره كالأصحاب ونحوهم.

الفصل السادس : السيد عبد الجبار ـــ الذي أشار الباشدور بعزله وتولية غيره من الشرفاء ـــ لم يكن عاملا كما قدم للباشدور، وإنما هو مقدم يحول بين الشرفاء وبين العامل في الأمور الصغار، صونا لعرض الشرفاء من وقوع العوام فيه.

---

24. يدل الفصل الثالث من نازلة وزان على أنها وضعت في عهد برݣاش حوالي 1885.

الفصل السابع : العامل على وزان في الحقيقة هو والي العرائش، لا المقدم المذكور.

الفصل الثامن : الحضرة الشريفة بصدد إصدار الأمر لعامل العرائش بأن يقدم بنفسه لوزان، ويقيد جميع أملاك الزاوية وعزبانها وكل ما يحسب عليها، ويجعل على الجميع ناظرا من قبل المخزن.

الفصل التاسع : الناظر الذي يجعل على أملاك الزاوية وعزبانها يكون مشرفا عليه مقدم الزاوية والعامل، على قاعدة أحباس الأدارسة بزرهون.

الفصل العاشر : عامل العرائش يحد عزبان الشرفاء : كل شريف شريف، لا فرق بين السيد عبد الجبار ولا بين الحاج عبد السلام وغيره، ويقصرهم في ذلك على المعروف لأمثالهم من الشرفاء أهل النسبة الذين لهم العزائب في القبائل كالدسول والحياينة والبرانس وغيرهم من القبائل. ومازاد على ذلك من الأخلاط كلٌّ يدفع لعامله.

الفصل الحادي عشر : الأحكام على عوام وزان وعزائبهم كلها ترجع لعامل العرائش، ويجعل خليفة عنه بوزان من أهل الجد.

الفصل الثاني عشر : الدعاوى الصغار التي للشرفاء فيما بينهم ترجع للسيد عبد الجبار، والكبار للعامل، على قاعدة النقباء بفاس وغيرها.

الفصل الثالث عشر : إن لم يصالَح السيد عبد الجبار مع ابن عمه المتظلم، ولارُفع ما بينهم من التفاقم والشحناء، أو لم يُجْعَل لهما تأويل، وكان لا بد من عزل السيد عبد الجبار، فينقل أولاد الحاج عبد السلام الذين نشأت عليهم الفتنة بوزان. لأن بقاءهم به مع كون غير السيد عبد الجبار متوليا عليه لا تنقطع معه مادة الفساد بين الشرفاء وأصحابهم، لجرءة المذكورين. وحينئذ يعزل السيد عبد الجبار ويجعل غيره نقيبا على الشرفاء على ذالك المنوال، لاكن بعد خروج أولاد الحاج عبد السلام من وزان للعلة المذكورة.

الفصل الرابع عشر : صلح الحاج عبد السلام مع السيد عبد الجبار — إن وقع — لا تسقط معه : 1 تولية عامل العرائش على وزان، 2 ولا جعل الناظر على أحباس الزاوية، 3 ولا حصر أهل العزائب والأصحاب.

الفصل الخامس عشر : أولاد الحاج عبد السلام يتخلون عن المدعى عليهم بقتل الشريف السيد العربي بن السيد علال بن الطيب الوزاني وهم المسمون بطرته[25]، ويتركونهم يأتون لمقابلة

---

25. جاء في الطرة أن أسماء المتهمين بالقتل هم :
سيدي الهاشمي، وسيدي محمد وسيدي العربي، ولدا سيدي عبد الله ابن التهامي بن علي، ومَحمد ولد المدني.

خصمهم بمجلس الشرع وبالحضرة الشريفة. كما يتخلون أيضا عن المسمين بطرته[26]، الذين يدعي عليهم الشريف السيد أحمد بن المكي الوزاني بالهجم على داره، ويتركونهم يأتون لمقابلة خصمهم لدى الشرع وبالحضرة الشريفة.

[2] قضية محمد أُحمُّ القلعي اشتملت على فصلين :

الفصل الأول : ما ذكره الباشدور ـــ من أنه لا يوافق على ما هو عليه محمد أُحَمُّ المذكور بقبيلته من السعي في الفساد ـــ هو الظن به والمعروف من العقلاء أمثاله الساعين في الخير. جُزِيَ خيرا على ذلك.

الفصل الثاني : ما أشار إليه الباشدور ـــ من أنه يوجه عليه وترد له بلاده بالثمن الذي بيعت به ويؤدى ثمنها للمشترين لها ولا يحصل له ضرر ـــ نظر سديد. فليوجَّه عليه، ويرد له بلاده بالثمن الذي بيعت به، ولا يحصل له ضرر. نعم، يُرَد ليد المخزن حتى يفاصل ما ترتب عليه بوجه جميل، حسبما كان وقع معه الاتفاق عليه، ولا يلحقه ضيم ولا هضم، مراعاة له. وحتى إن وقع منه شيء بعدُ يوجب تربيته يُعْلَم به الباشدور. وحينئذ ينظر فيه.

[3] قضية أحمد ولد الحاج علي العرائشي اشتملت على فصل واحد :

ما صرح به الباشدور ـــ من أنه لا حماية له عندهم ـــ دليل على ذكائه ورجحان عقله. لأن هذا الإنسان في خدمة المخزن خلفا عن سلف لا تسوغ حمايته. وقد صدق بذلك قوله في بعض مكاتيبه الواردة على الحضرة الشريفة. فمن الآن وفيما يُستَقبل، فلا يكون يعطي حماية إلا بشرطها وقانونها. جزي خيرا على ذلك.

26. أما المتَّهمون بالهجـــم فهم:
الشريف السيد الطيب بن عبد الجليل الوزاني، والتهامي الزمراني، وعلال ولد حجلافة، وعليلو بن حسون، والطيب بن خمسون، وحميدو ولد العبودة، ومحمد ولد الصواف، ومحمد ولد عبد السلام البقالي.

3 : جداول تلخيصية *

أعود لأجمل هنا ما فصلته في الأبواب السابقة من أعداد المحميين والسماسرة. وقد وضعت لذلك ستة جداول منها جدولان عامان (ص 1204-1207) ميزت فيهما بين المسلمين واليهود، منطلقا من 1863 وهي سنة إبرام بيكلار للترضية المعروفة بين فرنسا والمغرب، ومنتهيا إلى سنة 1900.

وقد راعيت في الجدولين المذكورين التكرار الوارد في الأسماء، فلم أحذفه من الأعداد. بل تركته على حاله ولو تنقل هؤلاء من حماية دولة إلى حماية دولة أخرى أو من حماية سياسية أو إدارية إلى حماية تجارية. وسنلاحظ وفرة الحماية الاستثنائية عند اليهود المنحاشين للدولتين الأمريكيتين اللتين كان لهما مستوطنون جد قليلين، لا يتطابقون مطلقا مع عدد السماسرة والخلطاء.

وسنرى أن جل الوكلاء التجاريين كانوا في خدمة الإنجليزيين والطارقيين واليهود. وسيثير انتباهنا خلو تطوان من كل سمسار، والدار البيضاء من كل محمي بريطاني. وسنجد فقط بالمدينة الأخيرة محميين وسماسرة لليونان التي لم تستدع لمؤتمر مدريد ولم تشارك فيه.

وزبدة القول اصطبغ بلون الحماية والسمسرة 2061 شخصا، ذكرت هوياتهم في محلها. وها هي أعدادهم ملخصة أثناء الفترة المقصودة :

ج 1 : الأعداد والنسب

الفئة	المسلمون		اليهود		الجميع
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	
المحميون	533	46,27	621	53,73	1154
السماسرة	653	72,00	254	28,00	907
المجاميع	1186	59,13	875	40,87	2061

* هذا الفصل والذي بعده ينطبقان على الأبواب السابقة جميعها. وقد أدرجتهما هنا لأختم بهما الكلام عن الحماية والاستيطان.

ج 2 : تلخيص جداول المحميين، بحسب الانتماء والموطن والنسبة المئوية

(1900 — 1863)

الـــدول	طنجة وأصيلة م — ي	تطوان م — ي	العرائش م — ي	القصر والغرب م — ي	سـلا والرباط م — ي	الدار البيضاء والأحواز م — ي	الجديدة وأزمور م — ي	آسفي م — ي	الصويرة م — ي	مراكش م — ي	فـاس م — ي	مكنـاس وغيرها م — ي	الجميع	النسبة (الدول)
الولايات المتحدة	31.20	8.3	9.2	4.1	5.3	28.10	7.7	10.4	15.1	—.—	17.10	9.—	204	17,67
فـرنسـا	16.36	4.3	—.—	2.—	3.9	2.8	6.5	12.7	46.7	6.3	19.5	2.1	202	17,50
إسـبانيـا	—.19	2.11	8.3	—.—	2.5	14.21	3.10	21.1	3.2	1.—	1.8	—.1	136	11,78
إنجلترا	9.44	1.3	2.1	—.—	—.4	—.—	2.3	3.2	22.1	2.3	3.2	—.—	107	9,28
البرازيـل	21.—	—.—	—.—	—.—	7.—	29.22	1.5	—.—	17.—	3.—	—.—	—.—	105	9,19
البرتغال	9.22	4.5	4.1	—.2	10.—	12.6	3.12	1.5	5.—	—.—	1.—	—.—	102	8,83
إيطاليـا	29.11	2.1	1.1	—.—	2.4	10.9	12.5	6.1	5.—	—.—	—.—	1.—	100	8,67

ألمانيا	5.15	—.—	2.6	—.—	—.5	1.6	4.6	—.—	3.6	—.—	—.—	—.—	59	5,10
بلجيكا	3.11	1.2	3.3	—.—	1.1	3.5	1.5	1.4	2.—	—.—	1.—	1.—	48	4,15
الأنبيال	5.5	3.3	1.3	1.—	2.—	2.4	2.2	1.2	4.—	—.—	1.—	—.—	40	3,45
السويد والنرويج	3.5	—.—	—.—	—.—	—.—	—.3	2.5	2.4	—.—	—.—	—.—	—.—	24	2,08
هولاندة	—.2	—.—	1.1	—.—	—.—	—.2	—.6	—.1	—.—	—.—	—.—	—.—	13	1,20
الدانمارك	1.1	—.—	1.—	—.—	—.—	—.—	—.3	1.—	—.—	—.—	—.—	—.—	7	0,60
اليونان	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	1.5	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	6	0,50
م = مسلمون ي = يهود	132.191	25.31	32.21	7.3	32.31	102.101	43.74	58.31	122.17	12.6	43.25	13.2	533 621	
المجموع	323	56	53	10	63	203	117	89	139	18	68	15	1154	
النسبة (المدن)	28,03	4,86	4,60	0,86	5,46	17,64	10,13	7,72	12,05	1,56	5,90	1,30		

ج 3 : تلخيص جداول السماسرة، بحسب الانتماء والموطن والنسبة المئوية

(1863 — 1900)

الدول	طنجة وأصيلة م — ي	العرائش م — ي	القصر والغرب م — ي	سلا والرباط م — ي	الدارالبيضاء والأحواز م — ي	آزمور والجديدة م — ي	آسفي م — ي	الصويرة م — ي	مراكش م — ي	فاس م — ي	مكناس وغيرها م — ي	الجميع	النسبة (الدول)
إنجلترا	6.5	5.6	3.21	5.3	4.46	8.33	9.23	27.10	5.3	2.5	—.—	229	25,19
فرنسا	7.10	2.13	3.10	1.15	5.57	6.9	3.8	9.—	8.3	4.7	3.3	186	20,46
الولايات المتحدة	7.1	1.25	1.1	—.—	10.54	3.5	—.3	1.—	—.—	1.4	1.—	118	12,98
إيطاليا	3.—	—.—	3.8	2.3	9.35	9.8	3.3	—.—	4.4	1.—	4.—	96	10,56
البرازيل	—.—	—.—	—.—	—.—	15.49	—.4	—.6	18.—	1.2	—.—	—.1	96	10,56
ألمانيا	4.—	—.—	1.2	—.—	2.29	2.8	1.4	9.1	7.2	1.1	—.—	74	8,30
إسبانيا	—.—	—.—	—.1	—.2	—.23	—.15	—.—	—.—	—.—	1.—	—.—	42	4,62

البرتغال	1.2	—.—	—.3	1.—	—.10	7.11	—.—	2.—	—.—	—.1	—.—	38	4,18
بلجيكا	—.—	—.—	—.8	—.—	—.2	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	10	1,10
الأنبريال	—.1	—.—	1.2	1.1	—.—	—.1	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	7	0,77
السويد والنرويج	—.—	—.—	—.—	—.—	—.3	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	3	0,33
اليونان	—.—	—.—	—.—	—.—	—.3	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	3	0,33
هولاندة	—.—	—.—	—.2	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	—.—	2	0,22
م = مسلمون ي = يهود	19.28	8.44	12.58	8.26	45.311	37.92	16.47	66.11	25.14	10.18	8.4	653 254	
المجموع	57	52	70	34	356	129	63	77	39	28	12	907	
النسبة (المدن)	5,17	5,72	7,70	3,74	39,16	14,19	6,93	8,60	4,29	3,08	1,32		

ومما يستحسن ذكره أن هاته الأرقام في الجدول الأول ليست إلا جد طفيفة وقبيلة، بالنظر لمجموع السكان (بضعة الملايين). غير أن نسبة المحميين والسماسرة كانت أقوى عند اليهود منها عند المسلمين بالنسبة لمجموع الطائفتين. وحتى لو أضفنا الخلطاء (وكان أكثرهم من المسلمين) لظلت النسبة هي هي.

الجدولان التخليصيان العامان السابقان لست أعني بهما إحصاء جميع المحميين والسماسرة، لكن فقط الذين وقفت على أسمائهم. وبديهي أن هؤلاء جميعا لم يتزامنوا تزامنا تاما، وإنما كانوا يعوضون، وقليل منهم من ظلوا محميين خلال هاته الفترة كلها : فمنهم من مات ومنهم من عزل ومنهم من استقال، بحيث أن عدد المحميين والسماسرة لم يتجاوز بضع المئات في كل سنة على أكبر تقدير.

وبعد هاته التوضيحات الضرورية عن الجدولين المذكورين لن يفوتني أن أسوق هنا أيضا على سبيل الاستئناس جدولين آخرين : أولهما لسماسرة التجار الألمانيين بين سنتي 1901 و 1903، وثانيهما جدول عام للخلطاء والمحميين والسماسرة سنة 1905.

ج 4 : سماسرة التجار الالمانيين[1]

كان عددهم 35 شخصا سنة 1899 غير أنه بدأ يتكاثر قليلا بعد ذلك :

المدينة	1901	1902	1903
طنجة	8	8	8
العرائش	1	1	1
الرباط	2	2	2
الدار البيضاء	13	12	16
الجديدة	8	7	6
آسفي	2	4	4
الصويرة	4	4	7
مراكش	1	2	4
فاس	2	2	2
الجميع	41	42	50

1 گيين : «ألمانيا والمغرب» ص 499 (1).

ج 5 : أعداد المحميين والسماسرة والخلطاء سنة 1905

بعث أحمد الطريس إلى والده الحاج محمد بتاريخ 11 جمادى الأولى 1323 /14 يوليوز 1905 رسالة ضمنها جدولا عاما[2] لأعداد المحميين والخلطاء لرعايا الدول الموقعة على معاهدة مدريد، باستثناء البرازيل والدانمارك ولكن بإضافة روسيا.

تقييد بيان ما عند كل جنس بلسطته

[الدول]	المتوظفون	المحميون	السماسر	المخالطون
الاسطرياك	33	00	00	049
البلجيك	45	00	05	074
الصبنيول	70	12	64	342
المريكان	14	04	15	121
الفرنسيس	19	07	64	375
الانجليز	24	05	83	777
الطليان	36	14	43	318
البرطقال	23	11	14	286
الروسيا	11	00	00	000
هولاندة	11	00	02	008
السويد والنرويج	17	00	02	012
الألمان	38	02	43	499
[الجميع]	341	55	335	2861

2 . أفادني بهما صديقي محمد بن عزوز حكيم مشكورا.

ج 6 : فئات المحميين بالدار البيضاء[3]

سنة 1317 / 1899

وهذا آخر جدول أقدمه ملخصا لأصناف المحميين سنة 1899 بالدار البيضاء من لدن دول معاهدة مدريد، لكن سنعجب من أنه يخلو من أعداد المحميين لكل من فرنسا وبلجيكا والنمسا :

الدولة	المحميون	السماسرة	الخلطاء	المجنسون	المجموع
إنجلترا	6	26	236	—	268
البرازيل	5	46	103	—	154
البرتغال	8	11	124	—	143
ألمانيا	5	8	124	—	137
إيطاليا	6	29	91	—	126
إسبانيا	14	20	71	5	110
الولايات المتحدة	6	6	42	—	54
السويد والنرويج	5	2	14	—	21
هولاندة	2	—	2	—	4
الدانمارك	3	—	—	—	3
المجاميع	60	148	807	5	1020

3 . صورته بمديرية الوثائق الملكية، محفظة الحماية القنصلية 2، وهو يقع في 55 صفحة تتضمن جميع أسماء المحميين والتجار.

4 : نصوص تاريخية

أ. وفـق مدريد

كانت هاته المعاهدة هي المرجع الدولي في قضية الحماية القنصلية. إلا أن تطبيقها من لدن ممثلي بعض الدول كان تعسفياً.

وقد رأيت أن أضم نصها العربي إلى صلب الموضوع واجعل أمامه الترجمة الرسمية الفرنسية، بغية توضيح ما غمض من المعاني وما عسر من التراكيب العربية العتيقة، ولكنني حذفت من النصين الحيثيات والمقتضيات.

معاهدة مدريد

(3 يوليوز 1880)

....

الفصل الأول

والشروط التي تقبل بها الحماية هي المقررة في شروط النَّجليز والصبنيول مع دولة المغرب والوفق الواقع بينها وبين الفرنسيس والأجناس الأخر عام 1863 سوى التراتيب التي ستقع في هذا الوفق.

الفصل الثاني

ونواب الأجناس يمكن لهم أن يختاروا ترجماناتهم وخدامهم من المسلمين أو غيرهم. وهؤلاء محميون لا يُلزِمهم رؤساء المحل جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذالك سوى ما هو مقرر في الفصل الثاني عشر والثالث عشر.

الفصل الثالث

والقناصل وبِسْ قُنصُلات والأُخِنْطِس قنصلات الذين هم رؤساء، المستقرين في إيالة سلطان المغرب لا يمكن لهم أن يختاروا سوى ترجمان واحد ومخزني واحد ومتعلمين من رعية السلطان، إلا إذا احتاجوا كاتبا عربياً. وهؤلاء لايلزمهم حتى جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذالك سوى ما رتب في الفصل الثاني عشر والثالث عشر.

Convention de Madrid
(3 juillet 1880)

....

ARTICLE 1

Les conditions dans lesquelles la protection peut être accordée sont celles qui sont stipulées dans les Traités britannique et espagnol avec le Gouvernement marocain et dans la Convention survenue entre ce Gouvernement, la France et d'autres Puissances en 1863, sauf les modifications qui y sont apportées par la présente Convention.

ARTICLE 2

Les Représentants étrangers Chefs de Mission, pourront choisir leurs interprètes et employés parmi les sujets marocains ou autres.

Ces protégés ne seront soumis à aucun droit, impôt ou taxe quelconque, en dehors de ce qui est stipulé aux articles 12 et 13.

ARTICLE 3

Les Consuls, Vice-Consuls ou Agents consulaires Chefs de poste qui résident dans les Etats du Sultan du Maroc ne pourront choisir qu'un interprète, un soldat et deux domestiques parmi les sujets du Sultan, à moins qu'ils n'aient besoin d'un secrétaire indigène.

Ces protégés ne seront soumis non plus à aucun droit, impôt ou taxe quelconque, en dehors de ce qui est stipulé aux articles 12 et 13.

ARTICLE 4

Si un Représentant nomme un sujet du Sultan à un poste d'Agent consulaire dans une ville de la côte, cet Agent sera respecté et honoré, ainsi que sa famille habitant sous le même toit, laquelle, comme lui-même, ne sera soumise à aucun droit, impôt ou taxe quelconque en dehors de ce qui est stipulé aux articles 12 et 13 ; mais il n'aura pas le droit de protéger d'autres sujets du Sultan en dehors de sa famille.

Il pourra, toutefois, pour l'exercice de ses fonctions, avoir un soldat protégé.

Les Gérants des Vice-Consulats, sujets du Sultan, jouiront, pendant l'exercice de leurs fonctions, des mêmes droits que les Agents consulaires sujets du Sultan.

ARTICLE 5

Le Gouvernement marocain reconnaît aux Ministres, Chargés d'Affaires, et autres Représentants le droit, qui leur est accordé par les Traités, de choisir les personnes qu'ils emploient, soit à leur service personnel, soit à celui de leurs Gouvernements, à moins toutefois que ce ne soient des Cheiks ou autres employés du Gouvernement marocain, tels que les soldats de ligne ou de cavalerie, en dehors de Maghaznias préposés à leur garde. De même ils ne pourront employer aucun sujet marocain sous le coup de poursuites.

Il reste entendu que les procès civils engagés avant la protection se termineront devant les Tribunaux qui en auront entamé la procédure. L'exécution de la sentence ne rencontrera pas d'empêchement. Toutefois, l'Autorité locale marocaine aura soin de communiquer immédiatement la sentence rendue à la Légation, Consulat ou Agence consulaire dont relève le protégé.

Quant aux ex-protégés qui auraient un procès commencé avant que la protection eût cessé pour eux, leur affaire sera jugée par le Tribunal qui en était saisi.

Le droit de protection ne pourra être exercé à l'égard des personnes poursuivies pour un délit ou un crime avant qu'elles n'aient été jugées par les Autorités du pays, et qu'elles n'aient, s'il y a lieu, accompli leur peine.

الفصل الرابع

إذا نائب من نواب الأجناس عين واحداً من رعية السلطان أخنْطِ قنصل بإحدى المراسي، هذا الأخنْطِ يكون هو وعياله الساكنون بداره موقرين محترمين ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذالك سوى ما اشتُرِط في الفصل الثاني عشر والثالث عشر. ولاكن لا يقدر أن يحمي أحداً من رعية السلطان إلا عياله فقط. وله الحق ليكون عنده مخزني محمي. والبيس قنصلات من رعية هذه الأيالة يتصرفون في وقت خدمتهم في الحقوق مثل الحقوق التي للأخنْطِ قنصلات من رعية السلطان.

الفصل الخامس

الدولة المراكشية اعترفت للباشدورات والمِنِسْطْروس ونواب الأجناس بالخصوصية التي عندهم على مقتضى الشروط من اختيار الأناس لخدمتهم الخاصة أو لخدمة دولهم، دون الأشياخ أو غيرهم من الخدام للدولة المراكشية مثل العسكر والمخازنية، إلا ما يحتاجون من المخازنية لحراستهم. ولاكن لا يقدرون يستخدمون حتى واحداً من رعية مراكش عليه دعوى. ومعلوم أن الدعاوى الشرعية المبدية قبل الحماية تتمم أمام المجالس التي بدئت فيها، ولا يجدون مانعاً في وفاء الحكومة. نعم الولاة المراكشية يجب أن يخبروا حيناً بالحكم الصادر للكُنْسيونِس والقنصلات أو الأخِنْطِس قنصلات الذين كان منهم ذالك المحمي. والمحميون الذين تنحوا من الحماية وعليهم دعوى مبدية قبل خروجهم من الحماية فدعواهم يكون الحكم فيها في المجلس الذي بدئت به. ولا تعطى الحماية للأناس الذين عليهم دعوى جريمة قبل أن يحكم عليهم ولاة البلد ويوفى الحكم الواقع عليهم.

ARTICLE 6

La protection s'étend sur la famille du protégé. Sa demeure est respectée.

Il est entendu que la famille ne se compose que de la femme, des enfants et des parents mineurs qui habitent sous le même toit.

La protection n'est pas héréditaire. Une seule exception déjà établie par la Convention de 1863, et qui ne saurait créer un précédent, est maintenue en faveur de la famille Benchimol.

Cependant, si le Sultan du Maroc accordait une autre exception, chacune des Puissances contractantes aurait le droit de réclamer une concession semblable.

الفصل السادس

أهل المحمي داخلون في الحماية أيضا، وله التوقير والاحترام في داره. ومعلوم أن الأهل يشمل الزوجة والعيال والأقارب من صغار السن الساكنين تحت سقف داره. والحماية لا تورث سوى استثناء واحد في شأن أهل بَنْ شِيمُول من حيث هو مقرر في وفق 1863. وبهذا الاستثناء لا تفتح الأبواب. نعم إذا حضرة سلطان المغرب أنعمت باستثناء ءاخر فجميع الدول المجتمعين بالمجلس لهم الحق في طلب مثل ذالك.

ARTICLE 7

Les Représentants étrangers informeront par écrit le Ministre des Affaires Etrangères du Sultan du choix qu'ils auront fait d'un employé.

Ils communiqueront chaque année au dit Ministre une liste nominative des personnes qu'ils protègent ou qui sont protégées par leurs Agents dans les Etats du Sultan du Maroc.

Cette liste sera transmise aux Autorités locales, qui ne considèreront comme protégés que ceux qui y sont inscrits.

الفصل السابع

نواب الأجناس يخبرون كتابة لوزير الأمور الخارجية من حضرة السلطان حين يختارون متوظفا. ويدفعون في كل سنة، للوزير المذكور، تقييداً اسمياً من الأناس المحميين عندهم أو من المحميين الذين يحمون الأخِنْطِس في إيالة المغرب. وهذا التقييد يوجه لولاة البلد، ولا يحسبون محميا سوى ما هو مذكور فيه.

ARTICLE 8

Les Agents consulaires remettront chaque année à l'Autorité du pays qu'ils habitent une liste, revêtue de leur sceau, des personnes qu'ils protègent. Cette Autorité la transmettra au Ministre des Affaires Etrangères, afin que, si elle n'est pas conforme aux Règlements, les Représentants à Tanger en soient informés.

L'Officier consulaire sera tenu d'annoncer immédiatement les changements survenus dans le personnel protégé de son Consulat.

الفصل الثامن

والأَخِنْطِس يُمكّنون في كل سنة لولاة البلد الذين هم ساكنون بها تقييداً مع طابعهم من الأناس المحميين عندهم. والولاة المراكشية يبعثونها لوزير الأمور البرانية ليطلع عليها وينظر هل هي غير موافقة مع الترتيب ليخبر نواب الأجناس المستقرين بطنجة. والفَسْيال القنصلية يجب عليهم يخبرون في الحين بجميع التبديل الذي يقع في الأناس المحميين من قنصلاتهم.

ARTICLE 9

Les domestiques, fermiers et autres employés indigènes des secrétaires et interprètes indigènes ne jouissent pas de la protection. Il en est de même pour les employés ou domestiques marocains des sujets étrangers.

Toutefois, les Autorités locales ne pourront arrêter un employé ou domestique d'un fonctionnaire indigène au service d'une Légation ou d'un Consulat, ou d'un sujet ou protégé étranger, sans en avoir prévenu l'Autorité dont il dépend.

Si un sujet marocain au service d'un sujet étranger venait à tuer quecqu'un, à le blesser ou à violer son domicile, il serait immédiatement arrêté, mais l'Autorité diplomatique ou consulaire sous laquelle il est placé serait avertie sans retard.

الفصل التاسع

المتعلمون والفلاحة أو المتوظفون الآخرون من رعية مراكش الذين هم في خدمة كتاب العربية والترجمانات المراكشيين مالهم حماية. وكذالك المتعلمون والخدام لرعية الأجناس. لاكن فولاة المسلمين لا يقبضون متعلما أو خادماً — لأحد في خدمة اللكْسيون أو القنْصلات أو رعية الأجناس أو محمي — دون إعلام لحاكم جنسه. وإذا يوجد أحد من رعية هذه الإيالة في خدمة أحد من رعايا الأجناس قتل أحداً أو جرحه أو هجم عليه فيقبض في الحين ويقع الإعلام لنائب دِبْلُمَتِيك أو لقنصل جنسه عاجلا.

ARTICLE 10

Il n'est rien changé à la situation des censaux telle qu'elle a été établie par les Traités et par la Convention de 1863, sauf ce qui est stipulé, relativement aux impôts, dans les articles suivants.

الفصل العاشر

لايقع تبديل في شيء من أمر السماسرة مما هو مقرر في الشروط وفي وفق 1863 إلا ما يترتب في شأن الوظائف في الفصول التي ستأتي بعد.

ARTICLE 11

Le droit de propriété au Maroc est reconnu pour tous les étrangers.

L'achat de propriétés devra être effectué avec le consentement préalable du Gouvernement, et les titres de ces propriétés seront soumis aux formes prescrites par les lois du pays.

Toute question qui pourrait surgir sur ce droit sera décidée d'après ces mêmes lois, avec l'appel au Ministre des Affaires Etrangères stipulé dans les traités.

الفصل الحادي عشر

حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروفـ[ـة]، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية، ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد، وجميع النوازل التي تقع في هذه الحقوق يحكم فيها على مقتضى شرع البلد، ولهم رفعها لوزير الأمور البرانية كما هو مقرر في الشروط.

ARTICLE 12

Les étrangers et les protégés propriétaires ou locataires de terrains cultivés, ainsi que les censaux adonnés à l'agriculture. paieront l'impôt agricole. Ils remettront chaque année à leur Consul la note exacte de ce qu'ils possèdent, en acquittant entre ses mains le montant de l'impôt.

Celui qui fera une fausse déclaration paiera. à titre d'amende, le double de l'impôt qu'il aurait dû régulièrement verser pour les biens non déclarés. En cas de récidive cette amende sera doublée.

La nature, le mode, la date et la quotité de cet impôt seront l'objet d'une Règlement spécial entre les Représentants des Puissances et le Ministre des Affaires Etrangères de Sa Majesté Shériffienne.

الفصل الثاني عشر

رعية الأجناس والمحميون الذين لهم الملكية في الأرضين أو يكونون اكتروها، والسماسرة الذين تكون عندهم الفلاحة يدفعون الزكاة والأعشار. وفي كل سنة يدفعون لقونصوهم تقييداً صحيحاً بما يملكونه، ويدفعون بيده ما يجب عليهم من الزكاة والأعشار. والذي يشهد بالزور يؤدي — ذعيرة مرتين — الأعشار الواجب[ة] عليه شرعاً في هذا الشيء الذي سكت عنه. وإذا وقع منه هذا مرة أخرى فتثنّى له الذعيرة المذكورة. والوجه والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الأمور الخارجية للحضرة الشريفة.

ARTICLE 13

• Les étrangers, les protégés et les censaux propriétaires de bêtes de somme paieront la taxe dite des portes. La quotité et le mode de perception de cette taxe, commune aux étrangers et aux indigènes, seront également l'objet d'un Réglement spécial entre les Représentants des Puissances et le Ministre des Affaires Etrangères de Sa Majesté Shériffienne.

La dite taxe ne pourra être augmentée sans un nouvel accord avec les Représentants des Puissances.

الفصل الثالث عشر

رعية الأجناس والمحميون والسماسرة الذين عندهم بهائم الحمل يؤدون ما وجب في الأبواب. والقدر وكيفية قبض هذا الواجب تكون واحدة لرعية الأجناس ورعية السلطان، ويكون في ذالك ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة. وهذا القدر لا يزاد فيه إلا باتفاق جديد مع نواب الأجناس.

ARTICLE 14

La médiation des interprètes, secrétaires indigènes ou soldats des différentes Légations ou Consulats, lorsqu'il s'agira de personnes non placées sous la protection de la Légation ou du Consulat, ne sera admise qu'autant qu'ils seront porteurs d'un document signé par le Chef de Mission ou par l'Autorité Consulaire.

الفصل الرابع عشر

لايقبل توسط الترجمانات وكتاب العربية والمخازنية الذين هم لبعض اللكسيونس والقونصوات في أمور الناس الذين لم يستحقوا الحماية من اللكسيونس والقونصوات إلا اذا جلبوا بيدهم رسماً بخط يد نواب الأجناس أو القونصوات.

الفصل الخامس عشر

جميع الرعية المراكشية الذين أخذوا النَّطُرلزِيس من الأجناس ورجعوا للمغرب واجب عليهم بعد مدة من استقرارهم فيه قدر المدة التي احتاجوها شرعاً للحاق هذا النَّطُرَلزِيس أن يختاروا إما أن يدخلوا [دخولا] تاما تحت حكم شريعة الإيالة أو يلزم عليهم الخروج من المغرب، إلا إذا ثبت أن هذا النطرلزيس لحقه بإذن الدّولة المراكشية. والنطرلزيس الذي لحقوه الرعية المراكشية إلى الآن على مقتضى الشرائع الجارية في كل بلد يبقى مستحفظا في كل وجه من غير نقص.

الفصل السادس عشر

حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لاتعطى في المستقبل. والولاة المراكشية لا يعرفون أبداً حماية أخرى من أي وجه كان دون هذه الحماية الخاصة التي اتفق عليها في هذا الوفق. ولاكن إجراء حق حماية كُنْسُتُدِينير وهي الحماية المعتادة تستحفظ في صورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشي لأحدى دول الأجناس أو لأسباب أخر غريبة الوقوع. وكيفية هذه الخدمة ونية جزائهم بالحماية يقدم الأعلام بها لوزير الأمور الخارجية بطنجة ليمكنه عند الاحتياج أن يعرض مراعاته. والفصال المتمم تستحفظه الدولة التي وقعت لها الخدمة. وعدد هؤلاء المحميين لا يمكن أن يجاوز اثنى عشر لكل جنس، وهذا العدد المعين هو الأعلى، إلا اذا لحقوا قبولا من الحضرة الشريفة. وحالة المحميين الذين عندهم الحماية على مقتضى العوائد التي أصلحت في هذا الفصل يكون من دون نقص من عدد المحميين من هذا الصنف الكائن الآن لهم ولعيالهم وعلى السواء مثل الحالة المقررة للمحميين الآخرين.

ARTICLE 15

Tout sujet marocain naturalisé à l'étranger, qui reviendra au Maroc, devra, après un temps de séjour égal à celui qui lui aura été régulièrement nécessaire pour obtenir la naturalisation, opter entre sa soumission entière aux lois de l'Empire et l'obligation de quitter le Maroc, à moins qu'il ne soit constaté que la naturalisaiton étrangère a été obtenue avec l'assentiment du Gouvernement marocain.

La naturalisation étrangère, acquise jusqu'à ce jour par des sujets marocains suivant les règles établies par les lois de chaque pays, leur est maintenue, pour tous ses effets, sans restriction aucune.

ARTICLE 16

Aucune protection irrégulière ni officieuse ne pourra être accordée à l'avenir. Les Autorités marocaines ne reconnaîtront jamais d'autres protections, quelle que soit leur nature, que celles qui sont expressément arrêtées dans cette Convention.

Cependant, l'exercice du droit consuétudinaire de protection sera réservé aux seuls cas où il s'agirait de récompenser des services signalés rendus par un marocain à une Puissance étrangère, ou pour d'autres motifs tout-à-fait exceptionnels. La nature des services et l'intention de les récompenser par la protection seront préalablement notifiées au Ministre des Affaires Etrangères à Tanger, afin qu'il puisse, au besoin, présenter ses observations; la résolution définitive restera néanmoins réservée au Gouvernement auquel le service aura été rendu. Le nombre de ces protégés ne pourra dépasser celui de douze par Puissance, qui reste fixé comme maximum, à moins d'obtenir l'assentiment du Sultan.

La situation des protégés qui ont obtenu la protection en vertu de la coutume désormais réglée par la présente disposition sera, sans limitation du nombre pour les protégés actuels de cette catégorie, identique pour eux et pour leurs familles, à celle qui est établie pour les autres protégés.

الفصل السابع عشر

دولة المغرب اعترفت لجميع الأجناس التي نوابها حاضرون في هذا المجلس ليجرى لهم جميع التفضيل الذي ينعم به جنس من الأجناس.

الفصل الثامن عشر

وهذا الوفق سيثبت، والتثبيتات يتبدلون بطنجة في مدة عن قريب. يمكن أن يكون — وبرضى مستثنى من الأجناس المتفقة — ترتيبه يجري من يوم ختمه بمدريد. ولثبوت ذالك المفوضون المذكورون وضعوا خطوط يدهم في هذا الوفق وطبعوا بطابعهم وجعلوا ثلاث عشرة نسخة.

وحرر بمدريد في 3 يليه عام 1880، الموافق 24 من رجب عام 1297.

ARTICLE 17

Le droit au traitement de la Nation la plus favorisée est reconnu par le Maroc à toutes les Puissances représentées à la Conférence de Madrid.

ARTICLE 18

La présente Convention sera ratifiée. Les ratifications seront échangées à Tanger dans le plus bref délai possible.

Par consentement exceptionnel des Hautes Parties contractantes, les dispositions de la présente Convention entreront en vigueur à partir du jour de la signature à Madrid.

En foi de quoi les Plénipotentiaires respectifs ont signé la présente Convention, et y ont apposé le sceau de leurs armes.

Fait à Madrid, en treize exemplaires, le trois Juillet mil huit cent quatre-vingt.

ب. رسالة السلطان مولاي الحسن

حول تفاحش الحماية بقبيلة مديونة سنة 1894 *

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله

(الطابع السلطاني الكبير)

خديمنا الأرضى الحاج محمد بن العربي الطريس،
وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد فغير خاف عليك أن التجار لم يتمشوا في اتخاذهم السماسرة من الرعية على مقتضى الشروط الذي هو اتخاذ من كان منهم ذا تجارة متسعة سمسارين، ومتوسطة سمساراً واحداً، وصار

* أصلها بمكتبة تطوان، ويطابق تاريخها 30 أبريل 1894. ولما استشهدت بطرف منها في الصفحتين 423 و 821 تسرب إليها بعض التحريف. فها هو النص كاملا أعلاه، فليراجع ما عداه.

كل واحد منهم يتخذ ثمانية فأكثر، وحتى من لا تجارة له أصلًا صار يتخذهم ويتعيش فيهم، ولا يتحرى في أخذهم خدامَ المخزن كالأشياخ ونحوهم، بل يأخذهم منهم، وإذا وقع معه الكلام فيهم يزعم أنهم ليسوا في خدمة المخزن. وكل سمسار تنحاش لخيمته العشرون خيمة من إخوانه فأكثر، فيتعرض عليها للعامل إذا طالبها بأداء الـ[كُلَف] والمَلازم الترتيبية والحقوق المترتبة عليها ويحميها، مع أن المحمي لا يحمي غيره.

كما لم يتمشوا أيضاً — هم والمحميون — على مقتضى الشروط في اتخاذ المخالطين، وصار الواحد منهم يتخذ الخمسين والستين مخالطاً، وكل مخالط ينحاش إليه العدد الكثير من خيام إخوانه فيتعرض عليهم للعامل ويُغريهم على عدم إعطاء الواجب، والقيام بالكلف، وعلى عدم إعطاء حقوق الناس المترتبة عليهم، ويحميهم مع أنه لاحماية له هو فضلًا عن أن يحمي غيره. وهو بنفسه إن امتنع من القيام بما ذُكر مع إخوانه أو استوجب الأحكام يلزمه المخزن القيامَ بها ويجريها عليه بعد الإعلام وفق الشروط.

وقد اتسع الخرق بهذا على العمال، وانحلت به عُرَى أحكامهم، وحصل الضرر لقبائلهم من عدم قيامهم معهم بذالك، ولسائر الناس بعدم توصلهم منهم بحقوقهم، وصاروا فوضى بتعصب التجار وتعرضهم لعمالهم عليهم، ومن مد اليد منهم فيهم يدَّعون عليه بالباطل.

ومن جملة القبائل الذي (= التي) وقع فيها هذا الخرق الفظيع وتفاحش أمره قبيلة مديونة، فقد كادت أن تكون كلها سماسرة ومخالطين بدون شرط ولا قانون حسبما تقف عليه — في زمامات السماسرة والمخالطين منها والخيام المنحاشين لهم الممتنعين من أداء ما ذكر — طيه. وملخصه 62 اثنان وستون سمسارا، و 202 مائتا مخالط ومخالطان، وإحدى عشرة مائة خيمة وست وستون خيمة منحاشة كلها لأولائك السماسرة والمخالطين وما وقع منهم التعرض عليها.

وعليه فنأمرك أن تكلم نواب الدول بما يتعين في ذالك وتقف في رتق هذا الخرق وخصوصاً الذين من قبَلهم التجار المتخذون السماسرة والمخالطين من القبيلة المذكورة، وتجري أمرهم معهم على مقتضى الشروط : من إلزام التاجر الذي تجارته متسعة الاقتصارَ على سمسارين فقط والتخلي عما عداهما، والذي تجارته متوسطة الاقتصارَ على سمسار واحد والتخلي عما سواه، والاقتصار على اتخاذ مخالطيْن أو ثلاثة ممن تسوِّغ الشروط حمايتهم ومخالطتهم، والذين ليسوا في خدمة المخزن ولا تباعة عليهم، وإلزام السمسار الاقتصار على خيمته وعدم التعرض على غيرها لكون المحمي لا يحمي غيره. وكذالك المخالط : فإن المخزن بصدد إجراء الأحكام على الخيام المنحاشين إليهم المتقاعدين عن أداء الحقوق. ومن تعرَّض منهم عليهم وعَمَّته الصفْقة معهم فمصيبتُه على نفسه، وذنبه على رأسه.

وما جعلتَه معهم في ذالك طيرْ لنا الإعلام به.

والسلام، في 24 من شوال عام 1311.

فهرس الأعلام *

— الألف AEIOU —

* الخط المائل يعني تتابع أرقام الصفحات.
* المزدوجتان تكرران العلم المفهرس.
* الفهرسة اجتهادية فيمن ليس له علَم مميز.

— ابن ، بن —

— أبو ، بو —

— الباء B وV الاسبانية —

— الپاء الفارسية .P —

— الجيـــــم J.G. —

الݣباص : محمد بن محمد 412 ـ 595 ـ 703

ݣـوتـش : شارل Ch. Gautsch 624 ـ 625.
'' ويليام ديفيد W.D. Gooch 772.

الـݣـداري : محمد 707 ـ 708 ـ 725.

ݣديمات : مولاي التهامي بن إدريس 1046 ـ 1056

ݣـدعـون : 1139.

ݣـــودار : ليـون L. Godard 61 ـ 347 ـ 391

ݣـوديـث : تيودور لوكاس L. T. Godet 168 ـ 772.

الݣـربي القرشي : الحاج محمد والحاج العربي 721.

الݣربي السفياني : بوعزة بن العياشي 722.

الݣـركـوري : الأحسـن 1038 ـ 1137.

ݣـاردينيـت (؟) 1184

ݣـراسينـو : Garassino 930.
'' باسيليـو Basilio 891 ـ 897/900 ـ 903 ـ 904 ـ 908 ـ 941.

ݣراسينو : جيوسيبي J 897 ـ 899/901 ـ 903 ـ 904.

ݣراسينو : جيو باطيستا G. B. 1006 ـ 1008.

ݣراسينو : G ݣايطانو 902.
'' L لويس 169
'' نيـكـولـو N 903.

ݣارسيـا : دومينݣـو D. Garcia 385.

'' خـوان بلانكـو J. Blanco 573.
'' إي سينطيس Garcia y Sintès 818 ـ 889.

ݣـارسـان : ماريوس M. Garcin 1014.

ݣـرانـدي : باولو P. Grande (?) 579 ـ 1008.

ݣرانط : ي س U. S. Grant 464 ـ 481 ـ 491.

ݣرافيري : Gravéri 786 ـ 907 ـ 915.

ݣـراهـام : ويليام W. Graham 65 ـ 509 ـ 1065.

الݣراوي : ابراهيم بن سعيد 1122/1124.
'' البتول ربيبة ابراهيم بن سعيد 1124.
'' أحمد 1046.
'' عباس بن إبراهيم 1062

ݣرو : ڤـالانطـان V. Gros 696 ـ 788.

ݣـرواش : محمد ولد التهامي 620.

ݣـروندمـان Grundmann 829 ـ 835.

الݣروصي : التهامي بن الحسن 831.
'' حـمـو 838.
'' الحسن بن الحاج أحمد الزياني 884.
'' الحاج الطيب بن الحاج محمد 939.
'' محمد بن عيسى 839.
'' عبد السلام بن الحاج أحمد 884. 884.

الݣرواني : أحمد 1032.
'' محمد وميمون 72 ـ 439

— الحـــاء —

— الخاء —

— الـــدال D —

— الـــــراء R —

— الــــزاي Z —

ـــ الطـــــاء .T ـــ

— الكاف C. K. Q. —

لا آما : إدواردو دي E. de la Ama 687.

اللبادي : أحمد بن محمد 657.

" أحمد بن العربي 660.

" الحاج محمد 397 — 402 — 417.

" عبد الكريم بن أحمد 660 — 665.

اللبار : الحاج محمد بن أحمد 118.

" عبد القادر 112.

" عبد السلام 685.

اللباري : محمد بن إدريس المكناسي 847.

اللباط : الحاج أحمد المنديلي 990 — 1021.

لابين : جون J. Lapeen 151 — 350 — 804 — 818 — 860 — 862 — 864 — 870 — 888 — 934 — 937 — 939 — 1054.

لوباريس : عبد الرحمان 877.

" عمر 1108.

لوباريلو : أنجيلو A. Lubarello 585.

اللوبيري : محمد بن علي الحسري 940.

اللوبيري : الحاج محمد نديبي 847.

ليبوك (؟) Liebock 1156.

لبيل : رولان R. Lebel 607 — 610.

لبلان : أندري A. Le Blanc 20.

لبروه : هنري H. Lepreux 1113.

الليبي : أسير 841 — 1151 — 1174.

" حاييم الصويري 1074.

" موشي 508.

" العزيز 936 — 939 — 940.

" سالوموں 664.

" يعقوب 1040 — 1173.

" يهودة بن حاييم بن اسحاق 1044.

" يولي (الإخوة) 73.

لوتكاندو : لويس إي ألدانا دي L. y Aldana de Lugando 690.

لوثانو مونيوث : فرانسيسكو F. Lozano Munóz 554 — 555 — 687 — 1098.

لوجي : ڤيلار هـ. دو H. de Laugier-Villard 613.

لكلي : موريس M. Le Glay 1159 — 1176.

اللوكاشي : ياسين 1108.

لودڤيك ڤيل Ludvic-Ville 283.

لوديريتز : دو de Luderitz 456.

لري : لوي ألبير L.A. Le Ree 1106.

لريش Leriche 617.

لارو : دو de La Rue 1144.

لاريدو : ابراهام 467.

" إبراهام بن مردوخ 582.

" ابراهام بن يعقوب 507 — 991 — 1155.

" ابراهام بن يوسف 868.

" ابراهام الرباطي 507 — 770.

" اسحاق ويعقوب 461.

" مردوخي وشلومو 581.

" موشي 73 — 323 — 508.

" شلومو بن يوسف 991.

" يونة 718.

— الميم M. —

ـــ النـــون .N ـــ

— الصــاد .S —

عمر معن خنيل 244 ــ 272

'' بن ابراهيم (الحاج) 911

العمري : الحاج محمد 1008

العمري : أحمد بن الدرقاوي الخليفي 995

'' بوشعيب بن العربي الحريزي 938

'' محمد بن الغاضي العوفي 1007

'' العربي 725

العمراوي : الحاج إدريس بن إدريس 73 ــ 181 ــ 368 ــ 372 ــ 373 ــ 381 ــ 506 ــ 606 ــ 612 ــ 785

العمراوي : محمد بن إدريس 108 ــ 368 ــ 381 ــ 468 ــ 645 ــ 702 ــ 1023 ــ 1059

العمراني : محمد 981

'' محمد بن محمد 991

'' الحاج محمد بن مبارك 118

'' محمد بن عثمان 1009

'' محمد بن علي ولد رزين 99

'' عبد الله 515 ــ 557 ــ 615 ــ 1124

'' العياشي 689

'' علي بن سلام 720

العامري : الجيلالي بن العربي السعيدي 827

عمّار : ابراهام 839 ــ 881 ــ 893 ــ 1044

عمّار : إسحاق الرباطي 880 ــ 1077

'' بركوم 881

'' رفائيل المكناسي 1188 ــ 1189

'' مسعود 841 ــ 851

'' إسحاق وميمون وميير المكناسيون 1118

'' موشي 942

'' ميير 1139

'' شلومو الرباطي 798

'' شلومو المكناسي 1188

'' الياهو 840 ــ 881 ــ 893

العمّاري : حمادي ولد حدا الزرهوني 1163

'' محمد بن قاسم الزرهوني 1163 ــ 1168

عمارة بن الجيلالي (الحاج) 1107 ــ 1108

العمارتي : إدريس ومحمد 684.

'' الحاج أحمد 506 ــ 514 ــ 647

'' الحسن 509

'' محمد 507

'' الحاج محمد أبها 598

'' الحاج مسعود 468

'' الحاج عبد الله 507

'' الحاج عبد السلام 582

'' العربي بن الحاج عبد الله 647

'' الحاج علي 506

عمُّور : محمد بن عبد النبي وأبوه 118

'' عبد السلام بن الحاج محمد 468

'' الحاج علال بن عبد الغني وأبوه 1154

'' الياهو بن شلومو 1173

'' شلومو بن موشي 829 ــ 942

عميّل : ابراهام 688 ــ 1011

'' يوسف 907

'' يوشع 916

عميّل زُريول : سعدية بن يحيى وأخوه إسحاق 1006 ــ 1008

عميّل زريول : شالوم السمان 980

'' يوسف بن يحيى 998 ــ 999
'' شلومو 1007
'' يحيى 988 ــ 1008/1006

العاصمي : بنعيسى بن الحاج الجيلالي 722
'' العربي بن الحاج الجيلالي 723

العفاني : بوسلهام بن الحاج 682

العوفير : عبد الرحمان 999
'' بنعاشر 69 ــ 984 ــ 999 ــ 1010
'' محمد بن الحاج عمر 760 ــ 799
'' العباس 476 ــ 984 ــ 999 ــ 1010
'' العربي 998 ــ 999

العقباني 780

عقوقة : شلومو بن يامين 1077 ــ 1102

العسري : إسحاق 841
'' يوسف 508 ــ 685 ــ 686 ــ 721 ــ 866 ــ 896

العسري : مسعود 839 ــ 840 ــ 842
'' المديوني : بوعزة بن الإدام 846 ــ 902

العسيري : الجيلالي 458
'' المحجوب وقدور 1051
'' عبد الرحمان 98
'' عبد الله 457

عسولين : سالومون 620
'' يونس 624

العسيلي : بوشعيب بن الحاج بوشعيب 881
'' الحاج محمد بن الحيمر الحريزي 864

'' الحاج عبد القادر بن الحيمر 938

عشاش : بلقاسم 137

عوَّاد : الحاج الطيب بن أحمد 137
'' محمد 1056

العوَّامي : الحاج محمد بن عمرو 466 ــ 498
'' عبد السلام بن عمرو 466 ــ 467

العوني : الجيلالي بن بوشعيب 991
'' حمادي بن محمد الرباطي والحاج بوعزة وقدور بن محمد بن بوشعيب 990

العولي : محمد بن الخليفة 1017
'' المصدق 995

العياشي : صالح بن بو مهدي اليزالغي 1054

العيادي : الحاج عبد السلام بن الشاوي 885

العيمي : عبد الرحمان بن المكي 452 ــ 478 ــ 638

غيسى بن الحسن (الحاج) 900

العيساوي : بلعيد 1107

العياشي : محمد 637
'' محمد 19 ــ 750
'' اليزيد بن محمد 637
'' بن الحاج مبارك 621
'' بن الهاشمي بن عبد الله 458

عياش : جيرمان 20 ــ 215 ــ 350 ــ 524 ــ 560 ــ 834 ــ 926

عيوش : الحاج إدريس 117
'' محمد 76 ــ 316

ـ الفاء F و PH ـ

الفـاء V الأروبية —

ـ القــاء الجرمانية W ـــ

ـــ القــاف ـــ

قرقوز : حايم بن يعقوب 1077 ــ 1082 ــ 1135 ــ 1136.

قرقوز : دابيد 1076.

" موشي بن ابراهام 1107 ــ 1110 ــ 1135 ــ 1136.

قرقوز : مير بن ابراهام 1030 ــ 1076 ــ 1077.

قرقوز : عكان وشمعون مليحة 1077 .

" ساموبل 1141.

" سالومون بن ابراهام 1107.

" هارون 1076.

" يعقوب بن حايم 1080 ــ 1109.

القرشي : محمد بن سلام 664.

" عبد الله بن عزوز 180..

القرواني : الحاج علي 892.

القوري : أحمد 89.

قورياط : ابراهام بن شلومو 623 ــ 1057 ــ 1108.

قورياط : إسحاق 468.

" إسحاق بن ابراهام 1076 ــ 1113.

" نسيم 1141.

" يهودة بن شلومو 469 ــ 623.

" يونة 1077.

قزيز : ابراهام 639.

" مردوخ 581.

" مركوس وعيوش 936.

" عمران 468 ــ 936.

" شلومو 638.

قطب : محمد 291 ــ 292.

القطيب : عباس بن محمد 1081.

القلعي : محمد بن الحاج عبد الرحمان 1132.

" الكزنائي 1192.

" ميمون 560

" الحاج محمد بن حمو خمليش 623 ــ 1192 ــ 1199 ــ 1202.

القليعي : عبد القادر بن الحاج علال 135.

قنجاع : محمد بن الطيب 661.

القندوسي : أحمد 117 ــ 470 ــ 1152 ــ 1153.

القنقي : شمويل وأبوه ابراهام 1155 ــ 1160.

القصري : أحمد 1155 ــ 1158.

" حسونة 94 ــ 136.

" الحاج عبد الرحمان 1156 ــ 1184.

" عبد السلام 786.

" عمار 520.

القاسمي : زيد 999 ــ 1002.

قشوشو : عبد السلام بن محمد 656.

القايم : ابراهام 940.

القياني : محمد بن ابراهيم 100.

قيسومة : أحمد والتهامي الطليقي 681.

" محمد بن عبد السلام 682

القيسي : محمد 487 /894 ــ 500.

ــ السين S ــ

سؤار ف F. Souhart 617 ــ 697 ــ 1144.

السبتي : محمد بن المدني 118.

— الشين Sh, Ch —

— الهاء H —

ـ الــواو W . OI ـ

— الياء I. J. Y —

المصادر والمراجع

أولًا : أهم المصادر العربية

محمد بن أحمد أكنسوس السوسي : « الجيش العرمرم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي »، جزآن، المطبعة الحجرية بفاس، 1336 / 1918.

أحمد أمين : « ضحى الإسلام » الجزء الثاني، الطبعة الأولى، القاهرة 1935.

عبد المجيد بنجلون :

أ ــ « جولات في مغرب أمس : 1872 » (تلخيص رحلة الدكتور أرثور ليرد إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، 1974.

ب ــ « جولات في مغرب أمس : 1901 » (تلخيص رحلة فرانسيس ماك ناب إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

ت ــ « جولات في مغرب أمس : قبل الحماية » (تلخيص كتاب جورج إدموند هولت) طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

عبد الرحمان بن خلدون : « المقدمة »، طبعة المكتبة التجارية بالقاهرة.

عبد الرحمان بن زيدان العلوي :

أ ــ « إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس » مختلف الأجزاء، طبعة الرباط 1929 ــ 1933.

ب ــ « العز والصولة، في معالم نظم الدولة »، جزءان، المطبعة الملكية، 1961 و 1962.

عبد الوهاب بنمنصور :

أ ــ « قبائل المغرب »، الجزء الأول، المطبعة الملكية بالرباط، 1968.

ب ــ « مشكلة الحماية القنصلية، من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880 »، نفس المطبعة، 1977.

ت ــ « أعلام المغرب العربي » مختلف الأجزاء، نفس المطبعة، 1979 ــ 1986.

ج ــ « مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان »، نفس المطبعة، 1980.

عبد العزيز بنعبد الله :

أ ــ « معطيات الحضارة المغربية »، جزآن طبعة الرباط 1963/1960

ب ــ « الطب والأطباء بالمغرب »، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1960.

ت ــ « علماؤنا والتبادل الفكري بين الشرق والغرب »، في « دعوة الحق »، دجنبر 1960.

ث ــ « الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية »، جزآن، مطبعة فضالة، 1975.

ج ــ « معلمة الصحراء »، الملحق الأول، 1976، نفس المطبعة.

ح ــ « الرحلات الحجازية وصلت بين شقي العروبة »، في « دعوة الحق » ماي 1978.

خ ــ « مصر والمغرب الأقصى عبر التاريخ » نفس المجلة، ماي 1983.

عبد السلام بنسودة : « حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس »، في مجلة « دعوة الحق »، يونيو 1971 وأبريل 1972.

عبد اللطيف بنشريفة : « الحيازات الفلاحية بالمغرب : بنيتها وخصائصها »، في « مجلة جغرافية المغرب »، السلسلة الجديدة، العدد الخامس، 1981.

خوصي أنخيليرا بليغيثويلو : « وثائق تتعلق بالسفارة المغربية إلى البابا ليون الثالث عشر : 1887 ــ 1888 » تعريب مجلة ''تطوان''، العدد الثاني 1957.

پول پاسكون : « شركة عقارية رعوية » في مجلة « البحث العلمي » العدد 24، يناير/أبريل 1975، ترجمة زبيدة بورحيل.

عبد الهادي التازي :

أ ــ « جامع القرويين »، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، بيروت، 1972.

ب ــ « المغاربة والقدس » دعوة الحق، غشت 1981

ت ــ « رسائل مخزنية »، القسم الأول، طبعة الرباط، 1979.

ث ــ « الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة والتدخل الديبلوماسي » في مجلة « البحث العلمي »، العدد 25 و 26 و 27.

ج ــ « سفارة عن السلطان مولاي عبد العزيز إلى لندن »، نفس المجلة، عدد 29 ــ 30.

ح ــ « تقرير الكولونيل ماثيوز عن التجارة مع تمبوكتو »، نفس المجلة والعدد.

عبد الكريم التواتي : « أهمية علاقات الدولة العلوية بتونس في بناء وحدة المغرب العربي »، مجلة « دعوة الحق »، يبراير ــ مارس 1967.

أحمد التوفيق : « مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر = إينولتان 1850 ـ 1912 » جزءان، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1978.

عباس الجراري : « القصيدة »، طبعة الرباط، 1970.

عبد الله بن العباس الجراري : « من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا » جزءان، الرباط، 1971.

عبد الله كنون : « خطة الحسبة »، في « مجلة كلية الشريعة »، العدد الثالث، ماي 1978.

محمد بن الحسن الحجوي : « الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي »، الربع الرابع، طبعة فاس، 1926.

إبراهيم حركات : « تحريف التاريخ : أهم مظاهره وأساليبه » في «دعوة الحق» ماي 1977.

محمد ابن عزوز حكيم : « السيادة المغربية، في الأقاليم الصحراوية، من خلال الوثائق المخزنية » الجزء الأول، الدار البيضاء، 1981.

محمد العربي الخطابي : « فهارس الخزانة الملكية ـ المجلد الثاني في الطب والصيدلة والبيطرة والحيوان والنبات »، طبعة الدار البيضاء، 1982.

عبد اللطيف الخطيب : « شارل جاجرشميد وعلاقات المغرب بفرنسا وإسبانيا »، في مجلة « تطوان »، العدد السابع، 1962.

عمر الخالدي : « من تاريخ المغرب المعاصر : نموذج عن الإقطاع الجهوي » في مجلة « دراسات عربية »، بيروت، العدد الثامن، يونيو 1980.

عبد القادر الخلادي : « المؤرخ الاجتماعي ميشو بيلار بطنجة والقصر الكبير وسلا : 1884 ـ 1930» «دعوة الحق» نونبر 1971 وأبريل 1972.

عبد العزيز التلمساني خلوق : « ارتسامات حاج طنجي في مغرب القرن التاسع عشر : أهمية رحلة الحسن الغسال الحجازية » في ملحق « العلم » 27 نونبر 1981.

محمد بن علي الدكالي السلاوي : « الإتحاف الوجيز »، تحقيق مصطفى بوشعراء، المعارف الجديدة، 1986.

محمد داود :

أ ـ « تاريخ تطوان » 8 أجزاء ولا سيما ج 4 و 5 و 6 و 8، طبعات تطوان والرباط.

ب ـ « مختصر تاريخ تطوان » طبعة تطوان 1955.

ب. ج روجرز : P. G. Rogers « تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى سنة 1900 »، تعريب يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981.

محمد المنتصر الريسوني : « الحسبة في الإسلام »، في مجلة « دعوة الحق »، يوليوز 1975.

خير الدين الزركلي : « الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين » مختلف الأجزاء، الطبعة الثانية، 1954 / 1959.

مبارك زكي : « من أدب الرحلات : تحفة الملك العزيز، بمملكة باريز، للكاتب الأديب الحاج إدريس العمراوي »، في مجلة « البحث العلمي » العدد 31، أكتوبر 1980.

عبد القادر زمامة :

أ ــ « القيسرية وأخواتها »، في « دعوة الحق »، ماي 1968.

ب ــ « أسماء الحرف المعروفة بمدينة فاس »، القسم الأول في مجلة « اللسان العربي » العدد الرابع، غشت 1966 والقسم الثاني بالمجلد السابع من نفس المجلة، الجزء الأول، يناير 1970، مطبعة فضالة.

ث ــ « رحلة من القرن 13 هـ / 19 م : رحلة المنى والمنة لجامعها ومنشئها الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة »، في مجلة « البحث العلمي » العدد 28.

زهير طحان : « عندما كان المحتسب مسؤول النظافة »، في مجلة « العربي »، يبراير 1978.

محمد الكانوني : « آسفي وما إليه قديما وحديثا »، طبعة القاهرة، 1353 هـ.

محمد ابراهيم الكتاني : « القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالة المغاربة »، في « دعوة الحق »، غشت 1981.

محمد الباقر الكتاني : « ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد »، طبعة الرباط، 1962.

جاك كايي : « السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا »، تعريب مجلة « تطوان »، العدد السادس، 1961.

إيفاريست ليفي ــ بروفنصال : E. Lévy-Provençal « مؤرخو الشرفاء »، تعريب عبد القادر الخلادي، طبعة الرباط، 1977.

محمد المنوني :

أ ــ « مظاهر يقظة المغرب الحديث » الجزء الأول، طبعة الرباط 1973.

ب ــ « نشاط الدراسات اللغوية في المغرب العلوي » في « دعوة الحق »، يبراير 1968.

ت ــ « خطة الحسبة » في « المناهل » العدد 16، سنة 1979

ث ــ « ملامح الحركة الأدبية في العصر العلوي الثاني »، أيضا، مارس 1973.

ج ــ « مقيدة عن نشاط دراسة الرياضيات والفلك بمكناس في القرن التاسع عشر » في « المناهل » العدد 30.

محمد بن محمد مخلوف : « شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية » الجزء الثاني، طبعة القاهرة، 1349 هـ / 1930.

أحمد عبد الرحيم مصطفى : « عند ما هب العرب لصد الفرنسيين عن مصر » في مجلة « العربي »، العدد 250، شتنبر 1979.

أحمد معنينو : « السفير المغربي القدير السيد عبد الكريم بريشة التطواني »، في « دعوة الحق »، أبريل 1971.

أحمد بن خالد الناصري : « كتاب الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى »، مختلف الأجزاء، طبعة الدار البيضاء 1954 / 1956.

محمد الصديقي : « إيقاظ السريرة، لتاريخ الصويرة »، طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

محمد عيسى صالحية : « المحتسب وقانون الدفاع الاجتماعي » في مجلة « العربي »، يناير 1983.

محمد بن عبد السلام الضعيف : « تاريخ الدولة السعيدة » مصور الخزانة الصبيحية، بسلا.

أبو بكر عبد الكافي :

أ ـــ « القلنسوة وتقاليد لبسها عند العرب »، في مجلة « الفكر » التونسية، أبريل 1980.

ب ـــ « العمامة وتقاليد لبسها عند العرب »، نفس المجلة، يوليوز 1980.

معن خليل عمر : « لباب الأنساب لابن الأثير ومعطياته الاجتماعية » في « المناهل »، العدد 21، يوليوز 1981.

عبد الله العمراني :

أ ـــ « سير جون د. هاي وجهوده الديبلوماسية في الحرب الستينية بين المغرب وإسبانيا » في مجلة « البينة »، العددان السادس والسابع، أكتوبر ونونبر 1962.

ب ـــ « سفارة لدى جلالة الحسن الأول » (تلخيص كتاب رحلة الدكتور أ. مارسي) في « دعوة الحق »، ماي 1972.

ت ـــ « القرآن الكريم في مجال الطبع والترجمة والنشر »، القسم الأول نفس المجلة، أكتوبر 1973.

بلقاسم بن العربي عشاش : «تاريخ بيوتات سلا» مخطوط الخزانة العلمية الصبيحية، بسلا

جيرمان عياش :

أ ـــ « جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الإسباني سنة 1860 »، طبعة الرباط، 1959.

ب ــ « الشعور الوطني في مغرب القرن التاسع عشر »، في ملحق « العلم » 12 يبراير 1982، تعريب عبد العزيز التمسماني خلوق ومحمد الأمين البزاز.

ت ــ « ردود الفعل المغربية أمام الاحتلال الإسباني والفرنسي » في « مجلة دار النيابة » العدد الخامس، تعريب محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز التمسماني خلوق.

محمد بن أحمد الغربي : « الحكم المغربي في السودان الغربي : نشأته وآثاره » (نسخة مرقونة).

مصطفى الغربي :

أ ــ « أبو حامد المكي البيطاوري وأثره في ميداني العلم والأدب »، في « دعوة الحق »، مارس 1965.

ب ــ « أبو إسحاق إبراهيم التادلي من خلال أقواله »، نفس المجلة، دجنبر 1967.

محمد غريط : « فواصل الجمان، في أنباء وزراء وكتاب الزمان »، طبعة فاس، 1929.

عبد الكريم غلاب : « المجتمع التقليدي بفاس في مواجهة تحديات العصر »، في « المناهل » العدد 12.

محمد الفاسي :

أ ــ « تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى »، في « دعوة الحق »، يوليوز 1960.

ب ــ « البربرية شقيقة العربية »، في مجلة « البحث العلمي » يناير 1969.

ت ــ « مشاركة المغرب في الجهاد المصري للحملة الفرنسية »، في « دعوة الحق » مارس 1974.

عبد الرحمان الفاسي : « خطة الحسبة في النظر والتطبيق والتدوين »، في مجلة « المناهل »، يوليوز 1980 ومارس ويوليوز 1981 ومارس 1982.

حليمة فرحات : « قائمة المخطوطات العربية في مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط »، مجلة « كلية الآداب والعلوم الإنسانية » العدد السابع، 1980.

محمد بن الطيب القادري : « نشر المثاني، في أخبار القرن الحادي عشر والثاني »، الجزء الثاني، طبعة الرباط، 1982، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق.

محمد قطب : « شبهات حول الإسلام »، الطبعة الحادية عشر، بيروت، 1979.

أحمد شكرى السباعي : « فكرة عن تطور التجارة في المغرب » في « المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد »، العدد السابع، 1980.

محمد السليماني : « اللسان المعرب، عن تهافت الأجنبي حول المغرب »، طبعة الرباط، 1971.

العباس بن ابراهيم السملالي : « الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام »، مختلف الأجزاء، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1974 ـــ 1983.

إبراهيم السولامي : « الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية : 1912 ـــ 1956 » طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ (1974 ؟).

محمد المختار السوسي : « إيليغ قديما وحديثا »، تحقيق محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية بالرباط، 1966.

عبد الله السويسي : « تاريخ رباط الفتح »، طبعة الرباط، 1979.

محمد بن أحمد شماعو : « المجتمع المغربي كما عرفته من خلال خمسين سنة : 1350 ـــ 1400 »، طبعة الرباط، 1980.

وزارة الشؤون الثقافية : « فاس، كشاف المراجع البيبليوغرافية للتراث الثقافي »، طبعة الرباط، دون تاريخ (1981 ؟).

جلال يحيى : « المغرب الكبير » الجزء التالث، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966.

ثانياً : الربائد المخطوطة (مكاتيب ورسائل وتقاييد)

أ ـــ **مديرية الوثائق الملكية (الرباط)**

أ 1. **محافظ الترتيب الخاص** : محمد برگاش ـــ الحاج محمد الطريس ـــ الحاج عبد الكريم بريشة ـــ الحاج محمد الزبدي ـــ الحاج محمد بن المدني بنيس ـــ الحاج محمد بن محمد بنسعيد ـــ عبد الله بنسعيد ـــ عبد الله بن أحمد البخاري ـــ الطيب بنهيمة ـــ عبد الخالق بنهيمة ـــ الحاج عمارة بن عبد الصادق ـــ بوسلهام بن علي أزطوط ـــ الجيلالي بن حمو ـــ طرف من كناشة الطيب بن اليماني بوعشرين ـــ بعض محافظ الحسن الأول.

أ 2. **محافظ المدن الداخلية والشاطئية**

أ 3. **محافظ العلاقات الدولية**

أ 4. **المحافظ العامة** : الحماية القنصلية ـــ الهيأة الديبلوماسية ـــ الحدود ـــ الصحراء ـــ التراجم ـــ المكوس والضرائب ـــ التجارة ـــ الترتيب العام ـــ تقاييد الأمناء.

ب ـــ **الخزانة الحسنية** : كنانيش المكاتيب الصادرة والواردة ـــ مكاتيب الطابع الشريف ـــ سجلات الصدارة العظمى.

ت ـــ **مكتبة تطوان**

ث ـــ **الخزانة العامة بالرباط.**

ج ــ الخزانة الصبيحية بسلا

ح ــ وزارة الخارجية : ملف الصحراء أمام محكمة العدل

خ ــ مستندات خارجية : بريطانية وأمريكية وألمانية وفرنسية.

د ــ وثائق الحاج العربي بنسعيد.

ذ ــ وثائق محمد بن عزوز حكيم.

ثالثاً : المجلات والجرائد

1. **بالعربية**

أعداد من مجلة البحث العلمي ــ البينة ــ المجلة المغربية للقانون والسياسة والاقتصاد ــ المناهل ــ الوثائق ــ دار النيابة ــ دعوة الحق ــ رسالة المغرب ــ مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط ــ الباحث (المغربية) ــ الثقافة الجديدة ــ تطوان ــ دراسات عربية (بيروت) ــ مجلة جمعية تاريخ المغرب ــ مجلة جغرافية المغرب (السلسلة الجديدة) ــ مجلة كلية الشريعة ــ العربي (الكويت) ــ الفكر (تونس).

أعداد من جريدة « المغرب » (طنجة) ــ الأنباء ــ العلم.

2. **بغير العربية** : Quelques numéros de Revues et périodiques

Les Africains (Paris) - Les Archives Marocaines (Tanger et Rabat) - Al Moghrib Al Aksa (Tanger) - Etudes Marocaines (Rabat) - L'Express (Paris) - Hespéris-Tamuda (Rabat) L'Opinion (Rabat) - Réveil du Maroc (Tanger) - The Times of Morocco (Tanger) - Revue géographique du Maroc (Rabat) - Revue du Monde Musulman (Paris). La Revue des Deux-Mondes (Paris)

رابعاً : المراجع العجمية Sources et Bibliographies

Js. D. ABBOU : "Musulmans andaloux et judéo-espagnols", Casablanca, 1953.

Abdelaziz Amine, Jean Brignon, Brahim Boutaleb, Guy Martinet et Bernard Rosenberger : "Histoire du Maroc", Paris et Casablanca, 1967.

Anonyme : "Paul Cambon, ambassadeur", Paris, 1937.

Catherine Aubin : "Le commandeur des croyants. La monarchie marocaine et son élite" Pairs, 1975. V.J. Waterbury.

Eugène Aubin (alias Léon Descos) : "Le Maroc d'aujourd'hui", Paris, 1904.

Germain Ayache : "La crise des relations germano-marocaines : 1894 - 1897", in Hespéris-Tamuda vol. VI, 1965, pp. 159 - 204.

Driss Benali : "Un exemple de transition : Fès au 19e siècle" in "la Revue juridique, politique et économique" vol VIII, 1980, Rabat, pp 97 - 126.

Mohamed Amine El Bezzaz : "La Chronique scandaleuse du pélerinage marocain à la Mecque au XIXème siècle", in "Hespéris-Tamuda ', vol XX XXI, 1982, pp. 319 - 331.

Marc Bonnefous : "La palmeraie de Figuig", Rabat, 1952.

A. Brochier : "Le livre d'or du Maroc - Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines du Maroc : 1934 - 1935", Casablanca, s.d. (après 1935 ?).

Kenneth L. Brown : "People of Salé : Tradition and change in a moroccan city : 1830 - 1930", Cambridge, 1976.

Louis Brunot : "Au seuil de la vie marocaine", Casablanca, 1950.

Raymond Charles : "L'Ame musulmane", Paris, 1958.

Jacques Caillé :

a) "Sur les rapports du Maroc avec le Saint-Siège", in Hespéris-Tamuda, vol X, 1969 pp. 71 - 94.

b) "La mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808", Paris, 1953.

c) "Les accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah : 1757 - 1790", Paris, 1960.

d) "La petite histoire du Maroc", troisième série : 1850-1894, Casablanca et Rabat, 1954.

e) "Charles Jagerschmidt, chargé d'affaires de France au Maroc : 1820 - 1894" Paris - S.D.

H. G. Cattenoz : "Les tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne", 2ème édition, Rabat, 1954.

Roger Coindreau et Charles Penz : "Terres lointaines du Maroc". Paris, 1949.

Henri Croze : "Souvenirs du vieux Maroc", Paris, 1952.

Foreign Office : "Correspendence relative of the conference held at Madrid in 1880, respecting the right of protection of moorish subjects by the diplomatic and consular representatives of foreign powers in Morocco", London, 1880.

R. J. Frisch : "Le Maroc. Géographie. Organisation. Politique", Paris, 1895.

Eugène Fumey : "Choix de correspondances marocaines", 1ère partie, Paris, 1903.

Mohamed El Gharbi : "La question du Sahara Occidental Marocain devant la loi internationale", ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1974 (étude en stencil).

Henri Gaillard : "Fès, une ville de l'Islam", Paris, 1905.

Maurice Gaudefroy - Demombynes : "Les institutions musulmanes", Paris, 1931.

Albert Guillaume :

a) "L'évolution économique de la société rurale marocaine", Paris, 1955.

b) "La propriété collective au Maroc", Rabat, 1960.

Pierre Guillen : "L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905", Paris, 1967.

Marthe et Edmond Gouvion : "Kitab A'yan Al Maghrib l'Akça", Paris, 1939.

Jean Hess : "La question du Maroc", Paris, 1903.

Georges Edmund Holt : "Morocco the Bizarre : or life in Sunset Land", 1914, Arabic summarization, see : عبد المجيد بنجلون «ت»

Eugène Hughes et J. L. Miège : "Les européens à Casablanca au XIX siècle : 1856 - 1906", Tanger, 1954.

Charles-André Julien : "Le Maroc face aux impérialismes : 1415 - 1956", Paris, 1978.

Mohamed Kenbib :

a) "Les protections étrangères au Maroc au XIX - début du XX siècle" (thèse de doctorat soutenue devant l'Université de Paris VII, en juin 1980).

b) "Contrebande d'armes et "anarchie" dans le Maroc précolonial" in : مجلة دار النيابة العدد الرابع 1984

Abdellah Laroui : "Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)", Paris, 1977.

Rachid Lazrak : "Le Contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne", Casablanca, 1974.

Henri de la Martinière :

a) "Le règne de Moulay El Hassan", in "la Revue des Deux - Mondes", vol cxx, septembre 1894.

b) "Souvenir du Maroc. Voyages et missions 1882 - 1918", Paris, 1918.

Arthur Leared : "Morocco and the Moors, being an Account of travels, with a general description of the country and its poeple", London, 1876. Arabic summarization, see :

عبد المجيد بنجلون «أ»

Roland Lebel : "Les voyageurs français au Maroc", Paris, 1936.

Maurice Le Glay : "Chronique marocaine. 1911", Paris, 1933.

Roger le Tourneau : "La vie quotidienne à Fès en 1900", Paris, 1965.

Ernest Levesque : "Notre tour du Maroc", Paris,

Rémy Lillet : "La bibliothèque de Georges Duby", in "L'Express", du 27 - 7 - 1984.

Abdelhamid Lotfi : "Les relations maroco-américaines au 19ème siècle", in "L'Opinion", Rabat, 27 décembre 1981.

Joseph Luccioni : "Les fondations pieuses "habous" au Maroc, depuis les origines jusqu'en 1956", Imprimerie Royale, Rabat, 1982.

Mohamed El Maazouzi : "L'Algérie et les étapes successives de l'amputation territoriale du Maroc", Casablanca, 1976.

Frances Mac Nab (Fraser, Agnes) : "A Ride in Morocco among bilievers and traders", 1902, London, Arabic summarization, see : عبد المجيد بنجلون «ب»

A. Marcet : "Le Maroc, voyage d'une mission française a la cour du sultan", Paris, 1885.

Léon Marchal : "Précis de la législation financière marocaine", Rabat, 1931.

A. J. P. Martin : "Quatre siècles de l'histoire du Maroc. Au Sahara de 1505 à 1902. Au Maroc de 1894 à 1912" - Paris, 1923.

A. Ménard (agent consulaire de France à Tanger) : "Rapports sur le dossier politique et commercial de la "Marokko Mannesmann Co", des 8 juillet, 18 septembre, 15 et 30 décembre 1916 (dactylographiés en : 24, 48, 19, 17 pages).

Jean - Louis Miège :

a) "Le Maroc et l'Europe : 1830 - 1894"
a 1 — Tome I : "Sources. bibliographies".
a 2 — Tome II : "L'ouverture"
a 3 — Tome III : "Les difficultés", Paris, 1961
a 4 — Tome IV : "Vers la crise", Paris, 1964.

b) "Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle", Paris, 1969.

c) "Journaux et journalistes à Tanger au XIX siècle", in Hespéris, 1.2. 1954.

d) "Les missions protestantes au Maroc : 1875 - 1905" in Hespéris, vol 42, année 1955.

e) "Hassan 1er et la crise marocaine au XIX siècle" in "Les Africains" Tome III, Paris, 1978.

Edouard Michaux - Bellaire : "Région des Doukkala", Tome 1, "Les Doukkala", série des "Villes et tribus du Maroc", in "Les Archives Marocaines", vol X, Paris, 1932.

Magali Morsi : "North Africa : 1800 - 1900. A survey from the Nile Valley to the Atlantic", Longman group limited, 1984.

Mohamed Nehlil : "Lettres chérifiennes", Paris, 1915.

Paul Odinot : "Le Maroc disparu. Anectdotes sur la vie intime de Moulay Hafid, de Moulay Abdelaziz et de Rissouni". Traduction en français du "Morocco that was" de W.B. Harris, Paris, 1929.

Paul Pascon : "Le Haouz de Marrakech", Tome II, Tanger, 1977.

Maurice de Périgny : "Au Maroc, Marrakech et ports du Sud", Paris, 1918.

José Aguilera Pleguezuelo : "Varios documentos referentes a la embaja maroqui al Papa Léon XIII : 1887 - 1888". V. : خوصي اكليرا بليغيثويلو

Quai (le) d'Orsay :

a) "Documents diplomatiques. Questions de la protection diplomatique et consulaire au Maroc", Paris, 1880.

b) "Archives du Ministère des Affaires Etrangères. Etat numérique de la correspondance politique : 1871 - 1896", Paris, 1961.

Prosper Ricard : "Le Maroc. Les guides bleus", 3e. édition, Paris, 1925.

P. - Louis Rivière : "Ce que furent les corporations de métiers au Maroc", in "Etudes Marocaines", pp. 129 - 145, Paris, 1928.

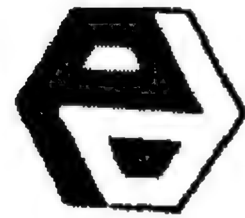
P.G. Rogers : "A history of the anglo-moroccan relations to 1900", London. Arabic translation, see : ب ج روجرز

Ahmed Sefrioui : "La boîte à merveille", Paris, 1954.

Jean et Jérôme Tharaud : "Fès ou les bourgeois de l'Islam", Paris, 1930.

John Waterbury : "The Commander of faithful. The moroccan political elite", London, 1970. French translation by Catherine Aubin, Paris, 1975.

Ducas F. Weisgerber : "Au seuil du Maroc moderne", Rabat, 1947.



تصفيف وتصوير

النشر العربي الإفريقي

6، شارع الفضيلة الحي الصناعي ـــ الرباط ـــ

Achevé d'imprimer sur les presses
de l'Imprimerie El maârif Al jadida — Rabat

☎: 707-08/09/15/38

MAROC

Table de Matières

(Tome III)

Adresse de l'Auteur

8,Zenkat al-Madaris
Salé (Maroc)

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863-1894



Tome III

2. Les Villes Restantes

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

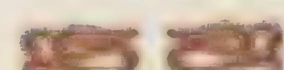
1863 - 1894



Tome III



2. Les Villes Restantes



1988

مصطفى بوشعراء

الاستيطان والحماية بالمغرب

1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الرابع

الهجرة من المغرب وإليه

[illegible]

1989 _ 1410

مصطفى بوشعراء

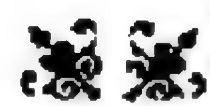
الاستيطان والحماية بالمغرب

الصلوي

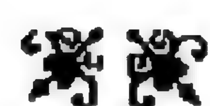
1280 - 1311

1863 - 1894

الجزء الرابع



الهجرة من المغرب وإليه



1410 _ 1989

بسم الله الرحمن الرحيم

تحبيس على الخزانة الصبيحية بسلا

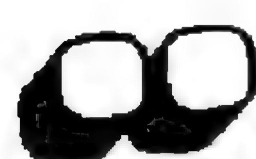
تقرر باتفاق مع الفاضل الأستاذ الحاج عبد الله الصبيحي أن يصور جميع ما عندي من الوثائق الوارد ذكرها في الأجزاء الأربعة من هذا الكتاب، وأن ترتب بحسب الصفحات المتضمنة لها نصاً أو اقتباساً، وذلك بقصد أن تجعل رهن إشارة الباحثين رواد الخزانة.

عنوان المؤلف :
8، زنقة المدارس، سلا (المغرب)

رقم الايداع القانوني 1984/507

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38

فهــرس المــواد



تاريخ المغرب في الكتابات الأجنبية

رب سائل يقول : متى يجوز الركون إلى صحة ما كتبه الأجانب المستوطنون والرحالة العابرون عن المغرب في العهود الماضية ؟ وما هي شروط الاعتماد عليهم ؟ ومن هم هؤلاء المستوطنون الذين قدر لهم أن يكونوا شهودا محظوظين وراصدين للتطورات والتفاعلات التي طرأت على المجتمع المغربي في وقتهم ؟

في الحق أن أسئلة من هذا النوع أثارت جدلا في الأوساط العلمية الوطنية، وأن الاجابة عنها تقتضي أن تكون علمية ودقيقة في الصدور والورود، لا يشوبها شعور بمركب الاستعلاء ولا إحساس بنقيصة الاستخذاء.

نحن نعلم أن كثيرا من الأجانب أقاموا ببلادنا ابتداء من القرن الماضي، وتجولوا بربوعه الدانية منها والقاصيةوحرروا في ذلك تآليف ومقالات ومذكرات وتقارير نشرت بشتى اللغات، تختلف قيمتها باختلاف قدر أصحابها، فكانوا تارة يبررون بها طروحاتهم إن كانوا مبعوثين من الهيئات التي كلفتهم بها، وكانوا تارة أخرى يرضون بكتاباتهم هواجسهم ويسكنون بها همومهم إن جاءوا لأغراض شخصية.

فهم على كل حال تحدثوا ـ ضمن ما تحدثوا به ـ عن المغرب، ولئن كان الكثير منهم أجانب في نظر القانون، فإن بعضهم كانوا فعليا مغاربة بحكم الاقامة المستديمة : فهنا ولدوا، وهنا ماتوا، وهنا عاشوا، وهنا ربحوا، وهنا أفلسوا. وليس من المبالغة أن أقول إن فيهم من لم يعدم الحكم الصائب، والرأي الثاقب، فكتبوا لذويهم بالأمس ما نفتقر إليه نحن اليوم بالذات. كما أنه لا مغالاة إن ذكرت أن أعمالهم لبنة من اللبنات التي تشيد في صرح تاريخ المغرب يجمل بنا أن نتبناها ونضيفها إلى ما هو عندنا من رصيد مخطوط لانزال مع الأسف نجهل أهميته وحدوده. عملهم الثقافي مكسب مشترك إذن في معرفتنا، ومصدر ثمين لتاريخنا لا يصح الاعراض عنه ولا التفريط فيه.

ومن المفارقة أن لا يطلع المغاربة عليه وعلى غيره من تراثنا إلا بعد انصرام قرن من الزمان.

وقبل أن أشرح مضمون هذا الجزء الرابع الذي بين أيدينا، يتعين أن نعرف ـ هنا ولو بإيجاز ـ بإنتاج الأجانب وبمقاصدهم منه وبالموقف المأمول من كتاباتهم.

1. وفرة الانتاج

التآليف الأجنبية ـ أروبية كانت أو أمريكية ـ وفيرة عن البلدان العربية والأفريقية والأسيوية. فلقد عني أصحاها بالمشرق والمغرب على السواء، فبلغ مجموع ما كتبوه عن الشرق الأدنى من سنة 1800 إلى سنة 1950 ستين ألف كتاب بالغرب[1] ما بين إنجليزي وفرنسي. ومن غير شك أن للمغرب نصيبا فيه.

---

1. إدوارد سعيد : «الاستشراق...» ص 216 من الترجمة العربية.

إما إذا اقتصرنا على ما وضع بالفرنسية في القرن التاسع عشر وجدنا أنه حتى سنة 1892 وصلت أعداد «نشرة لجنة إفريقيا الفرنسية : Bulletin du Comité de l'Afrique Française» إلى 2243 عددا في كل منها مقال أو بحث عن المغرب[2] ما بين غث وسمين، ومن منظورات وزوايا مختلفة.

وتفيد فهرسة روبير براون R. Brown في نفس السنة أيضا أن 2062 كتابا صنف عن المغرب. أما الكتبي الباريسي بول كوتنر P. Guthner فقد فهرس سنة 1914 لنحو 2235 تأليفا عن بلادنا[3].

ناهيك بكتابات أخرى بعدها وقبلها بلغات شتى صدرت بالمجلات والنشرات الغربية تستحيل الاحاطة بها جميعا في مختلف الميادين، وبرسائل وتقارير موجودة بالخارج في المؤسسات الثقافية والسياسية والاقتصادية المتخصصة، وبدراسات وضعها جامعيون مقتدرون تحرروا من هموم السياسة، ونشطت عقولهم من أوهام الأجيال السابقة لهم، فدخلوا طورا جديدا بالبحث العلمي خصصت فيه الكراسي الجامعية. ولما صارت الجغرافية علما مساعدا للتاريخ أصبحت روايات المستكشفين المغامرين تقل ـ بفعل النمو الحاصل في المواصلات والمعرفة ـ وحلت محلها أخبار الجغرافية الطبيعية والانسانية والمونوغرافيات الجهوية والقبلية، وأخذت الرؤى تنجلي وتتضح[4].

2. مقاصد المؤلفين

لما كان المغرب آخر معقل إسلامي وإفريقي سقط في مخالب الاستعمار، بعد أن ظل ردحا طويلا من الدهر يعيش في الاستقلال،صارت الأطماع الأجنبية تتجه صوبه من لدن الدول المتنافسة التي كانت خلافاتها عليه فيما بينها مؤجلة لساعة الاحتلال. فكانت عزلته ذات جاذبية خاصة بحيث غدا سرا من الأسرار. وهذا ما حذا بأهل أروبا وحكوماتها وجمعياتها الجغرافية والعلمية وغرفها التجارية إلى أن تعمل على فتح أبوابه لها ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، فتقاطر عليه الرحالة وعشاق المجهول، ودب إليه دبيب أموال الشركات والدور الاقتصادية، وهب إليه عملاء الدول ورجالها وضباطها وقناصلها ونوابها وأطباؤها من أجل الاقامة به أو السفر إليه. وهكذا كتبوا يصفون ما شاهدوه ودونوا عنه وعن الشرق أيضا ما تزخر به اليوم المؤلفات والمكتبات. وكانت كتاباتهم تتخذ سمة حضارية وعمرانية، أو صبغة سياسية وعسكرية، أو طابعا علميا ومعرفيا، أو صفة رومانسية وأدبية.

وكان من جملة من عنوا بأمره المستشرقون، ولو أن أعمالهم اهتمت بالمشرق أكثر من المغرب. وتختلف دوافع الأنكلوساكسونيين عن حوافز زملائهم الفرنسيين الذين كانوا «يبحثون عن حقيقة علمية، بقدر ما كانوا يبحثون عن حقيقة غريبة ومدهشة، لكنها رغم ذلك ذات جاذبية خاصة». وكان الرحالة الفرنسي «مفعم النفس بإحساس بالضياع الحاد في الشرق، فقد جاء ثمة إلى مكان لم يكن لفرنسا فيه ـ بخلاف بريطانيا ـ أي حضور من حيث السيادة..

2. جان إيس : «قضية المغرب» ص 28.
3. عبد العزيز بنعبد لله : «معطيات...» ج 1 ص 95.
4. دانييل نوردمان: «علم الجغرافية الفرنسية والتوسع الكولونيالي بإفريقيا الشمالية في القرن التاسع عشر» في ندوة الجامعة الصيفية بالمحمدية، يوليوز 1987.

وكان كل رحالة أو مقيم أروبي في الشرق... مضطرا إلى أن يحمي نفسه من التأثيرات المقلقة... ففي الشرق كان المرء يواجه فجأة قدَمًا يفوق التخيل، وجمالا لا إنسانيا، ومسافات لا نهائية...»[5].

هذا هو الوجه الرومانسي الذي كان يطبع كتابات الأدباء والمستشرقين، يصح على المغرب كما يصدق على المشرق والبلدان القاصية.

أما باقي المقاصد السياسية والاقتصادية والعلمية والطبيعية فلا يزال طرف منها شبه مجهول ولاسيما ما يتصل بالمجتمع المغربي، ولو أن خطوطها الكبرى أصبحت جد معروفة الآن من لدن المتخصصين والباحثين.

3. ما هو البديل عن هاته الكتابات ؟

كان طرف من هذا الانتاج الأجنبي من عمل مأجورين لا يخلو من تحامل ومن خلفيات إيديولوجية، وهذا أمر ثابت لا ينكره أحد دعا إلى الحذر من كتاباتهم. فهل يرفض كله رفضا مطلقا لهاته العلة ؟

وكان جانب آخر من هاته التآليف صادرا عن رحالة لا يعرفون المغرب وأهله جيدا، مكتفين بزيارة بعض الثغور كطنجة والصويرة فيسألون أروبييها عما يدور ويروج[6]. فهل نعرض عما فعلوه ودونوه لهذا السبب أيضا؟

إلا أنه كانت هناك تآليف جيدة في غاية من الضبط والدقة كتبها من يعرفون الشاذة والفاذة، وصدروا فيها عن علم وتجربة بعد أن احتكوا بالأوساط الرسمية والشعبية، فهل نحكم عليها كلها بحكم واحد بدافع من الشوفينية أو التعصب لمجرد كونها صادرة عن الأجانب حتى ولو كانوا نزهاء وعلماء، خلاف الصنفين السابقين من العملاء والجهال؟

ولنفرض أننا رفضنا الانتاج الأجنبي جملة وتفصيلا فهل نكتفي في كتابة تاريخ المستوطنين المندمج مع تاريخ المغرب أيضا بمؤلفات مغربية هي غير موجودة بالفعل، في حين أن الأجانب هم أعرف الناس بأحوالهم ؟ وما هو السبيل إلى ملء الثغرات الشاغرة في تاريخ المغرب اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا دون الاستعانة بما كتبوه ؟

الواقع أننا لا نجد في المؤلفات المغربية المخطوطة والمطبوعة النادرة حسا لجوانب كثيرة ـ وكثيرة جدا ـ من هموم الباحثين اليوم ذوي المقاييس العلمية والرؤى المستجدة.

فما هو البديل إذن ؟ يذهب العلامة محمد جسوس إلى أنه يجب التعامل مع الانتاج الأجنبي بأدوات النقد المعروفة ومناقشته بالمنهجية العلمية، وأنه لا يمكن تجاهله تجاهلا مطلقا، وأنه لا يجوز الاستغناء عنه إلا إذ غطت الكتابات الوطنية جميع المساحات التي شغلتها الكتابات الأجنبية وأنه لا ينبغي التفكير في إصدار حكم سلبي أو إيجابي عليها. فالمعرفة لا تنتقل من النور إلى الظلام، وكتابة التاريخ لا تكون باللوكوماشيا (السفسطة) ولا بالهاجيوغرافيا (كتب المناقب) وإنما تكون بالمستندات والنصوص والآثار[7].

5. إدوارد سعيد : «الاستشراق...» ص 182 ـ 185.
6. بييركيين : «تاريخ المغرب والمصادر الأروبية» في «البحث العلمي» العدد العاشر، ص 109.
7. «شواهد من الماضي» إعداد الزميل عبد الحفيظ الرفاعي، جلسة 29.7.1986.

فكتابات الأجانب إذن مكسب نستأنس ببعضه ونصحح جزئياته ونضمه إلينا، لأنه منا وفينا وضدنا ومعنا، ولأنه مصدر ثمين من مصادر التاريخ، فلولاه لظلت معلوماتنا مبتورة.

ولسنا نلوم مؤرخينا وإخباريينا على أنهم لم يتنبهوا إلى هاته الجوانب الخفية فيدونون أخبار المستوطنين، لأننا لو فعلنا ذلك لتجنينا عليهم في أمر لا قبل لهم به، وإنما ننتحل المعاذير لحالتهم وذهنيتهم ولجهلهم، فقد كانوا بحاجة إلى الوعي الكامل بضرورة هاته الأعمال.

وفيما يرجع لتاريخ المغرب وحضارته فإن ذوينا قد قصروا في عملهم، إذ كانوا يُرخّون[8] وكانوا لا يؤرخون إلا من منظورهم العتيق. كان الكثير منهم يعمدون إلى المبالغة بالتأكيدات المجانية ويغلفون ملقهم بألفاظ رنانة ونعوت زاهية مطبوعة بالتناقض الوجداني الذي يسعى إلى التضليل بإخفاء الحقيقة الكاملة، وإظهار الجانب الحسن والتعتيم على الجانب السيء[9]. يتحدثون عن المفاخر ويصمتون عن عكسها، إما عادة وإما خوفا وإما تزلفا وإما كل ذلك جميعا، مثلما تباجح الغربيون بشعارات الحرية التي نادوا بها وتستروا على نقائضها من استعمار واستغلال.

فلئن أخلّ الآباء والأجداد رحمهم الله فإن القادرين من أحفادهم سيلحقهم الاثم الكبير إذا لم يكتبوا تكفيرا عن خطإ من سبقهم، متحلين بما وهبهم الله من حاسة النقد والوعي وسلامة الخطاب.

ونحمد الله على أن للمغرب ثروة من وثائق محزنية ومكاتيب شخصية ورسوم وآثار تنتظر من يستنطقها ويتجشم المثبطات المعنوية والعراقيل المادية في سبيل الوصول إليها بالخزانات والمكتبات العمومية والخصوصية بالداخل وبالخارج. وعسى أن يجدوا فيها الترحيب الواجب من أهلها الذين يتعين عليهم - بالنظر لجسامة ما تحت أيديهم - الاقلاع عن الشكوك الصادرة عن بعضهم، فالمغرب والمعرفة للجميع.

وقد أثلج الله الصدور بهذا العدد الهائل من المذكرات والرسائل والأطروحات التي تحرر وتناقش منذ عهد بعيد في رحاب الجامعات ومدرجات الكليات والتي تشرف نهضة المغرب الحالية. فبها وبأمثالها من الأعمال الجادة نستطيع أن نكتب اليوم وغدا صفحات جديدة من الدراسات التي يأخذ بعضها برقاب بعض، وتكمل الواحدة ما نقص من الأخرى، سواء ما جاء منها في المخطوط أو في المرقون أو في المطبوع.

4. موضوع هذا التأليف

لا ضير إذن إذا تسلح الباحثون بسلاح المعرفة وتزودوا بزاد النقد واتصفوا بالجدية لكي يعيدوا كتابة التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقانوني لبلادنا، مازجين بين التراث الوطني والانتاج الأجنبي لسد هاته الثلم الواسعة التي نشكو منها.

ومن هذا المبدإ ينطلق هذا الجزء الرابع لتدوين تاريخ القرن التاسع عشر المغربي، مع إطلالة قصيرة على صدر القرن الموالي له. فقد اعتكفت فيه على قراءة النص العربي المخطوط وتقديمه، وعلى تعريب المستند الأجنبي ما وسعتني القراءة والترجمة. غير أني - إذ

٨. الحكم هو للأستاذ العلامة محمد عزيز الحبابي خلال مذاكرتي معه. والفعل هو ارخ يرخ : بالغ، وأرخ العجين : كثر ماءه.

٩. محمد عابد الجابري : «الخطاب العربي المعاصر» ص ١٧.

أفعل ما أفعل في هاته المساهمة المتواضعة - لا أخرج عن حسن الطوية، باجتهاد شخصي سيكون الوقت كاملا لمن يشاء نقده وتكميله في هذا الميدان الذي هو الهجرة من المغرب وإليه. فلا يكاد يخفى على أحد أن استيطان الأجانب بالمغرب كانت له أبعاد ثقافية وعقائدية وإعلامية وسياسية وعسكرية سنعرف طرفا من ملامحها في هذا الكتاب الذي قسمته إلى ثلاثة أقسام وجمعته في خمسة أبواب ترتب وتنسق مع سابقاتها.

ففي الباب الرابع عشر سأقرأ نصوصا وسأعرب أخرى في موضوع **البعثات الطلابية إلى الخارج**، وهو جانب مهم لم يتعرض له أحد - فيما أعلم - بما ينبغي من البحث الشامل المستوعب، فسنتبع المئات من المتعلمين والطلبة والعمال والجنود إلى حيث تعلموا مدة تختلف بين الشهور القليلة والسنوات الطويلة بأروبا وأمريكا ومصر، وسنعرف بعض أحوالهم في المهجر وما كانوا يتعلمونه وسنقرأ نتفا من آثارهم وارتساماتهم عن الأوضاع داخليا وخارجيا.

وسيكون هذا الباب هو القسم الأول من هذا الكتاب. أما القسم الثاني المجزأ إلى فصول فيحتوي على أربعة أبواب : الباب الخامس عشر عن **التنصير والهداية**، وسندرك في فصوله الثلاثة الأولى مدى الجهد العابث الذي بذله هنا منصرون بروتيستانتيون إنجليزيون وأمريكيون طيلة ثلاثين سنة، بالتنصير والمداواة والتعليم، وسيكون مستندنا في ذلك مذكراتهم ومؤلفاتهم وما كتب عنهم، وعدد غير قليل من الوثائق المغربية. أما الفصل الأخير المتعلق بمن اعتنقوا الاسلام بالمغرب فلن يخلو من عناصر مفيدة مستقاة كلها تقريبا من التراث المغربي المخطوط. وكل هاته الفصول ستلقي أنوارا كاشفة على ما جهلناه على الدوام.

والباب السادس عشر عنوانه **العلوج والحرابة** وهو يتسم بالجدة والطرافة، تحدثت فيه عن العلوج الذين كانوا مستخدمين بالجيش أو بالقصور السلطانية ممن أسلموا أو ممن بقوا على نصرانيتهم، أما الحرابة فهم أعضاء البعثات العسكرية الأجنبية الذين كانوا يدربون الجنود أو يسهرون على إنجازات عمرانية وعسكرية.

أما الباب السابع عشر فهو عن **صحافة طنجة** تلك الكوازيط التي تطاول بعضها وأفحش القول في المغرب والمغاربة والسلك الديبلوماسي وأعضاء المخزن الذي سنعلم مواقفه منها بمكاتيبه وتحذيراته.

وأخيرا فإن الباب الثامن عشر وضعته عن **العملاء والرحالة والمؤلفين**، ولولا أن له جوانب محمودة الأثر ما كنت أدرجته هنا. فسنشاهد فيه المغامرين يجوسون خلال الديار، والرحالة يطوفون سرا أو علانية بأرجائه، ثم يدونون ويؤلفون ويحكمون أحكاما لا يصح إطلاقا التعامي عن ذكرها، وسيكون مفيدا أن نعرف أخبارهم التي سقت قليلها عن الوثائق المغربية وعربت الكثير منها عن المصادر الأجنبية.

وبهذا كله أكون قد أفرغت جعبتي من حصيلة آثار هذا الاستيطان، بعد أن خصصت الجزء الأول للمعطيات العامة، والجزأين الثاني والثالث للمونوغرافيات المحلية.

على أني جعلت في القسم الثالث ذيولا اتخذتها تارة أولى توسعا وتوضيحا، وتارة أخرى مراجعة وتنقيحا. ففي أولها حملتني وحدة الموضوع على إدراج كلام جديد عن **المغتربين** جاء على عفانه، وأقبل في أوانه لما اشتمل عليه من فوائد جليلة. ولما لم يكن المرء معصوما من زلله. حرصت على تعهد الأحداث المروية في هذا الكتاب، ثم رأيتني بعد للأواء مثقلا

بجُذاذات من التقاييد، ورُزَم من الربائد تصلح عناصر للتصحيح وللمراجعة، جمعت شواردها من رُكام الوثائق التي لا يفتأ ينسخ بعضها بعضا، ومن خام المصادر التي لم أكن قبلُ على بينة منها، فأتيت بها في **ذيل استدراكي**. وكلا الملحقين ما هما في الواقع إلا تأليف جديد، وطنت نفسي على إخراجه، خشية ضياعه، فما تدري نفس ماذا تكسب غدا.

أما الملحقان المواليان لهما فهما مما اعتيد الاتيان بهما عقب كل كتاب : **فهرس الأعلام** الذي هو مفتاح للأحداث المرتبطة بأسماء أصحابها، **وجرد للمصادر والمراجع** التي استأنست بها أو استندت عليها.

وما كان لي من شعار في هذا التصنيف برمته سوى أن أنقل النصوص على ذمة أصحابها، وأن أحكيها على وجهها وعلاتها، إذ حاكي الكفر ليس بكافر، ثم رويتها بإسنادها، لأن من أسند لك فقد حمَّلك، على حد تعبير أهل الحديث. وهكذا حملت من المنسي أو المطوي مددا حسبي أن طلبته واستخرجته، ومن المعرب والمعجم تراثا كفاني أن اكتشفته وقرأته ووعيته وفهمته، «فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» كما جاء في الحديث النبوي حول تنضير وجه الرواة.

هذا وإني لأحمد الله تعالى حق حمده : أن خلع علي من رداء العافية ما يسر لي سبيل الوفاء بعهد قطعته لِرَبْع حَبَل هذا الكتاب، وآتاني من العلم نصيبا أعبده به، وملأ قلبي كفافاً وعفافا أستغني بهما عن خلقه، ورزقني من الذرية الصالحة من يدعو لي ليوم مَنْ لا ظل إلا ظله. فهو سبحانه شارح صدري، ومالك أمري، وحالُّ عقدة نفسي، ومُجري مداد طرسي، لحكمة اقتضاها، ولعلة ارتضاها.

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

سلا 25 شعبان 1409
3 أبريل 1989

الباب الرابع عشر

البعثات الطلابية إلى الخارج

① المؤسسات التعليمية

ينقسم هذا الفصل الأول إلى مطلبين : أولهما خاص بمدارس التكوين خارج طنجة كفاس والعدوتين، وثانيهما بمدارس طنجة : كمدرسة اللغات ومدرسة التطبيب.

وستتاح لنا الفرصة لمعرفة البعض من طلبة مجموع هاته المؤسسات داخل المغرب.

المطلب الأول : مدارس التكوين خارج طنجة

أحدثت بالمغرب خيلة القرن التاسع عشر مؤسسات علمية لتلقين المواد العلمية المجرّدة والفنون العسكرية وتعليم اللغات.

فبفاس أنشأ مولاي عبد الرحمان سنة 1844 مدرسة للمهندسين كان موقعها بفاس الجديد جوار القصر الملكي. وكانت الدراسة قد ابتدأت فيها تلك السنة، وكانت لاتزال مستمرة سنة 1879 على وجه أخص. ومن المواد التي كانت تلقن فيها الحساب والهندسة والتوقيت والتنجيم. فمن درس التوقيت صار موقتا، ومن درس الهندسة كان مهندسا. وبين عام 1870 و1873 كان عددهم متراوحا بين 44 و58 طالبا[1].

وفي عهد ابنه سيدي محمد تأسست مدارس أخرى بمختلف المدن، وجاء مولاي الحسن ليزيد من إنشائها، فأحدث مثلا بالجديدة مدرسة للمدفعية، ومدارس أخرى بغيرها كآسفي والصويرة حيث كان ملحقا بمدرسة المدينة الأخيرة خمسون من الطلبة الشبان. ومن مجموع هاته المدارس كان ينتخب من سيتعلم بأروبا[2].

ويتعين اللجوء إلى عدد من الرسائل والتقاييد والمذكرات لادراك أحوال هاته المدارس ومحاولة معرفة أسماء بعض طلبتها.

---

1. محمد المنوني : «مظاهر يقظة المغرب الحديث» ج 1 ص 143 و144، طبعة لبنان التي اعتمدتها في هذا الكتاب.
2. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 230 (9).

فقبل سنة 1876 أحدثت مدارس أخرى ببعض المدن كالعدوتين وآسفي والصويرة. فعن طلبة المدينة الأخيرة جاء في رسالة السلطان إلى عاملها : «وصلنا كتابك وصحبته طلبة الحساب الذين وجهت بقصد اختبارهم عملا بأمرنا الشريف، فوجد أثر النجابة لائحا على الستة المذكورين بالطرة [وهم : 1. أحمد بن محمد الضماني، 2. وعمر بن علال بادوش، 3. ومحمد بن المدني، 4. والمهدي بن ابراهيم، 5.وأحمد بن حمو، 6. ومحمد بن عبد الرحمان التيت] ويليهم الثلاثة المذكورون إثرهم [7. محمد بن عبد الله، 8. وعلال بن قاسم، 9. ومحمد بن محمد بن خضرة] حيث أمرنا باختبارهم. وما عداهم حشو لا يقبل التعليم. وعليه فسرحهم لحال سبيلهم، وعين بدلهم ممن فيه قابلية التعليم، ووجه العشرين الباقين هناك بقصد اختبارهم»[3].

ويستفاد من رسالة سلطانية بعدها إليه أن طرفا من أبناء الصويرة كانوا يتعلمون الهندسة : «فيرد عليك طلبة الحساب من أهل الصويرة الذين يقرؤون الهندسة. رددناهم لبلادهم بعد قضاء الغرض منهم. فليلزموا عملهم في القراءة، وكن تتفقدهم المرة بعد المرة، وتؤكد عليهم في الملازمة...»[4].

ولئن كانت الرسالة السابقة لا تفيدنا بعدد الطلبة سنة 1876، فقد جاء في أخرى بعدها بست سنوات أنهم تجاوزوا الأربعين الذين أمر السلطان عامل المدينة بتوجيههم إليه : «فنأمرك أن توجه... طلبة الهندسة الذين هناكم وعددهم أحد وأربعون...»[5].

أما عن التعليم العسكري فقد أحدثت مدارس بالعدوتين سنة 1875، وعلينا أن نعرف من خلال الوثائق أسباب إنشاء هاته المدارس، وكيفية التعليم فيها، وشروط اختيار الطلبة للتعلم بها، بعد أن استفدنا من رسائل إلى عامل الصويرة أن جميع الطلبة كانت تجرى عليهم امتحانات قبل تعلمهم بها.

قال السلطان لعامل سلا : «فغير خاف أن من جملة الأمور الجهادية الأكيدة التي يتعين التنبه لها ومزيد الاهتمام بشأنها ما يتعلق بأمر المراكب البحرية وتعلم رياستها. وقد شرح الله صدرنا لاحياء ما كان أسسه أسلافنا قدسهم الله بثغر العدوتين من علم ذالك، لما بلغنا من أنه كاد أن ينقطع هنالك لعدم من يتعاهده تعلما وتعليما وخدمة.

«وعليه فنامرك أن تختار عدة من صغار الأولاد من طائفة البحرية بذالك الثغر المحروس بعناية الله، وانتخبهم ممن تعلم فطنتهم ونجابتهم، وكلف الزعتري بمباشرة تعليمهم ما ذكر، بجعل مثال مركب في البر على صورة قريبة بصواريه وما يحتاج إليه من جميع ءالاته المعروفة له، ويعرفهم أسماء تلك الآلات، ويعلمهم كيفية تصرفهم في حساب الكارطة، وكيف يستخرجون منها مسافة السفر بحرا، إلى غير ذالك مما يتوقفون عليه ويوصلهم لمعرفة ذالك وتحصيله...»[6].

ولم يرد فيها شيء عن عدد الطلبة وأسمائهم، لكن يستخلص من غيرها سلوكهم من أن بعضهم أخذ يتراخى وأن المدرسة كان ينفق عليها ـ وعلى غيرها ـ من مال الأوقاف حسبما تشهد

---

3. رسالته في 23 صفر 20/1293 مارس 1876، «الوثائق» : 3 ص 457.
4. رسالته في 9 جمادى الثانية / 2 يوليوز، «الوثائق». 3 ص 458.
5. رسالته في 23 محرم 4/1300 دجنبر 1882، (م و م) الترتيب العام.
6. رسالته في 1 محرم 7/1292 يبراير 1875، وثائق آل بنسعيد.

به الرسالة الموالية إلى العامل من الناظرين - ناظري الأوقاف بالعدوتين - اللذين أخبرا «أن الطلبة الذين يتعلمون الحساب والهندسة هناك : بعضهم صار يتكاسل ويعطل بعض الأيام من القراءة، وبعضهم امتنع من التعليم بالكلية. وقد أمرهم (= أمرهما) مولانا أيده الله بأن لا يعطوا الراتب إلا لمن لازم القراءة، ومن عطل يومـ[ـا] يسقط عنه راتب ذلك اليوم، ومن امتنع من التعليم يقطع عنه بالكلية وينظر غيره» ويعين بدله[7].

ومرت سنوات حتى إذا كنا في سنة 1884 وجدنا أن التعليم العسكري بدأ يزدهر ويتقدم فصار الطلبة يقصدون طنجة من بعض المدن للتعلم على بعض المهندسين الأجانب. فمن ذلك أن السلطان أمر عامل سلا بأن يوجه خمسة عشر من صغار الطلبة النجباء للأخذ عن المهندس الفرنسي لوبلان A. Le Blanc،وعامل الصويرة بتوجيه عشرة من الطبجية للتعلم عليه أيضا[8].

غير أنه في سنة 1891 لم يبق بسلا «ممن يحسن علم تطبجيت إلا عبد الله فنيش» [9]. وكان العامل قد التمس من السلطان أن يأذن له بتعيين عشرين ولدا للتعلم على فنيش، وأن «يكون له ولهم الراتب الشهري كما بالرباط». فأمر العاهل الأمناء «بأن يرتبوا لهم وله راتبا كما بالرباط»[10].

وكانت بالرباط والدار البيضاء مدارس أواخر القرن التاسع عشر لم أقف على شيء عنها سوى أن بعض ضباط البعثة العسكرية الفرنسية كانوا يدربون المتعلمين فيها. ومع أن مدرستين كانتا بالجديدة ويآسفي، فلم يرد في الوثائق التي بين يدي بيان عنهما.

ومما لاريب فيه أن هاته المدارس كانت بمثابة ثكنات معدة لتعليم أفراد الحاميات العسكرية بها، من متعلمين كبار السن لم يكونوا أهلا للتعلم بالخارج.

وقد استمر إنشاء المدارس التي كانت تقليدية المناهج حسبما سبق وصفه. وكان السلطان مع ذلك يحاول تجديد الدم فيها، فكان يعين بعض المتخرجين من المدارس الأجنبية بالخارج للتعليم بها مثلما فعل عندما أرسل أحد المتخرجين بإيطاليا وهو العربي السلاوي (أي حركات) لتدريب الجنود بالجديدة.

المطلب الثاني : مدارس طنجة

وبهاته المدينة كانت مدارس إعدادية تتضمن تعليم العلوم العسكرية والبحرية والعقلية واللغات والطب. وكان سبب اختيار المدينة مقرا لهذا التعليم وجود المفوضيات وموظفيها بها، فهم في الغالب هم الذين كانوا يعلمون بتلك المدارس العصرية.

---

7. رسالة موسى بن أحمد إلى الحاج محمد بنسعيد في 23 شوال 11/1293 نونبر 1876، وثائق آل بنسعيد.
8. رسالته إليه في 13 ربيع الثاني 11/1301 يبراير 1884، وثائق آل بنسعيد، وكذلك رسالة الركراكي إلى محمد بن العربي بن المختار في 19 جمادى الأولى/17 مارس، الترتيب العام .
9. عبد الله بن محمد بن العربي فنيش المتوفى سنة 1897/1314 بسلا كان مجاهدا ومن رؤساء البحر اللامعين، ترجمته في «الاتحاف الوجيز» لابن علي ص 65 و184.
10. رسالة السلطان إليه في 15 جمادى الأولى 17/1309 دجنبر 1891، وثائق آل بنسعيد.

ويمكن أن نميز بين هاته المدارس. فكانت هناك واحدة للتمريض وأخرى لتعليم اللغات ومبادىء العلوم العسكرية والرياضية، وكانت بها أيضا خلايا لتعليم الصناعة الحديثة لبعض المغاربة، وسنتحدث عن ذلك بشيء من الاختصار.

1. مدرسة التطبيب الاسبانية

في سنة 1887 أنشأت إسبانيا «مدرسة بطنجة بقصد تعلم علم الطب الجراحي بها لمن أراد تعلمه» و«كلفت الحكيم الذي سمي... وأمرته بإعلام حضرتنا الشريفة لنأمر بتوجيه من يتعلم بها ذالك من رعيتنا ليكونوا أطباء في العسكر»[11]. ولم يكن الحكيم إلا الطبيب العسكري الاسباني فليبي أوبيلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis.

وكانت هاته المدرسة مضافة إلى المستشفى الاسباني، ولم تكن تخرج أطباء حقيقيين. وكان يتعلم فيها شبان مغاربة وإسبانيون. وفي سنة 1891 كلف السلطان الطبيب أوبيلو بتعليم ممرضين عسكريين من المغاربة بها[12].

ولم أقف على مدة التعلم بها، غير أن طلبتها المغاربة لم يكونوا سنة 1893 يتجاوزون ستة أفراد[13] ومثلهم سنة 1897. وكان المخزن قد اعتاد أن ينعم عليهم بإنعامات ولاسيما بالكسوة على حد ما قال السلطان للطريس : «وصل كتابك بطلب الانعام على متعلمي الطب الستة الذين هنالك بطنجة عند الطبيب أبيل الصبنيولي بالكسوة المعتادة لهم كل سنة في هذا الابان، وصار بالبال. فقد أنعمنا عليهم بها...»[14] أي على الطلبة الذين لم تأت في الرسالة أسماؤهم. ولئن كانت الدراسة بها قد اتصلت إلى حوالي 1900 فلم نعرف من الناجحين الستة إلا إثنين فقط، وكان أحد الاثنين هو أحمد بن الحاج عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمسماني الطنجي المتوفى سنة 1928 بفاس والذي كان يدرس الطب بأروبا[15] أي بإيطاليا حتى مرض هناك وعوض بولد التونسي[16]. وعن مؤونته جاء في رسالة سلطانية سنة 1900 ما نصه : «أخبر الطالب عبد الرحمان التمسماني الوارد على شريف أعتابنا بأنه أكبر الطلبة الذين كانوا يتعلمون الطب في اسبِطار الصبنيول هنالك بطنجة بإذن سيدنا المقدس، وأنه هو أكثرهم تحصيلا في التعلم... غير أنه لا يقبض الآن في مؤونته اليومية إلا ما كان يقبضه أول تعيينه للتعلم وهو نصف بسيطة...»[17].

وفي وثيقة بعدها بنحو الست سنوات أن هذا الطنجي كان «ممن تَنجَّب في علوم الطب والتشريح، وهو أحد المتعلمين المعينين قبلُ من قِبَل جانب المخزن لقراءة ما ذكر لدى بعض أطباء الصبنيول بثغر طنجة المحروس، وبيده إجازات الأطباء بذالك، وهذه مدة وهو ملازم لمباشرة علاج المرضى هن العسكر السعيد في اسم خليفة الطبيب فمي الفرنصاوي...»[18]

---

11. رسالة السلطان إلى الطريس في 2 جمادى الثانية 26/1304 يبراير 1887، تطوان 55/5.
12. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 219 (4).
13. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 حجة 10/1310 يوليوز 1893، تطوان 131/11.
14. رسالته في 5 شوال 9/1314 مارس 1897، تطوان 107/15.
15. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 256.
16. رسالة مخزنية غير مؤرخة إلى نائب إيطاليا، محفظة إيطاليا .
17. رسالة السلطان إلى الطريس في 4 جمادى الأولى 30/1318 غشت 1900، تطوان 94/18.
18. رسالة الطريس إلى الكباص في 22 شعبان 11/1324 أكتوبر 1906، نصها في الكناش 2720 ك ص 192/191.

Fumey. ثم طلب له الطريس من الكباص الذي كان وزيرا للحرب أن يدرجه في قائمة الجيش لأهمية مهنته[19]. وثاني متعلم ناجح على ما يظهر كان هو محمد بن أحمد بوزيان الكرّات الذي كان يسكن سنة 1896 بدار حبسية طلب الطريس من السلطان إقراره عليها «رعيا لمسكنته وخدمته في جملة الجيش السعيد»[20].

2. أما **مدرسة اللغات** بطنجة فكانت مثل مدرسة الممرضين تعد الطلاب للعمل بالبحرية وبالجيش وبالمخزن أيضا. ومن المواد التي كانت تلقن ـ زيادة على اللغات التي منها العربية ـ الحساب والهندسة والجغرافية والمواد الدينية. وكانت تسمى المدرسة الحسنية[21] التي كانت بجانبها بطنجة ولاسيما سنة 1906 مدرسة علمية[22].

وعن مدرسة الألسن التي تعنينا هنا سيدور الكلام. فقد أنشئت في حدود سنة 1874/1291، وكانت الدراسة تستغرق فيها سنتين كما وقع للبعثة الأولى التي اتجهت إلى أروبا ولاسيما إنجلترا التي مكث الطلاب ـ استعدادا للالتحاق بها ـ سنتين بطنجة يتعلمون فيها من 1874 إلى 1876 اللغة الأجنبية ومبادىء الحساب والعلوم[23]، غير أن متعلمي الأفواج التي انطلقت بعد الخمسة عشر طالبا من الفوج الأول صاروا يمكثون فيها ست سنوات أو تزيد، ولاسيما أنهم كانوا صغار السن. وقد يكون منهم من لم يتعلم المواد العلمية في مدارس أخرى.

فمن هم تلامذة الأفواج التي كانت تدرس بها ؟ سنعلم أسماءهم عندما نصل إليهم عند الحديث عمن أوفدوا إلى إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وإسبانيا وبلجيكا.

وسيكون علينا أن نستخلص أسماءهم من طائفة من الوثائق المتضاربة التي تنقطع سلسلتها عني وتعتورها ثغرات كبيرة. ولن نقف إلا على أسماء تلامذة من الرباط وسلا. أفلم يكن في المدرسة غير أبناء العدوتين ؟ شيء لا يمكن الجزم به.

وهناك صعوبة في التمييز بين من أعدوا لتعلم اللغة ثم التسفير إلى مدارس أروبا من جهة أولى، وبين من نودي عليهم ليتعلموا اللغة بطنجة فقط ربما لكي يصبحوا تراجمة المخزن من جهة ثانية، وبين من وجهوا للتعلم العسكري عند ضباط أجانب وعلى متن السفن من جهة ثالثة.

ففي سنة 1875 التحقت البعثة التعليمية الأولى بطنجة، وكانت متألفة من 15 طالبا يدرسون اللغة الأجنبية ثم يتدربون بسفن الدول بنسبة ثلاثة لكل واحدة منها[24]. والظاهر أن هذا

---

19. نفسه ص 203 حيث رسالة الطريس إليه في 15 رمضان 2/1324 نونبر 1906.
20. رسالته في 13 ربيع الثاني 21/1314 شتنبر 1896، الترتيب العام.
21. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 147.
22. أوصاف هاته المدرسة وردت في الكناش 2720 ك بالخزانة العامة ص 195/194، وهي تدل على أنها غير المدرسة الحسنية لتعليم اللغات وعلى أنها كانت تدرس فيها مواد «العلم الشريف» أي غير اللغة والرياضيات.
23. عبد الغني سكيرج : «مذكرة الزبير سكيرج 1850 ـ 1932» في «دار النيابة» العدد 8 ص 28.
24. رسالة السلطان إلى الجيلالي بن حمو في 25 رجب 27/1292 غشت 1875، «الوثائق» : 3 ص 442.

التعلم - الحربي منه واللساني - استغرق سنتين نودي بعدهما سنة 1877 على فوج آخر، مثلما هو وارد في هاته الرسالة السلطانية إلى عامل سلا :

«فنأمرك أن تعين خمسة من أولاد أعيان خدامنا أهل سلا يكون سنهم من الخمسة عشر سنة إلى الثمانية عشر، واخترهما (= واخترهم) من النجابة والفطنة بمكان وممن يعرف الكتابة. وإن كانوا من الذين كانوا عينوا سابقا لتعلم علم البحر وكانوا يتعاطونه فهو أولى. وحين تعينهم أعلمنا لنأمرك بتوجيههم لبر النصارى بقصد تعلم علم البحر والرياسة، وذلك بعد أن يتعلموا ما يكفيهم في ذلك من اللسان بطنجة. وقد كتبنا لخديمنا الطالب عبد السلام السويسي بتعيين مثلهم من خدامنا أهل رباط الفتح»[25]. ولابد أن تكون مثل هاته الرسالة قد وصلت لعمال مدن أخرى كالعرائش وطنجة، لكن هذا لم يتيسر الوقوف عليه الآن.

وإلى جانب هؤلاء طلب السلطان بعد شهرين من العامل المذكور، ومن غيره على وجه الاحتمال، أن يعين «عشرة من صغار الطبجية أهل الذكاء والفطنة والصحة في الجسم» وأن يوجههم «لطنجة بقصد التعلم على طبجية من النجليز أمرنا بجلبهم للتعليم هنالك واستخدام المدافع الكبار الجديدة التي أمرنا بجلبها لمراسينا السعيدة، ليجدهم ورودها عارفين باستخدامها ماهرين فيه إن شاء الله. وقد أمرنا أمناء العدوتين بتزويدهم وكراء البهائم لهم، ولعامل طنجة وأمنائها بأن ينزلوهم وينفذوا لهم مؤونتهم»[26]. وكان المقصود بهم التعلم العسكري واللساني. ولم يرد بيان عن تعيين شبان صغار من أهل سلا، ولربما تكون مدن أخرى أرسلتهم من أجل هذا الغرض.

وكان المنسق لعملية تعيين المتعلمين وتدريبهم لارسالهم إلى أوروبا هو الحاج مُحمد بجل النائب السلطاني. فقد عثرت على مجموعة من الرسائل كتبها في الموضوع إلى مختلف السلطات.

ففي إحداها ذكر أسماء شبان من سلا وجهوا سنة 1885 للتعلم بطنجة وهم : 1. محمد بريطل، 2. وعبد الله بريطل، 3. وأبو بكر [بن الحاج عبد القادر] شماعو، 4. وأخوه محمد، 5. ومحمد بن العربي اعمار، 6. ومحمد المكينسي، 7. والشاب عبد الله النيال (وهو الذي سيوجه إلى إيطاليا وسيموت هنالك).وكان هؤلاء يتعلمون اللغة الطاليانية، ثم طلب في هاته الرسالة من الطريس أن يبين له عدد المتعلمين السلويين والرباطيين بطنجة. وختم كلامه بقوله : «واعلم أن الأناس المشار إليهم كلهم صغار السن ومن طلبة القرءان، وجلهم خرجوا من المكاتب. فنحبك أن تنظر لهم دارا لنزولهم، وامرأة تكون تباشر مأكولهم وغيره لعدم قدرتهم على القيام بشئونهم، والأمناء يصيّرون ما يجب في ذلك كما يصير على من كان قبلهم»[27].

ويدلنا سياق هاته الرسالة الأخيرة على أن طلبة كانوا توجهوا من سلا ومن الرباط قبل هاته البعثة من السبعة السلاويين. وتزكيها رسالة أخرى من السلطان إلى عامل سلا بعدها

25. رسالة في 10 رمضان 18/1294 شتنبر 1877، وثائق آل بنسعيد.
26. رسالة في 23 قعدة / 29 نونبر، وثائق آل بنسعيد.
27. رسالة إلى الطريس في 25 قعدة 5/1302 شتنبر 1885، تطوان 186/70.

بقليل تقول : «وصل جوابك بدفعك للخديم الحاج مُحمد بركاش من عينه لك من بحرية سلا ورياسها للخدمة ببابور جانبنا العالي بالله[28]، وبدل المتعلمين السبعة الذين كانوا توجهوا لطنجة بقصد تعلم اللسان بها ليتوجهوا للتعلم ببلاد الطليان، ولم توجد فيهم قابلية...»[29].

ولما كتب طلبة اللسان إلى العامل يلتمسون تجديد الكسوة المتلاشية، بعث هذا الأخير سنة 1886 برسالة في الموضوع إلى السلطان الذي أجابه بقوله : «وصل كتابك بطلب الطلبة ـ الموجهين من هناك أولا لطنجة بقصد تعلم اللغة ـ الكسوة لتلاشي المنعم عليهم بها حين التوجه» وقال إنه أمر الأمناء بإكسائهم[30].

وفي موضوع الكسوة أيضا كانت الرسائل لا تفتأ متبادلة بين المفوضيات والمخزن. فمن ذلك أن نائب إيطاليا كتب إلى غريط سنة 1891 ذاكرا أن متعلمي «اللغة الايطاليانية بطنجة بقصد توجيههم لايطاليا لاتمام قراءتهم فهم تقريبا عريانين. هذا نحو عام ونصف قبل قدومهم لطنجة قبضوا كسوة للواحد من عامل الرباط، ومن ذلك الوقت لم يقبضـ[وا] كسوة أخرى... المطلوب منك تطلع بذلك علم الحضرة الشريفة... بإصدار الأمر للأمناء أن يكسوا عاجلا المتعلمين... إن هذه المتعلمين في طنجة : للقراءات فقط، ولا يمكن لهم جعل شغل آخر ليكسوا أنفسهم بمالهم...»[31].

فأجابه غريط بعد ذلك بأن الأمر صدر إلى الأمناء بطنجة لاكسائهم[32].

وبخصوص أعداد الطلبة جاء في رسالة لبركاش الابن أسماء 15 طالبا : 8 من فوج 1885 و7 كانوا وجهوا إلى طنجة لتعلم اللغة الايطالية خلال سنة 1886، وهم : 1. محمد العوفير، 2. ومحمد الشيحاني، 3. ومحمد الريفي، 4. وعبد الكريم بوهلال، 5. والمكي كيليطو، 6. وقدور بن عبد السلام، 7. والتهامي بن يوسف[33].

وكان هؤلاء السبعة تكملة للعدد 15 من المتعلمين الرباطيين. لكن بعد أقل من شهر وقع التبديل في أسمائهم، إذ حذف الثلاثة الأخيرون المذكورون في الرسالة السابقة، وزيد عليهم واحد من أهل سلا وهو محمد القجيري (الذي سيذهب إلى إيطاليا ثم يموت بها قبل رجوعه بقليل) وأربعة من الرباطيين هم : بوعزة اللحياني، وإبراهيم غالب، ومحمد بن التهامي الدكالي، والغازي الزعري. ويفسر بركاش أسباب التغيير بكثرة التشفع لاعفاء بعض الطلبة من الدراسة حين يقول للطريس : «فقد وجهنا لك بالأمس صحبة البابور تسعة 9 نفر من الأولاد المتعلمين : سبعة منهم تتمة العدد 15 المعين قبل، واثنان : أحدهما من الرباط والآخر من سلا هما اللذان طلب باشدور الطليان زيادتهما أخيرا. وأسماء الجميع مقيدة بالطرة، ولا عمل على البعض من الأسامي المقيدة في الكتاب الذي صحبوه معهم، لأنه وقع التبديل في ذلك. وهؤلاء المتعلمون هم غاية ما تيسر في الوقت مع طول المدة، وكل من توفرت فيه الشروط لا يسمح به أهله. ولا

---

28. في مسودة رسالة إلى أمناء مرسى طنجة في 15 ذي الحجة 1302 أن عدد البحرية من أهل الرباط وسلا كان تسعة عشر، أمروا بدفع الكسوة لهم وللسبعة المتعلمين الايطالية من أهل سلا.
29. رسالته في 15 حجة / 25 شتنبر، وثائق آل بنسعيد.
30. رسالته في 28 جمادى الأولى 12/1303 يبراير 1886، وثائق آل بنسعيد.
31. رسالة كانطاغالي إليه في فاتح يونيو 1891، محفظة إيطاليا 3.
32. جواب مخزني إليه في 7 حجة 14/1308 يوليوز 1891، نفسها.
33. رسالة الحاج مُحمد بركاش إلى الطريس في 16 رمضان 18/1303 يونيو 1886، تطوان 88/71.

يخفاك كثرة الشفعاء الذين يتعين قبول شفاعتهم. الحاصل انتخب منهم اثنين لباشدور الطليان، والباقون تتمة العدد المعين قبل... ونحبك أن تتكلم مع المكلفين بتعليم الأولاد بأن يبينوا لك من لا يقبل التعليم لترده ونوجه بدله»[34].

ويتجلى من رسالة سلطانية بعدها بأربعة أشهر أنه وقع النقص من الطلبة الرباطيين والسلويين الذين كان سن طرف منهم كبيرا فأرجعوا وعوضوا بغيرهم : «فقد أخبر باشدور الطليان أن المتعلمين الاثني عشر من أهل الرباط وسلا لم توجد فيهم قابلية للتعلم لكبر سنهم، فكلفناه بتوجيه نائبه لك بقصد انتخاب أربعة من أنجب ولدان أهل سلا الذين سنهم من الاثنتي عشرة سنة إلى الثلاث عشرة سنة. فإذا وجهه لك فنامرك أن تحضر له عددا منهم من السن المذكور لينتخب منهم الأربعة. وحيث ينتخبهم أبقهم تحت يدك ووجه لنا زمام أساميهم لنامرك بما يكون فيهم.

«وقد كتبنا لعامل الرباط بأن يحضر له عددا من أنجب ولدانها من السن المذكور لينتخب منهم ستة»[35].

وطرأ شيء من الفتور على تعلم اللغاب بسبب موت رجل كان يقدم خدمات لهؤلاء المتعلمين ويحرص على أن تنجح هاته الخطوة من التعليم بالمدرسة الحسنية، وأعني بذلك وفاة الحاج مُحمد بركاش في أواخر غشت 1886 بعد مرض دام أسبوعا[36].

وبعد وفاته أسندت هاته المهمة لأمين الأمناء محمد التازي الرباطي، فذكرت رسالة الأخير إلى الطريس أن عدد المتعلمين من العُدوتين تزايد فصار 32 في بداية سنة 1887 وقال : «فقد ورد اثنان من المتعلمين 16 أهل الرباط الذين يتعلمون اللسان العجمي هناكم متشكين بأن المتعلمين 16 من أهل سلا نفذت لهم الكسوة وما يكفيهم من المال كل يوم، مع المتعلمة التي تباشر تنظيف محلهم، فأنهينا أمرهم لسيادة سيدنا أيده الله فأمر دام علاه بالكتب لأمناء المرسى بتنفيذ ما ذكر ...»[37].

ومن المناسب أن أذكر أن اللغات التي كانت تدرس بطنجة هي الألمانية والانجليزية ولو أن عدد طلابهما كان قليلا، وأن تعليمهما لم يستمر إلا مدة محدودة. وأما الاسبانية فلم أقف على شيء حول تعليمها، بينما كانت كل من اللغة الايطالية واللغة الفرنسية (التي كانت تصلح للأفواج المتوجهة فيما بعد إلى بلجيكا وفرنسا) متواصلة منذ حوالي 1881. ولن نجد في قائمة 24 قعدة 14/1305 غشت 1887 إلا أسماء ثلاثة وعشرين متعلما سبقت الاشارة إليهم ممن كانوا لايزالون بالمدرسة. فمن أهل الرباط 12 طالبا : فزيادة على محمد العوفير وبوعزة اللحياني ومحمد الشيحاني والغازي الزعري ومحمد بن التهامي الدكالي الخ...نجد كلا من بوبكر يعگوب، ومحمد بيرو، والحاج محمد الغريسي، وأحمد التوزاني، وأحمد بن المختار، وكذلك المكي بن مبارك، ومحمد الشرقاوي البُهالي اللذين سيكونان عضوين في بعثة إلى إيطاليا. أما من سلا فكانوا 11 طالبا هم المعطي الزلداني، (أو الزرداني)، وحجي الحصيني،

34. رسالته في 11 شوال 13/1303 يوليوز 1886. تطوان 71/99.
35. رسالة السلطان إلى الحاج محمد بنسعيد في 9 صفر 7/1304 نونبر 1886. وثائق آل بنسعيد.
36. م. بوشعراء : «الاستيطان والحماية» ج 1 ص 398.
37. رسالته في 19 جمادى الأولى 13/1304 يبراير 1887. تطوان 35/36.

والمدني المصلوحي، وبوعزة بن بنعاشر العشاب، والحاج المدني كلزيم، وعبد الله بريطل (الذي أشرت إلى وجوده بها سنة 1885)، وبوبكر بن الحسن بن مريدة، وعمر الطرابلسي، وعبد العزيز الأبيض، ومحمد الزواوي، ومحمد بن ادريس الطنجاوي[38]. ولن يتوجه أحد من هؤلاء السلاويين إلى الخارج لعدم الوقوف على اثر لهم فيه.

وأضيف في هذا الباب أنه أمام أسماء عشرة من الثلاثة والعشرين السابق ذكرهم كتبت عبارات تفيد غيابهم بالرباط أو بسلا لربما لصلة الرحم. ولم يكن عدد المتعلمين مستقرا في رقم مضبوط عبر السنوات.

وقد تجلى من تفتيش أجري سنة 1888 أن هاته المدرسة التي كانت تعلم فيها الايطالية كان تلقن فيها أيضا اللغة العربية، وكان بها 15 متعلما منهم من لايعرف قواعد اللغة العربية، وكان أربعة منهم لا يعرفون القراءة والكتابة، بينما كانت قريحة اثنين منهم وقادة. وسبب جهل بعضهم أنهم أدخلوا صغار السن وقد قسموا إلى ثلاث مراتب[39].

وقبل هاته الرسالة جاء في أخرى أن «جماعة من أهل العدوتين هذه مدة من سبعة أعوام وهم يتعلمون اللسان الفرنصوي والطلياني بطنجة على يد يهوديين منها، ولم تظهر في أحدهم نتيجة. وعليه فنامرك أن تردهم لبلادهم... وقد أمرنا الأمناء بقطع المئونة عنهم وعن اليهوديين الذين يعلمانهم»[40] واللذين كانا بلا ريب من موظفي المفوضيتين المعنيتين.

ووصل مع ذلك تعليم الايطالية ولاسيما سنة 1895، وتذكر الوثائق «أن هنالك بطنجة معلما طليانيا منصوبا لتعليم اللسان، وأنه يقبض على ذلك من ديوانة الثغر المذكور مائة وخمسين بسيطة مرتبا شهريا من قبل التعليم، وأن المحل الذي يتعاطى فيه ذلك صار يعرف هنالك بمدرسة الطليان...»[41].

وفي أواسط سنة 1900 لم يكن عدد المتعلمين يتجاوز بضعة أفراد كان ينوى إرسالهم إلى حال سبيلهم، وتقرر بالفعل ذلك ونستشفه من رسالة سلطانية إلى الطريس : «وصل جوابك بأن السبب في تأخير تنفيذ ما تقدم من توجيه اثنين من المتعلمين إلى إيطاليا هو الأمر الوارد عليك بتوجيه كل المتعلمين السبعة الذين كانوا هنالك إلى حال سبيله، ففعلت»[42]. وكان الطالبان اللذان اختيرا إلى ايطاليا سنة 1900 هما الطنجيان الصديق وأخوه المختار التونسي حسبما سيرد ذلك محله.

---

38. أصلها بمكتبة تطوان 12/141 وعنوانها : «بيان المتعلمين اللسان : فرانصيص وطليان».
39. جواب مخزني إلى كانطاغالي في 16 قعدة 25/1305 يوليوز 1888، محفظة ايطاليا 2.
40. رسالة السلطان إلى الطريس في 8 قعدة 17/1305 يوليوز 1888 تطوان 132/6 ومثلها رسالة سلطانية إليه في 8 حجة / 16 غشت، تطوان 144/6.
41. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 صفر 4/1313 غشت 1895، تطوان 26/14.
42. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 محرم 15/1318 ماي 1900 تطوان 9/18.

وقبل أن أختم هذا الفصل لابد أن أشير إلى أن بادرة أخرى ظهرت سنة 1906 بطنجة إلا وهي أن المخزن كان قد اقترح عليه أن يعلم أربعة من الشبان المغاربة صناعة الحرير على يد مهندس إنجليزي. وقد تشفع مسؤول مخزني لكي يعين ضمنهم إدريس بن عبد السلام عمور[43] الذي نعلم أنه سيصير فيما بعد محتسبا لمدينة سلا ثم قائدا بسيدي بنور بقبيلة دكالة حيث سيموت سنة 1943 هناك[44].

ولم أقف على ما يثبت دخول هذا الاقتراح حيز التنفيذ.

هذا كل ما جمعته عن هؤلاء الطلاب بمختلف المدارس العسكرية واللغوية والطبية من الذين كانوا يدرسون بها طيلة عقود من القرن التاسع عشر.

ومن الآن سننطلق مع هؤلاء الطلبة الكبار منهم والصغار على أن نعرف بعض أحوالهم في مهاجرهم وبعد رجوعهم ما أسعفتنا بذلك النصوص المستقرأة.

43. رسالة ادريس البوكيلي إلى أحمد الطريس في 5 صفر 31/1324 مارس 1906، الترتيب العام.
44. محمد بن علي الدكالي : «الاتحاف الوجيز» الملحق الأول من إعدادي، ص 178.

② المتعلمون بالخارج

هاجرت طوائف من المغاربة لتلقي مختلف العلوم بالخارج خلال القرن التاسع عشر. وكان أغلبهم قد أوفدوا للتدرب بأروبا وقليل منهم في مصر والولايات المتحدة. وإليهم سأتعرض هنا لمعرفة أسمائهم والظروف التي عاشوها خارج وطنهم والشروط المفروضة لاختيارهم، وذلك ضمن تسعة مطالب وخاتمة، تليها مذكرة أحمد الجبلي الطالب بإيطاليا.

المطلب الأول : مصــر

وجه المخزن ست بعثات طلابية إلى الديار المصرية لتلقي علوم الصناعة الحربية والعصرية[1]. إلا أنه يحتمل أن يكون منهم من سافر على نفقة أسرته، سواء ممن سترد هنا أسماؤهم أو الذين لم أقف عليها. ولئن لم تنص المصادر المستقرأة على هوية جميعهم، فلا بد من ذكر من عثرت عليهم منهم. وكانوا يتألفون من عدة أفواج :

البعثة الأولى تركبت من ثلاثة أفراد لم يرد أنهم تعلموا الفنون العسكرية، وقد توجهوا حوالي سنة 1859/1276، وكان منهم : 1 ـ 2 : **الحاج محمد بنكيران** (الذي لم أقف على أخباره) و**أحمد شهبون** وكلاهما من فاس[2]، وكان الأخير منهما قد تلقى علوما كثيرة، وله تصنيف سماه «كتاب الجغرافية المغربية» ألفه سنة 1898 بفاس[3].

3. وأما ثالثهم فلم يرد له ذكر مخصوص، ولعله هو **الحاج عبد القادر بن علال بن محمد القليعي** الذي كان مهندسا وذا معرفة بالعلوم الرياضية والذي رحل من مسقط رأسه آسفي في منتصف القرن التاسع عشر إلى الشرق، فلم يعثر له بعد ذلك على أثر بالبلدان المشرقية[4] التي قد تكون هي مصر.

4 ـ 7 : وقد تألفت البعثة الثانية من **ثلاثة أفراد** لتعليم صناعة البارود أي التبرديج ومن **شخص واحد** كان يتعلم بالمطابع ورد قبلهم بقليل، حسبما يستفاد من رسالة الخديوي إلى السلطان سنة 1867 حين قال :

«وقد سررت بورود مُشرِّفكم الكريم، المتضمن لزوم المطبعة لذلك الجناب الفخيم، وما يحتاجه المخصوص الوارد بشأنها من مزيد التمرين والتفهيم... وقد أرسلنا المومأ إليه إلى دار الطباعة، وأكدنا على مأمورها بإراءته كل ما يلزم لهذه الصناعة، والاعتناء بتمرينه على استعمال أدواتها، وتوقيفه على كيفية إدارة آلاتها، وسائر كيفياتها.

---

1 . محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 251 وص 156.

2 . أيضا.

3 . نفسه وكذلك ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 161.

4 . محمد الكانوني : «آسفي وما إليه» ج 1 ص 130، وم بوشعراء : «الاستيطان» ج 1 ص 135.

«ثم ورد مشرفكم على يد الثلاثة المتعلمين في صناعة البارود، المراد تعليمهم صناعة التبرديج ورعايتهم حتى يتحصلوا على الغرض المقصود، فأرسلناهم إلى الباشا وكيل ديوان الجهادية المصرية في الحال، وأوصيناه برعايتهم والاعتناء بتعليمهم كل ما يلزم لتلك الصنعة من الأعمال والأشغال... والمرجو مواصلة المراسلة على الدوام...»[5].

ولم ترد أسماء البارودبين في المصادر، لكن متعلم الطباعة كان هو :

8. **عبد القادر بن عبد الكريم الخيراني الورديغي الشفشاوني** ابن قاضي شفشاون. وقد توجه إلى مصر لهذا الغرض سنة 1866، غير أنه لم يعد فمات سنة 1895/1313 هنالك[6]. وثمة آخران تدربا على الطباعة بها وهما :

9 ـ 10 : **الطيب بن محمد الأزرق الفاسي ومحمد الهفروكي** المراكشي اللذان تعلما قبل سنة 1869 وأجاز لهما عبد القادر الورديغي[7]، مما يدل على أنهما وردا بعده.

11 ـ 12 : البعثة الثالثة توجهت بعد هؤلاء ربما بقليل من الزمن. وقد تألفت **من نجارين اثنين** لم يأت لهما إسم في المصادر. غير أنه في سنة 1867 كان لا يزال يصرف عليهم وعلى البارودبين ومتعلم الطباعة المذكورين سابقا من أموال الدولة لتعلم البارود والنجارة والطباعة[8].

ولربما يكون ضمن النجارين :

13. **الحاج محمد بن الهاشمي بنسعيد السلاوي** الذي عاش بالاسكندرية أواخر القرن الماضي، ثم لما رجع أخذ يعلم جماعة من الرباطيين والسلاويين النجارة الرقيقة، وكانت له معاملات مع أوروبيي طنجة وجبل طارق[9].

14 ـ 43 : أما البعثة الرابعة فلم أقف على أسماء أفرادها الثلاثين الذين كانوا بصدد التوجه إلى مصر سنة 1867/1283. وكان من المفروض أن يختاروا من أهل الرباط وسلا والصويرة وفاس حسبما جاء في رسالة سلطانية إلى عامل سلا أن «هذه الخطط الجهادية من علم البحر وتطبجية ضعفت في الغرب حى كادت أن تفقد. وقد اعتنى بها ملوك الاسلام في هذا الوقت فانتفعوا بها انتفاعا بينا وأدركوا منها ما لم يدركه غيرهم.

«وقد بلغ إسماعيل باشا اهتمامنا بالأمور الجهادية حيث وجهنا له من يتعلم عمل البارود وغيره على الكيفية المعروفة عندهم. فأجاب بأنه اعتنى بأمرهم وطلب تكليفه بما يتعلق بهذا الأمر بالوقوف فيه. غير أنه طلب أن يكون المتعلمون صغارا نجباء، لأنهم أقْبَلُ للتعليم وأسرع نجابة من الكبار، فاقتضى نظرنا تعيين ثلاثين من الأولاد الصغار النجباء وتربيتهم بحضرتنا

---

5 . «مجلة المغرب» عدد يبراير مارس 1936 ص 18 بعنوان «بين خديوي مصر وسلطان المغرب» حيث رسالة إسماعيل باشا إلى سيدي محمد بن عبد الرحمان في شوال 1283/يبراير مارس 1867، نقلا عن كتاب «الآثار الفكرية» لعبد الله فكري، ص 54 المطبوع بالقاهرة.

6 . م بوشعراء : «الاستيطان والحماية...» ج 1 ص 101.

7 . محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 312 و313.

8 . «الوثائق» ج 2 ص 430 و432.

9 . مصطفى بوشعراء : «الاستيطان» ج 1 ص 107.

الشريفة في تعلم ما لا بد منه من مقدمات ذالك من حساب وتوقيت وهندسة وشبه ذالك ثم نوجههم بعدُ لمصر، وأردنا انتخابهم من أولاد الجيش البخاري وأهل فاس وأهل العدوتين وأهل الصويرة.

«فنأمرك أن تنتخب من أولاد خدامنا أهل سلا الصغار ثلاثة، وقد أمرنا عامل الرباط بانتخاب ثلاثة من أولاد الرباط ليكون ثلاثة طبجية وثلاثة بحرية، ولْيَكُن سنهم من أربع عشرة سنة إلى خمس عشرة ممن يعرف الكتابة والقراءة، وظهرت عليهم مخائل النجابة والذكاء والفطنة. وعِدْهم وأمِّلْهم بالاحسان التام من جانبنا العالي بالله في حال التعلم، زيادة على ما يترقبونه من إحراز المزية والمرتبة العلية لمن برع منهم فيما عين له. وحين تعينونهم وجهوهم لحضرتنا الشريفة، بعد أن يدفع لهم الأمناء ما يتزودون به ويكتروا لهم ما يركبون عليه، واصلين لحضرتنا العالية بالله. فأطلعهم على كتابنا هذا ليعلموا (= ليعملوا) بمقتضاه»[10].

وإذا كنا لا نعرف أسماء من عين من مدن أخرى غير سلا فإن عامل هاتـه الحاضرة قد رشح ثلاثة من أهلها ارتضاهم السلطان في جوابه وهم :

44 ـ 46 المكي بن أحمد الزواوي الموقِّت، ومحمد بن المعطي السفياني، ومحمد بن المختار معنينو[11].

ولم أقف على مصير هاته البعثة، فهل كتب لها أن ترحل إلى مصر ؟ وهل تعلمت بالمغرب تعلما كافيا ؟ غير أنها حتى ولو توجه أفرادها بعد سنة 1867 بمدة قصيرة نسبيا، فما كان لهم أن يسافروا قبل انتهاء المدة المفروضة (بضع سنوات) لتعلمهم بمدرسة المهندسين بفاس أو بغيرها «وتربيتهم بحضرتنا الشريفة» حسبما جاء في رسالة السلطان.

والبعثة الخامسة عينت سنة 1875، وكان طلبتها من الكثرة بحيث قسموا إلى ثلاث مراتب : أولى وثانية وثالثة بالنسبة إلى المنحة المخولة لهم. وكان ضمنها صانعان اثنان، وذلك في 28 رجب 30/1292 ماي 1875[12].

هذا ولم يأت بيان عن أسمائهم جميعا، إلا أنه يجوز أن نجعل ضمنهم:

47 ـ : عبد السلام بن محمد بن أحمد العلمي الذي تعلم الطب وحضر تشريح 1600 جثة من موتى الحرب أثناء ثورة أحمد عرابي سنة 1882. وقد عاد بعد ذلك إلى المغرب وأخذ يباشر العلاج بالقصر السلطاني وبدكان بفاس التي توفي بها سنة 1906، وقد خلف تآليف عديدة[13].

---

10. رسالته في 5 حجة 10/1283 أبريل 1867، وثائق آل بنسعيد.
11. رسالته إلى العامل في 10 محرم 14/1284 ماي 1867، وثائق آل بنسعيد.
12. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 158.
13. ص 159 من المصدر الأخير أيضا لمحمد المنوني الذي تفطن لجعل العلمي ضمن البعثة الخامسة وليس الأولى التي عده ابن زيدان منها. وله ترجمة عند العباس بن ابراهيم في «الاعلام» ج 8 ص 491.

أما الصانعان فلم يأت ذكر لاسمهما. بيد أنه يمكن أن يكون الحاج محمد بن الهاشمي بنسعيد رقم 13 من جملة هذين الصانعين، على أكثر تقدير.

والبعثة السادسة والأخيرة في القرن التاسع عشر لم يرد أي توضيح عن أفرادها ونوع تعلمهم، وينبغي أن نفترض من حيث التوقيت أن **أحمد بن الحاج الركراكي الرباطي** أحد أفرادها. فقد كان يشتغل بأحد مطابع مصر سنة 1904، ولما عاد بعد عشر سنوات وظف في مناصب مخزنية حتى توفي سنة 1955 بالرباط. وقد كان أديبا، وله تأليف عن الصويرة[14] التي عين فيها.

وسواء كان هذا الطالب ضمن بعثة رسمية بما يتضمن ذلك من منحة وصلة من الدولة أو كان مجرد مهاجر على نفقته في طلب العلم، فالمهم هو أنه كان بمصر، فالأحوال التي غادر فيها المغرب سنة 1904 لم تكن مناسبة لأداء المخزن لنفقات سفره وتعلمه.

المطلب الثاني : الولايات المتحدة

في سنة 1885 سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية **متعلمان اثنان** للتدرب بمعمل وينتشيسطر Winchester، وكان يقودهما الترجمان كارلطن E. Carleton الانجليزي الأصل[15].

ولئن لم يرد لاسمهما ذكر في المصادر التي تحت اليد ولا توضيح كاف عن المدينة التي توجد مدن عديدة بهذا الاسم في كثير من الولايات الامريكية، فقد جاء شيء من الكلام عن نوع العمل الذي ذهبا لتعلمه : «وصل كتابك وبطيه زمام الصائر على المتعلمين ـ اللذين كانا توجها لبلاد المركان على يد مكلين يتعلمان حل المكاحل ومسحها وتزديجها، ووردا على حضرتنا الشريفة برباط الفتح ـ تضمن خمسمائة وأربعة وخمسين ريالا وسبعة وثمانين سنطيما، وطلبتَ أمرنا الشريف للأمناء بدفع العدة المذكورة لكاتب باشدور النجليز المتولي قبضها منه، فقد أمرناهم بدفعها له على يدك، وكتابنا لهم بذالك يصلك طيه»[16]. والغالب أن تدربهما كان قصير المدة التي لم تتجاوز بعض الأشهر.

المطلب الثالث : أروبــا

قصدها جماعة من المغاربة، سواء كانوا طلبة أو صناعا أو جنودا للتعلم في القرن التاسع عشر. وسيأتي بيان البلدان التي توجهوا إليها. بيد أن بعض المصادر لا تبين الأقطار التي تعلم فيها بعضهم ببر النصارى أو بلاد الروم (أروبا)، فلم أجد بدا من إدراجهم في هذا المطلب على انفراد. وكان منهم :

---

14. عبد الله الجراري : «من أعلام الفكر المعاصر...» ج 1 ص 9.
15. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 96.
16. رسالة السلطان إلى الطريس في 23 حجة 3/1302 أكتوبر 1885، تطوان 161/3.

1. أحمد (المدعو حيدة) بن عبد الله بن المهدي بن عبد السلام كراو الآسفي المتوفى عام 1293/1875. وكان رابع أربعة وجهوا لدراسة الهندسة وما إليها في عهد مولاي عبد الرحمان[17].

وفي عهد ابنه قصد آخرون «بلاد الروم، فتعلموا ما يكفي من ذلك وما يحتاج إليه من علم الهندسة وكيفية حرب النظام»[18]، ولم يعرف عددهم ولا أسماؤهم أيضا.

غير أن البعثات إلى أروبا لم تزدهر إلا في عهد مولاي الحسن، وكانت هاته الظاهرة من أبرز ميزات عصره، وكان الغالب عليها التكوين العسكري[19] والتكوين البحري كما سيأتي.

2. المصطفى بن عبد السلام الزَّوْدِي الطنجي درس الطب بأروبا وكان طبيبا[20]. ولم يرد شيء عن تاريخ سفره ولا عن البلد الذي تعلم فيه.

وممن تعلم الطب وشبهه باروبا كذلك:

3. أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمسماني الطنجي المتوفى بفاس عام 1347/1928. وكان قد استوطن هاته المدينة حيث كان يعالج الناس[21]. وتقدم أنه كان يتعلم بطنجة بمدرسة الممرضين وأنه عين بالجيش. ولعله تعلم بإيطاليا حسبما سيشار إليه في المطلب السابع.

4ـ 5 : محمد اللواح [22]الطنجي **والمختار عمور**[23] المتوفى بسلا أواسط القرن العشرين، وهما متأخران ـ على ما يظهر ـ عن السابقين.

6ـ 35 :أما تعليم البحرية بالخارج فكان أول الاصلاحات التي أدخلت على الجهاز الأسطولي. وقد اشتد العزم على تعليم صغار المغاربة وناشئة الجيش، وقوي إرسالهم في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر في عهد مولاي الحسن الذي قال سنة 1881 في إحدى رسائله : «اقتضى نظرنا الشريف تعيين أناس لتعلم ترايْسِت والمكينة وعلم البحر، وأن يفرقوا على نواب بابورات النجليز والفرنصيص والصبنيول والألمان والطليان، وعددهم ستة لكل جنس، واثنان من الستة المذكورين يخصصون بتعلم ترايست والمكينة بمدارس تعلم ذلك العلم عند كل جنس ممن ذكر، وأربعة لتعلم علم البحر وهم الذين يفرقون على نواب البابورات المذكورين، ويكون صائرهم على جانب المخزن... إذ المقصود هو تعلمهم...»[24]. جميع هؤلاء ثلاثون متعلما للعلوم البحرية.

17. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 166.
18. نفسه.
19. المصدر نفسه
20. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 308.
21. نفسه ج 1 ص 256.
22. أيضا ج 1 ص 296 (6).
23. كذلك.
24. رسالته إلى بركاش في 10 رجب 28/1299 ماي 1881، نصها في «رسائل شريفة» لمحمد نهليل، القسم الأول، اللوحة 59، وابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 148 ـ 149.

غير أن عدد من تدربوا على الفنون العسكرية وشبهها سيكون فيما بعد أكثر من ذلك، فيجب أن ندخل في الحساب من تعلموا ببلجيكا وجبل طارق، سواء كانوا طلبة أو صناعا أو جنودا. إذ تعلم بأروبا بين 1878 و1894 مئات من الشبان المغاربة[25].

وهذا ما سيرد في المطالب الموالية بشيء من التفصيل جهد الطاقة.

المطلب الرابع : ألمانيــا

أفواج تعلمت بألمانيا كان منها الطلاب وكان منها الجنود، فالفوج الأول تركب من ثلاثة أفراد عينوا سنة 1874/1291 للتعلم بها[26] بعد أن لقنوا اللغة ومبادىء العلوم بطنجة نحو السنتين ثم ذهبوا إلى ألمانيا. وأسماؤهم هي :

1 ـ 2 : الميلودي بن محمد الزيادي الطالبي، والحسين بن الحاج خلوق الوديي اللذان لما عادا إلى المغرب حوالي 1886 عينا مدة قليلة ترجمانين للمهندس فاكنر Wagner عميل كروب. وقد جاء هذا المهندس مرافقا للمهندس روطنبورغ الألماني، حسبما ورد في رسالة سلطانية من أن «الحسين والميلودي اللذين كانا يتعلمان ببلاد الألمان فرغا من تعريب الأوراق التي جعلها المهندس الألماني في شأن المحال التي انتخبها بمرسى العدوتين ومرسى الصويرة لبناء أبراج المدافع»[27].

وتقلب الحسين بعد ذلك في وظائف بالجيش، منها أنه سمي قائدا عسكريا لطرفاية عند انسحاب ماكينزي منها، بينما عاد الميلودي إلى ألمانيا لتتميم دراسته ببرلين مدة ثماني سنوات ابتداء من 1888، ثم لما آب عين سنة 1896 كاتبا بالقنصلية الألمانية بالدار البيضاء[28]. وظل يشغل هذا المنصب إلى سنة 1903 حتى سمي معلما للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين حيث توفي في نفس السنة[29].

غير أن المخزن كان قد اعترض على تعيينه موظفا بالقنصلية ومحميا لألمانيا. وجاء في مسودة جواب إلى الوزير المفوض : «فقد وصل جوابك أيها المحب في شأن ما يرومه الميلودي الزيادي العسكري، أحد طلبة اللسان الألماني، عند جانب المخزن... من التلبس بالحماية، ذاكرا أن إبطال حمايته متعذر حيث كان بموافقتكم؛ وأن الحماية المذكورة مبنية على مقتضى الفصل السادس عشر من شروط مدريد، لا على مقتضى الفصل الخامس...

«فأمرني أعزه الله أن أجيبك بأن العسكر الذي يوجهه المخزن بقصد التعليم : إذا كان ذالك التعليم يخرجه عن طاعة مخزنه بعدم جري الأحكام عليه وصيرورتـ[ـه] حماية... يختل بذالك النظامُ العسكري... ويكون فعلُ المخزن في ذالك التعليم وبدلُ ما يصيره عليه من

---

25. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 97.
26. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151.
27. رسالته إلى الطريس في 2 ربيع الأول 1304 / 29 نونبر 1886، تطوان 11/5.
28. مصطفى بوشعراء : «الاستيطان» ج 2 ص 826.
29. بييركيين : «ألمانيا والمغرب» ص 523 وص 524 (1) وص 867 (3) وص 26.

باب العبث الذي ينزه عنه أفعال العقلاء... وأما المكافأة التي احتججت بها... فليست بحماية، وإنما تقتضي التمييز لرتبته فيما تعلمه... وإلا كان نقصا للحقوق وانحرافا عن طريق الانصاف»[30].

3 . **عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي** تعلم بمدرسة كلاوسطال Klausthal ببرلين وتخرج منها مهندسا، ولكنه عين ترجمانا بأحد المراكب الألمانية بالرباط[31] في صدر القرن العشرين، وكان الطالب قبل أن يدخل إليها قد استأذن بواسطة فيبير السلطان الذي كان قد مانع في تعلمه المعادن، وذلك أن التسولي أشار «أن قصده بهذه العلوم حتى يقدر يوم ما أن يقدم خدمته لمنفعة وطنه، ويجازي الحضرة الشريفة أيدها الله بالدعاء لما أنعمت عليه بخيراتها ليتعلم...»[32].

وأجاب العاهل السفيرَ بعد شهور «بأن أحد الطلبة 3 الذين يتعلمون ببلادهم ظهرت نجابته في تعلمه ويستأذن في تعلم علوم الهندسة أو علوم المعادن، وصار بالبال. فتعلُّمهم علم البحر والمعادن أحب إلينا. نعم إن اقتضى نظره تعلم ما ذُكِر فيزاد له من يتعلمون علم البحر...»[33].

وانصرمت خمس سنوات تعلم خلالها، ولكنه لما أبطأ عن الرجوع كتب الطريس سنة 1888 يعلم بهذا التأخر السلطان الذي أجابه : «وصل كتابك بأن أحد المتعلمين ببلاد الألمان اسمه عبد السلام... هذه مدة وهو بالبلاد المذكورة، وبلغك أنه تمهر فيما توجه لتعلمه وظهرت نجابته، ولم يبق في مكثه هناك إلا زيادة الصائر، وصار بالبال. فحيث حصَّل ما توجه لأجله فوجه عليه، وحيث يَرِد وجهه لحضرتنا الشريفة»[34].

وأخيرا وبعد 6 أشهر رجع فوجهه الطريس إلى غريط، لأنه «ورد يوم تاريخه، وصادف الموجبة فأزعجناه للسفر، وها هو يرد عليكم لتطلعوا بأمره العلم الشريف...»[35].

ويظهر أنه سئل عن نوع العلوم التي تلقاها فقال في رسالة ملحونة وبخطه إنها : «1. علم الحساب والجبر والمقابلة، 2. أصول الهندسة، 3. مساحة المثلثات، 4. حل الجبر، 5. علم الهندسة المساحية، 6. علم الطبعة وهو أصل القوة الكهرباوية أي إلكطريك، 7. ثم علم الكَمِّيَّة المعدينية كالذهب والفضة والنحاس والقزدير والرصاص والحديد والكبريت إلى ءاخره... وغاية أكثر اجتهادي في هذه العُلُم السبعة كان علم الكميَّة، وبها أقدر نفتش الأرض على معادنها، ونبيِّن ما فيها من المعادن النافعة كالمذكورين فوق. والآن إني أترجى العقاقر والحوامض من طنجة لنجرب هاذا في حضرة العالية بالله، والسلام، وفي 21 من ربيع الثاني عام 1306.

«خديمكم : عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي، لطف الله به»[36].

---

30. جواب في 19 حجة 30/1313 ماي 1896، تطوان 80/51، وهناك رسالة سلطانية إلى الطريس في 17 حجة / 28 ماي في الموضوع أيضا.
31. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 86 و ص 867 (3).
32. رسالة فيبير إلى بركاش في 15 مارس 1883، الترتيب العام.
33. رسالته إلى بركاش في 23 شوال 27/1300 غشت 1883، محفظة التعلم بالخارج.
34. رسالته إليه في 12 حجة 20/1305 غشت 1888، تطوان 148/6.
35. رسالته إلى غريط في 12 ربيع الثاني 15/1306 دجنبر 1888، محفظة ألمانيا.
36. تاريخها يطابق 25 دجنبر 1888، محفظة التعلم بالخارج.

وأذيل الحديث عنه بأنه دخلت على اسمه ونسبه عدة تحريفات بالعربية واللاتينية. فبالعربية كتب اسمه أزود، وكان ضمن المتنورين بمدينة العرائش التي ورد في مجلة «المصباح» التطوانية أنه كان له فيها-هو والمهندس علي السوسي «المتخرج من جامعات إيطاليا» والمهندس إدريس الشرادي «المتخرج من جامعات إنجلترا» - دور في إيقاظ الشعور الوطني بها[37]. إلا أن يكون أزود هو الزاودي، لكن لم أقف على زوادي عرائشي.

أما باللاتينية فاسمه تصحف إلى بوسلام، فكتبت العين ألفا لخلو الألمانية منها، ورسم نسبه Zuli لأن حرف Z ينطق بالألمانية تسْ. وكان التسولي سنة 1891 معلما للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين[38].

وقبل أن أنهي الكلام عن أعضاء الفوج الأول لابد أن أشير إلى أن أنطوان كون A. Kühne(?) كان هو المكلف بالطلبة الثلاثة أعلاه وبمن بعدهم، والساهر على نجاحهم ببرلين في دراستهم. فقال فيبير لبركاش في رسالة مشحونة بالتحريف والركاكة : «وكنا قد قدمنا أنطون كون ليكون قنصل، لأنه رجل من الأغنياء والمعتبرين ومعروف بين الذوات. وقد جعلناه لمعاونتنا بملاحظة الطلباء الثلاثة، وهو عَمَّال يلاحظ ما يلزمهم لأجل نجاحهم في العلوم حتى يوم ما يحصل نتيجة من خداماتهم بدار المخزن، لأن ملاحظة الوزارة البرانية في برلين هي في الأمور المهمة، لأن الطلباء لا يمكنهم يلتجوا إليها كل وقت بما يلزمهم، ولكن يقدروا دايما يطلبوا من القنصل ما يحتاجون إليه. وليس خافي علمكم... كون هذا الانسان من الأغنياء كما تقدم، فلا يطلب دولة الجناب العالي بشيء لا من دراهم ولا غيره... فلهذا أقدم مسيو أنطوَن المذكور لكونه رجل أمين وأثيق به جدا، وعلى الخصوص لأجل المستَقبل، لأن لا أعرف كم من السنين أبقى في وظيفتي هنا، ولا أي وقت أترك الخدمة نظرا لتقدمي في السن، ولا أعلم أيضا إن كان من يتولى بعدي يعرف كفايةً عوائد العرب كما أنا أعرفها...»[39].

واستعدادا لارسال أفواج أخرى سافر الحاج محمد بركاش أواخر سنة 1884 إلى ألمانيا مصحوبا برسالة اعتماد سلطانية إلى القيصر غليوم الأول جاء فيها : «إن المحبة والصحبة والصداقة والثقة وحسن الظن والاعتقاد الجميل أوجبت توجيه أشخاص نجباء أخيار من هذه الايالة لبلادكم الرفيعة المصونة بقصد الزيادة في تنقيح ذكائهم وتهذيب أخلاقهم بئاداب السياسات العلانية والعلوم العسكرية والطبجية...»[40].

وتألف هذا الوفد من 24 شخصا للتدرب بمدينة إيسن غربي ألمانيا الاتحادية أو جنوبها الغربي بمدينة أولم. وكان منهم 9 طلبة ها هي أسماؤهم :

4 ـ 5 : **أحمد بن القايد والعربي بن الصديق**، ولم يأت بيان عن مسقط رأسهما.

6 ـ 8 : **محمد الدردب ومحمد بن الفقيه بَيُوض ومحمد الفيلالي** وهم من طنجة.

---

37. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 256، نقلا عن «المصباح» العدد الأول، مارس 1951، ص 63، بعنوان «علماؤنا المنسيون».
38. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 523.
39. رسالته في 6 مارس 1882، الوثيقة 2115 (م و م).
40. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 154 (1) وكذلك مسودة رسالة الاعتماد في 24 محرم 13/1302 نونبر 1884، محفظة ألمانيا.

9 ـ 12 : محمد سباطة وأحمد الشديد وهما من الرباط، **واحمد بن محمد الحجام** وهو من سلا مثله مثل : **محمد بن الحاج محمد النجار**[41] المعروف بُولّان الذي كان مولده في حدود 1863 ووفاته في حدود 1943.

تدرب بطنجة وتعلم اللغات ثم التحق بمدينة أولم Ulm بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية، وبعد ذلك بمعامل كروب. وعند أوبته عين برتبة مقدم للطبجية بطنجة فقضى هناك نحوا من 12 سنة. وأخيرا استعفى ورجع الى مسقط رأسه واشتغل بالفلاحة إلى أن وافاه أجله[42]. ويظهر أنه أعجب بما تعلم هناك، فلما سئل قال : «النصارى كايْعَلْمُو لعْقل، والمسلمين كايْخفيوه».

وعاد الأخيران إلى المغرب فلبثا بطنجة مدة ثم ذهبا إلى سلا لصلة الرحم، وطالت على ما يبدو إقامتهما بها حتى انقطعت عنهما المؤونة، فكتب العامل إلى السلطان يتشفع لارجاعها لهما، مجيبا عن رسالته إليه بتوجيههما له :

«وصل للعبد الخديم الكتاب الشريف وفيه أمرني أن أوجه الطبجيين محمد بن محمد النجار وأحمد بن محمد الحجام اللذين كانا يتعلمان ببلاد البروس وظهرت نجابتهما في حرفتهما. ومن لدن وردا من هناك انقطعت عليهما المئونة التي كانا يقبضانها بطنجة من جملة الطبجية التي بها. فيطلبان من سيدنا أن يأمر بردها لهما...»[43].

فأجابه العاهل أن الطبجيين ـ اللذين توجها بالفعل إلى العاصمة ـ «قد وصلا، والعادة في ذلك أن من توجه لصلة رحمه فتسقط عنه المئونة»[44].

هذا عن الطلبة، أما الجنود فكان عددهم خمسة عشر هم :

13 ـ 27 : السباعي البرطاعي، وأحمد الرحماني، ومحمد القصري، وابن ميلود المكناسي، ومحمد العوني، وأحمد الحمري، ومبارك العبدي، ومحمد الداودي، والعربي المكناسي، ومحمد السوسي، ومحمد المسفيوي، وسعيد [بن قدور] الحمري، ومحمد بن الحاج الهشتوكي، ومحمد الوعدودي، وابن أبي شعيب الدكالي[45].

وقد وصلوا إلى ألمانيا في مارس 1885، فكتب سفيرها إلى بركاش «معلما بوصول المتعلمين المشار إليهم، وأنه عين لهم المعلم، ومحل التعلم مع تمام الاعتناء، وبيَّن ما يلزمهم لصائرهم في كل شهر، وقدره 303 ريال، وقد كتب ولدنا ـ حسبما عنده من التكليف بذالك ـ لأمناء مرسى طنجة بأن يكونوا يدفعوا العدة المذكورة في كل شهر...»[46]. وبعد شهرين تقريبا عاد إلى المغرب عدد من المدفعيين لم ترد أسماؤهم في المصادر. فهل كانوا ضمن فوج آخر

41. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 153.
42. نقلت ترجمته عن ابنه صديقي محمد، وهي التي جعلتها في الملحق الأول من «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن علي ص 173.
43. جوابه في 20 شعبان 2/1305 ماي 1888، الوثيقة 11.348 (م و م) عن كتابه بارسالهما إلى العاصمة المؤرخ في 6 شعبان / 18 أبريل، وثائق آل بنسعيد.
44. جوابه للعامل في 2 رمضان 13/1305 ماي 1888، وثائق آل بنسعيد.
45. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 153 ـ 154.
46. رسالة النائب بركاش إلى السلطان في 14 جمادى الأولى 1302 / فاتح مارس 1885، محفظة بركاش.

أنهى تدريبه ؟ ومهما يكن فقد كتب الحاج محمد بركاش إلى السلطان يخبره «بأن الطبجية الذين كانوا بقصد التعلم عند التاجر كروب بألمانيا واردون في الأثر بعد بذل المجهود في تعليمهم، فقد وردوا قبل تاريخه بأيام أقاموها للاستراحة من سفر البحر، وها هم يصلون حضرة مولانا العالية بالله صحبته»[47].

ومن استقراء رسالة أخرى تبين أن عدد الجنود المتدربين لم يكن خمسة عشر، وإنما ثلاثة عشر في صيف سنة 1885، استلزم الصائر عليهم نحو 3000 فرنك (نحو 600 ريال) من أجل شهرين. وهكذا جاء في رسالة فيبير إلى الطريس أن بورجرس Burgers أحد رجال الأبناك ببرلين «المكلف على لوازم ومصاريف الثلاثة عشر شخص من عساكر حضرة السلطان نصره الله... يتشكى من الأمناء هذه المرة الثالثة، ولم يرسلوا له الدراهم الموجبة إلا بعد مراجعتهم مرارا. والبَنْكِر أخبرني أنه أرسل أخيرا كتاب للأمناء مع الحساب تاريخ 6 شهر الفارط، وبه يطلب منهم إرسال دراهم، ويطلب له الآن نحو ثلاثة آلاف فرنك وكسور، فلم أرسلوا له ولا جاوبوه على كتابه. فهذا أمر غير لائق، لأن ذلك البنكر لمْ قبِل هذه الكلفة إلا على طلبنا منه... فيحصل من هذا السبب تكدير الخواطر وتوقيف علم العساكر. ومؤكد أن الحضرة الشريفة لا تقبل ذلك. فيلزم أن تجعلوا أحد البنكرية في باريس أم في غير محل أن يدفع بِلْحين ما هو واجب إلى مُسْيُ كون وبُرْجرْس في برلين، لأن يَعَزّ عليه - إنْ حين لزوم الدراهم إلى العُسَكْرِية - يحتاج أن يسعاها...»[48].

هاته الرسالة على أخطائها مفهومة، وتدل على حدوث تأخير في أداء المصاريف.

على أنه يفهم من رسائل أخرى أن مدة تدريب الجنود والمدفعيين بمعامل كروب لم تكن طويلة، مما سهل إيفاد مجموعة صغيرة منهم، مثل التي رجعت في نهاية يوليوز من 1885 عندما قررت الحكومة الألمانية أن ترد الجنود «الذين كانوا توجهوا إلى برلين بقصد علم العسكرية» لأنهم «الآن حصلوا المقصود والمراد بجميع علوم حركات العسكرية» ولأنهم «أتقنوا هذا الفن ويقدروا يعلمون ءاخرين...»[49]، وكذلك قبولها تعليم 16 من الجنود ببرلين في صيف السنة نفسها[50]. وهكذا استمر إرسالهم على ما يظهر، ولو لم أقف على أسماء الستة عشر ولا على أسماء الآخرين المحتملين بعدهم، سوى :

28. الحاج محمد زنيبر السلاوي المدعو «الباش» الذي كان مدفعيا ورشح سنة 1889 للتعلم عند كروب. ولما عاد بعد التدريب عين بمدفعية طنجة، وكان حاضرا أثناء استرجاع طرفاية من يد الانجليز[51]. ولم يرد بيان عن المدة التي قضاها بألمانيا ولا عمن رافقه من الجنود أو المدفعيين، إن كانوا فعلاً قد عينوا معه. ويظهر لي أن هذا الطبْجي هو شقيق الحاج علي بن أحمد بن عبد القادر الذي مكث بمصر بضعا وعشرين سنة، والذي كان من رجال الدعوة الوطنية الأولين.

---

47. رسالته في 8 شعبان / 23 ماي، محفظة التعلم بالخارج.
48. رسالته في 9 يونيو 1885، تطوان 18/48.
49. رسالة منصور ملحمة إلى الطريس في فاتح شتنبر 1885، محفظة ألمانيا.
50. رسالة فيبير إلى الطريس في 11 يونيو 1885، تطوان 18/48..
51. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 1 ص 380 ورسالة السلطان إلى الحاج محمد بنسعيد في 15 شوال 14/1306 يونيو 1889، وثائق آل بنسعيد.

وهناك طلبة ومتعلمون غيرهم لم أعثر على أسمائهم في المصادر المخطوطة المغربية، ولا على تاريخ تعلم بعضهم ومكانه . لكن كيين ذكر بعضهم ممن كانوا يدرّسون اللهجة المغربية الدارجة للالمانيين ببرلين بمعهد اللغات الشرقية المحدث سنة 1887. وكان أول من اختير منهم هو «أبو سلام» أي عبد السلام التسولي الذي وظف المعهد سنة 1891. أما الآخرون فهم :

29. **الجيلالي بن البشير** تعلم هناك وصار سنة 1896 مدرسا للعربية[52].

30. **الجيلالي الشرقاوي** عين سنة 1899 إلى 1903 حتى عوضه الميلودي الرباطي المتعلم الأول. وكان الشرقاوي قد التمس نيل الجنسية الألمانية، وعاد سنة 1903 إلى المغرب وصار كاتبا للقنصل الألماني بالدار البيضاء[53].

31. **أبو بكر** عين مدرسا سنة 1904 بدلا من الميلودي الرباطي المتوفى في السنة قبلها، وصار سنة 1905 يعينه في التعليم الأستاذ الألماني الدكتور ليبيرت Lippert[54].

وهو أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب الذي اقترح ليكون ترجمانا للوفد المغربي في مؤتمر الجزيرة الخضراء[55]،ولكنه لم يُقبَل.

وقد ولد بقسنطينة حوالي 1870 من أب مغربي، تعلم العربية والفرنسية بعاصمة الجزائر، وتجول ببعض بلدان المشرق واستقر مدة بالعاصمة العثمانية، وهناك اتصل بزعماء الأتراك، ثم ساح بأروبا وأقام بألمانيا مدة وتزوج هناك من إحدى الفتيات ومكث ببرلين بضع سنوات، ثم عاد إلى المغرب واستوطن بطنجة وأنشأ جريدة «إظهار الحق» الأسبوعية وتعاطى مهنة المحاماة، وكان مندوبا للمخزن في شركة التبغ بطنجة.

ولما اندلعت الحرب العظمى اعتقلت السلطات الفرنسية بعض الألمانيين المقيمين بالمغرب وجماعة من محمييهم وعملائهم، فكان أبو بكر وزوجته الألمانية ممن مسهم هذا الاجراء، فنفي إلى سلا حيث فرضت عليه الاقامة الاجبارية، وبقي بها مدة تعرف على بعض رجالها مثل الحاج عبد اللطيف بن الهاشمي الصبيحي. وبانتهاء الحرب رجع إلى طنجة ومكث بها حتى توفي في 21 أبريل 1930. امتاز أبو بكر العلوي بثقافة جيدة فكان يحسن الفرنسية والألمانية ويحفظ غرر الشعر العربي ويجيد الضرب على العود[56].

المطلب الخامس : إنجلتــرا

استقبلت طلابا وعمالا بمدارسها ومصانعها، وكان أولهم ثلاثة طلبة من أهل فاس تعلموا - أو تعلم بعضهم - بمدرسة المهندسين بالمدينة المذكورة، وفي سنة 1874/1291 رشحوا

---

52. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 523.
53. أيضا.
54. كذلك.
55. الورقة 24 من كناش مكاتيب المندوبية السعيدة رقم 2720 ك (خ ع).
56. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 313، وله ترجمة بقلم الحاج أبي بكر الصبيحي بكناشته بالخزانة الصبيحية بسلا.

للدراسة بطنجة حيث لقنوا مبادىء اللغة الانجليزية طيلة سنتين إلى حدود سنة 1876 حيث يمموا وجههم شطر مدينة لندن للالتحاق بمدرسة المهندسين كاطان Royal Engineers of Chathan، ومكثوا فيها خمس سنوات، وبعدها رجعوا إلى المغرب. وها هي أسماؤهم :

1 ـ 3 : **مَحمد بن محمد الكباص** المتوفى بالحجاز سنة 1933/1353، وقد تقلب في وظائف سامية منها وزارة الحرب والنيابة السلطانية بطنجة والصدارة العظمى، **والحاج إدريس بن عبد الواحد بن بوعزة** الذي كلف بمهام مختلفة منها توليه قيادة مدفعية طنجة، **والزبير بن عبد الوهاب سكيرج**[57] المولود بفاس سنة 1850/1266 والمتوفى سنة 1932/1352 بتطوان. وقد عهد إليه بمناصب متنوعة في الداخل والخارج وخلف بعض الآثار[58].

أدى المخزن نفقات تعلمهم، منها 160 جنيها سنة 1879 واعتني بتعليمهم حسبما جاء في رسالة جون هي إلى الصدر الأعظم محمد بن العربي، حيث قال إن السلطان أهدى لمدير المدرسة عددا من السكاكين ومائة جنيه، وأن «كبير الهندسة في كاطان ظهر له أنه من المهمات لتعلُّمهم وتحضيرهم أن يتجهوا ينظروا الأبراج الكبار في بلادنا وفابركات المخزن في صنعة البارود والمدافيع وءالة الحرب الصغيرة مثل المكاحيل ونحو ذلك، وأيضا ينظروا محل استقرار المحلة من العسكر الكبيرة في بلادنا في كيفية تحركهم في حال تَحَرُّبِهم، فهذا كله زيادة في معرفتهم وتفقُّههم مثل قراءته في الكنانيش...»[59].

وقد عادوا إلى المغرب في بداية سنة 1880، «فقد تعلموا واستوفوا المقصود... في هذه المدة القريبة التي غيْرُهم يستحق ضعفها، وقد مدحوهم لا في القابلية والفهم والنجابة ولا في المروءة ومقابلة ما كانوا بصدده، وقد وردوا الآن...»[60] من الخارج، ثم وجهوا إلى الصدر الأعظم لكي يقدمهم للسلطان حيث «وصلوا وأنهيتُ أمرهم لمولانا نصره الله، وأمر أعزه الله بنزولهم وبالايصاء عليهم، ولا يروا إلا ما يسرهم...»[61].

4. **محمد بن الحبيب الفيلالي المكناسي** المتوفى بمراكش سنة 1916 تعلم صناعة الميكانيك بإنجلترا[62] بمدرسة وفي تاريخ لم أقف عليهما.

وهناك فضلا عنهم عمال دور السلاح المغربية الذين أرسلوا عدة مرات إلى إنجلترا وخصوصا سنة 1884 لتعلم صناعة الأسلحة[63]. ويحتمل أن يكون هذا الطالب الرابع منهم.

57. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 150 وكذلك «الوثائق» : 3 ص 494.
58. عبد الغني سكيرج : «مذكرة الزبير سكيرج» في «مجلة دار النيابة» العدد 8 ص 28 وما بعدها، ومحمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 246.
59. رسالته في فاتح يناير 1880 في «الوثائق» 6 : ص 26 ـ 27.
60. رسالة بركاش إلى السلطان في فاتح ربيع الأول 12/1297 بيراير 1880، الوثيقة 9929 (م و م).
61. رسالة محمد بن العربي إلى بركاش في 15 جمادى الأولى 25/1297 أبريل 1880، الترتيب العام.
62. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 252.
63. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 97 (1).

المطلب السادس : إسبانيا وجبل طارق

أوفدت عدة أفواج : واحد إلى نواحي مدريد، وأفواج أخرى إلى جبل طارق. والفوج الأول الذي أمر بإرسال أفراده إلى إسبانيا سنة 1874/1291 تألف من ثلاثة طلاب هم :

1 ـ 3 : **أحمد بن الحاج العباس بنشقرون** وهو من فاس، و**محمد الشدادي**، و**عبد السلام الفاسي**[64] وهما من الرباط[65] تعلموا بأكاديمية المهندسين بوادي الحجارة Guadalajara[66] شرقي مدريد. وقد قضوا في دراستهم كلها 9 سنوات، فتعلموا بطنجة مدة سنتين اللغة الاسبانية ومبادىء العلوم والتحقوا بإسبانيا سنة 1876، ثم رجعوا إلى المغرب في صيف سنة 1884. وعن ذلك جاء في رسالة السلطان إلى الطريس : «وصل كتابك بأن الطلبة الثلاثة المسمين بطرته الذين كانوا يتعلمون بمدريد وردوا بعد تحصيلهم ما توجهوا لتعلمه... فقد وصلوا»[67].

أما جبل طارق فقد سافرت إليه أفواج كثيرة من الجنود وقليل من الطلبة ابتداء من ربيع الثاني 1293 / أبريل 1876.

وكانت الدفعة الأولى متركبة من 25 فردا : 21 جنديا و4 ضباط كانوا في مرافقتهم وهم : القائد **علال بن بلّا المراكشي**، والقائد **بناصر بن عبد الرحمان**، والمقدم الأول **المختار بن ناصر المراكشي**، والمقدم الثاني **العربي بن التاودي السقاط الفاسي**. وكانوا جميعا قد أوفدوا بقصد التعلم. كان هذا الأخير الذي التحق بهم «تعلق باله بتعلم علم الطب فوجهناه زائدا على العدد 24 الذي توجه بقصد السفر إلى جبل طارق، فيصير جميعهم خمسة وعشرين 25 عسكريا»[68].

وبعد أن قضى 12 من هذا الفوج نحو السنة عادوا إلى المغرب، وبقي 13 يواصلون تدربهم هناك، وأضيف إليهم فوج آخر من المتعلمين تألف من 85 شخصا : 70 من الجنود و10 من الطبجية لم تذكر أسماؤهم و5 من الطلاب الذين كانوا أطباء بالجيش وهم : **أحمد الزواق** العلوي المراكشي، و**محمد «حمان» الجامعي**، و**إدريس بن المكي الشرادي**، و**الجيلالي بن التهامي الشرادي**، و**الجيلالي بن العربي البخاري**.

والدفعة الثالثة اشتملت على 170 جنديا لم ترد أسماؤهم، وكان على رأسهم القائد **محمد الزروالي**، وصلوا إلى هناك بعد مغادرة أفراد بقية الفوج الأول ومجموع أعضاء الفوج الثاني. وبقي معهم **الحاج على المنومني** الذي ربما جاء خلفا عن القائد **علال بن بلّة** الذي لعله توفي هناك. وكان مجموع من تعلم بجبل طارق 280 متعلما[69] حسب ابن زيدان الذي لم يحط بالعدد الحقيقي، ولم يسم جميع أفراد البعثات المتعددة، مقتصرا على ذكر أسماء القليل من الضباط والطلبة.

64. لقيه الحسين الزعري بالرباط سنة 1899 ونعته بالفاسي في مذكرته، وقال له إنه كان يتعلم بمدريد، فهو إذن عبد السلام الفاسي أصلا، الرباطي منشأ.
65. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151.
66. ميبج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 96.
67. رسالته في 22 شوال 1301/ 15 غشت 1884، تطوان 2 /153.
68. رسالة موسى بن أحمد إلى عامل فاس في 3 رجب 25/1293 يوليوز 1876 في «الوثائق» : 3 ص 459.
69. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 467 و «العز والصولة» ج 2 ص 152 و153.

والحاصل أن مجموع من تعلم بجبل طارق بين سنتي 1873 و1877 بلغ 425 كان من مدربيهم الكولونيل كيمرون Cameron[71]، بمعنى أن فوجا رابعا أو أكثر تركب من 145 جنديا أو متعلما قد تلقى هنالك تدريبا.

المطلب السابع : إيطاليـا

استقبلت إيطاليا عدة أفواج من الطلبة أظنها - لاضطراب المصادر - خمسة. وتركب الفوج الأول من ثلاثة هم :

1 - 3 **المختار بن الطاهر الرغاي البخاري، وعبد السلام بن الجيلالي عينوش ومحمد بن أحمد بناني الفاسي**[72]. وقد التحقوا بأكاديمية مودينا العسكرية وأقاموا هنالك سبعة أعوام إبتداء من سنة 1876/1293. ثم لما رجعوا أواخر سنة 1882 اقترح سكوفاصو على الوزير محمد بن العربي الجامعي أن ينتظموا في الأسلاك المخزنية ليتولوا تدريب الجنود[73].

وذكر برگاش في رسالته إلى السلطان أن «الطلبة الثلاثة الذين كانوا يتعلمون ببلاد إيطالية... : قد تعلموا ما توجهوا بصدد تعلمه ووردوا بإجازة كبير المدرسة وشهادات بأنهم استوفوا الغرض، وكل واحد منهم ماهر عن الآخر في فن. ولما وصلوا لطنجة طلبوا منا صلة رحمهم... لكونهم ذكروا أنهم هذه سبع سنين وهم غائبون عن بلادهم، فساعدناهم لذلك بشرط أن يتركوا هنا بطنجة جميع الكتب وءالات التعلم التي وردوا بها... فقبلوا ذلك، وهم بصدد التوجه غدا إن شاء الله...»[74].

وقد أنعم السلطان على مدير مدرسة مودينا بسكين مذهبة[75] جزاء له.

وفي سنة 1911 تلبس المختار بالحماية الاسبانية فأصبح كاتبا للقائد العسكري الاسباني بالقصر الكبير. وعلى ذلك احتج المخزن في رسالتين إلى السفير الاسباني «في شأن المختار الرغاي الذي انتظم في خدمة جندكم بالقصر، وبيَّنا لكم حاله، وأنه رجل من الجيش المخزني خلفا عن سلف، وأن جانب المخزن كان صيَّر عليه أموالا في تعليمه في المدارس الأروبية ثم استخدمه بصفة مهندس مدة. ولما نظمت قوة القصر وجه إليها بصفة علاف للعسكر السعيد...» وأن «جانب المخزن الشريف بلغه ذالك وساءه غاية، وأنه لا يسلم - بحالٍ - حماية

---

70. رسالته إلى برگاش في 1 جمادى الثانية 13/1294 يونيو 1877، محفظة جبل طارق.
71. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 225 (9).
72. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 150، وقال محمد المنوني في «مظاهر...» ج 1 ص 146 إنه محمد العلمي الشهير ببناني الذي كان يدرس بمدرسة المهندسين بفاس، ولعل الآخرين كانا من طلابها أيضا.
73. رسائله إليه في 18 و 21 يناير و 14 يوليوز 1883، الوثائق 14107 و101 و108 (م و م)
74. رسالته في 7 شوال 22/1299 غشت 1882، الترتيب العام.
75. رسالته إلى برگاش في 21 محرم 1300 / 2 دجنبر 1882، خ ع بالرباط.

من هو متوظف في الخدمة المخزنية، خصوصا هذا الرجل الذي زاد على ذالك بالخوض وتكدير الخواطر...»[76].

والفوج الثاني تألف من قرابة خمسة عشر طالبا التحق أكثرهم بالمعهد الدولي بطورينو، ثم انتقل أقلهم إلى أكاديمية ليفورنو البحرية[77]. وبعض أعضاء هذا الفوج تعلموا بطنجة عدة سنوات مبادىء اللغة الايطالية. وبدأ الحديث يدور حول تسفيرهم ابتداء من أواخر سنة 1887. وهذا ما تفيده رسالة سلطانية إلى الطزيس : «وصل كتابك بورود المتعلمين عليك المعينين من الرباط وسلا والعرائش للتوجه لبلاد الطليان للتعلم بها، وزيادتك عليهم المتعلم الذي ذكرت، لمعرفته باللسان الطلياني وفطنته ونجابته ليترجم لهم ويأخذ بأيديهم، وسفره لبلاد الطليان في مركبه الذي ذكرت...»[78]. ولئن كانت هاته الوثيقة لا تفيدنا إلا بحدوث السفر، فلا نعرف منها أسماء الطلبة ولا عددهم ولا اسم المرافق لهم.

وهناك قرب هذا التاريخ رسالة سلطانية أخرى إلى النائب السلطاني تخبرنا بالعدد وهو 15 طالبا وبنفقات السفر إلى طورينو عبر جنوة : «وصل كتابك بأن نائب الطليان كتب لك... أن مُرَتَّب المتعلمين الخمسة عشر الواجب لهم في كل سنة هو 37.500 سبعة وثلاثون ألفا وخمسمائة من البسيطة بحساب ألفين وخمسمائة من البسيطة لكل واحد منهم، وطلبه إصدار أمرنا الشريف للأمناء بدفعه لهم مع صائر سفرهم من جنوة لتُورين محل التعلم، الذي لازالوا في انتظار ورود بيانه عليهم...

«أما مُرتَّب المتعلمين السنوي المذكور فقد أصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى طنجة بأن يدفعوه للنائب على يدك، وبعد مضي السنة يدفعون له راتب سنة أخرى... وبأن يدفعوا له على يدك صائر سفرهم لمحل التعلم حيث يرد بيانه عليه»[79].

هاته الرسالة تتعلق بالفوج الثاني الذي كان ضمنه محمد بن علي ابن طوجة الرباطي آتي الذكر حيث قال في مذكرته إنه سافر مع الوفد من الرباط إلى طنجة في محرم 1305/ شتنبر - أكتوبر 1887 حيث مكثوا شهرين بها إلى أن استقلوا في نونبر الفركاطة أوفونداتوري Affondatore ووصلوا إلى طورينو حيث تعلموا ثم التحقوا سنة 1892 بالأكاديمية البحرية بمدينة ليفورنو. وكان عمره حين سافر 11 سنة، وقضى بإيطاليا 11 سنة أخرى. أما رجوعه فكان يوم 4 يونيو 1897 على متن الفركاطة ليبنطو Lepanto[80].

والفوج الثالث سافر بعد الثاني بسنة وكان من بين أعضائه الحسين الزعري الذي لم يرحل مع رفاقه إلا أواخر سنة 1888، وعلينا أن نستعين بمذكرته ومذكرة الجبلي. قال الزعري : غادر [الوفد الثالث] طنجة آخر المحرم 1306/ أواخر شتنبر 1888، وذكر أن مجموع الطلبة 24 فردا من الفوج الثاني والثالث (لكنه لن يسمي لنا إلا 21 فقط)، وكانت أعمارهم تتراوح بين 13 و16 سنة، وهم 10 من الرباط و5 من سلا و4 من العرائش و2 من فاس،

76. رسالتان في 19 و25 رجب 16/1329 و22 يوليوز 1911، الترتيب العام.
77. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 222.
78. رسالته في 17 ربيع الأول 3/1305 دجنبر 1887، تطوان 35/6.
79. رسالته في 18 ربيع الثاني 3/1305 يناير 1888، تطوان 46/6.
80. نقل لي هاته المعلومات وغيرها من كناشة ابن طوجة ابن أخيه صديقي عبد الحق بنطوجة.

فوصلوا إلى جنوة ثم إلى طورينو[81] ثم رجع الكثير منهم إلى المغرب قبل سنة 1897. ولم يرد في تقييده تمييز لتاريخ سفر هؤلاء الواحد والعشرين من الطلبة.

وقبل أن أدخل في التفاصيل عن أسمائهم وأحوالهم أشير إلى تلميح ورد في رسالة أخرى سنة 1891 حول العزم على سفر سبعة من المتعلمين إلى إيطاليا : «طلب نائب الطليان تسفير المتعلمين السبعة لغة الطليان بطنجة لايطاليا يكملون بها التعلم، فأصدرنا أمرنا الشريف لأمناء مرسى طنجة بأن يجروهم مجرى غيرهم من المتعلمين...[82]». فلعله يعني فوجا رابعا. فهل سافر أعضاؤه في الواقع ؟ وهل إذا أضفنا هؤلاء السبعة إلى عدد الطلبة الواحد والعشرين الذين جاءت أسماؤهم في المذكرة سنحصل على عدد الطلبة الكلي الذي سنجده في النهاية بزيادة طلبة آخرين عليهم سنقف على أسمائهم ؟ هذا محتمل جدا، وبذلك سنفترض عدد هاته الدفعة الرابعة سبعة أفراد، وعدد أفراد الدفعة الخامسة من تبقى من المجموع.

وآن لنا أن نستعرض أسماءهم من مصادر مختلفة، مع بيان نوع تخصص الكثير منهم من مذكرة الزعري وبتعبيره أيضا :

4 ـ 5 : **مصطفى الحلو، ومحمد القباج** (قانون التجارة والحساب)، وهما من فاس.

6. **علي السوسي** وهو من العرائش وكان في مدرسة المشاة بمودينا بعد أن تعلم بطورينو.

7. **محمد التدلاوي** وهو رباطي تعلم بطورينو ثم بمدرسة المشاة بمودينا. وقد أنهى حياته فلاحا ببلاد السراغنة.

8. **محمد بن الوزاع** وهو رباطي تعلم مثل سابقه بطورينو ثم بمودينا. وقال أحمد الجبلي العيدوني في مذكرته أنه من أقاربه وأنه غادر المغرب إلى مدينة ساو.باولو بالبرازيل منذ سنة 1902، فلم يعد من هنالك بعد ذلك.

9 . **محمد بنعُمَر العبَّاري** المولود بالرباط سنة 1877 والمتوفى سنة 1958 وجه إلى إيطاليا سنة 1891 وقضى خمسة أعوام بمدرسة طورينو وانتقل سنة 1896 إلى مدرسة الخيالة بمدينة مودينا، فتخرج منها سنة 1898 برتبة ضابط. وفي السنة بعدها رافق بعثة إلى ألمانيا لشراء تجهيزات عسكرية من معامل كروب. وفي سنة 1907 عين قائدا لطابور الخيالة بطنجة.

81. هاته المذكرة منشورة في «دعوة الحق» عدد نونبر 1968 ص 143 ـ 148 بعنوان : «مذكرة طالب مغربي أرسل في بعثة مغربية الى إيطاليا منذ ثمانين سنة» وهي من تلخيص الحاج أحمد معنينو. وينبغي مراجعة أصلها لمزيد من التثبت في الأسماء والأحداث والتواريخ، فلربما ارتكب صاحبها أو صدر من ملخصها سبق قلم أو سهو في نقل التفاصيل التي نحن محتاجون إليها. فيتعين الاحتراز من بعض المعلومات الواردة فيها.

على أني كنت قد رجوت من أستاذنا الفاضل الحاج أحمد معنينو أن يطلعني على أصول مذكرة كل من ابن الكعاب والزعري فوعدني خيرا. ولما رأيت أن في ذلك إرهاقا لصحته عدلت عن تكرار طلبي، مكتفيا منه بما كتبه عنهما ولو على حالته .

82. رسالة السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الأولى 22/1309 دجنبر 1891، تطوان 81/10.

ومن سنة 1924 إلى 1941 صار قائدا لقبيلة الخلوط بعرباوة حتى رجع إلى مسقط رأسه حيث كانت وفاته. وكانت له معرفة بعدة بعدة لغات أروبية[83] .

10. أحمد بن محمد بن عبد الله العيدوني المولود يوم 13 صفر 1283 / 27 يونيو 1866 بمدينة الرباط التي توفي بها يوم 6 نونبر 1936.

وقد خلف مذكرة سيأتي نصها بالفرنسية ثم معربا في ملحق بآخر هذا الفصل. فقد اشتملت على فوائد عن حياته ودراسته بأيطاليا وفيها إنه كان ضمن بعثة خرجت من طنجة يوم 24 نونبر 1887 (8 ربيع الأول 1305)، فوصلت إلى جنوة يوم 27 منه على ظهر الجوالة الايطالية «گاريبالدي». وللغد التحق بالمعهد الدولي بمدينة طورينو حيث تلقى التعليم الأولي والثانوي، وفي أكتوبر 1891 دخل لمدرسة تكوين ضباط المشاة بمدينة مودينا. وبعد سنة نجح في مباراة الدخول للأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية بمدينة طورينو ومكث فيها ثلاث سنوات (أكتوبر 1892 ـ 15 يوليوز 1895)، وتخرج ضابطا وأرسل للتدرب ببعض المناطق الجبلية بإيطاليا.

وكانت عودته الى المغرب سنة 1896 حيث عين لشغل مناصب عسكرية. وفي 13 مارس 1902 قدم استقالته من الجيش ونال ظهيرا يسمح له بفتح مدرسة ليعلم فيها للأطفال المغاربة الرياضيات واللغات الأجنبية بمدينة الرباط التي كان قاضيها معرقلا لجهوده بسبب التعصب، ولربما أيضا لأنه كان قبل ذلك تزوج من فتاة أجنبية من نبلاء روسيا.

وذكر لي ابنه الدكتور الحاج أحمد الجبلي أن أباه مولاي أحمد لما انقطع عن العمل مع المخزن أخذ يشتغل بالفلاحة، وأنه كان ممن سجن في قضية الظهير البربري سنة 1930 بسجن العلو بالرباط حيث حرر مذكرته.

والحاصل أن مولاي أحمد كان طالبا مجدا في دروسه.

وعن اجتهاده قال مالموسي إنه «رجع أخيرا من إيطالية لكونـ[ـه] تم تعلمه هناك» وأنه «يسافر في هذا النهار من طنجة متوجها لمراكش بقصد الامتثال لدى المخزن السعيد... فإن السيد أحمد الجبلي تعلم علم الطبجية، وتعلم أيضا العلوم المتعلقة بخدمة طبجية الأجبال والأبراج. إن هذا الشاب ظهر منه دائما مدة إقامته بإيطاليا التمشي على أحسن السيرة والولعة بالتعلم على وجه خاص، وقد استفاد بالتعلم... هذا وحيث السيد أحمد الجبلي قد امتاز بإيطالية لأجل ما ذكر وقد تعلم أمور حربية مهمة فلا شك عندي بأن سيادتكم توصي به خيرا المخزن السعيد...»[84].

فكتب الحاجب عنه إلى الطريس «لما ظهر فيه من النجابة في اللغة الطليانية وقلمها وفي اللسان الفرنصوي كذلك، وكونه في المرتبة الأولى من مراتب الطبجية....»[85].

---

83. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 189. و قد استفدت تفاصيل أخرى عن حياته من دفتره العسكري الذي بحوزة صديقي الكولونيل مصطفى بنعمر الذي ذكر لي أن أصل أسرته من الشاوية، قبيلة أولاد حريز، فرقة العبابرة.

84. رسالة مالموسي إلى الطريس في 5 مارس 1896 تطوان 95/57

85. رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس في 20 شوال 4/1313 أبريل 1896، تطوان 86/202 وكذلك تطوان 32/24.

11. عبد الله التيال السلاوي تعلم بطورينو، وكان من أنجب الطلاب، غير أنه مات بإيطاليا بعد مرض أصابه حسبما قاله الزعري الذي لم يحدد تاريخ وفاته ونوع تخصصه وتخصص من بعده :

12. محمد بن الحاج محمد القجيري الذي سافر إلى إيطاليا سنة 1888 فدرس بالمعهد الدولي الايطالي بطورينو. ولما أنهى دراسته وعول على الرجوع عاجلته المنية ربما في صيف 1897، حين رجع في 4 يونيو الطلاب الذين كان ضمنهم محمد بن طوجة.

وكان قد كتب إلى أبيه يعلمه بنجاحه وبقرب أوبته، طالبا منه أن يقتني له جلابة وبلغة وملابس يحملها بعد عودته، وذلك في رسالة متوجة باسم مدرسته[86]. ويبدو من مذكرة الزعري أنه كان منصرف الهمة إلى التسطير والتوريق، فلربما تعلم صناعة السلاح.

وكلا الطالبين السلاويين كانا ممن تعلم اللغة الأيطالية بطنجة[87].

13. العربي بن محمد حزكات قال الزعري إنه كان منصرف الهمة إلى النحو والشعر، ولو لم يورد تخصصه الذي أعتقد أنه كان تدريب الجند. إذ لما عاد سنة 1897 عين لتعليم جنود المدفعية بالجديدة، لكن اشتكي بـ «الطالب العربي السلاوي» لتقصيره في العمل وشجاره مع رئيس المرسى[88]. وقد توفي في العشرينيات من القرن الرابع عشر الهجري.

14 ـ 15 محمد ابن جيمّي من سلا **ومحمد ابن العياشي** من الرباط كانا عضوين في الوفد[89] لم يرد لهما ذكر عند الزعري.

16 ـ 21 فضول بن صالح ومصطفى الوديي ومحمد البورجالي العرائشيون، ووظف الأولان بمعمل السلاح بفاس، **وأحمد أحرضان** وهو طنجي، **والتهامي مبيركو** وهو رباطي، **ومحمد بن لحسن بن محمد بن اسماعيل**[90] وهو سلاوي وكانوا كلهم يتدربون على

---

86. هذا ما ذكره لي صديقي الصيدلي عبد الله بن أحمد القجيري الذي قال لي إنه رأى بعضا من رسائله المتوجة باسم المدرسة والتي ضاعت لأسرته فيما بعد.

87. رسالتا الحاج محمد بركاش إلى الطريس في 25 قعدة 5/1302 شتنبر 1885 و3 رمضان 5/1303 يونيو 1886، كلتاهما بالمحفظتين 186/70 و 82/71 بتطوان.

88. جواب السلطان إلى أمين المستفاد في 10 رجب 5/1315 دجنبر 1897، الترتيب العام.

وينتمي العربي الى أسرة من العلماء السلاويين المشهورين، فقد كان أبوه محمد بن بناصر شاعرا وفقيها، وتوفي بسلا عام 1898، ومثل ذلك كان أخوه محمد المتوفى في أواسط القرن العشرين. وللعربي ولأبيه ترجمة عند الجراري في «من أعلام...» ج 2 ص 368 ثم ص 106.

وكان العربي في أواخر أيامه إماما بأحد مساجد العكاري بالرباط، ومع ذلك لم يفتأ يطالع الصحف الأجنبية.

89. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 467 ـ 468.

90. يقال إن أباه الأحسن ابن اسماعيل، الذي لما كان له كتاب، ألح عليه العامل فوهبه ابنه للتعلم، لأن أبي أب لم يكن يريد توجيه ابنه إلى الخارج، لكن حكى لي ابن أخيه التاجر بالحرارين بسلا أنه سمع أن عمه كان شرس الطبع لاسيما وأن أمه كانت قد توفيت وتزوج أبوه غيرها. فما كان من أبيه إلا أن تخلص منه فدفعه للتعلم بالخارج. هذا وقد أصبح أبوه الأحسن سنة 1901 إماما بالمركب «البشير» ثم صار عدلا بسلا.

صناعة السلاح والماكينات. وقد وظف أربعة منهم حسب رسالة السلطان : «وصل كتابك بأن المتعلمين الستة الذين كانوا يتعلمون بإيطاليا علم الماكينات ورد منهم الأربعة الذين سميت وتوجهوا لأعتابنا الشريفة، والاثنان الباقيان في الأثر يردان، وصار بالبال. فقد وصل الأربعة واستخدموا بالفبركة السعيدة هنا»[91] فهؤلاء إذن عادوا قبل غيرهم إلى المغرب سنة 1892.

22. **المكي بن مبارك** وهو رباطي جاء اسمه في رسالتين سلطانيتين سنة 1895 إلى الطريس : «نأمرك أن توجه لحضرتنا الشريفة المكي ابن مبارك الرباطي، أحد الطلبة الذين كانوا توجهوا في الرفقة الثانية لإيطاليا بقصد التعلم»[92].

وجاء في رسالة أخرى بعدها أن المكي «وصل ونظم في سلك طلبة الألسن»[93]. فهل كان يعلمها ؟ أم كان ترجمانا بدار النيابة ؟

هذا وكان أغلب هؤلاء السابق ذكرهم من الفوج الثاني والثالث ممن كانوا يدرسون بالمعهد الدولي بطورينو، وكانت السفارة متتبعة لأحوالهم، فكتب كانطاغالي سنة 1889 إلى غريط يخبره بأنه كتب «في شأن الأولاد الذين يتعلمون بإيطاليا لكبير المدرسة بتُورينُ طالبا منه يخبرنا عاجلا : هل ينبغي رَدُّ - من الأولاد المشار إليهم - مَنْ ليس فيهم قبولية للتعليم وإبدالهم بمن أحسن منهم في العقل. وها قد ورد علينا أمس تاريخه الجواب عن ذلك عن كبير المدرسة المذكورة، وقال لنا بأنه عن قريب يكون امتحان الأولاد فيما تعلموه، وإذا أظهر من هذا الامتحان أن البعض فيهم لم يتعلم على الوجه المطلوب وثبت بذلك عدم قبوليتهم للتعليم فيعجل لنا بأسمائهم لنعلمك بهم...»[94].

ويظهر أنهم كانوا مجدين، لعدم الوقوف على دليل حول استبدال غيرهم بهم. وحول مصاريف التعليم بطورينو طلب السفير من الطريس أن يوجه 9375 فرنكا عن الثلاثة أشهر الأولى من سنة 1890 ليبعث بها لمدير المدرسة المذكورة[95].

23 24 : **المختار التونسي وأخوه الصديق**[96] هذان الطالبان طنجيان عينا للتعلم في منتصف سنة 1897 علوما بمدينة ليفورنو. وقد وردت الاشارة إليهما في مجموعة من الوثائق التي استشهد بها تباعا.

قال الحاجب للطريس سنة 1897 عنهما أو عن غيرهما مثل المتعلم التمسماني رقم 30 : «من جملة مطالب الطاليان ... طلبهم توجيه المتعلمين السبعة - الذين كانوا يتعلمون اللسان الطلياني بطنجة - إلى بلاد لطالية بقصد تعلم الصناعة البحرية... وحيث بالغ في الالحاح سوعد على توجيه اثنين عوضا عن الاثنين المتوفيين بلطاية، على أن يجعل تاويل سري لاستقدام المتعلمين الباقين الآن بلطاية بعد نحو ثلاثة أشهر...»[97].

---

91. رسالته إلى الطريس في 10 رمضان 10/1309 مارس 1892، تطوان 127/10.
92. رسالته إلى الطريس في 2 جمادى الثانية 20/1313 نونبر 1895، تطوان 102/14.
93. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 رمضان 27/1313 يبراير 1896، تطوان 145/14.
94. رسالته في 4 ماي 1889، وأخرى قبلها في 15 أبريل، وكلتاهما بمحفظة إيطاليا 2.
95. رسالة كانطاغالي إليه في 29 يناير 1890، محفظة إيطاليا 3.
96. هما شقيقان كما في «مظاهر...» للمنوني ج 2 ص 296، ويسمى عنده أحدهما : الصادق.
97. رسالته في 7 صفر 8/1315 يوليوز 1897، تطوان 15/24.

وبعد عدة أشهر راج حديث عن إرسالهما، فقد طلب النائب الايطالي «تنفيذ تجهيز سفرهما وركوبهما بحرا واصلين للطالية»[98]، ولعلهما المختار والصديق.

فعلى الرغم من إلحاح جانطيلي ومع وجود موافقة الحاجب على إرسال الطالبين الطنجيين فإنهما لم يوجها إلا بعد سنتين. وكان سبب هذا التأخير في التنفيذ هو بعض ما قدمته في الفصل الأول وذكره السلطان للطريس : «وصل جوابك بأن السبب في تأخير تنفيذ ما تقدم من توجيه اثنين من المتعلمين إلى إيطاليا هو الأمر الوراد عليك بتوجيه كل من المتعلمين السبعة الذين كانوا هنالك إلى حال سبيله... ففعلتَ....»[99].

فمنها يبدو أن المخزن بدأ يساوره شيء من الشك في فعالية التعليم بطنجة. وأخيرا انتهى الأمر باختيار اثنين فقط[100] من النجباء الطنجيين الصغار في السن بلا ريب، فوجها إلى إيطاليا بعد ذلك وسرح الخمسة الباقون.

على أن صغرهما كان مدعاة لخوف السلطان عليهما، بعد ما أشيع عنهما - حقا أو باطلا - من ميلان قلبهما لغير الاسلام، فقال للطريس :

«فقد بلغ علمنا الشريف أن الصبيين اللذين توجها للتعلم بإيطاليا صغيران لايميزان بين ما يضر وينفع، وربما يخشى عليهما من تمكن شعائر غير الاسلام في قلوبهما واشْرِئْباب قلبهما لذالك حين صادف قلبا خاليا، بحيث إن رجعا يعسر محو ذالك من باطنهما، مع أنه كان ينبغي التنبه لمثل هاذا وتوجيه من يومن عليه في التمسك بدينه.

«وعليه فنامرك أن تنظر فيما يمكن به تدارك ذالك كتوجيه من يناسب لملازمتهما وكفهما عن تعاطي ما يفسد عقيدتهما ويحضهما على عدم نبذ شعائر الاسلام كالصلاة والصيام مدة إقامتهما ثمة. وأعْلِمْ بما تقتضيه المصلحة ويُمكن»[101].

وقد لبث الطالبان أزيد من ست سنوات، وكان المخزن يدفع عنهما مبالغ من المال على يد المفوضية الايطالية : 5 آلاف ليرة عن سنة 1905 أمر أمناء مرسى طنجة بدفعها[102] ومثلها طولب به عن «متعلميْن بايطاليا : أحدهما الصديق والآخر المختار التونسي...»[103] سنة 1907.

---

98. رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس في فاتح رمضان 24/1315 يناير 1898، تطوان 128/24 و131/24 وهي بتاريخ الأخرى موجهة إلى أمناء مرسى طنجة بالتنفيذ.
99. رسالته في 25 محرم 15/1318 ماي 1900، تطوان 5/18.
100. هناك التباس صدر في مذكرة الزعري الذي رجع إلى المغرب سنة 1898. فقد جاء في الصفحة 146 من «دعوة الحق» أنه لم يبق بعده من أعضاء البعثة سوى طالبين من طنجة هما قاسم والتمسماني الواردين فيما بعد في حين مات الطالبان التيال والقجيري رقم 11 و12. فهل هما الطنجيان اللذان أعلن عنهما في بداية المذكرة فلم يسم إلا واحداً من الثلاثة وهو أحمد أحرضان ؟ (مثلما سها عن ذكر كل من المكي بن مبارك ومحمد بن العياشي الرباطيين ومحمد بن حيمي السلاوي أصحاب الأرقام 14 و15 و22).
101. رسالته في 18 جمادى الثانية 13/1318 أكتوبر 1900، تطوان 120/18.
102. رسالة إلى الطريس في 27 ربيع الأول 21/1324 ماي 1900، كناش مكاتيب الطابع الشريف 1695 د (خ ع) ص 5.
103. رسالة الطريس إلى عبد الكريم بنسليمان في 5 محرم 18/1325 يناير 1907، كناش مكاتيب النيابة السعيدة 2720 كاف ص 261 (خ ع).

وآخر ما أسوقه عنهما رسالة سلطانية إلى النائب تشيد باجتهادهما ونجاحهما في العلوم البحرية بليفورنو على الراجح : «وصل كتابك وطيه نسخة ما كتب لك به نائب الطليان في شأن المختار والصديق الموجهين بأمرنا الشريف للتعلم عندهم بأنهما أدخلا في المرتبة الثالثة من التعلم، وزيد لهما على الثلاث سنين سنة رابعة لاكمال ما وجها لأجله، وأنه عين لهما مهندس خاص بتعليمهما مع ما تتحمله المدرسة من الصوائر لذالك، اعتناء بجانب المخزن إلخ، وطلبت إعانة والديهما بصلة لفقرهما، وصار بالبال.

«وعليه فنأمرك أن تجيب النائب المذكور باستحسان ما أشار إليه وتجازيه عن الاعتناء بالمناسب. وقد أنعمنا على كل واحد من الوالدين المذكورين بثلاثين ريالا إعانة. وكتابنا الشريف للأمناء هناك بتنفيذها لهما على يدك يصلك طيه[104]».

25. **محمد بن الحاج علي ابن طُوجَّة** المولود في 20 جمادى الأولى 24/1292 يونيو 1875 بالرباط الذي توفي فيه يوم 26 ربيع الثاني 29/1365 ماي 1946، وبعد رجوعه تقلب في عدة مناصب بالجيش والبحرية وسافر إلى تركيا واليابان في مهمات رسمية. ولما حلت في مارس 1929 طوابير الشرطة التي كان أحد ضباطها عاد إلى مسقط رأسه مشتغلا بالتجارة في المصنوعات التقليدية حتى وافته منيته.

26 - 29 : **علي اليورجالي** من العرائش، **ومحمد بن علي بن سالم، ومحمد الباشا، ومحمد البوهالي الشرقاوي**، وهم من الرباط، وكل الخمسة الأخيرين كانوا يدرسون بأكاديمية طورينو ثم انتقلوا لتعلم الملاحة البحرية بمدرسة ليفورنو الواقعة بالجنوب الغربي من إيطاليا، ومنها تخرجوا ضباطا وعادوا إلى المغرب سنة 1897 ووظفوا رؤساء بمختلف المراسي بعد ذلك.

وجاء عنهم أن «الطلبة الخمسة الذين كانوا يتعلمون علم الرياسة البحرية ببلاد الطليان من أهل الرباط والعرائش ووردوا لحضرتنا الشريفة قد أصحبوا معهم إجازات شاهدة لهم بتحصيل ذلك العلم والتقدم فيه والبلوغ إلى الدرجة التي يحصل بها الاستغناء عن غيرهم في الخدمة البحرية، وهنا نسخ منها تصلك بطيه.

«فنأمرك بعرضها على ذوي المهارة في العلم المذكور ليطالعوها ويتأملوا فصولها ليجيبوا عن أهلها هل بلغوا إلى الدرجة التي يقدرون معها على مقابلة الخدمة البحرية استقلالا، ويحصل الاستغناء بهم فيها عن غيرهم أم لا. وما أجابوك به وثبت عندك من حقيقة ذلك طير به الاعلام لحضرتنا الشريفة»[105].

وها نص نسخة منها كانت بيد محمد بن سالم، عربت في 12 صفر 1315 عن اللغة الايطالية طبعا :

«يشهد له وزير البحر الذي اسمه ماركيزي، الواضع اسمه أسفل الشهادة،

«بأنه يعرف علم الجبر والمقابلة، وعلم المساحة أي معرفة الأبعاد ومعرفة البقعة وما فيها من الذروع والأشبار ، والتصريف بعلم اللوغاريتمُوا أي أنساب الأعداد في المساحات وجميع

104. رسالته في 15 حجة 30/1324 يناير 1907، نصها في الكناش 1695 د (خ ع) ص 83.
105. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 صفر 11/1315 يوليوز 1897، تطوان 14/16.

العمليات الحسابية، ويحسن اللغة الطليانية، ويعرف مبادىء اللغتين الفرنصاوية والنجليزية، ويعرف كيفية السفر في البحر، ويعرف التاريخ الأورباوي وأهمه تاريخ الطليان، ويعرف علم الجغرافية أي معرفة أرض كل دولة وحدودها وفي أي محل هي من الكرة الأرضية، ويعرف علم التنجيم المتوقف عليه علم البحر وعلم حرب السفن والمراكب في البحر، وكيفية صنع السفن، والطروبيدو (= الطوربيدو) أي مينة البحر، ومبادىء علم الكمية (= الكيمياء) أي معرفة ما في بعض المواد من الأجزاء المتركبة من تلك المواد والعناصر، ومعرفة الجو : من تغيير الهواء وصفائه وجودته، والرياح وتغيير بعض الأجسام»[106].

وبالطبع كانت لرفاقه الآخرين مثل هاته الشهادة[107] حسبما تقدم.

استمر تعلمهم بالخارج تسع سنوات استلزم صوائر من الميزانية العامة. ولأجله مثلا كتب النائب الايطالي مطالبا المخزن بدفع ما «صير على المتعلمين الخمسة الواردين من عندهم... في ضروريات قدومهم، زيادة على الصائر المعتاد الذي يوجه لهم عند رأس الثلاثة أشهر، وقدره خمسة ءالاف واثنان وأربعون من الفرنك وأربعة عشر سنطيما»[108] أصدر المخزن الأمر بأدائها.

ولا مناص للحكومة من استخدامهم بعد أن ظلوا نحو السنة في طي النسيان، فقال السلطان للطريس عن الأربعة الأولين منهم بأنه «لا يناسب إبقاؤهم مهملين، إذ ربما يئول بهم ذالك إلى نسيان ما تعلموه.

«وعليه فها نحن أمرنا عاملي الرباط والعرائش بتوجيههم إليك ليستخدموا رؤساء... وها نحن أمرنا خدامنا أمناء مرسى طنجة المحروسة بتنفيذ ثلاث بساسيط لكل منهم في اليوم مئونة لهم...»[109].

وأجري خامسهم محمد البوهالي الشرقاوي مجراهم بعد ثلاثة أشهر[110] مستخدما في البابورات المخزنية، وطلب الطريس أن تجعل أجرة 25 ريالا في الشهر لكل واحد منهم، ذاكرا أن الأربعة الأولين مستخدمون الآن في البابورات[111].

ومما يذكر عن محمد ابن سالم أنه كان موظفا بفركاطة مغربية، إلا أنها توقفت الخدمة بها فذهب إلى السلطان مطالبا براتب فأنعم عليه به، ثم ورد أمر بالنقص من الرواتب بنسبة الثلث فالتمس مراجعة حالته فعين بمراكب الجر بالعدوتين[112].

---

106. تطوان 8/45.
107. لمحمد بن طوجة تقاييد في الهيأة والتوقيت بالمحفظة 8/45 بتطوان، وله تأليف مصور بالخزانة الصبيحية بسلا في 121 صفحة في الموضوع أيضا.
108. رسالة الحاجب إلى الطريس في 10 ربيع الأول 9/1315 غشت 1897، تطوان 32/24 وأخرى مثلها في 18 ربيع الأول، تطوان 119/153.
109. رسالته في 24 ربيع الأول 13/1316 غشت 1898، تطوان 32/17.
110. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 جمادى الأولى 13/1316 أكتوبر 1898، تطوان 46/17.
111. رسالته إلى السلطان في فاتح جمادى الأولى 17/1316 شتنبر 1898، الترتيب العام.
112. رسالة ابن سالم إلى عبد الكريم بن سليمان في 22 ربيع الثاني 6/1322 يوليوز 1904، الترتيب العام.

وكان كل من ابن طوجة وابن سالم لا يزالان رئيسين بحربين سنة 1906 منذ تعيينهما سنة 1898 لقيادة «البشير»[113]. وفي سنة 1907 أصبح الأخير منهما رئيسا لمرسى طنجة[114]. غير أنه أعفي سنة 1908، ولما أمر بالرجوع إلى بلده قال إنه متأهل بطنجة ولا شغل له بالرباط. وكان يتقاضى ثلاثة أرباع الريال يوميا فاقترح له الكباص ضعفها[115].

هؤلاء هم أعضاء الفوج الثاني وأعضاء الفوج الثالث بزيادة الزعري عليهم، وكانوا قد رحلوا في أوقات متقاربة[116] وتلاهم الفوج الرابع وكان فيه اثنان هما رقم 23 و 24 أعلاه. لكن هناك آخران هما :

30. **ولد التمسماني** تعلم الطب بإيطاليا[117] وأظن أنه هو أحمد بن الحاج عبد الرحمان بن محمد بن قاسم التمسماني الطنجي الذي سبق له أن تعلم بطنجة. غير أنه لما مرض بالخارج عوض بأحد الاخوة : الصديق أو المختار التونسي المذكورين سابقا[118].

31. **قاسم** كان يتعلم بإيطاليا ورجع منها سنة 1896 عبر جبل طارق حيث أدى قنصلها 23 بسيطة عن سفره إلى المغرب[119]. ولم يرد اسمه ولا نسبه في المصادر ولا مكان تعلمه ونوعه. فهل هو نفس السابق المنسوب إلى جده الأعلى : قاسم ؟

وأيا كان الأمر فهما طنجيان مثل الطنجيين الصديق والمختار التونسي، وكانوا جميعا صغارا، ولربما تعنيهم أو تعني بعضهم هاته الرسالة التي بعث بها الطريس إلى السلطان سنة 1906 : «إن هؤلاء المتعلمين صبيان صغار، وءاباؤهم فقراء مساكين، طالبين من مولانا إعانتهم بما تجود به العواطف السنية...»[120].

32. الحاج الحسين بن محمد الزعري العروسي السلاوي ولد في 10 حجة 27/1293 دجنبر 1876 بمدينة سلا التي توفي بها سنة 1956، حسبما جاء في كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي.

---

113. رسالة أحمد الطريس إلى عبد الكريم بنسليمان في 16 محرم 12/1324 مارس 1906، كناش مكاتيب النيابة السعيدة 2720 ك ص 78 (خ ع).
114. رسالة الطريس إلى ابن سليمان في 27 جمادى الثانية 8/1325 يوليوز 1907. نفس الكناش ص 343.
115. رسالة الجباص إلى السلطان في 9 شوال 4/1326 نونبر 1908، في نفس الكناش الجزء الثاني 2721 ك ص 14 مكرر.
116. كان سفر ابن طوجة في نونبر 1887 على متن أفونداتوري وسفر أحمد الجبلي في أواخر نونبر 1887 أيضا على متن كاريبالدي. أما رحيل الزعري فكان على متن سفينة أخرى في شهر شتنبر 1888. وللأسف لم يذكر أي واحد منهم أسماء رفاقه أثناء السفر.
117. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 89.
118. مسودة رسالة غير مؤرخة موجهة لنائب إيطاليا بمحفظة إيطاليا 5.
119. رسالة مالموسي إلى الطريس في 7 ماي 1896، تطوان 107/57.
120. رسالته في 28 شوال 15/1324 دجنبر 1906، ص 228 من الكناش 2720 ك (خ ع).
121. أمزج عناصر ترجمته من مذكرته ومما رواه لي ابنه الدكتور ادريس الزعري وعما سمعته عنه من غيره.

تلقى دراسته الابتدائية بكتاب قرءاني على العادة. غير أننا لا ندري أين تعلم اللغة الايطالية[122] فهو لم يشر إلى ذلك في تقييده، مقتصرا على القول إنه وصل إلى طنجة في شتنبر 1888.

ومهما يكن فقد سافر ضمن الفوج الثالث أواخر شتنبر 1888 وامتطى متن باخرة إيطالية اسمها «ضونضولو : Dondolo» رست بميناء جنوة، وللغد استقلوا القطار إلى طورينو حيث المعهد الدولي الايطالي : Instuto Internazionale Italiano

وبتلك المدرسة التقى بعدد من الطلاب الأوروبيين والطلاب الأفارقة مثل الأمير أحمد فؤاد الذي سيصبح ملكا لمصر.

وبطورينو بدأ أعضاء البعثة يتعلمون اللغة العربية بواسطة مدرس لبناني سماه ماركوس، والايطالية على يد أستاذ إيطالي، وقال إنهم بعد دراستهم ثلاث سنوات وزعوا إلى فئات ثلاث : فئة دراسة تربية الجنود وتدريبهم، وفئة دراسة علوم البحار، وفئة دراسة صناعة السلاح، ثم أخذ يعدد أسماء الطلبة الذين استحضر منهم واحدا وعشرين وبين نوع تخصص الكثير منهم.

وبعد أن قضت البعثة ثماني سنوات رجع أفرادها برتبة ضابط إلى أرض الوطن، وتأخر الزعري قليلا للانخراط في مدرسة اللغات بطورينو إلى أن نال شهادة بتحصيلها سنة 1898، وكان ينوي الانتقال إلى فلورنسة لتتميم تعلم اللغات ولاسيما الألمانية ودراسة القانون. غير أن أمرا مؤكدا ورد عليه بالرجوع إلى المغرب، إذ استقدمه الطريس من مالموسي الذي كتب بذلك يوم 10 شتنبر 1898 إلى إيطاليا[123]، فكانت عودته إلى طنجة في نونبر 1898، بعد غياب دام أكثر من العشر سنوات.

وكان رجوعه أيضا بإلحاح من أبيه، إذ جاء في رسالة سلطانية أن الحسين بن محمد الزعري كان «وجه لأرض الطليان لتعلم ءالة الحرب والفابريكات واللسان وغير ذلك، من جملة من كان توجه بقصد ذلك لبعض الأجناس. وهذه مدة من نحو اثني عشر عاما وهو هنالك. وقد طلب والده من عَليِّ جانبنا التوجيه عليه لصلة رحمه به. وعليه فإن حصل الغرض المقصود فليأت، والسلام»[124].

وكان يتكلم عدة لغات : اللغة الايطالية والفرنسية والاسبانية والانجليزية والبرتغالية والألمانية ويتقن بعضها. ولما فتح مدرسة لتعليم اللغة بالرباط بعد رجوعه بمدة قامت عليه ضجة يُروى أنه حُبس بسببها، ولم يفرج عنه إلا بشفاعة سفير ألمانيا.

رجع إلى المغرب وتقلب في وظائف متنوعة مع الحاجب ومع العلاف ومع الكباص وبمرسى الرباط، واستخدم ترجمانا للمهندس الألماني روطنبورغ لبناء برج الرباط. وفي سنة 1909 ذهب إلى الصويرة لقيادة الطابور الثامن للشرطة المغربية حسب البعض من صور رسائله التي عندي.

---

122. الذين وقفت على أسمائهم من بعثة المتعلمين اللغة الايطالية هم أصحاب الأرقام 11 و12 و 22، فأين تعلم باقي أعضاء الارسالية ؟ وهل ضاعت النصوص المتعلقة بتعلمهم بالعاصمة الديبلوماسية ؟

123. رسالته إلى الطريس بالتاريخ أعلاه، تطوان 168/57.

124. رسالة السلطان إلى الطريس في فاتح ربيع الثاني 19/1316 غشت 1898، تطوان 33/17.

ومن سنة 1912 إلى سنة 1929 عين خليفة لعامل سلا، ثم قائدا بسيدي بطاش قبيلة كفيان بزعير إلى حدود 1939 حيث أعفي من منصبه. وقضى بقية حياته ترجمانا بالمصالح البلدية إلى حين وفاته.

ويحكي لي الذين عاشروه أنه كان رحمه الله مثال النزاهة والاستقامة ودماثة الأخلاق. ولا أزال أتذكر صورته في حدود الأربعينيات وهو خارج من بلدية المدينة : رَبَع في القد، أبيض اللون المُشْرَب بسمرة قليلة، لابسا جلابة وطربوشا بالرزة، وأمام عينه نظارتان، وتحت إبطه بعض الجرائد التي كان يشتريها بعدة لغات من دكان البازار الموجود اليوم عن يمين مبنى العمالة بحي الرمل بسلا، القريب من داري التي أقطن بها.

المطلب الثامن : بلجيكا

توجه إليها أكثر من ستين متعلما فيما بين سنتي 1884 و1888، وكانوا ينقسمون إلى عدة دفعات[125].

وإعدادا لذلك يمم الحاج مُحمد بركَاش في أوائل يونيو 1884 وجهه شطر بلجيكا[126]، قبل أن تصل الدفعة الأولى المحدد سفرها بيوم 11 شعبان 6/1301 يونيو 1884 إلى مدينة سيران :Séraing [127] من ضواحي ليبج وجنوب غربها.

وهكذا حل المتعلمون الأولون بها يوم 22 شعبان/17 يونيو. وبغية تأطيرهم والترجمة لهم عين طالبان من الفوج الأول إلى فرنسا قبل ذلك التاريخ بنحو الخمس سنوات وهما الطاهر بن الحاج الوديي ومحمد بن الكعاب الشركي.

تركبت الدفعة الأولى من 11 متعلما ها هي أسماؤهم وحرفهم ومساقط رؤوسهم وأعمارهم نقلا عن تقييد ابن الكعاب، وعن رسالة مخزنية تفيد أنهم كانوا نوابا لمعلمين زنايديين

---

125. استقيت عناصر هذا المطلب من عدة مراجع :

أ. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 468، ولم يذكر فيه إلا 9 أفراد.

ب. مقال للحاج أحمد معنينو نشر بمجلة «البحث العلمي» في العدد 25 ص 220 وما بعدها. ومزيته أنه يورد ـ نقلا عن كناشة محمد بن الكعاب ـ تفاصيل مفيدة عن أسماء أفراد الدفعات الأربع الأولى وما تعلموه وأعمارهم ومساقط رؤوسهم، ويتعلق بـ 37 متعلما فقط..

ت. تقييد لابن زيدان في «العز والصولة» ج 2 ص 157 وما بعدها، وهو يجعل عدد المتعلمين الكلي 62، ويورد الصنائع التي تعلموها بالخارج والأماكن التي عينوا بها بعد رجوعهم، ويستفاد منه أنهم عادوا جميعا قبل متم ربيع الأول 16/1305 دجنبر 1888.

ث. «مظاهر يقظة المغرب الحديث» لمحمد المنوني الجزء الأول ص 172 وما بعدها.

ج. تقييد خلو من التاريخ أصله بمديرية الوثائق الملكية، محفظة التعلم بالخارج وعنوانه «المتعلمون ببلاد البلجيك» ولا يحتوي إلا على أسماء 52 متعلما.

ح. موجب إبراء بنفس المديرية مؤرخ في متم رجب 4/1303 ماي 1886، وفيه أسماء 25 منهم. وتتميز جميع هاته المراجع بخصائص متنوعة. غير أنها مضطربة فيما بينها أحيانا، فعمدت إلى إعادة صياغتها على ضوء ما تقدم.

126. رسالة محمد بن العربي إلى الطريس في 9 شعبان 4/1301 يونيو 1884، تطوان 111/34.

127. رسالته إليه أيضا في 26 شعبان/21 يونيو، تطوان 117/34.

وجعايبيين وحدادين، وأنه صدر أمر بأن يدفع لكل واحد منهم 50 أوقية في الشهر إلى حين عودتهم من سفرهم[128] :

1 ـ 11 : **محمد** (المنقري أو) **المنظري** (20 ـ 30 سنة)، **وأحمد** (أو محمد) **الجندي** (18 سنة)، **وادريس بن وحُود** (18 سنة)، **وعلي** (أو علال) **بن قدور الرياني الحياني** (19 سنة)، **ومحمد بن علي** (30 سنة) الذي لم يلبث أن أصبح سنة 1885 مستخدما بمركب بلجيكي ونائبا لرئيسه[129]، **ومحمد الحميدي الصفريوي** (22 سنة) وكانوا جميعا حدادين، **وعبد الرحمان البغدادي** (20 سنة) وكان سيافا، **ومحمد بن ميمون** (26 سنة) وكان زنايديا، **والحسن** (أجندى أو) **الجندي** (25 ـ 30 سنة) وكان مجامريا، وتسعتهم كانوا من فاس أو من نواحيها، **وحمان بن أحمد المشطون الكراوي** (27 ـ 35 سنة) وهو من مكناس وكان حدادا وسرايريا، **ومحمد** (أو عمر) **الوعدودي** (22 سنة) وهو من الدار البيضاء وكان حدادا.

والدفعة الثانية كان قوامها 9 أعضاء لعلهم وصلوا إلى بلجيكا في تاريخ مقارب لورود من قبلهم، وأسماؤهم هي :

12 ـ 20 : **أحمد بن علي العلج** (18 سنة)، **ومحمد الودغيري** (25 سنة)،**وحماد** (أو محمد) **بن التهامي** (18 سنة) وكلهم سرايريون، أولهم من مكناس والآخران من فاس، **ومحمد بن الحفيان** (18 ـ 20 سنة) **ومحمد بن الحساين** (20 سنة) وهما من مكناس، **ومحمد** (الموذن أو) **ابن الموذن** (18 سنة) وهو من فاس، وجميعهم زنايديون، **وحمان بن عبد الله المراكشي** (26 ـ 30 سنة)، **والمعطي بن ابراهيم السوسي** (20 ـ 25 سنة) وهما من مراكش، **وعبد الله بن حماد الزموري** (22 ـ 30 سنة) وهو من مكناس، وثلاثتهم حدادون.

والدفعة الثالثة عددها 7 أشخاص حلوا بصيران كذلك يوم 16 يوليوز 1884، وكانوا يتدربون على حركة بابور البر أو حركة الماكينات. وفيما يلي بيان أسمائهم :

21 ـ 27 : **محمد بن العباس أمَان** (30 سنة)،**ومحمد بن رزوق** (25 سنة)، **والعرفاوي بن الحاج حميدة** (25 سنة) **والعباس بن المصطفى** (17 سنة)، **وسالم بن ابراهيم** (20 سنة) **وبنعيسى بن الرواين** (18 سنة)، **والعرفاوي بن عمرو** (40 سنة) الذي مرض ورجع إلى المغرب [130] وكلهم من مكناس بحسب ابن الكعاب الذي قال إنهم من القسمة الثالثة من الفرض المكناسي. فهل كان آخرون من غير هاته المدينة يتدربون ؟

وهناك دفعة رابعة تألفت من 10 أشخاص التحقوا بمدينة لييج لتعلم حركة الماكينات أيضا فوصلوا إليها يوم 7 شعبان 24/1302 مارس 1885. وفيما يلي أسماؤهم دون أن يبين التقييد حرفهم :

---

128. رسالة السلطان إلى عبد الله بن أحمد في 7 شعبان 2/1301 يونيو 1884 وهي نصف الأول والثاني والخامس والسادس والسابع بالطنبة، الترتيب العام.

129. رسالة محمد ابن الكعاب إلى الطريس في 4 حجة 14/1302 شتنبر 1885، تطوان 126/75.

130. «المتعلمون ببلاد البلجك» التي لم يرد فيها ذكر للمتعلمين 41 ـ 42 ـ 43 ـ 44.

28 ـ 37 : ادريس بن محمد زولو[131] **الصفار** (45 سنة)، **وأحمد بن موسى** (31 سنة) وكلاهما من فاس، **والعرفاوي بن الطاهر البخاري** (21 سنة)، **ومحمد بن الحاج حمادي** (24 سنة)، **والمختار بن المكي البطاحي** (24 سنة) وثلاثتهم من مكناس، **والمكي بن الحاج الجيلالي بريطل** (22 سنة)، **والحاج عبد القادر الركاني** (20 سنة) وهما خرازان من مدينة الرباط جاءا في قت لاحق، تعويضا عن كل من المعلم **الحسين بن محمد** (40 سنة)، ومن**الجيلالي بن الحاج** (36 سنة) اللذين لم توجد فيهما قابلية فردا إلى المغرب[132]، **والجيلالي بن مبارك** (22 سنة) المدعو بركة، والثلاثة الأخيرون من مكناس.

ابن الكعاب لم يورد إلا أسماء هؤلاء، غير أن ابن زيدان أتى بأخرى يوجد طرف منهم في وثيقة «المتعلمون ببلاد البلجك».

ويظهر لي أن بعثتين أخريين وجهتا إلى بلجيكا سنة 1886 أو بعدها بقليل، وتألفت أولاهما من 18 صانعا والثانية من 7 صناع، وذلك باعتبار أن وفاة الحاج محمد بن محمد بركاش كانت في غشت 1886، فعين السلطان بدله في هاته المهمة وهو أمين الأمناء محمد التازي حسبما تقدم.

وهكذا تألفت الدفعة الخامسة المرسلة على يد بركاش الابن من 17 عضوا ها هي أسماؤهم :

38 ـ 51 : محمد حيات البخاري، والمحجوب البزيوي، والحاج ابن جبارة البخاري، وأحمد بن الحسن، وأحمد المراكشي، وعبد السلام الوديي، والمعلم محمد المكناسي، والمكي بن عبد السلام ولد العنبر، والحسن الخلطي، والعباس بن قاسم، ومحمد بن العربي، وإدريس ابن الحداد البخاري، وأحمد بن صالح، وبوسلهام بن حمو.

52 ـ 55 : عبد القادر بن الميلودي، وبنعيسى بن محمد البخاري، وعبد النبي البوحلي البخاري، ومحمد بن الرامي البخاري، وكلهم بزيادة المتعلم 66 عليهم ردوا إلى المغرب لعدم ظهور نجابة عليهم .

أما الدفعة السادسة فتركبت من 7 أفراد هم :

56 ـ 62 : المعلمان : **الحاج محمد بن محمد التاغزوتي الوكيلي، وادريس بن الطيب الكيسي**، وكانا سنة 1884 زنايديين[133] **ومحمد بن ميمون، وعبد السلام العلمي، وإدريس بن الحاج العربي الفيلالي الجعايبي، وأخوه أحمد، والحاج محمد لفيتة**

131. هناك رسالة لمحمد بن العربي بن المختار إلى الطريس في 18 رمضان 12/1301 يوليوز 1884، تطوان 120/34 تذكر أن المعلم زولو سافر مع جماعة من المتعلمين إلى بلجيكا قبل هذا التاريخ.

132. في الوثيقة «المتعلمون ببلاد البلجك» أن أحد المردودين هو الجيلالي بركة الموالي، بينما في مذكرة ابن الكعاب أنه هو الجيلالي بن الحاج، وهو الأصوب في المصدر السابق، لأن الأخير كبير السن، مما يقلل من قابليته للتعلم. وقد ورد الخبر عن رجوع المتعلمين 35 و36 دون ذكر اسمهما في رسالة أميني مرسى الجديدة إلى السلطان في 10 شعبان 14/1303 ماي 1886، الترتيب العام.

133. رسالة محمد بن العربي إلى عبد الله بن أحمد في 13 جمادى الأولى 11/1301 مارس 1884.

وثمة آخرون ذكروا في «المتعلمون ببلاد البلجك» إلا أن يكونوا تكرارا لبعض السابقين. وعلى كل حال ها هي أسماؤهم :

63 ـ 66 : **ادريس بن خليفة، ومحمد بن العباس، وأمَان العباسي** (ما لم يكن هو صاحب الرقم 21 أعلاه) **والحاج الصالح بن العباس** الذي رد لعدم نجابته مع المتعلمين 52 و53 و54 و55.

ويبدو أن هؤلاء الخمسة المردودين لقابليتهم الضعيفة رجعوا سنة 1887، فقد جاء في رسالة لمحمد الغسال إلى السلطان لم تذكر أسماءهم ولا عددهم «أن المتعلمين الذين كانوا ببلاد البلجيك بقصد تعلم الصنائع السلاحية وردُوا لطنجة أمس تاريخه، فسألناهم عن موجب القدوم. فأجابوا بأنهم حصلوا ما كانوا بصدده، واختبارهم يحقق جوابهم. وقد أنزلناهم ورتبنا لهم المئونة»[134]. ولعل رجوعهم المبكر هذا إنما هو دليل على فشلهم في التعلم.

وهذ الرجوع يماثله رجوع آخر وقع قبل ذلك سنة 1886 ولم يتضح سببه. ففي رسالة للحاج محمد بركاش إشارة إلى «المتعلمين الذين كانوا بالبلجيكة ووردوا لأجل ما وقع بها من الفتنة، فقد وصلوا...»[135] تلك الفتنة التي لم يرد عنها تفصيل.

وهناك طلب آخر للرجوع صدر من السفارة البلجيكية سنة 1887 : «فقد كنت تكلمت معنا بأن المتعلمين الذين يتعلمون ببلاد البلجيكة حصلوا المراد مما كانوا يتعلمونه وطلبوا الرجوع للحضرة الشريفة. ونحن لا يمكننا الاذن في رجوعهم حتى يكون بأيديهم اسَّارْط فكلس[136] من المعلمين الذين علموهم، وإذا تمكنوا منه وتحققت به، فإنا ساعدنا على الكتابة لهم بالسفر لهذه الجهة، وكلف ابن الكعاب بأن يحقق جميع الحسابات التي تصيَّرت على هؤلاء المتعلمين، كل حاجة مميزة وحدها، ويأتي في يده بزمامها ليكون البيان تحت يده إذا سئل عنه»[137].

وبخصوص أحوال جميع المتعلمين ببلجيكا فقد قطعت هناك يد المتعلم السادس وكاد يموت، بينما مات ثمة أو بالمغرب ربما قبل سنة 1888 كل من المتعلمين ذوي الأرقام 26 و42 و60 و61.

وفيما يتعلق بحياتهم هنالك وتقاضيهم مؤونتهم وقبضهم لكسوتهم ومعاملة البلجيكيين إياهم جاء في موجب إبراء صدر من 25 منهم في حق الحاج محمد بركاش وفي حق أوجين سادوان مؤرخ بمتم رجب 1303/4 ماي 1886 ومشهود به أمام عدلين رباطيين هما محمد بن محمد كديرة ومحمد المعطي بن عبد الله الغربي وعليه خطاب قاضي الرباط أن المتعلمين الخمسة والعشرين أصحاب الأرقام من 1 إلى 10 ومن 12 إلى 14 ومن 16 إلى 26 ورقم 31 «كانوا في كل أربعة عشر يوما يتوصلون بما فضل عن مئونتهم في المدة السابقة... وأنهم قبضوا الكسوة مرة واحدة، والكل على يد الأمين الأبر، الوجيه الأظهر السيد الحاج مُحمد

134. رسالته في 5 رمضان 1304/28 ماي 1887، الترتيب العام.

135. رسالته إلى الطريس في 24 رجب 1303/18 أبريل 1886، تطوان 67/71.

136. صوابها : اسارطفيكدس (حرفت الدال لاما لتشابههما) ورسمهما بالحروف اللاتينية هو : Certificados ومعناها : الشهادات.

137. رسالة مخزنية إلى سكسو في 11 شعبان 1304/5 ماي 1887، تطوان 121/61.

بركاش، وأبرءوا من تجب براءته من ذالك بالابراء التام، مع اعترافهم بأن المكلف بتعليمهم وهو سذوان رايس الفابريكة - وكذا خليفته - كان يبربهم غاية البرور ويحسن إليهم كما يحسن الوالد بأولاده، مع الترفه في مطعمهم ومسكنهم، وكان لكل واحد منهم ناموسية مستقلة بفراشها، مع نظافة المسكن وحسنه، إشهادا تاما...»[138].

ولئن لم نعرف دواعي وضع هذا الموجب فإنه يدلنا على الأقل على حسن المعاملة التي لقيها متعلمونا بالخارج، وعلى أنهم عادوا إلى المغرب قبل تاريخ الموجب أي أواسط سنة 1886، وأن أغلبهم من الدفعات الثلاث الأولى.

والحاصل أن جميع هؤلاء المتعلمين كانوا يتدربون بمعامل شركة كوكريل Cockrill التي كان مديرها هو أوجين سادوان E. Sadoine والتي كان لها مراسلون بالمغرب سنة 1886 مثل القبطان هوهنهوفن S. C Hohenhoven[139]، وكذلك القبطان هاينوس Haynus.

وكانت مصاريف التعلم تؤدى عنهم بانتظام. فقد طالبت المفوضية بأداء 14.000 فرنك عن تعليمهم سنة 1886 لتدفع لشركة كوكريل[140]. ونفس المقدار طلب عن سنة 1887 فامتنع أمناء مرسى طنجة من دفع الـ 14.000 فرنك التي ربما لم يكن لهم إذن بصرفها من السلطان، غير أنهم دفعوها بعد ذلك لما تحاسب الأمناء مع المفوضية البلجيكية على «مؤنة المتعلمين ببلادهم المنفذة لهم على أيديهم، وعلى ثمن كسوتهم، وكراء محل تعلمهم، وشهرية معلميهم، والحوائج والمكينات التي يخدمون بها، كل حاجة ومكينة باسمها وثمنها على حدتها، وفق أمرنا الشريف بمحضر الطالب محمد بن الكعاب، لكونه على بال من سائر الصائر وتفصيله، فخرج مُذركا على المخزن من قبل ما ذكر كله 797،15. 29 تسعة وعشرون ألف فرنك وسبعمائة وسبعة وتسعون فرنكا وخمسة عشر سنطيما... فقد أمرناهم بأن يؤدوا لترجمان البلجك المدرك المذكور...»[141].

المطلب التاسع : فرنســا

قصدت الديار الفرنسية أعداد قليلة من المغاربة لم يعرف من أسمائهم إلا 15 من أفراد الفوج الأول والثاني من الطلبة، دون العمال. كان الفوج الأول متألفا من طلاب ثلاثة بارحوا المغرب سنة 1880 وهم :

1 ـ 3 : قاسم بن محمد الوديي، والطاهر بن الحاج محمد بن عبد السلام بن الحاج الوديي، ومحمد بن محمد بن علي ابن الكعاب الشركي[142]. وكانوا قد عينوا في فاتح شعبان 13/1291 شتنبر 1874 للذهاب إلى طنجة بقصد تعلم اللغة[143] قبل مغادرتهم للمغرب.

138. الموجب المذكور موجود بمحفظة التعلم بالخارج.
139. رسالته إلى الطريس في 2 يوليوز 1886.
140. رسالة ابراهام سكسو إلى الطريس في 4 نونبر 1886، تطوان 41/61.
141. رسالتا السلطان إلى الطريس في 4 جمادى الثانية و4 قعدة 28/1304 يبراير و25 يوليوز 1887، تطوان 59/5 و110/5 وكذلك رسالة سلطانية إلى الغسال في 6 رمضان 29/1304 ماي 1887، تطوان 101/5.
142. ابن زيدان «العز والصولة» ج 2 ص 151.
143. الطاهر الوديي : «الاستبصار...» الورقة 83، وفيها أن تاريخ التحاقهم بطنجة كان هو فاتح شعبان 1292 وليس 1291 كما هو عند أحمد معنينو في «ترجمة مختصرة...» ص 223.

وبعد قضاء ست سنوات ونصف بها حيث درسوا - زيادة على اللغة الفرنسية - مبادىء العلوم الرياضية واللغة العربية والجغرافية وعلوم الدين سافروا إلى باريس لاتمام تعلم اللغة الفرنسية والعلوم الرياضية والعسكرية والانسانية طيلة أربع سنوات ونصف. ثم جاءهم الأمر بالسفر إلى بلجيكا ابتداء من 22 شعبان 17/1301 يونيو 1884 بقصد الوقوف بيد أفواج من الصناع المغاربة فالتحقوا بها[144]. غير أن النصوص تقول إن الأخيرين مكثا هناك إلى حدود سنة 1887، بينما رجع أولهم مبكرا على ما يظهر.

وقبل أن أتحدث عن الطاهر وابن الكعاب دون قاسم، أشير إلى أن محمد بركاش كان يرى أن تعلمهم بفرنسا كان غالي الثمن وأنهم لم يصلحوا إلا ليكونوا تراجمة للوفود والطلاب، وهو رأي سنطلع عليه فيما بعد، ولو أنه قاس عليهم.

ولد محمد ابن الكعاب الشركي بفاس سنة 1857/1274 وتوفي بها في 17 رجب 6/1324 شتنبر 1906، بعد أن أصيب بالشلل مدة عامين. وقد دخل الكتاب القرآني وتعلم مبادىء العلوم بفاس ثم وجه إلى طنجة وله من العمر 17 سنة. وبعد أن أقام بفرنسا كما تقدم انتقل إلى بلجيكا، وكان يسكن بمدينة صيران برقم 17 من زنقة سان مارتان. وهكذا مكث في التعلم والتأطير بالخارج نحوا من سبع سنوات، غير أنه تجول بأوروبا في إطار البعثات والسفارات التي كان ترجمانا للمكلفين بها. ومن جملة العواصم التي زارها مدينة موسكو. ولما عاد إلى المغرب نهائيا عين مهندسا وترجمانا بالمكينة بفاس[145].

أما الطاهر الوديي فهو من مواليد فاس سنة 1861، وكانت وفاته بها سنة 1945/1365. وقد انتظم في سلك المتعلمين بطنجة وعمره 13 سنة. ولما تعلم بها انتقل إلى باريس ثم إلى مدينة لييج ببلجيكا حيث قضى ثلاث سنوات، فكان «أحد ثلاثة كبراء على تعلم خمسين زجُول سفارة مغربية لتعليم المناريب الجهادية : المدفع والمكاحل والقرطوس والسكة الآتي تشئت في الفبركة السعيدة...»[146].

وبعد عودته عين بمصنعي السلاح والسكة بفاس، واستخدم فيهما طيلة ثلاثين سنة حتى عطلتا، وذلك بصفته أمينا وترجمانا ومهندسا. وكانت سكناه بدرب ابن زيان رقم 22 بفاس. كما أنه كان ترجمانا لبعض السفارات المغربية إلى الخارج[147].

وقد خلف بعض التآليف، منها رحلة سياسية مع صورة الدنيا أهداها لمولاي الحسن[148]. لكن أطول عمل له هو كتابه المخطوط ذو العنوان الواسع، بدايته : «ألسْتبصار، في عجائب الأمصار...»[149].

144. أحمد معنينو : «ترجمة مختصرة...» ص 223.
145. نفس المرجع.
146. الورقة 83 من كتابه «الاستبصار...»
147. ورقات مختلفة من هذا المخطوط الأخير .
148. نفسه، الورقة 96 وكذلك محمد المنوني في «مظاهر...» ج 1 ص 248.
149. تفضل صديقي الأستاذ عمر آفا فأطلعني على نسختين مصورتين منه : واحدة قصيرة لعبد السلام ابن سودة وهي في 68 ورقة، فرغ من كتابتها يوم 29 حجة 28/1348 ماي 1932، والأخرى مطولة في 211 ورقة حجمها 430 × 200 في بعض الأحيان، وهي في ملك أستاذنا محمد المنوني. ومنها سأقتبس ما سيرد في هذا المبحث.

هذا المصنف مرتب نوعا ما، وفيه استطرادات نافعة، غير أنه تتخلله اضطرابات في التواريخ الهجرية وفي تطابقها مع الميلادية. وهو مكتوب بلغة دارجة في أغلبها وبخط بدائي، وبه أيضا أخطاء لغوية ونحوية وصرفية («المغريب» بدل : المغرب، و«حكمو» مكان : حكموا). وللطاهر قصور في الترجمة («ليزيل» عوض : الجُزر)، ويستعمل صاحبه ألفاظا في غير موضعها («غيور» محل : حسود). وهو مع ذلك لايخلو من إفادات قيمة ترتبط بوقائع في تاريخ المغرب ينبغي مراقبة صحتها.

والكتاب مقسم إلى أبواب وبه معلومات متجاوزة الآن عن تاريخ أُروبا وجغرافية العالم وعُمْلة الكثير من الدول، وختامه رسائل وجهها باسم «قوم المغريب» إلى ملك إنجلترا نيابة عن نحو المائة من العلماء والتجار والفلاحين من فاس ومكناس، وذلك ما بين 7 نونبر 1932 و22 شتنبر 1936، وتستغرق 60 صفحة منه (من الورقة 151 إلى الورقة الختامية 211). وهاته الرسائل تتحدث عن ظروف المغرب وتنتقد نظام الحماية الفرنسية والمسؤولين عنه، بلهجة اندفاعية معززة مع ذلك بالأرقام والحجج.

ونجد في الكتاب ارتسامات للطاهر عن الأهوال التي خاضها هو، والأحوال التي كانت سائدة بالمغرب قبل بسط الحماية عليه، وهو لا يخفي اتهاماته لرجال المخزن الحفيظي في تردي الأوضاع، إذ كان عزيزي الهوى يتمنى في رسائله من إنجلترا أن ترجع السلطان إلى عرشه.

وحيث أن التأليف بهذا الوصف فلنستشهد بالبعض مما جاء فيه عن أحوال المغرب أثناء قسط من حياة المؤلف. غير أنه يجب أن نحترز قليلا من بعض ما ورد في هذا المخطوط الطريف ذي الأغلاط البينة : لغة ونحوا وصرفا وترجمة.

فعن حالة المكينة قال إن السلطان عبد الحفيظ «دخل الفبركة الحسنية، فسئلنا عن غملتها المثاريب الحربية. قلنا : «في الشهر مائة وأربع وأربعين مكحلة، ومائتين وعشرين ألف قرطوس عامرة، وخدَمتها مائتين». فقال [...] : «الفبركة التي لا تصنع له خمسمائة مكحلة في النهار، ومائة مليون مليون قرطاس عامرة يُرجِّعها أرْوَى». فقال حاجبه المفلس مبارك الكرسي : عندهم بمراكش إذا بات يخدم معلم بالزِّيار والمُنارة تصبح بيده مكحلة تامة مثل هذه عمل المكينة . فغيَّرونا بأقوالهما المُفيِتة، وكسانا العرق وجوبْنا بأنف وقلق : «هذا معمل الصحّ والصدق»... فحضر رجول له خبرة فقال : «هذ المثاريب الحربية بالكثرة صناعة سبعين ألف خدَمة في الفبركة البروسية». فأفرج عنا بهذه الكلمة....»[150].

وقال أيضا عن طرده من مصنع السلاح ونكبته :

«خرَّجونا من المعاميل الجهادية وطوفونا ستة شهور على أسجان المغريب والوطان الجزائرية ضلما وعدوة لمعرفتهم بنا ناصح للأمة المسلمة»[151].

وسجن سنة 1916 فقال :

«الادارة الحربية الفرنساوية حكموا عليَّ بسجن ستة شهور وستمائة وثلاثين فرنك دعيرة على عدم رد بالي على خدام أخذ شي بناديق رصاص في دار السلاح بفاس كنت فيها

150. «الاستبصار...»، الورقتان 91 و92 من المخطوطة المنونية.
151. الورقة 38.

أمين ومهنديس مَكِيناسْتِي مدة ثلاثين سنة من أيام السلطان المولى الحسن وأيام والي عهده كلها : السلطان المولى عبد العزيز»[152].

وهو يشرح شيئا من هذا ويتهم غيره فيقول :

«واستولت فرنسا بالسياسة على الايالة المغربية واشتغلت دائرتها الحربية بخراب الفبركة. فاعترضناهم عن المفسدة بقولنا لهم : في المغريب كله فبركة واحدة، فالْيتركوها على حالتها مُتَجِيف الأثرات المهمة، فطوفونا ستة شهور على أسجان المغريب والوطان الجزائرية، وسرحونا بدعيرة بعنا فيها من واجبنا في الدار مع الوارتين إخْذَ عشرة. وهدا المصيبة على عدم رد بالي على خدام أخذ شيء من الرصاص، فحكم رُءساء الحرب ضلما وغذوة، ببيْعة المنافقين المغاربة منهم المخاديع الغيور (؟) العلاف الجامعي السغير. بمحضري قال لجَسُوسِ طبيب فرنسوي بها : مُثلِّيف الأخبار عنكم السي الطاهر بن الحاج جاء من الأرض الفرنسوية قام بها وبأرض البلجيك سبع سنة، وناصيح سلطان الأمة المسلمة المغربية.

«فبهاده النصاحة نهينا عمر التازي واسطة سلاف فرنسا، ولا نحضر على تراجيم شروط سلافها،فبه فرنسا تأخذ الأرض المغربية، ونهينا وزير الخارجية عبد الكريم بن سلْيمان عن طلب الجنوس مئْتمر في شأن مطاليب فرنسا في مُئتمر فاس في منتزه الوزير غرنيط بالوَرَيْية...»[153] من حي المخفية.

وهو يتحدث عن المعارضين للمتعلمين بالخارج فيقول متذكرا سنة 1888 :

«وفي عام 1305 بفاس زَعَيْتُ بعين القلب وزراء وكتاب وأمناء دائرة النفاق، كفار بالرزة والشاشية، حين قالو لأمير المسلمين : كنا ببَرّ التصارى سنين، جئنا منها حمور متنصرين، وتصَدَّرو لنا الأعادي الموروتين إلى هَدِ الساعة. وفي ذالك الزمان بطلو لنا إنشاء دار السلاح السعيدة، ما نتجت إلا بتداخول السفارة الناصحة الطاليانية مدة تسع وعشرين سنة من عام 1305 إلى عام 1334»[154].

ويعود إلى المسؤولين ولاسيما المهدي المنبهي فيقول عن تلاعبه :

«وبعد وفات الوزير الناصح له حْماد جاءت الديون للافرنج على المغريب بلا ميعاد. أولها في سفارة المهدي المنبهي إلى بلد الانكليز. نشء بمدينة لوندرة بانْكا مُنْبهيَة نزِّل فيها أربعة عشر مليون ريال ذهب (بِبْرة ولويز) لأنه مدة ثمانية سنة : عمال المغريب مُلاقتُهُمْ مع الوزير حماد بكْيوس الذهب الألوف المتئلِّفة، رفدها المنبهي من دار الوزير المرحوم... يُبَنّكُها لقضايا أموره الحربية. لاكن الضالم المنبهي بَنّكها لنفسه بلوندرة العَصِيمَة الانكليزية، وخرَّج على السلطان المولى عبد العزيز أموال كثيرة لمعاميل لوندرة اشترى منها أوانِ الزَّاج... وشَرَى المنبهي أشياء غريبة والحيوانات الوحشية.... فأمر السلطان بقدومه عاجلا بقصد القبض عليه، أخبره بدالك منافق من الكتاب المخادعين العباس الفاسي ببطاقة في طي بْراة السلطان من

152. الورقتان 157 و158.
153. نفسه، الورقة 97.
154. نفسه، الورقة 96.

حين عمل حماية تابتة مسلَّمة من شروط مدريد مع مُولَيْ الحسن... فصادف الضالم المنبهي تلك الوَجْبة للحماية...»[155].

ثم في مكان آخر يقول عن استنجاد أهل تمبوكتو بالسلطان مولاي الحسن سنة 1892 : إن فرنسا «احتلت تمكتو باب السودان، كان فيها كبير تلك الناحية العلاَّمة الامام السي الحاج عمر الفونتي يخطب بالسلطان المولى الحسن، فتسلطت عليه عساكير فرنسا طلعت من سينيكال بالسفون... فاستغات الامام المدكور بالسلطان مولي الحسن كان بفاس، فاستشار مع غشاشين المسلمين، الوزراء الخائنين، منهم محمد الصنهاجي (صدر أعظم) وفضول غرنيط (الخارجية) واعلي المسفيوي (العدلية) وعبد السلام التازي (المالية) والعلاف الكبير الجامعي السغير (الحرب) وعبد السلام المقري (الأملاك)، فاتفق رَعْيُ المنافقين يضحكون على لبسين الأزرق المُتَلَثِّمة، لزُمو السلطان يعطي بالصَّدَّة عن هده الاعانة... مع أن هذه الاغاتة واجبة علي كل من ولاه الله أمر الأمة المسلمة... فقاتل عساكرها المجاهيدُ الحاج عمر بالسيوف ومكاحيل بُوشْفر... قتلوا الحاج عمر ورجاله في المعركة... وعجَّبوا بسكانها عاجزين القدرة، عدتهم سبعة آلاف ومائتين واثنين وعشرين عام 1310، يوافق سنة 1892»[156].

وإذا كان الوديي يلوم أوروبيي المغرب فهو قد وصف البلجيكيين والفرنسيين بداخل بلادهم ومعاملتهم معه، إذ قال إن الكاثوليكيين الفرنسيين «يحبون المعاشرة، ولَّافين، علي البراني دين. فقد كنا عندهم في عين كبيرة : كوننا من الأمة المحمدية، رهبان وعامة يراعوننا المُراعة التامة حين نضرونا نصلي كل يوم الأوقات الخمسة، ونصوم شهر رمضان في بلادهم تلك الأعوام السبعة. وحين صَفَرْنا عنهم، بالبكاء كانت المفارقة : رجال وشبان وصبيان، ذكور وإناث، بكرات ونسوة...»، وكان في نفس الوقت ينتقد البروتيستانتيين الذين يقولون بـ «نفي الخاليق بالكلية، لعنهم الله»[157].

ويقول عن إقامته ببلجيكا ومشاهدته عدالة المحاكم فيها التي انتصفت لحق عامل مغربي :

«حين كنت في أرض بلجيكا بأمر السلطان المولى الحسن سنة 1884 يوافق عام 1302، بالأعوان وقَّفوني في المحكمة الشرعية. فقال القاضي أوقفْ شاهد يدي اليمنى للسماء وأقول : «والله إني رءيت بعيني الخدام البلجيكي ضرب الخدام المغربي العباس[158] بالعصا لجبهته حتى سال الدم، كما يرى الضربة القاضي والعدول والأعوان والحراس». وشهود بلجيكيون أخرون شهدو بما شهدت أنا. فحكم القاضي على الخدام البلجيكي بسجن شهر ومائة فرنك دعيرة. ومن بعد ثلاث أيام دفعو لي اثنين فرنك : كوني ترجمان وشاهد، ودفعو لكل واحد من الشهود فرنك واحد. بهاذا عندهم عادة محكمتهم، فيها صندوق مال الدعائير بقصد العطاء المدكور للشهود الذين تركو أشغالهم وجاءو بالتلزيم للشهادة : لا بد لهم من هدا الفائدة»[159].

155. المصدر نفسه، حاشية الورقات 96 ـ 97 ـ 98.
156. الورقة 57 و58 منه.
157. هامشة الورقتين 52 و53 منه.
158. لا ندري سبب هذا الشجار الواقع مع عامل مغربي اسمه العباس. وعندنا ببلجيكا عباسان : العباس بن قاسم رقم 47، والعباس بن المصطفى رقم 24 المذكوران في مكانهما.
159. «الاستبصار...» الورقة 18 من نسخة ابن سودة، والورقة 25 من النسخة المنونية.

هذا ما جمعته عن أعضاء الفوج الأول الذين لما غادروا فرنسا إلى بلجيكا فكر السلطان في توجيه فوج آخر أوفر عددا. ففي غشت 1884 خاطب في ذلك الكومندان له فالْوَا Le Vallois الذي نقل الطلب الى وزارة الحربية الفرنسية. ولم يقع الاتفاق النهائي عليه إلا في شهر مارس 1885، وحينئذ صح العزم على إيفاد بعثة من اثني عشر متعلما إلى مدرسة الهندسة بمدينة مونبوليي جنوب فرنسا[160].

والواقع أن عدد الطلاب المقترح كان أربعة وعشرين - وفق ما سيأتي قريبا في رسالة النائب برگاش - لتلقي علوم وصناعات متنوعة. ولربما كان التخفيض في العدد إلى النصف بإشارة من برگاش لأسباب سنُلِمُّ ببعضها حالا. قال للسلطان[161].

«وصلنا كتابه الشريف، أسماه الله، وطيه تقييد ما أشار به الكمندار الفرنسيسي الذي بالحضرة الشريفة، من توجيه عدد من المتعلمين 24 لافرانسا يتعلمون بها العلوم المبينة بالتقييد المذكور، لكونها غير العلوم التي وجه المتعلمون لتعلمها ببلادات الأجناس، وأمرني سيدنا أعزه الله بإمعان النظر في ذلك والتأمل فيه والجواب بما ظهر لي فيه وعن كل فصل من فصول التقييد المشار إليه.

«فيعلم مولانا، أدام الله علاه، أننا تأملنا فيما أشار به المذكور، فلم يظهر فيه سوى الصائر من غير كبير نفع يعود منه، إذ نحن في غنى عن جميع ذلك.

«أمَّا تَنَجْرَتْ وتَحَدَّدَتْ وتَسَرَّجَتْ (أي صنعة البرادع) فكلها موجودة بأرضنا على وفق ما يستعمل فيها في جميع ما يُتوقف عليه.

«وأما تَطَبْجِيت فالألمان جُهَيْنة خبرها كما يعترف له بذلك جميع الأجناس حتى الفرنسيس.

«وأما صنعة البَرُود فبهذه الايالة من يصنعه على أحسن ما يكون، لأن جودته إنما هي بزيادة الدق وتصفية الملح والتشحير.

«وأما حفر الآبار ومعرفة مظان المياه فبهذه الايالة من يتقن عمل ذلك في أسرع ما يتأتَّى للبشر كما هو شهير.

«وأما علم الرسم والتصوير وتسوية الطرق فالمنهدسون كلهم يعرفون ذلك. وبهذه الايالة السعيدة كثير ممن يتقنه كالذين تعلموا ببلاد النجليز والطليان والصبنيول والألمان، وإن دُفع لهم من يعلمونه يكثر العالمون به.

«وأما علم الكلام بالتلكراف وبالمِرْءاة وبالحرَّاقيات فالسلك ليس في هذه الايالة المحروسة. وبالمرءاة قد تعلمه إدريس بن عبد الواحد، وبالحرَّاقيات ليس فيه كبير علم : إذ مضمنه إنما هو إشارات باصطلاحات تكون بين المَحَلَّتَيْن بالألوان مثلا على ما يتفقان عليه. وحتى إن دعت الحاجة لهذا فلا يبعد تعلمه ولو بجبل طارق في زمن يسير.

---

160. جاك كايي : «المغاربة في مدرسة الهندسة بمونبوليي : 1885 - 1888» في مجلة «هيسبيريس»، المجلد 41، سنة 1954، ص 131 وما يليها.

161. رسالته في 14 جمادى الأولى 1302 / فاتح مارس 1885، الترتيب العام.

«وعلى كل حال فالكفيل بهذه العلوم والصنائع وغيرها هو جنس الألمان مع قلة الصائر هناك. فينظر سيدنا أعزه الله - في غير هذا صُحْبته - ما كتب لنا به باشدور الألمان في شأن العساكرية 13 الذين توجهوا للتعلم في برلين، وكم يلزم في صائرهم الشهري مما هو نحو النصف من صائر المتعلمين 3 الذين بافرانسا هذه نحو الست سنين. ولما كنا هناك توسمنا فيهم عدم النتيجة، ولم يحصلوا سوى معرفة اللسان التي صلحوا بها لجعلهم ترجمانات للأناس الذين توجهوا للتعلم بالبلجيكة، بخلاف الذين تعلموا ببلاد النجليز والطليان والصبنيول، فكلهم تعلموا ووردوا وينتفع بهم، وكذلك الذين ببلاد الألمان. وما أخَّر وُرُودَهم إلا ما كلفوا به من مقابلة الطبجية والعساكرية الذين توجهوا لهنالك...».

هذا تقييم أولي لمشروع التعلم بالخارج صدر من مسؤول مخزني لا يمكننا مناقشته لافتقادنا الآن عناصر البحث فيه. ولئن كان يفهم منه بعض الميل إلى الألمان، فإن السلطان ارتأى ألا يأخذ برأي بركاش فيما بعد عندما سيطلب - كما سيأتي - إيفاد أناس - لكن بدون جدوى - لتعلم الكهرباء مثلا، ولو أن نظر النائب السلطاني فيما يخص تعلم الحرف الموجودة بالمغرب وجيه وله مبرراته النسبية فقط، فقد كان الأولى أن يدخل تطوير ولو محدود على الصناعة التقليدية.

ومهما يكن فقد تقرر أن يوجه إلى فرنسا سنة 1885/1302 وفد من 12 متعلما عادوا الى المغرب سنة 1888. وحيث أنهم لم يتعلموا اللغة الفرنسية من قبل فقد كان برفقتهم مسلم من أصل برتغالي هو محمد العلج أو ميگل دو كاسترو الذي هو - في نظر كايي - رجل جد ونزاهة وإخلاص. ولما شعر بأن الطلبة قد تعلموا ما فيه الكفاية عاد إلى المغرب، ولو أن رواية تقول إنه كان على خلاف مع الكولونيل شيري Chéry المدير الثاني لمدرسة المهندسين بمونبولیي[162]. وقبل أن أسوق أسماء هؤلاء المتعلمين الاثني عشر[163] لابأس من ذكر الظروف التي ساقها جاك كايي عنهم. قال : في يوم 24 يونيو 1885 امتطى الطلبة متن الباخرة الحربية «لاريطوز : L'Aréthuse» ووضعوا تحت إمرة «الأمين الترجمان» دو كاسطرو الذي كان يعرف الفرنسية نطقا وكتابة.

وفي هاته الباخرة ركب سفير مغربي أوفد إلى الديار الفرنسية وهو عامل وجدة عبد المالك بن علي السعيدي الذي كان مرفوقا بكاتب وخمسة قواد وعدة أعوان وبقاضي فاس وابنه[164] وشارل فيرو وحاييم بن شيمول[165].

وقد أمر السلطان الطريس بأن يقف مع السفارة : «فيرِد عليه صحبته الخديم عبد الملك السعيدي المعين للسفارة لدولة الفرنصيص ومعه الكاتب الطالب عبد الواحد ابن المواز المعين للتوجه معه»[166] وبأن ينظر «للخديم عبد المالك السعيدي ترجمانا من طنجة عارفا باللسان

162. جاك كايي : «المغاربة...».

163. نقلا عن المصدر الأخير وكذلك عن ابن زيدان في «العز والصولة» ج 2 ص 154.

164. لم يسمهما كايي هنا وإنما في قصاصة تحت يدي من جريدة فرنسية لم أقف على اسمها وتاريخها، فقال إن قاضي فاس هو عبد الواحد المواني وابنه أحمد. والصحيح أن عبد الواحد ابن المواز الحسني كان قاضيا لمراكش ولم يكن قاضيا لفاس.

165. جاك كايي : «المغاربة...».

166. رسالته في 21 شعبان 5/1302 يونيو 1885، تطوان 110/3.

الفرنصوي يترجم له بباريز»[167]. واقتضى الأمر أن يكون ترجمانه هو شارل فيرو نفسه الذي «لم يقصر في الوقوف مع سفير جانبنا العالي بالله لدى دولته، وفي المبرة به والتنويه والاعتناء بشأنه، وأظهر ما لا مزيد عليه من المحبة في جانبنا الشريف، ووعد بالوقوف في تصفية المطالب التي صحبها معه السفير...»[168].

وكانت الغاية من هاته السفارة تبليغ تحيات السلطان ومحبته للحكومة الفرنسية، وحل بعض مشاكل الحدود، والاحتجاج على الاسراف في منح بطائق الحماية والتجنيس إلى المغاربة، حسب كايي الذي أضاف :

وصلت السفينة إلى مرسى طولون يوم 27 يونيو. وبينما يمم السعيدي وجهه ضوب العاصمة صحبة حاشيته قصد المتعلمون جنوب فرنسا إلى مدينة مونبوليي التي وصلوا إليها عشية اليوم الموالي، فوجدوا في استقبالهم مدير المدرسة الكولونيل ريونديل Riondel الذي اعتنى بهم.

وبعد أقل من شهر التحق بهم السعيدي يوم 20 يوليوز بعد انتهاء سفارته فمكث معهم يومين ونصفا. وبعد أن استخبر عن أحوالهم ودعهم وودعوه فركب متن القطار الى مرسيليا في طريقه إلى المغرب على ظهر السفينة «لا ريطوز» التي حملته إلى طنجة.

فمن هؤلاء المتعلمون ؟ وما هي أحوالهم ؟ لنبدأ بالطلبة الخمسة :

4. **محمد بن عبد الرحمان المراكشي** كان أبوه من أصل فرنسي فأسلم وحسن إسلامه وعاش بالمغرب وفيه مات في حدود سنة 1879. وكان قبل ذلك ضابطا في الهندسة العسكرية وخلف آثارا عمرانية وعلم بعض المغاربة الرياضيات والعلوم الحربية، اسمه الأصلي قبل الاسلام هو جوزيف ده سولتي J. de Saulty.

أما ابنه محمد هذا الطالب فقد ولد بمراكش سنة 1862، وكان ممن اختير للتعلم بفرنسا مع هاته البعثة الثانية، وبعد تعلمه رجع مدة إلى المغرب.

غير أنه كان مخبرا للمفوضية الفرنسية، وكانت مراسلاته معها موجودة بقصر فانسين بفرنسا حتى اختفت منه[169].

ولما كان يتعلم هنالك سنة 1888 طلب اكتساب الجنسية الفرنسية التي أباها عليه شارل فيرو، لأن ذلك كان مضرا بالبعثة كلها وتنشأ عنه تخرصات وأقاويل. ولكنه مع ذلك نالها بالفعل قبل سنة 1896 حسب رسالة سلطانية إلى الطريس في فقرة لانجد أبلغ منها تعبيرا عن حالته : فهو قد تفرنس، وبدنه تعرض للتهديد بالقتل، ورفيقه قتل، فنتج عن ذلك قبض تعويض مالي. قالت الرسالة إن نائب فرنسا «أجيب عن دعوى رعيتهم محمد دوسلطي - بما وقع له من

---

167 رسالته إليه أيضا في 24 شعبان / 8 يونيو، تطوان 113/3.

168. رسالة السلطان إلى الطريس في 2 محرم 11/1303 أكتوبر 1885، تطوان 2/4.

169. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 26 وج 4 ص 96 (3) وكذلك هنري ده لامارتنيير : «ذكريات...». ص 196.

التهديد بالقتل بوادي سالم من بلاد الغربية، إيالة عامل طنجة، ونجا بنفسه بعد قتل رفيقه سلام[170] بالبارود - بتنفيذ العدة التي قيدوها في معاوضة ذالك، وقدرها خمسة آلاف ريال»[171].

ويظهر أنه منغمرا في خدمة المصالح الفرنسية. فكان قبل ذلك مقيما بمدينة مغنية بوصفه تاجرا وبها ولد له طفل في 14 ماي 1896 أسماه جوزيف هنري بن محمد بن عبد الرحمان الحاج (= العلج) المراكشي د سولتي : Dessaulty. ولم تنقطع صلته بالمغرب الذي عاد إليه سنة 1912، ولما وصل إلى مراكش أسره أحمد الهبة وأسر معه جماعة من الفرنسيين.

وعلى كل حال كان محمد من أنجب الطلاب بفرنسا.

5 - 6 : صالح بن محمد التدلاوي[172] **وعبد الله** (عند كايي : علام) **بن العربي بن مالك الوديي.**

7. علال بن محمد البخاري التروكي كان أسود اللون وقليل الذكاء، فنصح الترجمان برده إلى المغرب. فلما لم تقبل إشارته اقترح أن يُدخل للتعلم مع جيش المشاة.

8. محمد بن سعيد القرقور السوسي أصابه مرض هناك لازم الفراش من أجله شهرين. ولما عوفي منه استطاع بذكائه واجتهاده استدراك ما فاته من دروسه.

غير أنه نكب في أواخر أيامه، فقال عنه الطاهر الوديي كلاما يشبه التشفي فيه : أما محمد «بن سعيد القرقور، فهو الآن في زقاق فاس يدور»[173]. ولم يأت بتوضيح لا عن هاته النكبة ولا عن زمنها، ولربما يقصد عزله من منصب مخزني. فاستقراء الوثائق الراجعة لذلك العهد يفيد أن القرقور كان قد عين سنة 1911 عاملا على الصويرة بعد عبد السلام الفشار وقبل أحمد السعيدي، وأنه مكث في الولاية هناك نحوا من عشرة أشهر حتى أقيل، وكانت قد تراكمت عليه ديون[174] بسبب البطء في تنفيذ أجرته على ما يظهر من إحدى رسائله إلى الكباص. ولكنه ظل أحد قواد الجيش ولاسيما سنة 1918.

أما الصناع السبعة فهم :

9 - 10 : محمد بن دحمان (عند ابن زيدان : بن عبد الرحمان) **وأحمد بن عبد الرحمان** (نسبه عند كايي : **القلعي**) وكلاهما من تطوان كانا حديثي عهد بالانخراط بالجيش

170. هل هو سلام الرغيف الذي كان سنة 1891 عونا بالمفوضية بطنجة؟ انظر م. بوشعراء : «الاستيطان...» ج 2 ص 621.

171. رسالته في 16 جمادى الأولى 23/1314 أكتوبر 1896، تطوان 30/20.

172. في ص 250 من «مظاهر...» لمحمد المنوني الجزء الأول إشارة إلى بعض أعمال صالح هذا، نقلا عن رسالة سلطانية في 29 ربيع الثاني 15/1302 يبراير 1885 تقول إنه أحد المتعلمين ببلجيكا. والواقع أن صالح هذا - إن كان المتعلم أعلاه هو المقصود فيها - قد تعلم كما نرى بفرنسا التي لم يعد منها إلا سنة 1888، ولم أقف على ما يفيد تعلمه ببلجيكا قبل فرنسا. وأظن ذلك سبق قلم من كاتب الرسالة المذكورة، أو كلاما عن صالح آخر لا نعرفه.

173. «الاستبصار...» الورقة 93.

174. رسالة القرقور إلى الكباص في 4 رجب 1/1329 يوليوز 1911 ورسالة أحمد السعيدي إلى الكباص في 28 جمادى الأولى 15/1330 ماي 1912، وكلتاهما بمحافظ الترتيب العام.

كمدفعيين، بعد أن كانا من قبل إسكافيين، وكانا معا أميين، قليلي الحظ من النباهة، لا يسايران ما يتلقيانه من الدروس. ولأجله أشار الترجمان بردهما إلى المغرب لأن اختيار السلطات إياهما لم يكن موفقا. غير أنهما التمسا البقاء فلم يرجعا، واستخدما في صناعة السروج والبُرود والجلد وغيرها من الأشغال اليدوية.

11 ـ 12 **محمد بن أحمد الحسَّاني** (الأصيلي عند ابن زيدان) **وعمر** (فقط عند كايي) **بن محمد المسفيوي** واصلا تعلمهما حتى رجعا إلى المغرب.

13 : **محمد الهواري المسفيوي** قضى مدة بالمستشفى لدمل أصابه في إسته، وكان يعالج أكثر مما يتعلم. وفي أواسط سنة 1886 ارتأى طبيبه المعالج إعفاءه من كل دراسة ومن كل عمل يدوي نظرا لضعف بنيته ومرضه. وكان محمد الممنون يفكر في رده فطلب تسفيره من الكولونيل ريونديل ثم من الكولونيل شيري الذي خلفه بعد وفاته في إدارة المدرسة. غير أن ذلك لم يقع، لأن صحته تحسنت حالتها حسبما جاء في رسالة الترجمان إلى فيرو في 6 يناير 1888. ومع ذلك كان يمضي أوقاته طول النهار متسكعا بالطرقات، وكان يظل أحيانا بالشوارع حتى منتصف الليل. وكانت أمنيته الوحيدة أن يعود إلى بلاده، فقبل طلبه ورجع في بداية السنة، بعد أن كان التمس من الطبيب شهادة تثبت أنه مصاب بمرض في الصدر[175]، لكنه كان مريضا في دماغه بدليل تلك الغيبات الطويلة في الشوارع ثم بدليل هاته الرسالة السلطانية التي لم تسمه والتي تذكر أنه عولج من اضطراب في مخه. قالت إن «أحد المتعلمين بباريز اختل مزاجه وزرده المكلف بهم لطنجة على يد باشدور الفرنصيص»[176]، مما يعني أنه نقل إلى مستشفى الأمراض العقلية بالعاصمة الفرنسية التي لم يكن يتعلم فيها، خلاف ما يفهم من الرسالة الاخيرة.

14 ـ 15 : **العربي بن الحاج عبد السلام وهو من الجديدة ومحمد بن عبد الرحمان** (عند كايي : الزواني أي الزواوي كما سيأتي) **وهو من آسفي** : كانا سيىء السيرة بالمرة، أدب أولهما بالحبس في المدرسة للشجار والسرقة والعربدة، وعوقب الآخر به فيها أربع مرات للعصيان والعربدة والتمارض والعدوان على العفاف، فتقرر بموافقة المخزن ردهما منذ بداية أبريل 1886، فسافرا إلى مرسيليا يوم 6 ماي للعودة إلى الوطن[177]. وكان محمد الممنون قد كتب إلى الحاجب يخبره بسوء سيرتهما : «يعلم سيادتك أن اثناني (= اثنين) من الطبجية أهل المراصي... الأول منهم يسمى العربي بن [الحـ]ج عبد السلام الجديدي، والثاني سي محمد بن عبد الرحمن الزواوي المسفيوي فقد وصل خبارهم للبشدور فرنصيص للطنجة في شأن قبح فعلهما أعزك الله، وأرسل عليهم، فهم يركبُ البحر في تاريخ هذا الكتاب من مرسيلية...»[178]. غير أنهما استخدما في الأغراض المخزنية، وعين ثانيهما للعمل بمنجم الرصاص بسوس وهده بالديناميت[179].

---

175. جاك كايي : «المغاربة...».

176. رسالة السلطان إلى الحاج محمد الزكاري في 27 جمادى الثانية 10/1305 يبراير 1888، تطوان 87/6.

177. جاك كايي : «المغاربة...».

178. رسالته في 2 شعبان 6/1303 ماي 1886، محفظة فرنسا 5.

179. ابن زيدان : «العز والصولة...» ج 2 ص 155.

على أن جاك كايي لم يفدنا إلا بالعقوبات التي نالها المتعلمان الأخيران اللذان رجعا إلى المغرب سنة 1886. أما بعدهما فجاء في تقرير إلى المخزن عنوانه «كفاية الجنايات...»[180] بيان التعزيرات التي صدرت في حق ثمانية من باقي المتعلمين بفرنسا سجنوا بحبس المدرسة. وها هو ملخصه:

عوقب رابعهم محمد المراكشي 8 مرات لمدة 65 يوما لخبث سيرته وتكاسله والاضراب عن الدراسة والمبيت خارج المدرسة والشجار مع الطلبة.

وحبس خامسهم صالح مرتين طيلة 9 أيام للتأخر ليلا بالمدينة ومخالفة قوانين الانضباط.

وأدب سادسهم الوديي أربع مرات مدة 20 يوما للمبيت بالمدينة وخبث السيرة والاضراب عن الخدمة.

وكان حظ السابع علال التروكي السجن مرتين ستة أيام للخصام والعصيان.

وثامنهم القرقور حبس 7 مرات لأكثر من 21 يوما بسبب التغيب والخصام مع الطلبة والعصيان والتزوير عن بعض المدربين.

أما التاسع ابن دحمان فلم يسجن إلا مرة واحدة طيلة 15 يوما لخبث سيرته وتهدده على الترجمان.

والحادي عشر الحساني الزيلاوي سجن 3 مرات عدة أيام لخبث السيرة والشجار وضرب بعض رفاقه.

وأخيرا عزر عمر المسفيوي المتعلم الثاني عشر بالحبس مرتين مدة 12 يوما لخبث السيرة والاضراب عن الخدمة.

ولم يسلم من العقاب إلا المتعلم محمد الهواري الثالث عشر المريض، والمتعلم العاشر أحمد القلعي. ولئن كانت هاته التأديبات تفرض عادة في مثل هاته المؤسسات الداخلية فلن تمس مصيرهم الاداري بشيء، لأنها كانت هينة.

وتحدث كايي عن أحوال الطلبة وظروف عيشهم فقال إنهم كانوا يأكلون بالمطعم المدرسي بفرنك في اليوم، ولما طلبوا تحضير طعامهم بأنفسهم سمح لهم بذلك.

وكانت قضية لباسهم مثار مراسلات متعددة. فقد وصلوا إلى فرنسا بزي مغربي فأعطاهم الكولونيل ريونديل بلوزة وسراويل وسباطا أدى المخزن ثمن ذلك فيما بعد وهو 176،04 فرنكا. وفي بداية سنة 1886 خولت لهم ألبسة وأحذية أخرى بمبلغ 35،40 فرنكا لكل واحد منهم. ولم يكونوا يحملون شاشية الكيبيّ ولكن الطربوش. وهكذا سدد المخزن من

180. عنوانه الكامل : «كفاية الجنايات الصادرة من الطلبة والطبجية المتعلمين ببلاد افرانصيص، وكيف عوقبوا عليها بالسجن بإذن الكرونيل المكلف الفرانصيصي، وذلك بمبلي، بلاد افرانصة» وهو خلو من التاريخ، وأصله بمديرية الوثائق الملكية، محفظة التعلم بالخارج.

أجل الكسوة 290،37 فرنكا سنة 1886 و535،10 فرنكا سنة 1887، وأنعم على كل واحد منهم بمونة فرنكين في اليوم، وعلى الترجمان بست فرنكات يوميا[181].

وفي ذلك تقول رسالة مخزنية سنة 1885 «بأن المتعلمين 12 الموجهين مع الخديم السعيدي لباريز لم يلزم في سفرهم معه بحرا شيء، وجعل لكل واحد منهم في مئونته خمسا 2 ريال، وللترجمان ريال وخمس ريال، فاجتمع في مئونة ستة 6 أشهر بحساب ذالك خمسة ءالاف وأربعمائة من الفرنك.... فقد أمرنا الامناء...» بدفعها[182].

وهكذا كان المخزن يدفع الصوائر كل ستة أشهر مسبقة : يوم 25 يونيو ويوم 25 دجنبر. والدفعة الاولى سددها السفير السعيدي في عين المكان. ومع ذلك كان يقع التأخير. ففي رسالة لهذا السفير حث على توجيه المؤونة بعد أن كان فيرو قد جدد له الكلام في شأنها على لسان وزير خارجية بلاده. قال السعيدي متأثرا : «لأن سيدنا لا يرضى بعسكره يبقون ضياعا بالجوع حتى يرفعون شكايتهم لوزير أمور البرانية بدولة الفرنصوية»[183] على حد تعبير السعيدي المفهوم ولو مع لحنه. فأرسلت المنحة فعلا بعد ذلك وأمر السلطان نائبه بأن يوجه «للمتعلمين بافرانسة مئونة خمسة أشهر أخرى على يد الباشدور، وذلك عند انصرام الخمسة أشهر الأولى التي وجهت لهم مئونتها. وكتابنا للأمناء بمرسى طنجة بذالك يصلك طيه»[184].

أما عن تعليمهم فقد كانوا يتدربون مثل نظرائهم الفرنسيين : كالهد بالبارود وتحصين القناطر وحفر الخنادق ومسح الأرض إلخ. وكانوا في الصباح يتعلمون الفرنسية والحساب والهيأة والجغرافية والكيمياء والفيزياء، وكان الترجمان يتولى تبليغ ذلك لهم نقلا عن مدربيهم. وابتداء من ماي 1886 لم يصبح عددهم إلا عشرة بعد رد اثنين منهم إلى المغرب حسبما مر بنا أعلاه، وكانوا في العشي يتلقون دروسا تطبيقية، وكان اثنان منهم ـ كلما كان الجو ممطرا لا يسمح بالخروج والتفسح ـ يتعلمان دروسا في التلغراف الجوي مع الطلبة الفرنسيين. وقسم المتعلمون إلى ثلاث مجموعات : الأولى كان فيها الرابع والخامس والسادس والثامن، وفي الثانية جعل السابع والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر. وبقي كل من التاسع والعاشر وحدهما، فقد كانا أميين. وكانت النقط المخولة لهم جيدة وتفوق المعدل : 15 حتى 19 من 20 في بعض الأحيان، وكان الكثير منهم مجتهدا في دروسه، بعد أن كان بعضهم ناقص المستوى في البداية.

كانوا كلهم يجهلون الفرنسية جهلا مطلقا فطلب الترجمان إرجاعهم بعد ثلاثة أشهر من مقامهم، اذ لم تكن قد تحددت من قبل مدة دراستهم. غير أن فيرو لم يقبل، إذ كان بواسطتهم يريد أن «يخلب أبصار الطلاب ويبهرهم بعظمة فرنسا وحالة حضارتها». فوقع اتفاق لتمديد أجل تعلمهم، ووضعت سنة 1887 برامج كانت مفيدة لهم.

---

181. جاك كايي : «المتعلمون...».

182. رسالة السلطان إلى الطريس في 10 قعدة 21/1302 غشت 1885، تطوان 146/3.

183. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 شوال 7/1302 غشت 1885، تطوان 27/128.

184. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 محرم 15/1303 أكتوبر 1885، تطوان 4/4.

حتى إذا أقبلت سنة 1888 كان المغاربة قد تعلموا ما كان يتوخى منهم، فكتب فيرو يسترجعهم من غريط.ثم إن الضباط الفرنسيين لاحظوا لدى المتعلمين شدة اشتياقهم لوطنهم ونوعا من فتور الهمة في الدراسة والتحصيل بعد غربة استمرت نحوا من ثلاث سنوات، فكتب المسؤول عنهم الى وزير فرنسا بطنجة يوم 27 يونيو أن آن الأوان للمخزن لاستردادهم والافادة من تعلمهم، معبرا عن خوفه من فساد أخلاقهم بطول مقامهم. وقد استلزم رجوعهم عدة شهور من المفاوضة. وفي شهر دجنبر 1888 قبل المخزن رجوع المتعلمين التسعة الباقين بعدة عودة المتعلم الثالث عشر المريض، فتوجهوا إلى مرسيليا ثم وصلوا إلى طنجة يوم 16 منه، فاستقبلهم الطريس، شاكرا المكلف بالأشغال بوتيرون Boutiron (لأن الوزير فيرو كان قد توفي يوم 19 نونبر السابق)، ومنوها بحسن عناية فرنسا بهم.

وكان غريط قد كتب في شهر نونبر 1888 إلى فيرو موافقا على رجوعهم وطالبا أن يمدد مقام أربعة أو خمسة منهم بعض الوقت لتعلم الكهرباء لتسيير الآلات المهداة من قبل إلى السلطان، لكن طلبه وصل متأخرا إلى الحكومة الفرنسية بعد أن كان المتعلمون قد غادروا مونبوليي. وأعادت الحكومة المغربية الكرة فاختار الكولونيل أربعة من أنجب طلاب المدرسة. وقال كايي إنه بالرغم من أبحاثه لم يعثر على وثيقة تدل على تطبيق هذا التدريب المقترح.

ومن جهة أخرى بدأ الحديث يدور في شهر يونيو 1888 عن تبديل الفوج الراجع بوفد آخر يتألف من خمسة عشر طالبا يتدربون لا بمدينة مونبوليي ولكن بفيرساي من ضواحي باريس. وظهر لفيرو أن يطلب من القبطان جول إيركمان أن يتولى تعليمهم بعد أن غادر قيادة البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب، فقبل اقتراحه وعبر عن رغبته في أن يكسى الطلبة كساء جيدا، وأن يختاروا من أفضل البيوتات، لكن هذا المشروع لم يتحقق، حسب جاك كايي الذي ختم بحثه بهاته الفقرة الموالية :

والظاهر أن مكوثهم بفرنسا أسفر عن نتائج جيدة لم يحسن المخزن استغلالها. وتدل التقارير والمراسلات المتبادلة بين المدرسة والمفوضية الفرنسية من جهة أولى، وبين الترجمان محمد العلج والمفوضية والمدرسة من جهة أخرى على أن الكثير من هؤلاء المتعلمين كانوا مجدين في أعمالهم[185].

وقبل أن أعرض لما جاء في مصادر مغربية أشير إلى أن أفواجا من صناع معامل السلاح المغربية قد تدربت منذ سنة 1884 بفرنسا وإنجلترا[186] دون أن أقف على أعدادهم ولا على أسمائهم.

وسأفسح المجال لتفاصيل أخرى لم ترد في المصادر الاروبية بما ينبغي من التوسع وسأسوقها من الوثائق المخزنية.

ففيما يرجع لأسماء الطلبة الأربعة الذين اقترحوا لتعلم الكهرباء جاء في مسودة جواب مخزني إلى سفير فرنسا :«وصلنا كتابك بأن الطلبة الذين تحققت نجابتهم من الذين كانوا بافرانسة يتعلمون هم الأربعة الذين سميتهم بطرة كتابك، وهم الذين يصلحون لتعلم ضوء

185. جاك كايي : «المتعلمون...» بشيء من الاختصار، وقد خللتُ دراستهُ باقتباسات من الوثائق المغربية.
186. «المغرب وأروبا» ج 4 ص 97 (1).

الكهربة، وطلبت توجيههم مع الذين ينتخبون من الرباط وسلا والعرائش صحبة البرطقيزي ليترجم لهم...»[187].

وفي طرة المسودة المذكورة أربعة أسماء هي : صالح وابن سعيد والحساني (وهم على التوالي المتعلمون الخامس والثامن والحادي عشر) وأبلاح الذي لم أعرفه والذي أحاول أن أعثر عليه من بين الطلبة والصناع الستة الباقين بفرنسا إلى حين رجوعهم جميعا مع المتعلمين الثلاثة السابق ذكرهم. فليس أبلاح هو المتعلم السابع ولا التاسع ولا العاشر لأنهم أميون وقليلو الذكاء، وليس هو المتعلم الرابع محمد بن عبد الرحمان المراكشي ولا السادس عبد الله الوديي. وإنما أرجح أن أبلاح هو عمر بن محمد المسفيوي المتعلم الثاني عشر الذي لا يدل نسبه القبلي هذا أو البلدي على تخصيص وإنما على تعميم. ولما ساق كاتبي اسمه لم يورد معه نسبه، فتعين أن أميل إلى أنه هو نفسه، إذ لو كان الطالب الرابع أبلاح المقترح في المسودة هو صاحب رقم 4 أو رقم 6 من أعضاء الفوج الثاني لكتب اسمه واضحا في الطرة : المراكشي أو الوديي.

ومهما يكن فقد قر عزم السلطان على توجيه الطلاب واختيار أربعة من أهل الرباط، فكتب رسالتين إلى كل من عامل المدينة وأميني مرسى العدوتين بإيفادهم إليه بقصد الاختبار بالعاصمة[188]

وفضلا عن هؤلاء الأربعة المقترحين في المسودة جاءت من قبل إشارات في مسودتين أخريين يفهم منهما أن النية كان قد عقدت على توجيه 15 طالبا من أهل العدوتين والعرائش لتعلم المدفعية بفيرساي. فلنستشهد ببعض ما رود فيهما لمعرفة ذلك، ولو مع التكرار.

قالت إحداهما :

«وبعد فقد أنهيت لشريف علم مولانا نصره الله ما أرادته دولتك الفخيمة من رد المتعلمين الذين ببلادكم لهنا حيث كملوا أربع سنين وحصلوا ما توجهوا لتعلمه، وتوجيه خمسة عشر متعلما بدلا عنهم يتعلمون علم تطبجيت ويتوجه معهم البردقيزي الذي كان مع المتعلمين الذين بصدد الرجوع من بلادكم ليكون يترجم للخمسة عشر الذين يتوجهون لها.

«فأمرني أعزه الله بالكتابة لك بأن تجيب دولتك المحبة بأن ترد المتعلمين الذين حصلوا ما توجهوا لتعلمه، وبأنه-دام تأييده-لا يكره أن يبقى أربعة منهم أو خمسة ببلادكم يتعلمون بها علم ضوء الكهربة ليكونوا يباشرون بها فنارات الضوء المذكور التي كنتم أتحفتم بها حضرته الشريفة وغيرها، لكونهم تدربوا وتعلموا اللسان، فيمكن أن يتعلموا علم الضوء المذكور في أقرب مدة، بخلاف الذين يتوجهون من هنا فلا يتعلمون ذالك في مدة قريبة، حيث لم يتدربوا ولم يعرفوا اللسان، إن جاء ذالك على خاطر الدولة المحبة. وإلا فيرجعون كلهم للحضرة الشريفة. وحيث يتوجه الخمسة عشر متعلما لقراءة علم تطبجيت يتعلم الكل علم الضوء المذكور، فإن سيدنا أعزه الله قد أصدر أمره الشريف بانتخابهم وتوجيههم لك على يد النائب السيد الحاج محمد الطريس، لتوجههم لبلادكم على يدك بقصد ما ذكر. ودمت بخير»[189].

187. مسودة جواب إلى باطنوطر في 8 شعبان 9/1306 أبريل 1889، الترتيب العام.

188. تاريخهما 8 شعبان 9/1306 أبريل 1889، ورقمهما هو 11.702 و11.703 (م و م).

189. تاريخ المسودة في 19 صفر 15/1306 أكتوبر 1888، محفظة التعلم بالخارج.

وجاء في المسودة الأخرى :

«وصلنا كتابك بأن من ظهرت نجابتهم من المتعلمين بباريز[190] الذين استفهمت عنهم الحضرة الشريفة لتردهم لها يتعلمون ضوء الكهربة هم الأربعة المسمون بطرة كتابك، وطلبت توجيه المتعلمين الذين ينتخبون من الرباط وسلا والعرائش لطنجة صحبة البردقيزي كَسْتَرُ لتوجههم لافرانسة يتعلمون علم تطبجيت، وأطلعت بكتابك شريف علم مولانا وصار نصره الله على بال من جميع ما ذكرته فيه.

«وأمرني-أيده الله-أن نجيبك عن ذالك بأن الأربعة المشار إليهم الذين يردون لباريز بقصد تعلم علم ضوء الكهربة قد صدر الأمر بتوجيههم للحضرة الشريفة ليوجهون (= ليوجهوا) لك منها لطنجة لتوجههم لباريز على يدك بقصد ذالك، وبأن الذين يتعلمون علم تطبجيت قد صدر الأمر لعمال المدن المذكورة بتوجيههم للحضرة الشريفة ليختبروا من جهة السن والقابلية وسلامة الأعضاء. وحينئذ يوجهون لك صحبة البردقيزي المذكور على يدك بقصد تعلم تطبجيت»[191].

ونستخلص من الوثيقتين الأخيرتين أن المذاكرات كانت لا تزال جارية سنة 1889 لايفاد أربعة لتعلم الكهرباء إن أمكن، وإلا فيتعلمه البعض من الخمسة عشر المنوي توجيههم إلى فيرساي. وبديهي أن هذا المشروع لم ير النور لأسباب لا تزال مجهولة. ولعل التراجع كان من قبل الحكومة الفرنسية وحدها.

خاتمـــة

هاته عُجْلة عن مجموع المتعلمين[192] أردت بها الكشف عن جوانب من العلاقات الثقافية بين المغرب والدول العربية والأجنبية، ولزمني من أجلها استقراء واستقصاء يفيدان حتما في قراءة متأنية لتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر.

إن هاته الدراسة المستقاة أساسا من وثائق مخزنية أبرزت جوانب مشروع الاصلاح الذي لو قدر له الاستمرار لقلب الأوضاع نظريا.

وهذا يدعونا إلى التوقف قليلا لطرح طائفة من الأفكار والاستنتاجات المتواضعة بشأن هذا التعلم بالخارج.

---

190. عبارة «المتعلمين بباريز» لا محل لها هنا، وهي تدخل الالتباس في وجود بعثة ثالثة لم ترسل إلى فرنسا بالفعل لتعلم المدفعية بفيرساي لعدم دليل على ذلك لحد الآن في المصادر الأجنبية والمغربية على السواء. وصوابها عبارة «المتعلمين بمونبوليي». فالعبارة الأولى المغلوطة أو من سبق القلم تبرهن على أن أهل المخزن لا يعرفون مكان التعلم، ولا يعنون به.

191. المسودة بتاريخ 14 جمادى الثانية 15/1306 يناير 1889، الوثيقة 11.674 (م و م).

192. كانوا يوصفون بـ «المُتعلمين» بضم الميم الأولى وفتح التاء، تمييزا لهم عن مَتعلمي الصنعة بفتح الميم وسكون التاء. كما كانوا ينعتون بالطلبة، سواء في الوثائق المخزنية أو على لسان الناس.

فقد ظهر جليا من خلال ما قرأناه من نصوص، فسحت لها المجال ونقبت عنها تنقيبا مرهقا للنفس، أن الاقبال على هذا التعليم لم يلق ما يكفي من التجاوب لدى الهيئات الغنية والأوليكارشية الحاكمة، وأن الذين انتخبوا لتلقي هذا التدريب كانوا منتمين لطبقات شعبية فقيرة أو متوسطة الحال من أبناء البلديين سكان بعض المدن أو من الآفاقيين المتبلدين.

ومن الحق أن نعترف بأن اختيار المتدربين للتعلم بطنجة وبخارجها لم يكن قط بالاكراه، وإنما كان بالتراضي بين الحكومة والآباء لتوجيه الشبان العازبين. وقليل جدا من الآباء من كانوا يرغبون في ذلك مثل الحاج عبد الرحمان بن إدريس الطنجي الذي علم السلطان سنة 1886 أن له «ولدا طالبا بلغ مبلغ الرجال، وطلب من جانبنا العالي بالله انتظامه في جملة من يتوجه بقصد التعلم عند بعض الأجناس، فساعدناه على ذلك»[193].

فهاته الحالة شاذة وليس قياسية، فقد كان بعض الآباء في الواقع كثيري الضراعة لاعفاء أبنائهم من التعلم ببلاد النصارى، حسبما ذكره الحاج محمد بركاش في الفصل الأول، بل كانوا يتحايلون لابطال هاته الدراسة فيعمدون إلى تزويج أبنائهم في سن مبكر حتى يستكملوا العذر الشرعي بوجوب بقائهم إلى جانبهم لضرورة الانفاق على الأسرة[194].

وإذ نظرنا إلى مجموع المستفيدين من هذا التعليم ألفيناهم نحو 600 متدرب : 425 جنديا وضابطا بجبل طارق، و65 من الصناع ببلجيكا، ونحو 30 بكل من ألمانيا وإيطاليا، والعشرات بمصر، و15 بفرنسا، وأعداد قليلة بإنجلترا وإسبانيا والولايات المتحدة.

بيد أن مدة التدريب لم تتعد الشهور القليلة ولا تكاد إلا نادرا تتجاوز بضع سنوات بإيطاليا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا ومصر. وهكذا اغترب المتدربون بعض الوقت وتحملوا تضحيات بالصبر على فراق الأهل والأحباب، أو بالوفاة في بلاد المهجر، وزج ببعضهم زجا في عالم غريب عنهم، سرعان ما ألفوه، أو عوملوا بالاهمال عند الرجوع فانتظروا عدة شهور لتعيينهم في وظائف جديدة. وأكثر من هذا أنهم كانوا يُتهمون بالجهل والتنصر مثلما رواه الطاهر ابن الحاج، أوبميلان قلوبهم لغير الاسلام حسبما أشيع عن طالبين طنجيين بإيطاليا. على أن منهم من وضعوا في مناصبهم الحقيقية، بينما كان قليل منهم قد تسلقوا الهرم الاداري فأسندت إليهم مناصب وزارية كالگباص.

وكان التعليم بالخارج عسكريا في جوهره، إلا أننا نشك في أن برامجه كانت صادرة عن سياسة مصممة ومعقلنة، ونرجح كثيرا أنه كان مطبوعا بالارتجال سواء في مصير خريجيه أو في مطابقة دروسه لاحتياجات البلاد غير العسكرية، فكان السلطان يستقبل بين الحين والحين سفراء الدول وبعض ضباطها، فيعرض عليهم أو يعرضون عليه استعدادهم لتعليم أفواج من الطلبة ببلدانهم ولتلقي فنون حربية وصناعية، يقبل السلطان بعضها ويرفض بعضها، بعد استشارة من تجب استشارتهم في ذلك.

ولا مبالغة إن قلت إن السلطان كان وحده، بحكم اتصالاته بالديبلوماسيين، مقتنعا بضرورة قطع هاته الخطوة الجديدة في ميدان التنظيم، وأن الكثير من رجال حاشيته كانوا لا

193. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 محرم 24/1304 أكتوبر 1886، تطوان 5/5.

194. الرواية هي للمرحوم محمد بن رضوان بلامين السلاوي.

يؤمنون بها إلا على مضض، مثلما كان العلماء لا يكاد يعنيهم أمرها[195]، فما من أحد من هؤلاء وضع كتابا يدعو به إلى مسايرة العصر وتجديد الدم في الادارة والجيش، وإنما كانوا ينظرون إلى الحرب بنظرة أهل القرون الوسطى، فيعتبرونها كرا وفرا على مثال حرب عنترة بن شداد، غير مستخلصين الدروس والعبر من فضيحة يسلي ولا من موقعة وادي راس، ولا يدرون أن الحرب تنظيم مدروس وستراتيجية علمية يتولى إعدادها وتخطيطها ضباط محنكون ورجال محترفون.

ومهما يكن فالحاصل أن هاته البادرة المتواضعة ـ الخجولة لأنها لم تستمر طويلا ـ كلفت أموالا باهظة أداها مولاي الحسن من الميزانية العامة، لأن المهم في رأيه أن يتعلم المغاربة. وكانت ـ والحق يقال ـ جديرة بالتنويه والاكبار، وكان حريا بالشعب أن يدعمها بتأييده لخلق مغرب عصري.

ولئن تزامنت مع نهضة مصر في عهد إسماعيل باشا، ومع نهضة اليابان في عهد الامبراطور ميجي موتسو هيتو الذي توفي سنة 1912، بعد حكم دام 50 سنة أدخل أثناءه إصلاحات هيكلية على جهاز الدولة، وبعد أن عُمِّر ـ مثل السلطان المغربي ـ ستين سنة، فلم تكتب لخطوتنا نفس النتيجة. إذ بينما انطلق اليابان ولم يتوقف إذا بالجسم المغربي يصاب بالعياء، فمنذ سنة 1889 لم يبق بأروبا إلا القليل من المتعلمين بإيطاليا سنة 1907. وهكذا توقف هذا المد الثقافي والحضاري قبل وفاة السلطان التي كانت نكبة للمغرب ونقمة على المغاربة، وفرصة مواتية ـ ولربما خطة مبيتة ـ من لدن الخصوم المتربصين به الدوائر.

هنا نتساءل : ترى لو امتد الأجل بمولاي الحسن عشرة أو عشرين سنة أخرى ماذا كان سيقع ؟ إذن لانطلق المغرب من عقاله نظريا فقط، ولربما تقوى حتى كسب معارك حربية مثلما ربح اليابانيون حربهم مع الصين سنة 1896. غير أن هذا الاحتمال الوهمي لا يجوز اعتماده إلا إذا ألغيت الاعتبارات الجيوسياسية المعاصرة له : أي إلا إذا نسينا ـ وليس من حقنا هذا النسيان ـ التهافت الخارجي على المغرب الذي ليس موقعه هو موقع اليابان ولا عقلية أبنائه السادرين أو العاصين كنفسية الياباني المنضبط الحازم الدؤوب. كان الأروبيون قد زرعوا طوابيرهم الخامسة (الحماية القنصلية)، وكانوا يحتلون ثغورا بالشمال منذ عهد قديم، وسيجتاحون مواقع بالشرق وبالجنوب. ولم يكن للمغرب سبيل إلى ردهم، ولا حتى إلى قمع حركة تمردية قام بها أبو حمارة : الجيلالي الزرهوني الذي بث الشقاق في أطرافه وجر إلى نفقات ثقيلة، والذي كان بالذات أحد المتعلمين على يد الضباط الفرنسيين[196]، ولو لم يكن أحد هؤلاء المتعلمين بالخارج.

هذا تقييم موقت لحصيلة هاته الدراسة بالخارج التي كانت في الواقع خطوة أولى لم تلها تنظيمات لتجديد هياكل الدولة وإصلاحات إدارية واقتصادية ودستورية تحمي كيان البلاد من الشرور والهوان.

فما من نهضة إلا وكان العلم ـ كل العلم ـ حجر زاويتها.

---

195. يستثنى منهم من تذكرهم المنوني في «مظاهر...» ج 1 ص 335، وما بعدها.
196. عبد الوهاب بنمنصور : «أعلام المغرب العربي» ج 1 ص 304.



أبو بكر بن عبد الوهاب
(وثائق الخزانة الصبيحية)



أحمد الجبلي العيدوني



الحسين الزعري



CIRCOLO FILOLOGICO DI TORINO

SOCIETÀ PROMOTRICE DELL'INSEGNAMENTO DELLE LINGUE VIVENTI

Hussain Zaari

Diploma di Studio di 2° Grado

شهادة للحسين الزعري من طورينو في تعلم اللغات
(الخزانة الصبيحية)



Conferisce

I Attestato di merito

شهادة للحسين الزعري من المعهد الدولي الايطالي
(الخزانة الصبيحية)

ملحــق

ذكريات لأحمد الجبلي العيدوني
الطالب بإيطاليا (1887-1896)

هاته الوثيقة الحاملة رقم 13 في خزانة أحمد الجبلي هي الوحيدة التي بقيت من مخلفاته، وروى له ابنه الفاضل الحاج أحمد بن مولاي أحمد الجبلي العيدوني الطبيب اليوم بالرباط أن أباه كتبها وهو في سجن العلو بالرباط عندما كان معتقلا في قضية الظهير البربري. كتبها بالفرنسية سنة 1930، وكانت تتخللها أغلاط نحوية ولغوية أصلحتها بين معقوفتين دون أن أخل بالمعنى العام، كما أن فيها تشطيبا وإقحاما لكلمات لم أتمكن من قراءتها فتركت مكانا فارغا.

وقد صورها لي ابنه الدكتور الحاج أحمد وأذن لي بنشرها، ففعلت لما تشتمل عليه من إفادات مختلفة. فها هو نصها الفرنسي متبوعا بالتعريب الذي قمت به.

Mémoires de Moulay Ahmed Djebli El Aydouni,
étudiant en Italie (1887 - 1896) — N° 13

Mon origine depuis mon grand-père, le Chérif El Housseini Elaydouni Elâlami Edrissi Sidi Abdullah Ben Abdelouahab Djebli, dont les aïeux sont les descendants directs du huitième fils du Sultan Moulay Driss, le fondateur du Maroc et de la ville de Fez.

Le huitième fils de Moulay Driss s'appelait Sidi Hamza et il fut le dernier sultan drissite de la région de Sijelmassa et du Tafillalet

Sur l'arbre généalogique, qui témoigne de l'origine de mes ancêtres, je suis le dernier de notre famille qui y est inscrit ; et mon inscrtiption, qui est déjà portée sur ledit arbre généalogique, avait été homologuée :

I par le Cadi de Mekenès Sidi Mohammed Ben Abdesselem Ettahiri et en la présence de deux de ses adouls.

II par le Medjeouar, chef des Chorfas Drissites de Mekenès, dénommé Sidi M'Chiche, en la présence de deux adouls du Cadi de Mekenès

III par le Cadi de Fez, Lafki Lâraki, en la présence de deux de ses adouls.

IV par le Medjeouar, chef des Chorfas Drisstes de Fez, dénommé Moulay Taybi El Badraoui, en la présence de deux adouls du Cadi de Fez.

Toutes ces formalités se trouvent facilement sur les registres des copies des deux cadis de Mekenès et de Fez.

Mon grand-père, Sidi Abdellah Elaydouni Elâlami, était né dans son pays de la montagne des Kh'mas chez les Béni 'Arous, en l'année 1173, mais mon père et moi nous sommes de naissance [Rbatis]

Mon grand-père, savant éminent (sous le titre de Ousztad Hamzaoui) était descendu de la montagne pour s'établir à Rabat en l'année 1243 et il y avait ouvert deux écoles coraniques, dans la rue Souika. La première école consistait d'un premier étage situé sur la mosquée connue sous le nom de Djama Koria, en face des vendeurs du poisson frais, dans cette même rue Souika, et la deuxième école se trouvait vis-à-vis de la première, dans un local formant 1er étage situé au-dessus des boutiques de ces mêmes vendeurs du poisson.

Parmi les élèves [Rbatis] qui avaient [tiré] profit de l'enseignement de mon grande-père on peut mentionner : Sy Abdessalem Ronda, père de notre distingué Ministre de la Justice Chérifienne S.E. Sy Mohammed Ronda; le grand père, père et oncle du distingué Ministre des biens Habous, S.E. Sy Méhammed Molin; ainsi que d'autres élèves [appartenant à de] différentes familles des notables de Rabat comme : Souissi, Bacha, Palafredje, Bennani, Moréno, Fredje, Regragui, Ghannam etc, en plus d'un pauvre vieillard vivant encore aujourd'hui à Rabat, comptant de sa vie normale déjà 103 années sans être empêché de fumer tout le temps des cigarettes, et il s'appelle Hazzi [Ezzouaghi] demeurant chez son frère El Arby rue Souika à Rabat.

Après avoir organisé ses écoles, le grand-père épousa Lalla Fatma Bent Lafki Echelh, Ben Sidi Ali Ennacery et de cette union était venu au monde, le 15 Hedja 1245, mon père Sidi Mohammed Ben Abdellah Elaydouni Elâlami.

L'année 1269 le grand-père avait décidé de son voyage à la Mecque et s'accompagna de son fils Sidi Mohammed, mais la mort l'avait [surpris] dans la ville sainte du prophète et il y fut enterré par ce même son fils le 14 du Hedja 1269 dans sa 96e année de la vie utile. Désorienté par la mort de son père, Sidi Mohammed vagabonda dans l'Orient et en Egypte pendant trois années consécutives et ne retourna au Maroc qu'au commencement de l'année 1273, après avoir acquis quatre fois le titre qualificatif du Hadje. De retour à Rabat Sidi El Hadj Mohammed Elaydouni Elâlami organisa sa vie se liant en mariage à Lalla Khadija Bent Sidi Ali Zelzim (Chorfas Drissites) et de cette union plusieurs filles et garçons virent la lumière du jour et parmi ces derniers moi-même né à Rabat le 13 Safar 1283.

Dans l'étude et dans le savoir en général la vie de mon père n'était pas moins brillante de celle de son père Sidi Elhadje Abdellah, et dans les dernières années de sa vie, mon père avait acquis la vénération, poussée

jusqu'à la sainteté même, et près de tout le monde marocain, qui l'avait connu même en dehors de la ville de Rabat. Et il avait été bien regretté quand il avait rendu son dernier soupir, entouré de l'affection de sa nombreuse famille et de sa nombreuse descendance au moment où il accomplissait son centième anniversaire, moins quatre mois de sa vie heureuse, à cinq heures du matin du jeudi 12 Rébia 1er de l'année 1345, correspondant au 1er octobre 1925

"MA VIE"

Me voici arrivé au monde et à Rabat le 13 Safar 1283 et déjà à l'école. Mon frère avait 18 mois de plus de mon âge et nous n'étions pas eu arrivés des élèves éveillés de notre classe. Malheureusement, un jour du jeudi, que tous les écoliers sont en liberté et s'amusaient sur la plage, on avait eu la folle idée de représenter la guerre, on se partagea en deux partis adverses et on [commença] la bataille. Une pierre partie du but de ma fronde, blessa dans sa tête un écolier de mon âge et de ma classe, ses parents portèrent plainte au pacha de Rabat, Sy Mohammed Souissi et mon père alors reçut la convocation pour répondre de mon méfait ; et quoique cette menace [n'eût] pas eu de suite, grâce à la générosité des parents du camarade blessé, qui avaient retiré leur plainte, qu'en même mon père, malgré sa bonté envers moi et mon frère, avait décidé de me punir, pour quelque temps. Il m'avait fait quitter l'école et me confia à un [vieux] Chérif de Mostaganem, sabottier, pour me faire apprendre ce métier

Mais la providence avait bien [mieux pensé] pour moi et pour mon avenir; le Sultan du Maroc, Moulay El Hassan, avait décidé d'envoyer, pour s'instruire en Italie, des enfants marocains, et me voici parmi les quinze choisis et déjà à bord du croiseur italien Garibaldi, en route pour l'Italie le 24 Novembre 1887. En débarquant, à Gênes, l'après-midi du 27 Novembre 1887, nous fûmes reçus sur le quai par le représentant désigné pour guider notre instruction, un nommé Agostino de Grossi, le directeur lui-même de l'institut où nous devrons commencer nos études. Et le 28 Novembre nous arrivâmes à Turin au sein du collège international, via Saluzzo N° 55.

De [toutes parts] des fêtes en l'honneur de notre arrivée et dans toutes les classes; beaucoup de joie mêlée en même temps à la simple curiosité de voir des enfants marocains, et nous nous vîmes entourés des Bulgares, des Arméniens, des Serbes, des Monténégrins, des [Japonais], des Egyptiens et surtout des Abbessiniens et même plusieurs princes : le prince Ahmed Fouad, l'actuel roi de l'Egypte, le prince du Monténegro, frère de l'actuelle Reine de l'Italie, le frère de Ménélik et de Rass Alula 1er, tenus en ōtages, après la bataille de Pogali (?) en 1885 et la défaite du Général Baratieri.

Pour mon instruction on m'avait confié à des bons professeurs, et je n'avais pas perdu mon temps. Après ma cinquième année des études, je rentrai, à l'école des Officiers de l'Infanterie à Modène (Octobre 1891).

J'aimais les mathématiques et le sort m'avait favorisé dans cette même matière, je tentai en conséquent mon examen d'admission à l'académie militaire des Officiers de l'artillerie et du Génie à Turin, et ayant été [reçu] par une moyenne de 17,75/20 de faire savoir, ma joie était à son [comble], car en voyant le prince Ahmed Fouad, sorti officier d'artillerie de cette même académie, une voix d'espérance [m'encouragea] à suivre la même carrière. Trois années d'études dans cette académie (Octobre 1892-15 Juillet 1895) et j'étais en uniforme pour prêter service :

Ie Au 29e régiment de l'artillerie de forteresse dont le siège principal [est] à Turin, mais j'étais détaché au fort Bramafou à Bardonneche.

IIe Au 17e régiment de l'artillerie de la campagne à Novare.

IIIe Près de la 10e Brigade de l'artillerie de la côte, Batterie de Saint Bénigne à Gênes.

Rentré au Maroc et [Ayant] pris service au Makhzen de [Moulay] Abdulaziz, sous le titre de Mohandis, j'avais pris part à la campagne de guerre du Makhzen contre la Chaouia et le Tadla (1897) et étais blessé plusieurs fois. Dans cette même campagne de guerre de la Chaouia et du Tadla, j'avais [rempli] deux missions topographiques pour le Makhzen, la première dans les régions de la Chaouia et du Tadla, sous la protection de Moulay Hafid, qui campait alors en Kalif, et en tant que chef d'une troupe du Sultan Abdulaziz au Kasba Tadla (1897), une deuxième mission dans le Maroc en général 1898-99.

En 1900 j'étais chef de la mission militaire chérifienne, designé par le Makhzen de Sa Majesté Moulay Abdulaziz comme officier d'artillerie pour aller en Allemagne chez Frédéric [Krupp] à [Essen] pour vérifier et prouver sur les champs du tir à Meppen et accepter des canons et des munitions que le Makhzen de Sa Majesté avait achetés à l'usine [Krupp]. Ma mission était ainsi composée : Moi-même Officier d'artillerie, et trois autres officiers [sortant] de l'Ecole de l'Infanterie et de la cavalerie de Modène (Italie) dont :

Ie le lieutenant de la cavalerie Mohammed Ben Omar de Rabat ,ancien caïd du Tabor de la police chérifienne à Tanger (Urbaine).

IIe Le lieutenant de l'Infanterie Sy Mohammed Tadlaoui de Rabat, simple cultivateur à présent au pays des Sraghna.

IIIe Le lieutenant de l'Infanterie Sy Mohammed Ben Elouazzâe de Rabat (mon cousin germain) au San Paolo du Brésil dès 1902.

IVe Un administrateur trésorier de la mission dénommé Sy Ahmed Médina de Tétouan.

En 1901 j'avais préparé et dessiné, pour le Makhzen, la 1ère carte du Maroc, faite par un Marocain, qui avait été imprimée par l'ordre de S.E. le ministre de la Guerre de S.M. le Sultan. Et le 21 Novembre 1901 j'arrivais à bord du croiseur français, Duchayla, en face du port d'Alger, comme membre faisant partie de la mission chérifienne pour la délimitation de la frontière algéro-marocaine, ayant à son chef Sy M'hammed Elguebbas, ministre de la Guerre de S.M. le Sultan Abdulaziz. Et blessé par accident entre Colombe Béchar et Ouakda, le 13 Mars 1902, j'avais décidé de démissionner. Sa Majesté, alors, m'assigna une

petite pension et un dahir au Cadi et au pacha de Rabat m'autorisant d'ouvrir une école à Rabat même, pour enseigner aux enfants marocains les langues étrangères et les mathématiques. Mais les barrières fanatiques que le cadi de Rabat m'avait soulevées pour empêcher l'ouverture de cette école à Rabat, me décidèrent à [mieux] penser et d'organiser ma vie. J'avais épousé une noble russe, instruite, diplômée du 1er prix du conservatoire de [Moscou], fille du noble Alexis Nikalaïwich Bezroukoff, quatre fois maire de la ville de Voronège (pendant 16 ans) où il vit à présent sa 88e année. Elle m'a rendu [l'heureux] père de trois enfants dont un est avocat, les [deux autres] suivent les classes du Lycée. A la fortune et au bonheur qui m'avaient [souri] et [accompagné] tout le temps depuis mon mariage, s'ajoutent les grandes satisfactions morales que mes enfants ne cessent pas de me donner, par les accomplissements de leurs devoirs, comme si cela leur était imposé par un pouvoir suprême, par Dieu Lui-Même, qui veut me récompenser pour avoir fait mon devoir, moi aussi, envers mon père, pour lui avoir évité, pendant les 25 dernières années de sa vie, de se procurer à sa vie, pour lui avoir consacré mes visites tous les jours, tant de matin que de soir, et d'avoir éprouvé à son égard non pas seulement cette tendresse naturelle qui s'inspire de l'âme d'un fils vers l'auteur de ses jours, mais encore le grand respect, respect très particulier et qui est dû à l'égard d'un homme qui [atteint] le centième anniversaire de sa vie [heureuse] représentant pour ainsi dire une autre époque lointaine, plus belle, meilleure, la vie du savoir, la vie philosophe, la vie simple et naturelle.

Celle-ci est ma vie documentée, différente de celle que mes ennemis avaient souflée à la presse massiste et autres presses marocaines. Il a suffi de dire que Djebli est en prison pour que mes ennemis [pensassent] décidément profitable le moment de l'accabler d'injures. On me considéra déchu et c'est la période de libellés misérables et qui ne peuvent qu'être soutenus par des indigènes qui font la cour à la Résidence pour un emploi ou pour un avancement et qui sont jaloux de mon origine et de ma vie indépendante et par aussi des Européens qui jalousent mon bonheur, ma situation et qui sentent en [eux-mêmes] ma supériorité intellectuelle et morale. Ils peuvent donc se permettre le luxe dans cette occasion de ma prison, aussi on m'apppelle le petit rifain, le petit rifain qui a le ton de parler couramment cinq langues européennes et d'écrire et lire couramment et sept, en plus de parler tous les dialectes arabes de l'Afrique du Nord ainsi que le langage

spécial aux Juifs et trois dialectes italiens : le sicilien, le napolitain et le piémontais, en plus de l'honneur

grade d'officier sortant d'une des plus importantes académies de l'Europe, de l'académie italienne à Turin et de quoi il ne faut pas s'étonner. Voici ce que l'histoire nous rapporte du plus grand homme du monde en devant qui j'ai une figure à une plume d'oiseau sur la masse de l'océan.

Après Waterloo : à l'empereur déchu le coup de pied de l'âne est donné de [tous les côtés], on lui conteste jusqu'a son nom et on soutient qu'il ne s'appelait pas Napoléon mais « Nicolas » et le ne Paris [de] 1815 appelle l'empereur Maximilien et non plus Napoléon, pour faire la cour aux Bourbons. Si l'Echo du Maroc et le Soir Marocain du 30 Avril 1931 avaient désiré présenter au public marocain et française un petit et simple rifain, leur acte dépend uniquement de leurs devoirs [saints] qui les obligent à faire autour du trésor qui chaque mois leur paie la subvention. Auraient-ils, avec ça, assez pour payer la diffamation?

Il est dit [cependant] :

. Les blessures par le fer et par le feu peuvent guérir dans un jour, mais les blessures causées par nos langues ne guérissent jamais.

تعريب مذكــرة

أحمد الجبلي العيدوني الرباطي، الطالب بإيطاليا (1887 ـ 1896)

أصلي منذ جدي الشريف الحسيني العيدوني الادريسي : سيدي عبد الله بن عبد الوهاب الجبلي، الذي أجداده منتمون للذرية المباشرة لثامن أبناء السلطان مولاي إدريس مؤسس المغرب ومدينة فاس.

إن ثامن أبناء مولاي إدريس يسمى سيدي حمزة، وكان آخر السلاطين الأدارسة بناحية سجلماسة وتافيلالت.

إنني آخذ من سجل من أسرتنا في عمود النسب الذي يدل على أصل أجدادي. وتسجيلي مصادق عليه من لدن :

1. قاضي مكناس سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري بحضور اثنين من عدوله.

2. المزوار نقيب الشرفاء الأدراسة بمكناس المسمى سيدي مشيش، بمحضر عدلين من عدول قاضي مكناس.

3. قاضي فاس الفقيه العراقي بمحضر اثنين من عدوله.

4. المزوار نقيب الشرفاء الأدارسة بفاس المسمى مولاي الطيب البدراوي، بحضور اثنين من عدول قاضي فاس.

جميع هاته التسجيلات تسهل قراءتها في سجل النظائر عند قاضيي مكناس وفاس.

ولد جدي سيدي عبد الله العيدوني العلمي ببلده بجبل الأخماس عند بني عروس سنة 1173، ولكني ولدت أنا وأبي بالرباط.

نزل جدي العالم الرفيع (المعروف باسم الأستاذ الحمزاوي) من الجبل ليستوطن الرباط سنة 1243، وبها فتح كُتّابين بزنقة السويقة. كان الأول منهما متركبا من طبقة واحدة تقع بمسجد قوريا، أمام حوانيت الحواتة، بزنقة السويقة هاته، وكان الآخر يقع أمام الأول في مكان متركب من طبقة واحدة فوق حوانيت هؤلاء الحواتة أنفسهم.

وممن تتلمذوا على جدي وأخذوا عنه من أهل الرباط يمكن أن نذكر : سي عبد السلام الروندة، والد وزير العدلية الشريفة الممتاز معالي السي محمد الروندة، وجد وزير الأحباس الممتاز السي مَحمد ملين وأبوه وعمه، وكذلك تلاميذ آخرون ينتمون لمختلف بيوتات الرباط مثل : السويسي، والباشا، وبلافريج، وبناني، ومورينو، وفرج، والركراكي، وغنام الخ زيادة على شيخ مسكين لا يزال يعيش اليوم بالرباط وعمره 103 سنة دون أن يتوقف طوال الوقت عن تدخين السجائر ويسمى خجي الزواغي الساكن عند أخيه العربي بزنقة السويقة بالرباط.

وبعد أن نظم جدي كتابيه تزوج بَلاَّلاً فاطمة بنت الفقيه الشلح بن سيدي علي الناصري، فولد له منها أبي سيدي محمد بن عبد الله العيدوني العلمي يوم 15 من ذي الحجة عام 1245.

وفي سنة 1269 قرر جدي الحج إلى مكة ورافقه ولده سيدي محمد، لكن المنية عاجلته بالمدينة المنورة، وتولى ابنه هذا دفنه فيها يوم 14 من ذي الحجة 1269 عن السادسة والتسعين من عمره. وقد أربك الموت سيدي محمد فهام ثلاث سنوات متوالية بالمشرق وبمصر، ولم يعد إلى المغرب إلا في مستهل سنة 1273، بعد أن حج أربع مرات. وعندما رجع الحاج محمد العيدوني العلمي إلى الرباط نظم حياته فتزوج بلالاً خديجة بنت سيدي الحاج علي جلزيم (شرفاء أدارسة)، ومن هذا الزواج ولد له عدة بنات وأولاد، ومن هؤلاء كنت أنا المولود بالرباط يوم 13 صفر 1283.

لم تكن حياة أبي أقل شأنا في العلم والتحصيل بصفة عامة من أبيه الحاج عبد الله، وقد نال أبي في السنوات الأخيرة من عمره الاحترام الذي وصل إلى التقديس من لدن جميع المغاربة بالرباط وحتى من خارجه، وتأسفوا على فراقه يوم أن لفظ نفسه الأخير وهو بين أسرته العديدة وذريته الكثيرة في الوقت الذي اكمل مائة سنة إلا أربعة أشهر من حياته السعيدة، وذلك في الخامسة صباحا من يوم الخميس 12 ربيع الأول 1345، الموافق فاتح أكتوبر 1925.

«حياتـــي»

وها أنا قد ولدت بالرباط يوم 13 صفر 1283 وبالكتاب القرآني، كان أخي يكبرني بـ 18 شهرا ولم نكن في فصلنا تلميذين نبيهين. ولسوء الحظ وذات يوم خميس كان فيه التلاميذ أحرارا يلعبون بالشاطىء خطرت لنا الفكرة الطائشة لتمثيل الحرب. فتقاسمنا إلى فريقين متنافسين وبدأت المعركة. فخرجت حجرة من مقلاعي وجرحت رأس تلميذ من أترابي ومن فصلي، فاشتكى أهله على باشا الرباط السي محمد السويسي، ووصل الاستدعاء إلى أبي ليجيب عن سوء فعلي. ومع أن هذا التهديد لم يكن له من خطر لتسامح أهالي الصديق المجروح الذين سحبوا شكايتهم، ففي نفس الوقت قرر أبي على الرغم من طيبوبته معي ومع أخي أن يعاقبني لبعض الوقت، فأخرجني من الكتاب، ودفعني إلى خراز مسن من شرفاء مستغانم ليعلمني هاته الصنعة.لكن العناية الالهية فكرت جيدا فيّ وفي مستقبلي، فقد قرر السلطان مولاي الحسن أن يوجه للتعلم بإيطاليا أطفالا مغاربة، وها أنا ذا قد انتخبت ضمن الخمسة عشر المختارين، وها أنا ذا على متن الجوالة الايطالية ݣاريبالدي في طريقها إلى إيطاليا يوم 24 نونبر 1887. وعند وصولنا إلى جنوة يوم 27 نونبر 1887 استقبلنا بالرصيف من لدن النائب المعين لتولي تعليمنا وهو المسمى أݣوستينو دي ݣروسي، نفس مدير المعهد الذي سنبدأ فيه دراستنا، وفي يوم 28 نونبر وصلنا إلى طورينو في رحاب الكوليج الدولي بزنقة سالودزو، رقم 55.

وأقيمت حفلات على شرف مقدمنا في كل مكان وفي كل الأقسام، أفراح كثيرة تمتزج في نفس الوقت بالتطلع لمشاهدة أطفال مغاربة، وكنا محاطين بتلاميذ بلغاريين وأرمينيين وسربيين ومونطينيغريين ويابانيين ومصريين وخصوصا حبشيين، وفي نفس الوقت بعدة أمراء : الأمير أحمد فؤاد، ملك مصر الحالي، وأمير مونطينيغرو، شقيق ملكة أيطاليا الحالية، وشقيق مينيليك ورأس أبولا الأول اللذين احتفظ بهما رهينتين بعد معركة بوݣالي سنة 1885 وبعد انهزام الجنرال باراطييري.

ولتعلمي عهد بي إلى أساتذة طيبين فلم أضع وقتي. فبعد سنتي الخامسة من الدراسة دخلت إلى مدرسة ضباط المشاة بمدينة مودينا (أكتوبر 1891).

وكنت شغوفا بالرياضيات وواتاني الحظ في هاته المادة نفسها ، فحاولت تبعا لذلك أن أخوض امتحان قبولي في الأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية والهندسة الحربية بطورينو، ولما نجحت بمعدل 17،75 من 20 كم كان فرحي عظيما، لأني لما رأيت الأمير أحمد فؤاد قد تخرج ضابط مدفعية من نفس هاته الأكاديمية، شجعني صوت الأمل لمتابعة نفس التخصص . وبعد ثلاث سنوات من الدراسة في هاته الأكاديمية (أكتوبر 1892 ـ 15 يوليوز 1895) كنت مرتديا الكسوة ومستعدا لكي أخدم في :

1. الفصيلة 29 من مدفعية الأبراج التي كان مقرها الأساسي بطورينو، لكني انتدبت للعمل في برج براماڤو، بمقاطعة باردونيكا.

2. الفصيلة 17 للمدفعية بنوفاري.

3. الفرقة 10 من مدفعية الشاطىء، وحدة سان بنينيو بجنوة.

ولما أبتُ إلى المغرب واستخدمت في مخزن عبد العزيز بصفتي مهندسا شاركت في الحملات الحربية للمخزن ضد الشاوية وتادلة (1897)، فأصبت بجراح عدة مرات. ففي هاته الحملة الحربية بالشاوية وبتادلة قمت للمخزن بمهمتين طوبوغرافيتين : الأولى بنواحي الشاوية وتادلة تحت حماية مولاي حفيظ الذي كان مخيما في ذلك الوقت بوصفه خليفة، وفي نفس الوقت بقائد لجند السلطان عبد العزيز بقصبة تادلة (1897)، والثانية في المغرب بصفتي جنرالا سنة 1898 و1899.

وفي سنة 1900 كنت رئيس وفد عسكري مغربي عينني مخزن جلالة مولاي عبد العزيز بوصفي ضابط مدفعية للذهاب إلى ألمانيا عند فردريك كروب بإيسن لكي نختبر ونقبل في مكان الاطلاق بميبن مدافع وذخائر كان مخزن صاحب الجلالة قد اشتراها من معمل كروب. وكانت بعثتي متركبة كما يلي : مني بوصفي ضابط مدفعية ومن ثلاثة ضباط آخرين متخرجين من مدرسة المشاة والخيالة بمودينا (إيطاليا) ومنهم :

1. ليوتنان الخيالة محمد بنعمر الرباطي (قائد طابور البوليس الشريف بمدينة طنجة).

2. ليوتنان المشاة السي محمد التدلاوي الرباطي، وهو اليوم مجرد فلاح ببلاد السراغنة.

3. ليوتنان المشاة السي محمد بن الوزّاع الرباطي (من أقرب أقاربي) الموجود بالبرازيل بمدينة سان باولو منذ سنة 1902.

4. أمين صائر الوفد المسمى السي أحمد مدينة التطواني.

وفي سنة 1901 أعددت ورسمت للمخزن أول خريطة للمغرب وضعها مغربي طبعت بأمر معالي وزير الحربية لجلالة السلطان. وفي 21 نونبر 1901 وصلت على متن الجوالة الفرنسية دوشايلا إلى مرسى الجزائر بصفتي عضوا في اللجنة المغربية لتخطيط الحدود المغربية الجزائرية، وكان على رأسها السيد مَحمد الكباص وزير الحربية لجلالة السلطان عبد العزيز. ولما أصبت عرضا بجراح بين كولومب بشار ووكْدة يوم 13 مارس 1902 قررت أن أستقيل، فأنعم علي صاحب الجلالة بجراية صغيرة وبظهير إلى قاضي الرباط وعاملها يأذن لي بفتح مدرسة بالرباط نفسه لتعليم الرياضيات واللغات الأجنبية للأطفال المغاربة. لكن حواجز التعصب التي أقامها القاضي للحيولة دون فتح المدرسة بالرباط حملتني على التروي وعلى تنظيم حياتي. فقد كنت تزوَجت بنبيلة روسية مثقفة وحاملة لديبلوم الجائزة الأولى للمعهد الموسيقي بموسكو، وهي كريمة النبيل أليكسيس نيكالايفيتش بيزروكوف الذي كان طيلة 16 سنة عمدة لمدينة فورونيج حيث يعيش اليوم في الثامنة والثمانين من عمره. فقد جُعلتني الأب السعيد لثلاثة أطفال، واحد منهم محام بمراكش، والآخران يتابعان دروسهما بالليسي. فإلى جانب الحظ والسعادة اللذين ابتسما لي ورافقاني طوال الوقت منذ زواجي يُضاف

الرضى المعنوي الكبير على اجتهاد أولادي الذين لم ينفكوا يبذلونه للقيام بواجباتهم، كما لو أن هذا فرض عليهم من لدن قوة عليا، من الله تعالى الذي يريد أن يجازيني على أن قمت - أنا أيضا - بواجبي إزاء أبي لأني جنبته، خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة من عمره، أن يتكلف بحياته، ولأني كنت أزوره كل يوم صباح مساء، ولأني شعرت إزاءه لا فقط بهذا الحنان الطبيعي الصادر من نفس ولد على والده، ولكن أيضا بالاحترام، وبالاحترام الخاص الواجب لرجل بلغ المائة سنة من عمر سعيد، ويمثل في الجملة عهدا آخر بعيدا، أجمل، وأفضل، حياة المعرفة والحياة الفلسفية والحياة البسيطة والطبيعية.

هاته حياتي موثقة ومختلفة عن الحياة التي لقنها أعدائي لصحافة ماس وغيرها من الصحف المغربية. فيكفي أن يقال إن الجبلي في السجن لكي ينتهز أعدائي الوقت انتهازا جليا لصب شتائمهم علي، فيعتبرونني مقضيا علي، وهو وقت التخرصات البئيسة التي لا يمكن أن تؤيد إلا من بعض الأهالي المتملقين للاقامة [العامة] من أجل منصب أو من أجل ترقية ،الذين يغارون من أصلي ومن حياتي المستقلة، وكذلك من لدن أوروبيين يحسدونني على سعادتي ومكانتي، ويشعرون في أنفسهم بتفوقي الفكري والأخلاقي، مبتهجين بمناسبة سجني. ولهذا يسمونني الريفي الصغير، ذلك الريفي الصغير الذي له قدرة التحدث بطلاقة بخمس لغات أوروبية، والذي يكتب ويقرأ بطلاقة سبعا، زيادة على نطقه بجميع لهجات الشمال الافريقي، وكذلك باللغة الخاصة باليهود، وبثلاث لهجات إيطالية : الصقلية والنابوليطانية والبيمونطية زيادة على شرف

رتبة ضابط خريج واحدة من أهم أكاديميات أروبا والأكاديمية الايطالية بطورينو وما لا ينبغي التعجب منه. وهذا ما يفيدنا به التاريخ عن أعظم رجل في العالم، لي أمامه صورة على ريشة فوق كتلة المحيط .

بعد معركة واطيرلو تكال للامبراطور المخلوع رفسات حمار من كل جهة، ينكرون عليه حتى اسمه، ويدعون أنه لا يسمى نابوليون ولكن نيكولا الباريسي سنة 1815 ينادي على الامبراطور ماكسيميليان وليس على نابليون تزلفا لأسرة بوربون الملكية. فإذا كانت جريدة ليكو دو ماروك ، وجريدة لسوار ماروكان في عدد 30 أبريل 1931 راغبتين في أن تقدما للقراء المغاربة والفرنسيين ريفيا صغيرا وبسيطا، فإن عملهما رهين فقط بواجباتهما المقدسة التي تفرض عليهما أن تقوما به حول الخزينة العامة التي تؤدي لهما إعانة شهرية. فهل مع هذا يكون لهما ما يكفي لدفع تعويض عن القذف ؟

ويقال مع ذلك : إن الجراح بالحديد وبالنار تندمل ذات يوم، لكن الجروح باللسان لن تلتئم أبدا.

الباب الخامس عشر

التنصير والهداية

في الربع الرابع من القرن التاسع عشر وفدت على المغرب طوائف بروتيستانتية انجليزية وأمريكية، راغبة في قلب اعتقاد الكاثوليكيين وتنصير اليهود والمسلمين.

وهذا باب سنعالجه في عدد من الفصول والمباحث وبشيء من الاختصار والتركيز، سيكون الفصل الأول جردا للطوائف المسيحية.

وثانيها سيحصي فيه المُرسَلون من شتى الهيئات والجنسيات في المراكز المقيمين بها.

وثالثها سيعرض لنشاط المبعوثين من تطبيب وتعليم وتنصير.

أما الفصل الرابع فسيتناول الوجه الآخر، وهو عمن هداهم الله بهدي الاسلام.

ولابد أن يكون هذا الموضوع شيقا في هاته الفترة التي يجتاز فيها العالم الاسلامي مرحلة من الصحوة، ويشق الطريق إلى أصالته واسترداد مجده.

إلا أن الصعوبة الكبرى في تناوله على الوجه المرغوب هي في ندرة المؤلفات العربية، وصمتها المحزن عن هاته الظاهرة التي بدأت تتسلط عليه منذ عهد بعيد.

ولاريب أن يكون فيما سيأتي ـ استنادا إلى مراجع مختلفة عربية وعجمية، وإلى مصادر التراث المغربي العربي القليلة ـ حافز على تسليط ما يستطاع من أنوار. ومع ذلك سيبقى فضل السبق لبحث شيخي جان لوي مييج عن البعثات التنصيرية من سنة 1875 إلى 1905 وبحث دينيس فليبس عن الارساليات الأمريكية بالمغرب من خلال المصادر الأجنبية.

(1) هيئات المنصرين

عُرفت البلدان الاسلامية (ومنها المغرب) بمنح الحرية الدينية لغير المسلمين مقابل تأدية جزية لم تكن باهظة القدر، يدفعها ـ خاصة ـ اليهود الذين كانت أعدادهم تفوق أعداد النصارى بكثير. والنصارى كانوا دائما غير مغاربة. وقد عادت البعثات الفرانسيسكانية للاستقرار بالمغرب بعد حرب تطوان : سنة 1860 بهاته المدينة، وسنة 1868 بالدار البيضاء وبالصويرة، وسنة 1869 بالجديدة، وسنة 1880 بالعرائش وبأسفي، وسنة 1890 بالرباط[1] التي كان يوجد بها أيضا قس بروتيستانتي إنجليزي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حسبما سنقف عليه.

ولا يجوز أن ننسى أن أثر الحملة الصليبية كان لايزال حيا في النفوس، ولاسيما أثناء حرب تطوان عندما حُوِّل مسجد بهاته المدينة إلى كنيسة.

---

1. جان لوي مييج : «البعثات البروتستانتية بالمغرب : 1875-1905» في «تمودا» المجلد 42 ص 153.

الفرايلية (أي الاخوان) الكاثوليكيون الفرانسيسكانيون كانوا مدعمين من طرف الحكومة الاسبانية، وكان نشاطهم محصورا في مدن الشمال القريبة من اسبانيا. وقد اشتهر من الأسبانيين غلاة خطيرون مثل كابريال ماورا كاماثو : G. Maura Gamazo الذي كان ينادي بدعم النفوذ الأجنبي في المغرب بمختلف الوسائل. ومما قاله في بداية القرن العشرين : «... لكي نتسرب إلى المغرب بسلام، يتعين ـ أولا ـ تجريد أهله من الاسلام»[2].

كان الكاثوليكيون، ولاسيما الاسبانيون، لا يقصدون إلا إلى محافظة الأسارى من النصارى على عقيدتهم يوم كان هؤلاء سجناء بالمغرب إثر عمليات الجهاد القرصني، أو يوم كانوا مستخدمين بالجيش أو بالادارة أو بالقصور السلطانية، مع بقائهم على ديانتهم. ولم يكن مراد الكاثوليكيين في القرن الماضي تمسيح المغاربة، ولهذا لم يكن لا المخزن ولا العلماء يرون في وجودهم خطرا ما على العقيدة.

ومثل هذا لم يكن في نية الفرنسيين وخصوصا في هذا الوقت بالذات. ولم تكن محاولات شارل ده فوكو ذات بال على الاطلاق، لانه مر سائحا بالمغرب، ولو أنه بعد ذلك اتخذ ديرا بالجنوب الجزائري. وكانت مساعي الكاردينال لافيجري لا ترمي إلى ذلك في المغرب، ولو أنه أرسل «الآباء البيض» متوغلين بأقاصي الصحراء لتنصير أهلها وفتح المدارس في أواسط القرن التاسع عشر. ولم تكن تآليف ألفريد له شاطوليي إلا فاضحة لنشاط البروتيستانتيين بأقطار المشرق العربي والقارتين الآسيوية والافريقية.

وعلى النقيض من ذلك كانت جهود البروتيستانتيين. فقد كان الانجليزيون منهم قسما ميثوديين منشقين عن الكنيسة الأنجليكانية. وكانوا نشيطين وذوي جرأة، ومنهم من كان متنطعا. كانت لهم هيئاتهم المتنوعة، ووسائلهم المادية والبشرية الحديثة، وخططهم النفسانية.

وكانوا يجدون ما يحتاجون إليه من دعم رسمي من حكومات بلادهم، ومن تأييد سافر أو مستتر، ولاسيما في نهاية القرن الفارط، بعد أن كان نشاطهم منعدما قبل سنة 1875.

ويتعين في هذا الفصل إثبات أسماء هاته الهيئات والطوائف. لكن ينبغي قبل ذلك الاشارة إلى أنها لم تكن ترمي في بداية أمرها إلا إلى تنصير اليهود دون المسلمين. وبعد ذلك راودت الاسبانيين والمسلمين عن ديانتهم.

1. لندن دجويس سوسايطي : London Jew's Society. لما استوطن يهود من تجار الصويرة مدينتي لندن ومانتشيسطر في الثلث الأول من القرن الماضي، صاروا يفكرون بعد تنصيرهم في تأسيس جمعية لهذا الغرض. فبدأت أعمالها بالصويرة وأسست هاته الجمعية التي أسميها «لج» باختصار.

ولا يظهر أنها كانت ذات نفوذ في الأوساط اليهودية لا بالصويرة، ولا بتطوان، وذلك عندما حاول يهودي صابىء أن ينصر يهود هاته المدينة الأخيرة سنة 1858. وكانت النتيجة

---

2. عبد الله العروي : «الاصول...» ص 258 (نقلا عن كتاب ماورا : «القضية المغربية...» ص 197).

أن أهين واحتقر ودمرت النسخ التي كان يحملها من الانجيل، وسرعان ما عدل عن مسعاه.

غير أن استقرار كينسبورغ بالصويرة سنة 1875 دفعه إلى بذل نشاط ملحوظ في هذا الباب لم ينته بعد رحيله عنها، لِمَا أحدثه عمله من رفض من لدن الأوساط اليهودية خاصة ورفعها شكوى به لدى السلطات المغربية.

هذا ولم يتعد عدد أفرادها أصابع اليد، ولم تكن لها إلا محطة واحدة، وبالصويرة خاصة.

2. بريتيش أند فورين بايبل سوسايطي : British and Foreign Bible Society
تأسست «بريتيش» على يد وليام ماكينطوش بمدينة طنجة سنة 1882. وكانت لها محطة واحدة وخمسة منصرين وأعوان. ولم تكن هي - ولا سابقتها - تتعاطى العلاج، وإنما كانتا مقتصرتين على تنصير المغاربة وتفسير الانجيل بطنجة وأحوازها.

3. نورث أفريكا ميشن : North Africa Mission، استوطنت المغرب سنة 1883 وكانت لها فروع بعدد من الأقطار العربية، فلقد أسست بالجزائر سنة 1879 محطات كان يشتغل فيها أربعة عشر منصرا، وأنشأت سنة 1885 محطات بتونس اشتملت على ثمانية وثلاثين مبعوثا، كما أنها وجهت إلى طرابلس أربعة منصرين سنة 1888، وإلى مصر ثلاثة عشر مرسلا سنة 1890، بينما كان لها مركز بشمال الجزيرة العربية سنة 1886.

أما بالمغرب فكان لها سنة 1900 خمسون من الأفراد، منهم سبعة وثلاثون منصرا، واتخذت أربع محطات : واحدة بتطوان، وثانية بطنجة، وثالثة بالدار البيضاء، ورابعة بفاس وصفرو، وذلك بين سنتي 1891 و1900. وارتفع بسرعة عدد الاعوان والممرضين والاطباء والمتجولين : كان لها سنة 1886 ستة أفراد، صاروا 14 سنة 1889، ثم 16 سنة 1891 ليصبحوا 37 شخصا سنة 1900. وهكذا كان لها وحدها نحو النصف من مجموع أعضاء الهيئات الباقية (50 من أصل 98). وقد جعلت منطقة نفوذها هو شمال المغرب، حسبما يدل عليه اسمها الذي هو أيضا عنوان صحيفتها.

4. سوذرن مروكو ميشن : Southern Morocco Mission.«سوذرن» ثاني هيأة بروتيستانتية بالمغرب بعد نورث أفريكا، من حيث الأعداد والتجهيز والمحطات.

وكانت الدار البيضاء هي الحد الفاصل بين «منطقة نفوذها» ومنطقة «نفوذ» التي قبلها. لانها اختصت بالجنوب حسبما يدل عليه اسمها. وكانت لها صحيفتها «ذ. ريبر : The Reaper» (أو الحصَّاد).

وتأسست بالصويرة سنة 1888 على يد جون أنديرسون J. Anderson الذي كتب بجريدة «ذ. ريبر» مقالات عن المغرب، مشيدا بثروته وبسكانه وبأهميته المستقبلية. فوردت عليه اكتتابات ووفد عليه متطوعون لمشروعه التنصيري.

وقد خلا الجو لهيأة سوذرن. بعد رحيل كينسبورغ واستقالة بولدوين من هياة نورث ثم مبارحتهما معا أرض المغرب، لكي تنشأ النواة الأولى لوجودها بالصويرة أولاً، ثم ببقية مدن

3. مييج : «البعثات...» من ص 154 إلى 166 ثم ص 190

الجنوب ثانيا. وكان القصد من إرسال كوثبرت نيرن إلى هاته المدينة هو بحث إمكانية الاستيطان ومد خطوطه وقنواته.

وفي سنة 1889 كانت لها أربع محطات ضمت تسعة منصرين، ثم صاروا اثني عشر سنة 1891، وارتفع عددهم إلى ستة عشر (منهم 8 بالصويرة و4 بآسفي و2 بالجديدة) إلى أن بلغوا تسعة عشر سنة 1900. وكانت لها أيضا مدارسها ومستوصفاتها.

وكانت سنة 1892 تنوي إحداث محطات أخرى : واحدة بطرفاية (وذلك بإيعاز محتمل من دونالد ماكينزي)، وثانية بدمنات لكن لم يأت عنها خبر، وثالثة بآزمور.

والظاهر أن الخلافات الحادة التي حدثت بين السفراء البريطانيين والمخزن في شأنهم، والمصاعب المالية للانفاق على المؤسسات التنصيرية كانت حائلة دون بلوغ مقاصدها.

5. سينطرول مروكو ميشن : Central Morocco Mission أسس الدكتور روبيرط كير هيأة أسماها «انكلند بريسبيطريان تشورتش هاوز:England Presbyterian Church House، سرعان ما حولها في مارس سنة 1886 إلى «سينطرول». غير أن أعوانها كانوا قليلين لم يتجاوز عددهم ثلاثة أشخاص منزوين في محطة واحدة فقط.

6. ميلدمي ميشن تو ذ دجويس Mildmay Mission to the Jews. في خريف سنة 1886 وفد على طنجة يعقوب همبليون لاقامة فرع لهيأة «ميلدمي». وكان همها تحويل اعتقاد اليهود الطنجيين. وكانت لها محطة واحدة ضمت ثلاثة أفراد كانوا متطببين.

الهيئات السالفة ذكرا كانت كلها إنجليزية ومن إيقوسيا خاصة. لكن كانت بالمغرب جمعيات متنوعة من الولايات المتحدة، ونشاطها كان ضئيلا ومحدودا في الزمان وفي المكان.

7. كوسبل يونيون ميشن : Gospel Union Mission.محور هاته الجمعيات كان هو كوسبل. وكان ج. فيشر يرأس إحداها بولاية كينزيس. وقد اتخذت لها محطات بمختلف المدن الشمالية : كالقصر الكبير وطنجة وفاس. لكن محطة مكناس كانت هي الأولى إنشاءا، إذ كان مؤسسها يهوديا ألمانيا ورد عليها سنة 1895. بيد أن وزنها كان خفيفا.

وهكذا انضوى تحت لواء هاته الطوائف السبع حتى سنة 1900 حوالي 98 شخصا جلهم نساء. وكان لجميع هاته البعثات 19 محطة منبثة في 12 مدينة[3]. وباستثناء الهيئات الثالثة والرابعة والسابعة لم يكن سائرها إلا مجرد جمعيات ضعيفة الشأن. لكنها جميعها كانت مزودة بالمال وبالأطر وبالتجهيز وبالتخطيط حتى انتهى أمرها حوالي 1905.

إذ في مؤتمر ناشفيل المنعقد بالولايات المتحدة سنة 1906 كان المؤتمرون يفكرون ويبحثون «في رسم خطة تنصير العالم في ظرف 25 سنة»[4]، وذلك هو الوقت الذي انحسر فيه نشاط هؤلاء المنصرين بالمغرب انحسارا بينا.

وسنرى في الفصل الموالي أسماء هؤلاء المنصرين تبعا لانتماءاتهم ولمواطن سكنهم، إلا أن أعدادهم ستكون نحوا من 160 شخصا، ما بين موفدين ومساعدين وأعوان ومروجين.

---

4. ألفريد له شاطوليي : «الغارة على العالم الاسلامي»، الترجمة العربية ص 86، النقطة الثانية.

② أعضاء البعثـات

سنتعرض طوال هذا الفصل لنتف من تراجم أعضاء البعثات التنصيرية على اختلاف هيئاتهم. وسيكون الحديث عنهم مركزا على المدينة التي كانوا في الغالب ساكنين فيها.

المطلب الاول : طنجـــة

أ ـ من هيأة «نــــورث»

اشترت هاته البعثة منزلا فسيحا بحي مرشان جعلته محطة لها، استقر فيه أول أفرادها قدوما إلى طنجة في صيف سنة 1884. وكانت لها أيضا كنيسة ضيقة بطنجة، غير أنه في نهاية سنة 1894 طلب سفير بريطانيا العظمى من المخزن تنفيذ بقعة مجاورة لداره قدر مساحتها ثلاثون قدما من الجهة الشرقية ليزيدها في كنيستهم لصغرها. فعلق السلطان موافقته على إجراء بحث في الموضوع[1].

وكان من دعاتها في هاته المحطة من سيرد ذكرهم في تراجم جد مختصرة :

1. **إ. ف بولدوين : E. F. Baldwin** استوطن المغرب منذ سنة 1870 صحبة بناته وإخوته. وكان له ولزوجته معرفة بالطب، ونشر دراسات بمختلف الجرائد. ولكنه رحل في النهاية إلى الصويرة ومنها إلى الشام حسبما سيأتي.

2. **كيندريكس : Kendriks** كانت من أول الوافدات، حلت بالمدينة سنة 1887، وتجولت بالمغرب صحبة بولدوين بعد استئذان المخزن[2].

3. **إيما هيردمان : E. Herdman** حلت هاته الايرلاندية هنا سنة 1885. وكانت ممرضة نشيطة. وسنجدها بأصيلة وبالعرائش وبالجديدة وأخيرا بفاس. ولاشك أنها هي والتي قبلها كانتا سنة 1888 مقيمتين بمدشر العوّامة بالفحص في خزانة تظلان فيها وتبيتان بها ومعهما رجل صحراوي براني. فاسترعى المخزن عليهما، بناء على شكاية أهل المدشر[3].

4. **تـولـوك : Tulloch** من مواليد إيقوسيا، وصلت إلى المدينة في يناير سنة 1884، ولكنها ماتت في أواخر 1886 بداء الكوليرا. وتخليدا لذكراها أطلقت البعثة اسمها على مصحتها التي كانت تدعى قبل «هوب هاوز»[4].

5. **بـرايـور : Pryor** أقام بطنجة منذ بداية سنة 1886، إلا أن سوء حالته دعاه إلى العودة إلى بلاده[5].

---

1. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 رجب 31/1312 دجنبر 1894، تطوان 53/13.
2. جواب إلى فرديريك جيمس مان في 13 غشت 1887، محفظة المغرب بريطانيا.
3. استرعاء مخزني في 12 شوال 22/1305 يونيو 1888، تطوان 35/46.
4. مييج : «البعثات...» ص 173 (1)
5. نفس المرجع ص 177

6. جـــاي : Jay وصلت إلى هذا الثغر في يبراير 1886 ومكثت فيه إلى سنة 1898. ولكنها أقامت بين هاته المدة بمدن أخرى مثل فاس سنة 1890 والدار البيضاء من 1891 إلى 1892، وبعد ذلك رجعت إلى طنجة. ولها مقالات نشرتها بجريدة البعثة. وبهاته المدينة اتخذت سنة 1892 مدرسة لتعليم البنات استمرت مفتوحة سنة 1900 أي بعد رحيلها[6].

7. الدكتور تشـرتشـر : T.G. Churcher ورد هذا الطبيب في بداية سنة 1885 إلى طنجة حيث تعلم اللغة العربية. ولم يصبح رئيسا للمستشفى البروتيستانتي إلا سنة 1887. وكانت له جولات بمدن مختلفة دوّن عنها بعض الأبحاث، ولاسيما عن الدار البيضاء وفاس وطنجة. وكان مقيما بفاس من أكتوبر 1892 إلى ماي 1894 حيث كان يداوي المرضى[7].

8 ـ 9 : ن هـ بطريك : N.H. Patrick حل هو وزوجته سنة 1884 وغادر المدينة سنة 1898، وخلف دراسات عن إسبانيي المدينة الذين كان يحاول استمالتهم إلى البروتيستانتية[8].

10. جون إيدواردز : J.J. Edwards استوطن طنجة من سنة 1890 إلى 1892، ولكنه كان يرحل إلى مدن أخرى، فقد أقام بتطوان سنة 1889 وبفاس سنتي 1893 و1894 وغادرها إلى الدار البيضاء حيث عاش بها إلى سنة 1897، وبعد ذلك رجع إلى طنجة. وفي سنة 1902 رحل نهائيا إلى بلاده. وكانت له مقالات[9].

11 ـ 12 : إ ي بارنارد : E.U. Barnard سكن هنا صحبة زوجته منذ نهاية سنة 1891. وله دراسات نشرت بمجلة البعثة[10].

13. دينيســون : Denison وردت في أواخر سنة 1893 ومكثت هنا حتى نهاية سنة 1895 ثم رحلت إلى فاس. ولها تقارير نشرت بصحف الهيأة[11]. وقد تكون هي وغيرها قد أقامتا بمدشر المنار سنة 1895، فاسترعى المخزن على المفوضية التي أجابت «بأنهن عندهم بالمدشر المذكور عدد من الأصحاب، وهم الذين استدعوهن للاقامة بالمحل المذكور. وقد كن قدمن للمحل المذكور مرارا، ويقابلهن أهل المدشر المذكور بالاحسان والترحيب. وحيث تركن بوسط المدشر بين ظهراني أصحابهن فلا يمكن أن يكن في الخطر ثمة...»[12].

14. بـــراون : Brown فتحت سنة 1892 مدرسة لتعليم صغار الاسبانيين بطنجة. وقد أدت الخلافات التي حدثت بين المفوضتين الاسبانية والانجليزية إلى إيصادها[13].

---

6. أيضا ص 158 وكذلك «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 124
7. المصدر الاخير ج 1 ص 89 وكذلك «البعثات...» ص 157
8. مييج : «المغرب وأوربا» ج1 ص 151.
9. المصدر الأخير ج 1 ص 104 وهوج ومييج : «الاوروبيون...» ص 95.
10. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 69.
11. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 99.
12. رسالة وايط إلى الطريس في 23 يوليوز 29/1895 محرم 1313، تطوان 31/45.
13. مييج : «البعثات...» ص 177.

15. **إ. ل. هميلطون : E.L. Hamilton** عاش بطنجة من سنة 1888 إلى سنة 1896. وخلف أبحاثا نشرت بصحافة البعثة[14].

16 ـ 20 : **آخـــرون.** منهم مرتدان إلى الملة البروتيستانتية من الاسبانيين وهما بلانكو Blanco وفيتشيو Vecchio. ومنهم أيضا أطباء مثل الدكتور طيري Terry والطبيبة بريز Breeze والدكتور روبيرتز Roberts. وقد تعاقبوا على الاشراف على مستشفى «نورث» بعد أن رحل الدكتور تشرتشر إلى فاس[15]. وأما الآنسة كوبين فقد سكنت بطنجة ثلاث سنوات، قبل أن ترحل إلى فاس سنة 1892 حيث سنجدها هناك.

ب ـ من طوائف بروتيستانتية أخرى

21. **يعقوب هنبيليــون : J. Hambillion** مر بنا أنه وفد على طنجة في خريف سنة 1886 بوصفه ممثلا لهيأة ميلدمي، بقصد توزيع أناجيل على يهود شمال إفريقيا. وكان قبل ذلك قد باع جميع ممتلكاته بلندن ليستقر بالمغرب بنية عدم الرجوع، ثم أخذ يجول في أنحاء البلاد. وكانت وفاته سنة 1888 حائلا دون إتمام مقصده[16].

22. **دريسلــر : Dressler** بعد وفاة همبيليون واصل دريسلر نفس المهمة لدى يهود طنجة وفاس ومراكش ودمنات. لكنه رحل عن المغرب سنة 1891. وله أبحاث عن اليهود نشرت في شتى المجلات[17].

23. **ويلكيمســون : Wilkimson** هو الذي تحمل هاته الاعباء بعده إلى أن تنازل عنها في الاخير[18].

24 ـ 25 : **بلـــوم Blum وسيمويلس Samuels**، وهما من طائفة ميلدمي. وكان بلوم متعاونا مع سوذرن، ونشر سنة 1896 تأليفا عن رحلته من طنجة إلى مكناس[19].

26 ـ 27 : **الدكتور روتشـا Rocha والممرضة سيت سميث Set Smith**. استأنف هذا الطبيب نشاط الهيأة سنة 1895 بمعونة الممرضة المذكورة[20].

28. **ابراهام بنعليل** كان يتعاون معهم في الأعمال العلاجية، ولو أنه من هيأة «لج». وهو من يهود طنجة التي ولد فيها سنة 1826 وتوفي سنة 1900. وقد تنصر، وله تقارير[21].

29. **ث ارمسطرونـغ : TH. Armstrong** ضابط بحري كانت له اتصالات وثيقة مع البعثات التنصيرية. قام بجولات الى مختلف ربوع المغرب : إلى الرباط سنة 1887 وإلى الجنوب سنة 1888 ثم إلى غيرهما.

---

14. ميبج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 118.
15. ميبج : «البعثات...» ص 172 و173 (1)
16. نفس المرجع ص 159.
17. المرجع السابق ص 102.
18. أيضا وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 162.
19. المصدر الأخير ج 1 ص 77 ثم «البعثات» ص 160 و192.
20. المصدر الأخير ص 160.
21. أيضا، وكذلك «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 72.

وكان ينشر مقالات بجريدة «ذ. ريبر»، ولاسيما عن رحلته من الجديدة إلى مراكش، وهو ينتمي إلى هيأة ميلدمي[22]. وبطنجة أقام طويلا، فكان له دور في تصريف شؤون الأجانب للشؤون الصحية سنة 1884 حيث كان رئيسا لاحدى لجانها.

هؤلاء الذين تقدم الحديث عنهم ارتبطوا بهيأة ميلدمي. لكن بقي آخرون ولاسيما من بعثة «بريطيش». ومن أعضائها البارزين :

30. **ويليام ماكينطوش : W. Mackintosh** الذي ورد إلى طنجة في أواخر سنة 1882 قادما من سوريا. وكان مستعربا ممتازا، وكان يعرف مشاكل التنصير بالاقطار العربية، لأنه عاش بمصر والشام مدة مديدة. توفي سنة 1900 بطنجة، وخلف دراسات نشرتها المجلات البروتيستانتية[23].

31 ـ 32 : **عيسى فرح وزوجته** كانا من أعوان ماكينطوش المنتمي الى بريطيش، وهو شامي دخل للنصرانية.

33. **جـورج بـارو : G. Barrow** منصر بريطاني مات سنة 1881 وقد وصف طنجة في كتاب أصدره[24].

وأخيرا أشير إلى أن بيدجر من هيأة سوذرن أقام بطنجة سنة 1890.

على أن أغلب هؤلاء السابقي الذكر كانوا من جنسية بريطانية ومن البروتيسانتيين. أما الأمريكيون فقد أقاموا بطنجة أو مروا بها إلى مدن أخرى حيث سيأتي عنهم الحديث.

ت : الفرانسيسكانيون

34. **ف. كارباخال بيدال : F. Carpajal Vidal** عاش هذا الاسباني بطنجة من سنة 1883 إلى وفاته بها سنة 1898. وكان رئيسا للكنيسة الكاثوليكية بالجديدة[25].

35. **خوصي ليرتشوندي : J. Lerchundi** من مواليد إسبانيا سنة 1836، وكانت وفاته بطنجة سنة 1896. وكان كبير الرهبان بالمغرب حيث كان وروده عليه سنة 1862 بعد حرب تطوان[26].

وحيث أنه كان مستعربا فقد كانت له اتصالات بالدوائر المخزنية العليا، فرافق الطريس إلى روما سنة 1888 لمقابلة البابا وتهنئته، وشارك أيضا في سفارة أخرى إلى إسبانيا. زد على ذلك أنه كان على اتصال بأعيان مغاربة كان يتراسل معهم ويتسمى في المراسلات بيوسف الجندي[27]. وكان من المتحمسين لتنصير المغاربة ولاسيما بالصحراء الجنوبية[28].

---

22. مييج «المغرب وأوربا» ج 1 ص 63.
23. مييج : «البعثات...» ص 155 ـ 156 و«المغرب وأوربا» ج 1 ص 137.
24. المرجع الأخير ج 1 ص 79
25. المرجع الأخير ج 1 ص 84.
26. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 133 وج 4 ص 312 (7).
27. تنظر تلك المراسلات بمجلة دار النيابة بالعدد المثني 16/15 ص 50 وما بعدها.
28. محمد مصطفى الغربي : «الصحراء...» ص 18 (نسخة مرقونة).

وختاما كانت أعداد النصارى بطنجة نحوا من 300 شخص سنة 1836 منهم 49 بروتيستانتيا، والباقون كانوا كاثوليكيين[29]. غير أن الأرقام ارتفعت إلى 600 نسمة. وبينما كانت بالمدينة كنيستان كاثوليكيتان حيث كانت تقام الطقوس، كان البروتيستانتيون يتعبدون بمقر المفوضية البريطانية[30]. ولم يفتح المعبد البروتيستانتي إلا في مارس 1885[31].

المطلب الثاني : تطــوان

أ. الكاثوليكيون

1. خوصي ماريا راموس مارتينيث J.M.R. Martinez وهو أحد الرهبان الاسبانيين، وصل الى المغرب سنة 1890 وبه توفي سنة 1930، وكان رئيسا للطائفة هنا وكذلك بمدينة آسفي[32].

ب. البروتيستانتيون

2. بـولطــن : Bolton وردت هاته المنصرة على المدينة سنة 1888، وفتحت بها مدرسة للتعليم. ولها تقارير نشرت بمجلة البعثة[33].

3. و. ت. بولطــن : W.T. Bolton وصل إلى المغرب صحبة زوجته سنة 1897. وله مقالات صدرت بمجلة نورث أفريكا[34]. ولعل التي قبله من أقاربه.

4. ف.م. بينكــس : F.M. Banks حلت بتطوان سنة 1893. ولها أبحاث صدرت بنفس المجلة[35].

5 ـ 6 : مينسينك وزوجته جيل Minsink / Jill قطنا بتطوان وبطنجة من سنة 1889 إلى سنة 1897، ونشر هو سنة 1896 تقارير في «نورث أفريكا»[36].

هذا وإن الخمسة الاخيرين كانوا ينتسبون لطائفة نورث. لكن المنصر :

7. ويليام ميلر : W. Miller كان من نفس البعثة في الأصل. وقد وصل إلى المغرب صحبة زوجته سنة 1893، واستوطن تطوان. وبعد وفاة ماكينطوش بطنجة سنة 1900 سار على نهجه. وفي سنة 1901 رحل إلى مراكش للتعاون مع بعثة سوذرن. وله تأليف[37]. أما :

---

29. مييج : «المغرب وأوربا» ج 5 ص 248.
30. عبد المجيد بنجلون : «جولات... 1872» ص 19.
31. «البعثات....» ص 166 (4) ورسالة جون هي إلى الطريس في 11 مارس 23/1885 جمادى الأولى 1302، تطوان 11/42.
32. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 157.
33. نفس المرجع ج 1 ص 77.
34. أيضا ج 1، ص 78.
35. كذلـك ج 1 ص 68.
36. المرجع الاخير ج 1 ص 142 وكذلك «البعثات...» ص 158.
37. المصدران الاخيران ج 1 ص 143 وص 156 على التتابع.

8. ويليام سومرز : W. Summers فهو من بعثة «بريطيش» وقد عاش بتطوان ثلاث سنوات ابتداء من سنة 1889، فقدر سكانها بـ 30 ألفا[38]. وكانت له سياحات إلى نواح مختلفة : فدخل الرباط سنة 1880 ومراكش وشيشاوة سنة 1881 والدار البيضاء سنة 1890 والصويرة وأحوازها سنة 1891. وفي سنة 1892 غادر المغرب قاصدا الاسكندرية[39].

المطلب الثالث : أصيلة والعرائش والقصر الكبير

أ. البروتستانتيون

الدكتور روتشا المذكور بطنجة استوطن أصيلة سنة 1896، وكان يسكن بالملاح.

وبالقصر الكبير كان منصرون أمريكيون من هيأة كوسبل يعيشون بالمدينة في آخر القرن. وهم :

1 ـ 4 : هيربيرت ب إيلسن : H. P. Elson وهو من كندا وصل إلى المدينة في نونبر 1896 ورحل عن المغرب سنة 1901، ووصل معه أيضا كلينطن ريد : Clinton Reed الذي لبث حتى سافر سنة 1902 في إجازة مرض إلى الولايات المتحدة التي رجع منها سنة 1904 ومعه امرأتان هما : إليزبيث ف طايرن : E. V. Tyron وأ. بيل مارشال : A. Belle Marshall.

أما العرائش فقد استوطنها بعض الأمريكيين مثل روكافيلير الذي سيرد لمكناس قادما منها سنة 1898 إلى أن غادر المغرب نهائيا سنة 1900 لينفصل بعد سنتين عن كوسبل. وأشير إلى الامريكيين سيتجمعون بالعرائش سنة 1902 عند مصرع كوبر بفاس حتى لا يلحقهم أذى، وسيستوطنون هنا بعض الوقت بأمر من سلطات بلادهم[40].

ومن هياة نورث فقد سلف أن هيردمان رحلت إليها وإلى أصيلة سنة 1887. وكانت معها :

5. كونسطنس كيلي : C. Caley التي لم يطل مقامها بالمدينتين، إذ توفيت في أواخر سنة 1888 بالعرائش، وتركت تقارير نشرت بجريدة البعثة[41]، ولما رحلت هردمان إلى الجديدة ثم إلى فاس ألغيت المحطة.

الوثائق المغربية تحدثت عن حلولهما، ولو لم تسمهما باللفظ، ذاكرة أن امرأتين إنجليزيتين قدمتا لمدشر أهل الخميس من قبيلة الساحل، وأنهما كانتا سنة 1887 تعيشان بخزانة قرب مدينة العرائش[42].

---

38. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 402 (3).
39. المصدر الاخير ج 1 ص 169 وكذلك «البعثات» ص 158 و159.
40. فليبس : «الارسالية...» ص 10 و 14.
41. مييج : «البعثات...» ص 159 و 157.
42. رسالة في 27 شوال 19/1304 يوليوز 1887، محفظة المغرب بريطانيا.

وفي آخر القرن التاسع عشر كانت بعثة بروتستانتية إنجليزية متألفة من رجلين وثلاث نسوة تسعى لتأليف قلوب بعض المسلمين بتقديم الشاي إليهم وتوزيع نسخ من الانجيل عليهم. وكان عملها عبثا، لما عرف عن مثل هذا المسعى في كافة الاقطار الاسلامية[43]. ولم يرد بيان عن هيأة هؤلاء المنصرين ولا عن أسمائهم سوى طبيب إنجليزي كان سنة 1899 مقيما بالعرائش اسمه ستيفن Steven[44] الذي سيرد ذكره بالرباط.

ب. الكاثوليكيـون

6 ـ 9 : رهبان آخـرون كان أربعة من القسس يعيشون بالعرائش سنة 1863، أتى ذكرهم في وثائق مغربية على الرغم من النقصان الوارد في أسمائهم أو أنسابهم وهم : بابون Pavón وخوان... Juán وروسيتي Rosete ونيكولاص... Nicolas[45].

10. خوصي ماريا بايصال ماكارينوس : J. M. Paisal Magarinos كان من سنة 1893 إلى 1896 يشغل منصب كاتب خوصي ليرتشوندي[46].

11. فرانسيسكو ماريا سيرييرا طاماريت : F. M. Cervera Tamarit وهو من الرهبان الذين وفدوا على المغرب قادمين من إسبانيا. استوطن المدينة من سنة 1880 إلى سنة 1891، وصار سنة 1896 أسقفا مكان ليرتشوندي المتوفى. وفي سنة 1926 توفي بدوره[47].

المطلب الرابع : الربـاط

أ. الكاثوليكيـون

قبل سنة 1834/1249 نزل بالرباط فرايلية إسبانيون ونالوا ظهير التوقير والاحترام، حسبما جاء في وثيقة مغربية قالت إنهم سكنوا بدار اشتروها من الانجليزي مورغان MORGAN.

ثم في سنة 1868 وفد على المدينة رهبان إسبانيون، وكان يصحبهم طبيب لعلاجهم، ومهندس معماري لبناء ديرهم، وكانوا ممتطين ظهر مركب برتغالي صغير، ألقى بهم في الشاطيء، فنجوا من الغرق وسلم المركب. ولما دخلوا إلى المدينة وجدوا بها عدوى الكوليرا. وقد تأسست بعثة رسمية بالمدينة سنة 1891 بإشراف كارباخال Carpajal بإضافة راهبين[48].

ب. البروتيستانتيون

تحدثت الوثائق المخزنية عن نزول طبيب إنجليزي يدعى روبيرت كير R. L. KERR صحبة منصرات من نفس الجنسية وآخرين من أهل الشام سيأتي ذكرهم.

---

43. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 92.
44. موجب عدلي في 4 صفر 14/1317 يونيو 1899، تطوان 179/117.
45. تقييد في 19 جمادى الثانية 1280 / فاتح دجنبر 1863، محفظة العرائش 1.
46. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 151.
47. نفس المرجع ج 1 ص 87.
48. مييج : «المغرب وأوربا» ج 5 ص 114.

1. كان **الدكتور كير** منتميا إلى إينجلند بريسبيطيريان تشورتش هاوز، واستوطن الرباط بأهله في مارس 1886، غير أنه كان يرحل بين الحين والحين إلى كل من فاس ومكناس وصفرو وقبائل الغرب. وبالرباط تعلم اللغة العربية على يد علج ايقوسي اسمه أبو القاسم (أو عبد القاسم) كراند : Grand أو كرانت : Grant. وفي سنة 1894 انفصل عن هاته الهيأة وأسس بعثة سينطرول.

وكان يفحص المرضى ويزورهم ويعالجهم، وكان بمستوصفه أربعة أسرة لاستقبال المرضى الآفاقيين، كما كان يربي الحمام الزاجل لتطيير الاخبار إلى غير هاته المدينة[49].

وعن سلوكه ذكرت رسالة لعامل الرباط سنة 1891 - ولو أنها لم تسمه كعادة الوثائق المغربية - أن «الطبيب النجليزي الساكن هنا كثر طيشه، حتى بلغ منه أنه هجم علي في داري، وواجهني بالكلام الشنيع العنيف، وتهدد علي بعصاه وعلى أصحابي، وما منعني منه إلا غض الطرف عنه في تلك الحالة... وذلك بسبب رجل سَحْرَوي هنا هجم على دار لرجل رباطي حين خرج منها أهله لقضاء ضرورياتهم وجعل عليها مفاتح وسرق منها عدة حوائج...

«والسحروي المذكور عند الطبيب المذكور بداره متعصبا عليه... وسيرته لا تحمد لها عاقبة...»[50]. كان الطبيب «المتعاطي للدين الجديد» سلكنا بباب سوق الغزل. وكان الصحراوي قرابه يسقي له الماء[51].

واستمر كير - الذي وصف بالداهية - مواصلا عمله بالمدينة زهاء ربع قرن، حتى ألف كتابا بعنوان «المغرب بعد خمس وعشرين سنة» طبع بمدينة لندن سنة 1912. ولئن كان يرافقه في البداية ثمانية أشخاص، فإنهم لم يصبحوا سنة 1900 الا ثلاثة فقط[52]. وكانت نيته منصرفة إلى قلب اعتقاد المغاربة من المسلمين واليهود معا.

وفيما يلي أسماء أعوانه ورفقائه، ثم ما ذكرته عنهم الربائد المغربية :

2 - 3 : **أسرة من الشاميين** كانت معينة للدكتور كير. ولم تعرف الأسرة المتألفة من شخصين متنصرين كانا في السنوات الاولى من وصوله يَلِجَان بيوت بعض الرباطيين.

4. **ماك ميـــلار : Mac Millar** كانت من أول المنصرات ورودا معه.

5 - 6 : ابـراهـام Abraham وكراهـام Graham، وهما منصرتان أو ممرضتان كانتا تعملان معه.

7. **ستيفـــن : STEVEN**. وهو من جملة مساعدي الدكتور كير[53].

ويضاف إليهم **ديفيد ميوبير** الذي سكن بالمدينة سنة 1890، وجاء لاعانة كير[54].

---

49. نفس المصدر ج 1 ص 127 وكذلك «البعثات» ص 160 - 161 - 174 - 182.
50. رسالة محمد السويسي إلى الطريس في 8 ربيع الأول 12/1309 أكتوبر 1891، تطوان 19/75.
51. رسالة السلطان إلى الطريس في 27 ربيع الاول 31/1309 أكتوبر 1891 تطوان 58/10.
52. مييج : «البعثات...» ص 161.
53. نفس المرجع ص 190 - 191.
54. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 146 و«البعثات» ص 163.

ولننظر الآن إلى ماقالته الرسائل المغربية عن المرسلين. جاء في رسالة سلطانية أن قاضي الرباط أخبر بأن «بعض نصارى النجليز وردوا للرباط، زاعمين أنهم اتخذوا دينا جديدا، وحازوا دارا مجاورة لدور المسلمين بقصد السكنى بها، ومعهم نصرانيتان تقرآن على دينهما، وشرعوا في هدم الدار التي نزلوا بها وبنائها، وفتحوا لها بابا للمحج الكبير، وسموها باسم المدرسة في لغتهم، وأشاعوا أنهم يرتبون لمن أتى يتعلم عندهم عشرة مثاقيل، وفتحوا بأعلا الدار سراجم يتكشفون منها على سطوح المسلمين وعلى دار المخزن، وإذا صعد أحدهم لسطح الدار المذكورة تكشف على ديار جيرانها. والنصرانيتان المذكورتان صارتا تطلعان يوم الجمعة إلى مقابر المسلمين بالعلو، حيث تجتمع النساء زائرات القبور، وتقرءان عليهن أوراقا بيدهما وتفسران لهن دين النصارى[55] وتزينان لهن الحرية، وأن النصارى الذين معهما سَحَرة، وأن أهل البلاد أنفوا من فعل هؤلاء النصارى وارتاعوا له خوفا أن يفضي إلى ماهو أعظم.

«وذكر أن بعض الحرابة الذين هناك سكن بين ديار المسلمين واشتغل بما لا يليق، وأحدهم اكترى أَرْوَى واتخذها للفساد، وتشكى أهل الحومة بطلوعه فوق سطحها، ولم يجدوا سبيلا لاخراجه ولا لكف إذايته، وأن النساء كثرت خدمتهن بديار اليهود والنصارى وطلق غير واحد زوجته لاجل ذالك.

«ووردت نصرانيتان نجليزيتان لفاس واشتغلتا بمثل ما فعلت الواردتان للرباط...[56] حيث أمور الدين لا يسع السكوت على نقضها، وتجب المبادرة شرعا للضرب على يد من رامه...

«فنأمرك أن تعرف نائب النجليز ونائب الفرنصيص بذالك وتكلمهما بكف النصرانيات والحرابة عما ذكر...»[57].

وألح مولاي الحسن على الطريس في كتاب آخر وجهه إليه في اليوم الموالي بأن «تسترعي علي النجليز بأن يخرج النصارى والنصرانيتين المشار إليهم من هذه الايالة. وإلا فإن وقع لهم آفات من أهل البلد، فيكون دركهم على أنفسهم. لان أهل البلد لهم الحق في المدافعة عن أعراضهم وعن دينهم بكل ما أمكنهم..»[58].

وبعد شهر أجاب وايط : «... فالجواب عن كل ما ذكرتموه هو أن نعلم سيادتكم باننا لا نفوت الوقت في إصدار الامر لخليفة اكريت ابريطن بالرباط في تنبيه المحدَّث عنهم بأنه يجب رفع كل ما عسى أن يقع به الخصام في قضية فتحهم السراجم بدارهم للشرع، مع الامتثال لما حكم به. وبمقتضى ما كنتم طلبتموه منا مشافهة أمرنا الخليفة المذكور بأن يطالب النساء المذكورات بالتخلي عن دخول مقابر المسلمين وعن التكلم في شأن الدين مع من لا يريد أن يقبل كلامهن ثمة. وما ذكرتموه من أن النساء بالرباط وبفاس يردن أن يفسدن النساء على أزواجهن: وادعيتموه من اشتغالهن في أمر الدين فلنا اليقين بأن الخبر الواصل لجنابكم غير محقق وصادر ممن لا يعرف صفة شغل هاؤلاء النساء ولا مراد له بمعرفتها...

---

55. مثل هاته الاشارة وردت عند مييج في «البعثات...» ص 185.
56. سيرد اسمهما بفاس.
57. رسالته إلى الطريس في 19 شوال 28/1308 ماي 1891 تطوان 93/9.
58. رسالته إلى الطريس في 20 شوال / 29 ماي، تطوان 94/9.

«والحاصل نؤكد على سيادتكم أشد التأكيد بأن دولة اكريت ابريطن تجعل الدرك على دولة السلطان، وتطلب منه المعاوضة التامة في كل فظاعة عست أن تقع على رعية اكريط ابريطن من أهل هاته البلاد، لاسيما حيث يعرفون من ولاتهم الرأي الذي بينتموه في كتابكم، فيكون كافيا لهم في تشويقهم في ارتكاب الفظاعة، وقد واعدتموهم بعدم العقوبة في ذلك»[59].

فرد عليه الطريس برسالة في 4 ذي القعدة اجابه عنها وابط باخرى جاء فيها مايلي : «توصلنا بكتاب من خليفة اكريط ابريطن بالرباط... فقد استغرب الخليفة برفع هذه الشكاية لنا فيما يتعلق منها بالرباط...ولما ورد عليه كتابنا قدم لدى عامل البلدة وسأله : هل رُفع له شكاية مثل هذه ؟ وأجابه : كلا، وبأن من كتاب الخليفة [يظهر] أن الناس المشار إليهم لم يهدموا دارهم وإنما اصلاحوها (= أصلحوها) فقط، وأن السراجم التي فتحوها لا يتكشفون منها [على] ديار الجيران، فأبذلوا غاية مجهودهم في ذلك حتى أنـ [ـهم] بنوا ستارة دارهم لِئَلَّا يطلع منه على ديار غيرهم. وجميع ذلك وقع بمعرفة وإذن رب الدار وعامل البلدة.

«وما اتُّهم به على نسائهم في شأن تكلمهن مع نساء المسلمين أَنْكِرَ : فواحدة منهن فقط عارفة باللسان العربي، وهي دائمة على غاية الحكم والنظر فيما تتكلم به مع صاحباتها من المسلمين...»[60].

المطلب الخامس : الدار البيضاء

أ. الكاثوليكيـون

كانت لهؤلاء بعثة فرانسيسكانية مع كنيسة اتخذوها للعبادة حوالي سنة 1877، ولم أقف على أسماء رهبانهم.

ب. البروتيستانتيون

الانجليزيون أسسوا سنة 1881 بعثة بدأت تباشر نشاطها بعد ذلك بسنتين. وكانت المدينة حسبما مر بنا هي الحد الفاصل بين نشاط سوذرن ونشاط نورث أفريكا. إلا أنه كان ثمة منصرون آخرون من بعثة بريطيش. وفي سنة 1894 كانت محطة نورث أفريكا أشد المحطات نشاطا بالدار البيضاء[61]. وها هي أسماء بعض أعضاء الارساليات الانجليزية :

1. **الدكتور ج. كريـف : G. Grieve** وصل إلى الدار البيضاء في أبريل 1891 أو 1892، وبها مات سنة 1906. وعن نشاطه حرر تقارير مختلفة[62]. وكان من الذين استخدموا العلاج الطبي لاغراض تنصيرية. فقد كان يبني سياسته على الجانب العلاجي لينتقل منه إلى الجانب الأخلاقي ثم إلى الجانب العقائدي[63]. وقد اشتُكِي به سنة 1898 لامتناعه من أداء واجب ما يخرج من الأبواب[64].

---

59. رسالته إلى الطريس في 1 يوليوز 24/1891 قعدة 1308، تطوان 29/43.
60. رسالته في 24 يوليوز / 17 حجة، تطوان 41/43.
61. مييج وهوج : «الأوروبيون بالدار البيضاء» ص 96 (4) وكذلك «البعثات..» لمييج ص 158 و 159.
62. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 117.
63. نفس المرجع ج 4 ص 320 (5) وكذلك «البعثات....» ص 172.
64. رسالة إلى قنصل انجلترا بالدار البيضاء في 17 شعبان 11/1315 يناير 1898، محافظ الترتيب العام.

2. هـ. أ. جونـس : H. E. Jones سكن بالدار البيضاء من سنة 1872 الى 1900. وله تقارير ظهرت في جريدة «نورث أفريكا»[65].

3. تشيبمـان : Chapman حلت بهذا الثغر سنة 1891. ولها دراسات نش بصحيفة البعثة[66].

4. أرمـور : Armour وصل في نونبر 1893 وكتب في مجلة «نورث أفر بيانات شرح فيها ما كان يبذله بين سنتي 1895 و 1900 من نشاط بقصد الاستعمار الفلا والعمل الصناعي. وقد استوطن طنجة مدة أخرى[67].

5. الدكتور هيري نوط : H. NOTT ورد على الدار البيضاء سنة 1897. ولما طبيبا. فرضت عليه مهنته التجول بداخل المغرب. وعن ذلك ألف ما نشر سنة 1898 بج «نورث أفريكا» وما كتبه سنة 1904 بجريدة «ذ. ربير»[68].

6. سيكسطـون : Sexton منصرة وصلت سنة 1897 إلى المدينة[69].

7. إيما دونبـر : E. Dunbar وردت أيضا في نفس السنة[70]، وتزوجت بجونس

هؤلاء السبعة كانوا منتسبين إلى بعثة نورث أفريكا. أما الهيئات الأخرى فكان من

8. ميرشـاك : Mirshak الذي وفد على الدار البيضاء سنة 1897 حيث ؛ بعض يهودها في السنة الموالية[71]. وهو من إرسالية بريطيش.

وسبق لآخرين من نفس البعثة أن نزلوا بالمدينة مثل وليام ميلر المذكور بتطوان

المطلب السادس : أزمور والجديدة وآسفي

أ. الكاثوليكيون :

استوطن رهبان فرانسيكانيون مدينة الجديدة، وكان على رأسهم خوصي مارتن وكانوا لا يزالون مقيمين بها في مطلع القرن العشرين[72]. إذ في سنة 1897 كان نائب اس قد أخبر المخزن بعزم «دولته على بناء دار وكنيسة للرهبان بثغر الجديدة...وطلبه الاذن ذالك للمكلفين بالثغر المذكور، وتسريح الجير والآجر وغير ذلك من «الاقامة» المحتاجة ا من غير أعشار في المرسى والأبواب، لادعائه أن بيد الفرايلية ظهائر شريفة بذلك...:

65. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 125.
66. نفس المرجع أيضا ص 88 وكذلك : «البعثات...» ص 159.
67. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 63 و«البعثات...» ص 178.
68. «المغرب وأوربا» ج 1 ص 149.
69. أيضا ج 1 ص 168.
70. كذلك ج 1 ص 102.
71. كذلك ج 1 ص 143.
72. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 77.
73. رسالتا الحاجب إلى الطريس في 23 ربيع الثاني و10 جمادى الثانية 21/1315 شتنبر و6 ن 1897، تطوان 55/24 و85/24، وكذلك مييج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 313 (10).

وكانوا قد اشتروا لهذا الغرض دارا من بعض النصارى، فثقف العامل عليهم البناء[74].

أما بآسفى فكانوا قد اشتروا سنة 1892 دارين وشرعوا في جعلهما كنيسة[75]. غير أنهم ربما وسعوها بشرائهم أرضا من المهدي ابن فضول سنة 1897 ليتخذوها مقرا للعبادة[76].

ب. البروتيستانتيــون

ب 1. بالجديــدة :

1. **أليكسيس ويلســـون : A. Wilson** كان أول أمره مقيما بطنجة ولاسيما حوالي سنة 1887 حيث كانت له عرصة بالصفاصف قرب المستشفى الاسباني وقرب عرصة أيون بيرديكاريس الأمريكي[77]. لكنه في ماي 1891 رحل إلى الجديدة ليعمل في صفوف بعثة سوذرن فاكترى منزلا فسيحا خارج الاسوار[78].

2. **ديفيـد طريـن : D. Tran** وفد على المدينة أيضا سنة 1891، وأخذ يباشر علاج المرضى في مستشفى البعثة[79].

وكانت هاته الهيأة تعمل على فتح مدرسة لتعليم الصغار، لكنها لم تشرع في أشغالها إلا سنة 1904 على يد ليرموند التي سيرد ذكرها بالصويرة.

وكان ثمة غيرهم ممن قضوا زمنا بالجديدة مثل كلارك وكيدز[80] الوارد ذكرهما في مراكش. وكانا نشيطين جابا من خلال النوايل ودخلا إلى منازل الطبقات «الرفيعة»[81].

هؤلاء جميعا كانوا منتسبين لهيأة سوذرن. إلا أنه تنبغي الاشارة إلى مرور هيردمان وريد، وهما من بعثة نورث. وكانتا قد اكترتا منزلا صغيرا بالجديدة قبل التحاقهما بفاس[82].

ب 2. بأزمـــور :

كانت سوذرن تنوي فتح محطة لها بهاته المدينة سنة 1892 لولا الضائقة المالية التي كانت تتخبط فيها. ومع ذلك رحل طوماس كلارك وزوجته من مراكش للسكن بها طيلة سنتين[83] أي من 1900 إلى 1902.

---

74. رسالة محمد بن يحيى إلى اللبادي في 23 ربيع الثاني 1315 ورسالة محمد بن كيران وأحمد الخطيب إليه أيضا في 25 منه / 21 و 23 شتنبر 1897، تطوان 38/95 و41/95.
75. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 محرم 19/1310 غشت 1892، تطوان 15/11، ومييج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 313 (9).
76. رسالة السلطان إلى العربي بن التمار في 9 شوال 13/1314 مارس 1897، الترتيب العام.
77. رسالة ديوسدادو إلى الغسال في 19 ماي 25/1887 شعبان 1304.
78. مييج : «البعثات» ص 164 «والمغرب وأوربا» ج1 ص 176.
79. مييج : «البعثات...» ص 164.
80. أيضا وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 113.
81. مييج : «البعثات...» ص 171.
82. نفس المرجع ص 164.
83. أيضــا.

ب 3. باسفــي :

3. روبيرط بيدجر : R. Badger وصل إلى الصويرة سنة 1889 ثم في دجنبر 1892 ورد كلارك إلى آسفي لفتح محطة لبعثته فتولى الاشراف عليها بيدجر الذي ظل مقيما بها إلى ما بعد نهاية القرن الماضي. وكان مروجا نشيطا، وربطت زوجته صلات مع العديد من الاسر فدخلت سنة 1900 إلى 87 بيتا. وكان روبرط يوافي جريدة الهيأة بمقالات عن مشاهداته وأعماله[84]. وقد أقام زمنا بمدينة الجديدة أيضا.

المطلب السابع : الصويـرة

أ. البروتستانتيـون

بدأ النشاط التنصيري في هاته المدينة قبل غيرها سنة 1875 على يد كينسبورغ وأصحابه، ثم أخذ يتضاعف سنة 1889 بواسطة كوثبيرت نيرن ومن معه من هيأة سوذرن التي لم تكن ترى في وجودها بالمدينة إلا مرحلة من مراحلها. وكانت لا تزال موجودة بها قبيل الحرب العظمى.

ومن رواد هاته البعثة سوذرن نذكر :

1. ديفيـد ميوير : D. Muir الذي وصل إلى هذا الثغر سنة 1889 وسكن به من سنة 1891 الى سنة 1897 قبل أن ينتقل إلى مراكش. وله تأليف عن الجنوب المغربي[85].

2 ـ 3 : لـوكـي Lockie وأنـان : Annan وقد حلت هاتان المنصرتان بالمدينة سنة 1892. وكانتا مراسلتين لصحيفة «ذ ريبز»[86].

ولاريب أنهما من النساء الانجليزيات اللواتي وردن سنة 1892 «للصويرة والرباط وفاس، واشتغلن بالوسوسة لنساء المسلمين في اعتقادهن والسعي في إفساد دينهن وردَّتهن. ومن جملة سعيهن في ذلك دفعهن لكل واحدة من نساء المسلمين كنينشا متضمنا لما ذكر.

«ولما علم بذالك علماء البلد وأهل الحل والعقد منها قاموا وقعدوا، وأبرقوا وأرعدوا، وتشكوا على الحضرة الشريفة، طالبين رفع ضررهن برجوعهن لبلادهن، مسترعين بأنه لادرك عليهم إن وقع لهن ءافات بسبب اشتغالهن بما ذكر، وإصدار الأمر بمعاملة من خالطتهن من نساء المسلمين بما يعامل به المُرتدّ شرعا من استتابته ثلاثة أيام، وإن لم يتب يقتل، ذاكرين أن الانسان إنما يقاتل على دينه، وإن لم يقدر يعطي الدَّنيَّة على إبقائه عليه، إذ لولا الدين لبقي الناس أمة واحدة ولم يتفرقوا، واستدلوا بأن كل من تقلب من ملة على ملة لا يحدث شيئا في دينها ويقرها عليه، كاليهود الذين تحت [ذمة] المسلمين والنصرى، وكالنصرى مع المسلمين، والمسلمين مع النصرى في الهنود ومصر ونحوهما.

---

84. نفس المصدر ص 164 و171 وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 67.
85. ميبج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 146.
86. أيضا ص 134 وص 62.

«وحيث كان ورودهن لهذه الايالة بقصد ما ذكر، ولم يَرِدن لها بقصد التطبيب ونحوه من الأمور التي لا ضرر فيها... وكان هذا الأمر الذي أحدثه من ذُكر أعظم ضررا من الأحداث في القوانين، إذ لا ضرر أعظم من فساد الأديان، أصدر سيدنا نصره الله أمره الشريف للنائب السيد الحاج محمد الطريس بالكلام مع نائبكم وقتئذ في ذالك، كما أصدره للعمال بمنع نساء الرعية من مخالطتهن...»[87].

وكان عامل الصويرة قد نفذ الأوامر فاعتقل امرأتين، فكتب نائب الانجليز في ذلك إلى المخزن الذي أجابه : «وصلنا كتابك بأن عامل الصويرة سجن امرأتين مسلمتين على ذهابهما إلى دار بعض النساء النجليزيات القاطنات بالصويرة، واعتذر عن سجنهما بتوجههما بقصد الفساد...وطلبت إصدار الأمر الشريف للعامل المذكور بأن... يسرح المرأتين إن سجنتا على الوجه الذي لم يمكن، وأطلعتُ بكتابك شريف علم مولانا... وأمرني باجابتك بأن المذكور قبض على المسلمتين على توجههما لعند من ذُكر بقصد الفساد الديني...»[88].

4. **جيســـي رو : Jessie Rue** استوطنت هاته المدينة سنة 1893، ولكنها رحلت عنها سنة 1897 للاقامة بمراكش حيث قضت سنتين. وكانت مراسلة لصحيفة البعثة[89].

5. **جــون بطيرســون : J. Paterson** الذي استقر بالمدينة من سنة 1890 إلى سنه 1893، وبعدها انتقل إلى مراكش حيث مات بعد سنتين[90].

6. **ريـــد : T. W. Reid** وصلت في أواخر سنة 1889 إلى الصويرة[91].

7. **ساموبل ماك ماث : S. Mac Math** في نونبر 1890 حل بالصويرة، وفي سنة 1892 انتقل إلى مراكش. وله تقارير نشرت بجريدة البعثة[92]. ويغلب علي الظن إنه كان طبيبا، وهو المشار إليه في قضية الفيل بفاس حيث قيل إنه ضرب الحراس المكلفين برعاية هذا الحيوان، وحدثت ضجة بفاس أوجبت نقض العهد بين المغاربة والانجليز حسبما سلف[93].

وكان سنة 1895 مقيما بمكناس. ولم يعرف سبب هجوم خمسة من يهود المدينة على مكماز وضربه وتمزيق ثيابه وأخذهم كابوسه[94].

8. **ليرمــونــد : Learmond** استوطنت الصويرة من سنة 1894 إلى سنة 1896 ثم رحلت إلى مراكش. وفي سنة 1904 فتحت مدرسة لتعليم الصغار بالجديدة. وكانت مراسلة لجريدة البعثة[95].

---

87. رسالة جوابية في 23 رجب 22/1309 يبراير 1892، تطوان 67/46.
88. رسالة جوابية في 29 رجب/28 يبراير، تطوان 68/46.
89. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 163.
90. أيضا ج 1 ص 151.
91. مييج : «البعثات...» ص 163 (2).
92. مييج. «المغرب وأوربا» ج 1 ص 137.
93. بكتابي: الاستيطان... ج 3 ص 1459.
94. رسالة السلطان إلى حمو بن الجيلالي في 23 محرم 16/1313 يوليوز 1895، محافظ الترتيب العام.
95. مييج : «البعثات...» ص 177 و «المغرب وأوربا» ج 1 ص 130.

9. كيتي ماك نيب : K. Mac Nab عاشت بالصويرة في اواخر القرن. وفي 1901 أحدثت مدرسة، استمرت مفتوحة طيلة سنوات، غير أن النجاح لم يكن من نصيبها[96].

هذا عن هيأة سوذرن. أما عن بعثة نورث فتقدم بطنجة أن بولدوين رحل منها إلى الصويرة في بداية سنة 1888 بعد اختلافه مع جمعيته. وقد حاول الحصول على سكن، فطلب من الأمناء أن يبنوا له دارا بحسب قاعدة ٦ في المائة[97]. ولما رامت سوذرن توظيفه معها لقيت في ذلك صعوبة[98]، ولم يلبث أن غادر المدينة سنة 1890 قاصدا الشام[99] الذي صار ينشر المسيحية فيه بين المسلمين. ولما زعم أنه نصر عددا منهم، بعثت الهيأة رجالا للتحقق من صحة ما ذكر، فلم يجدوا مسلما صبأ على يديه[100].

إلا أن ظاهرة التنصير بدأت بزعامة كينسبورغ، ومن أصحابه كان :

10. إيلي زربيب (أو جربيب) يهودي جزائري ولد بقسنطينة وورد على الصويرة سنة 1875 مرتدا من اليهودية إلى البروتيسانتية[101]. وكان مستخدما بقنصلية فرنسا هنا مدة طويلة حتى رحل، فطلب القنصل شغل الدار الواسعة التي كانت تحت يده بالقصبة الجديدة[102]. ولكنه عاد إلى الصويرة التي مات بها. وكان طوال الوقت ساعيا لبث الديانة النصرانية بين يهود المدينة بعد رحيل كينسبورغ وقبله، ولكنه لم يكن جريئا[103].

11 ـ 15 : الدهان ونور الله ومركايم Markheim وأدولف ميسكوفيتش الهنغاري A. Miscovitch الذي كان يرحل مرات إلى مكناس وفاس ويقيم بملاحهما لنشر الانجيل وتوزيعه، ومثلهم كوييس Cuevas الذي نظنه إسبانيا، وليس فرنسيا حسبما جاء في وثيقة مغربية. وقد تنصر على يد كينسبورغ[104].

16. ج. ب. كرايطون كينسبورغ : J. B. Crighton Ginsburg وهو روسي المولد.

وكان كما مر بنا أول من أسس بعثة بروتيستانتية بالمغرب، وبالصويرة على وجه اخص. وقد ورد على المدينة سنة 1875، بعد أن تنجلز بالزواج وبالجنسية.

وكان من الأغنياء، وكان نشيطا ومدعما من هيأة «لج»، وقد صب اهتمامه على تنصير اليهود. على أن أحبار المدينة قاموا في وجهه مشتكين به لدى السلطات. ولما نشأ خلاف بينه وبين جون هي، رام التفرنس سنة 1883، ورفع عنه السفير حماية بلاده. وأمام ضغط الأحداث، عدل عن نشاطه فرحل في أبريل 1886 إلى مدينة اسطانبول لمواصلة عمله[105].

---

96. المصدران الاخيران ص 177 ـ 178، وكذلك ج 1 ص 137.
97. رسالة غريط إلى الطريس في 25 شوال 5/1305 يوليوز 1888، تطوان 146/27.
98. مييج : «البعثات...» ص 163.
99. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 68.
100. مصطفى خالدي وعمر فروخ «التبشير...» ص 43.
101. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 177 و«البعثات...» ص 155.
102. من وثيقة دون تاريخ، بمحفظة المغرب فرنسا (م.و.م).
103. مييج : «البعثات...» ص 155.
104. نفس المرجع ص 155 و 168.
105. أيضا، وكذلك «المغرب وأوربا» ج 1 ص 114 وج 2 ص 468.

الخلاف أيضا كان بينه وبين يهود الصويرة الذين اشتكوا من محاولاته من أجل تنصيرهم سنة 1879 حسبما تقدم. وسنرى فيما يلي ماجاء في الوثائق المخزنية عن نشاطه.

وهكذا بعث الحَزّانان ابراهام بن عطار ويهودا مُويّال رسالة إلى الحاج عمارة، ذاكرين أن «النصراني كينجبور واثنين من أصحابه الافرانصاويين وهما جريبب وكوييس أرادوا أن يردوا اليهود عن ملتهم. ومن حين قدومهم لهذه المدينة ما وجدنا من جانبهم الراحة. ولا يخفاك أن هذه مدة من سنين وقعت لنا من جانبهم فتنة شديدة حتى تروعت المدينة».

وبعد أن قالا إنهما صابرا واحتسبا «لِئَلّا يقَعْ على يدنا ما يؤدي إلى روع البلد»، أضافا : «حتى وقع ما قدره الله تعالى من الأمراض والمَجَاعة، فوجدوا بذلك فرصة وتقووا علينا غاية، مع أننا بذلنا المجهود في القيام بأمر الفقرآء والمساكين، فصاروا يرسلون من يجلب لهم المساكين بالحيل «والطمع» الكثير، فيغيرون عليهم دينهم... واتخذوا مسجدا، وجمعوا من صبياننا ما يزيد على المائة، ونحو الستين من البنات، وصاروا يقرءونهم جهارا.

«ثم إن أولئك الناس حصل لهم غيظ شديد حملهم على أنهم في عشية يوم الجمعة الماضية[106] خرجوا من دارهم ومعهم نفر من المسلمين واليهود الذين ردوهم إلى ملتهم بهذه المدينة السعيدة[107] وكلهم بعصيهم. فعمدوا إلى من وجدوا بباب السبع القديم من رعية سيدنا المنصور بالله ورعية الأجناس، وصاروا يضربونهم حتى فتكوا بهم وجرحوا منهم، فأغاثهم الله بخليفتك وبالمخازنية... وفي ذلك الوقت لقوا يهوديا من حماية المركان وهددوه بكابوس وزعموا أنهم يقتلونه هو وعشرة من أعيان اليهود.

«وعلال [البركاوي] الذي هو من أصحابهم لقي ترجمان النجليز التاجر عكّان بن حمُّ وجرد عليه كُمية ليضربه بها. وقد ظهر لنا عجب كبير من حيث أن قونصوا الافرنصيص لازال يبحث في الدعوى إلى الآن وأن قونصوا النجليز سكت عنها.

«وعليه نحب منك، سيدي، أن تقف وقوف الجد في أخذ حقنا. ولا يخفاك أن أولئك الناس لم يكن لهم بهذه المدينة بيع ولا شراء، وليس فيهم إلا الضرر...»[108].

وجاء في رسالة سلطانية قبل ذلك أن تجار اليهود بمرسى الصويرة اشتكوا لدى السلطة بأن «أصحاب الدين الجديد الحادثين السكنى بالصويرة اشتغلوا بالوسوسة والخوض في دينهم وحض أولادهم ومساكينهم على إبدال دينهم بدينهم الجديد، وأعطوهم الدراهم التي لها بال على ذلك، حتى جلبوا منهم نحو المئتين، بين صبيان وصبيات، وصاروا يقرئونهم قراءتهم».

وختم العاهل رسالته بقوله : «فنأمرك أن تتكلم مع باشدور جنسهم، وأن لا تقصر معه في كل ما يبعدهم ويجليهم ويقصيهم ويطردهم عن هذه الايالة المحروسة بالله»[109].

---

106. يوافق 21 رجب / 11 يوليوز 1879.
107. لعل المقصود بالرد الى الملة البروتستانتية التشبه بالنصارى، لا التنصير نفسه الذي كان ضعيفا هنا.
108. عريضة في 25 رجب 15/1296 يوليوز 1879 ـ وقد كتبت «بإذن كافة يهود الصويرة». وبالأصل «خطوط قضاتهم الحزان ابراهام بن عطار والحزان يهود امويال» محفظة الحاج عمارة.
109. رسالة السلطان إلى بركاش في 6 رجب 1296 /'16 يونيو 1879 في «الوثائق» ج 4 ص 457.

وأتمت ذلك رسالة سلطانية أخرى من أن بركاش تحادث في ذلك سنة 1879 مع سفير إنجلترا «لكون صاحب الدار الساكنين بها هناك في حمايتهم»، ومن أن محاورة جرت بين اليهود وصاحب الدار. فأجابه جون هي بأنه «رفع الحماية عن صاحب الدار لكونه من جنس الموسكو»[110]. وبعد بضع سنوات بارح كينسبورغ المغرب كما تقدم.

أما البعثة الامريكية گوسبل فنشك كثيرا في أنها كان لها وجود بالصويرة سنة 1889، لأن نشاطها اقتصر على مدن الشمال حسبما جاء في المصادر الأجنبية. ونسوق فيما يلي نتفا طويلة من رسالة العامل إلى النائب السلطاني عن نشاط المنصرين الذين لم يرد فيها بيان عن أسمائهم، سوى ذكر تدخل ترجمان قنصل الولايات المتحدة في دعوى رفعها قنصل إنجلترا، مما يحمل على الاعتقاد بأن المقصود هم الانجليزيون وأن العامل اختلط الأمر عليه بوجود الترجمان المذكور فحسبهم أمريكيين.

قال الرجراجي : إن «النصارى الفرايلية الذين في جنس الماركان قد كثر ضررهم هنا واشتدت إذايتهم لأهل البلد حتى صاروا يتعرضون لنا في الأحكام. وذالك أن قونصو النجليز بعث إلينا دعوى لنجليزي في الفوندة بأنه سرقت له حوائج منها، والذي سرقها هو أحمد المراكشي السُّقَّاء... وصاروا يتغلَّظون علينا ويجهرون بالكلام الساقط، ومعهم ترجمان قونصو الماركان... ولما رأينا الأمر هكذا سكتنا عنه تسكينا للروعة، وأعلمناك لتأخذ في علاج هذا الضرر بما أمكنك وأجرك على الله.

«وهؤلاء النصارى كانوا خرجوا مرة للبادية بعدما لبسوا ثياب المسلمين وصاروا يدورون بالدواوير. فكتب إلينا عمال البادية يتشكون من ذالك ويتبرءون من دركهم. فكتبنا لقونصوات النصارى فيه فمنعوهم من العود إلى الخروج للبادية، بعدما بالغوا في الاسترعاء عليهم. ولما قطعوا النظر من الخروج جعلوا همتهم في جلب الاذاية لأهل البلد وصاروا يطالبونهم بإبدال الدين، وذلك مما تنفر عنه جميع الملل كما لا يخفى»[111].

ب. الكاثوليكيون

كانت بالصويرة قلة من الفرانسيسكانيين في عهد سابق. لكن لم يرد عن نشاطهم التنصيري شيء يذكر. وأود أن أختم هذا المطلب بالحديث عن راهب ومؤلف إسباني، هو :

17. **ف. مانويل باولو كاستيانوس : F. M. P. Castellanos** المولود بإسبانيا سنة 1843 والمتوفى سنة 1911. وفد على المغرب سنة 1867 وبقي هنا حتى سنة 1876. وهو من الذين أنشأوا طائفة فرانسيسكانية بالصويرة. وله تأليف : ن.تاريخ المغرب نشر سنة 1878 وطبع أربع مرات[112]. وعنه نقل أحمد الناصري نتفا في كتابه «الاستقصا» قد لا تخلو من تحريف.

كان من دعاة التنصير، وكان يتمنى أن تسفر حرب تطوان «عن القيام بعمل نبيل في المغرب وتأدية رسالة مسيحية تمدينية تحثنا العناية الالهية على تأديتها حق الأداء في أول

110. «الوثائق» : 4 ص 467.
111. رسالته إلى الطريس في 29 رمضان 29/1306 ماي 1889، تطوان 84/73.
112. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 85.

وقت مناسب...» ثم قال : «إنني أشعر من أعماق قلبي بأثر تهاون إسبانيا بعد معركة المغرب سنة 1860 اللامعة، فقد أضعنا ثمرة دم ومجهود الاسبانيين...وذلك تنفيذا لوصية إيسابيلا الكاثوليكية من أجل تنضير أهل المغرب.»[113]

المطلب الثامن : مـراكـش

أ. الكاثوليكيـون

لم يرد عنهم شيء في هاته المدينة، وعلى سبيل التذكير نشير إلى أن الراهب الايطالي سان فرانسيسكو كان قد أرسل الى المغرب أول بعثة تنصيرية في القرن الثالث عشر الميلادي، فأسست أول أسقفية كاثوليكية بمراكش. وفي بداية القرن التاسع عشر كان يوجد فندق للنصارى[114]. وقبل ذلك في القرن السابع عشر سكن هنا نيكولاس دي بيلاسكو القشتالي N. De Velasco حسب ظهير السلطان السعدي محمد الشيخ الصغير[115].

ب. البروتستانتيون

ورد مرسلون إلى هاته العاصمة من البلاد الانجليزية والأمريكية، ينتمون إلى هيئاتها التنصيرية. ومن الامريكيين كان :

1. ريتشمـونـد : J. Richmond وهو من هيأة كوسبل، وصل إلى الصويرة سنة 1893 وبقي فيها مدة ثم رحل إلى مراكش سنة 1894 وأقام فيها ثلاث سنوات إلى أن عاد إلى الصويرة مرة أخرى[116].

وليست تعرف علاقته مع ديزموند التاجر الذي كان سنة 1891 يمثل بمراكش شركة كوتس وكين سطيرلينج الأمريكية فكان له فيها سماسرة[117]. فهل كان ديزموند (؟) Desmond تحريفا لريتشموند ؟

ولم يكن من الأمريكيين غيره. لكن يجوز أنه كان يتعاون مع هيأة سونرن بواسطة زوجته التي كانت هي ابنة كوثبرت نيرن أمين هاته البعثة الانجليزية التي كان من أعضائها :

2 ـ 4 : كوثبرت نيرن Cuthbert Nairn وزوجته وأخته جيسي JESSIE الذين وصلوا جميعا إلى الصويرة في مستهل سنة 1889 قادمين من لندن، ثم التحق بهم اخرون انتقلوا إلى جهات أخرى من الجنوب. وكانت أول المصاعب التي لقوها هي الحصول على سكن. ثم صار هو وأخته يتعلمان اللغة العربية. وفي سنة 1894 رحل هذا القس إلى مراكش صحبة أخته، وظل يقطن بها حتى اغتيل سنة 1944 بهاته المدينة[118]. وتفيد رسالة سنة 1899 أنه كان يسمى طبيبا وكلف بتسوير بقعة أرضية لدفن أموات النصارى[119].

---

113. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 5 ص 315.
114. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 45.
115. مجلة دار النيابة العدد الثالث ص 63، حيث أنعم عليه بسكنى في 15 شتنبر 1637.
116. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 160.
117. رسالة ماثيوز إلى الطريس في 10 رجب 1308 / 19 يبراير 1891، محفظة المغرب أمريكا.
118. مييج : «البعثات...» ص 163 و«المغرب وأوربا» ج 1 ص 147.
119. رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس في 19 صفر 9/1316 يوليوز 1899، تطوان 29/25.

5. **جون كيــدز : J. Geddes** وفد على المغرب سنة 1889 وظل هنا حتى رجع إلى بلاده سنة 1903. وكان مقيما بالجديدة أيضا. وله مقالات نشرت بجريدة البعثة.

6. **طوماس كلارك : T. Clark** وهو ممن وردوا في نفس السنة، فاستوطن مراكش من سنة 1891 إلى 1894، والجديدة من سنة 1895 إلى 1900، وأزمور سنة 1900، قبل أن يعود إلى الجديدة. وكانت له أبحاث صدرت بمختلف الصحف البروتيستانتية[120].

7. **آلن لينوكس : A. Lennox** وفد على المغرب سنة 1892 ثم استوطن مراكش من سنة 1896 إلى سنة 1905. غير أنه اعتزل النشاط الديني ليصبح سنة 1906 نائبا قنصليا لبلاده بمراكش. وله تأليف[121].

8 و9 : **الشقيقتان ماك آرثور Mac Arthur** إحداهما هي كريسي **Cressie** التي أقامت بمراكش من سنة 1894 إلى سنة 1905 وفتحت مدرسة لم يتجاوز أطفالها عدد الاربعين. أما الأخت الأخرى فتوفيت سنة 1895 بالمدينة[122].

10. **إيليــس : Ellis**. وقد استوطنت من 1899 إلى 1901 هاته العاصمة[123].

11. **طيلــور : Taylor** وردت سنة 1910 على المدينة[124].

12. **جيمس هولدين J. Holdane** وصل إلى المغرب سنة 1912 وصار سنة 1944 أمينا لهاته الهيأة بعد مصرع نيرن[125]. وله تآليف، منها ما يخص المغرب.

هؤلاء جميعا كانوا من بعثة سوذرن. وهناك غيرهم من بعثات أخرى وهم :

13. **طرينــر : Trainer** التي حلت بمراكش سنة 1902. وكانت مستقلة، ولكنها تعاونت مع سوذرن[126].

14. **هينكــوك : Hancock** التي استوطنت مراكش[127] سنة 1901.

15. **الدكتور رودوك : Rudduck** وقد استقر بزوجته بمراكش على غير انتظام بين 1897 و1906، وفتح مستشفى صغيرا وكان متعاونا مع سوذرن[128].

المطلب التاسع : مكنــاس

إحدى هيئات كوسبل الأمريكية استقرت هنا في نهاية القرن الماضي. وكان من أفرادها :

---

120. ميبج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 113 و89.
121. أيضا ج 1 ص 132.
122. بول باسكون:«حوز مراكش» ج 2 ص 407 (44) وميبج : «البعثات..» ص 177.
123. ميبج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 104.
124. ميبج : «البعثات...» ص 192 وبول باسكون : «حوز مراكش» ج 2 ص 407 (44).
125. ميبج : «البعثات...» ص 188.
126. المصدر الأخير ص 192، وبول باسكون «حوز مراكش» ج 2 ص 407 (44).
127. المرجع الأخيــر.
128. ميبج : «البعثات...» ص 174.

1. **و د روكافيلر : W. D. Rockafellar** الذي ورد صحبة زوجته إلى طنجة أواخر سنة 1895، ثم انتقلا إلى مكناس.

2 ـ 3 : **هنري هيمر H. A. Hammer** الذي ورد على طنجة في يناير 1895 ومكث فيها شهورا ثم التحق بمكناس، ومعه ميرثا د ريتشاردز : **Martha D. Richards** التي اتخذها زوجة له، حيث فتح مستشفى صغيرا (ولو أنه لم يكن طبيبا) وأخذ يستقبل كل صباح ما بين 30 و40 شخصا فيقدم لهم النصائح والدواء ويتلو عليهم سورا من الاناجيل. وفي نونبر 1896 رحل إلى فاس لنفس الغرض.

4. **أورنا سيمبسن : Orna Simpson** حلت بالمدينة حين خرج منها هيمر الذي خلفته في المستشفى، ومكثت هنا حتى غادرت المغرب في مطلع القرن.

5. **جورج ريد : G. Reed** وهو أطول منصر أمريكي إقامة بالمغرب، فقد سكن هنا نحوا من 17 سنة دوّن عنها مذكراته. وكان وصوله إلى مكناس سنة 1897 ورحيله عن المغرب سنة 1914. ولما ورد إلى هنا لقي الصعوبة التي لقيها غيره من العامل في الترخيص له بالسكن. وكان سنة 1899 يخرج إلى القبائل البربرية، فلما احتج العامل والطريس على مخاطرته بنفسه هنالك لم يعبأ بكلامهما، بل اتهمهما بمحاولة حبسه داخل الأسوار من أجل أخطار وهمية. وكان تهوره هذا وتهور غيره من المنصرين الأمريكيين مدعاة إلى لوم المنصرين البريطانيين المجربين الذين عابوا عليم طيشهم، كما نصحوهم بعدم مخاطبة الناس في الأماكن العمومية، لأن ضرر ذلك أكثر من نفعه[129].

6. **ألبرت نيطن : A. Nathan** وهو من مواليد هامبورغ ومن أغنياء يهود ألمانيا. وقد هاجر إلى الولايات المتحدة وتأمْرَك، ولما تنصر تبرأت منه أسرته وحرمته حقه في الميراث، فأصبح لا ماضي له.

وبولاية كينزاس اتصل بجورج فيشر G. Fisher أحد زعماء التنصير بها وعبر له عن عزمه على المشاركة في حملات جمعية گوسبل والذهاب إلى المغرب في سبيل ذلك. فغادر أمريكا عبر إنجلترا إلى طنجة بوصفه سائحا وباحثا عن أسس الاستيطان البروتيستانتي. وكان وصوله صحبة هيمر وهيتي فيرنبو Hettie Fernbaugh مربية أولاده في يناير 1895. وصار يتعلم هو ورفيقه اللغة العربية على يد منصرين إنجليزيين. وبعد ستة أشهر عندما ظنا أنهما تعلما الكفاية منها صارا يتجولان بضواحي طنجة حاملين لنسخ من الانجيل مترجمة إلى الدارجة ومخاطبين الناس بلغة ركيكة.

وكانا قد استعانا بنصراني من الشام اسمه أمين كسباني لتعليم الوافدين من أمريكا اللغة العربية، وشرعا يعدان خططهما لفتح مراكز بالعرائش والقصر الكبير وفاس ومكناس اللتين استهوتهما لكونهما عاصمتين، فاستقر عزمهما على الاستقرار بهما.

وكانا قبل أن يخرجا من طنجة أواسط سنة 1896 قد لقيا مصاعب في العثور على سكن لهما. كما أن نيطن كان متهما من لدن العامل ببيع الكيف تحت ستار الانجيل. ولما غادر

---

129. دينيس فلبيس : «الارسالية...» ص 6 ـ 12.

المدينة ترك داره رهن إشارته، فعمدت السلطة إلى إيصادها واعتقال خادمه وسجنه في مارس 1897، مما تسبب في احتجاج ومطالبة بتعويض قدره ألف دولار.

وفي سنة 1899 انفصل نيطن عن البعثة لأسباب قد يكون مردها إلى خلافات شخصية، وانتقل إلى طنجة حيث صار مساعدا للقنصل العام ومكلفا من لدنه بالتحقيق في قضايا متنوعة ولاسيما مع قنصل أمريكا بالدار البيضاء جون كوب الذي استقال بسبب ذلك من مهامه. وظل نيطن مقيما بالمغرب وكان حتى سنة 1904 لا يزال به. وله تقارير نشرت سنة 1896 و 1897 بمجلة «كوسبل ميسيج»[130].

وإذا انتقلنا إلى المصادر المخزنية نجدها قد امتلأت بأخباره وأخبار غيره. فقد وردت فيها تفاصيل اخرى عن نشاط نيطن «الطبيب» ورفاقه وعما لاقوه من مصاعب للعثور على سكن. وتذكر بعض الرسائل المخزنية بشيء من التحديد تاريخ استقرار نيطن، وتوضح رسالة ثانية كيفية دخوله إلى المغرب، وتصف ثالثة نشاط المنصرين عامة بمكناس.

وهكذا يستفاد من رسالة للعامل أن «النصراني المدعى طبيبا من مركان المسمى مَسطر نِطن هذه مدة وهو مقيم بمكناس من أحد عشر شهرا. والآن صار يخرج للقبائل البربرية وحده منفردا، ولا يبالي بشيء ويدوّخ الأرضين الخالية...»[131].

ويبدو أن نيطن وزوجته قد حلا بمكناس في أكتوبر 1895 بوصفهما سائحين، لانه ورد في رسالتي النائب السلطاني إلى الولاة وإلى عامل المدينة أن قنصل المركان أخبر «أن هذين الروميين من سواح الجنس المذكور الحاملين لهذا بصدد التوجه لمكناسة الزيتون لغرض السياحة، وطلب كتاب الوصية بهما. وعليه فلتكن منهما على بال...»[132].

ومهما يكن، فانه لم يستقر هنا إلا سنة 1896 حينما أكراه أحد المحميين دارا.

وعن نشاط المنصرين سنة 1897 قال السلطان للطريس إن «بعض النصاري بملاح مكناس يدعون الطب ويعطون الدواء مجانا ولا يحسنون علاجا، وربما تأذى بعض الناس من سوء علاجهم، زيادة على العدد المنتشر منهم بالمدن والمراسي، رجالا ونساء.

«وعليه فنأمرك أن تكلم نواب الأجناس هنالك في شأنهم وتعرفهم بما يقع من الوقائع فيهم فيصيرون يدْعون، مع عرضة النساء للافات، ليكون تأويل فيمن يأتي منهم بقصد التداوي، بحيث إن كان طبيبا مشهودا له على مقتضى القانون فيه يكن نائب جنسه يعلمك...»[133].

7. ج ب ويليفر : J. P. Willliver وصل إلى طنجة في 18 أكتوبر 1897، وبعد أربعة أيام حل بمكناس، فلم يجد كالعادة مساعدة من العامل على البحث له عن سكن، فتدخل القنصل العام لفائدته. وللتغلب على هاته الصعوبة واعد كل من يكريه دارا بأن يغدق

---

130. المصدر الأخير ص 6 ـ 8 ـ 14 ـ 17 وكذلك مريج : «البعثات...» ص 165 و 166 و«المغرب وأروبا» ج 1 ص 148 و 160.

131. رسالة الجيلالي بن حمو إلى الطريس في فاتح صفر 12/1314 يوليوز 1896، تطوان 16/80.

132. رسالة الطريس إلى حمو بن الجيلالي في 17 ربيع الثاني 6/1313اكتوبر 1895، تطوان 5/124 ثم رسالة أخرى إلى الولاة بتاريخه فيما يخص أمور السفر والمبيت، تطوان 6/124.

133. رسالته في 29 رجب 3/1314 يناير 1897، تطوان 81/15.

عليه حماية بلاده التي طلب وزير خارجيتها من ممثله السعي لدى المخزن لكي يرخص لجميع الأمريكيين القاطنين بالمغرب بحق الحصول على سكنى.

وبعد نحو السنتين رحل ويليفر إلى فاس لمباشرة عمله، فكان يرتاد نواحي صفرو مثل آيت موسى الذي استخدم منها دليلا اسمه باسُو كان يرافقه ويسكن معه بالخيام وسط الدواوير. وظل مقيما بفاس إلى أكتوبر 1902 عندما اغتيل ديفيد كوبر الذي اعتاد أن يزوره ويحتسي الشاي معه. فصدر الأمر لجميع المنصرين الأمريكيين بالانتقال إلى العرائش خشية حصول إذاية لهم[134].

والوثائق المخزنية قدمت تفاصيل مفيدة عن نشاطه وحياته بمكناس سنة 1899 فقالت : «فقد أخبر الامين السيد بناصر غنام بأن نائب المركان طلب منه الاجتماع به. ولما تلاقى به استظهر له بعدة مكاتيب وردت عليه من طبيبهم ويلبور بمكناس الذي يدعي أنه ساكن بملاح المدينة المذكورة بأولاده منذ سنين 4. وأن خليفة عامل البلد كان وعده بتيسير محل له ينتقل إليه بالمدينة المذكورة بالكراء، فلم يوف له بذالك. وبعدما أعطاه خزائن من الكِبْرِيَّة للنزول بها بينما يتيسر له المحل، وجه أصحابه لحيازتها منه واطلاعهم على ما في صناديقه، ليّلا يدعي ضياع شيء، بعد سبهم زوجته وبصاقهم عليها، وجوابه له باستبعاد صدور ذالك من الخليفة المذكور، وأنه ليس من شأنه أن ينظر الديار للناس، وجواب النائب المذكور له بأنه كلما حاول هذا الطبيب تيسير محل إلا علّق صاحبه الاكراء على إذن الخليفة، طالبا منه الكتب لهذا الخليفة بالوصية على الطبيب، وأن ينظر لهم محلا للسكنى بالكراء. فأجابه بأن الكتابة في ذالك من شأن نائب المخزن، ثم اطلع على ما كتب به خليفة عامل البلد - المشار له - لك من التشكي بالطبيب وأصحابه، وكتبك بذالك لنائب الجنس، وأنه حيث لم يقبل منك كلاما فيه كتبت للخليفة بالايصاء عليه، وأن ينظر له محلا بالكراء، وأنه حيث طلب منه نائب الجنس المذكور رفع القضية لجانب المخزن وعدة بالتبليغ، وأشار بالايصاء على الطبيب المشار إليه وتيسير المحل له بالكراء. وأنهينا ما ذكر لعلم مولانا أيده الله.

«ولما وقع التأمل في كلام نائب الجنس المذكور مع ما كتب به خليفة العامل لشريف الحضرة تبين أن هذا النائب إنما تكلم بمقتضى كلام الطبيب، قبل أن يطلع على الواقع في القضية. فإن هذا الخليفة كان أعلم جانب المخزن بما عليه هذا الطبيب ومن معه من الأشخاص المركانيين بالملاح من قراءتهم على صبيان اليهود والمسلمين كُتُبا لهم بقصد جلبهم للتدين بها، وإن كان صبيان المسلمين لا يلتفتون لاعتبار ذالك، ولورود كتاب عليه منك وآخر ذكروا له أنه من نائب المركان : بالتأكيد على أن ينظر لهم دارا بوسط المدينة، مع ما فيه من التهديد بلا قانون ولا شرط. فأي عضد يبقى للمتولي اذا صار يُكْتَب له بمثل هذا، مع أن الخليفة لا معرفة له بصاحب هذا الكتاب، ولا كلام له إلا معك، ولا شرط يقتضي تكليف العمال بالاكراء للناس ؟

---

134. دينيس فليبس : «الارسالية...» ص 10 - 11 - 15. هذا وإني لأدين بالفضل للزميلة سوزن ميلر أستاذة للتاريخ بجامعة هارفارد لما قدمته لي مؤخرا من مستندات أمريكية مصورة في الموضوع.

«ثم أعدت الكتابة لهذا الخليفة في شأن تيسير المحل، فوجد الحال المركاني خرج من الملاح، وصار ينتقل بخزانته من محل إلى محل وينزل بالأماكن المخوفة، ويخالط جهلة البربر والآفقيين، ويروم إفساد دينهم عليهم.

«ولما كلمه في الكف من ذلك صار يهدد بالسفر على أن يترك بعض حوائجه بغير قانون، فلم يجد بُدّا من أن جمع عليه تجارا من المسلمين واليهود وعدلين، فكلمه بمحضرهم بأنه إذا أراد السفر فليصحب معه جميع حوائجه، وإن أراد ترك البعض منها فليقيده بمحضرهم ويختم عليه بخاتمه ويجعل بمكان صَيِّن. وحيث وجده يضطرب وأجابه بالمفيد صادر يخلط في الكلام ويسعى في الخوض.

«هذا هو الواقع. وأما الخليفة فلم يعده بتيسير دار ولا غيرها. وأي ضرورة تلجئه للوعد بها أولا ثم الاخلاف ثانيا ؟ وقد أجيب الأمين المذكور بمضمن هذا ليقرر ما ذكر لنائب الجنس المذكور حتى يفهم الواقع على وجهه، ويتيقن بأن مطالبة المخزن بأن ينظر محل الكراء للناس ماكان لأحد ولا يكون قط. وأعلمناك لتكون على بال، وتستعمل حسن المدافعة لكل من يطلب منك الكَتْبَ في ذلك»[135].

الرسالة الطويلة التي تعمدت سوقها كاملة عن نشاط ويليفر وخلافه مع السلطة المحلية وتدخل النائب الأمريكي في شأنها تلقي أضواء كبيرة عن تعامل المخزن والناس مع هؤلاء المنصرين في شتى أنحاء المغرب.

ولابد أن أذكر أنه وسع نشاطه خارج المدينة حسبما جاء في رسالة أخرى بعدها بنحو السنة عنه، أو بالأحرى عن «المركاني الذي يدعي الطب هنا الذي كتبت لنا في شأنه بعدم التعرض عليه في كرائه الدار لسكناه بها، لا ظاهرا ولا باطنا. وقد أجبنا عن ذلك بالامتثال...». وقد «خرج من المدينة وضرب أخبيته بقصبة أهل تُلَال، وهم برابير، ولهم المصارفة مع البربر مثل جروان وزمور... ولازال المركاني المذكور مقيما بذالك المحل، وهو مخوف، ولم يرد النهوض منه...»[136].

وخاتمة الكلام عنهم وفق ماجاء في رسالة السلطان إلى عامل مكناس أنهم ظلوا يسكنون بالمدينة الى ما بعد سنة 1906 وأنهم كانوا لا يزالون يجدون صعوبة في كراء سكن لهم. فقد ورد فيها أن «الاناس المركانيين المستوطِنين بملاح مكناس طالما تشكوا من ضرر السكنى بالملاح، وأن كثيرا من الناس في المدينة يريدون أن يكروا لهم فيخشون العقوبة على ذالك. وقد ألح سفير المركان في تيسير دار لهم يسكنونها في المدينة، فأجيب بما هو المتعين من أن يكتروا لأنفسهم، والمخزن لا يمنعهم ولا يتعرض لهم...».وختم رسالته إليه بأن يشد «عضدهم فيما يكترونه لسكناهم بالمحل الذي لا مانع منه...»[137].

---

135. رسالة الحاجب إلى الطريس في 7 صفر 17/1317 يونيو 1899، تطوان 20/26.
136. رسالة بنعيسى بن خمو إلى الطريس في 16 محرم 16/1318 ماي 1900، تطوان 14/84.
137. رسالته إلى العامل في 7 شوال 24/1324 نونبر 1906، نصها في «كناش مكاتيب الطابع الشريف» رقم 1695 د بالخزانة العامة بالرباط ص 57.

المطلب العاشـر : فـاس

أ ـ الكاثوليكيـون

قبيل حرب تطوان طلبت اسبانيا من المخزن سنة 1859 أن يسمح لها ببناء دار للفرايلية بمدينة فاس[138]، التي كان يقطن بها عدد من الرهبان مثل ديكودي لوس أنخيليس Diego de Los Angeles الذي أنعم عليه مولاي اسماعيل سنة 1710 بظهير التوفير والاحترام[139].

ب ـ البروتيستانتيـون

كانت طائفة من المرسلين يسكنون بفاس، وهم من بعثة نورث وهيأة گوسبيل. وسنفتح الكلام عنهم، بادئا بالانجليزيين وختاما بالأمريكيين. ومضى القول أن نورث أفريكا أوفدت الى المدينة الآنسة إيما هيردمان المذكورة بطنجة، والتي رحلت عنها وظلت متنقلة من مدينة إلى مدينة حتى حطت رحالها نهائيا بفاس سنة 1888، حيث عاشت بها تسع سنوات، وتوفيت سنة 1897. وكانت مراسلة لجريدة البعثة[140]. وكان بهاته العاصمة آخرون مثل دينيسون وتشرتشر القادمين من طنجة. أما الباقون من هاته البعثة فهم :

1. ج. ل. ريــد : J. L. Reed التي أقامت بصفرو في الصيف، وبفاس بقية المدة، وذلك من سنة 1889 الى 1896، وكانت تتعاطى التعليم، وتكاتب جريدة نورث أفريكا[141].

ويغلب علي الظن أن ريد وهيردمان هما النصرانيتان الواردتان لفاس، والمشتغلتان بما فعلت الواردتان للرباط من قلب اعتقاد المسلمات، حسبما مر بنا في الرباط.

2. كـوبيـن : Copping وردت على طنجة حيث أقامت من سنة 1888 إلى سنة 1891، ثم رحلت إلى فاس سنة 1892. وفي السنة الموالية سافرت إلى الهند[142].

3. جنينغـز : Jeannings وصلت إلى طنجة في يبراير 1886 وانتقلت إلى فاس سنة 1889 حيث أقامت ست سنوات. وكانت في المصيف ترحل إلى صفرو التي وصفتها مرارا بجريدة البعثة[143].

4. فليـتـشـر : Fletcher لها مقالات صدرت بنفس المجلة سنة 1892. وهي زوجة سومرز[144].

---

138. عبد الرحمان ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 288.
139. مجلة «دار النيابة» العدد الثالث ص 64 و 66، حيث ظهير اسماعيلي بتاريخ 28 جماذى الثانية 24/1122 غشت 1710.
140. مييج : «البعثات...» ص 158 و«المغرب وأوربا» ج 1 ص 121.
141. المرجع الاخير ج 1 ص 158.
142. نفس المرجع ج 1 ص 93.
143. أيضا ج 1 ص 124.
144. كذلك ج 1 ص 109.

5. كــــــرنيس : Crass عاشت بفاس سنة 1895 و1896 ثم ذهبت الى طنجة حيث مكثت سنتين[145].

6. مـيـلـــت : Mellet كانت سنة 1894 مقيمة بهاته المدينة[146].

7. ديفيد ج. كوبر : D. J. Cooper وصل صحبة زوجته الى المغرب سنة 1900، ومات مقتولا سنة 1902 بفاس[147].

كان قاتله يدعى الشريف العلمي الذي قيل إنه مختل الشعور. وهو من أصل بربري كان عبر عن عزمه على قتل النصراني، فخرج من قبيلته وذهب إلى فاس، ولما لقيه شدخ رأسه بحجرة غليظة لقي بها حتفه لحينه. ولما توبع بهاته الجريمة استجار بضريح مولاي إدريس، فوعده السلطان بالامان إن خرج من الحرم. غير أنه نكث عهده فأمر بقتله، إنصاتا لمستشاريه الانجليزيين وخضوعا للضغط الأجنبي عليه[148].

ـ إيدواردز : وسلف عنه الكلام بطنجة. وقد أقام بفاس سنتي 1893 و 1894. وكان هو والانسة ريد سالفة الذكر يتعاطيان تعليم الأطفال. لكن معارضة المخزن لمشروعهما وسجن آباء التلاميذ حالا دون ذلك[149]. وكان نازلا بعرصة كنون كما تقدم بفاس. وعن هذا تحدثت في الباب الثاني عشر أن السلطان كلف سنة 1893 عامل فاس وولاة المدينة بالبحث عن «جاسوس من النصارى اسمه مكلود، والتأكيد على التنقيب عن احوال غيره من النصارى الذين يدعون تعاطي الطب ومرادهم خلافه، من تعليم صبيان المسلمين اللغة النجليزية وإفساد اعتقاد أبناء المسلمين ليدركوا أغراضهم الفاسدة».

ومر بنا أن علي الراشدي أجابه، ولو أنه لم يسم إدوارذز : «... وأما النصراني النازل بعرصة جنون الوارد الكتاب الشريف في شأنه أيضا بأن نخصره ونسترعي عليه الخ، فقد أحضرته وسألته عن جلوسه وشغله، فتلجلج لسانه وتعلل بالطب، فتلطفت في تقريره حتى أقر أنه يعلم بعض الصبيان يأتونه خفية.

«فقلت له : «أرأيت لو ذهب أحد منا لبلادكم وجعل يقرىء أولادكم بدون إذن مخزنكم أيتركه يتمادى على فعله ؟».

«فقال : «نعم». فنهيته واسترعيت عليه.

«فقال : «لا ينكف حتى يأتيه إذن باشدور دولته». فشهد عليه عدلان...»[150].

ولم يكن نشاط هاته البعثة مقتصرا على التعليم، بل كان التطبيب هو الأساس، سواء بفاس أو بصفرو. وهذا ما ثبت من خلال المصادر الأجنبية، حسبما هو معروف في جميع الأنحاء والجهات من العالم.

---

145. أيضا ج 1 ص 94.
146. أيضا ج 5 ص 209.
147. كذلك ج 1 ص 93.
148. العروي : «الاصول...» 347 ولوطورنو : «الحياة» 284 وفلبيس : «الارسالية» 15
149. مييج : «البعثات...» ص 177.
150. رسالة العامل الى السلطان في 27 جمادى الاولى 6/1311 حجنبر 1893، محفظة فاس 2.

وأود هنا أن أسوق نتفا من رسائل من المخزن ومن المفوضية البريطانية تتناول شؤون إقامتهم بالمدينة وبخارجها. فعن سكناهم بفاس، ولاسيما إقامة ثلاث منصرات بها، هن : هيردمان وكوبين وريد قبل سنة 1888، جاء في رسالة عامل فاس :

«ورد علينا كتاب النائب الخديم الحاج محمد الطريس بورود نصرانيات 3 من النجليز يزعمان الطب بالكون منهم على بال، وبأن ننظر لهم محلا لنزولهم بالكراء. وهذه نحو السنة وهم بمحلهم ويروجون بالمدينة وبفاس العليا ويرجعون إليه. وكنا أوصينا عليهم مقدم الحومة برد البال. ثم إنه ورد علينا قبل تاريخه بيوم وأخبر بأنهم لم يعودوا لمحلهم، فبعثنا في أثرهم فوجدناهم باتوا بالملاح. وصبيحته سافروا بهم اليهود لمدينة صَفْرُو»[151].

وثمة رسالة لوايط عن الانجليزيات اللواتي طلبن منه التوصل بكتاب من الطريس إلى «مولاي اسماعيل بالاذن لهن بالسكنى في مدينة صَفروا في الأشهر الثلاث الصيفية. فلا يخفى عن سيادتكم أن هاؤلاء السنيورات قد سكنَّ بفاس هذه سنين، وليس لهن إلا السعي في الخير للفقراء، بلا نظر في الايمان ولا في غيره. ولهن معرفة كبيرة بعلم الطب، وبيدهن أدويات عديدة، ويبذلن مجهودهن في مباشرة المرضى من المساكين. والآن يحترمهن جميع الناس مسلمين ويهود، وسخن عليهن الوقت بفاس في فصل المصيف، ولم يردن ترك أشغالهن. ولأجل ذلك يردن القدوم لمدينة صفروا التي هي أبرد هواء من فاس، وهن معروفات بصفروا، لأنهن كن هناك في أيام المصيف قبل هذا بنحو سنتين. وقد طالبهن أهل صفروا بالرجوع إليهم، فقدمن إليهم هذه مدة قريبة، وتفاصلن في كراء العرصة التي كن فيها المرة الأولى...»[152].

وأيضا أسوق طرفا من رسالة ثانية لوايط تقدم الاستشهاد بصدرها بالرباط : «.... فقد تحقق لدينا أن النساء اللتي بفاس توصلن باحترام وتعظيم جل المسلمين ذوي العقل والمروءة، وماذاك الا لسعيهن في الخير وتلطفهن على المرضى من الفقراء والمساكين...»[153].

وثالثة منه إلى النائب السلطاني عنهن في شكاية حول فتح المنصرين بالرباط سراجم للتكشف على الجيران. قال وايط : «وحصلت لنا في هذه الأيام فرسة (= فرصة) لنتكلم في شأن هذه الشكاية مع إحدى النسوات القاطنات بفاس التي اتفقت جالسة بطنجة في هذا الوقت، وحققت لنا أن الشكاية فيما يتعلق بها وبصاحباتها لا أساس لها. ويمكننا أن نذكر أيضا أنا سمعنا غايةً مدحَ هذه النسوة من منابيع متعددة مختلفة، لِمَا يظهر منهن من الرشد وحسن النظر في وقوفهن بأشغالهن الخيرية.

«فالبائن لنا البيان التام أن سيادتكم غرُّوها بعض الجهلاء ممن لا يسعى في الخير، الذين يعرفون أنه إن وقعت شكايتهم في المحل الحاصلة به يسهل تقليبها، وظنوا أنهم يقدرون على إضرار من لا نية له بقدومه لهذه الايالة إلا السعي في الخير...»[154].

---

151. رسالة بوشتى بن البغدادي الى السلطان في 10 قعدة 9/1306 يونيو 1889، محافظ الترتيب العام.
152. رسالته الى الطريس في 27 يونيو 20/1891 قعدة 1308، تطوان 8/43.
153. رسالة وايط الى الطريس في فاتح يوليوز/24 قعدة، تطوان 29/43.
154. رسالته في 24 يوليوز 17/1891 حجة 1308، تطوان 41/43.

هذا وكان نشاط هؤلاء المنصرين قائما في أساسه على التطبيب في المستوصف الذي كان يشرف عليه الدكتور تشرتشر والذي تضاعف عدد زواره من 379 في يناير 1891 إلى 523 في يبراير من نفس السنة، وذلك لما غيرت البعثة مقرها بفاس إلى مكان آخر بنفس المدينة «في زنقة جميلة هادئة، بحيث يستطيع الناس أن يأتوا إلينا، دون أن يراهم أحد» حسبما قالته كوبين[155].

8 ـ 12 : **من هيأة «گوسبل»**.في مستهل القرن الحالي كان يعيش بفاس مروّجون من هاته البعثة، عددهم 5 أشخاص قدموا سنة 1901 من الولايات المتحدة، وهم رجلان : **فيكطور سوانسن V. Swanson** وف س إنيارت **F. C. Enyart**. أما النسوة فهن : **نيلي أولسن N. Olson** وإيرين وارد **Irene Ward** ومود كيري **Maude Cary**[156]. وقد رحلوا من فاس سنة 1902 لما قتل كوبر[157]. وعادوا مرة أخرى إليها من العرائش، وذلك ما يستفاد من رسالة قد تكون تعنيهم. إذ ذكر خليفة عامل فاس أنه استرعى وقتئذ على القنصل الفرنسي والألماني والانجليزي على «رجوع المرسلين، أي الفرايلية الامركان لفاس، وطلب منهم تقديم الاعلام بذلك لباشادواتهم بطنجة، مبينا بأن المخزن الشريف لا يكون مدرك [ـاً] بشيء إذا وقع على الأمر كان المذكورين ضررا ناتجا (= ضرر ناتج) عن سلوكهم... لأنه إذا وقع عليهم شيئا (= شيء) من ذلك فيصعب عليه التخلص من العاقبة...»[158].

المطلب الحادي عشر : مرسلون آخـرون

زيادة عن الذين سبق ذكرهم ممن كانوا يقطنون بمدن معينة، هناك آخرون وردت أسماؤهم أو أنسابهم دون أن أهتدي إلى تحديد مكان نشاطهم. ولعل بعضهم كانوا مجرد أعوان ومساعدين. وها من تبقى منهم، مرتبين على حسب انتماءاتهم الطائفية[159].

أ. البروتيستانتيون :

1. من نورث أفريكا :

○ **النســاء** : ألدريدج Aldridge، وده لاكيمب de la Camp، وكراكز Craggs، ودونيكليف Dunicleffe، وفروستيك Frustick، وكريتهيد Greathead، وهوبارد Hubbard، وليمبدن Lambden، ومارسطون Marston، وروبسون Robson، وطريجيلوس Tregillus، وفيرسينغ Versing، وواطسون Watson.

○ **الرجــال** : لايلي Liley، ولوكهيد Lockhead. ثم لَطيف (بلام مفتوحة) ولُطيف (بالتصغير).

---

155. ميج : «البعثات....» ص 175.
156. فليس : «الارسالية» ص. 15.
157. مصرع كوبر خلف هلعا كبيرا، فصارت السلطات تخاف عليهم من الأذى.
158. من جواب سفير ألمانيا إلى المخزن في 29 دجنبر 1903/3 شوال 1321 الترتيب العام.
159. ميج : «البعثات...» ص 191 ـ 192.

ولا ريب أن الأخيرين قدما من البلدان المشرقية كالشام، وأنهما من المتنصرة. والمرجح أن أحدهما هو حسن إصطفان اللَّطيف الذي حل بالصويرة قادما من طنجة سنة 1890، وكان يحمل جوازا لبنانيا، كما كان من رعايا الدولة العثمانية في ذلك الوقت[160].

2. من سـوذرن :

○ **النسـاء** : بيسيت Bisset، وكينغ King، ولوجي Logie، وباطيرسون Patterson، وبرايور Prior، وريتشي Ritchie، وسميث Smith.

○ **الرجـال** : ك. ميوير K. Muir، وبيطون Paton.

3. **من غيرهما** : بيلامي Bellamy وهو من «بريطيش»، وهوسكينز Hoskins وزوجته وكان مستقلا[161].

هؤلاء من جنسية انجليزية. وبقي غيرهم من جنسية إسبانية على الأخص، هم :

ب. الكاثوليكيـون

1. **خيـراردو نويا** : G. Noya قضى بالمغرب عدة سنوات من 1878 إلى 1879، ثم رجع ليقيم هنا من 1887 إلى 1893.وكانت وفاته سنة 1905 بمدينة اشبيلية[162].

2. **أبيلينو مونيوس ميلاو** : A. M. Millau ترهب سنة 1880 واستوطن المغرب من سنة 1889 إلى سنة 1927. وكان رئيسا للبعثات الكاثوليكية الاسبانية بالصويرة والجديدة وتطوان والعرائش. وله مقالات نشرت بمختلف الصحف.

3. **بينيطو ساسطري ديل ريو** : B. S. Delrio عاش بالمغرب من سنة 1867 إلى سنة 1878. وله أبحاث منشورة.

4. **بيسينطي فراسكيت بيو** : V. Frasquet Bello استوطن المغرب من سنة 1878 إلى سنة 1887. وله مقالات صدرت بمجلة «ريبيستا فرانسيسكانا».

5. **مارسيلينو سيبيسـا** : M. CIVEZZA راهب فرانسيسكاني له مقالات عن نشاط الرهبان بالمغرب.

6. **ليـون كـودار** : L. Godar راهب فرنسي ولد سنة 1825 وتوفي سنة 1863، وكان أستاذا للحفريات. وصل إلى المغرب سنة 1858، ولبث هنا حتى رحل سنة 1859، وزار بلدانا أخرى كتونس والجزائر ومصر وفلسطين،وله تأليف عن المغرب.

---

160. من وثائق وزارة الخارجية البريطانية، F.O. / P.R.O. : 653/3.
161. مييج : «البعثات...» ص 191 ـ 192.
162. عنه وعن من بعده ينظر «المغرب وأوربا» ج 1 صفحات مختلفة.

③ النشاط التنصيري : أساليبه ونتائجه

كان أغلب المنصرين منتمين إلى بريطانيا العظمى. وكان أعضاء هاته البعثات البروتيستانتية قسسا ميطوديين، وهم من أتباع الطائفة التي أنشأها بمدينة أوكسفورد القس جون ويزلي J. Wesley في القرن الثامن عشر.

ويتعين هنا استعراض هذا المسلسل التنصيري وأنواع الاشغال التي كان المرسلون يمارسونها، ضمن أربعة مطالب هي العلاج والتعليم وقلب الاعتقاد والتقاط الاخبار. ولئن كان في الاعمال الاولى نفع محسوس بالمداواة والتعليم، فقد كانت الطامة الكبرى هي في محاولة قلب اعتقاد المغاربة.

ولكن علينا أن نشير إلى جانب كان إيجابيا في أعمالهم وكتاباتهم : لقد احتكوا بمختلف طبقات المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر وصدر الذي يليه، فوصفوا لنا حياة المغاربة وخلدوا لنا البعض مما نسيه التاريخ. وأشغالهم وتآليفهم لاتزال بحاجة إلى نشر وتعريب وتحليل وتمحيص[1].

المطلب الاول : العلاج والمواساة

كانت جميع المستوصفات والمراكز الصحية البروتيستانتية محتوية على أطباء وممرضين، وتقدم بيان مواقعها.

شيدت «نورث» بطنجة سنة 1886 مستشفى وأردفته بثان كان يغشاه المسلمون واليهود من المغاربة مثلما كان يفد عليه الاسبانيون. وكان مشتملا على غرفتين : واحدة للرجال وأخرى للنساء. وكان المرضى يقصدونه من المدينة ومن الآفاق البعيدة والنواحي القريبة.

وبفاس فتحت مركزا طبيا دام عدة سنوات، إلى جانب مستوصف ثانوي بصفرو.

وبتطوان تقاطر المرضى على مستشفى نفس البعثة. ومثل ذلك يقال عن العرائش والرباط والدار البيضاء بالنسبة للهيأة المذكورة، وعن الصويرة والجديدة وآسفي ومراكش بالنسبة لبعثة «سوذرن» ومكناس بالنسبة لبعثة گوسبل الامريكية. وهكذا لم تخل مدينة ساحلية ولا قاعدة داخلية من أطباء وممرضين ومساعدين، نساء ورجالا، وقد تعاطوا أنواعا مختلفة من النشاط الصحي الممزوج بالتلقين الديني.

---

1 . سأستعين في هذا الفصل بما كتبه مييج عن البعثات البروتيستانتية، وسأدرج استشهادات ونقولا من مختلف الكتب والوثائق، مشيرا إلى أبا القاسم الحناشي قدم أطروحة عنوانها «الحركات التبشيرية بالمغرب الاقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر» إلى كلية الاداب بتونس، نوقشت في يبراير 1982، ونشر ملخصها في «المجلة التاريخية التونسية»، العدد المثنى 26/25، يونيو 1982، ص 113 ـ 119.

فمن حيث أنواع العلاج، بلغت الفحوص بطنجة 2.300 استشارة سنة 1886 ثم ارتفعت إلى 17.000 سنة 1892. وفي سنة 1894 كان عدد الاستشارات 40 ألفا بطنجة والرباط والدار البيضاء وفاس، ثم وصلت إلى 70 ألفا سنة 1900 بمجموع المحطات.

ومنذ فتح المراكز التنصيرية البروتستانتية قدرت الاستشارات بـ 50 ألفا بتطوان و70 ألفا بفاس و80 ألفا بمراكش و60 ألفا بطنجة و50 ألفا بالرباط، أي أزيد من 300 ألف استشارة، كما أجريت أكثر من 100 عملية جراحية بمراكش، وأزيد من 200 بطنجة سنة 1905.

وينبغي أن يضاف إلى هاته الفحوص والاستشارات والعمليات ما قدموه من تلقيحات عند طروء الأوبئة سنة 1895 و1901 و1904، أنقذت - بلا ريب - كثيرا من الارواح من الاخطار. ولربما أخذ الناس يقبلون نوعا ما أن تجرى لهم «الجلبات» الوقائية من الاوباء والامراض، وكان ذلك لما صار الولاة وأعيان المخزن ينادون على الاطباء لعلاجهم. وعسى أن يكون قد دخل تطور ما على بعض العقول التي كانت تعتصم بأن «لا عدوى ولا طيرة» في الاسلام.

وخرج بعض المرسلين إلى الاسواق وإلى البوادي مثل لينوكس الذي ذهب لعلاج أحد أبناء المدني الكلاوي بتلوات، وريتشموند الذي رحل إلى إيمين تانوت بقصد علاج المرضى[2].

التطبيب كان مطية للتنصير من مشرق الارض إلى مغربها حسبما ورد في مختلف الكتب. ومن المؤلفين من زاروا المغرب مثل فرانسيس ماك نيب التي ذكرت أن المنصرين كانوا يستغلون فقر المغاربة لتمسيحهم. فإذا لم ينصت المريض الى ما يتلونه من إنجيل، فلا دواء يعطى لهم، بحيث كانت أعمالهم مغطاة كلها بستار الطب[3]. وقد ثبت هذا في شتى المصنفات المكتوبة عن النشاط التنصيري في البلدان الافريقية والعربية والاسلامية والاسيوية.

وبودنا أن نعرف كيف كان يتم ذلك .

وها كيف يصف منصر صباح يوم بمراكش : أمام باب دار البعثة تقبع جماعة من الناس قبل الافتتاح. وفي الساعة الثامنة يفتح المركز، ويدخل النساء والرجال إلى الدار ليستقر كل جنس في بيت... فيعظهم القس ويرد على اعتراضات الجمهور، الذي يظل بعضه صامتا، ويخرج البعض الاخر مغضبا، مفضلا مغادرة القاعة دون دواء على أن يسمع كلام كافر، وبعد نصف ساعة يبدأ العلاج. ويجري نفس الشيء مع النساء في الغرفة الاخرى[4].

وهكذا كان العلاج الجسماني يبدأ بالوعظ العقائدي، وبمخاطبة الضمائر قبل فحص الابدان، في هاته الصورة التي قدمت على أنها مجرد مثال.

أما المواساة فلم تكن خالصة لوجه الله، ولكنها كانت جديرة بالتنويه. ففي إبان المساغب وعند حلول الكوارث كانوا يسعفون بتقديم الاقوات والادوية إلى المنكوبين، متى كان عندهم فيض منها. فكانت هاته المواد تأتيهم عن طريق الهبة والاكتتاب.

---

2 . مييج : «البعثات...» صفحات مختلفة.
3 . عبد المجيد بنجلون : «جولات... 1901» ص 47.
4 . مييج : «البعثات...» ص 174.

وإلى جانب هاته الأعمال كانوا يوزعون الخبز والالبسة على المساجين، ولاسيما سنة 1894، في كل من تطوان وطنجة. وكان فريق من القساوسة منتميا إلى جمعية هوارد Howard التي كانت تشن حملة من أجل إصلاح نظام السجون.

ومهما يكن من هوى أو مهما يكن من عطف، فقد كان وجود أطباء وطبيبات إلى جانب المرضى في أوقات الحرج والالم مما خفف ـ نوعا ما ـ من الكراهية التي كان المغاربة يضمرونها لكل تاجر أجنبي كان همه الوحيد وديدنه الفريد الجشع والتهافت على الربح. وهكذا قدموا بتفانيهم المحمود صورة مغايرة عن الأجنبي الذي لا يسعى إلى ربح مادي[5].

المطلب الثاني : التعليم

مر بنا في غير هذا المكان أن القساوسة البروتيستانتيين أحدثوا مدارس في شتى المدن. وكان مقر هاته المؤسسات التعليمية في ملاح كل من فاس والصويرة وطنجة وفي أحياء شعبية أو حتى قرب النوايل (بالجديدة مثلا).

وسلف أيضا أن المخزن أبطل التعليم الذي كان يتعاطاه إيدواردز ورفيقته الانسة ريد بمدينة فاس، وذلك بسجن أولياء التلاميذ. وذكرنا من قبل بالرباط أن المعلمين كانوا يغرون الآباء بأموال ويرتبون لهم صلات إن هم أرسلوا أبناءهم إلى هاته المدارس. كما أشرنا كذلك إلى أنهم علموا نحوا من 160 طفلا من أبناء اليهود بالصويرة سنة 1879.

وبفاس كانوا يعطون للتلاميذ بليونا في كل يوم[6].

غير أن أعداد التلاميذ كانت دائما جد ضعيفة. فبين سنتي 1900 و1904 كانت أرقامهم تتراوح بين 150 و180 في مجموع المحطات.

وبمراكش فتحت كريسي ماك آثر مدرسة لم يناهز عدد أطفالها الاربعين. ومثل ذلك كان بالجديدة سنة 1904 بواسطة ليرموندْ. وبتطوان فتحت بولطن مؤسسة أولى لتعليم صغار الاسبانيين وثانية للأطفال الذكور المسلمين وثالثة لبنات المسلمين. وعن ذلك وعن إقبال الاطفال أو إعراضهم كتبت تقول سنة 1893 : «كان الاطفال المغاربة يغادروننا فجأة دون سبب واضح، ولم يعودوا يسلمون علينا بالمرة. والآن يرد علينا آخرون. ومن الصعوبة تعليمهم، لأنه كان ثمة دائما قادمون جدد علينا»[7].

وكيف كان التعليم ؟ سبق شيء من الحديث عنه بفاس، غير أن بالجديدة وردت عنه بعض التفاصيل في رسالة سطانية سنة 1880 تتعلق على الراجح بنشاط كينسبورغ وأصحابه، أقدمها كصورة أخرى :

«فقد بلغنا أن مَن بالجديدة من النصارى واليهود الذين في حميتهم استولوا على الصبيان أولاد المسلمين... وأنهم يحوزونهم قبل سِنّ الاثغار، فيلقنونهم العَجْمية وغيرها من ءادابهم

---

5 . أيضا ص 180 و 186.

6 . روجي له طورنو : «فاس قبل الحماية» ص 164.

7 . مييج : «البعثات» ص 178.

ويلبسونهم شيئا من لباسهم مثل الكَبّوط والنعل ونحو ذلك عدى البَرّيطة، فينشأ الصبي عارفا بلسانهم، متخلقا بأخلاقهم، راسخا في زيهم، مائلا إليهم بفطرته وطبعه، وربما يأكل معهم مالا يحل له شرعا، حتى أن بعض الصبيان منهم يحسن العجمية أكثر من العربية، ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على الدين...

«ولا يخفى أن هذه دسيسة يتوصلون بها لأغراضهم في الاستيلاء على أولاد المسلمين، وقد أغنى الله الاسلام وأهله عن إحسان الكفار إليهم... وبأي شيء يسوغ لهم ارتكاب هذا الامر العظيم في الدين ؟ ونحن ما هادنَّاهم إلا على أن يرتفق بعضنا ببعض على الوجه المقرر في الشروط، لا على أن يُنصِّروا أولاد المسلمين وهم ينظرون... وقد بلغنا أنهم يقولون إن هاؤلاء حُكْمُهم حُكْم المُتعَلِّمين أي الخِدْمة...

«وعليه فتدارك علاج هذا الداء وتكلم مع نواب الأجناس في ذلك حتى... يسرحوا ما تحت أيديهم من المسلمين على الوجه المذكور، ويدفعونهم للمخزن.والسلام»[8].

فماذا كانوا يعلمون ؟ كانوا يلقنون مبادىء الانجليزية. ولم يكن بهذا بأس، إذ على المرء أن يتعلم من المهد إلى اللحد ويطلب المعرفة ولو كانت في الصين. وفوق هذا تعليم الاشياء أفضل من جهلها. وإذن ليس في التعليم من حرج إذا كان لا يطمح إلى قلب الاعتقاد.

ولما كانت مدة التعليم بهاته المدارس البروتيستانتية قصيرة، فإنه يصعب استخلاص آثاره. إذ أصيبت المدارس بانتكاسة، وأغلقت بعد أن أبرمت انجلترا وفرنسا عقد المتاركة بينهما سنة 1904، فأطلقت الاولى اليد للثانية بالمغرب، وتركت الثانية للاولى أمر مصر.

كان هذا كله من أجل صغار الناشئة. أما عن الكبار من الرجال والشبان فقد فتحت بطنجة سنة 1898 مدرسة للتكوين المهني. لكن الثابت أن الكبار من الرجال أعدت لهم ضيعة لتلقي مبادىء الزراعة الحديثة. فقد اشترت هيأة «نورث» سنة 1893 أرضا بالدار البيضاء كانت مجاورة لدار الدكتور كريف. وكان المقصود منها تعليم الفلاحة ثم تنصير أهل البوادي. إلا أن أسراب الجراد التي غزت المغرب سنة 1894 وبعدها والاحداث التي وقعت سنة 1895 كانت حائلا دون مواصلة هذا العمل. على أن المحاولة تجددت بطنجة سنة 1898. وكان رائدها هو إيدواردز الذي غرس الدالية وأشجار الفاكهة. ولم يكن المسعى ذا جدوى، لأن صاحب المشروع بارح أرض المغرب سنة 1902 مبارحة نهائية.

وسيأتي أن الكثير منهم سيغادرون هاته البلاد، بعد أن كانوا يلتقطون الاخبار ويغشون المحافل، ويبلغون ذلك إلى علم المسؤولين من أهل ملتهم. وكان التبليغ تارة مباشرا، وتارة أخرى في شكل مقالات نشرت في مختلف الصحف والمجلات. وكان لبعض المرسلين هواية الكتابة يجدون فيها تفريجا لهم عن الكروب في الغربة، بينما كان لآخرين غيرة دينية ومغالاة لنشر النصرانية بكل ثمن. وذلك ما سيأتي شرح طرف منه.

---

8 . رسالته إلى بركاش في 11 ربيع الاول 22/1297 يبراير 1880، في «الوثائق» : 6 ص 311 ـ 312.

المطلب الثالث : التقاط الاخبار

كانت السياسة مواكبة للتنصير، فقد كان المبعوثون مؤيدين من لدن حكوماتهم وممثلي دولهم وقناصلهم وبني جلدتهم من أجل توطينهم بالمغرب والوصاية عليهم لدى السلطات المخزنية.

وكان السفراء البريطانيون مدافعين عن مواطنيهم منذ عهد كربي كرين[9] الى أرثور نيكولسن. وكان ماثيوز وكومري وباركلي يشدون عضد أعضاء جمعيات گوسبل الأمريكية بفاس ومكناس وغيرهما.

وسبب ذلك أولا مؤازرة بني جنسهم والتضامن معهم. وهناك دافع آخر وهو أيضا سياسي : الاخبار. لقد كانوا يطلعونهم على سير الاحوال الداخلية وينشرون في غير ما مجلة أو صحيفة تقارير ومذكرات ومقالات عن مدى ما توصلوا إليه من أنباء، ويكفي تصفح ما كتبوه لندرك صواب ما ذكرناه، وهو ما أجمعت عليه كافة المصادر.

وكان الناس يغشون محطاتهم ولاسيما مستوصفاتهم، وكان المرسلون يلجون الدور في كل مدينة ولاسيما بمراكش وآسفي وغيرهما حسبما مر بنا. وكانوا إلى هذا وذاك يعقدون اجتماعات ومحاورات مع مختلف الشخصيات، وكانت لهم اتصالات مع دوائر حكومية. وكان لهم مستخدمون في أماكنهم ومأجورون في أعمالهم. وكان البعض منهم يتكلم لغة البلاد بعد تعلمها ويعرف العوائد المحلية والقواعد المغربية.

مثلا الدكتور كير بالرباط كان يربي الحمام الزاجل لتطيير الاخبار. وكانت محطة فاس تعمل في الخفاء دون بهرجة. وكان نيرن مخبرا جيدا له صلة بأعضاء المخزن حتى اعترف ساطاو بأنه كان يوافيه «بأنباء مفيدة عن حالة القضايا». كما أن لينوكس الايقوسي كان على أوثق اتصال بالحراب الايقوسي ماك لين الذي قدمه سنة 1900 إلى السلطان مولاي عبد العزيز، فصار أحد جلسائه لبعض الوقت. وكان نقالا للأخبار قبل أن يغدو وكيلا قنصليا[10].

وقريب من هذا يقال عن بقية القناصل الانجليزيين وغير الانجليزيين : ماك ليود كانت له روابط متعددة بفاس، وكان يحمي «الطبيبات» والمنصرين. وكانت الحكومة البريطانية بواسطة سفرائها تقدم لهم العون اللازم. فلئن كان جون هي لم يؤيد كينسبورغ بالصويرة، فإن كرين وإيوان سميث كانا كثيري الصخب وشديدي الشنئان مع السلطات المخزنية.

وفي شهر دجنبر 1890 لما انتقل نيرن وكلارك من الصويرة واكتريا منزلا بمراكش من الغنجاوي، ثارت زوبعة لدى السكان ضد استقرار النصارى، ولدى مفوضتي ألمانيا وفرنسا بطنجة. ولاخمادها نصح ماك لين حكومته بسحب المنصرين أو دعوتهما إلى تخفيف نشاطهما

9 . المرجع الاخير ص 180 و«المغرب وأوروبا» ج 4، ص 152.

10. مييج : «البعثات...» ص 182 ـ 183.

على الاقل. لكن كرين الذي كان ورعا آزرهما وشدّ عضدهما، لانه كان مقتنعا بأن المصلحة الدينية والسياسية تقتضي أن يبقيا بمراكش. وعلى هذا النهج سار خلفه إيوان سميث ثم ساطاو. ولئن كان نشاط المرسلين ودورهم السياسي هو ما يضطلع به كافة الوطنيين المحبين لبلادهم، فقد كان هو نفس الدور الذي كان يقوم به غيرهم من قناصل وتجار. إذ لم يكن أي أوربي في مغرب القرن التاسع عشر يضن على حكومة بلاده بالاخبار التي بلغت إلى علمه ويوافيها بالدسائس التي كانت تحاك[11].

وزيادة على ذلك قالت فرانسيس ماك نيب عن علاقة المنصرين الامريكيين بالقنصلية العامة إن هاته الأخيرة كانت تسعى لجعلهم «نوعا من مصالحها الخارجية» وأنها كانت تستخدمهم في مآربها السياسية وأنهم كانوا يقومون بنشاط اقتصادي ويقدمون تقاريرهم إلى الحكومة ورجال الاعمال[12].

وفضلا عن التأييد المعنوي والسياسي، كانوا يجدون مساعدة مادية من لدن المكتتبين والمتطوعين في سبيل نشر ديانة المسيح ومذهب البروتيسانتيين. كانت الهيئات تتفق في المعدل على كل منصر بين 80 و120 جنيها في السنة (بين 2000 و3000 فرنك ذهبي). وكانوا يتقاضون أجورهم عينا لا نقدا. وكانت هاته الاموال لا تكاد تغطي إلا نحو 30 في المائة من مجموع المصاريف : سواء في توزيع الاناجيل والادوية أو في سبيل فتح المحطات والمستوصفات والمدارس. ولعل الخصاص كانت تكمله الحكومة نفسها.

ولئن كان المنظر الامريكي جورج فيشر قنوعا ماديا فإنه كان متحمسا عقائديا. كتب إلى وزارة خارجية بلاده يلومها على التقصير في مؤازرة الامريكيين لدى السلطات المغربية لكي يحصلوا على دور للسكن، وقال إن على العلم الامريكي أن يرفرف عاليا في الاراضي القاصية حماية للعقيدة، مذكرا بأن منظمته گوسبل لم تطالب قط بتعويض عن الفظاعات التي ارتكبت في حق المنصرين بأرجاء العالم[13].

وسواء كان المبعوثون منطلقين عن حسن طوية نبيلة أو عن سوء نية رذيلة، فقد سافروا على حساب الهيئات إلى جهات مختلفة من العالم بوصفهم سياحا يبذرون الاموال[14] في شرق الارض ومغربها، ويشتمون الاخبار ويندسون في المجامع، إلى أن كان ماكان من رحيلهم.

لقد بارح الكثير منهم أرض المغرب في بداية العقد الاول من القرن العشرين، وذلك لما أيقنوا أن أعمالهم كانت عبثا، وأن الحصيلة النهائية كانت صفرا. فقد أخفقوا في تنصير المسلمين واليهود إخفاقا لا توازيه الجهود المصروفة والاموال المبذولة. وسيتجلى الفشل في نهاية النهايات التي كانت هي محاولة قلب الاعتقاد.

---

11. نفس المصدر ص 163 ـ 164.
12. فيليبس : «الارسالية...» ص 17.
13. أيضا ص 18
14. مصطفى خالدي وعمر فروخ : «التبشير والاستعمار...» ص 35.

المطلب الرابع : التنصيــر

كانت الوسيلة هي العلاج والتعليم، والغاية هي قلب الديانة. وسنعرض إلى الوسائل المستعملة وإلى المواقف المتخذة منهم، وسنختم باستعراض نتائج التنصير[15].

كان للهيئات السبع أزيد من 160 مروجا من أطباء وممرضين ومساعدين، تجولوا بمختلف المدن والقرى لبث تعاليم الانجيل في القلوب. وماكان أغناهم عن ذلك ! فالمسلمون لا يحتاجون لمن يقول لهم إن المسيح عليه السلام رسول الله نهم لا يؤمنون بصلبه ولا بالتثليث الذي يدعو إليه النصارى، لان الاسلام توحيد وليس شركا.

وقبل الخوض في نتائج هاته الحركة التنصيرية وأسباب فشلها وبيان المواقف المتخذة من الدعاة المروجين، سنتوقف قليلا للكلام عن توزيع الاناجيل.

4 . 1 : ترجمة الانجيل وتوزيعه ونشره

كان بعض القسس يعرفون اللغة العربية، وكان لقليل منهم إلمام باللهجات البربرية. وقد حاول ماكينطوش بطنجة أن يترجم إلى اللهجة الريفية نص الاناجيل، كما سعى نيرن وميوبير في نقلها بمراكش إلى اللسان السوسي سنة 1903، على يد فقيه من أهل تارودانت.

وساح الكثير من هؤلاء بأطراف المغرب، وتعاونت الهيئات فيما بينها، وعقد أعضاؤها اجتماعات وتجمعات مشتركة، وغشوا من الدور «الرفيعة» نحو 1500 منزل، وفتحت لهم بمراكش أزيد من مائة دار، وبآسفي 87 منزلا. لقد تجول لينوكس من «سوذرن» صحبة الدكتور نوط من «نورث» بأنحاء المغرب سنة 1894، مرورا بتادلة. وطاف سومرز بأطراف البلاد حتى بلغ سوس سنة 1904. وكان هو وماكينطوش يتجولان معا، تاليين سورا من الانجيل وموزعين نسخا منه، بعوض أو بمجان.

لكن «بريطيش» كانت أقوى الهيئات تحمسا وغيرة من أجل التنصير، فلم تكد تتعاطى نشاطا غيره. ففي سنة 1884 وزع أعضاؤها 109 نسخ، وفي سنة 1885 وزعوا 788 إنجيلا. والحقيقة أن النسخ المسلمة إلى الناس كانت بآلاف المؤلفة. وفي سنة 1896 كان معدل التوزيع بمراكش وحدها 1000 كتاب في الشهر على يد «سوذرن». وفي ظرف 15 سنة كان مجموع ما بيع أو وزع عددا ضخما[16].

بهاته الاساليب كانوا متلهين، وفي قلب الاعتقاد كانوا ضالعين. ترى ماهو موقف الشعب والعلماء منهم ؟ وماهي التدابير التي اتخذها المخزن للرد عليهم ولزجرهم ؟

---

15. استعلمت لفظة «التنصير» مستعيضا بها عن كلمة «التبشير» التي كانت واردة في المصنفات العربية على لسان العرب المتنصرين. وقد فضلها اليوم كثير من المؤلفين المغاربة والمشارقة، لان التبشير عبارة فيها انحراف مسموم دخيل على الاسلام، إلا أن يكون بالعذاب الاليم، عن طريق المجاز القرآني.
16. يرجع في هذا كله الى صفحات مختلفة من «البعثات...».

4 . 2 : المواقف المتخذة

لا نعلم شيئا عن رأي عامة الشعب منهم، ولو أننا نعرف أن المغاربة لم يذوبوا في هذا الاتون العقائدي، على الرغم من شتى الاغراءات.

أما العلماء وحماة الشريعة فلم نر شيئا منهم في هذا المجال للرد عليهم باستثناء احتجاج قاضي الرباط على ضرب النواقيس[17] سنة 1891. وسبب ذلك، فيما نظن، أن الفقهاء والوعاظ المسلمين لم يشعروا في وقت من الاوقات بخطر هاته الحركة التنصيرية على اعتقاد المغاربة. وإن دل صمتهم على شي، فإنما يدل على أن هاته الجهود المبذولة من لدن المروجين البروتيستانتيين باءت جميعها بالفشل الذريع، حسبما سنقف عليه وشيكا.

حقا ألف بعض العلماء عن المحميين من «أهل باسبور» تصانيف كثيرة، مثل العربي المشرفي والمأمون بن عمر الكتاني ومحمد بن ابراهيم السباعي، فوصفوا المحميين بالعصيان، دون المروق من الدين. فما بالك لو بدل المسلمون عقيدتهم ؟ إذن لكانت ضجة ما بعدها من ضجة، أكثر وأقوى من تلك التي قامت من أجل المحميين، وهم أهون شأنا من الممسّحين. فالصمت هذا برهان على أن المبعوثين لم يجدوا صدى لدى عامة الشعب وخاصته على السواء.

ولعل الحكومة - وعلى رأسها السلطان - قد كفتهم جميعا مؤونة هذا الامر، بمواقفها التي قدمت طرفا منها. فقد قرأنا بمراكش أن السلطان قال عن نشاطهم وعن ردة فعل المسلمين منهم سنة 1891 : «إن أهل البلد لهم الحق في المدافعة عن أعراضهم وعن دينهم بكل ما أمكنهم». وتلونا بالصويرة شيئا من التراث المتعلق بنشاط كينسبورغ وأصحابه المتحمسين، والعنف الذي مارسوه على مختلف الطبقات. كما علمنا من قبل أن الحكومة كانت تمانع في إكراء دور لسكناهم وتأمر بعدم مخالطتهم وبكف الصبيان والنساء عن غشيان محطاتهم ومدارسهم.

وإذا أردنا أن نعرف موقف السلطات منهم وما اتخذته من قرارات تتعلق بالحد من نشاط هؤلاء المروجين، وجب علينا أن نستقصي أخبار ذلك من ربائدنا ورسائل المخزن التي لا تذكر المنصرين باللفظ، ولكن بالكناية والتلميح. الوثائق المغربية لم تستقرأ بعد، وما استشهدت به منها إنما وقع تحت اليد بالصدفة

ونسوق النص الكامل من إحدى هاته الوثائق، وسنبين الوجه الداعي لكتابتها :

«الحمـــد للـــه،

«لما كان ترجمان الصبنيول هنا ذكر أن دولته أمرته أن يعرّف بالمحبة التي بين الجانبين، وأن تلك المحبة تقتضي أن يكون يعلمها المخزن - بالامور التي يرتكبها الغير هنا، ولا حق له في ارتكابها لخروجها عن القوانين والشروط - على وجه السر، لتقف في أمرها وتفعل فيه ما تقتضيه المحبة.

«وعليه، فاعلم نائبها - على وجه السر - بالنصرانيتين صاحبتا (= صاحبتي) الدين الجديد الواردتين للرباط وما اشتغلتا به، وبالنصرانيتين الواردتين لفاس وما اشتغلتا به،

17. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 314 (8).

وبالنصرى الذي ورودوا للرباط مع النصرانيتين المشار إليهما، واتخاذهم دارا بالرباط، وهدمهم لها، وشروعهم في بنائها، وجعلهم بها سراجم يتكشفون منها على دور المسلمين، وعلى دار المخزن، وكذلك من سطحها.

«وأكد عليه في إعلام دولته به عاجلا، واستيشارها (= استشارتها) فيما يكون في رفع ضرر أولئك النصارى والنصرانيات من الرباط ومن فاس. وما أشارت به في ذلك يعلمك به.

«وقد ورد نصارى 3 من النجليز لمراكشة وسكنوا بدار للغنجوي، واشتغلوا بقلب اعتقاد الناس والسعي في تبديل دينهم. فأعلم النائب المذكور بذالك، وكذالك بأحد الحرابة الذين يعلمون عسكر الرباط، الذي اتخذ أزوِي مَفْسَقة وصار يتكشف على دور المسلمين من سطح بيت بها»[18].

ويفهم مما تقدم أن أصحاب الدين الجديد هم البروتيستانتيون الانجليزيون، وأن أصحاب الدين القديم هم الكاثوليكيون الاسبانيون. وكان بين الطائفتين خلاف أشبه ما يكون بما بين الشيعة وأهل السنة من المسلمين.

4 . 3 : النتائج الهزيلة

لم يكن المغاربة ولا الاسبانيون براضين عن هذا النشاط البروتيستانتي، ولذا لزم التعاون بين البلدين. ولعل هذا كان من أسباب تحرير هذا التقييد الذي لا نستشف منه خطرا داهما على العقيدة الاسلامية، وإنما كان الشعور بالقلق منتابا للأوساط الاسبانية أكثر مما كان يصيب الأوساط المغربية.

وذلك أن التنصير مس الجالية الاسبانية مسا خفيفا. ففي طنجة وتطوان تمسَّح منها العشرات على يد بعثة «نورث» سنة 1889 بواسطة بنطريك، وقبله سنة 1885 بواسطة الآنسة هيردمان. ولم يتعد الصابئون الاسبانيون أربعين شخصا سنة 1900. ونشأ بين المفوضية الاسبانية والمفوضية الانجليزية خلاف كان من الحدة بحيث هددت السلطات القنصلية الرعايا الاسبانيين بالطرد من المغرب، إن هم أصروا على موقفهم[19].

البعثات وجهت اهتمامها أيضا إلى المغاربة. فقد نصروا اليهود بشتى المدن : عدة أشخاص بطنجة وثلاثة بالرباط وأربعة بالدار البيضاء وعشرة بالصويرة[20].

لكن لم ترد أسماء الجميع، ولا نعرف إلا اثنين من الثلاثة من المسلمين الذين ارتدوا بكل من فاس وطنجة ومراكش، مثل كيليرمو بن سليمان بن الحاج سليمان وابن فاطمة مفتاح. وكان تنصره قد حدث سنة 1878 بطنجة[21]. وبفاس تنصر على يد الأمريكيين شاب مغربي متملق كان يحترف التجارة اسمه إدريس وأعلن أمام الملأ عن ردته وأخذ يأكل الطعام جهارا

18. تقييد عار من التاريخ، تطوان 21/141.
19. مييج : «البعثات...» ص 171 و 172.
20. ما ذكر بهاته المدينة من ارتداد المئات من اليهود والمسليمن فيه نظر. إذ المقصود في نظرنا هو التشبه بالنصارى وغشيان مدارسهم، لا التنصر العقائدي. وذلك أن الحزانين كانا من جيل، واليهود المنصرين من جيل آخر. فكان هناك صراع بين الأجيال.
21. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 315 (2).

في شهر رمضان. فكان جواب أهل البلد أن رجموه وضربوه ودمروا دكانه ومتاعه. غير أنه ظل صابرا محتسبا مما أثار إعجاب الأمريكيين الذين حملوه في شهر أكتوبر 1899 إلى اجتماعهم السنوي بالعرائش حيث تحدث إليه بعضهم بالعربية ليتأكد من صحة نصرانيته. ثم عَمَّده هيمر ونيطن، مصرحين بأنه أول صابىء على يدهما، فكان ذلك مشجعا للمنصرين الموجودين وقته بالمغرب. غير أن هذا التنصير لم يكن حقيقيا. فقد قال جورج س ريد الذي عاش بالمغرب طويلا إنهم لم يلقوا «أي تشجيع بتنصير واحد ثابت»[22].

وقريب من ذلك ما صدر بمجلة «نورث أفريكا» من أن أحمد الكوماطي التونسي الذي سمى نفسه عبد المسيح بولس قد تنصر سنة 1895 أو قبلها، فنشرت رسالته بالعربية إلى أحد المنظرين البروتيستانتيين وهو كليني Glenny وبعدها ترجمتها إلى الانجليزية[23].

وعلى الجملة لم يتجاوز عدد من ارتدوا من المغاربة ثلاثين شخصا في هاته الفترة التي هي ثلاثون سنة، أي أن معدل الصابئين هو مغربي واحد كل سنة، أو مسلم واحد كل عشر سنوات.

ومع ذلك يجوز شيء من التأويل الذي يصدق على المسلمين واليهود معا ونعني به التغرُّب والتشبه بالنصارى في مأكلهم وملبسهم ولغتهم، لا التمذهب بالعقيدة وممارسة الشعائر بالمحطة أو بالمعبد.

على أنه لا عبرة بما قيل عن تنصر أحد أعضاء أسرة بنيس سنة 1841 بمدينة طنجة، وعن تأديب العامل إياه وثناء السلطان على الوالي. لان ذلك إن وقع فإنما وقع عن طريق المجاز، أي التشبه بالنصارى حسبما وصفت سابقا. وعلى ذلك علق محمد داود قائلا : إن ذلك كان من قبيل اختلال في عقل بنيس، أو احتيالا منه لقضاء مآربه، أو وقوعا في غرام نصرانية، أو من إغراء بعض المنصرين[24] الذين لم يكونوا حاضرين هنا في هذا الوقت بالذات. ولئن أوردت المصادر أن أربعة من أهل فاس تنصروا بانجلترا[25] فلا يعدو أن يكونوا قد ارتدوا أو فعلوا ذلك، إما على مثال بنيس أو لغرض تجاري أو بزواج من إنجليزية أو بتأثير أجنبي عليهم.

4 . 4 : أسباب هذا الفشــل

كان المبعوثون يعقدون روابط صداقة مع أعضاء البعثات، وكان بعض الولاة والقضاة والأمناء يجادلونهم في أمور العقيدة[26]، في منطق لا تتكافأ مقاييسه : بين تفتح عقل وانغلاق ذهن.

ولئن تسلط النفوذ الاجنبي على المغاربة، فلقد كان ذا صبغة سياسية وتجارية، ولم يكن قط عقائديا بالتنصير و«قلب الشاشية». وإذن فشلوا فشلا تاما. فما هي أسباب ذلك ؟

22. دينيس فليبس : «الأرسالية» ص 1 و13.
23. في عدد شتنبر 1895 ص 106 و 107، وقد أمدني بصورتها صديقي الاستاذ محمد أبو طالب.
24. محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 344.
25. مييج : «المغرب وا روبا» ج 4 ص 406 (3).
26. عبد الله العروي : «الاصول....» ص 210.

يمكن أن نعزو بعض ذلك إلي جهلهم بنفسية الشعب المغربي وبتاريخ البلاد، فارتكبوا أخطاء فاحشة. ومن تلك الاغلاط أنهم كانوا يوزعون على النساء تلك الكنانيش، مثلما تقدم بالصويرة وبالرباط وبغيرهما. النساء كن أميات مثل الرجال الذين كانوا شرعا أوصياء وقوامين عليهن.

ومن هاته الأخطاء البسيكولوجية الفاحشة أنهم كانوا يراودون حتى الحجاج عن العقيدة الاسلامية. ففي سنة 1891 فتحت بعثة «نورث» بطنجة مكانا ليبيت فيه المسافرون والمنقطعون. وكان من هؤلاء حجاج مسلمون كانوا يمضون فيه بعض الوقت ريثما تصل السفينة التي تقلهم إلى الديار المقدسة، وكان يحرس المكان مغربي متنصر. فكان يدخل عليهم واعظ من البروتيستانتيين يتلو عليهم سورا من الانجيل. ولما علم المخزن بهاته المحاولة المقصودة لفتنة المسلمين أمر بإغلاق المحل. غير أنهم فتحوه مرة أخرى سنة 1893 بمكان يقع بالطريق المؤدية إلى فاس.

وحاصله أن المغاربة المسلمين لم يذوبوا في هاته البوتقة الجديدة، بل صمدوا لها صمودا صامتا ليس فيه صخب ولا جلبة : لقد أعرضوا عن كلام المنصرين وكفى.

أنفقت الاموال الطائلة من أجل العلاج والتعليم بهدف التنصير. وكان أصحابها يظنون أنهم سيرفعون من شأن هذه الامة إن بدلوا اعتقادها. وهذا أيضا خطأ كبير لم يشعروا به في البداية وإنما في النهاية. كان أمين مال هيأة «سوذرن» أول من شعر بتفاهة عمل البعثات في مجال التنصير. فقال كوثبرت نيرن سنة 1898 : إن تسع سنوات من العمل الدؤوب المضني قد انصرمت دون التيقن بقلب اعتقاد شخص واحد. وبلغ من القنوط المبلغ الذي وصل إليه أصدقاؤه بالخارج، وأخذ الشك يساور قلوب سائر البعثات مثل «نورث أفريكا» و«سينطرول». وبدأ الجميع ينحون باللائمة على ضعف الوسائل المجعولة رهن إشارة المنصرين بالمغرب مثل المدارس والمصحات ويقارنون بينها وبين الامكانيات القوية التي سخرت لزملائهم بمصر والشام وفلسطين[27].

مرت على ذلك الشعور ثلاث سنوات، وجاءت فرانسيس ماك نيب في جولة سنة 1901، وسألت أحد القسس، فأجابها أنه بعد أن بذل صادق الجهد من أجل نشر المسيحية بالمغرب أقلع عن ذلك تمام الاقلاع. ثم ذكر لها أن العائق الاساسي يكمن في طبيعة الشعب نفسه... فطابع الاسلام يخيم على حياة الطفل قبل أن يولد ويظل عالقا به مادام على قيد الحياة. ولما سألت أحد أصدقائها عما إذا كان من الممكن تحويل مسلم إلى مسيحي، أجابها بصراحة أنه لا يعتقد ذلك. ثم أضاف قائلا : إذا أردت أن تفعلي ذلك فها هو السبيل : عليك أن تحرقي جميع كتبهم، ويجب أن تتلقفيهم في مستهل حياتهم، وتعصري كل الدماء التي تجري في عروقهم، وتطحني عظامهم. فإذا استطعت بعد ذلك أن تعيديهم إلى الحياة، كان في مقدورك ان تحوليهم إلى مسيحيين[28].

وذلك أن الاسلام عاصم من غيره : فالمسلم يولد مسلما، ويلقنه أهله الشهادتين في الاسابيع الاولى من ولادته، بالآذان في أذنيه. وعندما تحين منيته وخروجه من الدنيا، لابد أن

27. مييج : «البعثات...» ص 184 ـ 185.
28. عبد المجيد بنجلون «جولات ... 1901»، ص 44

يلقن الشهادتين، فهو لا يمرق من دينه مادام أصيلا. والذين خرجوا من ديانتهم هم الذين ينقصهم عنصر الاصالة، مثلما حدث بأمريكا وبإفريقيا حيث الوثنية المتنوعة.

وانقضت بضع سنوات فخف طنين التنصير، لانه كان مواكبا للسياسة. ولن نجد للبعثات وجودا رسميا في المغرب بعد سنة 1905.

وخارج المغرب استولى اليأس على طائفة من المنصرين. فالقس الامريكي المستشرق صامويل زويمر S. Zwemer المتوفى عام 1952 اعترف في مؤتمر لوكنهو Lucknow بالهند سنة 1911 بأن في جزيرة العرب وإيران وتركستان وأفغانستان وطرابلس والمغرب سدودا في وجه «التبشير»[29].

هذا ولم تنعقد ببلادنا مؤتمرات مثل التي نظمت بأقطار الشرق الاسلامي ومدنه، مثل القدس والقاهرة واسطانبول وحلوان ولبنان والعراق وبلدان أسيوية وأوروبية وأمريكية. وسبب ذلك واضح لأن التجربة البروتيستانتية بالمغرب كانت فاشلة. وذلك ما شهدت به الكتب والمقالات والتقارير واليوميات المكتوبة والمطبوعة.

وإن من المرسلين من تجشم الصعاب والمخاطر، ومنهم من ساح في العالم على نفقة هيأته، ومنهم من مات طريح الفراش، ومنهم من مات الموت الزؤام (كوبر بفاس ونيرن بمراكش)، ومنهم من عدل نهائيا عن عمله أو صوب وجهه نحو التجارة والعمل القنصلي (لينوكس بمراكش ونيطن بطنجة) ومنهم من رجع إلى وطنه يائسا أو مريضا.

هذا كله عن البروتيستانتيين. أما الكاثوليكيون فلم يرد عنهم شيء في هذه الفترة التي لم يكونوا يعنون فيها بتنصير غيرهم.

---

29. عمر فروخ ومصطفى خالدي : «التبشير والاستعمار...» ص 170.

4 المهتدون

لئن كانت الهيئات البروتيستانتية قد أنفقت كما رأينا أموالا باهظة لصد المسلمين واليهود - من أهل المغرب خاصة، ومن سكان إفريقيا وآسيا وأمريكا عامة - عن ديانتهم فإن المسلمين لم يدفعوا - ولاسيما في العصور الماضية القريبة - قرشا واحدا لحمل غيرهم على الاسلام واستمالتهم إليه.

فقد جاء في مختلف المصادر أن أشخاصا دخلوا طواعية الى الدين الاسلامي في القرن التاسع عشر. أما قبله فقد ثبت أن آخرين - سموا علوجا - أسلموا كذلك وحسن إسلامهم أو تظاهروا به لأسباب شتى سيأتي بعضها مبسوطا.

وسنختم الكلام هنا عن القضايا الاعتقادية بسوق أسماء طائفة ممن شرح الله صدرهم فمنَّ عليهم بالاسلام. وسنقف في هذا الفصل الأخير على عدد من المنتمين لمختلف الأوطان ولاسيما من وقع إسلامهم بالمغرب، وعلى أسماء بعض اليهود ممن أسلموا وتحدثت عنهم بشيء من التطويل المصادر المخزنية التي ستفسح مجالا عريضا للاستشهاد بمضامينها. فإذا كنا عاجزين في بعض الأحيان عن معرفة خلفياتها فإن ذلك لا يعني ترك الكلام عنها ولاسيما أن لها اتصالا بتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر.

1. **عبد الله كويليام : W. A. Quilliam** الشيخ عبد الله من مواليد مدينة ليفربول الانجليزية. وكان سبب إسلامه سنة 1884 أن نصحه الأطباء بإمضاء فترة راحة بجبل طارق، فلما وصل إليها ركب سفينة إلى طنجة فرأى بعض المسلمين بها يتوضأون ثم يصلون، فاقترب من أحدهم واستفسره فشرح له مبادىء الاسلام، وما خرج من طنجة حتى استسلم للاسلام وآمن به. ولما رجع إلى إنجلترا أخذ يدعو إلى الديانة المحمدية، وفي سنة 1891 أنشأ معهدا إسلاميا ضم 30 منخرطا ثم أسس مسجدا يسع 150 مصليا، وفي سنة 1900 تولى رئاسة الطائفة الاسلامية ببلاده. على أنه كان خلال ذلك مضايقا من رجال الكنيسة ومن الصحافة، فكتب مقالات وألقى محاضرات للتبشير بالدين الاسلامي، واشتهر صيته في أوساط إنجليزية وأروبية[1].

كما أنه كان يخرج جريدة أسبوعية باللغة الانجليزية بمدينة ليفيربول عنوانها : «ذ كريسنت («الهلال») : The Crescent». وكان يُصدِّرها بالحمدلة وبعبارة إنجليزية هي : With - wich - is - incorporated - the liver[2].

واستمر داعيا إلى الاسلام معينا للمسلمين في العالم على قضاء فرائضه ومناسكه. فمن ذلك أنه وجه سنة 1906 رسالة إلى الطريس يلتمس منه فيها مساعدة مسلمي إفريقيا على

---

1. ميج : «المغرب وأوربا» ج 4 ص 406 (3)، وكذلك أنور الجندي في : «آفاق جديدة للدعوة الاسلامية في عالم الغرب» ص 133 وغيرها، حيث أشار فيها الى إسلام مثقفين آخرين مثل الدكتور عبد الكريم جيرمانوس الروماني وخالد شيلدريك الانجليزي.
2. صورة العدد 280 منها المؤرخ في 25 ماي 1898 توجد بتطوان 289/109.

أداء مناسك الحج بالتدخل لدى شركات البواخر من أجل نقلهم إلى الديار المقدسة. وجاء في ترجمتها العربية على الخصوص قوله :

«من عُبيد ربه عبد الله كُوليم، شيخ الاسلام بالجزر البرطانية لنائب الحضرة الشريفة بطنجة من المملكة المغربية.

«ينهي خديمكم لكريم علم سيادتكم أن كثيرا من المسلمين الذين هم من مستعمرات الدولة الانجليزية البرطانية كإقليم نيكيرْية ولاكُوص وصيْرليُون واشنطي[3] وغيرها من شواطىء غرب إفريقية، المشتمل عددهم على الملايين من المسلمين : كثير منهم لهم الرغبة الشديدة في أداء فريضة الحج... وكثيرا ما يراسلوننا في بلوغ مرادهم، وجلهم يرتكب مشاق الأسفار... فإن منهم من لا يتأتى له الرجوع لارضه... وقد كتبوا لي أحيانا ومرات متكاثرة طالبين أن نأخذ بيدهم في الكلام مع بعض كبانية البابورات لحملهم من غرب إفريقية واصلين لجدة...

«فالغرض من هذا أن تعرفنا سيادتكم : هل توجد بابورات لحمل الحجاج من مرسى طنجة أو غيرها من المراسي الموافقة بالمملكة المغربية في هذه السنة القابلة ؟ وهل هنالك من له رغبة في ذلك من الكبانيات ؟ ولايمكنني أن نعرفك بالعدد اللازم على ذلك في هذه السنة، بل يحتمل أن يكون عددهم ما بين المائة إلى المائتين. نعم إن أمكنني أن نجعل اتفاقا... فإني أقدم بنفسي من هنا في أحد المراكب المتوجهة لغرب إفريقية بقصد مصاحبة الحجاج من محالهم المذكورة إلى مرسى طنجة... على أني أخشى أن لا يتيسَّر لي جمع الحجاج في هذه السنة، والعزم قوي عليه إن عشت في السنة القابلة.

«وهؤلاء المسلمون من غرب إفريقية أناس أخيار ظرفاء، غير أنه لا يحسن اللغة العربية منهم إلا القليل، والكثير منهم يتكلم باللغة الانجليزية أو بلغة أهل إفريقية الغربية....»[4].

2. **ماكس ريخطر : M. Richter** ألماني كان يعيش أواخر القرن الماضي بفاس خاصة للتجارة، وكان له شركاء فيها وفي الفلاحة بعدد من النواحي المغربية. وفي بداية القرن العشرين كان يتولى النيابة القنصلية لبلاده بالمدينة المذكورة، وفي سنة 1906 «كان رغب في دين الاسلام وتنصل من دينه، فأنعمنا عليه بظهيرنا الشريف بتوقيره واحترامه وتوقير عزائبه وأصحابه»[5].

على أن ماكس كان كثير الخلاف مع السلطات المغربية، وكان يعرف العربية وعوائد المغاربة ويمثل مصالح أبيه كوسطاف هو وأخوه هانس المقيم بآسفي. وقد ادعى اعتناق الاسلام، فكان عينا للمصالح الالماينة وأذنا لها[6].

---

3 . لعل المقصود : شيندي المدينة الواقعة شمال الخرطوم بالسودان.

4 . رسالته إلى الطريس في 28 جمادى الأولى 20/1324 يوليوز 1906 تطوان 33/141.

5 . رسالة السلطان إلى الحباسي في 25 صفر 20/1324 أبريل 1906، نصها في ص 2 من كناش مكاتيب الطابع الشريف رقم 1695 د بالخزانة العامة بالرباط.

6 . كيين «ألمانيا والمغرب...» ص 441.

3. **ويليام ساموييل إيلطون : W. S. Elton** إنجليزي استوطنت أسرته المغرب منذ 1835، وتولى العمل بالنيابة القنصلية بآسفي سنة 1856. وفي سنة 1858 دخل إلى الدين الاسلامي. وكانت وفاته هو وأبوه جيمس في غشت 1869 بمدينة آسفي[7].

4. **خوان ابن أندريس : Juán Andres** إسباني ذكر عنه العربي بن أحمد اليملاحي قاضي العرائش سنة 1888 أنه «في يوم تاريخه حضر لدينا الرومي المسمى باخوان ابن أندريس الصبنيولي العرائشي مُقرّا بالله ربا، وبالاسلام دينا، من غير ضغط عليه ولا إكراه، اختيارا منه دون ضرورة، وألزم نفسه القيام بأداء الكلف الشرعية، ما ظهر منها وما بطن، إلى أن يلقى الله سبحانه، محبة منه في الاسلام والدين المحمدي.... وأن نائب الصبنيول بالعرائش أنف من ذلك وأراد قبضه حين وقع ما وقع من هذا الرجل» [8].

وفي نفس اليوم أيضا كتب محمد السُّرْبوت إلى الطريس ملتمسا منه الوقوف «في قضية الرومي الصبنيولي العرائشي ودخوله رغبة منه في الاسلام، نريد من كمال الاحسان أن تبالغ الجهد في دفع المكاره عن هذا الرجل، رعيا لما اتصف به، لان النصَرى أرادوا أخذه نكاية فيه وفيما انتسب إليه، وليس لهم عليه حق ثابت...». وزاد قائلا إن النائب القنصلي دي كويباس Cuevas أرسل «عددا من النصَرى واليهود لاخراج ذلك الرجل من الحرم ومن الحمّام كرها. إلا أن بعض الناس من العقلاء أطفئوا إضرام هذه الفتنة بوجه مستحسن...»[9].

ويظهر أن سبب دخوله للاسلام أنه كانت «عليه دعوى وحكم عليه قونصوه بالعرائش أن يخرج منها هو وأمه، فدخل النصراني في الاسلام بسبب ذلك على يد قاضي البلد وخليفة عاملها، فكتب القونصُ للخليفة المذكور بأن يسلمه إليه... ثم كتب لك القاضي والخليفة مُبْهِمَيْنِ عنك حقيقة القضية، جازمَيْن أن لادعوى على النصراني المذكور ولا تباعة لأحد.....

«فالذي في الفصل السابع والعشرين من شروط الصبنيول أن من كان في خدمتهم... وهرب يُردُّ ولا يُقبل... فقد أمرنا عامل العرائش... بدفعه للقونص ليفاصل الدعوى التي عليه ويخلى سبيله، حيث لا موجب لرده لهم، عملا بمقتضى الشروط»[10].

5. **أيوب سبيريدون** : شامي تلقى تدريبه بالكوليج الأمريكي ببيروت، واستقر بجزيرة لانزاروتي (جزر الكناريا) للتجارة هناك. وقد اعتنق الاسلام وتزوج بمغربية. كما أنه شارك سنة 1888 في رحلة البارون الكولونيل لاهور البلجيكي. وسمى مكان نزول ماكينزي بطرفاية دار سبيرة[11]. فقد كان اسمه عند الصحراويين هو محمد صابر أو محمد سبيرة، وكان أحد أتباع الشيخ محمد المصطفى ماء العينين، وكانت له صلات معه. أما زوجته فكانت تسمى السالكة بنت الفويضل من قبيلة العروسيين ومن قرية قريبة من رأس بوجادور.

كان يتحدث بالعربية وبالفرنسية. ولمعرفته باللغة الانجليزية كان عميلا لماكينزي بالجنوب المغربي وترجمانا للشركة الانجليزية المسماة «وست أفريكان كومباني». ولمعرفته

---

7 . مييج : «المغرب وأوربا» ج 2 ص 336 (1) وج 1 ص 104.

8 . رسالته إلى الطريس في 27 قعدة 5/1305 غشت 1888. تطوان 140/72.

9 . رسالته في 27 قعدة/5 غشت، تطوان 138/72.

10. رسالة السلطان إلى الطريس في 16 حجة 24/1305 غشت 1888، تطوان 154/6.

11. مييج : «المغرب وأوربا» ج 3 ص 307.

أيضا باللغة الاسبانية كان مستوطنا بجزر الخالدات. وقد قام بدور عظيم في اعتقال بحارة إسبانيين برأس بوجادور للتجارة مع أهل الصحراء. وصورة ذلك أنه في شهر يوليوز 1892 اشترك مع مجهز سفن من جزر الخالدات للتجارة بالصحراء، وزعم له أن له نفوذا لدى السكان. فشحنت سفينة يكود Ycod بالسلع، وصعد على متنها بحارة إسبانيون. ولما نزل أعضاء الطاقم وحطوا بضائعهم برأس بوجادور في غشت 1892، أوعز سبيرة الى الرُّحل من قبيلة زوجته العروسيين باعتقال البحارة الذين كان على رأسهم مانويل بيالبا M. Villalba، وذلك لكي يسترد أمواله من شريكه. وهكذا نُصب لهم كمين سقطوا فيه، بعد الهجوم عليهم وهروب طرف منهم. ووقع في الاسر ستة إسبانيين، فسلمهم سبيرة إلى ماء العينين الذي لم يفرج عنهم إلا في مارس سنة 1893.

وقد أمر السلطان دحمان بن بيروك بالتفاوض مع ماء العينين لاخلاء سبيلهم. وكلفت الحكومة الاسبانية أحد ضباطها وهو خوان كونصاليث J. Gonzalez بإجراء المفاوضة أيضا. وبعد ثمانية أشهر من الاعتقال، أفرج عنهم مقابل فدية مالية زاد عليها السلطان هداياه إلى المرابط[12].

6. **عبد الله بن الحاج محمد بن عبد الصادق** كان من يهود الصويرة، لكن الله منَّ عليه باعتناق الاسلام قبل البلوغ على يد الباشا ابن عبد الصادق. وكان أمينا وحافظا للقرآن وعلوم الدين، وتوفي سنة 1861 بمدينة الصويرة[13].

7. **سليم بن عبد الله البغدادي** ورد في سنة 1894 «على الأعتاب الشريفة، وذكر أنه كان على دين اليهودية وأتى راغبا في الاسلام، رافضا ديانة الكفر، وقد عُرضت عليه أركان الاسلام ونطق بالشهادتين»[14] ووضع موجب بذلك.

8. **فريحة بنت عمران ينطوب** كانت من يهود الدار البيضاء وأشهدت أنها نبذت دين اليهودية ودخلت في دين الاسلام[15].

9. **يسُّو بن حنينية** كان من ملاح مراكش وقد أشهد أنه رفض دين اليهودية ودخل في الاسلام، ناطقا بالشهادتين، بعد أن سردت عليه دعائمه وقبلها راضيا[16].

10. **الحاج سعيد الاسلامي**:ورد في رسالة سلطانية سنة 1871 : «وصلنا كتابك في شأن الحاج سعيد الممنون عليه بالاسلام الشريف المدعي أنه كان يقبض خمس عشرة أوقية في الشهر من جملة الاسلاميين فقطعت عنه، أخبرت فيه أنك سألت ابن شقرون، فأجاب بأنه كان يقبضها على يده من جملة المحاجير حتى سافر، فإن رجع لسكنى مراكشة فحكمه حكم المحاجير الذين بها : يقبض ما يقبضونه»[17].

12. محمد مصطفى الغربي : «الصحراء...» نسخة مرقونة ص 20 و78 و79 و82.
13. محمد بن سعيد الصديقي : «إيقاظ السريرة...» ص 86.
14. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 499
15. موجب في 9 رجب 29/1296 يونيو 1879، تطوان 10/110.
16. موجب عدلي في متم قعدة 2/1314 ماي 1897، الترتيب العام.
17. رسالة السلطان إلى ابنه مولاي الحسن في 16 شوال 29/1288 دجنبر 1871، الوثيقة 7227(م.و.م).

11. إسلام يهود من الريف: كتب البشير بن سنّاح الشركي عامل قصبة جنادة قرب مليلية إلى الطريس يخبره أن كبير طائفة اليهود اشتكى بأن عددا من يهود الريف أسلموا قهرا، فكتب لعامل تمسمان للتوضيح فأجابه بالاثبات[18]، ولم ترد إيضاحات في هاته القضية. لكن رسالة بعدها بقليل موجهة إلى الطريس تحدثت عن يهودية أسلمت هناك و«طلب حزّان اليهود رجوعها إلى دينها. وعليه، فاعلم، سيدي، أنها أسلمت قبل إسلام هؤلاء اليهود بكثير، واختارت الاسلام بشروطه، وتزوج بها رجل مسلم، وإلى الآن لازالت في الاسلام قائلة : لا ترجع لليهودية ولو أذيقت جميع أنواع العذاب...»[19].

12. عبد النبي الاسلامي: في رسالة لعمر التازي سنة 1906 أن عبد النبي الاسلامي الذي ورد مع أمَة هرب ودخل للحرم. فأمر السلطان بتعيين من يترصد له حتى يخرج من الحرم ويوجه مكبلا[20].

13. إسلام يهودي من الدار البيضاء: طلب ممثل فرنسا من السلطات المخزنية «رد اليهودي الذي أسلم بالرباط لوالده لكونه لازال دون بلوغ»[21]. وكان لايزال لم يرجع إلى أبيه الذي كان مقيما بالدار البيضاء[22].

14. إسلام يهودي من فاس: جاء في رسالة عامل المدينة أن «يهوديا أمتن الله عليه بالاسلام ورفض دين عبدة الأصنام فأسلم على يد الفقيه القاضي السيد حميْد بناني، وطلب منا توجيهه لأعتاب مولانا الشريفة... وها هو يرد صحبته...»[23]. وكانت الرسالة موجهة إلى الوزير محمد بن العربي الذي أجابه بأن السلطان «دعا له بزيادة الهداية والتوفيق... وبالاحسان إليه ومعاملته بما يعامل به غيره من نظائره»[24]. ولم يرد له اسم في الرسالتين.

15. نصراني أسلم بفاس: تحدثت رسالة سلطانية عن «المُخرَج من النصرانية الى الدين الغير المقبول غيره من مبتغيه»[25] دون أن تذكر له أسما وأصلا.

16. إسلام نصراني من إسبانيا: ورد في رسالة السلطان إلى إبنه أن «القاضي السيد حميْد بناني وجه لك رجلا من نصرى اشبيلية يدعي أنه أسلم بالريف وأنه عرضت عليه فرائض الاسلام، ونطق بالشهادة، فحررها كما ينبغي حسبما في الرسم الذي وجهته، وأنزلته عند وصيفنا الحاج سعيد بن فرجي حتى تجاب بما يكون عليه العمل فيه، وصار بالبال. فنأمرك أن توجهه واصلا لحضرتنا الشريفة مع رفقة مأمونة»[26].

---

18. رسالته في 6 قعدة 29/1315 مارس 1898، تطوان 194/81.
19. رسالته في 17 قعدة 9/1315 أبريل 1898، تطوان 206/81.
20. رسالته إلى أحمد الطريس في 3 ربيع الثاني 27/1324 ماي 1906، تطوان 16/89.
21. المطلب العاشر من تقييد مطالب أوجين إلويس في 10 محرم 16/1309 غشت 1891، محفظة فرنسا.
22. رسالة أوجين إلويس إلى غريط في 12 صفر/17 شتنبر، نفس المحفظة.
23. رسالة عبد الله بن أحمد الى ابن المختار في 29 حجة 20/1301 كتوبر 1884، الترتيب العام.
24. جوابه إلى عامل فاس في 29 حجة/20 اكتوبر، نفس المحفظة.
25. رسالة السلطان الى عبد الله بن أحمد في 11 جمادى الأولى 15/1303 يبراير 1886، الترتيب العام.
26. رسالته إلى مولاي عمر في فاتح ربيع الثاني 12/1311 اكتوبر 1893، الترتيب العام.

17. **إسلام يهودية فاسية**:جاء في رسالة إدريس بن العلام أن ذمية من ملاح فاس لم يذكر اسمها وردت عليه «وأعلنت بكلمة الشهادة ودخلت في دين الله عن رضى منها. وقد وجهتها لدى القاضي واستنطقها بذالك بمحضر العدول وعرض عليها قواعد الاسلام فقبلت ورضيت والتزمت القيام بها...»[27].

18. **زوجة محمد بناني** يهودية طنجية أسلمت فتدخل نائب البرازيل في شأنها ووقعت مكاتبات عنها بين السلطة المحلية والنيابة السلطانية بطنجة سنة 1897 وقبلها.

وأسوق فيما يلي نص رسالة عبد المجيد بنشقرون خليفة عامل فاس إلى محمد اللبادي نائب الطريس : «وصل كتابك بأنك قدمت لنا مرارا متعددة شكاية المرأة الممنون عليها بالاسلام زوجة السيد محمد بناني بأنه فر عنها وبقيت ضائعة. ومنذ سافر ما وصلها بشيء، زيادة على ما تحملت عليه بعدة دراهم ثمن سلع من عند تجار الأجانب هناكم، طالبا ان نحضر الرجل المذكور ونلزمه أحد أمرين : إما أداء ما تكلفت به عنه وقيامه بنفقتها، وإما ان يفارقها بعد أن يؤدي ما ذكر، وإن امتنع يوجه لطنجة، ذاكرا أن نائب دولة البراسيل لحّ عليكم في شأنها.

«أما قولكم : قدمتم لنا مرارا شكاية المرأة، فمعاذ الله أن يتقدم لنا منكم شيء في القضية ولم نجبكم. نعم، خديم سيدنا السيد الحاج محمد الطريس كان كتب في شأنها وأجبناه بعُدْم زوجها...

«وأما ما طلبتم من إلزام أحد الأمرين للرجل، فالرجل عديم مملق، حرفته الآن السؤال. وإلزامه أداء ما ذكر من المُحال : يؤدي لسجنه وضياعه، وإن سجن بقي عرضة للضياع، فتعين توجيهه لطنجة وفق ما طلبتم، ارتكابا لاخف الضررين. على أن الرجل لم يجد ما يكري به ولا ما يتزود به، فأدينا له ذلك من عندنا.

«وأما قولكم إن نائب دولة البراسل تكلم معكم في شأن المرأة، فقد يُشْكل ذلك، إذ المرأة ممنون عليها بالاسلام فلا معنى لكلام الأجانب في شأنها. وها الرجل يصلكم مصفدا... والنظر لكم»[28].

19. **عبد السلام بن بركوم**:ورد في رسالة لعامل الصويرة أن عبد السلام بن بركوم الصويري «الممنون عليه بالاسلام... اشتغل بمساوىء تنزَّه الساحة الشريفة عن شرحها» كانت رسالة قبلها قد عددتها[29].

20. **شمعون بن ساسي**:جاء في رسالة عامل الصويرة محمد الحاج أن شمعون بن ساسي شاب يهودي كان بالصويرة «فأسلم، وبقي مدة ثم ارتد، ورجع للصويرة فسجن بها أيام ولاية الحاج علي بن الحاج رحمه الله وبقي بالسجن فتضرر من أجل ذالك...

---

27. رسالته إلى الحاجب في 8 صفر 1313/ فاتح يوليوز 1895، الترتيب العام.
28. رسالته في فاتح شعبان 5/1314 يناير 1897، تطوان 106/92.
29. رسالة الركراكي إلى السلطان في 6 رمضان 29/1304 ماي 1887 وبعدها رسالة سلطانية إليه في 15 رمضان/7 يونيو، الترتيب العام.

«فلتعلم أن اليهودي المذكور كان بالشياظمة بملاح خميس مَسْكالة المعلوم، وكان مغرما بمرافقة المسلمين مع بلهِ، فأدى به ذالك إلى أن أسلم على يد بعض الشياظمة أهل المحل وأشهد عليه ذالك بعدولهم، ثم ندم في الحال وقدم أمه للصويرة فارتد. فعند ذلك قبض عليه القاضي مولاي أحمد البلغيثي وتشدد في أمره...»[30].

وكانت رسالة من قبل قد أثارت مسألة تسريح شمعون بن ساسي من السجن[31].

وإضافة الى ذلك هناك رسالة قبلها تتحدث عنه دون التصريح باسمه. ولعل الاستشهاد بنصها سيزيد المسألة توضيحا، إذ تضيف أن شابا آخر لم يذكر إسمه قد أسلم أيضا في ذلك الوقت. قالت رسالة الحاجب الى أحمد بن المأمون البلغيثي :

«وصلنا كتابك ذاكرا فيه أنك قدمت الاعلام بإسلام الولد المراهق إلخ، وبإثر ذالك أسلم بعده آخر من العشرين عاما على يد الخديم ولد خبّان المسْكالي بالشياظمة. وبعد أن أشهد عليه بالاسلام وجهه للسويرة، فاتصل بتلامذة الشيخ سيدي ماء العينين فأكرموه وأجلّوه وكذا غيرهم من المسلمين، وبقي نحو الشهر وتغيب بحارة اليهود ثم خرج مرتدا مجاهرا بدين اليهودية متعنتا على المسلمين، ولم يتقدم ذالك الفعل هناك من غيره أصلا، حتى أن من أسلم ثم ارتد يسافر من البلد ولا يرجع أبدا.

«وأنك قبضت عليه وأودعته السجن بعد استقصاء حاله وتحقُّق عدم مخالطته للأجانب، وأقر لديك برجوعه لدين اليهودية ووجهت موجب إسلامه وارتداده طي كتابك.

«وصار بالبال بعد إطلاع العلم الشريف بذالك. فأمر أعزه الله بعرضه على الشرع بحضرته الشريفة فعُرض عليه، فأجاب بمطالعته موجب الارتداد المذكور فألفاه متضمنا للاشهاد بإقراره بالرجوع لدين اليهودية، ولم يقع فيه تنصيص على السبب الذي هو روح المسئلة، وهو أن يقال له : «ما السبب الذي دعاك الى الاسلام أولا ؟ وما عذرك في الرجوع عنه ؟»، فإن أقر بأن إسلامه أولا إنما هو رغبة في الدين، وليس لضيق ولا خوف على نفس أو مال وأن رجوعه اختيار حادث له فيشهد عليه العدول بذالك ثم يحذر ويستتاب في السجن ثلاثة أيام ويخوف بالعقاب ويبشر بالثواب الأخروي إن عاد للاسلام، فإن تاب [فذاك]، وإلا يسترعى عليه ويُعلم القاضي به الجناب الشريف ليؤمر بحكم الشرع فيه. وإن أقر للعدول بأن إسلامه لضيق أو خوف في سفر أو للتحصن من غرامة وأشبه في قوله فهاذا يستتاب أيضا، فإن تاب فذاك، وإلا فحسبه الادب، وإن لم ينفع أدب فيه يترك لحاله....

«وأنهينا ذالك لسيدنا أيده الله فأمر أن نجيبك به...»[32].

21. **بنت نسيم بن شطريس** يهودية من آزمور أسلمت فتعرض عليها جماعة من اليهود. وقد جاءت قصة إسلامها مفصلة في عدد من الوثائق :

أ . ففي رسالة قاضي آزمور العربي بن المقدم المنيعي أن «ذمية من ملاح الثغر الآزموري حرسه الله قد منّ الله عليها بشرح صدرها للاسلام، ولم يمكنها إظهاره وسط اليهود،

30. رسالته إلى الطريس في 17 شعبان 29/1319 نونبر 1901، تطوان 219/84.
31. رسالة محمد بريشة إلى الطريس في 16 حجة 17/1317 أبريل 1900. تطوان 204/83.
32. رسالته في 28 جمادى الثانية 24/1315 نونبر 1897، الترتيب العام.

خوفا من مكرهم، فخرجت من بينهم خفية قرب عشاء ليلة الثلاثاء المتصلة الفروط» أي يوم الاثنين 27 يناير 1896 «قاصدة دارنا أو دار الخليفة السيد الجلالي ولد [الحا]ج الوعدودي. فلما كانت بأثناء الطريق خشيت لحاق اليهود فمرت بدار السيد مُحمد بن نَعوم الازموري... فدخلتها لما هو مقرر عند أهل بلده من مروءته وديانته. وصاحت وسط الدار بأنها مسلمة، وأعلنت بالشهادتين. وطلبت إبلاغ شأنها لنا وللخليفة. فلم يسعه إلا الابلاغ وقتئذ.

«وبفور الاعلام وجهتُ لها عدلين خيِّرين مرضيين فاستفهماها لدى حضورها بين يديهما عن السبب. فأجابت بلسان طلق أنها راغبة في دين الاسلام من غير ضغط ولا إكراه، ونطقت بالشهادتين مرارا. فعرضا عليها قواعد الاسلام فقبلتها ورضيت بها وألزمتها نفسها حسبما تضمنه الرسم طيه.

«فحينئذ حملت الشفقة الاسلامية الطالب المذكور على أن كساها بما يناسب وامتحنها باليمين بأنها ما دخلت في دين الاسلام خوفا من عقوبة دنيوية ولا طمعا في شيء عدى الاسلام. فكلف بها من النساء من يباشر تعليمها الغسل فاغتسلت بنية رفض الكفر، وطابت نفسها بذلك.

«فلم يفجأ إلا أن ورد اليهودي شمعون بن عزيز ساكن الجديدة حرسها الله في زمرة من اليهود ساكنيها ومعهم ثلاثة نفر من المسلمين حاملي السلاح والمكاحل ذوات العمائر، فوقفوا بباب دار الخليفة المذكور في جملة بعض يهود ءازمور، فالآن لهم القول وبشهم وجعل يبين لهم حقيقة الواقع. فقام شمعون المذكور وقعد، وأبرق وأرعد، وأغلظ الكلام وتطاول وسب الخليفة ووالده والدين وشهروا ذوو السلاح 3 المشار إليهم أسلحتهم بباب دار الخليفة، وأطلق لسانه في أهل البلد على رؤوس الاشهاد منهم ومن التجار المقيمين هنا من البلدان بمرىء من الجميع ومسمع، فأخذت الغيرة الاسلامية من أهل البلد مأخذها ووقع فيهم ذلك موقعا حتى كادت قيامتهم **أن تقوم مع اليهود لولا... الألطاف الخفية. ومع ذلك ما واجهوا اليهود بقبيح، ولا شافهوهم بلفظ** صريح... نعم جعلوا بذلك بينة متضمنة رفع شكواهم... **لئلّا يقع من صعاليكهم ما لا يرضاه** مولانا...»[33]

ب . رسالة الخليفة الجيلالي إلى أبيه الوعدودي قائد آزمور[34] تقص نفس القصة وتسمي هاته الاسلامية بنت الزيزونة، وتذكر أن شمعون بن عزيز جاء هو ومن معه مهددين الخليفة عشية الاربعاء 13 شعبان / 29 يناير.

ت . وهناك موجب يحكي ما وقع يوم 13 شعبان وينص على أسماء أصحاب شمعون وعلى أسماء الشهود وعددهم 24، منهم 5 تجار ووجهاء من أصل فاسي، والباقون من أهل المدينة وأحوازها[35].

ث . وبعد أربعة أشهر تقريبا وردت تفاصيل في رسالة السلطان عن أسماء اليهود المتعرضين وعددهم خمسة وكلهم يدعون حماية الاجانب لهم وهم : شمعون بن عزيز وصهره شلوم بن العطار (البرازيل) وابراهام بن يحيى زُريول عمِّيل (البرتغال) وهارون بن بيكو

---

33. رسالته إلى أحمد بن موسى في 14 شعبان 30/1313 يناير 1896، الوثيقة 642 (م و م).
34. تاريخها هو 14 شعبان/30 يناير أيضا، الترتيب العام.
35. تاريخ الموجب 13 شعبان/29 يناير ، تطوان 187/110.

الزناتي (ترجمان قنصلية النمسا) وولد مير بن بيكو الزناتي (ابن اخي انعابق)، وجميعهم من أهل الجديدة. ولم ترد أسماء المسلمين الثلاثة المسلحين.

وتضيف الوثيقة قائلة : «فقد أطلع علمنا الشريف الخديم الوعدوي الأزموري بما كتبت به لخليفته من تأكيدك عليه في توجيه المرأة بنت نسيم بن شطريس التي ادعى نائب البرطقيز أن بعض ءال أزمور حازها من أهلها غصبا، ليتضح لك أمرها بالمشافهة....» وأن «اليهودي ابن عزيز... تصدى للجسارة على الدين والمخزن، والمركان يقول : ترجمانه، والبرازيل يقول : حمايته...

«وبعد ما أصدرنا أمرنا الشريف لعامل الجديدة بتحقيق حماية اليهود المذكورين أو عدمها، وإن كانوا مخالطين فيكتب لقناصل من خالطهم بحيازة ما تحت يدهم ليُجرى عليهم الحكم الشرعي؛ فكتب لهم بما تصلك نسخة منه مع أجوبتهم الغير المطابقة للسؤال على عادتهم. لاكن قد تضمنت الاقرار بتوجههم من الجديدة لآزمور، وكفى بها حجة قائمة عليهم، **حيث توجهوا من مدينة لها مخزن مستقل، متحزبين متسلحين لمدينة أخرى لها مخزن مستقل** أيضا متلصصين عليه. فلا خرق ولا جسارة فوق هذا لا من جهة الدين، ولا من جهة المخزن المنوط به أركان الديانة ومعالمها ! وحتى لو فرض لهم الكلام في قضية خارجة عن هذا الموضوع كله فلا سبيل لهم للكلام فيها مع غير مخزنهم، بل كلامهم مقصور على قنصل حمايتهم. وكلام القنصل يكون مع عامل الجديدة، وكلام عامل الجديدة مع عامل أزمور. وهذا أمر الدين لا مدخل فيه للاجناس.

«فنأمرك أن تكلم كل واحد من نوابهم في هذه الخوارق الصادرة من حماياتهم وما يجيب به قناصلهم، مما لا يجر السكوت عليه إلا لتقويتهم وإعانتهم على فعلهم. ولا يخفى ما فيه من فساد النظام للمخزن... فقد وقع للقاضي وللعامل من هضم الجانب بسبب جسارة هؤلاء ما لا مزيد عليه...»[36].

ج . وأذكر في الختام أن مقدم رسالة القاضي المنيعي إلى الدوائر المخزنية قد اقترح في مُخوَّلها معاقبة المسلمين الجديديين الذين كانوا حاملين للبنادق ذات 16 عمارة والبحث عنهم، وأن يؤمر القاضي برد «البال للممنون عليها بالاسلام المذكورة وأن يوصي عليها الرجل الذي هي عنده... إلى أن يزوجها على يده لمن يحسن معها السيرة، وأن يُنعم عليها بمثقال في اليوم من مستفاد آزمور تتعاون به إلى أن تتزوج...».

22. إسلام يهودية جديدية وزوجها وأولادها:في شهر يونيو 1898 أسلم يهودي وزوجته وأولاده على يد قاضيها الحاج علي عواد. وتناولت ذلك أربع رسائل لم تذكر أسماءهم، أقتطف منها ما يدخل في الموضوع، ولاسيما اعتراض اليهود عليهم.

أ . كتب الحاجب رسالة إلى محمد فرج أمين مستفاد الجديدة يقول فيها خاصة : «وصل كتابك في شأن اليهودي الذي أسلم هو وزوجته على يد القاضي بأن اليهود هنالك حاولوا إفساد ذلك حيث لا رئيس عليهم من قبل المخزن يردعهم عن تهورهم وأخرجوا المسلمين من محلهما وأخفوهما ولم يوقف لهم على خبر، وعلمنا ما نشأ عن ذلك من الفتنة، وتساهل العامل»

36. رسالته إلى الطريس في 1 حجة 14/1313 ماي 1896.

أي الحاج مَحمد بن يحيى الجديدي «في تسكينها، بعد أن راجعه القاضي في ذلك، ولم يلق لذلك بالا، وتبين» أن العامل «مائل لمساعدة اليهود لكونه قبض منهم الرشوة، وأنك وجهت له وللامناء والقاضي بالاسترعاء ليُجري الأحكام على اليهود ويلزمهم إحضار الداخلين في الاسلام ويقبض على رءوس الفتنة، ويكتب لقنصل المحمي منهم... ثم بعد ذلك لم يقبض إلا على اثني عشر نفرا، وصار بالبال...

«فقد... وجه مولانا... كاتبه محمد ابن سليمان للوقوف على هذه الدعوى وتحقيقها وبيان ما أنتجه التحقيق فيها»[37].

ب . وكان فرج هذا قد كتب قبل ذلك رسالة إلى أخيه أحمد محتسب الدار البيضاء بعد أن ظهر أن المحتجزين قد غادروا الجديدة في اتجاه الدار البيضاء أو غيرها، وبعد أن عين ابن سليمان للتحقيق في القضية. وها هو طرف من جواب المحتسب على رسالة أخيه :

«وبعد فقد ورد علينا الأعز كتابك... مخبرا فيه بأن قبل تاريخه منَّ الله تعلى على يهودي وزوجته وثلاثة أولادهم صغار بدخولهم إلى دين الاسلام... فإذا به اجتمعوا اليهود وقتئذ ودخلوا عليهم ليلا للمحل الذي كانوا فيه وأخرجوهم غصبا وأخفوهم... وبلغكم أنهم توجهوا لأزمور. وقد كتبتَ لعامله بالبحث عليهم وأن يثقفهم. وحين وقع البحث عليهم هناك أخبروه بأنهم قطعوا الواد وتوجهوا لهذا الثغر البيضاوي ومعهم رجل ويهودي. وعليه طلبت منا الوقوف بالبحث في ذلك.

«فاعلم رعاك الله أن ساعة وصول كتابك تلاقينا مع العامل، وعرفناه بالقضية، ووجهنا أعوانا وأصحاب الدَّوْر للوقوف بالابواب يراعوهم، وقد بحثنا من دخل في هذا اليوم فخبرنا بأن لم يدخل أحدا على الأبواب، عدى يهودي لابسا جلابية بيضاء بائتة ومعه رامَّتان... وقد تركنا الأعوان وأصحاب الدور بالأبواب ليراقبوهم...»[38].

ت . بعد ثلاثة أيام أجاب الأمين فرج أخاه المحتسب برسالة مليئة أيضا بالأغلاط التي سأتركها على حالها لوضوح المعنى، قائلا : «وصل جوابك... عن قضية المرأة وأولادها الذي من الله عليهما بالاسلام، وأشرحنا لك الواقع في أمرهما إلى أن غيبوهم اليهود... وأعلمتكم... لتمنعهم من يدي اليهود لانهم أرادوا أن يردُّهم كرها عن الاسلام، وقد صنعوا هذه الحيلة ليتوصلوا بأغراضهم...

«فليكن في علم سيادتك أن أمس التاريخ ظهر خبر وهم أنهم بقصبة القائد الحاج المعطي بسطات، وتحقق امرهم هناك، واقتضت المصلحة في ذلك أن القائد السيد أبو بكر بن بوزيد... هو الذي يكتب لعامل سطات عن هذه القضية، لما ظهر من عامل الجديدة من الخيانة فيها، ويُحضِّر على عامل سطات أن يمنعهما من أيدي اليهود ويجعلهما تحت يديه ويعلما بهما ليتوجه من يصحبهما على يد الشرع...»[39].

37. رسالته في 22 محرم 1316/12 يونيو 1898، الترتيب العام.
38. رسالته في 4 ربيع الاول/23 يوليوز، الترتيب العام.
39. رسالته في 7 ربيع الاول/26 يوليوز، الترتيب العام.

ث . وهذا نص تقرير المفتش محمد ابن سليمان :

«فقد بحثت عن الطرق الموصلة إلى حقيقة ما احتج به الفقيه السيد علي عواد على عامل الجديدة من تساهله في أمر اليهودية التي أسلمت هي وأولادها وزوجها ثم غيبها اليهود، فثبت بأن الجديدي حلف للأمناء ولفرج وابن شقرون بأنه لم يطلع على الهيئة الواقعة ليلا حيث غيبت اليهودية ومن معها إلى سابعة الصباح، فراجعت الأمين فرج بأن يتدارك الأمر بالمتعين، فكتب للقناصل وأجابوا بما لا ينهض تصريحا بالتصرف عليهم، وقبض على اثني عشر يهوديا، فيهم من لم يحضر للفعلة. فماج اليهود بعضهم في بعض وطلبوا من العامل سبب السجن، فسكّتهم بأن ما فعله عن نظر الشرع، فقال القاضي إنه لم يأذن في سجن، فسرحهم العامل، وكثر الكلام بأنه قبض المال الذي صدقه القاضي ولم نعثر على حقيقة في ذلك، **إلا ما «قلد» القاضي فيه الأمين فرج من كونه سمع من رجل استكتمه أن اليهود لما تكلموا مع بْرُودُ نائب الفرنسيس ـ لأنه يهودي ـ في شأن المساجين قال لهم : ولأي شيء قبض المال ؟.**

«وقد تحقّق أن اليهودية سافرت عدى الزوج قبل رجوعي من دكالة بيومين، وتوجه فرج بنفسه لأزمور وطلب من الحاج الوعدودي التنقيب عنها، فتبين أنها عبرت الوادي مختفية بين النساء، فكتب فرج لأخيه المحتسب بالدار البيضاء ليبحث عن صحة توجهها لسطات، فأجابه بأنه كلم العامل ابن بوزيد في ذلك، فكتب لعمال قصبة الشاوية لينقروا عن أمرها، ولازال لم يرد منه جواب لهذا التاريخ. أما زوجها فبقي بالجديدة أياما، وتكلمت مع القاضي في شأنه اثر سفر ابن الحمدونية، فقال : لافائدة في سجنه الآن حتى تحصل زوجته، وقد تحقق تغيبه من الجديدة.

«ولاشك ـ أسعدك الله ـ أن القاضي والأمين فرج أظهر كل منهما في كلامه مع العامل هيئة التآمر عليه، ولم يعاملوه معاملة الأكفاء، زيادة على ما يشافهه به القاضي من تنقيصه، وربما حلف لي أنه كافر في الوقت الذي ورد عليَّ مع أولاد ابن يسَّف... وحقيقة القلوب عند علام الغيوب، وعلى المحبة والسلام»[40].

23. **نصراني من توات** تحدثت سلطانية أن «القائد إدريس بن الكوري أعلم جنابنا الشريف أن نصرانيا ورد على الخديم ابن عمر المراكشي لتوات بقصد الاسلام ومعه ثمانمائة ريال وبعض من العدة، فأصدرنا الأمر لهما بأن يوجهاه بمتاعه في أمن واصلا لعامل وجدة. ثم إن وجده عامل وجدة أسلم يوجهه بمتاعه لعمنا مولاي عرفة، وإن كان لازال على نصرانيته يوجهه لعامل الحدادة بكلعية....»[41].

ولم يرد إيضاح آخر عن إسمه أو عن دوافع رغبته في الاسلام.

24. **الممنون عليهم بمراكش:** جاء في رسالة إلى السلطان من عامل مراكش سنة 1850 أن «طائفة ممن منَّ الله عليهـ[م] بالاسلام الشريف القاطنين بهذه الحضرة المراكشية... من الذكور والاناث يشكون حالتهم... مما حل بهم من قلة ذات اليد وشدة غلاء الاسعار.... حتى أن ثمانية منهم بين الكبار والصغار ماتوا جوعا...».

---

40. رسالته إلى الحاجب في 17 ربيع الاول/5 غشت، الترتيب العام.

41. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رجب 17/1315 دجنبر 1897، تطوان 46/16.

وبأسفل الرسالة وبمحولها أيضا أسماؤهم ذكورا وإناثا، ثم أمّرَ من الوزير الطيب بن اليماني على لسان السلطان بتنفيذ 50 أوقية لكل متزوج و25 لكل أعزب. وجميعهم 20 رجلا متزوجا و32 امرأة متزوجة و10 من العزاب[42].

غير أني أشك كثيرا في أنهم كانوا قبل ذلك غير مسلمين، لان أسماءهم هي أسماء الرجال والنساء المسلمين المعتادة. وسبب إدراج ذلك هنا هو أن عبارة «الممنون عليهم بالاسلام» تطلق عادة على الذين خرجوا من دين ودخلوا لدين الاسلام. لكن يمكن أن نؤول هاته العبارة إلى القصد بالاستعطاف، لأن الله منَّ على الناس بالاسلام وبغيره من النعم والفضائل كصحة البدن وسلامة العقول والنجدة والمبرة. ولهذا يجوز أن يكونوا مسلمين منذ نشأتهم. فبما أنهم من الأمة الاسلامية وجب الاحسان إليهم وإغاثتهم.

25. إسلام يهودية طنجية:ورد في رسالة قاضي المدينة محمد بن محمد زويتن إلى السلطان سنة 1901 «أنه فيما سلف، أنعم الله بالاسلام على بنت من كبراء أهل الكتاب بذا الثغر... فارتجت البلد لاسلامها وتعلق كبراء الملة الاسراءيلية ببعض نواب الاجانب. ومن جملة من تكلم منهم في شأنها مع نائب الأمور الشريفة هنا نائب النجليز ونائب الألمان وغيرهما. وبعدما راموا خوضا وتعرضا لم يحصلوا على طائل فأسلموها... فكثر منهم التنطع والاصغاء لما تقابل به لكونها ذات قدر ومنصب في قومها، فاقتضى نظرُ أعيان البلد أن يسلكوا بها مسلك العادة لديهم في تجهيز الابكار، سرورا بالاسلام وعزته، وحبورا بما أظهره الله من شعيرة الدين وسطوته. فكان يوم زفافها كبيرا... شهيرا. غير أن ما طابت به نفوسهم مما جمعوا لتجهيزها لم يَفِ بما صُيِّر حسبما بالرسم الموجه طيه.فَرُفِعت القضية لدينا، فاقتضى النظر أن يكون أداء تلك البقية من وفر الاحباس، لما نص عليه غير واحد من علماء المذهب... من أن فاضل الاحباس يصرف في المصالح العامة، لأن لوجوه الخير وسبل البر مدخلا في الاحباس، وما هو لله لاباس أن يستعان ببعضه على بعض، فاستُنفاد الزائد في سبيل الخير أنفع للمحبِّس وأنمى لأجره... وتحقُّق المصلحة هنا ظاهر من وجوه، وقد أُخبر النظّار هنا أنهم رفعوا ذلك لشريف الاعتاب، وها نحن أنهيناه لعلم مولانا الشريف مع بسط القضية...»[43].

---

42. رسالة أحمد بوستة إلى السلطان في 21 جمادى الاخيرة 4/1266 ماي 1850، الوثيقة 5451 (م و م).
43. رسالته في 18 قعدة 8/1318 مارس 1901، محفظة طنجة 7.

الباب السادس عشر

العلوج والحرابة

يتجزأ هذا الباب إلى فصلين عن العلوج والحرابة. وعنهم سيدور الكلام.

فالعلوج هم النصارى الذين كانوا إما أسارى بالمغرب، وإما ممن أدوا خدمات مختلفة للسلاطين في شتى العهود. لكن منهم من اعتنق الديانة الاسلامية، ومنهم من بقي على نصرانيته. وكان معنى العلج أيضا الكافر.

والحرابة أو أعضاء البعثات العسكرية الذين استوطنوا المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانوا مدربين للطوابير المغربية وفي نفس الوقت أرصادا لدولهم.

(1) العلـــوج

استخدم سلاطين المغرب عددا من الأجانب في شؤون عسكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية وعمرانية، وكانت طائفة منهم قد سقطوا في قبضة المجاهدين وحملوا في سفن القراصنة، يوم كانت حركة الجهاد البحري نشيطة. على أن بعضا منهم وفدوا على المغرب فارين أو راغبين.

كان المرابطون أول من استعانوا بالعلوج، ومنهم واحد إسباني من نبلاء مدينة برشلونة اسمه ربيرطير Reverter، وكان من أسارى علي بن تاشفين بعد حملته سنة 1138، وجعل بعد ذلك على قيادة الجيش. ثم كان ابنه علي بن ربيرطير من قواد الجيش المرابطي. وقد أسلم، غير أن مصرعه كان ببلاد غمارة سنة 1187م، وثمة علج آخر هو يحيى بن كونسالفو ابن أخت ألفونصو. وكان حتى سنة 1226 لا يزال حيا[1].

ولم تخل بلاطات الموحدين والمرينيين من العلوج، كان منهم أوربيون، وكان منهم أيضا أتراك مسلمون في عهد السعديين. وفي العهد العلوي برز آخرون نستعرض أسماءهم :

1 . **ريبيردا Ripperda** وهو إسباني استخدمه مولاي عبد الله بن إسماعيل، ولعب دورا كبيرا في نصرته سنة 1732. وكان يعرف العربية، واعتنق الاسلام أو تظاهر به، ثم حاول أن ينشيء دينا جديدا مزيجا من الاسلام والنصرانية معا، ولكنه نكب سنة 1737 وسجن بمدينة تطوان.

---

1 . خوسي أليماني:«الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة» ترجمة أحمد مدينة. في «دعوة الحق» ماي 1978، ص 36 ـ 37.

وفي عهد ابنه سيدي محمد كان عدد الفنيين الاروبيين من بلاد السويد والدانمرك كثيرا. وليس في الوسع إحصاؤهم ولا ذكر أسمائهم التي غفل التاريخ عنها، ولكننا سنشير إلى طائفة منهم عملوا في الميادين المختلفة. فكان منهم المهندس والضابط والبناء والنجار والطلاء والبستاني والترجمان، فقد كانوا من الوفرة بحيث بلغوا نحو 1800 إيبيري و250 فرنسيا، وكانوا من الفارين من الجيش أو من بلدانهم.

2. **بواسلان Boisselin** الفرنسي كان على رأس 250 علجا من بلاده. وكان هو الحارس المفضل لدى سيدي محمد بن عبد الله.

3. **عمر العلج** وهو ربان اسكوتلاندي أسلم. وكان يقود سفينة قرصانية اسمها «سنبوك» وكان عدد بحارتها 124، ومدافعها 16 وحدة[2]. ولم أقف على اسمه الأصلي ونسبه.

4. **كورنو Cornut** مهندس فرنسي اعتنق الاسلام، وقد كلف بتحضير تصميم لبناء مدينة الصويرة التي اتخذها محمد بن عبد الله ثغرا وفتحها في وجه الملاحة التجارية وأسكن بها الجوالي الاروبية، بعد أن أغلق مرسى أكادير في وجه التجار الأجانب الذين كانوا يتعاطون فيها التهريب.

5. **سيرياركي بيطروبيللي Cyriarque Petrobelli** وهو من مدينة تريبستا.

6. **بيطرو موتي دي بييطرا سانطا Pietro Muti de Pietra Santa** الاسباني أو الايطالي.

7. **فرانشيسكو كيابي F. Chiappe** وهو إيطالي من مدينة جنوة[3] ولا نشك أن هؤلاء السابق ذكرهم كان يلقبون أو يتسمون بأسماء إسلامية.

8 - **العربي قادوس** وأصله من الأعلاج الاسبانيين. وكان وزيرا في عهد محمد بن عبد الله. ولما مات السلطان عذب قادوس في عهد مولاي اليزيد[4].

9. **أبو نافع** وهو من ذرية علوج مراكش الذين استخدمهم السعديون. وكان على خزانة سيدي محمد. ولكنه قتل في عهد مولاي عبد الرحمان. وحتى سنة 1837/1254 كان لايزال حيا[5]. وكان هذا العلج من أهل القرن الثامن عشر والتاسع عشر. لكن عدد العلوج أخذ

---

2 . ابن زيدان «الاتحاف» ج 3 ص 261.

3 عن هؤلاء العلوج ينظر هنري دي لامارتنيير : «ذكريات عن المغرب» ص182. وعبد الله العمراني: «اروبيون في خدمة العرش العلوي» في «دعوة الحق» مارس 1973 ص 36 وما بعدها. كما يراجع أحمد الناصري في «الاستقصا» ج 5 ص 57 و80 و83 و86 و ج 6 ص 4 وج 7 ص 114، حيث أورد إشارات خفيفة إليهم.

4 ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 183 و337 وكذلك العباس ابن ابراهيم : «الاعلام» ج ص 16 - 17.

5 . المرجع الاخير ج 1 ص 233.

يتناقص في القرن الماضي، وأكثرهم بقي على نصرانيته. ولأجلهم كان القسس يفدون على المغرب لاقامة شعائرهم لمصلحة العلوج ومصلحة الاسارى في انتظار خلاصهم بفدية أو بمبادلة مع الأسارى المسلمين في بلاد النصارى.

وكان السلاطين العلويون يعينون لهم أماكن سكنهم، التي كانت في الغالب بمدن الشمال مثل طنجة والعرائش، أو بثغور الجنوب كالصويرة. ولربما أسكنت طائفة منهم بقرية أكوراي، جنوبي مكناس.

وتختلف المراجع أشد الاختلاف في ضبط أعدادهم، ولاسيما في القرن التاسع عشر. كانوا في رواية أولى 500 شخص، اعتنق الاسلام منهم 200 فقط، وكانوا في رواية ثانية 600 علج ما بين إسباني وفرنسي فروا من وطنهم ودخلوا كلهم إلى الدين الاسلامي. لكن مصدرا ثالثا رفع أعدادهم إلى 2500 علج سنة 1846، اعتمادا على الروايات الاسبانية التي كانت تبالغ في ذلك، لأسباب سياسية ودينية.

غير أن عدد الأعلاج لم يكن إلا أقل من الرواية الأخيرة بكثير. ففي سنة 1852 جمع ولي العهد 400 علج بقصد استخدامهم في الجيش. وفي سنة 1861 لم يكن عددهم إلا ما بين 240 و300، وذلك بكافة نواحي المغرب[6].

ولو رجعنا إلى صلب المراسلات المغربية لوجدنا أن عددهم المعروف كان أدنى من ذلك بكثير. ففي سنة 1828 أمر مولاي عبد الرحمان عامل تطوان بأن يحصي العلوج بمدينته، مع توضيح أسمائهم وكنانهم وبلدانهم الأصلية وبيان نوع صناعتهم، وبإكساء من أسلموا منهم، وذلك بقصد توظيفهم بالجيش. فلم يجد العامل أكثر من ستة أفراد[7]. وإن صدور الأمر بإحصائهم ليدل على كل حال على وفرة عددهم. وبشيء من التمحيص والمقارنة مع من كانوا بتلك المدينة، نستبين أن عدد الأعلاج كان فقط نحو المئات القليلة.

ولنشرع في استعراض أسمائهم في القرن التاسع عشر:

10. **سعيد العلج** كان عارفا بالرمي[8] أثناء حصار مولاي سليمان لمدينة فاس سنة 1820.

11. **أحمد بن سليمان** أو **انطونيو بيلوتي دي إيمانويل** **A. Piloti de Emanuel:** وهو إسباني كان سنة 1822 قائدا للطبجية. وكان قد فر من مدينة مليلية وتزوج بيهودية أسلمت بمدينة فاس كما أسلم هو نفسه، غير أنه أعدم سنة 1825 بها[9] لسبب لم أقف عليه.

12. **محمد العلج أو أنخيل بيريث A. Perez** إسباني ولد بمدينة مرسية، وكان سنة 1846 طبيبا لمولاي عبد الرحمان وفي خدمة نجله الاكبر. إلا أنه كان جاسوسا يترصد الأخبار لفائدة ميزونوف Maisoneuve.

---

6 ميبج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 122

7 . محمد داود : «تاريخ تطوان» ج 8 ص 136 ـ 140.

8 . أحمد الناصري : «الاستقصا» ج 8 ص 154.

9 . ميبج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 121 ـ 123 حيث الاشارة إلى العلوج من 3 إلى 23 و من 25 إلى 33 و من 35 إلى 39 وورد أيضا ذكر رقم 15 في ج 2 ص 161 (5) ورقم 38 في ج 3 ص 226.

13. **لوبيث إي إيسبيلا** : L. y Espela إسباني عمل بالمغرب واكتسب صيتا حسنا فيه ثم رجع سنة 1836 إلى إسبانيا.

14 . **عبد الله الطبيب أو كلود ريفيير** : C. Rivière وهو فرنسي من مدينة ليون تمرد بالجيش الفرنسي والتحق بالمغرب، وتمتع بسمعة جيدة بفاس وخارجها حتى توفي سنة 1836 بها.

15. **كاربونيل** : P. Carbonnel علج فرنسي ومغامر أيضا كان في خدمة الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، وتوفي سنة 1840 بطنجة .

16. **سانطياكو** : Santiago علج توفي سنة 1841 بمدينة آسفي. ولم يرد نسبه ولا أصله الذي قد يكون إسبانيا.

17. **القائد إدريس** أو **فرانسيسكو سيكور** : F. Segur علج كان يعمل بالقصر السلطاني، والغالب أنه إسباني.

18 ـ 20 : جان بارديJ. Bardy وجان بيدي J. Bidé وجوزيف طوكار J. Tocquard كانوا بطنجة سنة 1842 وتوفوا بها. والراجح أنهم فرنسيون.

21. **عبد الرحمان العلج أو جوزيف ده سوتلي** : J. de Sautly ولد بفرنسا سنة 1808 حيث كان أبوه صباغا. وكان أول أمره ضابطا بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1832، غير أنه فر منه بعد ذلك إلى تونس ومنها إلى المغرب الذي لما وصل إليه أكرمه السلطان ثم إستخدمه في الأغراض المخزنية. ومن ذلك أن مولاي عبد الرحمان أمر بوسلهام بن علي سنة 1842 بمنحه صلة :«حامله عبد الرحمان العلج ادفع له عشرين ريالا واجعل له كسوة تناسبه، ملفا وكتانا، وحيث يكمل عمله في الماء أعلمنا به»[10]. وكان عبد الرحمان أشهر العلوج في القرن التاسع عشر حتى توفي سنة 1879 ودفن بفاس.

22. **أوتشويا إي ديلكاضو** : E. Ochoya y Delgado إسباني فر من مليلية وكان من 1848 إلى 1865 يعمل بالجيش المغربي.

23. **خوان رامون إي سانتشيث** : J. R. y Sanchez انخرط بالجيش المغربي وعمل فيه طيلة 14 سنة حتى وفاته سنة 1866 بمكناس.

24. **عبد القادر العلج** وكان «طبيبا ماهرا أدركناه ورأيناه... جاء من بلاد الروم ومن الله عليه بالاسلام. وكان في أول أمره لم يعرف، فكان يبيع شراب القهوة، ثم اراد الانتقال من فاس طلبا للمعاش... ثم اشتهر أمره في الطب ثم أصابه العمي فعالج نفسه أشهرا فرد الله عليه بصره....»[11]. وكانت وفاته بفاس سنة 1854/1270، ولم يرد بيان عن إسمه الاصلي ولا بلده الذي ينتمي إليه.

25 ـ 26 : كابريال لينس G. Leynens وباسيل Basil وكانا سنة 1851 بطنجة.

---

10. رسالته في 3 جمادى الثانية 12/1258 يوليوز 1842، محفظة بوسلهام 2. ولعبد الرحمان ترجمة بقلم هنري ده لامارتنيير عنها العباس ابن ابراهيم في «الاعلام» ج 2 ص 454.
11. صفحات من «المفاخر العلية» لمحمد المنوني في «المناهل» العدد 36 ص 398 ـ 399.

27. **محمد العلج الفرنسي أو البارون ده سان جوليان : de Saint - Julien** كان محاميا بفرنسا، إلا أنه أصبح طبيبا لمولاي عبد الرحمان ووزرائه، التجأ إلى المغرب سنة 1854 ولم يغادره إلا بعد عشر سنوات. ولم يصح اعتناقه الاسلام خلاف ما كان يعتقد.

28 ـ 31 : **عبد الله فيرير A. Ferrer وعبد الله براتكو A. Barranco وأنطونيو أرانكورين A. Arranguren وعلي إيكليسياس A. Iglesias** وكانوا حوالي 1861 موسيقيين بالقصر السلطاني، وورد ذكر رابعهم سنة 1873 أثناء إخماد فتنة فاس أي ثورة الدباغين أو عيطة ابن المدني بنيس.

32 ـ 33 : **فرومان كوسط Froment Coste وفرانسوا جيلان F. Gelin** علجان فرنسيان توفي أولهما سنة 1856 والآخر سنة 1859 بمدينة الرباط.

34. **محمد العلج البردقيزي** أو محمد الممنون أو ميكيل دوكاسطرو سابقا : **Miguel do Castro** أشهر من قدم خدمات جلى للادارة المغربية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وترددت بعض أصدائه في الوثائق المخزنية.

كان أول أمره ترجمانا للنائب القنصلي لبلاده بالجديدة ثم صار بدوره نائبا حوالي 1865. وفي سنة 1868 أسلم بمدينة الصويرة، وكان سبب ذلك غرامه بامرأة مغربية أراد أن يتزوجها، ولكنها بعد ذلك هجرته للتزوج بأحد تراجمة المفوضية الفرنسية. فامتلأ قلبه غما ويأسا وقرر أن يعيش في خدمة القصر الملكي[12].

وكان إسلامه سببا في عزله من منصبه القنصلي، فحاول سفير البرتغال كولاصو التشنيع عليه وطالب بتسليمه إليه، فكتب إلى بركاش الذي أخبر السُّلطان بذلك سنة 1868 فأجابه «في شأن النصراني البرطقيزي الذي أسلم بالصويرة، فذكرت أن كبيرهم بطنجة تكلم معك في أمره، فأجبته بما قدمناه لك من عدم تمكينهم منه ونبهت على ما كان عليه هذا النصراني بالجديدة من الاشتغال بالفساد ومخالطة أهله والدخول للسجون وتسريح من وجب عليه الحق إلى غير ذلك مما وقعت الشكوى به لدولته فعزل من الخدمة. فكان عزله بسبب ما اظهره من الاسلام.

«وأنه إن قَبل وقُرِّب وتكلم معه يظهر لهم أن ما اشتكي به أولا سفسطة وعمل بيَد، ويرجع اللوم على كبيره، وأشرت بأن يُجرى مَجرى أمثاله من العلوج ويذهب حيث شاء ليظهر ما يبطنه. فها نحن أمرنا الأمناء بأن يكسوه كسوة تستره ويدفعوا له ما يجعله بيده، ويذهب حيث شاء»[13].

وكان إلى جانب معرفته بلغة بلاده الأصلية يحسن العربية والفرنسية. فقد قدم للقبطان إيركمان رئيس البعثة العسكرية الفرنسية خدمات كبيرة سنة 1878. وكان له اتصال بالمخزن الذي عهد إليه بمرافقة المتعلمين المغاربة إلى فرنسا سنة 1884، فكان رجل جد وتفان وإخلاص في عمله.

---

12. كايي : «المغاربة بمدرسة الهندسة» ص 133.
13. رسالة السلطان إلى بركاش في 28 صفر 20/1285 يونيو 1868 : في «الاتحاف» ج 3 ص 390.

وظل عقودا طويلة في خدمة المخزن، فكان يتقاضى من أمين المستفاد ثمان أواق في اليوم بأمر مولاي الحسن إلى الامين المذكور حسبما قال سنة 1896 للحاجب في إحدى رسائله. كما أنه كان سنة 1899 يعمل مع أمناء البنيقة بمراكش بمشاهرة قدرها ثلاثون مثقالا فطلب الزيادة فيها والتساوي مع مولاي عبد الله الحرار المراكشي المتقاضي 40 مثقالا ومولاي علي بن مسعود المنفذة له 45 مثقالا في الشهر[14].

ومن وظائفه سنة 1895 أنه كان علافا على العسكر بمراكش وأحد أمناء الصائر به[15].

ولم أقف على أكثر من هذا من أخباره. والغريب أنه مع إسلامه وجديته لم يكن يستحق إلا التسمية بالعلج من طرف أناس يدعون أنهم أحرار الفكر[16] مع أن من معاني هاته الكلمة الكافر عموما.

لكن لم يخطر ببال أحد أن يقرأ بعضا من رسائله ليجد فيها أنه كان يدعو نفسه محمد الممنون[17] أي الممنون عليه بالاسلام وأنه كان يجد غضاضة في وصفه بالعلج، فهو فيها لا ينتسب إلى البرتغال ولا يريد أن ينبز بالعلج أي المارق من الدين، لأن في ذلك حطا من قدره. فهل كان ذلك صادرا عن عنصرية أو عن عدم مبالاة ؟ لا ندري، ولو أننا نعلم أن أسر العلج كانت ولا تزال موجودة بالمغرب، ولعل أصلهم أن آباءهم الأولين كانوا من علوج الترك أو من علوج أوروبا حتى أسلموا واندمجوا في المجتمع المغربي.

35. **ألفونس لفيفر A. Lefevbre** علج فرنسي توفي سنة 1869 بتطوان.

36. **عبد الله العلج** أو **R. Schneitmadel** : ريشار شنيتمادل ألماني كان قبل سنة 1871 مستخدما بالقصر السلطاني بعد هروبه من اللفيف الأجنبي والتحاقه بالمغرب واعتناقه الاسلام أو التظاهر به. كان مستخدما في مصانع مراكش، إلا أن السفارة الألمانية لم ترد الدخول في مذاكرات معه[18] سنة 1877.

والواقع أنه كان سنة 1868 من المكلفين بعصر السكر بمعمل أكدال بنفس المدينة وكذلك بمعمل القطن. وقد صنع كيرا كبيرا «عجيب الصنع، غريب الشكل». وكان «معلم الفبركات قد عيل صبره، واستبطأ الجواب، وطلب الاذن للتوجه لثغر الصويرة بقصد المقام بها حتى يرد الجواب الشريف بالاحتياج إليه أو الاذن بركوبه... فأجاب بأنه أبى إلا ما عزم عليه من التوجه فأذن له، وحيز خط يده بما ذكر».

كان له ترجمان ومسكن، كما كانت تصرف له مؤونة قطعت عنه بعد ذلك، ففر سنة 1871، تاركا المعمل و«كل مسألة يخصها حاجة قد أخفاها العلج المذكور، لما تقاشح مع

---

14. رسالتاه إلى الحاجب في 3 رجب 8/1314 دجنبر 1896 و8 قعدة 20/1316 مارس 1899، الترتيب العام.
15. رسالته إلى الحاجب كذلك في 10 صفر 2/1313 غشت 1895، الترتيب العام.
16. **جان ماري السالمي : «موقف الاروبيين من سياسة الاصلاحات بالمغرب قبيل الحماية» في «ندوة الاصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر» ص 437.**
17. رسالته إلى الحاجب في 2 شعبان 6/1303 ماي 1886، محافظ المغرب فرنسا.
18. بيير كيين : «ألمانيا...» ص 26 (1).

القائد إبراهيم» عامل القصبة « على المؤونة وعزم على الفرار» حتى «وقع في الفابريكة تفريط». فأمر مولاي الحسن بالاحتيال «عليه حتى يظفر به، ويؤمر برد ما اخفاه».

أما عن خيانته لبعض آلاتها، فقد قيل تارة إن عمالهـا هم الذين ارتكبوا ذلك، وذكر تارة أخرى أن فقدانها ثبت على يد عبد الرحمان العلج[19] المذكور سابقا.

37. **جول شابلوز** J. Chabloz علج من أصل سويسري عاش بمكناس وأسلم سنة 1870 بها.

38. **كرينيار** Grignard مدرب عسكري من أصل بلجيكي وظفه مولاي الحسن لتسيير معمل القرطوس بمراكش، وقد اعتنق الاسلام ومات سنة 1878 بالطاعون.

39. **عبد الله العلج** الصبنيولي كان يعيش بفاس سنة 1881 وشهد جماعة من أهل المدينة بأنهم «سمعوا أنه مسلم، ومنذ عرفوه وهو لابس لباس المسلمين ويقول إنه مسلم»[20] ولم أقف على اسمه الاصلي.

40. **عبد الكريم العلج** طلب سنة 1880 من عامل فاس تعيين محل مناسب لنزوله «لانه من عملة شريف الحضرة»[21]. ولم يأت بيان آخر عنه.

41. **أبو القاسم كرانت** : Grant علج من أصل إيقوسي كان يعيش بالمغرب وتزوج بمغربية مسلمة ولدت له ثلاثة أطفال ومات خلال سفره إلى مرسيليا سنة 1888، ونشأ عن جنسية أطفاله خلاف بين الحكومتين المغربية والانجليزية. وكان يعرف العربية التي علمها للدكتور كير بمدينة الرباط[22]، كما أنه كان قبل ذلك في خدمة العالم النباتي الفرنسي إيرنيست كوسون E. Cosson الذي كان يهتم بنباتات المغرب. وكان يرافقه مغربي من الصويرة اسمه ابراهيم المريبط[23].

42 ـ 44 : **ثلاثة علوج** لم تعرف أسماؤهم ولا جنسياتهم وفدوا على الحاج العربي القندوسي سنة 1886 «ذاكرين أنهم أسلموا وأن لكل واحد منهم صنعة، وقد وردوا قاصدين أعتاب سيدنا الشريفة... وحيث وصلوا لدينا أحضرنا من ترجم عنهم... فانزلناهم عند الباشا سعيد وأردنا توجيههم لحضرة سيدنا الشريفة، فورد الحاج حمّ الوليشكي وطلب بقاءهم معه يباشرون في الفبريكة السعيدة لان لهم خبرة بصنعتها وأكد في ذلك فساعدناه...»[24]. وقد يكون أصلهم فرنسيا إذا كان القندوسي أحد المسؤولين بالقنادسة بشرق المغرب.

45. **عبد القادر العلج** الاسباني كان سنة 1891 يحاول أن ينشيء بمراكش مكينة السلاح المشتراة بتجهيزها من شركة وينتشيستر آرم وكانت أجزاؤها قد وصلت الى مرسى الجديدة فركبها، غير أنها كانت تنتج قرطاسا رديئا بثمن باهظ[25].

---

19. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 556 و 560.
20. موجب عدلي في 17 محرم 8/1299 دجنبر 1881، الترتيب العام.
21. رسالة الحاجب إلى عبد الله بن أحمد في 16 جمادى الثانية 26/1297 ماي 1880، الترتيب العام.
22. مييج : «البعثات البروتستانتية...» ص 160 (5).
23. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 295 (2).
24. رسالة مولاي اسماعيل إلى السلطان في 7 رجب 11/1303 أبريل 1886، الترتيب العام.
25. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 124.

46 ـ 47 : **علجان**. في سنة 1894 أخبر قاضي فاس حمّيد بن محمد بناني أنه أتى إليه «صاحب الباشا السيد علي الراشدي بعلجين اثنين قائلا بأنهما أتيا مسلمين، وأنه رفعهما للحضرة العالية بالله، فأمرت برفعهما للقاضي ليتلقى العدول منهما إسلامهما. فأرسلت إلى السيد عمر برادة لكونه يعرف الالسن، فأتى وقال إنه اختبرهما فلم يعرف إلا إنسانا[26] واحدا يقال له ألمان[27]... فاقتضى النظر تأخير أمرهما حتى يقدم المخزن، وإنهما يبقيان عند السيد عمر المذكور.... ولايُدفع ذلك من إكسائهما ترغيبا لهما في الاسلام. ونحب أن تكسوهما أنت ليكون ثواب ذلك في صحيفتك....»[28].

48. **عبد القادر العلج** الفرنسي كان يعمل بالمغرب سنة 1899، وكان قد طلب الاعانة لكي يتزوج[29].

49. **عبد الله العلج** الالماني ورد ذكره سنة 1907 بوصفه معلما[30] ولم يرد بيان آخر عنه.

---

26. في الأصل : لسانا

27. هل هو ليفي أولمان L. Ulman الالماني الموصوف بالعلامة في كتاب أنور الجندي : «آفاق جديدة... » ص 206 ؟

28. رسالة القاضي إلى مولاي عمر في فاتح محرم 5/1312 يوليوز 1894، الترتيب العام.

29. رسالته إلى الحاجب في 15 قعدة 27/1316 مارس 1899، الترتيب العام.

30. رسالة قنصل ألمانيا بالرباط إلى الحاج الطيب الصبيحي في 24 قعدة 9/1324 يناير 1907

② الحرابــة

لئن استعان السلاطين بالاعلاج في تسيير بعض دواليب الادارة، فإن الحسن الاول لم يسلك في ذلك نفس المسلك. كان يرى أن استخدامهم على هاته الطريقة غير كاف، وأن فيهم طائفة من المارقين أو الهاربين من بلدانهم عامة، ومن الجيش خاصة.

كان السلطان مدعوا إلى تطوير الجيش ومطالبا بإصلاح أجهزته، والافضل له أن يبحث عن مدربين وحرابين للطوابير. فهو في الوقت الذي ارتضى البعثات العسكرية الاجنبية أوفد طلابا لتعلم الفنون الحربية بالخارج، ثم إنه كان يريد ضمانة حكومتهم لهم، فطلبهم رسميا منها للوفاء بما يريده من تجديد وعصرنة. كان الحرابون أنواعا : منهم المدربون ومنهم المهندسون ومنهم الاطباء ومنهم الضباط، ولكني جمعتهم في لفظة الحرابة، لانهم كانوا جميعا من أهل الحرب والجندية. وكان لبعضهم أيضا دور آخر في الاخبار والاستطلاع والتأليف، أفادونا به قليلا أو كثيرا عن أحوال المغرب والمغاربة.

ولا خفاء أن هؤلاء الحرابين قد أدخلوا شيئا من التجديد على المحلات : في أجهزتها وفي تقنياتها وفي أساليبها. فإذا نظرنا إلى الجيش المغربي أواخر القرن التاسع عشر، وجدنا أنه تطور تطورا ملموسا، بقدر الحاجة إليه في طمأنة القلوب وحفظ الرقاب. وشتان بين مدفعية سنة 1825 قبيل معركة يسلي حيث كانت لمولاي عبد الرحمان 16 بطارية من النوع العتيق فارتفع عددها إلى 50 بطارية مدفعية قبيل حرب تطوان، سرعان ما قفزت الى 150 سنة 1883.

أما عدد الجند بالضبط ما بين محترف ومتطوع فلم ترد عنه أرقام كافية. كان الجيش مقسما إلى طوابير، ومن مجموعها تتكون المحلات السلطانية أو الاميرية، زيادة على الادالات (الحاميات) المرابطة بالثغور وبالقصبات. والطوابير انقسمت إلى فصائل أو أرحية ألف جندي، ثم إلى أرحية المائة ثم إلى «ربايع» الخمسة والعشرين جنديا، على رأسها مقدم الرباعة ثم قواد المائة وقواد الرحى.

لعب الجيش البخاري، الذي بلغ تعداده 150 الفا في العهد الاسماعيلي، دورا كبيرا[2] وغدت قبائل الكيش من وداية وشراردة تقدم للسلاطين ما يحتاجون من إمداد ومن وحدات لا نعرف عددها.

على أن معامل أوربا ومؤسساتها لم تفتأ تزود المغرب بالأسلحة المتنوعة، وكان كروب الألماني من اهم الممدين بها من مصنعه بمدينة إيسن. وكانت فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وبلجيكا تصنع منها بعض ما يفتقر إليه المخزن، وأسهمت ورشات أورلاندو الايطالية ونرسانات ليفربول[3] في صنع السفن والمراكب لحكومة المغرب.

---

1 «تاريخ المغرب» ص 315.
2 . ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 190 و 206.
3 . «تاريخ المغرب» ص 316.

وكانت شركة فورج وشانطيي ده لاميديطيراني Forges et chantiers de la Méditerranée الفرنسية تبيع له المدافع لمنافسة كروب[4]. ومثلها في بيع السلاح الثقيل والخفيف شركة وينتشيستر آرم Winchester Arm الانجليزية. ومن باعة السلاح اشتهر أشخاص من بلدان أخرى مثل النمساوي كارل أدالبيرت آبل Carl Adalbert Apel من مدينة فيينا الذي كان سنة 1889 يريد أن يبيع للمخزن مدافع أرمسطرونغ[5] Armstong. ومن السويسريين كان فريطز مارتي Fritz Marti يملك بمدينة فينطيرطور Winterthur مصنعا للسلاح ولاسيما للبنادق التي عرضها سنة 1893 على المخزن بثمن 9 فرنكات ونصف للواحدة، وكانت له مراكز في ميلانو وباريس ولندن[6]... والبنادق تنوعت أصنافها. ولا يظهر أن مكاحل بُوشْفر الحجرية كان لها وجود بارز في وقتنا هذا الذي نتحدث عنه، لانها كانت عتيقة. لكن كانت ثمة بنادق عصرية نوعا ما للصيد أو للحرب، فمنها «بوزكروم» ذو القندق المتحرك و«بوحفرة» أي هنري مارتيني Henry Martini ومارتيني كرا Martini Gras وشاسبو Chassepot والكومبلي أي كوبلينز Coblentz البلجيكية وبنادق لبيل Lebel الفرنسية وهيرسطال Herstal البلجيكية وريمينطون Remington الامريكية.

لقد استفاد المغرب من الحرابة، فتوطد الأمن بالبلاد، ولكنه خسر من بعض الوجوه. فقد كانوا في الغالب أرصادا، وأدى المخزن لهم أجورا عالية مقابل خدمات كانت في جملتها زهيدة[7]. قاموا بدور خطير فكانوا يبحثون عن مواطن الضعف في هذا المجتمع[8].

هاته البعثات انتمت إلى ألمانيا وإسبانيا وإنجلترا وإيطاليا وفرنسا. وعنها سيأتي الحديث متتابعا في خمسة مطالب. أما بلجيكا فلم تكن لها بعثة، ولو أنها كانت ذات طموح. ودولة البرتغال طلبت سنة 1889 أن تجعل لها بعثة عسكرية لتدريب الجيش[9]، وباء طلبها برفض السلطان.

المطلب الأول : ألمانيا

كانت لها بعثة عسكرية قليلة العدد لم يرد من أسماء أعضائها إلا المهندس روطنبورغ. وكانت ألمانيا قد التمست إنشاء مدرسة للطبجية بالرباط، غير أن السلطان أبى وكلفها بإنجاز أشغال تحصين الأبراج[10] على يد فالطر روطنبورغ : W. Rottenburg الذي ولد بمدينة دانتسينغ سنة 1851، وهو مهندس مدني وملازم من الهندسة العسكرية سابقا وقبطان في الجيش الاحتياطي. وصفته المصادر بأنه كان ذكيا ومثقفا ومحببا لكنه كان دساسا، وكان في خدمة كروب أحد أعمدة النفوذ الالماني السياسي منه والتجاري.

---

4 . مييج : «المغرب واروبا» ج 4 ص 104 (6).
5 . رسالة الدكتور فروخت B. Frucht في 18 ماي 18/1889 رمضان 1306
6 . رسالة مارتي إلى وزير الحرب المغربي في نونبر 1893/ربيع الثاني 1310، (م.و.م).
7 . هنري ده لامارتينيير : «عهد مولاي الحسن» في «لارفو دي ده موند» 1894 ص 404.
8 «تاريخ المغرب» ص 139.
9 . مييج : «المغرب واروبا» ج 2 ص 24 (4).
10. كايي : «نوادر الرباط» (او تاريخ الرباط) ص 201 وما بعدها.

ووصل إلى المغرب والتحق بمكناس في ماي 1888 حيث أبرمت معه عقدة استخدامه. وكان أول عمل عهد به اليه هو أن يبني بالرباط البرج الألماني أو البرج الكبير (التابع اليوم لمقر الجمعية الخيرية بالعكاري)، المسمى أيضا برج هيرفي Hervé. بدأت الأشغال الكبرى فيه في شهر يونيو وانتهت في خريف 1889 دون أن يتم فيه باقي التجهيزات والمرافق[11] التي مكث يكملها عدة سنوات.

كان من المقرر أن يشيد عدة حصون يعينها له المخزن ويعينه فيها مهندسون ألمانيون وبناءون وعَمَلَةٌ مغاربة، مقابل أجرة بلغت في بعض الأوقات 1500 فرنك في الشهر، فضلا عن منحه دارا للسكنى وأداء المخزن مصاريف سفره وتنقله داخل المغرب وتقديم المواد الضرورية للتشييد، مما عد بالملايين[12]. وكانت مصاريف السفر والتعويضات التي سددت له تقدر بـ 13.863 ريالا عن ثلاث سنوات وثلاثة أشهر لأنه كان يعمل بآلاته[13].

ولما انتهى من الأشغال الكبرى بالرباط في انتظار التجهيزات أمر ببناء ثلاثة أبراج للمدافع الكبار بتطوان، كان منها برج خبطة، وكانت أشغاله هنا وهناك متعذرة إما بسوء أحوال الجو، وإما بطبيعة الأرض، وإما بفقدان المواد،وإما بعجز الميزانية العامة، وإما بتكاسله وإخلاده للراحة التي كان يقضي طرفا منها بطنجة. وظل منهمكا في أعماله طيلة 13 سنة،وأدت له الحكومة المغربية كافة المصاريف الباهظة التي كان يطلبها، لكن تكاسله كان مقصودا، لأنه كان يريد أن يحصل على امتياز لبناء برج بمدينة سلا، فلم يوافق المخزن على ذلك[14].

وتحت يدي رسالة مخزنية طويلة ولكنها مفيدة جدا كما سنرى وهي من السلطان إلى الطريس :

«أخبر باشدور الألمان أن المهندس رطنبورك المستخدم ببرج الرباط وجه له تقييدا بأن الاتفاق كان وقع بين المخزن وباشدورهم السابق على أن المدة التي يتم فيها بناء البرج هي خمسمائة يوم سالمة من المطر، بستين معلما وما يكفيهم من الخَدَمَة كل يوم إن كانت أجزاء الحديد موجودة ؛ وأنه قد ظهر له الآن أن تنجيز البناء في المدة المذكورة بعيد، من حيث أن الخدمة لم تكن بالعدد المذكور من المعلمين من شتنبر إلى مارس إلا في مائة وستين يوما، ولأن المعلمين الذين يُجاء بهم إليه صغار جدا ولا معرفة لهم بخدمة البرج، حتى أنهم اتلفوا البرصلانة، ولكون «إقامة» الحديد لازالت لم ترد عليه مع وعده بها مرارا؛ وأن المخزن لا غرض له في تعجيل خدمة البرج لعدم [وجود] ما يُصيِّر عليه ؛ وأن وجه الفرق بين تقويم المهندس البناء المذكور بستة عشر ألف ريال أولا، وتقويمه ذالك ثانيا بثمانين ألف ريال هو أن التقويم الأول كان بطلب الأمين فرج، فقط بتقريب من غير تدقيق، وثانيا كان بتدقيق واعتبار أمور صعاب مع الزيادة الواقعة في أثمان «الاقامة» وتحويل صرف السكة ؛ وأن المخزن إن شك في جودة عمل مهندسهم المذكور فيحكّم المخزنُ في علمه أحدَ مهندسي الأجناس ؛ وأن

---

11. نفسه وكذلك «النوادر المغربية» السلسلة الثالثة ص 92 وكيلن : «ألمانيا والمغرب» ص 161 ـ 163.
12. ميبج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 109.
13. رسالة كروب في 18 شتنبر 1891/13 صفر 1309، الترتيب العام.
14. جاك كايي : «نوادر الرباط» ص 201 وما بعدها.

الأمين المذكور يُظهر له أنه مكلف بالنظر في خدمة المهندس مع كونه لا يمكنه ذالك إلا بعد درس علوم الهندسة، ولا يسوغ له البحث في خدمة مهندسيهم ؛ وأن المهندس لا لوم عليه في التقويم الأول لطلب فرج منه إياه بتقريب حسبما بنسخة من كتابه واصلة إليك طيه.

«وعليه فنامرك أن تستوعبها وأن تجيبه :

«عن أيام 500 مدة البناء بأنه معلوم أن ما يُعدُّ منها هو أيام الخدمة، وأما أيام البطالة فلا يعد منها، إلا ما وقعت البطالة فيه من غير موجب،

«وعن الستين معلما بأن الاذن فيهم عند الأمين المذكور، وإن لم يكمُل عددهم في يوم يطالب به الأمين، وإن لم يكمله له يُعلم المخزن ولا يسكت، والأيام محسوبة عليه،

«وعن كون المعلمين صغارا لا معرفة لهم بخدمة البرج بأن من وُجِّه منهم كذالك لا يقبله ويطالب الأمين بإبداله، لأن الأمين حسْبه أن يوجه له المنتصبين للخطة بالبلد،

«وعن إتلاف البرصلانة بأن العهدة عليه لأنه هو الذي يعرف من يصلح لخدمتها ومن لا يصلح،

«وعن أجزاء الحديد بأنه لا توقف لعمل البناء عليها، وهي عند المخزن بحسب التيسير،

«وعن قوله : «وُعِد بها مرارا» بأنه لم يوعد بها قط، ولْيُراجع ما عنده في هاذا الموضوع ليظهر له،

«وعن قوله : «إن المخزن لا غرض له في تعجيل خدمة البرج لعدم وجود ما يصير [عليه]» بأن حرص المخزن على إتمامه ظاهر، ومن حرصه عليه حصره المدة في الأيام 500 المتقدمة حيث رءا البرج وُجِد وبقيت الأعوام تمضي والخدمة به لم تنقطع، وأي تعذر وقع له من قبل الصائر، ودراهمه موفرة عند أمناء المرسى ؟

«وعن الفرق الذي ذكره في شأن تقويمي المهندس بما ذكر أعلاه بأن التقويم الاول الذي زعم أنه «بطلب الامين فرج، فقط بتقريب من غير تدقيق» بأن الامين لم يومر بطلبه منه إلا بعد الاتفاق عليه مع الباشدور السابق، وبأن المهندس لا يُعذر فيه لكونه ماهرا، والتقريب لا يزيد بخمسة أضعاف كما زاد بها تقويمه الثاني على تقويمه الاول، وبأن تقويمه الثاني بثمانين ألف ريال لا إذن له فيه من المخزن ولا فائدة فيه، لان المدار على الصائر،

«وعن قوله : إن شك المخزن في عدم جودة عمل المهندس فيحكم فيه مهندس ءاخر من الاجناس، بأن ذالك الشك لم يخطر ببال المخزن ولا تلفظ بكلمة تفهمه، وإنما مراد المخزن المبادرة بإتمام البرج، وبأن المخزن كلما تكلم على ذالك يُقابل بالنقيض والمجادلة بما لم يقله لا صراحة ولا إشارة،

«وعما أخبر به في شأن الامين من أنه يظهر التكليف بالنظر في عمل المهندس الخ، بأن ذالك مجرد فهم من المهندس وتكلُّم منه في الامين المذكور، مع كونه صرف جل عمره في البناءات وعارفا بها وبلوازمها.

«وعلى كل حال فها نحن أمرنا الامين المذكور بتيسير كل ما يتوقف عليه المهندس المذكور من «الاقامة» والعَمَلة، وجددنا الامر للامين الزكاري بتعجيل الاقامة الحديدية المأمور بجلبها، والسلام»[15].

وفي شهر شتنبر 1901 انتهى العمل ببرج الرباط وحضر مولاي عبد العزيز حفلة تدشينه.ولم أقف على نشاطه بعد ذلك، ويروي الحسين الزعري الذي كان أحد تراجمة روطبنورغ في وقت ما أنه لم يبن إلا قلعة واحدة من جملة التسع المقررة، وأنه كان يتراسل مع أحد أصدقائه بالدار البيضاء بواسطة الحمام الزاجل ثم يرسل الاخبار إلى الخارج.[16]

وبخصوص عمله بالرباط جاء في رسالة عبد الخالق فرج أن أحد أهل الرباط المسمى أحمد بابا التونسي الموصوف بالمرابط المجذوب شتم زوجة المهندس الالماني وبصق عنيها فاعتقله عامل الرباط[17] دون أن يرد سبب لذلك فيها.

ومهما يكن فقد استمر مقيما بالمغرب حتى توفي في 26 مارس 1906 بمدينة الرباط.

المطلب الثاني : انجلترا

اشتملت بعثتها العسكرية على عدة أفراد كانوا يقومون بأشغال لاصلاح أبراج طنجة وبنائها وتحصينها، بينما كان لماك لين ولأخيه آلن نوع آخر من الخدمة. وأسوق أسماءهم الآن :

1 . 2 : دونالد Donald وماثيوز ماك هو M. Mac Haugh كلفهما

السلطان سنة 1878 بالعمل بمدفعية طنجة لمدة عشر سنوات مجددة، وظل ماك هو مقيما بها طيلة عقد من الزمان، وكانا مشتغلين بإصلاح الابراج والاسوار[18].

3 . إيدوارد سيلبا : E. Silva وهو مهندس طارقي قام بترميم أبراج طنجة أيضا ونصب بها مدافع كبارا مستوردة من معامل أرمسطرونغ بوصفه كبيرا للمهندسين، وذلك من 1881 إلى 1891 حين استقال من منصبه [19].

كان يدعى القائد سيلبة، وهو واضع تصميم المدينة. ومن جملة أشغاله أنه ركب ميزانا بالمرسى، وقام بأشغال ببرجي الريشة الأول والثاني وبرج النعامة وبرج طبّانة، وحفرت لها أساسات وردمت بالتراب سنة 1881 لتنصب هناك فيما بعد ستة مدافع[20].

---

15. رسالته في 21 صفر 20/1318 يونيو 1900، تطوان 35/18.
16. «مذكرة طالب» في «دعوة الحق» العدد 1 السنة 12، ص 147.
17. رسالة عبد الخالق فرج إلى الطريس في 19 صفر 18/1318 نونبر 1900، تطوان 47/84.
18. ميبج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 227 وابن زيدان «الاتحاف» ج 2 ص 461.
19. المصدر الاخير ج 2 ص 471 و488.
20. رسالتا سيلبة إلى الحاج محمد الزبدي في 3 رجب 1298/فاتح يونيو 1881، الترتيب العام.

وكان الزبير سكيرج ترجمانا له، وكان سيلبة يعمل «بأبراج طنجة بأجرة قدرها ألف ريال في السنة. داخلا فيها جميع المصاريف عدى مصاريف سفره فيما يرجع لخدمتنا الشريفة وذكر سفير إنجلترا أن أجرة سيلبة لا تعطاه كما تعطى لضونال...»[21].

ومن أجل عمله هذا كان المخزن يمده بالمعلمين، ولاسيما أربعة من أمهرهم من بنائي تطوان والصويرة وأسفي ومراكش لبناء أسوار طنجة والاطلاع على كيفية بناء الأساسات والجدران والتدرب على ذلك، ثم أضيف إليهم اثنان من الرباط وفاس[22].

4 ـ 5 : **الميجور أوكيلفي O'Gilvy** وهو ضابط إيرلاندي كان مساعدا لهيري ماك لين، **وألن ماكلين** شقيق السابق، وكان حرابا قبل أن يغدو قنصلا لبلاده بالدار البيضاء سنة 1894.

6. هيري أوبري ده فير ماك لين : Harry Aubrey de Vere Mac Lean وهو إيقوسي ومن مواليد 15 يونيو 1848، وكانت وفاته بطنجة في يبراير 1920. كان أول أمره ضابطا صغيرا برتبة ملازم بحامية جبل طارق، غير أنه استقال سنة 1876 لعلاقة غرامية مع إسبانية تزوجها بعد ذلك. وفي مارس 1877 أصبح أول ضابط نظامي أجنبي في خدمة السلطان[23]، وصار يدعى «القائد» ماك لين أو «الكروني» (تحريفا لرتبة الكولونيل). ولما مات الحاجب رقى نفسه إلى درجة الجنرال.

تعلم العربية وكان يقوم أحيانا بالترجمة بين المخزن والأجانب، وألف بصعوبة كبرى طابورا من الجيش المغربي. وكان يقوم على الأبواب مثل سائر الموظفين مرتديا لباسا مغربيا أو مازجا بينه وبين لباسه الوطني. وكانت زوجته وبناته يرتدين الحائك ويتلثمن ويحتجبن[24].

وكانت سكناه بفاس في عرصة كانت تدعى عرصة الكروني وتقع بين وادي الزيتون وباب الحمراء. أما بالخارج فكانت إقامته بمدينة كيو Kewبحي تشورتش هاوز.

عاش في رغد من العيش وجمع بسرعة أموالا طائلة، وكلفته ملكيته بمدينة نورفوك Norfolk أزيد من 350 ألف فرنك ذهبي. وكانت له خلطة مع المغاربة في الفلاحة وتربية المواشي التي كانت رؤوسها عديدة[25].

كما كان تاجرا في السلاح، إذ في غشت 1889 كان يشتري المكاحل من طنجة وغيرها ويوجهها إلى اليهودي ابن سعود بالرباط بقصد بيعها[26]. كما أنه كان يطمع في اكتراء البابور «الحسني» بخمسمائة ريال في السنة لمدة تتراوح بين 5 و10 سنوات[27].

---

21. مسودة رسالة سلطانية إلى بركاش في متم صفر 31/1298 يناير 1881، محفظة طنجة 3.
22. مسودة رسالة السلطان إلى الطريس وعبد الصادق بن أحمد وعبد السلام أحرضان وأمناء طنجة في 12 شوال 25/1302 يوليوز 1885، محفظة طنجة 5.
23. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 231 (5).
24. نفسه ج 4 ص 69 وأوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 160.
25. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 342 (8).
26. رسالة أميني مرسى العدوتين في 4 محرم 31/1307 غشت 1889.
27. رسالة ماك لين إلى الطريس في 7 يونيو 1889.

ومع أنه كان حرابا فقد كان يقوم بأغراض سلطانية متعددة ثم بمفاوضات في الكواليس، منها مثلا أنه كلف سنة 1907 برد أحمد الريسوني إلى الشرعية بعد عزله عن ولاية الفحص، غير أن وساطته أفضت إلى أسره نحو 8 أشهر من لدن الريسوني الذي لم يفرج عنه إلا يوم 7 يبراير 1908 وبعد أداء فدية قدرها 20 ألف جنيه استرليني[28]. وعن إساره نظمت قصيدة نشرتها مجلة «العالم الاسلامي» سنة 1908[29].

خلال العهد العزيزي وقبله كان دوره عظيما في توطيد النفوذ البريطاني بالقصر الملكي الذي امتلأ بعدد من العملاء مثل والطبير هاريس والدكتور إيكبيرت فيردون Egbert Verdon الاوسترالي.

وكان ماك لين نصف جاسوس ونصف مغامر مثل جيمسون Jameson وسيسيل ده رودس Cecil de Rhodesولورينس «العربي» Laurance وكيمبل Campbell وكوردون Gordon ممن كانت الحكومة البريطانية تتبرأ تارة وتزكيهم تارة أخرى بحسب الظروف. كانت له حظوة عند الحاجب، وكان يقدم للعاهل الصغير مخترعات أروبية لتلهيته بها[30].

ولسنا بحاجة إلى البرهنة عن الخدمة التي أسداها خلال 45 سنة من حياته بالمغرب لبلاده ولنفسه معا، فقد كان عينا لا تنام. ومما يدل على ذلك أنه هو الذي أطلع الحكومة البريطانية على موت مولاي الحسن، فعرفته قبل أن يعرفه المغاربة. فإنه ما علم بموته، حتى بعث رقاصا إلى أخيه بالدار البيضاء يعلمه بالحادث، وهذا بعث رقاصا إلى الرباط قطع المسافة الفاصلة بين المدينتين في أقل من ست ساعات، فأعطى الرسالة لباخرة انجليزية حملتها في الحين إلى السفارة الانجليزية، وهاته أبرقت بخبر الحادث إلى وزارة الخارجية، فعلمت الحكومة الانجليزية بموت السلطان قبل أن تعلم به حتى الحاشية المرافقة لموكب الملك الهالك.

السلطان بلا شك كان شاعرا به وبأخطار هؤلاء الحرابة. فهل كان مدربا ؟ كان أكثر من ذلك. والحق أنه ألف فصائل من الجيش المغربي، لكنه كان يلقي معارضة. قابل مهنته بمنتهى الجد والحزم، ولكنه كان يصادف دوما مقاومة ومعاكسة من طرف الضباط القدماء الذين لم يألفوا الأساليب الجديدة، والذين تعودوا الرشوة والعبث بالسلطة. وكان حريصا على إدخال تطورات على الجيش المخزني والادارة المغربية... ثم انقلب دوره إلى مستشار ديبلوماسي للسلطان، فكان يزود مولاي الحسن بما يروج بين الدول الاروبية في شأن المغرب[31].

وكان مولاي الحسن قبل وفاته يريد «الاستغناء عن الحرابة، لتعلم العسكر بما فيه كفاية، ولم تبق فائدة لاقامتهم بالمغرب. وللمخزن أن يردهم لبلادهم متى شاءوا، وذلك على يد دولهم. وقد وقع الكلام في ذلك مع الفرنسيس والصبنيول». وزاد السلطان إلى الطريس : «فنأمرك أن تتكلم مع نائب الانجليز ليباشر الكلام مع دولته في أمر رجوع مكلين لبلاده، عند رجوع غيره من الحرابة لبلادهم، لكونهم علقوا أمر رجوعهم على رجوعه»[32].

28. شارل اندري جوليان : «المغرب في مواجهة...» ص 40.
29. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 454.
30. بونوا - ميشان : «ليوطي الافريقي» ص 437.
31. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 152 (1).
32. رسالته في 7 جمادى الأولى 1309/9 دجنبر 1891 (م.و.م).

المطلب الثالث : إسبانيـا

قبيل سنة 1890 عينت إسبانيا بعثة عسكرية إلى فاس لأشغال الهندسة وتكوين اختصاصيين مغاربة في بناء الطرق. وكانت متألفة من ثلاثة ضباط يستبدل غيرهم بهم، وهاهي أسماء بعضهم :

1 ـ 2 : الكومندان بيلارضي : Velarde وتروخيو : Trujillo عاش أولهما بفاس سنة 1891 إلى أن عوضه الضابط الثاني سنة 1892.

3 ـ إدواردو كانيساريس إي مويانا : E. Canizares y Moyana الذي أقام بالمغرب بعد سابقه مدة ثلاث سنوات. وله تأليف.

4. بنانسيو ألباريس كابريرا : B. A. Cabrera كومندان ورئيس البعثة من 1890 إلى 1901، وقد أصدر تأليفين صغيرين سنة 1892 عن المغرب، وكان ينشر مقالاته الصحفية باسم «عبد الله».

5. خوصي باييخو : J. Vallejo وكان سنة 1890 قبطانا من الهندسة العسكرية.

وعنه وعن الذي قبله تحدثت رسالة سلطانية إلى الملك ألفونصو الثالث عشر سنة 1889 مرحبة بهما : «ومهما ظهر ما يناسبهما من الخدمة المذكورة يستخدمان فيه بحول الله. وحيث يتممان عملهما فيه يرجعان لبلادهما كغيرهما من الفسيالات المستخدمين بحضرتنا الشريفة»[33].

لكن لما وصل الكومندان وخليفته إلى مكناس قادمين من طنجة سنة 1891 «نزع منهما دواب حمل الأثقال، وتركا في زاوية الاهمال، فغادرا مكناس مغضبين دون إذن المخزن»[34].

6. الدكتور خواكين كورطيس إي بايونا : J. Cortès y Bayona أضيف سنة 1891 إلى البعثة[35].

على أن من أغراض سفارة عبد الحميد الرحماني إلى إسبانيا سنة 1891 كان مطالبة هاته الدولة بسحب بعثتها من المغرب، إذ لما «طلب الاذن للحرابة الصبنيوليين الذين بالحضرة الشريفة في التوجه لحالهم لتعلم العسكر مافيه كفاية، أجابت عنه الدولة المحبة بأنها تساعد على ذلك بمجرد سفر غيرهم من الحرابة الذين هم بالحضرة الشريفة من أجناس أخرين»[36].

---

33. ابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 208.
34. رسالة الطريس إلى غريط في 14 ربيع الأول 8.1309 اكتوبر 1891 (د.و.م).
35. ينظر عن البعثة مييج : «المغرب واوربا» ج 1 ص 59 و 83 وج 4 ص 230 (3) وص 102 (٢).
36. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 340.

المطلب الرابع : إيطاليا

اقتصرت مهمة البعثة الايطالية على تسيير الماكينة أي مصنع السلاح ثم ضرب السكة بفاس. وكان عدد أفرادها قليلا.

فلم يكن المخزن يرى من خلاص الا بتجديد صناعته السلاحية على الأقل، فقد اشترى من الخارج أسلحة ومدافع لتقوية الثغور. وهكذا عهد بهذا المصنع إلى اختصاصيين وضباط إيطاليين سنة 1888 لبناء المعمل وتسييره.

ولهذه الغاية عينت قطعة أرضية تقع بين باب السبع وباب الساكمة بفاس الجديد، وكانت قريبة من ماء وادي فاس ليسهل دوران محركاتها التي استوردت سنة 1890 من إيطاليا.

كانت مردوديتها دون المستوى، وكانت تصلح الأسلحة وتنتج البارود وتصنع 5 مكاحل بوحفرة أي مارتيني هنري في اليوم أو 36 في الأسبوع أو 144 في الشهر، وتخرج من القرطاس ما بين 220 ألفا و300 ألف في الشهر كذلك، واستمر وجودها إلى قبيل عام 1916/1334.

كان مستخدموها يتألفون من مهندس ومن ميكانيكيين إيطاليين ويشرفون على عدد من **الأطر المغربية المتخرجة من معامل أوروبا وتحت إمرتهم أزيد من 300 من الحرفيين من أهل فاس ومكناس ومراكش والرباط وسلا من صانعي السلاح والحدادين وحتى الحمالين عباهم السلطان لهذا الغرض. لكن أجورهم كانت زهيدة : بسيطة حسنية في اليوم، زيادة على الصلات الهزيلة من بلغة وكسوة ومال. وكانت هاته الاجرة لا تسمح لهم بالجد في العمل، ولذلك كانوا يبحثون عن تكملة تعينهم.**

أوقات العمل في الصباح كانت من الثامنة إلى الثانية عشرة، وفي المساء من الثالثة الى السادسة.

كانت هاته المحاولة لخلق صناعة حكومية جديرة بالتنويه، لكنها لم تترك أثرا كبيرا لدى صناع فاس الذين لم يتعودوا هذا النوع من العمل المستمر المضبوط[37].

فمن هم هؤلاء المهندسون والمسؤولون الايطاليون ؟ كان منهم :

1. **نوطاري Notari** وهو الذي خطط لبنائها سنة 1888 وانتهى سنة 1891 من تركيب آلاتها[38]. وسيعود الى الماكينة بعد ذلك بوصفه رئيسا للمعمل.

2. **كريكوريو بريكولي : G. Bregoli** وهو ليوتنان كولونيل كان رئيس للبعثة الايطالية. وحل بفاس سنة 1888 صحبة الميكانيكيين فيرارا وفالطا. وظل في عمله حتى أعفي سنة

---

37. زوجي لوطوزنو «الحياة اليومية بفاس» ص 101-102 وابن زيدان : «العز والصولة» ج 2 ص 151 و«الاتحاف» ج 2 ص 340 و499، واوجين اوبان : «مغرب اليوم» ص 351 والناصر ابن الحاج : «الاستبصار...» الورقة 91 و92.

38. ابن زيدان في «الاتحاف» ج 2 ص 430 يدعوه نوطيرا.

1895 منه، بسبب خلاف كان بينه وبين المخزن حول تزوير الفاتورات التي كان يجعل لنفسه نصيبا فيها يقتسمه مع بعض المسؤولين المغاربة الكبار من حاشية السلطان.

3. **فالطا : Falta** ماجور من سلاح المدفعية سكن بفاس سنة 1888 ثم في السنة الموالية نقل إلى العرائش لخلاف كان بينه وبين بريكولي متهما إياه بتدليس الفاتورات.

4. **فيرارا : Ferrara** وهو ماجور أيضا وصل إلى فاس سنة 1888 وظل هناك سنوات أخرى، وكان ميكانيكيا مثل الذي قبله[39].

غير أنه كان له دور في الأخبار وعاب عليه المخزن أنه عين للحضور في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 بوصفه مستشارا : «فرارة الطلياني المستخدم بالفبريكة السعيدة بلغ عنه أنه عين للحضور مع مندوبهم في المؤتمر، وأن الكمندار الفرنصوي المتوجه من الأعتاب الشريفة يظهر من توجهه أن القصد به هو الحضور بالمؤتمر أيضا. ولا يخفى مافي حضور المذكورين بالمؤتمر، مع كونهما في خدمة المخزن. نعم، لا ينبغي الاقدام على الكلام في ذلك قبل التثبت واليقين» حسب رسالة عبد الكريم ابن سليمان إلى الطريس التي ختمها بأنه إن صح ذلك فإن المخزن سيستغني عنهما[40].

5. **أدلير إيزنشيطتز : Adler Eisenschitz** أصله من مدينة ميلانو كان سنة 1889 مساعدا لبريكولي وميكانيكيا ثانيا[41].

6 ـ 8 : **طرونيللي وبابوني وكارل دارا** وهم أطر عليا وفدوا على المغرب بعد وفاة مولاي الحسن[42].

وفي الختام أشير إلى أن السلطان قد أوصى بصنع مركب بورشة الاخوة أورلاندو من مدينة ليفورنو، ولكن لم يسلم إلى المغرب إلا سنة 1899. وكان اسمه «البشير» أو «بشير الاسلام، بخوافق الأعلام». وكان قائده في بعض الأوقات هو ميتزنر Mietzner الألماني، وتكون طاقمه من نحو مائة من المغاربة والأجانب، وكان جهازه اثني عشر مدفعا[43]. وثمنه الاجمالي بلغ 192.857 فرنكا وسدد بمشاهرات بواسطة أشخاص مثل ليم Lamb الانجليزي أو مؤسسات مثل شركة باكي أو بنك الكريدي ليوني الفرنسيين[44].

المطلب الخامس : فرنسـا

تألفت البعثة العسكرية من عدد من الضباط كانوا في أغلب أوقاتهم يدربون الجنود المغاربة في بعض المدن أو يسافرون مع الحركات السلطانية. قدم الأفراد الأولون من الجزائر سنة 1877، وكانت أسماؤهم هي :

---

39. عن السابقين ينظر «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 99-100.
40. رسالته في 14 قعدة 10/1323 يناير 1906، تطوان 167/35.
41. رسالة بريكولي إلى غريط في 22 قعدة 12/1307 يوليوز 1889، (م.و.م).
42. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 2 ص 499.
43. أيضا ص 503 ـ 508 وفيسجيربير : «على عتبة...» ص 90 ومحمد المنوني : «مظاهر...» ج 1 ص 88، طبعة لبنان.
44. رسائل كثيرة بمحافظ إيطاليا للمغرب(م.و.م).

1 ـ 3 : القبطان **بايرن** **Payern** وكان رئيسا لها مدة سنتين، والليوتنان **جورني Journée** وكان مساعدا له، والكومندان **جول إيركمان J. Erckmann** الذي تولى سنة 1879 رئاسة البعثة إلى أن عزل سنة 1883.

وإيركمان من مواليد سطراسبورغ سنة 1830 وكانت وفاته بباريس سنة 1901. ويبدو أن السلطان قد استحسنه لصفاته العسكرية وجديته في عمله ومعرفته باللغة العربية. وكان أحد معارضي سياسة أورديكة خلال سفارته إلى مراكش سنة 1882 فكان جزاؤه العزل. وكان يكتب في بعض الصحف مقالات عن المغرب، وله تأليف شهير عنوانه : «المغرب الحديث : Le Maroc Moderne» نشر بباريس سنة 1885 في نحو 300 صفحة. إلا أن فصولا حذفت منه قبل الطبع. والمخطوط الكامل يوجد في أرشيف وزارة الحرب الفرنسية تحت رقم 19، وهو قيم فيما يتعلق بالجيش والبلاد وتاريخ المغرب في أواخر القرن التاسع عشر[45].

4 ـ 5 : وقد خلفه سنة 1883 الكومندان **له ڤالوا** : **Le Vallois** حتى استقال سنة 1885 احتجاجا على سياسة شارل فيرو، وتولى بعده الكومندان فيكطور **ده بروي** : **V. de Breuille** المولود سنة 1841. وقد أنهى حياته العسكرية برتبة عقيد، فانتقل سنة 1889 إلى الجزائر حيث عين قائدا لدائرة العين الصفراء، وكانت له مميزات خاصة، كما كان يراسل بعض الصحف[46].

6 ـ 7 : **كوشمي** **Cauchemez** كومندان ولد سنة 1844 وقضى معظم حياته بالجزائر وتونس. وقد وصل سنة 1889 إلى فاس لتولي رئاسة البعثة، ورقي إلى درجة كولونيل سنة 1897، ثم صار قائدا للواحات الصحراوية بالجزائر، وخلفه سنة 1892 **شلومبيرجي** : **Schlumberger**[47].

8. **شميت** : **Schmitt** كان عضوا بالبعثة برتبة قبطان ثم كومندان حتى اغتيل سنة 1887 بوادي بهت من نواحي زمور الشلح على إثر تهور صدر منه من أجل الصيد بالنهر، فطلبت فرنسا دية عن مصرعه رفضها المخزن في البداية ثم دفعها بعد إلحاح شديد، وكان قدرها هو 100 ألف فرنك.

وقد طالب السلطان منذ سنة 1886 بسحب الحرابة الفرنسيين وغيرهم، وأخذ يلح في ذلك بعد مقتل شميت وإقالة إيركمان ولاسيما في يوليوز 1889، وكان جواب فرنسا هو الرفض. وفي دجنبر 1892 طلب السلطان تحويل البعثة العسكرية إلى بعثة تقنية تكلف بتسيير معمل القرطوس بمراكش، فدرست الحكومة الفرنسية هذا الاقتراح، إلا أن حركة السلطان إلى تافيلالت ثم موته أجلا تنفيذه[48].

وهناك رسائل كثيرة تتحدث عن سميت «المقضي عليه ببلاد زمور»، ومنها واحدة قالت إن الكومندان ده بروي قدم على السلطان لما كان مخيما بأربعاء أيت سبير بنواحي زمور

45. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 105 وج 3 ص 228 ـ 229.
46. نفسه ج 4 ص 97 (6 و 7).
47. أيضا ج 4 ص 97 (8).
48. كذلك ج 4 ص 108 (3).

ضحى يوم 3 حجة 1304 وأخبره «بتوجه الكبطان اشميت الذي معه للصيادة بالمحال المخوفة» وأنه «طالما نهاه فلم ينته، وأخبره» شميت «ليلة اليوم المذكور بأنه على نية اصطياد الحوت بوادي بهت فحذره من التوجه له فلم يبال بكلامه حيث سوته الدولة معه في المرتبة»، حتى جاءه الخبر «بأن الكبطان طلع مع الوادي المذكور ءاخذا في الاصطياد إلى أن صار بينه وبين المحلة نحو الساعة ونصف... فخرج فيه ستة من زمور وانتزعوا منه الفرس والبغل وثيابه، وذهب بذالك أربعة منهم، واثنان قبضا عليه وذهبا به للغابة ومكثا معه إلى الغروب وسرحاه، ولم يدر ما فعل بالكبطان. فامرنا عمال زمور وأعيانهم بالركوب والبحث عنه، فعثروا عليه في الغد مقتولا بمحل بينه وبين المحلة ساعة ونصف وأتوا به فدفع للكمندار...»[49].

9. **الدكتور فيردنان ليناريس : J. L. F. Linarès** طبيب عسكري من مواليد 1850، وكانت وفاته بفرنسا سنة 1938. ألحق سنة 1877 بالبعثة وعين بوجدة حيث مكث سنة عاد بعدها إلى وهران. ومن 1880 إلى خريف 1883 عين بالرباط. وفي سنة 1888 انتدب لدى وزارة الخارجية الفرنسية التي عينته عميلا لها بالقصر السلطاني. فكان طيلة خمس سنوات طبيبا لمولاي الحسن ورافقه إلى تافيلالت، وظل بالقصر إلى سنة 1902 حيث احيل على المعاش.

كان ليناريس مستعربا تعلم اللغة بالبيوض بالمغرب الشرقي، وكان مثقفا وذكيا أهلته مهمته ليكون على علم بما يروج بالقصر وغيره. وكانت له ارتباطات شديدة بالوزراء ورجال الدولة. وقد خلف بعض المقالات والتاليف عن الطب وأحوال المغرب الذي عاش فيه 25 سنة[50].

---

49. رسالة السلطان إلى الضريس في 3 حجة 23/1304 غشت 1887، تطوان 6/20.

50. مييج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 134 وج 4 ص 234 (6). وجاك كايي : «النوادر...» ص 156-164، ونبيل : «المسافرون» ص 206 وما بعدها. وعبد القادر الخلادي : «مذكرة الدكتور ليناريس» في «دعوة الحق»، ماي 1971، ص 76.

الباب السابع عشر

صحافة طنجة

أواخر القرن التاسع عشر نشأت بشمال المغرب صحافة أجنبية اللغة والمنحى. وسأركز على جرائد طنجة في فصلين : أولهما عن تاريخها والتعريف بها وذكر البعض من أصحابها، والآخر عن أصدائها وموقفها من المخزن ومن المفوضيات وإيجابيتها وسلبيتها.

ولما كانت هاته المنشورات بدعة لدى المخزن لم تدون عنها الوثائق المغربية إلا القليل. غير أن الأجانب الذين يعنيهم أمرها أسهبوا في ذكرها.

① الصحافة الأجنبية

سأعرض للكوازيط الأجنبية[1] على اختلاف لغاتها ومشاربها : الاسبانية والفرنسية والانجليزية والعربية، متناولا ذلك في جملة من المطالب. ولا يعني اللسان المكتوبة به الانتماء إلى لغة البلد المعني، فلشد ما تباعد القلم عن السياسة.

المطلب الأول : بالاسبانية

كان الاسبانيون أول من بدأوا ينشرون الصحف بسبتة ومليلية وتطوان أوائل القرن الماضي وأواسطه، فأصدروا بالمدينة الأولى بين 1820 و1873 تسع نشرات، وبالثانية جريدة واحدة سنة 1883، كما أحدثوا أيام احتلالهم لتطوان جريدتين سنة 1860. ولن أعرض لها إطلاقا لأنها كانت تمثل المصالح الاسبانية العسكرية والسياسية، ولأنها كانت موجهة إلى إسبانيي المدن المذكورة، ولأنها أيضا لم يكن لها تأثير على المغرب والمغاربة الذين لم يكونوا يعرفون الاسبانية ولأنها أخيرا لم تعمّر طويلا.

وبخلاف ذلك كانت جرائد طنجة. فلنستعرض أسماءها وأصحابها :

1 . ينظر عنها بالأساس دراسة مييج : «الصحف والصحافيون بطنجة في القرن التاسع عشر» المنشورة في مجلة «إسبيريس» بتاريخ فاتح يبراير 1954 ص 191 وما بعدها. و«المغرب واروبا» ج 4 ص 323 وما بعدها والجزء الاول مواضع مختلفة. كما يستعان بالجزء الأول من «الصحافة المغربية : نشأتها وتطورها» صفحات مختلفة وهو من تأليف صديقي زين العابدين الكتاني. ومحمد المنوني : «مظاهر...» الجزء الأول. طبعة لبنان ص 358 وما يليها. وما عدا ذلك سأشير إليه في مكانه. مقتطفا من الوثائق المغربية ما نحتاج إليه.

1. «المغرب الأقصى : Al Moghreb Al-Aksa» جريدة أسبوعية ظهرت يوم 28 يناير 1883 واستمرت عشر سنوات. كانت إسبانية الهوى و«العماد الراسخ للمطامح الاسبانية العادلة بالمغرب» على حد زعمها.

أحدثها كريكوري. ت أبرينس : G. T. Abrines، وكان أنطونيو موليناري : A. Molinari هو المتصرف في مطابع أبرينس، وكلا الرجلين من جبل طارق، وهما عاشا بطنجة أمدا طويلا.

وكان من محرريها خوصي نوكاليس إي نوكاليسJ. Nogalès y Nogalès المولود بإسبانيا سنة 1860 والمتوفى سنة 1908. وقد قضى بالمدينة سنوات طويلة.

وهناك محرر اخر هو بينحاس طوليدانو الطنجي الذي كان أيضا مراسلا لصحف إسبانية أخرى ومنتحلا اسم بيريطاس : Veritas، وكان من سنة 1886 إلى 1897 محميا ألمانيا[2]. وله مقالات عنيفة ضد ممثل فرنسا شارل فيرو.

2. «إيل إيكو ماوريطانو : El Eco Mauritano» (أو «الصدى الموريتاني») نصف أسبوعية صدرت في يبراير 1886 واستمرت إلى ما بعد سنة 1902. كانت مخصصة للاشهار التجاري، وكان صاحبها هو أوكوستين لوكارو : A. Lugaro الطارقي الذي كان تاجرا والذي كانت له منشرة لقطع الخشب. فلما أقامت السلطة حظرا عليه سنة 1888 احتج قنصل إنجلترا على ذلك[3]، لأنه كان منجلزا وملهما من المفوضية البريطانية.

وكان التاجر ابراهام مردوخ لاريدو الترجمان بالمفوضية الاسبانية أحد محرريها من 1885 إلى 1887.

3. «بوليطينو دي لاكامارا دي كوميرسيو دي طانخير : «Boletino de la Camara de Comercio de Tanger» كانت «نشرة الغرفة التجارية الطنجية» نصف شهرية شرعت في الصدور من سنة 1887 إلى ما بعد 1902، وكانت ناطقة باسم المصالح الاقتصادية الاسبانية بطنجة.

4. «دياريو دي طانخير : Diario de Tanger» (أو «يومية طنجة») كانت يومية في بعض الأوقات وصدرت من 1889 إلى 1896. مؤسسها هو الانجليزي أدولفو فرانسيرون A. Franceron، وكانت فرنسية الميول بحيث كانت المفوضية الفرنسية تمدها بالمساعدات المالية، وكانت جريدة الاعلان والاشهار.

وفي سنة 1891 انتقلت إدارتها إلى ده كيرديك شيني (أ. فيال : A. Vial de Kerdec - Cheny) الذي وصل إلى طنجة سنة 1886، وكان مساهما في تحرير جريدة «له ريفي دو ماروك» ثم صار سنة 1889 رئيس تحريرها فمديرها سنة 1893. وقد اتخذ هذا الاسم - نسبة إلى أمه - تقية من السلطات الألمانية التي كانت تطارده بالألزاس لنشاطه الوطني.

كان أ. فيال شخصا غريب الأطوار، قدم سنة 1892 أوراق اعتماده للسلطان بوصفه قنصلا لدولة فينزويلا. وكان إلى جانب ذلك ذا ماض مظلم. فقد اندس في مغامرات توسان

2 . م. بوشعراء : «الاستيطان...» ج 2 ص 459.

3 . رسالة احتجاج لوكارو على يد هيربيرط وايط في 19 يناير 1888.

Toussaint والحاج عبد السلام الوزاني. وكان يحترف التجارة إذ كان يمثل بطنجة شركة «فورج إي شانطيي ده لاميديطيراني» الباريسية سنة 1890، وأبرم صفقات لبيع السلاح للمغرب، وكان كلما تعاقد مع المخزن دفع رشاوي إلى الحاشية السلطانية. وكانت له روابط وثيقة برجال الدولة، استفاد منها ليكون عينا راصدة لفرنسا يوافيها بأخبار يستقيها من البلاط، وكان يقدم «نصائح» للسلطان وأخبارا متنوعة، فاضطلع بدور محسوس في إطلاع الحكومة المغربية على النوايا البريطانية أثناء نزاع إيوان سميث مع المخزن.

كان كاتبا ذا قلم سيال ومراسلا لصحف باريسية وكتب مقالات عن أحوال المغرب الذي كان يعرفه جيدا. له مؤلفات منها كتابه : «محج الاسلام Un boulevard de l'Islam» الذي أصدره بمدريد سنة 1895 عندما غادر المغرب نهائيا والذي أدلى فيه ببيانات عن المخزن والمفوضيات الأروبية[4]. وكان يترجم القصاصات الصحفية ويرسلها للسلطات المغربية لافادة الحاشية الملكية، مما يدل على أنه ربما كان مستعربا.

5. «**لاكرونيكا : La Cronica**» (أو «الأخبار») ظهرت من سنة 1893 إلى أواخر القرن، وكانت نصف أسبوعية، أحدثها ليوبولدو أونيطو L. Onetto باسم «الدفاع عن المصالح الدولية والمحلية للايالة المغربية». كان محرروها من اليهود المغاربة المجنسين أو المحميين حتى كانت تصف نفسها بأنها «إسبانية عبرانية»[5].

ومن هؤلاء المحررين إسحاق لاريدو المحمي الألماني بطنجة وموشي مراجي المحمي الايطالي ثم البرازيلي بالدار البيضاء ومسعود الشريقي الذي كان مسيرها الفعلي والذي كان منذ 1888 محميا سويديا[6].

المطلب الثاني : بالفرنسية[7]

1. «**له ريفي دوماروك : Le Réveil du Maroc**» (أو «يقظة المغرب») أسبوعية برزت يوم 14 يوليوز 1883 واستمرت إلى مطلع القرن العشرين. كان مؤسسها هو ابراهام ليفي كوهين المنجلز، وبعد وفاته اشتراها حاييم بنشيمول المحمي الفرنسي المشهور بإيعاز من

---

4 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 271 و«الصحف...» ص 197 و 200 و 227 و«الحسن الأول». ص 251.

5 . كان اليهود مساهمين بالقلم وبالمال في عدد من الصحف الطنجية والخارجية، وكانت معرفتهم بالاسبانية أقوى عندهم منها بلغة غيرها. وقد حاولوا إنشاء صحف بطنجة. أولى المحاولات صدور أسبوعية «أوي ده طانجي Oeil de Tanger» بثلاث لغات : الاسبانية والعربية والفرنسية في أربع صفحات بمعونة الحلف الاسرائيلي العالمي (الكتاني : «الصحافة...» ص 137 حيث قال إنها صدرت سنة 1834). غير أن أمينة عوشار ذكرت أن هاته الجريدة صدرت سنة 1870 (؟) واختفت سنة 1932 (دار النيابة، العدد العاشر ص 12، الجدول الأول). والمحاولة الثانية قام بها سنة 1870 يهودي نمساوي أصدر أول جريدة يهودية بطنجة (مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 122). والمحاولة الثالثة صدور جريدة بالعبرية سميت «كل إسرائيل Kol Israël» سنة 1891 و1892 علي يد سالومون بنحيون المحمي الفرنسي (مييج : «الصحف» ص 203).

6 . كتابي : «الاستيطان» ج 2 ص 646 و 936 و900.

7 . ذكر الكتاني في «الصحافة....» ص 111 أن جريدة «نور - سود : Nord-sud» («أو الشمال والجنوب»)، كانت تصدر بالدار البيضاء سنة 1883.

المفوضية الفرنسية التي أنفت من أن تبقى صحف المدينة حكرا على رعايا بريطانيين. وفي سنة 1893 اشترى الجريدة ده كيرديك شيني كما تقدم، وفي سنة 1897 كان مديرها هو هنري داركور H. Darcours.

كان كوهين مغربيا صويريا ولد بتطوان سنة 1844 وتوفي بلندن سنة 1888، درس بإنجلترا وعاش فيها أمدا مديدا ثم انتقل إلى فرنسا حيث اشتغل بالتجارة، وكان إلى جانب ذلك مراسلا لعدد من الصحف بجبل طارق ولندن حيث كان يكتب في «الطايمز» اللندنية مقالات عن اليهود المغاربة، كما كان وكيلا عن الجمعيات اليهودية الأمريكية والانجليزية، وكان ساترا نشاطه بغطاء الاحسان والتعليم.

أما عن محرري الجريدة فأذكر منهم لوسيان بوكو L. Bucau المتوفى بطنجة سنة 1888. ومنهم كذلك ابراهام بيميينطة المولود بطنجة سنة 1860 والذي كان محاميا ومدرسا بمدارس الحلف الاسرائيلي بتونس قبل أن يؤوب إلى مسقط رأسه. وكان يوافي وزارة الحرب الفرنسية بمعلومات ثمينة، كما كان مراسلا لجريدة «له طان»، وجريدة «الطايمز أوف مروكو». وكان إلى جانب ذلك محميا فرنسيا[8] وله صلات بالأوساط المخزنية. ومن مراسليها بالعرائش عبد السلام بناني[9].

2. **«له ماروك : Le Maroc»** أسبوعية صدرت سنة 1893، وظلت متذبذبة بين الخفاء والظهور حتى احتجبت سنة 1905، بعد جملة من الخلافات مع المفوضية الفرنسية التي كانت تلومها على خروجها عن حدود الحشمة والوقار. مؤسسها كان هو فيكطور سيرف : V. Serph الذي ورد على المغرب سنة 1887 وتوفي بطنجة سنة 1902 حيث كان صيدليا.

المطلب الثالث : بالانجليزية

كانت **«الطايمز أوف مروكو : The Times of Morocco»** (أو «أزمان المغرب») الجريدة الانجليزية الوحيدة التي ظهرت بطنجة، وذلك يوم 5 يوليوز 1884، وكانت أسبوعية ومكثت تصدر حتى اندمجت سنة 1893 في جريدة «المغرب الأقصى» الاسبانية اللغة.

أنشأها ايدوارد ميكين E. Meakin وطبعها بوسائله الخاصة، وكان ابنه بادجيت Budgett معينه ثم خليفة له فيها. وهي تختلف في توجهاتها وأسلوبها عن بقية صحف طنجة.

كان إدوارد كاتبا اشتهر بكثرة الجدل، فقد دفعه شطط السلطات المغربية وتعسفات النواب الأجانب إلى إنشاء جهاز صحافي مستقل لفضح الفساد المستشري بطنجة حتى تبلغ أخباره إلى أوروبا العاطفية وجمعياتها الانسانية والاحسانية لا إلى أوروبا السياسية.

---

8 . كتابي : «الاستيطان...» ج 2 ص 623.

9 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 272 (2).

كان من قرابة جون هي وكان يتمتع بعطف السلطان. فلما «عزم مِكن الجوازيطي النجليزي على السفر لبلاده» طلب تسريح وسق الفرس الذي أنعم عليه السلطان به، فقبل طلبه[10]. وكانت له مطحنة بطنجة سنة 1885، وكان تاجرا وملاكا، لكن لما أراد أن يعقد خلطة مع الزراهنة سنة 1884 لم يسوغ المخزن له ذلك[11].

أما ابنه بادجيت فقد قضى بالمغرب أزيد من خمس وعشرين سنة، وكانت له صلات مع أعضاء الهيئات البروتيستانتية. ولما كان صريح الرأي توترت علائقه مع مفوضية بلاده، ومع المحكمة القنصلية التي مَثُل أمامها غير ما مرة. وقد تعرض لضائقة مالية دفعته إلى بيع جريدته إلى أبرينس الذي أدمجها مع «المغرب الأقصى».

ومنذ سنة 1891 كان مراسلا لجريدة «مانتشيسطر كواردديان» الانجليزية كتب فيها الكثير مما علمه وشاهده. وله مصنفات عديدة طبعت بلندن منها : «الايالة المغربية : The Moorish Empire» (سنة 1899) و«بلاد المغاربة : The Land of the Moors» (1901) و«المغاربة، وصف مستوعب : The Moors, a Comprehensive Description» (1902) وغيرها.

كان لا يفتأ مسخرا قلمه للتنديد بسيرة بعض القناصل والأجانب والمحميين.

وفضلا عن مهمته الصحفية كانت له خلطة فلاحية بالجديدة. فقد جاء في رسالة السفير البريطاني إلى الطريس سنة 1890 أن «ميكين ابن محرر القازيطة المسماة «تيمز أوف مروكو» كان يريد تعيين محمد البيضاوي خليطا له بالجديدة في أمور الحرث بعد أن كان متعلما له»[12]، هذا إذا كان هو الابن الوحيد لادوارد.

وهناك وثيقة مغربية تتحدث عن ميكين الذي طعن في قنصل البردقيز بالجديدة ألفارة «فقدم نصراني نجليزي يقال له ميكل صاحب الكوازط من سكان طنجة» ليحقق «دعوة له مع قنصل البردقيز هنا، لاعمال شرع دينهم، لأنه جعل كوازط به»[13].

وقد ورد ذكره أيضا في وثيقة أخرى في شأن تحرير امراة كانت في خدمته. وذلك أن «ميكين كانت عنده امرأة اسمها رابحة كانت أَمَة عند محمد بن الطاهر الرحماني المنصوري فأعتقها سنة 1304 فصارت حرة. وقد كان الشيخ عبد الله بن زهرة زعم أنها له، مع أن رسم التحرير قد صادق عليه قاضي فاس وقاضي طنجة، هذا إلى وجود فتوى أحد علماء فاس»[14].

---

10. رسالة السلطان إلى الطريس في 18 محرم 26/1308 غشت 1890.
11. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 رمضان 16/1301 يوليوز 1884، تطوان 131/2، ورسالة عبد الله بن أحمد إلى السلطان في 26 رمضان/20 يوليوز.
12. رسالته في 22 شتنبر 8/1890 صفر 1308، محفظة إنجلترا المغرب.
13. رسالة محمد بن يحيى إلى المعطي بن العربي بن المختار في 26 حجة 22/1309 يوليوز 1892، محفظة الجديدة 2.
14. رسالة ريدجوي إلى الطريس في 5 ماي 1893، محفظة إنجلترا المغرب.

المطلب الرابع : بالعربية

«المغرب» أول جريدة عربية ظهرت بالمغرب، صدر العدد الأول منها يوم 14 رمضان 15/1306 ماي 1889، ولكن مجموع أعدادها لم يكد يتجاوز الثلاثين أو أقل فاختفت من الساحة في السنة نفسها. كانت أسبوعية وفي أربع صفحات ووصفت نفسها بالاخبارية العلمية الأدبية الأسبوعية.

أنشأها المحامي الفرنسي دانيال سوران D. Saurin وكان محرراها الرئيسيان هما اللبنانيان عيسى فرج وسليم كسباني.

ولم تكن هي الصحيفة العربية المقروءة بالمغرب، فقد كانت المفوضية الفرنسية توزع «الأهرام» المصرية على الأعيان وأعضاء المخزن. كما كانت «الجوائب» اللبنانية تصل إلى المسؤولين المغاربة ولاسيما سنة 1880، فكان لأحمد فارس الشدياق ارتباط بالأستانة واتصال غير مباشر بالمخزن.

زد على ذلك أن بعض صحف طنجة الأجنبية كانت تنشر أحيانا مقالات وإعلانات بالعربية اجتذابا لقراء مغاربة. ولم تبدأ الصحف العربية في الظهور مثل «السعادة» و«الفجر» إلا في مطلع القرن العشرين.

وكان للجريدة الأسبوعية «المغرب» مراسلون في بعض المدن أذكر من بينهم : عمر برادة بفاس، وعبد السلام برادة بتطوان، والطيبي بن عبد الله بالجديدة، ويوسف أفندي نميرو بالرباط[15]. كما كان الحاج علي بوطالب مراسلا لها بطنجة. وإليه سأعرض في الفقرات الموالية، فلطالما ورد ذكره في المصنفات الأوروبية والمصادر المغربية المخطوطة، وسأبدأ بالأولى وسأختم بالأخرى :

ينتمي الحاج علي بوطالب الحَشمي الجزائري إلى أسرة الحاج عبد القادر بن محيي الدين الحسني، فقد ولد بمدينة بسكرة من نواحي مستغانم وتوفي سنة 1909، بمدينة طنجة.

حكمت السلطات الفرنسية عليه بالسجن لأنه سب أحد رجال الشرطة الفرنسيين فطردته بعد ذلك من الجزائر وحجزت أملاكه، فالتجأ إلى المغرب سنة 1878. كان الشيخ الحاج علي رجلا ذكيا ودساسا وعميلا لعدد من الدول الأجنبية.

عمل لفائدة ألمانيا، وسبب ذلك أن ڤيير لما كان قنصلا لألمانيا بدمشق تعرف على الحاج عبد القادر، وحيث أن بوطالب من قرابته استخدمه السفير الألماني بطنجة لمصلحة بلاده. وعندما قام لينس برحلة من المغرب إلى السودان وتمبوكتو سنة 1880 كان بوطالب أحد مرافقيه، وتقاضى عن أتعابه 4000 فرنك. وتذكر المصادر الفرنسية أن بوطالب هو الذي عرض على الرحالة المذكور خدماته، ولما عاد صار يقول إنه ذهب للمذاكرة مع علماء السودان في الفقه والتفسير.

---

15. العدد التاسع من «المغرب» الصادر في 9 يوليوز 1889 وكذلك العدد العاشر من الجريدة الذي صورته في «مظاهر...» ج 1 ص 361، طبعة لبنان، لمحمد المنوني.

وعمل ايضا لفائدة دور تجارية ألمانية. ففي سنة 1890 ترافق مع ده كيرديك شيني إلى فاس ليقترح على المخزن شراء مدافع كروب. وفيما بين 1905 و1906 كان في خدمة المخابرات الألمانية، ثم صار عميلا لدار مانيسمان التجارية.

أما مع العثمانيين فقد كان مرشحا لشغل منصب قنصلي أو ديبلوماسي لفائدتهم بطنجة. فقد رحل إلى الاستانة لهذا الغرض في أبريل 1885. وبعد خمسة عشر شهرا أوفد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مبعوثا إلى المغرب وصل إلى طنجة في يوليوز 1886، وكان المبعوث جزائري الأصل اسمه علي باي، فجاء هنا للتحقيق في مزاعم بوطالب عن نوايا السلطان في ربط اتصالات من جهة أولى وفي سبر أغوار نية مولاي الحسن من جهة أخرى. ولئن لم يستقبله السلطان وإنما خلع عليه ووصله بصلة مالية، فقد تبين لعلي باي أن بوطالب لم يكن صادقا الصدق كله فيما قاله، فقد كان العاهل لا يريد أن يربط علائق مع العثمانيين اقترحتها ألمانيا وعارضتها فرنسا التي كانت بالمرصاد لمنافستها وجارتها.

وفي العهد العزيزي كان السلطان ينوي توثيق روابط مع الأتراك، فالتحق بوطالب بإسطنبول في ربيع سنة 1902 آملا أن يكون هو الفائز بهذا التعيين، بيد أن الحكومة التركية أعرضت عنه ورفضت الدخول في مذاكرات معه.

ويقال إن بوطالب كان عميلا لأنجلترا. لكن الثابت أنه كان يعمل لفائدة فرنسا، فقد استخدمه كل من أورديكة وده فيرنوي دون أن يعلما أن له يدا ضليعة مع ألمانيا ومخابراتها. ولم يعرف أورديكة ذلك إلا سنة 1884. وكان بوطالب قد انضم إلى دسائس هذا المفوض الفرنسي ورهطه.

وفي سنة 1891 ولما رفض سكان توات الانصياع إلى ماكان يدعوهم إليه الحاج عبد السلام الوزاني من التنصل من بيعة مولاي الحسن، فأحبط بوعمامة البوشيخي مساعي الوزاني، طلبت مفوضية فرنسا من بوطالب وساطته لدى البوشيخي لاستمالته إليها، فكان مئال ذلك هو الفشل. ولربما كان الحاج علي قد حرض بوعمامة على الصمود، بينما كانت تعلم حكومة فرنسا أنه عميل لفائدة ألمانيا. فغادر بوطالب المغرب وقصد الجزائر للتشغيب عليها، فجمع من ذلك أموالا طائلة واتصل بالألمانيين المقيمين بالجزائر. وكان غرضه العاجل هو الحصول على تأييد العديد من الطوائف الدينية السرية في العالم الافريقي. ولم تقطع مفوضية فرنسا علاقتها معه إلا سنة 1896، فاتهمته بتجارة الأسلحة، وفتشت منزله وسجنته لبضعة أشهر[16].

لم يكن دور بوطالب هينا في الكواليس سواء سنة 1882 أو بعد وفاة السلطان[17].

والوثائق المغربية المخطوطة لم تخل من ذكره والتحدث عن أحواله. فقد جاء في إحدى رسائل السلطان سنة 1885 أنه «انفصل مع الفرانصيص، ولم تبق بينه وبينه علقة، وتخالط

---

16. بيير كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 681 ـ 683.
17. المصدر الأخير ص 69 (2) و 119 و 164 و 183 و 184 (3)، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 23، وهنري ده لامارتنيير : «ذكريات...» ص 113.

مع المركان وغيره وانفصل عنهم...»، وزادت الرسالة أن «أهل دار الفرنصيص بطنجة حملوه إليها رغما، وحتموا عليه الرجوع لخدمتهم فامتنع من ذلك، ولم يقصروا في إذايته فتفلّت لعند وصيفنا الحاج سعيد جسوس بجبل طارق»[18].

وفي رسالة أخرى صادرة عن قنصل فرنسا (الذي أظنه أوريليان لاكوسط) إشارة إلى أن بوطالب كان عميلا لها لدى قواد سوس سنة 1887. فقد ورد فيها أن هذا القنصل الفرنسي بالصويرة كلفه بالدخول في مذاكرات مع محمد بن الحسين أوهاشم واصفا إياه بأنه «رجل عاقل ضابط في الأمور ويعرف أحكام الأشياء كلها.. وبيده مكاتب الدولة المعلومة...»[19].

والسلطات كانت تتأفف منه. فكان عامل بني مالك إدريس الحبّاسي قد اشتكى منه سنة 1895 إلى السلطان الذي قال للطريس : «إن واحدا من أهل طنجة يسمى بعلي بوطالب الفرنصيصي قد أفرط في التعرض والخوض في إيالته من غير قانون كرومي صبنيولي يسمى بالأعرج» - وهو ريكاردو كونصاليس - «ويهودي بالعرائش في حماية البرازيل... فنأمرك أن تكلم نوابهم في شأنهم ليكفوهم ويُجلسوهم عند حدهم»[20].

وزيادة على أعماله المتنوعة كان له سنة 1907 وقبلها شراكة في الفلاحة وعزائب بقبيلة سفيان بالغرب[21].

والخواص أيضا كانوا يتهمونه بأكثر من ذلك : فهذا محمد صادق العطار الشامي الوكيل المتجول من قبل السلطان عبد الحميد الثاني قد نسب إليه التآمر على حياته، فطلب من المخزن ضمانة له من الاذاية. ولئن لم يأت بيان عن أسباب هاته التهمة بين رجلين كانت لهما اتصالات بالأتراك، فقد يكون ذلك من باب حرب الأشباح المتعاركة في الظلام. ففي رسالة الشامي جاء أن «رجلا يدعى بحاج علي بوطالب ومعه آخران مسيحيان متحقق بنفسي أن مرادهما قتلي، فأحببت أن أعلمكم بأن تكونوا على بال، إن وقع واقع فمنهم، وأنتم الشهود على ذلك، ولذا أطلب زيادة على الخمسة وعشرين ألف فرنك ضامن الروح بحضور غدولكم إن كانوا هم الداعين لي بحضرتكم، وإن كان غيرهم فمنه الدراهم ومنهم الضامن»[22].

ومهما يكن فالرجل كان غامضا يعمل في الظلام والنور معا، فكان في رسائله الكثيرة اللحن يخبر السلطان بما كانت تكتبه الصحف الأجنبية حول المغرب سنة 1888 وبما كانت تحاوله فرنسا من الهجوم على فجيج[23].

كان إذن له علاقة بالصحافة. فلما نشأت «المغرب» كتب فيها قصيدة في مدح السلطان هذا مطلعها :

هبوا بنا نحو أرض الغرب وافتقدوا
من طار صيتهم في الكون وانفردوا

---

18. رسالته إلى الطريس في 14 جمادى الأولى 1302/فاتح مارس 1885، تطوان 54/3.
19. رسالة القنصل إلى محمد بن الحسين في متم صفر 16/1305 نونبر 1887، محفظة فرنسا.
20. رسالته في 15 صفر 8/1313 يوليوز 1895، تطوان 28/14.
21. ص 115 - 116 من كناش مكاتيب الطابع الشريف رقم 1695 د (خ ع).
22. رسالته إلى الطريس في 3 جمادى الثانية 17/1319 شتنبر 1901، الترتيب العام.
23. رسالته إلى السلطان في 1 صفر 7/1306 اكتوبر 1888، محفظة فرنسا.

ومنها عند التخلص :

هو المليك العزيز السيد الحَكَم
العدل الفريد الهمام الفاتك الأسد[24]

هذا شعره. فما هو نثره ؟ لقد كتب سنة 1889 في جريدة «المغرب» مقالا عنوانه : «الدلالة بطنجة» ردا على مقال صدر ضده من قبل، متحدثا عن «القنصل المدعي بالباشادورية... الذي اختاره تاجر الحمايات موضعا لحفظ سره... وتظاهر بالنصرانية، ودعى نفسه جورج. ولم يلبث حتى عاد فادعى بالاسلامية، وكان يتزيا... بزي علماء إسطنبول، فلبس تلك البذلة الخضراء، واعتم بالعمامة البيضاء، لكي يخيل للبسطاء أنه شريف مكاوي»[25].

التعقيب الذي عندي على هذا «الشعر» وعلى هذا «المقال» أن ما أوردته من «القصيدة» لا يدل على وجود شاعرية على الاطلاق. فما هي إلا مجموعة كلمات ونعوت متراصة خالية من الروح تصدق على السلطان المغربي والسلطان العثماني على السواء.

أما المقال الذي لا نعرف من المقصود به ومن هو جورج المتقلب بين النصرانية والاسلام فلربما لا يكون من تحريره، بل أميل إلى الجزم بأنه ليس له. وحجتي على ذلك إحدى رسائله إلى الكباص سنة 1908 المكتوبة بخط بدائي وجاف تتخللها أخطاء متعددة وركاكة لفظية. فلنقرأ طرفا منها ليظهر ما ذكرته :

«**حفض** الله مقام الوزير الخطير نائب سيدنا سيدي محمد الجباص.. وبعد فالمعروض لسيادتك هو أني شريك في **أعزيب** مع الحاج المجدوب بن الحاج الساحلي الزياني قاطن **برباط**. وإذا **بقائد** التهامي ولد العايدي بن اليماني الزياني نهب العزيب ونهب الغير **كدالك**. **والاءان** بلغني رد **للغيري**، ومتاعنا لازال عنده، ولا علم لي **بدالك** قبل إلى أن أتى ولده وأخبرني **بدالك**، لو كان لي علم **بدالك** لكلفت ابن عمي خالد لما كان في **دار البَيْضَ** يتكلم على **دالك**، وإلا نحب **بَرَاكَ** الله في عمرك **هُهُوَ** ولده يقيد الدعوة لأني الآن مسافر للغرب في يوم التاريخ، لو كنت **جالس** لقدمت بنفسي، والناس **مُسَاوٍ** في الحقوق، لأن شريكي من سكان الرباط، وإني في **طَنْج** لسنا ساكنين في **القبيل**...»[26].

فهل يعد من كتب هذا شاعرا وكاتبا ؟ وهل من يجهل النحو والصرف واللغة يسمى صحافيا ومراسلا ؟ ولا يبقى هناك إلا احتمالان : إما أن غيره هو الذي كتب المقال ونظم الشعر، وإما أن هناك سمياً له يتسمى باسمه، وهذا مستبعد جدا وغير وارد، فلم أقف على اسم غيره.

وحاصله هاته مجموعة من الافادات عن رجل حُولةٍ، غريب الأطوار، ملأ صفحات الأوروبيين وأشارت إليه بالخير والشر سطور الوثائق المغربية.

---

24. محمد بن العياشي سكيرج : «رياض البهجة، في أخبار طنجة» الجزء الأول الورقة 32، مصور الخزانة الصبيحية.
25. العدد التاسع من «المغرب»، 9 يوليوز 1889.
26. في 14 رمضان 10/1326 أكتوبر 1908، الترتيب العام.

(2) وقع هاته الصحافة

لادراك أصداء هاته الورقات الطنجية، يتعين قبل كل شيء معرفة لغاتها والعثور على أعدادها، ثم مطالعتها. وإن أمرا من هذا القبيل - ولو أنه متجاوز الآن - سيكون عسيرا من عدة وجوه.

ومن حسن الحظ أن مييج قد تصفح بعضها وساق مقتطفات منها، ولاسيما ما صدر حوالي سنة 1885. ومن دراسته سأقتبس فقرات استأنس بها، وأضيفها إلى ما تحت يدي من وثائق مغربية. وهكذا وقفت على عدد من جريدة «الطايمز أوف مروكو» يحمل رقم 32 صدر يوم 19 يونيو 1886. وسأحاول وصفه وذكر مضامينه حتى تكون عندنا فكرة مبسطة عن مثال من هاته الجرائد الأجنبية المحلية. صفحات هذا العدد أربع، وفي كل صفحة ثلاثة أعمدة، ومقياسها 41 × 30 سنتمترا. أما ثمن العدد الواحد فكان ريالا. وكانت الاشتراكات ترسل إلى موركان وسكوط Morgan and Scott القاطنين بلندن، رقم 12 بعمارة باطيرنوسطر Paternoster.

فما هو مضمون هذا العدد ؟ يحتوي على مقالات هي :

1. «**تهم باطلة** : False Accusations». ولهذا المقال علاقة بالتحقيق في فضائح الأمريكي ماثيوز وكاتبه القبطان روليسطون. ويستغرق ثلاثة أعمدة من الوجه الأول وعمودا ونصفا من الصفحة الثانية.

2. «**سفارة من الملك جورج إلى السلطان مولاي إسماعيل : 1720 - 1721** : The Embassy from George of England to Muley Ismaël of Morocco; 1720-1721»، وهو الفصل الثامن ويقع في نصف عمود من الوجه الثاني.

3. «**الحماية والربا** : Protection and Usury» وهو تصويب نشره بالفرنسية ابراهام بيمينطة الطنجي، ردا على مقال كتب بجريدة «إيل إمبارثيال» المدريدية. وحجمه نصف عمود بالوجه الثاني أيضا.

4. «**مغامرات إنجليزي أسر بالمغرب مدة 23 سنة من 1715 إلى 1738**: The adventures of an Englishman, twenty-three years a slave in Morocco» وهو الفصل السادس عشر من هاته القصة المنشور في عمودين ونصف بالصفحتين الثالثة والرابعة.

ويتخلل جميع الصفحات ولاسيما الرابعة إشهار ودعاية تجارية.

هذا وصف مقتضب لمحتوى أحد أعداد هاته الصحف، أتيت به لمجرد الاستئناس والاستكناه. إلا أن هاته الكوازيط تطرقت في مئات الصفحات العديدة إلى الكثير من القضايا الديبلوماسية والسياسية والاقتصادية. وأهم ما تناولته خاصة في سنة 1885 موضوعان :

موقفها من المخزن وموقفه منها، وموقفها من المفوضيات وموقفها منها. وسأعقب على الجميع ـ استنادا إلى أقوال مييج ـ بوضعها في الميزان، وذلك ضمن ثلاثة مطالب أساسية.

المطلب الأول : الصحف والمخزن

لابد من أن نلم قليلا بنظر المخزن إلى هاته الصحافة، ثم برأيها في الحكومة المغربية.

أ. **نظرة المخزن إلى الصحف** : الجرائد الطنجية صحف دخيلة وطفيلية، لم تكد تستأذن السلطة في الصدور ولا في الطبع، ولم تبدُ الحكومة إلا ضعيفة أمامها، لأنها كانت تخشاها وتعلم أنها انعكاس لآراء الحكومات الأجنبية، فتركت لها الحبل على الغارب، ولم تتخذ موقفا إلا بعد تحاملها على الحكومة المخزنية.

وأسوق أمثلة على ذلك من صميم الوثائق المغربية. قد جاء في رسالة بركاش إلى نائب إنجلترا سنة 1884، وهي تتحدث عن صدور «المغرب الأقصى» و«ريفي دو ماروك» «والطايمز أوف مروكو» (التي كانت جريدة شهرية على الأقل سنة 1884) : وبعد فإن «أحدا من رعية النجليز بدأ يشهر جريدة كل جمعة باللغة الاسبانية، وتبعه آخر من رعيتكم أيضا ينشر كل جمعة جريدة باللغة الفرنسية، وزاد ثالث إنجليزي كذلك ينشر كل شهر (؟) باللغة الأنجليزية» وأن المخزن لم يتعرض في البداية لهاته الجرائد، لكنه يخشى أن تكون أداة لنشر أخبار مزيفة عن المغرب[1].

ويتصل بهاته الرسالة كتاب جوابي من بركاش إلى جون هي قال فيه : «فاعلم أيها المحب أننا لما كنا كتبنا لك تاريخ 20 من المحرم وبينا لك ما تشهره الجوازيط المشار إليها ـ بخلاف الصدق ـ من الكلام القبيح في جانب المخزن وفي جانب الولاة وكذلك في جانب نواب الأجناس المحبين الذين لهم الوقار والاحترام بهذه الايالة، حتى ظهرُ أن مقصود الجاعلين لتلك الجوازيط هو السعي في الخوض بين الأهالي والاجناس وتشويش الأفكار للخوض ضد الحكومة. ولأجل ذلك كنا طلبنا منع تلك الجوازيط بالكلية...

«فإذا كان لنا الحق في منع ذلك بالكلية فهو الذي طلبنا ولا نخرج عنه، وإلا أكان (= وإلا إن كان) لا حق في ذلك إلا بالشروط التي يمكن أن يتبعوها وأن لا يتبعوها فأخبرنا عن ذلك...»[2].

ولئن لم تطلب هاته الصحف الدخيلة اللسان والميول رخصة حكومية، فإن جريدة «المغرب» العربية اللغة، الأجنبية النَّفس، قد استأذنت عامل طنجة، وفق ما جاء في هاته الرسالة من الطريس الى غريط سنة 1889 : «وبعد فإن نصارى من الشام يفقهون العربية جعلوا هنا جازيطة بعد أن استأذنوا عامل البلد، وأنهم لا يسكتون عن حقوق المخزن والتشنيع على ظلم الأجانب. وقد أخبرونا الآن أنهم يوجهون بعدد منها للأعتاب الشريفة. وقد قبضوا قيمة الاشتراك من كل من يأخذ جزيطة منها، وتمكنوا من واجب سنة من عند جميع من شارك

---

1 . رسالة بركاش إلى نائب إنجلترا في 20 محرم 9/1302 نونبر 1884 محافظ الترتيب العام.
2 . رسالته في 1 شعبان 16/1302 ماي 1885، صورتها عندي مأخوذة من الوثائق البريطانية.

في تلك الجزيطة، ولم يصلهم إلى الآن شيء من الأعتاب الشريفة. فيطلبون صلتهم بواجب الاشتراك، وقدره مبين في كل جازطة من جوازيطهم، ولا محيد عن جوابهم بما أمكن»[3].

وبعد نحو أربعين يوما جاء الجواب ومنه أقتطف هاته الفقرات. قال غريط للطريس بعد حكاية مضمون الرسالة الأولى : «... وأمرني - أيده الله - أن نجيبك عن ذالك بأن لا يكون يوجه النصارى المذكورون لحضرته الشريفة جازطة قائلا أيده الله : إن الجوازيط من باب حاطب ليل، ومن محدثات الأمور التي لم تعهد هنا، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة. والمحافظة على الصبغة - من الاستحالة بذالك ومثله كالأوراق المطبوعة بمصر التي ترد لهنا - متعينة شرعا»[4].

هذا هو رأي المخزن فيها، ولكنه نظر ظرفي لن يلبث أن يغيره نوعا ما بعد ذلك عندما سيستعين بالصحافة الأجنبية لقضاء مآربه. ولم ينفع فيه إلحاح الطريس للأخذ بنظر عيسى فرج الذي كان يشنع على سيرة النواب، مثلما جاء في رسالة النائب السلطاني، قبل ورود جواب غريط المتقدم.

قال الطريس مخبرا بأن «التاجر عيسى الرومي الشامي كبير جزيطة تكتب بأطرافنا بالعربية، وكثيرا ما يتعرض فيها للثناء على الأعتاب الشريفة والتشنيع على سيرة بعض نواب الأجانب»[5].

ويظهر لي أننا لو تتبعنا التراث المخزني المكتوب فلن نجد ما يخالف هذا الموقف المناوىء من جهة أولى، العاجز من جهة أخرى. على أن القليل من هاته الوثائق التي وقفت عليها قد يكفي لابراز هذا الجانب.

كيف كانت الصحف تنظر إلى المخزن ؟ سنرى بعض ذلك.

ب. رأي الصحف في المخزن : قال مييج بعد تصفح هاته الجرائد ودراسة بعضها ما معناه ببعض التصرف : ليس من قبيل الصدف ولا عملا من أعمال المفوضية الانجليزية أن كانت الصحف الطنجية الأولى ملكا لليهود المنجلزين، وإنما كان تعبيرا عن ترقي هيأة اجتماعية، غنية بوساطتها بين العالمين الأروبي والمغربي، وشاعرة بأهمية الصحافة، وراغبة في استخدامها لمصلحتها ومصلحة الطائفة اليهودية... وذلك من خلال ما تغنت به «ريفي دوماروك» من شعار الثورة الفرنسية : «الحرية - المساواة - الاخاء»... وما أعلنت عنه «المغرب الأقصى» من وجوب إحراز تقدم في الميدان التجاري وتجهيز مدينة طنجة بالمرافق الأساسية.

ولم تكن لحريتها من حدود، فهي لم تكلف نفسها التماس رخصة الصدور، وهي قد تحررت من كل قيد أو علاقة بالمفوضيات، وهي لم تعد تخشى المتابعات القنصلية والقضائية،

---

3 . رسالة الطريس إلى غريط في 13 قعدة 11/1306 يونيوز 1889.

4 . رسالة غريط إلى الطريس في 22 حجة 19/1306 غشت 1889 تطوان 78/28.

5 . رسالة الطريس إلى غريط في 9 حجة 6/1306 غشت 1889.

علما منها بان كل محاولة في هذا الباب ستجر على المفوضيات نقمة «المساس بحرية التعبير» فتطاولت وتنطعت وأفحشت ـ أو على الأقل أفحش بعضها ـ القول في الحكومة المغربية «المزعومة» في نظرها[6].

ولنعمد إلى الاستشهاد بأقوالها ولاسيما سنة 1885 : فجريدة «المغرب الأقصى» طالبت بأن «تفرض جميع الاصلاحات الضرورية في سبيل حرية النماء التجاري»[7].

وقضايا النمو الاقتصادي و«الاصلاحات» تعنى التجار والأجانب بالدرجة الأولى، وليس البعض من الصحافيين إلا أبواقا ومزامير لهم، تحدثوا عنها واستطردوا إلى مسائل «الاصلاحات»، وفرضها بالقوة على الحكومة المغربية. وكان تدخلهم في شؤون البلاد تدخلا سافرا، وذلك ما سنطالعه في استعراض أعداد من جريدة «ريفي دو ماروك» الفرنسية اللسان والهوى بكلمات وقحة :

تناولت هاته الصحيفة مسألة إجراء الاصلاحات لابرام معاهدات تجارية فقالت : «إن أول واجب على الديبلوماسيين المعتمدين في البلدان المتأخرة أن يكونوا حازمين، وبأن لا يفتأوا مهيبين بالحكومات البدائية أن تجريها، وبأن يتدرجوا بهاته الحكومات في طريق الرقي». ثم تساءلت : «ترى هل ثمة رجال من هذا النوع بطنجة ؟» وأردفت متطاولة : «لقد حان الوقت لكي تتخلى أوربا المتحضرة عن هذا النفاق في مراعاة الحرمة الدولية التي تقضي بالتساهل في سوء تصرف الادارة المغربية. فإذا كانت للفظة «الحضارة» الأسبقية على كل شيء، وإذا كان التضامن الانساني ليس كلمة عابثة، فيجب على الحكومات الأوربية منذ مدة ـ ومدة طويلة جدا ـ أن تفرض على المغرب إصلاحات إدارية واقتصادية متطابقة مع العدالة ومع رفاهية الأهالي والأجانب»[8].

وبلغت بها الصفاقة أن كتبت تقول بضرورة «إبرام المعاهدات الجديدة تحت مراقبة التجار الأوروبيين المقيمين بجميع المدن المغربية»[9].

وزادت في تنطعها : «إن المغرب لن تلين قناته إلا أمام القوة، وليس علينا إلا أن نلقنه درسا قاسيا عن كل انتهاك للمعاهدات، لكي نحمله على قبول الاصلاحات»[10].

ثم طالبت بعد شهر «بتوظيف مستخدمين أوروبيين بالادارات المغربية»[11]. وأضافت في عددها الصادر بعد ذلك بأسبوع مؤكدة «حق الحكومات الأوربية بأن تتلافى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تطور هاته الأحوال المضرة بمصالح التجارة»[12]، وكأنها لا تنادي بأقل من حماية المغرب حماية جماعية.

---

6 . مييج : «الصحف» ص 203.
7 . «المغرب الأقصى» عدد 30 ـ 1 ـ 1884.
8 . «ريفي دو ماروك» عدد 7 ـ 1 ـ 1885.
9 . أيضا عدد 28 ـ 1 ـ 1885.
10. أيضا عدد 25 ـ 2 ـ 1885.
11. كذلك عدد 24 ـ 3 ـ 1885.
12. أيضا عدد 31 ـ 3 ـ 1885.

وجاءت في نفس السنة حوادث دمنات لتشدد هاته الجريدة النكير على الحكومة المغربية وتتهمها بـ «الهمجية» لمصرع يهود بهاته المدينة[13]، ولتهول الظروف المحدقة بهاته القضية.

ولئن اقتبسنا شيئا من أقوال هاته الصحيفة الفرنسية سنة 1885، فلأننا نعلم أن أورديكة كان هو نائب فرنسا بطنجة، وأن يد التجار اليهود كانت تكتبها، وأن المصالح الاقتصادية والخارجية كانت من ورائها تسندها وتدعمها.

ثم إن الصحف الأخرى، مثل «المغرب الأقصى» كانت تنادي بمثل نداءاتها، ولم تشذ عنها إلا «الطايمز أوف مروكو» التي كانت جرائد طنجة تصفها بالجنوح إلى الخيال والأحلام الطوبائية.

مثل هاته الحملات المغرضة لم تغب عن علم السلطات المغربية. فقد طالب الطريس بالغاء هاته الصحافة إلغاءا مطلقا لاستفزازاتها وقذفها وشيوع ضررها، وذلك برسالة بعث بها إلى النواب في ربيع سنة 1885. وجددت الصحف حملاتها فكرر الطريس مطالبته بالحد من شططها وذلك بكتاب دوري أرسله إلى النواب. وها هو نصه بعد الديباجة :

«وبعد فغير خاف عنكم أن ليس لنا بإيالة مراكشة شريعة خاصة بحكم المطبعة كما بغيرها من الدول. وعلى فرض أنها لو كانت عندنا كالغير فلا قدرة لنا على إجرائها، حيث أن من يباشر أمر الجوازيط هم من رعيات الأجناس، ولا تجري عليهم أحكام هذه الايالة فيما يتعلق بخصوص أنفسهم كمثل هذه القضية. ولما رأينا فيما قبل هذه المدة تعدي الجوازيط على بعض رعيات الأجناس وهتك أعراض بعض الناس خفنا أن يزيد ذلك ويتفاحش إلى أن يصل الضرر إلى بعض النواب أنفسهم أو المتوظفين في المخزانية الذين يجب علينا بمقتضى الشرُطات توقيرهم وحفظهم من تعدي الغير.

«وعليه فمن حيث لا قدرة لنا لمنع ذلك نطلب منكم إبطال الجوازيط التي تطبع بهذه الايالة على وجه البت، وإلا فها نحن نجدد الاسترعاء ليلا يُطلب منا إجراء الشروط إن صدرت إذاية من الجوازيط لبعض النواب أو غيرهم من المتوظفين في المخزانية. وعلى المحبة والسلام»[14].

غير أن أعضاء السلك الديبلوماسي اختلفوا فيما بينهم في هذا المنع، وقام ليفي كوهين بتأسيس نقابة للمديرين والمحررين، مناديا بالاحتكام إلى الرأي العام الدولي.

ودخلت «الطايمز أوف مروكو» إلى المعركة، وأنحت باللوم على شطط الأروبيين، ذاكرة أنه إذا تدخل المفوضون لمنع الصحافة فإن من شأن ذلك أن يستر فضائح النواب وتلاعباتهم وتعسفاتهم. لكن في شهر يوليوز من نفس السنة اجتمعت بطنجة لجنة لدراسة هذا المطلب المخزني، وأبدى ممثلا إيطاليا وإسبانيا موافقتهما على أن تحذف حذفا تاما «هاته الورقات المحررة من لدن من لا خلاق لهم ومن يقذفون ويفترون على أشخاص محترمين»،

13. أيضا عدد 3 ـ 2 ـ 1885.

14. رسالته إلى فيرو في 18 شوال 20/1303 يوليوز 1886، تطوان 26/40، ترجمتها إلى الفرنسية عند ميبج في «الصحف ...» ص 225 ـ 226.

بينما بادر نائب الولايات المتحدة - مؤيدا من لدن ممثل البرتغال - إلى الدفاع عن حق هاته الصحف «الثابت والطبيعي». غير أن الأغلبية اتفقت دون جدوى على ضرورة إبطال هاته الصحف.

ومنذ ذلك الوقت أخذت تحتشم شيئا ما، وحسنت تعابيرها، ففرقت بين شخص السلطان وبين حاشيته، وصارت «المغرب الأقصى» بعد اندماجها في «الطايمز أوف مروكو» تستخدم عبارة «الحكومة الشريفة المزعومة»[15]، ولو أنها ادعت في أحد أعدادها الصادر في يوليوز 1899 أن الحاجب ابا احماد دخل تحت الحماية الفرنسية، مما تسبب في احتجاج مخزني على النائب البريطاني جاء فيه : «عثرنا على الجزيطة المسماة بـ «المغرب الأقصى» التي يطبعها أبرينس الانجليزي بطنجة بما حاصله أن الصدر الأعظم الفقيه سيدي أحمد بن موسى دخل تحت حماية الفرنصيص، وقضينا من هذا التشنيع عجب العجب من وجوه لا يسع شرحها، ولم ندر ما مستند أبرينس المذكور في هذا الاعلان الذي لا أصل له، ولا يتصور في ذهن العقلاء.

«وعليه فالمرجوا من جنابك على وجه التأكيد أن تستفهم صاحب الجريدة المذكورة عن الحامل له عن رسم ما ذكر في جناب هذا الوزير الذي يتحاشى جنابه عما نسب إليه وأن تجلسه عندما حد له وأن تجري عليه ما هو مقرر في قوانين دولتكم المعظمة...»[16]. هذا الادعاء نشرته أيضا جريدة «له ريفي دو ماروك» في عددها 851 الذي قرأته، وهو مؤرخ في 20 يوليوز 1899.

هذا هو ملخص الفضول الصحافي[17].

وصفوة القول لم يحد المخزن عن الاحتراز من هاته الصحافة الدخيلة. ولئن ظل أعضاؤه يستقبلون الصحافيين، فإن الحكومة لم تقبل - إلا نادرا - أن تستخدم لمصلحتها هاته السلطة التي لم تفتأ ترهبها. ويستثنى من ذلك ما سبق ذكره خارج هذا الباب من استعانة الحكومة المخزنية بميكين للتشنيع على أبي بكر الغنجاوي وأضرابه، واستخدام السلطان للصحافي الفرنسي ده كيرديك شيني للرد على ما قالته أو زعمته جمعية هوارد اللندنية عن حالة السجون والسجناء، فكلفه سنة 1893 بالدفاع عن الهيأة المخزنية على أعمدة «ريفي دو ماروك».

ولم يزل المخزن مرتابا في أهل الصحافة، حتى ولو كانوا من المسلمين. ففي شتنبر سنة 1901 جاء رجل تركي إلى مولاي عبد العزيز يستأذنه في إنشاء جريدة باللغة العربية بمدينة مراكش. لكن السلطان منحه 2500 بسيطة للعدول عن مشروعه[18].

المطلب الثاني : الصحافة ونواب الدول

لم يكد المخزن يتدخل فيما تنشره هاته الورقات الطنجية عن سيرة المفوضين الأجانب. فقد كان - عند الاقتضاء - يعترف لها بحرية التعبير، حسبما يتضح من رسالة الطريس إلى

15. في عددها يوم 17 - 10 - 1895.
16. نسخة رسالة الطريس في 13 ربيع الأول 1317 / 22 يونيوز 1899، تطوان 110/46.
17. مييج : «الصحف...» من ص 203 إلى ص 210 باختصار.
18. نفسه ص 210.

غريط عن مسألة طرقتها على ما يظهر صحيفة «ريفي دو ماروك»، ولم نفهم الكثير عنها :

«وبعد فقد وافانا كتابكم وطيه تقييد مضمن كازطة للفرنسيس أمركم مولانا ـ دام علاه ـ بتوجيهه إليَّ لنطلع نواب الدول الثلاثة بما ظهر لي المصلحة في مطالعتهم به من مضمنه الخ، وصرت من ذلك على بال.

«أما كلام الجوازيط وخوضهم في هاته المسألة بما قيدتموه وغيره، فنحن على بال منه. إلا أنه لا يخفى على سيادتكم أن الجوازيط لها الحرية للكلام في أمور السياسة والمخزنية التي تعرض لسائر الدول من غير معارضة معارض لها في ذلك. والكلام مع نواب الدول في هذا الشأن لا يجدي شيئا. على أن المسألة قد بوشرت بما أخر الفرنسيس عن الخوض فيها الآن، حسبما قدمناه قريبا للعلم الشريف، وفي ذلك الكفاية. وعلى كل حال نحن على بال مما وجهته سيادتكم[19]».

لقد وقف المخزن إذن موقف المحايد أو المتفرج مما يروجه الصحافيون عن النواب الأجانب، وعسى أن يكون في هذا الحياد ما يلبي مطلبا مخزنيا في شكل من الأشكال.

ولننتقل إلى بعض ما كانت المطبوعات الأجنبية تتقوله أو تقوله عن النواب.

أ . **فرنسا** : كانت «ريفي دو ماروك» و«المغرب الأقصى» سليطتي اللسان تطلقانه في النواب وفي المخزن معا، وكان يشرف عليهما ويحررهما رعايا من اليهود المجنسين أو المحميين، بينما كانت «الطايمز أوف مروكو» هي «الجريدة الوحيدة غير الاسرائيلية بطنجة»، وذات الاستقلال الفكري، لكنها ظلت ـ حتى احتجابها ـ تناوىء فرنسا العداء، ولم تفتأ تنشر ضدها كل مقالة صادرة بإنجلترا.

كانت «ريفي» تمدح أورديكة وتقدح في فيرو، بينما كانت «المغرب الأقصى» تقف موقف الاعتدال من المفوضيات، لكن نشاط أورديكة كان يقلقها. ولما صارت ناطقة بلسان المفوضية الاسبانية أخذت تحمل حملة شعواء على الوزير الفرنسي وعلى الحاج عبد السلام الوزاني وعلى جريدة «ريفي».

وكان ارتباط «المغرب الأقصى» بالأوساط والدوائر الاسبانية لا يكاد يخفى على أحد. ففي ماي 1886 التمست من السلطان أن يستعمل «أقوى وسائل القمع القاسي» في حق كل أجنبي تسول له نفسه التسرب إلى سوس. وظلت هاته الجريدة وكذلك «إيل إيكو ماوريطانو» على عدائهما لفرنسا ولممثليها، وصارت «ريفي»بعد تولي فيرو تناصبه العداء في تعليق أصدرته سنة 1885 يدل على سوء طويتها. قالت :

«في الوقت الذي يبعد أورديكة عن طنجة، وفي الوقت الذي لا نتهم بالتحيز إليه، يطيب لنا أن ننصفه بالقول إن أوروبا استطاعت ـ بفضل نشاطه الحيوي وهاته الحركة من الرأي العام ـ أن تهتم بقضايا المغرب... فهو ـ يقيناً ـ صاحب ما اصطلح على تسميته بالقضية المغربية. وبما أننا مدافعون عن تطور المغرب ماديا ومعنويا، فلا يسعنا إلا أن نحيي بطل هاته القضية»[20].

---

19. رسالته في 5 رمضان 1309 / 3 أبريل 1892.
20. «ريفي» عدد 28 يناير 1885.

هاته الاشادة بنائب فرنسا المعزول لم تكن من نصيب خلفه المتحرر. فمنذ ماي 1885 استقبلته الصحف استقبالا فاترا لأنه كان قد ابتعد نهائيا عن أساليب أورديكة وسياسته. كان من أنصار «الديبلوماسية الشرقية»، وكان متأثرا بالسلطان مولاي الحسن، وكان نزيها لا يدافع عن المصالح الشخصية، إلى حد أن تحامل عليه نائب بلجيكا البارون ويطنال فادعى سنة 1886 أن عواطف فيرو لا تكاد تسلم من كراهية الساميين.

ولم تفتأ الصحف الفرنسية منددة تنديدا عنيفا بـ «ضعفه واستسلامه أمام السلطات العربية» لأنه كان مناصرا للاستقرار وشاجبا لشطط بعض اليهود والأوروبيين حتى صارت «ريفي دو ماروك» تشنع عليه، واصفة إياه بجون هي الجديد.

ولقد أحسن فيرو القول عندما صرح بأن الصحافة الأجنبية الصادرة بطنجة ماهي إلا «ناطقة بلسان الغرماء من اليهود»[21]، الذين كان منهم حييم بنشيمول مدير «ريفي»، سواء في حياة فيرو أو بعد وفاته الفجائية، التي تولى إثرها باطنوطر الذي هو الباشادور الوارد في هاته الرسالة من الطريس إلى غريط :

«وبعد فنعلم سيادتكم بأن ما كنتم كتبتم لنا به تاريخ 11 رمضان عن الأمر الشريف في شأن تنطعات ابن شمول، وكنا أنهينا الأمر لمحله بواسطة الأمين الحاج عبد الكريم ابريشة، فشافه بذلك وزير الخارجية على أنه وصله ذلك من بعض مطلق أصحابه، لا من الحضرة الشريفة ولا منا، وهي طريقة أسلم من غيرها.

«وأما طريقة الجوازيط فربما جرنا قوتها إلى كثرة البحث والمنازعة، وإن ألجأ الحال إلى البيان والايضاح بينا ذلك : إذ لا بأس في إيضاح كلمات حق. ثم إن دولته بمجرد ما بلغها ذلك وجهت مختبرا من أعيان خدمة المخزن قرعوجا (؟)، فوصل لأطرفنا يوم الجمعة الفارط، وخرج يوم تاريخه بقصد ملاقات الباشدور أينما أدركه.

«فلنطالع بذلك العلم الكريم، ولترد بالك لما عسى أن يبادر به الباشدور المذكور من انتهاز فرصة منكم بجواب يختلسه منكم أو مكيدة من مكايدهم تمحوا عنه ما وسم به في أمر ترجمانه، ويصير طالبا بعد أن كان مطلوبا، وتصبح سيادتكم في حيرة....»[22].

ب . **إسبانيا** : كانت صحف إسبانيا تردد أصداء ما يصدر بطنجة حول النواب وغيرهم. ولم يسلم ممثلوها ولاسيما ديوسدادو المعتدل من ثلب الصحافيين. كانت «إيل إيكو ماوريطانو» متحاملة عليه، فألقت عليه مسؤولية فشل السلك الديبلوماسي في تأييد حرية القول وعابت عليه مسايرة رأي المخزن في منع الصحافة من الصدور. ولذلك طالبت بنقله إلى مفوضية بلاده بتركيا أو بروسيا أو بإيطاليا حيث يمكن أن يكون وجوده هناك مفيدا. وفي سنة 1888 فاتح الوزير الاسباني زميله الفرنسي فيرو، مشتكيا اليه بـ «غضب العنصر اليهودي عليه»، ولم تلبث الحملة عليه أن آتت أكلها، فعزل عن منصبه بطنجة[23]، وعين بالسويد.

---

21. مييج : «الصحف...» من ص 213 إلى ص 218 باختصار.
22. رسالته في 10 شوال 1306 / 9 يونيو 1889.
23. مييج : «الصحف...» ص 215.

ت . إنجلتـــرا : تهجمت الجرائد على جون هي وتناولته بالنقد اللاذع وربما بالتهكم الساخر. ولكنها - أو على الأقل بعضها - مالت إلى التساهل مع خلفه، بخلاف الصحف الفرنسية التي كانت قاسية على السياسة البريطانية المحافظة، وعلى ممثلي إنجلترا.

ظهر ذلك جليا في أحداث دمنات حيث قتل بعض اليهود، فاهتبلت الفرصة فكتبت في الموضوع، وتلتها صحف الخارج في لوم جون هي الذي حاول بدوره التهوين من شأنها، محملا المسؤولية لليهود أنفسهم «الذين كانوا يتقلدون السلاح والذين،هم أبعد ما يكونون شبها ببقية اليهود المسالمين بأنحاء الايالة»، ومنتحلا في ذلك شتى الأعذار للسلطات، وراميا اليهود باحتراف الربا الفاحش وبالركون إلى التهويل المفتعل وإلى تشويه الحقائق.

والغريب أن صحف هذا الثغر التي كانت بيد رعايا بريطانيين كانت تقدح في وزير حكومة بلادها قدحا عظيما. وقبل أن يخلد جون هي إلى الراحة والمعاش، كان قد طلب من حكومة بلاده نقل مقر المفوضية إلى فاس، فتناولت جريدة «ريفي» القلم لتتهكم عليه.

وغيرت الصحف موقفها بعد إحالة الوزير على التقاعد، وجاء بعده كرين الذي لم يتخل تخليا واضحا عن سياسة سلفه، فأعرب عن عزمه على تلبية نداء تجار منشيسطر وتأييد «المطامح المشروعة للتجار الأروبيين»، وعرفت هاته الجرائد كيف تعتمد على «مساعدة السيد كرين، وزير بريطانيا العظمى الممتاز»[24].

أما خلفه سميث فقد كانت بعض الصحف الفرنسية النفس لا تقصر في مناصبته العداء. ده كيرديك شيني كان يهاجم المشاريع البريطانية دون هوادة في جريدته «دياريو دي طانخير» مندذا برسو المراكب الحربية البريطانية مثل كوشاوك Goshawk بطنجة وثونديرير Thunderer بمرتيل وكورليو Curlew بطرفاية. ثم إن الكونط دوبينيي كلفه بالتصدي لاحباط مشاريع سميث، فسبقه إلى قصر السلطان ليحذره من مغبة مطالب الوزير البريطاني المحتملة، ومترجما له شذرات من صحف أروبا المعادية لحكومة لندن. وظل مدة شهرين مقيما بفاس مذكيا صمود المخزن وناشرا بجريدته كل ما من شأنه الغض من عمل سميث. وكان سي فضول يطلعه بانتظام على سير المفاوضات[25] لكي ينشره بجريدته أو يبلغه لحكومته.

وبهذا اضطلعت الأوراق الأجنبية بدور محسوس في إثارة الرأي العام الأجنبي الدولي، وقبله الرأي العام المحلي بقصد استيفاء أغراضها التجارية والسياسية والاعلامية.

المطلب الثالث : صحف طنجة في الميزان

لا يبدو أن هاته الجرائد قد أثرت كثيرا لتغيير الأوضاع الداخلية. ولكن كانت لها جوانب ايجابية وأخرى سلبية أركز قليلا عليها.

أ . المســاوىء : كانت عينا رقيبة تنقل أخبار ما يروج بالداخل، أي داخل الطوائف المختلفة المشرب والديانة والمفوضيات الأجنبية والدوائر الاقتصادية. ولكنها - فيما أرجح - لم

24. «ريفي» عدد 9 - 2 - 1887.

25. مييج : «الصحف....» من ص 211 إلى ص 217 باختصار.

تكن تعرف الأحوال الداخلية المغربية معرفة المتأكد الموثوق بصحة كلامه وتحليله. فقد كانت تغترف الأخبار من الداخل لتصديرها إلى الخارج، أو تبليغها إلى السلطات المخزنية.

ولا أبالغ مطلقا إن قلت إن الأوساط الشعبية المغربية المسلمة وحتى اليهودية لم تتأثر بالصحافة الأجنبية اللسان العربي والعجمي. فكلا الصنفين يفترض درجة من المعرفة ومن الوعي السياسي. ثم إن الشعبي الأمي ربما كان يرى أنها أداة من أدوات النفوذ الأجنبي فلا يعبأ بها، وأنها ذات مفاهيم مستوردة. زد على ذلك أن المفوضيات والسلطات المخزنية لم تكن راغبة في أن ينشر بالعربية ما يكتبه ميكين وابنه ومن هم على شاكلتهما بلغة أخرى كالانجليزية[26].

ولكن سبق أن أشرت إلى أن المخزن كان يترك لها حرية الكلام، وهو إذ فعل ذلك ـ طوعا أو كرها ـ كان كمن يضرب عصفورين بحجر واحد : كان تشنيعها على بعضها بعضا مما يخدم مصلحة الحكومة المغربية ويعينها على معرفة النوايا الطيبة والسيئة. وكان المخزن يعتبر أن الورقات الطنجية أجنبية في لهجتها وفي روحها، وأن أمرها هو شأن الاخرين فيما بينهم.

نادت هاته الصحف بوجوب الاصلاح لتصريف شؤون البلاد، ولاسيما لتنظيم الجانب التجاري. وكانت لها مطالب يهمها أن تقنع السلك الديبلوماسي بما سمته «شرعيته» بها، ثم الضغط عليها حتى ينفذ إلى الخارج كلامها. ومع ذلك كانت مهيبة الجانب، وكانت قوتها في ضعف المفوضيات وتنافسها وسوء الظن ببعضها[27].

ويجمع الذين قرأوها أو تصفحوا بعضها على أنها تطرقت إلى مواضيع هي أحيانا أبعد ما تكون التصاقا بواقع المغرب وبحالته. فالكثير من أعمدتها طافح بالاشهار التجاري، ولكن لفائدة من ؟ ولماذا ؟

وما انفكت تدافع عن مصالح شخصية وأغراض دميمة. وحيث أن بعضها كان ملكا لليهود، فلا غرابة أن تكون مدافعة عنهم[28] بكل وسيلة، ولاسيما بنغمة جديدة / قديمة هي التنديد بمعاداة الجنس السامي، كلما صرع يهودي أو أوذي أو أدب أو هدد، سواء عن حق أو عن باطل.

وهناك جوانب أخرى تدل على درجة الدناءة والاسفاف التي بلغت اليها. كانت تتخرص وتختلق الأخبار الزائفة وتروج الأنباء المغرضة أو المثيرة. ومهما حاولت جريدتا «ريفي» و«المغرب الأقصى» التنصل من هذا الافتيات، رادتين أسباب ذلك إلى انقطاع المواصلات مع المدن الداخلية، وإلى غياب مؤسسات عمومية بالمغرب غيابا تاما، وإلى الأسرار المطبقة على اعمال السلطات المحلية والمخزنية والديبلوماسية، وإلى الاعتراف بأن مهنة الصحافي بالمغرب مهنة عسيرة وشاقة[29]، فليس في جميع ذلك ما يبرر سلوكها، ولو أن الاعذار صحيحة إلى حد ما.

كانت صحافة مأجورة وملهمة، لا حتما من الحكومات والمفوضات كما سلف ذكره، ولكن من أوساط استعمارية وتجارية أيضا.

---

26. ميبج : «الصحف...» ص 203.
27. نفس المرجع ص 202.
28. أيضا ص 219.
29. أيضا وكذلك «ريفي» عدد 7 ـ 1 ـ 1885.

كان البنك اليهودي بطنجة مرتبطا بمؤسسات خارجية، وكان يقدم لها العون والدعم، وكان حاييم بنشيمول أحد كبار الممولين المنتمين إلى الماسونية الدولية[30].

ب . **المحـاسـن** : إلا أن هناك جوانب إيجابية في أعمالها. كانت جريدة «الطايمز أوف مروكو» شديدة الاعتدال إزاء السلطات المغربية، وكان ذات رأي حصيف. وكان صاحبها يتسم بنزاهة في الرأي، أفضت به إلى عسر مادي وتضييق معنوي دفعا به إلى تفويت ملكية جريدته. ومثلها «المغرب» العربية القصيرة الأجل التي كانت تنقل الأفكار السلفية والتيارات السياسية، مثلما كانت صحف عربية مشرقية ترويها. ويستفاد من أقوال المؤلفين أن بعض الولاة والأمناء والفقهاء والشخصيات المخزنية كانوا يطالعونها بل كانوا يشتركون فيها، وكانوا يطلبون ترجمة ما صدر منها بغير العربية، ليقدم ذلك إلى السلطان. زد على ذلك أن المفوضيات كان تسهر على توزيع صحف أجنبية كجريدتي «المبشر» و«الأخبار» اللتين تصدران بالجزائر على أهل المخزن[31].

لم تكن جرائد طنجة ـ والحق يقال ـ متوانية في المناداة بإلغاء النخاسة في جميع المدن ومرددة الأقوال الباطلة والصحيحة المشهورة. وكانت تطالب باصلاح نظام السجون والرفق بالمساجين. وبالنظر لهول ما ذكرته عن ذلك جمعية هوارد، فقد جمع السلطان علماء فاس وقضاتها للاستشارة معهم فيما ينبغي فعله لاصلاح هاته المؤسسات الزجرية، وكلف من يرد على بعض المغالط.

ومزية أخرى لابد من ذكرها، وهي مناداتها بإغلاق دور الميسر والقمار وبالاكتتاب لفائدة ضحايا الأوبئة والمجاعات.

وأورد في الأخير أنها على اختلاف ميولها كانت لا تحجم عن استهجان الحماية التعسفية والتشنيع على أصحابها ولاسيما «ريفي دو ماروك» من سنة 1885 إلى 1893 و«الطايمز أوف مروكو» من 1888 إلى 1889 و«المغرب الأقصى» من سنة 1889 إلى 1893. وجاء مد خط التلغراف من طنجة إلى جبل طارق ليبسر لها مباشرة أعمالها[32].

هاته لمحة نقلتها عن قليل من الوثائق المغربية، وكثير من المصادر الأجنبية، وركزتها على سنة 1885. ولربما سيجد واجد أن في هاته القضية موضوعا لبحث طريف يتعدى السنة واللغة، ويملأ فراغا كبيرا في خزانتنا التاريخية.

إن المصادر المخطوطة والمطبوعة لخالية من هاته الكتابات الموضوعية، ومرد ذلك إلى أن هاته المسألة كغيرها لم تكن تعنى بها لجدتها أو لبدعتها.

وخلاصة الأمر أن الصحافة الأجنبية بالمغرب لم تبلور رأيا عاما وكان دورها حتى سنة 1908 جد محدود. وقال ميرسيي : «كانت صحافة فضولية وملقنة، لا تلبي مطمحا وطنيا ولا حاجة البلاد، وليست على الأخص انعكاسا للرأي العام»[33].

---

30. أيضا ص 221.
31. عبد الله العروي : «الأصول....» ص 204.
32. مييج : «الصحف...» ص 220.
33. نقلها عنه عبد الله العروي في الأصول» ص 204

الباب الثامن عشر

العملاء والرحالة والمؤلفون

موضوع الباب الأخير من هذا التصنيف هو الحديث عن العملاء والرحالة والمؤلفين عن مغرب القرن التاسع عشر، وستتناول فصوله الستة الكلام عمن ينتسبون لأقطار إسلامية ولألمانيا وإنجلترا وإسبانيا وفرنسا وبلدان أخرى.

1 من أقطار إسلامية

1. **محمد بن سليمان المناعي** فقيه أصولي توفي عام 1830. ورد على فاس وأخذ عن علمائها مثل الشيخ التاودي. وله رسالة في الوباء ومنع الكرنطيلة[1].

2. **ابراهيم بن عبد القادر الرياحي** المولود بتستور بالقطر التونسي عام 1766 والمتوفى بتونس عام 1849، وهو فقيه وشاعر. ولما حدثت المجاعة بتونس عام 1216هـ أوفده الباي حمودة إلى أقطار مختلفة كالجزائر، ثم المغرب فوصل إلى فاس عام 1218 طالبا النجدة من السلطان بالحبوب والقطاني. فأجابه مولاي سليمان إلى مطلبه ونظم في مدحه قصيدة طويلة. وكانت له مناظرة مع علماء المدينة[2].

3. **حسونة بن محمد بن الحاج حسونة الطرابلسي** وهو فقيه محدث، حل بمدينة فاس عام 1829، وتوفي سنة 1842 بمدينة إسطانبول[3].

4. **عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن سحنون الراشدي الحشمي الشركاوي** المتوفى بمراكش سنة 1855 انتقل إلى المغرب أيام تغلب الفرنسيين على الجزائر. وكان فيها مبرزا في كافة علوم وقته ودرس بالقرويين[4].

5. **يوسف بن بدر الدين المدني** أديب ورد على السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1840، فأكرم وفادته، وحمله كتاب التعزية إلى السلطان عبد الحميد خان، فرد له الجواب في السنة الموالية.[5].

1 . محمد مخلوف : «شجرة النور....» ج 1 ص 370.

2 . عبد الوهاب بنمنصور : «أعلام المغرب العربي» ج 1 ص 165 وما بعدها، وأحمد الناصري : «الاستقصا» ج 8 ص 25 و 118.

3 . عبد الهادي التازي : «صحيح الامام البخاري بخط الحافظ الصدفي» في «دعوة الحق» مارس 1973، ص 24 (33).

4 . العباس بن ابراهيم : «الاعلام» ج 8 ص 463 وما بعدها.

5 . ابن زيدان : «الاتحاف» ج 5 ص 44.

6. **محمد صالح بن خير الدين الرضوي الحسني البخاري السمرقندي المولود عام 1786 والمتوفى عام 1850 بالمدينة المنورة حل بالمغرب فورد على فاس سنة 1843، واكتسب شهرة عظيمة في الأوساط العلمية**[6].

7. **محمد حسن بن حمزة ظافر** خرج من المدينة عام 1805 وساح في الأرض حتى انتهى إلى المغرب الأقصى، وأخذ عن علمائه وبعض مشايخ الطرق مثل أحمد التجاني والعربي الدرقاوي. وتوفي عام 1851 بالمدينة المنورة[7].

8. **أبو محمد الحاج الداودي التلمساني** تولى القضاء بتلمسان، وهاجر إلى فاس لما استولت فرنسا على الجزائر، وتوفي سنة 1854. وله تآليف[8].

9. **محمد بن علي السنوسي الخطابي الطرابلسي** ولد سنة 1791 ببلاد الواسطة قرب مستغانم والتحق بفاس ومكث بالمدينة الى سنة 1830/1245 ودرس على علمائها. وتوفي عام 1859 بواحة جغبوب قرب بنغازي. وكان لهذا الامام المجاهد أتباع كثيرون بإفريقيا والشرق الأسلامي. وله تآليف كثيرة[9].

10. **سعيد العنتري الطرابلسي جاء إلى المغرب المرة الأولى ثم رجع إلى جغبوب لدى الامام السنوسي، وعاد إليه للمرة الثانية واستوطن مراكش وفتح مدرسة بأحوازها، وبقي حتى توفي عام 1875 هناك**[10].

11. **عبد الرحمان بن أحمد النابلسي المدني** كان حنبلي المذهب، وورد على المغرب عام 1854 وأخذ عن علماء فاس والرباط والصويرة ومراكش. وعاش إلى عام 1888[11].

12. **محمد الحرشاوي الندرومي** المتوفى عام 1889 ارتحل من بلاده إلى فاس، فحضر مجالس القرويين ثم أصبح من علماء الجزائر المبرزين. وله تأليف[12].

13. **محمد بن خليفة المدني** المسعودي، التونسي الأصل رحل من المدينة عام 1888/1305 ، ودخل الجزائر وتونس وحل بفاس عام 1309 ثم رحل إلى الرباط وسكن بمراكش وتردد بين الصويرة وأسفي، وساجل شعراء المغرب وجمع أموالا طائلة من الأمناء والعمال صرفها في اقتناء الكتب التي ملأ منها 20 صندوقا حتى اتهمه البعض بأن في ذلك أيادي أجنبية. وتوفي عام 1895 غريبا بمكناس[13].

14. **علي بن ظاهر الوتري** المولود عام 1844 والمتوفى بالمدينة المنورة عام 1905 قدم إلى المغرب قدمتين عام 1870 و 1880. وهو من فقهاء الحنفية، ومسند المدينة المنورة، وهو ممن أحيوا موات الرواية بالمغرب وممن أنعشوها بالمشرق. وقد ألقى دروسا في

---

6 . أحمد المكناسي : «أهم مصادر التاريخ والترجمة بالمغرب» ص 81 ـ 83، وابن ابراهيم : «الاعلام...» ج 9 ص 301، وابن زيدان «الاتحاف» ج 5 ص 109.

7 محمد مخلوف : «شجرة النور...» ج 1 ص 383.

8 . نفس المصدر ج 1 ص 400.

9 . نفس المرجع ج 1 ص 399 ـ 400.

10. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 208.

11. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 122، وابن ابراهيم : «الاعلام» ج 8 ص 150.

12. عبد الهادي التازي : «جامع القرويين» ج 3 ص 814.

13. ابن زيدان : «الاتحاف» ج 4 ص 272/271، ومحمد مخلوف : «شجرة النور...» ج 1 ص 415 وابن ابراهيم : «الاعلام» ج 7 ص 107.

الحديث وأخذ عن علماء مغاربة أجلة. وكان مناصرا للمذهب الوهابي[14]. وكان محل حفاوة من لدن الحاجب، إذ لما وصل إلى فاس سنة 1880 استوصى به خيرا وأنزله عند عاملها[15].

15. **خليل الوليدي** أحد تلامذة الشيخ جمال الدين الأفغاني. وكان قاضيا بمدينة حلب، وتجول بشمال المغرب في ربيع سنة 1904، وكان دوره سياسيا أكثر منه علميا[16].

16. **حسن القادري البغدادي** من بلاد الموصل كان فقيها حنفيا أقام بمراكش ثمانية عشر عاما ابتداء من 1882/1299، وتجول بالأصقاع السوسية[17].

وله رسالة يشرح فيها للحاجب حاله سنة 1899 جاء فيها : «إني من مدينة الزوراء، من أهل العلم بلا مراء، قد قضيت من أنواعه وطرا، وأجلت في مستودعاتها نظرا، مع مذاكرتي للطلاب، الذين هم من أولي الألباب. ثم حببت إليَّ السياحة والجولان، لما فيها من الملاقات مع الاخوان، والاطلاع على خواص البلدان، فأخذت من برود الدهر جديدا، واقتنصت من العمر شريدا، فقدمت إلى هذه الأقطار، تاركا للاخوان والأوطار، مؤملا نظرة من بعض الأخيار، وهي السبب في قدومي إلى هذا الوطن، وذالك في أيام الزوح الأقدس مولاي الحسن، فرأيت الناس أكبوا على علم مختلف فيه، طالما كنت ممن ينفيه، فلم أحم حول مطاياه، ولم أبحث عن قضاياه، فبقيت مدة في زوايا الاهمال، وحيدا لا أهل ولا إخوان ولا عيال، ثم رأيت الزواج لي أحسن، فلعلي أتخلص من تلك الاحن، واخترت في ذالك الصويرة هي المسكن، فاتسع الخرق وضاق الخناق، ووقعت فيما لا يطاق، مع أني حنفي المذهب، فليس له في الغرب مطلب، فلست منه ولا خارجا عنه، فصرت واسطة بين أمرين فلا أدري من أي البين. فإن رجعت رجعتُ بخفي حنين، وإن بقيت صرت أشغل من ذات النجيْن، وكلما أردت الذهاب إلى بغداد، منعني الأهل والأولاد...

«فالمرجو من حضرتكم... شرح هذا المطلب لدا الحضرة الشريفة... فيقضي بنفقة يومية كافية لأهل الدار، من مرسى الصويرة لكونها محل القرار...»[18].

17. **عبد الله بن إدريس بن محمد السنوسي** شقيق إبراهيم السنوسي الذي كان مقيما بالاسكندرية ورد على المغرب في أواخر سنة 1886. وكان قد صدع بوجوب إصلاح العقيدة وفتح باب الاجتهاد والأخذ برأي السلفيين. وقد استقبله مولاي الحسن بمدينة الجديدة ومنحه دارا بها.

وكان وهابيا ظاهريا ودعي إلى مناظرة مع بعض المحدثين مثل أحمد بن سودة. فاسيء استقباله ووصف بالمعتزلي، فرحل إلى المشرق، ثم عاد إلى المغرب في مطلع القرن العشرين، وتوفي عام 1933/1350 بمدينة طنجة[19].

---

14. المرجع الأخير ج 9 ص 267 ـ 269 و ج 7 ص 39.
15. رسالة أحمد بن موسى إلى عبدالله بن أحمد في 21 جمادى الثانية 31/1297 ماي 1880، الترتيب العام.
16. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 208.
17. العباس ابن ابراهيم : «الاعلام» ج 3 ص 197.
18. رسالته في 7 ربيع الأول 16/1317 يوليوز 1899، الوثيقة 10038 (م و م).
19. عبد الله العروي : «الأصول» ص 208، وعبد الهادي التازي : «جامع القرويين» ج 3 ص 734 و 820.

18. **محمد صادق العطار الشامي** وفد على المغرب مرات منذ أواخر القرن الماضي حتى هرب منه بعد ذلك ووقعت له نزاعات مع المخزن وصار يقذف في أعضائه حسبما سيأتي طرف من ذلك.

كان محمد صادق مدير الطباعة العثمانية، ومكلفا بمهمة من لدن السلطان عبد الحميد الثاني لدى السلطات المغربية، منها سعيه لطرد جماعة من المنشقين العثمانيين المدنيين منهم والعسكريين الذين التجأوا إلى المغرب وأروبا[20].

يظهر أنه قدم إلى المغرب أواخر سنة 1896 فقال في رسالة يصف الحفاوة التي كان يلقاها الشيخ ماء العينين : «...وقبل تاريخه بيوم 2 قدم شيخنا العالم الفاضل، القطب الكامل الشيخ ماء العينين رضي الله عنه. وكان لقدومه يوم مشهود، خرجت العساكر والجيوش وكبار دار المخزن، والموسيقة تصدح أمامه، وحررت المخزنية، وسدت أسواق المدينة، ونزل بدار الوزير حرسه الله ومعه من التلامذة 300، وهو شيخ ياله من شيخ !...»[21].

وقد وقفت على مجموعة من الرسائل تتعلق بنشاطه ولو أنها غير كافية لتوضيحه. فمن كتابه الأول إلى الطريس سنة 1901 أقتطف ما يلي :

«ورد على عُبيدكم صاحبُكم وأمرني بالتشرف لأعتابكم الجليلة، غير أنه يا أسفا لسوء حظي وجدني الحال أخذ [ت] مُسهلا حيث القصد السفر... ولقد أحببت أن أنبه سيادتكم لكلام أشاعه بعض أناس لو علموا أنفسهم لاستحيوا من خالقهم. وذلك أن أشخاصا مختلفي الأديان قدموا لمجلسكم السعيد... وقدموا لكم رسالة اسمها «النصيحة الاسلامية»، واسمها يدل على ما فيها من باب براعة الاستهلال، وأرتيكا[22] سياسيا متعلقا بفرقة طاغية... فأما الأرتيك فمما يمس بحقوق جلالة مولانا السلطان عبد الحميد نصره الله، وأنا نائبه على كل طاغ وباغ أينما كان. وأما الرسالة فلا يخلوا ما فيها ما يمس بحقوق السلطان المشار إليه أو بحقوق أميرنا السلطان الجليل مولانا عبد العزيز...

«فإن كان رأيكم إلى البحث فيما يخص بالقسم الأول ومقابلتي مع رجل أظهر دعوة أو عنده ما يقول فلا أقدم لمقابلته ما لم يدفع لكم 25 ألف فرنك فرنساوي... لأني صاحب رتبة... تقابل رتبة جنرال بالعسكر... وإن كان للقسم الثاني فقط فعلى الرأس والعين... وأمتثل لحكم كل مغربي يحكم علي بحكم خيرا أو شرا...

«وعليه فأقدم وأجيبكم عن كل سؤال سؤال بحضور عدلين يقيدان، وأشرح لكم الرسالة... وتعرض على العلماء الذين هنا وفي فاس وفي مراكش بل وفي مصر. فإن وجد عبارة مشتملة على زندقة أو سفسطة وحكمتكم على عُبيدكم فأقبل تنفيذ الحكم بنفسي، وإن كان بخلاف ذلك وثبت فيها نصح وزجر وموعظة وتنبيه وتيقظ وتذكير واعتبار وإرشاد فتتعهدون لي بدفع هُنور[23] وجهي وشرفي وحق خدمتي لمولانا السلطان عبد العزيز... فمن لم يجبكم فهو فاسق زنديق...». وختم كلامه مسترعيا على الحاج علي بوطالب الذي قال إنه ينوي قتله حسبما تقدم[24].

---

20. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 151 و 159.

21. رسالته إلى الطريس في 6 رجب 11/1314 دجنبر 1896، تطوان 106/80.

22. أي article ارتيكل = مقال.

23. honneur : شرف.

24. رسالته في 3 جمادى الأولى 17/1319 شتنبر 1901، محافظ الترتيب العام.

وللغد كتب رسالة أخرى إليه يخبره بعزمه على السفر ويطلب منه توجيه بريده القادم إليه من إسطانبول إلى عبد الكريم بنسليمان وقال إنه ذاهب لجمع ما عنده بداخل المغرب «وإني أحمد الله تعالى حيث جعل الله التوبة على يدكم عن الدخول في كل أمر ما لا يعني»[25].

وكان أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب وكيلا له بمراكش التي أخبر خليفة عاملها أن الوكيل المذكور حاز ثمن الزرع والحوائج التي تركها مّحمد صادق وقدر ذلك 306 من الريال[26].

وهناك إبراء أخر، فقد توصل العطار على يد الطريس بـ 156،5 ريالا من قبل ما كان يدعي به على ماك لين وغيره[27].

والظاهر أنه لما غادر المغرب استوطن جبل طارق وصار يحمل على المخزن وعلى السلطان حملات شعواء ولاسيما سنة 1904. فكتب عبد الكريم بنسليمان إلى الطريس رسالة يقول فيها خاصة : «فقد قدمنا لك الكتب... بتقرير ما عليه مّحمد صادق الشامي القاطن الآن بجبل طارق من الاجتراء على الله ورسوله برسائله المشحونة بهتك أعراض المسلمين. وقد تزايد الآن وتفاحش أعظم مما كان بأضعاف مضاعفة، وخصوصا في عرض الجناب الشريف ووزراء حضرته بما تقشعر منه الجلود، ولا يستطيع لسان أحد أن يحكي بعضه... وتوجيهه في كل بُوسْطَىَ عددا من تلك الرسائل معنونة بأسامي أعيان الأشراف والعلماء وأعيان القبائل، وإغرائهم فيها على إثارة الفتن... ولا أظن أن أحدا من ضعفة الايمان يتلفظ ببعض ذلك في سالف الأعصار والأقوام. وكان الجناب الشريف قبل هذه الأيام اقتضى نظره الشريف معاملة هذا الشامي بغض الطرف وإلغاء حمقاته حتى يمل. وحيث تفاحش الأمر في الرسائل الواردة منه أخيرا لم يبق محل لاهمال أمره، وإن كان كتب قبل التاريخ بنحو ثلاثة أيام معترفا بتنقيص نفسه بما صدر منه من التقولات... وتصريحه بالتوبة مما ذكر، وتطارحه على شريف الأعتاب في الانعام عليه بالانصاف له فيما كان يدعيه من الدعاوي الواهية بناحية مراكش. لاكن لا يوثق بتطوراته وتلوناته هذه كلها.

«وعلى كل حال فيأمرك سيدنا... أن تجتمع بالسيد بناصر غنام و... الحاج محمد المقري... لكف ضرر هذا الفاجر الملعون وقطع لسانه. فإن أمكن الظفر به والقبض عليه ولو بالمفاوضة مع نواب النجليز والفرنصيص والبروص... وإلا فباستعمال سياسة لقدومه لطنجة ولو في الأمان ومشافهته بأنه إن كانت توبته صحيحة فإن الجناب الشريف لا يواخذه بما تقدم صدوره منه.. لاكن بعد أن يشترط عليه... أنه إن عاد للتلفظ بشيء مما فيه تجاسر... فإنه يقبض عليه أينما كان من بلادات أروبا أو غيرها...»[28].

ولم أقف على نهاية هاته القضية، ولا على أسماء رحالة أو عملاء من بلدان المشرق من الذين قدموا إلى المغرب في القرن التاسع عشر أو بعده بقليل.

25. رسالته في 4 جمادى الأولى / 18 شتنبر، نفسها.
26. رسالة عبد السلام الورزازي إلى الطريس في 2 رمضان 1319 / 13 دجنبر 1901، أيضا.
27. تاريخ الأبراء هو 26 نونبر 1902 / 24 شعبان 1320، أيضا.
28. رسالته في 10 شعبان 1322 / 20 أكتوبر 1904، تطوان 159/35.

② من ألمانيـــا

1. **هينريخ بارت : H. Barth** ولد بهامبورغ سنة 1821 ونوفي سنة 1865، وتعلم اللغة العربية بمدينة لندن. وهو مستشرق ومن أعضاء الجمعيات الجغرافية الأوروبية، ورحالة جاب أقطار إفريقيا من 1850 إلى 1855.

كما أنه قام بجولات بالمغرب فوصل إلى طنجة في غشت 1845 وزار كلا من تطوان وأصيلة والعرائش وغيرها ووصل إلى تمبوكتو. ونشر عن تجارة السودان مع المغرب كتابا في أربعة أجزاء طبع سنة 1863.

ومن المدن التي دخلها مدينة الرباط سنة 1845. ولما كان يرسم باب قصبة الوداية تعرض لسب وتهديد من السكان على الرغم من ترخيص قائد المدينة له بالتصوير[1].

2. **هـ كارل فريشر فون مالطسن : H. K. Freïcher von Maltzan** ولد بألمانيا سنة 1826 وزار الجزائر وتونس ثم حل بالمغرب فجال في المدن الريفية سنة 1858، وسافر بحرا إلى الصويرة والثغور الشاطئية الغربية. وله رحلات متعددة إلى مدينة طنجة التي كتب عنها وعن غيرها. ولما قصد مراكش تنكر في زي يهودي وصحب قافلة متوجهة إلى هناك، فسكن بالملاح نحوا من شهر. وكان يريد اللقيا بالسلطان فلقيه ولقي ابنه سيدي محمد[2].

3. **مصطفى العلج** أو **فريدريك كيرهاردت رولفس : F. Gerhardt Rohlfs** ولد بمدينة بريمن سنة 1831 ومات سنة 1896 أو 1898. فبعد أن تعلم الطب ببلاده. دخل إلى الحياة العملية سنة 1853 وانخرط في اللفيف الأجنبي سنة 1855، ثم رحل إلى الجزائر حيث تعلم اللغة العربية ودرس تقاليد المسلمين وعاداتهم.

ولما انتهت حرب تطوان جاء إلى المغرب سنة 1861، وحاول الدخول في خدمة إسبانيا. ثم لما بلغه أن السلطان راغب في توظيف أعلاج لتنظيم جيشه قرر أن يجرب حظه، فارتدى لباس المغاربة المسلمين، وادعى اعتناق الاسلام، وتسمى بمصطفى، ثم ربط علائق مع الحاج عبد السلام الوزاني، كما دخل في خدمة السلطان بوصفه طبيبا.

غير أنه لم يلبث أن غادر طنجة سنة 1862 متنكرا، وقام بجولته الأولى بالمدن الشاطئية حتى أكادير. ومنها التحق بسوس وتارودانت ومراكش وواحات درعة وتافيلالت وفجيج.

وفي نونبر 1862 قام بسياحة أخرى، فقطع جبال الأطلس ووصل إلى تيديكلت ونوات، ثم التحق بطرابلس عن طريق غدامس وعين صالح. وفي هاته المرة كان مؤيدا بالجمعيتين الجغرافيتين ببرلين ولندن، وخوله مجلس شيوخ بريمن منحة عن ذلك.

---

1. جاك كايي : «بوادر الرباط» ص 79 ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 69، وكيبي «ألمانيا...» ص 10.

2. المصدران الأخيران على التتابع ج 1 ص 138، ثم ص 10 و 921.

وكانت له بعد ذلك جولة أخرى بإفريقيا، من طرابلس إلى لاغوس، مرورا بالهكار وبالتشاد، وذلك من سنة 1865 إلى سنة 1867 قطع فيها 4800 كلومتر، ونال صلة من ملك بلاده قدرها 800 طالر.

وفي سنة 1871 حاول ـ باشتراك مع فيتسشطاين ـ تحريض القطر الجزائري على السلطات الفرنسية. وبعد ذلك أصبح سنة 1884 قنصلا لبلاده بزنجبار ورفض سنة 1885 أن يعين ممثلا لألمانيا بالمغرب.

كان مرموقا ببلاده وبالجامعات الأروبية لطول باعه، ونال حظوة عند بعض ملوك أروبا، فوشح بميدالية ذهبية جزاء عن أشغاله وتآليفه. وإلى جانب ذلك، كان مراسلا للعديد من الصحف، وله تصانيف عن البلدان التي زارها طبعت بمدينة بريمن سنة 1868 و1873. ومن كتبه «وزان، دار الضمانة». وفيه قال : «إن كل مجهود للنصرانية (أي للحضارة) كان معرقلا في البلدان المتوسطية من لدن إنجلترا، لأن تجارتها في السكر والشاي والأفيون والمنسوجات القطنية تتضرر من ذلك»[3].

كان من الغلاة الاستعماريين، وكانت أفكاره متطرفة. وكان يريد من أروبا أن تكتسح القطر المغربي[4].

4. **رويطر : Reuter** هو رابع أربعة الألمانيين الأولين الذين استوطنوا المغرب في القرن التاسع عشر. فقد حل سنة 1863 بطنجة، واشترك مع اليهودي المغربي ابن ذراعو في بناء مطحنة بخارية واستغلالها. لكنه اصطدم بعراقيل وضعتها له السلطة المحلية في ذلك، فتخاصم مع شريكه.

وفضلا عن هذا، كانت له نزاعات مع بعض موظفي المفوضيات الأجنبية، وقدمت به شكايات متعددة إلى السلطات المغربية من لدن تجار أروبيين بنفس المدينة، فمثل أمام المحاكم، وحضر في جلساتها مفوضون من ألمانيا. وفي سنة 1865 نال حماية فرنسا فخلق لها كثيرا من المشاكل، ورفض الانصياع إلى الأحكام التي أصدرها القضاء البريطاني والسويدي. وكان يطالب بفتح قنصلية ألمانية بطنجة للدفاع عن مصالح بلاده، لأن إيهرنهوف ممثل السويد لم يكن يمثل بروسيا خير تمثيل. وكان سنة 1867 يكاتب بيسمارك في الشؤون الاقتصادية[5].

5. **فيتسشطاين Wetzsteïn** كان أستاذا بجامعة برلين وبمعهد الدراسات الشرقية. وصل إلى المغرب سنة 1870 «لدراسة الشعر العربي». ولما وصل صحبة ألماني آخر إلى طنجة دافع عنهما دالوين ممثل بلجيكا لدى السلطات فوصفهما بأنهما باحثان في الأدب العربي.

---

3 . هنري ده لامارتنيير : «ذكريات...» ص 113، وبييركيين : «ألمانيا...» ص 11 و12 و18 و 25 (1)، وميج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 161 و ج 3 ص 163 (4) و ج 4 ص 16 (2).

4 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 5 ص 65 وما بعدها.

5 . ميج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 14 (6) وكيين «ألمانيا...» ص 14 ـ 17.

والحقيقة أنه كان عميلا لبلاده، فقد كلفه بيسمارك بالتشغيب بالشرق المغربي، وجر قبائل بني يزناسن إلى الجهاد الذي كان ينادي به أولاد سيدي الشيخ. فارتاع إيمي دا كان من نشاطهما، وطلب من محمد بركاش تأييده. وفي نفس الوقت استخدم بول لامبير لتتبع حركاته، فاستظهر الأخير برسائل بركاش إلى الولاة ضد العميل الألماني. وانتهى الأمر بهجوم الريفيين على العميلين الألمانيين ونهبهما، ففشلا في خطتهما. ومثل هذا الفشل كان قد لقيه بالجزائر، إذ بعد انهزام فرنسا في حربها مع ألمانيا سنة 1870 كان فيتسشطاين موفقا لرولفس إلى الجزائر للقيام باضطرابات ضد فرنسا. وكانا مرفوقين بأحد أبناء الحاج عبد القادر بن محيي الدين، فوزعوا مناشير ضد فرنسا قرب الحدود التونسية ـ الجزائرية. وآل الأمر إلى طردهما من تونس[6].

6 ـ 7 : **سبيلتس Speltz ومولر Müller** ضابطان ألمانيان مبعوثان من حكومتهما. غير أن فون كوليخ ذكر أنهما لم يكونا من الضباط، وإنما كانا مغامرين يريدان الاندساس داخل البلاد سنة 1874، وكان يصحبهما سويسري يدعى دومينكو ساكي D. Sacchi[7].

8 : **هايبيرغ Heiberg** ادعى أنه من قدماء الصحافيين. وقد حاول أن يبيع السلاح للمخزن، لكن وزير ألمانيا لم يقبل منه ذلك[8].

9 ـ 10 : **فريديك نول F.C. Noll وهيرمان كريناخر H. Grenacher** عالمان أولهما في الجغرافية ساحا بالمدن الشاطئية والجنوبية في صيف سنة 1871، وكتبا عن ذلك[9].

11 ـ 14 : **يوهانس رين J. Rein** أستاذ من جامعة بون رحل إلى المغرب ونشر مشاهداته وكان يصحبه : **فون كارل فريتش v. K. Fritsch** وهو عالم جيولوجي ورئيس الجمعية الجغرافية بمدينة فرانكفورت. نشر تقارير عن أعماله، نقلا عن تجار الصويرة من الأروبيين مثل بوليلي Bolelli قنصل إيطاليا وكان مع الاخير : **كارل كوخ K. Koch والدكتور كيرليخ Gerlich**.

وقد نزلوا جميعا بمدينة الصويرة في ماي 1872 بعد أن كان جون هي نائبا عن ألمانيا فالتمس من المخزن الوصاية بهم خيرا ليذهبوا إلى مراكش، وهيأ لهم باشا الصويرة خفراء. ولما وصلوا لعاصمة الجنوب استقبلهم عامل المدينة، وقضوا أسبوعا بالأطلس الكبير ثم عادوا إلى الصويرة في أواخر يونيو، ومنها أبحروا إلى طنجة مرورا بالثغور الشاطئية.

ومما يذكر هنا أنهم لما حلوا بشيشاوة عبر لهم الولاة عن فرحهم لأن الله نصر السلطان غليوم على فرنسا التي كانت تريد فرض قانونها على جوارها. كما استغرب عامل الصويرة من انهزام فرنسا أمام بروسيا التي كانت مجهولة لديه[10].

---

6 . مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 18، وكيين : «ألمانيا...» ص 17 ـ 18.
7 . المرجع الأخير ص 31 (4).
8 . نفس المصدر ص 32 (1).
9 . كيين : «ألمانيا...» ص 20.
10. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 111 والمصدر الأخير أيضا.

15. لودفيغ بيتش : Ludwig Pietsch صحافي رافق سفارة فيبير إلى فاس سنة 1878 التي صدر له فيها تآليف عن المغرب[11].

16. أدولف فون كونرينغ A. von Conring كولونيل أقام طويلا بإسبانيا، وكان عميلا لدار كروب. وصل إلى طنجة في ماي 1878 وظل بالمغرب مدة خمسة أشهر وتجول بأطرافه. وكان يريد أن يعقد مع المخزن صفقة لبيع مدافع كروب.

وصل إلى آسفي يوم 3 يوليوز فاستقبله ابن هيمة عاملها وانتظرا صدور الاذن لهما للذهاب إلى مراكش التي سافرا إليها يوم 21 منه ووصلا إلى العاصمة يوم 25 من نفس الشهر، وقدم للسلطان جهازا للتلفون وآخر للمدفعية وغيرهما. وكان برفقتهما تيتين **Tietjen** كاتب المفوضية وألماني آخر هو أوطو فينزل. وعلى الرغم من أن مهمته كانت دراسة الشؤون التجارية فقد زعمت صحف إسبانية أنه جاء لتطبيق الاتفاق الذي أبرمه الطيب ابن هيمة خلال سفارته من أجل منح ألمانيا موقعا بالشاطىء الأطلسي. وقد نشر سنة 1880 بمدينة برلين كتابا عن رحلته بالمغرب انتقد فيه المخزن ودالوين وجون هي اللذين أفشلا مهمته[12].

17. الدكتور أوسكار لنس Oskar Lenz رحالة وعالم جيولوجي وجغرافي ألماني أو نمساوي، ولد بليبسيك سنة 1848، وقام برحلة إلى السودان وعبر الجنوب المغربي، بعد أن تعلم اللغة العربية وعوائد المسلمين. وصل إلى طنجة في نونبر 1879 وزار كلا من تطوان وفاس ومكناس وغيرها.

ولكنه في السنة الموالية ساح بالجنوب المغربي سياحة لفائدة «الجمعية الافريقية بألمانيا» قادته إلى مراكش عن طريق فاس ومكناس والرباط، ثم صعد إلى جبال الأطلس، مارا بتارودانت وسوس والصحراء، ودامت الرحلة ثلاثة أشهر قبل الوصول إلى تمبوكتو وأندر. رافقه الحاج علي بوطالب والترجمان الاسباني كريسطوبال بينيطيث C. Benitez الذي كان تعرف عليه خلال مقامه بتطوان والذي كان أحد الذين عاشوا بالمغرب منذ الصبا حتى تعلم اللغة العربية. وأثناء رحلته سمى نفسه الحكيم عمر بن علي، وكانت قافلته متركبة من 7 أشخاص و7 جمال، وكاد يذهب ضحية اعتداء لولا لباقة ترجمانه في انقاذه[13].

نشر لينس كتاب رحلته بعنوان «رحلة من مراكش إلى الصحراء والسودان» المطبوع سنة 1881، ذاكرا فيه عيوب الادارة المغربية، ومطالبا باحتلال البلاد، وترجم الكتاب إلى عدة لغات منها الفرنسية[14].

---

11. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 927.
12. كيين : «ألمانيا...» ص 20 و82 و 118، ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 92 و ج 4 ص 25، وهنري ده لامارتينيير : «ذكريات...» ص 112.
13. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 132.
14. جان إيس : «قضية المغرب» ص 35.

وخلال سفره إلى الجنوب والصحراء مر بمدينة تارودانت. ولما علم السلطان بجوازه بعث بتأنيب إلى الحاج عمر بن سعيد المتوكي الذي أذن خليفته للسائح وصحبه بالتنقل في تلك النواحي. ومما جاء في رسالة السلطان : «بلغنا أن رجلا ورد لِزدانة في شهر ربيع الثاني سمى نفسه علي بوطالب، وذكر أنه من أقارب الحاج عبد القادر، ومعه نصراني من دولة أليمان، وأنهما يريدان الذهاب لبلاد السودان بأمر شريف زعما أنه عندهما وأن خليفتك وجه معهما من يصحبهما حتى يخرجا من تراب إيالتك، مع معرفته ما في توجههما لتلك النواحي من المخاطرة بالنفس والمال، والغرر بهما كما لا يخفى، وأنه شاع وذاع عنهما أن تحتهما مالا له بال.

«وعليه، فهذا كله يعد من غباوة ذلك الخليفة وتهوره وبلادته... فإن خليفتك المذكور ارتكب أمرا إمْراً، وأرهق نفسه عسرا... والحاصل... فإن النصارى اليوم، منذ نزل النجليز في سواحل وادي نون، تشوفوا لهناكم... وعليه فاجعل الجواسيس والارصاد على من يرد منهم لهنالك...»[15].

18. ياكوب شودت J. Schaudt تجول بالمدن الداخلية عدة سنوات. وفد على المغرب سنة 1879 واستمر في تجواله حتى سنة 1883، فزار المغرب الشرقي بحثا عن المعادن بإيعاز من هيسنير التاجر الألماني بطنجة، وحمل معه عينات من الأحجار. وكان قبل وصوله إلى المغرب مستخدما بشركة السكك الحديدية بألمانيا. ولما طرد من عمله التحق بأمريكا، ثم انخرط باللفيف الأجنبي بالجزائر وهرب منه والتحق بفجيج.ثم لما حل بطنجة سنة 1879 توظف في فندق بالمدينة. وفي يناير 1880 غادرها إلى مراكش بوصفه دليلا للرسام النمساوي لدين Ladein وتجول خلال سُنتين بجنوب المغرب وشماله، مدعيا اعتناق الاسلام، وأقام شهرين بزاوية درقاوة، وعاش عيشة المغامرين.

ولما عاد إلى طنجة في يناير 1883 دون قصة صغيرة عن رحلته نشرت بألمانيا بوصاية فيبير عليه. ثم شارك في رحلة كويدنفيلدت، وخلالها اختفى أثره، ولم يعد كلام عنه، ولربما قتله اللصوص[16].

19. ماكس كويدنفيلدت M. Quedenfeldt ضابط صف متخصص في علوم الأنساب. ولد بألمانيا سنة 1851 وغادر الجيش سنة 1877 لأنه كان راغبا في القيام برحلة استكشافية، ومات سنة 1891 ببرلين متأثرا بالحمى التي أصابته بالمغرب. وهو رحالة جاب أقطارا مختلفة في رحلات دراسية بالجزائر وتونس وطرابلس وصقلية وآسيا الصغرى.

أما بالمغرب فقام بعدة جولات زار في أولها الريف وتطوان والأطلس الكبير، وأقام بمراكش ثلاثة أشهر، وجمع ما استطاع من معلومات عن الجيش المغربي، وذلك من أكتوبر 1880 إلى يوليوز 1881. وعاد للمرة الثانية سنة 1883 ونزل بالدار البيضاء وترافق معه كارل فيكة ثم أبحرا إلى الصويرة. ورجع للمرة الثالثة سنة 1885 مكلفا من لدن أكاديمية ألمانية، وصاحب ياناش إلى وادي نون في مارس 1886 في رحلة السفينة الألمانية

15. رسالة السلطان في 16 جمادى الثانية 26/1297 ماي 1880، «الوثائق» ج 3 ص 498.
16. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 166 و ج 4 ص 26 وكذلك كيين «ألمانيا والمغرب» ص 84

«كوطروب Gottrop». والرحلة الرابعة تجول فيها بإقليم سوس من أبريل إلى يوليوز 1887. وبعد أن مكث عدة أسابيع بجزر الخالدات قصد طرفاية.

كما أنه زار المحلة الشريفة التي كانت مرابطة قرب آسفي، واندس في صفوف السلطان بفضل وساطة سعيد بن قدور الذي تعلم بألمانيا سابقا وقضى خمسة أسابيع بمراكش.

وكان كلما عاد إلى بلاده يلقي محاضرات عن مشاهداته وينشر مقالات عن رحلاته[17].

ولما كان بالمغرب سنة 1886 اشترى مكحلتين من صنع المغرب، فأراد وسقهما إلى بلاده من الدار البيضاء. لكن الأمناء منعوه من ذلك، فالتمس تيستا من المخزن تسريحهما له، لأن منعهما ليس منصوصاً عليه[18].

20. فيلهلم كوبيلت W. Kobelt عالم ورد سنة 1881 وتجول بتطوان وطنجة[19].

21. شفيكر - ليرخنفيلد Schweiger - Lerchenfeld زار المغرب سنة 1882 ونشر كتاب رحلته[20].

22. فان دريخت van Dricht مهندس طوبوغرافي سمى نفسه سي مصطفى، وكان مخبرا لقنصل إسبانيا بالصويرة، كما كان سنة 1886 مخبرا لتيستا بأحوال حركة السلطان إلى سوس حيث كان مرافقا له[21].

23. ل هـ فايس L. H. Waïss كان سنة 1886 موجودا بتارودانت[22].

24 - 26 : كيوم بيكمان G. Beckmann ورفيقاه : أنطوان ده مللر وهنري فنستهوفر هم ثلاثة أولهم من سطاسبرت وثانيهم من موسبورغ وثالثهم من مدينة فيسمبورغ Wissemburg. كانوا بمدينة مليلية، ولما خرجوا منها في أواخر ماي 1885 تعرض لهم عشرة أشخاص من جوار المدينة فرجموهم وأصيب واحد منهم بحجرة كسرت له سنا ثم قبضوهم وأهانوهم ونهبوا لهم ماكان تحت أيديهم من أموال وأوراق ولباس ثم سرحوهم، فاعتقلهم أناس آخرون وذهبوا بهم إلى أحد قواد الناحية الذي سجنهم أربعة أيام. وكانوا يصرحون له أنهم قاصدون مدينة طنجة، فأرسلهم تحت الحراسة إلى عامل آخر أبقاهم عنده يومين، وبعد ذلك وجههم إلى عامل فاس الذي سجنهم سبعة أيام في أروى ثم استخدمهم في بستان كبير مدة عشرين يوما، إلى أن تمكن اثنان منهم من الفرار، بينما بقي ثالثهم الذي كان معطوبا في رجله، فوصلا بشق الانفس إلى طنجة بعدما قاسياه من الجوع والحرمان حسب رسالة المفوضية التي ختمت تقول : «فالآن نطلب من جنابكم أن ترسلوا - دون تعطيل - رقاص إلى

---

17. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 157، وكيين : «المصادر الأروبية وتاريخ المغرب» في «البحث العلمي» العدد 10 ص 108 و«ألمانيا والمغرب» ص 121.
18. رسالة تيستا إلى الطريس في 5 يوليوز 1886 / 2 شوال 1303، تطوان 4/48.
19. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 127، وكيين : «ألمانيا...» ص 924.
20. كيين : «ألمانيا...» ص 938.
21. مييج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 353 (2).
22. نفسه ج 4 ص 172 (7).

حكومة فاس لاجل إرسال الرجل الثالث - الذي بقي في الغرصة - في كل حفظ إلى طنجة. وإذا حصل له أدنى ضررا نجعل الدرك على المتسبب...»[23].

فما كان من الطريس إلا أن كتب إلى عامل فاس رسالة أجابه عنها بأنه كلف «مقدمي حومات فاس 18 بالمبالغة في البحث والتنقيب عن هذا النصراني وتحقيق قضيته، فبذلوا المجهود في ذلك. وغاية ما تحصل أن هؤلاء النصارى كانوا طرقوا هذه الأرض قبلَ كالسواح على هيئة لم يُميز معها نصرانيتهم إلا النادرُ من الناس، وأقاموا هنا أياما قلائل يدورون في البلد ولا مقر لهم معين. وكان واحد منهم بعرصة أدخله إليها مالكها من أهل فاس ظانا به أنه من العلوج الذين يحسنون عمل اغتراس الأشجار، فلم يجد عنده معرفة بذلك وفارقه، وسافر جميع الثلاثةِ من هذه الأرض دُفعة أو تتابعا ولم يبق لهم هنا خبر ولا أثر...»[24].

27. **رينولد فاكنر : Reinhold Wagner** مهندس عينه بيسمارك لاجراء مباحثات مع المخزن لشراء تجهيزات عسكرية من معامل كروب من أجل التحصينات التي ينوي المخزن بناءها بالرباط والصويرة، وإبرام عقدة بذلك. أقام بالمغرب من يونيو إلى غشت 1886 فوصل إلى الرباط، ثم انتقل إلى الصويرة لوضع التصاميم. وكان مبلغ المصاريف المقدرة 30 مليونا من الفرنكات : نصفها للأبراج والنصف الآخر للعتاد والتجهيز. وقد كلف المخزن كلا من الحسين بن خلوق والميلودي الزيادي بترجمة الوثائق والخرائط والرسوم التي بلغت نحو المائة.

كان هذا العمل تمهيدا لأشغال المهندس روطنبورغ. لكن الظاهر أن هاته المهمة فشلت لأنها أثارت حسد معامل السلاح بفرنسا فعملت على إحباطها بواسطة تاجر طنجي هو العربي بن أحمد أبارودي الذي ذهب إلى فرنسا وقابل بعض الوزراء ورجال المخابرات مدعيا أنه مكلف من لدن السلطان بالتفاوض من أجل نيل سلف مقداره 40 مليون فرنك لشراء أسلحة وإنجاز أشغال تحصينات بالثغور، فاتصل بالكولونيل ده بانج de Bange مدير شركة كاي Cail ووعده بتفضيله على كروب. والواقع أن أبارودي لم يكلف بشيء[25].

بلغ الخبر إلى السلطان الذي أمر بعض العمال بالقبض عليه ومنهم عامل الصويرة الذي أجاب : «وصلنا كتاب سيدنا الشريف أمرنا فيه بالبحث عن العربي أبرودي الطنجي والقبض عليه وتوجيهه واصلا لحضرة سيدنا الشريفة في كبله.

«فيعلم سيدنا... أننا بحثنا عنه فأخبرنا بأنه كان ورد للسويرة قبل هذه الأيام في بابور وأقام بها ثلاثة أيام، وسافر في بابور آخر بقصد النزول بمرسى الجديدة ومنه يتوجه لمراكش. ولما بحثنا عمن سرحه ليسافر في البحر.. أخبرنا أن رئيس المرسى هو الذي سرحه...»[26].

فكتب إلى عامل الجديدة بالقبض عليه إن وصل إليها من الصويرة[27].

---

23. رسالة ملحمة إلى الطريس في 23 يوليوز 1885، تطوان 25/48 حيث تصعب قراءة أسماء هؤلاء الغرباء ومواطنهم.
24. رسالة عبد الله بن أحمد إلى الطريس في 27 شوال 1302 / 9 غشت 1885، تطوان 185/70.
25. مييج : «المغرب وأوربا» ج 3 ص 440 (7) وكيين : «ألمانيا...» ص 160.
26. رسالة الركراكي إلى السلطان في 10 ربيع الثاني 6/1304 يناير 1887، الترتيب العام.
27. جواب الجراري إلى السلطان في 6 جمادى الأولى 31/1304 يناير 1887، نفس المحفظة.

ومادمنا نتحدث عن أبارودي فلنشر إلى أنه كانت له علاقة بترجمان بأحد معامل السلاح بفرنسا اسمه أنجيلي Angeli، غير أنه أنكرها مطلقا بعد استنطاقه من لدن الطريس بعد ذلك «وحلف أمامنا باليمين التام وأن هذا الأمر لم يقع منه، ولا يذكر لا تسلف دراهم ولا شراء مدافع، وإنما هذا كله محض كذب...»[28] من أنجيلي الذي يبدو كأنه من رجال المخابرات.

وكان وزير فرنسا قد كتب إلى النيابة السلطانية رسالة يذكر فيها أن أبارودي قد اشتكى لديه بباريس «بالضرورة والظلم الذي وقع له مع واحد الرومي المسمى أنجلي، وكان مراده أن يحصله بحباله في شبكة عظيمة... وفي هذه الأيام بلغني خبر وأن أنجلي المذكور يريد أن يقيم الدعوى...»[29].

ولم أقف على ختام هذه القضية، وربما عفا عنه السلطان الذي ارتضى بعد شهور أن يكون أبارودي والأمين بريشة مشاركين بأحد معارض فرنسا[30]. وأخيرا أشير إلى أن أبارودي صار سنة 1899 محتسبا بطنجة بعد وفاة والده[31].

وقد سقت هاته النبذة عن هذا الضابط الألماني وأدرجت معه التاجر الطنجي لأن الحديث عن الأخير وارد في بعض الوثائق.

28. **ريشارد ياناش : R. Jannasch** ولد بألمانيا سنة 1845 وتوفي سنة 1919. كان من أول الألمانيين الذين فتحوا باب استعمار المغرب. وقد ألف سنة 1887 كتابا عن ارتياد المركب «كوطروب» بالجنوب المغربي. وكانت حادثة هاته السفينة تحولا حاسما في تاريخ التسرب التجاري الألماني بالمغرب.

كانت السفينة سريعة وحمولتها 320 طنة، وكان تاريخ تشييدها هو سنة 1883. ياناش كان زعيم البعثة، وكان بصحبته عدد من الألمانيين مثل كويدنفيلدت سالف الذكر، وفالديمار فون هوندت Waldemar von Hundt وألفريد كابيسيوس A. Capesius وماكس شفيرت M. Schwert. وكان مجموع ركابها تسعة أشخاص، وكان يقودها القبطان أ. ليتشن A. Letschen.

وفي 5 يبراير 1886 غادر ياناش وصحبه مرسى هامبورغ على متن «كوطروب»، وألقت السفينة مرساتها بالصويرة من 12 يبراير إلى 7 مارس. وبعد أن حاول الركاب النزول بوادي نون أول مرة فأخفقوا، رجعوا بالسفينة إلى الصويرة ريثما يحصل تحسن في أحوال الجو التي منعتهم، وغادرت المرسى ووصلت إلى أسفي والجديدة والدار البيضاء حيث حملت معها كارل فيكة.

ثم رجعت ثانية إلى قرب وادي نون بحثا عن موقع بنهر الشويكة (= الشبيكة ؟). وعلى الرغم من تحذير السلطة، لم يهدل ياناش عن تأسيس مركز تجاري هناك. وكانت

28. جواب الطريس إلى فيرو في 21 رمضان 13/1304 يونيو 1887، تطوان 59/38.
29. رسالة فيرو إلى الغسال في 19 رمضان/11 يونيو، تطوان 59/38.
30. نسخة رسالة إلى فيرو في 27 صفر 2/1306 نونبر 1888، تطوان 51/40.
31. رسالة عبد الرحمان بن عبد الصادق إلى السلطان في 21 شعبان 4/1316 يناير 1899، الوثيقة 9784

«الكوطروب» تحمل معها المعدات الضرورية (مثل سكة حديدية مصغرة ومعها قاطرات، ومنزل مفكك ومكيف، ومضخات ومدافع وسياجات حديدية وكثير من المنتجات الصناعية بألمانيا)، وكان ذلك كافيا لتأسيس مستوطنة، حسب تعبير ويطنال الذي أضاف أن ياناش كان قد أجرى اتصالات مع شيوخ وادي نون لكي يحصل على قطعة أرضية ببلادهم في الرحلة الأولى.

وفي المرة الثانية حاول الطاقم النزول، لكن المركب انقلب وهلك رجلان غرقا، والسبعة الباقون رجعوا إلى البر سباحة، فسقطوا سجناء طيلة شهر واقتيدوا إلى السلطان الذي كان وقته بجنوب أكادير، ولكنه عفا عنهم وسرحهم بوساطة سفير ألمانيا فوصلوا إلى طنجة وانتهى أمرهم وعاد ياناش إلى بلاده[32].

وجاء في رسالة سلطانية أن هؤلاء توجهوا لرسم الجغرافية وأن الباخرة لم تأت للتجارة وأن ابن بيروك قد استخلصهم بالمال من أيدي القابضين عليهم وأنه أمر بتوجيههم إلى الصويرة[33].

29. **كوسطاف فولفروم : G. Wolfrom** وفد على المغرب سنة 1889 ولبث بضعة أشهر[34].

30 ـ 34 : **هوبيرت يانسن H. Jansen** وجه في مهمة سنة 1890 ونشر بحثا عنها. **وبول شنيل P. Schnell** له دراسة نشرها سنة 1892 عن الجيولوجية بشمال المغرب وجبال الأطلس **وسوسين : Socin** أستاذ اللغة العربية بألمانيا أقام هنا سنة 1894 أو قبلها، **وهانس سطومة H. Stumme** أستاذ اللغة العربية قام بثلاث رحلات من سنة 1894 إلى 1897، ودرس اللهجة السوسية ونشر كتابا سنة 1899 بمدينة ليبسيغ، **وأ. فيشر A. Fischer** أستاذ تجول سنة 1898 بكل من طنجة والرباط والدار البيضاء وأسفي والصويرة ومراكش[35].

35 ـ 37 : **كورت فلوريكة K. Floericke** عالم في الجيولوجية كلفه متحف العلوم الطبيعية ببرلين بالتقاط عينات من الصخور. وصل إلى طنجة في أكتوبر 1898، واشترك مع الدكتور سالمون الفرنسي في بيع بطائق الحماية. أقام عدة شهور بمراكش وظل بالمغرب حتى سنة 1900، ثم ساح بالجنوب حتى وادي الذهب، **وميسنر Meissner** أقام بطنجة مدة شهرين سنة 1901. وهو مثله مثل فيشر سالف الذكر، وكلاهما اشتغل في أبحاث لغوية وجمع المخطوطات وكتابة قصص محلية، **وكوست Koest** عالم طبيعي زار سنة 1899 ناحية العرائش والرباط ودرس غابة المعمورة[36].

---

32. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 124 و ج 3 ص 336، وكيين : «ألمانيا...» ص 132 ـ 134.
33. رسالة السلطان إلى الطريس في 19 رجب 23/1303 أبريل 1886، تطوان 148/4، ومثلها في الموضوع رسالتان سلطانيتان إلى الطريس في 4 و22 رجب/8 و 26 أبريل، تطوان 136/4 و 150/4.
34. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 177.
35. كيين : «ألمانيا والمغرب» ص 924 و524 و930.
36. أيضا ص 524 و 525 و 921.

38. **تيوبالد فيشر : Theobald Fischer** أستاذ الجغرافية بجامعة ماربورغ ولد سنة 1846 بألمانيا وتوفي سنة 1910، وأشرفت الجمعيتان الجغرافيتان بفرانكفورت وبرلين على توجيهه في رحلتين إلى المغرب سنة 1899 و1901. كان فيشر جوالا، جاب جميع أقطار أروبا تقريبا في سنوات السبعين، وتخصص في جغرافية بلدان إفريقيا الشمالية فزار تونس والجزائر سنة 1886، ثم وجهته الجمعية الجغرافية ببرلين في رحلة أولى إلى المغرب سنة 1899 زار خلالها أصيلة وطنجة والقصر الكبير ثم التحق بمختلف المدن الشاطئية حتى الصويرة، ثم هيأ له ماور النائب القنصلي قافلة إلى مراكش ونواحي الأطلس وبعدها رجع إلى الرباط وفاس ومكناس وطنجة.

وفي المرة الثانية وصل إلى طنجة في يبراير 1901 ثم زار المدن الساحلية ونواحيها.

تركت الجولة الأخيرة صدى كبيرا بألمانيا وغيرها، ونال عن ذلك وسامين رفيعين. كان فيشر يبحث في شؤون المناخ والمياه والجيولوجية، ولكن غرضه الأساسي كان خدمة المصالح الألمانية. وطالب بلاده بالاستيلاء على الناحية الواقعة بين المحيط وبين جبال الأطلس، وله أقوال كثيرة في هذا المجال[37].

والوثائق المغربية التي تسميه تيودور وليس تيوبالد تحدثت عن رحلته قليلا. فقد طلبت المفوضية الأذن له بجولة في المغرب سنة 1901 ولاسيما «بقبائل الأيالة السعيدة من ثغر الصويرة إلى الشياظمة وعبدة وأحمر ودكالة والشاوية، وكذا بقبائل الغرب من الرباط إلى طنجة. فسوعد على ذلك، وكتب الظهير الشريف لعمال القبائل المذكورة بالاعلام بذلك».

ولما ذكر عامل الصويرة عياد المنبهي أن السائح رحل يوم 3 مارس 1901 صحبة طبيب بقنصلية ألمانيا بالدار البيضاء يعرف اللسان العربي للترجمة عنه، دون مرافقته بمخزني يحميه من لحوق ضرر به، كذب ذلك سفير ألمانيا ذاكرا أنه كان مصحوبا بعون حكومي[38].

39. **بحري بوادي نون** : جاء في رسالة سلطانية أنه ألقي عليه القبض قبل 25 حجة 1317 بعد أن نزل من فلوكته بالقرب من سواحل وادي نون، فطلب نائب ألمانيا توجيهه إلى قنصله بالصويرة في الأمان، وأنه بعد بحث السلطات هناك بأنه عثر على رجل يذكر أنه نصراني، لكن لم يعرفه عامل الناحية ابن بيروك «من أي جنس هو، غير أنه يطوف بالسواحل، وبأنه تحت يده، ثم أجاب عن أمره في شأنه بأنه وجهه لخليفة عامل الصويرة» الذي كلمه «فوجده مسلما حنيفيا مختونا، كالمجذوب، ولا يتكلم إلا إذا هدد، ويضطرب في جوابه كأنه مختل. وأحضر قنصل الألمان والعدول والحجامين وعاينوه واختبروه فتيقنوا بأنه مسلم مختون، وكلمه القنصل بنفسه وبواسطة ترجمانه فألفي لسانه عربيا، وأشهد أنه ليس بحريا لهم وأنه مسلم، وسلمه يذهب حيث شاء»[39].

---

37. نفس المصدر ص 525 ـ 527 ـ 528 ـ 530 ـ 531.
38. مجموعة رسائل مخزنية منها رسالة عبد الكريم بنسليمان في 12 قعدة 3/1318 مارس 1901 وجواب وزير ألمانيا البارون فون مينسكن في 26 مارس 1901.
39. رسالته إلى الطريس في 15 جمادى الأولى 10/1318 شتنبر 1900، تطوان 128/18.

③ من إنجلتــرا

1. **جيمز كري جاكسن : J. Grey Jackson** رحالة قدم إلى المغرب صدر القرن التاسع عشر، له كتاب طبع بلندن سنة 1814 عنوانه : «عرض عن إيالة مراكش : An Account of the Empire of Morocco.».

2. **أرثور دي كيبل بروك : A. de Capell Brooke** السير بروك تجول بالمغرب سنة 1830 و 1831 ودخل تطوان وطنجة والعرائش[1]. له تصنيف عن المغرب وإسبانيا طبع بلندن سنة 1831 عنوانه : «Sketches in Spain and Morocco».

3. **سكوط أوكونورفيل : Scott O'Connorvil** له كتاب ألفه سنة 1842 عن معاشرته للحاج عبد القادر بن محيي الدين عنوانه : «يومية إقامة بسمالة عبد القادر وسفريات إلى المغرب والجزائر : «A Journal of a Residence in the Esmalia of Abdelkader and of Travels in Morocco and Algiers» [2].

4. **جون ديفيدسن : J. Davidson** طبيب زار سنة 1830 وادي درعة وتمبوكتو، وكانت له علاقة بآل بيروك، جاء ومعه رسالة الملك إدوارد الرابع إلى مولاي عبد الرحمان مؤرخة في 13 يبراير 1835. وكان يريد إنشاء مركز تجاري بالجنوب يربط بين جبل طارق وإنجلترا. وتوفي سنة 1836 مغتالا بنواحي طاطة[3].

5. **جون ريتشاردسن : J. Richardson** دخل الصويرة سنة 1844 وحاول مقابلة السلطان لمطالبته بالعدول عن الاسترقاق[4].

6. **ديفيد أوركهارت : D. Urquhart** ديبلوماسي ورحالة زار شمال إفريقيا سنة 1848، ونشر كتابا في مجلدين بلندن سنة 1850 عنوانه : «أعمدة هرقل أو قصة رحلات إلى المغرب وإسبانيا : «The Pillars of Hercules; or a Narrative of Travels in Spain and Morocco. [5]

7. **طوماس هودجكين : T. Hodgkin** طبيب توفي سنة 1866 بفلسطين، وكان مرافقا لمونطيفيور إلى مراكش سنة 1863 وصديقه الحميم، ألف عن رحلته كتابا طبع سنة 1871 بنيويورك عنوانه : قصة سفر الى مراكش : A Narrative of a Journey to Morocco[6].

---

1 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 79.
2 . نفسه.
3 . كذلك ج 1 ص 97 وج 3 ص 80 وعبد الهادي التازي، في «البحث العلمي» العدد 26 ص 18.
4 . مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 159.
5 . نفسه ج 1 ص 172 و ج 2 ص 200 (3).
6 . كذلك ج 1 ص 121.

8. **جيمز كريك : J. Graig** مهندس كان في خدمة المخزن وقضى بعض الوقت بمراكش، كما أقام بآسفي والصويرة من سنة 1863 إلى 1868. وكان له اختصاص في علم الأرصاد الجوية، وله تآليف[7].

9. **رينولدز بيل : E. A. Reynolds Balle** زار طنجة سنة 1870 ووصف جمالها[8].

10 ـ 12 : **جون بول : J. Ball ومـاو Maw والسير ج د هوكر J.D. Hooker** علماء نباتيون قاموا جميعا سنة 1871 برحلة دراسية وجغرافية ومروا عن طريق دمنات ودخلوا وادي أمزميز[9]. وأشهرهم هو الأخير الذي له تأليف مشترك مع بول صدر سنة 1878 عن جولتهما بالأطلس الكبير، والذي ولد سنة 1817 وتوفي سنة 1911. وعنوان الكتاب هو : «مذكرة جولة بمراكش والأطلس الكبير : Journal of a Tour in Morocco and the Great Atlas.»

13. **و ب سكـوط : W. P. Scott** ضابط كان نائبا قنصليا للولايات المتحدة بطنجة، وقد ألف كتابا عن سفارة القنصل العام الأمريكي إلى فاس سنة 1871 حيث كان مرافقا له. وله مقالات صحفية كان يوقعها باسم «ابن طارق»[10].

14. **أرثور ليرد : A. Leard** طبيب زار المدن الشاطئية سنة 1872 وأقام بالصويرة ومراكش وطنجة، ورافق السفارة البرتغالية إلى قصر السلطان. وله تآليف[11] في 354 صفحة طبع بلندن سنة 1891 بعنوان «المغرب والمغاربة : Morocco and the Moors» لخصه عبد المجيد بنجلون في «جولات في مغرب أمس : 1872».

15. **روبيرط س واطسن : R. S. Watson** نشر بلندن سنة 1880 كتابا في 328 صفحة عنوانه : «زيارة لوزان : A Visit to Wazzan»[12].

16. **بريد ألبين (؟)** في أواخر 1880 تجول صحبة زوجته ليزي Lizi وأخيه كيمبل Campbell والضابط كوردن Gordon، وطلب السفير البريطاني تسهيل مهمة «لورط أبريد ألبين أحد مجلس سلطانتنا» المتوجه «إلى فاس ومكناس وبعض من المراسي بقصد المُسارات ولينظر ما يتفق له في طريقه للأماكين المذكورة، ومعه زو جته لِزِ أبريد ألبين وأخوه المحترم كنبل وقبطان كُرْدُن، الاثنان المذكوران هما فسْيَانِسْ في محلة عسكر الجبالة بجبل طارق»[13].

17. **ضونالد ماكينزي :D. Mackenzie** تاجر إسكوتلاندي أسس «شركة نورث ويست أفريكان : North West African company» للتجارة بمركز طرفاية، وحل بالمغرب سنة 1872، وعاش به عقودا طويلة وفي فترات متقطعة.

---

7 . أيضا ج 1 ص 94.
8 . نفسه ج 1 ص 68.
9 . أيضا ج 1 ص 68 وده لامارتينيير : «ذكريات...» ص 240.
10. مييج «المغرب وأروبا» ج 1 ص 73 و 167.
11. أيضا ج 1 ص 130.
12. عبد الحميد لطفي : «مراجع بالانجليزية حول المغرب» مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد 3 ـ 4 ص 302.
13. رسالة جون هي إلى النائب السلطاني في 31 دجنبر 1880.

وكان أحد أنصار الأعمال الانسانية لمناهضة الاسترقاق، ومن الذين كانوا يطالبون حكومة بلادهم بالتدخل الاقتصادي بالمغرب. وكان إلى جانب ذلك على اتصال بأعضاء البعثات البرُتيستانتية[14]. فقد أعان ماكينطوش على الاستقرار بطنجة، ولفت الأنظار إلى شمال إفريقيا منذ سنة 1881. ومما قاله في هذا المعنى : «أظن أن الوقت قد حان ليعنى المنصرون البروتيستانتيون بشمال إفريقيا أكثر مما فعلوه حتى الآن»[15].

استهل عمله بالسعي في الاستيطان التجاري بطرفاية سنة 1872، فسافر صحبة مجهز سفن يدعى كيمبل Campbell وتطوف بساحل إفريقيا الغربي، وبدأ الحديث عن محاولته منذ سنة 1880 من أجل الاستيطان هنالك. ولما كانت طرفاية مقابلة لجزر الكناريا، كان الاسبانيون أول من أثاروا الحديث عنه. وجاء في رسالة سلطانية إلى النائب بركاش : «وصلنا كتابك... في شأن الهرج الواقع بجزر كنارية لأجل مكينسي النجليزي... بأننا لن نسكت للنجليز على مكينسي، بل لازال الكلام معهم في ذلك. وقد تكلمنا مع باشادورهم في شأن من ذكر والمحل الذي نزل به، فادعى أن ذلك المحل خارج عن إيالتنا، فلم نقبل منه ذلك ورددناه عليه... ومن جملته : الاسترعاء على نزول المذكور هناك بغير إذننا، وتعرفه مع قبائل إيالتنا افتياتا، وجعل الدرك عليه في كل ما ينشأ عن نزوله بناحية مراكش من الضرر والخسارات، لا في الرعية، ولا في الديوانات، ولا في غير ذلك، لمخالفته للشروط والقوانين... والتأكيد عليه في الكلام مع دولته في غلق أبواب المضرة التي فتحها ماكينسي، بإنهاضه من تلك الناحية... وهذا إذا بقي مكينسي هناك، وإلا فمؤونته كفيت.

«وأنت أيضا، أشر علينا بما يظهر لك في توجيه باشادور لدولة النجليز، بقصد الكلام في ذلك»[16].

لكن يبدو أن ماكينزي انسحب موقتا، وكان حتى سنة 1882 لا يزال واضعا برأس جوبي (أي طرفاية) شيئا من بضائعه. فقال السلطان لبركاش :

«وصل كتابك بأن نائب جنس النجليز كتب لك في شأن رأس جوبي الذي به مكينسي... من أن وزير دولته في أمورها البرانية أمره بإعلام حضرتنا الشريفة بأن عددا كثيرا من أمتعة رعيتهم بالمحل المذكور يتعين على المخزن الأمان والتحفظ عليها، وإلا فيكون دركها عليه إن وقع ترامي عليها، بسبب إظهار السطوة المخزنية على المحل المذكور.

«فأجبته عن ذالك بما في النسخة التي وجهها، من أن توجيهنا بعض خدامنا لرأس جوبي المذكور لنا الحق فيه، حيث هو من تراب إيالتنا. وإذا كانت به أمتعة لرعيتهم، فإنه ليس بمفتوح للتجارة....

«وقد قدمنا لك الكتابة في ذالك بما في النسخة طيه، ووجهنا لك تقييد ما أجاب به مكينسي الموجهين من حضرتنا الشريفة لذالك المحل، لما تكلموا معه فيما اشتغل به من البناء فيه»[17].

---

14. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 136.
15. مييج : «البعثات...» ص 155 ـ 156.
16. رسالته في 22 رمضان 28/1297 غشت 1880، في «الاتحاف» ج 2 ص 333.
17. رسالته في 16 قعدة 29/1299 شتنبر 1882، صورتها عند نهليل في «رسائل شريفة»، اللوحة 61.

وبعد 6 سنوات من ذلك، أي أواخر سنة 1888، راج حديث آخر عن ماكينزي. فقد حاول النزول مرة أخرى بطرفاية. لكن معركة دارت بينه وبين السكان لم تكن تستهدف إلا الدفاع عن المكان من هجوم ماكينسي صحبة آخرين من الانجليزيين، فمات منهم وكيله موريس Morris وجرح آخران. ومما يدل على الدفاع المشروع أن السلطات ردت للمغيرين أمتعتهم، ومن جملتها «خاتم من ذهب وكابوس ومكحلة وجهها القائد دحمان بن بيروك»[18].

وقبل ذلك، وقع شنئان بين السلطات المخزنية وبين كرين الذي طالب بتعويض عن خسارة الشركة، وجرح التاجرين، ومقتل الوكيل. فقد «قتل التاجر موريس بالطرفاية، وهجم على أصحابه، وطلب نائب الانجليز 50 ألف إبرة معاوضة للشركة الانجليزية التي بطرفاية»[19]، كما طلب عقاب القاتلين. وأمام فظاعة الأحداث وجهت الحكومة وفدا إلى طرفاية، وأجابت السفير في قضية القصاص من القاتلين أن الأخيرين من الأعراب الذين لا يمكن قبضهم، لأنهم مثل الطيور لا يستقر لهم قرار، ولأنهم كافحوا المهاجمين، وأن ما وقع للشركة التي كانت تدخل المواد المهربة الممنوعة إنما وقع لها بالبر[20].

وجرت مفاوضة بين كرين والمخزن على أداء تعويض للجريحين ودية القتيل. فبعد أن طالب السفير بـ 50 ألف جنيه، أشار السلطان على الطريس : «تفاصل معه على ما دون 25 ألف ريال» في رسالة أولى. وفي رسالة ثانية قبلها قال : إنه يعتبر هاته الدية تعويضا «لزوجة النجليزي المقتول بالمحل المذكور وللجرحى. وما تدعيه الكبانية من الخسارة في تجارتها بالمحل المشار إليه : إن كان لاحق لها فيه، فلا التفات لدعواها، وإن ثبت لها حق يعطاها. وعلمنا... أن غاية ما أذعن له في المعاوضتين معا هو خمسة وعشرون ألف ريال»، قسمها السلطان في رسالة ثالثة إلى «20 ألفا لأولياء الدم، مساوات مع الفرنصيص و5 آلاف للجرحى»[21] أو على الأصح للجريحين الاثنين حسب روجرز[22].

وحيث كان القدر المتفق عليه من أجل الدية وتعويض الجريحين باهظا، لم يتيسر لأمناء مرسى طنجة أداؤه من وفرها، فأمر السلطان أمناء مرسى الدار البيضاء بتسديده من وفر الميناء[23]. وتشدد كرين في المطالبة، فسدد المخزن التعويض منجما على خمس سنوات، دفع الشطر الأول منه سنة 1890 من وفر الدار البيضاء، وقدره 10.000 جنيه أو 5 آلاف ريال[24].

أما قضية طرفاية فلم تفصل إلا سنة 1895 بأن شفع المخزن زينة المركز التجاري هناك، وذلك بأداء 50 ألف ليبرة نصفها مُعجل، ونصفها عند الحيازة، باتفاق أمضاه الحاجب

---

18. رسالة غريط إلى الطريس في 29 ربيع الأول 3/1306 دجنبر 1888.
19. رسالة السلطان إلى الطريس في 29 ربيع الثاني 2/1306 يناير 1889، وكذلك روجرز : «تاريخ...» ص 277 و288.
20. رسالتان إلى كرين في 29 ربيع الأول و 4 ربيع الثاني 3/1306 و 8 دجنبر 1888.
21. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 جمادى الأولى 1306/ 15 يناير 1889 له صورتها في ص 140 من «السيادة...» لمحمد بن عزوز حكيم.
22. روجرز : «تاريخ...» ص 281.
23. رسالته إلى الطريس في 14 رجب 16/1306 مارس 1889.
24. رسالة السلطان إلى الطريس في 6 رمضان 15/1308 أبريل 1890.

ووزير إنجلترا ساطو. وفي بداية 1896 دفع أمناء الجديدة النصف الباقي الذي قدره 25 ألف جنيه[25]، فسويت المسألة نهائيا.

وختاما أذكر أن ماكينزي كان له سماسرة ووكلاء لم ترد أسماؤهم في لوائح المحميين السنوية. وكان من بينهم وكيل له سنة 1892 اسمه الشريف الحاج علي بن أحمد الطالب[26] الذي أظنه من أهل النواحي الصحراوية.

وظل ماكينزي يتردد على المغرب حتى سنة 1916 حيث كان في تلك السنة عميلا لشركة إنجليزية تدعي إشيئتيك بيطروليوم : Asiatic Petroleum[27].

لماكينزي مراسلات ومقالات نشرت في صحف طنجة وإنجلترا، وله تآليف منها واحد عنوانه : «غمر الصحراء : The Flooding of the Sahara» طبع بلندن سنة 1877 وزعم فيه أنه لو وصلت مياه المحيط الأطلسي بالوَهْدَة الكائنة بالصحراء الغربية لأمكن بلوغ السودان من أفضل طريق.

18. **فليب د طرْوطر : P. D. Trotter** قبطان جرب جهاز الفونوغراف أمام مولاي الحسن سنة 1880، غير أن المسؤولين الذين كانوا يبغضون هذا الاختراع أخفوا أبواقه[28]. له تأليف صدر بإنجلترا عنوانه : مهمتنا في بلاط مراكش سنة 1880 Our Mission in the Court of Morocco.

19. **هـ إ كولفيل : H. E. Colville** ضابط تجول بالمغرب متنكرا صحبة زوجته، فزار فاس ووجدة وطنجة والعرائش سنة 1877 وبعدها ونشرت تقاريره سنة 1880 بلندن[29]. ومن تآليفه كتاب عنوانه : جولة بملابس نسوية وأخفاف : A Ride in Petticoasts and Slippers.

20. **ه. هيلديارد : H. Hildyard** ضابط رافق سفارة جون هي إلى مراكش سنة 1882 وكتب عنها[30].

21. **هيو ستوفييلد : Hugh Stuffield** ساح في بعض المدن سنة 1882 و 1885 ونشرت كتبه بلندن وصف فيها طنجة ووزان والقصر الكبير وفاس ومكناس والرباط والصويرة[31].

22. **إدوارد والثيم : E. Waltham** زار فاس ووصف في كتيب طبع سنة 1882 مقامه بها عنوانه : «رحلتنا إلى فاس : Our Journey to Fez»[32].

---

25. رسالة السلطان إلى الطريس في 4 رمضان 1313/18 بيراير 1896، «دار النيابة» ع 4، ص 65.
26. محمد الغربي : «قضية الصحراء...» ص 23 و 81 (نسخة مرقونة).
27. تقرير مينار قنصل فرنسا بطنجة في 15 دجنبر 1916 (نسخة مرقونة) ص 16.
28. روجرز : «تاريخ...» ص 242.
29. مييج : «المغرب وأوربا» ج 1 ص 92.
30. نفسه ج 1 ص 121.
31. أيضا ج 1 ص 169.
32. عبد الحميد لطفي : «مراجع...» ص 302.

23 ـ 24 : س هـ الـن C. H. Allen و ج ف كراوفورد J. V. Grawford وردا على المغرب سنة 1886 للبحث في قضايا الاسترقاق، وكانا على صلة بشركة نورث ويست أفريكان في مسألة الأستيطان التجاري بطرفاية[33].

25. وليام ويلسن هند ـ سميث : W.W. Hind-Smith زار مدينة طنجة وفاس سنة 1886 وله تآليف[34].

26. ن ر س وودفيل : N.R.C. Woodville رسام قضى نحو الشهر بطنجة ثم انتقل إلى القصر السلطاني ونشر سنة 1887 مقالاته[35]..

27. هيرولد كرايطن براون : H. Crichton Browne تجول بالمغرب سنة 1888 أو قبلها وصدرت عليه وصاية[36].

28. جوزيف طومسن : J. J. Thomson وصل إلى المغرب في ماي 1888 وتجول بالأطلس وسوس ونشر سنة 1889 كتاب رحلته بلندن[37] في 488 صفحة عنوانه : «سفريات إلى الأطلس وجنوب المغرب، قصة ارتياد : Travels in the Atlas and Southern Morocco, a Narrative of Exploration»

29. ر م كوسط : R. M. Cust تجول في ربيع سنة 1891 وألف عن رحلته كتابا، فرد عليه بودكيت ميكين[38].

30. وولطر ب هيريز : W. B. Harris ولد بلندن سنة 1860، واستوطن طنجة سنة 1887، ورافق كرين في سفارته إلى مراكش. وكان مراسلا لجريدة «الطايمز» بالمغرب قرابة 40 سنة، وكانت له معرفة باللغة العربية التي كان يتحدث بها. إلا أنه شخص متقلب الأطوار : كان عينا للسفارة البريطانية حتى انفصل عنها سنة 1903، ثم صار عميلا لفرنسا التي وصفته مفوضيتها بالكذاب المختلق. كما أن ألمانيا استخدمته لرصد الأخبار. وقد اندس في حاشية مولاي عبد العزيز، ولعب دورا في حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي. وقد جاب خلال المغرب فزار كلا من وزان وشفشاون وفاس ومراكش[39] وغيرها، وتجول بالنواحي للبحث التاريخي والعلمي. جاء في رسالة كرين سنة 1890 أن «ولطر هريز النجليزي يريد السياحة بهاته البلاد للاطلاع على تواريخها في الزمان الماضي، وعلى مولداتها... وخصوصا فيما يوجد بهاته البلاد من أنواع الأحناش التي فيها الرغبة من علمائنا. وليس من طبقة العسكر، ولا مدخل له في أمور المخزن...»[40]. وكان يطلب الرخصة كغيره ولاسيما لما ذهب سنة 1894 صحبة زوجته إلى فاس[41].

---

33. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 58.
34. أيضا ج 1 ص 121.
35. كذلك ج 1 ص 177.
36. رسالة غريط إلى الطريس في متم صفر 4/1306 نونبر 1888، تطوان 26/28.
37. فيسجيربير : «علي عتبة...» ص 99 وده لامارتنيير : «ذكريات...» ص 241.
38. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 96.
39. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 119.
40. رسالته إلى غريط في 3 يونيو 14/1890 شوال 1307، محفظة المغرب بريطانيا.
41. رسالة الطريس إلى عبد السلام المقري في 24 شعبان 2/1311 مارس 1894، الترتيب العام.

ولم يكن مهتما بالصحافة والبحث التاريخي فقط بل اندس في حمايته للمغاربة. ففي سنة 1893 كان مقدم زاوية تامصلوحت سمسارا له[42].

له مقالات وتصانيف أهمها كتابه : «المغرب البائد» أو «Morocco that Was» الذي تحدث فيه عن السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ وأحمد الريسوني.

31. **هـ كورني : H. Gurney** له رحلتان : الأولى سنة 1891 والثانية سنة 1897. ومع أنه كان من أعضاء جمعية محاربة الاسترقاق فقد كان من أنصار إضفاء الحماية على المغاربة[43].

32. **هيريمان : Harriman** لما كان يجول بنواحي فاس سنة 1891 نهب له أفراد من قبيلة فشتالة أمتعته[44].

33 ـ 34 : **ا ه كليني E. H. Glenny و ج روذرفورد : J. Rutherfurd** زارا المغرب عدة مرات، وقد ألف الأخير منهما مقالات وكتبا عن الحركة التنصيرية[45].

35. **ج ر ب كونينكام : G. R. B. Cunningham** تجول في بعض المدن، وكان بمراكش رفيقا لوالطر هيريز. ورحل إلى تارودانت فاعتقله الكندافي عشرة أيام. وكان مناهضا لكل تدخل أجنبي في شؤون المغرب. وله كتابات ومقالات نشرت في هذا الموضوع في نهاية القرن الماضي[46].

36. **سبليزبوري : Spilsbury** ضابط قضى مدة بطنجة على أنه مندوب عن رابطة المضاربة العالمية بهاته المدينة في رواية أولى، أو نائب عن شركة كلوف فينتشور سنديكيت Glove Venture Syndicate التي كان مقرها بلندن في رواية أخرى.

والحقيقة أن هذا الميجور لم يكن إلا مغامرا ومهربا للسلاح. ففي أواخر سنة 1897 استأذن المخزن في التجارة بالجنوب، وانتظر الجواب، ولما لم يخوله الرخصة اكترى سفينة بريطانية تدعى «تورملين : Tourmaline» وشحن على متنها ميرة وأقواتا، ودس فيها أسلحة وأعتدة عددها 5.000 بندقية وقرابة مليون خرطوشة. وألقت الباخرة مرساتها بنواحي وادي نون (أصاكة في رواية، أو أركسيس في رواية أخرى) وذلك في 17 يناير 1898، ثم نزل إلى البر مخاطبا الرؤساء المحليين على أنه تاجر وعميل لشركة كلوف.

وكان مصحوبا بألماني وإنجليزي وبرتغالي، زيادة على مغامر نمساوي هو كايلينغ، وكان مع الرفقة ترجمان يهودي مغربي. وبلغ الخبر إلى السلطات المخزنية التي وجهت إلى عين المكان السفينة المغربية «الحسني» وعلى ظهرها مائة جندي، ولما وصلت استولت على البضائع المهربة. فأطلق رئيس السفينة الأجنبية عيارات ثم فر. أما الميجور فقد سقط بعد مقاومة شديدة رهن الاعتقال واقتيد مع البحارة، وحملوا جميعا إلى مرسى الصويرة حيث سجنوا.

---

42. مييج : «المغرب وأروبا» ج 4 ص 23 (2) وص 357.
43. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 118.
44. تقييد في شوال 1308 / ماي 1891، الترتيب العام.
45. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 114 و163.
46. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 96.

وقامت قائمة الصحف البريطانية والطارقية من أجل الافراج عنه، وظلت جريدة «جبر الطار كرونيكل»، ولاسيما في أعدادها الصادرة في يوليوز 1898، تنادي بإخلاء سبيله، بل إن أعضاء مجلس العموم استجوبوا الحكومة عن أسباب هذا الاعتقال مطالبين بأن تحال القضية على محكمة بجبل طارق[47].

هذا هو ما جاء في مصادر أجنبية. أما الوثائق المغربية فقد خصصت لذلك مجموعة اقتطف من بعضها ما يحلل ويفصل هاته الحادثة ومثالها، ويرجع تاريخها إلى ما قبلُ قليلا.

قال عامل الصويرة للطريس إنه ظهر مركب بسوس «بسواحل أيت باعمران يدور بين أركسيس وبين إفني. وقد نزل منه إنجليزي كان بمراكش اسمه ميجور. ولما وصل للصويرة تلاقى مع ولد الراطو Ratto وتلاهى عليه وأخذ منه طرفا من المال وجمع بينه وبين رعاع صبوية... وواعدوه بإغراء إخوانهم على قبول دخوله لترابهم وتعيين محل للبناء والحوت...»[48]. وكان هذا تمهيدا للرحلة إلى سوس.

ثم بلغ للمخزن خبر من موشي أفلالو القاطن بإنجلترا بواسطة إسحاق أبنصور أن المركب «تورملين» سيتوجه من لندن إلى مرسى أصاكة يوم 2 دجنبر 1897 وعلى ظهره وسق السكر والشمع والشاي هدية إلى أشياخ سوس[49].

وصدرت الأوامر لقواد سوس ومنهم سعيد الكلولي بجعل الأرصاد والعيون على نائب الشركة الذي يريد الخروج هنالك والذي هيأ مركبا مشحونا بالعدة والقرطوس، زاعما أن له اتفاقا مع كبراء القبائل[50].

وجاء في رسالة علي بن الحاج ذكر لهذا البابور ولحمولته فقال إن «وكيل كبانية النجليز... توجه من اللوندريز مظهرا أنه قاصد ناحية كنارية ومنها لناحية الهند، فتوجه لناحية أخرى من بلاد النصارى واشترى بابورا صغيرا وحمل فيه 10.000 من المكاحل ونصف مليون من القرطوس، ولم يتحقق عدد الآدمي المحمول معه، وتوجه قاصدا النزول بسواحل وادي نون بقصد تفريق العدة بقرطوسها مجانا على من يزعم موافقتهم على النزول هنالك وتكفلهم بصيانته... فقد أخذنا الاحتياط منه...»[51].

وانصرمت مدة ألقي خلالها القبض على خمسة منهم، فكتب نائب إنجلترا إلى المخزن مؤكدا على توجيههم إلى طنجة لاجراء الحكم اللازم عليهم حسبما يستفاد من رسالة طويلة من السلطان إلى الطريس جاء فيها بالخصوص : «وحيث أمعنا النظر في مثال هؤلاء المساجين وهو توجيههم على كل حال رجحنا إجابة رغبتهم الآن لوجوه... وقد أصدرنا أوامرنا الشريفة للخديم الكلولي بتوجيه المساجين وما نزل معهم من بابور الكبانية من العُدة

47. روجرز : «تاريخ...» ص 300 وفيسجيربير : «على عتبة...» ص 89 وكايي : «النوادر المغربية»، السلسلة الثالثة، ص 109 وما بعدها.
48. رسالة علي بن الحاج إليه في 15 ربيع الأول 14/1315 غشت 1897، تطوان 37/81.
49. تقييد في 5 رجب 30/1315 نونبر 1897، تطوان 24/141.
50. رسالة السلطان إليه في 6 شعبان/31 دجنبر، الترتيب العام.
51. رسالته إلى الطريس في 17 شعبان/11 يناير 1898، تطوان 149/98.

والقرطوس والسلعة واصلا ذالك لخدامنا أمناء مرسى الصويرة... ليوجهوا... بحرا في بابورنا السعيد «الحسني» مع مكحلة مثال من العدة إن كانت نوعا واحدا، وإلا فواحدة من كل نوع، وكذالك القرطوس والسلعة ليكون ثقاف المساجين علي يدك ويد نائب جنس النجليز حتى ينعقد مجلس الحكم عليهم وينفذ.

«وقد رشحنا الخديم القائد عبد الله ابن سعيد السلوي لتولية مباشرة الكلام مع نائب النجليز في القضية على أن يكون يتفاوض معك ومع الخديم بناصر غنام فيما يأتي وما يذر.. مشافهة...

«فنأمرك أن تقوم معه على ساق الاهتمام والاعتناء... مع مزيد التيقظ وإيقاد الفكرة لكل ما يعين على إقامة الحجة ليستعد بذالك... في فصل هذا الخطب الهائل، مع عدم قبولكم من الخصم أدنى انحلال فيما اشترطه جانب المخزن من إلزام الكبانية أداء الصائر والذعيرة..

«وقد بلغ علمنا الشريف أن الكبانية المذكورة لازال بابورها يروج في البحر بقصد ترصد الغرة في إنزال ما حمله البابور المذكور من العدة وغيرها بناحية وادي نون إن أمكنها، وإلا فببعض المراسي القريبة من ناحية طرفاية...»[52].

وجاء في رسالة أخرى بعد يومين : «فقد كتب التاجر موشي أفلالُو من الوندريز عدة مكاتيب متواصلة بشرح مالازالت عليه الكبانية النجليزية من التصميم على إنزالها العدة بناحية وادي نون أو بمرسى قرب طرفاية تعرف بالصبنيولية بسانطياكوا...» [53] Santiago .

وهذه رسالة سلطانية إلى الطريس حول المحاكمة والمعاوضة وما نتج عن المذاكرات الأولية فيها : «وشرع ابن سعيد في المباشرة مع نائب النجليز مشافهة... وحصر كلامه مع النائب في طلب المعاوضة والصائر فقط دون تعرض للكلام في مقتضيات الشرع والطبع لئلا يلزم عليه ما يفوت معه تحصيل الغرض المقصود في القضية. وعرفنا ما شرحته من ورود المساجين صحبة البابور «الحسني» ودفعك إياهم لنائب النجليز...

«وحيث كان لابد من نصب الوكيل ليتقوى به وكيلهم على إقامة الحجة... فلتعينوا الوكيل الذي باشر قضية بوصوف، ولتزيدوا إعانة له عبد الحكيم التونسي إن كان لا بأس به في إعانة الوكيل...

«وأما الشهود فقد أصدرنا أمرنا الشريف لعامل الصويرة بتوجيههم بحرا واصلين ليد الخديم الطريس، فلتحضوهم على التثبت في الشهادة طبق ما شهدوا به...»[54].

وتكميلا للحجة وجه عامل الصويرة وأمينا التعشير بها 37 مكحلة وصندوقين من قرطوسها، وجعل الكل في 4 صناديق أرسلت على ظهر المركب الفرنسي لاموز [55] La Meuse.

52. رسالته في 10 قعدة/2 أبريل، تطوان 60/16.
53. رسالة في 12 قعدة/4 أبريل، تطوان 152/24.
54. رسالته في 21 حجة/13 ماي، تطوان 65/16.
55. رسالتهم إلى الطريس في 2 محرم 23/1316 ماي، تطوان 2/82.

④ مــن إسبانيــا

1. فرانسيسكو دومينكو باديا إي ليبليتش : F. D. Badia y Leblich أو علي باي العباسي عميل إسباني ولد ببرشلونة سنة 1766 وتوفي في فاتح شتنبر 1818 ببادية الشام في قلعة البلقاء قرب مدينة الزهراء. تلقى مبادىء العربية بمدريد والعلوم الوقتية بجامعة بلنسية، وتزود بثقافة كبيرة، وكان يعرف عدة لغات كالفرنسية والانجليزية والايطالية.

ولما كان مغرما بالرحلات اقترح عليه كودُويْ Godoy رئيس الحكومة الاسبانية سنة 1801 أن يقوم لصالح لبلاده بجولة استطلاعية بالمغرب، فأجابه إلى طلبه سنة 1802 وأبرما اتفاقا بينهما.

وكان من قبل قد عرض خدماته على وزير خارجية فرنسا ده طاليران de Talleyrand، فكلفه نابوليون بونابارط بأن يقترح على مولاي سليمان مساعدة على استرجاع مليلية وسبتة مقابل الاعتراف به ملكا على إسبانيا، فاتفق ده طاليران مع المغامر وشجعه على عمله، وكتب إلى كييي Guillet قنصل فرنسا بطنجة لكي يشد عضده.

غير أن المصادر لا تدلي ببيان عن خدمته لفرنسا. أما عن تعامله مع إسبانيا فقد بدأ يستعد لرحلته، وخصص ملكها معاشا سنويا لأسرته قدره 3000 فرنك، فسافر إلى لندن وانتحل أسماء مزورة مثل علي باي العباسي أو علي بن الشريف العباسي أو علي بن التاجر عثمان الحلبي وتلقب بالجنرال أو بالشريف العباسي، نسبة إلى خلفاء بني العباس.

وتوجه بعد ذلك إلى قادس فتزيا بزي التجار المسلمين وحل بطنجة في يونيو 1803 مثقلا بالتحف إلى العاهل والأمراء والحاشية السلطانية. وصل إلى مراكش وتظاهر فيها بالتقوى والورع والسخاء حتى أحبه الناس، فكان لا يخرج الصلوات الخمس عن أوقاتها، وكان يقوم في الفجر لأدائها، وكان يطعم كل يوم اثني عشر مسكينا ويكسيهم، وكان يدعي أنه جاء من بلاد الكفر إلى بلاد الاسلام ليختم بها حياته. فظفر بثقة رجال المخزن ورضى السلطان الذي أهدى إليه ضيعتين بالسملالية من أحواز مراكش وجارية بيضاء ووصيفة لها سوداء، غير أنه اعتذر عن الدخول بها، فقال إنه آلى على نفسه ألا يتأهل إلا بعد أداء فريضة الحج، سيما والنساء ثرثارات.

وقد اجتمع بالسلطان عدة مرات فاقترح عليه في واحدة منها منح إسبانيا مينائين على المحيط والانعام عليها بامتيازات اقتصادية لقاء مساعدته على الخارجين عليه، وحاول استدراجه إلى عقد حلف معها. لكنه لم ينجح ولو مرة واحدة في مساعيه، بل كان جواب مولاي سليمان أن عرض عليه قيادة محلة مغربية لمحاربة إسبانيا بسبتة.

وخلال مقامه بالمغرب استوطن مدة مدينة فاس ومكناس، وفي سنة 1804 ذهب إلى الصويرة وأخذ يتخابر مع خصوم السلطان. وكان في تلك الاثناء يتلقى تعليمات من الجهات التي أرسلته والتي أصدرت إليه الاوامر للالتحاق بوجدة لتهييج قبائل المغرب الشرقي، فوصل إليها في غشت 1805 واستقبله بنو يزناسن استقبالهم لولي من أولياء الله.

غير أن الشكوك بدأت تحوم حوله، فارتاب العاهل في نيته ولو لم يشك في صدق إسلامه، ونفس الريبة خامرت قلوب قناصل الدول بطنجة ومنهم ممثل بريطانيا العظمى الذي كان يظنه أحد العلماء الذين رافقوا نابوليون في حملته على مصر. وفي نفس الوقت أخذت إسبانيا تخشى افتضاح أمره، فعدلت في آخر لحظة عن تأييده في مشروعها، واعترض الملك كارلوس على تنفيذه. وهكذا قرر السلطان إرسال محلة إلى المغرب الشرقي لاسترداده، فأعيد عند ما كان متوجها إلى تلمسان، وعومل باحترام، واستأذن مولاي سليمان في الذهاب إلى الحج فسافر من مرسى العرائش في أكتوبر 1805، ومن هاته المدينة حملته سفينة إسبانية إلى مرسى طرابلس (لبنان) فحج وزار ودخل مصر وفلسطين والشام حيث كانت وفاته. وفشل مشروعه فشلا ذريعا[1].

له كتاب في ثلاثة أجزاء يروي فيه قصة رحلاته إلى إفريقيا وآسيا عنوانه : «Viajes por Africa y Asia».

هذا ما ورد عنه في الكتب المطبوعة، أما في الوثائق فتوجد إشارات توضح بعض الجوانب من مغامراته. إذ بعد عقود طويلة راج الكلام عنه وعن متخلفه سنة 1886 في رسالة كثيرة اللحن لادواردو دي كويباس قنصل إسبانيا بالعرائش الذي ذكر فيها للخليفة السلطاني بفاس أنه «فيما مضى من الأزمنة سنة 1220 كان ورد للمغرب رجل يسمى علي بن الشريف العباسي من أرض الشام من مدينة حلاب بقصد زيارة أمير المومنين مولانا سليمان... وكان دخل فاس، وهو الذي وضع ترجمة حصة الشمس بجامع القرويين. وقد ألف في علم التنجيم مالا يزال بالمسجد الأعظم المذكور وبغيره، وقد أخبر بما سيقع في السنين المستقبلة من أوقات الكسوف والخسوف وغير ذلك.

«وبعدُ توجه إلى مراكشة لزيارة مولانا سليمان، فلما اجتمع معه واختبره وجده أحاط بجميع العلوم، فاستحسن الملك حاله، وبالغ في إكرامه وضيافته، ثم نفد له دارا بإزاء المدينة تسمى بالصُّمْغة العالية، وبداخل المدينة دارا كانت لأحد عمال دكالة. ثم أمر له بزوجة تسمى أم هانىء ووصيفة تسمى تيكمو. فأعرض الشريف عنهما لكونه ءَال على نفسه ألا يقرب امرأة مادام في سفره إلى أن يحل محله، فلا زال يساعده أخي الملك بقبولهما إلى أن أدخلهما الدار. فلما بلغ إبان الحج طلبه من السلطان المنصور بالله، فأجابه إليه وبالغ في إكرامه وجهزه إليه.

«فلما بلغ مرسة العرائش نزل بها بأولاده وتركهم بها والزوجة حاملة، وتوجه في البحر إلى حج بيت الله الحرام. فلما قضى مناسكه قصد مدينة اصطنبول، فأكرموه أهلها، ثم سار يجول في الأرض ويسوح في المدائن والبلدان إلى أن أتاه اليقين رحمه الله، فحاز من كان معه حاضر جميع متخلفه، إلى أن ظهرت بمدينة مدريد رسوم ما ترك من الأملاك ببعض

---

1 . ينظر عنه : «مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 19 (3)، وجاك كايي : «نوادر المغرب»، السلسلة الثانية، ص 142 ـ 146، وعبد القادر الخلادي : «علي باي العباسي» في «دعوة الحق» عدد يونيو 1971 ص 167 ـ 171، وعبد الهادي التازي : «حول الشريف العباسي أو الجنرال دومينكو»، نفسها، عدد يناير 1973 ص 141 ـ 143.

المدائن. وأما الزوجة بقت بعده أياما بالعرائش وقصدت مدينة فاس، فاستقرت بها إلى أن زاد عندها صبي يسمي عثمان بن علي الـ [حلـ] بي، فاشتغل بصنعة غزّاز البالي لضعفه وغربته، فلا زال بها إلى أن توفي هذه نحو العشرين سنة أو خمس وعشرون سنة.

«والآن، سيدي، فالمطلوب من سيادتك مبالغة البحث عنه ومطالعة علمنا بما ترك من الأولاد ذكورا وإناثا، وكم عددهم ؟ وما حرفتهم ؟ وبأي محل سكناهم ؟...»[2].

ومثل هذا ورد في رسالة مولاي إسماعيل إلى الطريس بعد ذلك بأيام قليلة، وقد وجه معها نسخة من كتاب القنصل، طالبا منه أن يستوعبه ويخبره هل يساعد القنصل على مطلبه[3]. فكان الجواب «بأن الكلام في مثل ذلك للورثة والشرع، والمخزن عليه التنفيذ»[4].

ولم يرد شيء عن مثال هاته القضية التي تتعلق بإسباني لا بعالم شامي.

وأشير ختاما إلى أن الاسبانيين كانوا قد نصبوا له تمثالا بطنجة لم يزحزح عن مكانه إلا في السنين المتأخرة[5].

2. كليمانتي روخاص : C. Rojas أو **محمد بن علي** كان أستاذا للحفريات وارتبط بعلي باي بصداقة بينهما. وقد وجه تقريرا لأكاديمية التاريخ (لأنه كان متتبعا لحركة الاستكشافات الأثرية بمصر) وفيه ضمن معلوماته وأبدى رغبته في القيام برحلة إلى المغرب ومنه ينطلق إلى أعماق القارة الافريقية التي ارتادها بالفعل في رحلة استغرقت أربع سنوات قطع فيها 18 ألف كيلومتر[6]. ولم أقف على تاريخ حلوله بالمغرب ولا على مكان إقامته أو عبوره.

3. فرانسيسكو دي أريسطيراثو : F. de Aresterazu كان يعرف بسيدي عبد القادر بن الجلالي، وكان أستاذ اللغات، تجول بالمغرب في منتصف القرن التاسع عشر وألف عن تاريخه وعوائده.

4. خواكين كاتيل : J. Gatell أو **القائد إسماعيل** وهو من مواليد سنة 1826، وكانت وفاته بقادس قبل 1879 بسنوات، وخلف مذكرات تولت طبعها الجمعية الجغرافية بمدريد في السنة الأخيرة. وكان محاميا درس القانون بمدينة برشلونة التي تعلم فيها اللغة العربية.

قضى وقتا بالجزائر ودخل المغرب قادما من جبل طارق سنة 1861، وكانت له روابط مع الحاج عبد السلام الوزاني. وقد انخرط بالجيش المغربي سنة 1862، وقام بسياحة في المدن الداخلية والشاطئية كفاس ومكناس ومراكش والرباط وأسفي وتجول بالحوز وأكادير وتارودانت. وخلال وجوده بسوس اعتقل بأولاد تايمة سنة 1868 فتدخل الحاج عبد الكريم بريشة لاخلاء سبيله وتسليمه ليد قنصل بلاده بالصويرة[7].

---

2 . رسالته في 24 جمادى الأولى 28/1303 بيراير 1886، تطوان 23/37.

3 . رسالته في 7 جمادى الثانية/13 مارس، تطوان 8/31.

4 . رسالة في 25 رجب/29 أبريل، تطوان 9/31.

5 . جريدة «العلم» عدد 16 شتنبر 1984.

6 . محمد الخطيب : «حول مقال علي بيه» في «دعوة الحق» العدد 226، ص 8.

7 . فيرناندو بالديراما مارتينيث : «خواكين غاتيل، رحالة المغرب» مقدمة تعريب هذا الكتاب المطبوع بتطوان سنة 1954، وميبج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 113.

5. **خوصي ماريا دي موركا إي موكارتيكي : J. M. de Murga y Mugártegui** أو **الحاج محمد البغدادي** رحالة ولد باسبانيا سنة 1827 وتوفي بقادس في فاتح دجنير 1876. استوطن المغرب من 1863 إلى 1866 ورحل عنه، ثم عاد إليه سنة 1873. دون رحلته التي نشرت عدة مرات أولها سنة 1868 بمدينة بيلباو بعنوان : «ذكريات لمسلم من بيثكايا : «Recuerdos del moro vizcaino»[8].

6. **أنطونيو باريخا سيرادو : A. Pareja Serrado** أو أبو جبل قام سنة 1868 بجولة بالمغرب فزار سبتة وتطوان وفاس وبعض المدن الداخلية وألف كتابا عن «مستقبل إفريقيا»[9].

7. **فيرنانديس دورو C. F. Duro** ولد بإسبانيا سنة 1830 وتوفي سنة 1908، كان عضوا بالجمعية الجغرافية بمدريد. له تآليف ودراسات كثيرة عددها 392 في مواضيع متنوعة. وقد شارك سنة 1878 في أشغال اللجنة المغربية الاسبانية لتحديد موقع سانطا كروث[10].

8. **خيمينيس ساتورنينو G. Saturnino** مكتشف ومراسل لعدة صحف بمدريد منذ سنة 1883. كان وكيلا لألمانيا، وله ضلع في سياستها بالمغرب في بداية القرن العشرين[11].

9. **إيميليو بونيللي : E. Bonelli** ضابط مستعرب اختارته حكومة بلاده لاحتلال بعض مواقع الجنوب، فوصل إلى بوجادور سنة 1884 على رأس طابور، فارضا حمايته على رؤساء القبائل الذين التقى بهم، ومؤسسا مركزا تجاريا ومعملا لتمليح السمك بالداخلة. وكان سفره على متن السفينة الحربية «سيريس Ceres» وصحبه فيها القبطان بيدرو دي لا بوينطي P. de la Puente[12].

10. **فيليبي أوبيلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis** طبيب أقام طويلا بالمغرب الذي ورد عليه سنة 1889 بوصفه ملحقا بالمفوضية بطنجة، وكان بها مديرا لمدرسة طبية، وقام بأدوار مختلفة. كان صحافيا ومراسلا لبعض الصحف الأجنبية، له عدة تآليف[13].

---

8 . المصدر الأخير ج 1 ص 146 وج 3 ص 119 (8).
9 . أيضا ج 1ص 54 و 151.
10. كذلك ج 1 ص 106.
11. أيضا ج 1 ص 114 وكيين : «ألمانيا...» ص 922.
12. محمد بن مصطفى الغربي : «قضية الصحراء...» (نسخة مرقونة) وكذلك مذكرة إسبانيا لدى محكمة العدل بلاهاي، الكتاب الرابع، 1975 (نسخة مرقونة).
13. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 150 وج 4 ص 219 (4).

⑤ من فرنســا

1. أنطوان بوريل : A. Burel. في 16 ماي 1808 بعث نابوليون الأول كتابا إلى دوق بيرك Berg نائبه بإسبانيا يدعوه فيه إلى البحث عمن يكلفه بحمل رسالة إلى السلطان المقصود منها باطنيا إحباط النفوذ البريطاني بالمغرب.

فوقع اختياره على القبطان بوريل الذي كان يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره وكلفه بأن «يلاحظ كل شيء بفاس وفي الطريق بصفته مهندسا»، وبالتقاط جميع المعلومات العسكرية، وبوصف حالة التحصينات وطبيعة الأرض وقوة الجيش المغربي وعدد السكان. وكان بوريل قد شارك من قبل في حملات نابوليون على مصر وإيطاليا، وأصبح في مارس 1808 ملحقا بالقيادة العليا الفرنسية بإسبانيا.

وفي 23 ماي 1808 خرج من مدريد فوصل إلى طنجة يوم 27 منه ووجد في استقباله بها أورنانو Ornano قنصل فرنسا الذي قدمه للغد إلى محمد بن عبد السلام السلاوي نائب السلطان وعامله على الشمال.

وانتظرا الاذن لمقابلة السلطان حتى نودي عليهما. ففي غشت 1808 غادر أورنانو وبوريل عاصمة الشمال قاصدين فاس بعد رجوع السلطان من حركة بجبال الريف. كان الوفد الفرنسي متركبا من ضابطين بحريين ونائبين قنصليين وجراح وخمسة عشر خافرا وثلاثة مستخدمين، فوصل الوفد إلى مكناس يوم 13 غشت وإلى فاس يوم 18 منه.

فاستقبل مولاي سليمان الضابط والقنصل الذي قال له : إن الامبراطور الفرنسي صديق كبير للسلطان، وأن يد الله تهدي نابوليون الذي جمع تحت إمرته الشعوب النصرانية. ثم قدم إليه القبطان الذي جاء محملا برسالة من ملكه والذي خطب أمامه، ثم ناوله رسالة نابوليون إليه، وبعد ذلك انصرفا.

وللغد طلب منهما أن يترجما رسالة نابوليون فترجمت للفور، ثم التمس أورنانو مقابلة خاصة من لدن السلطان، فأجيب بأن شقيقه مولاي عبد السلام سيستقبلهما وأن لهما أن يحدثاه بمثل ما يريدان الكلام فيه مع العاهل نفسه.

وفي عشية 21 غشت تحادثا مع الأمير طويلا، فذكر أورنانو أن المغرب صار شيئا فشيئا مستعمرة إنجليزية، وأن نابوليون يشتكي كثيرا من خضوع مولاي سليمان لأعداء فرنسا، وأن الجنود البريطانيين احتلوا جُزيرة المعدنوس القريبة من سبتة. ثم تكلم بوريل مفيضا في «الصداقة الخائنة دوما» التي يكنها البريطانيون للمغرب.

ولم يكن لكلامهما من جدوى، إذ أجابهما مولاي عبد السلام بأن السلطان لن يدع أحدا يؤثر عليه، وأنه ملازم للحياد المطلق.

وفي مساء ذلك اليوم جاءهما أحد مخازنية القصر ليعلمهما بوجوب الرحيل فورا، فاحتج أورنانو وقال إن في هذا السفر دون توديع السلطان خرقا للعوائد. ثم عُيِّن لهما كاتب

سلطاني ليرافقهما إلى طنجة التي وصلا إليها بعد أيام. وفي 13 شتنبر تلقى بوريل جواب السلطان، وظل بالمدينة إلى أن غادرها يوم 27 بيراير 1809، بسبب الحروب التي كانت بالبحر. وانتهت مهمته بفشل ذريع.

وقد جمع بوريل ما طلبه منه نابوليون من معلومات ودونه في «مذكرة حربية » أتم تحريرها بباريس في شهر أبريل 1810 وقدمها لنابوليون يوم 3 يونيو الموالي. وهي تتألف من 69 صفحة مخطوطة وتنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول يتطرق إلى تنظيم الجيش المغربي الذي كان يتركب من 36 ألف جندي، نصفهم بواخر و8 آلاف من الوداية و10 آلاف من كروان والعرائش وطنجة والصويرة وتارودانت. وكانت أجرة الفارس 54 فرنكا في السنة وأجرة المشاة 40 فرنكا في السنة لكل واحد. ولم يكن للجنرال المغربي أي زي عسكري، وكان سلاح الجيش متألفا من مكاحل خفيفة وسيوف وخناجر، وكان للطبجية مدافع سويدية صغيرة.

ويشتمل القسم الثاني من مذكرته على «استطلاع حربي». فقد شاهد بوريل التحصينات والأبراج وعرض الأنهار ووسائل قطعها والوصول إلى ضفافها، وكان مروره عن طريق أصيلة والعرائش والقصر وسيدي قاسم ومكناس وفاس. وتحدث عن طنجة فقدر سكانها بخمسة آلاف نسمة منهم 150 أوربيا و800 من اليهود، واعتبر سكان القصر الكبير عشرة آلاف متجمعين حول 14 صومعة، وجعل عدد أهل مكناس أربعين ألفا، وفاس ثمانين ألفا، منهم 5 آلاف يهودي وكثير من الصباغين والدباغين. أما أصيلة فهو يقدر سكانها بـ 100 يهودي وقليل من المسلمين. وقال إن بالعرائش كنائس بناها الاسبانيون. وعن تطوان ذكر أن سكانها ثمانية وعشرون ألفا وأنهم يتاجرون مع قادس وجبل طارق. وقدر مجموع سكان المغرب بعشرة ملايين و800 ألف نسمة.

وفي القسمين الباقيين تحدث عن البحرية والسكان والتجارة والمناخ فقال إن لمولاي سليمان أسطولا ضعيفا متركبا من فركاطة واحدة صغيرة وأربعة مراكب وثمانية قوارب للتجديف.

ومن هذا يظهر أن بوريل أعد مذكرة لغزو فرنسا للمغرب[1].

2. **شارل كوشلي : Ch. Cochelet** ألف كتابا روى فيه قصة أسره وحياته بالمغرب لما حَرِضَت الباخرة «لاصوفي : La Sophie» يوم 30 ماي 1819 بساحل وادي الذهب بين طرفاية وبوجدور، فاستطاع طرف من طاقمها الذهاب إلى جزر الكناريا، بينما سقط الستة الباقون أسرى في يد الصحراويين وهم زيادة على المؤلف : الكومندان شول Scheult والقبطان سوزا Souza والليوتنان شالومو Chalumeau والبحار أفيلي Affilé والبرطقيزي ميشيا Miscia.

ويحكي جاك كايي نقلا عن المؤلف أن السكان لم يكونوا يحسنون معاملتهم. ولا إطعامهم وأنهم ظلوا 18 يوما ينقلون إلى البر حمولة «لاصوفي»، ثم صار السجناء ملكا لرئيس

1. جاك كايي : «النوادر المغربية» السلسلة الثانية، ص 147 - 154 باختصار، وله كتاب حقق فيه مذكرات بوريل عنوانه : «مهمة القبطان بوريل بالمغرب سنة 1808».

صحراوي يسمى سيدي أحمد الذي سافر بهم يوم 17 يونيو في الفيافي طيلة أسبوعين متجرعين الجوع والعطش والتعب إلى أن باعهم بألفي فرنك - زيادة على النوق والحياك - إلى الشيخ بيروك الذي وصلوا إليه يوم 2 يوليوز، فأقاموا بالقصابي نحو ثلاثة أشهر، أجرى خلالها السلطان مفاوضات لأجل الافراج عنهم الذي تم يوم 29 شتنبر، فغادروا وادي نون إلى تارودانت والصويرة حيث استرجعوا يوم 13 أكتوبر مركبهم وحريتهم.

وذكر كوشلي حالة السجناء ومرضهم وعذابهم فقال إن الشيخ بيروك كان يبر بهم أحيانا مثلما كان يفعله واحد من القبيلة اسمه عمار وآخر من حراس العراصي.

وقد كتب المؤلف إلى قنصل دولته بالصويرة رسالة حملها يهودي اسمه مناحيم كان يسهر على المفاوضة لتحريرهم. فقد كان السلطان قد أمر عامل سوس بإطلاقهم، وأديت عن كل واحد منهم فدية 500 قرش فغادروا وادي نون برفقة عشرة أشخاص، منهم صديقهم عمار والقائد عبد الكريم وعبد الله بن هاشم نجل القائد المحلي. وكانوا قد أصيبوا بهزال في بدنهم، ولم تكن ملابسهم إلا أسمالا، وكانوا يمتطون بغالا ذات برادع حتى وصلوا إلى دار القائد هاشم فأحسن استقبالهم وقدم لهم كؤوس الشاي وأطباق الكسكس والعسل وتحادث معهم إلى الهزيع الأخير من الليل. وصادف وصولهم يوم ثاني أكتوبر عيد المولد فاستراحوا. وفي العشي أحضر لهم مناحيم أحذية انتعلوها بعد أن كانوا قد ظلوا حفاة أكثر من ثلاثة أشهر، وسلم إليهم عدة رسائل واحدة منها من لدن القنصل الفرنسي إيدوار سوردو. وكان مرض البرطقيزي ميشيا مدعاة لتأخير سفرهم. واستقر الرأي أخيرا على حمله على ظهر بغلة يوم 5 أكتوبر. وبعد يومين وصلوا إلى تارودانت حيث ذهبوا إلى عرصة القائد الجيلالي وقضوا فيها خمسة أيام وفيها التقوا بعلجين إيطالي وإسباني.

وفي اليوم ذاته جاء الجيلالي يخبرهم بأن مولاي سليمان هو صاحب الفضل في تسريحهم. وفي 8 أكتوبر غادروا تارودانت مارين بأكادير إلى الصويرة التي وصلوا إليها يوم 13 أكتوبر، وصاروا أحرارا بعد أربعة أشهر ونصف من الأسر، وأبحروا إلى طنجة حيث مكثوا شهرين بسبب طاعون كان يجتاح المغرب. ولم يبارح كوشلي وأصحابه المدينة إلا يوم 23 يناير 1820 قاصدين مرسيليا.

وقد طبع كتابه بباريس سنة 1821 في مجلدين بعنوان : «حَرَض المركب الفرنسي لاصوفي : Naufrage du brick français La Sophie»[2].

3. **رني كايي : R. Caillé** ولد سنة 1799 وتوفي سنة 1838، وكان أول أروبي زار تمبوكتو. جاب أطراف الصحراء حتى تلك المدينة في يبراير 1828. وبعد أن قضى مدة هنالك التحق في شهر غشت بقافلة كانت ذاهبة إلى فاس، ومنها التحق بطنجة حيث أبحر إلى مدينة طولون يوم 7 شتنبر. وقد أكرمته حكومته لكونه وصف تمبوكتو وصف عيان.

---

2. نفس المصدر ص 155 وما بعدها باختصار.

ولما كان بالمغرب تجول في بعض مدنه لابسا لباس المسلمين ومتظاهرا بالاسلام. وقد وصل إلى الرباط يوم 19 غشت قادما من مكناس على ظهر حمار، وقضى بالمدينة 14 يوما قبل أن يمتطي حمارا اكتراه للسفر إلى طنجة[3].

4. **أدولف ده كارامان** : A. de Caraman رحالة تجول بالمغرب من أبريل إلى يونيو 1825، وهو ضابط استدعاه قنصل فرنسا بطنجة سوردو لمرافقته إلى فاس لتسليم رسالة الملك شارل العاشر إلى السلطان مولاي عبد الرحمان. وله تقاييد ومذكرات عسكرية[4] عن الجزء الذي تجول فيه بالمغرب نشرت سنة 1844.

5. **أوجين دلاكروا** : E. Delacroix رسام ولد سنة 1798 وتوفي سنة 1863. كان عضوا في سفارة الكونط ده مورني de Mornay قنصل فرنسا إلى السلطان سنة 1823. وصل إلى طنجة في يناير وخرج الوفد منها يوم 5 مارس ليصل إلى مكناس يوم 10 منه مرورا بأحد الغربية والقصر الكبير وسوق أربعاء سيدي عيسى ابن الأحسن وسيدي قاسم بوعسرية وزرهون، وظل بمكناس مع الوفد. ولما أدت السفارة واجبها رجع معها. له لوحات شهيرة، كما أن له لوحات رسمها خلال مقامه القصير بالمغرب. وله أيضا دفتر مذكراته طبع سنة 1893 بعنوان : «يومية السفر إلى المغرب : Journal du voyage au Maroc».أما رسائله فقد نشرت سنة 1880[5].

6. **سيكور - دوبيرون** : Ségur-Dupeyron طبيب وصل الى طنجة سنة 1836 والف عن الاوبئة والمجاعات التي لحقت المغرب من 1700 إلى 1839[6].

7. **ريمون طوماسي** : R. Thomassy له تأليف عنوانه «العلاقات السياسية والتجارية لفرنسا مع المغرب» طبع عدة مرات ابتداء من 1840 بفرنسا[7].

8. **شارل ديدي** : Ch. Didier تجول بالمغرب فحل بطنجة ثم انتقل إلى تطوان ونزل بالملاح، وأخيرا عاد إلى طنجة ليرحل إلى جبل طارق، وكان كل ذلك قبل موقعة يسلي. له مقالات نشرت بمجلة «لي دو موند : Les Deux Mondes» تحامل فيها على المغرب ونادى بسياسة القوة، ونشر سنة 1844 بباريس كتابه : جولة بالمغرب : Promenade au Maroc[8].

9. **ري** : Rey نشر سنة 1844 كتابه : ذكريات رحلة إلى المغرب : Souvenirs d'un voyage au Maroc. وقد ساح قبل السنة المذكورة فدخل طنجة والدار البيضاء ومكث عدة أسابيع بالرباط وحل بسلا مرة واحدة. وكان متنكرا بجلابة ورافقه رجال من

---

3. أيضا ص 144 وما بعدها، وشكيب أرسلان في تعليقه على «حاضر العالم الاسلامي» الجزء الأول ص 261، وكذلك مييج : «المغرب وأوروبا» ج 2 ص 23.
4. المصدر الأخير ج 1 ص 83.
5. لبيل : «المسافرون...» ص 105 و119 وكايي : «النوادر» ص 188.
6. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 167.
7. أيضا ج 1 ص 171.
8. نفسه ج 1 ص 110 ولبيل : «المسافرون...» ص 126.

أصحابه. مر بمهدية في طريق عودته إلى طنجة. وبأصيلة لقي علجا فر من جيش الجزائر. وتحدث عن اليهود الذين قال عنهم إنهم كانوا يُخملون على اعتناق الاسلام، وعن يهودية ذكر أنها أسلمت ثم ارتدت فحكم عليها بالموت[9].

10. أليكساندر دوما (الأب) : A. Dumas الروائي المولود سنة 1802 والمتوفى سنة 1870. قدم إلى المغرب سنة 1846 وتوقف بطنجة ومليلية، وكان مكلفا بمهمة من لدن وزير التعليم الفرنسي. وكان برفقته ابنه وسميُّه المتوفى سنة 1895. وتحدث قليلا في كتابه «له فيلوس : Le véloce» عن رحلته[10].

11. فانساندون دوملان : Vincendon-Dumoulin مهندس وصل سنة 1854 ضمن بعثة فرنسية للبحث عن الماء. وكان مرفوقا بمهندسين آخرين، فمسحت البعثة التي كان يرأسها القنصل شارل ياجرشميد منطقة الشمال بين طنجة وسبتة، وكانوا متظاهرين بالقنص يوم 13 دجنبر ووصلوا إلى مارتيل يوم 20 منه[11].

12. نارسيس كوط : Narcice Cott كان ترجمانا لقنصل فرنسا بالرباط حيث مكث سنة 1854 و1855 ثم انتقل إلى طنجة حيث قضى سنتين. له تأليف نشر سنة 1859 بباريس[12] عنوانه «المغرب المعاصر : Le Maroc Contemporain ».

13. جان إيرمان دارلاش : J. Herman d'Arlach ألف دارلاش أودارلاك سنة 1856 كتابا عنوانه «المغرب والريف Le Maroc et le Rif». وكان من 1853 إلى 1856 موظفا بقنصلية فرنسا بطنجة[13].

14. أميدي فيكطور باربيي دوبوكاج : A. V. Barbier Dubocage نشر سنة 1861 كتابه «المغرب : Le Maroc» طالب فيه بتحالف فرنسا مع إسبانيا[14].

15. إيميليان جان رينو : E. Jean-Renou له تصنيف جغرافي صدر سنة 1864 بباريس مطلع عنوانه : «وصف جغرافي للايالة المغربية...» متحدثا فيه عن إقليم سوس وغيره[15] من النواحي التي لعله ساح فيها.

16. بنجامان بالانسا : B. Balansa عالم نباتي قدم لاتمام البحث الذي أجراه قبله الدكتور ف. كاسون F. Cassone عن نباتات الأطلس الكبير الشمالي. وصل إلى الصويرة يوم 12 أبريل 1867 وغادرها إلى مراكش في 12 ماي متنكرا بزي مغربي، وبها لقي مواطنه بول لامبير، ثم توجه إلى بلاد حاحة فاستقبله قوادها ونصحوه بعدم المغامرة. ومع ذلك ذهب إلى

---

9. المصدر الأخير ص 122 ـ 126 باختصار.
10. أيضا ص 129 ـ 134 بتلخيص.
11. كايي : «النوادر» ص 50 ـ 54.
12. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 94.
13. نفسه ج 1 ص 63 وجان إيس : «قضيه المغرب» ص 29.
14. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 68.
15. شارل أندري جوليان : «المغرب...» ص 511.

إيمين تانوت ثم قصد وادي القيهرة فاستقبل استقبالا لائقا. ولما وصل إلى تامصلوحت لقي حفاوة من مولاي سعيد. وقد أوصاه لامبير بالرحيل إلى أسني للاقامة بزاوية مولاي إبراهيم حيث يمكنه متابعة نشاطه العلمي، فوصل إليها في فاتح يونيو. غير أن مولاي سعيد ما لبث أن وجه إليه رسالة يحثه فيها على الرجوع إلى مراكش على عجل. وأثناء الطريق التقى يوم 4 يونيو بجماعة كان على رأسها إبراهيم الجراوي عامل المنشية بمراكش، فضرب أفرادها البغالة وجردوهم من سلاحهم وأمتعتهم. ولما استظهر لهم بتوصية رسمية خف غضب العسكر عنه وردوا له أمتعته، والتحق العالم بمنزل لامبير، وراجت إشاعات عن مصرع بالانسا الذي غادر مراكش يوم 7 يونيو. ولما قص العالم ما وقع له كذبوه. إلا أن إيمي داكان وزير فرنسا وبوميي قنصلها بالصويرة طالبا بمعاقبة المعتدين الذين أخبر المخزن بأن سبعة منهم قد سجنوا بعد ذلك بثمانية أشهر.

هذا وقد خلف العالم بحثا نشر بالمجلة الاجتماعية والجغرافية بباريس عنوانه «رحلة من الصويرة إلى مراكش : Voyage de Mogador à Maroc»[16].

هذا ما جاء عنه في مصادر أروبية. وهناك رسالتان مخزنيتان تتحدثان عنه، تقول الأولى «بأن طبيبا من الافرنصيص ظهر بجبال دير مراكش وطاف بها حتى وصل إلى وادي القيهرا وطلب من بعض الأشياخ هناك أن يعطيه من يطوف معه على جبال سكساوة ودويران فلم يساعده وآل أمره إلى الدخول لمراكش بعد أن لقي في طريقه جماعة من الجهال ما سلم منهم إلا بمشقة.

«فلا بد تكلم مع نائب جنسه في ذلك وأعلمه أن هذه الجبال لا يسلكها إلا أهلها ولا يقدر أحد من أجانب المسلمين يمر بها فضلا عن غيرهم من النصارى، وأكد عليه في الاسترعاء عليهم وإعلامهم أن تلك المحال لا تسلك، ومن سلكها وأصيب فمصيبته في نفسه، لأن سكانها أجلاف عتاة لا يجري عليهم ما يجري على غيرهم من الأحكام...»[17].

وجاء في الثانية في شأن «النصراني الفرنصيصي الوارد على يد مخزنهم للبحث عن العشب وأنواع النبات... فاعلم أن الملامة على ابن المشاوري، إذ كان من حقه حيث كتبت له وبينت له أمره أن يكتب لقواد الدير ويبصرهم بأمره ليقفوا معه ويوجهوه للمواضع المأمونة في الجبل، لأنه صعب وأهله كذلك... وأما القائد ابراهيم فلا علم عنده حتى سمع به وخشي أن يلحقه أحد بسوء، فبادر حينئذ بتوجيهه من أتى به للمدينة...»[18].

17. **هنري رينيو : H. Regnault** أقام هذا الرسام بطنجة من دجنبر 1869 الى أواسط سنة 1870، وتوفي مقتولا بضواحي باريس يوم 19 يناير 1871.

---

16. كايي : «النوادر...»، ص 79 ـ 82 وده لامارتنيير : «ذكريات...» ص 244 ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 67.
17. رسالة السلطان إلى بركاش في 17 صفر 20/1284 يونيو 1867، خ ع بالرباط.
18. رسالة السلطان إلى بركاش في 2 ربيع الأول / 4 يوليوز، محفظة فرنسا 2.

قدم إلى طنجة يوم 13 دجنبر 1869 واكترى منزلا بعشرين فرنكا في الشهر وأثثه تأثيثا مغربيا واتخذ لخدمته عددا من المغاربة. وكان يرسم لوحاته المغربية ويبحث عن الموسيقى والفولكلور الوطني ويحضر مهرجانات التبوريد. وحاول أن يتعلم العربية وأن يهتم بالتقاليد والعوائد المغربية[19].

18. **الدكتور بليشي : Dr Bleicher** طبيب وعالم بيولوجي من مستشفى وهران رافق تيسو سنة 1874 في سفارته من طنجة إلى مكناس. وفي سنة 1875 نشر كتابا عنها بعنوان : «رحلة إلى المغرب : Un voyage au Maroc»[20].

19. **ديكوجيس : Décugis** طبيب من البحرية صاحب ده فيرنويي في سفارته سنة 1877، فخرج الوفد إلى فاس مرورا بالغرب وزكوطة، وكان رجوعه عن طريق مكناس. كان الزائر يقرأ ترجمة «روض القرطاس» خلال الطريق. وقد خلف أبحاثا ودراسات نشرتها الجمعية الجغرافية بباريس سنة 1886 و1887. كما أنه ألف عن رحلته كتابا نشر سنة 1878 بعنوان : «قصة رحلة إلى داخل المغرب : Relation d'un voyage dans l'intérieur du Maroc»[21].

20. **«الأمير» عبد الله بن علي : F. Joly**.فرديتان جولي مغامر ادعى أن اسمه هو عبد الله بن علي. وقد فر من اللفيف الأجنبي، وجاء إلى المغرب سنة 1879 زاعما أنه شقيق مولاي الحسن وأنه كان مسجونا عند المارشال بوجو فاختطف منذ صغره أي منذ معركة يسلي سنة 1844. وكان يريد بذلك المطالبة بحقه في العرش أو على الأقل أن يعترف السلطان بأنه فعلا أخوه. لكن عبد الله بن كالي (أو علي) ماكان إلا أميرا مزورا ومشبوها، فهو فرنسي صدرت عليه أحكام من القضاء الفرنسي مرات متعددة، وكان يقول أيضا إنه إنجليزي ومن رجال الصناعة. وكان إلى هذا وذاك عميلا للحكومة الألمانية[22]. وقد ألقي القبض عليه حوالي 1879 حتى مات بطنجة لأنه «كان يطلب كرسي مملكة مراكشة. فكان مسجونا في طنجة ومات بالسجن»[23] وكانت له علاقة بكايلينغ.

21. **الكونط ده شافانياك : de Chavagnac** من مواليد سنة 1843، حل بطنجة سنة 1882، واندس في مغامرات ورديكة والحاج عبد السلام الوزاني. وكانت له روابط مع رجال الأعمال بفرنسا ومع البنك الاسرائيلي بطنجة ومع الأوساط الصحفية بهاته المدينة حيث كان مراسلا لعدد من المجلات والصحف الخارجية.

---

19. كايي : «النوادر...» ص 83 ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 158.
20. المصدر الأخير ج 1 ص 77 ولبيل : «المسافرون...» ص 156.
21. جان إيس : «قضية المغرب» ص 28 ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 98.
22. فيسجيربير : «على عتبة...» ص 89، وكايي : «النوادر...» ص 109، ومييج : «المغرب وأوروبا» ج 3 ص 481 (9) وج 4 ص 172 (8).
23. رسالة إلى غريط في 10 ماي 6/1886 شعبان 1303.

وله عدة رحلات إلى مختلف أنحاء المغرب مثل فاس ووزان ووجدة والريف ودون مشاهداته في كتب أصدرها. ولما كان تاجرا كان له عدد من المحميين والسماسرة بلغوا بطنجة وحدها 19 شخصا، زيادة على عشرات الخلطاء والرعاة[24]. كما أنه كان منقبا عن المعادن كما سيأتي.

وترددت في الوثائق المغربية أصداء محاولات ده شافانياك. فمن ذلك رسالة بركاش إلى السلطان سنة 1884 «في شأن ما حدث بقبائل الريف المجاورة لبادس بسبب توجه الكوندي الفرنصيصي، وبينا لسيدنا أيده الله مادار بيننا وبين باشدور الفرنصيص في ملاقاتنا معه بالأمس». وقد «وجه لنا في يوم تاريخه طالبا منا الملاقات معه ذاكرا..أن ما صدر من جانب المخزن ـ من الاذن للقبائل الريفية بمنع الكوندي من النزول ـ فيه مهانة لهم ومخالفة للشروط، وأن المتسبب في ذلك هو خديم سيدنا القائد محمد أمقشد... وبسبب ذلك يطلب عزله من الخدمة المخزنية، ويطلب نقض الاذن الذي توجه لتلك القبائل بالمنع... وإن لم نقبل منه هذه المطاليب لمدة اثني عشر يوما فلا يبقى له كلام معنا، ويكتب على مركب ليركب متوجها لحاله حتى تعرف معاملتنا مع رعية الفرنصيص، وزاد أنه لا يريد أن يكون على يده توجه مراكبهم للريف، وينزلون هناك، ويملكون الأرض، ولا يخرجون منها حتى تؤدى لهم الملاين مثل ما جعل الصبنيول».

وختم بركاش رسالته عن تصلب أورديكة في تأييد الكونط بقوله : «والذي ظهر لنا... على ما رأينا من التشديد بالمنطوق والمفهوم أنه إذا لم يجعل سيدنا أعزه الله لهذا الأمر الدواء النافع الذي فيه المساعدة فإنه ينتج مالا تستحسن عاقبته...»[25].

وتذكر رسالة أخرى أن الكونط رجع بحرا بعد ذلك بأيام من مرسى بادس إلى طنجة[26].

وكانت هاته الجولات بقصد التنقيب عن المعادن حسبما تقدم من أنه كان ذا روابط مع رجال الأعمال بفرنسا. وتشير رسالة سلطانية سنة 1887 إلى «رجوع الكُنْدي لجبل الحمام ببني ورياغل... فإن الكُنْدي كان أنزل إقامة خدمة المعدن بجبل الحمام المذكور. ولما وقع الكلام معه في ذلك رجع فيه للقوانين والشروط، ونهض منه...»[27].

22. **الكونط بيران ده لابراد : Pyrent de la Prade** قام برحلة إلى المغرب سنة 1881 و1882 ونشر كتابا عنها[28].

23. **بيير داطانو : Pierre d'Attanoux** ضابط استقال من الجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1880، وقام بعد ذلك بأسفار إلى المغرب ابتداء من سنة 1884. وكان مراسلا لعدة صحف فرنسية منها جريدة له طان : Le Temps[29].

---

24. مييج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 88 وج 4 ص 53 (6) ولبيل : «المسافرون...» ص 169 (1).
25. رسالته في 12 ربيع الثاني 1 10/130 يبراير 1884، محفظة فرنسا.
26. رسالة محمد العسري إلى السلطان في 11 جمادى الأولى 9/1301 مارس 1884، الترتيب العام.
27. رسالته إلى الطريس في 27 جمادى الأولى 21/1304 يبراير 1887، تطوان 49/5.
28. مييج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 157.
29. نفسه ج 1 ص 64.

24. **الدكتور مارسي : A. Marcet** رافق أورديكة في ربيع سنة 1882 أثناء سفارته لدى السلطان بمراكش. وقد ألف عن ذلك كتابا في 300 صفحة نشره سنة 1885 عنوانه : المغرب : رحلة بعثة فرنسية إلى قصر السلطان[30] Le Maroc; voyage d'une mission française à la Cour du Sultan. إلا أن الصحافي البريطاني بودجيت ميكين انتقد هذا الكتاب انتقادا سريعا ومُرا في تأليفه المعنون «الايالة المغربية»[31].

25. **الفيكونط شارل أوجين ده فوكو : Ch. E. de Foucauld** ولد بمدينة سطراسبورغ سنة 1858 وتوفي مغتالا في فاتح دجنبر 1916 بواحة تمناراست بالجنوب الجزائري حيث كان قد اتخذ لنفسه ديرا منذ سنة 1905.

وهو من الأغنياء وينتمي إلى طبقة النبلاء، وعاش بإفريقيا مدة تزيد على ثلث قرن. فبعد أن تعلم بالمدرسة العسكرية سان سير، التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1880 برتبة ليوتنان. وكان يقضي ليالي حمراء بمدينة سطيف حتى ذاع خبر فسوقه، فعزل من منصبه أو استقال منه. ولكنه ندم على فجوره، فترهب سنة 1883، ثم اعتكف على اللغتين العربية والعبرانية يدرسهما، واختلف إلى خزانة الجزائر وأكمل تعلمه بواسطة قيِّمها أوسكار ماك كارتي : Oscar Mac Carthy الذي كان شغوفا بمعرفة أحوال شمال إفريقيا، فدرس الخرائط والطرق والمسالك، واطلع على كتب الجغرافيين القدماء. وفي سنة 1883 استأذن للقيام برحلة استكشافية. فلما لم يرخص له استقال من الجيش نهائيا ثم رحل.

ولما عول على السياحة والضرب في أطراف المغرب أسمى نفسه الحبر كوفو Couvaud في رواية، أو يوسف أليمان Aleman اليهودي المضطهد في زعمه بولاية موسكو الروسية في رواية أخرى، ثم زوده ماك كارتي بيهودي مغربي اسمه مردوخي أبي سرور ليرافقه في الطريق.

وكان له لباسان من أجل التنكر في أرض لا يقبل فيها النصارى، فكان مرة يرتدي لباس المسلمين، ومرة أخرى لباس اليهود. وهكذا وصل إلى طنجة في 20 يونيو 1883 صحبة مردوخي، وأعانه حاييم بنشيمول بتوصية لدى اليهود في شتى المدن.

قسم رحلته ثلاثة أقسام أو مراحل :

أ. فعبد الاقامة بطنجة رحل إلى تطوان حيث مكث عشرة أيام لمعرفة المدينة، ثم ذهب إلى شفشاون وبعدها دخل لمدينة فاس حيث حمله شهر رمضان على الاستراحة بها ستة أسابيع. وغادرها يوم 23 غشت قاصدا مكناس وبلاد زمور وزَيان وقضى 11 يوما بقصبة أبي الجعد. ومن ثمة توجه إلى قصبة تادلة ومكث أسبوعا بواويزغت قبل الوصول إلى دمنات، وقطع جبال الأطلس الكبير مرورا بتلوات يوم 14 أكتوبر، واستراح 7 أيام بتيكَرت ووصل إلى تاسينت يوم 14 نونبر.

---

30. أيضا ج 1 ص 139.

31. لبيل : «المسافرون...» ص 157.

ب. وفي المرحلة الثانية انتقل إلي وادي درعة ودخل طاطا وأقا. وفي يناير 1884 نفذت أمواله، فانطلق إلى الصويرة مارا بإيصافن وإيلالن، ورجع إلى تاسّينت يوم 31 مارس عن طريق سوس، وجلس بها حتى 6 أبريل.

ت. المرحلة الثالثة ابتدأها بالانطلاق إلى جبل صاغرو ووادي دادس وتوذغة، فوصل إلى قصر السوق ووادي زيز، ومن ثمة قصد وادي ملوية والتحق بالقصابي وأولاد الحاج ودبْدو ووجدة التي غادرها يوم 23 مايو 1884 إلى مدينة مغنية[32].

وحدثت له وقائع أثناء جولانه. فلما كان بأبي الجعد عرفه الحاج إدريس بن عمر من آل سيدي بنداود، وذهب به لزيارة بني ملال.وفي تاسينت قَراه الحاج بورحيم. وكاد يموت في الطريق بوطاء أولاد الحاج بين دبدو ووجدة: فقد تعرض له مغربيان سلباه ما كان يملك، ولم يتركا له إلا مذكراته وأوراقه، لولا أن بلقاسم الحمّاني الذي هو من تلك الناحية أنقذه منهما. وكم مرة كاد يفتضح شانه.

وهكذا دامت رحلته بأقسامها الثلاثة من 20 يونيو 1883 إلى 23 مايو 1884 قطع خلالها 2.950 كيلومترا، وخولت له سنة 1885 ميدالية عن رحلته، وانصبت سياحته على الأقاليم التي كانت سائبة. وكان له كنينش في باطن يده طوله 5 سنتميترات وقلم في راحة يده اليسرى يكتب به[33].

كان الراهب ده فوكو رجل استخبار لا مثيل له، فربط الاتصال برجال الطرق وبأعضاء البعثة الديبلوماسية الفرنسية. وكانت بغيته تنصير أهل المغرب الذي كان يغار أن يسكن به «من ثمانية إلى عشرة ملايين من الناس دون قسيس واحد» على حد تعبيره[34]. ويقال إنه لم يكن بهذا الوصف، فقد أظهر إعجابه بالاسلام، ولو أنه لم يرد اعتناقه.

وفي سنة 1888 نشر كتابه بعنوان استطلاع بالمغرب : Reconnaissance au Maroc، وهو كتاب قيم، لكن عيبه أنه كان يستقي معلوماته ممن لم يكن موثوقا بهم، ولاسيما أن وقت تجواله تطابق مع إبان أزمة اقتصادية خانقة[35].

26. **رني باسي** : R. Basset مستشرق ومن أعضاء المجلس العلمي العربي، ولد سنة 1855 بفرنسا، وتوفي سنة 1924 بالجزائر[36].

له تآليف منها «المخطوطات العربية لخزانتين فاسيتين[37]: «Les manuscrits arabes de deux bibliothèques de Fès نشر سنة 1882. وله أخرى وضعها سنة 1883 و1885 و1901 منها «محاولة في الأدب البربري»، طبع بعضها بالجزائر.

32. بول لسور : «الوجه الحقيقي للأب فوكو» ص 67، وجاك كايي : «النوادر...» ص 89 و98 ولبيل : «المسافرون...» ص 187.
33. جاك كايي : «النوادر...» ص 89.
34. عز الدين العراقي : «شارل دي فوكو» في «البينة» دجنبر 1962 ص 62.
35. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 110.
36. خير الدين الزركلي : «الاعلام...» ج 3 ص 69.
37. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 69 وكذلك «فاس، كشاف المراجع» ص 19.

قدم إلى المغرب سنة 1883، فكتب وزير فرنسا إلى الحاج عبد الكريم بريشة يوصيه خيرا به : «حامله إليك منّي باسي من باريز، وهو رجل عاقل حاذق عالم، وقدم للمغرب وأراد أن ينظر مدينتكم، بقصد البحث على اللسان العربي وعلى الكتب القديمة»[38].

27. **ج. فالبير** : G. Valbert زار المغرب قبل سنة 1884، وألف عن رحلته كتابا عنوانه «مسافر فرنسي إلى المغرب : Un voyageur français au Maroc» نشره في تلك السنة بمجلة «لارفي دي ده موند»[39].

28. **رحالة** لم يذكر اسمه ولعله فرنسي ورد خبره في رسالة أحمد العبوبي السرغيني أحد القواد المكلفين بحراسة شواطيء أيت باعمران سنة 1884 تقول : «إن نصرانيا ورد في بابور للفرنصيص بالصويرة... ونزل بها واكترى البهائم وتزيا بزي المسلمين وتوجه لهذه النواحي السوسية، وأمرتني... بأن نبالغ في البحث عنه والتنقيب عن وجه توجهه لهنا... ووجهت من وجدته معي من الأصحاب وغيرهم تلك الساعة لكل ناحية ظننت التماس خبر عنه فيها وجعلت الأرصاد عليه بكل موضع...

«ليعلم سيدي بوقوفنا... ولا وجدنا عنه خبرا هنا على التحقيق، إلا أن النصراني المذكور خرج من الصويرة بلا شك على الكيفية المذكورة حتى بلغ لبلد هشتوكة، ومن ثمة انقطع خبره... فقد طرقت أسماعنا أن خمسة نفر ببهائمهم ظهروا لناحية الشرك يدعون الشرف، وباتوا ليلة بتزروالت وليلة بدار الحاج أحمد التمنارتي وتوجهوا لوادي درعة، وما درينا حقيقتهم...»[40].

29. **كابريال شارم** : G. Charmes كان محررا بجريدة «له جورنال دي ديبا : Le Journal des Débats». وقد رافق فيرو في سفارته لدى السلطان، وألف عن رحلته كتابا بعنوان «سفارة إلى المغرب : Une ambassade au Maroc» وقد مات سنة 1886 ولما ينته منه. ولكنه نشر في السنة الموالية، ويقع في 350 صفحة. وفيه حكم حكما قاسيا على المغرب والمغاربة. وكان قبل ذلك قد زار تركيا وفلسطين وتونس[41].

30. **م ل لودوفيك ده كامبو: M.L. Loudovic de Campou** مهندس مدني قدم سنة 1885 من اجل بحث مائي وجيولوجي بالمغرب لاسيما في حوض ملوية[42]. وله تاليف عن تنظيم المغرب واقتصاده[43]، نشره سنة 1886 بعنوان : المغرب المعاصر، مملكة تنهار : Le Maroc contemporain, un empire qui croule ، وفيه «بث أفكاره الخبيثة»[44].

وفي سنة 1885 التمس سفير فرنسا أن يوصى خيرا بالمهندس الذي «يريد نظر أودية هذه الايالة والمحال الخارج منها عنصر مائها، وأن نظره لذلك فيه مصلحة وهي سقي الأرض

38. رسالة اوردیکه إلى بريشة في 8 رجب 15/1300 ماي 1883.
39. جان إيس : «قضية المغرب» ص 27.
40. رسالته إلى محمد بن العربي في 18 رمضان 12/1301 يوليوز 1884، الترتيب العام.
41. لبيل : «المسافرون...» ص 161 وميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 88.
42. ميبج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 82 .
43. رولان لبيل:«المسافرون...» ص 169.
44. جان إيس : «قضية المغرب» ص 108 ـ 109.

من تلك الأودية إذا وقع اليبس. وطلب توجيه ظهير له بجوازه في المواضع التي يكون امنا بها. وإيصاء العمال بالكون منه على بال وتضييفه وتقديم كتابين له من عندك لعاملي العرائش والرباط...»[45].

31. **موريس باليولوك : M. Paléologue** وصف مقامه بطنجة ومراكش في كتابه «المغرب، تقاييد وذكريات : Le Maroc; notes et souvenirs» نشر سنة 1885[46] التي قدم قبلها إلى المغرب.

32. **كامي دول : Camille Douls** ولد سنة 1864 ومات سنة 1889 مغتالا بالصحراء. دخل المغرب سنة 1885 وقضى فيه مدة لدراسة اللغة العربية وأخلاق المغاربة وعاداتهم. وفي يناير 1887 استأجر قارب صيد إسباني من لانصاروتي من جزر الخالدات اسمه «أديلايدا : Adelaida» للوصول إلى بوجدور. وبعد ثلاثة أيام نزل بالبر متنكرا بلباس المسلمين ومعه بضائع مختلفة وادعى أنه تاجر جزائري أو تركي. فلقي جماعة من أولاد دليم وحياهم، لكنهم هجموا عليه وجرحوه وسلبوا ما معه. وكانوا يريدون إلقاءه بالبحر لولا أن صحراويا اسمه إبراهيم بن محمد تشفع فيه وأدخله لخيمته. وانتشر خبر ورود نصراني إلى القبيلة، فجاء الناس لرؤيته وسؤاله ولم يريدوا تصديق أنه نصراني. وفي الغد قيد وكبل وجعل على ظهر ناقة. وكان يريد الذهاب لاحضار بضائعه التي أخفاها عنهم والتي كان أخبر بها إبراهيم. لكن القوم نهبوها وتقاسم الرجال بينهم ما يصلح لهم، والنساء بينهن ما يليق بهن. ثم تقدم أربعة من أولاد دليم وكمموا فمه وأرادوا دفنه حيا. فلما ظن دنو أجله نطق بالشهادتين، فصاحوا أن هذا ليس بنصراني فانتشلوه من الحفرة التي وضعوه فيها وردوه إلى الخيام.

وظل أولاد دليم مع ذلك مرتابين فيه، فجاء أحدهم وتحدث معه فألفاه مسلما حقيقيا وأشار على إبراهيم أن يعامله بالحسنى. وبعد أربع وعشرين ساعة قدم شريف فيلالي وسأله، فلم يستطع الجزم بإسلامه ونصح بعرضه على الشيخ ماء العينين.

وكان دول متشوقا لمغادرة المكان الذي امتحن فيه، فتزود بالشجاعة والصبر على بلائه لكونه أول من زار منطقة لم يدخلها أروبي قبله. فحمل على ناقة ورافقه إبراهيم وثلاثة من الصحراويين، وقضوا ثلاثة أيام في طريقهم إلى الشيخ. وكان النساء والأطفال يسبونه في كل مرحلة من مراحل سفره ويهددونه ويضربونه لولا حماية إبراهيم إياه.

ولما دخل لخيمة الشيخ ماء العينين سأله عن الجزائر وعن الإسلام، وأمره بكتابة رسائل بالعربية ففعل، فقال لهم : إن هذا الرجل مسلم حقا، فارفعوا عنه الأغلال واجعلوه أخا لكم في بيلتكم. وهكذا استرد حريته وأرجعوا له بوصلته وخنجره وخلعوا عليه ثيابا لهم وأخذ يتعلم طبائع الصحراويين.

وبعد يومين غادروا خيام الشيخ، وقضوا في المشي خمسة عشر يوما إلى أن وصلوا إلى دار ابنة إبراهيم التي كان زوجها يملك 50 جملا ونحو 600 رأس من الأغنام وثلاثة عبيد. ثم رحلت القافلة إلى بئر أم كرين، وبعد ذلك قصدوا رأس بوجدور.

---

45. رسالة السلطان إلى الطريس في 8 جمادى الثانية 25/1302 مارس 1885، تطوان 68/3.
46. رولان لبيل : «المسافرون...» ص 158 (1).

كان إبراهيم بارا به فعرض عليه الزواج بإحدى بناته التي اسمها العزيزة، فاعتذر بقلة ذات يده لدفع مهرها وقال إنه لابد أن يذهب إلى الجزائر لاحضاره من ماله هناك. فتقرر - إعدادا للخطوبة - أن يسافر إبراهيم صحبته وصحبة رجل آخر إلى تندوف لبيع جلود الغنم والمعز، وقضوا في الطريق ثلاثة أيام، وعادوا إلى طرفاية حيث احتفلوا بخطوبة العزيزة. ثم سافروا جميعا وقطعوا وادي درعة ووصلوا إلى كلميم في أواخر أبريل 1887 وقصدوا دار القائد بيروك. ثم رجع إبراهيم إلى بلاده بينما عبر دول عن رغبته في الذهاب إلى مراكش فأعطاه بيروك مركوبا ودليلا.

وسافر مارا بايت باعمران وأكلو وماسّة والتحق بأكادير واجتاز بلاد حاحة حتى وصل إلى مراكش عند الشيخ عابدين شقيق بيروك. وهناك التقى بإنجليزي اسمه فيركوسون Ferguson. وشاعت الأخبار عن موت دول، ونشرت الجرائد نعيه، وطالبت قاتليه بدية 3000 ريال. وكان عابدين يراقب جيدا حالة دول، فوجده نصرانيا ولامه أنه خدعه. ولما أراد دول الانصراف حال دونه عبدان أسودان، ثم جاء خمسة من أعوان عامل مراكش وقادوه سجينا وكبلوه. وصادف الوقت وجود كرين سفير إنجلترا بالمدينة، فلما علم بالقبض عليه تشفع فيه حتى سرح من حبسه، ثم سافر إلى فرنسا.

وبعد سنة رجع دول إلى المغرب مريدا السياحة بإفريقيا حتى نهر النيجر، غير أنه مات سنة 1889 مغتالا بالصحراء. وقد خلف في مذكرات سفره إفادات قيمة نشرتها سنة 1888 الجمعية الجغرافية بباريس[47].

33. **تيوفيل بلان : Th. Belin** حل بطنجة سنة 1887 ورحل إلى الصويرة سنة 1888 ثم إلى مراكش في السنة الموالية حتى عملت المفوضية الفرنسية على طرده من المغرب سنة 1891. وكان مراسلا صحافيا يوقع مقالاته باسم مستعار هو هنري موجي H. Moger[48]. وكانت الوثائق الفرنسية تنعته بالمغامر وبالصحافي المزعوم.

ويستفاد من رسالته إلى الطريس سنة 1888 أنه كان مكاتبا لجريدة «له فران - بارلور : Le Franc - Parleur» التي كان يبعث إليها بمقالات التنديد بالحماية التعسفية، مستعينا برجل تركي اسمه محمد بجكري أو بلكري لشجب هذا النظام في كل من فرنسا والجزائر. وكان متحاملا على اليهود أهل الربا الذين يستفون دم الناس والذين لا ضمير لهم ولاشفقة ولا وازع . وذكر في نفس الرسالة أن ميرجيسو Merjesüe ودرومون Drumont وفولسكي Wolski كانوا دائما يفضحون هاته الأعمال في مصنفاتهم. وختمها بقوله إنه ينوي الذهاب إلى الصويرة مع صديقه الدكتور أندريوه Andrieu لتسليم رسالتين إلى السلطان بمراكش، طالبا الانعام عليه برخصة تصدير زيت أركان التي كان يقدر دخلها السنوي بين أربعة وستة ملايين فرنك، ومشيرا إلى أن الدكتور المذكور هو الذي اكتشف خواص هاته المادة الدهنية التي ستساعد على ازدهار الاقليم[49].

---

47. كايي : «النوادر...» ص 124 - 134 ومييج : «المغرب واروبا» ج 1 ص 101.
48. المصدر الأخير ج 1 ص 123.
49. رسالته بالفرنسية في 18 يبراير 1888، الترتيب العام.

34. **س سولير : C. Soller** مراسل لجريدة «له طان Le Temps» الباريسية سنة 1887 .أقام بالصويرة ومراكش مدة ودخل دمنات[50]. وتسهيلا لمهمته طلبت سفارة فرنسا الايصاء خيرا به : «حامله رجل معظم معتبر اسمه مسيُ سولير موكل من قبل دولتنا، وله معرفة بالعلوم، وهو يريد السفر في إيالة مراكش من جانب البحر الكبير على تفتيش بعض العلوم... وأنا أشكر فضلكم أن تقابلوه بما يناسبه من الاجلال والتعظيم وتساعدوه على مطلبه، ومطلبه : يريد أن يتشرف بمقابلة الحضرة الشريفة...»[51].

35. **هنري كاسطوني دي فوس : H. Castonnet des Fosses** له تصنيف عنوانه «المغرب كما هو : Le Maroc tel qu'il est»[52]. والمظنون أنه فرنسي زار المغرب

36. **هنري دوفيريي : H. Duveyrier** ولد بباريس سنة 1840 وتوفي سنة 1892، وهو مستكشف ورحالة تجول عدة مرات بالمغرب، ولاسيما بالريف سنة 1887 بوصفه طبيبا. وكان سنة 1885 قد رافق فيرو أثناء سفارته إلى فاس لدى السلطان، ونشر سنة 1886 كتابه «طريق السفارات : Le chemin des ambassades»[53]، وهو عبارة عن تقرير إلى الجمعية الجغرافية، وله سياحات إلى الصحراء وتمبوكتو سنة 1881.

37. **هنري ده لاكروا ده كاسطر : Henri de la Croix de Castries** كاتب ومؤرخ فرنسي، ولد بباريس أواخر سنة 1850 وتوفي هناك في ماي 1927.

التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1873 برتبة ليوتنان كولونيل، وعمل بوصفه ضابطا مستعربا في الشؤون الأهلية. وهو أحد الذين عملوا بجد وصبر فقدم خدمات جلى بما قام به من أبحاث، وبما وضعه من خرائط جغرافية، وبما اكتشفه من وثائق تاريخية في مكتبات أوربا. وقضى أكثر من خمسين سنة في البحث والتنقيب ودراسة الظواهر الاجتماعية.

وأهم أعماله أنه نشر 30 مجلدا من الوثائق عن تاريخ المغرب بعنوان : «Les sources inédites de l'histoire du Maroc:المصادر الغميسة لتاريخ المغرب» وبدأ يصدرها بمساعدة ده سينفال de Cénival، وذلك في سلسلتين : الأولى عن العهد السعدي، والثانية عن العهد الفيلالي (أي العلوي) حتى سنة 1845.

ومن تصانيفه : «الأسلام : خواطر وسوانح : L'Islam : impressions et études» الذي عرفه أهل الشرق لما ترجمه أحمد فتحي زغلول سنة 1896. وفيه دافع عن الاسلام، معترفا «بما امتاز به الأسلام من صفات سامية، وتعاليم شريفة»، وندد فيه بالمسيحيين الذين يغضون من شأنه، وذكر أنه «منجذب بحلاوة الاسلام...». ويعد كتابه من أحسن ما جادت به قريحة متشيع للدين المسيحي، للدعوة إلى احترام المسلمين واجتناب السخرية من معتقداتهم. وقد زار المغرب سنة 1887 وقدم لمولاي الحسن خريطة جغرافية[54].

---

50. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 168.
51. رسالة بوطيرون إلى غريط في 21 جمادى الأولى 15/1304 بيراير 1887، محفظة فرنسا.
52. جان إيس : «قضية المغرب» ص 29.
53. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 104 ولبيل : «المسافرون...» ص 161.
54. عبد القادر الخلادي : «دوكاستر وتاريخ المغرب» في «دعوة الحق» تلخيصا عن الأعداد 4 و 5 و 7 و 8 من السنة 16.

38. **جورج ديلفان : G. Delphin** وضع سنة 1889 تأليفا عن فاس وجامعتها بعنوان : فاس : جامعتها والتعليم العالي Fès, son université et l'enseignement supérieur[55].

ولم أقف على أنه حل بفاس، ولكن كتابه يدل على أنه عاش بالمدينة قبل تلك الحقبة.

39. **بيير لوتي : P. Loti / J. Viaud** اسمه الحقيقي هو جوليان فيو، وهو ضابط بحري وكاتب روائي، كانت تستهويه المناظر والحضارات الأجنبية. ولد سنة 1850 وتوفي سنة 1923، وله تآليف كثيرة، منها «بالمغرب : Au Maroc» الذي وضعه سنة 1890 بمناسبة سفارة باطنوطر إلى فاس والذي تعددت طبعاته. وهو ليس مؤلف سياسة ولا رحلة وإنما هو كتاب ارتسامات، وصف المناظر التي شاهدها مثل جامع القرويين الذي رآه من خارجه، وذكر أن حفلات التبوريد التي كانت تقام بالمدن وعند الاستراحة في الطريق كان يشارك فيها ما بين 200 و300 فارس، وقد أخذ سحر فاس منه كل مأخذ، فشعر بنفسه نصف عربي، فكان يرتدي اللباس المغربي ويطوف بالأسواق ويختلط بالناس في الشوارع والأزقة، واشترى قطارة الزهر والعود القماري فكان يطيب بهما نفسه والمنزل الذي جعله الدكتور ليناريس رهن اشارته.

أما عن أحوال السفارة فقد خرج باطنوطر من مدينة طنجة يوم 4 أبريل 1889 قاصدا فاس. كان الوقت ممطرا، وكان السفير مصحوبا بهدية إلى السلطان هي عبارة عن زورق كهربائي طوله ستة أمتار جعل بصندوق كبير يحمله أربعون رجلا على كواهلهم. كانت القافلة متركبة من نحو مائة رجل بين زوار وضيوف وأدلاء يشرف عليهم قائد ينشر بين يديه لواءا سلطانيا أحمر.

كانوا عند مرورهم تقدم إليهم المونة. ففي المرة الأولى تألفت من اثني عشر كبشا حيا وأربعة أحمال من السكر والحامض والليمون وعدد كبير من طيور الدجاج وسلال من البيض وعشر قلل من السمن. وأتى لهم قائد سفيان بعشرين كبشا وعشرات من طيور الدجاج وبراميل من السكر (قالب لكل واحد) وخمسين طبقا من الكسكس. وفي بعض الأحيان عندما تكون المونة ناقصة يأتي قائد القبيلة معتذرا ويكملها لهم.

وأخيرا وصل الموكب إلى فاس يوم 15 أبريل الذي صادف الاحتفال بمهرجان سلطان الطلبة، واستقبلهم السلطان بعد ذلك، ثم خرجوا من العاصمة يوم 28 منه قاصدين طنجة عبر مكناس حيث قدمت لهم المونة مرتين أغلبها كسكس وحليب ودجاج حي وحلوى وسكر وشاي، فمكثوا بالمدينة يومين ثم غادروها ووصلوا " ى طنجة يوم 4 ماي[56].

40. **هنري ده لامارتينيير : H. de la Martinière** ديبلوماسي وكاتب وصحافي ولد سنة 1859 وأنهى حياته وزيرا مفوضا بطهران. حل بالمغرب لأول مرة سنة 1882 بوصفه عالم حفريات، وشارك سنة 1885 في سفارة فيرو لدى السلطان، وكان سنة 1887 و1888

---

55. «فاس، كشاف المراجع...» ص 42.
56. لبيل : «المسافرون...» ص 172 وكايي : «النوادر...» ص 135.

موظفا بالمفوضية بطنجة التي غادرها بعد ذلك، والتحق سنة 1891 بالادارة الفرنسية بالجزائر، وعاد إلى المغرب سنة 1899 بوصفه موظفا ساميا بالمفوضية بطنجة. وكان سنة 1900 و 1901 نائبا عن ريفوال الوالي الفرنسي بالجزائر. وبعد انتهاء الحرب العظمى رجع إلى المغرب سنة 1918 وتجول بعدد من المدن المغربية ثم قصد الجزائر عن طريق وجدة.

كان شغوفا بالحفريات، فارتاد عددا من المناطق الشمالية والجنوبية، وقام بتنقيبات في ليكسوس، وبحفريات بوليلي حيث اكتشف الأسوار القديمة للمدينة الرومانية وعثر على عدة قبور وتمثال إلاه صغير، وتجول بسوس بحثا عن الآثار الاسلامية التي أشار الدكتور لينس إلى وجودها، ونال الوسام الذهبي سنة 1889 بالمعرض العالمي[57].

وهو الذي أسدى لبلاده خدمات ثمينة لما كلفه جول كامبون J. Cambon بضم كافة المستندات الممكنة بل المستحيلة عن القضية المغربية إلى ربائد الولاية العامة بالجزائر بتلك التنقلات والأسفار التي قام بها[58]. وكانت له اتصالات مع الحاج عبد السلام الوزاني وأولاده ومع المندسين في حماية فرنسا إياهم، فكان يزورهم[59].

هذا بعض ما ورد عنه في التصانيف المطبوعة. غير أن الوثائق أفردت كثيرا من الكلام عنه سنتعرض لها. فكانت تدعوه «الحكيم» و«المهندس» وتنعته السفارة بـ «المفوض من وزارة العلوم والفنون على بحث الآثارات» ولذلك كانت تلتمس الاذن له بالجولان وتخويله ظهائر يتمسك بها، مثل رسالة فيرو سنة 1888 التي قالت : إن «المهندس الفرنسي لمرتنير عاقل، وله خبرة بالعلوم، وقد كان سابقا يتسارى في الايالة السعيدة بقصد الهندسة» وهو يريد السياحة والجولان[60]. فلنستشهد عن نشاطه بما جاء في بعض هاته الوثائق من سنة 1887 إلى سنة 1891.

ويجوز تحديد المناطق التي تجول فيها سنة 1888 وقبلها ومعرفة تواريخ حلوله بها من خلال المستندات ولاسيما من وثيقة مطولة كانت جوابا له عما اشتكى به منه عامل طنجة والحاج محمد الطريس[61]؛ فمنها ندرك أنه تجول بصفرو وآية يوسي أواخر سنة 1883، وبمكناس ونواحيها في بداية سنة 1884، وفي ربيعها دخل وزان برفقة سطيرلنيج كيسطل S. Castel، وبعد ذلك ساح حتى نونبر من نفس السنة بنواح أخرى لم يرد ذكرها فيها. أما من أبريل 1887 إلى أكتوبر 1888 فقد سافر إلى نواحي مكناس (وليلي) والرباط والعرائش وأصيلة وقبيلة الغربية، وكان يصاحبه في بعضها الرسام والمصور البلجيكي رومبرغ Romberg والانجليزي نيكولا الذي أظن أنه نيكولاص داصوي N. Dassoy الانجليزي الملاك بطنجة. وسيأتي أنه ذهب أواخر سنة 1888 إلى نواحي مراكش وعاد بعدها إلى وزان ليستأنف تنقيبه بخميس الساحل قرب أصيلة سنة 1889، ثم انطلق إلى مراكش أواخر سنة 1890 ليذهب إلى سوس سنة 1891، ومنها يعود إلى الجزائر عن طريق تازة ووجدة في صيف السنة الأخيرة.

---

57. المصدران الاخيران ص 241 و 247 وص 147 ـ 150 على التوالي، وكذلك مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 129.
58. جان إيس : «قضية المغرب» ص 30.
59. مصطفى بوشعراء : «الاستيطان...» الجزء الثالث ص 1198.
60. رسالته في 5 شعبان 17/1305 أبريل 1888، محفظة فرنسا.
61. تاريخ هاته الوثيقة 3 صفر 9/1306 أكتوبر 1888، تطوان 87/38.

الوثيقة الجوابية التي سأستشهد بها ركيكة وتتطرق إلى قضية شكاية المخزن به وقضية إغفال السلطات التنصيص على منحه المونة. وسأفسح له المجال ليرد على ما اتهم به، وهو أنه لما لم يعطه التهامي ابن زوينة شيخ الغربية مؤونة يوم 22 محرم 28/1306 شتنبر 1888 عمد إلى عجل من دار الشيخ وأخذه عنوة، فلما حاول ابن زوينة استرداده منعه منه ما لم يدفع له المونة، فشهر ده لامارتنيير كابوسه فضربه به، فقدم أهل الدوار فضربوه انتقاما وكادوا يقتلونه، حسبما سيأتي في رسالتين مخزنيتين، وسجن التهامي وأصحابه، لكن إلى حين. كان هذا العمل من جانب السائح إخلالا بالأمن، فاستشهد به الطريس واستدل بهتك الحرمة وبوجود الكابوس معه. كما أن عامل طنجة عاب عليه قتله لكلب بالنواحي وضربه لصبي ضربا مبرحا بدار الحاج العربي الخمال، وهو ما أنكره فاتهم العامل بالكذب عليه فيهما.

قال السائح جوابا عما اتهم به في قضية هتكه لحرمة منزل ابن زوينة : «إني ما دخلت لعند حريم الشيخ حيث أنني رأيت الأبواب مغلوقة، فكيف يتأتى لي الدخول ؟ أما خادمه السودانية التي كانت تخدم خارج دار الشيخ هي التي قالت لطباخي : وأن الشيخ غائب. ولاح لي أن قولي وقول الشهود المرة الأولى في الفسينة وكذلك شهادة الطبيب ميكرس Migers ثبّتوا الاثبات التام أني وقعت في موضع الخيانة، وأني إذا خرَّجْتُ كنت أدافع على نفسي... ولاكن مع ذالك يلزمني أن أكذب ما قالوه : «إن الشيخ هو الذي أزال لي الكابوس». وإذا اعتمدت على ما كتبه المراكشيون لا تكون القضية إلا مضاربة بيني وبين الشيخ. وبقصْدٍ لم يتكلموا أن بعض الناس هجموا عليَّ. أما حقيقة الحال هو أني خرَّجت الكابوس للمدافعة عني، وكنت عارفا أنه ليس معمرا، بل خرجته لأستعمله كأنه مَطْرَق لما وقعت حين الهجوم تحت عشرين من الناس مسلحين، وحيث رأوا كثرتهم زادت قوتهم وشجاعتهم وعنادهم، ورأوا الكابوس ليس معمرا فأسقطوني إلى الأرض وزطموا عليَّ بأرجلهم. وفي هذا الحين أحد الهاجمين قبض على رقبتي بيده. فحينئذ أطلقت الكابوس برضاءي من يدي خوفا على أصبعي من الهرس، لأنه كان في حلقته. وهذا هو الواقع الصحيح.

«أما الولات بطنجة : يريدون بتقديم الكابوس على أنها دليل على ذنبي...

«والآن نأتي على محصل ما قاله السيد الحاج محمد الطريس في كتابه قائلا : «فنطلب منكم الانصاف من الفرنسوي المذكور وكف إضراره بالناس، فإنه إذا دام بهذه الايالة لا محالة فإنه يسعى فيما يكدر خاطر الدولتين المحبتين». فياله العجب ! ان هجموا عليَّ وكنت قريبا من الهلاك، وضربوني غاية الضرب، حتى أن أصحابي خمَّموا أني على [وشك] الوفات...

«فجوابا على هذه الشكاية : أن وقت أول قدومي في طنجة في عام 1882 منذ ست سنين لم تكن إلا هذه المرة يشتكون بسيرتي على هذا النوع...»[62]. وبعد ذلك ساق أسماء شهوده من الفرنسيين والانجليزيين، من المدنيين والعسكريين الذين بوسعهم أن يزكوا سيرته ويبرأوه.

فهل كان تصرفه بريئا لما ترك الناس يعملون وانفلت منهم محاولا اقتحام دار الشيخ على حين غفلة من صاحبها ؟

62. مكتبة تطوان 87/38، الورقة 2.

والنقطة الأخرى في هذا الجواب تتعلق بمسألة وجوب تقديم المونة له، فقال إن «الوزير السيد الحاج محمد الطريس زعم أنه ليس لي حق في طلب المونة، ولاكن كلمة «المونة» قد بدلوها في الكتب المولوي الذي هو بيدي بهذه العبارة : «فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولات أمرنا [أن] يأخذ بيده فيما عسى أن يعرض له عنده ويستوصي به خيرا». صحيح أن هذه كلمة «المونة» كانت موجودة في كتاب مولوي ءاخر المؤرخ في 28 شوال عام 1301 (= 21 غشت 1884) وبه سحت من مكناس إلى طنجة...». ويبرر وجوب تقديمها بقوله : «ولولا هذا الكتب الشريف لم نقدر نفعل شيئا خصوصا في الأهالي التي ليست عادتها ترى النصارى، فلربما تمنعني من الشراء حيث أنا نصراني....»[63]. ثم أنكر التهم وطالب بالانصاف من الهجوم عليه في الغربية.

وبعد نحو الشهر جاء في رسالة سلطانية إلى الطريس لوم على السائح : «فالظهائر التي بيده لم تعط له بالهدم والتصرف في أرض المخزن بما شاء، وإنما أعطيت له بقصد الجولان فقط في تاريخه الذي ورد فيه في وجهته الأولى... والمونة إنما تعطى لمن هو في خدمة مخزنه وورد لهنا بإذنه على أمر من أموره، لا لمن ورد على أمور نفسه كالمهندس المذكور. وقد كتب الباشدور في ذالك ذاكرا أن دولته أمرته بطلب إجراء الأحكام على ابن الزوين وأصحابه، فأصدرنا الأمر لعاملهم بالقبض عليه وعليهم... مع أنه مظلوم حيث ترامى وعاند في متابعته في حمقه...». ثم طلب السلطان من نائبه أن يسترعي على السفير لكي يكف السائح «عما هو عليه من مد اليد في أرض المخزن والترامي على الناس...»[64].

وفي الوقت نفسه كتب المخزن إلى شارل فيرو رسالة في الموضوع تعطي إفادات أكثر. فقالت موضحة الأسباب في هذا الخلاف : «إن الظهائر التي بيد المهندس... كان حازها في وجهته الأولى... وبقيت تحت يده، ولما ورد لهنا ثانيا استظهر بها وبات بالغربية عند ابن الزوين شيخهم، فقام بمئونته وعلف بهائمه. وفي الصباح طلب منه العلف لبهائمه نهارا فدفعه له وتوجه لمحل بالغربية وصار يحفر فيه. ولما توسط النهار ترك أصحابه يحفرون وقدم لدار الشيخ المذكور يطلب منه المئونة فلم يجده بها وأخذ له عجلا، فأخبر الشيخ بذالك فتوجه إليه وطلبه منه فامتنع من رده له إلا بعد حيازة المئونة، فمد يده لأخذ عجله، فضربه المهندس بكابوس، فلم تخرج عمارته، فضربه به المهندس قرب عينيه، فانتزعه الشيخ من يده. ورفعت الدعوى لك فلم توجد حجة للمهندس على الشيخ. ثم رجع المهندس للغربية بعد ذالك وصار يحفر بها وعزم على التوجه للحفر بمحل يسمى بـ «الوتد» من بلاد المزورة، مع أن الظهائر التي بيده بالاذن له في الجولان لم تعط له بالهدم والتصرف في أرض المخزن بما شاء...»[65].

وفي 18 نونبر 1888 وصل في العشي إلى قرية ولد مبارك الشليح حوز أولاد دليم جبل سلفات في طريقه إلى مراكش وهناك سرق له كبوطه ومكحلته[66].

63. نفسه الورقة 1 و2.
64. رسالته في 28 صفر / 3 نونبر، تطوان 27/7.
65. إلى آخر ما جاء في الرسالة قبلها، وهي مثلها في التاريخ، ورقمها هو 52/40 بمكتبة تطوان.
66. ترجمة محضر في 15 يناير 1889، تطوان 96/38 (أ و ب).

ولما رجع من سفره انتقل إلى وزان قبل يناير 1889، وهناك «ترك عند السيد محمد بن قدور المجاور لعزيب الشريف سيدي الحاج عبد السلام الوزاني... من قبيلة أولاد عبد الكريم قرب واد عياشة اثنين 2 فر سيْن متاع السرج وبغلتين وخمسة كيادر متاع البرْذع، هذه تسعة رؤوس تركها عند من ذكر بقصد الرعاية والحفظ»[67].

وكانت المنطقة قريبة من المكان الذي يعتزم البحث فيه سنة 1889، فقد استأنف أشغاله بناحية خميس الساحل قرب أصيلة تنقيبا عن آثار الرومان، بعد أن كانت السفارة قد استأذنت له وسوعدت على ذلك[68].

وفي سنة 1891 سافر إلى سوس «فورد الحكيم دلمتنار الفرنسي» وبيده كتاب سلطاني ونزل وسط الجيش «وأكرمتْ وفادته، وطلب أن يقف على وادي سوس حتى يراه»[69].

وفي رسالة سلطانية أنه «وصل لتارودانت وطلب من خليفة عاملها الوصول لوادي سوس فساعده، ثم طلب الرجوع على طريقه التي جاء عليها فلم يساعده للتنافر الواقع بين قبائل تلك الجهة، ويخشى عليه إتلاف نفسه بما خاطر فيه... وقد تعب معه خليفة العامل حتى وجهه على طريق دار الخديم سعيد بن بلعيد الهواري محافظة عليه...»[70].

وفي سنة 1891 توجه ده لامارتنيير إلى الجزائر عن طريق وجدة. ولما وصل إلى قبيلة مكناسة الفوقانية شمال شرقي تازة وقع هرج بوجود نصراني بها، وحاول السكان الاضرار به يوم 27 يوليوز، فقام صاحبه مولاي قاسم بحمايته وأخرج بندقيته. وللغد قصد قصبة مسون[71].

هاته نبذة مطولة عن نشاط هذا الرحالة الفرنسي الذي أظنه مستعربا، فقد كان صحافيا ومراسلا لجريدة «له طان» الباريسية ولاسيما سنة 1892. وله جملة من الدراسات والتآليف وخصوصا كتابه «ذكريات عن المغرب. رحلات ومهمات : Souvenirs du Maroc, Voyages et missions 1882 1918» المطبوع سنة 1920 بباريس والذي ضمنه ارتساماته وأفكاره ومشاهداته.

41. ج بوشي G. Buchet قام برحلات متنكرا ونشر سنة 1893 تقاريره عنها[72].

42. ج مونبار : G. Monbard تجول بالمغرب في يناير 1893 ووصف طريق فاس إلى طنجة، كما تحدث عن إقامته بفاس[73].

---

67. رسالة بوطيرون إلى الطريس في 6 جمادى الأولى 8/1306 يناير 1889، تطوان 95/38.
68. رسالة الطريس إلى الولاة في 24 شعبان 25/1306 أبريل 1889.
69. رسالة عبد الرحمان بن علي الزراستي إلى أبيه عامل تارودانت في 3 جمادى الثانية 14/1308 يناير 1891، محفظة فرنسا.
70. رسالة السلطان إلى الطريس في 20 جمادى الثانية 30/1308 يناير 1891، تطوان 53/9.
71. كايي : «النوادر المغربية» ص 150.
72. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 80.
73. نفسه ج 1 ص 145.

⑥ مـن أقطـار أخـرى

أ : الولايات المتحدة الأمريكية

1. **جيمز رايلي** : J. Riley له كتاب يحكي فيه قصة ضياع السفينة «كوميرس» بشاطىء إفريقيا الغربية، سنة 1815 عنوانه : Authentic Narrative of the Loss of» the Brig «Commerce» on the Western Coast of Africa In August 1815»[1]

2. **س سيشينز** : F. C. Sessions تجول بالمغرب سنة 1888 وكان رئيسا للجمعية الجغرافية بولاية أوهايو[2].

3. **طيلكوط ويليامز** : Talcott Williams حل بالمغرب سنة 1889 من أجل غرض علمي، فالتمس القنصل العام من المخزن تسهيل مهمة هذا «العالم العضو بإحدى الجمعيات العلمية بواشنطن» من أجل تجول الدكتور طيلكوط بوزان والقصر الكبير وفاس ومكناس والرباط وسلا وغيرها من المدن[3]. وقد نشر سنة 1898 دراسة عن اللهجات المغربية[4].

4. **ستيفن بونزال** : Stephen Bonsal J صحافي رافق إيوان سميث في سفارته إلى فاس سنة 1892. وفي سنة 1951 كانت وفاته[5]. وهو صاحب كتاب عنوانه : «المغرب كما هو : Morocco as it is» طبع سنة 1893 بلندن في 349 صفحة.

ب : إيطاليـــا

1. **جوسيبي كاريبالدي** : J. Garibaldi أقام سنتي 1849 و1850 بطنجة[6]. وهو زعيم شهير ناضل من أجل توحيد بلاده، ولد سنة 1807 وتوفي سنة 1882.

2. **إيدموندو دي أميشيس** : E. di Amicis رحالة تجول سنة 1875 ببعض المدن الداخلية والشاطئية[7].وهو كاتب شهير وضع تأليفا عن المغرب نقل إلى الفرنسية سنة 1882، ولد سنة 1846 وكانت وفاته سنة 1908.

---

1. عبد الحميد لطفي : «مراجع...» ص 300.
2. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 167.
3. رسالة لويس إلى الطريس في 23 أبريل 1889، تطوان 60/53.
4. عبد الله العروي : «الأصول...» ص 38.
5. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 79 وج 4 ص 269.
6. نفسه ج 1 ص 112.
7. أيضا ج 1 ص 61.

3. **جوليو دي بوكاردو : G.di Boccardo** رافق سكوفاصو سنة 1875 في سفارته من طنجة إلى فاس[8].

4. **جوليو أدامولي : G. Adamoli** مهندس ولد سنة 1840 وتوفي بالقاهرة في دجنبر 1926 وتجول في مارس 1876 بالمدن الشاطئية ومراكش موفدا من لدن الجمعية الجغرافية. وكان برفقته رينيرو مانزوني R. Manzoni، ورجع إلى بلاده في شهر شتنبر، لأنه انتخب بالبرلمان الايطالي. له أبحاث نشرها عن المغرب بعد عودته إلى وطنه[9].

5. **بيلكريدي : Belcredi** صحافي كان سنة 1894 مراسلا لجريدة «تريبونا : Tribuna» ودخل فاس في السنة المذكورة[10].

ت : البرتغال

روي دا كامرا : Ruy da Camara قام سنة 1870 بجولة بالمغرب[11] ونشر عنها كتابه بمدينة بورطو سنة 1879 بعنوان : «Viagens em Marrocos»

ث : بلجيكــا

1. **جول لكلير J. Leclercq** كان رئيسا للجمعية الجغرافية ببروكسيل، وله تأليف عن رحلته إلى طنجة سنة 1878، وآخر وضعه سنة 1881 عن سفره إلى الصويرة وأماكن أخرى بالجزائر وتونس[12].

2. **تيو فان ريسلبيرغ : T. van Rysselberg** رسام ولد سنة 1862، وقام بثلاثة أسفار سنة 1882 و1884 حيث أقام بطنجة، ومن دجنبر 1887 إلى مارس 1888 تجول بالمدن والنواحي الداخلية. وهو من الذين رسموا صورة للسلطان حين رافق البارون ويطنال إلى مكناس حيث قدم لمولاي الحسن سنة 1889 مشروع إنشاء سكة حديدية[13].

3. **البارون لاهور : Lahure** كولونيل قام 1888 برحلة إلى المغرب وشواطئه الجنوبية حتى طرفاية لحساب الملك ليوبولد الثاني. وقد مات بعد رجوعه إلى بلاده بقليل. وله : «رسائل إفريقيا : مراكش والصحراء الغربية : Lettres d'Afrique : Maroc et Sahara occidental» نشر سنة 1904 ببروكسيل. وكان يرافقه ضابط بلجيكي اسمه فوركو : Fourcault[14].

4. **إيرنيست بيكار : E. Picard** محام وصحافي رافق البارون ويطنال في سفارته لدى السلطان سنة 1889، وقد لخص المذاكرات التي أجراها السفير مع أعضاء المخزن،

---

8. كذلك ج 1 ص 77.
9. أيضا ج 1 ص 55 وج 3 ص 298.
10. نفسه ج 1 ص 71.
11. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 163.
12. كذلك ج 1 ص 131.
13. شارل أندري جولیان : «المغرب في مواجهة...» ص 525.
14. كيين : «ألمانيا...» ص 559 ومييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 128 وج 3 ص 338.

وأصدر كتابا عنوانه «المغرب الأقصى» طبعه ببروكسيل سنة 1893 تحدث فيه عن السجون بالمغرب، ونشر مقالاته بجريدة «الطايمز أوف مروكو». وكان أثناء وجوده بالمغرب مراسلا لصحف بلجيكية[15].

5. **ليوبولد الثاني :Léopold II** ملك بلجيكا المولود سنة 1835، والمتوفى سنة 1909 تجول بالمغرب سنة 1863 قبل توليه العرش، وأقام بطنجة سنة 1862. وفي سنة 1897 أقام مدة بالصويرة ثم ذهب متنكرا إلى طنجة[16] وتوقف بالعرائش التي قال عاملها إنه كان مصحوبا بأربعة من أعيان دولته «توجهوا بحرا للنزول بثغر العرائش لغرض السياحة والفرجة والاصطياد بقرب البلد إلى نواحي سبو». وقد تلقاهم بالترحيب «ووجد الضيوف بهائم راحتهم فسافروا من ساعتهم»[17] إلى مكان القنص. وقال أمينا مرسى العرائش : «وقد تحقق لدينا على سبيل التواتر أن أحدهم هو سلطان الجنس»[18] جاء متنكرا.

6. **«عبد الله التازي»** بلجيكي الأصل تظاهر بالاسلام ودخل إلى المغرب، حيث تزوج بإسبانية ثم فر إلى أمريكا الجنوبية وعاد إلى نصرانيته. كتب عنه إيميليو أوخيدا سفير إسبانيا بطنجة سنة 1897 ولو لم يسمه قائلا : إنه «كان أولا نصرانيا أصالة من جنس البلجيك وتزوج بأرملة بإصبانيا وبقي معها شيء ما وتخاصم معها وأراد طلاقها، فورد للافرايلي ليطلقها فلم يساعده على ذالك، ففر منها وهاجر لايالة مراكشة فأسلم بها وسمي بعبد الله التازي، وصار مهاجرا من بلد إلى بلد في الايالة المذكورة إلى أن وصل لتطوان، فتزوج بها - في شهر يناير عام 96 الفارط - بامرأة اسمها رقية بنت السيد محمد الحمدُشي المكنى بحشلاف، وبعد شهرين سافر للرباط بأرملته وأراد الركوب بها من هناك، فمنعوه من ركوبها ولات مراكشة. والآن أرملته الأولى بإصبانيا طلبت من قنصولنا بتطوان ليأخذ لها نسخة من صداق أرملته التي بتطوان لتجري عليه الأحكام على مقتضى شريعتنا. فلأجل هذا نحن نحب من سيادتك أن تعيننا بكتابك للقاضي ليأخذ من صداق المسلمة التي هناك نسخة ويمسك بها قنصولنا ليكون ذالك حجة له. والرجل المذكور رجع نصرانيا كما كان، وهو الآن بمريكة في فرقة الرّايْ بوبْليكا اسمها كَراكس»[19] Caracas عاصمة فنزويلا.

7. **فيكطور كولان : V. Collin** أستاذ بجامعة لوفان نشر سنة 1900 كتابا عن محاولة بلجيكا لاستعمار المغرب وعنوانه : «المغرب والمصالح البلجيكية : «Le Maroc et les intérêts belges»[20].

---

15. المصدر الأخير ج 1 ص 155 و: «الصحف...» ص 220 وجان إيس : «قضية المغرب» ص 269 - 272 حيث أورد مقتطفات من محادثة السفير مع المخزن.
16. مييج : «المغرب وأوروبا» ج 1 ص 128 وكيين : «ألمانيا» ص 559.
17. رسالة عبد المالك السعيدي إلى الطريس في 27 ربيع الثاني 25/1315 شتنبر 1897، تطوان 76/81.
18. رسالة أميني العرسى إلى الطريس في 28 ربيع الثاني / 26 شتنبر.
19. رسالته إلى الحاج محمد اللبادي في 6 غشت 1897، تطوان 205/36.
20. جان إيس : «قضية المغرب» ص 29.

ج : رومانيـــا

فاسيلي أليكساندري : Vassili Alexandri شاعر زار سنة 1853 بعض النواحي المغربية[21].

ح : روسيـــا

1. **أ. ب. بوتكين : A. P. Botkin** كاتب زار سنة 1845 طنجة وكتب عنها في مجلة «سوفريمينيك :Sovremennik» مقالا عنوانه «طنجة»[22].

2. **أناطول ديميدوف: A. San Donato Demidov** أقام بطنجة سنة 1847 ووصفها في أحد كتبه[23].

3. **فيازيمسكي : Viazemski** رحل إلى المغرب سنة 1881 و1882، وكان أول مواطن روسي يزور المناطق الداخلية منطلقا من طنجة نحو مراكش ثم فاس والجزائر. ولقد ترك مذكرات عن سفره وأبحاثا تحتوي على معلومات ذات طابع جغرافي وإحصائي وإثنوغرافي[24]. وجاء في رسالة عامل فاس عبد الله بن أحمد إلى عامل أحوازها العربي ولد ابا محمد سنة 1882 أنه هو «ابن عم سلطان جنس الموسكوا» الذي لما مر من هاته المدينة إلى وجدة أمر العاهل، أن تهيىء له السلطات وسائل الحراسة والاقامة وأن تحذره من مخاطر الطريق[25].

خ : الدانمـــارك

خورخي بريكط الريط (؟) دانماركي سكن سنة 1885 بفاس ولبث بها زمنا. وجاء في رسالة سلطانية :«فقد أخبر عامل فاس أن نصرانيا من الدنمرك يسمى خرخي بريكط الريط ورد لفاس، وتزيا بزي المسلمين، وصار يدخل للمساجد والأضرحة والحرُم، فوقع بينه وبين الصبيان مشاجرة في حال تزييه بزي المسلمين وتخلله المساجد، وأنه أحضره وسأله، فأجابه بأنه كان لابسا لباس المسلمين، ولا علم له بوجوب لبسه لباسه المعهود، وأنه لا يعرف الصبيان الذين تشاجروا معه وضاع له في حال مشاجرته معهم كيس بداخله أربع إبْرات ذهبا، وتكسرت له نقشة مجانته في جيبه، وضاعت له نعاله، فبحث عن الذين تشاجروا معه وقبض عليهم إلى أن تشفع له فيهم، وطلب منه تسريحهم، فمكنه من العشرين ريالا التي ضاعت له وسرحهم وأبرأ في الدعوى...»[26]. ولم يتيسر ضبط اسمه.

---

21. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 180.
22. ناتيانا موساتوفا : «العلاقات الروسية المغربية في القرن التاسع عشر» ترجمة عبد الرحيم العطاوي، مجلة دار النيابة، العدد 18 ص 27.
23. المصدر الأخير وكذلك مييج :«المغرب وأروبا» ج 1 ص 99.
24. ناتيانا موساتوفا : «العلاقات...» ص 28.
25. رسالته في 26 ربيع الأولى 15/1299 فبراير 1882، الترتيب العام، وينظر عبد الهادي التازي : «العلاقات المغربية الروسية» في مجلة «البحث العلمي»، العدد 11 ـ 12، دجنبر 1967، ص 148
26. رسالته إلى الطريس في 3 ربيع الأول 10/1303 دجنبر 1885، تطوان 44/4.

غير أن وثيقتين ذكرتا قبل ذلك أن «الرومي السريط من جنس النجليز» تنكر بلباس المسلمين ودخل لمسجد القرويين وجعل يدور به، وحصلت مشاجرة بينه وبين بعض الناس وعاينه صبيان كانا بالمسجد، وجعلا يصيحان خلفه، وأن النصراني كان أشقر اللون، ربعة في الطول. ولما علمت السلطة المحلية بذلك أحضره محمد بن عبد الله بن أحمد خليفة عامل فاس واستدعى عمر برادة للترجمة عنه. ثم وقع صلح بين السائح وخصومه[27].

د : النمســا

1. «الحاج عبد الكريم باي» : كايلينغ والمملكة الأراوكانية الباطاغونية

ارتبط اسم كايلينغ Gayling باسم المملكة الأراوكانية الباطاغونية. وقبل الحديث عن «الحاج عبد الكريم باي» لابأس أن نتعرف على هاته المملكة العابرة.

أ. **الأراوكانية** منطقة بجنوب التشيلي بين جبال الأندس الأمريكية والمحيط الهادىء، والباطاغونية في جنوب الأرجنتين، ومساحتهما ضعف مساحة فرنسا. والذي أسسها فرنسي من مدينة بيريكوه Périgueux اسمه أنطوان ده تونان Antoine de Tounens، كان وكيلا شرعيا بها. ثم أصبح مغامرا ينتمي إلى المحفل الماسوني.

وبعد أن وصل إلى ناحية أراوكانيا، وتعلم اللغة الاسبانية بالتشيلي وتعرف على جغرافية البلاد ووضع عنها خرائط، ادعى للسكان أنه أمير جاء بأموال وتأييد لاستنقاذ مجد البلاد، وطلب مبايعة السكان من أجل تحرير الأراوكانية من نير الاحتلال الاسباني، وانطلت حيلته على القلوب، فبويع وتسمى بالملك أوريلي Orélie الأول وأصدر في شهر نونبر 1860 دستورا، ثم ضم إليه الباطاغونية. وقد نجح في مسعاه، وأعلنت حكومة إنجلترا وإيطاليا وفارس عن قبولها لتعيين قناصلها بها. وبعد مدة يسيرة سقط أسيرا بيد الحكومة التشيلية ومكث سجينا مدة، ولكنه استطاع أن يلوذ بالفرار، ثم وقع أسيرا مرة أخرى، وحوكم وأعلن أنه مجنون وطرد إلى بلاده. لكن الأحلام ظلت تراوده مدة طويلة لاسترداد ملكه، وفشل خمس مرات في مشروعه، حتى مات فقيرا في يونيو 1878 بفرنسا[28].

واهتبل الفرصة فرنسي آخر هو أشيل لافيارد A. Laviarde، وطالب بالعرش والنيابة عن الملك الهالك، وأطلق على نفسه لقب أشيل الأول. غير أنه لم يغادر فرنسا مطلقا، مكتفيا بإرسال قناصله إلى مختلف الدول[29]. وكان منهم:

ب : **كايلينغ Gayling** وهو من المدلسين الذين أرادوا التمويه على المخزن وعلى حكومات دول أخرى. وسننظر إلى ما كتبته المؤلفات الأجنبية قبل تلاوة ما قالته عنه الوثائق المغربية.

كان سنة 1879 مغامرا، حل بالمغرب صحبة المغامر الفرنسي فيردينان جولي المذكور سابقا، ولما لم يصدق المخزن ادعاء الفرنسي فر «القبطان» كايلينغ. ولكنه عاد مرة

---

27. موجب عدلي في 4 صفر وإشهاد في 6 صفر / 12 و14 نونبر.
28. شاكر مصطفى : «ملك أراوكانيا» في مجلة «العربي» العدد 256، مارس 1980 ص 29 وما بعدها بتلخيص، وجاك كايي : «النوادر المغربية»، ص 109 وما بعدها.
29. المصدر الأخير.

أخرى إلى المغرب سنة 1882 وسرق بغلة استسلفها من يهودي وباعها بفاس، فقبض عليه متلبسا بالجريمة، وحكم عليه نائب قنصل النمسا بالرباط بالسجن لبضعة أيام.

وفي المرة الثالثة رجع ووصل إلى الصويرة في نونبر 1885، وزعم أنه وزير مفوض من لدن الملك أخيل الأول، ورفع فوق داره علما مثلث الألوان بالأزرق والأبيض والأخضر. وكان في نفس الوقت يرتدي جلبابا ويغطي رأسه بطربوش فاسي. وكان لونه أزعر، وعمره نحو الأربعين سنة. وبمجرد ما وصل وجه رسالة إلى مولاي الحسن ينبئه بأن أخيل الأول قد تربع على العرش خلفا عن أوريلي أنطوان الأول المتوفى، طالبا أن تدعم العلاقات بين البلدين، وشافعا ملتمسه بخريطة المملكة الأراوكانية، ومستعملا في مراسلته أوراقا متوجة بشعار هاته الدولة، ولاسيما لما كتب في هذا الشأن إلى وزير فرنسا بطنجة.

وحاول الحاج عبد الكريم أن ينشىء شركة تجارية بسوس، فاتصل ببعض «الطلبة» السوسيين، ومنح حمايته لعدد من المغاربة مقابل قبض رشوة منهم. لكن القناصل استغربوا من وجود وزير مفوض بالصويرة دون طنجة، وأدركوا أن هاته المهزلة يمكن أن تنطلي حيلتها على المخزن، فتداعوا لذلك لدى السلطات المحلية. ولما حضر «الحاج عبد الكريم» أقر بأن الأوسمة التي يتوشح بها إنما هي مختلقة، فألزم سحب علمه. وقبل نهاية سنة 1885 غادر الصويرة قاصدا فرنسا، التي كتب قنصلها المحلي أن بلاده كانت وكرا لكافة المغامرين.

ولما حل بباريس زعم في ربيع سنة 1886 أنه طبيب السلطان كلفه بعدة مهام، وأنه غيور على بلاده، وجهه إلى فرنسا رجال من سوس ووادي نون، مدعيا أن له نفوذا كبيرا بالجنوب المغربي. وصارت جرائد مثل «الفيكارو» و«جيل بلاس : Gil Blas» تتحدث عن نشاطه ومحاضراته وبالأخص عن سوس، وانتهى الأمر باستقباله من لدن رئيس الجمهورية جول كريفي ووزير الخارجية ده فريسيني، ثم زعم لاحدى السيدات من الطبقة النبيلة بفرنسا أنه سيجعلها ملكة سوس.

ولما بلغ علم ذلك لأعضاء السلك الديبلوماسي بطنجة، خشي فيرو أن يكون في ذلك إساءة إلى العلاقات الجيدة بين المغرب وفرنسا، وأخذ نواب إنجلترا وإيطاليا وألمانيا يسألونه عن مدى صحة هاته الأنباء.

وأطبق الصمت على قضية الحاج عبد الكريم، إلى أن كان شهر شتنبر 1893، حين وصل كايلينغ للمرة الرابعة إلى المغرب، فحل بالرباط قادما من لندن صحبة كاتبه الجزائري اسمه الشيخ ابن عبد القادر. وكان الحاج عبد الكريم عميلا لشركة تجارية إنجليزية تدعى أفريكان أند گولد كوسط طريدينغ كوربوريشن ليميتد : African and Gold Coast Trading Corporation Limited أمدته بألف جنيه استيرليني أملا في فتح مركز تجاري بسواحل سوس. وبالرباط أخذ يطلق لسانه في البعثة العسكرية الفرنسية، ذاكرا أن أعضاءها جواسيس. ثم قصد مراكش لكي يقترح على السلطان سلفا قدره ثلاثون مليونا باسم جماعة من رجال الأبناك الانجليزيين. لكن كان مآله الطرد، فعاد إلى الرباط ومنها أبحر إلى فرنسا.

وانصرمت أربع سنوات فعاد إلى المغرب للمرة الخامسة سنة 1897، صحبة الانجليزي سبليزبوري بصفتهما ممثلين لشركة لندنية اسمها كلوف فينتشور سينديكيت، مدعيا أن له تفويضا من أهل سوس. وسعى في النزول بمرسى أصاكا دون جدوى. وفي سنة 1903 نزل

كَايلينغ بوهران فاعتقل ثم طرد من الجزائر، لانه كان يحاول الالتحاق ببوعمامة البوشيخي[30]. كان الحاج عبد الكريم محتالا، ذا ماض ثقيل، فقد سجن بمدينة فرانكفورت قبل ذلك بتهمة الجاسوسية[31].

هذا هو كَايلينغ حسبما ذكرته بعض المصادر الأروبية، وهو شيء لا تخلو منه الوثائق المغربية التي تحدثت عن نزوله بالصويرة سنة 1885، وعن هذا «الرجل الذي ورد لآسفي، وسمي نفسه عبد الكريم، وزعم أنه باشادور الأروكانية والبتاغونية... ورد من ءاسفي للصويرة ونزل بدار الفوندة بالقصبة القديمة لليهودي سعْدية ترجمان قونصوا الصبنيول، ورغم أنه له مكانة عند جنسه وعلق عليه نيشانات، زاعما أنها تدل على علو مرتبته، وجعل بالدار المذكورة بنديرة لا يعرف لأي جنس هي. فتضرر قونصوات الأجناس منها... وطلبوا إخراجه من البلد أو القبض عليه، فجعل عليه اليد... فأمرناه بمساعدتهم على إخراجه أو القبض عليه، وعدم الالتفات لزخرفته وترهاته المذكورة»[32].

وفي رسالة مجهولة الكاتب وجهت سنة 1886 نجد صدى لوجود كايلينغ بفرنسا، مخاتلا ومخادعا : «ففي جزيطة في افرانصة، يعلمون بوصول الحاج عبد الكريم باي إلى باريز، وتلاقى مع البْرزِدنْطي أكْربي ومع الوزير منسطر افْرزِني، وذكر أنه طبيب للسلطان، وكان مكلفا من قبائل ءال سوس ليخاطب بطاعتهم لدولة الفرنصيص، ويطلب بأنهم يحوزون سوس... فإن هذا الخواص المذكور ليس هو حاج ولا عبد الكريم ولا باي ولا طبيب للسلطان، إنما هو أحد من رعية النبريال اسمه كَيْلنَّك، الذي هذه مدة سنين كان توجه هنا لطنجة مع أحد من افرانصة اسمه جُلي، وعلى ذكره يدعي بالشرف من جانب السلطان، وأراد يطلب كرسي مملكة مراكشة. فقد كان مسجونا في طنجة ومات بالسجن. وكَيلنك المذكور فر لحال سبيله. وهذا هو الخواص المذكور بنفسه الذي كان يتلبس بلباس المسلمين، ويجعل النيشانات في صدره زورا، كتب لدولة السلطان ولجميع نواب الأجناس يذكر أنه كان منسطر بلين بوطنشير متاع السلطان أروكانية، وجعل سنجاقه بالصويرة، الذي الولاة نزعوه منه. وحينئذ سجن عليه وبعده سرحوه وتركوه، فليس هو كائن سلطان معروف متاع أروكانية. وكيلنك عمره ماكان منسطر. نعم، هو رجل فضولي خواض يدخل في مسائل ليست من شأنه. فالمنسطر الفرنصيص ذكر أنه «تغيُّر» غاية. حيث نظر هذا في جوازيط الفرنصيص... جعل التلغراف لدولته... ليقبضوا على هذا الخواص المذكور وسجنه»[33].

وهكذا لم يخدع المغرب وحده، بل دلس أيضا على دول أخرى ومَوه على رؤسائها ورجال حكومتها مثل رئيس الجمهورية الفرنسية كَريفي Grévy ووزيرها ده فريسيني de Fréycinet. ولم يكتف نائبها بالتنبيه عليه، فقد حذر أيضا منه نائب الانجليز الذي أعلم المخزن بحال هذا المغامر، فأجابته السلطات شاكرة له حسن صنيعه[34].

---

30. كَيين : «ألمانيا والمغرب» ص 340 و681 وفيسجيربير : «على عتبة...» ص 89، وكايي : «النوادر...» ص 109 وما بعدها.
31. المصدر الأخير وميبج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 340 وج 4 ص 172.
32. رسالة السلطان إلى الطريس في 3 ربيع الأول 1303/10 دجنبر 1885، تطوان 54/4 ورسالة عبد الخالق بنهيمة إلى أحمد بن موسى في 29 صفر 1303/7 دجنبر 1885، محفظة عبد الخالق.
33. رسالة إلى غريط في 10 مايو 1886/6 شعبان 1303، وأخرى بنفس التاريخ، تطوان 12/46.
34. رسالة مخزنية في 9 شوال 1303/11 يوليوز 1886، تطوان 24/46.

2 ـ 4 : ثلاثة أشخاص كان أولهم ضابطا زاروا المغرب سنة 1893، والتمست القنصلية العامة من المخزن رخصة زيارتهم، وها هي أسماؤهم حسبما وردت في المصدر : «**الكبيطن أكُشط بالهوفر**» August Vanhovel (?) و«**اكريمر**» Grimmer (?) و«**لينر**» Linner (?) Lenner (?)، وكانوا من أعيان النمسا[35].

ذ : السويــد

يعقوب كرابيرغ أف هيمسو J. Graberg af Hemsö قنصل السويد والنرويج بطنجة والنائب عن إيطاليا قبل وحدتها، وقد ألف كتابا عن المغرب طبع سنة 1832 بمدينة جنوة، وله تقارير تجارية[36].

ر : سويســـرا

فرانس بوشر : F. Buscher رسام تجول بالمغرب سنة 1858 و1859 صحبة أحد العلوج فزار مدنا مختلفة مثل وزان وزرهون وفاس[37].

ز : السنغـــال

1. **ليوبول باني** :L. Panet نشر كتاب رحلته من السنغال إلى الصويرة سنة 1850. خرج من أنضر (سان لوي) إلى تمبوكتو، ولكنه صُرف عن مهمته فذهب إلى شنقيط ثم التحق في 25 ماي بالصويرة[38].

2. **أبو المقداد** : Bou El Moghdad حل بالمغرب من دجنبر 1860 إلى مارس 1861 ثم رحل منه إلى السنغال عن طريق البر. وله كتاب أصدره في السنة الأخيرة[39].

ط : من أقطار غير معينة

1. **مغامر نصراني** ورد سنة 1827 واتصل بمولاي عبد الرحمان مدعيا أنه ابن السلطان مصطفى الرابع العثماني الذي ولي العرش من 1807 إلى 1808 وراجيا منه شفاعته لدى عمه السلطان عبد المجيد. «وكان يركب لزيارة الصالحين، ويزعم أنه ملتمس لبركاتهم وكراماتهم، فأكرمه السلطان بأعظم الجوائز ثم انصرف وقد حاز بالاحتيال أموالا كثيرة. فلما بلغ جبل طارق ظهر أنه نصراني بطريق من البطارقة»[40].

2. **سيكر** : Seager «**الجنرال عبد المجيد**» أروبي غريب الأطوار كان مغامرا دوليا لم تقطع المصادر بجنسيته : فهل ولد بإنجلترا ؟ أم بسويسرا ؟ وهل هو ألماني الأصل ؟ فقد كانت له علاقات مع جهات أروبية مختلفة. تسمى عبد المجيد وتلقب بالجنرال لأنه كان قبل وصوله إلى المغرب قد شارك في معارك هنغاريا إلى جانب كوسوت Kossuth أحد أصدقاء الزعيم الايطالي كاريبالدي.

---

35. رسالة بوليسلافسكي إلى الطريس في 6 مارس 17/1893 شعبان 1310، محفظة النمسا.
36. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 115.
37. كذلك ج 1 ص 80 وكيين : «ألمانيا...» ص 10.
38. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 32.
39. أيضا ج 1 ص 79.
40. محمد أكنسوس : «الجيش...» ج 2 ص 30 ـ 31.

وفي سنة 1874 استوطن مراكش والصويرة التي كان له فيها كاتب اسمه مارشال Marshall وخادمة فرنسية اسمها ماري بيلكومب M. Belcombe وطباخ فرنسي. وكانت له طموحات لنيل امتيازات التنقيب المعدني وفتح الأبناك وتحقيق مشاريع مد القنوات والسكك الحديدية.

وفي سنة 1875 كلفته جهات ألمانية بنشر الدعاية لها بسوس والدخول في مفاوضات مع آيت باعمران والتمهيد لوصول مستكشفين ورحالة ألمانيين إلى الجنوب.

وفي شهر أبريل 1876 قصد سفارة ألمانيا بلندن لكي يحصل على تعيين حرابة ألمانيين وإرسالهم إلى المغرب، مدعيا أن له نفوذا لدى السلطان فزعم أنه كلفه بمهمات سرية بأروبا، غير أن السفارة تبرأت منه، ولو ادعى أنه كان صديقا لبسمارك.

وفي سنة 1884 اقترح على وزارة الخارجية الفرنسية إنشاء «شركة لاستغلال المغرب»، وفي سنة 1889 التمس إحداث بنك مغربي بأموال فرنسية وإنجليزية وإسبانية. واستمر هكذا إلى أن انسجب إلى طنجة أوائل القرن العشرين[41].

وهناك سيكر آخر لاندري هل هو نفسه، ولو أنه كان ذا طموحات مثله. ففي سنة 1861 كتب سيكر ده ليبسارتس Siger de Libessarts رسالة إلى السلطان ملتمسا منه تعيينه قنصلا ووكيلا عنه بباريس حيث هو وكيل القنصلية العامة لبوليفيا، ومقترحا عليه فيها تنظيم الجيش المغربي ومد السكك الحديدية وتأسيس مركز بنكي وعقد سلف لادخال الاصلاحات الواجبة[42] في نظره.

41 ميبج : «المغرب وأروبا» ج 3 ص 334 (4) وكيين : «ألمانيا....» ص 73 و 78 ـ 79.
42 بن زيدان : «الاتحاف» ج 3 ص 544.

القسم الثالث :

تذييل وملاحق

(1) المغاربة بالخارج*

هذا الذيل تأليف تكميلي جديد كنت أعددته للنشر في مستقبل الأيام. إذ ما كاد ينتهي طبع الجزء الأول حتى بدأت أقف علي وثائق جديدة وأجمع جذاذات كثيرة كلها مواد مفيدة تتعلق بالبعض مما كنت قدمته في أبوابه وفصوله. وحصل لي الشيء نفسه بعد طبع الجزأين الثاني والثالث. إذ كنت حريصا على تجديد معلوماتي وتثقيفها بمعطيات وتنقيحات تزيد الأحداث توضيحا، مثلما فعلته في التصويبات التي لم أفتأ أقدمها عقب كل جزء مطبوع.

فلا يخفى على أحد سبب هذه الاستدراكات المتعاقبة وهو أن مصادر التراث المغربي مبعثرة، وأن المعروفة منها مازالت لم تفهرس، وإنما رتبت ترتيبا حوليا، وقليلها فهرس فهرسة موضوعية مثلا بمديرية الوثائق الملكية بالرباط. وإذن لا سبيل إلى تلافي ذلك وتتبع البحث إلا بمواصلة الاستقراء ومراجعة النصوص التي ينسخ بعضها بعضا في الأحكام.

حالة الوثائق هاته كلفتني من أمري مالا أطيق إلا بالصبر والمثابرة، فظللت أدخر في ملفات خاصة كل ما وقع تحت يدي وبصري، وتلومت السبيل إلى نشره عندما تسنح الفرص.

ولم تسمح الآن المناسبة إلا باستدراك ما يتعلق بالمغتربين، دون الأبواب الأخرى في الأجزاء المطبوعة. فهذا كتاب يتناول أحوال المغاربة بالخارج، فلم لا أضيف إليه ما هو ما عندي ؟ ولا يشك أحد أن ما أدرجته إنما هو تأكيد وليس نفيا لما تقدم، وأنه إثراء للموضوع بفوائد ستفاجئنا وسنعرفها عند قراءتها.

وفيما يلي عناصر الذيل الجديد، مُحال على الصفحات التي سبق تناوله فيها.

---

* يضاف هذا الذيل إلى الجزء الأول ص 57 ـ 144.

أ . الولايات المتحدة الأمريكية (ص 64)

غير أن رسالة للحاج عبد الله بن التهامي إلى الطريس تفيد أنه كان لايزال سنة 1898 تاجرا بأمريكا بولاية المسيسيبي وبمدينة دونالدسنفيل Donaldsonville، وأن تجارته كانت قائمة على بيع مواد مثل التبغ والعلف والحبوب والنخالة والزجاج والخشب الفحمي والخزف. وكانت تلك الرسالة متوجة بحروف لاتينية : H. A. Bentamy وحاملة لعنوان دكانه : زاوية زنقة سينت باطريك وزنقة آيبرفيل Iberville.

وكان مراده بالرسالة المكتوبة «عن إذن الحاج عبد الله بن التهامي» هو التظلم من عامل آزمور الوعدوي بن عبد السلام الذي طرد أبناء عم البقالي المذكور من بلادهم «على وجه الظلم والتعدُّوا على الناس»[1].

5. أحمد بن التهامي العبدي البقالي كان مقيما بالولايات المتحدة ثم عاد منها سنة 1897 حسب رسالة السلطان إلى الطريس. وجاء فيها «أن شخصا من قبيلة عبدة يعرف بابن التهامي كان توجه لبلاد المركان وأقام بها مدة، ثم ورد في هذه الأيام على أنه رعية المركان، لابسا الكسوة الفرنجية والشمرير، وبيده كتاب من الخديم اللبادي لعامل ءازمور بالتعريف به والتنبيه على فصل ما يدعي بنهبه لمخالط له بقبيلة الشياظمة إيالته بِحَثِّ على دفع الدراهم من غير بحث ولا تثبت، زاعما أن المتجمل له في المنهوب خمس عشرة مائة ريال وستون ريالا، وألح على العامل المذكور في طلب الفصال وقبض الدراهم، حتى حمل ذالك العامل الخوفُ من المواخذة المخزنية على المسارعة للفصال معه بألف ريال، من غير تنبُه لمطالبة المدعي بمواجب الاستحقاق ولا تثبت في أمره باستيذان جانب المخزن.

«ولما رءا هذا المركاني ما قوبل به بازمور من الاعتناء قويت بواعث تنطعه وتعصبه، وصار يبرز ما كان كامنا فيه، فجمع عليه أولا عصابة من الأوغاد والسَفْلة الذين لا خلاق لهم، وصار يتجاهر بالانهماك في المناكر ليلا ونهارا، ويمد اليد عيانا في محارم الناس طوعا أو كرها بوسط ءازمور، وتعصب على دوار الفقراء بهشتوكة، وطبع مواشيهم بطابعه على أنهم كلهم في حمايته، واتخذ سجنا بدار نزوله من الزاوية الشعيبية، وسجن فيه عدة أناس يتجاوزون العشرة، من جملتهم أحد أشياخ العامل على هشتوكة، ولازال مسجونا، وتعرض على عسكريَيْن قديمين في الخدمة العسكرية، وكادت نار الفتنة أن تتقد بالبلد في شأنهما، وقبض على رجل من عبدة ورد بالقمح ليبيعه بأزمور، وأوجعه ضربا وأودعه السجن على يده، ولم يسرحه حتى قبض منه أكثر من مائة ريال. وإذا ركب أركب معه أربعة فرسان، كل واحد منهم حامل لمكحلة من ذوات العمائر 16، مع راجليْن متسلحين أيضا، ودخل على هذه الحالة لمدينة الجديدة في الرابع عشر من شهر التاريخ حتى شاهده الخاص والعام، وفزع الناس من ذالك، ولازال أمره في الزيادة...»..

---

1 . رسالته في 28 رجب 12/1316 دجنبر 1898، تطوان 76/68.

إن هذا التصرف من رجل ذهب إلى أمريكا ثم رجع منها وصار يتجول حرا في هيأة الكوبوي رعاة البقر المسلحين بالنبادق الكبيرة يذعرون الناس ويفزعون السلطة والسكان لمن الأمور العجيبة التي تقع بالمغرب. وهو ما حذا بالسلطان في رسالته هاته الى أن يأمر نائبه بطنجة بإثارة الكلام مع القنصل العام الأمريكي ليحد من غلواء هذا المتسلط المتأمرك، وليحسم مادة هذا الافتيات على نفوذ السلطة المخزنية، وليقيم الحجة على هاته «الجراءات الشنيعة، التي لولا تدارك المخزن تسكين أهل البلد، حتى يتوصل لعقدها بالموجب الذي لا يسع معه إنكار، لنشأت عن ذالك فتنة عظيمة، وضاعت أموال ورقاب للتجار وغيرهم...»[2].

ولئن لم أقف على مثال هاته القضية ولا على أسماء أصحاب هذا الفتان ممن كانوا في عصابته فقد ساقت وثيقة اسم الجنديين اللذين كانا محميين لابن التهامي، وكان أحدهما بحريا اسمه عيسى بن أحمد بن الحسن وكان اسم الآخر هو محمد بن الحاج ابراهيم فينونة الفقري[3] حسبما جاء في موجب أول.

ونص موجب آخر على أن أحمد بن التهامي كان قد دخل أزمور في يناير 1897، واشتغل بمد اليد في المحارم[4]، لربما على الهيأة التي سيكون عليها في النعت السابق.

وتصفه وثيقة مخزنية بأنه كان أعرج، وأنه كان مشلولا من رجله ومن يده، وأنه كانت له خلطة مع أهل دكالة وعبدة.

وختام الحديث عنه : يبدو لي أنه شقيق الحاج عبد الله المذكور قبله، وأنه كان يعيش معه مدة في أمريكا حيث كان يشاهد أعمال اللصوصية والنهب والبطش. فالمقارنة في نسبهما تثبت أنهما أخوان.

ب. إنجلترا (ص 66 و73)

وهكذا فإن علي ورصاص وعلي أدولفوس قاسم ماهما إلا شخص واحد.

وبخصوص هذا الرجل الذي كان ملاحا بحريا ذكرت رسالة مخزنية سنة 1886 : «فقد وصلنا كتابك أن علي ابن قاسم حامله : أبوه مسلم من بلاد سوس، وأمه انجليزية ولدته ببلادكم، فصار لأجل ذالك من جملة رعية اكريت ابريطن، وأن علي المذكور بيده رسوم تضمنت أملاكا لوالده في بلاد سوس، وأنه يخدم أبلوط في مرسى الصويرة، وسيرته جميلة، واستكتبك للحضرة الشريفة بأن ينصفه سيدنا أيده الله من أهل سوس بتمكينه من أملاك والده...»[5].

---

2 . رسالته في 21 شوال 25/1314 مارس 1897 تطوان 114/15 ومثلها رسالة السلطان إلى أمين مستفاد الجديدة محمد فرج في 22 شوال / 26 مارس، الترتيب العام.

3 . موجب في 25 قعدة / 27 أبريل، تطوان 110 / 192.

4 . موجب في 7 شوال / 11 مارس، تطوان 117 / 163.

5 . رسالة مخزنية إلى نائب إنجلترا في 24 رمضان 1303 / 26 يونيو 1886، تطوان 46 / 18.

وبعد سنوات تحدثت عنه رسالة أحمد بن موسى إلى الطريس بكثير من التفصيل سنة 1897 فقالت : «إن المتنصر المسمى علي وارصاص النجليزي كتب لنا كتابا من الصويرة، زاعما فيه أن له ملكا ببلاد سوس يريد بيعه، ويطلب فيه مالا له بال. ولما بُحث - من خارج - عن حقيقة هذا المتنصر تبين أن أباه كان من الهيَّاضة يتردد لبر النصرى للَعب بالطَّبَاطْرِيَات إلى أن تزوج نصرانية نجليزية، فوُلد له معها صاحب هذا الكتاب بالصويرة. وبعد موت الزوج توجهت النصرانية بالولد المذكور لبر النصرى، فتنصر نجليزيا، وصار يتردد للصويرة، مملقا لا يتعيش إلا بما يحاسنه به من يرد لذالك الثغر الصويري من البَسَاجير ونحوهم، وأنه كان ورد عام ثمانية الفارط على القاضي الحاج علي القرمودي وقت انتصابه للقضاء برِقاع من الكواغيد يروم التوصل بها لاثبات ما يزعمه من الملكية، فردها عليه لعدم إفادتها.

«فصدر أمر سيدنا أيده الله لأمناء الصويرة وعاملها الآن بأن يجتمعوا بالرجل ويستوعبوا كلامه والرسوم التي يدعي بها تحت يده، ودُفعت للقاضي، فأخذ نسخة منها باللفظ، وسجل عليها الحكم ببطلانها وعدم نهوض حجة منها، إذ لا ذكر فيها لمن هي بيده ولا لأحد من ءابائه وأجداده، وحتى على فرض وجود ذكر لأحدهم فيها فلا وُصْلة له بها لا بوجه ولا بحال. ومع ذالك راودوه على البيع لجانب المخزن بشيء يناسب من الدراهم حسما لمادة روجان ادعائه في هذا الموضوع، وإن كان ادعاء باطلا لا أصل له. فلم يزده ذالك إلا حمقا وهذيانا بطلبه في الثمن اثني عشر ألف إبرة، حيث رءا من جانب المخزن الاعتناء والاعتبار لسماع شكواه، فصمم على طلب العدة المذكورة.

«وكل من سمع من تجار الأجانب والقناصل ما أشاعه هذا المعتوه من البيع بما ذكر استغرب ذالك. وزاده طيشا أنه لما بلغ للوندريز خبرُ محاولة الأمناء معه حسم مادة هذيانه، كتبت له كبانية النصراني أكرتيس الذي كان قُبض عليه بسوس عام ثلاثة عشر وسجن مدة، كما كتب له النجليزي ميجور الذي كان بأركسيس هذه الأيام، وثبَّطوه عن الامضاء حتى يتلاقى بهم، فتوجه الى اللوندريز وأطلعهم على البطائق المبتورة، فلم يفهموا لها معنى، واستروحوا عدم صحتها، لاكن منْ طمعهم جعلوا معه البيع بثلاثة ءالاف إبرة، على شروط : منها الاتيان بالملكية الصحيحة (ولا مطمع في صحتها، فضلا عن توصله لها)، ومنها أن يمكنهم بالفعل من جميع ما يزعم أنه يملكه يدا بيد. ولما رجع خائبا من الوندريز ورجع النصراني النجليزي من أركسيس تبين أنه لم يبق له طمع، اذ لا شبهة له يتوصل بها لذالك...»[6].

أما باقي المستوطنين الخ...

33. شلومو بن يوسف لاريدو أصله من الجديدة حيث كان سنة 1889 سمسارا للاخوة ليبي القاطنين بلندن[7]. وقد انتقل بعد ذلك إلى إنجلترا، و«طال مقامه ببلاد النجليز فصار من رعيتهم»[8] قبل سنة 1896 .

6 . رسالته في 5 جمادى الأولى 2/1315 أكتوبر 1897، تطوان 65/24. ولعل أكرتيس هو كرتيس Curtis، أما الميجور فهو سبليزبوري Splisbury.

7 . مصطفى بوشعراء : «الاستيطان...» ج 3 ص 991.

8 . رسالة السلطان إلى الطريس في 18 قعدة 1313/فاتح ماي 1896، تطوان 177/14.

34. إسحاق بنسعود استوطن لندن سنة 1851 للتجارة بها. وكان مراسلا لأخيه ابراهام القاطن بالصويرة[9].

35. يهودة يولي كان يسكن بلندن للتجارة بها مثل ابن أخته إسحاق بنسعود[10].

36. يهودة حاشويل مثل السابقَين كان سنة 1880 تاجرا بلندن حيث تنجلز[11].

37. ابراهام الزاكوري الصويري كان سنة 1897 بلندن حيث احترف التجارة[12].

38. موشى أفلالو عاش بلندن مدة طويلة وكان مراسلا للمخزن أواخر القرن الماضي[13].

39. الحاج العربي جسوس كان تاجرا بلندن قبل سنة 1894. فلما كان بنواحي فاس في السنة الأخيرة هجم عليه وعلى أخيه عبد الرحمان أربعة أفراد من قبيلة الشراردة وسلبوهما ما كان معهما من مال[14].

40. محمد بنشقرون احترف التجارة سنة 1895 بمدينة مانتشيسطر[15] وحتى قبلها.

هؤلاء هم الخ....

ت. فرنســا (ص 74 و 75)

على أن من شركاء الحاج محمد بن عبد الرحمان الحلو كان كولار Colar وبيرنجيي Berengier القاطنين بمرسيليا[16].

5. أبو بكر بن محمد مزُّور احترف التجارة بالخارج منذ سنة 1872 وكان سنة 1886 لايزال مقيما بمدينة مرسيليا. كما أنه كانت له روابط تجارية مع محمد مزور الساكن بفاس وعمر مزور القاطن بالدار البيضاء[17].

6. محمد بن العياشي بناني الخ...

13. عبد الله الخطيب اتجر بمرسيليا أواخر القرن الماضي[18].

14. العربي برادة كان سنة 1894 تاجرا بمرسيليا[19].

---

9. مييج : «المغرب وأوروبا»، ج 2 ص 574 (10)

10. أيضــا.

11. كذلــك.

12. رسالة علي ابن الحاج إلى اللبادي في 16 رمضان 18/1314 يبراير 1897، تطوان 170/90.

13. رسائل كثيرة عنه بمحافظ الترتيب العام ومحفظة المغرب إنجلترا.

14. رسالة سعيد بن فرجي إلى السلطان في 6 رمضان 1311 / 13 مارس 1894، الترتيب العام.

15. رسالة بنشقرون إلى محمد اللعبي في 24 جمادى الأولى 1313 / 12 نونبر 1895، الترتيب العام.

16. رسالته إلى الحاج الطيب الصبيحي في 27 رجب 1314 / 1 يناير 1897، الخزانة الصبيحية.

17. رسالته إلى الحاج عبد الواحد التازي في 18 رمضان 1303 / 30يونيو 1886، خزانة كلية الآداب بالرباط الوثيقة 436 / 2 وكذلك مييج : «المغرب وأوروبا» ج 4 ص 406 (4).

18. المصدر الأخير ج 3 ص 251 (5).

19. رسالة السفير الايطالي إلى الطريس في 6 دجنبر 1894، تطوان 50/57.

15. الطيب بن الحاج محمد بن الصغير المراكشي كانت وفاته سنة 1893 بباخرة متوجه إلى فرنسا، وحيز متخلفه ووضع بمدينة بوردو، وطلب ورثته تمكينهم منه، فوكلوا على ذلك شركة مردوخ بوطلير بآسفي، وقد حازته بالفعل[20].

ث. ألمانيا الخ...

ج. إيطاليا (ص 77)

8. المفضل بن الحاج عبد الغني القباج كان سنة 1903 تاجرا بمدينة جنوة[21].

ح. إسبانيا (ص 78)

... فجاء لاستخلاص ديونه. على أن عبد السلام بن محمد برادة كانت له ديون أخرى على بني عمار. وقد انتقل سنة 1884 للاستيطان بتطوان[22].

3. ولاشك إلخ...

خ. جبل طارق (ص 82 و83)

... تصديرا وتوريدا (103). ومن الذين كانوا بجبل طارق أيضا :

- عبد السلام بنونة الذي مكث تاجرا هناك 17 سنة منذ 1891، حتى أفلس وهرب إلى سبتة وتخلدت بذمته أموال لم يؤدها لتاجر ألماني كان مقيما بالجزيرة الخضراء[23].

- محمد المقايسي لم يكن تاجرا وإنما كان سنة 1898 من أهل الدعارة وعظائم الأمور، وكان قد فر من جبل طارق قبل هذا الوقت بدراهم الناس، ثم رجع تائبا، ولكنه عاد إلى حالته الأولى في شرب الخمر وسب الناس والخصام، واشترى سكينا كبيرا، وأراد أن يقتل به ولد العمارتي، فقبضه بوليس جبل طارق[24].

ومهما يكن إلخ...

6. الحاج محمد بنونة وهو الذي خلف الحاج سعيد جسوس على رأس القنصلية سنة 1890 (112) وظل كذلك حتى توفي فعين مكانه سنة 1898 :

---

20. رسالة نائب فرنسا إلى المخزن في 10 شعبان 1310 / 27 يبراير 1893، تطوان 40 / 73.
21. رسالته إلى الحاج محمد فرج في 21 رمضان 1321 / 11 دجنبر 1903، الترتيب العام.
22. رسالة محمد الجامعي إلى عبد الله بن أحمد في 21 حجة 1301 / 12 أكتوبر 1884، الترتيب العام.
23. رسالة روزن إلى الكباص في 10 دجنبر 1908، محفظة جبل طارق.
24. رسالة عبد السلام بوزيان إلى الطريس في 16 جمادى الأولى 1316 / 2 أكتوبر 1898، تطوان 145/82.

7. عبد السلام بن أحمد بوزيان «لِما كنتُ أثنيت عليه به سابقا من النجدة والمروءة والخِيَرة»[25]. وبعده أسندت الوكالة سنة 1906 إلى :

8. محمد بن الحاج محمد مرتيل[26] الذي استمر في منصبه إلى أن فرضت الحماية على المغرب

ويغلب علي الظن إلخ...

د. البرازيل (ص 84)

6. ابراهام بوطبول الطنجي الذي استوطن مدينة بيليم، وفي سنة 1847 كانت وفاته[27].

7. وعلى الحدود البرازيلية وبمقاطعة كويانا الفرنسية كان يعيش أحمد بن الحاج المخلوف قادة الوجدي، وكانت وفاته في السجن هناك في 10 يبراير 1891 عن الثلاثين من عمره. وكان صاحب مطعم ومتزوجا بامرأة اسمها كابريال Gabrielle[28].

8. محمد بن الوزّاع وهو رباطي تعلم بإيطاليا وتخرج ضابطا، وفي سنة 1902 رحل إلى البرازيل وأقام بمدينة ساو باولو ثم انقطع خبره، ولم يعد حتى بعد سنة 1930 حسب مذكرة أحمد الجبلي العيدوني.

ذ. دول أمريكية إلخ...

أ. السينغال ومالي (ص 88 و90)

6. الحاج إبراهيم بن علي السوسي الفاسي (تدمج ترجمته في ترجمة المغترب التاسع، فهما شخص واحد).

16. عبد الله الشتيوي الزياري كان غائبا قبل سنة 1897 في «بر الأفريك»، ولما رجع صار يوسوس لاخوانه واشتغل بخوضهم وأراد أن يعمر ذمتهم هنا[29] بقبيلة بني مالك بالغرب. والراجح أنه أحد العمال الذين كانو يشتغلون في مد خطوط السكة الحديدية منذ سنة 1886 أو بعدها، فعاد مَلِيًا ومستعدا للمخالطة مع الناس.

17. المختار بن مسعود المراكشي كان سنة 1903 تاجرا بالسينغال[30].

---

25. رسالة السلطان إلى الطريس في 13 شعبان 7/1315 يناير 1898، تطوان 47/16.
26. موافقة السلطات البريطانية على تعيينه كانت في 30 يوليوز 1906، محفظة جبل طارق.
27. مييج : «المغرب وأروبا» ج 2 ص 577 (1).
28. رسالة جول باطنوطر إلى الطريس في 27 يونيو 1891، تطوان 138/38.
29. رسالة إدريس الحباسي إلى اللبادي في 20 صفر 1315 / 21 يوليوز 1897، تطوان 119/94.
30. رسالة العباس الفاسي إلى الحاج أحمد الطريس في 2 جمادى الأولى 15/1321 غشت 1903، تطوان 37/87.

ب. الجزائر (ص 92)

9. الحاج ادريس بنعبد الجليل كان حوالي 1903 خليفة لعامل فاس، وقبل ذلك كان يحترف التجارة بمدينة الأصنام حيث عاش مدة طويلة[31].

وهناك طائفة من المغاربة كانوا مقيمين بمختلف المدن الجزائرية حتى توفوا بها. وكان منهم :

10. علي الرايس بن علال، أبوه يسمى علي، وأمه هي فاطمة بنت فطيمة، ولد بطنجة حوالي 1848 وتوفي بسجن الجزائر يوم 13 يناير 1893 عن نحو 45 سنة من عمره، بعد أن حكمت عليه محكمة الحرّاش بالسجن من أجل الضرب والجرح. وكان متخلفه يبلغ 383،11 فرنكا[32].

11. عبد الرحمان بن العباس بن الحاج أحمد الشاوي وأمه مسعودة بنت العربي مات سنة 1893، مخلفا 11،75 فرنكا[33].

12. الحفيان بن الحاج العربي أمه عائشة بنت أم الخير، وقد ولد بحوز مراكش حوالي سنة 1858، وسجن بالجزائر من أجل السرقة حتى مات يوم 17 أبريل 1892 ولم يخلف شيئا[34].

13. سالم بن عبد القادر بن علي السوسي من مواليد أنزي وتوفي يوم 25 يناير 1888، بمرض السل العظمي[35].

14. محمد بن محمد بن عمر أمه تدعى فاطمة بنت رحمة ولد بفاس حوالي 1858 وكان مستخدما مياوما وفقيرا، وتوفي يوم 27 أبريل 1888 بمستشفى تلمسان[36].

ت. تونس (ص 94)

5. الطيب بن كيران جاء عنه سنة 1884 في رسالة سلطانية أن الحاج العربي بريشة عامل الدار البيضاء أخبره قنصل فرنسا بها «أن كبيرهم بتونس أمره بحماية الطيب بن كيران وأولاده وأهله، فلم يقبل منه حمايته... لكون المذكور من أعيان تجار أهل فاس

---

31. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 128 ـ 129.
32. الوثيقة 5/39 بتطوان مترجمة إلى العربية في 12 أبريل 1893.
33. رسالة دوبيني إلى الطريس في 3 يوليوز 1893، تطوان 39 / 19.
34. الوثيقة 6/39 بتطوان مترجمة في 12 أبريل 1893.
35. الوثيقة 7/41 بتطوان.
36. الوثيقة 11/41 بتطوان.

الذين لا يتخذ أمثالهم سماسرة أو كتابا[37]. ومن هاته الوثيقة يفهم أن ابن كيران كان قبل السنة المذكورة مقيما بالقطر التونسي قبل أن يعود إلى الدار البيضاء.

6. الحاج محمد بن الحاج الغربي توفي سنة 1890 بمدينة الكهف وخلف اثنين من الأولاد هما محمد وأحمد الساكنان بطنجة حسبما ذكره القائم بأعمال فرنسا الذي طلب ممن يريد السفر للاحاطة بإرث الهالك أن يتزود بالأوراق الشرعية الكافية[38].

7. ابن بوعزة السعيدي كان له أبناء بتونس سنة 1897، فأراد عمهم الحاج محمد بن بوعزة زيارتهم وإرجاعهم لعمارة بلدهم[39] لاسيما بعد وفاة أبيهم على ما يظهر.

8. عبد الحكيم التونسي أوعبد الحكيم بن محمد المزوغي وهو مغربي ولد بتونس ولكنه رجع إلى المغرب فعمل وزير فرنسا سان رنيْ طاياندي سنة 1902 على طرده [40].

وأصله من قبيلة مزوغة بنواحي أمزميز إقليم مراكش، وعرف بالتونسي لأن أباه كان مستوطنا بتونس حيث ولد له عبد الحكيم هذا الذي درس بتونس ثم بجامع الأزهر بالقاهرة وتجول بأروبا وأقام بعض الوقت بتركيا. رحل إلى المغرب وهو في مقتبل العمر فاستوطن طنجة ومراكش، واستخدمه المخزن في بعض شؤونه، لأنه كان واعيا ومثقفا. ولهذا تضايقت منه مفوضية فرنسا وطالبت برده إلى مسقط رأسه لأنه في نظرها تونسي، ودافع المخزن عن عبد الحكيم. وانتهى الأمر بخروجه من المغرب ومحاكمته أو النظر في جنسيته بمحاكم فرنسا، وكانت النتيجة لصالحه فعاد إلى السكنى بالمغرب واحترف المحاماة حتى توفي في محرم 1351 / 1933 بمراكش[41].

وترددت أصداؤه في الوثائق المخزنية. فقد قدمت المفوضية الفرنسية مطالب عنه اشتملت على خمسة فصول.

في أولها أن نائب فرنسا ذكر «في الأمر الذي وجهه لعبد الحكيم المؤرخ في 22 أكتوبر عام 1902 ما نصه «إن عبد الحكيم من يوم الذي حل بالمغرب وهو معرض للشكايات». وعنه طلب المخزن «بيان أسماء الذين اشتكوا بعبد الحكيم ونوع شكاياتهم، لأن المذكور في خدمة المخزن الشريف، وسافر لغرض خاص بمال له بال».

وفي الفصل الثاني قال النائب : «إن عبد الحكيم المذكور هو من رعية تونس». فكان رد الحكومة أنه «من رعية الدولة المغربية، ولو أنه ولد بتونس للأسباب الآتي ذكرها : أولا فإن أصله من المغرب، وهذه مدة تزيد على الثمانية أعوام خرج من تونس وهاجر للغرب واستوطن بوطنه الأصلي هو وأخويه، وأبيه مات بمراكش، ولم تبق لهم نية في الرجوع لتونس حيث باعوا بها أملاكهم... وفي سفره المرة الأولى والثانية : دار

37. رسالة السلطان إلى الطريس في 29 رمضان 1301 / 23 يوليوز 1884، تطوان 140/2.
38. رسالة باطنوطر إلى الطريس في 14 أكتوبر 1890، تطوان 38 / 130.
39. رسالة العياشي بن محمد السعيدي إلى اللبادي في 18 صفر 19/1315 يوليوز 1897، تطوان 116/94.
40. مييج : «المغرب وأروبا» ج 1 ص 53.
41. محمد المنوني : «مظاهر...» ج 2 ص 312 و322 و574.

النيابة هي اللتي أعطتهم الباصابورت، فذاك دليل وأنهم رجعوا لأصلهم. ثانيا أن عبد الحكيم المذكور هو الآن في خدمة المخزن الشريف هذه مدة تقرب من ثلاثة أعوام، دخل في خدمة الأعتاب بدون واسطتكم... فمن كانت له به شكاية فليقدمها وتجري على وجه الحق».

ونص الثالث منها على أن «مبروك بن جعفر قد أتى به عبد الحكيم بكيفية مشكوكة». فأجاب المخزن مستفهما عن العبارة وعن الوصيف مبروك الذي «كان قدمه عبد الحكيم المذكور لخدمة الدار المعمورة بصورة طواشي حر... فإذا بلغ لكم عن مبروك غير ما ذكر فهو خلاف الواقع، لأن حال عبد الحكيم معلوم عند الخاص والعام من الاستقامة وحسن السيرة».

وورد في الفصل الرابع أن عبد الحكيم أقلق «الراحة العامة من يوم حلوله بالمغرب». وجوابا عن ذلك استوضح المخزن النائب الفرنسي عن الأمور المقلقة «للراحة العامة والمصالح العمومية، لأن عبد الحكيم المذكور في خدمة المخزن، ومظنون فيه استقامة الحال وحسن السيرة في جميع أموره...»

أما في الفصل الأخير فاعتمد نائب فرنسا على معاهدة بلاده مع الباي في 12 ماي 1881 التي «بها أراد التصرف على أبناء تونس المقيمين بالمغرب». فاستظهر المخزن بمغربية عبد الحكيم، وبأنه «على فرض ثبوته أنه من رعايا تونس فإن رعايا تونس المقيمين بالغرب معدودون من رعية المخزن في الأحكام، لأن العادة التي جرت بين دولة المغرب ودولة تونس ان رعية المغرب المقيمين بتونس - وهم كثيرون - معدودون من رعية تونس في جميع ما يرجع للأحكام، وكذلك رعية تونس المقيمين بالمغرب معدودون من رعية المخزن... وهذه القاعدة جارية حتى مع دولة الترك وسائر ممالك الاسلام، لأن أحكام المسلمين مبنية على شريعتهم، عدى أهل الجزائر...». فالمعاهدة المذكورة مع الباي «إنما هي معاهدة سياسية». فكيف يصح للدولة الفرنسية «أن تتصرف فيهم وهم في بلاد أجنبية؟... بقي لنا الكلام عن الفصل 82 من قانون 1778 والفصل 82 من قانون 1836. فالجواب أن هذه القوانين جارية على رعية الدولة الفرنسوية في أمور محدودة، وهي لا تنطبق على أهل تونس، سواء كانوا ببلادهم وبالأحرى في البلاد الأجنبية»[42].

ولئن كان تحليل هذه المقتضيات من اختصاص فقهاء القانون، فمما لاشك فيه أن واضع الوثيقة رجل متضلع فيه، ولا يبعد أن يكون محررها هو عبد الحكيم نفسه إذا قارنا خطها بخطوط رسائل أخرى له.

ومنها رسالة بالخط نفسه بعث بها سنة 1909 إلى صديقه أبي بكر بن محمد التطواني السلاوي الذي كان عضوا بدار النيابة حتى أعفي سنة 1905 من عمله[43]، ويفهم منها أنه كان حديث العهد بالنفي عن المغرب، وأن النائب ألسلطاني سأل ممثل فرنسا «عن الأسباب التي دعت نفيي وإبعادي عن الإيالة المغربية حالة كوني منحاشا للجانب الشريف، زيادة على أن أصلي مغربي الخ ماذكرتم، فالظاهر أن نائب الفرنسيس سيحير

42. الوثيقة 26/41 بتطوان، وهي غفل من التاريخ.
43. رسالة الطريس إلى ابنه في 14 جمادى الثانية 17/1323 يوليوز 1905، تطوان 88 / 19

في الجواب، لأنه شرع في شيء ولم يعرف مئاله، وأعلم أن الفرنسيس لم يعلمني بورقة النفي لما كنت بطنجة، ولا بعث لي بكلام أصلا، إلا أنه ترقب حتى علم بسفري ووجه لي الورقة للمون. وعليه فلا يعد أنه نفاني ونفذ حكمه علي...».

وبعد ذلك أفاض في الدفاع عن مغربيته ثم قال : «واعلمْ أني من هنا سنباشر شيئا في إعانتكم، وأنتم لا تخافون أصلا، فإن الحق معنا بلا شك.... والذي يجب : أنكم تقفون على حد ما كتبتم به وهو أني مغربي من جهة والدي، ولو أني ولدت بتونس... وأخبر بجميع ما يكون الوكيل صاحبي ميشل الانجليزي بواسطة الشامي الذي كنت أشرت لكم عليه في مكتوبي السابق، وإذا لم يكن هو فبواسطة التاجرميناحيم عطية، صاحبي يودة يعرفكم به، فإنه صدوق ولا هو صاحب فضول.. والله ينصرنا بنصره على القوم الظالمين...». وختم رسالته إلى أبي بكر التطواني بأن أوصاه بالتكتم عند المراسلة معه، موجها له أظرفة خاصة : «ضع مكاتيبك في الغشاوات، ولا تضعهم في بوسطا الفرنسيس، ولا تكتب عليهم بالعربي»[44].

كتب هذا وهو في منفاه، إلا أنه كان سنة 1904 مقيما بالمغرب، وفي خدمة المخزن بالخارج. قال عبد الكريم بنسليمان للطريس : «فإذا ورد الطالب عبد الحكيم المعروف بالتونسي من ناحية أروبا ونزل بذالك الثغر الطنجي فيأمرك سيدنا أيده الله أن تكون منه على بال وتقف في تجهيزه وتوجيهه واصلا لشريف الأعتاب، من غير أن تلحقه يد أحد بمكروه : بقبض ولا غيره...»[45].

لكن في سنة 1905 أمر العاهل «بتوجيهه لحاله في أمان وتسفيره لطنجة ليركب البحر منها لأي بلد شاء، إراحة مما نشأ من القيل والقال في شأنه. وها نحن يسرنا له أمور السفر، وتعين من يسافر به اليوم لطنجة، وكتبنا لعاملها بالكون على بال منه، ولا يترك أحدا يمسه بسوء...»[46]. ومن هذا يظهر أن ضغوط فرنسا من أجل إبعاده قد اشتدت على المخزن.

وبالفعل سافر إلى جبل طارق وكتب عبد الحكيم إلى الطريس يقول بعد نحو الشهرين : «ويصلك طيه كتاب نحبك... أن تبلغه لليد الشريفة... وأنا لازلت بجبل طارق، وإني في هذه الجمعة إن شاء الله مسافر إلى إسطنبول، ثم نرجع للأعتاب إن شاء الله على أحسن حال. والله يأخذ الحق من الظالم...»[47]. فتسفيره إذن في ماي 1905 لم يكن إلا حيلة من المخزن مادام يقول إنه راجع للأعتاب.

وهاته آخر رسالة بخط عبد الحكيم كتبها يطلب مساعدة دار النيابة له في المحاكمة التي ستنتهي في آخر أبريل 1906 ويقول : «إني إن شاء الله في قريب عائد إلى باريز

---

44. رسالته في 13 رمضان 1320/9 أكتوبر 1909، محافظ الترتيب العام.
45. رسالة في 19 رمضان 1322/27 نونبر 1904، تطوان 160/35.
46. رسالة بنسليمان إلى الطريس في 19 ربيع الأول 1323 / 24 ماي 1905، تطوان 165/35.
47. رسالته في 17 جمادى الأولى 1323/15 يوليوز 1905، تطوان 128 / 93.

للحضور على قضيتي التي سيصدر الحكم فيها في ءاخر شهر أبريل العجمي بما يثبت حقي إن شاء الله. وقد ورد لي أمس التاريخ كتاب من وكيلي يطلب مني حجة تؤيد أن سفري لحاضرة فاس في العام المنصرم كان بعلم المخزن وموافقته، فبحثت على المكتوبيْن الوارديْن إليك طيه فوجدتهما يؤيدان ذلك. فنطلب منك بارك الله فيك أن تعرّف بعلامة السيد عبد الله بن سعيد الذي كان نائبا عنك مدة مغيبك بالأعتاب، وبعلامة العامل السيد حمزة بن هيمة...»[48].

هذا كل ما التقطته عن عبد الحكيم. وهناك وثائق وإفادات أخرى[49] تبين جوانب من شخصيته ومواقفه من السياسة الأوروبية حيال المغرب.

ث . مصـــر (ص 107 ثم 124)

19. عبد الخالق السبتي كان سنة 1878 تاجرا بالقاهرة[50] وكان لا يزال كذلك في مطلع القرن العشرين.

20. عبد الرحمان التطواني أقام بمصر منذ سنة 1850 حتى توفي سنة 1884، وكان من أهل اليسار وخلف ثلاثة منازل ومالا كثيرا، لكن لم يكن له وارث. وكان إسكافيا يجلس بالأرض لا بحانوته. وقد حضر الحاج عبد الواحد التازي لاحصاء تركته، وكان معه العربي بن محمد بن جلون والحاج الطالب بن عبد السلام بن بوبكر والحاج محمد التازي والحاج بناصر بن محمد بنشقرون والحاج علال بن حمادي الأرزق والحاج محمد بن محمد بنجلون[51].

غير أنه بعد شهور ظهر من ورثته الحاج الموفق التطواني الذي حضر لدى الوكيل التازي مستشهدا بـ «المعيار» للونشريسي، مع أن الأحكام جارية في المواريث بمصر حسب مذهب أبي حنيفة[52].

21. ابراهيم بن الحاج محمد القباج ولد بمصر ونشأ بها، وقد انتقل سنة 1889 للسكنى بفاس وصار يدعي أنه محمي إنجليزي، لأن أباه الوارد قبله والساكن بطنجة منحاش إلى أمريكا[53].

22. الحاج التهامي العمري انتقل سنة 1885 للتجارة بالاسكندرية، وكان بعد سبع سنوات لا يزال مقيما بها[54].

---

48. رسالته في 2 صفر 28/1324 مارس 1906، تطوان 103/126.
49. عند محمد المنوني في «مظاهر...» ج 2 ص 322 و574.
50. الوثيقة 46، خزانة كلية الآداب بالرباط.
51. أيضا الوثيقتان 238 و239 وتاريخهما هو 14 و15 جمادى الثانية 11/1301 و12 أبريل 1884.
52. أيضا الوثيقة 317/رسالة التازي إلى محمد عزيمان في 22 ربيع الثاني 8/1302 بيراير 1885.
53. رسالة بوشتى بن البغدادي إلى الطريس في 1 حجة 29/1306 يوليوز 1889، تطوان 110/73.
54. رسالة الحاج بنعيسى بن راجع إلى الطريس في متم رجب 29/1309 بيراير 1892 تطوان 47/47، وهو يتحدث فيها عن صهره.

23. الحاج عبد الكريم بنونة كان سنة 1896 مقيما بمصر[55].

24. عبد السلام بناني عاش بمصر مدة طويلة حتى توفي بها حوالي 1899، وخلف ابنه الحسن وصيا على أولاده، وحصل له خلاف مع الحاج محمد بن قاسم الحلو فثقفت أملاكه بفاس[56].

ث ـ 3 الوكلاء[57] الخ.

5 . الحاج محمد بن الحاج محمد الحبابي تولى ذلك سنة 1870/1286 أيضا (193). وكانت وفاته بمصر قبل مارس 1882، وكان قد غادر فاس قبل وفاته بـ 35 سنة، ولم يعد منذ سنة 1847 إليها[58].

6. الحاج عبد الغني الخ...

7. الحاج محمد بن قاسم الحلو وهو الذي خلف الحاج عبد الواحد التازي عند وفاته حولي 1311 / 1890 (199). وكان تعيينه باقتراح من الطريس الذي قال للحاجب بعد وفاة التازي في رسالة سنة 1895 : «وأما عبد الواحد التازي ومن إلى نظره فلا يقبل لدى الحكومة المصرية». وبمحولها هاته العبارة : «الحاج عبد الواحد لأجل مالُمِز به، وهو قد توفي رحمه الله»[59].

وكان تعيينه بظهير سنة 1895 وردت الاشارة إليه في رسالة سلطانية إلى الطريس تقول : «فقد كلفنا خديمنا الأرضى الحاج محمد بن قاسم لحلوا القاطن بمصر بما كان مكلفا به خديمنا المرحوم الحاج عبد الواحد التازي، من النظر في أمور المغاربة بمصر والاسكندرية وأعمالهما، وأذنا له في استنابة من تُرضى أمانته عنه بالاسكندرية وغيرها من المدن والقرى التي للمغاربة بها القرار، من تلك الديار، وها ظهيرنا الشريف بذلك يصلك طيه، مع كتابنا الشريف له بما ذُكر.

«فنأمرك أن توجههما له، وتنبهه على ما يقتضي الحال تنبيهه عليه من أمر المصارفة مع الأجانب ثمة وغير ذلك. واكتب لنائب النجليز هنالك بتعريفه بذلك وإعلامه به، ليكتب لكبيرهم بمصر في شأنه...»[60].

غير أن الحلو صار يلقى صعوبات في الاعتراف به وكيلا عن المغاربة من لدن المسؤولين المصريين. فقال للطريس في رسالة بعث بها إليه سنة 1896 إنه وردت عليه رسائل من السلطان يأمره فيها «باستلام تركة المرحوم الحاج عبد الواحد التازي، فوجدنا متقاعدين عليها اثنان وهما الحاج محمد بن شقرون الذي كان نائبا عن التازي المذكور، والسيد رشيد أبو النصر الوكيل عن ولد التازي المذكور، والاثنين عاملين دعاوي مع

55. رسالة الحاج محمد بنونة إلى الحاج محمد فرج في 10 قعدة 23/1313 أبريل 1896، الترتيب العام.
56. رسالة محمد بن شقرون إلى الطريس في 3 ربيع الثاني 11/1317 غشت 1899، تطوان 212/98.
57. يعاد ترتيبهم من 1 إلى 9، ص 107 ـ 109.
58. موجب عدلي في 17 جمادى الأولى 1299 / 6 أبريل 1882، الترتيب العام.
59. رسالته إليه في 24 صفر 16/1313 غشت 1895، الترتيب العام.
60. رسالة السلطان إلى الطريس في 22 ربيع الثاني 12/1313 شتنبر 1895 ، تطوان 69/14.

بعضهما في المجلس المختلط، وعملنا غاية إجتهادنا مع الحكومة المصرية لمساعدتنا في تنفيذ أمر مولانا... ولم وجدنا من الحكومة مساعدة في ذلك ولا في غيرها من الأشغال التي تختص بأمور المغاربة، لأنه لا يمكنهم ذلك، ولا يعترفوا بوكيل عن دولة إلا إن أحضر لهم أمر من سلطان اسطنبول، كما هي العادة مع سائر وكلاء الدول. وسيادتكم كنتم أرسلتم إلينا جوابا من الباشضور الانجليز أي اللورد كرومر كبير الانجليز بالوصايا علينا بهذا الطرف، وسلمناه إليه ولم يُعمل به... فاللورد كرومر المذكور لا يقبل الكتابة إلا من الاندرة... ولا تقبل الحكومة المصرية منا أي طلب، وذلك مما فعله المرحوم الحاج عبد الواحد التازي مع الحكومة حتى صدر في حقه كتابة ان الحكومة لا تعتبر وكيل الغرب إلا بصفة شيخ طائفة، مع أن كل وكلاء الدول لها هنا اعتبار زائد...»[61].

إن العراقيل المقامة أمام الوكلاء المغاربة لم تأت من المصريين وحدهم، بل ومن الأجانب أيضا. فبعد ثورة عرابي سنة 1882 أخذت إنجلترا تبسط نفوذها على البلاد المصرية، ولم تعد تعترف للمغاربة بوكيل.

ولربما حاولت الحكومة المخزنية حل مسألة تركة الحاج عبد الواحد وغيرها سنة 1897 بواسطة مبعوثها إدريس العراقي الذي لما وصل إلى مصر لم يسمح له بمقابلة الخديوي «ليهديه وينتظره في رد الهدية إليه». قال له الحلو «إن هذا شيء لا يعرفوه هنا وناقص في حق أهالي دولتنا... وطلب منا الكتابة لجناب الخديوي ليقابله، فعرفناه : لم تسبق لنا عادة في الكتابة إليه في مثل ذلك لا هو ولا من بمعيته. ومع هذا كله بلغنا بأنه لما وصل لِسُكندرية توجه وطلب مقابلته فمنعوه، والأمر لله. وبلغنا أنه متوجه إلى تونس بعد ما كان يريد التوجه لسطنبول...»[62].

9. الحاج محمد بن العباس بنشقرون الفاسي استوطن مصر سنة 1877[63] وكان لايزال سنة 1903 مقيما بها. وكان سنة 1898 يحفظ تركات المغاربة بالعاصمة المصرية

ث 4. عريضة الوكيل التازي الخ

ث 4 ـ 7 : تذييل حول عريضة التازي

إن المتاعب التي لقيها الحاج عبد الواحد لم تكن صادرة عن المغاربة وحدهم، بل كان المسؤولون المصريون يحركونها عليه أيضا سنة 1880 وقبلها.

ففي وثيقة بتاريخ 4 شعبان 12/1297 يوليوز 1880 يشهد جماعة من 23 مغربيا أن الحاج إدريس بن مَحمد بنكيران لما كان جالسا بدكانه بالفحامين قدم عليه الحاج محمد بناني وطلب منه مرافقته إلى دار الحاج محمد الحلو، فذهب معه ثم قصد بيت التاجر مَحمد السيوفي المصري، فترافق الجميع ودخلوا دار الحلو حيث وجدوا مجموعة من المغاربة هم عبد السلام بناني شقيق الحاج محمد المذكور، والحاج محمد الحلو

61. رسالة الحلو إلى الطريس في 12 ربيع الأول 21/1314 غشت 1896، تطوان 49/80.
62. رسالة الحلو إلى الطريس في 13 جمادى الأولى 1315 / 10 أكتوبر 1897 , تطوان 81 / 84.
63. رسالة بنشقرون إلى الطريس في 3 ربيع الثاني 11/1317 غشت 1899 تطوان 212/98.

صاحب البيت المذكور، والحاج محمد بنيس، والحاج محمد الحبابي، وطلبوا من بنكيران أن يحضر لهم عبد السلام بن أحمد التطواني والحاج محمد مزور والمهدي بن الحسن العلمي والعربي حماموش والحاج عبد السلام العرائشي والحاج محمد الحياني وأظهروا لهم مكتوبا محصله أن الحكومة المصرية نزعت الحاج عبد الواحد عن التوكيل على المغاربة ورفعت يده عن الحكم بينهم[64]. وأسماء هاته الجماعة هي كبور المراكشي وإدريس الصقلي والحاج محمد برادة والحاج محمد التازي والحاج عبد الرحمان بوزيان وقاسم بناني والحاج أبو بكر بن عبد الكريم ابن موسى والحاج محمد الأزرق والحاج العياشي الأزرق والحاج عبد اللطيف بنونة ومحمد الخياطي والحاج محمد يزرور والحاج عبد الوهاب ابن كيران ومحمد الجنوني والحاج إدريس الرايسي والحاج محمد بنجلون ومحمد القصري وحجي التلمساني والحاج حمو العقباني وجلول الحوتي وجلول التلمساني والكبير العلمي وأحمد مسواك.

فهؤلاء إذن كانوا زعماء الجالية المغربية بالقاهرة، ومن معارضي الوكيل. وقد لبثوا كذلك منذ سنة 1884، وظهر من وثيقة أخرى أن غيرهم كانوا معادين له، وهذا أصل تشكي التازي الذي التمس من السلطان «أن يمن عليه بكتابه الشريف بالعتاب والتوبيخ لجماعة الحساد الذين تقدم بهم التشكي منا مرارا لمولانا أيده الله، ورئيس الفتنة هو الطالب إبراهيم السنوسي والسيد الغالي العمراني المراكشي... وقصدهم في ذالك السعي في إذايتنا بالشهادات زورا في حقنا... وقصدهم بذالك هو الطالب إبراهيم السنوسي : يتولى التوكيل الأصلي بسكندرية، ويجعل أحد الجماعة وهو الحاج محمد الحلوا تابعا له بمصر»[65] أي بالعاصمة.

وكان بالقاهرة معارض آخر للحاج عبد الواحد سنة 1889 وربما قبلها هو الحبيب البلغيثي حسبما جاء في رسالة علي بن الطيب الخير الذي ذكر للعاهل فيها : « وصلنا بالسلامة... إلى مصر المحروسة... وقدمنا إلى دار خادمكم الحاج عبد الواحد التازي، فوجدناه توجه إلى حضرتكم العالية بالله، وكافة المغاربة فقراء وأغنياء متأسفين على فراقه... ووجدنا الشريف سيدي الحبيب البلغيتي حضر لمصر قبلنا بيومين ومجتمع على الجماعة المخالفين كما ليسوا خافيين على شريف علم سيدنا أيده الله، ومعهم السيد عمر السنوسي قدم من الاسكندرية، ومشتغلون بالشتم والسب في خادمكم المذكور سبا بالغا لا يقدر أحد يسمعه ولا ينبغي ذكره، فنهيتهم عن ذالك فلم ينتهوا... فزاد سيدي الحبيب في سبه وبالغ في شتمه... ولم نزل نشتمه ونسبه ونعاكسه مادمت بقيد الحياة... وأما الحاج عبد الواحد التازي:خادم ناصح لسيدنا ورعيته، وكل الناس يثنون عليه الثناء الجميل... ماعدى الجماعة المذكورة....»[66].

وسيكون مسك الختام بالكلام عن المغاربة بمصر في مطلع القرن الحالي.

---

64. الوثيقة 1/79 بخزانة كلية الآداب بالرباط.
65. رسالة الحاج عبد الواحد إلى السلطان غير مؤرخة، وخلفها بخط مغاير تاريخ 28 جمادى الاولى 26/1301 مارس 1884، خزانة كلية الآداب الوثيقة 329.
66. رسالته إلى السلطان في 20 جمادى الأولى 1306 / 22 يناير 1889، الوثيقة 11785 (م و م).

ث 5 : المغاربة بمصر في صدر القرن العشرين

بين يدي رسالة وعريضة خاليتان من التاريخ، لكن سياقهما يقتضي أنهما كتبتا في بداية القرن، وعلى كل حال قبل وفاة فيكطوريا الملكة الانجليزية سنة 1901 حيث وردت الاشارة إليها في رسالة الحاج علي زنيبر الذي عاد إلى المغرب حوالي 1904، بعد غربة دامت بضعا وعشرين سنة. ولعل رجوعه كان بسبب المضايقات التي كان يلقاها المغاربة هناك. هاته هي الرسالة. أما العريضة فهي تحمل توقيع 194 مغربيا.

ث 5 . 1 رسالة الحاج علي زنيبر

هي احتجاج على سوء تصرف المسؤولين معهم كتبها بخط مغربي وبعث بها إلى الحاج محمد الطريس : «وبعد فبالأصالة عن نفسي والنيابة عن كافة إخواني المغاربة الذين لايزالون خاضعين لأوامر مولاهم، أتجاسر بتقديم هذا وبطيه عريضة موقع عليها ما ينوف المائتين من المغاربة رعايا دولة جلالة مولانا المنصور بالله، نظير ما قدم لدواوين حكومة مصر، بصفة تظلم من جميعهم بما أجرته الحكومة المذكورة ضدهم وضد وظيفة التوكيل والوكيل الحالي بدون وجه حق، لعلها ترجع الأمور لمجراها السابقة بدون أن يحصل أدنى تشك ءاخر.

«ولذلك لزم إرسال العريضة السابقة الذكر ليبدي جنابكم في ذلك رأيه السديد... ولو بمخابرة سفير دولة جلالة ملكة الانجليز بطرفكم بخصوص مخابرة اللورد كرومر جنرال الدولة المشار إليها بهذه الديار ليبذل نصح جنابه لرجال حكومة مصر بإرجاع الحالة لما كانت عليه حكومة مصر مع رعايا دولة مولانا... أو بمخابرة جنابكم خارجية حكومة مصر رأسا أو ما تروه سديدا بخصوص كل ما فيه حفظ حقوق دولتنا العلوية ورعاياها المقيمين بهذه الديار وحقوق وظيفة التوكيل...

«ولقد عزم الجمهور السابق ذكره على تقديم عريضة نظير المرسل طيه لكل سفير دولة فخيمة من دول أوروبا ليكون كل منهم على بصيرة بما أجرته حكومة مصر...»[67].

ث 5 . 2 : العريضة

هاته الوثيقة محررة بالخط الرقعي مما يدل على أنها وجهت فعلا للحكومة المصرية، وتقع في 7 صفحات، الثلاث الأخيرة منها طافحة بتوقيعات من لدن 194 شخصا لأغلبهم طوابع تحمل أسماءهم، لكنها تخلو من التاريخ خلاف ما كانت عليه عريضة الحاج عبد الواحد التازي. وفوق الطوابع الصغيرة المستديرة شرح ما بداخلها، بخط مغربي تارة أو بخط مشرقي تارة أخرى.

---

67. تطوان 95/105.

فالصفحات الأربع الأولى تطنب فيما ذكرته رسالة الحاج علي ويفهم من الاعتبارات الواردة فيها أنها كتبت بعد سنة 1900، لأنها تاريخ آخر حكم صدر من المحكمة الابتدائية المختلطة ورد ذكره فيها. كما فيها أن الحكومة المصرية صارت تعتبر الوكيل الحاج محمد الحلو شيخ طائفة وليس وكيلا قنصليا.

وفائدتها الكبرى هي في إثبات هوية جماعة كبيرة من المغاربة الذين كانوا يعيشون بالقاهرة والاسكندرية ودمنهور وطنطا. وهاهي أسماؤهم كما كتبت وكما استطعت استخلاصها من هاته الوثيقة صعبة القراءة لسوء الخطوط تارة أولى أو لتعتيم الحروف داخل الطوابع تارة أخرى. وسأقارن الأسماء الواردة فيها بتلك التي جاءت في عريضة سنة 1888 لنعرف بعض التطور الذي دخل على حركة الهجرة، فاجعل بين هلالين الرقم المذكور في عريضة التازي في ص 111 وما بعدها، رامزا إليها بحرف العين. أما الذين لم يردوا في عريضة الحاج علي زنيبر فهم إما امتنعوا وإما ماتوا وإما رحلوا عن الديار المصرية، وها هي أسماؤهم :

من القاهـــرة

1. الحاج علي بن أحمد زنيبر، 2. محمد الدباغ، 3. الحاج التهامي الرايس (ع 10)، 4. محمد [بن عبد النبي] مزور (ع 25)، 5. محمد بن عبد الخالق بنشقرون (ع 9)، 6. محمد التازي، 7. عمر محمد التناني، 8. محمد أبو بكر عمر، 9. أبو محمد بن محمد، 10. الحاج عثمان الحلو، 11. عبد الخالق السبتي، 12. محمد سعودي، 13. العربي السقاط (ع 13)، 14. محمد بن فكاك، 15. عباس سعودي، 16. عمر ودور (= وحود ؟)، 17. حسن سعودي، 18. عبد الحميد بناني، 19. محمد عبد السلام القصري، 20. الحاج ابراهيم عبد السلام البناني (أو البقالي)، 21. محمد علي السي القصري، 22. ادريس بن عبد... (الله ؟) الصابونجي السلاوي، 23. الحاج عبد الرحمان بن محمد [السوسي : ع 182]، 24. خليل القباج، 25. محمود البناني، 26. حسن البناني، 27. حسن محمد البناني، 28. مراد برادة، 29. أحمد نجيب برادة، 30. محمد أحمد برادة (ع 21)، 31. عبد السلام راتود (؟)، 32. الشيخ عمر بن مبارك، 33. محمد سلطان القصري، 34. الحاج محمد بن عبد السلام (في الطابع : ابن العالم)، 35. العربي المدني الفيلالي، 36. الحاج محمد قاسم الكوهن (ع 159)، 37. حسن محمد القندوسي، 38. الحاج محمد المعطي، 39. حسن عبد الخالق السبتي، 40. محمد الليثي القصري الشهير بأبواظ، 41. الحاج محمد الحريشي الفاسي (ع 16)، 42. محمد أسعد برادة، 43. صالح محمد، 44. عبد الرحمان العلمي، 45. عبد القادر الأبّار (ع 39)، 46. محمد بن محمد الزموري، (ع 81 أو ع 132)، 47. عبد الواحد برادة، 48. عبد القادر عبد الواحد برادة، 49. الطاهر أجانا (ع 2)، 50 الحاج محمد بن مسعود، 51. عباس أبو هلال، 52. [الحاج] فضول المكناسي (ع 47)، 53. حسن المدني الفلالي، 54. أمين برادة، 55. عبد القادر المراكشي، 56. [الحاج] إدريس التازي (ع 19)، 57. التهامي بن العربي، 58. أحمد محمد العلوي، 59. علال العربي، 60. محمد المعطي، 61. الحاج عبد الله بن أحمد، 62. الحاج أحمد ص السوسي، 63. حيدة أحمد السوسي، 64. الحاج عبد الرزاق بن فاتح، 65. الحاج محمد التزكيني،

66. عمر بن العيساوي التازي، 67. الحاج العربي اليازغي (ع 116)، 68. قاسم محمد بناني، 69. محمد علال بنونة، 70. أحمد [بن إدريس الـ]صبان (ع 172)، 71. عمر محمد الروداني، 72. حسن عزوز، 73. الحاج محمد عزوز البردعي، 74. محمد بن علال بنونة (ع 141)، 75. [الحاج] عبد الوهاب محمد التازي (ع 63)، 76. الحاج إدريس بن عبد الرحمان، 77. محمد العياشي الحريشي (ع 171)، 78. الحاج مسعود بناني، 79. عثمان الزيادي (ع 148)، 80. محمد بن عبد القادر بناني، 81. الحاج قاسم التازي، 82. عبد العزيز التازي (ع 104)، 83. الجيلالي محمد الحلو، 84. الحاج عبد القادر [بن محمد] بن جلون (ع 31)، 85. عبد السلام عبد القادر، 86. الحاج التهامي جلون (ع 56)، 87. أحمد الجلاني، 88. محمد عبد الخالق (ع 131)، 89. عبد السلام محمد، 90. عبد القادر بن ناني (في الطابع : البناني)، 91. [الحاج] قاسم العيساوي برقوق (ع 28)، 92. عبد الرحمان الغرابلي (ع 49)، 93. أحمد البجاوي (وليس اليحياوي كما ذكرته في ع 70)، 94. السيد أبو بكر بن محمد، 95. أحمد محمد بن كيران (ع 103)، 96. الحاج البشير [بن محمد] التازي (ع 53)، 97. السيد امحمد بن السيد امحمد المنجْرى، 98. المداني الفلالي، 99. حسن المداني، 100. محمد بن أحمد ابن شقرون (ع 24؟)، 101. عبد العزيز محمد جلون، 102. حسن محمد الفلالي، 103. محمد بن علال برادة، 104. الحاج عبد السلام [بن محمد] التازي (ع 101 ؟)، 105. الحاج محمد المو....، 106. حسن محمد جلون، 107. الشيخ عبد الفتاح محمد الخياطي، 108. عمر عبد الله [الريفي ؟ ع 106]، 109. محمد الوكيلي، 110. الحاج الحسين بن عبد الله السوسي، 111. أحمد محمد البقالي (ع 121)، 112. حمادي علي، 113. محمد جلون، 114. محمد عمر العروسي، 115. المهدي بن عمر، 116. صالح ميرك، 117. مبارك بن محمد السبوسي، 118. أحمد بن عبد الرحمان الودغيري، 119. محيي الدين بن قدور، 120. الصديق عبد الرحمان الفلالي، 121. عبد الرحمان محمد البجاوي، 122. علي أبو بكر المنجرة (ع 114)، 123. حسن أحمد البقالي (ع 129)، 124. عبد الرحمان محمد أحمد عليش، خادم العلم الشريف، 125. عبد العزيز عبد الله محمد أحمد عليش، 126 محمد حمزة عبد الرحمان عليش، 127. أحمد أحمد عبد الله عليش، 128. محمد محمود محمد أحمد عليش، 129. حسن عبد العزيز برادة عليش، 130. عبد السلام محمد عليش (لعل السبعة الأخيرين من القاهرة)، 131. محمد المدني برادة (ع 174).

من الاسكندريـــة

132. الحاج حدو بن الحاج أحمد بن حمو، 133. محمد بن قدور، 134. علي عمر الشريف، 135. أحمد محمد سالم، 136. الحاج مبارك بن عبد الرحمان، 137. محمد الزروالي، 138. عبد العزيز الزروالي، 139. أحمد الزروالي، 140. ادريس بن الطيب، 141. الحاج محمد المبارك الهواري، 142. الحاج محمد هاشم، 143. الحاج أحمد الدكالي، 144. الحاج أحمد بن ميلود، 145. الحاج عمر بن محمد السوسي، 146. الحاج محمد البناني، 147. أحمد الزموري، 148. الحاج محمد المكناسي،

149. طه احمد التازي، 150. محمد طه أحمد التازي، 151. الحاج عمر الهاشمي، 152. محمد أحمد القرشيتي (؟)، 153. محمود احمد القرشيتي (؟)، 154. محمد معني (= معنينو ؟) السلاوي، 155. محمد بن أحمد التازي، 156. عبد المجيد بن محمد التازي، 157. الحاج أحمد بن المجاد.

من دمهـــور :

158. الحاج محمد بن شقرون، 159. عبد السلام الجبلي، 160. محمد السرغيني، 161. محمد عمر، 162. محمد محمود المكناسي، 163. مصطفى مصباح، 164. محمد مصباح، 165. نعيم غنيم، 166. محمد بن المليح، 167. عمر صالح الدراوي (ع 137)، 168. عبد السلام فرجاني، 169. علي فرجاني، 170. محمد غلاب الفاسي، 171. أحمد محمود المكناسي، 172. محمود محمد المكناسي، 173. أحمد عبد اللطيف بنونة، 174. جمعة عبد الفتاح.

من طنطـــا

175. محمد أحمد السباعي، 176. محمود حُسْنْ الوزى فهمي، 177. محمد الروداني، 178. عبد الله علي التقاني، 179. محمود محمد الروداني، 180. عمر حسين أبو ناب، 181. أحمد محمد بنونة، 182. إبراهيم أمين، 183. حاجي محمد التازي، 184. محمد مصطفى الروداني، 185. أبو بكر أحمد المرقاوي (ع 113 ؟)، 186. أحمد محمد الروداني، 187. إدريس بن محمد، 188. محمد العربي، 189. حسن كرم علي، 190. محمد طاهر، 191. الحسين بن علي السباعي، 192. التهامي العلمي، 193. حسين عبد الله السلاوي، 194. عبد السلام أحمد الصويري.

هذا وكان لأغلب المستوطنين بمصر أختام صغيرة مستديرة نقشت فيها أسماؤهم ممصرة في جلها، إلا أصحاب الأرقام الآتية : 1 و5 و8 إلى 10 و12 و15 إلى 18 و21 إلى 26 و28 إلى 30 و33 و39 و42 و63 و68 و78 و80 إلى 82 و93 و100 و104 إلى 107 و145 و146 و148 و150 و154 إلى 156 و184 و191 إلى 194.

وقد تبين مما سلف أن من بين 131 مغتربا بالقاهرة سنة 1888 وقبلها كان لايزال بها 35 شخصا حتى تاريخ وضع العريضة الثانية.

وأخيرا يسهل معرفة مساقط رؤوس هؤلاء المغتربين بالبلاد المصرية إذ جاز التعويل على المعايير التي بسطتها من قبل[68].

ج . الســودان الخ...

خ . الحجــاز (ص 128)

9. الحاج محمد بن أحمد الدمناتي توجه سنة 1882 إلى المشرق بقصد التجارة، ولما ركب للرجوع إلى بلاده سنة 1885 من الينبوع في مركب فدريان الطالياني دفع للأخير

---

68. انظر مصطفى بوشعراء «الاستيطان» ص 119.

«كوفريا فيه سلع من العود وسُبح من اليُسْر ودراهم، وحسب في الجميع ستة ءالاف ريال وثلاثمائة ريال واثنين وستين ريالا 3362، وأخذ منه خط اليد بحيازته على عادة من ركب، ولما نزل بتونس أنكره فيه....»[69].

10. في سنة 1898 كان ستمائة مغربي مجاورين بمكة وردت الاشارة إلى أسماء كبرائهم في رسالة وجهها جماعة منهم إلى الطريس حول سوء توزيع الهبة السلطانية على المحتاجين منهم. وجاء فيها أنها منذ «نحو ثلاث سنين انقطعت عن المساكين... وقد فرقوها على الأغنياء بمكة الذين لم يحتاجوا إليها أبدا، وتركوا المساكين يموتون جوعا... ولما ظهر من أرباب توليتها أنهم أكلوها لغير المستحقين بها قاموا أناس من المغاربة، بل جم غفير، وقصدوا من تولى تفريقها الذي جعل مولانا السلطان نصره الله على يديه تفريقها وهو السيد محمد ولد الدباغ والحاج أحمد الاسحاقي، كلاهما من المغاربة، وهما الذين أساءا في فعل التفريق وفعلوا ما فعلوا، وخلفا (= وخالفا) عادة المرحوم السيد الحاج عباس قباش (= القباج) به عرف ولقب لأنه رحمه الله في أيام حياته يفترقها على المساكين كل واحد باسمه، ولا يترك أحدا بلا نصيب، وأما هؤلاء الناس قد أظلموا (= ظلموا) المساكين جدا، ونهاهم الناس عن هذا الفعل السوء، وقالوا لهم إن الصدقة ليست بصدقة سلطانكم، وإنما هي من التجار وأرسلوها لنا ونحن نقتسموها كما نحب...

«وأما عدد المغاربة المجاورين بمكة المعظمة : على ما يزيد من ستمائة نفر كأكابرهم الشريف محمد الفيلالي والسيد الحاج الخضر الفاسي والشريف بالقاسم الفلالي والحاج عبد الكريم المكناسي وشريف سيدي محمد البوزيدي والحاج محمد العبدي والحاج ابراهيم الدراوي وج محمد الفرباوي والسيد ج أحمد التدلاوي والحاج سعيد الفلالي والشريف محمد الدادسي والسيد الحاج محمد الدكالي....»[70].

د ـ الأردن الخ...

ر. تركيـــا (ص 134)

6. محمد الشبيهي العرائشي كان قبل سنة 1898 مستخدما بالجيش العثماني، ولما رجع إلى مدينته وجد بعض الناس قد تراموا على أرض له بأحواز العرائش وامتنعوا من التخلي له عنها[71].

وهناك مغاربة آخرون عاشوا بتركيا مثل مولاي أحمد الوزاني المتوفى حوالي 1306 / 1889 فقامت الدولة العثمانية بتجهيزه[72] وعمر بن زين العابدين الوزاني الذي هو ابن أخي السابق، ممن كانوا يخدمون السياسة الخ...

---

69. رسالة السلطان إلى الطريس في 25 ربيع الثاني 11/1302 بيراير 1885، تطوان 39/5.
70. رسالتهم في 18 حجة 10/1315 مارس 1898، تطوان 225/81.
71. رسالة عمر بن محمد الوزاني إلى الطريس في 17 شعبان 21/1317 دجنبر 1899، تطوان 231/98.
72. رسالة إلى عمر الوزاني في 19 ربيع الاول 23/1306 نونبر 1888، الوثيقة 11.880 (م و م).

ز . المشــرق (138)

12. عبد المالك بن عبد الرحمان العلوي كان توجه للمشرق منذ سنة 1825 وأقام به نحوا من خمس وعشرين سنة وتأهل به ثم اشتاق إلى المغرب وأتى بأولاده وطلب الاستيطان بثغر طنجة[73].

ط. طرابلـــس الغــرب

الحاج اسماعيل بن عيسى الأزموري كان قبل دجنبر 1899 يسكن بمدينة درنة بالقطر الليبي، ولبث بها نحوا من ثلاثين سنة حتى صار تحت حماية الدولة العثمانية. ولما عاد إلى مدينة آزمور وجد بها شقيقه مريضا مرض موته، فمنعه عاملها الوعدودي بن عبد السلام من عيادته، فلم يره إلا ميتا واستولى على أمواله وماشيته، حسب رسالة عمر بن محمد الوزاني الذي طلب من الطريس الوقوف معه للوصول إلى حقه[74].

ظ . الخارج عموما

الحاج محمد بن التهامي القباج غاب قبل سنة 1888 عن مدينة فاس مدة ثلاثين سنة ثم عاد إليها[75] من الخارج على ما يلوح.

4 : خاتمـــة الـخ (ص 139)..

73. رسالة السلطان إلى بوسلهام بن علي في 24 صفر 29/1267 دجنبر 1850، محفظة طنجة 1.
74. رسالة علي بن محمد الخطيب وعبد العزيز بنكيران إلى الطريس في 16 ربيع الأول 26/1316 يوليوز 1898، تطوان 62/82.
75. رسالة عبد الهادي بن أحمد الصقلي إلى القاضي أحمد بن سودة في 12 رجب 25/1305 مارس 1888، الوثيقة 11091 (م و م).

② تنقيحات جديدة

دعاني إلى تحرير هذا الملحق عثوري على وثائق أخرى مهمة بعد طبع الأجزاء الثلاثة من هذا الكتاب، ووقوفي في مصادر متنوعة على إفادات توضيحية للاسم والحدث. ولهذا تعين إدراجها هنا تكميلا ومراجعة لما تقدم في الفصول المختلفة، وقسمتها إلى إضافات وإلى تشطيبات.

أولا : الاضافــات

الصفحـة/السطر	الخطــأ	الصــواب	يصلح الفهرس الصفحة/العمود
25/30 و26	ربيع...1890	ربيع الأول 28/1308 اكتوبر 1890	
1/67	مقيما مدة	مقيما بلندن مدة	
9/89	علي : سكن	علي السوسي الفاسي : سكن	1/1298
14	الحاج العربي برادة	الحاج برادة	1/1238
15	الجديدة ابنه محمد	الجديدة محمد	
20/97	حجاف	جحاف	
9/114	اليحياوي	البجاوي	
6/163	17 شتنبر	7 شتنبر	
13/393	عبد السلام	عبد الكريم	2 / 1219
401و23/402و20	الطريس لغريط	غريط للطريس	
12/415و13	هو... أيضا	هو من أصل طنجي(33)، وكانت أشغاله بدار النيابــة تتعلق بالترجمة	

الصفحة/السطر	الخطأ	الصواب	يصلح الفهرس الصفحة/العمود
21	33. من وثائق... بنسعيد	33. رسالة السلطان إلى الطريس في 11 قعدة 1312 / 6 ماي 1895 تنعته بالطنجي	
21/419 و22	حروفها... والرويسي	حروفها في المخرج كالحريزي مع الخزاري والهواري مع الهوزي والرويسي	
22 / 452	العيمي	العوفير	
8/460	Gumbert	Gumpert	
12/465	محمد المصري	محمد خير الدين المصري	2/1277
1/471و2	إليه... وهذه	إليه من كل ناحية المولعون بذلك من المسلمين والنصارى واليهود... وهذه	
11 و13	غيره... يعمل	غيره، وكان أخوه إدوارد Edwardمن الذين رافقوا بعثة تعليمية مغربية إلى الولايات المتحدة للتدرب بمعمل ونتشيسطر[31]، كما أن هاري كان يعمل	
16/475	الجديدة	طنجة	
18	والدار البيضاء وأمرنا	والدار البيضاء والجديدة وأمرنا	
2/476	بصير	بصيرة	
12/492	عظيمة حيث	عظيمة لاسيما حيث	
12 / 501	جيمس... في	جيمس شولطو دوكلاس J. Sholto Douglas في	2/1256
4/504	بإيطاليا	بأنطاكية	
8/506	أحمد الهنية	حميد الهيشو	2/1231
22/517	عبد الكريم	عبد السلام	2/1219
6/520	قبل مفاصلة دعوى	قبل ما كان فاصل به دعوى	
10/579	جيانتيللي	جاناطيللي	2/1248
3/580	جيوليو تيسي Tessi	جوليو تيسي Tesi	2/1247
16/598	بينت... وكان	بينطو وكان	1/1244
7/609	الطريس	محمد بن العربي	
23	رسالة... في	رسالة محمد بن العربي بن المختار الى الطريس في	
13/627	الهورغ(؟)	الأعور	2/1293
7/636	8 ـ 9 : بنعيسى	عبد السلام بنعيسى	
3/646	Dal / Dale	. Dahl	1/1258
4/659	نول Nol	لون Ĺon	
14/661	مشتغلون بالكنطربض	مشتغلون بأمر الكنطربنض	
6/727	ابن البغا	ابن البعجة	2/1225
12/751و13	واللوبيرة... في	واللوبيرة، ربما لاسراف بعضهم في	
4/782	المنصار سمسار	المنصار العلوي : سمسار	

14	الغنيمي	النعيمي	
11/786	الـداودي	الدراوي	1256و1/57
4/788	ميــراد	سيفيــراك	
18/815	من أرض الموات	من قبيل الموات	
2/816	حتى ضاعت	وضاعت	
21 و22	البلد... ادعى	البلدوقوفا مع الشرط، وأن العرف هو عدم البناء أصلا بخارج البلد، وأن أرض الدار البيضاء كلها لجانب المخزن، وأن من ادعى	
16/829	مزين	مزيت	
18	عمران	عمار	
2/830	الزياني (المحمي	الزياني الرحيوي (المحمى	
20/833 و21	يستورده... عشرين	يستورده لحسابه، فقد جلب سنة 1889 عشرين	
4/835	Worbeck	Vorbeck	1/1293
7	(?) Nutzel	H. C. Nützel	1/1281
4/840	الرومـي	الرويمـي	1/1262
20/844	الرابعة	الخامسة	
1 / 847	الحاج الحريزي	الحاج المومني البصيلي الحريزي	
4/847	لمركب... وعلى	لمركب اسمه «ولا شية» كان جنح إلى الشواطيء المغربية في يوليوز 1878 وعلى	
15/862	الغزواني والحاج	الغزواني الحريزي والحاج	
6/864	الصغير الحريزي	الصغير الغفيري الحريزي	
10/865	20 : ... الرياحي	20 : الحاج قدور بن محمد بن عبد السلام المراحي الرياحي	
13	الحاج الشامي سمسار	الحاج الشافعي الجداوي سمسار	
1/866	الحاج المعيزي	الحاج محمد المعيزي	
8	الطيب... وعلي	الطيب بن الحاج بوعزة بن غلف المديوني وعلي	
15/867	الصيفي (؟)	الطيبي	
6/869	علي... الشاوي	علي ابن الرامي المزابي العريفي الشاوي	
4/870	1864	1868	
14/884	الحجاجي	الحجامي	
15 و16	اضريانو أو أندريانو	أدروباو Adrobau	
13/885	أقشام	أخشام	
1/890	ونحو... بنائين	ونحو ذالك مما به قوام معيشة أهل حرف ذالك من بنائين	
6	الدول... منع	الدول في ذالك بما يتعين كتابة من منع	

5/893	الحجاجي	حجيج	
18/900	قدور والمكي	قدور الداودي، والمكي	
12/905	Flesh	Flesch	2/1291
5/912	الرامي الشياظمي	الرامي الشتوكي الشياظمي	2/1300
12/913	اسمه الكحيل	اسمه موشي الكحيل	
1/936	محمد بن العيساوي	محمد بن المعطي بن العيساوي	
1	يوسف بن شطريس	يوسف بن سليمان بن شطريس	1/1233
13/938	بوستة... بن محمد	بوسونة بن محمد	
21	علي... والحاج	علي الهواري الحريزي والحاج	2/1252
6/939	بوعزة... المديوني	بوعزة بن المعطي الهراوي الحمذي المديوني	
8	المناري	المنيغي	2/1275
15	المعزي	المعيزي	
7/942 و8	الحباري	العباري	
14	دريهن	دريهم	1/1257
16/943	عمرو الحريري	عمرو القري الحسناوي الحريزي	
13/943	الزرهـوني	الرهونـي	2/1262
24	بوكرعـون	بوكدعـون	1/1235
8/969	الحاج موسى... عاملا	الحاج موسى الغربي عاملا	
14/973	كان أبوه تاجرا	كان قريب له تاجرا	
22/981	9 نونبر	29 نونبر	
7/1008	المعطي سمسار	المعطي الجديدي البوعزيزي سمسار	
26/1025	الباشا	البشير	
24/1028	21نفس المرجع ص274	21. أوجين أوبان : «مغرب اليوم» ص 21(1)	
25	22. المصدر... 188	22. ميج : «وثائق التاريخ...» ص 188	
9/1045	فرانسيس .F	هنري .H	1/1247
7/1130	للوزير محمد	للوزير العباس	
9/1147	منهم بالايالة	منهم رعية بالايالة	
16/1157	الفتنة، فإن	الفتنة بالمدينة، فإن	
7/1173	مارسيلي	مارسيي	1/1276
1/1183	Vendel	Wendel	1/1292
21	الأولى	الثانية	
20/1202	الصواف	الصوّاب الغزواني	2/1283
8/1207	19 ـ 28	28 ـ 19	
9	57	47	
18/1208	الرباط 2 ـ 2 ـ 2	الرباط 2 ـ 2 ـ 1	
24	فاس 2 ـ 2 ـ 2	فاس 2 ـ 2 ـ 3	
9/1223	«: مردوخي	أفيلال : مردوخي	العمود الثاني
15/1301	Hirsch	Hiersche	العمود الأول

ثانيا : التشطيبات

يحذف ما يلي من فهرس الجزء الثالث لأنه سيدرج منقحا في فهرس أعلام الجزء الرابع.

الصفحة	السطر	العمود
1219	4	1
1220	9	1
1221	16	1
	25	2
1223	4 و5	2
1239	23	1
1251	20 و21	1
1252	5	1
1260	3 و4	1
	27	2
1273	22	2
1279	20 و21	2
1281	2	2
1288	7	1
	14 و15	2
1289	11	2
1290	2	1
1304	11	1

③ فهـرس الأعـلام*

---

* اصطلاحات الفهرس تفيد ما يلي :
○ - تكرار العلم المفهرس قبلا.
، - تكرار أرقام المئات
/ - تتابع الصفحات ؛ ظ = انظر ؛
م = محمد ؛ ع = عبد ؛ ج = الحاج
وذلك في الاعلام العربية . والفهرسة اجتهادية فيما ليس له علمٌ مميز، وهي مرتبة على الالفبائية المغربيــة.

ـ ابـن، بـن ـ

ـ أبــو، بــو ـ

ـ البـاء B و V الاسبانية ـ

- الپـاء الفارسيـة .P -

- التـــاء T. -

ـ الخـــاء .Kh, J ـ

ـ الـــدال .D ـ

ـ الـــراء .R ـ

الـزاي .Z -

ـ الطــاء T ـ

ـ الكــاف C. K. Q ـ

ـ اللام L. ـ

ـ الغيـــن .Gh ـ

ـ الفـــاء .F. Ph. V. W ـ

ـ القــاف ـ

ـ السيــن S ـ

- الشين Sh, Ch -

- الهاء .H -

4 المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- كناش مكاتيب الطابع الشريف، 1695 د، الخزانة العامة بالرباط.
- كناشا مكاتيب المندوبية السعيدة بطنجة 2720 ك و2721 ك، (خ ع).
- محمد بن العياشي سكيرج : «رياض البهجة، في تاريخ طنجة»، مصور الخزانة الصبيحية.
- الطاهر بن الحاج الوديي : «الاستبصار، في عجائب الأمصار» بالخزانتين المنونية والأحمدية.
- أبو بكر بن الحاج الهاشمي الصبيحي كناشته ووثائقه، بالخزانة الصبيحية.

ثانيا : الكتب العربية المطبوعة

- شكيب أرسلان : تعليقه على «حاضر العالم الاسلامي»، الجزء الأول، طبعة القاهرة، 1926/1343، تأليف لوثروب سطودارد : Lothrop Stoddard.
- محمد بن أحمد أكنسوس السوسي : «الجيش العرمرم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي» الجزء الثاني، المطبعة الحجرية بفاس، 1918/1336.
- خوسي أليماني : «الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة»، تعريب أحمد مدينة، «دعوة الحق»، ماي 1978.
- خوان بالديراما مارتينيث : J. Valderrama Martinez : « خواكين غاتيل، رحالة المغرب» تطوان، 1954.
- مصطفى بوشعراء : «الاستيطان والحماية» مختلف الأجزاء، الرباط 1984 - 1987 - 1988.
- عبد المجيد بنجلون :

أ. «جولات في مغرب أمس : 1872». (تلخيص رحلة الدكتور أرثورليرد A. Leard إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، 1974.

ب. «جولات في مغرب أمس : 1901» (تلخيص رحلة فرانسيس ماك نيب F. Mac Nab إلى المغرب) طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ.

- **عبد الرحمان بن زيدان العلوي :**
أ. «إتحاف أعلام الناس، بجمال أخبار حاضرة مكناس» مختلف الأجزاء، الرباط 1929 - 1933.
ب. «العز والصولة، في معالم نظم الدولة»، جزآن، المطبعة الملكية، 1961 و1962.

- **عبد الوهاب بن منصور :** «أعلام المغرب العربي» المطبعة الملكية، الجزء الأول، 1968.

- **عبد العزيز بنعبد الله :** معطيات الحضارة المغربية، الجزء الأول الرباط، 1960.

- **عبد الهادي التازي :**
أ. «جامع القرويين» المجلد الثالث، بيروت، 1972.
ب. «صحيح الامام البخاري بخط الحافظ الصدفي»، «دعوة الحق»، مارس 1973.
ت. «حول الشريف العباسي أو الجنرال دومينكو»، في «دعوة الحق»، يناير 1973 .
ث. «الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة والتدخل الديبلوماسي» في «البحث العلمي»، العددان 26 و27.
ج. «العلاقات المغربية الروسية»، نفس المجلة، العدد 21، دجنبر 1967.

- **محمد عابد الجابري :** «الخطاب العربي المعاصر - دراسة تحليلية نقدية»، بيروت 1982.

- **عبد الله بن العباس الجراري :** «من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا» الجزء الثاني، الرباط، 1971.

- **أنور الجندي :** «آفاق جديدة للدعوة الاسلامية في عالم الغرب» لبنان، 1984.

- **بييركيين :** «تاريخ المغرب والمصادر الأروبية»، «البحث العلمي»، العدد العاشر.

- **محمد ابن عزوز حكيم :** «السيادة المغربية، في الاقاليم الصحراوية، من خلال الوثائق المخزنية»، الجزء الاول، الدار البيضاء، 1981.

- **محمد الخطيب :** «حول مقال علي بيه الجاسوس الاسباني»، «دعوة الحق»، العدد 226-.

- **مصطفى خالدي وعمر فروخ :** «التبشير والاستعمار في البلاد العربية. عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي»، الطبعة الرابعة، بيروت 1970.

- **عبد القادر الخلادي :**
أ. «مذكرة الدكتور ليناريس»، «دعوة الحق» ماي 1971.
ب. «علي باي العباسي»، أيضا، يناير 1973.
ت. «دوكاستر وتاريخ المغرب» أيضا، مارس وأبريل وماي 1974.

- **محمد بن علي الدكالي :** «الاتحاف الوجيز - تاريخ العدوتين»، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط 1986.

- **محمد داود** : «تاريخ تطوان»، مختلف الاجزاء، طبعة تطوان والرباط.

- **ب. ج روجرز P. G. Rogers** : «تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى سنة 1900». تعريب يونان لبيب رزق، الدار البيضاء، 1981.

- **خير الدين الزركلي** : «الاعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين» الطبعة الثانية 1959.

- **محمد بن أحمد الكانوني** « آسفي وما إليه قديما وحديثا»، القاهرة، 1353هـ.

- **زين العابدين الكتاني** : «الصحافة المغربية، نشأتها وتطورها : 1820 ـ 1912»، الجزء الأول، مطبعة فضالة، المحمدية، دون تاريخ.

- **ألفريد له شاطوليي A. Le Châtelier**:«الغارة على العالم الاسلامي»، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، طبعة بيروت، دون تاريخ.

- **عبد الحميد لطفي** : «مراجع بالانجليزية حول المغرب»، مجلة كلية الآداب بالرباط، العدد الثالث والرابع، 1978.

- «**مجلة المغرب**» : «بين خديوي مصر وسلطان المغرب»، يبراير ـ مارس 1936.

- **محمد بن محمد مخلوف** .«شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية» الجزء الأول القاهرة، 1379هـ.

- **أحمد المكناسي**: «أهم مصادر التاريخ والترجمة بالمغرب»، تطوان، 1963.

محمد المنوني :

أ. «مظاهر يقظة المغرب الحديث» الجزء الأول والثاني، لبنان، 1985.

ب. «صفحات من مخطوط «المفاخر العلية» لعبد السلام اللجائي، عن النشاط العلمي بفاس خلال القرن التاسع عشر» في «المناهل» العدد 36.

- **شاكر مصطفى** : «ملك أروكانيا»، مجلة «العربي»، مارس 1980.

- **أحمد معنينو** :

أ. «مذكرة طالب مغربي أرسل إلى إيطاليا منذ ثمانين سنة»، «دعوة الحق» العدد الأول، السنة 12.

ب. «ترجمة مختصرة لتلميذ من بعثة الحسن الأول سنة 1297»، في «البحث العلمي» العدد 25.

- **تاتيانا موساتوفا Tatiana Mussatova**:«العلاقات الروسية المغربية في القرن التاسع عشر» ترجمة عبد الرحيم العطاوي، في «مجلة دار النيابة» طنجة، العدد.18.

- **أحمد بن خالد الناصري** : «كتاب الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى»، بعض الأجزاء، طبعة الدار البيضاء 1954 ـ 1956.

- **محمد بن سعيد الصديقي** : «إيقاظ السريرة، لتاريخ الصويرة»، الدار البيضاء، دون تاريخ.

ـ **عز الدين العراقي** : «شارل ده فوكو وهب حياته لتنصير المغرب العربي خدمة للاسلام»، في «البينة» العدد الثامن، دجنبر 1962.

ـ **عبد الله العمراني** : «أوروبيون في خدمة العرش المغربي»، «دعوة الحق»، مارس 1973.

ـ عبد الغني سكيرج : «مذكرة الزبير سكيرج 1850 ـ 1932» في «دار النيابة» العدد 8.

ـ **العباس بن ابراهيم السملالي** : «الاعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام»، مختلف الأجزاء، الرباط 1974 ـ 1983.

ـ **إدوارد وليام سعيد** : «الاستشراق : المعرفة، السلطة، الانتشار»، ترجمة كمال أبو أديب، بيروت 1981.

ـ **وزارة الشؤون الثقافية** :«فاس، كشاف المراجع البيبليوغرافية للتراث الثقافي»، الرباط، دون تاريخ .

ثالثـا : المراجع العجمية Sources, Bibliographies

— **Abdelaziz Amine, Jean Brignon, Brahim Boutaleb, Guy Martinet et Bernard Rosenberger** :«Histoire du Maroc», Paris et Casablanca, 1967.

— **Eugène Aubin** : «Le Maroc d'aujourd'hui», Paris, 1908.

— **Benoist-Méchin** : «Lyautey l'Africain», Paris, 1978.

— **Jacques Caillé** :

a. «La Petite Histoire du Maroc» 2eme et troisième séries : Casablanca et Rabat, 1954.

b. «La Petite histoire de Rabat», Casablanca,sans date.

c. «Les marocains à l'école du génie de Montpellier : 1885 — 1888» in Hespéris, vol XLI, 1954.

— **Ahmed Djebli El Aydouni** : «mémoires» (manuscrits)

— **Mohammed El Gharbi** : «La question du Sahara Occidental Marocain devant la loi internationale», Rabat, 1974 (étude en stencil).

— **Pierre Guillen** : «L'Allemagne et le Maroc : 1870 — 1905», Paris, 1967.

— **Gouvernement (le) espagnol** : «Informations et documents que présente le gouvernement espagnol à la cour internationale de justice», livre IV, mars 1975 (en stencil)

— **Jean Hess** : «La question du Maroc», Paris, 1903.

— **Eugène Hughes et J.L. Miège** : «Les Européens à Casablanca au XIX siècle : 1856 - 1906», Tanger, 1954.

— **Amina Ihrai — Aouchar** : «la Presse Tangéroise d'opposition au Protectorat» in مجلة دار النيابة العدد 10

— **Charles-André Julien** : «Le Maroc face aux impérialismes : 1415 — 1956» Paris, 1978.

— **Abdellah Laroui** : «Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 — 1912)» , Paris, 1977.

— **Alfred Lebel** : «Les voyageurs français au Maroc», Paris, 1936.

— **Paul Lesourd** : «La vraie figure du Père de Foucauld», Paris, 1933.

— **Roger Le Tourneau** :

a. «Fès avant le Protectorat», Casablanca, 1949.

b. «La vie quotidienne à Fès en 1900», Paris, 1965.

— **Henri de la Martinière** :

a. «Le régne de Moulay El Hassan» in «la Revue des Deux - Mondes» vol CXX, septembre 1894.

b. «Souvenirs du Maroc. Voyages et missions 1882 — 1918», Paris, 1920.

— **Jean - Louis Miège** :

a) «Le Maroc et l'Europe : 1830 — 1894»

a 1. Tome I : «Sources. bibliographies»

a 2. T. II : «L'ouverture»

a 3. T. III : «Les difficultés», Paris, 1961.

a 4. T. IV : «Vers la crise», Paris, 1964.

b) «Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle », Paris 1969.

c) «Journaux et journalistes à Tanger au XIX siècle», in Hespéris, 1954 . d) «Les missions protestantes au Maroc : 1875 — 1905» in Hespéris, Vol 42, 1955.

e) «Hassan 1er et la crise marocaine au XIX siècle» in «Les africains» Tome III, Paris, 1978

— **Mohamed Nehlil** : «Lettres chérifiennes», 1ere partie. Paris, 1915.

Daniel Nordman : «Science géographique Française et expansion coloniale en Afrique du Nord au XIX siècle», Université d'été, Mohammedia, Juillet 1987.

— **Paul Pascon** : «Le Haouz de Marrakech», Tome II, Tanger, 1977.

— **Dennis H. PHILLIPS** : «The American Missionnary in Morocco» in «the Muslim World», Vol LXV n°1, Januaury, 1975

— **Jean - Marie Salmi** : «L'attitude des Européens à l'égard de la politique de Réformes au Maroc à la Veille du Protectorat» in «ندوة الاصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر».

— **Ducas F. Weisgerber** : «Au seuil du Maroc moderne», Rabat, 1947.

رابعـــا : الجرائد والمجلات

بعض الأعداد من : مجلة المغرب ـ دار النيابة ـ العربي ـ الوثائق ـ المناهل ـ دعوة الحق ـ البحث العلمي ـ البينة ـ مجلة كلية الآداب بالرباط ـ العلم ـ المغرب (طنجة) ـ المجلة التاريخية (تونس).

Hespéris - Les Africains - La Revue des Deux - Mondes - North Africa - The Muslim World - The Times of Morocco.

خامســا : الوثائــق

ـ مديرية الوثائق الملكية : محافظ العلاقات الدولية ـ محافظ المدن الشاطئية والداخلية ـ محافظ الترتيب العام ـ محفظة التعليم بالخارج ـ محافظ الشخصيات ـ وثائق السلسلة الجديدة (م و م).

ـ الخزانة الصبيحية بسلا

ـ المكتبة العامة للوثائق والمخطوطات (تطوان).

ـ الخزانة العامة بالرباط

ـ خزانة كلية الآداب بالرباط.

ـ وثائق آل بنسعيد (خزانة الحاج العربي).

ـ وثائق الدكتور الحاج احمد الجبلي العيدوني.

F. O. / P. R. O ـ

سادســا : روايات شفوية واستجوابات

5 مواد «الاستيطان والحماية» : الأجزاء السابقة

Table des Matières

Mustapha BOUCHARA

IMMIGRATIONS ET PROTECTIONS AU MAROC

1863 - 1894



Tome IV

Emigrations et Immigrations au Maroc

1989